الموسوعة النفسية الجنسية

الكتاب الشامل للسلوك الجنسى عند الذكر والأنثى، وفى البلوغ وسن اليأس، وفى الشذوذ، والتربية الجنسية، وسيكولوجية الحامل والمرضع وزوجة الأب وزوج الأم، والجنس والمخدرات والتدخين والمنشطات والمهدئات، وفى المرض العقلى والنفسى، وبعد العمليات الجراحية، وفى الأدب والفن والموسيقى والرقص والغناء... إلخ.

تأليف

دكتور عبد المنعم الحفنى

مكتبة مدبولى

الموسوعة
النفسية الجنسية

الكتاب الشامل للسلوك الجنسى عند الذكر والأنثى وفي البلوغ وسن اليأس ، وفى الشذوذ ، والتربية الجنسية ، وسيكولوجية الحامل والمرضع وزوجة الأب وزوج الأم . والجنس والمخدرات والتدخين والمنشطات والمهدئات ، وفى المرض العقلى والنفسى ، وبعد العمليات الجراحية ، وفى الأدب والفن والموسيقى والرقص والغناء .. إلخ

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

الطبعة الثانية

١٩٩٧م

الطبعة الثالثة

٢٠٠٠م

الطبعة الرابعة

٢٠٠٢م

مكتبة مدبولي

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة ت : ٥٧٥٦٤٢١

MADBOULI BOOKSHOP

6 Talat Harb SQ. Tel: 5756421

الموسوعة النفسية الجنسية

الكتاب الشامل للسلوك الجنسى عند الذكر والأنثى ، وفى البلوغ ، وسن اليأس ، وفى الشذوذ ، والتربية الجنسية ، وسيكولوچية الحامل ، والمرضع ، وزوجة الأب ، وزوج الأم ، والجنس والمخدرات ، والتدخين ، والمنشطات ، والمهدئات ، وفى المرض العقلى والنفسى ، وبعد العمليات الجراحية ، وفى الأدب ، والفن ، والموسيقى ، والرقص ، والغناء .. إلخ

تأليف : دكتور عبد المنعم الحفنى

مكتبة مدبولى

مقدمة الطبعة الرابعة

فى هذه الطبعة تمت مراجعة المواد لتصحيح بعض الأخطاء المطبعية ، وأرفقت بالموسوعة صفحات وبحوث جديدة فى : الجنس والجريمة ، والجنس والمخدرات ، وإنى لأرجو كلما كانت طبعة جديدة وطال بى العمر لو أراد الله ، أن أُنقّح دائماً القديم وأضيف إليه الجديد ، ودائماً هناك جديد فالحياة متصلة وتدور ، وهناك الجديد مع كل طلعة شمس على عكس ما قال سليمان فى سفره فى الأمثال .

دكتور / عبد المنعم الحفنى

يناير٢٠٠٢

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله لعظيم نِعَمه ومِنَنه ، وما حبانا من علم ينفعنا وينفع الناس ، فآفة أهل العلم أنهم لا يعملون بما يعلمون ، ولا يعلّمون ما يعلمون ، وعِلْمُهم لذلك هو العلم العقيم . وعلم النفس الجنسى الذى يشتمل عليه هذا الكتاب هو من علوم الحياة الإنسانية ، وفيه من الخبرة الكثير ، كما أن فيه المطالعة والتأمل ، وإنى لأرجو أن يجد القارئ الأريب فى هذا الكتاب ما يفيده ومن حوله من الأهل والناس ....

دكتور / عبد المنعم الحفنى

يناير٢٠٠٠

مقدمة الطبعة الثانية

هذا الكتاب فى سيكولوچية الجنس ويبحث فى جانب من أهم جوانب الحياة الإنسانية، وهو الجانب المُعَوّل عليه فى الزواج والطلاق ، والذى تقوم به الحياة العائلية وتستقيم باستقامته . وعناصره كثيرة ومتفرعة ، وتناولها يستلزم معرفةً موسوعية فى الطب ، والأنثروبولوچيا، والاجتماع ، والتاريخ، والفلسفة، وفى مختلف علوم النفس والفسيولوچيا ، والكتاب بإقرار النقّاد من أخطر الكتُب التى ظهرت باللغة العربية فى الآونة الأخيرة .

وإنى لأرجو بصدور هذه الطبعة أن يوفقنى الله إلى إصدارات مماثلة فى نفس المجال مداها التربية النفسية الجنسية، وما ينبغى أن تكون عليه ، وإرهاصاتها فى الأديان الثلاثة .

واسأل الله طول العمر لأنتهى من ذلك فى القريب إن شاء الله ..

دكتور / عبد المنعم الحفنى

يناير١٩٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر

مقدمة فى معنى التربية الجنسية Sex Education

وضرورتها فى هذا العصر، وضرورة التعرف إلى المفاهيم الجنسية، ومعنى الصحة النفسية ومدارج الترقى النفسى الجنسى فى الطفولة، ومايمكن أن تكون عليه البرامج التربوية الجنسية، والمشاهد العملية فى حدائق الحيوان وغيرها. وفائدة التربية الجنسية فى منع انحرافات الأطفال والشباب، وتأثير المدرسة والمسجد والتليفزيون والكِتاب على التنشئة الجنسية.

ماأحوجنا إلى **التربية الجنسية الدينية**، غير أنه كثيراً مايلتبس معناها على الناس، ولم يحدث أن تصدّى واحد من المفكرين لهذه المسألة، ولا حاول أن يعطينا مفهوماً لهذه التربية فى ضوء ثقافتنا الإسلامية، وداخل إطار حضارة العصر العلمية. ولسوف نجد بسبب افتقادنا للتعريف الصحيح لمصطلح التربية الجنسية أناساً يرفضون الخوض أصلاً فى الحديث فيما يسمى **التربية الجنسية**، بحسب ظنهم أن ذلك يعنى تعليم الأطفال أشياء حول الجنس تفتّح أذهانهم لما كان لاينبغى أن ندفعهم إلى التفكير فيه، باعتبار الجنس من **المحرّمات**، حتى فى أحط الثقافات وأكثرها بدائية، فمسائل الجنس والنكاح والزواج والولادة ينبغى أن تُصان من التطفّل، وأن لايعيها إلاّ الكبار فى أوقات معينة من العمر، وكلما اقتضت الحاجة إلى أن يتعرف البالغ عليها بحسب حاجته. ولسوف نجد فريقاً من الناس، على عكس الفريق السابق، يدعو إلى **التثقيف الجنسى**، وخاصة للشباب فى سن البلوغ، على زعم أن التغيرات الجنسية التى تفد على الشباب فجأة وتهاجمهم مستحدثاتها، تستلزم أن يُعدّ لها الشباب إعداداً، باعتبارها من المسائل الملحّة، التى قد تترتب عليها اضطرابات قد تستمر لما بعد البلوغ، فالاستجابة التى يأتيها الشاب سواء كانت خاطئة أو مصيبة، قد تترسخ فيه وتصبح من السمات الخُلُقية للشخصية. ونحن نحتاج للثقافة الجنسية فى **البلوغ** ومابعده، لنعرف معنى أن نكون أولاداً أو بناتاً، والكيفية التى نتعامل بها مع بعضنا البعض، وماهو المراد منا من حيث الزىّ والسلوك والهيئة العامة، وماهو الحب والجنس والغاية منهما، وماهى المواعدة بين الفتيات والفتيان، ومشاكل

اللقاء الأول، والخطوبة والسلوك أثناءها، والزواج والتوافق فيه. وقد تمتد التربية الجنسية لأبعد من سن الشباب فهى لازمة **للشيوخ** لزومها للشباب، وهناك تغيرات جنسية تشملنا جميعاً إذ نتجاوز **الأربعين**، وهى تغيرات حيوية بقدر ماهى تغيرات نفسية، فكيف نتعامل معها، وكيف نوفق بين واجباتنا كآباء ورغباتنا كأزواج، وماذا يحدث للزوج المُثقَل بالأعباء، أو للزوجة ربة البيت المتعبة، وماهى **فلسفة الإياس**، وكيف نتجاوز محنة **سن اليأس**، ومحنة انفراط عقد الأسرة بانصراف الأولاد بالزواج أو بغيره بعد أن يكبروا.

والتربية الجنسية تعطينا المعرفة بكل ماسبق وبأكثر منه، وهى التى تزودنا بالعلم الضرورى لكى نتعامل بمقتضاه إزاء مسائل من صميم وجودنا الشخصى والاجتماعى. والجنس **محور** من المحاور الكبرى التى تدور حولها حياتنا. والتثقيف الجنسى عملية دائبة تكون معنا دائماً منذ طفولتنا، وابتداء من وعينا بأنفسنا وبالناس من حولنا. ونحن نتعلم جنسياً سواء كانت عملية التعليم الجنسى هذه عملية واعية ومقصودة، أو كانت عملية لاواعية تأتينا عفوياً ويتناقلها الناس عن بعضهم البعض، بالتأثير حيناً والتقليد أحياناً، وبالحديث فيها أو ممارستها بالتعليم.

والجنس مسألة حيوية **لتكوين الشخصية وللتفاعل الاجتماعى**، ولذلك لم يُترك الجنس للأفراد يصوغون علاقاته وفق هواهم، وكانت للجنس قيم وتقاليد تحدّ من الخروج على مايتعارف الناس بشأنه، وتصنع من تراكماتها **تراثاً ثقافياً** يميز المجتمعات عن بعضها البعض، ورغم التباين فيها فإنها تتسم جميعها بأنها **قيم وتقاليد**، ولايوجد المجتمع الذى يخلو منها أو الذى يستطيع أن يستغنى عنها، ومع ذلك فقد تجد من ينادى **بالحرية الشخصية** فى مسائل الجنس بخاصة، متأثراً فى هذه الناحية بما يقرأه أو يسمع به عن الغرب الأوروبى، أو ما يشاهده من أفلام التليفزيون والسينما، وكثيراً مايستشهد أصحاب هذه الدعوة بأقوال **فرويد ومدرسة التحليل النفسى**. ولقد كان متوسطو التعليم وبالاً على الثقافة فى كل العصور، ومايزال هؤلاء يسيئون ترديد **فرويد** واستخدامه فيما يكتبون أو يؤلفون فى الصحافة أو الإذاعة المسموعة والمرئية، الأمر الذى يترتب عليه أن تشتد الحاجة إلى التربية الجنسية وتعزيز المفاهيم الجنسية بالتعليم الصحيح والقول السديد.

وهناك من المربين والمدرسين من يشعر بأن الحاجة قد أصبحت ماسة لكى يتلقى الشباب والصغار **تعليماً جنسياً** مناسباً، يجعلهم ينظرون النظرة الصحية للجنس باعتباره

منصرفاً من أجمل المنصرفات لطاقة الحب عند البشر، ويريد **هؤلاء** المربون والمدرسون أن يشعر الأولاد أن **الفعل الجنسى** فى حد ذاته ليس عيباً أو حراماً، ولكن العيب والحرام هو أن يتوجه التوجه المدمّر لنشاط الفرد والجماعة. وقد يكون من المفيد أن يحب الفتى أو تحب الفتاة لكى تتمرس بمشاعر الحب العظيمة فتنمو عندها وتنضج، مثلها مثل أية مشاعر تحتاج دائما إلى تعهدها وتربيتها لتنضج، ومن ثم يصبح الفتى أو الفتاة قادراً على أن يختار شريكته فى الحياة عن وعى وخبرة بما يريد. ونحن لانعرف أنفسنا فى أى مجال إلا إذا احتككنا بالغير، وفى مجال الجنس قد يكون من المفيد الاختلاط تحت رقابة الكبار فيتحصل للشباب المعرفة بالجنس عن قرب. وقد دعا الصحفى الكبير **مصطفى أمين** إلى أن يتحابّ الشباب فى حدود التقاليد، وكان يقول إن الحب يدرّب الصغار على الكتابة الإنشائية الجيدة. وكانت **لفاندى** تجربة فى هذا المجال، فقد جمع الشباب والشابات كى يتعرف كلٌ إلى مايعنيه الآخر بالنسبة له، ولكنه لكى يضمن أن لاتكون هناك ممارسات خارج الرقابة فقد حلق شعر البنات والبنين وألغى تمايز الثياب ووحدّ الأزياء، فجاءت التجربة مشوّهة، لأنه جعلها تجربة تعارف تخلو من **المضمون الجنسى**، وهذاالمضمون الجنسى هو محور التربية الجنسية.

ونحن عبر رحلة الحياة، وفى كل مجال، وحتى فى مجال **التربية الدينية** نتعرف إلى **مفاهيم جنسية**، ولكنها كثيرا ماتكون مجرد مفاهيم تخلو من المضمون. والشعارات الجنسية كثيرة وأغلبها يخلو من المضمون. وليس من سبيل إلى الإحاطة بمضمون هذه المفاهيم أو الشعارات إلا بأن تكون هناك برامج تعليمية تتناول هذا المنحىَ من النشاط البشرى تناولاً علمياً مقنناً، الشأن فيه كأى معرفة أخرى. ونحن نتعلم الجنس ونحن ننمو، ولكن المشكلة أننا لا نريد أن يكون التعلم **تناقلاً شفوياً** بين الصغار بعضهم وبعض، وإنما نريده فى **حجرة الدرس** وأن يتوفر عليه مدرسون متدينون. ولايكفى أن يقال إن أولادنا يتعلمون الجنس من خلال مايتلقون من معارف فى علوم **النبات والحيوان والأحياء**، ومايتعلمون من مفاهيم عن **التكاثر والتلقيح**، إذ أن ذلك كله لايفيد مثلما يفيد أن تتعلم البنات عن الحَمْل ومتى يكون وكيف يكون، وماهو الإجهاض، وماالذى يعيب الحمل، ومضار الإجهاض، وماهو الحب كما ينبغى أن يكون، وكيف يتناول الدين مسائل الجنس، وأبعاد هذا التناول ومعانيه، وأن يتعلم الأولاد معانى تكوين الأسرة والرجولة والأنوثة، والنضج

ومتطلباته، وما المقصود بالخطبة، واختيار الزوجة أو الزوج وكيف يكون، والإنجاب وحقائقه. ولاشك أن الجميع متورطون فى التعليم الجنسى **غير المقصود وغيرالهادف** الذى يتحصّل لنا من الاحتكاك اليومى، غير أننا نخشى دائماً أن نقع تحت تأثيرات غير صحية تتربى لنا من جرائها عُقَد، أو تنمو بنا بسببها مخاوف تضطرب لها وجداناتنا وسلوكنا، فتكون النتيجة أننا جميعا نعانى من السلوك المعيب، أو نأتى الحرام غالباً عن جهل، وكثيراً عن سوء فهم.

ولعل أول مايمكن أن يخطر بالبال ونحن بصدد الحديث عن التربية الجنسية أن نعرف ماالذى نعنيه حينما نقول **الصحة النفسية**، أو حينما نصف شخصا بأنه صحيح جنسياً، والجواب لايأتينا من فراغ ولكنه محصلة نظر فى أحوال الناس الذين نجد أنهم يتصرفون تصرفات جنسية متوافقة اجتماعياً وعلمياً، ولها مردودها الطيّب على الفرد. والإنسان **الصحيح جنسياً** هو الذى لديه المعرفة السليمة بنفسه كذكر أو أنثى، وهو يعرف ذلك جيدا عن نفسه بتبنيه لحقيقة جسمه، والإحاطة بمضمون الذكورة والأنوثة، ويستشعر الرضا عن نفسه كذكر أو كأنثى، ويسعد بهذا الدور، ويقوم به كما ينبغى طبقاً لما عرفه عنه من خلال التعليم الاجتماعى، ويدرك مسئوليات الممارسة الجنسية ويتحملها، ويقبل أن يمارس الجنس ويسعد به داخل الإطار الاجتماعى ولأهداف إيجابية بنّاءة تتجاوز مجرد اللذة العارضة.

ونحن من المؤمنين بأن التكوين الجنسى بيولوجياً ونفسياً وذهنياً هو شئ يبدأ منذ أن يكون الشخص **جنيناً**، وتشارك فيه **الوراثة** عن الأبوين والأجداد، ويصوغه **التفاعل** على المستويين الفردى والجماعى، وعناصره **بيئية وبيولوجية واجتماعية**. ولعل **الأسرة** هى الأكثر تأثيراً على الأطفال، من حيث تعينهم بأبويهم وتعرفهم إلى هويتهم الجنسية والدور المنوط بالجنس، ويساعد على ذلك طول فترة **الحضانة** أو طول فترة التعليم الموكول إلى الأسرة، وهى التى تبرمج الطفل من حيث ذكورته وأنوثته بما يتلقى يومياً من خلال الاتجاهات الجنسية للأبوين، والمشاعر التى تتحصل له عن جسمه وهو يرى الأبوين متجردين عن ملابسهما تجرداً كاملاً أو نصف كامل، والسرور الذى يبديه من فعلهما والذى يظهره الوالدان عند تجرّده هو من ملابسه، ومايتلقاه عنهما من استحسان أو استهجان وعادات وهو يستحم، أو وهما يستحمان، وكذلك سلوك المرحاض، والفروق التى يلحظها بين الجنسين فى الملبس والتصرفات والمعاملة والهيئة، وتأكيدهما له حول مظاهر ذكورته أو

مظاهر أنوثتها. وإذا كانت **الثقافة الجنسية** أو **محصلة التربية** التى ترتبط بهذه الثقافة مناسبة من حيث مضمونها، والوقت أو السن التى تقدم فيها، والوسائل التى نتوسل بها لتوصيلها إلى أطفالنا، فإن من شأنها أن تساعد على تشكيل الفرد الصحيح جنسيا، مفهوماً وسلوكاً. والتربية الجنسية هى التى تدعم وترسّخ ما فَطَرنا الله عليه، وهى التى تيّسر نمونا نحو النضج الجنسى.

والطفل فى نحو **سن الثالثة** يستطيع أن يسأل أسئلة مختلفة حول وجوده، فيها **الدهشة** لما يرى، **والعجب** لما يشاهده، وهو يسأل من أين جاء، وكيف يولد الأطفال، ومن هو الله، ويكفيه أن يعرف كجواب : أنه كان فى بطن أمه، وظل يكبر إلى أن أصبح كبيرا مافيه الكفاية فوُلِد، وهو الآن كبير يأكل ويتنفس ويتحرك ويجرى، وفى بطن أمه لم يكن من الميسور له أن يفعل كل ذلك ... ويفيد فى هذه السن أن يرى الطفل القطط والكلاب تلد وتُرضع صغارها. وتنمى هذه المشاهد معرفته بهذه المسائل الجنسية الأولية.

وفى سن **الخامسة أو السادسة** يريد الطفل أن يعرف كيف وُلِد من بطن أمه، ودور أبيه فى مجيئه. وينبغى على الأبوين أن يستعدا لمثل هذه الأسئلة وأن يجيبا عليها إجابات بسيطة جدا، بلغة سهلة تصف الجِماع، كوسيلة للإنجاب والحَمْل، وتعبير عن المحبة بين الزوج والزوجة. وقد يُصدَم الطفل من عنف الجماع عند القطط، أو طريقة الطيور من حيث اعتلاء الذكر للأنثى، وقد يشفق على الأنثى، **وللأبوين دور** فى شرح ذلك من حيث اختلاف الطيور والحيوانات عن الإنسان، وعليهما أن يُظهرا هذا الاختلاف فى سلوكهما الطيب نحو بعضهما. غير أن شرح هذه المسائل مهما تعمّق فيها الوالدان لن يكفى، حيث تظل دائما ثُغرات يضطرب لها تفكير الطفل، وتلحّ عليه بشأنها أسئلة لا تشبع الإجابات المقدمة بشأنها حب الاستطلاع عنده، خاصةً إذا كان من النوع المحب للمعرفة. **وللمدرسة دور** ليس أفضل من دور الأبوين، إلا أنه ربما قد يقدم للطفل تجربة أخرى لم يعرفها فى البيت، وذلك أنه يفد إليها أطفال من كل البيوت والطبقات، ولهم ميول مختلفة، ومنهم سيتوجه البعض توجهات جنسية مثلية أو غيرية، أو قد ينحرف بسلوكه أو يضطرب نفسيا، ويعانى منهم الكثيرون من صدمات نفسية جنسية، وربما تكون بطفلٍ إرهاصات ماسوشية أو سادية، أو قد تبدأ مع بعضهم الميول الفيتيشية أو التخنثية، ومن ثم كانت المدرسة هى **البوتقة الكبرى** التى تنصهر فيها كل الميول، وتزيد فيها المعرفة الجنسية، وتتسع فيها

تجارب الطفل ومصطلحاته فى الجنس. وينحدر بعض الأطفال من عائلات ربما تكون قد بدأت فى تلقين أطفالها بعض الحقائق عن الجنس، أو ربما لم تقدم لهم شيئا البتة، أو ربما أسهمت فى تخليط الأدوار الجنسية عليهم. والمدرسة هى **المؤسسة التربوية** التى ينبغى أن يكون لدى المشرفين عليها وعى بكل هذه الملابسات. وفى بعض الدول يشترط **لناظر المدرسة** أو مديرها أن يكون من الحاصلين على **الدكتوراة فى التربية** لهذا السبب. وتختلف المدارس فى المذاهب التى تأخذ بها من حيث التربية الجنسية والاختلاط بين الجنسين، ومقدار الجرعة الجنسية المعطاة للأطفال ومداها. والمدرسة هى المكان الوحيد المؤهل لإعطاء الأطفال المعلومات الجنسية الأساسية عن الحياة. وتلتزم بعض **حدائق الحيوان** فى العالم بأن يكون لديها **دار حضانة** لصغار الحيوانات، وحيث تكون الأمهات فى الطريق إلى الولادة، ويشهد الأطفال عمليات الولادة وخروج الكتاكيت من البيض فى الفقاسات. وبعض المدارس تلتزم بذلك أيضا وتكون بها **مزرعة** صغيرة **ومَربَى** للدواجن والأسماك والأرانب، حتى يتعلم الأطفال كيف ينبت النبات وتخرج البراعم من البذور، وتتوالد الطيور والحيوانات، وذلك كله بهدف أن لاتقتصر المعرفة الجنسية على **التلقين**، وتختلط المعرفة الجنسية بالمشاهدة فى دروس الأحياء والعلوم العامة، وتقدم أفلام علمية تربوية. وهناك دروس فى **الدين** تتناول بالشرح **آيات القرآن** التى لها علاقة بالمسائل الجنسية كالحيض، والغُسل، والجنابة، والتفريق بين الجنسين فى المضاجع، واحتلام الصبية. والأحاديث التى تخوض فى هذه الأمور كثيرة وتتاح للأولاد فى السن التى تقارب البلوغ. غير أنه تتبقى دائما مسائل حيوية ليس فى المناهج ما يمسها من قريب أو بعيد. ويختلف **التعليم الأجنبى** عن التعليم العربى حيث تحرص المدارس الأجنبية على أن تضم فى برامجها بعضاً من الدروس المتسمة بالجرأة، وقد يُكتَشف أمرها من قِبَل **الصحافة الوطنية** وتُشَن عليها الحملات، والبعض من هذه الحملات يتولاه رجال الدين، وبعضه الآخر يتولاه أطباء نفس يُعرفَون بأنهم شديدو الحرص على أن يُدلوا بالآراء فى كل صغيرة وكبيرة بما يوافق الجمهور، وليس من معارض لبرامج التربية الجنسية فى المدارس إلا ولديه **دفوع ذاتية** ينسبها إلى مضار هذا التعليم، والاعتراض أصلا مصدره اضطرابات نفسية جنسية يعانى منها المعترضون، لأسباب تحتاج إلى تحليل أقوالهم وردّها إلى تجارب صادمة فى طفولتهم. ومعظم الاعتراضات تُظهر أصحابها من المتطفلين على الطب النفسى والذين

يحتاجون إلى مراجعة معلوماتهم. وليس من سبيل إلى دحض أمثال هذه الاعتراضات إلا **بحملات إعلامية** عامة تتوخى التوعية لكل الطبقات، وتُظهر الحاجة إلى البرامج المقننة المتخصصة فى المدارس وليس مجرد الدروس العابرة. وفى الدول التى تحرص على مثل هذا التعليم يفرّق فى البرامج بين مختلف الأعمار، فهناك برامج للسن بين **الخامسة والتاسعة**، وأخرى بين **التاسعة والثانية عشرة**، وثالثة بين **الثالثة عشرة والسادسة عشرة**، ثم هناك **تعليم خاص** لطلبة المعاهد والجامعات بين **السابعة عشر والواحدة والعشرين**. ورغم أن هذه البرامج بدءوا فيها منذ خمسين سنة أو تزيد فى **الولايات المتحدة** مثلا، فإنها لم تكن تدرّس على نطاق البلد كله، وكانت هناك فترات يعاد فيها النظر، وفترات يُهمَل أمرها بسبب عدم وجود المدرسين الأكفاء، أو بسبب الحملة من قبَل رجال الدين، بدعوى أن تولى المدرسة أمر التربية الجنسية يسلب البيت الإشراف على التربية، ويُحرِم الأم أن تعلّم ابنتها، والأب أن ينصح ابنه، ويخلق جواً عاماً من الحرية الجنسية، ويلغى أن يستشعر الشبان الحياء، ويجعل بهم صفاقة تؤهلهم لارتكاب الحماقات. غير أن هذه البرامج لم تكن من وحى الخاطر، ولم يضعها واضعوها لمجرد الاعتقاد بأنهم يتوخون الخير الاجتماعى، وإنما بناءً على **بحوث فى علم النفس والتربية**، وماكان أكثر هذه البحوث فى أمريكا، ففى هذا البلد، إن جاز لنا أن نقول إن كل بلد فى العالم له أيديولوجيته، فأيديولوجية أمريكا **هى علم النفس**. ولم ترج أفكار **فرويد وجماعة التحليل النفسى** فى أى قطر كما راجت فى أمريكا. وفى هذا القطر تكثر الإحصائيات، وليس من سبيل إلى الخوض فى موضوع أو الابتداء فى مشروع إلا بعد إجراء دراسات إحصائية حوله. وكانت هناك دراسات من هذا النوع حول الجهل بالمسائل الجنسية، سواء بين الآباء، أو بين الطلبة والطالبات. ومن أعظم هذه الدراسات ماقام به **كينزى** ومساعدوه حينما كتبوا مؤلفهم الضخم حول **السلوك الجنسى عند الرجل والمرأة**، فقلّب كل المفاهيم، وبدّد الكثير من الأوهام، وأصبحت مسائل الجنس ومفاهيمه منْ ثَمّ على كل لسان، وصارت موضوعاته من الموضوعات العادية التى تطرقها الصحافة اليومية ووسائل الإعلام المختلفة. ويبدو أن الجنس لم يعد مجرد موضوع تربوى، بل هو من الموضوعات الوطنية، فالأمم تهتم اليوم **بالوراثة والتربية** لخلق أجيال صالحة من المواطنين، وهناك علم جديد يطلق عليه **علم تحسين السلالات**، والجنس وسيلة هذا العلم، واهتمام علماء الاجتماع بهذا العلم من ثم من منطلق **اجتماعى** كاهتمام علماء

النفس بالجنس من منطلق **الصحة النفسية**، وهدف الجميع هو **خدمة التنمية**، وليس من الممكن أن تتقدم الأمم نحو أهدافها مالم تكن وسيلتها الأولى الصحة النفسية للمواطن ابتداء من طفولته، بتهيئته دراسياً بالمعلومات الصحيحة والتجارب التى لها مردود تربوى على تكوينه واتجاهاته، وتزويد الأبوين بكل المعلومات الضرورية والصحيحة لينشأ الطفل فى البيئة السليمة التى تساعده على اجتياز أخطر مراحل عمره عند البلوغ. ومالم تحتضن الدولة برامج التعليم الجنسى وتوليها عنايتها وتحميها من تطفل المتطفلين وانتقاداتهم، فإن الحساسية ستظل موجودة بالناس تجاه تطبيقها والأخذ بها فى المدارس. ومن المستحسن دائما أن يؤخذ برأى الآباء، بتكوين **مجالس الآباء** فى مختلف المدارس وعرض المسائل والمعلومات الجنسية على هذه المجالس ليقضى فيها أولو الأمر برأيهم، فكل مدينة وقرية ومنطقة لها ظروفها وأحوالها وتقاليدها، وفى إطار ذلك جميعه ينبغى أن توجه برامج التعليم الجنسى، بمساعدة **هيئة استشارية** من متخصصين فى الصحة العامة، والاجتماع، والصحة النفسية، والتخطيط، والتربية، والدين، لوضع الأفكار العامة، واقتراح طرق التطبيق، وبث الوعى بين الناس بعامة.

وهناك من الشواهد مايثبت أن نشر التعليم الجنسى يعمل على التوعية الصحيحة بمضار **الاستمناء** مثلاً، وأنه يقلل من حوادث **الإجهاض** بين البنات، ويحول دون ارتكاب **الفحشاء**، ويخلق الشباب الواعى الذى يعزف عن **الانحرافات الجنسية** وإتيان الخطيئة، عن علم وبصيرة وليس عن خوف من عقاب. وتؤكد التربية الجنسية على تصحيح المسار الجنسى لكى يُؤتَى داخل إطار **الزواج** وليس خارجه. ومن أهداف التربية الجنسية تزويد الناس **بالمعلومات الجنسية** التى تناسب كلاً بحسب ثقافته وعمره، وتساعد على تطوير نضجه الذهنى والنفسى والعقلى، بالإحاطة بكل مايهم حياته من مسائل الجنس الحيوية وعملياته الجسمية وغير الجسمية. ومن هذه الأهداف التقليل من الخوف من الجنس، ومطامنة قلق الشباب إزاء المستحدث من التطورات والتغيرات الجسمية. ومنها كذلك أن تتنامى بالشباب الاتجاهات الجنسية السليمة والفهم العلمى للموضوعات الجنسية، فتكون لهم البصيرة بطبيعة العلاقات بين الجنسين، والفهم للواجبات والمسئوليات التى لكل من الجنسين لبعضهم البعض، والتذوق لمزايا السلوك الجنسى الصحيح، والوعى بأهدافه وغاياته ومراميه، والمردود الطيب الذى يمكن أن يعود على البيت والأسرة والمدرسة والمصنع

والشارع باحترام كل جنس للآخر. ومن أهداف التربية الجنسية تعميم القيم الخُلُقية المرتبطة بالجنس، وأن يعى الشباب أن الفضيلة أساس كل تعامل صحيح، وبدون الوعى بالفضيلة والقيم الأخلاقية لن يستطيع أى شخص أن تكون له بالناس علاقات بنّاءة صحيحة. وتتوخى التربية الجنسية إعطاء الشباب فكرة ملائمة عن **الانحرافات الجنسية** ومضارها، ومعنى **سوء الاستخدام الجنسى**، فيكونون قادرين على حماية أنفسهم من التردّى فى الرذيلة، وأن يتّقوا مزالق الأذى الذى يمكن أن يلحق صحتهم نتيجة الممارسات الجنسية الخاطئة. وتهدف التربية الجنسية ضمن ماتهدف إلى زيادة طموح الشباب الاجتماعى، بإمكان قيام مجتمعات تخلو من أدران أمثال البغاء والاغتصاب، واللواط والقوادة، والإباحية والحَمْل سفاحاً والإنجاب فى الحرام. وليس فيها مايُخاف منه من أوجه الخطيئة والرذيلة. وتهئ التربية الجنسية للشباب أن يتعرفوا إلى إمكانياتهم وقدراتهم الجنسية، وفوائد **التسامى** بالغرائز، وتوجيه الطاقة الجنسية نحو البنّاء من الأنشطة البديلة، الفنية والرياضية والاجتماعية، ومن ثم يستطيعون أن يمارسوا حياتهم بوصفهم رجالاً أو نساء لهم أدوارهم المختلفة والمتآزرة، فيعملون ويتزوجون وينسلون، ويخلقون ويبدعون، وتكون لهم أدوارهم الجنسية المتميزة، سواء فى المراهقة أو كشباب مقبلين على الزواج، أو خلال الخِطبة، أو كأزواج أو كآباء أو أرباب عائلات، أو أعضاء فى المجتمع ومواطنين.

والمشكلة فى التربية الجنسية التى نريد الأخذ بأسبابها فى المدارس والجامعات أنها تحتاج إلى كوادر خاصة من المدرسين والمربين لم يتهيأ لنا إعدادها فى بلادنا حتى الآن. وليس فى برامج معاهد وكليات التربية إلا النزر اليسير فى موضوع الصحة النفسية أو التربية الصحية. وكانت وزارة التربية قديما تتيح الفرصة للمدارس أن تدعو أطباء الصحة المدرسية لإلقاء محاضرات حول مسائل مثل الأمراض التناسلية. وتتضمن مناهج بعض الدول العربية دروسا فى الأمراض التناسلية. وتعقد بعض الجمعيات الدينية ندوات لتوعية الشباب بمرض الإيدز مثلاً. غير أن ذلك كله لايكفى، والحاجة تلح يوميا على ضرورة أن توجد برامج مدروسة فى التربية الجنسية، ولها مطبوعاتها وامتحاناتها والمدرسون المتخصصون فيها، الأمر الذى يستوجب أن يُعدّ **مدرس التربية الجنسية** إعدادا من قبل معاهد وكليات التربية. وتتضمن مناهج إعداد هذا المدرس **ثلاثة فروع من المعرفة: الأول** يتطرق إلى محتوى التجربة الجنسية نفسها، من حيث علم الأحياء المتعلق بالتكاثر، ودراسة

التطور النفسى الجنسى عند الإنسان، وتوجهاته الجنسية والسلوك الجنسى الذى يأتيه، والهوية الجنسية وتقسيم الأدوار الجنسية بين المرأة والرجل، والعلاقات الزوجية وديناميتها، والأسرة وتكوينها، والمؤسسات البديلة للأسرة أو أنماط الحياة الشبيهة بها. **والفرع الثانى** الذى ينبغى أن تشمله مناهج إعداد مدرس التربية الجنسية يتوجه إلى دراسة التكوين الجنسى للفرد، والطرق التى يستطيع بها المدرس أن يجعل المتلقى عنه قادرا على الإحاطة بتكوينه الجنسى، وأن يستمع إلى آراء الآخرين فى الجنس، وأن يكون متسامحا مع الاتجاهات الجنسية التى قد تختلف عن اتجاهاته، بمقتضى أن أغلب مجتمعات اليوم تقوم على التعددية فى كل شئ ولا تصادر الرأى الآخر. **والفرع الثالث** يختص بالمهارات اللازمة لمدرس التربية الجنسية، فيدرُس ديناميات المناقشات الجماعية، والطرق التى يمكن بها أن يقود النقاش ويوجهه الوجهة التى يريدها، ويلم بطرق التدريس التى يمكن أن تؤتى ثمارها مع كل سن ومرحلة، ويحيط بتشغيل الوسائل السمعية البصرية المساعدة على التدريس والتوضيح، ويتدرب على التعامل مع الآباء والأجهزة المختصة فى المجتمع والتى قد يكون لقراراتها تأثير على النتائج التى يطمح إلى الوصول إليها من تدريسه للجنس.

وعادةً ماتُدمج برامج التربية الجنسية ضمن مناهج المواد الأخرى فى المدارس الابتدائية والمتوسطة. وليست هناك فى هذه المدارس حصص خاصة بالمحتوى الجنسى للتجربة الإنسانية، وإنما يشار إليها أثناء تدريس علم الصحة أو أى من العلوم العامة، ويذكرها مدرس الرسم، وينبه إليها الطلبة مدرس الاجتماعيات. وقد يتطرق الدرس إلى الجنس أثناء تدريس الحيوانات الأليفة، فيعرف الولد أو البنت أسماء أعضاء الجسم، ومنها الأعضاء الجنسية. وتُعطَى المعلومات عن الحمل والولادة من خلال القصص عن الأطفال، أو أحاديث الأولاد مع بعضهم إذا جاء لأحدهم أخ أو أخت. ويدرس الطلبة اختلاف الأدوار عند النساء والرجال أثناء دراسة الأسرة ومسئولياتها. وأما المعلومات عن الصحة والعلاقة بين الذكور والإناث فهذه مدارها التعاون بين التلاميذ والتلميذات فى الفصول المختلطة، ومايبنغى لهم معرفته والإلمام به من الاغتسال للوضوء، ومعنى غُسل الجنابة والوضوء، وشرح الجنابة والاحتلام والإمناء للفصول المتقدمة، حيث ربما يكون الأولاد قد وصلوا سن البلوغ مابين العاشرة والثانية عشرة. وفى هذه السن يدرسون الهرمونات وتأثيرها على البلوغ، ومظاهر البلوغ الثانوية، وظهور شعر العانة، ونمو الثديين عند البنات، والحيض،

والتغييرات السلوكية المصاحبة، والاستمناء باليد، وأسبابه، وطرق التخلص منه، وتأثير الوراثة فى التكوين الجنسى، وتأثير البيئة فى اكتساب العادات الجنسية، وتأثير الثقافة فى تشكيل السلوك الجنسى قولاً وفعلا، وإدراك مسئوليات الجنسين، والعواطف التى تصاحب البلوغ وطرق التحكم فيها، والامتثال للدورالجنسى لينشأ الولد ولداً والبنت بنتا.

وفى السن بين **الثالثة عشرة إلى الخامسة عشرة** تُركِّز الكثير من مناهج التربية الجنسية على التعرّف على الذات كإجابة على أسئلة مثل مَن أكون، وأى شخص أكون، ولذلك فإن المحتوى الدراسى يتناول طبيعة تكوين الشخصية، والعواطف وماهيتها، وطرق اكتساب الصداقات والاحتفاظ بها، والحب وكيف يتكوّن، والفرق بين الحب والصداقة، وماهية الحب الجنسى، والحب الأفلاطونى، والحب المتكافىء، والحب من طرف واحد، وأوهام الحب، والفوارق بين البنات والأولاد فى الاتجاهات، ومعنى الأسرة، والصراعات التى قد تنشأ فيها، ومعنى أن نعيش بالقيم. وتفيض المناهج أكثر فى شرح التناسل والجماع، والعزل ومنع الحمل. وقد تدرج الأمراض التناسلية ضمن المنهج، والأوْلى أن يكون تدريسها ضمن مناهج العلوم التى تتناول أمراض الإنسان، فيُفرَد لها باب خاص. فإذا كانت السن بين **السادسة عشرة والثامنة عشرة** فإن الدراسة تتوجة للتجربة الفعلية للشباب، باستعراض الحياة العاطفية، والمعانات الوجدانية فى هذه السن، وهى السن التى يخبر الشباب فيها الحب، وتكون لهم فيها علاقات جنسية غيرية أو مثلية. وتعدّ دروس التربية الجنسية بحيث تدفع بهم إلى التفكير فى الغايات البعدية للدراسة، وتذكرهم بالزواج ومعانيه، وتنمّى فيهم الرغبة فى الزواج، والشعور بالمسئولية، والتفكير فى الأبوة ومعانيها. ومن الموضوعات المستحسنة فى هذه السن موضوع العلاقة بين الجنسين، والقيم المتضاربة - كأن أحب أن أوقع بفتيات الناس ولكن لا أحب أن يوقع أحد بشقيقاتى، والخِطبة ومستلزماتها والحكمة منها، ومعنى الاختيار وأبعاد التوافق، وأسباب فسخ الخطبة وفشل الزواج ومستتبعات ذلك، وتحديد النسل والتخطيط للأسرة، والاتصال بالبغايا وأخطاره، وأخطار المخدرات على الجنس، وتأثير الكحول على الجنس، ورفاق السوء، وتأثير الصداقة على الانحرافات وعلى الجُناح، وصلة الجُناح بالجنس، والإجهاض وأخطاره على صحة الحامل عضوياً ونفسياً، والتأثير النفسى للإجهاض المفتعَل لمدى الحياة، ومعنى مشاعر الذنب نتيجة الإجهاض، ونتيجة الاتصال بالبغايا، والتفسير النفسى الجنسى للمكالمات

الهاتفية الفاضحة، واقتناء الصور الخليعة ومشاهدة الأفلام الجنسية، والنكت الجنسية، والعبارات والرسوم الجنسية التى تحفل بها دورات المياه.

وفى **المرحلة الجامعية** تُضمَّن التربية الجنسية فى برامج الدراسة المختلفة، ولا تدرّس كوحدة مستقلة. وليس هناك من دراسة يمكن أن تستغنى عن الدراسات الإنسانية كفروع رافدة، فالهندسة مثلا فى حاجة إلى استكمالها بعلم النفس وبالأنثروبولوجيا، والطب يُكمله علم النفس، ودراسات العلوم كلها لاتستغنى عن الموضوعات التى تنتسب بطريقة أو بأخرى للجنس. والجنس **محور للفنون والآداب**، فضلا عن أن الحاجة قد أظهرت وجود **أخصائيين** فى الجامعة للتعامل مع مشاكل الشباب، وأغلبها تتصل بالجنس بسبب أو بآخر. ولقد اقتضت الضرورة تخصّص البعض فى أمور الزواج، فصارت تُعطَى **الدبلومات** فى المشورة فى مجاله، وهناك الكثير من **الأخصائيين فى الزواج** فى الدول المتقدمة فى مجال الدراسات النفسية، وتؤخذ بشهادة هؤلاء أمام المحاكم فى قضايا الطلاق وحضانة الصغار والنفقة وانفصال الأزواج. وهناك الكثير من البحوث يقوم بها علماء نفس وطب واجتماع حول مشاكل الجنس وموضوعاته، وتدرّس على مستويات الماجستير والدكتوراه. وتطرقت البحوث فى التربية الجنسية إلى إمكان علاج **المعوقين** لتكون لهم حياتهم الجنسية الصحيحة، فالمعوقون لهم دوافعهم الجنسية أيضا ولهم عواطفهم، ولابد أن تشملهم برامج التربية الجنسية ليكون للمعوّق دوره الجنسى المتميز كذكر أو كأنثى، وأن تكون له هويته الجنسية التى يجب أن تكون له عند نفسه وعند الناس. وتشمل برامج التربية الجنسية **الجانحين المنحرفين**، وأخص هؤلاء البغايا والمعتلّين نفسيا، الذين يتصل اعتلالهم النفسى بالجرائم الجنسية أو المتصلة بالجنس، وهناك أخصائيون الآن فى **السجون والإصلاحات**، يقوم عملهم على التثقيف الجنسى وإعادة التعلم بالإشراط الصحيح، والعلاج بالتنفير وبالترغيب. ولقد ثبت من الدراسات والبحوث أن الكثير من السلوك الجانح أو الخاطئ سببه قلة المعلومات الجنسية أو فسادها، نتيجة الجهل المتفشى بأمور الجنس بين الشباب، والأفكار المغلوطة التى يتبرع بها أناس كانت تجاربهم فى الحياة قاصرة وخاطئة. والتعليم الجنسى لايخلق من الأطفال شبانا منحلّين بل يصحح معلوماتهم. والكثير من الأطفال تتوه عليهم حقيقتهم كذكور أوكإناث، ومعظم ألعابهم محاولات لوضع حدود ساذجة تسهّل عليهم التفرقة بين الذكور والإناث. ومن الطرق التى ابتدعها أحد المربّين أنْ استحضر صوراً لأطفال ذكور ولأطفال أناث وأطلعهم عليها، فاطمأن كل إلى هويته، ولم يعد يسأل أو يحاول أن يصنّف لنفسه بطريقته الساذجة. وإذا نحن علّمنا أولادنا كل شئ عن الجنس بحسب

الأعمار التى يمرون بها فلن يفسدهم ذلك، مثلما لاتجعل منهم مشاهد الجحيم والتعذيب فى الآخرة التى يقرأون عنها فى كتب الدين، أفراداً قساة القلوب غلاظ الطباع. ولو كان ذلك صحيحاً لتعلم الأولاد فى أوروبا من مشاهد صَلْب المسيح أن يقترفوا الصلب هم أنفسهم، ولكن الدروس المستفادة من تصوير الصلب، لأنها دروس على مستوى أخلاقى عال، فالنتيجة المترتبة عليها هى النتيجة المرجوة، وكذلك الحال فى التربية الجنسية. وكثيرا مايتناقض الناس وأنفسهم، فيسمحون بنشر صور الجريمة وليس على نشرها تثريب قانوناً، وكذلك لايُحظَر عرض الجريمة فى أفلام ومسرحيات، وإنما عرض الصور الجنسية التى قد تعطى الأولاد فكرة صريحة عن الجنس هو شئ منهىٌ عنه وممنوع. والتكفير الذى يتوجه حاليا إلى الجنس، والدعوات التى تقوم على الدعوة للحجاب باعتبار المرأة عورة ينبغى سترها، كل ذلك يتم بطريقة فجة، حتى ليمكننا أن نقول إن التكفير الحالى للسفور، والتزمت المسرف بشأن تعليم المرأة وخروجها للأسواق، هما تكفير وتزمت مضمونهما جنسى. وأما الديموقراطية المدّعاة التى تقوم على التعددية كما نجدها عند الفرق الإسلامية المتطرفة، فهى ديموقراطية جنسية تقول بالإباحة، وتشيع بها الانحلال فى المجتمعات. وينسى القائلون بالتكفير الجنسى sexual heresy أنه يخلق فى المقابل ديكتاتورية جنسية أو طغيانا جنسياً sexual dictatorship يحرم الخوض فى الجنس، ويفرض حظراً يمتد إلى آفاق أخرى، يسلبهم حرية الكلام، ومن ثم حرية النشر، وحرية الاعتقاد، وهى الحريات التى لاتنهض بدونها أية ديموقراطية. ولايعيب الكتب الجنسية موضوعاتها، فالتوراة مثلا به قصص جنسى، والقرآن به آيات تتناول الحقوق والواجبات الجنسية بعبارات صريحة، والعبرة **بالنوايا**، والتربية الجنسية لايُقصَد منها إشاعة الفحشاء، بل **علاج الفحشاء** بالتناول العلمى لمسائل الجنس، تبعاً لحاجة كل عمر من الأعمار.

* * *

الفصـل الأول

معنى علم الجنس Sexology

لكل علم مجاله، ويدرس **علم الجنس** التفاعلات السلوكية والسيكولوجية والبدنية المرتبطة بالرغبة الجنسية أو النشاط الجنسي. والأعضاء التى يوليها هذا العلم اهتمامه من الجسم هى **الجهاز العصبى والإحساس الجلدى والجهاز التناسلى**، وينظر فى الفروق الجنسية، وفى الشهوة، والفعل الجنسى نفسه. وأقسام هذا العلم چينية، ومورفولوجية، وهورمونية، وهورمونية عصبية، وتشريحية عصبية، وعصبية كيميائية، وصيدلانية، وسلوكية، واجتماعية ثقافية. ومنه دراسة الحمل وموانع الحمل، والجنين، والنفاس، والجنسية فى الأطفال، وعند المراهقين، وعند البالغين، وفى الإناث والذكور، والجنسية عند الأمهات، وعند الآباء، وعند الشباب والشيوخ.

وأمّا الجنس sex فهو الحالة التى يكون عليها الفرد من حيث أنه ذكر أو أنثى، أو أنه غير مؤكد الأنوثة أو الذكورة.

وفلسفة الجنس sexosophy هى مجموعة الأفكار، إن خاطئة أومصيبة، التى مدارها الجنس : موضوعه ومبادئه ومفهومه لدى الفرد والجماعة، والاتجاهات حوله بالعزوف عنه أو الإقبال عليه، وسلوكياته. ولفلسفة الجنس ناحية تاريخية، ودراستها تتناول الجنس فى إقليم أو بلد أو عند شعب. والجنس يتمايز عِرْقيا، وفلسفة الجنس تتناوله من حيث هذه العِرقية، ومن الناحية الدينية، وخلال تطوره عبر رحلة الحياة.

والجنسية sexuality هى المعايشة الشخصية للجنس باعتبار الشخص ذكراً أو أنثى، ومردودها على الزواج والحب والتناسل. وهى من موضوعات علم الجنس وتتصل بسبب قوى بفلسفة الجنس.



الفصل الثانى

البورنوجرافيا أو الأدب الجنسى Pornography

تُشتق **البورنوجرافيا** من pornographos اليونانية، بمعنى الكتابة أو الرسم الذى مداره حياة وأخلاقيات **الغوانى والبغايا**. ويروج تعبير **الأدب الفاضح** أو **الفن الفاضح**، ويكثر الجدل حول ماهيته، أو ماينبغى أن يتناوله الأدب والفن من موضوعات قد تتطرق إلى العلاقات الجنسية. ولقد كانت هناك دائماً فى كل الآداب والفنون العالمية أعمال شعبية، وأخرى بأقلام فحول الشعراء وكبار الكتاب والرسامين، تتناول الجنس صراحة تناولاً يصدم الحياء والحشمة. وتقوم شهرة بعض الروايات والأفلام على مشاهد جنسية، قيل إنها تخلو مما يمكن أن يجعلها مشاهد **جمالية**، وأن السبب فى إيرادها إما أنه تجارى محض ليروج العمل الفنى أو الأدبى رواجا ماديا، وإما لأن الكاتب أو الفنان يترضّى الجمهور من أكثر الغرائز إعمالاً فيه وهى غريزة الجنس، وإما لأن الأدب والفن فى الحقبة التى تروج فيها أمثال هذه الروايات أو الأشعار أو الرسومات الجنسية هو أدب وفن يصوران انحطاط هذه الحقبة. ولاشك أن الكاتب الذى له اتجاهات جنسية معينة لابد أن تنعكس اتجاهاته تلك فيما يكتب، وأن يبين شذوذه واهتماماته المفرطة بالنواحى الجنسية إذا كانت له هذه الاهتمامات الشاذة. وليس الجنس إلا نشاطاً إنسانيا، وتصويره بصورة خاصة أو التركيز عليه يكشف لدرجة كبيرة الكثير من العادات والأخلاقيات لهذه الحقبة. وإننا لنستطيع بسهولة أن نتعرف على السلوكيات والمفاهيم الجنسية للناس فى روايات **كألف ليلة وليلة**. وبالمثل يمكننا أن نقارن بين سلوكياتهم ومفاهيمهم وسلوكيات ومفاهيم الشعب الإيطالى فى **الديكاميرون**، وهى عمل روائى شبيه بألف ليلة وليلة. ولم يكن انصراف كاتب مثل **لورنس** إلى تصوير العلاقات الجنسية فى أشعاره ورواياته إلا لانشغال بالجنس، ولدوافع جنسية بعضها شعورى وبعضها لاشعورى، ولكنها على أى الأحوال دوافع امتزجت بالقدرة على التعبير عنها تعبيراً فنياً. وربما يكون الشاذ أو المنحرف جنسياً لديه القدرة العملية على ترجمة دوافعه إلى سلوك، بينما الكاتب أو الشاعر الموهوب قد يترجم هذا الانحراف أو الشذوذ، سواء فى الاتجاه أو اختيار الموضوع، أو اختيار طريقة الإشباع، بأن يتحدث فيه وحوله أو يرسمه أو يتمثله على الحجر، وكأنه يأتيه سلوكاً على الطبيعة.

ويرتبط الأدب الفاضح **بالاستعرائية**، فالكاتب الذى يكشف العلاقات الجنسية بين الرجل

والمرأة، ويستبيحها ويعرّيها، إنما يمارس ميولاً استعرائية، ويجد لذة فى الشعور بالصدمة التى يتوهمها فى قرائه. والقارئ الذى يسعد ويجد لذة فى قراءة أبيات من الشعر المحظور، أو مطالعة رسم مجرد من الاحتشام، أو مشاهدة فيلم يتناول الجنس سافراً، فإنه إنما يمارس **التطلع** voyeurism، وكأنه من خلال مايشاهد يتلصص على عورات الناس ويتعرف خفية على مالا يجوز أن يعرفه إلا أصحابه. ولذلك فإن هذا القارئ أو المشاهد ربما يتهيج، وقد يستمنى خلال المطالعة استمناءً تلقائياً، وربما يأتيه بيده. وليس الأدب أو الفن من هذا النوع إلا وسيلة تَستحدث ضرباً من التوافق بين الواقع الجنسي والخيال الجنسى. وبعض الناس يحتاجون لكى يتهيجوا أن يُستثار خيالهم، وهو لايستثار إلا بمشاهد من أمثال الاغتصاب، وفضّ البكارة، وإتيان المحارم، والنَهَم الجنسى، وتعذيب الضحية، والسفاد بين الحيوانات، وجماع الأولاد، واللواط، وجماع البغايا، وكلها مشاهد قد يصورها الكاتب، والغةً فى الفعل الجنسى، ويكثِر فيها من استخدام الألفاظ المادية، ويشحنها شحنا انفعاليا عاليا، بحيث تكون تجربة الضحية، أو تجربة الفاعل، هى نفسها التجربة التى يتمناها القارئ ويعيشها بكل جوارحه فى الصورة والحركة والكلمات والأصوات. وكانت هذه الأفكار أو المشاهد دائما فى كل الثقافات، وعبر كل الأزمان، من الموضوعات المحظورة، ويغرى **المحظور** بعض الناس أن يتجاوزوه أو يرتادوه، ولذلك لذة يعرفها المجرّبون، **فالممنوع مرغوب**. ومع ذلك فقد لايجد الكثيرون فى المحظورات الجنسية أية لذة، وقد يستبشعونها، وتكرارها يصيب الشخص بالملل، وبعض الناس يجد أنه وهو يفعلها ليس نفسه، وقد تبين أن **الأدب الجنسى** الممنوع أو المحظور لايروج إلا لأنه محظور، ولو أبيح لما راج، ولوجده الكثيرون ممجوجا، ومع ذلك فإن البعض أيضا يلذّهم هذا الأدب، وليس شرطا أن يكون هذا البعض من المراهقين، فقد يُقبل الأطفال سراً على قراءة هذا الأدب، وقد تحبه العوانس، ويحبه المتزوجون والمتزوجات، والغالب أن هؤلاء الأخيرين لايجدون توافقا فى زواجهم ويستشعرون النقص من ناحية أو أخرى.

وتحظر بعض الدول الحديث الصريح فى الجنس، سواء فى الشعر أو فى الرواية، وقد تأذن بأن يتناول الشاعر أو المثّال جسم المرأة بالوصف أو بالتعرية دون أن يتطرق إلى الفعل الجنسى نفسه، وذلك بدعوى أن السفور الجنسى بمثابة الدعوة إلى الفسق، وأن بعض الفنانين والكتاب ربما يكونون من دعاة الفسق على الحقيقة. ولاشك أن الكلمة أو

الصورة سلوك يمكن تقليده، بل إنهما فى نظر البعض دعوة للتقليد، ومن ثم كان ينبغى أن يكونا فى إطار غير المسموح، إلا أنه من ناحية أخرى كانت هناك محاولات لرصد تأثير هذا الأدب الفاضح على المراهقين من المنحرفين والجانحين، ويبدو أن أغلب البحوث فى هذا المجال أمريكية، وربما لايتسنى للجانح أن يتلقى التأثير الذى يميل به إلى الجُناح مَن الكتب والمجلات الفاضحة أو الأفلام الجنسية الماجنة وحدها. وقيل إن الدنمرك ألغت كل القوانين التى تحظر الأدب والفن الجنسيين، وأنه عقب الإلغاء شهدت بلادهم رواجاً فى تجارة الأدب والفن الفاضحين، ولكن الأمور عادت إلى الاستقرار من جديد، وقلت الجرائم الجنسية المتعلقة بالبصبصة والتطلّع والاستعراء. وربما كانت للبورنوجرافيا فوائد، ومن ذلك أنها قد تكون علاجاً للخجل الشديد، ومدعاة للمناقشات فى هذه الموضوعات بين الجنسيين، فترفع الكُلفة، وتقرِّب بين مختلف الأطراف، وقد يتعلم منها البعض أشياء تفيدهم فى علاقاتهم الجنسية الزوجية. وربما كان الجو الجنسى الصارخ سبباً ودافعاً إلى جرائم جنسية، وخالقاً لمناخ من التجاوزات والتعدّيات الجنسية. وربما قد يضر الشباب فى مرحلة التلقّى أن يقرءوا أو يشاهدوا أدبا أو فنا يدور حول الانحرافات والشذوذ، أو يُمارَس من خلاله الجنس بالعنف. ولم تكن هناك بحوث حول حياة الكتّاب أو الرسامين والمخرجين والممثلين الذين يقومون بتمثيل وإخراج الأفلام الجنسية الفاضحة، إلا أنه تبين بشكل عام أن أغلب **الممثلات** اللاتى تضطلعن بهذه الأعمال كن من الممارسات للبغاء أصلا، وأن **الممثلات الصغيرات** فى السن كن من المتحررات الهاربات من بيوت آبائهن، فيقعن فريسة للقوّادين، وتستغل قلة خبرتهن بالحياة لعمل مثل هذه الأفلام. وأما الرجال فكلهم من القوّادين، والكثير منهم من أبطال الرياضة أو الممارسين للرياضة فيما سبق، واشتغلوا من بعد حراسا للبغايا، أو "بلطجية" يتعيشون على ابتزازهن.

ومشاهدة الفيلم المحظور قد تستحدث لدى الصغير الغر، والكبير المجرّب، هياجاً لبعض الوقت قد يدفع إلى الممارسة الجنسية أو تجربة ما يريانه، ولكن سرعان مايزول هذا الأثر ولايتخلف عنه مايمكن أن يستمر مع الشخص كأسلوب فى إتيان الجنس. وقد تكون القراءة أو المشاهدة متنفسا عن كثير من الكبت. **والذكور أكثر إقبالا على المحرّم أو** المحظور من الآداب والفنون، ونلاحظ أن **الذكور** هم الذين يكتبون أو يصنعون هذا النوع من الأدب أو الفن، ويستغل الذكور جسم المرأة للترغيب فى الشهوة، ويثيرهم أن يساء

استغلال النساء. ولاتكتب النساء فى مجال الشذوذ الجنسي، ويبدو أن **الشذوذ الجنسى خاصية ذكورية**، وهو ألصق بعالم الرجال منه بعالم النساء، وإذا كانت هناك أعمال أدبية أو فنية بقلم نساء فالغالب أن ذلك انتحال عليهن، ومن السهل اكتشاف أن الكاتب رجل وليس امرأة من الأوصاف التى يغدقها على أعضاء الرجل الجنسية وعلى استعذاب المرأة للجنس وللعملية الجنسية، وهو مايسمى **بأسطورة الرجل الجنسية**، أو **أفكاره العامية عن المرأة**، وذلك خلاف ما نجده من أفكار عن الجنس فيما يسمى **بالأدب النسائى**، حيث المشاهد الجنسية بقلم النساء تعتبر مشاهد عادية جدا لو كانت الكاتبة رجلا. وإذا كان **الأدب والفن الجنسيان** الحقيقيان من المنتجات الذكورية الخالصة، فإن النساء يشتهرن **بالأدب العاطفى**، والمواقف التى تصورها النساء غالباً مواقف عاطفية على عكس مواقف الرجال التى غالباً ماتكون مواقف جنسية. وتبين أن الإقبال على الأدب والفن الفاضحين يرتبط بالثقافة، وكلما زادت ثقافة الشخص كان الاحتمال أن يُشغَف بهذا الأدب أو ذاك الفن، وأكثر الناس إقبالا عليهما **طلبة الجامعات**، وهناك ارتباط بين الشغف بكرة القدم أو الرياضة، وطلب هذا الأدب والفن. وربما منشأ هذا الارتباط **هو الذوق العام** لجمهور الرياضة ولجمهور الأدب والفن الفاضحين، وتدهور الثقافة وتحولها إلى معرفة للتكسّب وليس للترقّى الذهنى والسمو الروحى. ويبدو أن للأدب والفن الفاضحين تأثيراً على **الاتجاهات الإجرامية** لدى بعض الناس، وعلى اتجاهاتهم العدوانية للمجتمع، وتبين أنه فى أغلب حالات الاغتصاب والتعذيب الجنسى كان المجرم أو المجرمون يذكّون خيالهم الجنسى بالأفلام الجنسية الخالصة. ويقبل الشباب بخاصة على **أفلام الفيديو الجنسية**، وهناك نوادٍ متخصصة فى عرض هذه الأفلام المحظورة، وغالبا ماتكون فى نفس الوقت مواخير للزنا وبؤراً لتعاطى المخدرات. وأغلب تجار الأفلام الجنسية يعملون أيضا وسطاء فى الجنس وموزعين للمخدرات، وعموما فإن تجارة الأدب والفن الجنسيين لايمارسها إلا أفراد من الرجال، غالباً قد أسقطوا من حساباتهم أية اعتبارات للقِيَم الأخلاقية أو الدينية، ويعيشون حياة خُلْطة، فيها الإباحية الجنسية، وشخصياتهم من النمط المعتلّ نفسيا أو اجتماعيا، ولهم اتجاهاتهم الهدّامة للمجتمع.

* * *

الفصل الثالث

الجنس والفنون Sex & Arts

النحت والتصوير و الأدب و الشعر والموسيقى والرقص والمسرح والسينما والرواية

الوجود ميلاد وموت، والجنس قوة خالقة تسرى فى الكون كله، وتختلط عمليات التخلق بعمليات الفناء فى المستويات الدنيا من المخلوقات، ورغم أن انقسام الأميبا قد يعنى الانتهاء لها، إلا أنه أيضا يعنى بداية متجددة للأفراد المنقسمين. والإنسان وحده هو الذى يطول الأمد بين مولده ووفاته، وهو الوحيد أيضا الذى يعى أنه يموت، ووعيه يجعله يدرك الموت كما لايدركه أى مخلوق آخر، وإدراكه للموت يصيبه بالخوف، ويجعل وجوده وجوداً غثياناً، ويدفعه إلى المقاومة بأن يحاول أن يفعل مايخلّده. **والموت** حقيقة مادية لاسبيل أن نتجاوزه إلاّ بوثبة روحية تتخطّى مادية الموت، والإنسان يتجاوز الموت بأن يجعل لنفسه قيمة يتحقق له بها الاستمرار والخلود. وهو قد وجد القيمة فى **أن يعبد الله**، والعبادة تحتاج لعابد ومعبود، وقيمة العابد من قيمة المعبود، إلا أنه فى الفن فإن **الفنان** لايرى أنه المقابل فى القيمة للإله، ولكنه هو نفسه إله، ووعى الفنان العابد أو اللاعابد بنفسه يجعله يستشعر **المسئولية** عن نفسه وعن الكون كله، وإلا فهو سيعيش **اللامعقول**، بمعنى أنه مطروح فى الوجود من غير أن يُستشار وبدون هدف، ولكى ينقذ نفسه من غثيان الوجود اللامعقول كان عليه أن يحلّ محل القيم **الربّانية** قيماً **إنسانية** تتحقق له بها ذاته كأقصى مايكون تحقق الذات. والفنان هو الإنسان الذى وجوده هذا الملاء، وهو يرسم أو يكتب لأنه بهما يجاهد ضد **الفناء**، والمعنى الذى يقصد إليه بالرسم أو بالكتابة هو الغاية الأخيرة التى من أجلها يعيش، وما يرسمه أو يكتبه ينبض بالحياة **الدائمة**، ويتحدى الزمان والمكان، ويكثّف به الخبرة الإنسانية ويبلورها، وعياً بالموت، ومعاناةً بالحياة، وفرحةً بالوجود.

والعمل الفنى أو الأدبى نداء للحواس وتجاوب مع الحاجات الروحية، وفيه تندمج نواحى الجمال الحسية والتى تتجاوز الإحساس. وليست **الخبرة الجمالية الإنسانية إلا** قبسة من النور الكونى، فيها امتزاج المحسوس باللامحسوس. وبالمثل فإن **الجنس** نداء للحواس وتجاوب مع الحاجات الروحية. وفى **الفن والأدب والجنس** تتحقق للإنسان تجارب رائعة، فيها أرحب الأبعاد فى الكون، وأعمق الأحاسيس، وأعلى الأفكار. وكما يقول **موزار** فى

أوبرا **الناى السحرى** إنه ليس أروع من أن يجتمع الرجل والمرأة على درب الحياة ليحققا معاً غاية الحياة. وفى تجربة الحب تكون معاناة الجنسى والحسى والجمالى والروحى، ومهما كان الوجود ثقيلا بما فيه من مجاهدة ومكابدة فإن الحب يعوّض عنهما بفرحة لقاء الأجساد ونشوة عناق الأرواح. وليس **تاريخ ارتقاء الوعى البشرى** إلا تاريخ **الفن والأدب والجنس** فى الحضارات المختلفة. والإنسان فى **الفن والأدب والجنس** خلاّق، وتاريخه فى هذه المجالات هو قصة محاولاته فى الخلق ليخلّد نفسه. والإنسان فى البداية كان مقلدا للآلهة، وقرأ **كتاب الكون** وهو مجال أفعال الآلهة، ورأى **التزاوج والميلاد** فى كل الأشياء، وأنهما المقابل لأحداث السماء، واعتقد فى معتقدات مدارها **التزاوج**، واحتفل به على الأرض فى أعياد **الإخصاب** وجعل لها آلهة، وكان فى هذه الأعياد يمارس **الجنس** وكأنه يصلى للآلهة، وكأنه يشارك الآلهة التخصيب، وفى هذه الأعياد كان **الجنس** مباحاً، وكانت هناك بنات الآلهة أو بنات الهوى، وكانت مضاجعتهن طقوساً ضمن الطقوس. وكان الاعتقاد أنه لكى تستحدث شيئا عليك أن تقلّد فعله فى الطبيعة فيكون هذا الشئ، وكانت الطقوس **تقليداً للطبيعة**، وهذا نفسه هو ماذهب إليه **أرسطو** فى تعريفه للفنون، وكانت بدايات الفنون تضرب بجذورها فى الطقوس الدينية الأولى. وتطور **الجماع الطقوسى** بأن تحولت حركاته إلى الرقص، وأُدخلت إيقاعاته فى الموسيقى وفى التعبير الرمزى بالرسم والنحت والعمارة وفن القصة. وكانت القبيلة كلها تتشارك فى الطقوس وتؤديها، ثم تخصّص البعض فيها وصاروا لها سدَنَة وكهنة، وكان الكاهن الوسيط بين العبد والرب، أو بين الإنسان وقُوَى الغيب، وكان **دور الفنان** هو تقليد الطبيعة بإبراز معانيها، وظل **الجنس** طابع الكهانة كما هو طابع الفن، وانتهى الدين إلى تقنين الجنس لما له من خطورة، وقالت **الكنيسة** إن الجنس كانت به خطيئة آدم، وقامت فكرة **المسيحية** على محاولات الخلاص من نتائج هذه الخطيئة. وعلى عكس المسيحية كانت ديانات الهند والصين تتوج التعبّد بالاستسلام للجنس فى المعابد، كأرقى مايمكن أن يبلغه السلام النفسى، وبينما نادت المسيحية بالعزوبة والتعفف، أباحت الديانات الشرقية الزواج بأكثر من واحدة وانتشرت المحظيات.

وقامت الحضارات البشرية الأولى على **عقيدة الإخصاب**، وتحفل آثار **سومر** بالرسوم على الطين، تصور الجماع وأعضاء الجنس والأجساد العارية للرجال والنساء منذ خمسة

آلاف سنة. وفى حضارات بابل وآشور كانت عشتار إلهة الخصب كبيرة الآلهة. وكانوا يرسمونها أو يصورونها واقفة وقد وضعت إحدى يديها على ثدييها واليد الأخرى على فرجها، تشير بذلك إلى قدسية أعضاء الجنس وسرّية المرأة، وأنها وسيلة التكاثر. وأخذ اليونان عن مصر وبابل هذا الفكر الدينى الجنسى، ولم يكن آلهة اليونان إلا نسخاً من آلهة الشرق الأوسط، وانتقل ديونيسوس من ثراس إلى أثينا، وديونيسوس هو إله العنب والخمر، وفى أعياده كانت تمثل قصة الخلق، ويضاجع الرجال النساء، ويرقصون ويمرحون ويصخبون، وفى الجماع تكون اللذة والاحتفال، وفيه أيضا يكون إخماد الشهوة والنهاية التى تأتى كالموت، وهكذا الحياة ميلاد وعنفوان فى العيش، ثم الممات.

وفى أعياد ديونيسوس بدأت التراجيديا والكوميديا معاً، وكان أساس التراجيديا الخوف من الآلهة والمجهول، وأساس الكوميديا التغنّى بالحياة. والانتصاب رمز الكوميديا، وأدواته الفالوس، شبيه القضيب، الذى يوضع فى الفروج الشبيهة. والارتخاء رمز التراجيديا. واحتفل اليونانيون بأعياد ديونيسوس عند الزراعة وعند الحصاد، فعند الزراعة يجتمعون فى الحقول، ويتصل الرجال بالنساء بحسب الاعتقاد أن الجماع على الأرض ووسط النبات يعديهما، ويجعل الأرض تخصب، والنبات يتكاثر ويزكو. وفى الحصاد وخاصة فى موسم العنب كان الجماع إقرارا بفضل إله الإخصاب ديميتر أو ديونيسوس. وأخذ أرستوفان رموز الجنس وجعلها رموز الكوميديا فى الملابس والمواقف والحركات المسرحية، وكان الممثلون يضعون الفالوس على أواسطهم ويجرون به هنا وهناك، وفى نهاية المسرحية تكون الدعوة إلى الجماع بالزواج الفعلى بين جمهور المشاهدين من رجال ونساء، تحقيقاً لروايات الإخصاب على المسرح.

وكانت أزهى العصور اليونانية هى التى انتقل فيها الإعجاب، من أعضاء الجنس فى الرجل والمرأة إلى بقية أعضاء الجسم، وصار الجمال هو جمال الجسم ككل، وجمال الجسم البشرى بدأ الإحساس به فى مصر. وفى مصر كان إخفاء القضيب وإبراز تناسق الجسم. وبقدر ماكانت العبادة للقضيب والفرج فإن الفن تحوّل إلى عبادة الجسم دونهما، وتصور الفنان جسم الذكور رقيقا وكأنه جسم الإناث، ورسم ونحت أجساد الإناث بخطوط محددة منسابة وكأنها أجساد ذكور. ومثلما قامت فلسفة أفلاطون على فكرة المثال، فإن مثال الجمال كان الجسم الذى يجمع رقة الخطوط الأنثوية والقوة والانتصاب الذى للذكور، ومن ثم كان التزاوج بين هيرميز وأفروديت، ومنهما جاءت هيرامافروديتوس التجسيد للكمال الإلهى، ومنها كان الميلاد الروحى لنرجس الذى رأى صورته فى الماء فتتيّم بنفسه، ولم

يستطع أن ينتزع نفسه من الصورة فغرق فى الماء، وتحوّل جسمه إلى **زهرة النرجس** المعروفة باسمه، وظلت أسطورته تلهم الفنانين لمدى قرون. وظلت صورة الجسم البشرى كمثال إغريقى للجمال هى الصورة الكاملة لما يمكن أن يكون عليه الجمال الإلهى نفسه فى عصر النهضة الأوروبى.

* * *

ولم يكن **الجنس** ملهماً للفنون المرئية وحدها، بل ألهم أيضا **الأدب والفلسفة**. وتقدّم أعمال **أفلاطون** صورة مثالية لفكرة الجمال الإغريقى، وهو فى **المأدبة Symposium** يجمع عددا من المفكرين حول الطعام فيتناقشون بمناسبة الاحتفال بالشاعر المأساوى **أجاثون**، ويستمع الجميع إلى **سقراط** يتحدث فى **الحب**، ويروى عن أحد الحكماء الثقات أن الحب طريق الروح إلى الذُرَى العلوية، لأن الحب يبعث إليه **الجمال**، والجمال قيمة علوية. والحب شوق إلى الخلود، أدناه أن يطلب الرجل المرأة للجنس، فيكون له منها الولد الذى هو استمرار له فى الحياة. وقد يسعى الرجل لأن يخلّد نفسه بأن يفعل فى الحياة مايحفظ اسمه باقياً فى قلوب الناس. والأسمى من ذلك أن يكون للرجل الرفاق من أصحاب العقول فيتطارحون الأفكار ويستولدونها، ويثرون بها الفلسفة والعلوم. وأرقى الخلود يكون بتمثّل الجمال الحق مصدر كل الجمالات، **فهذا هو الحب الأرقى**. والحب ليس إلها يُتعبّد له، وليس بشرا من الفانين يؤلّه، ولكنه روح هادٍ يتوسط بين الإنسان والله، وهو نفحة الله التى بها يحنو على الإنسان، والسرّ المرصود الذى يشد الإنسان إلى الله. **والله هو الجمال الحق** أو الجمال المطلق، **ومحبة الله** هى محبة هذا الجمال أصل كل الجمالات، وهى التى تكتب الخلود للإنسان.

والحب الذى قد يكنه الرجل للمرأة أو تكنه المرأة للرجل ضرورة **للتكاثر**. ويذكر أحد المشاركين فى **المأدبة** أن الحب للنساء ناقص وشرير، بينما المحبة تكون بين الرجل والرجل متسامية، لأنه لاغاية فيها إلا نفسها، والرجل كامل وروحانى، والمرأة أرضية ومادية. ولم تكن النظرة هكذا للنساء فى **أثينا** إلا لأن التعليم كان مقصورا على الرجال، وماكانت المرأة تقدر على التفلسف والتواصل مع الأقران أو القرينات بالتفكير السامى، والحب تواصُلٌ تعجز عنه المرأة لأنها لن تعرف منه إلا الجانب الأرضى المادى والعملى. ولم يكن **أفلاطون** يتأبّى على النساء كما قد يبدو من مناقشات المأدبة، وماكان أهل الفكر المشتركون فى النقاش من أصحاب الدعوات المزدرية للمرأة، إلا أن اعتباراتهم للجنس كانت تجعله ترفا

حسّيا وإن كان ضرورة لازمة. ولم يكن تقدير اليونانيين للجمال استثناء له من الحس أو من الجنس، فالأساس في الجمال أنه إحساس جنسي، ولربما يكون طريق العلّو هو مايتحصل للروح من إثراء حسّي جنسي، وليس العيش إلا مجموعة من المباهج أقواها وأصدقها الجنس. **والجمال الحسي** يشرئب للتسامي والكمال، والفن الإغريقي ينفعل بجمال الأجسام ويغرم به ويرى فيه هذا التسامي والمحاولة لبلوغ الكمال. والجنس تواصُلٌ بين الجمالات أو الكمالات. ولقد كتب **أرستوفان** مسرحياته للناس ولم يقصد بها المثقفين، وكان هدفه تعليم العامة، ومنها **ليسستراتا** المشهورة بالفُحش الذى يتخللها، وبرغم ذلك كانت لها غاية بعيدة وخطيرة وهي أن يقتنع أهل أثينا بأنصاف الحلول، فلقد كانت الحرب البيلوبونيزية تعصف على الأبواب، ولم تكن لها نهاية فيما يبدو. وفشلت الحملة على صقلية، وتمرّدت المستعمرات، وتحالف الاسبرطيون والفرس مقتسمين بحر إيجه، ومع ذلك فلم يكن القَرْح الذى أصاب الأثينيين من الحرب إلا بعض القرح الذى رزئ به الاسبرطيون، وكان الجانبان راغبين في السلام إلا من أصوات بعض الصقور. وانضم لدعوة السلام نساء اسبرطة وأثينا، وبدأن **إضرابا جنسيا** لإقناع الرجال بالعدول عن الحرب، بإثارة حميتهم الشهوية، حتى إن الرجال انتصبوا بالرغبة كأنهم "القضبان الصُلبة" وانصرفوا عن القتال. ويمتلأ الحوار في المسرحية بالمعاني الخبيثة واللمحات الجنسية، ويعطى **أرستوفان** أبطاله أسماء جنسية، ويجعلهم يسيرون على المسرح في عسر شديد نتيجة تهيّجهم، ثم هم يتلاومون فقد انهكموا في الحروب ونسوا أمر النساء فأفسدوهن وتديّثوا.

وعلى العكس من ذلك جاءت **التراجيديا الإغريقية، فالجنس** هو أصل البلاء في كل القصص، والجنس المعنىّ هو ذلك الذى يتأتى الإشباع فيه عن غير الطرق التى يقرها المجتمع، وليس التصادم بين الأفراد ومجتماعتهم إلا لأنهم يريدون تحقيق شهواتهم بغير الطرق الشرعية. وتلعب التراجيديا على عنصريَ **الخوف والتعاطف**، وفي رأى **أرسطو** أن عظمة التراجيديا أنها تطهّر الجمهور من الشهوات المدمرة عن طريق إثارة الخوف من العقاب، ومن خلال التعاطف مع الأبطال وهم يترنحون ويسقطون بسبب مايرتكبون من أخطاء. ولعل **إسخيلوس وسوفوكل** هما أعظم الدراميين الإغريق. وسوفوكل هو الذى كتب مسرحية **أوديب الملك** وهي بالإجماع أعظم ماعرفه فن الدراما من الكتابات المسرحية. وبقدر مايصدم أوديب المشاعر الاجتماعية وهو يقتل أباه ويتزوج أمه، بقدر ماتستحدث

نهايته الفاجعة فى الجمهور من العطف عليه، إلا أن العقاب الذى ينزل به يرضيهم اجتماعيا. ولقد نبّه **فرويد** إلى مصير أوديب، وجعل الدراما الأوديبية محورا إنسانيا عاما تدور عليه قصة كل بيت وأسرة، وقال إن كل طفل هو أوديب فى محبته لأبويه، فإن كان ذَكَراً تحوّل طاقته الشهوية إلى أمه، وإن كان أنثى انصرفت بمحبتها إلى أبيها. وقال إن كل طفل ينظر إلى الأب من غير جنسه باعتباره منافسا ويستشعر الكراهية له، وتأتيه الأمانى أن يزيحه من طريقه ولو بالموت. وأطلق فرويد على ذلك الموقف اسم **الموقف الأوديبى**، وعلى الصراع بين الأطراف الثلاثة **الأم والأب والطفل** اسم **الصراع الأوديبى**، وعلى العُقدة التى تتخلف من مرحلة الطفولة نتيجة الصراعات الأوديبية التى لاتُحلّ اسم **عقدة أوديب**.

ولقد كانت **الكوميديا** الإغريقية واقعية تصوّر الناس على حقيقتهم، إلا أننا إذ نتعايش معهم لا نجدهم إلا قد ارتدوا باستمرار بعض الملابس الداخلية دون ملابسهم الخارجية. وكانت **التراجيديا** الإغريقية مثالية تقابل بين الحب والشريعة، أو بين مقتضيات القلب ومطالب المجتمع، وتنتصر للواجب. وبالمثل فإن فن **النحت الإغريقى والعمارة الإغريقية** كانا مثاليين، وجسّدا المُثُل الإغريقية فصوّرا الناس وكأنهم آلهة، وجاءت التماثيل وصور الرجال وكأنها تماثيل وصور لآلهة. وعلى نفس المنوال كان **السلوك الجنسى للإغريق**، فلقد مالوا إلى المثالية، واعتبروا جسم الرجل هو الأكمل، فتعشّق الرجال الرجال، وسلكت النساء مسلك الرجال واتخذن لأنفسهن المحظيات، وانتشر **اللواط الذكورى واللواط الأنثوى**، وكان لكل مفكر وفيلسوف وسياسى الصبى الذى يفضى إليه جنسيا، وكثرت النساء من أمثال **سافو** التى جمعت حولها الصبايا فى جزيرة **لسبوس**، وظلت تقرض الشعر الجنسى، وتتغزل فى النساء والعلاقات الجنسية المِثلية أو اللواطية، ومع ذلك كانت أيضا تتصل جنسيا بالرجال، ولكنهم ليسوا أى رجال، بل نوع خاص من الفتيان المُرْد وكأنهم البنات، وتقول الأسطورة أن أحدهم هو الفتى **فايون** شغفها حباً حتى قتلت نفسها غرقا.

* * *

وازدهرت الحضارة اليونانية وبلغت أوجها فى عهد **الإسكندر المقدونى**، فلما توفّاه الله سقطت الإمبراطورية وتحللت الحضارة وانسلخت المستعمرات، وانعكس ذلك على الأدب والفن، فلم يبرز إلاّ شاعر واحد كتب **الموال الإغريقى**، يتباكى فيه على سوء الحال فى

المدينة، وما آلت إليه معيشة الناس، وينبّه إلى السلام فى الريف، ويكتب عن الحب فيه بين الرجال والنساء البسطاء، وبين الرعاة، وبين الحيوانات بعضها البعض، والجداول والنبات، والسماء والأرض، فكل مافى الطبيعة فى الريف يضجّ بالمحبة ويحكى عن الغرام. وهذا الشاعر هو **ثيوقريطس السيركوزى**، وقد ألهَمَ برغم بساطة مواويله شاعريْن من الفحول هما **فيرجيل وأوفيد**، فذهبا يكتبان عن **الريف والمدينة**، وصارت المقارنة بين الحياتين موضوعا من موضوعات الأدب والفن فى كل زمان ومكان.

ولما توفى الإسكندر انتقلت القوة إلى **مصر**، وصارت **الإسكندرية** قبلة أهل الفن والفكر، ومركزاً حضارياً من أعظم مراكز الحضارة فى ذاك الحين، وتدهورت **الفلسفة** فى اليونان، ومال الناس بعيدا عن العقل إلى الحواس، وأصبحت المتعة حسية بعد أن كانت فكرية، وتنوسيت حكمة أرسطو التى تجعل الفضيلة وَسَطا بين طرفين، وران على القلوب أن **إيروس** أو المحبة التى قال بها أفلاطون ليست سوى **الفسق**، ولم يعد التفوق ينصرف إلى الفكر، وجعل الناس يتفوقون فى الفحشاء وتحصيل الملذات الجسدية. وكانت **كورنثا** أولى المدن التى سقطت فى أيدى الرومان (١٤٦ق.م) من معاقل الفكر اليونانى، فأحالها الاستعمار معقلا للمجون، وانتشرت بها المواخير، وراجت تجارة الرقيق الأبيض. ولم يبرز فى تلك المرحلة إلا كاتبان هما **بلوتارخ ولوسيان ساموساتا**، وسخر لوسيان من الفلاسفة والآلهة والمؤرخين، ولكن بلوتارخ كتب عن العظماء لينبّه الناس إلى قيم العظمة الحقيقية التى نسوها أو أهملوها.

* * *

وورثت **روما** عن اليونان الفكر والفلسفة والفن والأدب، ولم يكن الرومان إلا ناقلين للحضارة اليونانية. وعندما آل أمر الإمبراطورية إليهم لم يفعلوا أولاً سوى أن يترجموا هذا التراث ويحافظوا عليه من البِلَى والنسيان، وتابع الفنانون الرومان مدارس الفن الإغريقية، ثم بعد أن استوعبو ذلك كله بدأوا ينحتون تماثيلهم، وكانوا فى فترة التقليد الهيلينى محافظين وأمناء، ومنهم **فيدياس** الصارم المتجهم الذى اتخذ الشعار الرومانى **التوسط والالتزام Sophrosyne**، وأصبحوا متساهلين ومال أسلوبهم إلى اللين عند **براكستيليس**، وكان لتماثيلهم فى تلك المرحلة طابعا حسيا محضا، وكأنها بشر من دم ولحم، تنضج بالأحاسيس وتشبه الواقع، ومايزال الناس حتى عصرنا الحاضر يحبون منها تمثالَى **فينوس وأفروديت** وكأنهما من تماثيلنا وإبداعنا.

وحاول الرومان تقليد اليونان فى أسلوب العيش كما قلدوهم فى الأسلوب الفنى، إلا أن انهماكهم فى الحروب والثروات التى عادت عليهم من المستعمرات ألهتهم عن أن يبرزوا فى الأدب والفكر، وكانت نهايتهم واندحارهم من خلال الانغماس فى الملذات. واشتهر فى المرحلة الأولى المسرحيان بلوتوس وتيرنس، وكانا كوميديين اقتبسا كثيرا من الإغريق، واقتبس منهما شكسبير، وحفلت رواياتهما بالساخر والمضحك والجنسى من المواقف والمشاهد والعبارات. وكان من شعراء العصر الذهبى عندهم كاتولوس وأوفيد وهوراس وتيبولوس وبروبرتياس، واشتُهروا أنهم شعراء غزل، وكانت لهم أشعار موغلة فى التعبيرات الجنسية، وكان هوراس على غير مايعرف عنه دارسو اللاتينية زير نساء وكازانوفا عصره، إلا أنه برغم هذا الصخب الجنسى الذى أثاره حوله كان عنّينا فيما يبدو، فكلما تحدّث عنه المتحدثون ورووا قصص المجون ابتسم الإمبراطور أوغسطس متعجبا وساخرا، واصفا إياه بأنه "قضيب مغمود"، إشارة إلى عُنّته المعروفة. ويبدو أن العُنّة كانت فكرة كثيرة الورود على بال الناس، وكان لفظها دائم الترديد على ألسنتهم وفى المسرحيات. وفى كارمنيا مثلاً تأتى ألفاظ الأعضاء الجنسية حتى أن المرء ليعجب من اتجاهات كاتولوس وإسفافه الذى لايمكن إلا أن يدرجه ضمن أدباء الجنس، وربما كانت أشعاره الغزلية، التى يحكى فيها عن الحب وعذاباته، هى التى أشهرته. وهو يتغزل فى امرأة من الساقطات تُدعَى كلوديا تركته إلى غيره من الرجال، ويسميها كاتولوس باسم ليسبيا، نسبة إلى الشاعرة اللوطية سافو التى كانت تسكن جزيرة ليسبوس، والتى ترجم أشعارها، وحاول أن يقلدها فى حياتها الماجنة وغزلها المشبوب الجانح. ومات كاتولوس وهوراس فى شبابهما نتيجة المجون الذى عاشاه. ولربما كان الصخب الذى استحدثاه فى الحياة وفى الشعر صدىً للعجز والعطالة الجنسية التى كانا عليها. وهذا العجز الجنسى كان حال الكثيرين ابتداءً من هوراس إلى مارشيال، وانتهاءً ببيترونيوس.

ولاشك أن شاعر الحب الذى لايُعلَى عليه هو أوفيد، وكان اسمه قد بدأ عقب نشره لقصيدة يشبب فيها بالذكور، ويحكى صراحة عن الحب بين الرجال. ولأوفيد أيضا "فن الحب Art Amatoria" وهو مجموعة قصائد عن الإيقاع بالنساء، وكيفية الاحتفاظ بمحبتهن، والتكوين النفسى لهن، ومختلف أساليب السلوك معهن. والحب عنده أخذ وعطاء، وشرطه أن يكون حباً متبادلا، فلا حب من طرف واحد، ورغم أنه يهبط بالحب إلى أنه قدرة على المباشرة، ومهارة على الإشباع الجنسى بأنماط للجماع وسلوكيات كالوصفات الطبية،

على عكس ما ذهب إليه الإغريق من جماليات، على الرغم من ذلك فإن قصائده كانت عملا رائعا وتحفة فنية خالدة، فقد جعل من الحب فناً كسائر الفنون، وصنعةً كالصنائع، وقال بأن المحب فنان وصانع ماهر، أو كما نقول بالعامية "صنايعى"، وكانت لأوفيد لمحات ولمعات ذكية ترقَى إليها عبقريته، تعبيراً بالألفاظ والعبارات. ويقول مثلاً مامعناه : ليكن الرجل هو الذى يبدأ الغزل، ولتنتظر البنت ولاتعرض نفسها. وعندما يغازلها ينبغى أن تُظهر الاهتمام، ولكنه الاهتمام الذى يشوبه الحياء والخفر. وليكن الرجل جريئا فالنساء يحببن الجرأة، وهن ينتظرن الغزل، وكل امرأة لها الرجل الذى يُطريها، وعلى الرجل أن يخترع المناسبة التى تتيح له حق مخاطبتها، ولايُستحَب فى الرجل أن يتردد أو ينكص عن التصريح بحبه وإعجابه، فإذا وجد أن محاولاته أو كلماته لاتجد لها الصدى فعليه أن يتراجع، فبعض النساء يكرهن المِقدام ويخشين المهاجم، والكثير منهن يستلطفن الرجل الذى يتعلثم أمامهن، والذى يشعرهن أنهن الأقوى، ولذلك ينبغى أن يبدأ الرجل من جديد ولايملّ ولايكل، وليجرب كل التكتيكات فلابد أن ينجح أحدها، ولكن عليه أيضا أن لا يظهر أنه متأكد من نفسه أنه سينال المرأة التى يريدها، فالرجل المزهو بنفسه يثير الحفيظة والنفور، وليقل الرجل للمرأة دائما أنه لايطمع إلا أن يكون صديقا، وليَقرّ بالاً أن المرأة لاتشرك معها فى السرير إلا الصديق.

* * *

وكان الأدب والفن فى كل العصور شاهدين على العصر، وهكذا كان الأدب والفن فى اليونان ثم عند الرومان. وفى زمن **نيرون وكاليجولا** تحول الأدباء والفنانون إلى **الكاريكاتير** ليصوروا سقوط المجتمع الذى امتلأ بالمباذل، واشتهر من هؤلاء **بترونيوس وماريتال وجوفينال**، وكتب **ماريتال** قصائد يتغزل فيها فى الصبيان، ويقول إن النساء مخلوقات لايمكن أن يحبهن عاقل. وهاجم **جوفينال** النساء بدعوى أنه فى كل الدولة الرومانية لاتوجد امرأة لم تخن زوجها أو تتمنى أن تخون زوجها، وليست هناك البنت التى لم تمارس الخطيئة، والتى لم تكذب على أبويها. وكان آخر الكُتّاب الرومان **أبوليوس**، وله قصة **الجحش الذهبى**، وتحكى عن جمال إحدى الفتيات وغيرة **فينوس** منها، حتى أنها أرسلت **كيوبيد** لينتقم منها فتتيم بها، وتزوجها سرا، وطلب إليها أن لاترى وجهه، ولكنها تحايلت عليه خلال نومه ونزعت نقابه، فأذهلها جماله، وعاقبها كيوبيد بأن هجرها، فهامت على قدميها تبحث عنه، وصادفت الأهوال إلى أن رقّ لها قلبه وعاد لها. والقصة فيما يبدو تنبّه

إلى إمكان خلاص الروح من خلال الحب، وتسهم فى ارتقاء فكرته بأن تجعله جزءا رئيسيا من التكوين الكونى، وهى الفكرة القديمة عند اليونان التى ذهبت إلى تأكيد دور الحب فى الوجود، ففى البدء كان العماء، ولكن إيروس أو الحب تولّد من بيضة مخصّبة، واستطاع أن يسنّق العماء، وينظّم الكون، ويدفع الحياة لأن تتنامى. وتذهب كل أساطير اليونان والرومان وآشور وبابل ومصر والصين والهند إلى أن الواحدية تخلّقت منها الثنائية، ليكون الجنس بين الأنثى والذكر، والجماع أو التخصيب، ثم الحمل والميلاد. وهذه العملية برمتها لذلك مقدسة، والقائمون عليها أنصاف آلهة، فهى مهمة لايضطلع بها سواهم، والآلهة لهذا السبب نفسه كانوا إما إناثا أو ذكورا. والجنس شئ مقدس انطبع به الإنسان والحيوان، لأن الآلهة تريد الحياة أن تستمر، وهو دليل الحياة وواسطتها. والجنس أيضا يدمر أصحابه لأنه قد يصرفهم إليه دون الحياة. والحب منه الخلّاق، ومنه المدمر. وإله الحب إيروس كان يجمع بين الذكور والإناث، ويوّحد بينهم، ويدفعهم بالعاطفة الجيّاشة إلى أحضان بعضهم البعض، ولكنهم صوروه أيضا وهو يحمل جعبة من السهام يرمى بها من يشاء ودون سبب، وجعلوه طفلا إلهيا به شقاوة الأطفال وألاعيبهم، وليس لما ينزله بالناس منطق، ولربما يقعون فى الحب وكأن مصيبة قد حلّت بهم، بالنظر إلى أن بعض الحب قد لايكون متكافئا ويكون فيه هلاك صاحبه.

وهذه الثنائية فى طبيعة إله الحب إيروس، أو كيوبيد كما يسمى أحيانا، هى ثنائية جدلية، حتى ليبدو الكون كله قائما عليها. وفى الديانات القديمة كلها كانت الآلهة خيّرة وكانت ذات انتقام. وكان سيفا فى الأسطورة الهندية المُحيى، وهو أيضا الحافظ، وكذلك المميت. وفى قصة كيوبيد مع النفس Psyche، كان كيوبيد إلها والنفس صبية من البشر، والنفس المطمئنة فى سلام مع نفسها، ولكنها عندما تشاء وتريد أن تعرف تعانى وتتمرد، والنفس الأمارة بالسوء تلقى العذاب. والقصة رمزية، وتصور عذاب الحب، وترمز للصراع بين العقل والقلب، وهو الصراع الذى ظل موضوع الأدب فى كل العصور، والذى بلغ أوجه فى العصر الرومانسى. ولقد ظل الحب إيروس فى الفن هو الطفل الشقى الذى يحمل جعبة سهام، ولكنه فى الأدب تطور إلى ماهو أكبر، وصار يرمز إلى غرائز الحياة أو غريزة الجنس بالذات، فإذا تناقض والعقل كان الصراع الذى يستهلك صاحبه وينحو بالنفس إلى السوء، ويقول عالم النفس يونج إنه لانجاة من صراع كهذا إلا بالروح، وهى التى يمكن أن تحتوى النفس وتوجهها الوجهة السليمة الخلاّقة. ومن رأى يونج أن اتحاد النفس بالعقل يحسر، بينما اتحادها بالروح منقذ. والروح عند يونج يتمثّل فى الحدْس أو الحاسة

السادسة، ولانجاة للناس فى الغرب إلا إذا غلّبوا الحدس على العقل، حيث يتحكم العقل الآن وتوجهه النفس الأمّارة بالسوء.

***

وعمّقت **المسيحية** العلاقة بين **الغريزة والروح**، واستخدمت العقل كسلاح لهزيمة ظواهر الغريزة والحدس لصالح الروح والعالم الآخر، وساوت بين الحب الغريزى أو الشهوى والفسق. وكان ظهور المسيحية فى وقت سقوط الدولة الرومانية فأمن الناس بما تقول، ونصح **القديس بولس** الناس أن يترهّبوا ، فإذا لم يستطيعوا فليتزوجوا . وكان بولس يظن أن المسيح سيعود فى زمنه، ولذلك طلب من الناس أن يبقوا كما هم ولايسعون إلى التغيير، فالعبد يظل عبدا ، والبغى بغيا ، لأن خلاصهم جميعا سيكون بالمسيح الذى **أحبهم**، ومن خلال عذابه وصلْبه كان الوعد من الله بخلاصهم، فإذا **أحبوه** فستكون نجاتهم، **والحب** الذى يولونه هو استجابة **لحبه** لهم، وهو يأمرهم أن **يحبوا** جيرانهم **كحبهم** لأنفسهم. ويقول المسيح فى **المحبة** بين المسيحيين إنها كمحبة **العريس لعروسه**، ويرى علماء النفس أن التشبيه له صبغة حسية، وله إيحاءات "وهل لضيوف العرس أن يحزنوا طالما أن العريس مايزال بينهم؟" فأى حزن سيصيبهم من جرّاء زواجه سوى أنه سينصرف بمحبته إلى عروسه دونهم، فأى إيحاءات هذه؟

ويحفل **التوراة** بإيحاءات كهذه وخاصة فى **مزامير داود وأناشيد سليمان**، وفى **نشيد الأنشاد** يرد : إنى لك ياحبيبتى، وأعرف أنك تريديننى، فتعالىّ نذهب إلى الحقول، ولنسكن الكفور، ولنسفر باكرين لنعاين بساتين العنب ونرى أزهارها ونضج الرمان، وهناك سأعطيك حبى". ويبدو أن نشيد الأنشاد وغيره من الشعر الحسّى الذى يحكى عن الحب والعطاء فى الطبيعة، من تأثير الشعر **الكنعانى** والاحتفالات الوثنية بأعياد الربيع والإزهار، وكان الناس فيها يتضاجعون، وتكون للملك أو كبير القوم صبية هى الأجمل والأكثر شبابا، يفض بكارتها معلناً بذلك بداية موسم الخصب والنماء. وحذّرت المسيحية من هذا التزاوج فى اليهودية بينها بين الوثنية فيما يخص مسائل الجنس، **فحظرت الجنس**، واتجه الأدب والفن لذلك إلى إخفائه والتعبير عنه مع ذلك متخفيا .

***

وكان **القديس أوغسطين** فى القرن الرابع الميلادى فيلسوفا مسيحيا قال بالحب

الأفلاطونى، وكان أوغسطين فى شبابه يطلب اللذة أينما وجدها، ثم انصرف بعد الإيمان إلى التقوى، وتحوّل الحب عنده للذات إلى حب للإيمان. ويتحدث فى كتابه "**الاعترافات**" عن حبه لله وكأنه الحب للذات، وهذه هى طريقة **الصوفية** فى التعبير عن حبهم لله، وأغلبهم كان يعيش فى شبابه للذّات. وجاء بعد أوغسطين عدد من صوفية المسيحية قالوا بالحب لله، وكان **الإيروس** عندهم هو شوق روحانى يغالبهم إلى الله، وقالوا بإمكان الخلاص بلطفٍ من الله، وأن الحب يتنزل من الله إليهم مقابل حبهم لله الصاعد إليه، والأول أطلقوا عليه Agape والثانى Eros. وواصل صوفية المسيحية ما بدأه نشيد سليمان حديثاً عن الاتحاد بالله، ولكنه الاتحاد الحسىّ وليس الروحى، باعتبار **الله** سبحانه وتعالى **العريس** كما يقول المسيح، **والروح هى العروس**. ووصف أحد الصوفية وهو **يوحنا الصليب** فى القرن السادس عشر، وصف الشوق إلى الله وكأنه الشوق إلى الحبيبة، واستخدم فى ذلك عبارات يصف بها هذا الحب وكأنه يحكى عن الحب بين رجل وامرأة ومايمكن أن يقوم بينهما من خِطبة وغزل وزواج، ويصف الروح وهى تستعد للصعود إلى الله وكأنها العروس تستعد للزفاف. ولعل أشعار **القديسة تريزا** تصور هذه الحال أبلغ تصوير، كتصوير **رابعة العدوية** عندنا مع الفارق. وألهمت تريزا المصور **بيرنينى** تمثالها فى كنيسة **كورنارو** بروما، وهو قد نحته يبين فيه ما تكابده من أشواق، واللذة التى تتحصل لها من عذاباتها وكأنها امرأة تعانى لحظة الإنعاظ، وكأن التمثال قد عنى به أن يكون صورة لاتصال النشوة الحسية بالنشوة الدينية والنشوة الجمالية، وهى أوجه الحقيقة الثلاثة التى يعسر على الإنسان العادى أن يدركها، ناهيك عن أن يصفها، ولكنها لاتستعصى على الفنان، فهو الوحيد القادر على التعرض لما لايتعرض له الناس، والفن وحده هو الذى يستطيع أن يصف مالا تقدر اللغة على وصفه. والمشاهد إذ ينظر قد يحس ويشعر ويفكر ويتصور ويشارك فى هذه التجربة الصوفية التى ترقى على كل تعبير. ولقد كان **الحب الإلهى** الذى عبّر عنه الأدب المسيحى فى القرون الوسطى طريقة فى التعبد لإيروس الخالق، وأما المعاناة المتمثلة فى عذابات المسيح من أجل خلاص البشرية، والتى تعرّض لها ولأمثالها الأدب، فقد كانت تعبيرا عن الجانب الثانى من إيروس، وهو الجانب المدمر.

❋ ❋ ❋

ولما كان **عصر النهضة** انصرف الأدب إلى أمور الدنيا واتخذ له موضوعا فى العواطف.

وكانت المرأة فى **الأدب المسيحى** ترمز للشيطان، وهى فى **الأدب الرومانسى** ملهمة الشعر. ومن أجمل كتب هذه المرحلة فى حب النساء ماخطّه **جوان رويز** باسم **"كتاب الحب الفاضل"**، وهو خليط من حكايات الحب وقصائده. **والحب الرومانسى هو** هذا الحب الذى يمكن أن ينهض بين فارس وخليلته وليس بين الزوج وزوجته. ولعل السبب فى تلك النظرة التى تُشجِّع على الزنا أن الكنيسة والقيم السائدة كانت تعتبر الزواج مسألة تجارية لادخل فيها للعواطف. وكان **شعر الغزل العربى** قد تأثر به الأسبان، وانتقل منهم عبر شعراء **التروبادور** troubadours إلى كل أوروبا، وتأدّت المواويل وأشعار المدّاحين إلى الشعر الرومانسى ورواياته، واشتهرت منها سلسلة **أرثر وبارسيفال وترستان وإيزولد**، ويقول مؤلف القصيدة الأخيرة مثلا إن عذابات الحب تطهّر القلوب، وكان ترستان قد توجه إلى انجلترا لاستحضار زوجة عمه واسمها إيزولد، ولكنهما يشربان معا من **مشروب الحب** وهو البديل الجديد لسهم كيوبيد، فيحاولان الهرب بحبهما، إلا أن العمّ يتمكن من استرداد زوجته. ويتزوج ترستان من أخرى ويصاب بجرح عميق لانجاة له منه إلا بمجئ إيزولد، وكانت علامة وصولها أن شراع مركبها أبيض، وينتظر ترستان ويطلب من زوجته أن تصف له لون شراع المركب القادم، فتقول إنه أسود فيموت، وتصل إيزولد فتجده قد مات فيقتلها الكمد. والموقف الذى تتعرض له القصيدة يجتمع فيه الجانبان : الخلاّق والتدميرى فى الحب، فالعواطف فى الحب نبيلة، ولكنه أى الحب لايعترف بالتقاليد ولا الرسميات، ومن ثم يتصادم مع العرف والشرع، وتتأتى العذابات من هذا التصادم، والانتصار للشرع أو العرف.

ويحكى **دانتى** فى **الكوميديا المقدسة** قصة حبه **لبياتريس**، وفى المقدمة التى يطلق عليها اسم **الحياة الجديدة**، يقول دانتى أنه رأى بياتريس وكان عمره عشر سنوات، ثم التقيا بعد ذلك بسنين فتبادلا البسمات، وهذا هو كل ماكان بينهما. وتزوجت بياتريس من ابن أحد الصرافين الأغنياء، وماتت بعد قليل، ولكنها ظلت الحبيبة التى تعلّق بها قلبه. وتتكون الكوميديا المقدسة من ثلاثة أجزاء هى **الجحيم والمطهر والجنة**. ويلتقى دانتى فى تجواله بروح الشاعر **فيرجيل**، الذى يأخذ بيده ويرشده فى الجحيم والمطهر، ولكن بياتريس هى التى تتقدمه الطريق فى الجنة. وتتشابه فكرة الإيروس فى الكوميديا المقدسة وفكرته فى **المأدبة لأفلاطون**، فبينما نجد الروح الإغريقية تتوق إلى الجمال المطلق، فإن الروح المسيحية

يتوجه طموحها إلى الاتحاد بالله، وفى الحالتين فإن الحب هو القوة المحركة خلف الرحلة الروحية. ولم يجد أفلاطون ولا دانتى الحب كمبدأ مجرد يمكن تعريفه فلسفيا، ولكنه تجربة انفعالية عميقة يتعلق فيها قلب إنسان بقلب إنسانة. وكان حب **دانتى لبياتريس** هو طريقه إلى الخلاص، وبياتريس هى **المَثَل الأعلى للأنوثة المسيحية**، وحبه لها يرفعه إلى أعلى ويتسامق به حتى ليجد نفسه فى النهاية أمام خالقه. وفكرة هذا **الحب الروحى** الذى يقوم على التجاذب الجنسى الرومانسى هو الذى يعطى القصيدة معناها العالمى. وأوحت الكوميديا المقدسة للكثيرين من الأدباء بأفكار مماثلة. ولم يأت الخلاص **لفاوست** التى حبر[1] عملاق الأدب **جوته** إلا من خلال محبة النساء، والمسرحية تحكى علاقات فاوست الغرامية وتطهره من خلال الحب.

ولم تتغير النظرة إلى الحب إلا ابتداء من **بتراوك**، وهو الذى عاد بالغزل إلى أصوله الإنسية، وهبط بالحب من السماء إلى الدنيا، وجعله عشقا فيه الشهامة والفروسية، وفيه أيضا الوصال. وفى **الديكاميرون لبوكاشيو** نقرأ مائة قصة على طريقة ألف ليلة وليلة تحكيها سبع نساء وثلاثة رجال، احتُجزوا لمدة عشرة أيام بسبب وباء. وقلّده فيها **جيوفرى تشوسر** فى **"حكايات كنتربرى"**، ولعل ألطف قصصه هى التى تحكيها زوجة **باث** عن ليالى زواجها.

* * *

وربما كان الأدباء أقدر دائما على التعبير من الفنانين. وابتداءً من **عصر النهضة** اتجه **الفن** إلى تصوير الجسم البشرى، وإننا لنجد **الفنانين** حتى فى الموضوعات الدينية يحاولون بيان الجمال الإنسى، ولقد صوّر **دومينيكو فينيزيانو** القديس يوحنا، فجعله يخلع ملابسه، ويبيّن من تحتها جسمه الرياضى الرائع. وقيل إن الفنان **جيورجيونى** هو الذى أعاد اكتشاف **الجسم النسائى** كموضوع للفن. ولوحته **الجمال النائم** حسّية أكثر منها جنسية. وكانت لوحة **بوتيشيللى** "ميلاد فينوس" تتويجاً للتصوير فى عصر النهضة. وخرجت لوحة **تتيان "فينوس أوربينو"** عملاً فذاً فى الفسوق، فالمرأة تتكئ عارية وتضع يدها على عورتها فتشد إليها الانتباه. واللوحة تثبت نظرية **فرويد** فى الفن، حيث يذهب إلى أن كل فنان وأديب وهو يرسم أو يكتب إنما يكشف عن مضامين شخصيته. **وتيتيان** فنان داعر فى رسمه، وكان كذلك فى حياته الخاصة.

* * *

وعرف الأدباء فى **عصر النهضة** التمييز بين الرغبة الجسدية التى هى حب، والرغبة الجسدية التى هى **شهوة**. ويرى **شكسبير** فى إحدى سوناتاته هذا الرأى فيقول فى **فينوس وأدونيس** "إن الحب مريح وكأنه الشمس تشرق بعد المطر، بينما تأثير الشهوة كأنما العاصفة تهب بعد الصحوة. والحب ربيع دائم، والشهوة شتاء يقدُم مبكراً قبل أن ينتهى الصيف والحب لايصيب بالتخمة بينما الشهوة تُتخم صاحبها حتى الموت. والحب كله صِدق، والشهوة تحوطها الأكاذيب". والأمر مختلف بخصوص الجنس عند **شكسبير**، والبعض يرى أنه كان **لوطيا**، وكان يتحدث عن **الرفقة** بين الرجال كأسمى أنواع العلاقات، وكان يهدى قصائده لشبان. وقد يدحض هذا الرأى أن العادة جرت ومازال حتى الآن أن يتحدث الناس عن الحبيبة كأنها رجل، وتمتلئ الأغانى العربية بأحاديث عن الحب وكأنها لحبيب من حبيب، والمقصود بها طبعاً حبيبة. وكان الشعراء فى أوروبا القديمة يختصون اللوردات والأغنياء بأشعارهم ليحصلوا على العطايا يتعيشون منها، وهذا هو سبب إهداء شكسبير قصائده لهؤلاء. ولعل الدارس لمسرحيات **شكسبير** يخرج منها بانطباع أن هذا الرجل كانت له تجارب نسائية كثيرة، وأنه مجرِّب، وله غرامياته. ويبدو أنه عاش حياة جنسية صاخبة فى لندن لمدة عشرين سنة، بعيداً عن زوجته التى لم يورثها شيئا فى وصيته، فهى لم تعطه شيئا سوى الجنس لبضع سنوات، ولذلك فقد ترك لها "سرير الزوجية"!! ويمزج شكسبير بين الجنس والحب ويُشبه فى ذلك **بوكاشيو ورابيليه**. وهو يعرِّف **الليبدو** أو الدافع الشهوى قبل أن يكتشفه **فرويد**، ويردّه إلى الوراثة عن الحيوان، وماضى الإنسان أى تجاربه الماضية، ويطلق عليه شكسبير اسم **الدم**، وينسب إليه الشر والخير، والدم يفور بالغضب، ويغلى بالعواطف، ويدفع إلى العدوان، مالم يكبح العقل جماحه ويخفف من غلوائه. ويبدو من ذلك أن شكسبير يرى أن الموازنة بين **الدم والعقل** هو خير ما يمكن أن يتمثله الإنسان، أى الموازنة بين العواطف وبين القصد والتدبر أو الحُكم، وذلك مايُعجب **هاملت** فى صديقه **هوراشيو**، غير أن شكسبير ينتصر فى النهاية للروح على العقل كما فعل **يونج** من بعده بثلاثة قرون، وفى مسرحيته **روميو وجوليت** يعقد الغلبة لروح الخير على العقل والعاطفة معا، بينما فى مسرحيته **أنطونيو وكليوباتره** تحرِّك العواطف الأحداث، وينسى أنطونيو الواجب فى سبيل الحب، ويموت وكليوباتره. والموت تطهير، وهو فى نفس الوقت تجربة لها لذة كالجنس، ومن الجنس مايكون الإنعاظ فيه تطهيراً، ومع أن كليوباتره

تسلك كالغانية اللعوب إلا أنها عندما تنتحر تنادى على أنطونيو باعتباره زوجاً، وتقول قادمة إليك وقد خلّفت ورائى الجسد والشهوة، ولم يبق منى سوى الروح التى تهفو إلى روحك!

ويصالح شكسبير بين الدم أو الغرائز وبين الروح فى مسرحيته **الملك لير**، ويجتمع فيها إيروس المدمر مع إيروس المخلّص أو الحب الذى يتجاوز العاطفة الجنسية. وليس أروع من تصوير شكسبير للشهوة المقترنة بالعنف فى هاتين الشخصيتين **جونيريل وريجان** ابنتى لير، وفيهما يجنح العقل إلى العمل فى خدمة الرغبات الجنسية القوية، وهو مانعنيه **بإيروس المدمر** وقد تجسد فى هاتين المرأتين وتوْقهما للسلطة والجنس معا. وأما **كورديليا** فهى النقيض، وهى إيروس عندما يتسامى، وتلهم أباها فى محنته، وتحيله طاقتها على الحب والعطاء من ملك فاسد إلى ملك صالح. وربما تذكرنا كلماتها بالرومانسية التى سادت من بعد، والتى جعلت من الحب مايمكن أن يكون ألَماً، وماأشبه ذلك بقول **شوقى** يصف قيساً "**تمتّعت بالألم العبقرى وأنبغ مافى الحياة الألم**". والألم جعله **الرومانسيون** فنانين وأدباء، يتبدّى فى اللذة، وجعلوا الجمال يظهر فى القبح، وفى ذلك يقول الشاعر الألمانى **نوفاليس**: «من المدهش أن الاشتهاء مؤلم ويدفع إلى القسوة». ولم يقع **فاوست** فى حب مخلّصته إلا من خلال صورتها الباهتة ووجهها الشاحب الذى شدّه إليها. وهذا الحب الذى لايشبع، والذى لايجد المنصرف، والذى يسبب الألم، هو الذى ينشده **الرومانسى**، وهو حب يدفع إلى الانتحار الذى هو غاية الرومانسيين. ولقد عشق **بودلير** الشاعر الفرنسى القُبح والألم والموت والعذاب، ويصف الجمال بأنه إشعاع ولكنه حزين، ويتجسد فى هذا النوع من النساء اللاتى يوقظن الفتنة، ويلهبن الخيال، ويجعلن الناظر إليهن والواقع فى شراكهن يحب الحياة ويطلبها. ولعل مَثَل بودلير الأعلى فى الرجال **هو الشيطان** كما يصوره **ميلتون**، وينسب إلى الشر جمالاً، ويقول عن الألم فى قصائده "**زهور الشر**" أنه حلو، وعن الحب أنه عذاب، وعن المحبين أنهم ضحايا قد اختاروا لأنفسهم عن طواعية هذا المصير.

* * *

وكانت **الواقعية** المقابل وردّ الفعل المباشر للرومانسية، وفى **مدام بوفارى لفلوبير** تمثّلت الشهوات والمجاهدات الطبقية، وشقيت **إيما بوفارى** بطموحاتها، وركبتها الديون وهجرها عشّاقها، وانتحرت ضحيةً للمجتمع المادى وأفكارها الرومانسية. ولم ير الناس فى زمان

فلوبير إلى ماقصد إليه، ولكنهم اعتبروا الرواية دراسة فى السقوط والتردّى فى الزنا، واتهموه بالمروق، ولم يرْعَوِ ولكنه قال قولته «ليذهب الجمهور إلى الجحيم». وماكان فلوبير ليطمع أن يترضّى الناس وقد فتح الباب لما يسمى **الفن من أجل الفن**، وأن يكتب الأديب بموضوعية. ولم يقوّض ماذهب إليه إلا **المدرسة التأثرية**، وانتقل التأثريون من الموضوعية إلى الذاتية، وصوروا فى الفن الحقيقة باعتبارها رؤية الفنان، أى مايراه ويتمثله وليس الواقع، وانتقلوا من مشاهد البيوت إلى مشاهد الطبيعة، وجمال المرأة جزء من الجمال فى الطبيعة، وكانت هناك لوحات صاغها **مانيه** مثل "**الغداء على النجيل**" و "**أوليمبيا**"، موضوعها المرأة عارية، ورسوم **لديجاس** تدور جميعها حول النساء فى مخادعهن ومماشيهن وصالوناتهن واجتماعاتهن، وأخرى لهن تصور النساء فى باريس والجنس يطفح من أجسامهن ونظراتهن. واتجه فنان مثل **لوتريك** إلى تصوير الجنس فى الخمّارات والحانات والمواخير، وكان أول فنان يشده مايجرى فى المواخير، ويرسم المومسات والممثلات والمغنيات ولاعبات السيرك فى أماكن عملهن. وكان للتأثرية مردودها فى الرواية، فكتب **إميل زولا** "**نانا**" قصة بغىّ تحاول أن تنتصر على ظروفها المادية وتستخدم الجنس كوسيلتها الوحيدة، ولاتثنيها عن غايتها الآداب، ولكنها تنتهى النهاية التى لابد أن تنتهى إليها كل شخصية متهافتة كشخصيتها. ومع أن **نانا** لم تكن أفضل روايات زولا إلا أنها كانت نموذجا **للأدب الفاضح أو الأدب الجنسى**. ويعتبر زولا **الجنس نقطة الضعف فى كل الناس، وأصل كل الشر فى المجتمع**، وإذا كان الأغنياء مدفوعين بالترف يطلبون الجنس وينفقون عليه المال ويهدرون الطاقة، فإن الفقراء وقد عزّت عليهم كل المتع ليست لهم إلا متعة الجنس، ومن أجلها يجهدون ويلهثون ويضحّون بالباقى من القيم التى لم يعد منها إلا أقل القليل. ولم يكن سقوط شخصيات زولا ودمارها إلا من خلال **الجنس** حتى فى رواياته التى كان يتوخى فيها الوعظ والإرشاد. وهو يدرك العلاقة القوية بين الجنس والعفن، والجنس عنده يدفع إلى الزنا والقتل والانتحار والجنون وكل أنواع الانحلال. والجنس الذى يقره العرف ويكون به الولد عن طريق الزواج هو وحده القوة الإيجابية. ولم تكن زوجة زولا الأولى بقادرة على إعطائه الولد، وفى سيرته الذاتية "**بهجة الحياة** La Joie de Viv-re" يقضّ مضجعه أن يفكر فى الموت دون أن يكون له الخَلَف الذى يواصل من بعده الحياة. ويتزوج زولا زوجة ثانية ليعالج اكتئابه، وليعود من جديد إلى ركب الحياة الذى

تخلّف عنه لبعض الوقت بعد **ألكسندرين** الزوجة الأولى، وزولا فى السيرة الذاتية **بهجة الحياة** يحاول أن يسبر أغوار النفوس التى يعالجها، وتحليلاته تترك أثرا هائلا فى الاتجاهات الأدبية من بعده. وهو يبدأ مرحلة جديدة فى الأدب تطورت على يد **سيجموند فرويد**. ولقد كتب فرويد **محاضرات تمهيدية فى التحليل النفسى**، وكتابات أخرى عن الأدب والفن وقال إن الأديب إذ يكتب، أو الفنان إذ يرسم، إنما يعبر عما يدور بنفسه من خلجات وصراعات ورغبات تمتد إلى الطفولة الأولى، والجنس لُحمتها وسُداها، والأديب أو الفنان وهو يكتب أو يرسم إنما يحقق لنفسه فى كتاباته أو رسومه مالم يتحقق له منذ طفولته، فهو يتصور ويتخيل، والأدب والفن مثلهما مثل الحِلم، فالحلم منصرف للرغبات المكبوتة، وكذلك الأدب والفن فهما منصرفان لهذه الرغبات، وفيهما وبهما يحلّ الأديب والفنان الصراعات التى يعانيان منها، وإلا فإنها يمكن أن تؤدى إلى إصابتهما بالعُصاب. ويتميز العمل الأدبى أو الفنى بأن له واقعية ليست للحلم، وهو يُرضى صاحبه، ويرضى المجتمع. ويقول **فرويد** إن الحياة يحكمها مبدءان، هما **مبدأ الواقع ومبدأ اللذة**، فالطفل يولد ويسعى إلى اللذة، ولكنه يتعلم أن يضحّى قليلا ليكون واقعيا، ويتنازل عن اللذة فى سبيل قيم أخرى يفرضها عليه الواقع. وفى العمل الأدبى أو الفنى يتحقق للأديب أو الفنان اجتماع مبدأ اللذة ومبدأ الواقع والتوفيق بينهما، وهو فيما يكتب أو يصوّر يعيد تشكيل الواقع ويخلقه من جديد، ثم هو أثناء ذلك يجد السعادة الكبرى فى التجربة الجمالية التى يدخلها أثناء الصياغة السالفة. وتجربة الخَلْق والتجربة الجمالية كلاهما يشبع الرغبات المكبوتة للفنان والمتفرج معا.

* * *

وفرويد إذ يقول عن الأدب والفن قولته هذه السابقة، بأن يجعلهما أساساً نتاج **الرغبات المكبوتة من الطفولة** يبسّط الأمور أكثر مما ينبغى، ويظلم الأدب والفن، وينتقص كثيراً من التجربة الجمالية التى تعد من أكثر التجارب الإنسانية ثراءً وتعقيداً، إلا أن فرويد كانت تغلب عليه **النظرة العلمية**، فاستغلق عليه هذا الوجه من الأدب والفن الذى يمكن أن نقول إنه لايمكن أن يكشف نفسه إلا للأدباء والفنانين، وهو وجه يجعل للتجربة الفنية والأدبية طابعا خاصا يمكن أن نقول إنه **طابع صوفى**.

* * *

ولقد كانت عوامل الترقّى فى الحضارة تساعد على تثبيت هذه **النظرة العلمية** للأدب والفن، فبالإضافة إلى **نظرية التحليل النفسى**، كانت هناك **نظرية داروين** التى تقول بأن الإنسان أبعد مايكون عن أن يخلف الله فى الأرض، وأنه أقرب إلى القرود. وضاعف من هذا القول الذى قال به داروين أن فرويد ذهب إلى أن القوى اللاشعورية فى الإنسان تعمل عملها فى سلوكه وكأن الإنسان مقدور عليه أن يكون على نمط معين، أو أنه مُسيّر وليس مُخيّرا. وجاءت الحرب العالمية الأولى فقضت على البقية الباقية من الإيمان، وغلّبت العدمية فى الفكر، وسرعان ماقامت الحرب العالمية الثانية وتفنّن الناس فى أدوات الدمار، وتقدمت التكنولوجيا وفجّرت القنبلة الذرية، وشاع الاكتئاب، وانحسر الاستعمار، إلا أن انحساره أسلم الشعوب للدكتاتوريات، وظن الجميع أن الخلاص فى **العقل** وحده، وآمنوا بسلطة العلم، وظنوا أن بالإمكان قيام **يوتوبيا أرضية** يجتمع فيها **الكمال والجمال**، ومن ثم راجت **الفلسفة الوجودية** باعتبارها فلسفة العصر، وهى التى تزعم أن وجود الإنسان سابق على ماهيته، وأن هذه الماهية يحددها فعله، وهو إذ يفعل يختار فى حرية، وهو مسئول عن اختياره ويصنع لنفسه ماهيتها، ويعطى لوجوده المعنى أو القيمة التى هو عليها، غير أن هذه الأفكار كان لها من جانب آخر ردّ فعل معاكس، فلم يكن يبدو أن الإنسان حر فعلا، وظهر أن العقل قاصر على أن يهب الراحة والسلام النفسى للناس، وارتفعت الصيحات المستنكرة لما أسلَمنا إليه العقل والحرية والتكنولوجيا. وفى مجال الأدب والفن خرج علينا الأدباء والفنانون مرة أخرى يغلّبون إيروس على العقل، ويبشرون بأن الجنس فيه خلاص للإنسان من وحدته وبؤسه. وكتب **هنرى ميللر** روايته "**مدار السرطان**" وقد أسرف فيها فى المشاهد الجنسية والألفاظ الإباحية، ولم يكن المقصود بها أن تكون من الأدب الجنسى أو الفن الفاضح، ولكن ميللر أراد أن يزعج الناس، ويهز القرّاء، وينبّه إلى حالة الغُربة والضياع التى يعيشها الجميع فى ظل الحضارة الجديدة. ونفس الشئ توّخاه **نورمان ميللر** فى روايته "**العراة والموتى**"، وهو يتوسل باللغة البذيئة ليسلط الأضواء على فكرة الرواية، وهى أن الحرب تسلب الناس إنسانيتهم وتجعلهم يتصرفون كالحيوانات.

وكان **جان بول سارتر** هو الفيلسوف الذى طبع الوجودية بطابعه، وجعلها فلسفة الفنانين والأدباء بما كتب من مسرحيات وروايات، ولأول مرة يكون الفيلسوف أديبا ويستخدم المسرح والرواية ليذيع أفكاره، وكأنه يستخدمهما استخدام سقراط للأسواق،

مختلطاً بالناس ومناقشاً لهم، ومع ذلك فلقد كتب أن **الجحيم** هو الآخرون، بمعنى أن التواجد مع الآخرين هو أشد العذاب ينزل بالإنسان، وأن الإنسان ليكون أصيلا لابد أن يتوّحد أو أن ينأى بروحه عن الاجتماع، ومع ذلك فإن سارتر جعل **الجنس** فى روايته **دروب الحرية** مسلكاً للخلاص، والجنس يقتضى **الاتصال** بالآخرين، وهو اتصال يستغرق أصحابه، إلا أنهم من الممكن أن يظلوا على استقلالهم وبمنأى عن التردّى فى قيم الآخرين، وإلاّ يكونون غير أنفسهم.

***

وتغلب الموضوعات الجنسية على الأدب المعاصر، ويطبع الجنس أعمال **النحت واللوحات الفنية**، وماكان تطوراً فى الفن فى القرن التاسع عشر صار **ثورة فى القرن العشرين**، وأطلقوا عليها اسم **الثورة الجنسية**. وكان **بابلو بيكاسو** أعظم فنانى هذه المرحلة، وهو يرسم ويجرب ويعانى ويطور فنه ملخصاً كل مراحل تطور الفن الحديث، فهو يبدأ تقليدياً فيعكس رؤياه الشخصية فى لوحاته، ثم يتحول إلى الحياة نفسها فيصورها ويقتبس منها، حتى لتكاد تطفح بحبه للحياة وشهوته العارمة للوجود، وهو فى أشهر أعماله المعروفة باسم **Suite** يجعل الجنس محور إلهامه، ويتخذ من جسم المرأة فكرة تتكرر، ويتشبّه بميخائيل أنجلو فى "**خلق آدم**" فيصور نفسه كما لو كان إلها يطرح بفرشاته مخلوقاته على القماش، ويُكمل عملاً **لإنجريس** أطلق عليه **رفاييل يرسم فورنارينا**، فيكشف عن الفعل الجنسى بصراحة لم تحدث من قبل، فيجعل رفاييل يولج قضيبه فى فرج المرأة، وفى مقارنة رمزية رائعة بين الفرشاة والقضيب يربط بين فعل الخلق وفعل الجنس. **وبيكاسو فى لوحاته تعبيرى**، وسيظل **الفن الحديث** فى معظمه تعبيرياً، لأن الفنان الحديث يشعر بنفسه شعوراً قوياً، ويعى أنه يشارك فى الحضارة والحياة بفنه، وهو رسالته، ويأخذ من حياته الشخصية ومعتقداته معيناً لاينضب من الموضوعات يعبر بها عن نفسه. **والفن والجنس** كوجهى عملة، وقد يستخدم الفنان التعبيرى الفن كوسيلة إيضاح أو تنبيه لما فى الحياة من قبح وظلم وعبث. وكانت لوحات الفنان **جورج جروس**، وهو واحد من أكبر التعبيريين، كأنها كتابات لأديب مثل **هنرى ميللر**، وهى تطفح بالجنس حتى لتجعل المُشاهد يغشى غثيان القارئ لروايات ميللر. واستخدم **سلفادور دالى** الفن وسيلة تعبير **سريالية** ليدلل على العبث واللامعقول فى الحياة، عن طريق لوحات جنسية تقزز من الجنس، وكأنها منشور يقزز من الحياة.

ويبدو أن **الجنس** هو الموضوع الذى يطبع **الفن الحديث** بطابعه، وقيل تبريراً لذلك أن

الكبت الذى عانت منه الإنسانية، والذى تمثل فى المحظورات والمحرمات، كان لابد معه من ثورة عليه هى التى أطلقوا عليها أسم **الثورة الجنسية**، وكذلك أطلقوا على الفن الذى واكبها والذى عبّر عنها اسم **الفن الجنسى erotic art**، وتطرّق التصوير إلى كل النشاطات الجنسية فى المخادع وفى غيرها، وتناول الجماع واللواط والاستعراء والتطلّع الجنسى، واستخدم التحليل النفسى. ويبدو أن الفنانين فى العصر الحديث يعتنقون **نظريات التحليل النفسى**، حتى لتجئ أغلب اللوحات تعبيراً عن الاضطرابات النفسية التى تستحدثها الصراعات فى العالم المعاصر. ويصور **تومى أنجرير** النساء عاريات ويجعلهن كما لو كن يلتقطن قضبانا من علب سردين، أو كما لو كن يجمعنها كجمع الزهور من الحقول، ويضعنها فى أفواههن، أو يولجنها فى فروجهن، فى محاولة لبعض المقولات عند **فرويد**، مثل **حسد القضيب وقلق الخصاء**. ويبالغ الفنانون فى الأخذ بنظريات التحليل النفسى حتى لم يعد هناك من الجسم البشرى أو أسرار المخادع أو خفايا الجنس مايمكن عرضه، وصار كل شئ معروفاً وظاهراً، حتى لقد قيل إن الفن الحديث قد استهلك كل الموضوعات، ولم يعد هناك جديد يمكن أن يتناوله، ومن ثم فقد اتجه الفنانون وجهة أخرى وصفوها بأنها **نقيض الفن antiart**، بمعنى أن الفنان لكى يشد انتباه المتفرج إلى فنه كان عليه أن يأتى بما لم يأت به الأوائل، وهو أن يصدم المتفرج بدل أن يستحوذ على إعجابه. ومن الفنانين من يصوّر الإنسان فى حالاته التى يمكن أن تقرزز الناس، كأن يصوره فى **المرحاض**، وقد بالغ أحدهم فقام **بخصى** نفسه على الحقيقة على مراحل، وصوّر نفسه بكل دقة (الفنان **رودلف شفارزكوجل**، وقد عرض لوحاته فى معرض كاسل بألمانيا سنة ١٩٧٢). وقيل إن حالات الإغراب التى يلجأ إليها الفنانون جعلتهم يموتون مبكراً. ولقد بلغ الشذوذ بفنان مثل **موهل** حداً حتى أنه وضع غائطه فى علب، وغلّفها تغليفا أنيقا، وعرضها تحت عنوان "**خراء الفنان**". وصور **هيرمان نيتش** نفسه وقد غطّته الدماء وأحشاء الحيوانات، وجعل الفنان **أكونى** نفسه موضوعا للوحات وهو يستمنى، وغير هؤلاء كثيرون حتى لقد وصف أحد النقاد هذه الإغرابات فى الاتجاهات الفنية بأنه "**آخر إخراجات التعبيرية**"، مستخدما لفظة **إخراج** أى التغوّط كما فى عناوين التعبيريين **(Hughes: The Decline and Fall of The Avant Garde)**.

***

وعندما أكتُشفت السينما باعتبارها **الفن السابع**، توجه الفنانون والكتاب إلى العلاقات الجنسية يعرضونها على الشاشة بالصوت والصورة. ويلخص واحد من كبار نقاد السينما الرابطة بين **السينما والجنس**، فيقول إن جوهر السينما مثل جوهر الجِماع **هو الحركة**، وتقوم الكاميرا مقام اليد وتفعل فعلها فهى تربت وتتحسس (Knight & Alpert: The History of Sex in Cinema). وكان المخرج الروسى الأكبر **إيزنشتاين** يقارن بين **المونتاج** فى السينما **والنكاح**، ويجعلهما فى مرتبة واحدة، حيث المونتاج يؤلف بين المشاهد والأصوات ويزاوج بينها، وكأن المشهد يجتمع إلى المشهد اجتماع الذكر والأنثى، وكأنهما يتصلان ويرتبطان كتعشق الذكر والأنثى. ووجد النقاد أن الفن الجديد من أخطر مايكون على العائلات والأخلاق الاجتماعية، وفرضت الدول **الرقابة الفنية** على الموضوعات السينمائية. ولقد بدأت السينما بداية تستحق الرقابة، فقد جعل المخرجون الكاميرا وسيلة يسترقّون بها النظر والسمع معا إلى مايجرى فى المخادع وخلف الجدران والأبواب المغلقة، وكشفوا خفايا البيوت والأشخاص، وكانت الكاميرا كأنها الشخص النمّام، والناس بطبعهم يحبون النمّ، وليس أكثر من حب الاستطلاع عند الإنسان، وكانت الكاميرا هى الوسيلة التى تفوقت أيما تفوق من حيث إشباع حب الاستطلاع. والسينما بالإضافة إلى أنها فن فهى صناعة، ولابد أن يضع الفنان السينمائى عينه على الشباك ويرضى أذواق الناس ويشبع فضولهم. وشغلت السينما فى أول الأمر بدور **المرأة الثانية** التى تغرى الزوج الضعيف وتأخذه من أسرته وزوجته. وعالجت السينما فكرة **الإيروس** أى الحب أو الشهوة الجنسية باعتبار الإيروس هو الطاقة الشهوية المدمرة، وكان **اختيار الممثلين** بحسب **السمت الحسى**، ومايمكن أن يقدمه قوام الممثل من إيحاءات جنسية. وكانت **الموضوعات** ومازالت تدور حول الجنس، والعنف الجنسى، وتعاطى المخدرات، والانتحار بسبب الحب. وكانت أسطورة **ماى ويست** والألاعيب التى اشتُهرت بها، وجاءت بعدها ممثلات حاولن أن يلعبن أدوار **النساء الهستيريات** اللاتى يصدمهن الحب والفشل فيه، واللاتى قد يتحولن إلى البغاء ويضللن الطريق وتكون نهايتهن فى المواخير. وقد يتعرفن إلى رجال تكون نهايتهم على أيديهم كما فى فيلم **الملاك الأزرق**، وهى قصة غانية وأستاذ جامعى على نمط **تاييس وسالومى**، وقد يحاولن التوبة كما فى **غادة الكاميليا**. وربما تكون المرأة عنصر الإفساد والشر فى الحياة، فحيثما تكون تنفث سمومها الجنسية وتشد إليها الرجال، وهو مافعلته

فيفيان لى فى دور سكارليت أوهارا الشهير فى "ذهب مع الريح"، **وبيتى ديفيز** فى دورها المتميز فى "**عبودية البشر**". ويبدو الجنس مسيطراً سيطرة تامة على الأفلام فى كل بلاد العالم، شرقيّه وغربيّه، وإن اختلف التناول. وظهرت طفرة جنسية فى صناعة السينما بعد الحرب العالمية الثانية. ولعل **إنجر برجمان** هو أكثر المخرجين تعرضاً للجنس، وهو يعرى فى أفلامه العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة، وتناول فى قصته Through a Glass Darkly حياة امرأة متدينة لاتحب زوجها ولكنها تضطر إلى مضاجعته، وتتعلم أن تنعظ كلما استعانت بالله، ويرتبط عندها اسم الله سبحانه وتعالى بالإنعاظ، ويقول بيرجمان إنها ضلّت الطريق عندما غابت عن زوجها نفسياً، وعاشت تجربة التدين كأنها فى علاقة جنسية، وبذلك نسيت نفسها فى ذاتيتها، وأهملت أن تنخرط فى الحياة ومع الناس وتعيش الحب كالأسوياء. وفى فيلمه "**الصمت**" يعرض لنواحى الشذوذ الجنسى : **المشاعية الجنسية، واللزبيانية، والتطلّع الجنسى، واللواط**، باعتبارها منصرفات يلجأ إليها الإنسان عندما يضطرب تفكيره ويضل عن الله، وكأنه يريد أن يقول : **إذا مات الله فإن من الممكن أن نفعل أى شئ فاسد. وإن سقوط الله يعنى أساسا سقوط الإنسان.**

وتناول **مايكل أنجلو أنطونيونى وفيديريكو فيللينى** الإيطاليان الجنس من زاوية أخرى، وكان اهتمامهما متوجهاً لأخلاقيات **الطبقات العليا** فى الحب والجنس والشرف والوفاء وكل القيم المعروفة – ويكتب فيللينى عن فيلمه المشهور **الحياة الحلوة** La Dolce Vita، إنه : رحلة داخل اليأس والأسى، وتقرير عن الحياة فى سدوم وعامورة". ويلعب الممثل الكبير **مارسيلو ماستورويانى** دور البطل، وهو يتابع رحلته وكأنه فى أوديسة جديدة معاصرة، لمدة ثلاث ساعات، داخل جهنم من صنع الإنسان. ويستخدم فيللينى **الشذوذ الجنسى** ليصور الانحطاط الذى بلغه الناس فى زمنه، وينهى القصة بمشهد صاخب تمارس فيه **اللواطة**، ويحفل بالمتشبهين والمتشبهات، بينما امرأة قبيحة تخلع ملابسها وتتعرى كالمجانين. ويفعل **أنطونيونى** شيئاً كهذا فى فيلمه **انفجار**، من خلال حياة مصور يمارس الجنس ميكانيكيا ليغير من روتين حياته، ولكنه إذا أمسك الكاميرا فإنه يفعل بها وكأنه يجامع، ويقوم بتصوير فتاة عارية فيتحرك بعنف وسرعة، ويلقى عليها أوامره فى اقتضاب، ووتستثار الفتاة وتتحرك كما يطلب، وتحضرها شهوتها، فإذا قاربت من الإنعاظ توقف المصور وأسلم الكاميرا لمساعده فقد انتهت مهمته.

***

وفي مجال **فن الرقص** تحررت الحركة بحيث صارت أكثر تعبيراً عن الجنس، وتحرر الراقصون من الملابس، وصارت الأفلام والمسرحيات تختار الراقصات عاريات أو شبه عاريات. ولم يعد الباليه كما كان فى السابق تقليدياً، بل تناول موضوعات عصرية، ودخله اتجاه **الرقص الشعبى، والفالس، والروك أندرول**، وغير ذلك. ويبدو أن الرقص سيؤثر أكثر من ذلك على الفنون الدرامية بخاصة، وليس من السهل التنبؤ بما سيكون عليه فى المستقبل، إلا أن **الطابع الجنسى** يزيد فيه باستمرار.

***

وأما **الموسيقى** وصلتها بالجنس فذلك شئ يعود إلى ماقبل التاريخ، ولازالت هناك نقوش **سومرية وبابلية ومصرية** تصور الراقصات ومن يعزفن، وكانت طقوس الإخصاب تمارس بمصاحبة الموسيقى. وقيل إن الأصل فى **الطبلة** أنها تشبه **الفرج**، وأن الضرب عليها بعصا أو ما يشبهها، كأنما العصا رمز **الفالوس أو القضيب**. والرقص البدائى كله جنسى، والموسيقى المصاحبة ليست إلاّ لإذكاء الشهوة وتمثيل العملية الجنسية. وأُدخل **الصوت البشرى** فى الموسيقى فى العصور الوسطى، تقليداً لأغانى **التروبادور** التى تحكى عن الغرام والعشق والحب. ولم تؤلَّف الموسيقى خالصة للآلات **إلا** فى القرن **الخامس عشر**، وبلغت أوجهها فى القرنين السادس عشر والسابع عشر على يد **باخ وفيفالدى وهاندل**. وفى القرن الثامن عشر اشتهرت **الأوبرا**، وكتب **موزار "دون جيوفانى"** يخلّد بها العاشق زير النساء **الدون جوان** وليجعل من الجنس دراما. وحتى **بيتهوفن** فإنه برغم عزوبيته إلا أنه تأثر بالرومانسية وكانت له غرامياته. وبدا أن كل الرومانسيين يعيشون **قصص حب متوترة**، ويعتبر **ريتشارد فاجنر** صاحب مدرسة فى الموسيقى الجنسية، وكانت أوبراه **ترستان وإيزولد** ملحمة فى العشق، تأثر فيها بحبه الفاشل **لماتيلده ويزندونك**، زوجة صديقه وراعيه مادياً. وتأثر به **ديبوسى** فكتب موسيقى وصفية لمشاهد أطلقوا عليها اسم **الموسيقى التعبيرية**، وتناول فيها الحب بين العشاق.

وكان الموسيقار **ماهلر** أول من تأثر **بالتحليل النفسى**، وحاول أن يغوص بموسيقاه فى مكنونات النفس واللاشعور. وحاول **سترافنسكى** أن يكون تعبيرياً، وأن يعود بالإنسان إلى الفطرة. وهو فى **"طقوس الربيع"** يعقد البطولة للآلات الإيقاعية، ويستخدم الطبول استخداماً بدائيا ليخلق جواً حسياً.

وجاء عصر **الإلكترونيات** فكان هذا السيل المنهمر من الموسيقى والأغانى الريفية والإيقاعية المثيرة للجنس. وترجع **موسيقى الجاز**، ولو أنها أمريكية، إلى أصول إفريقية. واسم **الجاز** نفسة مأخوذ من اسم **الجاس jass** وهو اسم كنغولى جنسى، يطلقونة على هذا الضرب من الرقص الجنسى المثير الذى يشمل الجسم كله، وخاصة التعبيرات الجنسية الصريحة والتى تشبة حركات الجماع. ومن موسيقى الجاز اشتُقت **موسيقى الروك**، وترجع شهرتها الى الفرقة الإيقاعية المشهورة باسم بيتلز **Beatles**، وما كانوا يقولونه من كلمات وأغان، والرقص المصاحب، والإضاءة، ودخان المخدرات، والملابس التى يلبسونها، والشعر الذى كان ينسدل على الأكتاف كالبنات، كل ذلك كان لة تأثيره على الشباب، وقارب بين الجنسين، وجعل من الصعب التمييز بين الإناث والذكور، وساعد على تنمية الاتجاهات الجنسية، وتأكيد الانحراف الجنسى. ومازال هذا النمط الموسيقى سائداً حتى اليوم. والمؤلفون الموسيقيون الذين يكتبونه، والمغنون الذين يؤدونه، يدين لهم الشباب بطريقة تسريح الشعر وارتداء الملابس التى تجعل البنات كالأولاد والأولاد كالبنات. وتتجه الموسيقى أكثر إلى إبراز **العنف**، والتنفيس عن **الميول السادية الماسوشية**. والطابع العام الذى يغلّف الأغانى هو **الطابع الشهوانى اللاعقلانى**. ولعل الجاذبية التى فى هؤلاء المغنين، والتى جعلت منهم أصناماً جديدة تُعَبد ليست فيها خصائص الذكور ولا سمات الأنوثة، هى التى تهدد أجيال الشباب بالخنوثة، وتدفعهم إلى سلوك ليس فيه تعيّن بأىٍّ من الجنسين، سواء فى الملابس أو فى التعبير، أو الملامح، أو التصرفات الجنسية والمنصرفات الشهوية.

***

ولم تكن بلادنا **العربية** استثناءً من كل هذه التطورات السابقة، ولانعرف شاعراً عربيا إلا وقد كتب فى **الغزل** قديما، وكان **الغزل والتشبيب** بالنساء مجالاً مشتركاً فى كل قصيدة حتى وإن كانت فى الهجاء أو الرثاء. وفى الأدب العربى ملحمة كبرى فى الجنس هى **ألف ليلة وليلة**. وهناك من الكتب ماتخصص فى أغانى الجنس وأشعاره، مثل **الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى**، ومن الكُتّاب من لا عمل له إلا الكتابة عن الجنس، **كالجاحظ** حين يكتب عن النساء والقيان والجوارى والغلمان. وبعض هذه الكتب قد تفرّغ للمُلَح الجنسية **كالزهرة لابن داود والموَشّى لابن إسحق الوشّاء واعتلال القلوب فى أخبار العشاق لابن الخرائطى، وطوق الحمامة لابن حزم، ومصارع العشاق لجعفر السرّاج، والعقد الفريد لابن**

عبد ربه، وعيون الأخبار لابن قتيبة، ومطالع البدور فى منازل السرور .... وغيرها الكثير من كتب التراث. وحتى ماعُرف فى الأدب العربى باسم **الحب الصوفى**، كان اتجاهاً من الصوفية إلى شحن مفهوم الألوهية جنسياً، وإلى توجيه الطاقة الجنسية ناحية التعبد، وقد جاءت مصطلحات الصوفية لهذا السبب ذات **طابع شبقى**.

***

ورغم أن **الرواية العربية والمسرحية** حديثتان، إلا أن الجنس منذ البداية كان المحور الذى تدوران عليه، وهكذا كانت **زينب للدكتور هيكل، ودعاء الكروان لطه حسين**. ولم تكن **الأيام** لطه حسين، وهى سيرة ذاتية، بمنأى عن الجنس، فلقد انتهى أمر الفتى بطل الأيام إلى حب ارتفع به إلى مكانة اجتماعية عالية. ولربما كان هذا الاتجاه المتسامى هو بعض ما اتجه إليه كاتب رومانسى مثل **محمد عبد الحليم عبد الله**. غير أن **الواقعية** سادت أخيرا فى الرواية العربية، واتخذت أحيانا شكلاً وجودياً كما عند **غادة السمان**، وشكلاً إباحيا كما عند **إحسان عبد القدوس**. وتميزت الاتجاهات الجديدة فى الرواية والمسرح والشعر بتحرر فى مناقشة الجنس، ولعل الشعر يكثّف التجربة الجنسية، بينما الرواية تسهب فى طرحها. وهناك من الشعراء من ألّف دواوين بأكملها فى النساء والجنس مثل **نزار قبانى**. وأيضا هناك من الروائيين من يتجه بكامله إلى الجنس مثل **إحسان عبد القدوس**. وعلى أى الأوضاع فإن بعض هذه الاتجاهات مأخوذ عن الغرب، والبعض أصيل فينا. ولعل البلاد العربية أقرب البلاد لأوروبا وأكثرها تأثراً بها. والأدب والفن الحديثان بهما هذا القاسم المشترك : أنهما يمجدان **اللاعقل والعبث**، وهما الشيئان اللذان يتسم بهما عالم اليوم، حيث لم تعد له توجهات حقيقية، وهو عالم يصفه عالم النفس الوجودى **لانج** بحق بأنه **بيمارستان**، الناس فيه تحاول أن تتوافق ولكن مايفعلونه ويقولونه ليس من شأن العقلاء. ومما لاشك فيه أن بلادنا العربية تمر بمراحل من التغيير تتتابع بسرعة، بحيث نستطيع أن نقول أن القاعدة صارت أننا نعانى من **اللاتوافق** أكثر من التوافق، **واللامعقول** هو السائد الآن فى السياسة والأخلاق والأدب والفن. وكثيراً مايشق على العارف أن يجزم ماإذا كان ما يراه أو يسمعه معقولاً أو لامعقولاً. وكثيراً ماتأتى كتابات الكبار من الكُتّاب، والإسهامات الفنية لكبار الفنانين، بحيث يستحيل أن نميز بين مايصدر عن عقل ومايفرزه اللاعقل والجنون. وحتى فى الأزمان التى كانت الأحوال فيها مستقرة، ولم يكن العالم يعانى من هذه الاضطرابات والتقلبات، كان الكثيرون من الأدباء والشعراء يكتبون أشياء يمكن أن تدرج ضمن التاليفات التى لايمكن أن يأتيها العقلاء.

ويستعين **الطب النفسي** بالفن والكتابة كوسيلتين للعلاج، وقد يحدث كثيراً أن يكون بعض مايؤديه المجانين منها جيداً ويخاطب المتفرج والقارئ ويشده إليه. **والغالبية من هذه الأعمال جنسي**. ومع تقدم العلاج يقل إنتاج هؤلاء المرضى ويهبط فى الجودة، وربما كان ذلك دليلاً على أن **الإبداعية** تتناسب عكسيا مع القمع والكبت، ومن ثم كان قول البعض إن **الجنون فنون**، أى أنه ربما كان أولى بالفنان أن يقرب من منطقة الجنون على أن يكون داخل منطقة العقل الخالص، ولعله لهذا السبب يشكو مشاهير الفنانين والأدباء من اضطرابات نفسية، وبعضهم شكواه خطيرة، وبعضهم يعانى من **اللواطة**. وتعبر **سيمون دى بوفوار** عن حيرتها عندما تجد أن مشاهير الأديبات والفنانات تمارسن **المشاهية الجنسية**، ولاتدرى سيمون دى بوفوار العلاقة بين البغاء والاشتغال بالفنون. ولقد كان **ليوناردو دافنشى** مأبوناً، وكذلك **مايكل أنجلو، ورفاييل، وبليك، ووايلد، وتشايكوفسكى، وجيد، وچينيه، وكوكتو**.

وقيل إن الفن والأدب من المجالات **الإبداعية الذكورية** التى ترتبط بأسماء ذكور، أى أنها نشاطات ذكورية، غير أن الفن والأدب أقرب إلى طبيعة الإناث، مثلهما مثل الطهى والحياكة، والذكور عندما يكونون فنانين وأدباء وخياطين وطهاة فإنما لأن بهم هذه الاتجاهات الأنثوية. وكان أشهر الطهاة والخياطين والأدباء والفنانين ذكوراً. وربما كان السبب أن المرأة عانت طويلا فى عهود الاضطهاد، وأنها لم تكن تُعطَى القسط الواجب من التعليم، وعندما تعلمت المرأة كانت **سافو، ومارى دى فرانس، وچورج صاند، وچين أوستن، والأخوات برونتى، وفرچينيا وولف، وسيمون دى بوفوار، وسهير القلماوى، وبنت الشاطئ**، وكانت شهيرات النساء فى مجال التمثيل والرقص والغناء **كسارة برنار، ومای ويست، وفاطمة رشدى، وأم كلثوم**.

ولعل القول بأن الفنون أنثوية، أو أقرب إلى طبيعة الإناث، يفسر لنا السبب فى الاتجاهات الجنسية الشاذة التى عليها الفنانون والأدباء والكبار. وحتى فى مجال **الطهى والحياكة**، فحيثما اشتهر خياط أو طاه فإنه غالبا يكون **مأبونا أومتشبها بالنساء**. والمجتمعات، حتى الشيوعية التى لاتفرق بين المرأة والرجل، ماتزال النساء فيها دون أن ينلن الفرصة كاملة لأن يمارسن كل طاقاتهن الإبداعية بنفس الدرجة التى عليها الفرص المتاحة للرجال.

***

والعلاقة بين الفنان والمجتمع علاقة شديدة التعقيد بحيث يصعب رصدها بدقة، غير أنه كانت هناك دائما تغييرات فى نوعية الارتباطات بينهما، وفى كل الأحوال فإن عبقرية الفنان وإبداعيته لاينسجم معهما أن يأخذ الفنان بالقيم السائدة وأن يلغى تفكيره وأصالته، وهو مايطلق عليه **سارتر** اسم السقوط. **والسقوط la chute** عند سارتر هو أن يكون للشخص قيم لم يصنعها لنفسه، والفنان دائما صانع للقيم، والمرأة غالبا تفرغها للإنجاب. ومن ثم فالمرأة يهمها أن يكون لابنها والد ينفق عليه، وكما يقول **برناردشو** فإن المرأة لذلك تسعى للزواج، وتجهد أن تجعل الرجل كاسباً للمال، وذلك يجعله بدوره يعيش فى توافق مع مجتمعه، ويأخذ بالقيم السائدة، وأغلب الرجال كذلك. والقلة وهم الفنانون والأدباء والعلماء والفلاسفة لهم طبيعة إبداعية، ودائما يصنعون القيم ويغيرون فيها، وهم لهذا السبب كثيرا مايتصادمون مع مجتمعاتهم ولايتوافقون معها، ولاترضى بهم النساء أزواجاً لهذا السبب.

والفنان من أكثر الناس إحساساً بأنه مغاير، وأنه بخلاف الناس. والمرأة يناقض طبيعتها أن تشعر هذا الشعور، وربما لذلك السبب كانت النساء الفنانات والأديبات، صاحبات أمزجة فنية هادئة، على عكس الكثير من الفنانين والأدباء من الرجال. وربما لذلك السبب أيضا كان **أصحاب المذاهب الكبرى** فى الفن والأدب من الرجال دون النساء، وهؤلاء يتسمون بأمزجة فنية عنيفة، وطاقاتهم الجنسية كبيرة، وظمأهم إلى الحب شديد، وانحرافاتهم الشهوية حادة. **واللاتوافق** الذى يعيشه الفنان أو الأديب فى مجتمعه هو مانسميه حاليا **الاغتراب alienation**. ومقولة الاغتراب من المقولات الحديثة، قال بها **هيجل**، ولكنها قديمة من حيث الطرح الفنى أو الأدبى.

***

وفى مسرحية **فيلوكتيتس** (٤٠٩ ق.م) يناقش **سوفوكليز** مشكلة الفنان وهو هنا **فيلوكتيتس** الذى يَفْضُل كل الرماة، حتى قيل إن قوسه قد صنعته الآلهة خصيصا له وباركته. وفى حرب طروادة يتقدم فيلوكتيتس ليصلى فتلدغه حية فى ساقه، ويتألم ويمرض ويضطر رفاقه إلى تركه على جزيرة ليمنوس ليعانى سكرات الموت، ولكنه يعيش. ولايستطيع جيشه أن يحقق النصر وقيل أن قوس فيلوكتيتس هو الذى يمكن أن يحرز لهم ما شق عليهم، فيعهدون إلى ابن **أخيل** أن يسرق القوس، ولكنه يرفض هذا العمل الخسيس، ويقنع فيلوكتيتس بالعودة معه لأن قومه يحبونه، ويوافق فيلوكتيتس لأنه يحبهم. والحب يبعث فيه الهمّة وينتصر على جرحه ويقوم بواجبه وينتصر الإغريق.

وقوس فيلوكتيتس وجرحه هما رمزان **لموهبة الفنان** التى يخصه بها الله، ولألمه الذى يعانيه، والذى تتحصل له به **معرفة** ينفرد بها دون الناس. ولاتتأتى القدرة على الاستبصار إلا مع المعاناة التى لايحتملها إلا أصحاب النفوس الكبيرة. والفنان ضحية الجروح التى يصاب بها فى حياته، وهى جروح داخلية وجروح خارجية مصدرها عدم فهم المجتمع له وإنكارهم لما يقول أو يفعل. ومع ذلك فالناس دائما فى حاجة إليه، لأنه مامن سبيل لأن يستغنى الناس عن الفن من الفنانين الكبار، وهم المحبون لأقوامهم. وبالفن والحب الذى يكاد يكون إيماناً، تحطم الشعوب أغلالها الأرضية، وترفع عنها معوقاتها، وتندفع بالتسامى إلى الرقى، ولهذا كان فيلوكتيتس يتعذب. وكل فنان أصيل هو فيلوكتيتس المحب لشعبه، وهو دائما يعيش حاملا صليبه، يعانى لأن به طاقة غريبة وهائلة من الحب المبدع العبقرى، الذى لايمكن أن يحيط به ويدرك أبعاده إلا الفنانون من جنسه، فالفنان لايفهمه إلا الفنان، والطاقة الكبيرة من الحب عند الفنان عبء لايقوى عليه إلا هو، والفن هو الشكل الذى محتواه هو هذا الحب العظيم. والحب يطلب الخلود بالجنس، وكذلك الفن يسعى إلى الخلود بالإبداع. ولقد صدق **شكسبير** وهو يقول لصديقه الذى أهداه شعره، أن الزمن الظالم، والموت الذى لامنجاة منه، لن يتمكنا منه، ولن ينتصرا عليه، لأنه سيعيش برغمهما فى قلوب الناس من خلال ماكتب ....

والجنس والفن كلاهما يتيح للإنسان لمحة من الخلود على الأرض. والكثير من الفنانين يكتب أو يؤدى وهو يعى ذلك. والفن عندهم **عبادة**، سواء كانت روحية أو حسّية. وكان **هنرى ماتيس**، الفنان الفرنسى، يقول إنه يرسم بإحساس دينى(C'est toujours un sentiment religieux qui m'a poussé vers l'art)، بينما ذهب **أرثر روبنشتاين**، عازف البيان الأشهر، إلى تشبيه التجربة الفنية بالتجربة الجنسية، وهو يقول إنه عندما يحرك أصابعه على البيان فكأنه يجامع ويشعر بلذة كلذة الجماع أو أروع. ويروى عن الفنان **رينوار** أنه القائل إنى أرسم بقضيبى Je peins avec ma queue، ويقصد بذلك إنه يحس بما يفعل إحساسا عميقا طاغياً شاملاً من أعماقه، وكأنما لايستخدم فيه مجرد أصابع أو يد، ولكنه يستخدم أقصى مايمكن أن يعطيه أروع المشاعر وهو القضيب.

***

إن **الفن** تواصلٌ بين الفنان والناس، يخاطبهم به وينقل إليهم من خلاله رؤياه ومشاعره العميقة، وكذلك **الجنس** تواصلٌ يقول به المحب لمحبوبه مالايستطيعه لسانه، ومالا تفصح عنه عيناه. والجنس وسيلة يكسر بها الإنسان وحدته، وبالجماع تكون الجَماعة، أى التكاثر والاستمرار.

ويخدم الفن الجنس، لأن الإنسان لكى يحوز القبول ويصبح محبوبا كان عليه أن يتجمّل، والرغبة فى التجمّل مصدرها الرغبات الجنسية، والطيور والحيوانات كلها تتجمل فتكون مقبولة جنسيا، وتزداد بهاء فى موسم التزاوج. واستخدم الناس ريش الطيور وفرا الحيوان للتجمل للإناث، واستعملوا الألوان والرسوم كما عند الطيور. وليس فن **بيوت الأزياء** إلا محاولة لبلوغ نفس الغاية. وليس **الشدو** بلواعج الحب إلا كصدح الطيور وهى تدعو الإناث للتزاوج. وليست **هندسة بناء الأعشاش وزخرفتها** عند بعض الطيور لجذب الإناث إليها إلا بعض ماعند الإنسان من روائع **العمارة**، مدفوعاً بغريزة التزاوج وتكوين الأسرة. وتحفل الآثار القديمة والكهوف التى كان يعيش فيها الإنسان من قديم الأزمان بالزخارف والرسوم، تحكى عن الحاجة الأصيلة فيه إلى التجمّل والتزيّن، وكلها أسلاف للفن المعاصر الذى له نفس الدوافع.

***

وينهض **علم الجمال** على عنصر إرضاء المُشاهد لما يشاهد، وليس مفهوم الجمال نفسه إلا أنه اجتماع العناصر التى بها يَرضَى المُشاهد عما يشاهد، والرضا مسألة ذاتية، ولعل ذلك يفسر أسباب التغير يطرأ على الشئ الجميل فى اعتبار الناس. والإنسان بما هو كذلك يريد أن يكسر روتينية الحياة وينسى الكَبَد الذى هو فيه، فيخلق أشكالاً يهرب إليها بخياله الإبداعى ويحبها. **والفن** هو أرقى أشكال **اللعب الإيهامى**. والإنسان بالفن ومن خلال تجربته الجمالية التى تنقله إلى عالم آخر بخلاف الواقع، يسعد أيما سعادة. وهو بالهروب من الواقع إلى الفن يزيل عن نفسه ما ران من أدران الواقع، ويطهّر الحياة من كل قبيح ورذيل. والفن شكل من الترويح، ونشاط ممتع يحمى الإنسان من أن يسقط إعياء ويأساً، ويجدد قواه، ويعده لكى يواصل العيش والكفاح.

والجنس له نفس التأثير، ويشبع نفس الحاجات. وفى هذا الإطار العام فإن الفن يخدم الكثير من الوظائف النفسية التى تترابط دينامياتها وشخصية الفنان وبيئته. وتجهد كل

حضـارة أن تسيطر على الجنس والتعبير عنه وتحد من غلواء **الحرية الجنسية** بضبط السلوك الجنسي. والضبط أو القمع أو الكبت الجنسي تمارسه كل الثقافات، وهو يفيد الفن لأنه يوفر الطاقة الشهوية لمنصرف الإبداع الفني بدلاً من صرفها في مجال الجنس. **والإبداع الفني** منه الاختراعات والقوانين. ويذهب **فرويد** إلى أن الحضارة منحة ضبط الجنس، فلولا الحرمان الجنسي ماكانت محاولة الترقّي. ومعنى ذلك أن هناك علاقة بين **الحرية الجنسية ونتاج الإبداع**، فكلما كان المجتمع أو الثقافة أو الحضارة متسامحا جنسيا كان ترقّيه أبطأ وتخلّفه أوقع. وكانت هناك بحوث حول العصور التي اتسمت بالإباحية الجنسية، ومدى ما حققته من تقدم، وتبين أن **الكبت الجنسي الشديد** كما في الأزمان الأولى التي شاهدت قيام ديانة كاليهودية أو المسيحية، دمغها بالتدهور الفنّي والانحطاط الإبداعي، في حين أن بعض **التسامح** كانت له نتائجه الفنية الباهرة، كما في العصور الذهبية عند المصريين واليونان، وفي عصر النهضة الأوروبية، بينما قوّضت الإباحية الجنسية الحضارات البابلية والرومانية، وانتهت الدولة الأموية والعباسية بسبب الحرية الجنسية والاستغراق في الإشباع الجنسي.

ويبدو أن الفن يدفع إليه **التوتر**، وهو مناخ موات لايتوفر في الثقافة الخالية من القيود والضوابط الجنسية، ولكن المجتمع الذي يمارس الكبت له أيضا التأثير الهابط على الفن.

* * *

ولقد قال **فرويد** بنظرية سيكولوجية تفترض أن الدافع الفني هو وظيفة الغرائز الجنسية المكبوتة، وعنده أن الفن نتاج للميكانيزمات الدفاعية النفسية كالتسامي والاستبدال والكبت وتكوين رد الفعل، وهو قول يصدق على كثير من الحالات، غير أن هناك من الشواهد ما ينفي ذلك عن حالات أخرى كحالة **بيكاسو**، وكانت له مغامرات غرامية عديدة، وكان فناناً مجيداً في نفس الوقت، وغرامياته تدحض القول أن الفن دائما يدفع إليه **الكبت الجنسي الشديد**، ولم يمارس بيكاسو الكبت لنقول إنه بسبب هذا الكبت أجاد، ومع ذلك فإن الكثير من الحالات المجيدة كانت بدافع من الكبت، فلجأ الفنان إلى إبداع صور حسيّة ترضي نزعاته الجنسية، وتشبع نزعات المتفرج أيضا. **والتنفيس بالفن** كان وسيلة الكثير من الشعراء والأدباء والمصورين الذين عالجوا الموضوعات الجنسية بطرق مختلفة. وساعد الطرح الأدبي أو الفني للتجارب الجنسية الواقعية أو المتخيلة على التخفيف عن الكثير من

الفنانين والأدباء والمتفرجين والقرّاء من صراعاتهم ورغباتهم الجنسية، والتعبير عما يعتلج بهم من عواطف محتدمة، لو تركت دون التعبير عنها لكان دمارهم فى كبتها أو قمعها. واستخدم الفنانون فى كافة المجالات **التخيل الشبقى** للتعبير عن رؤياهم للواقع وفضح هذا الواقع ونقده. واستخدموا الجنس بهدفين: **الأول** : إخفاء حقيقة مايقصدون إليه والتمويه على السلطة، **والثانى** : استرضاء المتفرج أو السامع أو القارئ لشد انتباهه إلى مايشاهد أو يسمع أو يقرأ. وتحتوى خزائن **الفاتيكان** على الكثير من الأعمال الفنية الجنسية لمشاهير الفنانين، اقتضت الحكمة عدم عرضها والحفاظ عليها بعيداً عن أعين الجمهور، لما تحتويه من إثارة، بالنظر إلى موضوعاتها الجنسية المشحونة شحنا عاليا بالجنس. والكثير من الفنانين صوّر المرأة وخاصة عوْرتها، ورسم الجماع بمختلف أشكاله، فى لوحات أو اسكتشات تمتلأ بها أقبية أغلب المتاحف الفنية فى العالم. ولم يكن لذلك مستغربا أن تفرض الحكومات الرقابة على بعض الكتابات والأعمال الفنية بدعوى أنها من **الفن الفاضح أو الأدب الإباحى**، غير أننا لانعرف المعايير التى يمكن بها تمييز هذا الأدب أو ذاك الفن الذى يمكن أن يوصف بالإباحية، فالمجتمعات تتغاير فى قيمها بحسب ثقافاتها وتطورها المتسم بالسرعة والتلاحق، وبحسب ماتعيه من معايير الفن.

ولقد بدأ **فرويد** اتجاها جديدا فى النقد **بتحليل العمل الفنى** تحليلا نفسيا. وكان فرويد رائدا فى تطبيق نظرية التحليل النفسى على الأعمال الفنية، إلا أن ماكتبه فرويد محدود ويعتمد على الظن وليس اليقين، وزاوية رؤياه ضيقة. ولو تناولنا مثلا رائعة شكسبير "**هاملت**" بحسب ماقاله فرويد فى التثبّت الأوديبى، فإن المسرحية تعتبر نموذجاً فريداً فيما يمكن أن تصنعه **عقدة أوديب** بالمريض بها، إلا أن التعامل مع المسرحية على هذا الأساس يقلل من قيمتها الأدبية ويخفى المعانى الوجودية التى تنبّه إليها.

ومما لاشك فيه أن فحص حياة الفنان يمكن أن يلقى أضواء كاشفة على أعماله الفنية، غير أن كل عمل فنى له كيانه وحياته الخاصة ويتحدث عن نفسه. ونحن لانعرف مَنْ كتب **ألف ليلة وليلة**، ولكننا نقرأها بشغف. وكذلك **الأوديسه**، ستظل تحفة أدبية دون أن نلم بحياة كاتبيها، وذلك لأنه فى الفن والأدب يمكن أن نقدر العمل دون أن نحيط علما بحياة كاتبه أو الفنان الذى توفر عليه. وقد يهمنا أن نقرأ عن **الحياة الجنسية** للفنان الذى صوّر **الموناليزا**، وقد تنفرنا حياته من العمل الفنى، ولكن **الموناليزا** ستظل لها قيمتها الفنية المنفصلة برغم

ذلك. ولربما لو سمحنا بكل اللوحات والأفلام والروايات الجنسية، لَتذوقها البعض كما يتذوقون كل عمل فنى أو أدبى، ولاَنصرف عنها البعض الآخر مثلما يفعلون بعد أن يشاهدوا المعارض الفنية ويشبعوا فى أنفسهم حب الاستطلاع. وربما لو سمحنا بنشر وترجمة **عشيق اللادى شاترلى** لأقبل عليها البعض كتحفة فنية توّخى الكاتب فيها التصدى لناحية من النواحى الخطيرة والمؤثرة فى حياة الإنسان وهى **الجنس**، وطرحها طرحا درامياً عاليا، بينما قد يتعامل معها آخرون باعتبار الصفحات الجنسية لا غير، ومافيها من وصف للانفعالات الجنسية، دون النظر إلى العمل الفنى ككل. وربما كانت الحكومات حريصة على حظر أمثال **عشيق اللادى شاترلى**، لما قد يراه فيها بعض الناس من أصحاب الثقافة المحدودة والذوق الهابط والتوجهات الجنسية المريضة.

* * *

الفصـــل الرابـــع

فى معانى الأنوثة والذكورة Femininity & Masculinity

يُرمز للأنثى بدائرة تحتها صليب ♀ بينما يرمز للذكر بدائرة أعلاها سهم مائل ♂، وتقوم الأنوثة أو الذكورة فى الإنسان بصفاتهما الثانوية، ومايصدر عن الشخص من سلوك وتصرفات يخصصها المجتمع لجنس الذكور أو لجنس الإناث. وهناك اختبارات يطلق عليها اسم **اختبارات الذكورة والأنوثة**، تقوم على مبدأ المقارنة بين الرجال والنساء بالنسبة لما يأتيه كل جنس منهما من استجابات ثبت أنها أكثر مايأتيها كل منهما، ويمكن من ثم أن تمثله. ومن هذه الاختبارات **اختبار تحليل الاتجاهات لتيرمان ومايلز**، ويطلق عليه عادة اسم **اختبار الذكورة والأنوثة** (١٩٣٨). ومن بعده صممت اختبارات ومقاييس أخرى أقل من حيث ماتستقصيه من تفاصيل، ومنها **اختبار سترونج للميول المهنية، واختبار الشخصية المتعدد الأوجه، واستقصاء المزاج لجيلفورد وزيمرمان**.

والذكورة والأنوثة عند **فرويد** لهما معان كثيرة، وهو يتناولهما تحليليا فيقول إن الذكورة إيجاب والأنوثة سلب، بمعنى أن الذكر نشيط وفعّال، وهو يُملِى ولايُملَى عليه، بينما الأنثى مستكينة وخانعة وخاضعة وتُؤمر ولاتأمر. ويصدق ذلك من **الناحية البيولوجية** حيث يكون الحيوان المنوى فاعلا يسعى إلى البويضة فى الأنثى، ويسابق الحيوانات المنوية الأخرى إليها، وهو الذى يخترقها ويخصّبها، بينما البويضة سلبية تستقر فى مكانها من الرحم، منتظرة للحيوان المنوى الفائز، وليس لها من عمل سوى هذا الانتظار. والأنوثة والذكورة **اجتماعيا** تكونان بالذكر والأنثى على السواء، إلا أن الذكورة تغلب فى الذكر، بينما تغلب الأنوثة فى الأنثى، ومعنى ذلك أن الذكر يتوجه فى سلوكه الاجتماعى توجهات إيجابية، بينما تتوجه الأنثى توجهات سلبية، فإذا رأينا امرأة لها نشاطها الموجب، فإننا إذ نشير إلى هذا النشاط إنما ننبه إلى الجانب الذكورى فيها. وإذا قلنا إن رجلا ما سلبى فإننا نعنى أن هذا الجانب فيه أنثوى.

وتقوم نظرية فرويد على مايسميه **الجنسية المزدوجة bisexuality**، وهو المعنى السابق الذى به تُنسب الذكورة والأنوثة إلى كل من الذكر والأنثى، وإن غلبت الذكورة على الأنوثة فى الذكر، أو غلبت الأنوثة على الذكورة فى الأنثى. إلا أن فرويد يصنف أى نشاط يقوم به الذكور والإناث باعتبار الذكورة والأنوثة أيضا، فالنشاط الذى فيه فاعلية وإيجاب

هو نشاط ذكورى، والذى فيه سلبية هو نشاط أنثوى. وينسب فرويد إلى الليبيدو ذكورة، برغم أنه طاقة هى **شهوة الحياة** تكون بالكائنات، إلا أنه فاعل وإيجابى ومن ثم فهو ذكر لهذا السبب. وإذا كان بالمرأة نشاط ما فإننا نقول إنه نشاط يصدر عن الجانب الذكورى فيها. وأما معاناتها واحتمالها ورضوخها فكل ذلك يمكن أن يكون منها نتيجة الأنثوية التى هى عليها. غير أن نقاد نظرية فرويد يتساءلون عن الكيفية التى يكون عليها سلوك الأم التى تُعنَى بطفلها، فهل هذا منها **سلوك ذكورى** طالما أنه إيجابى ويشبع فيها حاجات إيجابية؟ وهل المرأة التى تأخذ بزمام المبادرة مع الرجل، وتعبر له عن حبها، وتسلك معه بحيث تؤكد هذا الحب – هل ذلك منها سلوك ذكورى؟

ولايعرف الطفل ولا الطفلة معنى أنه ذكر أو أنها أنثى، إلا عندما يكتشف الولد أنه يتمايز عن الأنثى **بالقضيب**، وتعى الأنثى أنها تختلف عن الذكر **تشريحياً**، وأنه ينقصها ماعنده، وتحسده على قضيبه. **وحسد القضيب** هو الذى يدفع إلى الكثير من سلوكها فى تعاملها مع الجنس الآخر، وهو الذى قد يجعلها تتصرف بحيث تؤكد أنه لافرق بينها وبين الذكور، إن لم تكن تتفوق عليهم. ويطلق علماء النفس على هذا السلوك عند الإناث اسم **الاحتجاج الذكورى**، وهو الذى يفسر السلوك الذكورى الذى قد تأتيه بعض الإناث عندما ينافسن الذكور فى مجالات الحياة المختلفة ونشاطاتها. ويبدو أن الاختلاف بين الذكر والأنثى له أساسه **البيولوجى** الذى تترتب عليه مباينات نفسية واجتماعية، فابتداءً ينفرق الجنين وهو يتخلق وينمو إلى ذكر وأنثى بحسب غلبة **الهرمون الجنسى** الذى يطبع التكوين الذهنى بطابع الذكورة أو الأنوثة، فإذا غلب **الإستروجين** تخلّق الجنين أنثى، وإذا سيطر **الأندروجين** كان ذكراً، وبحسب كمية أى منهما تأتى **الصفات الثانوية** للذكورة أو الأنوثة. فإذا كان الميلاد صار أمر الوليد إلى عوامل اجتماعية وبيئية وثقافية توجه الذكورة أو الأنوثة التوجيه المتعارف عليه، والذى تكون له ضغوط لها مردودها النفسى وتأثيراتها على الجهاز العصبى، بحيث يسلك الشخص السلوك الذى للإناث أو الذكور وفق ما يعرض له فى حياته من صراعات، أهمها صراعاته مع أبويه، والتى يطلق عليها علماء النفس اسم **الصراعات الأوديبية**.

ويبدو أن المجتمعات على اختلافها وعلى مر العصور وفى كل الثقافات تضفى على الذكورة قيمة أكبر مما تعطيها للأنوثة. وتؤكد قصة الخلق أن الأصل فى الكون هو آدم

بينما لم تكن **حواء** فى وجودها إلا ثانوية، ومع ذلك لايستحب للإناث أن تكون لهن صفات ذكورية.

وتقوم نظرية التحليل النفسى على الرأى الذى يقول بأن الولد يكون تعلقه بأمه، وهى نقيضه جنسيا. وتعلقه هذا **بيولوچى** فى أول الأمر، ثم يصطبغ بالصبغة العاطفية، فتكون الأم مناط كل رغبات الطفل وعواطفه، وهى رغبات وعواطف تنمو معه مع مدارج العمر ومراحل النمو المختلفة. وهى عند الميلاد ولفترة بعدها رغبات **فمية** تميز المرحلة الفمية من تطور الطفل النفسى الجنسى، ثم تكون **شرجية فى** المرحلة الشرجية، ثم **إحليلية**، وبعد ذلك **قضيبية**، وأخيرا تكون **تناسلية** حيث تمام النضج الجنسى، فيتخلص الشخص من كل تعلق شهوى له بأمه أو بأى موضوع آخر سوى من يختارها شريكة لحياته وأُمّاً لولده.

ولايسير هذا التطور سيرته السوية دائما، فالولد وإن تعلق بأمه إلا أن الأم قد تشغل عنه بزوجها، بحيث قد يتنازعها **الولد وأبوه**، وهو الموقف المعروف باسم **الموقف الأوديبى**، والذى غالبا ماينعقد فيه الفوز للأب على الإبن، لأنه الأقوى ويصدّق الابن تهديداته، وقد ينزل الأب العقاب بابنه، وهو الذى يقوم بإبعاد الابن عن الأم، ويأخذ الأم منه، وهو الذى يضربه كلما ضبطه يلعب بقضيبه، ويهدده بقطع هذا القضيب، ويستشعر الإبن أن تهديدات الأب وعقابه وأوامره وزواجره موجهة إلى ذكورته، ويصدّق أن الأب قد يقطع قضيبه، وينتابه من ذلك قلق هو **قلق الإخصاء**، ويخشى على نفسه أن يخصيه الأب على الحقيقة أو المجاز فيما بعد، ويظل به هذا القلق كلما تواجد فى مواقف مهددة من قبَل ذكور يستشعر أنهم أقوى منه. ولكى يتلافى الولد أن يحقق الأب تهديداته بإخصائه يُظهر الطاعة ويمتثل للزواجر، ويأتى من السلوك مايأتيه أبوه، أى أنه يتعيّن به، وإذا لم يكن الأب قاسيا مع ابنه فإن الإبن سرعان مايتجاوز تهديدات الأب ويجد لنفسه بديلاً عن الأم يضفى عليها طاقته على الحب، وتتعلق بها رغباته. والإبن من خلال احتكاكه بأمه وبالبنات من حوله يكتشف أنهن إناث، وأنهن مغايرات له، وأنه وأضرابه ذكور، ولهم مايميز الذكر عن الأنثى وهو **القضيب**، وإذن فالإخصاء حقيقة وليس شطحة يذهب إليها توهمه.

وأما **البنت** فتطورها كأنثى يمر بتعقيدات لايعرفها تطور الولد، وهى تتعلق بأمها كطفلة تعلقاً بيولوجيا يشبع فيها حاجاتها البيولوجية، ويظل معها وينمو باستمرار، ويكون أساسا أولياً لأية ميول جنسية مثلية تكون بأغلب البنات والنساء لذات جنسهن، ويفسر العلاقة

الحميمة للبنات والنساء بعضهن ببعض. وعندما تكتشف البنت أن عضوها الجنسى أقل مما لدى الولد، وأن بظرها لا يشبع خيالها الشهوى كالقضيب، فإنها تتحصل لها من ذلك تعقيدات، وخاصة وهى تكتشف أكثر من ذلك أن **البظر** ليس هو عضو الجماع بل المهبل. ولاتجد فى عضو الأنوثة فيها وهو فرجها أو ثدياها أى مدعاة للفخر، ولأنْ تتيه بتركيبها الأنثوى على الذكور. وتتمنى لو كان لها قضيب أو لو كانت ذكرا، وخاصة أن ذلك سيفيدها ويلزمها فى حبها لأمها. ولكى تتطور يكون عليها أن تتخلى عن رغباتها فى امتلاك القضيب وفى التحول إلى ولد، وتجد أنها لابد أن تتحول عن حبها لأمها هذا الحب البيولوجى. وذلك يحتاج منها إلى جهد جهيد حتى ليقول **فرويد** أن قلة من النساء ينجحن فى التخلص من هذه التبعية البيولوجية للأم، ومن الرغبات اللاشعورية فى أن يتحولن إلى ذكور. وعلاوة على ذلك يكون على البنت أن ترضى بأحوالها الجسمية ومايطرأ عليها من تغييرات، والحيض الشهرى الذى يأتيها ويكون به عذابها لبضعة أيام. وتتعلم من العرف والأدوار المنوطة بها والثقافة المفروضة أن تكون سلبية، وتطامن نفسها على المعاملة المتدنية ممن حولها وتتصرف بماسوشية. وتتحول البنت، التى تتجاوز ظروفها وحبها لأمها ورغباتها اللاشعورية الذكورية، إلى محبة أبيها، وتجرب هذه المرة حبا شهويا لاحباً بيولوجيا كالذى عرفته فى تعلقها بأمها. وإذن فبينما يكون على الولد ليستشعر الذكورة ويعرفها، أن يحلّ صراعاته الأوديبية، وأن يتخلص من عقدة الخصاء والمخاوف من الأب وحبه لأمه، وأن يتعين بالأب ويتحول لحب امرأة غير أمه يصرف إليها شهوته دون صراعات، يكون على البنت أن تتخلص من محبتها وتبعيتها لأمها وتتحول بمحبتها لأبيها، ومن ثم فهى تجد أنوثتها **بالدخول** فى الصراعات الأوديبية وليس **بالخروج** من هذه الصراعات كالولد، وهى تدخلها بأن تحتال على غواية الأب بأن تتعين بالأم، وإن كان هذا التعين بها يستجلب عليها غيْرة الأم وغضبها.

وقد يحدث أن لايتجه التطور هذه الوجهة نحو الذكورة أو الأنوثة، فالولد إذ يستشعر تهديدات الأب قد لايتعين به لإرضائه، وقد لايتمثل نواهيه وزواجره ويظهر الطاعة له، بل إنه قد يتعين بالأم التى يحبها لعله بذلك يغوى الأب، فيتصرف بأنوثة ويحاول من جديد إنشاء علاقة له بالأب، وكأنه أنثى يسترضى بأنوثته ذكورة الأب كما تفعل أمه. وقد لاتستطيع البنت كذلك أن تتخلى عن رغباتها فى امتلاك القضيب وأن تتحول إلى ذكر، وقد يظل

تعلقها بأمها ولاتعرف هذا التعلق بالأب، بل وقد تستشعر الغيرة منه وتتعين به على العكس، لعلها بذلك ترضى أمها وتنافسه على حبها، وتعانى من ذلك **ثنائية جنسية** كالتى يعانى منها الولد السابق.

وربما تكون **فترة الحضانة** فى حياة الولد والبنت هى فترة اعتماد بيولوجى كامل على الأم، بحيث لاتكون العلاقة بينهما مجرد علاقة شهوية وإنما **علاقة تبعية كاملة** **symbiosis**، كما لو كان الطفل فيها جزءا من الأم، ومعنى أن يكون جزءا منها هو أن يعرف أنوثتها ويشاركها نفسها كأنثى، وذلك هو مانقصد إليه عندما نقول إن الأصل فى التعين **بهوية الجنس** **gender identity**، أى فى تعرّف الولد أو البنت على حقيقة جنسهما كولد أو بنت - نقول إن هذا الأصل هو هذه **الأنوثة** التى يعايشها كل من الولد والبنت بالأم منذ الولادة، ويطلق علماء النفس عليها اسم **الأنوثة الأولية** **protofemi-nity**. وهناك من الشواهد مايثبت أننا نُفطَر على هذه الأنوثة منذ ولادتنا، ولكننا نتجه من بعد إلى تأكيد الذكورة فينا أو الأنوثة بحسب مانكون عليه من جنس، مع ملاحظة أننا جميعا تتبقى عالقة فينا آثار من هذه الأنوثة الأولية. ولو لم تكن فينا هذه الأنوثة فطرية ماكان من الممكن أن يتحول الأولاد الذكور إلى الأنوثة ويتصرفون بخنوثة. **والتخنث** فى الذكور سببه تعلق فى الأولاد الذكور بالأم حتى ليشق على الولد أن يستغنى عن أمه فى سن المدرسة، ويجد العنت الشديد فى الانفصال عنها. وإننا لنجد بعض الأولاد الذكور، وكذلك بعض الرجال، يؤكدون ذكورتهم بتصرفات وسلوك، القصد منهما أن ينفوا عن أنفسهم الإحساس الداخلى بالأنوثة، والذى يعتمل بقوة تحاول أن تسفر عن نفسها. وربما تكون للذكورة تبعات ومسئوليات ماكان أغنى الأولاد والرجال عنها لو استمرت علاقاتهم بأمهاتهم علاقة الاعتماد والتبعية التى كانت لهم بهن فى الصغر، وإن الولد ليحن إلى هذه الفترة ويريد أن ينكص إليها، وقد يحدث أن ينكص إليها فعلا فتظهر به الانحرافات والاضطرابات الجنسية، وهو مايفسر انتشارهما بين الذكور أكثر من الإناث، ويفسر أيضا سبب تصدى الأولاد الذكور للدفاع عن ذكورتهم دفاعا يغالون فيه، ولانجد مثل هذا الدفاع عند البنات عن أنوثتهن. ولعل ذلك يفسر لنا أيضا السبب فى أن المريض بالبرانويا يتوهم أن الذكور من حوله يريدون الإيقاع به جنسيا، ويتهمهم بذلك صراحة، فى حين أن المريضة بالبرانويا على العكس تريد أن تكون لها علاقات جنسية بالرجال فى محيطها ولا تقيم علاقات جنسية من أى نوع بالإناث.

وإذا كانت هذه **الأنوثة الأولية** هى الأصل، فإنه يكون على الأولاد الذكور أن يبذلوا جهدا مضاعفا كى يتخلصوا من آثارها أو يتخففوا منها وتكون بهم الذكورة خالصة، فى حين أن البنات يتوجب عليهن أن تظل علاقاتهن بأمهاتهن قوية إذا أردن أن يظل تأثير الأم مستمراً وهى صورة كل أنوثة يردن أن تكون لهن. وهذا حق، ودليلنا عليه أن الأمهات اللاتى ينصرفن عن رعاية بناتهن فإن البنات ينشأن متشبهات ويتصرفن كالرجال، وقد تبين من دراسة التشبّه عند الإناث أنهن ينشأن ربما بين أولاد ذكور، وربما يكن فى رعاية أب يعاملهن معاملة الذكور ويريدهن أن يسلكن كالذكور بخشونة واستقلالية. وإنه لأمر ذو بال أن نعرف أننا ننشأ وقد تكون لدينا تهيؤات معينة من ناحية **الدور الجنسى** الذى ننهض به فى الحياة، فمنا من يستقر فى نفسه ويحسب أنه ذكر، أو يحسب أنه أنثى، برغم أن واقع حاله عكس ذلك تماما، ويطلق علماء النفس على ذلك اسم **مضمون الهوية الجنسية core gender identity**، والهوية المشار إليها هى هوية الذكورة أو الأنوثة، ونحن فى السنتين الأوليين، أو الثلاث سنوات الأولى، نذهب إلى الاعتقاد بأننا إما ننتمى إلى الذكورة وإما ننتمى إلى الأنوثة، وينمو لدينا هذا الاعتقاد ويترسخ ويهدى تصرفاتنا حتى وإن كان واقع الحال ليس كذلك، فقد يكون الطفل ولدا ويعد نفسه من ضمن الإناث، وقد يكون بنتا وتعتبر نفسها كالصبيان، وإذن فليس المهم أن نكون على وضع بيولوجى معين من جهة الجنس، ولكن المهم أن تكون لنا **هوية جنسية**، وأن نعمل بمضمونها. ويدفعنا إلى هذه الهوية الجنسية عوامل كثيرة، منها مانعرفه باسم العوامل البيولوجية الجنينية، وماتستحدثه فينا المراكز العصبية المركزية من تأثيرات، والعوامل التى ترجع للتشريح التناسلى، وهى التى تحدو بالأبوين إلى أن يعدّا الطفل ذكراً أو أنثى، باعتبار مايلمسان فيه من علامات الذكورة أو الأنوثة، ثم مايترتب على ذلك من معاملة وتربية واعية أو لاشعورية، ومايكون للمجتمع من تأثيرات ثقافية على اعتبارات الذكورة والأنوثة واتجاهاتهما، ثم تأثير أن ننشأ جميعا فى حضن ورعاية امرأة هى الأم والدور الذى تجعله لها الثقافة. وتتأكد أنوثة البنت بصرف النظر عن ظاهر جنسيتها بنشأتها تحت رعاية الأم، ولكن ذكورة الولد تتهددها المخاطر من تأثير أنوثة الأم الحاضنة، وقد يختلط الأمر على الولد ويتشوش وعيه بمضمون الذكورة، وقد ينشأ وهو ينحو لاشعوريا إلى الأنوثة برغم امتلاكه للقضيب، تماما كما قد تنمو البنت إلى الذكورة برغم تحصلها على فرج. ولربما

يجمع الطفل فى جهازه الجنسى مايجعله ذكرا وأنثى معا وينشأ نشأة الخنات. والنشأة أو التربية هى **حاصل الخبرة** التى تتأتى للطفل نتيجة المعاملة التى يلقاها من المحيطين به، والتى تؤكد فيه دور الذكورة أو دور الأنوثة، أو تنحرف به عن هذا الدور، بالإضافة إلى تأثير الإحباط والصدمات النفسية، والصراعات ومايعرض لها من حلول تعدل من حقيقة كون الطفل ذكرا أو أنثى، إلى واقع ربما لايتمشى مع هذه الحقيقة، وقد يؤكده العقاب أو الثواب الذى قد يعزز فى الطفل هذا الواقع.

وتنقسم **اضطرابات الهوية الجنسية** إلى مجموعتين، إحداهما تخص الشذوذ الخُلقى، والأخرى تتناول الانحرافات التى مصدرها صراعات نفسية شعورية أو لاشعورية. **والشذوذ** ربما مصدره **مؤثرات قبل ولادية** تخل بالتوازن النفسى وتجعل الشخص يميل إلى تصرفات معينة، كما يحدث مثلاً مع المتشبّه الذى وإن كان ذكرا وقد يتزوج بأنثى، إلا أنه لا يحلو له إلا أن يمشى كما الإناث، ويرتدى ملابسهن، ويقوم بأعمالهن. وقد يترتب الشذوذ على **ظروف خارجية** تخص الشخص الشاذ جنسيا، فمثلا **العزلة** التى قد يجد المراهق نفسه فيها، قد تضطره إلى أن يواقع الحيوانات. وتُردّ أغلب السلوكيات من هذا النوع إلى شذوذ جينى أو هرمونى، وإن كانت هناك حالات لاتستحث شذوذا فى الهوية على الحقيقة، وإنما قد تستحدث ردود فعل سلوكية يمكن التجاوز عنها أحيانا. ولاتقع كل اضطرابات الهوية للنساء كما هى عند الرجال، وهو الأمر الذى يؤكد أن الانحرافات ليس مصدرها جينياً دائما ولكنه غالبا اضطرابات فى الهوية بسبب الإشراط المغلوط والتربية السيئة، فلابد مثلا أن **نعزل الأولاد عن الأم فى الفراش**، ولذلك نجد الأولاد والرجال لديهم حساسية أكثر من البنات والنساء من حيث مايتهدد هويتهم من أخطار متوهمة أو حقيقية. وليس من قبيل الصدفة أن تُخفِى كل أنواع الانحرافات عند الأولاد والرجال كراهيةً للنساء، ظاهرة أو مستورة، تحاول باستمرار أن تدفع المنحرف إلى الانتقام من جنس النساء، وتهدِى أسلوبه الذى يحقق له هذا الانتقام. وهذه العدوانية والديناميات التى تستحثها، ومايعانى منه المنحرف أو مايستشعر له بلذة، هى شئ نجده عند **الرجال** بخاصة، فمثلا **الاغتصاب** انحرافٌ يأتيه الرجال دون النساء؛ **والاستعراء** الذى فيه يتجرد المنحرف مُظهراً عورته فجأة لامرأة أو مجموعة من النساء فيصيبهن الذعر فينتصب، ولو أن النساء لم يذعرن ودعونه إلى الجماع لهرب وولّى الأدبار؛ **والتطلع** الذى يتبصص فيه المراهق أو البالغ على

امرأة تتجرد أو تستحم أو تضاجع زوجها، وكلها أنواع من الانحرافات تكشف عن ميول سادية قد صاغتها ووجهتها **الكراهية للنساء** التى تحدثنا عنها، وتكون مع الأولاد منذ الصغر نتيجة رد الفعل على انتهاكات النساء لأجساد هؤلاء الأولاد، ومايعده الصغير اعتداءً على هويته الذكورية.

ولعل أكثر اضطرابات الهوية هو ذلك الانحراف الذى يطلق عليه اسم **التخنث**، وفيه يكون المتخنث سواء كان رجلا أو امرأة، قد تشوشت هويته منذ الصغر، حتى ليمكن القول إن ذلك قد يحدث منذ السنة الأولى بعد الميلاد، فلا تكون هناك الملابسات الفاصلة التى تجعله يصوغ سلوكه على نمط معين من الذكورة أو الأنوثة، وينمو جسميا من حيث مايكون عليه من ذكورة بيولوجية أو أنوثة، ولكن سلوكه يختلف عن ذلك ويتناقض، ويكره من الناس أن يعاملوه مثلا كذكر وهو يحاول أن يفرض نفسه عليهم كأنثى، ومن ثم فقد يطلب أن تتغير **هويته البيولوجية** لتتطابق مع **هويته النفسية**، وقد يسعى إلى الجرّاح ليجرى له عملية يتحول بها نهائيا إلى فتاة، وقد يحدث ذلك مبكرا جدا وهو فى **المراهقة**.

والمتخنث الذكر يولد ويُعطَى اسما مذكرا، وتفرح به أمه وتلتصق به فى علاقة حميمة تقلب هويته، وتميل به إلى الأنوثة، وتظهر عليه أنوثته فى نحو السنة الأولى، وتسرّ لها الأم باعتبارها فرط رقة وتشبّه منه بها، وتجاريه عليها. ويفرط الفتى من حيث ترقيق الكلام والتثنى فى المشى ولايلعب مع الصبيان، ويؤم تجمعات البنات ويطلق عليه اسم بناتى، وقد تكون له تسريحة البنات وألعابهن، وقد يرتدى مثلهن ربما الملابس التحتية أو بعضا من الملابس الخارجية. فإذا جاءت مرحلة دخول المدارس يشق عليه أن يجد نفسه بين الأولاد ويكتشفون أنثويته ويضايقونه بها، ويعتزلهم ويصاب بالاكتئاب، إلاّ أن التخنث ليس عُصابا، لأنه بمجرد أن يعرض نفسه فى المراهقة على طبيب طالباً تغيير هويته من الذكورة إلى الأنوثة ويَعِده الطبيب بالعلاج، ينقشع اكتئابه وتزايله العزلة. وربما يصدق على المتخنث أنه انفصامى، لأن التوهم بأن له هوية بخلاف حقيقته هو من هذاءات الانفصام، إلا أن التخنث ليس انفصاما، لأنه فى الانفصام لايعالج المريض بعملية تحيله إلى مايتوهمه فى نفسه، بينما مجرد الوعد يقطعه الطبيب على نفسه بأن يساعد المتخنث على التحول إلى الأنوثة، يجعل أعراض العُصاب تزايله. وهو قد يعالجه بالإستروجين ليكبر الثديان والحوض ويرقّ الصوت، وبالتحلل الكهربى ليزيل الشعر المنتشر فى الجسم، وبالجراحة ليستأصل القضيب والخصيتين ويضع له مهبلا صناعيا.

والمتخنث ينشأ لأم تعانى من الازدواجية الجنسية فى الشخصية، وكانت أمها وهى طفلة لاتراعى لها أنوثة وتعاملها بحيث لم تجد أنها تتميز بشئ نتيجة هذه الأنوثة، وأن الأنوثة كانت لها غُرما وليست غُنما، وأنها على العكس كانت تتمنى لو كانت ولدا. وإهمال أمها لها قد يجعلها تلجأ إلى الأب، وقد تجده ودودا ولكنه يطلب إليها أن تشاركه اهتماماته، وقد يلهو معها بأن يلاعبها على طريقة الأولاد ويأخذها معه إلى اجتماعات أصدقائه ويلبسها ملابس الأولاد، ثم فجأة عند البلوغ ينصرف عنها، ربما بالموت، أو بالطلاق، أو ربما إلى أحد إخوتها، وعندئذ تشق البنت طريقها وحدها بذكورة، وتصمم أن تمتهن مهن الرجال، وأن تسلك سلوكهم وتتحدث مثلهم، إلا أن تغيرات البلوغ تكون أقوى منها وتعطيها مظهرا أنثويا يغلبها على رغباتها الذكورية، وتجبرها ظروفها على أن تتزوج من غير حب، فتختار لذلك رجلها من بين المتأنثين، فهو رقيق خانع لاحول لإرادته ولاقوة، ويعطيها نفسه ويسلمها قياده، وتحمل وتلد طفلها فلا يجد الوليد إلا الأم يتشبّه بها، فأبوه غير موجود دائما لأنه دائما يعمل وغير متواجد فى البيت، فالبيت لايمكن أن يجمع هذه الزوجة السالفة ومثل هذا الزوج، وإذا تواجد فحضور الأم أقوى من حضوره. والأم قد يكون لها أولاد آخرون، **فلماذا إذن هذا الولد بالذات هو الذى يتشكل متخنثا؟** وتجيب كل الأمهات من هذا النوع بإن الولد كان جميلا منذ الميلاد، وكان جسمه وشكله أنثويين. وأمثال هذه الأم التى تحسد الذكور على ذكورتهم تسرّ إذ تنجب ولداً ولاتحب أن تكون لها بنت، وتعطى الولد اسما ذكوريا يدل على الفحولة أو البطولة أو تطلق عليه اسم مَلِك، ثم تبدأ عملية التحويل أو التخريب لشخصية الطفل، فهى تهدهده وتحضنه إليها لأنه جزء من جسمها، وهو الذكر الذى كانت تنشده هى نفسها، فكم تمنت أن تكون ذكرا وأن يكون لها قضيب الذكران، وكم كرهت أن تكون أنثى. وهى تمسك بطفلها لاتريد أن تطلقه حرا ينمو كما يحب، فهو فرصتها التى زايلتها بها الأحزان، وهى تلتصق به الجلد صنو الجلد، لاتريد أن يفارقها، وينمو بينهما **اعتماد** ليس من نوع العلاقة بين ذكر وأنثى، ولكنه اعتماد مضمونه أنوثة الأم المستمرة باستمرار انصهار الولد فى بوتقة حنانها وحبها ورعايتها المفرطة، فيأتى على شاكلتها ويتعزز سلوكه باستحسانها لما يصدر عنه كالإناث، فهى وإن كانت تحبه كذكر، إلا أنه لو سلك بالفعل كالذكور فإنه سيهجرها، وهى لاتريده أن يهجرها، ولا أن تكون له حياته، ومن ثم تجعله على منوالها، **فهى الأنثى التى أرادات أن تكون ذكرا، وهو الذكر الذى يجمع فى**

ذكورته **أنوثتها**، وتواصل تأنيثه ضامنة أن الزوج الذى اختارته لنفسها لن يحول بينها والتأثير على ابنها، ولن يكون نموذجا للابن يحتذيه كذكر، فإذا بلغ **الخامسة**، وصار على الابن أن يلتحق بالمدرسة، فإنه لن يغير من الهوية التى لحقته كمتخنث لمجرد أن يقول الناس له لاتتخنث، وعلى العكس فإنه يعاند ويصر على التخنث ليغيظهم، وتلتصق به الخنوثة بمرور السنين، ولايجد حلا لمشكلته مع الناس إلا أن يفكر فى طريقة تحوّله صراحة إلى أن يكون أنثى.

وليس هناك مايؤكد وجود التخنث فى عالم الحيوان، ولايوجد من ذكران الحيوانات مايسلك كالإناث، برغم أن الحيوانات فى لهوها قد يعلو الذكر على ظهر ذكر مثله، إلا أنه لايهيج لهذا السبب أىٌ من الحيوانين، على عكس مايحدث فى دنيا الإنسان، ولهذا السبب يميل بعض العلماء إلى رفض إرجاع التخنث إلى أسباب جينية أو هرمونية أو عصبية، ولكنهم يجعلونها **سلوكا متعلما أو نكتسبه بالإشراط**، وليس هناك مايؤكد نظرية القائلين بأسباب بيولوجية إلا جمال الخنيث، وما يكون عليه سمته من تناسق كما عند الإناث، ومع ذلك فليس كل فتى جميل الطلعة خنيثا بالتبعية. ولعل القول بأن التخنث سلوكا متعلما يرجّح **العلاج السلوكى** للتخنث، إلا أنه لم يثبت أن مثل هذا العلاج يفيد، ولايوجد الخنيث الذى يطلب هذا العلاج.

والأنثى المتخنثة هى أكثر الإناث سلوكا كالذكور، وهى سليمة تشريحيا كأنثى ولكنها تتصرف كالذكور طوال حياتها، وهى كالخنيث الذكر تميل إلى الجنس الآخر، أى أنها تطلب رفقة الذكور، فإذا واقعت واقعت الإناث وكأنها ذكر، وهى تتمنى أن تكون ذكراً، ولو كان فى الإمكان إجراء عملية جراحية يكون لها بها قضيب وخصيتان لأجرت العملية، ولكن هذه العملية صعبة إن لم تكن مستحيلة، على عكس الخنيث الذى يمكن استئصال خصيتيه وقضيبه واستحداث مهبل له، وقد يتحقق له بذلك النعوظ وكأنه أنثى. **والأنثى الخنيث** بالعلاج الهرمونى بالتستوستيرون، وجراحة استئصال الثدى، وجراحة استئصال كامل الرحم يمكن أن تبدو كالذكور.

وتتأبى **الأنثى الخنيث** أن تسلك كالبنات منذ طفولتها، فهى تسمى نفسها اسما ذكوريا، وترتدى كالأولاد، وتلعب معهم وتجيد ألعابهم، وتكتسب بنيتهم، فإذا كان البلوغ تبدو وكأنها الصبى، وتخادن، **والبنت الخدين** ليست لواطية تعرفها لتشبع فيها الميول الجنسية المثلية، ولكنها بنت عادية تتعشقها وكأنها ذكر بكامل معنى الذكورة.

وتنشأ **الأنثى الخنيث** لأم نابذة لها، ربما لانها مكتئبة أو لأسباب أخرى ليس منها أن تكون الأم مريضة أو مطلقة، فالنبذ **نفسي** وليس نبذاً بالجسم أى بالتباعد، وقد تكون الأم مغضوبة عليه. والبنت الخنيث تولد وبها شَبَه من الذكور، فهى ليست على جمال الإناث، ويضطر الأب أن يقترب منها ليحل محل الأم، واقترابه منها ليس كأم ولكنه كأب، وينزلها من نفسه وكأنها صبى ويعاملها كذلك، وتتجاوب معه البنت، وكلما زاد تجاوبها كولد كان سروره بالغا وتوريطه لها أكبر وأوسع، حتى ليشركها معه فى كل نشاطاته، ويساعد على ذلك جسمها الذكورى، فلو كانت تبدو كالإناث لفرضت عليه أن يعاملها كأنثى. وليست هناك حالات لبنات خناث أمكن علاجهن بحيث يرضين بأدوارهن كإناث.

والتشبّه transvestism بخلاف **التخنث**، وهو أن تحب الأنثى أن ترتدى كالذكران، بينما يحب الذكر أن يلبس كالإناث. والمتشبّه أو المتشبّهة يجد نفسه، أو تجد نفسها فيما ترتديه من أزياء الجنس الآخر. ويتفاوت التشبّه من شخص إلى آخر، فقد يكون خفيفا، وقد يكون ملحا ضاغطا بحيث قد يحاول المتشبّه أن ينقلب إلى أنثى لو يسعفه الطب بذلك، إلا أنه يقنع فى النهاية أن يكون أنثى تملك قضيبا، ويمارس دوره فى الحياة عاديا، ويمتهن مهن الذكور، ويسلك ويتزوج وينجب، ولكن أعراض التشبه تكون به فى شكل رغبات ملحة أن يضع ألبسة النساء فيهيج جنسيا، وتتحصل له لذة كبيرة من ذلك. وبالمثل **المتشبهة الأنثى**. وليس أدّل على ذكورة المتشبه من انتصابه كذكر عندما يرتدى كأنثى، ويطلب أن يجامع أنثى، وقد يكون فى جماعه فحلاً، ويستطيع أن يأتيه لأكثر من مرة ويشبع به الطرف الآخر. وهذا هو الفرق بين التشبّه والتخنّث. ويبدو أن التشبّه يحدث نتيجة إلباس الأطفال فى صغرهم ملابس الجنس الآخر على غير رغبة منهم، ويتثبّت هذا المسلك، وتتحصل به للمتشبّه لذة جنسية تجعله يطلبه باستمرار كلما عزّت عليه اللذة.

والتشبّه بخلاف الفيتشية، فالفيتيشى يقنع بجزء من ملابس النساء كالملابس التحتية أو الأحذية، وتراه يجمعها حتى ليكون لديه منها العشرات، وهو إذ يتحسسها ينتصب ويستمنى. وليست الفيتيشية اضطراباً فى الهوية الجنسية، ولايعانى الفيتيشى من نقص فى الذكورة أو ميولا زائدة فى الأنوثة.

وأيضا ليست **اللواطة** اضطرابا فى الهوية، فاللوطى ذكر يحب الذكران، على عكس الخنيث الذكر الذى يهوى أن يكون أنثى، فإذا طلب الذكران فإنه يطلبهم باعتباره أنثى. واللوطى لايكره من نفسه أنه ذكر بخلاف الخنيث. وذكورة اللوطى لاشك فيها بالمقارنة إلى

ذكورة الخنيث، إلا أنها ذكورة قد أصابها الانحراف نتيجة تأثيرات فى الطفولة خرجت بها عن مسارها الطبيعي وتطورها العادى. وكذلك فإن أنوثة المرأة اللوطية butch لاشك فيها وإنْ كانت تميل إلى أن ترتدى كالذكران وتبدو مثلهم شكلا وسلوكا، إلا أنها لاتتمنى أن تكون ذكرا، ومحبتها لغشيان النساء مثلها ليس باعتبار تمنّيها للذكورة، ولكن باعتبار أنها أنثى قد شُحِن بظرها شحنا جنسيا عاليا، ونشأت بميول جنسية نحو بنات جنسها أكثر من ميولها نحو جنس الذكور.

وقد تختلط الذكورة بالأنوثة نتيجة اضطرابات كروموسومية قد تكون نتيجتها أن تكون للأنثى أو للذكر أعضاء جنسية من الجنس الآخر داخلية أو خارجية، كأن تملك الأنثى بالإضافة إلى مايكون لها من أعضاء أنثوية قضيبا، أو يكون للذكر رحم، أو تكون لهما صفات جنسية ثانوية تخص الجنس الآخر. وفى الاضطراب المعروف باسم **متلازمة تيرنر** لايكون هناك هرمون جنسى أثناء التكوّن الجنينى ومابعده، ويميل الجسم إلى الأنوثة، وأيضا ولعدم وجود الكروموسوم الجنسى الثانى المسئول عن اكتمال الأنوثة فإن الأنثى تنشأ ناقصة جنسيا ولاتكون لها الصفات الجنسية الثانوية. وفى **متلازمة كلاينفيلتر** Klinefelter's syndrome تغلب الذكورة بتأثير الكروموسوم Y، إلاّ أن هذا التأثير يُضعف منه الكروموسوم الثانى (x)، فيولد الطفل وله قضيب وخصيتان، ولكن القضيب صغير والخصيتين ضامران ومجدبان، فإذا كان البلوغ فقد يكبر ثدياه وتكون له مواصفات جنسية أنثوية أخرى، وتضعف به الرغبه الجنسية، وينشأ باعتبار أنه ذكر، إلا أن ذكورته لاتتأكد فقد تظهر عليه أعراض أنثوية، كأن يسلك كالنساء، أو يرتدى ملابسهن، وقد يتحول إلى اللواطة.

وفى **المتلازمة التناسلية الأدرينالية** Adrenogenital syndrome يفرط الأندروجين الكظرى موجها الأعضاء الجنسية الخارجية إلى الذكورة، فيكبر البظر حتى ليبدو كالقضيب، أو تكون للمرأة أعضاء كالقضيب والصفن والخصيتين، وخلف ذلك كله ومستورا بها يكون المهبل والرحم، ورغم أن المرأة تكون أنثى على الحقيقة إلاّ أن الأبوين يظنانها عند الميلاد ولداً ويعاملانها كذلك، فتكون لها هوية الذكور، وإن كانت هوية ناقصة. وعندما تختلط على الأبوين حقيقة جنس الطفل فإنه قد ينشأ بهوية مختلطة على أساس مايلقاه من معاملة تتعارض مع تلك الحقيقة. وعلاج أمثال هذه الحالات يتوجه أولا إلى

تحرى مصداقية الأنوثة أو الذكورة فى الشخص، ومن ثم يكون على المعالج أن يوائم بين التكوين الجسمى والهوية التى اكتسبها، وتنتصر الهوية على التكوين الجسمى، وذلك لصعوبة علاج الاتجاهات النفسية ومقومات الشخصية، بينما من السهل إجراء الجراحات اللازمة وتأكيد الهوية بالعلاج الهرمونى. وفى الحالات الخنثوية التى تختلط فيها الذكورة بالأنوثة ولاتغلب أيهما على الأخرى فإنه يسهل تغيير الجنس بالانتصار لأى من الصفتين، باعتبار أن الهوية لم تتأكد، ويستوى عند الشخص أن يتحول إلى ذكر أو أنثى بحسب سهولة ذلك عند الجراحة (أنظر أيضا **الاسترجال والأمومة والجنسية المثلية واللواطة النسوية وعقدة الأنوثة وعقدة الذكورة وكراهية النساء**)

* * *

الفصـــل الخـــامس

فى الفوارق الجنسية ومايميز الذكور عن الإناث Sex Differences

يتوجه **علم النفس الفارق** إلى دراسة السمات الرئيسية للجنسين، ومايمكن أن يميز كل جنس ويكون علامة فارقة تفرّق بين الإناث والذكور. ويولى علماء النفس الكثير من العناية **للفوارق الفكرية** لسهولة قياس الذكاء واختباره، إلا أن الفوارق الأخرى لم يكن لها هذا النصيب. **وللعوامل البيولوجية والثقافية** دورهما فى هذه الفوارق، وفى الكثير من الحالات يشق على الباحث أن يفصل بينهما ويحدد عمل كل منهما. ويميل الذكور إلى أن يبزّوا الإناث فى **المجال الرياضى**، وهو المجال الذى للعوامل البيولوجية أكبر الأثر فيه، والذكور أكثر **نشاطا** من حيث الحركة الكلية للجسم، بينما الإناث أكثر **مهارة** من حيث استخدام اليدين. والذكور عندما يلعبون أو عندما يقودون السيارة أسرع من الإناث، **والقدرة العضلية** للذكور من حيث السرعة تزيد بمقدار العُشر عنها عند الإناث، والإناث أكثر تفوقا من حيث **سرعة الإدراك ودقته**. ويسجل الأولاد درجات أعلى علوا طفيفا عن البنات فى **الذكاء العام**، إلا أنهم فى مجال **القدرات الخاصة** أكثر تفوقا بشكل ملحوظ. والأولاد أفضل فى **استنباط حلول الحساب واستيعاب مسائل الميكانيكا والمسائل الخاصة بالعلاقات المكانية**، فى حين أن البنات أفضل فيما يخص **التذكّر والتخمين والتعبير اللغوى وخاصة الطلاقة اللغوية وعدد المفردات المستخدمة**. ويحقق البنات درجات أفضل فى **التحصيل المدرسى**، ويتساوين مع الأولاد فى **التعليم الجامعى**.

وأثبتت الدراسات أن للإناث **اهتمامات اجتماعية أقوى**، ويبدين انشغالا بأحوال الناس أكثر، ويتأثرن بشكل **أعمق بالقيم الروحية والجمالية**، بينما تتوجه اهتمامات الذكور أكثر إلى النواحى **النظرية والاقتصادية والسياسية.(دراسات أولبورت وآخرين)** والذكور **أعنف** من الإناث منذ الطفولة، وتؤكد الدراسات أنه على مستوى التعليم الجامعى فإن عدد المرات التى يظهر فيها الذكور **العنف** أكبر بمقدار مرتين ونصف إلى مرة واحدة عند الإناث، ولعل ذلك يفسر لنا توجه الذكور إلى **حلّ المشاكل** وانشغالهم بها عن البنات، من حيث أنهم أقدر على بعث المشاكل وإيجادها وإذكائها. وكل هذه الفوارق السابقة تصنعها المؤثرات الثقافية، برغم أن للفروق البيولوجية دورها أيضا من حيث الطاقة والقوة اللازمتين فى كل المجالات سالفة الذكر.

وهناك فروق يُعتّد بها فى **السلوك الجنسى**، فالذكور يكونون في كامل لياقتهم الجنسية نى نحو سن **السابعة عشرة**، ولاتبلغ النساء أوج نشاطهن الجنسى إلا بعد الذكور بنحو عشر سنوات، أى وهن فى **السابعة والثلاثين**. ويمارس الأولاد والرجال **العادة السرية** أكثر من البنات والنساء، ومن المحتمل أن يمارسوها لبعضهم البعض، وأن يكونوا منحرفين، ويكون لهم نشاط **لواطى**، وغير ذلك من الممارسات الشاذة، بمعنى أن **الرغبة الجنسية** أكثر إلحاحا عند الذكور، وهم أقدر على **إتيان الجنس** مرات، وأن مايمكن أن يهيجهم من **المثيرات أكبر عددا**، فالصور مثلا يمكن أن تثيرهم كما تثيرهم العروض المسرحية والقصص، غير أنه لافرق يذكر فى **سرعة بلوغ الإنعاظ**، وإذا لم يكن هناك من الكوابح الثقافية مايحدّ من انفعال النساء جنسياً، فإن النساء من الممكن أن لايظهرن تحفظاً فى التعبير عن الحب أو الإفصاح عن الرغبة الجنسية كالرجال.

ومن جهة **التوافق العاطفى** فإن الجنسين يختلفان مع بعض التحفظات، ففى السن قبل الالتحاق بالمدرسة يكون الأولاد والبنات على قدر واحد متساو من حيث التوافق ككل، فإذا كان هناك سوء توافق فإن البنات يعبرن عما يضايقهن بلغة معتدلة ولايفصحن تماما عن شكاواهن، ويملن إلى الكتمان، فتظهر بهن المخاوف، ويعتمل فيهن القلق، ويكثرن لذلك من قضم الأظافر ومن مص الإبهام. ولايفعل الأولاد غالباً مثل ذلك، والولد يقدم شكواه فى شكل **مشكلة** تحتاج إلى الحل. ولعل هذا الاختلاف بين الجنسين راجع إلى الدور الجنسى المنوط بكل منهما، وبسبب القيود المفروضة على البنات أكثر منها على الأولاد. فإذا كبر الأطفال وصاروا فى المراهقة ظهرت لهذا السبب **الأعراض العصامية** على البنات أسرع منها عند الأولاد.

وتصبح الفوارق بين الجنسين فى **سن الرشد** أوسع وأكثر تخصصا، فالنساء **يشِرن** أسرع وأكثر من الرجال، ويُصَبن **بالاضطرابات العُصابية** أكثر من الرجال، بينما يكون الرجال أكثر عُرضة للإصابة **بالهستيريا التحوليةو بالنَّهك العصبىو بالاستجابات الانفصالية**، وأما الإصابة **بالذهان** فالنسبة فيها بين الذكور أعلى، وتقدر نسبة عدد المرضى من الذكور المدخلين لمستشفيات الأمراض العقلية إلى عدد المريضات بنحو ٤ إلى ٣، إلا أن النساء يزيد عددهن عن الرجال عندما تكون الشكوى من استجابات ذهانية معينة، أهمها **الاستجابة الانتكاسيةو استجابة الهوس الاكتئابىو استجابات الشيخوخة الذهانية**، ولعل ذلك بسبب طول عمر النساء عن الرجال حيث أن عمرهن يزيد فى المتوسط بنحو سبع سنوات.

الفصـــل الســـادس

فى اختبارات الذكورة والانوثة وماتقيسه فى الجنسين

Masculinity- femininity Tests

تقوم هذه الاختبارات على مبدأ المقارنة بين الرجال والنساء، بالنسبة لما يأتيه كل جنس منهما من استجابات، ثبت أنها أكثر مايأتيها كل منهما ويمكن من ثم أن تمثله. ومن هذه الاختبارات **اختبار تحليل الاتجاهات لتيرمان ومايلز**، ويطلق عليه عادة **اختبار الذكورة والأنوثة** (١٩٣٨)، ومن بعده صممت اختبارات ومقاييس أخرى أقل من حيث ماتستقصيه من تفاصيل، ومنها **اختبار سترونج للميول المهنية، واختبار الشخصية المتعدد الأوجه، واستقصاء المزاج لجيلفورد وزيمرمان، ومقياس الأنوثة لجوف**. ويقدم استقصاء **جيلفورد وزيمرمان** مثلاً مجموعة من الأسئلة الإجابة عليها بنعم أو لا، فى محاولة للبحث فيما يكون عند الشخص من صفات تميل به إلى الذكورة أو الأنوثة بدرجة أو بأخرى. وهذه الصفات التى يستقصيها عددها **عشر**، منها نشاطاته الذكورية، وميوله العملية، وقدرته على التحكم فى انفعالاته، وأن لايظهر التأفف بسرعة، وأن لايكون شديد الاحتفال بملابسه أو مشدودا للتغيرات فى "الموضة". وتقاس الأنوثة بدرجة الانصراف إلى النشاطات الأنثوية والحرف والمهن الخاصة بالجنس الأنثوى، واللجوء إلى التعبيرات العاطفية والرومانسية فى الأفكار، وقلة الصبر وسرعة التأفف وإظهار الخوف.

ويقيس **اختبار سترونج** الذكورة أو الأنوثة، باعتبار أنماط الاهتمامات التى يبدو أنها تشد أحد الجنسين أكثر من غيرها، وتميزه وتكون دليلا عليه.

وكان **تيرمان ومايلز** قد بحثا فيما يمكن أن يميز الجنسين من صفات بتأثير قرءاتهما فى هذا المجال، واختارا من بين هذه الصفات أكثرها ظهورا، وأعدّا مجموعة من الأسئلة حولها، وعرضاها أولاً على طلبة وطالبات المدارس المتوسطة والثانوية والجامعات، ثم على عينات عشوائية من البالغين من أصحاب المهن المختلفة والهيئات الخاصة، كالرياضيين والجانحين، وحتى الأفراد المعروف عنهم الميول الجنسية الشاذة، واستخلصا من كل ذلك مايمكن أن يكون فروقاً حقيقية بين الجنسين، وصمما اختباراً من **سبعة** أجزاء، منه اختبار فى تداعى الكلمات، وآخر فى تداعى بقع الحبر، وفى المعلومات، والاتجاهات الانفعالية،

والأخلاقية، والاهتمامات، والآراء، والاستجابات الانطوائية. وأثبت المقياس نجاحا فى التمييز بين الجماعات الذكورية والأنثوية، من بين كل الأعمار، من المراهقين إلى المسنين حتى الثمانينات، إلا أنه من ناحية أخرى لايصلح إلا **للمجتمع الأمريكى**، وثبت فشله عندما حاول البعض تطبيقه على **الهولنديين** فى بلادهم. وكذلك فإنه تبدو بنتائجه بعض المفارقات التى تجعل الأخذ بما يتضمنه شيئاً عليه الكثير من التحفظ، فبحكم هذه النتائج تكون المشتغلات بمهنة **الخياطة** من أكثر النساء أنوثة حتى ولو كن فى سن الستين، فى حين أن البنت فى العشرين التى تمارس **الرياضة** يمكن أن توصف بأنها ذكورية الميول. وأيضا يمكن أن يقال لشاب يافع يتوثب حيوية، ويتطلع إلى النساء فى نَهَم، أنه **أنثوى**، إذا كانت به ميول إلى **الموسيقى**، أو شغوفا بقراءة **القصص والشعر**.

ولقد حاول آخرون تصميم اختبارات أخرى أكثر دقة وتوغلا فى جوانب الشخصية. ويقوم **استبيان كاليفورنيا النفسى** على نفس النهج الذى يقوم عليه اختبار الذكورة والأنوثة، إلا أنه يستبعد بعض النواحى المتطرفة فيه، كالحكم بالذكورة على من يؤم صالات البلياردو، واعتبار التردد على محلات التطريف وماشابهها دليلا على الأنوثة. وهناك منهج مختلف تماما يمثله **الاختبار الإسقاطى** الذى وضعه **فرانك وروزين**، ويقوم على فكرة أن الرجال يختلفون عن النساء فى الموضوعات التى يطرقها خيال كل منهما، وماتذهب إليه توهماتهما. ويطّلع المفحوص فى هذه الاختبارات على خطوط بسيطة وأشكال هندسية، ويُطلَب منه أن يرسم صوراً تحتويها وتشتمل عليها، ثم تُقارَن النتيجة بصور أخرى قد سبق إعدادها وتمثل ماأمكن أن يعكس إنتاج أفراد من الجنسين، يقاس عليها كنموذج. وينبغى التنبيه إلى أن نتائج هذا الاختبار لم تتمش مع نتائج الاختبارات على **السؤال والجواب**، إلا أنها على أى حال تكشف عن نواحى الذكورة والأنوثة الكامنة التى لاتكشف عنها الاختبارات من النوع الاجتماعى.

* * *

الفصـــل الســـابع

فى علاقة الجنس بالطفولة والمراحل الجنسية عند الأطفال

Sex & Childhood

يرجع الفضل إلى **سيجموند فرويد** الذى نبهنا إلى أن الأطفال يشعرون **باللذة** كما نشعر نحن بها، وأن بدن الطفل به **مناطق شهوية** يستشعر بها اللذة أكثر من مناطق أخرى، غير أن اللذة التى يستشعرها الطفل وإنْ تكن جنسيّة فى طابعها إلا أنها تختلف عن اللذة الجنسية عند الكبار، وعلى ذلك يميز فرويد بين **الجنسية الطفولية infantile sexuality** والجنسية عند البالغين **adult sexuality**، ويطرح رؤيته هذه فى كتابه "**ثلاثة بحوث فى النظرية الجنسية Three Essays on the Theory of Sexuality**"، يتحدث فيه عما يسميه **الليبيدو libido**، والأصل فى معنى الكلمة أنها **الشهوة الجنسية**، ويأتى أغلب استخدامها فى علم النفس بمعنى **الطاقة النفسية للغريزة الجنسية**، فنحن نولد وبنا غريزة جنسية، بمعنى طاقة شهوية، تجعلنا نعيش الحياة، ونحب مانعمل، ونقبل على مانحب بعشق. وتنصرف الطاقة إلى الموضوعات التى تتصل بها والتى تتعلق بها طاقتنا الشهوية، فإذا كان موضوعها هو ذاتنا، فإن فرويد يطلق على هذه الطاقة اسم **لبيدو الذات ego-libido**، وإذا كان الموضوع الذى نحبه **خارجاً عن الذات** يسميه **object-libido**، وبمقدار هذه الطاقة المنصرفة إلى الموضوع يكون تعلقنا به.

والتمييز السابق بين لبيدو الذات ولبيدو الموضوع يخدم عملية الحياة، لأن الطاقة الشهوية إذ تنصرف إلى **الذات** تخدم الذات وتحافظ عليها وتصونها من أية أضرار قد تودى بها، فإذا انصرفتْ إلى **إنسانة نحبها** فإنها تخدم النوع الإنسانى، بأن تجعلنا نُقبل على الزواج ممن نحب فننجب ونتكاثر ونحافظ على النوع، وعلى ذلك فهذه الطاقة فى أول الأمر، وبعد أن نولد تكون **غريزة حياة eros**، ومهمتها فى البداية تكون **المحافظة على الذات**، والإنسان يبدأ حياته نرجسيا، أى محبا لذاته، ومن بعد ذلك عندما نبلغ ونشتهى الجنس الآخر يبدأ جزء من هذه الطاقة الشهوية يتجه إلى هذا الجنس الآخر، وتحتدم بنا الرغبات الجنسية، ونكون غيريين، أى نحب غيرنا بالإضافة إلى ذواتنا. وتتغذى طاقة الحياة أو الطاقة الشهوية فينا من الأحاسيس التى ترد إلى النفس من المناطق الشهوية بالجسم،

وعلمياً كل مناطق الجسم شهوية، إلا أننا عبر رحلة الحياة تتركز الشهوة فينا في مناطق، أكثر من مناطق بحكم التطور، والحاجة التي تلجئنا إلى أن تزداد الحساسية في منطقة أكثر من غيرها، فمثلاً عقب الولادة تتركز اللذة في **الفم**، وبدون ذلك لن يكون هذا الإقبال الفطرى في الطفل على الرضاعة. وفرويد يعتبر **الرضاعة عملية جنسية**، فحتى مع امتلاء معدة الطفل باللبن، وعدم حاجته إلى المزيد منه، فإنه يجد لذة في **المص**، وإن لم يجد الثدى يمصه فإنه يمص إصبعه أو يمص البزازة، وهذه اللذة من المص ستستمر معه طوال العمر، وسيجد لذة من بعد وهو بالغ أن يستخدم المص أيضا في العملية التناسلية، ولولا اللذة التي يجدها فيه ماكان وضعه **للقلم** مثلاً في فمه من حين لآخر، وتدخين **السجاير**، أو وضعه للغليون في فمه وقد يكون فارغا. ثم تلى هذه المرحلة الفمية الأولى **مرحلة فمية ثانية** عند ظهور الأسنان، فيجد الطفل لذته في **عض** الثدى والبزازة، وأن **يلوك** الطعام، وهذه المرحلة هي أساس **السادية** وهي اللذة المتحصلة من إلحاق الأذى، **والسادية الفمية** هي لذة جنسية تتحقق باستخدام الفم، فالهجّاء أو العضّاض الذى هذه صفته سادى فمّى. **والسمين** المفرط في السمنة سادى فمّى، يجد لذته في تحطيم الطعام. وبالمثل فإن **الثرثار** يحب أن يلوك الكلمات، وكأنها الطعام يلوكه في فمه، **والخطيب والشاعر والمغنى** يتلذذون بالكلمات، يحركون بها شفاههم. وقد يصل التثبت على المرحلة الفمية أن يشذ الشخص عند البلوغ ويطلب الإشباع الجنسى عن طريق الفم لاغير، وذلك دأب **اللاعق للفرج، والمتعشق أو المتعشقة لمص القضيب**. وهذه المرحلة الفمية التي قد تستمر آثارها في الكبر تستغرق عمليا **الثمانية عشر شهرا الأولى** منذ الميلاد، أى إلى أن يصير عمر الطفل **سنة ونصف**، ورغم قصرها إلا أنها حاسمة وتقرر مصيرنا ونحن كبار، وتحدد اتجاهاتنا الجنسية، فاللبنات الأولى في جنسيتنا توضع في هذه السنة والنصف، وما نخبره من لذّات فمية نستولدها فينا ذاتيا، أو يستولدها فينا الكبار بالقُبَل على شفاه الصغار، أو بالرضاعة المشبعة، هي إرهاصات ماسنكون عليه جنسيا مستقبلا، فإذا لم تُلَبّ حاجات الطفل الفمية فإنه قد ينشأ به **جوع عاطفي**، يقلب توازنه العاطفي، ويجعل علاقاته بالناس والجنس الآخر على هيئة معينة تسبب له القلق والمتاعب. ولايعلم علماء النفس كثيرا عن أحوال الأطفال في هذه السن، لأن الأطفال لايتكلمون، وليس من سبيل إلا الملاحظة والانطباعات الشخصية. ولقد لاحظ علماء النفس أن الآباء يعاملون الأطفال في هذه السن معاملة تختلف باختلاف

جنس الطفل، والولد يلقى معاملة فى الرضاعة بخلاف معاملة البنت، وعلاقة الطفل بأمه فى هذه المرحلة هى أساس علاقته بالموضوع من الجنس الآخر الذى سيتخذه بديلا للأم يعطيه حنانها ويعوضه عنها، فإذا كانت علاقة الطفل بأمه **مشبعة** فإنه سينمو شخصا **متفائلا**، ولكنه سيكون **اعتماديا** ينتظر من الناس أن يعطوه الحب، وإذا لم تكن العلاقة مشبعة فسينمو **متشائما** ومكتئبا وعدوانيا. وفى الحالين ستطبعه **المرحلة الفمية** بطابعها إذا كانت مرحلة متميزة بالإيجاب أو بالسلب، لأنها ستجعله شخصا يفكر فى نفسه وفى حاجاته ويطلبها من الآخرين، فهو دائما **طالب**. ومن الطلب أن يبكى الطفل فى هذه السن كثيرا لدى استخلاص أمه لثديها من فمه، ويتولد لديه الشعور **بالازدواجية** مبكرا، فيحب الثدى يُعطَى له، ويكرهه يؤخذ منه، ويتعلم **ثنائية الحب والكراهية**، ويعى الطفل أهمية الثدى ويفرح لرؤيته ويهتز، ويرضعه بنهم ويشد فيه وكأنه يريد أن يأكله، **ويستدمجه** فيه، وهذا الشعور نفسه قد يكبر معه بحيث عندما يحب تعتمل فيه نفس مشاعر **الاستدماج** وتكون به رغبات لاشعورية بأن **يستدمج** المحبوب. وقد تتولد فى الطفل منذ الطفولة الباكرة مشاعر **حسد للثدى** وتوجه نموه الجنسى وجهة شاذة، فقد يُقسره هذا الحسد على أن يقلل من شأن الثدى من بعد، ويجعله ذلك يقلل من شأن النساء ويصبح **لوطيا**، وقد تزيد به الحساسية فى ثدييه هو، ويكبر ليطلب من شريكه فى الفعل الجنسى أن يمص ثدييه أو يتناولهما بيده. وقد **يتسامى** به حسد الثدى فيجعله رقيقا كالنساء، ويمتهن مهنا فيها عطاء كالثدى، كالطب والتدريس أو رعاية اليتامى إلخ. وقد تتولد لديه **عقدة ثدى** نتيجة المرحلة الفمية ومشاكل الرضاعة، وينصرف ذهنه إلى **قضيبه** من بعد كشبيه للثدى، ويخشى عليه من الفرج كشبيه للفم، ويتولد لديه **تصور الفرج المُسَنَّن**، فيحسب أن قضيبه لو جامع سيعضه الفرج ويخصيه بتوهم أن بالفرج أسنانا.

وبعد المرحلة الفمية تأتى **المرحلة الشرجية**، وتتركز فيها اللذة الشهوية فى عملية **الإخراج**، وفى العملية المقابلة لها وهى **الامتناع عن الإخراج**، والمنطقة الشهوية هنا هى **الشرج**، وليس أدّل على أنه منطقة شهوية من **اللواط**، ولو لم يكن الشرج محط لذة وشهوة دائمين منذ الولادة ماكانت هذه الحساسية اللواطية عند المصابين باللواط، واللواط نفسه أثر من آثار **الشهوية الجنسية بالشرج** منذ الطفولة. وتكون المرحلة الشرجية فى **السنة الثانية** من الميلاد، ونلاحظ أن الطفل فيها يحب أن يجلس ليتبرز، وقد يجلس هكذا

بالساعات، ونلاحظ أنه ينتصب أثناء التبرز ويحب أن يمسك قضيبه بيده، وإن كان بنتا فقد تحب أن تضع الأشياء فى فرجها، أو تطوله بإصبعها تُنفذه فيه. وفى هذه المرحلة يتدرب الطفل على **الإخراج**، وتكثر أمه من الحديث معه حوله، وقد تضربه. وتتأتى اللذة فى هذه المرحلة من الإخراج أو الامتناع عنه، ومن **البراز** نفسه يتأمله أو يلعب فيه. وتتأثر شخصية الطفل فى الكبر بخبراته فى هذه المرحلة، **فتنظيم التبرز** قد يطبعه بطابعه فينمو شخصا مدققا منظما، **والميل إلى الإخراج** قد يتحول عنده إلى بذخ وإسراف فى المال، **والامتناع عن التبرز** قد يصبح عناداً فى الشخصية وبُخلاً وتقتيراً فى المال، وذلك أن هذه السمات تكون منذ الصغر بما تحمله المرحلة من طاقة شهوية ترتبط بالعادات الشرجية وتتثبت. ولربما يجعله **اللعب بالبراز** محبا للألوان، وقد يدفع الشحن الشهوى لهذا الميل إلى التسامى به ويصنع من الشخص فنانا. وتعتبر المرحلة الشرجية بقسميها **مرحلة سادية**، حيث ترتبط اللذة فيها بالعدوان يقع عليه من والديه لكى يتبرز، ولكى يضبط تبرزه ويتعلم النظافة، ويغضبه الاعتداء عليه وأن يُحَرم من شئ يخصه وهو البراز، وهذه **الخصوصية** يتعلمها وتتحصل له الخبرة بها لتكبر معه وتتحول إلى اعتزاز بخصوصيته، وقد لايخبرها ولايكون لديه هذا الوعى بالخصوصية. وانفعاله بالغضب وميله المتنامى للاعتداء كنتيجة لغضبه هو مانسميه **السادية الشرجية**، وهو الميل للاعتداء كلما تعلّق الأمر بمسائل تتصل بالشرج وبخبراته، سواء كانت هذه الخبرات صريحة وظاهرة الصلة بالشرج، أو أنها مموهة ومخفية. ومن **الخُلُق الشرجى** فى مجال الحب أن يكون المحب سخى اليد كريما، أو أن يكون متعشقا للنظام والتفانى فيه، فيصبح إن كان رجلا رقيق الخُلُق محبا لخدمة امرأته، فيطبخ لها ويكنس وينظف الأولاد، وإن كان امرأة فقد تصبح ربة بيت ممتازة، أو موسوسة تفنى طاقتها فى النظافة حتى لقد تضطرب حياتها بهذ الميل، وهو مايسميه علماء النفس **عُصاب ربة البيت**. والملاحظ أن المرحلة الشرجية تكون مصحوبة بالكثير من التصورات تتحصل للطفل عن طبيعة **الأخذ والعطاء**، وإن لم تتم معاملة الطفل بحكمة فقد تصدمه خبراته على المستوى الوجدانى وتضطرب بها حياته العاطفية.

وتأتى المرحلة القضيبية بعد ذلك فى نحو **السنة الثالثة** من الميلاد، وتتركز فيها اللذة فى **المنطقة القضيبية وفى الفرج**. وكان الطفل قد اكتشف أعضاءه الجنسية أثناء المرحلة الشرجية وخلال تبوله أو تبرزه. وخلال تناوله لقضيبه أو عبث البنت بفرجها، يكتشف الطفل

أن هذا العضو يعطيه تناوله له لذة يطلبها على فترات، وذلك منه إرهاص **بالاستمناء باليد**، وقد يجعله هذا الاكتشاف يحصر طلب اللذة فى العضو الجنسى فقط، وقد يثيره الانطباع الذى يتركه غضب أبيه أو أمه من تناوله لقضيبه بيده فيكون ذلك نواه للخجل مستقبلا من الرغبات أو الممارسات الجنسية، أو للشعور بالذنب. وقد يربط بين العقاب وتناول قضيبيه بيده ويتولد لديه الخوف من كل مايتصل بعضو الجنس عنده، والخوف من العقاب ينزل به ويعلم أنه يتصل بهذا الجزء من جسمه، ويكون قلقة المسمى **بقلق الخصاء**. وإذا كانت تهديدات أبويه له صريحة بقطع هذا الجزء إذا لعب به مرة أخرى فقد تنشأ به صراعات قد يصاب منها **بالعُصاب** يكون مداره الجنس.

والطفل فى **السنوات الخمس الأولى** التى تكون بها هذه الجنسية المرتبطة بالطفولة يتعلق بأمه من حيث هى موضوع إشباعه، والطفل الذكر يزيد تعلقه بها لأنها أنثى وإن لم يكن قد أدرك بعد معنى الأنثى والذكر، إلا أن مضمون الأنوثة يتحصل له تلقائيا من خلال عطاء أمه وعطاء أبيه، والفارق فى المعاملة. وهو يشتهى أمه، وقد يلتصق بها فينتصب عفويا، ويَلَذ أن تراه أمه عاريا ومنتصبا، ولكنه يخشى أباه ويخاف من تهديداته بقطع قضيبه، ورغما عنه يكره الأب وتتكون لديه ميول عدوانية ضده، ويضطر إزاء تهديد الأب أن يكبت ميوله الشبقية لأمه، وذلك مانسميه **بعقدة أوديب**، تيمناً باسم هذا **الملك أوديب** فى الأسطورة اليونانية الذى قدّر عليه أن يتزوج أمه ويقتل أباه. والأسطورة رمز لهذا الصراع الذى بين **ثالوث الأب والأم والطفل**. وأما البنت فإنها لاتعانى من تهديدات بإخصائها كالولد، إلا أنها تكتشف أنها ناقصة التكوين وليس عندها هذا العضو العجيب الذى ينتصب وله استخدامات عجيبة أخرى فى التبول، وترد إليه مهارة الأولاد عن البنات. وهى بحكم اكتشافها لأنوثتها وتميز الذكور تميل إلى الأب أكثر من الأم، ولو أن الأم تعطيها أكثر من الأب، إلا أن عطاء الأب متميز، لأنه يعاملها كأنثى، ولأنه ذكر ويوقظ فيها أنوثتها. ويدفعها **حسدها للقضيب** الذى تكتشف أنها لاتملكه ويملكه الأولاد أن تقوى علاقتها بالأب، وتغار من علاقته بأمها، وتبدأ تعانى من صراعات تجاه الأم. وهذه **الصراعات الأوديبية** هى أهم خبرات الطفولة الجنسية، ويتوقف على حلّ هذه الصراعات مصير الطفل أو الطفلة عندما يكبران وتكون لهما علاقات بأفراد من الجنسين. **والطفل الذكر** سرعان مايدرك نتيجة هذه الصراعات مما يلحقه منها من خبرات محصلها اللذة أو الألم، وسيتعلم أن يتخلى عن حبه

الشهوى لأمه نظير أن يكون له حب شهوى ببديلة عنها تتحقق له بها اللذة دون ألم أو عقاب. وسيتأثر الطفل بمعاملة أبويه له بتأكيدهما بهذه المعاملة لدوره الذكرى إن كان ذكرا، أو دوره الأنثوى إن كان أنثى، وإلا فستختلط عليه الأدوار، وتعمى عليه **هويته الجنسية**، إذا كانت الأم ستدلله كبنت وهو الولد، أو إذا كان سينشأ كالأولاد وهو البنت. ولسوف تتحدد بناءً على معاملة الأبوين للطفل اختياراته المستقبلة لزوجته، أو لزوجها إن كان الطفل أنثى، وستتحدد معالم شخصيته إن كانت به ميول أنثوية أو كانت بها ميول ذكورية.

ويمر كل طفل بهذا **الموقف الأوديبى**، ويختلف الناس عن بعضهم البعض فى درجة تخلصهم من آثاره التى تلازمهم طيلة حياتهم، ولربما تبقى **عقدة أوديب** دفينة تعمل عملها لاشعوريا، وربما قد تُكَبت ميوله الجنسية تماما سواء فى الطفولة أو فى المراهقة، وربما يتسبب هذا الكبت فى توجهات معينة جنسية أثناء تكوين الأنا والأنا الأعلى من حيث تحريم بعض الأقارب جنسيا كالأم والأخت، والملاحظ أن الولد بالذات يتعيّن بأبيه، وتصير زواجره له ونواهيه قواعد لسلوكه، ويتعيّن بسلطته أناه الأعلى الذى قد يظل يهدده من أعماق اللاشعور كلما همّ بعمل جنسى محرّم.

وفى كتابىّ **كينزى** عن **السلوك الجنسى عند الأنثى والذكر** رصْدٌ لحالات إنعاظٍ لأطفال فى **السنة الأولى** من العمر، وتزيد النسبة مع زيادة السن إلى نحو ٢٪ من الأطفال. والإنعاظ يكون بالانتصاب عند الولد والهِزّة دون إمناء، حيث أنه لم يبلغ بعد، ويلحظ ذلك الوالدان بقلق. ومع التقدم فى السن إلى **الثالثة والرابعة والخامسة** يكون اكتشاف الإنعاظ بالتناول باليد. ويقول **كينزى** إن **الأطفال البنات** دون الخامسة أسرع فى اكتشاف الإنعاظ باليد عن الأولاد. ويتحصل الإنعاظ للولد والبنت إذا وضعا بطنيهما على السرير. ومن شأن هذا الوضع أن الحركة من خلاله قد يكتشف الطفل معها إيقاع الجِماع بتحريك عَجُزه أعلى وأسفل، وذلك أيسر على الأطفال الأقوياء. وفى حالات الأطفال فى **الثالثة أوالرابعة أو الخامسة** قد يقلّد الطفل صنيع الكبار أو الأطفال مثله. وكثيرا مايحدث أن هؤلاء الأطفال الصغار يلعبون مع بعضهم جنسيا ألعابا مختلطة، أو ألعابا مع البنات فقط، أو مع الصبيان فقط. وتدل بحوث علماء الأنثروبولوجيا على أن الأطفال **دون الخامسة** يتعلمون الجنس ويقلدونه من الكبار، حيث لاتكون الممارسات الجنسية بين الكبار موضع إخفاء أو

استتار. كما أن الملاحظ أنه فى عالم الحيوان يتعلم الصغار الأساليب الجنسية خلال **اللعب الإيهامي**، ويكون هناك انتصاب للذكور واستسلام جنسى من قِبَل الإناث. ولعل أكثر مايميز الأطفال فى هذه السن هو **حب الاستطلاع**، ويتجه الوجهة الجنسية **كميل للتطلع الجنسي واستراق النظر أو السمع للفعل الجنسي** عند الكبار، وليس أحبّ إلى الصغار دون الخامسة من التنظر الجنسى أو استراق السمع، وقد ينمو ذلك عند الطفل من بعد فيصبح مرضا حقيقيا، وقد ينحصر التنظر إلى منطقة بعينها من الجسم تُشْحن جنسيا ويكون بالتطلع إليها هياجه الجنسى كبالغ، وهو مايطلق عليه **البُضعية الجنسية**، وقد يستعيض عن هذا البُضع برمز له كما فى مرض **الفيتيشية**، وقد يتسامى به ويتحول التنظر الجنسى فى الطفولة وَلَعاً جنسيا فى الكِبَر بالجسم الإنسانى ورسْمه أو تصويره.

وفى هذه السن أيضا نلاحظ أن الأطفال يحبون التعرّى، ويلهون باللعب فى أعضاء بعضهم البعض الجنسية أثناء التعرى فى حمام البيت أو حمام السباحة. وهذا التعرى نفسه قد ينمو ويتحول إلى عَرَض عُصابى يأتيه البالغ قسرا عنه وتكون له به اللذة الجنسية. وربما بِضَرْب الطفل قد ينتهى عن ذلك، ويتكون لديه من الطفولة الباكرة ردّ فعل، فيستشعر الخجل من التعرى ويبالغ فى الاحتشام. وإننا لنلاحظ ذلك كثيرا فى البنات حيث يُكثرن من شد الفستان لأسفل ليغطى الفخذين، وخاصة إذا كانت هناك معايرة من الأولاد الذكور برؤية سراويلهن التحتية. ولذة التعرّى هذه قد تظل قوية لسبب أو لآخر عند الطفل وتكبر معه، وقد يفيد من هذا الميل الشديد به فى عمله أو عملها **كمانيكان**، أو فى **التمثيل الاستعراضى**.

وألعاب الأطفال فى هذه السن جنسية إذا كان اللاعبون من الجنسين، أو هى ذات مضمون جنسى، أو لها دلالات جنسية، الأمر الذى يجعل القول **بالفصل بين الأطفال** الذكور والإناث فى السن قبل **السابعة** أمراً مطلوباً علميا، وطالما نحن بصدد **التربية الإسلامية**، غير أننا ينبغى أن نعلم أن المحرك للألعاب الجنسية ليس الجنس بقدر ماهو **حب الاستطلاع**، وذلك أن البنات إذا تركن يلعبن مع الأولاد فإن البنت يقال لها دائما لاتتعرّى ولاتجعلى الأولاد يرونك عريانه، ولاتتبولى أمامهم، غير أنه قد ثبت أنه فى ٦٠٪ من الحالات فإن البنات **يستطعن رؤية عورة الأولاد واكتشاف الفرق فى التركيب التناسلى**، وفى ٣٠٪ من الحالات يكتشف الأطفال فى هذه السن **عورة الكبار** حيث قد لايجد الكبار حرجا فى

التعرى أمام الصغار. وفى هذه السن أيضا فى **الطبقات العمالية وفى الريف** يعرف الصغار أسرار العلاقات الجنسية، وهناك **لعبة العريس والعروسة** المفضلة عندهم، ويلعبها الصغار بزفة ثم دُخلة، فتخلع البنت سروالها ويضع الولد أصبعه فيها.

ويجرب الأطفال فى هذه السن معنى **اللواط**، ويتحصلون على معلومات عن **جماع الأولاد**، والبعض منهم يُساء استخدامه من قِبَل الكبار، والكثير من المعلومات فى هذه السن تأتى عفوية وتؤثر على السلوك المستقبلى للطفل عندما يبلغ، وتحدد نمط استجابته عندما يتعرض من بعد للتجربة الجنسية. والبعض قد يعانى بسبب تحصيل هذه المعلومات مشاعر ذنب يتصرف من وحيها بارتباك شديد وخجل، أو قد يحذر المواقف التى تسببها وينشأ يعاف الجنس أصلا.

وتنتهى المرحلة الجنسية الطفلية فى حوالى **الخامسة**، وتعقبها **مرحلة الكمون latency** التى تستمر مع الطفل حتى بدء المراهقة، ويغلب أن ينصرف فيها الأولاد عن أمور الجنس. والأولاد فى هذه المرحلة يتفاوتون بحسب تكوينهم الجسمى وخبراتهم وتأثير البيئة، ومنهم من يستمر خلال مرحلة الكمون فى العبث بأعضائه التناسلية، أو عمل العادة السرية عفويا، أو القيام بممارسات جنسية تناسلية غير سوية، أو سوية كالتى يمارسها الكبار. ويكون **حب الاستطلاع الجنسى** عند البنات على أشده فيسألن حول مسائل الجنس ويردن أن يرين بأعينهن. وبعض البنات تتحصل لهن خبرات سماعية حتى لَتتأثر عملية النمو النفسى الجنسى عندهن، وتتكون بهن **أنوثة مبكرة**، فتظهر أثداؤهن قبل أن يراهقن، وينمو الحوض، وتتصرف البنت بوحى من معلوماتها والصفات الأنثوية الثانوية الباكرة عندها. وبعض البنات إذا جامعن فى مرحلة الكمون قد يحملن، بالنظر إلى استمرار تعرّض البنت للهياج الجنسى الذى يعجّل بعمل المبيضين ونزول الحيض مبكرا. وفى مرحلة الكمون الجنسى هذه والتى تستمر إلى **سن الحادية عشرة أو الثانية عشرة** يعرف الأطفال معنى **التسامى بالغريزة الجنسية**، فتكون الرفقة والصداقة، ويلتصق الولد بأبيه والبنت بأمها برغم أن الموقف الأوديبى يكون قد انحلّ ولم يعد قائما، وكأن الطفل يستعد للتغير الأكبر فى البلوغ، ولذلك يطلق **فرويد** على هذه المرحلة اسم **الكمون**، ومعنى **الكمون** أن الجنس يهمد فى هذه السنوات، ولاتكون له وطأة، ولايتسبب فى كراهية تشحن صاحبها وتدفعه للعدوان، ويفسح المجال أمام قوى الذات لتنمو، وليكبر الأنا الأعلى بالتمثّل بالوالدين

والإخوة الكبار والمدرسين والمدرسات وأفراد الأسرة البالغين. وفى فترة الكمون الجنسى يستشعر الأولاد كثيراً **الخجل**، ويعمل الخجل كوجاء للطفل من الرغبات الجنسية. وتلعب **الوراثة** دورها فى هذه الفترة من حيث استعدادات الطفل الجنسية، ويعدّلها أو ينمّيها أو يوقفها أسلوب **التربية والتعليم**. وتستغل النظريات التربوية هذه المرحلة فى **عملية التعلّم**، من حيث أن الطفل يتحرر فيها من شواغله الداخلية التى يمكن أن تصرفه عن تحصيل المعرفة والتعلّم. ويمكن تقسيم مرحلة الكمون الجنسى إلى فترتين، الأولى **المرحلة الباكرة** early latency، وتتميز بالانصراف عن الشواغل الجنسية وتَوَقُّف ممارسة العادة السرية، **والمرحلة المتأخرة** late latency، أو مرحلة **ماقبل البلوغ** prepuberty، ويكون التوجه الجنسى للطفل فيها غيريا، أى يميل الولد أن يصاحب البنت وتميل البنت أن تصاحب الأولاد، وتعود الاهتمامات الجنسية من جديد، ويعود الأطفال إلى ممارسة **العادة السرية الطفلية** infantile masturbation، والترجمة الصحيحة للفظة mas-turbation هى **الاستمناء باليد**، غير أن الأطفال **لايمنون**، أى لاينسكب منهم السائل المنوى الذى ينسكب من البالغين، ولذلك نميل إلى استخدام اصطلاح **العادة السرية**، لأنها تُمارَس **كعادة** يداوم عليها الطفل، وممارسته لها تكون **سرا** وليس علنا. وليس من وسيلة أخرى لتصريف الطاقة الشهوية فى هذه المرحلة إلاّ **بالعادة السرية**، أى بطريقة ذاتية، فالطفل لايكون مستعدا نفسيا وجنسيا بعد ليكون له التصريف الغيرى، ويبدو أن أصل العادة السرية **هو مص الإبهام** الذى يكون معنا من الطفولة الباكرة، ويذهب بعض علماء النفس إلى القول بأن إتيان مص الإبهام يُسلمنا إلى العادة السرية، باعتبار الإبهام بديلاً مناسبا فى الطفولة الباكرة للقضيب الذى يتأخر اكتشافه، فإذا اكتشف الأطفال وظيفته الإضافية عندما ينتفخ فإن عادة مص الإبهام تصبح عادة استمناء باليد، وفى هذه المرحلة لايكون الطفل مهيئا بعد ليكون موضوعه الجنسى شخصا من الجنس الآخر، فيناسبه لذلك أن يكون تهيجه وإشباعه **ذاتيان**. وقد يتوقف النمو النفسى الجنسى للكبار عند هذه المرحلة بحيث يتثبت الليبيدو على مايناسب الأطفال دون الكبار، وبذلك يسلك الطفل سلوكا جنسيا ذاتيا، ولايتطور إلى أن يسلك السلوك الجنسى للبالغين، وعندئذ يكثر من الاستمناء باليد كطريقة وحيدة تناسبه باعتبار عدم تهيّئه نفسيا وجنسيا للتعامل مع الكبار، ويطلق علماء النفس لذلك على هذا السلوك اسم **الطفولة الجنسية** sexual infantilism **(انظر أيضا البلوغ، المراهقة)**.

الفصل الثامن

انحرافات الأطفال الجنسية Children's Sexual Deviations

وتأثير البيئة والتربية على نفسية الطفل، والنتائج التي ينتهي إليها الموقف الأوديبي، والصراعات التي يعاني منها الأطفال وتؤدي بهم إلى السلوك المنحرف جنسيا واجتماعيا

قد تظهر بعض التصرفات الجنسية الشاذة على سلوك الأطفال في مرحلة ماقبل البلوغ وخلال المراهقة. وليس من السهل أن نصف الطفل بأنه **منحرف جنسيا** لمجرد أنه تصرف بشكل غير مألوف، أو أتى من الأفعال أو الأقوال ما لا يقره العرف أو لا يوافق عليه المحيطون به، فما لم يكن السلوك الجنسي المستهجن منطبعا في شخصية الطفل، ويغلبه عليها ويلفت إليه الانتباه باستمرار، ويتكرر منه ويتواتر عنه، فليس من سبيل إلى تشخيص مثل هذا السلوك بالانحراف.

والطفل عادة يبدأ حياته وطاقته الشهوية موزعة على جسمه وأعضائه كلها، ويجد لذته الجنسية في غير أعضاء الجنس فيه مثلما يجدها في أعضاء الجنس، ثم تتمايز فيه أحاسيس اللذة قبل البلوغ في المنطقة الشهوية، وتكون في المرحلة التناسلية في هذه المنطقة بالذات، ولكنه يظل يستشعر الشبق من غيرها في المناطق التي يكون تناولها أو التوجه إليها بمثابة مقدمة للنكاح. والطفل في بداية حياته تكون توجهاته الجنسية مِثْلية وغيرية، إلا أنه في مرحلة المراهقة يكبت التوجهات المثلية ويسمو بها فتكون توجهات لتكوين **الصداقات**، وتقتصر التوجهات الجنسية على النواحي الغيرية. ويسمح «الأنا» للطفل في المراهقة بأن تكون له توجهاته الجنسية المثلية، ولكنه يصرفها في الصداقات المتسامية. وقد يحدث أن يتنكر الأنا للميول المثلية الجنسية ويرفضها بالكلية، وحينئذ لاتجد هذه الميول الإشباع أو التحقيق إلا من خلال الأعراض المرضية العُصابية، وقد يكون من هذه الأعراض أن يخاف من أن تكون له علاقة بأشخاص من نفس جنسه، فإذا لم يعترض الأنا على الميول الجنسية المثلية وسمح بها ووافق عليها، فعندئذ يَظهر انحراف **اللواط** على الطفل المراهق ويكون صريحا في سلوكه.

وقد يظن الطفل أن **العادة السرية** مسألة مألوفة وليست ظاهرة مرضية طالما أنها تنتشر بين المراهقين. ويتوقف النضج الجنسي عند الأطفال على انتشار أمثال هذه العادات

وتطورها فى حياتهم. ويبدأ كل طفل حياته الجنسية بممارسات يُطَلق عليها تجاوزاً اسم **العادة السرية**، ويمر فيها عبر مراحل عديدة، ثم يعرف الصحاب ويتعلق بهم تعلقا يعبر عن ميوله الجنسية المثلية فى هذه السن، ويسير نضجه الجنسى إلى غايته وهى **النكاح** الذى طرفه الآخر شخص بالغ من الجنس الآخر، غير أن هذا التطور الجنسى لايتم بسهولة، وربما يخرج سلوكه الجنسى عن هذا المسار السوى فى أى مرحلة من مراحل نموه وعندئذ يكون **الانحراف**.

ويتوقع المجتمع من كل طفل أن ينصاع للأوامر والزواجر، وأن تنطبع شخصيته بقيم المجتمع، ولذلك يوافق المجتمع على أنماط السلوك التى يبين منها أن الطفل يدارى ميوله الجنسية ويتعفف بها، ولايوافق على أنماط السلوك التى يتجه بها صاحبها إلى إشباع ميوله الجنسية فى تحدٍّ لقيم المجتمع، إلا أن المجتمع أيضا أكثر تسامحا مع الأولاد عنه مع البنات، وقد يتجاوز الوالد عن بعض السقطات فى السلوك الجنسى لابنه ولكنه لايمكن أن يتهاون إزاء أى هفوة أخلاقية تصدر عن ابنته. وكذلك فإن الناس لاتدين كثيرا زِير النساء، ولكنهم يزهدون فى اللوطى ويتأففون من صحبته ويتبرأون منه. ويبدو أن الفيصل فى كثير من أمور السلوك الجنسى **هو المجتمع وقيمه**. والمجتمع فى كثير من مسائل الاضطرابات الجنسية هو المرجع فى تقرير صفة **الانحراف**. وعندما يقضى الناس فى حالة الطفل بأنه غير طبيعى جنسيا فعندئذ فقط يعرضونه على **الطب النفسى** طلبا للعلاج. **والناس هم** أيضا السبب فى الانحراف الجنسى إنْ وُجِد، والمعروف أن كل طفل يتأثر سلبا أو إيجابا من الناحية الجنسية **بعلاقته بأبويه**، تقريباً أو نبذاً، وقد اصطُلِح على اطلاق اسم **الموقف الأوديبى** على هذه العلاقة، وتتولد عنها صراعات قد يحلّها الطفل حلاً سويا بمساعدة الأبوين، أو قد لايفلح فى حلها فتستمر معه إلى النضوج ومابعده. وكثيرا مايحدث أن **يأخذ الطفل عن الكبار المفاهيم الجنسية الخاطئة**. وهو يؤاكلهم وينام معهم ويعيش بينهم حتى ليلتقط منهم كل القيم والسلوكيات الجنسية دون أن يعى ذلك. وفى كثير من الحالات ينام الصغار مع الكبار فى حجرة واحدة ويشعرون بالكبار يمارسون الجنس أو يشاهدونهم. وقد يعيش الطفل مع أمه ويرقد فى سريرها وتتصرف معه تصرفات فيها المحبة المغالَى فيها، فتوقظ فيه كوامن الجنس مبكرة، فيجعله ذلك نشيطا جنسيا عندما يكبر، ويظهر من السلوك الجنسى المغالى فيه مثلما كان يتلقاه. وقد يغالى الأبوان فى قهر الميول الجنسية

عند طفلهما، وعندئذ قد يثور على ذلك ويفجُر خلُقيا كردّ فعل على مايلقاه منهما من قسوة وتزمت. والمعول عليه فى مسائل **الانحرافات الجنسية** عند الأطفال أنه كلما كان التنبيه إلى المسائل الجنسية سواء بالإباحة أو المنع، كلما كان ذلك أدعى إلى التفكير فيها والردّ على مستدعيات إباحتها أو منعها بما يناسبها من سلوك قد يتعزز باستمرار ويتثبت مع الطفل.

ويكتشف الأطفال عادة لذة تناول الأعضاء الجنسية باليد مبكرا جدا وذلك من نحو **السنة الأولى أو الثانية**، ويطلق العلماء على ذلك تجاوزاً اسم **الاستمناء masturbation** أو **العادة السرية** كما تشتهر بين العامة. واستمناء **الأطفال** فى هذه السن ليس كاستمناء الكبار من حيث أن الطفل لايُمنِي بالفعل لأنه لم يبلغ بعد، إلا أنه مع ذلك **يأتى سلوك الاستمناء** ويمارسه، وتتحصل له اللذة الجنسية. وينتصب قضيب الطفل، وكذلك ينتصب بظر البنت. ويستمنى بعض الأطفال أكثر من غيرهم إذا كانت هناك استثارة جنسية متعمدة أو غير متعمدة من أحد الوالدين، بمعنى أن الطفل عندما يوقَظ وعيه الجنسى مبكرا فإنه قد يواصل هو نفسه ما بدأه أهله معه، فإذا صار الطفل فى سن الصبية فقد يلجأ إلى الاستمناء متباهيا على أقرانه، أو يحاول بسلوكه الاستمنائى أن يبزّهم ويتفوق عليهم. واستمناء الصبى قد يتخذ شكل **الإظهار أو التعرّى**، أو يكون بقسر طفل آخر على أن يمسك له قضيبه ويدلكه له. وقد تكون هناك انحرافات أخرى، إلا أن الاستمناء على الحقيقة لايكون إلا بعد **البلوغ**. وقد يدفع الاستمناء باليد أو بالحك فى الفخذ أو بالحك فى شرجٍ آخر إلى الإسراع بالبلوغ. **واستمناء البالغ** يتوخى غاية وينتهى الفعل الجنسى بالإنزال، فى حين أن **استمناء الطفل** قد يقنع بالانتصاب أو يبالغ فينتهى بالهِزّة دون الإنزال. **وهزة الطفل** تحيره وتدهشه، وهى إذ تنتابه تتسع لها عيناه ويذهل بها عما حوله. واستمناء الأطفال لايعد شذوذاً مالم يتطرّف فيه الطفل ويصاب من جرائه بالقلق. واستمناء الصبية والمراهقين يلحقهم منه **الشعور بالذنب** بعد أن يعى استهجان الوالدين له، فإذا كانت البيئة متسامحة بشأن الاستمناء فإن هذا الشعور بالذنب يقل وأحيانا يتلاشى ولايكون هناك القلق المصاحب. ويستمنى بعض الصبية بكثرة حتى ليمكن أن يمارسه الصبى فى اليوم الواحد عشر مرات. ويبدو الطفل المفرط فى الاستمناء كما لو أنه يأتيه قسرا عنه فلا يملك أن يمتنع. **والاستمناء القهرى** من هذا النوع ظاهرة مرضية، وهو دليل على قلق كامن مستحكم. ولا يمنع الاستمناء القهرى المراهق من أن تكون له ممارساته الجنسية الأخرى.

ويصاحب الاستمناء تصورات، إلا أن الأطفال فى مرحلتى النمو الفمية والإستية لاتكون لهم تصورات، ويبدو أنهم يكتفون باللذة الحسّية المتحصلة. وفى هذه السن المبكرة تكون خبرة الطفل بسيطة وخياله محدود، ومن ثم لا يبدو أن تكون له تصورات، ولكنه إذ يتجاوز المرحلة الفمية (أى مرحلة الرضاعة) والمرحلة الشرجية أو الإستية (مرحلة التلذذ بالإخراج) ويدخل فى المرحلة القضيبية (اللذة الجنسية المتمركزة فى القضيب) فإنه يبدأ يتصور الفعل الجنسى ويتخيل أن له موضوعا للممارسة الجنسية. **وتصوراته أو خيالاته** فى هذه المرحلة وفيما يعقبها من مراحل، عندما يمر نموه **بالكمون** ثم **المراهقة**، تكون تصورات أو خيالات شَبِقَة أو عدوانية، أو تكون مزيجا من الاثنتين بحسب نوع الخبرات التى دخلها من قبل. والتصورات أو الخيالات الشبقة حسّية فى طبيعتها، وموضوعها **واحد من الأبوين** بحسب جنس الطفل، فالبنت تحلم بأبيها، والولد تدور خيالاته الجنسية حول أمه. غير أن هناك خيالات جنسية **مثلية** مثلما هناك خيالات جنسية **غيرية**، والطفل الذى له هذه الخيالات المثلية يشطح خياله الجنسى متخذاً له الوالد من نفس الجنس موضوعا له، فالولد يحلم بالأب، والبنت تحلم بالأم. وتكون الخيالات **سادية أو ماسوشية**، بمعنى أن الطفل قد تتحصل له القدرة الجنسية بتهيؤات موضوعاتها جنسية ولها شكل عدوانى سادى، أى أنه برغم جنسيتها إلا أن لذتها تكون فيما يفعله هو من ممارسات عدوانية تلحق بالوالد المعنىّ، فإذا كانت التهيؤات **ماسوشية** فإنه يجعل نفسه موضوعا للألم الذى يلحقه من أحد الوالدين. ويعانى الطفل من **صراعات** هائلة بين مختلف هذه التهيؤات أو الخيالات، وبينها وبين بعضها البعض فى مستوياتها المختلفة من اللاشعور، وبين المحتوى الشعورى للتهيؤات ومشاعر الطفل الواعية تجاه والديه، وبين المحتوى الشعورى للتهيؤات وإمكانية أن يسلك السلوك الذى يظهرها. وتسبب له هذه الصراعات الهائلة **خوفا هائلا ومشاعر ذنب** كبيرة وعذابات لايقوى على احتمالها، فيحاول التخلص منها بأن يغير سلوكه، وينفر من الاستمناء طالما أن هذه التهيؤات تأتيه وهو يستمنى، ويخشى كل الخشية الرغبة فى الاستمناء ويجهد أن يمتنع عنه، وأن يصرف ذهنه إلى تهيؤات أخرى، أو أن يكبت مايعتمل فيه من رغبات وتهيؤات، ولهذا يكون هناك **امتناع مؤقت** عن إتيان الاستمناء خلال فترة **الكمون**. ثم تأتى **المراهقة** ومعها التغيرات الفسيولوجية فيلّح عليه الجنس ويعاود الاستمناء والتخيل، وتنشط التهيؤات اللاشعورية وتحاول النفاذ من الكبت والخروج إلى الوعى من

جديد. وهذه المحاولات للتهيؤات اللاشعورية لأن تكون شعورية هى التى تجعل المراهق يصاب **بالقلق** من جرّاء تأثير الاستمناء عليه، وتنتابه **المخاوف اللاشعورية** أن تعاوده التهيؤات الفظيعة وأن تلّح عليه ويمكن أن تتحقق. وتضعفه مخاوفه وينهار تحت وطأة صراعاته، ويستمر فى إتيان الاستمناء، وقد يدرك أن رغباته الجنسية أقوى منه، وأنه يعانى منها نفسيا. وتزيد حالته سوءا إذا صاحبت كل ذلك **تهديدات من الأبوين** وتحذيرات من ممارسة الاستمناء.

ويختلف **الاستمناء القهرى** عن **الاستمناء العادى** كما أسلفنا من الناحيتين الإكلينيكية ومحتوى التهيؤات المصاحبة. ويمارس الطفل الاستمناء القهرى بلا لذة ومن غير إحساس بالإشباع. وقد يمارس الأطفال الكبار الاستمناء كوسيلة للإساءة لأنفسهم أو للآخرين، وكأن الطفل يقول لنفسه "لاينبغى أن أستمنى، لأن الاستمناء محظور علىّ، ومن ثم ينبغى أن أتوقف عنه، ولكنى لااستطيع الامتناع عنه، ومن ثم فسأستمر فى الاستمناء لأعاقب نفسى، بأن أسئ لنفسى، واستحق العقاب لأنى مستمر فى الاستمناء". وكأن الاستمناء قد أصبح بمثابة الرغبة الغريزية فى الطفل يأتمر بأمرها، وكأنها صارت له كالأنا الأعلى تأمره فيطيع.

وقد يضطرب تعيّن الطفل بجنسه ويختلط عليه الأمر بخصوص **دوره الجنسى**. وقد يرتبط الطفل الذكر بأمه ويتصرف مثلها ويميل إلى الثياب النسائية. ومن الطبيعى أن يلتصق الولد أو البنت بالأم، ولكن غير الطبيعى أن يستمر هذا الالتصاق من الولد بأمه بعد السن الأوديبى. وأمثال هذا الولد قد يُستَغل من أقرانه استغلالاً جنسيا سيئا، أو قد يبدى من السلوك الجنسى مايدرجه ضمن **المأبونين**. ولربما يكون الأب غائبا عن محيط الأسرة لسبب ما، وربما يعطى للأم دورا أكبر من دورها، وعندئذ لايتعين الولد بأبيه ولكنه يتعين بأمه، أى أنه يأخذ عنها **الدور الأنثوى اجتماعيا ونفسيا** ويتنكّب دوره الحقيقى الذى افتقد القدوة فيه عن أبيه. وتتربى لديه ميول نحو النساء خليط من الميول **السادية والماسوشية**، كما تنشأ عنده نحو الرجال ميول **لواطية سلبية** واتجاهات فيها الخضوع والاستكانة. وتنقسم ذات الصغير فى سن مبكرة بحيث يشعر حيال الأولاد والرجال بأنه أحيانا ذَكَر مثلهم، وأحيانا يشعر بأنه أنثى. وإذا لم ينته الطفل إلى حلّ ينهى بالنسبة له مسألة تبعيته لأحد الجنسين، فإن خيالاته تشطح به إلى نواح لواطية، وتنمو عنده انحرافات **كالفيتيشية**

وهى أن يغرم بلباس النساء يقتنيه أو يرتديه. فإذا كانت المراهقة وكان الإلحاح شديدا للدافع الجنسى فقد تؤدى به التهيؤات اللواطية أن يمارسها على الحقيقة. وأما **الأطفال البنات** فقد ينشأن على الخوف من الأمهات، وتكون بهن رغبات عدوانية تجاههن، وقد تتنكّب البنت دورالأنثى وتكره أن تكون زوجة وأمّاً، وقد يستميلها الأب إليه ويوقظ فيها كوامن الجنس الذى تكبته، وتستشعر الهزيمة إذ ينصرف عنها الأب بعواطفه إلى الأم فتكره الأب، وتنسحب كراهيتها إلى كل الرجال وتعزف عن أن تكون لها بهم علاقة، فتتحول إلى النساء وتقنع بصحبتهن، وقد تشبعها علاقاتها الوجدانية النسائية عن أن تكون لها علاقات جنسية غيرية بالرجال.

والطفل الولد قد يتثبت عنده حبه لأمه ويتعين بها، فيسعى بين أقرانه أن يكون موضوعا لحبهم كما أن أمه موضوعٌ للحب من أبيه. وقد يعانى الطفل الذكر من سوء معاملة أمه فيتعين بها ليرضيها. وقد يقوم هو نفسه بتمثيل **دور الأم** مع طفل أصغر منه ويعامله كما تعامله أمه، كما لو كان هو نفسه هذا الطفل الآخر، ويبدأ **اللواط** من تقمّص هذا الدور. وقد يخشى الولد الصغير أن يغضب أمه لو أساء إلى أخيه فيحاول استرضاءها بأن يحسن إليه، ويغالى فى الإحسان إليه كما تفعل أمه، وفى مثل هذه الحالات فإن **الاتجاهات اللواطية** تتربى عنده كنوع من **فرط التعويض** عن الكراهية. ويلعب السن دورا حاسما فى هذه الاتجاهات اللواطية، فلو كان تعين الولد بأمه فى **المرحلة الشرجية السادية** فإن اللواطية التى تتربى عنده تكون من النوع الذى يعبر عن الرغبة فى الاستمتاع الجنسى بطريقة الأم، فيختار شريكه الجنسى أكبر منه سناً، ويكون سلبيا معه، أى أنه يكون **مأبونا**. وعموما فإن الشكل الذى يكون عليه اللواط يختلف دائما، وقد يكون اللواط عن طريق **الشرج**، وقد يكون **بالاستمناء المتبادل**، وقد يكون وسيلته **الفم**، والطريقة **الأخيرة** تستحسنها النساء اللواطيات.

وللأطفال فى مرحلة المراهقة صورة مثلى لما ينبغى أن يكون عليه شكل الرجل أو الأنثى، فإذا كان الطفل ضئيل الجسم واهن الصوت رقيق التكوين العظمى فقد يظن أنه **مأبون**، وقد يدفعه هذا الظن أن يتنكّب البنات، وقد يتسبب له ذلك فى كراهية الجنس الآخر والعزوف عن العلاقات الجنسية الغيرية.

وقد يخشى **البالغ** ما ينتابه من رغبات جنسية مثلية، وقد يفزع من التخيلات اللواطية

التى تأتيه، وقد يحاول أن يثبت لنفسه أنه سوّى فيندفع إلى تكوين علاقات جنسية بالبنات، وينصبّ اهتمامه بهن فى أن يتحسس أعضاءهن الجنسية ويعريّهن. وهو يفعل ذلك ليؤكد لنفسه أنه ليس مثل البنات فى التركيب، ويتكرر فعله فى رفض قهرى للواطة عنده، وأمثاله تقتصر علاقاته بالبنات على **التحسيس والمشاهدة** دون الاتصال الجنسى. وهذه المشاهدة أو ذلك **التطلع الجنسى** من الانحرافات الباكرة التى تبدأ من المراهقة أو ماقبلها. وشبيه به **الاستعراء** وهو انحراف جنسى آخر يكون من الأطفال من قبْل المراهقة ويتأكد بها. **والمراهق الذى يستعرى** يبدأ بالتطلّع إلى نفسه فى المرايا، ثم يحاول ذلك على البنات أو النساء، وتتحصل له اللذة الجنسية من مشاهدة الرعب على وجوههن إذ يرين عورته يعريّها لهن، وكأن هذا الرعب أو الاستهجان هو الدليل الذى يسعى إلى الحصول عليه على أنه قوى جنسيا، ولكنه دليل لا يحوزه بفعل جنسى سوىّ بل بطريقة أنثوية، بأن يكون هو محط التطلّع من البنات ومحط الاهتمام منهن، وكأنه أنثى مثلهن تهفو لأن تكون موضوعاً للإعجاب والمحبة.

والتشبّه من الاضطرابات السلوكية الجنسية التى تكون مع الأطفال وقد تستمر معهم من بعد ذلك إذا لم تعالج حالاته باكرا. وعادة ما تكون للأم دورها فى تثبيت التشبّه فتعامل ابنها الذكَر على أنه بنت، وتعطيه اسما من أسماء البنات كنوع من التدليل، وتجعل له تسريحة شعر للبنات وتختار له ألوان ملابس البنات، فينشأ الولد وهو يحاكى البنات ويتشبّه بهن. والتشبّه اضطراب فى تعيّن الطفل بجنسه، وقد يغرى به الكبار فيحاولون مواقعته، وكثيرا مايتم ذلك مع المتشبّهن من الأطفال.

وقد يحرص الأبوان على أن يجعلوا الصغير يحب **دمية** بشكل خاص، وقد يفعل الصغير ذلك لارتباط الدمية بأحد الأبوين، ويعتاد الطفل أن لاينام إلا إذا كانت هذه الدمية معه. وقد ترتبط الدمية عند الطفل بأشياء أخرى لصيقة بها فيستعيض عنها بالدمية، وقد ترمز الدمية أو الدمى **لأحد الأبوين** وللعلاقة التى كانت للطفل به. وقد يتثبّت تعلّق الطفل بهذه الأشياء وترضيه حيازتها وجدانيا. وعندما يستمد من حيازتها. من بعد لذته الجنسية، يصبح اقتناؤها شذوذا أو انحرافا يطلق عليه اسم **الفيتيشية**، ويستخدم المراهق الفيتيشى "**هذا الشئ**" الذى يشحنه جنسيا كوسيلة يثير بها نفسه جنسيا، أو يستخدمه كموضوع للإشباع الجنسى.

وقد يحدث أن ينشأ الطفل فى بيت منحلّ خلقيا، ومن ثم يذهب الأولاد فيه إلى ممارسة النشاط الجنسى مبكرا، فإذا كانت المراهقة زادت وطأة الجنس إلحاحا وزاد تبعا لذلك النشاط الجنسى المتحرر. والبنات أكثر اتجاها إلى الانحراف فى مثل هذه البيوت. وقد يدفع النشاط الجنسى المبكر البنت إلى امتهان **البغاء**، ويدفعها إلى ذلك ما تحصل عليه فى سن مبكرة من هدايا أو مبالغ مالية من الشبان أو الكبار عندما تستسلم لهم جنسيا، وتعتاد ذلك. وقد يغرى البنت على امتهان البغاء أن لاتجد المحبة فى بيت أبويها فتسعى إلى تحصيلها خارج البيت فى سن مبكرة فتكون الخطوات الأولى نحو **الدعارة**. وعندما تفرط البنت فى النشاط الجنسى فى المراهقة فعادةً مايكون ذلك بتحريض الكبار وسوء استغلالهم لها جنسيا. ويؤدى بها الانحراف الجنسى إلى زيادة فى التوتر العُصابى الذى لايجد الانفراج عندها إلا بالنشاط الجنسى المفرط. وعادة ماتكون المراهِقة البغىّ نموذجا تقليديا لنمط **الشخصية الهستيرية**.

ويحتاج **علاج الطفل المنحرف** إلى التعرّف على معانى الأعراض عنده، ومحاولة فهم أبعاد الفعل الجنسى الذى يأتيه قهرا وبشكل متكرر، ومساعدة الطفل على التخلص من التوتر الذى يعانى منه والذى يدفعه إلى ممارسة هذا الفعل الجنسى المنحرف كنوع من التنفيس، وإعانته على التوجه إلى المنصرفات الصحية التى يصرّف فيها نشاطه، بجعل المنصرفات القهرية المرضية غير صالحة للممارسة. ويحيط المعالج بالانحراف عند الطفل فى ضوء تقويمه لشخصيته كلها ورؤيته للأعراض كجزء من الخبرة الكلية للطفل بالحياة. وليس من المستحسن أن يُعزَل الطفل مع غيره من الأشباه للعلاج فذلك يؤكد الانحراف، **ولكن أفضل طرق علاج انحرافات الأطفال الجنسية** تكون بعلاج يتوجه أكثر إلى ما يعانيه الطفل من اضطرابات عُصابية. والأطفال الكبار للأسف أقل استجابه للعلاج. ويمكن علاج الأطفال الصغار فى جلسات تجمع الأسرة كلها فتنكشف التوترات والعلاقات الشاذة بين أفرادها، وبذلك يستطيع المعالج أن يتوجه بالعلاج للطفل، وكذلك للوسط الذى نشأ فيه وكان سبباً فى وجود هذا الانحراف (Sexual Deviations : Comprehensive Textbook of Psychiatry).

* * *

الفصـــل التاسـع

البلوغ الجنسى Sexual Puberty

البلوغ المبكر والمتأخر. وإيقاع الحياة مع البلوغ. وما يطرأ على علاقات البالغ بالأسرة والأصدقاء

ينبهنا **فرويد** ومدرسة التحليل النفسى وبحوث **كينزى** والآخرين إلى أنه فى الطفولة كما فى المراهقة توجد ممارسات وأنشطة جنسية. والجنس فى الطفولة له مظاهره الكثيرة المتعددة وله تأثيراته فى المستقبل، سواء على البلوغ أو مابعده، ويطلق **فرويد** والآخرون اسم **الجنسية الطفلية** على نوعية الجنس الذى يمكن أن نشهد آثاره على الأطفال وسلوكياتهم حتى سن **الخامسة**، وبعد سن الخامسة تقريبا تكون **مرحلة الكمون** التى تهدأ فيها الرغبات والممارسات الجنسية، وكأنها السكون الذى يسبق العاصفة فى البلوغ. **والبلوغ** الذى نعنيه هو **البلوغ الجنسى**، بحيث يخبر الولد أو البنت مايخبره الرجال والنساء من علامات الرجولة أو الأنوثة، كأن يُخَط شارب الولد، ويبدأ شعر العانة فى الظهور عند الجنسين، ويخشوشن صوت الولد، ويكبر ثديا البنت ويمتلأ حوضها، وغير ذلك من العلامات الجنسية الثانوية. وليست هناك سن حاسمة تحدث فيها هذه التغييرات أو تؤذن بالحدوث، وذلك لأن **البلوغ مسألة فردية** تختلف من طفل إلى طفل بحسب الظروف الاجتماعية والصحية والبنيوية والنفسية لكلٍ، **وللبيئة** دخل فى التعجيل بالبلوغ أو تأخيره بحسب اليُسْر الاقتصادى فى البلد، والمناخ هل هو حار أو بارد، والظروف السياسية هل هى تسبب القلق أم أن الناس فى ظلها فى استرخاء نفسى. وفى **بلادنا العربية** ربما يكون هناك تبكير فى البلوغ، فكما قيل فإن السيدة **عائشة رضى الله عنها** بلغت فى **التاسعة**، وكما ورد فى **روميو وجوليت لشكسبير** فإن جوليت بلغت فى **الحادية عشرة**. وبلوغ البنات يسبق بلوغ الأولاد بنحو **سنتين**. ولايعنى ظهور الصفات الجنسية الثانوية على الطفل أنه قد تم بلوغه، وإنما هذه الصفات إرهاصات بالبلوغ، ولايكون تمام البلوغ إلا بنزول **أول حيض** على البنت، وانتظام نزوله من بعد فى أول كل شهر حيضى بحسب الدورة الحيضية الشهرية للبنت، ونزول **المنى** من الولد بالاحتلام أو بالعادة السرية. ونعرف من دراسة الجنس عند الأطفال أن الممارسة الفعلية للعادة السرية، أو ممارستها مجازا، ربما تبدأ فى **السنة الثالثة**

للميلاد، والعادة السرية فى هذا السن **إنعاظ** دون نزول المنى، إذ أن الولد يكون غير ناضج للإمناء، وأما بعد البلوغ فإنه لأول مرة يُمنِى. على أنه فى بعض الحالات قد يحدث البلوغ مبكرا عند الولد وعند البنت أيضا، وفى **البلوغ المبكر praecox pubertas** ينمو الولد ويضخم وتظهر عليه علامات البلوغ الثانوية، وتضخم أعضاؤه التناسلية. وضخامة الأعضاء التناسلية فى هذه الحالة بخلاف ضخامتها فيما يسمى **متلازمة الضخامة التناسلية macrogenitosomia**، وأما فى البنت فالبلوغ المبكر يطلق عليه اسم **النسْوَنة المبكرة precocious matronism** وتصيب البنات الصغيرات، فيكبر منهما الثديان والصدر والحوض والركبتان، ويظهر على البنت أنها أكبر سنا، وتحيض قبل الأوان، وتكون بها حيوية، إلا أنها تُستغضَب بسرعة. ورغم أن البنت تكون لها توجهات جنسية إلا أنها تفكر بطريقة طفلية، وتقع لذلك فى مشاكل جنسية لايسعفها فيها عمرها الزمنى بالحل السليم. والكثير من **بنات الإصلاحيات** يعانين من هذا الاضطراب. كما أن البنت التى تظهر عليها علامات النسونة المبكرة تقع فى مشاكل عائلية كثيرة، والبعض قد يحملن، وهناك حالات لبنات حملن فى **سن السادسة**، وتلك استثناءات لايُعتدّ بها، والمعوّل عليه أن يمضى البلوغ هيّناً، وقد تمر السنتان أو الثلاث سنوات بين أولى **إرهاصات البلوغ** وبين **البلوغ الحقيقى**. ولا نعرف ماهية هذه **الساعة البيولوجية** التى تتحكم فى توقيت البلوغ، غير أن البحوث تؤكد على الدور الذى **للمهيد** فى المخ، وأنه هو الذى يعطى الإشارة **للغدة النخامية** كى ترسل بدورها **للمناسل** لتفرز الهرمونات الجنسية، ولانعرف ماالذى يجعل المهيد يفرز إفرازاته الإيقاعية هذه فى وقت مادون آخر، وقد يعجّل بالبلوغ حتى ليكون باكراً أو يؤخره حتى ليبدو شديد التأخير. وبرغم محاولات ردّ الأسباب للماديات من ظروف المعيشة وغيرها، إلا أنه يبدو أن **الحالة النفسية** هى العامل الحاسم، وهى التى تستحث الجهاز العصبى المركزى إلخ ليستقبل تأثير العوامل الداخلية والخارجية الأخرى.

ومرحلة البلوغ بالنظر إلى أنها مرحلة طويلة تستغرق عدة سنوات وليست مُظاهرة متساوقة، فإن البعض قد يقسمها ثلاث فترات، **ماقبل البلوغ**، ثم **البلوغ نفسه**، وأخيرا **مابعد البلوغ** أو عقابيل البلوغ، والبعض قد يجعل الفترة الثالثة مستقلة ويعطيها اسم **المراهقة**. **والفترة ماقبل** البلوغ يؤرخ لها بأواخر **مرحلة الكمون**، وكما هو واضح من اسم **الكمون** فإنها المرحلة التى تَعِدّ للبلوغ، وفى نهايتها أو قرب هذه النهاية تبدأ مؤشرات

التغييرات التى ستكون، ويبدأ سلوك الطفل يتغير، ويبدأ الاهتمام بالجنس سواء مايخص منه الذكور أو الإناث، ويستيقظ حبّ الاستطلاع من جديد، ويستمر ذلك لبعض الوقت، ثم تكون التغييرات نفسها فكأن الدنيا قد انقلبت رأسا على عقب، فالتوازن يختل، والهدوء يزول، وتستيقظ الصراعات الأوديبية التى كانت قد همدت، وتضطرب أحوال الصغير وينشد الاستقرار المستحيل، فيتعين مرة بهذا الشخص أو ذاك القريب، ومرة بهذا المدرس أو الزميل، ويتعجل فى حبه وكراهيته، ويتقلب بين مختلف المزاجات، وتتخالف توجهاته العاطفية، وتكثر سقطاته السلوكية الأخلاقية، وقد يعاود أنماط السلوك الجنسى التى كان قد هجرها فى الكمون، وقد يقسر نفسه على نشاطات ذهنية لعلها تصرفه عن التفكير فى ماهية مايحدث فيه وله، وقد تضطرب أحواله وينعكس ذلك على جُناحه. وإن لم يجد الصغير مايمسك عليه نفسه من تربية أو تعليم يبصّرانه بطبيعة هذه التغييرات، فإننا لايمكن أن نتكهن بنتائجها على تفكيره أو وجدانه أو سلوكه، وقد تطبعه هذه النتائج بطابعها وتلزمه طوال حياته.

ولربما يقال إن نوع الحياة الحديثة التى نحياها تعجّل بالبلوغ بمقتضى الاستثارة المستمرة عن طريق **أجهزة وتكنولوجيا الإعلام**. وهذه تعطى الأطفال جرعات من المعلومات الجنسية تُغنى عن أى تعليم فى المدارس أو فى البيت، إلا أن ماتقدمه الإذاعة والتليفزيون والفيديو والسينما والقصص والمسرحيات يحتاج إلى تفسير لايمكن أن يتوافر إلا فى **المدرسة والبيت**. ومن ناحية أخرى فإن **المدرسة** ينقصها المدرس المتخصص فى **التربية الجنسية**، وليس هناك هذا الفرع من المعرفة فى كليات ومعاهد التربية العربية، كما أن البيت تعوزه **الثقافة الجنسية** أيضا، فكم من أب وأم قد يكونان أجهل جنسيا من أولادهما، وكثيرا مايحدث أن يُشغَل الأبوان بالإيقاع السريع للحياة بحيث تستغرقهما المشغوليات عن واجب الترشيد الأبوى. والنتيجة أن الآلاف من الأولاد يعيشون فى ظلام من التجهيل بأخص أمور تطورهم، ولايجدون الجوات لمئات من الأسئلة التى يقصم عبئها ظهورهم، ويعوق حركتهم، ويعرقل تكيفهم واستواء نموهم ونضجهم. ويظل قلق البلوغ يقضّ مضجعهم، فلا الولد يعرف نهاية لما يعانيه، ويظل ينظر لنفسه فى المرآة يتحير ماذا سيكون عليه بعد تمام التغيير، ولا البنت تدرى حقيقة ما يحدث لها، وتُدَهش لمتغيرات بدنها وتتحسسها، وقد تخجل منها أو قد تستهويها وتستثير خيالها فتريد أن تؤكد ذاتها

بتأكيدها، وتصطنع لنفسها مشية الكبار وحركات السيدات، وقد توقع نفسها فى مواقف لم تتهيأ لها عاطفيا وفكريا وتفشل فى التعامل معها. وربما كان هذا الإيقاع السريع للحياة هو الذى جعل بنات وأولاد اليوم يبكرون فى البلوغ بمقدار **أربعة أشهر كل عشر سنوات**، وهو ما تبين حديثا بدراسة سنّ البلوغ فى القرن والنصف الماضيين، إلا أن فترة ماقبل البلوغ بشكل عام تقع بين **العاشرة والثانية عشرة**، ولايمنع ذلك أن يكون البلوغ أسبق من الثانية عشرة، وأن يكون ماقبل البلوغ أسبق من العاشرة فالحدود بين مراحل النمو النفسى الجنسى تتداخل، ولربما نجد شابا أو شيخاً يعانى من طفولة جنسية، كما قد نجد المراهقة عند الشيوخ بمظاهرها، ونجد الشيخوخة المبكرة عند الشباب، ومهما كان العمر الذى نحن فيه فجميعنا به مظاهر الطفولة الجنسية وماقبل البلوغ والبلوغ، أو أننا جميعا نجمع فى سلوكياتنا اليومية الطفولة والمراهقة والشيخوخة فى وقت واحد. وحتى لو اعتبرنا الظواهر الجسمية الفسيولوجية علامات على مراحل التطور النفسى فإنها لن تكون كذلك دائما، لأننا نستطيع أن نفصل الظواهر الجسمية أو الفسيولوجية عن الظواهر النفسية، وهناك مثلاً فتيات يحِضْن قبل أن يدركن البلوغ النفسى، وهناك أيضا من يدخل من الفتيان والفتيات **البلوغ النفسى** قبل أن تظهر عليهم أو عليهن الظواهر المادية **للبلوغ الفسيولوجى**. وكذلك فى سن **الإياس** فقد يشيخ الرجل مَظْهراً إلا أنه مايزال يجامع، وقد يبدو على المرأة أنها أيِسَتْ ولكنها فى الحقيقة ماتزال تحيض وتبدو نشيطة برغم مظهر الشيخوخة.

وفى **فترة ماقبل البلوغ** يختلف السلوك عنه فى مرحلة **الكمون**، وأهّم مايميز الأطفال فى هذه الفترة هذه الفورة النشطة التى تبدو عليهم أولاداً وبنات. غير أن الملاحظ أن نشاط الأولاد إيجابى بينما نشاط البنات سلبى، فالولد يريد أن ينخرط فى كل شئ وأن يحقق إنجازاً فى كل مجال، والبنت تبدى الطاعة وتريد أن تقوم بعمل ما يناط بها مهما كان. ويتحقق نمو **الأنا عند الولد** بأن يكتشف البيئة ويلم بمجريات الأمور ويسيطر عليها، ويتحقق نمو **الأنا عند البنت** بأن تستزيد من التعين بالدور الأنثوى. وفى فترة ما قبل البلوغ يريد الطفل أن يلقى عن نفسه أوهام الطفولة وتصوراتها، بأن تكون له علاقات جديدة بأناس آخرين، وأن يجرب أن يكون له موضوعات حب يمكن أن يتعين بها، وتظهر به حاجة قوية لأن يتعامل معه الجميع على أنه صار أكبر وأرشد، ويناضل ليتحقق له ذلك، إلا أن

تعين الولد **بالدور الذكورى الفاعل** يجعله يتوجه وجهة مختلفة عن وجهة تعينات البنات **بالدور الأنثوى السلبى**، فمثلا قد يذهب التفكير بالصبى إلى أن يقول إنه سيتزوج عندما يكبر، وذلك معناه أنه سيختار لنفسه زوجة ما، بينما قد تفكر البنت فى الزواج باعتبار أن رجلاً سيختارها زوجة. وهذا السلوك الإيجابى فى التفكير فى سن ماقبل البلوغ يجعل الولد يفرض نفسه على البيئة فى البيت والمدرسة والشارع لكى يكون له دور إيجابى، بينما يتوجه نشاط البنت إلى أن تستزيد من الدور الأنثوى السلبى بأن تطيع التقاليد وأن تتعين بأمها أو مدرساتها. ولكى يفعل أيهما ذلك وينجح فيه، فلابد أن يكون الآن قد نما إلى حد ما ليستطيع أن يضطلع بهذه المهمة، وهى أن يبلغ الولد مبلغ الرجال، وأن تبلغ البنت مبلغ النساء. وفاعلية الولد تحقق له نمو الأنا، بينما سلبية البنت تحفظ عليها تماسك أناها. ويساعد الولد على نمو أناه أن عضلاته تنمو ليستطيع أن يتفاعل مع الواقع ويقوم بنشاطه فى البيئة، بينما تجعل التغيرات الأنثوية البنت سلبية بما تفرضه عليها من أنماط سلوكية تدارى بها بروز الثديين والأرداف. وكلما كانت بنية الولد ضعيفة يكون ميله إلى التعين بشخص أقوى منه. ولايحدث **دائما** أن يتعين الطفل بالوالدين، والولد قد يكون فى السن قبل البلوغ نقّادا عيّابا على أبيه، وتنتقد البنت أمها، لكن بينما قد يجهر الولد بنقده لوالديه والمدرسة ووَسَط أصحابه، فإن البنت تصنع من علاقتها بوالديها حكاية رومانسية وتفاخر بهما وتقدمهما فى صورة أفضل لصويحباتها. وعموما فإن ظاهرة **الطفولة النفسية**، أى السلوك بطفولة برغم تجاوز مرحلتها، تكون **أقوى عند البنات**. والنماذج أكثر فى مجال البنات على **تبعيتهن للوالدين وخاصة الأم**، حتى عندما تكبر البنت وتتزوج. وقد لايجد الولد من يتعين به، ولكن البنت تحتاج دائما إلى هذا التعين، وربما يكشف ذلك ضعفا فطريا فيها يجعلها تميل إلى أن تركز على غيرها وتحتمى به أو فيه. وبعض الأطفال يسلك تعينهم اتجاها عكسيا ويتعينون بشخصيات عكس الأم أو الأب. وقد يبحث الولد لنفسه عن صاحب سئ، ومعظم **الجُناح** لهذا السبب، وكذلك الحال فى البنات، غير أن اختيار البنات فى هذه الحالة يتجه إلى **صاحبة أكبر سنا**، لحاجتها مع تمردها على الأم إلى أم بديلة إلى جوارها وفى وعيها. وقد تورطها الصاحبة الكبيرة فى السن فى علاقات أكثر خطورة، فقد تدفعها فى طريق الغواية، والكثير من الانحراف إلى **البغاء** له هذا السبب. وعندما لايكون الأبوان محل إعجاب من الأولاد فإن الولد قد يذهب إلى التعين بأشخاص خارج نطاق

الأسرة، أقدر على التكسّب، أو لهم مناصب مرموقة، أو مشهورين فى مجال من المجالات، بينما قد تنجذب البنت فى هذه السن إلى **شهيرات النساء** من الشخصيات العامة وتتعين بهن، ومعظمهن من المتحررات كالممثلات والراقصات والمغنيات ممن تحفل الصحف بأخبارهن. وفى أحد البحوث حول **المهنة** التى يريدها الأطفال فى المدارس المتوسطة فى سن ماقبل البلوغ، اتجهت غالبية الاختيار عند الذكور لمهنة **الطب والهندسة والمحاماة والأعمال الحرة**، وكلها مهن تُدر على أصحابها **دخولا عالية**، بينما اتجهت غالبية اختيارات البنات لمهن غايتها **الشهرة**، كأن تطلب البنت أن تكون **مذيعة أو صحفية أو دبلوماسية أو ممثلة أو مغنية أو عارضة أزياء أو راقصة باليه**. والكثير من البنات طلبن أن لايعملن ويتزوجن رجالا أغنياء يتكفلن بهن.

وللعلاقة **بالإخوة والأخوات** دور فى التعين فى السن قبل البلوغ، فالولد الذى ينشأ بين **بنات** يسلك مثلهن، وكذلك البنت التى تنشأ بين **أولاد** تتصرف بذكورة وتكون لها طموحات الذكور. وكثيراً ما يتعين الولد **بأخيه الأكبر**، وقد يحسده ويكرهه. والغالب أن تغار البنت من أختها الكبرى. وتشكل **البطولة** دوراً فى تعينات الأولاد، بينما تتجه البنات إلى التعين بشخصيات **واقعية** من محيطهن **كالمدرسات**، وقد يشطح خيال البنت فتتعين بشخصية رومانسية من كتاب أو مسرحية أو فيلم. وبينما قد تجد حجرة الولد فى البيت مليئة بصور **أبطال الملاكمة وكمال الأجسام والممثلين والمغنيين** من الشباب، فإن حجرة البنت قد تملأها **مجلات الأزياء وإسطوانات الأغانى**. والبنات أميل لهذا الجو الرومانسى، ولهن ولع بالتمثيل. والبنت فى السن قبل البلوغ تحب أن تروى مايحدث لها بتمثيله، وفى التمثيل يكون إخراج الرغبات الشعورية واللاشعورية. ومن دأب البنات النظر لأنفسهن **فى المرايا** وتخيل أنفسهن على أوضاع معينة، وأكثر ماتتصور لنفسها من أدوار هو دور **الغانية**. والولد يحب أن ينظر لنفسه فى المرآة ليتعرف إلى جسمه، ويدخل فى تدريبات عضلية وصوتية يقلد بها **الدون جوان**. والولد فى هذه السن يقبل على **الطعام** ليبنى جسمه، بينما البنت تجرّب **الماكياج** وتحاول الرجيم، وتتجمل لتكون لها الصورة التى تطلبها لأناها وتلفت لها الأنظار. وعلى العكس **لايهتم الولد بملابسه ولا بنظافته**. وتهوى البنت **الثرثرة** واستطلاع أسرار الناس، وتحب أن **تتوسط** فى قصص الحب، وتنفعل للمعاناة، وتتعاطف بشدة، والتعبيرات التى تلجأ إليها صارخة ومسرفة فى المشاعر، على عكس الولد الذى يحب أن

يكون **موضوعيا**، ولايتقبل بسهولة مايقال له وينكره وينقده بشدة. وتتخذ البنت **صديقة** لها تبادلها الأسرار، وتخصها بكل مشاعرها، وتطلب إليها أن لا تخبر أحدا، ولكنها سرعان ماتقول لأخرى ولثالثة، وفى كل مرة تطلب إليهن أن لايقلن لأحد. والولد يفعل نفس الشئ، لكنه لايشارك صديقه الثرثرة والخوض فى الفضائح وسيرة الناس، وإنما يشاركة **النشاط** الذى يحبه كالسباحة أو الكرة أو الرسم أو الرحلات، وهما قد يتحدثان فى **الجنس** كما تفعل النبات، إلا أن البنات تهتم **بالأعضاء الجنسية الظاهرة والقصص الغرامية الرومانسية**، أما الأولاد فاهتمامهم **بالعمليات الفسيولوجية للجنس**، وذلك أن التغير فى شكل الأعضاء الجنسية عند البنات يثيرهن للتحدث فيه، وأما الأولاد فلم يحدث تغيير فى الجسم ولا فى الأعضاء الجنسية عن الفترة السابقة لما قبل البلوغ، ومن ثم فحديثهم يتجه أكثر لما يحدث فيهم، أو لما ينتظرون حدوثه من عمليات فسيولوجية جنسية. وفى هذه السن لاتكون بالبنت أو الولد رغبات جنسية، وإنما حب **استطلاع جنسى**، يكون الولد فيه **إيجابيا أو فاعلا**، بينما البنت **سلبية ومحل غواية**.

ويختلف سلوك البنت عن الولد فى **المدرسة**، فالبنت غالبا منضبطة فى المدرسة عن البيت، بينما قد يظهر الولد شقاوة فى المدرسة أكثر من البيت. وعموما **فالبنات** أهدأ من الأولاد فى **البيت والمدرسة** معا وأكثر تحصيلا.

وفى **البلوغ** يكون أهم الأحداث قاطبة **النضج الجنسى**، وهنا نجد أن العنصر البيولوجى هو الذى يوجه النمو النفسى ويؤثر فيه، ويحكم علاقة الأولاد والبنات مع أنفسهم. ولعل **المظهر الخارجى** هو أكثر مايهتم به الجميع فى البلوغ، لكى يبدو الولد أو البنت على هيئة لاتختلف عن هيئة الكبار. وتهتم البنت بملابسها وشعرها، وتضع الماكياج، وتلبس الأحذية ذات الكعب، وتتجمل أكثر مما تتجمل البنات الأكبر سنا. وكانت فى فترة ماقبل البلوغ تخجل من التغيرات فى صدرها وردفيها، ولكنها الآن تستملحها وخاصة بعد أن نزل عليها الحيض وتأكدت لها أنوثتها وبدأت تمارس العادة السرية من جديد. وأما الولد فهو بعد أن يتأكد له نضجه الجنسى من خلال العادة السرية وإدراكه لظاهرة الإمناء، فإنه ينخرط فى **الاستمناء** ويستكثر منه، ويحاول أن يتقن بعض **الحيل** التى تجعله يشعر بلذة أكبر من العملية الجنسية.

ونلاحظ أنه بينما البنت والولد فى فترة ماقبل البلوغ تتوجة اهتماماتهما الجنسية لذات

الجنس - فالبنت لها صاحبة، والولد له صاحب - وذلك ما نسميه **الجنسية المثلية**، الخاصة بهذة الفترة، فإنهما بعد البلوغ يسعيان لأن تكون لهما علاقات جنسية مع **الجنس الآخر**. وبعد أن كانت محاولاتهما الجنسية قبل البلوغ انخراطاً فى التصورات الجنسية، فإنهما بعد البلوغ تكون بهما رغبات جنسية حقيقية ويشتهيان. وأمّا **الصاحب** الذى كان للولد قبل البلوغ فإنه يستمر صاحباً بعد البلوغ، **وأما صاحبة البنت** فإن العلاقة بينهما قد تستمر وتترقّى متسامية. والبنات **أكثر احتفاظا** بعلاقات الصداقة من الأولاد، وهن يعولن كثيرا على الصداقة حتى أن التهديد بانتهائها قبل البلوغ قد يصيب البنت بالعُصاب. وإذا اكتشفت البنت قلب البلوغ أن صديقتها تخونها فإنها تُصدَم، وتتحول إلى أمها تبثها شكواها وتستعيض بها عنها. وقد يحدث أن تلتصق بالأم، فإذا كان البلوغ استمرت علاقتها بأمها وثبتت تبعيتها لها طوال العمر. وأما إذا جاء البلوغ، والبنت لها **صاحبة**، ثم صار لها **صاحب**، فإن **الموقف الجديد الثلاثى** يفجّر صراعات جنسية **مثلية وغيرية** ذات طابع ثنائى جنسى، تتروح البنت فيه مشاعر من الحب والكراهية. فإذا كانت إحدى البنتين أكبر سنا فإن الأكبر، وهى الأنضج جنسيا، هى التى تبدأ بأن تبحث لنفسها عن صاحب، وتتعاطف الصغرى معها، وقد تقوم معها بدور الخاطبة وتقدم لها أخاها وتتوسط بينهما. ويصور هذا الموقف **الروائى الكبير تولستوى** تصويرا رائعا فى روايته **الحرب والسلام**، حيث تعمل **ناتاشا** على أن تكسب ودّ أخيها **نيقولا** لصاحبتها **سونيا**. ويتوقف نجاح الاتجاه نحو الجنسية الغيرية على نجاح التغلب على المشاعر الجنسية الثنائية، أو على المراوحة بين الجنسية المثلية كما تمثلها علاقة البنت بصاحبتها، والجنسية الغيرية كما تتمثل فى علاقتها بصاحبها. وهذا **الموقف الجنسى الثنائى** يتكرر فى البلوغ. وإذا لم يتغلب الولد أو البنت على العنصر الجنسى فى العلاقة المثلية ويتسامى بها، فإن البنت والولد قد يجدان نفسيهما فى **الموقف الجنسى الثنائى** الذى مرّ بهما فى بواكير الطفولة، وكان الموقف وقتها يضم بالإضافة إلى الطفل والديه، وكانت مشاعره تتروح عندئذ بين حبه لأمه وتعيّنه بأبيه، أو حبها لأبيها وغيرتها من أمها.

ويواجة الولد والبنت مشكلة حسم **علاقاتهما القديمة** بالأسرة وبالصحاب من ذات الجنس فى سن البلوغ، وعليهما أن يحسما الموقف الثلاثى الجديد لمصلحة الصحاب من الجنس الآخر. وعلى عكس الموقف قبل البلوغ عندما كانت كل هذه العلاقات العاطفية

قائمة، سوى أنها كانت بدرجة أقل حدة، فإن الموقف فى البلوغ يكون ملتهبا والأخطار تحدق به، بالنظر إلى قوة الدوافع الجنسية ولو أنها مايزال ينقصها الهدف المباشر. وكنتيجة لذلك فإن **كل العلاقات** تكون قابلة لأن تصبح جنسية، وأن تصبح لذلك خطيرة. ويُشَحن جو البيت بالصراعات فى هذه الفترة أكثر من فترة قبل البلوغ التى كانت فترة احتجاجات ساذجة وعلاقات بأصدقاء وصديقات من ذات الجنس. ويترتب على التهاب الموقف فى البيت أن لايطيقه الولد أو البنت فتكون بهما الحاجة إلى أن يتحررا منه، وأن ينتميا إلى مجموعة خلاف الأسرة، ويتأتى ذلك بأن ينضما إلى مجموعة أفرادها من نفس الجنس أو خليط من الجنسين، وفى حالة الأولاد من **الطبقة الدنيا** قد تكّون المجموعة **عصابة** لها اتجاهات إجرامية، ومع ذلك يمكن أن تقوم بوظائف مهمة، منها استحداث التكيف الاجتماعى، وتقديم الحلول للمشاكل الفردية للشباب والتهوين من أمرها من خلال الإيديولوجيات الجماعية التى تعتنقها الجماعة. ومع ذلك فإن التطورات الانفعالية والسمات الفردية التى يمكن أن تحدث لأفراد الجماعة نتيجة هذا التجمع قد تكون خطيرة. ونلاحظ أن سلوك الولد يختلف عن سلوك البنت فى الجماعة، فالولد من بواكير البلوغ يحاول أن يشكّل **تجمعات ثورية** أو تمهد للثورة على سلطة الكبار الذين، كما يعتقد، يستعبدونه. وسنجد أنه فى سن البلوغ يتحلّق الصبيان ضد **المدرس** الطاغية ويلجأون إلى مختلف وأحطّ الأساليب لإثارته والإساءة إليه، ثم نجد أن هذا الولد الثورى نفسه ينضم إلى **جمعيات سياسية أو إيديولوجية** من بعد. وأما البنت فى سن البلوغ فهى إن لم تكن بها ميول ذكورية وتنافس الأولاد فإنها بدلا من الجمعيات السياسية المناوئة، ستكوّن صداقات، وتصنع **ثالوثاً** يضمها وصديقتها وحبيباً لها، أو هو حبيب للصديقة، ومن ثم تتجنب التفجيرات العنيفة فى حياتها، وتحذر أن تتلقى تأثيرات مدمرة لشخصيتها من الجماعة تعوق نموها العاطفى.

ولعل أحد أساليب قطع العلاقات مع البيت والعائلة فى مرحلة البلوغ **هو الهروب من البيت**، غير أن الولد أو البنت كثيراً ما يعودان وينتهى الموقف بالنسبة لهما بالمصالحة، إلا أنه فى بعض الأحيان يكون الموقف قد تجاوز حدوده ولم يعد بالإمكان الرجوع، فلربما يتورط الولد فى أعمال عنف، أو قد تتورط البنت جنسيا بحيث يتعذر تجنب النتائج المترتبة على ذلك. ولايكون الهروب من البيت دائما بسبب علاقات جنسية غيرية، وإنما **لتدهور**

العلاقة مع الوالدين، وقد يوعز الصاحب أو الصاحبة بالهروب، والغالب أنه يتم نتيجة الإحباط والشعور بالفشل والخيبة، وما يمكن أن يشكله الهروب من أمل وحرية جنسية واعدة. وهذا الهروب الحقيقى قد يأخذ شكلا مرضيا **بالهروب من الواقع المُحبِط**، بالتداعى بالعُصاب، فإذا كانت الأزمة عابرة فإن الأهل قد ينجحون فى تجاوزها وتُشفَى الحالة، أما إذا كانت الأعراض قد بدأت مبكرة فإن العلاج سيكون شاقاً وقد تسوء الحالة. والواقع أن **فترة البلوغ** حافلة بكل الاحتمالات الصادمة التى تجعل منها حدثا خطيرا له نتائجه التى ربما تكون نتائج مَرَضية، وذلك يجعل من **سنوات البلوغ والمراهقة سنوات عاصفة** فى حياة كل فرد. ومايحدث فى البلوغ ليس مجرد ردود فعل نفسيه للعمليات والتغيرات الفسيولوجية التى تتسم بها هذه الفترة، ولكن **الأهم** من ذلك مردود كل ذلك على **تطور الأنا**. ويلتحم البلوغ بالمراهقة وتتداخل الفترتان حتى ليتعذر أن نحذر توقيت المراهقة، وكما قلنا إن البعض يجعل المراهقة لاحقة للبلوغ، لأنها تترتب عليه، ويطلق عليها لذلك اسم **مابعد البلوغ**. **والمراهقة أو مابعد البلوغ** فترة طويلة يتحصل فيها النضوج الذى يبدأ بالبلوغ، وهى أهم فترة فى حياة كل إنسان، لأنها الفترة التى تكون فيها اللمسات الأخيرة فى **تكوين الشخصية**، ويتحدد بها مصير كل فرد كإنسان ناضج التكوين.



الفصل العاشر

المراهقة Adolescence

المراهقة الجنسية والنفسية، والسلوك الذى يميزها، ومراحلها الباكرة والمتوسطة والمتأخرة، واضطراباتها وانحرافاتها، ووسائل علاج ذلك

المراهقة من **الرهق**، ويقال **أرهقه** الأمر بمعنى أتعبه واحتمل منه مالا يطيق، **وأرهق** الأمر دنا منه واقترب. **والمراهقة** هى الفترة من العمر المتعبة للصبى، لأنه فيها يبلغ مبلغ الكبار، ويدنو ويقترب من الرشد. والمراهقة ثلاث فترات، فى البداية تكون **بواكير المراهقة**، ثم **المراهقة المتوسطة**، وأخيرا **المراهقة المتأخرة**. وتبكر المراهقة فتأتى قبل **سن العاشرة**، وقد تتأخر حتى نحو **الخامسة عشرة**، والغالب أن يكون البلوغ فى السن بين **الثانية عشرة والثالثة عشرة**. وقبل البلوغ يحتاج الصبى إلى نحو **السنة أو السنتين** ليدخل البلوغ، وقد يُمنى الولد أو تحيض البنت فلا يعنى ذلك أنهما استوفيا المراهقة، لأن المراهقة **فترة متواصلة حتى التاسعة عشرة**، أو أنها تستغرق **العشر سنوات الثانية** من العمر، بعد العشرة الأولى التى تستغرقها الطفولة. وبعض الناس قد تستمر الأحوال النفسية للمراهقة معهم بعد سن **العشرين**، وربما حتى **الخامسة والعشرين**. وإذن فنحن لدينا **مراهقة جنسية** علامتها الأكيدة نزول المنى من الولد، إما بالتهيّج الذاتى بالاستمناء، وإما بالاحتلام، ونزول الحيض من البنت. ولدينا أيضا **مراهقة نفسية** هى سلوك مرافق للتغيرات الجنسية فى جسم المراهق، وأحوال نفسية ومزاجية واتجاهات ذهنية. وقد تتحصل للمراهق **علامات المراهقة الثانوية**، كظهور شعر الوجه وخشونة الصوت للولد، واستدارة الحوض وظهور الثديين للبنت، إلا أنه لِيبلغ نفسياً قد يستغرق **سنوات**، ليقتنع بأنه لم يعد طفلا، وليتقبل التغيرات التى حدثت له ويتصرف من وحيها، ولتكتمل الصورة عنده لنفسه من حيث هو ذكر أو أنثى، فلربما يكون جسمه ضعيفا وصوته رقيقا فيكون التناقض بين واقعه والمطلوب منه كذَكَر، وربما يدخل تجارب مؤلمة له وأحيانا صادمة ليستوثق من ذكورته. ولربما تكون البنت طويلة القامة، لها تركيب عظمى متين، والطول فى البنات غير مقبول اجتماعيا، فتستمر عدة سنوات تجاهد مع نفسها لتصالح أنوثتها على هذه البنية الذكورية. ومن الصور المألوفة لمعاناة المراهق أن نرى البنات يدارين نمو صدورهن بأن يمشين منحنيات

إلى الإمام، وقد يشددن الأكتاف فى اتجاه الصدر فى محاولة لإخفاء الثديين، وتحاول التلميذات ستر الصدر بحقائب الكتب يحملنها على أذرعهن أمام الثديين. وقد تظل البنت التى تفاجئها المراهقة الجنسية ترتدى ملابس الأطفال وتصر على تقصير ثيابها وعدم ارتداء حاملات الثدى لأنها لم تستعد بعد **للمراهقة النفسية**.

ويذهب بعض العلماء إلى تفسير عدم مواكبة المراهقة النفسية للمراهقة الجنسية أنه رغم التطورات الجسمية التى تستحدثها الإفرازات الهرمونية، فإن المراهق قد يكون رافضا نفسيا لعلامات الذكورة فيه أو الأنوثة، لأنه يشعر إزاءها بالخجل من أهله، وغالبا مايكون هذا النوع من المراهقين قد نشأ على تجريم الجنس واعتباره من الأمور المخجلة والمخزية والمحرمة أو المحظورة. وربما هو يرفضها لأنه يفضل الطفولة حيث لا أعباء ولامسئوليات، بل اللعب واللهو والدلع واستباحة كل شئ دون تثريب أو لوم أو تقريع، فالبنت مثلا بمجرد أن ينبت ثدياها ويستدير جسمها بعض الشئ فإن أهلها يخافون عليها ويحظرون عليها الخروج أو التحدث إلى الأولاد، ويطلبون منها أن تطيل ثيابها وتجلس بحيث تدارى فخذيها وساقيها. ولعل وجود البون الشاسع بين زمن المراهقة الجنسية وزمن المراهقة النفسية يفسره الاضطراب الذى يقع فيه المراهق من ناحية تَمثّله للهوية الذكورية أو الأنثوية، فحقيقة الأدوار الجنسية مختلطة على المراهقين، وغالبا مالايكون هناك التعليم ولا التربية الجنسية التى تيسر للمراهق أن يتعرف إلى هويته الجنسية والمطلوب منه فى دوره الخاص المنوط به من حيث أهليته الجنسية. وقيل إن هذا الجهل بالأمور الجنسية الذى يعانى منه المراهقون، أو هو التجهيل المتعمد بها فى المجتمعات المحافظة أو المتدينة أو غير المتعلمة، هو السبب أحيانا فى بلوغ الصبى أو الصبية لعمر المراهقة دون أن يراهق، جنسياً ولانفسيا. ويؤثر موقف **الرفض النفسى للمراهقة** على الجهاز العصبى المركزى فتتعطل عمليات البلوغ، وذلك لأن الغدة المتحكمة فيها هى **الغدة النخامية**، وهى الغدة المايسترو التى تستحث الغدد الجنسية فتعمل، فتظهر التغيرات الجنسية بالجسم، ولكن هذه الغدة يتحكم فيها **المهيد** فى المخ، فإذا امتلأ تفكير الصبى أو الصبية برفض نفسى للمراهقة، فربما لايطلق المخ إشارته للغدة النخامية يستحث البلوغ ومن ثم يتعطل.

وربما كانت بالجسم مجازاً **ساعة بيولوجية** تؤقت للمراهقة، فإذا آن أوانها فإن المراهقة الجنسية تحدث، إلا أنّ «أنا» الصبى أو الصبية يكون مايزال بعد «أنا طفل» لم يجهز

لاحتمال أعباء المراهقة وتغيراتها ومسئولياتها، فيكون التخلف بين البلوغ النفسى والبلوغ الجنسى، ويستغرق الأمر وقتا ليحدث الاقتناع النفسى لدى المراهق بالمرحلة الجنسية التى يمر بها. والمراهقة من مراحل التطور النفسى الجنسى، وهى المرحلة **الثانية** التى تلى الطفولة وتسبق المرحلة التناسلية. وربما يرجع لهذا التخلف للأنا عن مواكبة المراهقة الجنسية **اضطراب الحيض عند البنات** بعد أن يطمئن لأول مرة.

وربما ترجع **أزمة المراهقة** إلى تسارع التغيرات الجنسية فيها دون تمهيد نفسى يعدّ المراهق لأنماط السلوك المتوقعة، فتستمر معه مرحلة الطفولة النفسية وتتواصل دون انقطاع، وتتداخل المراهقة الجنسية والطفولة النفسية دون فواصل حاسمة. وتظهر هذه الأزمة عند المراهقين على شكل **جوع حسى** sensation hunger، فيهفو المراهق لأن يجرب ويحس ويسمع وينظر كل شئ، ويظهر عليه نشاط وحركة وحيوية، والغاية من هذه الطفرة الحسية فيه تحقيق كسب نفسى هو أن يتنامى أناه ويكبر ويستقل. **والاستقلالية** من الظواهر المميزة للمراهقة، ففى الطفولة تكون التبعية، وفى المراهقة يتأكد الميل إلى الاستقلالية فى كل شئ :فى القرار والتطبيق والتجربة، وفى النظر والحكم. ومع الاستقلالية يكون القلق، وهو **قلق وجودى أصيل**، لأنه مع الاستقلالية تكون المسئولية. ومعاناة المراهق لذلك **معاناة جنسية ونفسية** معا، وهى معاناة يوجهها باستمرار السؤال التقليدى الخالد للمراهقين "**من أكون؟**" والمراهق لذلك يجد نفسه مع أقرانه أكثر مما يجدها فى البيت، وهذا هو سبب **تغيب المراهق** عن البيت وتخلّفه إلى وقت متأخر فى الليل، وعزوفه عن الكلام مع والديه، وتمرده عليهما وعلى القيم والتقاليد، لأنها من عالم الماضى، والمراهق يريد أن تكون له تعينات جديدة، وعليه قبل أن تكون له هذه التعينات أن يحسم أمره مع تعيناته القديمة. وهو فى بواكير المراهقة لايستطيع ذلك ولم يؤهَل بعد ليقطع علاقاته بأبويه، فالمراهقة تستمر فى الإنسان مدة طويلة يظل فيها الأولاد عالة على الأبوين، والمراهق يتطلع إلى المستقبل، وفى فترة المراهقة تكون تصوراته بالقدرة على إعادة بناء العالم من جديد، وليس **صراع الأجيال** بين المراهق وأبويه إلا مظهرا من مظاهر أزمة المراهقة. وبينما المراهق يريد لنفسه **الاستقلال** فإن الأبوين يريدانه **تابعا**، وبعض الآباء تعلّقهم بأولادهم عُصابى ويريدونهم أطفالا على الدوام، لأن **البلوغ** يعنى أن الولد سيستقل بنفسه وتكون له حياته الخاصة، والبلوغ يعنى مسائل جنسية لايتصورها الأب لابنه أو لابنته، والبلوغ يعنى أيضا

أن الأبوين قد كبرا فى السن وتلك فكرة يقاومها الآباء وخاصة الأمهات. وقد يسمح الأبوان ببعض الاستقلال ولكنه ليس الاستقلال الذى يكون به تخارج الأولاد عن الآباء. وتعكس هذه العلاقة العُصابية بالآباء مشاعر نقص وعدم كفاءة، وتشير إلى تخلّف ذهنى عن مواكبة مراحل النمو المختلفة وحاجاتها. وربما كانت علاقة الأبوين بالأبناء علاقة **مشحونة شحنا جنسيا قويا**، ولربما تبلغ البيت فيثير بلوغها الأب ويوقظ فيه **مشاعره الجنسية المحرمة** تجاهها. وبعض الآباء يغار على بناته ويعرقل زواجهن ويدللهن دلالا يصنع من البنت طفلة دائمة ويستبقيها فى **زواج نفسى** معه لأطول فترة ممكنة. وكذلك قد تغار الأم على ابنها وتقاوم ميوله الاستقلالية وتضغط عليه ليظل طفلها المدلل، وقد تستبقيه لفترة طويلة بعد البلوغ يقاسمها سريرها.

ويصاب بعض الآباء بالفزع أن يبلغ أولادهم سن المراهقة، وذلك أنهم قد عانوا أنفسهم منها، وربما لم يوفقوا إلى حل مشاكلها الجنسية رغم أنهم تجاوزا الأربعين، وربما ماتزال هذه المشاكل تلاحقهم حتى بعد أن تزوجوا وأنجبوا وكبر أبناؤهم. وربما يعانى الأبوان من عقد جنسية يسقطونها على أولادهم وينسبون إليهم لذلك ارتكاب أفعال جنسية محرمة، أو يتهمونهم برغبات جنسية هم منها براء، من باب الإسقاط، ولربما يعيش المراهق بسبب هذه الاتهامات حياة قلقة يعانى فيها من صراعات ومشاعر ذنب وقلق من شأنها أن تقوض بناء شخصيته. ويصدق المثل الذى يقول **الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون**. والابن يكون على مايريده أبوه أو كما هو أبوه. وفى الجنس تنتقل الصفات الجنسية إلى الأبناء من الآباء **بالوراثة**، ويكتسب السلوك الجنسى **بالتربية**، وليس السلوك الجنسى للمراهق إلا محصلة عوامل **الوراثة والبيئة**، بيولوجيا ونفسيا واجتماعيا. ولقد ثبت أن الولد يبكّر **فى البلوغ وراثة عن أبيه** الذى بلغ مبكرا، وكذلك تبكّر البنت **فى البلوغ إذا كانت أمها قد** حاضت مبكرة، **والتبكير فى البلوغ** يعنى فورة جنسية، والولد الذى يبلغ مبكرا يمارس الجنس مبكرا، إما ممارسة فعلية غيرية أو مثلية، وإما ممارسة ذاتية بالاحتلام أو بالعادة السرية. ورغم أن البنات أسبق فى البلوغ عن الأولاد إلا أن هناك **عائلات تتميز بالبلوغ المبكر** عن عائلات أخرى يبلغ أفرادها متأخرين. **والنضج الجنسى فى** العائلات التى تبلغ مبكرا يتوافق مع **النضج النفسى** أسرع منه عند العائلات متأخرة البلوغ. وكذلك تقل المشاكل الجنسية فى العائلات التى تتميز بالبلوغ المبكر ويقل بينها الطلاق.

والبلوغ فى **البنات** يبدأ أولا فى **منطقة الحوض**، فيزيد محيطه، وتثقل الأرداف، وتربو **العانة** وترتفع، وتظهر **حلمتا الثديين** ويرتفع ماتحتهما، ثم يتغير لون الحلمتين، وماحولهما، ويكبر **الثديان**، ويظهر **شعر** العانة والإبطين، ويتغير لون **بطانة المهبل**، ثم ينزل **الحيض فى** نحو سن **الثانية عشرة أو الثالثة عشرة**. والبنت تبلغ قبل الولد **بسنة أو سنتين**، فإذا كانت البنت تبلغ فى **الثالثة عشرة** فإن الوالد من سنها لايبلغ إلا فى **الرابعة عشرة**. وفى المراهقة **يطول** الولد عن البنت، وتكون أولى علامات المراهقة به أن تكبر **خصيتاه وقضيبه**، ويشعر بألم فى منطقة **الثديين** وببعض التورم ويزول ذلك من بعد، وينمو **شعر** العانة والإبطين والوجه والجسم، ويخشّن **الصوت**، بينما ينعّم صوت البنت فى البلوغ ويصير له جرس أنثوى يختلف عن جرس الطفولة. ويكون نزول **المنى** من الولد آخر مراحل البلوغ عنده، فإذا أمنى الولد وحاضت البنت فإن ذلك يعنى أنهما فى أوج بواكير المراهقة. وينتصب الولد بمناسبة وغير مناسبة، ويدخل الأولاد فى منافسات حول **الانتصاب**، ويتناقلون الخبرات والمعلومات، ويقيسون طول القضيب، وقد يهيج الولد لركوب الدراجة، وقد تتهيج البنت بالسباحة، ويحدث الإنعاظ كثيرا **بالتصور**. وللذكور تصوراتهم الجنسية كما أن للإناث تصوراتهن. ويتعلم الأولاد **العادة السرية** من بعضهم البعض، وتذكر الإحصائيات أن نحواً من ٨٠٪ إلى ٩٠٪ من الذكور يخبرون **العادة السرية** عند البلوغ، والعادة السرية فى حد ذاتها نشاط طبيعى يصرف فيه المراهق طاقته الجنسية، ولأنه نشاط غير مُشبِع فإن الطاقة النفسية الشهوية تظل كما هى بل تزداد حدة وإلحاحا للتصريف، فيتكرر الاستمناء باليد دون فائدة، ويكون **اعتياد الاستمناء**، والضرر الوحيد للاستمناء أن المراهق قد يدمنه وقد يعوقه عن تكوين علاقات جنسية تناسلية سوية عندما يدخل المرحلة التناسلية من مراحل التطور النفسى الجنسى، ولأن الاستمناء محرّم دينياً وثقافياً فإن **مشاعر الذنب** التى تعتمل فى المراهق يضطرب لها وتصيبه بالاكتئاب ويختل بها توازنه النفسى. واعتياد الاستمناء قد يصيب المراهق **بالنهك النفسى** نتيجة الإفراط فى إهدار الطاقة الجنسية إهداراً غير مشبع، وللضغوط النفسية الهائلة التى تسببها مشاعر الذنب.

والاستمناء عادة **ذكورية** أكثر منها عادة **أنثوية** عند المراهقين من الجنسين، وتثبت البحوث الاستقصائية أنه من بين **كل ثلاث بنات** لاتمارس العادة السرية **إلا واحدة**، ربما لأن الأولاد بهم ايجابية واندفاع أكثر من البنات اللاتى يتميزن بالتروِى والسلبية. وهناك

أيضا تأثير التربية التى تولى البنات عناية أكبر مما توليها للأولاد، والرقابة عليهن أشد، وتتسع دائرة المحرمات عند البنات عنها عند الأولاد. وهناك فارق تشريحى حيث يمكن تناول القضيب باليد بهدف الإمناء بينما يتعذر ذلك على البنات. والبنت يصيبها بعض الضرر بتناولها لبظرها، وقد يتلوث الفرج، غير أن البحوث تثبت أن البنات اللاتى يمارسن العادة السرية فى المراهقة حتى الإنعاظ **ينعظن بسهولة بالزواج** بعد أن ينضجن جنسيا، وقد يُنصَح بها أحياناً لعلاج حالات اللانعوظ anorgasmia عند النساء المتزوجات، وتتعلم المرأة استخدام يدها على بظرها، وتفيد هذه الطريقة مع النساء اللاتى لايستجبن لمحاولات الجماع، ولربما يفيد الاستمناء باليد النساء اللاتى يعانين من أعراض التوتر قبل الحيض ومن سوء الطمث. ويبدو أن عدد المراهقات اللاتى يمكن أن يمارسن الاستمناء باليد قد يزيد بالثورة الجنسية التى تجتاح العالم.

ويتحصل أول احتكاك للمراهق **بالقيم الأخلاقية** من خلال ممارسته واعتياده على الاستمناء باليد ونتيجة إحساسه بأنه يأتى ذنباً، ويتقوى **الأنا الأعلى** عنده نتيجة التفجر المتوالى لمشاعر الذنب. والمراهق فى المرحلة الأولى من المراهقة يمارس الجنس **ذاتيا** ولكنه بالتدريج يتوجه **إلى الجنس الآخر** يجعله موضوعا لإشباعه الجنسى. وهو فى أول الأمر يتوجه بخاطره الجنسى إلى أمه وأخواته، ويثيره فيهن أن ينظر ساقاً عارية، أو ذراعا، أو يعثر بالصدفة على إحداهن تستحم، أو يتنظّر على **أمه أو أخواته**، ويتحصل له إدراك معنى المحارم، ويعانى من رغبات جنسية بالمحارم يكبتها وتوقظ فيه الصراعات الأوديبية القديمة التى عاناها فى الطفولة والتى كان محورها رغباته الشهوية لأمه، ومايخبره المراهق من مشاعر الذنب يجعله يحاول السيطرة على نوازعه وأن يتوجه بها إلى مصارف شرعية يرضى عنها أناه الأعلى ولايتحصل له بها التصادم مع المجتمع، ومن ذلك أن يستبدل التنظّر على محارمه بأن يتنظّر على الصور العارية ويقرأ فى الأدب المكشوف. ويتبادل وأقرانه الصور والكتب الجنسية، ويجتمع بهم ويتحدثون، ولقاءات المراهقين تفيدهم حيث تنقلهم بالتدريج من الإشباع الذاتى إلى طرح الإشباع خارج نواتهم، بالحديث حول موضوعات جنسية تتدرج بهم إلى تجربة الجنس الآخر. والحديث فى الجنس يلهب المشاعر ويستثير الخيال. **والخيالات الجنسية** من متلازمات المراهقة، وخيالات البنات تختلف عن خيالات الأولاد وتعكس اختلاف الاتجاهات الجنسية عند الجنسين. وأكثر ماتستثار

الخيالات الجنسية والمراهق وحده فيندفع إلى ممارسة العادة السرية. وتذهب خيالات الأولاد إلى النساء يراهن عرايا ويعاين صدورهن وفروجهن. وأكثر ما تستهويه **الصور العارية** يجمعها للممثلات والراقصات من المجلات المتخصصة، **والأفلام الجنسية** يشاهدها مع أقرانه ويتبادل حولها الخبرات. والأولاد دائما محبون للاستطلاع ومغرمون بالمعرفة وبالاكتشاف وبالبحث. وأحيانا يكون الخيال حرا غير مرتبط بموضوع، وأحيانا يرتبط بموضوعات جنسية لبنات من الأسرة أو الجيران أو الزميلات فى الدراسة، وقد يستحدث الخيال الانتصاب، وقد يستحثه الانتصاب فيُمنى، وقد يترافق والاستمناء باليد.

وتذهب **تخيلات البنات** مذاهب رومانسية، وفى المراهقة يكون غرام البنات بالحب نفسه، والبنت المراهقة تريد أن تشعر أنها محبوبة ومرغوبة، وتحب أن تسمع الغزل ويطربها المديح، وتتمنى لو يمسك من تحبه بيديها مثلا وأن ينظر فى عينيها ويطارحها الهوى العُذرى، وأكثر ماتكون الملامسة بينهما أن يحتضنها إليه وأن يقّبلها، وتطيل التصور للقُبلة، وربما تنغط عندئذ، والاختلاف هنا واضح بين **تخيلات الأولاد الجنسية وتخيلات البنات**، حيث الأولى فيها جماع جنسى، وفيها من صنوف الممارسة كل الانحرافات، فالولد يريد أن يمص ثدييها وتمص له قضيبه، ويريد أن يضاجعها ولايرضيه إلا أن يمُنى فيها، وقد يخشى مغبة الإيلاج فيكتفى بربت قضيبه على فرجها حتى الإنعاظ، وقد يلعق فرجها، وقد يولج فى دبُرها، بينما البنت لاتذهب بها تخيلاتها لأبعد من مسك الأيدى والعناق والقُبَل والأحضان، فإذا جربّتْ انحرافات الأولاد الجنسية فقد يجمح بها الخيال إلى مافعلته فى السابق وصار ضمن خبرتها الجنسية. والغالبية من البنات لايرقى تخيلهن لأكثر من العناق والقبل والأحضان، بينما الولد بطبعه يريد أن ينخرط بكل كيانه فى الجنس ويولغ فيه، والإيلاج عنده غاية، ولايكف إلا بالإنعاظ، فى حين أن البنت يرضيها فقط معسول الكلام وتعيش التجربة الجنسية حالمة، وعندما تتورط أكثر من ذلك مع من تحب فإنها ترفض لقاءه من بعد، أو قد تشترط عليه أن لايفعل **الأشياء القبيحة** التى فعلها فى المرة السابقة. والمراهقة لاتريد الجنس للجنس ولكنها قد تمارسه إرضاء للولد بشرط أن يكون على وعد بالزواج، فالجنس عندها **التزام**، بينما عند الولد الجنس **متحرر** من كافة الالتزامات وليس فيه أخلاق ولاحرام ولاحلال. ولايسعى الأولاد إلى الحب إلا فى المراهقة المتأخرة. ويذهب المراهقون إلى اعتبار البنت التى ترضى أن تفرط فى نفسها وأن تنساق وراء مطالبهم

الجنسية سيئة الخلق، وأما البنت التى تعز عليهم فهى المؤدبة. والولد لحوح فى طلب الجنس فإذا قوبل بالصدّ باستمرار فإنه قد يعتقد فى فضيلة فتاته. وبرغم أن البنات يبلغن قبل الأولاد بنحو سنتين فإن الأولاد يبدأون ممارسة الجنس قبل البنات بنحو **سنتين**، فإذا فرضنا أن ولدا وبنتا فى سن واحدة هى **العاشرة** فقد تحيض البنت بينما الولد قد لايعرف الإمناء إلا فى **الثالثة عشرة**، ولايجرب الجنس إلا فى نحو **الخامسة عشرة**، فى حين أن البنت لاتبدأ تحب إلا فى نحو **السابعة عشرة**، فإذا كان الولد فى نحو **الثامنة عشرة** فقد يجرب الحب بدون الجنس أو به.

وتشجع مجتمعاتنا على الحب بما يطلّع عليه المراهقون والمراهقات من أفلام وقصص وصور، ومايسمعونه من أغان تدور موضوعاتها حول الحب والعذاب فيه والخيانة ونعيم الحب، وذلك يدفعهم دفعا إلى تجربة الحب. والبنت إذا حاضت وكبر ثدياها وضخم ردفاها فقد تشجعها أمها أو أخواتها على لبس السوتيان والكورسيه، والتجّمل بالروج والبودرة والماكياج، ومتابعة المُوضة فى الشعر والثياب والمشية والكلام. وقد يدفعها نوع التربية التى تتلقاها أو ظروف الاختلاط الجنسى التى تعيشها أن تجرب الجنس قبل أن تتهيأ له حتى ولو لم تكن تستمتع به. وقد تبلغ البنت المراهقة المتأخرة ولم تجرب الحب ولم يخطبها عريس، فتقلق أمها وينعكس قلقها على سلوك ابنتها، وقد تندفع فى علاقات سيئة تورطها على غير هواها طلباً للعريس. وهذا القلق من الآباء على المستقبل الاجتماعى للأولاد وخاصة البنات له مردوده على السلوك الجنسى للأولاد، ويعجل بالتورط الجنسى لهم ربما فى غير الأوان وعلى غير ما يحبون، كما أن الخوف غير المتوازن قد تتسارع به مخاوف جنسية ليس لها ما يبررها عند المراهق، وقد تؤخر التجربة الجنسية عنده وتطبعها، وتظل هذه المخاوف معه بعد تأخر زواجه، وتباعد بينه وبين زوجته، أو بينه وبين النساء، وقد لا تجعله يستمتع بالجنس، أو يصاب منها أو من جرّائها بالعجز الجنسى أو الاضطرابات الجنسيه الأخرى.

والتورط الجنسى المبكر فى البنات والأولاد ظاهرة من ظواهر سوء التوافق فى البيت، وربما يترتب على **الصراعات الأوديبية** فى مرحلة الطفولة، وغواية أحد الوالدين للطفل من الجنس الآخر، والنتيجة أن البنت التى يدللها أبوها أكثر من اللازم وهى طفلة ويكثر من تقبيلها واحتضانها، قد تتصرف بأنوثة زائده وتنشأ على ذلك، وتطلب هذه المعاملة نفسها

فى المراهقه وتسعى إليها من ذكورٍ فى مثل عمرها. ومثل هذه البنت تتولد عندها **أنوثة مبكرة**، وقد تبلغ مبكرة، وتجرب الحب أو الجنس أسبق من غيرها. وكذلك الولد الذى تزكّى فيه الأم الجنس بقبلاتها وأحضانها والتزامه النوم معها فى سريرها، قد يعجل ذلك ببلوغه ويكون به جوع عاطفى دائم وجوع جنسى قد يورطه فى علاقات متعددة، وقد تكون هذه الغواية من الأم سببا فى انحرافات جنسية عنده أو عقد نفسيه جنسية تحيد به عن أن تكون له حياته العاطفية أو الجنسية السوية. وقد يترتب على **التورط الجنسى المبكر** مشاكل حمل وإجهاض، وهروب من البيت والمدرسة، وتخلُّف دراسى، وترك للدراسة.

ويدرك المراهق **التناقض بين الدعوة الأخلاقية** فى المجتمع وبين **التطبيق الأخلاقى** فيه، وذلك أدعى له أن لايلتزم خلقيا فى الجنس، فحينما يجد الولد أن أباه ينهاه مثلا عن التدخين ويعدد له مضاره بينما هو يدخن، فإنه لن يصدقه سواء فى التدخين أو فى غير التدخين، ومن ثم فإن من شأن المجتمعات التى تكيل الأمور بمكيالين وتزن بميزانين أن لايلتزم المراهقون فيها الآداب العامة، وقد يقبلون على المحظور والحرام فى عناد وتمرد. **والعناد والتمرد** من صفات المراهقة، ولسوف نجد أن هاتين الصفتين سيكون لهما زخم سياسى واجتماعى فى المراهقة المتأخرة عندما يشعر المراهقون بتجمعاتهم الطُلاَّبية، وفى الجيش، أنهم تكتُّل له وزنه، فإذا أضفنا إلى هاتين الصفتين أن المراهق الذى يرفض تعيناته القديمة ويسعى إلى تعينات جديدة قد يندفع من أجلها إلى الانخراط فى مجتمعات المراهقين بكليته وإلى النَهَم فى القراءة – أى أنه يتوجه بنشاطه الشهوى توجها اجتماعيا مبدعا، فيحلم بعالم جديد، وقد يستغل هذا النشاط فيتبنى قضايا اجتماعية ويطالب بإسقاط حكومات. وعهدنا قريب **بالحركات الطلاَّبية** التى أسقطت **ديجول**، وألهبت الثورة فى **بولنده والمجر وتشيكوسلوفاكيا**. وللحركات الطلابية تأثيرها فى القلاقل السياسية فى **مصر وتونس**. وعهدنا قريب أيضا بأحداث الشغب فى **مصر** التى قام بها **شرطة الأمن** وهم مراهقون مجندون. والمعروف أن تجمعات المراهقين تكون من أقوى مايكون وأخطر مايكون أيضا، وولاء المراهق هو للمراهق من سنه أو الذى يكبره قليلا. والملاحظ أن زمن المراهقة يميل إلى الزيادة باستمرار بإطالة فترة التعليم، وكان الطفل قبل تعميم التعليم الإجبارى ومدّ سنوات التعليم الابتدائى والمتوسط يدخل من الطفولة المتأخرة إلى الرشد، ربما مباشرة دون أن تكون له فترة مراهقة، وقد يتزوج وهو فى **الرابعة عشرة**، ومايزال ذلك هو

المعول عليه فى **الريف المصرى**، ولقد تبين أن من بين المجندين ضمن **شرطة الأمن فى مصر** الذين قاموا بأحداث الشغب عام ١٩٨٦ مئات من المراهقين المتزوجين ولهم أولاد صغار.

ويتزايد عدد المراهقين مع الانفجار السكانى حتى صار لهم وجود محسوس فى الحياة العامة، فهناك مجلات وصحف وإذاعات ونواد ومحلات عامة وأفلام وقصص للمراهقين. والمراهقون **قوة شرائية** يُحسبَ حسابها فى أذواق الفن والموضة والسلع الاستعراضية. والمراهق **استعراضى** من باب إثبات وجوده وتأكيد ذاته. **وتجمعات المراهقين** أدعى إلى انحرافهم وجناحهم. والسلوك الفردى ينطبع دائما بطابع سلوك الجماعة، وسلوك الجماعة ينحو إلى التدنّى ليقارب أهبط الأفراد فيه. والسلوك الجماعى غالبا مايكون غوغائيا فى تجمعات المراهقين. ومن شأن تنامى القوى الذاتية للمراهق، وخاصة طاقته الشهوية وطاقته العدوانية، أنها إنْ لم توظف اجتماعيا فإنها قد تكون عنصر تدمير اجتماعى، حتى لقد زادت **جرائم الأحداث وجناحهم** زيادة كبيرة، وصارت **الأحزاب السياسية** تستغل حيرة المراهقين **والغواء العقائدى** فى المراهقة بحيث تستميل أعداد المراهقين للانضمام إليها، وتوعز لهم بالتمرد فى الجامعة والشارع، وتدفعهم إلى الثورات التى نشهدها على الساحة العربية كلها، سواء من الشباب المنتمى للجماعات الإسلامية، أوشباب الأحزاب. وتؤكد وسائل الإعلام يوميا على **فساد المجتمعات**، فيفهم المراهق أنها مجتمعات ليست فيها مصداقية، ومطلوب تغييرها لا الولاء لها. وتؤكد على **الجنس** فيحدس بأنه محروم عن عمد، وأن التحرر للكبار ظاهرة تسلّط. وتؤكد على **التنافس** فيرين فى اعتقاده أن الحياة للأقوى من الأفراد والدول. وعندما تعوز المراهق **القدوة**، حيث يحطم المجتمع نفسه أصنام الاقتداء فيه والرموز والمؤسسات الاجتماعية، فإن المراهق فى المراهقة المتأخرة قد يغالى فى التمرد وينعدم لديه الولاء والانتماء إلا لجماعته هو، وتلك طريقه من طرق دعم استقلاله وتقوية أناه. ولربما يجد المراهق الواعى أن هذا السقوط الاجتماعى بمثابة التحدّى له، وقد يدفعه إلى أن يحاول أن **يغير العالم** للأفضل، وعندئذ قد يجعل من تجمعاته وتكتلاته **نواد علمية وأدبية وفنية للترقّى والبحث**، وهناك أمثلة كثيرة لإبداعات المراهقين فى كل المجالات، وخاصة فى **الرياضة** حيث أنها الأظهر لتطورات المراهقة البدنية.

والمراهقون بحسب المجتمعات التى تضمهم، فإن كانت الإيجابيات أظهر فى المجتمع فالمراهقون أنحى إلى **الإيجابية**، غير أن التزايد المضطرد للجُناح والانحراف يجعل منهما

ظاهرة ملفتة. وحيثما كان هناك تجمع من المراهقين فينبغى الحذر. وفى تجمعات **الهيبيز** مثلاً تتنوع السلوكيات فنعثر على أشدها تطرفا فى الانحراف حتى الاغتصاب والقتل وتعاطى المخدرات، ونجد الاستعراض للتفوق الموسيقى والفنى، والمناقشات الفلسفية العالية. والمراهقون دائما يطلبون شيئين : **الجنس والقوة**، وقد يسعون لقوة متوهمة فى المخدرات، أو لقوة حقيقية فى الرياضة البدنية وخاصة **كمال الأجسام**، أو لقوة عقلية فكرية. والمراهقوان مغرمون بالجدل، وإذا كانت **مجموعة الأقران** peer group متفاهمة فهى قوة لها حسابها. وإذا كان النشاط الذى تزاوله جنسيا فإن الولد أو البنت يُدفعان دفعا إلى ممارسته. وهذا مايحدث مع البنات الجانحات اللاتى يستغرقهن الجنس، وبعض الفتيات يمارسن الجنس فى هذه التجمعات لا حباً فى الجنس، ولكن كنوع من السلوك الذى يقدمهن لجماعة المراهقين. ويقتضى الأمر قوة كبيرة فى الأنا ليسلك المراهق من الجنسين عكس المطلوب منه فى جماعته. ولم يعرف السبب لعدم حَمْل البنات المراهقات فى سن ١٢ إلى ١٣ سنة اللاتى ينخرطن فى النشاط الجنسى، وربما كان ذلك لفترة **الستة شهور إلى السنة** من فترة عدم الإخصاب التى تتلو نزول أول طمث على البنت. والمراهق إذا جنح فمن الصعب تقديم العلاج له لتمرده وحرونه. ولم يحدث أن طلب مراهق مشتاع، أى الذى يأتى الجنس على الشيوع، أية مساعدة نفسية كعلاج لحالته. **والشيوعية الجنسية** إذا عاشتها البنت المراهقة فليس بالإمكان إثناؤها عن سلوك هذا الطريق.

ويؤثر بعض المراهقين أن يصرفوا طاقتهم الشهوية فى منصرفات تزيد من قوة الأنا، ولقد نبه **فرويد** إلى **التسامى**، وفى المراهقة يكون الميل إلى التسامى ظاهراً عند البعض، ويكون العزوف عن أصحاب السوء، وإذا سألت المراهق عن نوع هذا السوء، لم تكن هناك إلا إجابة واحدة هى **الجنس**. والتسامى حَسَن بشرط أن يكون نمطا من التوافق يستمر مؤقتاً لسنوات، إلى أن يجتار المراهق محنة المراهقة أو بحر العواصف فيها ويدخل سن الرشد، ويستطيع أن تكون له بالجنس الآخر علاقات جنسية بنآءة بعد أن ينضج نفسيا.

ومن المناسب أن يتلقى المراهق تعليما جنسيا فى المدرسة، وبعض البلاد تكتفى بما يقدَّم فى دروس العلوم والأحياء، ومايعرض من المسائل الجنسية فى دروس الدين، غير أن الحاجة ماسة إلى مقررات جنسية تدرِّس ضمن المنهج، ويكون لها المدرس المتخصص. **والجنس محور من المحاور الأساسية فى التربية**، وعلى أساس التوفيق فى حل مشاكله

يكون بناء الشخصية وتأهيلها لاحتمال أعباء الحياة، **والمدرسة هى** المكان المختص لتنشأة الصغير وتوجيه طاقاته التوجيه البنّاء، وهى التى تعادل تأثير **المنزل** إذا كان سيئا، وتؤكده إذا كان حسنا. ومن المفيد أن يناقش المدرسون المؤهلون مشاكل الجنس مع الطلبة، وكذلك حقائقه ومعانيه الاجتماعية والفردية، والعلاقات التفاعلية فيه، مع ملاحظة فروق السن فى المراهقة من حيث تقسيم المراهقة إلى بواكير المراهقة والمراهقة المتوسطة والمراهقة المتأخرة، والمتوسطة هى التى بين ١٥ إلى سن ١٨، والمتأخرة هى التى تزيد فيها السن عن ١٨.

وفى **المراهقة المتوسطة** يكون الاهتمام الجنسى للمراهق **بالجنس نفسه دون الحب**، والحب ومتطلباته يأتى من بعد فى المراهقة المتأخرة. وفى المراهقة المتوسطة تزيد الممارسات الجنسية، وتؤكد بعض الدراسات على أن ٥٩٪ من المراهقين يمارسون الجنس فى هذه السن، بينما تمارسه من المراهقات ٤٥٪. وتقول الإحصائيات أن **أول جماع جنسى** يقع للأولاد قبل سنى ١٥ النسبة فيه ٧١٪، بينما للبنات ٥٦٪. وفى السن قبل ١٩ يقع **أول جماع جنسى** لنحو ٥٪ من الأولاد بينما للبنات ١٧٪، وأعلى سن لأول جماع جنسى للبنات هى سن **السادسة عشرة**. وبمقارنة هذه الإحصاءات المعاصرة لإحصاءات مماثلة مرّ عليها ٢٥ سنة (**إحصاءات كينزى**) يتبين أن الزيادة فى نسبة الممارسة الجنسية للبنات تبلغ ٢٠٪، بينما تبلغ للأولاد ١٠٪، ويؤدى ذلك إلى إجماعٍ فى الرأى عند علماء النفس حول مضمون **الثورة الجنسية** الحالية، والذى تظهره التغيرات فى الاتجاهات الجنسية، حيث لم يعد الجنس مجالا محظور الخوض فيه، أو موضوعا يُكَره تناوله، ولم يعد بمنأى عن الجنسين، ومع انتشار التعليم واختلاط الجنسين فى المدارس والشوارع والنوادى والعمارات السكنية والمصالح والشركات تتعرض البنت لنفس المؤثرات التربوية كالولد، ولعل أهم مايميز الثورة الجنسية هو الرغبة عند المراهقين والمراهقات **فى مناقشة أمورهم الجنسية**.

ومع النشاط الجنسى للمراهق فى المرحلة المتوسطة من المراهقة تكون الحاجة إلى **موانع الحمل**، والكثير من النقاش الجنسى يدور حول **موانع الحمل**. وقيل إن اختراع موانع الحمل زاد من إقبال المراهقين على الممارسة الجنسية، وتؤكد إحدى الإحصائيات أن ٧٠٪ من البنات اللاتى لهن نشاط جنسى فى المراهقة يتعاطين **حبوب منع الحمل**، وقد تكون

حبوب منع الحمل مدعاة للطمأنينة من عواقب التحرر الجنسى، وقد تركن إليها البنات، إلا أن الكثيرات أيضا لايتعاطين الحبوب ولهن نشاط جنسى واضح، ويفضلن **الدوش المهبلى والعزل**، وهناك إجماع على أن الحبوب تزيد من شهية الفتاة للجماع وتشجع المنحرفات على التمادى فى الانحراف. وتتزايد الدعوة إلى حظر تعاطى الفتيات قبل الزواج للحبوب. وفى الدول الأوربية يحظر صرفها من الصيدليات إلا بوصفة طبية أو بموافقه ولىّ أمر المراهقة، والكثير من البنات لديهن القناعة أن الحبوب تصيب بالسرطان، ومن جهة أخرى فإن الأولاد وإن يكونوا يقبلون على "الكبّوت" فى أول الأمر من باب حب الاستطلاع، إلا أنهم من بعد يرفضونه لأنه يطامن من الشهوة أثناء الوقت الذى يستغرقه وضعه، ويقلل من الإحساس الجنسى.

والحمل من مشكلات **المراهقة المتوسطة**، وهو عرض لاضطرابات عاطفية، وتترتب عليه أزمات عاطفية حادة. وتتزايد نسبة الحمل من غير طريق الزواج باستمرار، وليست هناك إحصائيات دقيقة له بالنظر إلى أن عمليات الإجهاض فيه تتم سراً، غير أن إجماع أطباء النساء والولادة أنه لايوجد يوم إلا ويجرون فيه عمليات إجهاض لفتيات مراهقات بعلم الأهل أو بدون علمهم. ولاتستغرق عملية الإجهاض وقتاً يذكر، وأجرها عال، والكثير من الأطباء يقومون بها من أجل الربح المادى. والسؤال الذى يفرض نفسه هو : لماذا تحمل البنات برغم علمهن بمخاطر الجماع فى غير زواج، وبرغم سهولة أن يحصلن على موانع الحمل؟ والجواب أنهن يكن **راغبات فى الحمل لاشعوريا** لأسباب يكشف التحليل النفسى عنها، منها دوافع الانتقام من الوالدين، وأن تُثبت البنت أنها امرأة مكتملة وليست أقل من غيرها فى الكفاءة الأنثوية، وأن تورط شريكها فى الفعل الجنسى فتقسره بهذه الطريقة على الزواج، وربما يدفعها إلى طلب الزواج المبكر رغبتها فى الهرب من البيت، ومن سلطة أمها، ومن قسوة الأب، ومن الظروف المعيشية الصعبه للأسرة ماديا أو نفسيا، حيث قد ثبت أن الخلافات الزوجية تدفع المراهقة إلى أن تبحث عن دفء المحبة، وعن التقدير والفهم خارج البيت، فتتورط فى قصة حمل، أو ربما تريد الحمل ليكون لها بيت وأسرة. وربما كانت تشكو **جوعاً عاطفياً** لايجد ما يشبعه، فيكون بها الدافع اللاشعورى لأن تحمل وتنجب لتجد موضوعا حقيقيا ودائما للحب الكبير الذى لم تعثر على موضوعه حتى الآن. وربما يكون تورط البنت من أول الأمر لأنها تشكو **الوحدة والاكتئاب**، وكلها دوافع عُصابية لم

تفهمها، فتتورط فى الحمل، فإذا كبر بطنها سعت إلى الإجهاض أو قد تُجهَض تلقائيا، أو قد يتم الزواج فى ظل هذه الظروف التى لايريدها أحد، وفى ٥٠٪ من هذه الحالات يتم **الطلاق** خلال سنة، وقد تجد البنت نفسها وحدها بلا معين ولا صديق فتفر من البيت إلى أن تضع حملها.

ولربما يكون **الولد** المشارك لها فى فعلتها، راغباً أيضا فى الحمل لاشعوريا، وقد يختار البنت عن وعى لأن مثلها لن تمانع أن تكون لها قصة معه، ويستطيع أن يتصرف معها تصرفا لايحرمه أن يمارس الجماع كاملا من غير مسئولية، فإذا حملت فذلك يدخل عليه السعادة لأنه استطاع أن يثبت رجولته، إلا أنه لايتزوجها، وقد يقف معها فى محنتها ويساعدها إلى أن تُجهَض، وقد يرحل عنها إذ يعلم أنها حملت ويتركها لمصيرها، وقد يتعلل بالحمل ليتم الزواج.

والحمل العُصابى من هذا النوع الذى لم تتهيأ له كلٌ من البنت والولد، والذى يندفعان إليه اندفاعا لعله يحلّ مشاكلهما، سرعان مايدركان أنه سيزيد من المشاكل. **والإجهاض** الذى قد يؤول إليه مثل هذا الحمل مشكلة، وماينجم عنه من أضرار نفسية لايمكن تقديرها، وأكثر ما يؤذى البنت منه **مشاعر الذنب** التى تلاحقها طوال حياتها، والتى قد تفلح فى كبتها، ولكنها تظل تعمل عملها فيها، وتستحثها إلى الإجهاض تلقائيا، حتى عندما تحمل من بعد حملا شرعيا.

وتشعر البنت بالذنب فى **الحمل سفاحاً**، لما ألحقته بأسرتها من العار، ولما سببته لهم من المتاعب، وفى نفس الوقت تحقد على والديها أنهما لم يدركا ماكانت تهدف إليه من الحمل، وتكره فيهما عقابهما لها. **والبنات اللاتى يحملن سفاحا** تكون لديهن تصورات خاصة وتخيلات تدفعهن إلى هذه التجربة، ويصبن بالإحباط إذا لم تتحقق، ويلحق بهن حزن يرين عليهن ولايسهل تجاوزه. وقد تتعهد البنت أن لاتفعل ذلك ثانية، تقصد الجماع، ولكنها تعاود الكّرة لأن دوافعها للحمل لم تتغير، وإن لم تعالج نفسها فإن مشاكل المراهقة ستصبح معها مشاكل دائمة، إذ أن الحمل قد يُجبرها على الزواج غير المتكافئ وتكون الخلافات الزوجية والكراهية اللاشعورية للطفل الذى يولد من هذا الحمل، وغير ذلك مما لايمكن تصوره من مشاكل.

ولعل من أكثر مايواجه المراهق فى هذه السن المتوسطة أن تكون له **علاقات لواطية**

بالمراهقين من عمره. والأولاد فى تجمعاتهم فى هذه السن يتحدثون كثيرا عن الجنس ويستعرضون ذكورتهم، ولكل ولد **صديق حميم** هو موضع سرّه، وينكشف عليه، ولايحجز عنه من دخائله شيئا، وقد يتورط الصديقان فى علاقة جنسية لواطية ليست لها صفة الاستمرار، وليست من النوع العاطفى اللواطى، ولكنها على أية حال لواطية، لأن الجنس فيها مِثلى، كأن يمارس الاثنان العادة السرية، بأن يؤديها الواحد للآخر، أى يتبادلانها.

وفى هذه السن يبدو سلوك الولد الذكر واضحا، ويسلك **الولد المتخنث** بأنوثة تظهره أحيانا كأنه **مأبون**، وقد يبدأ ذلك بما يسمى **الافتتان اللواطى homosexual crush** وهو إعجاب الولد المأبون بالولد الذكر الواضحة ذكورته جسميا ونفسيا، وقد يستمع إليه يقص عن مغامراته أو خبراته، وقد تتولد بينهما علاقة حميمة على أساس هذا الافتتان، وقد يتورط معه فى علاقة جنسية مثلية مرة، وقد تتلوها مرة أخرى، وقد ينطبع الولد المأبون بطابع هذه العلاقة اللواطية بقية حياته، وقد يتبادله أولاد ذكور آخرون، خاصةً إذا ارتاد التجمعات الولاّدية كمعسكرات الكشافة، أو كان ضمن طلاّب السكن الداخلى.

وقد تتسبب الممارسات الجنسية من نوع **الافتتان crush**، أو من نوع **اللواط الحقيقى**، فى **مشاعر ذنب** تظل تلاحق الولد مدى العمر إن لم يعالجها نفسيا. ولربما يكون التفتح على اللواط قد بدأ قبل ذلك عندما كان المراهق طفلا، بأن يُعتَدى عليه acting out جنسيا من شخص بالغ. وهو فى طفولته تكون له مواصفات جسدية ونفسية تغرى به البالغين فيما يعرف باسم **جماع الأولاد pederasty**، فإذا كانت المراهقة فقد يُفتَن مثل هذا الولد بآخر أقوى منه وأظهر ذكورة، يعتمد عليه ويركن إليه فى علاقة اعتمادية واضحة، وربما كان هذا الأقوى أقل ذكاء بينما الولد الآخر المفتون به أكثر ذكاء، فيتبادلان المنفعة بأن يساعد الأذكى الأقل ذكاء فى المذاكرة وكتابة الواجبات، بينما الأقوى يزوّد عن الأضعف معاكسات الأولاد ويضفى عليه حمايته.

والمهمة الكبرى المصيرية التى تواجه المراهق هى أن **يعرف نفسه وأن يستقل بذاته** عن أبويه، ويصل إلى معنى من المعانى لهويته، ويبلغ من تساؤلاته ومجاهداته إلى شكل محدد لأناه، ويسعى إلى أن يجرب لذلك كل شئ وأن يطرق كل طريق ليتبين أخلاقياته، ويعجم القيم التى يقدرها حق قدرها ويحرص عليها، أو القيم التى يكرهها، وتتحصل له نتيجة محاولاته صورة عن نفسه جنسياً. وأثناء ذلك يعجم عود كل ما تلقّاه عن الوالدين، وما

حاولا أن يغرسا فيه من اتجاهات، ويخبر ما عرفه من زملائه، والشخصيات التى تمثلها، ويجرب أن يحقق توقعات أبويه فيه. ولكى يمكن أن يجارى أقرانه، وأن يجد نفسه فيهم لابد أن يتمرد بعض الشئ على الوالدين، وكل مراهق ينبغى أن يكون له **أقران** وأن يعيش قيمهم، وأن يقوم بعملية **المقارنة** بين مايمثلون ومايمثلة الوالدان، وهذه العملية ضرورية لنموّه. **والأقران** وليس الوالدان هم الذين يساعدون المراهق على أن يصل إلى حلّ فى أزمة المراهقة. والأقران أو "**الشلة**" لازمة من لوازم المراهقة. وهذه الظاهرة هى التى تجعل **العلاج النفسى الجماعى للمراهقين** من أنجح أنوا ع العلاجات التى يمكن تطبيقها عليهم، والمراهق الذى لا يكون له **أصحاب وأقران وجماعة** من خلالهم يستطيع أن يكامل تعيناته الماضية والحاضرة، أو الذى أشربه أبواه بقلق أساسى حول علاقات كهذه، فمن المحتمل أن يطول معه الصرا ع حول هويته، ويظهر ذلك كثيراً فى تقديره لذاته تقديرا متدنيا، وفى حالات الاكتئاب التى يكثر أن يصاب بها.

والمراهق الذى يتقبل واقعه الجنسى ويرضى بحالته وينسجم مع سلوكه الجنسى، بدلا من أن يكون رافضاً لهويته ودوره الجنسى، ومنكراً لسلوكه، والذى يعى تصرفاته الجنسية بصرف النظر عن المدى الذى يمكن أن تبلغه، فإنه يكون قد خطا خطوات كبيرة نحو تحقيق هويته. ولاتتحقق له هذه **الهوية** تحققا معقولا إلا فى المراهقة المتأخرة، وفيها يستطيع بحق أن تكون له علاقة حميمة بشخص اخر.

وقلّما يعرض المراهقون **مشاكلهم الجنسية** فى المدارس، وكذلك قلما يعنّ للوالدين أن يعرضوا **المشاكل الجنسية** لأولادهم على الأخصائيين النفسيين. وتستنكف الأم أن تسأل إلا فيما يخص الحيض، ولكن مشاكل كالعادة السرية عند الولد فإنهما يتكتمانها، ولايحبان أن يخوضا فى السلوكيات الجنسية، خاصة إذا كان الولد أو كانت البنت ذات سلوك جنسى فاضح، أو كان هناك إدمان على المخدرات، أو كانت هناك قصص تورط جنسى جماعى، أو إذ عرفا أن ابنتهما تمارس البغاء. ولاتظهر هذه المشاكل الجنسية للمراهقين إلا فى **قضايا الآداب، أو الاغتصاب، أو الاعتداء**. وكثيرا مايحدث أن تنحرف البنات، وخاصة طالبات المدارس الثانوية والجامعة فى قصص **مشاعية جنسية**، ومن المستحيل أن يعرضن أنفسهن على طبيب نفسانى، وذلك شئ مؤسف لأن هذه الحالات كلها يمكن أن تعالج نفسيا، وأن نصل فيها إلى حلول وقائية تمنع وقوعها، أو تمنع أن تستفحل مع المراهق فيشق فيها

العلاج. وكل مايعانى منه **البالغ** سواء كان رجلا أو سيدة، من انحرافات أو شذوذ جنسى، مردّه الى خبرات **المراهقة** أو ماقبلها، ومن ذلك **انحرافات الزىّ** أو مايقال له **التشبّه**، فتتشبه البنت بالأولاد، أو يتشبه الولد بالبنات. ومن اضطرابات هذه المرحلة **التخنث والاستعراء والبغاء وجماع الأولاد**، وهى اضطرابات يُشكَى منها كثيرا. والمقصود **بالتخنث** هو أن يسلك الولد كالإناث، **والاستعراء** هو أن يكشف عن عورته لفتيات أو نسوة، يفاجئهن بتصرفه فيبدين الخجل وتتحصل له اللذة الجنسية من ذلك، ويمنى أو يستمنى. **والبغاء** هو أن تسلم الفتاة نفسها لمن يدفع لها أجراً، **وجماع الأولاد** هو أن يعتدى البالغ على صغار السن من الجنسين فيحاول أن يمارس الجماع مع ولد أو بنت لا تملك الدفاع عن نفسها. والقليل من هؤلاء قد يكتشف أهله انحرافاته، وقد يهمهم أن يعرضوا أمره على الطبيب النفسى وهو فى المراهقة، أو قد يرشد وانحرافه معه، ولايكون ثمة أمل من بعد ذلك فى العلاج أو الشفاء.

وأما **المراهقة المتأخرة** والتى تبدأ بعد **الثامنة عشرة**، فالبحوث فيها وحولها كثيرة ومتعددة الاتجاهات، ويكاد يكون هناك إجماع على أن المراهق وقد بلغ سن المراهقة المتأخرة يكون قد جرّب **الجماع**، ويصل مجموع من يجرّب الجماع من المراهقين فى هذه السن نحو **نصف مجموعة العينة**، وتكاد هذه النسبة تكون ثابتة، فى حين أن نسبة من يمارسن الجماع من **المراهقات** فى هذه السن فى ارتفاع دائم، إلا أنها مع ذلك لاتبلغ نسبة الخمسين فى المائة كما عند المراهقين. وهذه النسبة سواء مع الأولاد أو مع البنات تختلف باختلاف **المناطق السكنية**، فهى عالية فى **المدن** عنها فى **الريف**، وفى **المناطق الصناعية** حيث التجمعات السكانية الكثيفة، وفى **البلاد الحارة** عنها فى **البلاد الباردة**، وفى التجمعات الطلاّبية المختلفة فى المدن الجامعية، وخلال الرحلات. **والمناخ** من أسباب البلوغ المبكر، وفرص الإثارة الجنسية فى **المناخ الحار** أكثر منها فى المناخ البارد. وكذلك **الزحام** والتنشئة فى أوساط يكثر فيها الاحتكاك بين الجنسين وتقل الرقابة. وهناك **أجناس** أكثر إقبالا على الجنس من أجناس أخرى، **فالإيطاليون** مثلا أكثر مواقعة للنساء وأبكر فى البلوغ من **الإنجليز**، وربما كان **لمناخ البحر الأبيض المتوسط** تأثير على ذلك، إلا أن الإيطالى الذى يولد فى الولايات المتحدة ويعيش بها يفترق سلوكه الجنسى أيضا عن سلوك الإنجليزى الذى يولد ويعيش هناك. وعموما فإن **الفوارق الجنسية** سواء فى التبكير فى

البلوغ، أو التدرج فى المراحل الجنسية للمراهقة تخضع **لعوامل اقتصادية وتربوية وأجناسية ومناخية واغتذائية، وللظروف المعاصرة، ولدخول الأمم والشعوب بسرعة أو ببطء إلى عصر الثورة الجنسية والثورة التكنولوجية والثورة الإعلامية**. وفى بعض الدول يطول زمن المراهقة بالنسبة لإطالة فترة التعليم، بينما **فى الدول النامية لايمر المراهق بالمراهقة المتوسطة**، ولكنه يدخل إلى المراهقة المتأخرة مرة واحدة.

وفى **المراهقة المتأخرة** ترصد الإحصائيات أن الفوارق بين البنات والأولاد فى تناقص مستمر، ولم تعد الاختلافات فى السلوك الجنسى والاتجاهات ذات بال، ولم يعد هناك معياران وسلوكان بل تقاربت المعايير والسلوكيات، وارتفعت نسبة الإناث اللاتى يمارسن الجنس للجنس، إلا أن الغالبية العظمى من المراهقات فى سن المراهقة المتأخرة يفضلن الجنس فى الحب وليس خارج إطاره، بينما المراهقون يريدونه خلوا من الحب وبعيدا عن العواطف التى قد تجرّهم إلى الارتباط بالزواج فى سن لايؤهلهم له. وشباب اليوم أقل حماسا لالتماس البغايا من آبائهم، وأقل طلبا للعذارى والأبكار، وأكثر تقبلا للفتيات ذوات الماضى أو المطلقات.

وللمجموعات التى ينتمى لها المراهق فى سن المراهقة المتأخرة تأثيرها على أفكاره واتجاهاته، فإذا كانت مجموعته أو أصحابه يفضلون البنت «الخام» فإنه يفكر بطريقتهم ويؤثر صاحبته عديمة التجربة الجنسية، ولكن العرف السائد الآن بين المراهقين يختلف عن ذلك، ويؤثر الشباب حاليا البنات «**الخبيرات**»، والبعض يفضل أن لاتكون عذراء، وذلك يجعل البنات العفيفات فى وضع أدنى، وكأن البنت التى تحافظ على نفسها وعلى عذريتها خائبة أو متخلفة. وأيضا فإن الشاب **غير المجرب** يمكن أن يتُهم فى رجولته. وأمثال هؤلاء يحتاجون إلى تأكيدات دائمة من أهل الرأى ورجال التربية والمسئولون عن الأخلاق بأنهم على حق، وأن الفضيلة والعفاف ينبغى أن تكون لهما الغلبة فى النهاية، ومن ثم يتوجب على البنت أن تستبقى بكارتها لزوجها، كما يتوجب على الشاب أن يحفظ عليه عفته لزوجته. **وللتدين دوره الإيجابى** فى ذلك المجال، والانتماء **لجماعة المسلمين** وِجَاء للمراهقين والمراهقات من الزلل الجنسى.

وتؤكد البحوث على أن **للفوارق الطبقية** دوراً فى الاختلاف فى الاتجاهات الجنسية عند الشباب. وكانت الممارسات الجنسية مبكرة أكثر لدى طبقات العمال، وأصبحت الطبقة

المتوسطة هى أكثر الطبقات تبكيراً فى الممارسة الجنسية فى سن المراهقة. غير أن بنات وأولاد العمال قد يأتون الجنس بدون حب، بينما قد لايطلبه أولاد وبنات الطبقات المتوسطة بدون حب.

وتقوم الكثير من النظريات فى علم النفس على **الحاجة إلى الحب فى الجنس**، وخاصة نظرية **إريكسون** (Erikson: Identity: Youth and Crisis)؛ ويذهب إلى أن كل علاقة جنسية تقوم بين الشباب بدون عواطف دافئة من شأنها أن تتهافت وتنتهى، وأن استمرار قيام هذه العلاقات الباردة قد يطبع صاحبها فينتهى به الحال إلى حياة ميتة الأحاسيس. **والعواطف الدافئة** عند البعض هى التى يحكمها الفهم المتبادل والإخلاص والتواصل والوضوح. **والعواطف الدافئة** أساسها أيضا الاشتهاء المتبادل، والعمل لدى الطرفين على أن يُسعِدا بعضهما البعض، وأن يزدادا تعرفا ببعضهما بحيث لايخجل أى منهما من أوجه الضعف فيه التى قد يكاشف الآخر بها.

ويجمع أهل الرأى على أن كل علاقة لابد لها من وقت لكى تنضج، وأنه **لاأساس للحب من أول نظرة**، فالحب لكى يكون صادقا يتوجب أن يمر بتجارب تميزه، وحتى فى الزواج قد لايحب الزوجان بعضهما إلا بعد فترة لاأقل عن **سنة**، يختبران فيها عواطفهما ومصداقيتهما. ومعظم الحب المتفهم المتبادل ليس شرطا أن ينتهى بالزواج، وليس لزاما أن تكون كل العلاقات الحميمة بين الجنسين بهدف الزواج. وقد يحب الشاب أو الفتاة لفترة ثم ينتهيان ولاتثريب عليهما، ويظل الشاب أو الفتاة يهفوان للحب دون أن يُحصِّلاه، وقد يصابان من الفشل فى تحقيقه بالاكتئاب. والجنس جزء من علاقة الحب، وربما كان هو محور الحب، ومع ذلك فقد تكون هناك قصص حب بدون جنس. وقد يدمر الجنس علاقة الحب إذا دخل فيها. ولاخبرة للشباب عموما فى مجال التمييز بين الحب بالجنس، والحب بدونه، والناس قد درجوا على أن يحسبوا كل علاقة حب علاقة جنسية.

وينبغى إذا تحدثنا إلى المراهق فى الجنس أن نحدثه **بصراحة**، ولكن الصراحة التى علينا أن نتوخاها هى **صراحة عالم النفس** وليست صراحة **تجّار الجنس** التى يضمّنونها الأفلام والقصص والمجلات الفاضحة، والتى هدفها الإثارة، وغايتها الربح. **والصراحة** المطلوبة من الأبوين والمدرسين وهم يلقنون المراهق ألف باء الجنس، هدفها **تربوى**، وغايتها **توعيه المراهق بالمتغيرات البيولوجية والنفسية فيه أثناء المراهقة** واستثمار الطفرات

المستحدثة فيه، وتوثبات المراهقة وتطلعاتها، لمساعدته على تحقيق التعينات التى تزيد أناه قوة، وتصوغ شخصيته نحو الإيجابية والرشد. **وتاجر الجنس** الذى يستعين بالفن فى تجارته لايتوخى القيم الفنية لنفسها، ولكنه يتوسل بها لزيادة الطلب على الجنس الذى يتاجر فيه، والذى يهمه أن يقدمه للمشترى بالطريقة التى يضمن بها إقباله على سلعته. وهو يستغل حالة الطلب على الجنس عند المراهقين، وقلة المعروض منه، استغلالاً داخل إطار القانون، فيقدمه بوصفه فنا أو أدباً فى شكل الروايات الهابطة والأفلام الفاضحة. وقد يحدث أن يخلط الغيورون على الفضيلة، بين الفن الرخيص، والفن الذى ينشر الحقيقة فعلا، والذى يهدف إلى التثقيف بالجنس، بتناول مشاكله المختلفة تناولا علميا وفنيا، يجعل من العمل الفنى أو الأدبى تحفة مزدوجة، فيها الفن، والوعظ أيضا، وقد يطالبون فى حماسهم بمصادرة أى عمل فنى جنسي طالما موضوعه جنسي. وقد تسرف **الكُتب التربوية** كإسراف أفلام وقصص الجنس فى استعراض الرذيلة حتى لتؤكدها وتثبتها بدلا من أن تعمل على تقويضها. وقد يقتدى المراهق بها إذ تعوزه نماذج الفضيلة. وقد يتشكك المراهق فى نوايا **الصحافة** عندما يجدها تنشر سلبيات المراهقة، ولذلك كان **التأليف فى الجنس** من المحاذير التى يجب التنبه لها، وكذلك المناقشات الجنسية (أنظر **الطفولة والشيخوخة والأنوثةوالذكورة**).



الفصل الحادى عشر

الجوع العاطفى و الجوع الجنسى

Affect Hunger & Sex Hunger

هو الجوع الوجدانى أو النفسى الذى يدفع إلى أن يسعى الإنسان إلى أن ينال محبة وعطف المحيطين به، ومهما يعطونه من هذه المحبة وذاك العطف فإنه يستزيدهم فلا يشبع، فهو دائما جوعان عاطفيا، وإذا لم يحصل على مايريد فهو المكتئب والقلق والمضطرب. ولعل الجوع العاطفى أظهر مايكون **عند الأطفال** الذين يعانون **الحرمان العاطفى**، ولايلقون العناية من الأم لسبب أو لآخر، وتعوزهم الحياة العائلية ودفء العلاقات الأسرية.

ومن دأب الجائع عاطفيا أن يبحث عما يسدّ جوعه، وقد يسئ الاختيار فيقع على **إخوان السوء**، وتكون له بهم وشائج قد ترضيه بعض الشئ. وقد يلجأ الجائع عاطفيا فى سبيل لفت انتباه مَن حوله إلى وسائل لايرتضونها. وقد يجعله جوعه العاطفى عدوانيا وأنانيا، ويحول بينه وأن يتفهم ظروف الناس وحقيقة قدراتهم على العطاء.

وقد يدفع الجوع العاطفى إلى مايسمى **التسول العاطفى affection-begging**، وهو استجداء عواطف الناس، ويكون عند البعض منذ الصغر. **والطفل** الذى يتسول عواطف أمه، أو **الطفلة** التى تتسول عواطف أبيها، لايفرّق أيهما بين التسول المادى والتسول العاطفى، ويطلبان دائما أن يكونا إلى جوار الأبوين، وأن تعطيه الأم مثلا نفسها وجسمها ووقتها وانتباهها، وأن ترضعه من حنانها، ولا يرتوى أبدا. وهو يريد أبدا أن يمتلكها، ويسعى لأن تمتلكه، فهى له لا يشاركه فيها أحد، وهو أيضا لها بلامنازع. ويشبّ على هذا الحال فيكون دأبه أن يتسول عواطف الناس وخاصة النساء. وإذا كان امرأة فإنها تتسول عواطف الرجال، وحالها أو حاله معهم حال **الرضيع**، فكل الناس عندها أو عنده **أب أو أم**، وتعاملهم على هذا الأساس، فإذا لم تجد منهم مايرضيها ثارت وكأنها تثور على أبيها، أو كأنه يثور على أمه، فهو يتوقع منهم الكثير، ويعرف كيف **يبتز** هذا الكثير منهم، والطريقة التى تؤثر فيهم فيعطونه مايريد.

وطريقة المتسول العاطفى تختلف مع النساء عنها مع الرجال، بل وتختلف فى كل مرة ومع كل شخص بحسب الظروف واتجاهات هذا الشخص. وهو مع **النساء** قد يغريهن

بنعومة ألفاظه ومعسول كلامه ومسارعته إلى تلبية مايطلبنه وتوفره على خدمتهن، وله من شكله وسمات وجهه مايجعلهن يملن إليه. وسحنته هزيلة، وبنيته غالبا ضعيفة، وملامحه تغرى بالركون إليه. وعموما فالمتسول العاطفى **نوعان**، فهو إما **السلبى** الذى يأخذ وليس عنده مايعطيه، وإما **الإيجابى** الذى يسعى سعيا لينال هذا العطف ويجهد فى سبيل ذلك بما يقدم من خدمات أو ينسجه من حكايات. **والأول** واهن، واستجداؤه للعواطف صامت، ولربما يصفه قول البعض عنه إنه **مسكين**، فإذا تحدّث فهو المغلوب على أمره، والضائع الذى يستحق الرحمة والعطف. وهو المستجدى، وكان دائما كذلك منذ طفولته. **والثانى** قوى وحسّاس بالنسبة لأمزجة الآخرين ومشاعرهم، وخاصة إذا كان هؤلاء ممن يمكن أن يردونه ويرفضون تقرّبه، وقد يناله منهم بعض الأذى ماديا أو أدبيا، وقلق هذا النوع من المتسولين عاطفيا، والذى يدفعهم إلى التعجيل بالتقرب من الآخرين، قد يجعل محاولاتهم تبدو غريبة لايفهمها المحيطون بهم، وقد تتسبب لهم فى بعض المشاكل وتترتب عليها بعض المآسى.

والصورة الإكلينيكية التى عليها المتسول عاطفيا، وتاريخه الانفعالى، يجزمان بأنه ضحية **الحرمان العاطفى**، وأنه وهو صغير قد نشأ محروما من أمه بشكل أو بآخر. ويتحدث بعض العلماء عما يسمونه **متلازمة الحرمان** **deprivation syndrome**، وهى مجموعة الأعراض المتقاربة التى تكون بهذا الشخص والتى توصف بأنها تشوهات تصيب شخصيته. وكانت هناك دراسات عديدة على **أطفال المؤسسات والملاجئ**. ويجمع المختصون على أنه كلما كان حرمان الطفل من أمه فى **سن مبكرة**، كلما كان ذلك أضر بشخصيته، وتترتب عليه نتائج خطيرة فى المستقبل. ومن الأمثال الشعبية أن **اليتيم الحقيقى هو فاقد الأم**. والطفل الذى يحرم المحبة بشكل عام يمرض ويصيبه **الدنف** **ma- rasmus** أو الهزال. وقد تكون الأم موجودة ولكنها لاتوليه رعايتها، أو مشغولة بنفسها دونه. والطفل ابتداء من **الشهر السادس** يكون إحساسه بالحرمان، وتتولد لديه استجابة حزن يطلق عليها بعضهم اسم **اكتئاب الانفصال** **anaclytic depression**، ومن أعراضه السهوم وعدم التجاوب مع من حوله، وبطء الاستجابة للمنبهات والحركة، والانفعال بالبكاء، والعزوف عن الطعام واضطراب النوم. وقيل إن الطفل الذى يدوم انفصاله عن الأم لأكثر من **ثلاثة شهور**، من الصعب علاجه من آثار الحرمان العاطفى الذى عاناه، حتى بعد أن يعود إلى أمه. ويوصف الطفل إكلينيكيا **بأنه منسحب ومعزول عاطفيا**، ويستمر معه

الاكتئاب إلى الشيخوخة. وقد يجعله الحرمان من الأم، أو الحرمان مما توفره له الأم، من هدهدة وتنبيه للحواس، ومناغاة سمعية، وإشباع للحاجات وأخصّها الحاجة إلى الحب - وعدم إشباع هذه الحاجة الأخيرة يولد لديه الجوع العاطفى - يجعله ذلك أميَل إلى الاكتئاب فى مستقبل حياته، ويعرضه للإصابة بمختلف الأعصبة والذهانات، وقد يدفع به إلى الجُناح. وهناك اتجاه يجعل أصول الاكتئاب من المراحل الأولى لحياة الشخص، وينسبه أساساً لحقيقة العلاقة بين الطفل وأمه. ويعتمد النجاح فى **العلاقات الشخصية**، وأخصها العلاقة بين الزوجين، على ماكان بين الوالدين وأطفالهم. وتنعكس علاقة الطفل بأمه على علاقته فيما بعد وعندما يكبر **بزوجته**. وثبت من الدراسات النفسية أن القدرة على أن نعطى ونأخذ فى الحب، تبدأ من الطفولة وتنمو معنا بالتدريب، وأن الشخص الذى يعانى الحرمان العاطفى فى صغره لابد أن يجد صعوبات فى التوافق فى علاقاته بالناس، وخاصة عندما يتزوج. وأمثاله غالبا يلجأون إلى الزواج المبكر كطريقة للتعويض عن بؤسهم فى الطفولة، ودفاعاً عن أنفسهم من القلق، وحمايةً من التهديد الدائم الخارجى. ولربما يشفيهم من مخاوفهم أن يجدوا تعاطفا من الزوجة، وتفهماً لحاجاتهم، وعندئذ فقد يكون سلوكهم فى الزواج إيجابيا، ويستطيعون أن يعطوا مثلما يأخذون.

ويعرّف علماء النفس **الحاجة إلى الحب** بأنها دافع يميل بكل منا إلى أن تكون له علاقة حميمة بآخر يبادله المحبة ويفهمه ويتجاوب معه، وهى حاجة، أى أنها شئ نولد به وليست لها أسباب فسيولوجية، وتظهر فيما نبديه أو نتلقاه من معاملة طيبة وحنان ورعاية وحدب، أو قد تظهر فى حرارة اللقاء أو السلام باليد، وتنعكس ملامحنا سرورا وحبورا وكلاما، وقد نعبر عنها بالتقبيل والأحضان، وقد تزيد بنا انفعالاتنا فتجيش من خلال الدموع.

ومن رأى بعض علماء النفس أن **الحاجة إلى الحب أو المحبة** هى فى الأصل حاجة لأن يكون إلى جوارنا من يشبع فينا حاجات أخرى، هى حاجات حسية تتعلق بالحواس كلها، وأن **الجوع العاطفى** هو لذلك **جوع للمثيرات**، وأن التعلّق بالأم هو من ثم شئ طبيعى، لأنها الأقدر على إشباع هذا الجوع بما تقدمه من ربت وهدهدة ومناغاة وأحضان وتقبيل وتغذية وإخراج ولَعِب إلخ، فإذا كبرنا فإنه من الطبيعى كذلك أن تكون **الزوجة** هى الأقدر على أن تحل محل الأم فى أغلب ماسبق، بالإضافة إلى إشباع الجوع الجنسى. **والإشباع العاطفى أشمل من الإشباع الجنسى**، لأنه يعنى بالإضافة إلى الناحية الجنسية مسائل أخرى

كالتفهّم والعطف والعون والتشجيع إلخ. ومن رأى **فرويد وأتباعه** أن التعلّق بالأم من قِبَل الطفل إنما لأنها تشبع عنده حاجاته الأساسية. ومن أقوالهم «**الطفل يحب أمه لأنه يحب اللبن**»، وهم يقولون إن المحبة والكراهية مسائل ليست فطرية ولكنها تترتب على إشباع أو عدم إشباع للحاجات الأساسية.

وللحاجة إلى الحب **شقان، الأول** هو الحاجة إلى أن **نتلقى الحب، والثانى** هو الحاجة أن **نعطى الحب**، غير أننا نحتاج زمنيا أولاً إلى أن نتلقى الحب، لأننا نبدأ أطفالا لانستطيع أن نعتمد على أنفسنا وليست لدينا القدرة على العطاء، فإذا مابدأنا نعى ونفهم كان باستطاعتنا أن نهب القبلات وأن نعبر بالأحضان، وأن نربت أيضا على أيدى الكبار أو وجوههم. والذى لاشك فيه أن الطفل الذى يعامله ذووه بمحبة هو الأقدر على أن يُعطى المحبه فى صغره ثم فى كبره ، وأن العدوانية والعزلة لايمارسها الأطفال إلا لأنهم يعاملون بجفاء من الأهل. وتتأصل فيهم تلك الميول وينشأ الصغير عاجزا عن تكوين الصداقات، وغير قادر على أن تكون له بالناس علاقات حميمة من أى نوع. ولم يكن من السهل إجراء التجارب العلمية لمعرفة تأثير الحنان فى الصغر على الأطفال، ولكن أمكن الاستعاضة **بالقرود الصغيرة** لأنها أشبه بصغار الإنسان، ويمكن أن تتعاطى الحليب أيضا من البزازة. واستعيض عن الأم بمانيكانات، أى دُمَى لأمهات تشبه القرود ولكنها من الأسلاك العارية أو من الأسلاك المكسوّة بالإسفنج، لتعطى النعومة، وليمكن تسخينها لتكون دافئة. وكانت القرود الصغيرة عندما يُحزنها أمر تعدو إلى المانيكانات الإسفنج وتتجنب المانيكانات من السلك، وذلك طبعا لأن الأولى بها ما يجعلها فعلا أقرب إلى الأمهات. وأيضا عندما كانت البزازات توضع بين ذراعى المانيكانات الأسلاك فإن القردة كانت لا تبقى مع هذه المانيكانات أكثر من وقت الرضاعة ثم تذهب إلى المانيكانات الأخرى لتحتضنها وتظل معها كل الوقت أو معظمه، وذلك يثبت أن **الدافع إلى الحب مستقل عن الدافع لتحصيل التغذية**. وأيضا فإن صغار القردة عندما توضع فى حجرات مغلقة وحدها فإنها كانت تقبع فى الأركان خائفة، فإذا وضعت معها المانيكانات السلكية فإن خوفها لا يزايلها، فإذا حلّلنا محلها المانيكانات الإسفنج أسرعت إليها وتعلّقت بها، والأكثر من ذلك أنها بعد ذلك تتركها وقد اكتسبت ثقة فى أنفسها لتكتشف المحيط الجديد حولها. وتؤكد هذه التجربة أن المانيكانات الإسفنجية كانت أكثر من مجرد مكان ترتاح القرود فيه، وإنما هى كالأم

الآدمية ملجأ ومصدر أمن وأمان كلما خاف الطفل أو واجهته مخاطر أو أعوزته حاجة. ومع ذلك فإن هذه القرود، حتى التى ربّيت فى أحضان المانيكانات الإسفنجية، نشأت عدوانية وهى بعيدة عن أمهاتها، ولم تكن تستطيع أن تلعب كما ينبغى، ولم تتزاوج عندما بلغت، ولم يمكن تعديل سلوكها من بعد. ويثبت ذلك أن **الاتصال بين الأطفال والكبار مسألة ضرورية**، وأن أساس كل اتصال **هو الاتصال الجسدى**، وأن الطفل يحتاج أن يحس بوجود أمه أولاً وجوداً جسديا، وأن يستشعر حرارة جسمها، فإذا كبر قليلا كان مجرد وجودها حوله مطمئنا له، وهو يتعلم من حدبها ورعايتها أن يستجيب على طريقتها، وتزيد قدرتة على التجاوب بالمحبة مع استمرار نموه، فإذا كانت البيئة مواتية فى البيت والشارع والمدرسة فإن هذه القدرة تزيد باستمرار وتمتد إلى كافة مجالات نشاطاتة، وينضاف إليها البُعد الجنسى فى فترة المراهقة، ويبلغ الدافع إلى المحبة أوجه بالزواج والحياة العائلية الدافئة. ولقد ثبت أن القدرة الجنسية مرتبطة بالقدرة على العطاء فى المحبة والحاجة إلى تلقيها، وأن خير الأزواج هم هؤلاء القادرين على العطاء والتلقى. وقد يكون الرجل أو المرأة من غير هؤلاء له فحولة جنسية ولكنه فاشل كعشيق أو حبيب أو زوج، وذلك لأنه فى العلاقات الغرامية هناك البُعد النفسى، وعليه يتوقف نجاح كل اتصال جنسى.

والضَوَر bulimia هو النَهَم بمعنى الجوع الذى لا يشبع، يدفع بصاحبه إلى تناول المزيد من الطعام، ويعتبره البعض من الأعراض الهستيرية أو التحولية، ومرجعه أسباب انفعالية غالبا، ولربما هو وسيلة لمواجهه الضغوط الخارجية والتوترات الداخلية، وكثيراً ما يفسَّر بوصفه محاولة لتحصيل الشعور بالأمان الذى كان لنا فى حياتنا الباكرة عندما كان تناول الطعام يتم مباشرة بمساعدة الأم. وقد يكون **فرط الشهية** طريقة بديلة لإشباع حاجات لم تشبع، وقد تكون **البدانة** المترتبة عليه مقصودة للقيمة الرمزية أو الدفاعية التى لها، حيث قد تُضفى البدانة على البدين إحساسا بالمهابة والاحترام، أو تعطيه شعوراً بالقوة، وفى كل الأحوال فإن البدين يدخل فى روعه أنة آمن مع زيادة وزنه. غير أن أهم المعانى الرمزية التى قد تكون لفرط الشهية هو أنه قد يمثّل **جوعا للمحبة والحنان**. والمشاهد أن تناول الطعام عند الرضيع أو الطفل يتم فى جو من الحب، ويرتبط الأكل بما يلقاه الصغير من الوالدين من رعاية وحدب، أو قد يكون الجوع الدائم الذى يستبد بالمريض هو البديل أو المعوِّض لجوع آخر لأشياء محروم منها فى الوقت الحاضر، كالفهم من الناس، أو الاحترام من الأهل، أو الرعاية من المحيطين به، أو ربما من الجنس.

والحرمان الجنسى من أشد أنواع الحرمان قسوة على المحروم منه، وقد يدفعه الجوع الجنسى الذى لا يجد الإشباع إلى منصرفات بديلة كالإقبال على الطعام يستنفد فيه طاقته الشهوية ويجد فيه لذته الكبرى، ويصبح الطعام بديلا عن الجنس، وعملية الأكل بديلا عن العملية الجنسية. وليس بمستبعد أن يطلب أطعمة بالذات ويؤثرها على أطعمة أخرى، وليس ذلك إلا لمشابهة بينها وبين أى من المكونات الجنسية، وقد تكون فى الشكل أو الرائحة أو الطعم أو الحجم.

والجوع العاطفى دافع دينامى قد يكون له مع المريض تاريخ قديم يمتد إلى الطفولة. والمعروف من الأطوار النفسية الجنسية أن أحدها هو **الطور الفمّى**، وفيه تتركز كل الحساسية الشهوية عند الطفل فى فمه. وفى هذا الطور أيضا نجد فى الطفل نَهَما لأن يُعمِل فَمَه فى كل شئ، ويجد لذة كبرى فى تناول الطعام أو فى الرضاعة، وتجده يعمل شفتيه فى ثدى أمه مصاً وعضا، فإذا حرم من الرضاعة فى غير الأوان، أو إذا لم تُلَبَّ حاجاته الفمية ظلت به تلازمه وتلح فى طلب الإشباع، وتستمر فى هذا الإلحاح حتى البلوغ وما بعده، وقد لا تجد الإشباع طوال هذه المدة ومن ثم فقد يتحول المرء وهو صغير، أو عندما يبلغ، إلى الطعام يشبع به هذه الحاجات الفمية التى لم تشبع.

ويذهب أصحاب **مدرسة التحليل النفسى** إلى الربط بين فرط الشهية والجنس والحمل، والمشاهد أن الكثيرات من **الحوامل** يكثرن من الأكل ويفرطن فيه، حتى أن الواحدة ليزيد وزنها كثيرا خلال الحمل، وقيل فى تفسير ذلك أن الحامل ربما لاتشعر بالأمان لما يمثله الحمل بالنسبة لها من حيث أن بعض جمالها يختفى، وتختفى معه جاذبيتها، ومن ثم فقد تفقد جاذبيتها الجنسية وتختل مكانتها عند زوجها، أو ربما قد يأتى الطفل فيزيحها عن مكانتها عنده ويُشغَل به زوجها عنها، **وقد يقلقها ذلك وتفار منه فتجد فى الأكل وزيادة وزنها بعضا من الأمان الذى قد يطمئنها، وإشباعاً لجوعها العاطفى**. وربما يرمز الأكل على المستوى الأعمق من اللاشعور إلى رغبات فى **الموت** تجعل الطفل موضوعا لها، وليس **القئ** الذى يأتى الحوامل، وحالات **الوحم** والرغبة فى أطعمة معينة، إلا محاولة من الحامل أن تتخلص من الجنين، إما بالإجهاض الذى يرمز إليه القئ أو بأن تزحم بطنها بالأكل لتُزهق به الجنين. وتستمر محاولات الأم اللاشعورية فى التخلص من الجنين إلى أن تشعر به يتحرك فى بطنها فى الشهر الثالث أو الرابع، وعندئذ يتوقف وحمها، وتدرك أنه أصبح

واقعا، وعاد شخصا مستقلا عنها، وليس شيئا منها يمكن أن «تقيئه» من جسمها، أو تُزهق أنفاسه فى بطنها بما تزحم به هذا البطن من طعام، وعندئذ قد يشبعها الحمل عاطفيا. وبعض النساء مع ذلك عكس الصورة السابقة، وقد يرغبن بقوة فى الحمل، وقد يطول زواجهن دون أن يتحقق لهن ذلك، ومن شأن أمثالهن أن يتحولن إلى الطعام لعلهن به يُشبعن أنفسهن عاطفيا، فيكثرن من تناول الطعام لذلك، وتزيد أوزانهن كثيرا. ومن رأى **مدرسة التحليل النفسى** أن فرط الشهية قد يتأتى لاشعوريا من رغبة عاطفية قوية فى الحمل، وهى رغبة قد تستبد بالنساء كما تستبد بالرجال الذين يريدون لزوجاتهم أن يحملن، وكأن الطعام والشراب قد استحالا **أدوات رمزية للإخصاب**، كما تستحيل البدانة رمزاً يمثل الحمل.

وفقد الشهية العصبى anorexia nervosa هو النقيض لفرط الشهية، وتصاب به البنات غالبا ابتداء من **الثانية عشرة حتى الواحدة والعشرين**، والإصابة به عند الإناث قدرها عند الذكور تسع مرات. وتعجف البنت التى تمرض به وتهزل بشدة وقد تتوفى، ونسبة الوفيات به من ٥٪ إلى ١٥٪، وغالبا ماتكون المريضة بدينة قبل أن تصاب به، وتعاف الطعام حتى لتغثيها رؤيته، وينقطع طمثها. والمريضات به لهن **شخصية** متميزة من حيث **هدم النضج**، ويتصرفن بأنانية، وتكون بهن رغبة فى الظهور بمظهر مثالى ونشدان الكمال. وكذلك يلاحظ عليهن أنهن من النوع الموسوس أو الهستيرى، وأغلبهن ذهانيات قبل أن يصبن بالمرض، وأحيانا يكون فقد الشهية مترافقا مع الإصابة بالفصام. وتولى المريضات به مسائل التغذية من الصغر اهتماما غير عادى، ولهن من الطعام مواقف غير معقولة، سواء قبل المرض أو بعده، وقيل فى تفسير ذلك أن **الطعام عندهن رمز للجنس، وتناوله رمز للعملية الجنسية**، والصورة الطفلية أن الحمل يحدث عن طريق الفم، ومن ثم فالإقبال على الطعام قبل المرض **إشباع بديل لرغبات جنسية**، والاستعفاف بعد المرض ربما كان بسبب الخوف من الحمل، أو لمشاعر ذنب متعلقة برغبات جنسية محتدمة، أو لصراعات أوديبية من الصغر لم تُحَلّ، أو قد يكون السبب خبرات جنسية صادمة، كحالة إحدى المريضات وكانت فى المراهقة، واعتدى عليها مُدرسها جنسيا، فصارت تعاف أى طعام يذكّرها بالاعتداء عليها أو بشكل الأعضاء الجنسية، أو بالرائحة الخاصة لأعضاء الجنس. والمعول عليه أن **فقد الشهية العصبى** اضطراب نفسى ليست له أسباب عضوية، ولذلك يتوجب على المعالج

أن يتأكد أولا من سلامة أجهزة المريضة الهضمية والجنسية والغدّية حتى لايكون السبب راجعا إلى أى من نقص الإفرازات كالإفرازات الكظرية أو النخامية، أو بسبب سوء فى الهضم ليس نفسيا.

واكتشاف **فقد الشهية العصبى** حديث نسبيا، ويرجع الفضل فيه إلى العالم وليام جل Gull (١٨٦٨)، وأطلق عليه اسم **سوء الهضم الهستيرى apepsia hysterica** إذ كان المظنون أنه ضرب من الاستجابة الهستيرية، وقد لاحظ أنه برغم الهزال الشديد الذى تكون عليه المريضة فإنها تكثر من الحركة وتتوقّد بالنشاط، الأمر الذى يجزم أن المرض **ليس لأسباب عضوية**. والغالب أن البنت المريضة تكون لها مشاكل مع أمها، والأم إما من النوع المسيطر مفرط الحماية لأطفالها، أو أنها قاسية نابذة لهم، فإذا بلغت البنت وتجاوزت الطفولة فقد تحتّج على حماية أمها أو على قسوتها باللجوء إلى رفض تناول الطعام كما يفعل الأطفال، ولذلك يكثر هذا الاضطراب بين **البنات فى سن البلوغ أو المراهقة**. وقد يعنى رفض الطعام أن البنت تريد أن تضمُر فى أعين الناس لتدفع عن نفسها أن يزوجوها على غير ماتهوَى، أو قد تكون رافضه أساسا لفكرة الزواج. وقيل إن البنت إذ تنشأ فى بيت متزمت خلقيا، ومع ذلك تجد أن أفكارا إباحية تراودها، وأن نفسها تنازعها إلى ارتكاب الشهوات، فقد يلجأ "الأنا" عندها إلى هذه الوسيلة ليدفع بها عنها إلحاحات "الهو" وزواجر "الأنا الأعلى" **(أنظر الهو والأنا والأنا الأعلى)**. وهناك الكثير من البنات الكبار يبقين على طفولتهن ويجدن للبلوغ وطأة لايحتملنها، ويخشين الحمل باعتبار صورته الطفلية التى لديهن أنه يحدث عن طريق الفم بتناول أطعمة معينة، ولذلك قد يعنى رفض تناول الطعام محاولة من البنت أن تستمر صغيرة برغم علامات البلوغ الذى تخشى مغبته. وقد تشهد البنت الخناقات العائلية بين والديها، والأزمات التى تمر بها أسرتها، فإذا جاءها البلوغ رفضت فكرة أن تكون قد كبرت وحان زواجها، وأن تكون لها بالزواج تجربة كتجربة أمها، ومن ثم تتأبّى على الطعام مع البلوغ، لعلها تهزل وتقبح فلا تتزوج. وقد يكون الاستعفاف عن الطعام عقابا تنزله بنفسها لما يأتيها مع البلوغ من نزعات جنسية. وعلى أى الأحوال فإنه مامن حالة من حالات فقد الشهية العصبى إلا وتكون هناك **مشاكل عائلية** تعانى منها المريضة **وخاصة مع أمها**. وقد تكون هناك إحباطات واضطرابات فى التوافق الجنسى، وتفيد المريضة مكاسب ثانوية من حيث المعاملة من أهلها من خلال تداعيها بالمرض. ومهما

كانت الديناميات السيكولوجية فالمعول عليه أن فقد الشهية العصبى **استجابة متعلّمة** تأتيها بعض البنات كرد فعل لضغوط معينة. وقيل أيضا إن نشأة البنت التى تأتى هذه الاستجابة يكون غالبا فى وسط من الصبية الذكور، فتكبر ولها سلوكهم، فإذا بلغت وكانت إمارات الأنوثة رفضتها، نفوراً من المظهر والسلوك والدور الأنثوى، وطلباً للاستمرار فى المظهر والسلوك والدور الذكورى، فترغب بشدة أن يتوقف نموها، وتضرب عن الطعام وتعافه كمحاولة لإعادة عقارب الساعة للوراء. وكثيرا ما تبدأ هجمة المرض عقب **محاولة جنسية** من ولد يزاملها فى اللعب، كأن يقوم بتقبيلها، وقد تحسب أن الحمل يتم عن طريق التقبيل فتخشى الدخول فى التجربة مرة أخرى، بل وتخشى كل مايمكن أن يقرُب فمها ومن ذلك الطعام. وبعض المريضات قد يعفن الطعام كلية، وبعضهن قد يتناولن منه ثم يقئنه، والبعض يزعمن أنهن لايشعرن بالجوع أبداً، والبعض قد يتحول اهتمامهن بالطعام إلى اهتمام بكتب الطهى، ويقتنين منها العشرات، ويقرأنها دون أن يحاولن تذوق ماتدعو إليه، وكأن الإشباع هنا بالقراءة بديل عن الإشباع بالتناول لأنه فى الأساس طلب للإشباع العاطفى وليس المادى.

ومن الصعب **علاج فقد الشهية العصبى**، وخاصة إذا استفحلت آثاره على الصحة العامة للمريضة، وخاصة كَبِدَها، فيشق الشفاء، غير أنه فى غير ذلك قد يفيد **العلاج النفسى** الذى يركّز على مخاوف البنت من ممارسة دور الأنثى البالغة أو أن يكون لها شكلها، إلا أنه قد يستمر لشهور أو لسنين. وأثبت **العلاج السلوكى** بعض النجاح، فطالما أن فقد الشهية استجابة متعلمة تعززها البيئة فإنه بالإمكان تعزيز تناول الطعام، ويقتضى ذلك مثلا تجريد حجرة المريضة من كل أسباب الراحة، فإذا طلبت شيئا من ذلك لم يُسمح لها به إلا إذا تناولت قدرا من الطعام. وكذلك الأمر فى أى من الطلبات الأخرى، مثل التحدث إلى أحد، أو زيارة أحد، أو الاستماع إلى الموسيقى، أو مشاهدة برامج التلفزيون إلخ. ويتمشى تحقيق الطلب مع القدر من الطعام الذى تُدَعى لتناوله.

وتترتب على فرط الشهية أو الجوع إلى الطعام باستمرار **البدانة** ، والشكوى منها بين **الإناث** أكثر منها بين الذكور، ورغم أن البدانة قد تنشأ نتيجة اضطرابات هرمونية ويمكن ردّها إلى العادات الغذائية السيئة فى الأسرة والمجتمع، إلا أنه يتبقى دائما أن نجيب : **ولماذا تأكل بعض العائلات أكثر من غيرها؟** وأيضا **لماذا تأكل الإناث أكثر من الذكور؟**

ولاشك أن الإجابة على هذين السؤالين لابد أن ينصرف إلى العلاقات التفاعلية التى للبدين أو البدينة ببيئته، والعلاقات التفاعلية بين أفراد الأسرة الواحدة وبين أفراد المجتمع ككل. وتتمايز العائلات والمجتمعات بما لها من مشاكل تترتب عليها استثارات انفعالية يعانى منها البدين بخاصة، ومن شأنها أن تجعله ينصرف إلى الطعام يستنفد فى تناوله طاقته الغضبية والإحباطات والتوترات فى حياته. وكذلك قد تتأثر العائلة ككل، أو المجتمع فى غالبيته بما يكون عليه حال الحكم والسياسات المعمول بها، والظروف المناخية والاقتصادية فيه، والعلاقات الاجتماعية التى تسوده، فهذه كلها أمور قد تجتمع على الفرد الواحد أو الأفراد، بالإضافة إلى الاستعداد الوراثى، واليُسْر المادى، والإنفاق عن سعة، وتتكون بكل ماسبق عادات اغتذائية فردية أو عائلية أو اجتماعية. وتبرز **العوامل الانفعالية** كأهم سبب يدفع إليها جميعا، وخاصة أن البدانة تبدأ مع مراحل الحياة التى يتحاشى فيها أى إنسان أن يزيد وزنه عن المقرر، وهى مراحل الطفولة المتأخرة والمراهقة وأوائل الرجولة أو النضج الأنثوى، الأمر الذى يضخّم من آثارها ويجعل لها مردودا انفعاليا أكثر مما لها فى مراحل العمر الأولى من الطفولة، أو التالية على ذلك فى الثلاثينات ومابعدها. والطفل البدين يسعد أهله ببدانته ويحسبون أنها فرط صحة. والرجل الذى يزيد وزنه فى الثلاثينات قد يظن أن ذلك يجعله أكثر احتراما عند الناس، ويبدو أقوى. ويقال عن المرأة فى الثلاثينات أن لها مظهر السيدات عندما تسمن ويثقل وزنها. وكم من مدرسات وطبيبات وناظرات عاقهن الهزال عن ممارسة عملهن كما يجب، فى حين أن هذه السمنة قد تساعدهن كثيرا على تحقيق ماينشدنه فى وظائفهن أو فى البيت.

ودلت البحوث على أن البدين ينشأ غالبا فى بيت **الأم فيه مسيطرة**، وتمارس سلطاتها عليه وهو طفل من خلال ماتفرضه عليه من أطعمة، وهى عادةً أم توصف بأنها **مفرطة الحماية** أو مفرطة فى العناية بأولادها. والطفل البدين قليل الحركة فيجعله ذلك أكثر التصاقا بأمه واعتمادا عليها، وهو ماتريده الأم. وربما كانت سيطرة الأم راجعة إلى شعورها بعدم الأمان، مما يجعلها تتحول إلى ابنها أو ابنتها تصنع منه ماتفتقده من زوجها، أو توجهه إلى ما لم تحققه لنفسها، وذلك يفسر عنايتها الفائقة وحرصها الشديد بطعام أولادها، وكأن الطعام الذى تعطيه لهم هو إشباع لها عن جوعها العاطفى. وكثيرا ما تكون البدانة بالطفل لأنه يشعر أنه غير مطلوب فى الأسرة، وأن أمه تنبذه، ويلمس

قسوة أمه له من صغره وانصرافها عنه وخاصة فى المرحلة الفمية من مراحل النمو النفسى الجنسى، وفى هذه المرحلة تكون حاجات الطفل فمية، ولكن الأم تفطمه قبل الأوان، وتظل معه حاجاته الفمية التى لم تشبع طوال سنىّ حياته كلها وتطالبه دائما بالإشباع، فيُكثر من تناول الطعام لعله يتخفف من وطأتها عليه. وقد تشعر الأم النابذة لأولادها بالذنب لإهمالها لشئونهم فتعوّض عن ذلك بالمبالغة فى تغذيتهم كى تستر كراهيتها اللاشعورية لهم. وقد ينطبع الطفل بهذه العادات الغذائية، وخصوصا أنه يكون فى سنوات التكوين، وتتثبت به هذه العادات، وتصبح ميولا واتجاهات تدفعه دفعا إلى الإقبال على الطعام، فيزيد وزنه وتتأصل به البدانة فى المراهقة ومابعدها.

وبعض الناس يفرطون فى الأكل لأنهم يريدون البدانة لما يعطيهم الوزن من الأهمية والاحترام عند الآخرين، ولمظهر القوة الذى يبدو عليه البدين، وتفسير ذلك أن البدين إنسان قلق، وهو يلجأ إلى الطعام كلما استبد به قلقه لعله يطامن منه. وربما يخفف الإفراط فى تناول الأطعمة من الشعور بالوحدة والإحساس بالنقص، وقد يشغل به البدين عن الاكتئاب. وقد يتوسل المؤرَّق بالطعام والإفراط فيه لينام، أو ليتحقق له من خلاله الاسترخاء، وبعض الناس لايحسون الاسترخاء إلا اذا أكلوا فأفرطوا. وقد يتوسل البعض بالإفراط فى الطعام على الهروب من التوترات الانفعالية، فمثلا البدانة فى المراهقة أو فى العشرينات قد تكون الطريقة التى يهرب بها البعض لاشعوريا من القلق كلما كان عليهم أن يلتقوا بفتاة. وقد تتعلل بعض البنات بالبدانة لترفض فكرة الزواج، والحقيقة أن الحديث أوالتفكير فى الزواج يستحضر للبنت القلق، فلكى تطرد القلق تشغل نفسها بالإقبال على الطعام، وتجعلها البدانة منفّرة، فتنقذها من قلقها ومخاوفها.

وربما يكون الفتى الذى يرفض فكرة الزواج عنّينا، وكذلك ربما تشكو البنت من البرود الجنسى. ويرد البعض البدانة عند المراهقين إلى **الرغبات الجنسية المحرّمة** التى يتعذر تحقيقها، فيُسلم المراهق نفسه لمتعة الطعام كبديل عن متعة الجنس، وتصبح عملية الأكل بديلا عن العملية الجنسية.

وقد تمثل البدانة **رغبة فى الحمل**، وبعض الرجال تستبد بهم الرغبة فى الإنجاب ويعجز عنه لعُنّة به أو عُقْر بزوجته، وقد لايعلنون عن رغبتهم ولكنها تظهر فى شكل الإفراط فى الطعام وتحصيل البدانة التى لها مظهر الحمل. وقيل فى **الوهم** الذى يكون ببعض

الحوامل، وحالة القئ التى ترافقه، أن المرأة لاتريد الطفل وتخشى مجيئه بسبب غيرتها من انصراف زوجها إلى الاهتمام به عنها، أو لأنها تخاف أن يُفسد الحمل والرضاعة من جمالها، وأن تقل بهما جاذبيتها بالنسبة للجنس الآخر، أو قد تكره مجئ الطفل لأسباب اقتصادية، أو لأنها لاتحب زوجها ولاتريد أن تنجب منه، فتتقيأ وكأنها بذلك تتقيأ الجنين وتتخلص منه. ويرمز الطعام إلى الحمل، والمرأة التى تفرط فى الطعام قد تكون بها رغبات محتدمة أن تحمل، وكذلك التى تقئ الطعام قد تعبر بذلك عن رفضها الحمل. وقد يكون إفراط الحامل فى تناول الطعام حتى لتُتخَم به، وكأنها بذلك تريد أن تزهق به أنفاس جنينها أو تزاحمه بالطعام على مكانه فى بطنها تريد أن تطرده. والمُشاهَد أن الكثيرات من الحوامل يزدن فى الوزن كثيرا ويقبلن على الطعام بشراهة عن ميولٍ فى حقيقتها تُفصِح عن رفضها لدورها كزوجة أو كأم.

وتذهب **مدرسة التحليل النفسى** إلى تفسير البدانة باعتبارها طريقة لإشباع الحاجات الغريزية، ففى **المرحلة الفمية** قد يشرُه الطفل ويجوع كثيرا ويرضع أكثر، لأنه يتحول إلى أمه أو إلى الثدى فيها بالذات الذى منه يرضع ويكون به إشباعه، فيرغب أن يستدمجه فيه، ويكون جزءا منه هو، لامن شخص يغيب عنه أحيانا ويحرمه هذا الثدى غالبا، ويحاول أن يستدمجه فعلا، ويعض فيه وتتقبض عليه يداه، ثم يتعلم أن يستعيض عنه بأن يزيد من الرضاعة يشبع بها نهمه إلى الثدى ورغبته فيه التى يعجز عن تحقيقها. وفى **المرحلة الشرجية** تكون هناك مقارنة بين الطعام وبين مايخرج من الشرج، والكثير من الأطفال تستبد بهم أوهام شرجية من نوع هذه المقارنة، وينصرفون إلى الطعام بالنظر إلى هذه الاعتبارات الشرجية السالفة. وفى **المرحلة القضيبية** ترتبط الرغبة فى الطعام بتوهمات الحمْل والرغبة فيه. وينفعل الفم وكأنه الفرج أو يساويه، ويصبح الطعام بديلا عن الطفل، والبدانة صنو الحمل، وتناول الطعام مثيلا للعملية الجنسية.

وقد تحقق البدانة أوهام عظمة عند البدين، وتعطيه إحساسا بالقوة الفائقة، وتحميه من شعور بقلق الانفصال، أو قلق الخصاء، أو قلق الخوف من الفناء. **وقلق الانفصال** يتأتى نتيجة غياب الأم عن الطفل كثيرا حتى ليصبح هذا القلق جزءا من البناء النفسى للطفل. وأما **قلق الخصاء** فهو الذى يترتب على عقاب الأب للطفل وتهديده له بأن يقطع قضيبه (حَمامته) إذا لم يفعل كذا، أو إذا عاد لفعل كذا. وأما **الخوف من الفناء** فهو خوف على

"الأنا" من أن ينوب ويفنى لسبب من الأسباب، أو بطريقة من الطرق. وفى تجربة الحب يعانى الشاب أو الشابة كل ذلك، فهما يلتقيان ولكن حتى فى اللقاء قد يتعذبان، لأنهما عما قليل سينفصلان. وحتى فى الجماع يكون قلق الانفصال قَبْله وبعده. وأيضا قد تراود الفتى والفتاة فكرة الخصاء، ويتوهم الفتى أحيانا أنه بلا قضيب أو عاجز جنسيا، وقد تتوهم البنت ذلك، وقد تظن نفسها غير قادرة على الإنجاب. وقد يخشى أيهما أن يحب الآخر فيفقد نفسه فى هذا الحب. وقد يُقبل المحبون والعشاق على الطعام ويزيد به وزنهم تخلصاً من أنواع هذا القلق، وتأكيداً لذواتهم.

وعلاج البدانة إذن يقتضى الإحاطة بتاريخ المريض واكتشاف المعنى الانفعالى عنده للبدانة، بالنسبة لماضى حياته وحاضر تجاربه. ولربما تؤدى مساعدته على حلّ صراعاته النفسية القديمة وتجاوز الضغوط التفاعلية الحالية على إنقاص وزنه.

وينبغى أيضا أن يأخذ البدين نفسه بعد العلاج بحِمْية خاصة تجعله يعتاد الوجبات الخفيفة، لأنه لم يعد فى حاجة إلى الطعام الزائد يعوضه عن قصوره النفسى، أو القصور فى إشباع الرغبات التى لايمكن إشباعها عن طريق تناول الطعام، **فالرغبة الجنسية لايشبعها إلا الجنس**، واستبداله بالطعام قد يصلح مع شخص مريض ولكنه لا يُجزى مع الشخص السوى (Bruch: The Psychology of Obesity).



الفصل الثانى عشر

الجنس والجهاز النفسى

الهو والأنا والأنا الأعلى

Id, Ego & Superego

الهو والأنا والأنا الأعلى من مصطلحات التحليل النفسى التى ذهب **فرويد** إلى تقسيم الجهاز النفسى إليها فى الإنسان، فأما **الأنا** ego فهو الذى يعطى الفرد هويته ويميزه عن غيره بحيث يستطيع بحق أن يشير إلى نفسه فيقول أنا، وأما **الهو** id فهو تلك الطاقة الحيوانية الهائلة فى الإنسان، أو هو الجانب الحيوانى فيه، وهو جانب لايدرى عنه صاحبه شيئا ويعمل فيه **لاشعوريا**، وكأنه قوة أخرى بداخله، أو شخص آخر يمكن أن يشير إليه بضمير الغائب **هو**. والهو غير عاقل ومندفع وتلقائى وغير منظم، أو هو بمعنى آخر فطرى لم يتهذب ولم يتحضر، ويسعى إلى تحقيق اللذة ولايبالى إن كان ذلك يتفق والأخلاق والعرف والقيم والدين. وهو لايعرف الخير أو الشر، ولايؤجل تحقيق رغباته، وليس له من غاية سوى التحقيق الفورى والمباشر لمطالبه. والهو ليس سوى طاقة بيولوجية وغرائز واستعدادات فطرية موروثة نفسية وبيولوجية، ولو أمكن أن نرسم للجهاز النفسى تخطيطا طبوغرافيا **فالهو** يشكل الجانب المظلم المجهول فى الإنسان والذى نلمس آثاره فيه من خلال الأحلام.

ولايسمح **الأنا** لمطالب الهو أن تتحكم فيه ولكنه يحاول أن يسيطر عليها ويفرض عليها رقابة صارمة تخفّ عندما ينام الشخص، وحينئذ تستطيع هذه المطالب أن تفلت من رقابة الأنا مقنّعة وتظهر فى الأحلام. والأنا يدرك العالم الخارجى ويحاول التوفيق بين مطالبه ومطالب الهو الغريزية، والمبدأ الذى يعمل بمقتضاه هو **مبدأ الواقع**، على عكس الهو فهو يعمل بمقتضى **مبدأ اللذة**، والأنا لذلك ينتابه القلق فى غالب الأحيان، ويستخدم هذا القلق ليصون النفس من الأخطار، ويحد من غلواء مطالب الهو، ويقيد طاقته المطلقة، بخلاف الهو الذى لايعرف القلق لأنه لايتعرض لضغوط الواقع، ولايعانى من الدوافع المتصارعة، ويحاول باستمرار أن يشبع رغباته مباشرة أو بوسائل رمزية أو بديلة.

ورغم أن الهو لاشعورى إلا أنه حسّاس لما يطرأ على حاجاته الغريزية من تغيرات،

وللذة والألم اللتين تتيحهما مناطق الجسم الحشوية وسطوحه والتوترات العضوية فتستثار غرائزه وتزيد طاقته الشهوية.

والهو **مملكة المتناقضات kingdom of illogicals** كما يقول فرويد، فهو يجمع الأشتات، ومطالبه متنافرة ومتصارعة وتأخذ بخناق بعضها البعض وتتنافس على أولوية التحقيق، والأنا هو الذى ينظم بينها ويضفى عليها المعقولية، فمثلا الهو ينحو نحو **الإشباع الجنسى المباشر** ولايهمه فى ذلك إن كان الموضوع الجنسى هو زوجته أو أخته أو خالته أو زوجة صديقه، ويمنع **الأنا** وقوع مثل ذلك ويحث الفرد على أن يتزوج بالطرق الشرعية، وينأى به أن يكون الجنس عنده نزواً كالحيوانات. وأما **الأنا الأعلى superego** فهو الذى يطلب من الشخص أن تكون الزوجة المنشودة على صفات معينة من حيث البنية والقوام النفسى والنَسَب العائلى، وهناك صورة مثلى للزوجة فى **الأنا الأعلى**، مثلما هناك صور مثلى لما يمكن أن يكون عليه كل سلوك. **والأنا الأعلى هو** مخزن النواهى والزواجر والقيم والمُثُل التى استدمجها من الوالدين والثقافة، وهو بمثابة **الضمير**، وهو أشد قسوة من الوالدين، لأنه لم يتكون من مجرد استدماج أوامر الوالدين، وإنما مرّت به خبرات أن يحقق هذه الأوامر بأن يكبت رغبات الهو ويكفّها، ومن خلال الكفّ والكبت يكون أشد صرامة من الأبوين، وتتكون له سلطة أكبر تصحب الشخص من داخله، ويكون لها حضور دائم فيه إذا غاب الوالدان. وعلى ذلك فصلة **الأنا الأعلى** بالهو أكبر من صلة الأنا به، وأغلب مادة **الأنا الأعلى** لاشعورية، وهو دائم الصدام مع الهو، فى حين أن **الأنا** توفيقى وكأنه المستشار القانونى فى خدمة طاغية، مهمته أن يقنن مطالبه ويُلبسها الشرعية.

وكل عالَم الطفل هو أناه، والعالم والموضوعات تتبع أناه، وهذه **الأنانية أو النرجسية البدائية هى** التى يتحقق له بها الإشباع الأولى لحاجاته من التغذية والتبول والتبرز. ويمتد وعى الطفل إلى الأشياء ولكنها ماتزال عنده مادة للأنا، ثم يعى بعضها متمايزا عن الأنا، وعندئذ يصبح الوجود لديه **هو** وجود **الأنا** ووجود **اللاأنا**.

والدوافع الأنوية تجعل الإنسان يحافظ على نوعه ويلجأ إلى التناسل. وقد تزيد الأنانية بالأنا فينحو إلى الاستئثار، وعكس ذلك أن يطلب المتعة لصاحب الأنا كما يطلبها لغيرة من الناس. وقد يُشحَن الأنا شحنا جنسيا فيكون الشخص **نرجسيا** يعيش لنفسه ويحبها حبا جما كما فى **أسطورة نرجس** المشهورة الذى أغرم بجمال وجهه حتى أورده غرامه هذا

موارد التهلكة. وقد يضفي الشخص على الأشياء من حوله من طاقتة الشهوية ويشحنها بها فيحبها ويتوجه إلى الاقتناء ويبذل فى ذلك كل ما يستطيع. **ومحبو الفنون** من هذا النوع، **والدون جوان** أو زئر النساء من صنف الناس الذين يستمتعون بالنساء كأشياء، ومتعة زئر النساء أن يلهو بهن، وقيل المرأة لعبة الدون جوان. وقد تستجيب بعض النساء للمعاملة التى لا يرتضينها من الأزواج فتتنكر المرأة **أناها** بأن تتعين أولاً بالزوج الذى تكرهه وتتمثله فيها وقد ألغت ذاتها **ego negation**.

واعتلال الأنا egopathy يكون بالمغالاة فى الأهمية يضفيها الشخص على نفسه فيتصرف بأنانية مفرطة تجعله يستخفّ بالآخرين ويقلل من شأنهم، وتكون له بهم اتجاهات عدوانية وخاصة النساء. **والمعتّل الأنا egopathic** إنسان يسئ إلى الناس ويسئ معاملة النساء، ومن ذلك القوّاد، وبائع المخدرات، واللص، والمختلس، والقاتل والنمّام، والهجّاء. وعندما يلجأ البلطجى إلى العصا أو السكين أو المسدس فإنما لأنه يريد أن يؤكد ذاته على حساب الآخرين، وهو يؤكد ذكورته على المستضعفات من النساء.

وانقسام الأنا split in ego يحدث فى السوّى كما فى المضطرب نفسيا، والسوى ينقسم عنده الأنا، ويتكون من الجزء المنقسم "الأنا الأعلى" الدائم النقد لصاحبه والذى يطالبه باستمرار بمستويات من السلوك تتوافق مع المُثل والقيم. وانقسام الأنا يحدث عند المرضى بالعُصاب عندما تكون هناك اتجاهات متعارضة ومتصارعة ويلجأ الأنا إلى الكبت للدفاع عن نفسه، إلا أن المكبوت يفلح فى الخروج على هيئة الأعراض العصابية. ويظهر انقسام الأنا واضحاً عندما يحاول الشخص إنكار بعض ما يتحصل له من تجارب صادمة أو مؤلمة، ورغم أنه يرفض مايدركه إلا أنه يذعن له بعض الشئ.

والأنا الأعلى يبدأ فى التكوين حالما يدرك الشخص مايرفضه والداه، وذلك يحدث فى المراحل البالكرة من حياة الطفل قبل أن يبلغ وقبل أن يعى وجدانه أن الأم تختلف عن الأب ويبدأ يحب أمه ويميل إليها جنسيا. وقيل إن هناك **أنا أعلى بدائيا primitive su-perego** فى الجنين بمثابة عقلية منظمة للتكوين والنشوء وتنظيم الخلايا لتكوين الأعضاء المختلفة والأجهزة المتباينة. وهو **أنا أعلى وراثى**، للوراثة تأثير فى توجهاته على عكس **الأنا الأعلى الأبوى** الذى يعكس الأخلاق السائدة والتقاليد.

ومن الصعب التمييز بين الأنا الأعلى الذى هو صورة الأب المكروه أو صورة

الموضوعات المكروهة البديلة للأب، وبين **الأنا المثالي ego-ideal** الذى هو صورة من الأم المحبوبة أو الموضوعات المحبوبة البديلة للأم. ويشحن الأنا المثالي بالطاقة الأمومية أى التى كانت تذهب إلى الأم، وأما الأنا الأعلى فيكون شَحْنُه بالطاقة الأبوية أى التى تذهب إلى الأب. ونحن إذن إزاء عنصرين من عناصر النفس، السبب فيهما الحب للأم والكراهية للأب، ولكنهما عنصران غير متمايزين وإنما يختلطان، وذلك لأن **الأنا المثالي** ليس حبا كله، فطالما أن الحب الذى يمارسه هو حب قد انتُزع منه الجنس، فلابد أن تتوجه طاقته بعض التوجه إلى العدوان. وكذلك فطالما أن التعين يكون بالأب فلابد أن يستشعر الطفل له بعض الحب وأن يتراوح وجدانه بين الكراهية له والحب. والفرق الذى ينبغى أن نتنبه له بين **الأنا المثالي والأنا الأعلى** أن الأول وهو انعكاس لعلاقة الطفل بأمه فإنه يبدأ مبكرا أى فى الفترة التى يكون فيها اعتماد الطفل تماماً على أمه فيشمله حبها ويتعلق بها تعلقا شديدا، بينما الثانى لايبدأ فى التكوين إلا فى المرحلة الجنسية التى يجد الطفل فيها لذته لا فى فمه الذى يرضع ثدى الأم ويعضه، ولا فى شرجه حيث يلتذ وهو يتبرز، ولكن فى قضيبه فيكثر انتصابه وخاصة وهو يبول وكلما أخذته أمه فى حضنها ولامسها. **والأنا المثالي** يزكّى تكوينه حرارة الحب بين الطفل والأم، **والأنا الأعلى** يستحث تكوينه الخوف من العقاب ينزله به أبوه وأن يخصيه كما يهدده كلما ضبطه يلعب بقضيبه. **والخوف من الخصاء** يتهدد الأنا كله أى الوجود الذاتى للطفل ويرتبط باكتشاف الطفل لقضيبه. والطفل كمهرب له من التهديد، وكخلاص من الخوف، يتعين بالأب فيتمثل أناه الأب فينجو من الإخصاء، ويكسب الأب بأن يتمثله فى ذاته.

ويذهب بعض علماء النفس إلى تحديد فترة تكوين **الأنا الأعلى** بأنها **الشهور الثلاثة الثانية من السنة الأولى** للطفل حيث يقر فى وجدانه معنى الخير والشر كلما أُعطَى الثدى المُشبِع أو حُرِم منه، فيحبه ويكرهه فى نفس الوقت، ويريده حتى ليسلك كما لو كان يريد أن يبتلعه ويتمثله، وإنه ليحقد عليه ويضمر له الشر لأنه يحرم منه أحيانا فيعضه وينزل به العقاب.

ويقول بعض علماء النفس أن كل شخص به **ضميران** وليس ضمير واحد، ويطلقون على ذلك اسم **الأنا الأعلى المزدوج double superego**، والاثنان متعارضان ومتعاركان دائما، وأحدهما ذكورى الاتجاهات والآخر أنثوى، فمثلا الشخص الذى يتشكك دائما فى

سلوكه وينقد نفسه ويحاول إرضاء الناس على حسابها ويتصرف معهم بأدب شديد وحياء جمّ، ويستعفف أن يطلب مايخصه، هو إنسان يغلب عليه **الضمير الأنثوى** وله طبيعة ماسوشية تجعله مغلوبا على أمره ومستضعفا. وكذلك الشخص الذى يميل دائما للخير وفعله وينأى عن الشر ويبتسم للناس وإن كان لايتوقع منهم الشكر، هو ماسوشى يغلب عليه **الأنا الأعلى الأنثوى**، على عكس المتزمت القاسى فى أحكامه على الناس، والذى يستنفر أدبياتهم ويخاصمهم على مايظنه الحق فذلك له **أنا أعلى ذكورى**.

ويقسم بعض العلماء الأنا الأعلى تقسيما آخر فهناك **أنا أعلى معتد بنفسه** autonomous superego يأمر بما يراه خيرا أو حقا بصرف النظر عما يراه الآخرون أو مايأخذ به المجتمع، فقد يكون المجتمع على خطأ برغم الإجماع. وهناك **أنا أعلى تابع** heteronomous superego يأمر بما يُرضى الآخرين ولو كان مايأمر به قد يغضب غيرهم، ويستهدى الحضورالنفسى والمادى للآخرين، فهو مع هؤلاء فى وجودهم، ومع غيرهم فى غير وجودهم، وكأنه صورة من المنافقين فى الآية الكريمة (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون).

وفى الكثير من الاضطرابات العصابية يبدو الأنا الأعلى شديد القسوة وخاصة فى المسائل الجنسية، وبعض المرضى الذين يكثرون من ممارسة **العادة السرية** يتكون لديهم هذا الأنا الأعلى المتزمت.

* * *

الفصـل الثـالث عشـر

الحـب Love

مراتب الحب والمحبين، وأنواع الحب وسيكولوجيته وافتراق الشعوب فيه، والغيرة وأنواعها، والحب الأمثل، والحب الصوفى لله تعالى وهو أكمل صنوف الحب

الحب فى الاصطلاح هو ميل الطبع فى الشئ المُلَذ، وهو عاطفة مركبة منها **الهوى** وهو التوجه الى المحبوب، **والعلاقة** وهى الحب يلزم صاحبه، وسميت علاقة لتعلّق النفس بالمحبوب، ثم **الكَلَف** وهى المرتبة الثالثة فى الحب، وأصلها من الكُلْفة وهى المشقة، ثم **العشق** وهو فرط الحب، **والشغف** وهو الحُرقة يجد فيها المحب لذته فى الحب، **واللوعة** مثل الشغف، ثم **الجوى** وهو الهوى الباطن وشدة الوجد من العشق، ثم **التتيّم** وهو أن يستعبده الحب، ثم **التَّبل** وهو أن يُسقمه الحب، ثم **الوَلَه** وهو ذهاب العقل فى الهوى. وفى الحب تكون **الصبابة** وهى رقة الشوق إلى المحب، **والوَمَق** وهو شدة المحبة، **والوَجْد** وهو الحب الذى يتبعه حزن، **والشَجَن** وهو حب فيه الهمّ. **والشوْق والاشتياق** نزاع النفس إلى الشئ، **والوَصَب** ألَم المحبة. **والسهر والأرق والكَمَد** قد تكون من لوازم الحب والشوق. **والخُلّه** توحيد المحبة وهى رتبة لا تقبل المشاركة، **والوُدّ** خالص المحبة، **والغرام** هو الحب اللازم للشخص. وكل هذه الأسماء مظاهر سلوكية وحالات سيكولوجية لشئ واحد، أو عاطفة مفردة، تعنى التأثر الوجدانى بالمحبوب، والإحساس بالترابط مع شخصه، والشوق والحنين إليه. وقد يكون الحب لإنسان أو حيوأن أو شئ. والحب إذا قوى وتأكد فهو **العشق**، وقيل فى التفرقة بينهما أن الحب أو المحبة agapism يكون بلا شهوة، بينما العشق يُقَرن بالشهوة. وقيل إن عنصر الشهوة موجود بالحب دائما، وقيل إنه ليس شرطا أن يحوى الحب عنصرا شبقيا، وأنه يكفى أن يكون عاطفة أغلب وجداناتها المحبة، وتستهدف الارتباط بشخص آخر أو شئ مشخَص، وطلب الخير والسعادة لذلك الشخص. وقيل إن **المحبة** قد تتسامى فتخلو من كيفية جنسية، وقيل إن المحبة معناها صوفى أو دينى أكثر منه علمى، وحقيقة **المحبة عند الصوفية** هى أن تهب كلك لمن أحببت، فلا يبقى لك منك شئ، **والعشق عندهم** أقصى درجات المحبة، ومعناه اتحاد ذات المحبوب بذات المحب، اتحاداً يوجب غفلة المحب، شُغلاً بشهود محبوبه فى ذاته بذاته، ولذا قيل إن العشق أقصى مقامات الذهول والغيبة،

وأولاها **الغرام** وهو الانتشاء من خمر المحبة، ثم **الافتتان** وهو خلع العذار وعدم المبالاة بالخَلْق، ثم **الوَلَه** وهو مقام الحيرة، ثم **الدهش** وهو الذهول، ثم **الفناء** عن رؤية النفس، وهو أن يكون العاشق لا يسمع إلا لمحبوبه، ولا يبصر إلا به، ولا يدرك إلا به وله، ومنه فناء به عن نفسه وعن الأشياء كما كان قيس بن الملوح المسمى **مجنون ليلى**.

وأما الحب عند علماء النفس فله خمسة تصانيف، فصنف هو **الحب الأخوى** brotherly love، يكون بين الإخوة على الحقيقة أو على المجاز، وقد نستشعره للناس، فنطلب لهم الخير، ونعمل على توفيره لكل المحيطين بنا؛ وصنف هو **الحب الأبوى** parental love يكون من الأب لأولاده، وقد يعتبر الشخص الجميع أولاده، ويسعى لصالحهم ويؤثرهم على نفسه، ويحس بهم امتدادا لوجوده، وبهم يتأكد وجوده ويُستبقَى؛ وصنف هو **الحب الشبقى** erotic love، يكون عشقا وكَلَفا بالمحبوب، فيطلبه دائما ويهدف إلى الالتصاق به ويتمنى وصاله؛ وصنف هو **حب الذات** self-love فيرضى بنفسه عن الناس، ويقنع بها، وقد يدفعه ذلك إلى الاستحواذ، يريد أن يجعل من نفسه أفضل مما هى عليه، وأن يميز عن كل الناس، وقد يطلب صحبة الناس لأن ذلك يفيده ويعود عليه بالنفع؛ والصنف الخامس والأخير هو **حب الله** love of God، ومصدره الحاجة الأكيدة فى الإنسان لأن ينتمى، وأن يتواصل بالناس والعالم والكون كله، وأن يعتقد أن للوجود غاية، وأن له خالقا، ومن ثم تكون حركته فى الحياة محسوبة بقيم عليا، يعطيه الإيمان بها ثقة فى نفسه وأملا فى حياة أفضل، ويحميه من الشك الذى يمكن أن يعصف بتفكيره فيشمله منه القلق ويتردّى به إلى اليأس (Eric Fromm: Art of Loving).

ويولى أطباء النفس أكثر اهتمامهم **للحب الأبوى والحب الشبقى**. وهناك العديد من التعبيرات يتشكل بها الحب الأبوى، وكلما نما الطفل اختلفت معاملة الأبوين له، فالرضيع له معاملة، وكذلك الصبى. ومن الأبوة أن يتفهم الوالدان حاجات أطفالهما، وتمتد المحبة فتكون عناية بجسم الصغير وتلبيةً لمطالبه، فإذا شبّ وكَبُر صارت الرعاية لمهاراته، وتشجيع محاولاته لاختبار الواقع، والتعرف إلى إمكاناته، واكتشاف العالم. فإذا كان فى المدرسة كانت ترقيةً لاتجاهاته، ودفعاً لميوله، واستحساناً لسلوكه أو ترشيدا. فإذا كانت المراهقة تحوّل الحب فصار تأكيدا لاطمئنان الأبناء، وترسيخا لاستقلاليتهم، وأن تكون للولد أو البنت حياته الخاصة، وأن يستشعر أن أبويه يثقان فيه وفى قدرته على ممارسة الحياة

وحده وأن تكون له خبراته. وأثبتت الدراسات النفسية أن القدرة على بذل الحب، وكذلك تلقيه، لايمكن أن تتطور وتتأكد بالطفل إلا إذا عمل الوالدان على تنميتها خلال سنوات التكوين، ويعنى ذلك أنه لابد أن تسود البيت الذى ينشأ فيه الصغير مشاعر ودّية بين أفراد العائلة، فلا تتربى فيه اتجاهات الشك والريبة والأنانية والعدوانية، ولايتحصل له الإحباط ويتأكد لديه أنه منبوذ وغير مرغوب فيه، وتجتمع عليه من جرّاء ذلك مشاعر سلبية، تتشكل بها حياته المستقبلة وتقوم عليها. وقد يجد الطفل حياة خارج البيت تختلف عن حياته داخله، وقد يعامله الناس بتفهّم أكبر، وينجح فى أن تكون له بهم علاقات مثمرة، تساعده على التغلب على ماقد ترسب فى نفسه نتيجة المعاملة الأولى السيئة، ومن ثم يصبح أكثر تقبّلاً للحب وتجاوباً معه.

والحب بخلاف **الافتتان** **infatuation**، وإن كان الحب لايستغنى عن الافتتان، ولابد أن يستبقِى من مرحلة الافتتان شيئا. والافتتان قد يأتى عفوياً وفجأة، بينما الحب يقتضى زمنا، وفى **الافتتان** يكون الشخص محبا للحب، أى به الرغبة أن يقع فى الحب، بينما فى **الحب** يحب المحب شخصا. وفى **الافتتان** يكون المحبوب مغايرا للمحب، أى أن المحب لم يشعر بعد أنه والمحبوب واحد، بينما هو فى **الحب** يتعين بالمحبوب ويرى نفسه فيه ويتحد به. وفى **الافتتان** يعتور القلق المحب، ويريد أشياء، ويحلم بأشياء، ويتمنى أشياء، ولكنه فى **الحب** تتنزل عليه السكينة، وتدخل الطمأنينة نفسه وتفكيره، ويكون فى سلام مع نفسه والعالم من حوله. **والمحب المفتون** قد يصيبه الإحباط، ويفقد الطموح، ويعاف العيش وحتى الطعام، ويكون فى ذهول، ولكنه فى **الحب** يلهمه حبه فيعمل ويقدح ملكاته، ويحاول أشياء ليترضى بها محبوبه ويدخل عليه السعادة. وفى **الافتتان** هناك دائما الجسد والرغبة فى الوصال أكثر مما فى **الحب**، والمحب المفتون قد يتغير بسرعة، بعكسه فى الحب، فالحب يدوم.

والافتتان قد يكون شَرَكا إلى الزواج المتسرّع، وخاصة عندما يكون المحبان والهيْن، تقضّ مضجعهما الرغبات الجنسية، ويتعجلان الوصال، أو تكون بهما حاجات اعتمادية، ويريدان، أو واحد منهما، أن يلقى على الآخر بمسئولياته، أو قد يدفعهما إلى الزواج أن يجدا فيه خلاصا من الوحدة أو السأم أو الكآبة. وأما **الحب الحقيقى** فعلى النقيض، قد تدخله الرغبات الجنسية التى تدفع إليها دوافع فكرية ونفسية لها اعتباراتها، وتدعو إليه

الاهتمامات المتماثلة للطرفين، والإعجاب المتبادل بخبرات كلٍ وطموحاته، وكما فى الحب الأخوى والحب الأبوى يسعى فيه الطرفان إلى إسعاد بعضهما، والعمل على كل ما من شأنه أن يرقّى فيهما مشاعر الحب، ويُرهفها وينميها.

وكان **الإغريق** القدماء لايعترفون إلا بالحب الجنسى الذى قوامه الافتتان، غير أن **أفلاطون** جعل للحب معنى متساميا، وهو بحسب جدَله الصاعد يبدأ بالأقل وينتهى بالأكبر، فنحن نحب الشخص أو الشئ الجميل، ثم نحب ماهو أجمل فى الأشخاص والأشياء، ثم نخلص إلى أن نحب الجمال فى المعانى وليس فى المحسوسات، وقد نبلغ كمال الحب فنحب الجمال الإلهى الأسمى. ومن الحب مايكون بحسب الجَدَل النازل، كحب الأنبياء والصدّيقين وخاصة **الصوفية**، فهو تعين وامتلاء بالمعانى الإلهية، وخروج عن الذات، وبذل وعطاء للناس، على عكس الحب **الأفلاطونى** platonic love الذى هو تركز حول الذات. ومن الحب أيضا **الصداقة** philia، وهى حب أخوى لا يقوم على التجانس والتجاذب ولكنها ارتباط بين اثنين من الأخيار، لا للانتفاع ، ولا لأنهما متشابهان فى الاهتمامات، أو حتى يجمع بينهما تجاذب الأضداد، فالصداقة المبنية على أسبابها تزول بزوال مسبباتها، وأما **صداقة الأخيار** ففيها دائما العطاء الذى لا يسعى إلى مقابل، وتقوم بين الأنداد. ويجمع **أرسطو** فى الصداقة الحقيقية المحبتين معا، **محبة الذات ومحبة الغير**. ولا تعنى محبة الذات الأنانية الكريهة المستحوذة، وإنما هى محبة الذات بمعنى الاهتمام بها والسهر عليها، لترقىَ باستمرار وتكون أهلا للمحبة ومتصفة بالفضيلة. ويرفض أرسطو إمكان قيام الصداقة بين الأشرار، لأن الشرير لا يمكن أن يفرح للخير يتحصل لصديقه، بل سيحسده عليه، ومن ثم فالصداقة لا تجتمع إلى شرير.

والحب عند **علماء التحليل النفسى** حالة وجدانية، فيها رغبة المحب أن يمتلك محبوبه، وأن يتعين به، ورغبته فى أن يسعده ويلذّه، وأن يواصله، وأن يجد لديه صدى لحبه فيبادله حبا بحب، وأن يسعد به ويقربه. والحب عند **فرويد** متمايز عن الصداقة، وعن الافتتان، ولكنه مظهر غرائز الجنس، ويختلف التعبير عنه بحسب تطور الليبدو أو الطاقة النفسية عند الشخص، ابتداء من الطفولة وانتهاء بالكهولة. وقد تكون صور الحب فى مرحلة متقدمة من مرحلة متأخرة، بمعنى أن الشخص ينكص إلى الماضى ويعبر بطرقه عن حبه. أو قد يستخدم الحب وسيلة دفاع ضد المشاعر العدوانية أساسا. وقد يتسامى بحبه الذى لايجد التحقيق المباشر له كأن يتحول إلى حب مَثَلٍ أعلى، أو إلى حُب الإنسانية بعامة.

ويذهب **فرويد** إلى القول بنوعين من الحب يصفهما بأنهما النمطان الأساسيان، **الأول**

النمط النرجسي، فيحب المرأ نفسه ويتعشق ذاته تعشّق نرسيس أو نرجس في الأسطورة اليونانية لصورته، أو يحب الصورة التي كان عليها سابقا، أو التي يحب أن يرى نفسه فيها لاحقا، أو يحب شخصا يرى فيه نفسه حاليا، أو سابقا، أو لاحقا، أو يحب شخصا يريده أن يكون كنفسه، وأن يكون له فهمه للحياة، وأن تكون له اتجاهاته، أو يرى أنه يشبع فيه الحاجات التي كان يصبو إليها، وقد يحب الرجل امرأة بعينها لأنها ترعاه كأمه، فهي بديل للأم، أو تحب امرأة رجلا لأنه يلبي حاجاتها ويحميها كأبيها، فهو البديل عن الأب. والحب عند البالغين مزيج من كل ماسبق، ويتضمن كافة العناصر السالفة. ولايوجد حب لايجد المحب فيه محبوبه إلا على حال من الأحوال التي عرفها بالخبرة، وعايشها في حياته وكانت له هادياً في اختيار من يحب.

والحب يبدأ في التحوّل من حب الذات أو الحب النرجسي إلى حب الموضوعات الأخرى بخلاف الذات، عندما يتبين للطفل أنه لايستطيع أن يحوز تماما مايحب من أمه وهو الثدي، فلقد عامله طويلا كجزء منه حتى ليعضه أحيانا ويمص فيه مصا يريد أن يلتهمه ويتمثله، إلا أنه يضطر أن يعي أن هذا الثدي لايخصه بالدرجة الأولى، ولايمكن أن يكون له وقتما يشاء، ويستشعر به موضوعا خارجا عنه تتعلق به رغباته، وتدور حوله عواطفه وانفعالاته، ويتعلم أن يشحن الأشياء من خارجه شحنا وجدانيا يصرف إليها بعض طاقاته، بدلا من أن يصرفها كلها على ذاته وحدها، وحينئذ فقط تبدأ مرحلة **الحب الموضوعي** في مقابل **الحب الذاتي**، وهي في أول الأمر مرحلة ترتبط بما يُشبع ذات الطفل، ثم يتخلص الحب بالتدريج من أن يتبع حاجات الطفل، ولايكون هدفه الإشباع الغريزي.

وأنضج أنماط الحب هو **الحب التناسلي** أو الذي يأتي في الطور التناسلي من أطوار النمو النفسي الجنسي، وفيه يتوقف الإنسان عن أن يطلب الإشباع الجنسي المباشر، ويتعلم أن يتسامى بغرائزه، ولايعود يحب نفسه بقدر مايتوجه حبه إلى موضوع غير ذاته، وينتهي عن أن يطلب أن يحوز مايحب ويضمه إلى نفسه، ولكنه يصرف إليه طاقته حيث يرعاه، ويضفي عليه من العناية ويبذل له من نفسه، وعندئذ لاتتوجه إليه عدوانيته، وينفصل الحب عن العدوان. وهذا النوع من الحب التناسلي يتوقف على المصالحة التي تتحصل من داخل الشخص للصراعات الأوديبية فيه. ويعتمد اكتمال هذا الحب على نجاح الشخص في حلّ هذه الصراعات، غير أنه من ناحية أخرى فإن الشخص التناسلي ينال أيضا إشباعا

لنرجسيته، وإن كان إشباعا ثانويا، وذلك بما يتلقى من محبة الطرف الآخر، واللذة التى تتحصل له من عملية الحب، والتراضى الذى يتمّ من خلال ذلك بين متطلبات الأنا والأنا الأعلى، ففى الحب التناسلى يوجد العطاء والأخذ، أو الإيجاب والسلب. والذى يُعطىِ دائما يكرر دور الأم التى ترعى.

وحب الآباء هو من نوع الحب الذى يعطى، والذى يتوجه فيه التسامى إلى موضوع الحب. وهو أيضا من **النوع النرجسى** لأن الأبوين إذ يحبان الإبن أو الإبنة يفعلان ذلك لأنهما يريان فيه أو فيها نفسيهما فى الصغر، أو يريدان أن يصنعا منه أو منها ماكانا يتمنيان أن يكوناه. ومع ذلك فمن الحب الأبوى ماهو من أنضج أنماط الحب.

وأما **الحب الأخوى** فهو مزيج من الحب النرجسى والحب الاعتمادى، أى أنه قد يقوم على محبة الإخوة حيث يلبون للشخص مطالبه، وكأنهم أدوات له أو أجزاء من نفسه، فهو يحبهم كنفسه، أو يحب فيهم نفسه. وأيضا هو يحبهم لأنهم مغايرون لنفسه، إلا أنهم يلبون حاجاته ويعتمد عليهم فى إشباعها، وهذا هو **الحب الاعتمادى**. ويقوم الحب الأخوى على مايسمى **تكوين رد الفعل**، بمعنى أنه قد يترتب كنتيجة عكسية لانفعالات **التنافس** بين الإخوة، أو قد يُستحدَث بتأثير التسامى بمشاعر التنافس، أو حينما يجد الإخوة أنهم أقرب إلى بعضهم بفعل تعينهم جميعا باتجاهات الأبوين والتربية الواحدة.

وليس **الحب الجنسى المِثْلى** إلا نوعا من **الحب النرجسى**، حيث يجد المِثلىّ الجنسية أنه يهوَى أشباهه من الذكور. وطلبُه لهم وتهافُته عليهم هو ضرب من الإشباع النرجسى أو الذاتى لغرائزه، فهو يتمثّلهم فى نفسه وكأنهم نفسه، ويلذّ بهم نفسه.

والحب العصابى الذاتى عند فرويد هو أن يحب الشخص نفسه، كما لو كانت موضوعا خارجيا، إلا أنه لايربط نفسه بها برباط خارجى كما يفعل المِثلىّ الجنسية، كحال الزوجين اللذين يبدو أنهما يعيشان فى وئام وسعادة ويتبين أن كلا منهما يُشبع فى الآخر ناحية عُصابية، وليس تعلّق أحدهما بالآخر إلا لهذا السبب.

والحب بين الأزواج نوع متميز لاشك فى ذلك، ولايقوم على اللذة والمنفعة القاصرتين. وصدَق **الرسول** أن كل محبة تقوم على أسباب غير إرادة المحبة ذاتها مآلها الفشل، وذلك أن الجمال والمكانة والثراء كلها إلى زوال، ولايدوم إلا المحبة التى مصدرها إرادة المحبوب ككل. ومحبةُ هذا أساسها تستمر وإن فنيت الأعراض.

والحب الزوجى حب لزوجة واحدة ولايمكن أن يكون حبا لزوجتين، لأن الزوج فى هذا الحب لايسعى إلى اللذة كما فى الإيروس أو الحب الشبقى، الذى يسمح له بتعدد موضوعات الحب، والتنقّل من امرأة لأخرى، ومن جَمال إلى جمال. ولاينظر الزوج فى هذا الحب إلى زوجته باعتبارها موضوعا لحبه، ولكن باعتبارها ذاتا يعطيها ويسعى لأن يسعدها. وهذه المحبة لاتتأتى إلا بعد طول العشرة وكثرة المشاهدة والخبرة. وصدَق ابن حزم الأندلسى إذ يقول إن الحب من النظرة الواحدة ضرب من الشهوة، وذلك أن اتصال النفوس وتلاقيها، لا يكون إلا بعد أن تتهيأ لهذا الاتصال، وتستعد له بعد إيصال المعرفة إليها بما يشاكلها ويوافقها، ومقابلة الطبائع التى تخفى على المحب من محبوبه بما يشابهها عنده، وحينئذ يكون اللقاء صحيحا ويُحدِث أثره. وأما ما يقع من أول وهلة ببعض أعراض الاستحسان الجسدى فهذا سرّ الشهوة ومعناها على الحقيقة، فإذا تجاوزت المحبة الشهوة إلى توافق فى الطبائع يكون العشق. ومن هذا يدخل الغلط على من يزعم أنه يحب اثنتين، ويتزوج من امرأتين متغايرتين، فإنما هذا جائز من جهة الشهوة ويسمى محبة على المجاز لا على التحقيق. وأما فى الحب الأصيل فما للمحب من وقت أو جهد يصرفه على غير محبوبه من أسباب دنياه، فما بالك بأن يشتغل قلبه وفكره بحب ثان؟ (طوق الحمامة لابن حزم الاندلسى- باب من لا يحب إلا مع المطاولة).

على أن الكثيرين من المفكرين من غير المسلمين لا يذهبون إلى هذا المذهب عند ابن حزم وعند غيره من علماء النفس، وفى ذلك يقول إميل لودفيج مثلا "إن عدم تعدد الزوجات من مضار النصرانية، لأنه مخالف للطبيعة، حتى إن أكثر الحيوانات، نشوءا واقتصارا على زوجة واحدة، ليست كذلك إلا فى بعض الأدوار". ويقول لودفيج "إن عدم تعدد الزوجات ممكن فى جزيرة منفردة، لأن الناس فى الجزيرة يكونون مجبرين حينئذ ومحكومين بالظروف، وأما استمرار الزوجين فى الأحوال العادية فهو مسألة اختيار، ففى الزواج يوجد فردان، وائتلافهما يتوقف على ما يمكن أن تلتقى عليه اتجاهاتهما". ولربما لا يفرق لودفيج بين الحب والزواج، ومن الزواج ما يمكن أن يكون دارجا أو عاديا ويستمر كذلك، ومن الممكن أن يقوم الزواج بلا حب، وحينئذ ينبغى أيضا التفريق بين الحب والجنس. والزواج القائم على غير الحب هو علاقة جنسية أو علاقات أخرى اجتماعية أو دينية أو غير ذلك، وأما الحب فهو اقتران بين نفسين يحفل بالمدّ والجزر، وجدانيا أو عاطفيا، وحسّياً أو

شبقيا، فإذا قام الزواج على الحب فهو النعمة الكبرى والقوة العظمى، وليست الرغبة فى الولد من مثل هذا الزواج إلا محاولة لاستدامة السعادة وممارسة الخلود لأرق وأرهف المشاعر الإنسانية.

والغيرة من المشاعر التى لاتكون إلا مع الحب، وهى رغبة تكون بالمرأة أوالرجل للاستئثار بشخص المحبوب، ومن ثم يخشى أن يفقده، أو أن يأخذه منه آخر، ويرتبط بذلك أن يشعر أنه أُهين، وقد يترتب على ذلك أن يعيد تقويم الموقف، وينتقد نفسه، وينسب إليها بعض أسباب انفضاض المحبوب عنه، ويستشعر لذلك بكراهية للآخرالذى أفلح أن يختطفه منه.

والغيرة ترجع إلى الموقف الأوديبى منذ الطفولة، وأساسها العلاقات بين الطفل وأبويه، ومايتولد عنده من مشاعر، سواء كان ذكراً أو أنثى، تجاه الأب أو الأم، ومايتفجر فى نفسه من صراعات، يتوقف على حلّه لها مايمكن أن يقوم بينه كبالغ وبين الجنس الآخر.

والغيرة هى تكرار لتجربة الخوف من فقد الأم أو الأب فى الطفولة. وقد تزيد الغيرة وتؤدى إلى الشكّ والارتياب، وتصبح هذاءً يلاحق صاحبها دون سبب يسوغها، فيعتقد الرجل مثلا أن لزوجته علاقة بآخر ويتهمها بذلك، ويفسّر أشياء رآها أو سمعها تفسيرات تخدم اتهاماته. ويشاهد ذلك كثيرا عند **مدمنى الكحول والمخدرات**. وقد يبدى الرجل غيرة على زوجته، والحقيقة أنه يغار منها، بسبب لواطة كامنه فيه تدفعه دفعا لأن يرغب فى منافسه عليها، ولكنه يقاوم رغباته ويقلب الوضع، ويسقط ما به على زوجته ويتهمها بما فيه. ومما يدعو الرجل مثلا أن يتعشق غريمه، أن تفكيره يذهب به إلى أن يفتش عن الخصال التى يملكها هذا الغريم، والتى مايزته عند زوجته عليه، ويقضى ليالٍ بطولها يفكر ويتخيل وجود مؤهلات فى منافسه ويلوم نفسه على عدم امتلاكها، ويحسده عليها، ويتمنى أن تكون له. والغيور لايبحث عن فضائل المنافس إلا فى رجولته، وينسب إليه رجولة وفحولة ليستا فيه. ومن النادر أن تجد الرجل أو المرأة التى تتسامح مع منافستها. ومن العسير أن نجد على الدوام شخصيات مثل **فولتير**، الذى ضبط فى الأربعين من عمره خليلته بين ذراعى أحد تلاميذه، فاكتفى بتعزيره ولامهما على أنهما لم يستترا.

والغيرة عند الرجل بخلافها عند المرأة، **فغيرة الرجل** خوف وغضب من أن يفقد مايمتلكه، بينما غيرة المرأة خوف وغضب **من** أن تفقد من يملكها. وكذلك يختلف **حب الرجل**

عن حب المرأة، ذلك لأن الأول يستهدف امتلاك المرأة بحيث لا يكون له كيان إلى جانب كيانه، بل تفنى فى كيانه، ويعبر عن ذلك أجمل تعبير **دكتور صلاح مخيمر** فيقول إن ذلك يتم كما تستحيل التفاحة عبر عملية التمثيل إلى دم فى عروقه، بينما فى الاتجاه المضاد يستهدف حب المرأة للرجل أن تفنى فى كيانه فلا يكون لها وجود إلا ضمن وجوده. وإلى هذا النوع الأخير القائم على مقولة **الملكية فى الحب** تنتمى مشاعر الحب عند الصوفية، ولم تكن **رابعة العدوية** تطلب النعيم أو تهرب من الجحيم وهى تقول بالحب الإلهى ولكنها كانت تهفو أن يضيع كيانها فى هذا الحب، وأن يتوحد بالله سبحانه (**صلاح مخيمر، سيكولوجية الحب**). وينسب **الدكتور مخيمر** المعاناة فى الحب إلى التفرقة بين **اللذة** فى الحب التى تنتهى بنشوة الإنعاظ، وبين **الاتجاه إلى** هذه اللذة وهو السلوك الذى يسبقها. ويميل بعض الناس إلى التوقف عند هذا السلوك ويستديمون ما فيه من لذة ويسميها الفرويديون **لذة الاحتجاز**. وينسب كل الشعراء العُذريون إلى هذا الأسلوب الاحتجازى فى الحب، حيث تتحقق اللذة من خلال المعاناة. والشاعر العُذرى يجد لذتة فى الأنين، وسعادته فى أن يعيش هذا "**الاتجاه إلى**" اللذة دون أن يبلغها حقيقة، فأن يعيش فى توتر وانتصاب دائم خيرٌ له ألف مرة من أن يبلغ الهِزّة ثم الارتخاء من بعد ذلك والعدم. والمحب الحقيقى هو هذا الذى يستديم اللذة فى عدم تحققها، لأن تحققها يعنى أن حبه جنسى، وعدم تحققها هو الذى يرفع حبه إلى مستوى العطاء. ونعلم أن المحب إذ يحب فإنما لأنه يجد نفسه فيمن يحبه، فهو فى الحقيقة يحب نفسه فى الآخر، وهو إذ يتوجه بالحب لنفسه فذلك منه نرجسية، ولكنه إذ يتوجه به لآخر فذلك منه غيرية، غير أنه أيضا وهو يعطى المحبوب يعطى نفسه لأنه يرى فيه نفسه، وبقدر مايستمر ذلك منه بحيث يُعطى على الدوام، فإنه يبتعد بحبه عن اللذة إلى **السعادة**، ولذلك نجد المحبين يستدعون هذه السعادة باصطناع **الهجران** لبعض الوقت، لأن الهجران معناه عدم تحقق اللذة بالوصول، فيطول «**الاتجاه إلى**» ولايكون اللقاء. ثم إن **الوصول** لاتكون له حلاوة إلا على أرضية من الغياب، بالإضافة إلى أن للانتظار أو الغياب أو «**للاتجاه إلى**» لذة أصيلة، هى التى تشكل صميم الشقاء فى الحب. ولعل ذلك هو سرّ ثراء الحب غير المتحقق الذى يكون فيه منال المحبوبة من المستحيلات، وفيه يقترب سلوك "**الاتجاه إلى**" من الكمال، فعندئذ لايكون الحب إلا عملية "**اتجاه إلى**" دون أن تشوبها أية مخاوف من بلوغ غاية العدم التى تهدد علاقة الحب العادى بالانقضاء. وشبيه بذلك **الحب**

الصوفي، الذى هو معاناة، انتظاراً لاتحاد لايتحقق، ولكن الصوفى يظل يأمل فيه. والمحب غير المؤمّل، والصوفى الذى يعيش على الرجاء، كلاهما لذته أن يعيش التوتر الذى يهيئه له الحب المستحيل، ومن ثم يستحيل نعيمه إلى جحيم، كما أن جحيمه هو فى ذات الوقت صميم النعيم، وهذا هو مايسمونه **الجانب الجدلى فى الحب**. غير أن **الحب المتبادل** هو اسمى آيات الحب، ولذلك قال البعض **بكوجيتو عشقى** كالكوجيتو الديكارتى، وبدلا من أن يقولوا مع ديكارت «**أنا أفكر، فأنا موجود**»، يقولون «**أنا فى حب حقيقى متبادل، وإذن فأنا موجود**». وعندما يعثر المرء على هذا الآخر الذى يحبه ويبادله الحب، ويكون الواحد للآخر، فعندئذ يكتمل وجود كل منهما بالآخر، ويعيشان معا فى حالة حب دائم، أى حالة **اتجاه كل منهما إلى الآخر**، وهذه هى **السعادة** وليست اللذة. ومع ذلك فإن كل إنسان لايمكن أن يعيش حياته فى **المستوى النفسى** البحت، وذلك لأنه نفسى بقدر ماهو بدنى، وهذه البدنية ستتدخل فى الحب فتقويّه فى بعض الحالات، وتضعفه فى حالات آخرى، وتهدده فى حالات ثالثة. والحب حتى العُذرى ستغلبه البدنية البشرية بين حين وآخر، فيعيش المحبان الهِزّة التى ينقضى بها التوتر، ولتنتهى بها دورة، وتبدأ بعدها دورة آخرى، يستأنف بها الحب مسيرته من جديد دون توقف.

وقد يقال إن الحب **يتدعم** بالزواج وبالإنجاب، إلا أن التحليل للعلاقة بين المحبين قبل الزواج وبعده يتأدى إلى القول بوحدةٍ عناصرها الرجل والمرأة فإذا جاء الولد فإن الحبيبة تصبح أما، ويصبح الحبيب أبا. وترى الأم فى ولدها صورة **العشيق الأمثل** الذى كانت تطلبه، وتربيه على هذه الصفة. ويرهُص هذا الوليد أن يكون أمثل تجسيد **للأنيموس فى** أعماقها، وبذلك يتراجع لديها الحبيب الزوج أمام طفلها. وبنفس الدرجة تبدو الطفلة الوليدة كتجسيد **للأنيما فى** أعماق الأب، وتتراجع لديه الحبيبة الزوجة أمام هذه الطفلة، وتنفصم عرى الوحدة العشقية إلى وحدتين، تجمع إحداهما بين الأب وابنته، وتجمع الأخرى بين الأم وابنها. وإذا جاز أن نقول إن **وحدة الزوج والزوجة** المحبيْن هى وحدة أفقية، فإن الوحدتين الجديدتين هما وحدتان رأسيتان. وغنى عن البيان أن أى علاقة بين زوجين يكون فيها الزوج بالنسبة للزوجة بمثابة الحبيب والأب معا، هى وحدة تجتمع فيها **الأفقية** والرأسية معا، وتظهر متماسكة وقوية. وكذلك الوحدة التى يكون فيها الزوجة بالنسبة للزوج بمثابة الحبيبة والأم معا. وعلى أى الأحوال فإن الزواج بعد الإنجاب **يقلل** الحب بين الزوجين

المحبين، بما يتوجه من طاقة حيوية من أيهما إلى الأولاد. ويذهب البعض الى القول بأنه فى الحب الذى يتحول إلى **أسرة**، يلد الحب نقيضه الذى يأتى عليه، ويسمون ذلك **بالتناقض الوجودى الجدلى بين الأبوة والأمومة وبين الأبناء**، والذى يبلغ ذروته فى مراهقة الأولاد. وإذا كان الحب من الممكن أن يجمع بين الزوج وزوجته فى وحدة، ومن الممكن أن يجمع بين أى من الأبوين فى وحدة مع الطرف المغاير جنسيا من الأبناء، **فثمة وحدة ثالثة قد تجمع** بين الأخ وأخته، فترى الأخت فى أخيها كمال أبيها، ويرى الأخ فى أخته كمال أمه. وللوحدة بين الزوج وزوجته جانبها البدنى والنفسى معا، إلا أن تحريم الأم على الولد، وتحريم الأب على البنت، والأخ على أخته، يسلب الوحدتين الأخريين من الجانب البدنى، ويجعل الولد والبنت والأخ والأخت يسعون للعثور على طرف بديل، يكون لهم بمثابة المقابل والمماثل معا، والذى به ومعه يكون الولد أو البنت فى وحدة حب، تمضى به أو بها من عشق الأم أو الأب إلى عشق الأخت أو الأخ، ثم إلى عشق الحبيب أو الحبيبة، على نحو تصاعدى يرتقى بالطاقة الشهوية اجتماعيا، وذلك ماتقضى به الضرورة الاجتماعية التى لاتغلق الأسرة على نفسها، وتتيح الفرصة للأسر أن تتصاهر وتتناسل، ويقوم من وحداتها الاجتماع والمجتمع.

وقديما لم تكن الأم والأخت محرمتين، والأمر الذى يجعلنا نقول إن الرجل ينطوى من حيث المبدأ على إمكانية الاتجاه الشهوى إلى الأم، وإلى الأخت، وإلى الإبنة، إلا أن الحضارة التى نعيشها على عكس حضارة الفراعنة والآسيويين القديمة، قد أخضعت ذلك للكفّ وحرّمته، ولهذا ترى الرجل والمرأة يعيشان هذه العلاقات بصورة بديلة. وإننا لنرى ذلك بصورة مدهشة فى حياة **الرسول عليه الصلاة والسلام**، فالنظرة إلى الترتيب الزمنى لزيجاته يطلعنا على الانتقال من **الزوجة الأم** (السيدة خديجة)، إلى **الزوجات الشقيقات**، وأخيرا إلى **الزوجة الإبنة** (السيدة عائشة). وإننا لنرى أن الحب الذى يقوم بين رجل وامرأة تكون فيه المرأة بديلا عن الأخت يقوم على المنافسة بين الاثنين ويشتمل على صراعات كالصراعات والمنافسة التى تكون بين الإخوة، وذلك نوع من الحب يبعد به عن أن يكتمل ويتوطد وينجح. وكذلك الحب الذى يكون بين الرجل وبديلة الأم، فإنه يفرض على الرجل سلبية لاتتفق مع دوره الرجولى. **والحب الكامل هو الذى يقوم بين الرجل وبين حبيبة تكون زوجة وإبنة**، والزوجة الإبنة هى أكثر مايناسب الرجل مسايرة مع طبيعته الرجولية،

ونضجه، ودوره القيادى فى الحياة. وإنّ تحقّق البنوة فى الزوجة يجعلها تتعلق بالزوج، باعتباره بديل الأب، فإذا التقى هذا التوجه الأوديبى بين الزوج الأبوى وبين الزوجة البنوية، فإن كلاً من الدورين يعزّز الآخر، وبذلك يكتمل الحب ويتأكد وكذلك كان حب أعظم رجالات العالم، وأعظمهم جميعا : **كان حب الرسول عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى الله عنها وأرضاها.**

وينبغى التمييز بين الحب كعاطفة وبين أن يكون الحب علاقة بدنية، وذلك أن الإنسان هو كيان نفسى كما هو كيان بدنى، وتنتمى ظاهرة الحب إلى الجانب النفسى، بينما ينتمى الجماع إلى الجانب البدنى. والحب كسلوك عشقى له هذه الاستقلالية النسبية وإن ظل مع ذلك وثيق الصلة بالسلوك البدنى الجنسى. ومن الممكن أن يوجد **الحب العشقى** دون أن يتحقق فى جماع شبقى. وكما أن وظيفة الفم الغذائية يمكن أن تصبح نفسيا المرحلة الفمية من التطور النفسى الجنسى، وكذلك وظيفة الإست الإخراجية، يمكن أن تصبح المرحلة الشرجية، فإن وظيفة **الفرج التناسلية**، يمكن أن تتحول إلى مرحلة عشقية، يتأكد بها الحب، ويصبح سلوكا نفسيا من غير أن تشوبه البدنية. ولذلك فإن هناك من يقول إن الرجل قد يُنشئ علاقه له بامرأة على المستوى البدنى، بينما تكون له على المستوى النفسى علاقة بامرأة أخرى. وكذلك الحال مع المرأة، بمعنى أنه لاخيانة فى وجود علاقتين لرجل بامرأتين، أو لامرأة برجلين، وذلك طبعا من **الناحية الموضوعية البحتة وبعيدا عن الأحكام الأخلاقية**.

ويذهب بعض المحللين إلى القول بوجود مستويات فى العلاقة بين الرجل والمرأة، فهناك المستوى الروحى، والمستوى العقلى، والمستوى النفسى، والمستوى البدنى. **والحب الأمثل أو الكامل** هو الذى يتحقق فية الإشباع على كافة المستويات. وبقدر ما يَنقص العلاقة بين الرجل والمرأة من أوجه الإشباع فى مستوى من المستويات السابقة، فإن كلا منهما قد يسعى لاستكمال النقص خارج هذه العلاقة. وإننا لنسمع عن أزواج متفاهمين عقليا ولكن الزوج أو الزوجة يجدان الراحة النفسية أو الإشباع الجنسى مع آخر.

وقد يتساهل المجتمع عندما يخون الزوج، ولكنه لا يتساهل إزاء خيانة المرأة، وذلك أنه مجتمع ينظر إلى الرجل باعتبارة ذاتا، بينما المرأة موضوعا. والمرأة ما تزال فى كل المجتمعات ملكية للرجل، وتنتسب إليه، ومن ثم فخيانتها هى إهدار للملكية، واعتداء على حق من الحقوق الثابتة والتى يقوم عليها الاجتماع الإنسانى حتى الآن. ومن ثم يذهب

بعض المفكرين إلى اعتبار **غيْرة الحب من مقولة الملكية**، وليس لها دخل بالحب نفسه. ولكننا نرى فى نفس الوقت أن الغيرة لاتكون من الرجل فقط، فهى عند المرأة أيضا، والغيرة باعتبارها خوفا على موضوع نفيس نملكه ولا يمكن تعويضه، أو باعتبارها شعورا يُستَنفر لدى الشخص ويدفعه للدفاع عما يملك ضد إمكان أن يغتصبه الغير، قد لا تكون لدى المرأة، أو قد توجد على المستوى المادى عند الرجل وحده. ولكن الغيرة على **المستوى النفسى** توجد عند **الرجل والمرأة** على السواء، وهى على هذا المستوى قلق على الموضوع، ففى علاقة الحب الأمثل يكون **الرجل ذاتا وموضوعا**، وكذلك المرأة، بمعنى أنه يحب باعتباره ذاتاً، وهو أيضا محبوب كموضوع، ومن ثم ينتاب الذات خوف من أن يفقد الموضوع الذى هو ذات فى نفس الوقت، وله مقوماته التى تشد الذات الآخر إليه. وبينما نجد أن **الغيرة على المستوى المادى** تنتمى إلى مجموعة المخاوف التى تسيطر على الشخص فى المرحلة الفمية، وتدفعه إلى السلوك السادى باعتبار الخوف هنا هو خوف الذات أن تفقد موضوعا تملكه وتعتبره من امتداداتها، فإن **الغيرة على المستوى النفسى** تنتمى إلى مجموعة المخاوف من المرحلة الشرجية حيث يكون الظهور الأول للعطاء فى حياة الطفل، وحيث يتخذ التهديد صورة إفراغ الذات من محتوياتها، أو إفراغ الأحشاء. ولعل هذا هو مايفسر ماتستشعره الذات فى حالة القلق الخاص بالحب على المستوى النفسى من أحاسيس **انتزاع الأحشاء**، ويعبر العطاء الذى هو خاصة هذا النوع من الحب عن نفسه فى شكل **إسهال وقئ** ينتاب الشخص الذى يستبد به القلق من فقدان محبوبه، وفقدان المحبوب لايعنى هنا فقداناً لموضوع نملكه، ولكنه يعنى **ضياع الذات** وانعدام الوجود بالنسبة لها. **والخيانة فى الحب على هذا المستوى** تحمل كل معانى ودلالات التهديد للذات، والقلق الذى تستشعره الذات إزاء الخيانة هو قلق قوامه التهديد لوجودها.

والبُغض نقيض الحب، ويعنى النفور من شخص ما أو موضوع بعينه، وقد يدفع ذلك إلى إلحاق الأذى به أو الاعتداء عليه مجازا أو على الحقيقة. والبُغض قد يعنى أن الموضوع قداستحال على المُبغِض، وهو يبغضه لأنه قد ترفّع عليه، أو لأنه قد جعله يحسّ بأنه أقل منه، ومن ثم يكون البغض نوعا من الثأر يوقعه المُبغِض بموضوع البُغض، أو ضربا من الدفاع، يدفع به المبغض عن نفسه أنه أدنى من الآخر، أو أقل شأنا.

والبغض عند فرويد من فعل الغرائز العدوانية أو غرائز الموت، بينما الحب بتأثير الغرائز

الجنسية، ومن ثم فالحب بنّاء والبغض هدّام. والبغض موجود على المستويات الثلاثة للجهاز النفسي، فهو في مستوى **اللاشعور** دافع عدواني، وفي مستوى **الأنا** هو شعور يحسّ به المبغض، وقد يدفعه على وعي منه إلى مامن شأنه أن ينتقص من الآخر ماديا أو معنويا، وفي مستوى **الأنا الأعلى** يتوجه إلى ذات الشخص وتصدر عنه مشاعر الذنب والنقد.

وتتفاوت الشعوب في الحب، وقيل إن **المرأة الفرنسية** تمارس الحب على طبيعتها ولاتستنكف أن تظهر عواطفها جهارا من غير حياء. وقيل إن **باريس** هي المكان الوحيد في العالم الذي يمكن فيه أن يتعانق العاشقان دون أن يلفت ذلك نظر المارة، على عكس **أسبانيا وإيطاليا** حيث ماتزال المرأة يحمرّ وجهها حياء، ويمكن أن يثور الرجال للشرف ويتقاذفون بالرصاص. وقيل إنه لهذا السبب كانت **الكوميديا في فرنسا عن الحب**، بينما لم يُكتَب في الحب في **أسبانيا وإيطاليا** إلا في **المآسي**. وأما في **ألمانيا** فالحب كما يقول شعراؤهم يورّث الهمّ، والهمّ يعني الحرمان والعذاب، وعندئذ يكتب الناس الشعر. وأروع الشعر الألماني عن الحب. و**المرأة الإنجليزية** كالألمانية تقدر الكلمة كرسول للغرام ولكنها لاتعرف الحرمان. وهي أقل رقة من الألمانية، ومعنى ذلك أنها عملية أكثر، ولعل هذا هو سبب نجاح الإنجليز في التجارة والمال عن الألمان. والحديث عن الإنجليزية يجر إلى الحديث عن **الأمريكية**، وهي أقل نساء العالم الغربي معرفة بالحب، لأن المبادئ الأمريكية في الحياة هي الحركة والتقدم والنجاح، وهي أمور تناقض نشوء الحب ولاتلائمه. ولعل خير أنواع الفلسفة التي تصدر بحق عن الثقافة الأمريكية هي **البراجماتية**، وهي فلسفة عملية ومن ثم كانت الأمريكية براجماتية. وهي تجرّب الحبيب وقد لايعجبها من بعد، وقد تتزوجه وسرعان ماتطلب منه الطلاق، وتعد أمريكا من أعلى دول العالم في معدلات الطلاق. والأمريكي من أكثر الناس سذاجة في أمور الحب، وأشدهم جهلا في مسائل النساء. وليس أسهل على الأمريكي أن يتوجه مباشرة إلى دعوة المرأة التي يريدها إلى المضاجعة. (**الحياة والحب، تأليف إميل لودفيج**).

والحب عند العرب يختلف عنه عند الغربيين، وهو عندهم قد بلغ من الفن درجة يتجاوزها أي وصف. وبينما لانجد في كل لغات العالم للحب إلا **كلمة أو اسما واحدا** (في الإنجليزية love، وفي الفرنسية amour، وفي الإيطالية amore، وفي الألمانية liebe) نعثر في **مخصص ابن سيده** على **أربعة عشر اسما** له، فهو العشق، والعلاقة، والولوع،

والهوى، والجوى، واللعج، والشغف، والتيم، والتبل، والتدلة، والهيام، والصبوة، والوجد، والغرام. وليس فى أية لغة أخرى مايضاهى هذه الكثرة من الأسماء للحالات النفسية المختلفة للحب، والتى تدل على دراية وعلم بها عند العرب لم يتسن لغيرهم من الشعوب. وفى **مخصص ابن سيده** أبواب لصفات وأسماء أعضاء الذكورة والأنوثة، ونعوت النساء فى الجماع، وذلك دليل انشغال بأمور الحب الجسدية وغير الجسدية لم نعرفه فى ثقافة أخرى من الثقافات. وليس فى الثقافات الأخرى بقدر ما فى الثقافة العربية من أوصاف لحالات **الوجد الصوفى**، وليس فيها هذا الكم الهائل من **المتصوفة وشعراء الصوفية**.

ولقد حاول **فرويد** أن يتصدى بالشرح للحب الصوفى فخصّ مشاعره بوصف **المشاعر الأوقيانوسية أو المحيطة** oceanic feelings وهى نوع من الفيوضات الوجودية، تشتمل المرء حتى ليشعر بنفسه وقد وَسَع كل العالم من حوله والوجود كله. وتطلق الصوفية على ذلك اسم «**الاتصال**» حينا، و«**الاتحاد**» أحيانا، فأما **الاتصال** فإن الصوفى به ينفصل عن نفسه إلا عن الوجود بعامة فيرى نفسه فيه، ويقول إنه يرى نفسه فى الله، ولايرى ولايسمع إلا الله ولايشهد سواه، ولايتصل بسرّه خاطر لغيره؛ وأما **الاتحاد** فهو الفناء فى الوجود عما سوى الوجود، حتى أن الصوفى لايرى فى نفسه غير الله، وقد يصيح كما فعل الحلاّج أنه الله، بمعنى أنه قد فنى عن الأوصاف النفسية ولم تبق له إلا الأوصاف الكلية. ويقول فرويد إن **الشعور المحيط** فطرى لدى البعض، وبينما ينضج الغالبية من الأطفال بحيث يقوى فيهم الأنا، ويحبون موضوعات بعينها، فإن البعض الآخر وهم القلة يتوجه حبهم إلى الناس جميعا، والعالم كله، والوجود بأسره. وهذا الحب أو تلك المحبة للآخرين، ولكل ماسوى أنفسهم، هو أصل مايعرف باسم **الخير والحق والجمال**.

ويقول **فرويد** إنه بينما يقوم الاجتماع الإنسانى على هذه العلاقات الجزئية بين الأفراد من الجنسين، وبها يستمر النوع الإنسانى ويكون التناسل والتكاثر، وذلك أصل مايسمى **بالعائلة**، وهو نهج الغالبية فى الحياة، فإن البعض قد يسمو بغرائزه الجنسية، وبدلا من أن تتوجه محبته لموضوع بعينه، يتصل به ويتناسل، فإنه يوزع محبته على أكثر من موضوع، وينشرها دعوة، ويجد فى دعوته وشعوره الفياض الغامر للجميع وللإنسانية برمتها تحقيقاً لمبدأ اللذة، فلذته هى فى هذا **التعشق لخير الناس**، وهو يهب الناس حياته، ويوقف على نفعهم نفسه، وذلك **أسمى مايمكن أن ترتقى إليه الغريزة الجنسية**.

ويفسر كورت ليفن الشعور المحيط أو الأوقيانوسى بأن الأنا فيه لم تنفصل عن العالم الخارجى، بحيث مايزال الشخص يرى نفسه فى هذا العالم، ويردّ ذلك ربما إلى تجارب الطفولة الأولى، على زعم أن الشخص فى طفولته لم يحقق لنفسه فطاما عن ثدى أمه، فما يزال مرتبطا بهذا الثدى، ويرى نفسه وهذا الثدى واحدا، ثم إنه يستبدل بالثدى العالم ويتوحّد به.

وقيل إن الشعور الأوقيانوسى مصطلح حديث، فالأوقيانوس أو البحر المحيط، والإبحار فيه، ومعاناة مثل هذا الشعور بالنسبة للمسافر عبره، لم يكن إلا مؤخرا فى عصر المراكب الكبيرة، وأما فى الماضى فلم يكن هذا الشعور يتسنى لأن يخبره سوى المسافر فى الصحراء، حيث الامتداد والسعة، والتهيؤ للنفس أن تشعر بهما، أو كما يقول أهل الاصطلاح «حيث تتسع الأنا وتكبر وتمتد لدرجة أن تحتوى العالم والوجود بأسره»، ولذلك فإن الديانات الكبرى نجدها قد نشأت فى الصحراء وحولها، ومن ذلك ديانة إبراهيم، وموسى ومحمد عليهم السلام.



الفصل الرابع عشر

الغزل الجنسى عند الحيوان والإنسان Sexual Proception

للعملية الجنسية دورة تكون فيها البداية، حيث تكون لأحد أفراد الجنسين ملامح وصفات جنسية تستهوى فردا من الجنس الآخر، بزعم أن هذا الآخر له صورة مثلى ideal image لما ينبغى أن يكون عليه شريكه فى الجنس. والملامح والصفات تستثير الصورة الذهنية، وتقع المحبة باستثارة هذه الصورة، فيكون **الغزل الجنسى** وهو محاولة استمالة، فإذا نجحت وكانت ملامح هذا الفرد أيضا موافقة لصورة مثلى عند الطرف الآخر فإننا نقول إنه قد حدث **تراض جنسى** sexual acception. والغزل عند الإنسان ربما كانت وسيلته الصوت، أو الرائحة، أو الحجم، أو الحضور النفسى. **والحضور النفسى الجنسى** sexual psychic presence هو ميزة للإنسان، وذلك أن الغزل فى الكائنات الحية له كل الوسائل السابقة إلا الحضور النفسى، والحضور النفسى للذكر هو ذكورته وفحولته. والحضور النفسى للأنثى نحس فيها بأنوثتها طاغية، بحيث تكون هى العنصر الغالب فى الموقف النفسى الجنسى الذى يضم الرجل والمرأة. وفى **الغزل الجنسى عند الحيوان** تكون الملاعبة والملاطفة، ثم تكون علاقة التراضى الجنسى أن يلتقى الكائنان الذكر والأنثى فى موقف التهيؤ للسفاد. وفى الإنسان يكون التراضى الجنسى، بالملامسة، ثم الاشتباك، فالتهيؤ للجماع، بمقابلة الفم للفم، والفرج للفرج، فإذا كان الإيلاج تكون المرحلة الثالثة وهى **المواقعة** conception.

وفى علم الجنس الذى يتناول الجنس عند البشر human sexology تُولَى مرحلة المواقعة كل الأهمية دون المرحلتين الأخريين، وذلك لأنها المرحلة التى يحدث فيها الحمل، ولها مترتباتها ونتائجها وبحوثها فى الإخصاب والإجداب، وفى حالات استخدام موانع الحمل، وعند الولادة والنفاس، ولذلك فقد فصلت عن المرحلتين السابقتين لها، واللتين جرى عليهما **المنع والحظر والتحريم** taboo. ويحاول العلم الحديث إخضاع المرحلتين السابقتين للدراسة والقياس، وخاصة المرحلة الثانية وهى **مرحلة التراضى الجنسى**، حيث أن الجنسين ربما يتراضيان، وتبدأ المواقعة ولكنها لاتتم لسوء وظيفة له أسبابه النفسية، ومن ذلك قمطة المهبل النفسية، وسوء الجماع، والبرود الجنسى عند النساء، والقذف المبكر، والعُنّة، واللا إنعاظ عند الرجال. وأغلب الاضطرابات الجنسية فى مرحلة التراضى الجنسى، وأقلها فى

مرحلة الغزل، التى قد تعاق إذا كان الذكر أو الأنثى يعانيان من فوبيا جنسية، كالخشية من الذكور أو من الإناث، أو من الجماع، أو من الحمل. ومرحلة الغزل، وإن كانت الدراسات قد بدأت تتناولها، وأشهرها **دراسة كينزى حول السلوك الجنسى عند الأنثى وعند الذكر**، إلا أن القول الأكثر فيها هو موضوع **للأدب وخاصة الشعر**.

والغزل فى الكثير من الحيوان والطيور وسيلته الفم أو الأنف أو المنقار. والحيوان فى الدورة النزوية تفرز الإناث مادة لها رائحة، وتصدر عن الفرج فيتهيج الذكر بتشممها. وحتى لو كان الذكر على مسافة، فإن الرائحة تجذبه، ولعل ذلك يفسر لنا سبب تجمع ذكور الكلاب والقطط مثلا خلف الإناث فى موسم التزاوج. وتفعل أنثى الإنسان نفس الشئ تقريبا، وتستخدم العطور القوية لتشد بها حاسة الشم فى الذكور، ويعرف أصحاب مصانع العطور التأثير الجنسى القوى للعطور، فيطلقون عليها أسماء جنسية مثل شذى الليل، والجاذبية، والجنس، والحب. ولايدرى علماء الجنس في الحيوان سبب اختيار الأنثى لواحد من الذكور دون بقيتهم، وإن كان هذا السبب فى الإنسان مفهوما بعض الشئ وليس فى كل الأحيان. ولأنثى الإنسان رائحة خاصة، وكذلك لفرجها رائحة خاصة مهيّجة للذكر. وكما تختلف الأجناس فى رائحة العرق تحت الإبطين مثلا، فالنساء يتخالفن كذلك وإن كان هناك إجماع على الرائحة الأنثوية. ولعل هذه الرائحة الأنثوية هى التى يشتد تشممها ببعض الذكور، وتكون خاصة لهم حتى ليبدو غرامهم بالروائح الأنثوية كالشذوذ، وقد يشذ الرجل فيكون به شبق حتى لرائحة بول الأنثى، وللعرق تحت إبطيْها. وبعض الرجال يحبون لعق هذا العرق، وله لديهم رائحة وطعم مهيّجان.

والتقدمة الجنسية proception هى الاسم العلمى الذى يفضُل اسم **الغزل الجنسى courtship**، حيث الغزل هو باب من أبواب الشعر، أو أنه اسم أدبى ولايتضمن الإيحاءات العلمية. وفى **التقدمة الجنسية** يمكن أن تطول وقفة البعض، حتى ليجعل منها غاية فى ذاتها، وقد ينعظ أثناءها الرجل أو المرأة على السواء، وذلك من الانحرافات الجنسية. ومن ذلك أن تتركز الاستثارة والتهيّج فى **الشفتين**، فيكون التقبيل العميق أو اللعق والمص، أو تتركز فى **النظر** فيكون شذوذ التنظّر الجنسى، وهو يفضى أيضا للإمناء بدون إيلاج. وللغزل أوالتقدمة الجنسية **لغة** بالجسم كما بالكلام. ويبدو أنه فى التقدمة تكون أعضاء الحسّ بالوجه أهم مايستخدمه الحيوان والإنسان، وتأتى **العينان** فى أول الترتيب قبل الفم أو الأنف. وللعينين ميزة النظر عن بُعد، أبعد من قدرة الأنف على التشمم. ومن الثابت **أن الذكور لديهم النظر الجنسى أقوى** من الإناث، **والإناث أقوى فيهن حاسة اللمس**،

ولعل ذلك هو مايجعل **التصور** لدى الذكور، وخاصة فى أحلام اليقظة والأحلام الجنسية شديدا، بحيث يمكن أن يمنى الذكر وخاصة فى البلوغ والمراهقة. والرجل يرى المرأة عن بعد فيشده منظرها، فيقترب، فتكون الأذن والأنف وسيلته إليها من صوتها ورائحتها، فكأن المرحلة الأولى فى التقدمة هى **الإغواء solicitation**، **فالانجذاب attraction**، **فالغزل courtship**، وفى الغزل يتوسل الاثنان باللمس. ولكل مرحلة مواضع القوة حتى الشذوذ، أو الضعف حتى الشذوذ كذلك، فمن **القوة الشاذة** أن التقدمة قد تفرط وتزيد عن الحد، فيتجاسر الذكر على اللمس مرة واحدة ويتجرأ على الأعضاء التناسلية من غير أن يجد الدعوة المعهودة عند الأنثى، وهذا الإفراط فى التقدمة الجنسية sexual ultra-ertia قد نجده عند الذكر، وفى أحوال الغزل بين الذكور للذكور، أو بين الإناث للإناث، أو بين الجنسين.

وإفراط التقدمة، أو التعجيل فى المقدمة، من سمات مرحلة المراهقة بالمقارنة إلى سنوات العمر التالية، والمراهق يتهيّج بسرعة، ويريد أن ينتهى من المقدمة بسرعة، ليجامع مباشرة. والمراهقون من هذا النوع يتهيجون من مجرد التفكير فى الجنس، أو لدى رؤية فتاة أو امرأة تستثير خيالهم. **والخيال الجنسى** عند المراهقين من النوع المفرط فى الاستثارة، وقد تستثيره **أسماء** لها عندهم دلالات جنسية، مثل بغى، ومومس، وليلة حمراء، وموعد غرامى، وجلسة غرامية إلخ، وكلها ألفاظ مفرطة الاستثارة الجنسية ultraertial sexual words.

والنقيض لفرط الاستثارة أو فرط الجنسية فى المقدمة هو **العطالة الجنسية عن الاستثارة وعن التجاوب** الجنسى ابتداءً sexual inertia، وتكون هذه العطالة الجنسية عند النساء والرجال على السواء، ويبدو الرجل العاطل عن الاستجابة عزوفا لايتأثر بأى استثارة. وتختلف العطالة من رجل إلى رجل ومن امرأة إلى امرأة، وهى شائعة مثلاً بين المرضى بزملة كلا ينفلتر، ونقص النخامية، نتيجة نقص إفراز الهرمون الجنسى. وقد يبلغ الصبى ولايعرف الإمناء، ولايهمه أن يعرفه، ولايجرب الاستمناء نتيجة هذه العطالة الجنسية فيه. وهى عرض أوّلى من أعراض الإصابة بالاكتئاب، والاكتئاب سوء وظيفة كيمائية حيوية بالمخ، ومنه الاكتئاب النفسى حيث يعانى المريض من **انحطاط معنوى** dys-phoria، يترتب عليه العزوف عن الطعام وعن النوم، **وعن الجنس** خصوصا.

* * *

الفصـل الخـامس عشـر

الغـيرة الجنسـية Sexual Jealousy

تعنى الغيْرة أشياء كثيرة، فهى **أولا** الرغبة فى الاستئثار بشخص المحبوب، والخوف من فقده، بأن ينصرف بعواطفه إلى آخر يُؤْثِره عليه، وفيها لذلك ترقُّب الهجر، والعتاب الكثير، والارتياب، وهى **ثانيا** كراهية للمنافس أو العشيق، وهى **ثالثا** إحساس من الشخص الغيور بأنه أقل شأنا من هذا المنافس، وإقرار منه بحق المحبوب أن ينصرف عنه.

والغيرة غالبا لا أساس لها من الواقع، إلا أن **الغيور شخص غير ناضج الأنا**، ووعيه يعجز عن أن يدرك حقائق الموقف، وهو يميل إلى تضخيم شكوكه بالتهويل مما يلاحظه، وذهنه ينصرف إلى أشياء معينه فى سلوك المحبوب، يفسرها على هواه لأسباب فى نفسه، وربما كانت به ميول ماسوشية فيشك ليتعذب، أو لأنه يستشعر النقص وعدم الكفاءة، وقد يكون استشعاره للعذاب هو غاية ماينشده من الغيْرة. وربما تكون الخيانة فى الغيور نفسه، فيسقطها على المحبوب وينسب إليه ما فيه، وفى **الغيرة المُسْقَطة** من هذا النوع، قد يقصد الغيور بإلصاقه تهمة الخيانة بالزوجة أو الحبيبة، أن يدفعها إلى سلوك تتحقق به غيرته، وقد تكون **غيرته مزدوجة**، بمعنى أنه يُبدى الغيرة على الزوجة مثلا، شعوريا، بينما لاشعوريا يغار منها، لأنها استطاعت أن يكون لها عشيق أو محب كهذا العشيق أو المحب، وهو لايمكن أن يستشعر هذه الغيرة المزدوجة، إلا إذا كانت به ميول لوطية، فيريد العشيق لنفسه، مثلما هو لزوجته.

والغيرة عندما تزيد قد تكون ظاهرة مرضية، **وهذاء الغيرة** من الاضطرابات العقلية، وهو اعتقاد جازم لدى أحد الزوجين بأن زوجه يخونه، وأكثر مايشاهد المرضى به فى حالات **الإدمان الكحولى**، فيلاحق الزوج مثلا زوجته بغيرته، وربما ليخفى بها عزوفه عنها بسبب عجزه الجنسى. وفى حالات **هذاء المحبين** تتوجه اتهامات الزوج لزوجته بالخيانة، بتأثير ميوله الجنسية الشاذة التى يرفضها وعيه، فيتهم بها زوجته، وكأنه يقول لها لست أنا الذى يرغب فى هذا الرجل جنسيا، ولكنه أنت.

وللغيرة عند **فرويد** مستويات ثلاثة لاتختلف كثيرا عما أسلفنا، فهناك **الغيرة التى أساسها المنافسة**، بتأثير خبرات الطفولة من المرحلة الأوديبية، حيث يتنافس الطفل مع أبيه على الاستئثار بالأم من ناحية، وحيث يتنافس مع إخوته على أن يكون أثير الأبويْن من

ناحية آخرى. والرجل الغيور قد يكون له هذا الماضى من الطفولة ويستمر معه فى الرجولة، وهو يكره الرجل الذى ينافسه على امرأته، وفى نفس الوقت يكره امرأته لأنها قد نجحت أن تستهوى رجلا غيره تخصه بحبها عنه.

ويقول فرويد **بالغيرة المُسقَطة**، وتكون بالبعض بتأثير الخيانة التى يستشعرونها فى أنفسهم، ولكن وعيهم ينكرها فيزيحونها إلى الزوجة، ويسقطونها عليها وينسبون الخيانة لها.

والمستوى الثالث للغيرة عند فرويد **هو الغيرة الهذائية** ولاتكون إلا فى حالات الأزواج الذين بهم جنسية مثلية كامنة، فإذا دخل الزوج الإعجاب برجل، فإنه يلفق المواقف ليوقع فيها زوجته، ويتهمها قسراً بأنها تخونه معه، أو أنه يعجبها وتتمناه، وهو فى الحقيقة الذى يرغب فيه، ولكنه بعكس ذلك وينسب لامرأته مايستشعره فى نفسه تجاهه على الحقيقة.

ومن رأى **فرنزى** أن الغيرة تستوجب مواقف أبطالها ثلاثة، **هم المحب، والمحبوب، والعشيق أو العشيقة** الذى يشكل الطرف الثالث. وليس شرطا أن يكون الثلاثة من البالغين، فالولد الصغير قد يغار من أبيه عندما تؤثره أمه دونه بفراشها، وقد يسره أن يراها سعيدة بوجود الأب معها، ويتمثل سعادتها ويستشعرها، إلا أنه يظل يعانى إحساس الغيرة المؤلم ولو لم يُفصح عنه.

والغيرة موضوع مطروق فى **الأدب**، وكانت مدار روايات ومسرحيات عظيمة لأدباء كبار مثل **تولستوى وشكسبير**، ولعل مسرحية **عطيل** من الأعمال الكبرى التى تقدم نموذجا رائعا لأخلاقيات الغيور، والمواقف من الحياة التى أبطالها الثالوث الأزلى من **المحبوب والحبيب والمنافس**، على أن أديبا مثل **برنادر شو** لم يكن يرى فى **أدب الغيرة إلا** صورة مما يطلق عليه اسم **الجرائم العاطفية**، أى التى تدفع إليها الغيرة.

والغيرة العادية مطلوبة، والإنسان قد شرف بالتكليف دون سائر المخلوقات، واختُص بالشرف، وكانت له القيم والأخلاقيات، وهو لذلك يغار على أهل بيته، وإلا كان كالحيوانات، ومع ذلك فهناك من الحيوانات مايغار على أنثاه، والكثير من الحيوانات يموت فى سبيل أن يمنع غيره من الذكور أن يطول أنثاه أو إناثه، وإذن فقد تبدو **الغيرة فطرية** فى الإنسان وفى غير الإنسان، وهى تتطور فى الإنسان وتكون لها معه شأن آخر، وتظهر عند الطفل مبكرة فى نحو **السنة الثانية**، وتتضح أكثر ماتتضح إذا جاء طفل آخر ينافسه على أبويه، وقد

يكره الطفل أخاه المولود حديثا عندما يراه يستحوذ على رعاية أبويه دونه، وقد يتوجه إليه بالعدوان، أو قد يرتدّ فى السلوك ويتصرف بما يناسب مرحلة أسبق من العمر، فقد يُتهته أو يبول على نفسه، أو يكثر من البكاء، فى محاولة منه ليلفت انتباه الأبوين، بدعوى أنه قد صار مثل أخيه الصغير. وقد يتحدث كأخيه، أو يمص إبهامه. وفى مثل هذه الحالات يستحسن أن تُزاد له الرعاية بحيث يفهم أنه كبير عن أخيه، وأن مجئ هذا الأخ لم يقلل من حبِّ الأبوين له، بالإضافة إلى إشراكه هو نفسه فى العناية بأخيه، دون أن يكلَّف بذلك، بل يناط به هذا العمل كمساعدة منه للأم. ولاينبغى أن يُحادَث كثيرا بشأن مجئ هذا الطفل طوال الحمل، وإنما قبل الولادة بمدة قصيرة.

والطفل فى المدرسة يغار على صديقه من زملائه، ويحاول أن يستأثر به دونهم، وأن يستميله إليه، وينقد الآخرين أمامه وقد يتوجه إليهم بالعدوان ليبعدهم عنه. وفى البيت قد يغار الطفل إذا رأى الأبوين يظهران اهتماما أكثر بأحد إخوته فيما يسمى **غيرة الأشقاء** sibling Jealousy، كما فعل **إخوة يوسف**، ولقد تآمروا على يوسف، وادعوا موته ليخلص لهم وجه أبيهم. وكذلك قد يغار الطفل الذكر من أبيه، وتغار البنت من أمها. وعموما فإن الغيرة تنمو فى البيوت التى يفرّق فيها الأبوان فى المعاملة بين أبنائهم. وقد تكون الغيرة دافعا إلى أن يسلك الغيور بعدوانية أو بعناد، كما قد تكون أيضا دافعا له إلى أن يسلك بالطريقة التى ترضى من يحبهم وتستميلهم إليه، فيزيد من تحصيله، وتكون الغيرة طريقا إلى التفوق.



الفصل السادس عشر

البنات وحمرة الخجل

Girls & Blushing

تستشعر البنات الخجل لسبب أو لآخر، فتحمر وجوههن. ومن الناس من الجنسين من تلازمه **حمرة الخجل** باستمرار، وهى **استجابة جلدية** تحدث تلقائيا عند البنت والولد، ودون وعى من أيهما بما يحدث لوجهيهما، فى المواقف المخزية التى يستشعران إزاءها الحرج، وبالطبع تختلف هذه المواقف بحسب الجنسين ونوعية الخبرات عند كل منهما، وبحسب والسن والثقافة. وأكثر ماتكون حمرة الخجل **بالوجه**، وهو الجزء من الجسم الأكثر تعرضا للمطالعة من الناس. وتختلف المساحة التى تشملها الحمرة من الجسم، بحسب حساسية الشخص والموقف الذى يحتويه، فإذا كان الشخص مفرط الحساسية ويحس بالخجل أو الخزى الشديد، فإن الاحمرار قد يمتد إلى الرقبة والصدر الأعلى والكتفين. وقلما تحدث حمرة الخجل فى المواقف التى لايكون فيها مَنْ يطالع الشخص الذى تأتيه هذه الاستجابة، كأن يكون حديثه إلى الآخرين فى التليفون، أو يكون الموقف فى الظلام، فبرغم وجود مايستثير الشعور بالخجل، إلا أنه لايحس به لو تحدث فى التليفون، أو كان حديثه للآخر فى الظلام، وهذا دليل على أن حمرة الخجل **استجابة هستيرية من النمط التحولى**، بمعنى أن الخبرة الانفعالية التى قد نتعرض لها جميعا قد يحس بوطأتها الشخص العادى، إحساسا يترجمه إلى اللغة العادية سواء بالكلمة أو الحركة، وأما فى حالة **الخجل الهستيرى** فإن المصاب به لا يأتى هذه الاستجابة إلا فى حضور الآخرين، وتكون معه بشكل مغالى فيه، بحيث تكون من سماته الظاهرة التى تلفت إليه المحيطين به، ويعرفونه بها. ولربما تكون هناك علاقة بين الحساسية المفرطة للضغوط وبين والاضطراب الجلدى المعروف باسم **الارتكاريا**، وبعض المتخصصين ينسب حمرة الخجل لهذا الاضطراب. وكان **داروين** يقول إن الاحمرار قد يأتى الذراعين والبطن، وخاصة المناطق من الجسم التى لاتكتسِى بالملابس، أى الأجزاء المعرّضة للنظر من الآخرين، وحساسيتها مرتبطة إذن بأنها **منظورة**. ومع ذلك فحمرة الخجل قد نستشعرها جميعا بشكل سوى، ونعبر بها أحيانا عن معاناة حقيقية نحس بها، وأما إذا كان الشخص يأتيها دون وعى ولا معرفة بأسبابها فإنها

غالبا **عَرَض تحولى**، يُستَحدث بمقتضى مايسمى **التكوين الوسطى compromise formation**، أى أنها استجابة تتوسط بين الرغبات اللاشعورية المحظورة التى تريد الظهور والتحقق، وبين العقاب الذى يستنزله الشخص بنفسه بسبب هذه الرغبات.

وقيل فى تفسير الحمرة إنها **تعبير عن الهياج الجنسى**، وقد أزيح من مكانه الأصلى وهو الأعضاء الجنسية، إلى الوجه باعتباره أكثر أجزاء الجسم انكشافا، فى مقابل الأعضاء الجنسية وهى أكثر أجزائه استتارا.

وقيل إن الخوف القديم الذى كان فى الطفولة من الخِصاء قد يكون أصل هذه الحمرة، فكلما تستبد بالشخص رغباته الجنسية، قد يستثير فيه ذلك الخوف من الخصاء، الذى كان يتهدده به أبوه وهو صغير، والذى نسى أمره وكَبَته ولم يعد يدرى بتأثيراته اللاشعورية، فيعبر عنها بهذه الحمرة تأتيه مُزاحةً من أعضائه الجنسية، ويصاحبها ذلك الخوف وهى الدليل على القلق الذى يبدو عليه صاحب هذه الاستجابة.

وقيل فى تفسير حمرة الخجل أيضا أن أكثر مايدفع إليها رغبات لاشعورية إظهارية أو تطلعية، ودوافع عدوانية، تجعل الشخص يستشعر الخزى منها والخجل.

وقيل إنها دليل على «أنا أعلى» قوى، له فعله الملموس، فهو دائما بالمرصاد لأى رغبات محظورة، ويدفع بصاحبها إلى الإحساس الشديد بالخزى منها وبالخجل لها.

وقيل إن الذكور الذين يستجيبون بحمرة الخجل يكونون غالبا متعينين لاشعوريا بأمهاتهم بدلاً من آبائهم، وهى الظاهرة التى يطلقون عليها **عقدة أوديب السلبية**، ومن شأن ذلك أن الطفل يتقمص أفعال أمه بدلاً من أبيه، ويسلك سلوكها، ويستجيب مثلها فى المواقف المخزية أو المخجلة، بأن يحمّر وجهه، وينشأ على ذلك.

وقيل أيضا أن بعض الذين يعانون من حمرة الخجل، بسبب أنها تكشف عما يستشعرون الخزى منه، أو حتى تفصح عن غضبهم، قد يحاولون أن ينزلوا العقاب بأنفسهم لاشعوريا بسبب هذه الحمرة التى تعلو وجوههم والخوف من أن تفضح نواياهم، وبدلاً من أن يخجل، المريض من نفسه بسبب مشاعره الدونية، فإنه يخجل لأنه يستشعر الخجل، ومن ثم يحاول أن يتحاشى أية مواقف يمكن أن يعانى منها هذه الصراعات، ونتيجة لذلك فقد تتحول عنده الاستجابة التحولية إلى **فوبيا أو رهاب** يخشى معه مواجهة المواقف التى تستحدث فيه حمرة الخجل ويتحاشاها قدر مايستطيع.

وحمرة الخجل عند السلوكيين استجابة متعلمة يأتيها البعض فى المواقف التى تبعث فيهم الشعور بالقلق، ولذلك فإن هؤلاء يتميزون بالحرص الشديد على تجنب مثل هذه المواقف. ويتضمن العلاج السلوكى تدريب المريض على أن يؤكد حضوره باستمرار ويتحاشى الهروب، وقيل إن المريض الذى ينجح فى أن تكون له المقدرة الاجتماعية على التعامل مع مختلف المواقف تتناقص عنده القابلية للانفعال باحمرار الوجه، وقيل أيضا أن العلاج بهذه الطريقة يحتاج إلى متابعة قد تستمر لأكثر من ستة شهور.

***

الفصـــل السابــع عشــر

حــب الشـــباب Adolescent Acne

ومعانيه النفسية والجنسية عند المراهق

يُطلَق عليه اسم **العد** (بضم العين). وحَبّ الشباب الذى يأتى المراهقين هو نوع بسيط أو عادى من العد يأتى الشباب بخاصة، وفى سن المراهقة، حيث تكون هناك **تغيرات هرمونية وجسمية**، وينفعل الشاب بما يجرى بجسمه، ومايعتمل به من مشاعر وأحاسيس، ويضطرب لها، وقد يعجَب لما يشعر، وقد يستسلم لما يحسه، أو قد يحاول أن يداريه أو يقمعه. وربما كان مرجع ظهور حب الشباب إلى أن هذه الانفعالات والمشاعر والأحاسيس من شأنها أن تدفع إلى **إفراز هرمونى يزيد الإفرازات الدهنية** فى مناطق من الوجه والصدر والظهر.

وفى سن المراهقة يعيش الشباب فى مفترق الطرق، حيث قد تتعارض القيم والسلوكيات، وقد تصطدم التقاليد والاعتبارات السلوكية الجديدة أو الوافدة، وقد تكون المفارقات بين التعاليم الدينية والمقولات العلمية. وعصرنا الذى نعيشه تستُحدث فيه القيم كل يوم، وتتغير بسرعة هائلة، والشباب من ذلك فى حيرة، وينعكس مايعانيه على جسمه، ويكون له مردود نفسى على تكيفه مع أسرته ومجتمعه وزملائه، والبيئة التى يعيش فيها، والعالم بأسره. ولعل أهم مايميز فترة المراهقة هو أنها **فترة شكوك**، وقيل إن حب الشباب تدفع إليه **فورات جنسية**، عبارة عن رغبات محتدمة قد لاتتوافق مع مايتلقاه الشاب من تربية أخلاقية أو دينية، أو قد يرى أنها **رغبات محرمة أو غير مشروعة**، وقد يستشعر لها الذنب، وقد يكون ما يحتدم به **مشاعر عدوانية** تفجرها عوامل البيئة السلبية. والإحباط الذى قد يعانى منه فى حياته له تأثيره على ظهور هذا الطَفْح الجلدى. ولاشك أن المراهق الذى يعانى من حب الشباب يتميز بحساسية جلدية، تتعلق بحساسيته المفرطة للضغوط الانفعالية، وخاصة الرغبات الجنسية. وغالبا مايكون حب الشباب عَرَض تحولى، يستحدثه مايسمى **التكوين الوسطى compromise formation**، بمعنى أنه استجابة تتوسط بين الرغبات الجنسية اللاشعورية المحظورة التى تريد الظهور، وبين العقاب الذى يستنزله الشخص بنفسه بسبب هذه الرغبات. وربما يكون حب الشباب تعبيرا عن **الهياج النفسى**، يأتى كبثور تظهر فى الخدّين والأنف والصدر والظهر.

ولحب الشباب ردود فعل نفسية على التكييف التفاعلى للمراهق أو الشاب، حيث يكثر شك المراهق حول مسائل تخص شكله والصورة التى هو عليها عند الناس، وخاصة عند الجنس الآخر. ومن شأن ظهور حب الشباب فى وجهه، أن يجعله حساساً من جهة طلعته، ويخشى لقاء البنات بخاصة، ويقلل من إحساسه بكفاءته، ويشعره بالقصور، وقد تتأثر به علاقاته بالجنس الآخر. وربما يحتاج ذلك إلى ترشيد من أخصائى نفسى، حتى لاتكون عند الشاب مشاعر بالنقص، أو تتنامى به هذه المشاعر، ولعلاج الانسحاب الاجتماعى عنده إذا كانت أعراضه قد بدأت فى الظهور عليه بالفعل.

* * *

الفصل الثامن عشر

الجنس وجناح الأحداث Sex & Juvenile Delinquency

ليست هناك فروق كثيرة بين **جرائم الأحداث الجنسية** وبين **جرائم الكبار الجنسية**، سوى أنه في **المراهقة** قد يتفاوت الأولاد من حيث معنى الجريمة الجنسية عندهم، وفي السلوك الجنسي، والطرق المشبعة لهم جنسيا. ومايفضله المراهق هو ماقد يتثبت ويصبح اتجاهاً جنسيا سائدا عند البالغ. والمواقف التي يتعرض لها المراهق في المدارس، أو في مجالات الحياة المختلفة، تشكّل مناسبات لها خطورتها في خَلْق الاتجاه الجنسي أو دعمه، وتسرع في تطويره، وينمو الانحراف وقد لاينتهي، والجنس في الطفولة والمراهقة أساس الجنس في الرشد، ومع تكرار الانحراف في المراهقة يتثبّت ويصبح هو السلوك الجنسي السائد في الرشد.

ولم يقل التاريخ أن شعبا من الشعوب، أو حضارة من الحضارات، عرفت سلوكا جنسيا **وحيدا**، أو أن سلوكا جنسيا اعتاده الشعب وكان سلوكه المفضل هو الذي أودى بحضارته. وحتى **قوم لوط** لم تكن **اللواطة هي** مصدر التهلكة بالنسبة لهم، ولكنه كان الكفر بالله، ولم تكن اللواطة إلا نتيجة لكفرهم وليست سبباً للكفر. والله سبحانه وتعالى خلق الناس لايتشابهون في الخصال، وكل فرد يجرّب جنسيا، وتتنوع التجارب، ويكون منها النشاط الجنسي العام، وذلك يجعلنا ننعِم النظر في **مسألة الانحراف الجنسي**. وليس الجنس هو كل الشخصية، والشخصية قوامها ميول واتجاهات وأفعال وأقوال، وليس الجنس إلا ناحية من نواحيها، ولاينبغي أن ننعت شخصا ما بالانحراف لأن النمط الجنسي عنده مختلف عن الأنماط المألوفة، إلا إذا كان اختلاف النمط هو رد فعل لمغايرة شاملة في الشخصية ومايصدر عنها من سلوك عام. والمهم في المراهقة أن الانحرافات الجنسية فيها في الابتداء، ولم تترسخ بعد، ومن الممكن فيها العلاج. ولقد قيل إن السلوك من وظائف **الأنا**، وما قد نصفه بالانحراف ربما كان وظيفة من وظائف هذا الأنا. وربما كان قولنا هذا تأصيلا لنظرية في الجنس **لاتجعل السلوك الجنسي الغيري** هو السلوك الوحيد الذي يمكن أن يوجد في حضارة من الحضارات. ونحن في حاجة إلى معاودة النظر في مكونات **الأنا الأعلى**، لأنها هي نفسها مكونات الحضارة، **والأنا الأعلى** هو الذي يصادم **الأنا**، ويقضي بانحراف شخص أو عدم انحرافه.

ولقد خلقنا الله وكل جزء فينا يمكن شهْوَنته أو جنسنته، أي شحنه جنسيا وزيادة

الحساسية الشهوانية فيه، مثله فى ذلك مثل المناطق الشهوانية المعروفة فى الجسم، كالفم والأعضاء التناسلية. وقد تصير لهذا الجزء أو العضو الأولوية فى التوجه الجنسى للشخص بحيث يشقّ عليه العلاج، ومن ثم يصبح على **الأنا** أن يتصرف فى اتجاهين ليحقق له الإشباع الجنسى، **الأول** أن يجد الطريقة للإشباع، **والثانى** أن يحدد الموضوع الذى يكون به الإشباع. والتثبّت على الطريقة أو على الموضوع هو مايعنينا فى دراسة العلاقة بين الجنس وجُناح الأحداث، أو دراسة أنماط السلوك الجنسى عند الأحداث الجانحين.

ولربما يتصرف الحدث التصرف الذى ينحو به نحو الإصابة بالعُصاب، أو الذى يكون رد فعلٍ للإصابة بالعُصاب، ولربما يكون تصرّفه مجرد تصرّف طفلى لاغير، وهذا هو مانقصد إليه من **النكوص الجنسى** إلى الأنماط السلوكية الطفلية، أو ماقد نرد به السلوك الجنسى المنحرف إلى أصول أولية فى **الهو** تجعله بحق سلوكا جنسيا منحرفاً. وليس صحيحا أن الانحراف هو سلوك صادر تماما عن الهو وليس للأنا دخل فيه، بل للأنا دخل فى السلوك الجنسى المنحرف. والسلوك الجنسى المنحرف هو دليل على تشوّه الأنا، وليس السلوك مريضا إلا لأن الأنا مريض.

ومن الصعب التنبؤ بما سيكون عليه الأنا فى المراهقة من دراسة أنماط السلوك فى الطفولة. ومن الصعب القول بأن هذا السلوك هو المفضّل عن ذاك السلوك. ولو أخذنا **اللواطة** كسلوك مشهور عند المراهقين الجانحين، فإننا لانستطيع أن نقول إنها السلوك الذى يفضل عندهم الاستمناء باليد، ولايعتبر الاستمناء باليد سلوكا منحرفا لأن مناط الانحراف أن يكون له مردود اجتماعى.

ويمر الطفل بمرحلة تكوين جنسى فى الطفولة تتشابك أوجهها وتتعقد، فهناك العلاقات الأوديبية وصراعاتها، والتعيّن بالدور الجنسى لأحد الأبوين، واكتساب الهوية الجنسية، والتثبت على الميول العدوانية أو السادية، أو الميول السلبية، أو مخاوف الاغتصاب الشرجى. وفى الطفولة يكون **الموقف الأوديبى** المشهور، أو **المثلث الأوديبى الثلاثى الأضلاع**، من الأبوين والطفل، وهناك تأثيرات **الأقران** من الجنسين فى **الكمون**، وماقبله، ومابعده، والعلاقات الجنسية المِثلية والغيرية، والممارسات الاستعرائية والاستعراضية، ومحاولات التبصص الجنسى، والاستمناء الفردى والجمعى. ولو حاولنا أن نحدد المؤثرات التى تحيد بالطفل نحو **اللواطة** لقلنا إن ذلك لابد أن يستتبع دراسة التفاوت فى الميول البنيوية

والوراثية عند الأطفال، والتى قد تتجه بهم نحو الثنائية الجنسية فى المراهقة، أو نحو الجنسية الغيرية. وكذلك دراسة العناصر النرجسية التى تجعل الولد أو البنت يختار أقرانه بمواصفات معينة تُرضِى تصوره عن نفسه؛ ودراسة أوجه التثبّت فى المرحلتين الجنسيتين من مراحل التطور الجنسى، وهما المرحلة الفمية والمرحلة الشرجية؛ وتقديره لقضيبه الذى يحكُم علاقاته الغرامية، ويجعله إما يرغب فى السيطرة كاملا على الطرف الآخر، أو أنه يطلبه بمواصفات معينه تناسب قدراته الجنسية؛ واعتماده على أى من الأبوين الذى يُعَممّ ويصبح اعتماداً فى الشخصية؛ وعداوته لأحد الأبوين؛ وتأثير التجارب الصادمة عليه والتى تكون بها استثارته الجنسية استثارة تتجه به وجهة معينة، كأن تستحدث به الخوف مثلا من جنس البنات؛ وحسده للجسم الأنثوى؛ والغيرة التى تكون بينه وبين إخوته والتى تنعكس على علاقاته الودية بالآخرين، ممن يمكن أن ينزلهم من نفسه منزلة إخوته فيما بعد؛ ونمط اللواطة التى يمكن أن يخبرها فى البلوغ، والذى يمكن أن يتكرر معه.

هذه **العوامل السابقة** يمكن أن تكون مؤثره فى اتجاه المراهق نحو اللواطة، بالإضافة إلى مايمكن أن يستشعره من ذنب أو قلق نتيجة ممارسة لواطية من هذا النوع.

ولربما يكون الغلام قد تأخر عن إتيان **الاستمناء باليد**، ولربما يكون مرجع ذلك صراعات تحتدم فيه وقد تؤدى به إلى انحرافات فى السلوك الجنسى. ولربما يكون الغلامّ قد تعين بإحدى الإناث تعيناً قويا مستمرا، ولربما لايكون قد تعرّض كثيرا لتأثير الأب لسبب من الأسباب، بالطلاق أو الانفصال أو الموت. ولغياب شخصية الذكر فى محيط العائلة الصغيرة، وظهور سيطرة الأم، تأثير على الاتجاه إلى اللواطة. ولربما يشبّ الغلام على الخوف من التجارب الجنسية الغيرية، وقد يحجبه هذا الخوف عن أن ينمو نموا جنسيا سويا، وقد يجد نفسه فى مجتمع الذكران، ويبدأ تجاربه الجنسية معهم دون سواهم. وقد يتعلق بشخص من نفس جنسه أكبر منه سنا، ويحبه حبا يؤثّر على أفضلياته الجنسية. وقد يعقّب الكبار على سلوك المراهق بأنه لوطى ويستسلم لهذا التعليق، ويتصرف بناء على هذا الاعتقاد الذى يتحّصل له.

ويحكم المجتمع على المراهق بأنه لوطى أو غير لوطى، طبقا لمعاييره فى الحكم على الراشدين. والمراهق الذى يُضبَط متلبسا بالجُرم، هو فى العرف وطبقا للقانون، لوطىٌ يدان باللواطة أو بالفعل الجنسى الفاضح الذى يرتكبه. ولو لم يُضبَط، ورغم اليقين الذى قد

يكون عند المحيطين به أنه لوطى، فإن القانون لايطوله. غير أن هناك ملابسات تجعل الحكم فى غير صالح المراهق، إذا كان له مظهر اللوطى، كأن يطيل شعره مثل البنات، ويرتدى متشبّهاً بهن، فذلك المظهر يقوّى من احتمال شذوذه والحكم عليه بالجُناح الجنسي. والجناح لايبدأ إلا إذا كان السلوك مستهجنا اجتماعيا، فاللواط كان مستحسنا عند قوم لوط، ولم يكن اللوطى يستشعر له الذنب، ولايخاف عواقبه الاجتماعية. والمهم فى الانحراف الجنسى أنه انحراف عن التقاليد الجنسية فى المجتمع. والسلوك الجنسى عند الجانح لايكون جُناحا إلا إذا كان هدفا فى حد ذاته وليس وسيلة لغاية، فالجِماع بقصد الإنجاب محللّ، بينما الجماع الذى غايته اللهو محرّم. وكلما خرج السلوك الجنسي عن النمط الاجتماعى الغيرى المألوف كان الحكم عليه باللاشرعية.

والفيتشية نمط جنسى آخر من الأنماط الشاذة، والحكم على المراهق بأنه **فيتيشى** مسألة لابد فيها من تحرّى الدقة، كمسألة الحكم عليه بأنه لوطى. وليس من المنطقى أن يقال عن مراهق ما بأنه فيتيشى لأننا نراه باستمرار يهوىَ أثراً نسائيا معينا، فالفيتيشية أكبر من ذلك. والفيتيشية تعنى أن الفيتيشى لايصرف طاقته الجنسية إلا فى مجال وحيد، وهو فى الفيتيشية **مجال الأثر النسائى** الذى يفضّله الفيتيشى ويقتنيه، ويبذل فى سبيل اقتنائه كل رخيص وغال، حتى لقد يقدم على السرقة مع مخاطرها من ضبط ومحاكمة وسجن.

وأما المراهق الذى يتأثر بإعلانات التلفزيون، وماأكثرها حول ملابس النساء الداخلية أو أدوات الماكياج، فيجرب أن يقتنى منها ويرتديها، ويجد لذة فى ذلك، فهو بالقطع ليس فيتيشيا وإن بدا لبعض الوقت أنه كذلك. وبعض المراهقين يكونون فى دور التجريب الجنسى، ويريدون أن يخبروا كل شئ، ولم تتحدد بهم هويتهم الجنسية بعد، ويمكن أن نقول إنهم يعيشون **مرحلة تيه جنسى**، لايجدون فيه حقيقة ذواتهم. والملاحظ أن الأولاد فى مرحلة البلوغ يغرمون بالأشياء التى تشابه الأشياء الجنسية التى لها هذا المعنى من المرحلة الشرجية، فإذا كانت المرحلة القضيبية فإن المراهق يهفو للأشياء التى بها شَبَه من القضيب، أو من الفرج، أو الأشياء التى قد نُضفى عليها من التصور أنها ذكورية أو أنثوية، بحسب جنس المراهق، ولانعرف ماإذا كان تعلقه بها سيستمر من بعد ويصبح لها المعنى الفيتيشى الذى نعرفه عند الشواذ من الفيتيشيين.

ويعتبر المراهق فيتيشيا إذا بدأ يجمع الأثر الفيتيشى، ثم إذا تواجد فى موقف اختيار بين موضوع جنسى حقيقى وأثر فيتيشى، فاختار الأثر عن الموضوع، ثم إذا رأى الأثر الذى يتعشقه فانتصب له، فعندئذ يمكن أن نقول أنه قد حدث لدى المراهق انفصام بين اعتباراته للجسم الأنثوى، واعتبارته لما يوضع عليه من ملابس وزينة أو ماينتعله، والفيتيشى يترك الجسم ليتناول متعلقاته. ومن رأى **فرويد** أن الفيتيشية تعّين من الولد بالإناث، فهو يميل إلى الأشياء التى تخصّ أجسامهن يريدها لجسمه، وهذا التعّين الجنسى الشديد بالإناث يقابله من جهة أخرى رفضٌ من الأنا أن يكون أنثى، فيؤكد ذكورته بالتوفيق بين القسم من الأنا الذى يريد الأنثى، والقسم الذى يستبقى الذكر، فيمارس القسم الذكر ذكورته على القسم الأنثى، بأن يستمنِى على الأثر الفيتيشى.

والتشبّه مجال آخر من مجالات الانحراف عند المراهقين، وإنها للعبة مفضلة عندهم أن يجربوا أنفسهم فى ملابس تخص الجنس الآخر، ومعنى ذلك أن الأولاد والبنات لم يفهموا نواتهم جيدا ومازالت هويتهم الجنسية غامضة. وتتيح حفلات التنكر للأولاد والبنات أن يستخدموا الرموز الجنسية بحرية ودون تثريب، وأن يخرجوا أمانيهم فى أن يكونوا من طبقات معينة أو فى مهن معينة إلى حيز الإمكان والتحقيق.

والمتشّبه أو المتشبّهة يكون بهما هذا الميل للتشبّه مبكرا، وهناك علامات ثانوية بنيوية وسلوكية تؤكدها التربية. وغالبا مايظهر هذا الميل فى السن بين **الثالثة والرابعة**، فيختار الولد مثلاً ألعاب البنات والعرائس، ويحب أن تكون له ملابسهن، وأن يرجّل شعره كما يرجلن شعورهم، وأن يتحدث بالطريقة التي يتحدثن بها. وفى **سن المراهقة** تبين الميول للتشبّه أثناء الحفلات، أو عندما يمثل المتشبه مشهدا حدث بينه وبين فتاة فيؤكد على دور الفتاة ويقوم بمحاكاتها بنفس الحركات، أو يظهر هذا الميل فى اختياره أن يقوم بتمثيل أدوار البنات على المسرح كلما تطلّب الأمر، أو احتاج فريق المدرسة إلى من يمثل دور الأنثى. فإذا اجتمعت هذه المقدمات إلى العزوف عن إنشاء علاقات مع الجنس الآخر، فإن الاحتمال الأقوى أن الولد متشبه، وأن التشبه قد يتثبت فيه ويظهر جليا دون سفور أو مناسبات فى سلوكه.

وهناك رأى يقول أن التشبّه لواطة، لأن المتشبه إذ يرتدى ملابس الجنس الآخر لايفعل ذلك ليستهوىْ الجنس الآخر ولكن ليستهوى جنسه هو باعتبار أنه فتاة. والتشبّه أيضا

يمكن اعتباره فيتيشية، لأن المتشبّه يحب عندما يتشبّه أن يلبس من ملابس النساء أنواعا منها دون أنواع. ثم إن التشبّه استعراض، ويكشف عن رغبة عند المتشبّه أن يراه الغير فى ملابس الجنس الآخر، وذلك يعطيه لذة جنسية ترقى إلى أن تكون إهاجة ذاتية. وفى بعض الأحيان يمارس المتشبّه التشبّه خلسة حتى لاتفْتَضَح ميوله، وعندئذ لايكون الاستعراض هو الانحراف الإضافى الذى يشكو منه، ولكنه فى هذه الحالة يعانى من مشاكل عُصابية تتعلق بمشاعر الخزى التى يستشعرها والحاجة إلى السّرية ليقوم بما يقوم به. ويتحصل للفتاة التى ترتدى كولد الانطباع أنها كذلك، وتتصرف مثله، وقد تتشاجر أو تنضم إلى مجموعة من المراهقين تستعرض وإياهم قدراتها الصبيانية فى الشغب والسرقة. والمتشبّهة التى تسرق بالإضافة إلى ماتعانيه من التشبه، فإنها تعانى أيضا من الفيتيشية، لأنها تحتاج إلى السرقة ليكون لها ما تريد كالذكور، ونلاحظ أن أغلب النساء اللزبيانيات يمارسن السرقة كهواية، وداء السرقة هو المقابل الأنثوى للفيتيشية عند الأولاد.

والتخنّث مجال آخر من المجالات الجنسية عند الجانحين من الأحداث، وهو أن يتعين المراهق بواحد من الجنس الآخر، ويرغب بشدة أن ينقلب إلى فرد من الجنس الآخر. والتخنث لايعنى أن له أعضاء تناسلية من الجنس الآخر، فأعضاؤه التناسلية ذكورية إن كان ذكرا، أو أنثوية إن كانت أنثى، وعلى ذلك فهو من الناحية التشريحية ذكر كامل، أو أنثى كاملة، ولكنه لايريد أن يكون ذكرا بل يريد أن يكون أنثى، وكذلك قد تريد الأنثى أن تكون ذكرا. والمتخنث يعتقد نفسه أنثى، إلا أن اعتقاده هذا المتوهم لايجعله مذهوناً، لأنه يعرف أنه ذكر بكل مقاييس الذكورة، إلا أنه يتمنى أن ينقلب إلى أنثى، ويعرض نفسه على الأطباء ليُجروا له الجراحة اللازمة لاستئصال أعضاء الذكورة، ولِتُصنَع له أعضاء أنوثة، وليخضع للعلاج بالهرمونات. وقد يكون ذلك متيسرا بعض الشئ بالنسبة للذكر الذى يريد أن يتحول إلى أنثى، ولكنه صعب التحقيق بالنسبة للأنثى التى تريد أن تتحول إلى ذكر، وذلك لأن اصطناع المهبل ممكن، ولكن اصطناع القضيب مستحيل.

والتخنث بالأولاد أكثر منه بين البنات، وربما لذلك قد تنجح عمليات التحويل لأنها تتم لأولاد، ولكن يتبقى السؤال. هل تكفى العملية لحل مشكلة المتخنث؟ وهل هذا التحويل الذى يتم بدنيا يعنى أنه يتم أيضا على المستوى الشعورى وقبل الشعورى واللاشعورى؟ والرأى أن المراهق الذى يطلب هذا التغيير لايمكن أن نقضى بشأنه أنه سليم عقلياً أو نفسيا أو

بدنيا، وذلك أنه رغم التركيب الذكورى البدنى فإن ذلك لايعفيه من وجود عوامل جينية مستترة تميل به إلى هذا التغاير، ولابد أنه فى طفولته لم يتعين التعين الجنسى الصحيح، وظلت هويته الجنسية محل تساؤل، أو تميل به ميلا معاكسا، ولابد أنه لقى من المعاملة فى صغره من والديه أو أحدهما تشجيعا حَفَزه إلى أن يطلب أن يكون من الجنس الآخر. وأمثال هذا المراهق يعيش المراهقة تعيسا مكتئبا، وقد يحاول أن ينتحر، وقد يفلح فى الانتحار.

وتعشق الصغار أو جماع الأولاد مجال آخر من المجالات الجنسية الجانحة. وينبغى أن نميز بين هذا التعشق يكون **بالمراهق** ويكون **بالراشد**، فبينما يُجرِّم هذا الفعل من الراشد ويعاقب عليه عقابا مشدداً، فإن عقاب المراهق لايعدو إيداعه الإصلاحية. ويتراوح أداء الراشد من مجرد الاستلطاف إلى إيذاء الصبى أو اغتصابه، بينما هو عند المراهق قد يأخذ شكل غواية لكى يقوم الصغير باستمنائه، أو قد يكون ملاطفات جنسية، أو جِماعاً. وغالبا مايكون المراهق متخلفا عقليا، أو يعانى من تلف وظيفى مخى، أو معاقاً. وبعض هؤلاء المراهقين يشكون من الاندفاع، والعجز عن السيطرة على أهوائهم. وجماع الأولاد، أو الاعتداء على الأولاد، أو المعاكسات التى تهدف إلى شئ من هذا القبيل، تكثر فى المدارس الابتدائية، عندما يضم الفصل أو المدرسة أولاداً كبارا فى السن، وآخرين أصغر منهم، والتفاوت فى البلوغ هو الذى يغرى الكبير بالصغير. وبعض كبار السن من الأولاد يمارس جماع الصغار أو غوايتهم بسبب اضطراب فى الشخصية، أو نتيجة صراعات عُصابية. وقد يشعر المراهق أنه غير كفء جنسيا من ناحية الجنس الآخر فيعوض عن ذلك بالاتصال جنسيا بالأولاد الصغار. وقد يكون لجوء المراهق لممارسة الغواية نوعا من الترويح عن حالات اكتئاب تأتيه من آن لآخر. ويتوقف الحكم على العمل الجنسى ماإذا كان من نوع تعّشق الصغار أم لا على تكراره من المراهق، كما يدخل فى الاعتبار استخدامه للعنف أو إيثاره لأسلوب الإغراء، وكذلك ماإذا كان الصغير من أقاربه المحّرمين، كأن يكون أخاً، أو أختاً، أو ابن أخ، أو ابن أخت، وعندئذ ينضاف للجُناح جُناح آخر هو **الاتصال الجنسيبالمحارم**.

والاتصال الجنسى بالمحارم بالنسبة للكبير **الراشد** بخلافه أيضا عند **المراهق**، فالراشد يمكن أن يدرج ضمن محارمه ابنة الزوجة أو ابنها، والأم والأخت، وقد يكون الراشد جداً،

وقد يكون أباً. والاتصال الجنسى بالمحارم من الممارسات الجنسية المنهىّ عنها والمحّرمة فى كل الشرائع، وتكاد تبلغ نسبة هذه الجنحة بالنسبة لمجموع الجنح الجنسية نحو ٦٪.

وقد يشمل الجُناح أفعالا جنسية مصحوبة بالعنف، منه **الاغتصاب**، والممارسات الجنسية السادية الصريحة، والاغتصاب المصحوب بالأذى البدنى الذى قد يصل إلى حدّ القتل. **والمغتصب** لا يرتكب الاغتصاب فجأة ولكنه غالبا مايكون له سجل سوابق من قبل، وكثيرا ماتكون سوابقه جنسية أيضا. ويقسمون المغتصبين **ثلاثة أقسام** من الجانحين، فهناك قسم الجانحين الذين يغتصبون بسبب **المعاناة من الكبت الجنسى**، فيكون فعل الاغتصاب بمثابة الانفجار بعد طول كبت وحرمان، وهناك قسم المغتصبين الذين يميلون إلى العنف والأذى، والاغتصاب طالما أنه يؤذى فإنهم يؤدونه، إلا أنهم لايفعلونه بغاية جنسية، ولكن **بغاية التنفيس عن عدوانيتهم وممارسة لميولهم السادية**. وهناك قسم المغتصبين الذين يهدفون إلى السرقة، ويمارسون الاغتصاب أيضا **كنوع من السرقة**.

ويصنّف المغتصبون من الجانحين تصنيفا آخر، فهناك **النوع العنيف** الذى لايكفيه الاغتصاب ولايشبعه إلا إذا كان مصحوبا بالعنف، وقد يَستخدم آلة حادة أو سلاحاً ليهدد الضحية؛ **والنوع الأنانى** الذى لايبالى بما يمكن أن يترتب على مايفعل، ومهما توسلتْ إليه الضحية فلا يستكين، **والنوع المخمور** الذى يأتى مايأتى تحت تأثير الخمر.

ولربما يكون سلوك الجانح المغتصِب عن **ضعف جنسى** وعُنّة، فيجعل الاغتصاب وسيلة للإهاجة أو تعويضاً عنها، بدليل أن الكثير من أفعال الاغتصاب من الجانحين لا يتم بالإيلاج، وقد يُمنى الجانح قبل الإيلاج. وربما يعانى الجانح من **الخوف من الجنس الآخر** فيقلب خوفه من النساء إلى ضده، وهو أن يُخيف النساء ويُظهر القدرة عليهن، ولذلك تراه يعُنف، ويلقى بالضحية على الأرض، ويمزق ملابسها. وغالبا ما يتم الاغتصاب من قبَل مجموعة من الجانحين، وسلوك الجانح يخضع لمجموعته، وقد يكون تقليدا أو إظهاراً للقوة بينهم.

ولربما يغلو الجانح ويقتل قبل أن يغتصب، ويواقع المرأة وهى جثة، وقد يقطع أوصالها أو يشوّهها بالأحماض، أو يشعل فيها النيران، وفى بعض الحالات قد يأكل بعض أعضائها. ولقد روّعنا مؤخرا فى مصر بسلسلة من أفعال الاغتصاب المصحوب بالعنف أو بالقتل أو بالتشويه، والغالب أن الجانح الذى يقوم بذلك يعانى من اضطرابات ذُهانية حادة.

ولربما كانت هذه الأفعال من الجانحين نوعا من الانهيار المصحوب بالعنف، والذى قد يدفع الجانح إلى التكسير والتحطيم والتدمير بدون وعى ولاعقل.

والاستعراء والتبصّص الجنسى من الأفعال الجنسية التى يأتيها الجانحون كثيرا والجانح الذى يحبّ الاستعراء يدفعه إليه الاعتقاد الخاطئ أن النساء إذا رأين عورته فقد يتهيجن كما يتهيج هو إذا رأى عريهن. ومن دأب الجانحين الاستعراء للبنات خصوصا. والمستعرى، عندما تخجل البنت وتدارى وجهها، يستشعر الرضا الجنسى البالغ، وقد يُمنِى أو يَستمنِى. والمُستعرِى الجانح يبتعد عن النساء البالغات، لأن المرأة البالغة قد تهاجمه وتسبّه، أو تعمل على القبض عليه. ولا يبدو أن النساء البالغات يخجلن، ولذلك فالقصد من الاستعراء لا يتحقق معهن. ولقد تبين أن الأولاد الجانحين فى أغلب الحالات يقومون بالاستعراء تحت تأثير الخمر أو حبوب الهلوسة، أو أن الولد يكون واقعاً تحت تأثير ضغوط نفسية كبيرة فينفّس عن نفسه بهذه الطريقة. والاستعراء لا يكون شذوذاً إلا إذا كان هو الطريقة الوحيدة للتصريف الجنسى وتكرر مع الجانح.

والتبصّص الجنسى من الأفعال الجانحة التى يكثِر منها المراهقون، والمتبصّص يزيد من شهوانية عينيه، ويجعلهما من المناطق الشهوانية. والتبصّص قريب من الاستعراء. والذى يتبصص قد يحب أن يفعل ماالختلس النظر إليه. والذى يستعرى قد يميل إلى أن يتبصّص على عرى الآخرين.

والتبصّص والاستعراء لايكونان فعلين شاذين إلا إذا كانت المتعة الجنسية فيهما غاية فى حد ذاتها. والكثير من المراهقين يختلسون النظر إلى أخواتهم عاريات، وينظرون عليهن من نوافذ الحمام، أو من ثقب الباب، ولا يعنى ذلك أنهم متبصصون. والكثير منهم يحب أن يعلن عن تبصّصه ويدق على النافذة أو على الباب، وقد يخيف البنت أو البنات اللاتى يتبصّص عليهن، ولكن الغالبية يفعلون ذلك سرا. والمُشبع فى التبصّص هو أن يرى الجانح الجسد العارى، ويتفرج على الثديين والفرج، أو يشهد البنت وهى تتبول، أو يرى مشهد مواقعة، أو يتسمع إلى كلام يقال بين المحبين، أو يلمحهما يتعانقان. والمخاطرة فى أن يُضبَط كالمخاطرة فى القمار تعطيه لذة شهوية.

والتسمّع كالتنظّر يرهف الشهوية فى الأذنين ويجعلهما منطقة شهوية. **والتسمّع الجنسى** قد يدفع البعض إلى التحدث فى الهاتف بأحاديث جنسية مُحطة للبنات والنساء، وكلما

زادت دهشة المتسمعة كانت شهوة المتحدث. وعلى عكس الاغتصاب والاستعراء والتبصّص فإن التحدث فى الهاتف قد **تفعله البنات أكثر من الأولاد**، وخاصةً إذا كانت البنات فى مجموعة. وقد يقال إن الاستعراء سلوك جنسى تأتيه النسوة بشكل طبيعى، حيث يملن إلى تعرية أجسامهن أو أجزاء منها، إلا أن ذلك ليس المقصود **بالاستعراء الجنسى** الذى هو فعل جنسى خالص، والجانح الذى يفعله يُمنى به أو يستمنى، وهذا شئ ليس هدفا للبنات اللاتى يتعرين مع الموضة. وكذلك فإن **التهاتف عبر التليفون** يعتبر شذوذا، سواء من البنت أو الولد، إذا كان طريقة تصريف للطاقة الشهوية تتكرر مع الجانح ويأتيها باستمرار ويحس منها بالإشباع الجنسى. والبنات اللاتى يُكثرن من التهاتف فى مجموعات يشبهن الأولاد الذين يمارسون الاستمناء الجماعى.

وثمة طريقة أخرى للتنفيس الجنسى الجانح وهى **كتابة الكلمات البذيئة والرسومات الجنسية الفاضحة فى دورات المياه**، وتلك طريقة ينفرد بها الأولاد عن البنات. ويشترك الاثنان فى الإقبال على **الأدب الجنسى والصور الفاضحة والأفلام** التى تصور مشاهد الجماع الفردى والجماعى، ولربما يكون الدافع إلى الفُرجة هو حب الاستطلاع، إلا أن المشاهدة المنتظمة والمنظمة والمشبعة جنسيا لاتصدر إلا عن شذوذ. والمثير فى **البورنوجرافيا** أى الصور والمشاهد الجنسية كما يوحى اسمها الافرنجى، أنها صور ومشاهد لمومسات أو لنساء ورجال يعيشون فى مشاعية جنسية، والبغاء والمشاعية الجنسية من مجالات الجُناح عند المراهقين والمراهقات. **والبغاء** فى التعريف هو أن تؤجر البنت جسمها لمن يدفع الثمن، فهو **جنس مدفوع الأجر**، وأما **المشاعية الجنسية فهى** أن يشتاع الولد أو البنت، بمعنى أن يمارس أو تمارس الجنس مع أىّ مَن كان دون تمحيص أو اختيار. والمشتاع أو المشتاعة قد يجامع فى اليوم عدة مرات مع شخصيات مختلفة. **والشيوعية الجنسية** حالة من الفوضى الجنسية يعيش فيها المشتاع أو المشتاعة بغاية تحصيل اللذة الجنسية. وقد يبررها البعض بأنها **حرية جنسية**، إلا أن الحرية الجنسية عند أصحابها تعنى المسئولية أيضا. ومن أنصار الحرية الجنسية **سارتر وسيمون دى بوفوار وبرتراند رسل**، ولم يكن هؤلاء يعيشون الاشتياع الجنسى، ولم يكونوا يشكون غُلمة جنسية، فلا **سارتر** كان غليما، ولاسيمون **دى بوفوار** كانت غليمة. وأما فى الشيوعية الجنسية فالأولاد يعيشون للذة الجنسية فقط، ومن ذلك الأفلام الجنسية لمجموعات من

الأولاد والبنات يمارسون الجنس ممارسة جماعية. والرجل أوالمرأة السوية قد تجامع لمرة واحدة أو مرتين، ولكن البنت الغليمة أو الولد الغليم يمارس الجماع المرة، تلو المرة ومع أفراد متعددين. وقد تعنى المشاعية الجنسية ممارسة الجنس ممارسة مِثلية، وغيرية بشكل جماعي في نفس الوقت.

والبنت البَغيّ والغليمة أوالمشتاعة تشكو **البرود الجنسي**، ومن النادر أن تنعظ. والغالب أن البغاء والاشتياع يتأتّى نتيجة تربية أخلاقية متهافتة. وأكثر البغايا والمشتاعون من بيوت منهارة، فيها الطلاق والانفصال والخلافات الزوجية الشديدة والانهيار الخلقي. والوسط الذي يخرج منه هذا النوع من الفتيات أو الفتيان وسط مُنْحَل، وإن كان من الأوساط الموسرة. وفي مجال **الانحلال الجنسي** يستوى الغِنَى الفاحش والفقر المدقع، فكلاهما قد يكون له تأثير سلبي شديد على الشخصية، وعلى تكوين الأنا عند المراهق أو المراهقة. وقد يجبر الفقر الناس على إسقاط الأخلاق من الحساب عند التعامل مع بعضهم البعض، ولربما يسهّل الجنس الكثير من الأمور، والجنس هو حيلة البنت التي لاحيلة لها ولاذكاء ولاقدرات للتكسب، وهو أقدم حيلة للتكسب دون جهد، والبغاء أقدم مهنة عرفها التاريخ للنساء. وكذلك الحال في الغِنَى، وهو قد يعنى عند الكثيرين أن يفعل الموسر مايحب ويشاء، والجنس شريك الغِنَى الذي لايفارقه، وهما متلازمان، فالجنس يحتاج للمال، والغِنَى تترتب عليه المتعة الجنسية. **والبغاء** قد يدفع إليه الفقر، ولكن **الاشتياع الجنسي promiscuity** يحث عليه الغِنَى. والتاريخ الجنسي للجانحة البغي والجانح المشتاع يثبت أن كليهما قد مارس الجنس مبكرا. ونحن نعرف من الدراسات النفسية أن من التصورات التي تأتي البنات كثيرا في المراهقة أنهن يتخيلن أنفسهن يُغتَصَبْن أو يُغررّ بهن، وقد يتصورن أنهن أصبحن بغايا. **وفانتازيا البغاء** أمر شائع ويناسب التكوين الماسوشي للبنات، وقد تتحقق هذه التصورات فعلا، ويعالجها الكثير من **القصص الأدبي**، ومنه رواية **«الطريق إلى الهند»** لفورستر. ومن التحققات الجنسية لتصورات المراهقة أن تقع البنت ضحية امرأة أكبر سنا تكون منها في منزلة الأم، ثم تُغرِيها على البغاء أوتجبرها عليه. وبعض البنات يحترفن البغاء اعتقادا أنهن يضحين بأنفسهن من أجل تربية إخوتهن أو علاج الأبوين، وكأن البغاء وسيلة تكسّب يوافق عليها الأنا الأعلى. ولربما تصوغ البنت أناها الأعلى وفق تصور مغلوط أن أمها تمارس البغاء سراً، ومن ثم فقد تحاكيها. ولربما تنفر البنت أن تتعين بأمها

التى تفنى نفسها فى خدمة البيت وأولادها وتعيش فى مسغبة، ومن ثم تنشأ النزاعات بينها وبين الأب، فتترك البيت ويبدأ سقوطها منذ ذلك الحين. وللعلاقات الدينامية فى الأسرة الدور الأكبر فى توجيه البنات ناحية البغاء والاشتياع الجنسى، فقد يلتصق الأب بابنته ويوقظ فيها أنوثتها، فإذا جاء البلوغ انصرف عنها. وتعانى البنت من الصدمة العاطفية وتنتابها صراعات، وتعتبر أباها قد خانها، فتحب من بعد أن تمثّل دور الخائنة مع الرجال. ولربما يكون الأب متشددا مع الأم التى تظهر الخنوع، فتنمّى الاتجاهات الماسوشية عند ابنتها، وقد تؤدى بها هذه الاتجاهات إلى البغاء. وهناك الكثير من الفتيات يمارسن البغاء أو الشيوعية الجنسية كنوع من التمرّد على الأخلاق والسلطة، والتحدى لرموزهما ومؤسساتهما. والكثير منهن يعانين من قصور فهم وتدنّى فى الذكاء، أو أنهن يعانين من اندفاع وغلبة الهوى على العقل. والكثير قد يرى فى نظام الزواج حطًا من قدرهن كإناث، وعبودية لاموجب لها، وانصياعاً بيولوجيا واجتماعيا ليس له مايبرره ويكافئاً عليه. والكثير منهن قد ترى فى البغاء والاشتياع طريقين لإذلال الذكور عن طريق الجنس.

والجنس فى المراهقة وعند الجانحين قد يظهر على شكل انحرافات خطيرة، أو أقل خطورة، ومن ذلك **السرقة**. والجانح إذ يسرق، وخاصة إذا لم تكن به حاجة أصلا للسرقة، يعطيه هذا الفعل لذة وتهيجاً جنسيا، حتى أنه قد تبين أنه عقب السرقة يتوجه الجانح إلى البغايا أو الكباريهات، أو يُسلِم نفسه لتعاطى المخدرات أوالكحول. والسرقة فيها **اغتصاب**، ومايستشعره المغتصب إذ يغتصب فتاة يستشعره الجانح وهو يستغفل أصحاب المحلات ويسطو على البضائع البسيطة، أو على البنوك «ويفتح» الخزائن، والفتح هنا كما فى الفتح هناك عمل جنسى، وفيه إهاجة وربما إشباع جنسى. **وسرقة السيارات** بالذات فيها إهاجة جنسية شديدة، نظراً لما بين السيارة والمرأة من تشابه رمزى، وركوب السيارة كالجماع حيث يعتلى الجانح السيارة أو المرأة، والانطلاق بالسيارة يرمز العملية الجنسية، والوقوف بها فجأة بعد سرعة كبيرة كالإنعاظ. وقد يحب المراهق أن يتسلّح للسرقة أو للعدوان. ويتفنن المراهقون فى تزيين السلاح بالرسوم. والسلاح يعطيه لذة جنسية فائقة. والسلاح من **الرموز الجنسية المعروفة** سواء فى الأحلام أو فى اليقظة. وهو فى الحلم يرمز للقضيب، وفى اليقظة يرمز للذكورة والقدرة الجنسية. وثمة فعل من أفعال المراهقة الجانحة يعبر به الجانحون عن قدرتهم الجنسية **وهو إشعال الحرائق**. ويحب الأطفال أن يروا الحرائق وأن

يشعلوها، ولكن المراهقين قد يتملكهم بها هوس. **وهوس إشعال الحرائق** مثل هوس السرقة، كلاهما فعل جنسي وإن بدا أن المقصود به التدمير أو السرقة. ونحن نشبّه الجنس عندما يحتدم بنا فنقول إن له ناراً، ونقول إن نار الحب تأكله. وأيضا نقول إن البنت سرقت قلبه أو عقله. ومن التهيج الجنسي في إشعال الحرائق وفي السرقة أن المراهق يحس وقتها أو بعدها مباشرة برغبة في **التبول**. والبول أو الماء صنو النار، وهو يطفئها، والبول أو الماء رمز للمَني، ونحن نقول عن المني إنه **ماء الرجل**، والتبول عقب السرقة كأنه إمناء أو بديل مؤقت للإمناء، والتبول عقب إشعال الحريق تستدعيه النار وبديل عن الإمناء. وفي الحالات الشديدة قد يستمنى الولد وهو يرى الحريق مُضْرَماً، وفي هوس السرقة قد يلقى السارق بما سرق وكأنه يقذف بالمني في نهاية الجماع.

ومن المألوف في المراهقة هذه **الغلمة للتبول عند الأولاد**، وهم يتهيجون عندالتبوّل والتغوّط، وبعض الأولاد يمنُون، أي ينزل منهم مَذيً بعد التبول والتغوط، ويشاهد بهم انتصاب ملحوظ. وربما كان ذلك من مخلفات المرحلة الشرجية، ولربما تأخذ غُلمة التبول أو التغوط شكل **غلمة لفظية**، تكون الألفاظ المستخدمة فيها ألفاظاً فيها الفَرْج والإلية والقضيب، والخراء، والجماع في الشرج، وجماع الأمهات، أو المقذع من السباب، وكأن هذه الألفاظ فعلا نوع من التبرز أو التبول له وقع مؤذ كريه على السامع، ولكنه يلذ للقائل، ويحب أن يرى أثره على وجه السامع. ويتعلم الولد من أقرانه السباب بالأم وبالأب وبالألفاظ الجنسية والشرجية. ويحب الأولاد كثيرا أن يسبّوا البنات بها، وسباب البنات بها له غاية الاستعراء، وهو مفاجأة البنت ومشاهدة حيائها وخجلها، واستشعار الذكورة لذلك. وشبيه بذلك **شد شعر البنات أو قطع خصلة أو جديلة منه**. وفي المراهقة تكون التسريحة المفضلة للتلميذات هي إرسال الشعر في خصلتين أو جديلتين، ومن المألوف أن يتقدم المراهق بمقص، ويقص جديلة البنت ويولى الأدبار. ومفاجأة البنت والفزع الذي تبديه زميلاتها يهيج الولد ويشعره بذكورته. وربما كانت هذه الطريقة التي يستطيع بها مواجهة الجنس الآخر، بسبب نقص جنسي نفسي أو عيب خِلْقي فيه يمنعه من مواجهتهن اجتماعيا. وربما كانت الجديلة عنده تمثل فيتيش أي أثراً جنسيا، وإذا كان الولد مغرما بجمْع هذه الجدائل، ولديه منها الكثير، فلابد أنه يعاني من الفيتشية، وإلا فإن **قطع الجدائل** braid-cutting أو **شد الشعر** hair-pulling من أعمال العنف الجنسي، التي

بها ينقل الولد خوفه هو نفسه من الخصاء إذا اتصل بالبنات، على وهم أن الخصاء فى البنات مُعْدٍ وقد ينتقل إليه بالاتصال بهن، فيسبق الولد بالاعتداء على البنت، بأن يقص جديلتها، وكأنه بذلك يخصيها هى قبل أن تخصيه هو، وينقل إليها خوفه من الإخصاء. والشعر رمز للقدرة الجنسية، سواء فى البنت، أو فى الولد، ونعلم من قصة **شمشون ودليلة**، أنها لما اكتشفت قوته فى شعره قصّته فزالت عنه ذكورته ولم تعاوده إلا بعد أن طال شعره. والولد الذى يقص الجديلة يقوم لاشعوريا بإزالة أنوثة البنت أى يقوم بإخصائها. وفى **رواية رجال وفئران لچون شتاينبك** يجعل البطل يهوىَ الشعر ويتحسسه كبديل للعادة السرّية، وهو فى أول المراهقة يكتشف أن الشَعر فى الحيوان يعطيه الإحساس الشَبقى، والشعر كخاصة جنسية ثانوية يرمز للمرأة، وإذ لا يستطيع أن يواجه النساء فإنه يواجه الحيوان المُشعِر، وكثيراً ما يستعيض المراهقون والمراهقات بالحيوانات عن الممارسة الجنسية الغيرية، أو حتى المِثلية، **وغُلْمة الحيوان bestiality** من ظواهر المراهقة الجانحة، وأكثر ما تكون بين المراهق وكَلْبة يقتنيها، أو بين المراهقة وكلب عندها. والكثير من الأولاد يحبون كلابهم حبا شبقيا، فيؤثر الولد الكلب الذكر كما تؤثر البنت الكلبة الأنثى، ويتعين أو تتعين بالكلب، ولكن القلة تجنح وتعاشر الكلاب معاشرة جنسية. وفى الريف قد يتوجه الجُناح الجنسى للمراهق لحيوان مثل البقرة أو الجاموسة أو الحمارة أو الفرسة أو العنزة بحسب ما يتيسّر له. والكثير من الأولاد يحبون أن يُمنوا كلابهم بأيديهم. وكذلك قد تُمنى البنت كلبها، وقد تعلمه أن يلعق فرجها، وقد تجامعه. وقد يشبع الولد جنسيا بالربْت على فرج أنثى الحيوان. وهذا **الربْت أو الحك** من السلوك الجنسى الجانح فى المراهقة، وإذا كان المراهق يمارسه أحيانا مع الحيوان وخاصة فى الريف، فإنه يمارسه أكثرَ مع الناس. **والحك أو الدقر frottage** كما هو اسمه، يأتيه الأولاد مع الأولاد ومع البنات على السواء، وهو أن يقف المراهق خلف المراهق، أو خلف الأنثى، ويحتك بها بشدة فينتصب، ويدقر قضيبه فى مؤخرتها. وفى الرقص الغربى يدقر المراقص قضيبه بين فخذَى المراقصة، وذلك أكثر ما كانت تعترض عليه المراهقات عندما يبدأن فى تعلم الفالس **(Reinhart : Sex perversions and Sex Crimes).**

❋ ❋ ❋

الفصــل التاسع عشــر

انتحار المحبين Suicide of Lovers

كثيرا ما يحاول النساء والرجال الانتحار بسبب المشاكل العاطفية أو الجنسية، وتدل الإحصائيات على أن **محاولات الانتحار بين النساء أعلى** منها بين الرجال، ولكن نسبة ما يتحقق منها بالفعل أعلى بين الرجال منها بين النساء.

والانتحار ظاهرة حضارية شاعت في البلدان التي أخذت بأسباب الحضارة، وهو سلوك مُعْدٍ يقلده البعض، والبعض يرى نفسه في المنتحر وقد ينهج على نهجه ويكرر ما يسمعه أو يراه من منتحر. وبعض الناس لهم من مَلَكة التصور بحيث يرون الأمور، ويعايشونها في نفس الوقت بوجداناتهم وعقولهم ومشاعرهم، فيضفون عليها، ويزيدها خيالهم، وتأسرهم حكايات المنتحرين فيفعلون فعلهم. وليس هناك أكثر ما يثير الناس من **حكايات الحب والغرام**، وفي هذه الحكايات تكاد القاعدة أن يحب أحد الناس إحدى البنات أو النساء، ولكن هذه البنت أو المرأة تحب رجلا، يحب بدوره أخرى لا تبادله الحب. وقد يتبادل اثنان الحب ولكنه ليس الحب الرومانسي الذي كان في الزمن الخالي، وسرعان ما يدخله الملل أو يصيب المحبين بالإحباط واليأس. ولقد ثبت أن المنتحر لا ينتحر **بسبب الحب** إلا لأنه أصلا **شخصية درامية**، فلا هو يعيش إذا عاش كما يعيش الناس، ولا هو يموت إذا حان حينه ميتة الآخرين. ولابد أن المنتحر الذي يموت يأسا من الحب أو سُقْما، به ميل أصلا لأن يقدّم الانتحار على الحياة. ومن رأى **فرويد** أن كل كائن حَي به صراع أبدي بين الحياة والموت، والبقاء والفناء، وتغلب إرادة الحياة على إرادة الموت عند البعض، وهؤلاء هم المتفائلون، وتغلب إرادة الموت على إرادة الحياة عند البعض الآخر، **وهؤلاء هم المتشائمون**. ومن الناس من يكون اكتئابه **صريحا**، ومنهم من يكون اكتئابه **كامنا**، فلا يظهر على السطح، ويداريه بالمرح الزائد. والحياة كمبدأ يقابلها الموت كمبدأ، ومبدأ الحياة يحكم الحياة من الطفولة إلى ما بعد سن الشباب، ولكن **مبدأ الموت** يبدأ يحكم الحياة من بعد ذلك، ولذلك فإن **الانتحار يزيد في المراهقة** عنه في الطفولة، **وفي النضج** عنه في المراهقة، **وفي السن التالية** عنه في النضج. ويعمل مبدأ الحياة أو غريزة الحياة التي يطلق عليها فرويد اسم **الإيروس eros** أو الحب، على التأليف بين الأشياء. ويتضمن الإيروس حب الذات، وحب الغير، ويحوي الغريزة الجنسية التي تؤدي الى بقاء النوع. وأما مبدأ أو **غريزة**

الموت thanatos أو التدمير فإنها تعمل على هدم الأشياء، وإعادة الكائنات الحية إلى حالة العدم. **وغريزة الموت** تكون بالأفراد فتتجه بهم إلى **خارجهم** فيكونون عدوانيين ويلجئون إلى تحطيم الغير، وقد تتجه بهم إلى **داخلهم** فيكون تحطيمهم لأنفسهم ولجوءهم إلى الانتحار.

والانتحار فى **قصص الحب** قد يكون عن إدبار حقيقى عن الدنيا، ويستهدى ميول المنتحر فيموت يأسا وكمدا. وقيل أن **المنتحر** غالبا ما تكون لديه **سوابق اكتئاب وتفكير فى الانتحار** من طفولته. وقد يكون انتحاره **بطوليا**، يرضى به فكرته المتسامية عن **نفسه**. ويجعل لنفسه لدى الحبيبة صورة يحب أن تكون له عندها. وفى الحب يتراوح **الجانبان السادى والماسوشى**، والمحب الذى يقتل نفسه يمارس الاتجاهين معا، وهو يجرّب القتل ويقوم فى نفس الوقت بتطبيق ذلك على نفسه. **والمحب البطل**، لأنه لا يحقق حبه، يتمنى موت محبوبه، ونفسه والمحبوب فى منزلة واحدة، ونحن عندما نريد أن نعبّر عن **صيغة منتهى الحب** للمحبوب نقول إننا نحبه كأنفسنا، ولكن المحب ينزع من هذه الصيغة **كاف التشبيه** لتصبح إننا نحب أنفسنا. ثم إن المحب يتوجه بتأثير الفشل والعجز والإحباط إلى التفكير فى قتل المحبوب، ثم فى قتل نفسه وكأنه يقتل المحبوب. ويختار المحب البطل الطريقة التى يموت بها وترضى خياله الجامح ويلفت بها تفكير محبوبته، بحسب ما يريدها أن تقول عنه بعد موته. والمنتحر البطل ينتقل فى تفكيره عبر مراتب الوجود، من مرتبة التفكير فى الآخرين، إلى مرتبة التفكير فى نفسه، ومن مرتبة التفكير إلى مرتبة المعايشة، وهو يعيش الفكر الذى يعتمل فيه، وعندما ييأس من الحب فإن يأسه ينسحب من الوجود برمته، **وانتحاره البطولى هو أعلى مراتب التفكير الوجودى كما يقول شوبنهاور**، ولذلك كان هذا الضرب من الانتحار **خاصة الفنانين والفلاسفة**.

والانتحار فى عرف فيلسوف مثل **إميل دور كايم** قد يدفع إليه الغير، أو يأتيه الفرد من تلقاء نفسه، أو يكون بتأثير فقدان المحبوب الذى هو بمثابة نفسه. والانتحار الغيرى al-truistic قد توحى به المحبوبة تلميحاً أو تصريحا، أو يكون تقليدا فى مجتمع يكثر فيه أن ينتحر المحبوب. وفى **الهند** يوجد تقليد يسمى **«سوتى»**، يطلب فيه المجتمع من المرأة التى يتوفى عنها زوجها أن تحرق نفسها مع جثة زوجها المتوفى. وكان قدماء المصريين يختارون فتاة من جميلات العائلات الكبيرة لتلقى بنفسها فى النيل فى الاحتفال بوفائه. وفى قصة

روميو وچولييت يطلب الراهب من چولييت أن تجرب ترياق السمّ، كوسيلة للخلاص من اضطهاد أهلها والهرب مع روميو.

والانتحار الذى يُدَفع إليه الشخص من تلقاء نفسه يسميه **دوركايم انتحاراً ذاتياً** ago-istic، والمنتحر فيه لا يستهدى أفكار الآخرين، ولكن فكرة الانتحار تأتيه من داخله، والانتحار الذى يأتيه يستهدف به إنزال العقاب بنفسه، ربما لأنه فشل أن يفوز بحبيبته، أو عجز فى الحب، أو فشل فى الزواج، أو لأنها خانته وهو يلوم نفسه على خيانتها، وتكون إدانته لنفسه من الشدة بحيث يقضى على نفسه بالإعدام.

والانتحار بسبب فقدان عزيز anomic **كانتحار كليوباترا**، فبعد أن يموت **مارك أنطونيو** تنعى كليوباترا حظها وتبكى حبها الذى كان، وتجلس إلى جثة حبيبها يعتصرها الألم، فلا تجد الخلاص منه إلا بأن تلقَى مصير حبيبها، وتخطو الخطوة التى تنقلها من عالم الأحياء إلى عالم الأموات، وكأن فقْد المحبوب يجعل المنتحر وكأنه لم تعد له بالحياة روابط، وكأنه كان يعيش من أجله، فلما فقده لم يعد لبقائه فى الحياة مبرر.

وكان **فرويد** يقول إن التحليل النفسى استطاع أن يحلّ لغز انتحار المحبين، بدعوى أنه ما من أحد له القدرة المعنوية على أن يزهق روحه، ويقتل نفسه، ويوقف غريزة الحياة فيه، إلا لأنه يعرف أو يشعر أنه بذلك يقتل فى نفسه جزءاً لا يمتّ إليه أصلا بصلة، ولكنه استدخله فى نفسه وصار جزءا منها، وهذا الجزء هو **محبوبته**، فهو من فرط حبه لها ومحاولاته احتواءها يتمثلها فيه، **وفرويد** يريد أن يقول أن الشخص الذى يقتل نفسه، لا يتوجه على الحقيقة بهذا القتل إلى نفسه بقدر ما يتوجه به إلى الآخر الذى تَمثّله فيه واستدمجه بحيث صار هو ونفسه واحدا، أو بمعنى آخر أن انتحار المنتحر هو بمثابة تمَنّى الموت للآخر، ولكنه يحقق الأمنية على نفسه، وكأن المنتحر إذ يغضبه انصراف محبوبته عنه، أو خيانتها له، أو عجزه عن التوافق معها، يتوجه بغضبه إلى داخله أولاً ولا يعبر عنه خارجيا، ولكنه إذ يغضب داخلياً يتوجه غضبه إلى نفسه باعتبارها المحبوبة. ويرى **فرويد** أن الدوافع العدوانية التى تعتمل فى المنتحر مصدرها **ثانانوس غريزة الموت أو التدمير**. ويذهب الوجوديون وأخصّهم **ميلجز** نفس الوجهة، ويقولون إن الانتحار يمثل انتصار الجوانب التدميرية فى الإنسان المنتحر على جوانبه البنّاءة. ومن رأى الوجوديين أن الرغبة فى أن نعيش تتوقف على مشاعر تقدير الذات عند الأنا الأعلى، فإذا نقصت هذه

المشاعر لسبب من الأسباب، فإن الشخص ينكص إلى الطفولة، ويصير وحيدا مهجورا يعانى من الجوع العاطفى، وتحتدم به رغبات الطفل المهجور من أمه- أمه التى استدمجها فيه وتمثّلها فى ذاته، ولكنها تهجره فيكرهها ويتمنى لو تموت. والمنتحر وهو يقتل نفسه يحقق لها هذه الرغبة أو الأمنية: بأن يعدم محبوبته فى نفسه بعد أن صارت جزءا مُستَدخلاً فى نفسه وفى أناه الأعلى. ومن رأى **فرويد وعلماء النفس الوجوديين** أن فقد المحبوبة، سواء فى الطفولة أو فى النضج والرجولة، له دوره الحاسم فى دفع الشخص إلى الانتحار. والطفل يتعلم من صغره أن أمه كلما هجرته تألّم، ويواطن نفسه على أن يدفع عن نفسه ألم الهجر والانفصال. وهو يبكى فى كل مرة ولكنه يطامن من ألمه ويتعلم أن يحتمله، ويكبر ويظل معه توقع الهجر من احبائه، وهو فى كل مرة يهجرونه يطوّر دفاعاته ضد ألم الهجر، ولكنه فى المرة التى تهجره فيها محبوبته لا يقوى على دفع ألم هَجرها وتنهار دفاعاته، ويعيد إليه الفراق ألم الماضى الذى عاناه بانفصال أمه عنه، أو بانفصال الشخصيات ذات المعنى فى حياته. ومثل هذا الشخص يعانى كثيراً من خيانة أحبائه وغدرهم به وهجرهم له على الحقيقة أو توهماً. وهو فى كل مرة تكون له علاقة حميمة بشخص، يتوجس ريبة من هذه العلاقة، ويسأل نفسه متى سينهيها الآخر، ويتوقع انتهاءها. وتتربى لدى مثله ما يشبه **الحاسة الباطنة**، كأنها ساعة زمنية داخلية تنبهه إلى نهاية العلاقة بزمن، وتحذره من الانفصال المتوقع، ولذلك فأمثاله ينتحرون غالبا فى **تواريخ معينة** تعود بهم إلى ذكريات عزيزة، كأن ينتحر المنتحر فى عيد ميلاده، أو عيد زواجه من زوجته التى توفيت، أو ذكرى لقائه بحبيبته التى تزوجت بآخر، ويطلق البعض على هذا النوع من الانتحار اسم **الانتحار التاريخى** **anniversary suicide** .

وأما **المدرسة السلوكية**: فتفسر انتحار المحبين بأن المحب إذ ييأس من محبوبته، فإنه يلجأ إلى الانتحار كسلوك لم يجرّبه من قبل، ولكنه يمكن أن يجد له نتيجة لن تتحقق له إذا استمر على موقفه اليائس. **والسلوك الانتحارى هو** السلوك الوحيد المتاح لإنسان نضب معين حيَلِه، ولم يعد بوسعه أن يجرّب طريقة أخرى مع محبوبة استنفد معها كل الطرق، وهو ينتحر لعله يصيبها بالحسرة والندم على انتحاره، وانتحاره بمثابة **العقاب** ينزله بها، ومن ثم فهو سلوك مفيد.

والمدرسة الإنسانية تذهب إلى أن المنتحر إنما يقدم على الانتحار لأن موقفه الوجدانى

ينعكس على موقفه من الحياة برمتها وينسحب عليه، وهو إذ يرى الخواء فى علاقته بمحبوبته ينتقل إحساسه الهدمى إلى العالم حوله، ولا يعود يرى لحياته معنى، ويُزهق روحه لهذا السبب، طالما أنه فى يوم من الأيام سيموت حتما، فليكن الآن أفضل من الغد الذى سيأتى بالمزيد من الإحباط والفشل.

والأطفال يمكن أن يقوموا بالانتحار. والطفل **دون العاشرة** لا يعرف حقيقة الموت ويرتبط عنده بموت شخص معين، ولكنه **بعد العاشرة** يدرك أن الموت يعنى توقف الحياة فى الجسد، وأن الجميع ميتون. **والأطفال لذلك لا ينتحرون إلا بعد العاشرة**. ويصف **«توماس هاردى»** وصفاً بارعاً فى روايته **«تيس Tess»** كيف قتل ابنها نفسه وإخوته الصغار شنقا. والأطفال ينتحرون بسبب الحرمان من الحب والعطف والحنان، ولأنهم يعانون نتيجة شجار الأبوين أو انفصالهما، وزواج كل واحد منهما، وضغوط البيت التى تترتب على انشغال كل من الأم والأب بنفسه، أو إدمان الأب على المخدرات أو الخمر. والطفل الذى ينتحر إنما يفعل ذلك كرد فعل لموقف أمه النابذة. وانتحار الأطفال يكون بتناول المسكنات أو السموم، وكذلك تفعل البنات والنساء، إلا أن الأطفال الذكور والرجال يختارون ميتات أعنف بالأسلحة النارية، والأدوات الحادة كالشفرات والمطاوى، أو بإلقاء أنفسهم من حالق أو من فوق جسور الأنهار. وتبلغ نسبة الانتحار بسبب مشاكل الحب عند الكبار **نحو ٣٠٪** من حوادث الانتحار كلها، وتبلغ نسبة الانتحار بسبب الحرمان العاطفى **٢٥٪**.

والمنتحر الذى ينتحر لأسباب عاطفية **يكتئب** قبل الانتحار بمدة، وقد يجرّب أن يكتب مذكرات يشكو فيها لواعجه أو أحزانه لفراق حبيبته أو زوجته، أو ربما أمه، ويهزل ويمرض ويجافيه النوم. وهزاله ومرضه ربما عقاب يُنزله بنفسه نتيجه الرغبات المحمومة التى تحتدم به، ويفكر أن يقتل حبيبته أو حتى أمه التى يحبها، وربما تكون به رغبات تجاه أمه يدرك أنها ممنوعة ويكره نفسه بسببها. ويستوى **الطفل المنتحر مع البالغ المنتحر** من حيث أهدافهما من الانتحار، فلربما ينتحر أيهما هرباً من المواقف العاطفية الضاغطة التى لا يحتملها، أو مناورةً لاستجلاب عطف الآخرين أو إرغامهم على منحه حبا حرموه منه، أو قد يرقى عنده الانتحار إلى أن يكون معادلاً للاتحاد بمحبوب لا أمل فى [illegible] فى الحياة. ويروى أن **«فون كلايست»** الشاعر الألمانى، انتحر فى الرابعة والثلاثين عند قبر حبيبته، ويكتب أنه قد فعل ذلك أملا فى لقاءٍ عاجل فى السماء. وبذلك يضع الانتحار المفجع نهاية

رومانسية لقصة حب مثالي غير متكافئ غالبا، أو نهاية نرجسية يتحقق للمنتحر بها إشباع رغبات ماسوشية مستعرة فيه.

ويقول علماء النفس بأن هناك **سلوكا انتحاريا**، يلجأ إليه البعض كبديل عن الانتحار الصريح، فعندما تُلّح المشاكل العاطفية وتستبد بالشخص، فقد يبدأ بارتكاب أخطاء من شأنها أن تعرّض حياته للخطر، كأن يكون عاملا أمام ماكينة فينسى نفسه بحيث تقطع الماكينة إصبعا أو ذراعا له، ورغم أن هذا الفعل منه يبدو كما لو كان لا دخل له فيه، إلا أنه في الواقع يصدر عن دافع داخلي لتدمير نفسه. وقد يتصرف الفاشل في الحب مثلا بحيث إذا استخدم سكينا، أو تناول شفرة، فإنه يجرح نفسه، وقد يتصرف بحيث يجعل السيارات تصدمه، أو يجعل من نفسه مغفلا فيغرر به الناس فيستحق اللوم ويلحقه العار.

والسلوك الانتحاري، سواء كان محاولة صريحة للانتحار، أو تصرفا معادلا، قد يأتيه الطفل أو البالغ عن **شعور بالوحدة**، وما يستحدثه فيه **الجوع العاطفي**. وقد ينتحر الطفل في **مناسبة سعيدة** كعيد الأم، لأنه قد حرم أمه، فيستجيب للمناسبة بالانتحار. وقد يتوهم الطفل أنه لو كانت أمه حية ترزق لكان أسعد حالا، فيطلب أن يرتحل إليها ويريد الموت ليجمعه بها. وقيل في تفسير هذه الحالة أنها **أعراض فصامية خاصة** إذا كانت محاولة الانتحار استجابة لهلوسات سمعية، تأمر الصغير بالذهاب إلى أمه المتوفاة في السماء أو ما شابه ذلك.

وقد يلجأ المراهق أو الطفل للانتحار **ثأراً** من أبويه، **وعقاباً** لهما بالقلق عليه، وقد يكون الانتحار **عقابا** يوقعه بنفسه وكان المقصود به الأبوين، وربما تكون محاولة الانتحار بمثابه **رسالة احتجاج** فحواها أنكما تخليتما عني ونبذتماني وهأنذا أتخلى بدوري عنكما وأنبذكما. وقد يكون أحد الأبوين له تاريخ في الانتحار، فيتعين الطفل به، ويقبل على الانتحار تخلصاً من قلق يستبد به، مخافة أن ينجح هذا الأب أو هذه الأم في محاولة انتحاره أو انتحارها فيفقده أو يفقدها. وقد يلجأ **الأطفال المخنثون** إلى التخلص من انحرافهم بالانتحار.

ونسبة الانتحار عند الكبار كنسبة واحد إلى عشرة آلاف، وتزيد نسبة **انتحار النساء** في العقد الثالث، وترتفع في **سن اليأس** أي بين الأربعين والخامسة والخمسين. ويزيد الانتحار عند **المطلقين والمطلقات**. وقد يقبل **المنحرفون جنسيا** على الانتحار إذا تسبب انحرافهم في مشاكل عائلية ووظيفية ومشاكل مع الشرطة والناس.

وقيل إن الكثير من انتحار المحبين بسبب **التقليد**، كأن يوجد **جسر مشهور** يلقون بأنفسهم من فوقه، فيوحي لهم بفكرة الانتحار إذا يئسوا من الحب، فيقلدون من سبقهم إليه. وقد يكون هناك من سبق المنتحر إلى الانتحار من عائلته أو معارفه فى حالات كحالته، فيتعين المنتحر به ويقلّده. وقد يكون التقليد عاما كحالات الانتحار الجماعى، ونذكر منها حالة **مانسون** والمجموعة التى تابعته من الذكور والإناث. وقد تسنّى تحليل خطابات الكثير من المنتحرين وصنّفت بحسب أسبابها، فكان منها ما أمكن ردّه إلى الشعور بالوحدة، والجوع العاطفى، وفقد الزوجة أو الزوج، أو المعاناة الصحية كالعجز الجنسى، والخوف من المستقبل بعد وفاة الزوجة أو الزوج. وقد يكون هناك ضغط نفسى على المنتحر ليفقد صوابه ويلجأ إلى الانتحار، وفى **مسرحية الأب لسترندنبرج** تشكك الزوجة زوجها فى ابنتهما، وتحاصره بالوساوس حتى ينهار وينتحر. ويوصف هذا النوع بأنه **قتل نفسى psychic homicide**. وقد يحدث فى بعض المواقف فى القتل العادى أن يستثير الضحية المجرم لقتله، كأن تعطى الزوجة زوجها السكين ليقتلها فى تحدٍّ ظاهر، فيفعل ذلك على الحقيقة. ويحلل بعضهم موقف الزوجة بأنه **سلوك استثارى** تغيظ به زوجها وتستعديه عليهما وكأنها تطلب به أن تنتحر. وقد يلجأ الزوج المطعون فى كرامته، أو شرفه، أو حبه إلى أن يضرب نفسه بالسكين فى مواضع غير القلب، بقصد إيذاء نفسه وليس قتلها، وذلك أيضا ضرب من السلوك الانتحارى. ومن الخطأ الشائع أن يقال إن الانتحار لا يمكن التنبؤ به، وأن المنتحر يفاجئ أهله بالانتحار، ففى ٧٠٪ من حالات الانتحار تكون للمنتحر الهيئة والكلام الذى ينُبئ بإقدامه على الانتحار. ويكاد يكون هناك إجماع على أن **فترة احتضان الانتحار** قد تمتد إلى نحو ثلاثة شهور. وفى الحالات التى نبحث فيها من حيث علاقة الجنس بالانتحار، فإن المنتحر لأسباب جنسية قد يُكثر من ترديد عبارات كهذه «وما فائدة العيش بعدها» «وهل بعد ما فعلته معى يمكن أن أواجه الناس» «أى عار فيما فعلته! هكذا هكذا!! تجلبين على العار!». فإذا استقر على الانتحار فإن المنتحر يعتزل أهله والناس، ويبدو عليه السهوم والتفكير الشديد، ويقل طعامه وينام نوما عميقا، ويتصرف كما لو كان يعد نفسه لرحلة طويلة، وقد يسلّم على الناس ويشكرهم لمعاملتهم الطيبة ويطلب اليهم أن يسامحوه، وقد يُكثر من زيارة قبر محبوبته أو أمه، وقد يصلّى فى استغراق، وقد يكتب رسالة. وينبئ كل ما يكتبه المنتحرون قبل إقدامهم على الانتحار بما سيفعلونه. وبتحليل ما يكتبونه نستخلص للوهلة الأولى **اليأس الكامل**، وأن الانتحار هو الحل الوحيد لمشاكلهم، غير أنه فى

الحالات العاطفية للانتحار فإنه قد يتبين أن نحو ٥٠٪ فقط تنعقد نيتهم على الانتحار، إلا أن نحو ثلثي المنتحرين لا يرغبون فيه فعلا، ولكنهم يحاولونه كتهديد لأهلهم وذويهم وأصدقائهم، وأكثر ما يكون ذلك عند النساء، فما أسهل أن تُقدم امرأة على تهديد من تحب بالانتحار، غير أن الأمور يمكن أن لا تسير كما تهوىَ، ويؤخذ من حالة سميرة مليان التى أقدمت على الانتحار فى شقة الملحن بليغ حمدي، والتى اشتهرت حادثتها، أنها ما كانت تريد الانتحار فعلا، ولكنها كانت تهدد به فانقلب جَداً. وكانت زوجة الكاتب الروسى الأكبر تولستوى تهدده يوميا بالانتحار، ولم تكن تتهيأ لها الظروف التى تجرّب فيها ما تهدد به.

والعلاج النفسى للحالات التى يصرّ أصحابها على الانتجار لأسباب عاطفية، يكون بطمأنة الشخص ومساعدته عاطفيا، وتجنيبه كل ما يمكن أن يفهم منه عدم فهم المحيطين به لمشكلته وعدم تعاطفهم معه. ويقوم العلاج السلوكى لهذه الحالات بمحاولة مساعدة الشخص على فهم مشكلته وأن يتحقق من أن الانتحار لا يحلها، ولكن حلها يكون بسلوك آخر يختاره بنفسه كسلوك هادف وله فائدة ونتيجة. ويتوجه العلاج الوجودى إلى محاولة أن يتوصل الشخص إلى معنى جديد لحياته، بظروفه الجديدة، فيجرب من جديد، ويحاول باستمرار.

وكان برتراند رسل يقول إن الجنس لازم لحياة كل منا لزوم الطعام، وبدون الجنس والعواطف قد يستطيع الإنسان أن يعيش الحرمان، ولكن لا يمكن إلا أن يكون له مردود سئ على تفكيره وفهمه للحياة، والجوعان جنسيا أو عاطفيا لا يفكر تفكيراً صحيحا أو صحيا، وعنده تهون كل مشكلة إلا مشكلة القلب والفرج، وهو إذ يمنَع عن الجنس، أو يحال بينه وبين أن يعيش حياة جنسية أو عاطفية مشبعة يمكن أن يأتى من التصرفات ما لا يمكن التنبؤ به، ومثلما الجسد له ما يحتاجه من غذاء، فإن الوجدان قد يذبل ويمرض ويصيبة السقام إذا لم يرتوِ عاطفيا. والحب قيمة من أجلّ القيم وأخطرها، وينبغى أن يشملها التعليم بواقعية، ولم يكن تناولها بمثالية إلا سببا لإيراد أصحاب هذا الاتجاه المثالى موارد التهلكة، وإذا تعلّمنا فى بيوتنا ومدارسنا : إن الجنس أخلاقيات، وأن أخلاقيات الجنس أو القيمة الجنسية، ليست إلا واحدة من الأخلاقيات والقيم العديدة فى الحياة، وأن السعادة فى الحياة لا بّد لها من قيم من نوع ما، وليست القيمة الجنسية أو الأخلاقيات العاطفية إلا مجالا من مجالاتها وليست كل المجالات، يقول رسل لوحدث ذلك لأمكن تحاشى الانتحار الذى سببه الجنس أو المشاكل العاطفية. (Russell: Marriage and Morals).

الفصــل العشــرون

التوافق فى الحب والزواج Adjustment in Love & Marriage

التوافق النفسى الجنسى Psycho- sexual Adjustment

التوافق فى الحب أو فى الزواج علاقة موائمة وتكيّف بين الخطيب وخطيبته، أو المحب ومحبوبته، أو الزوج وزوجته، فيستطيع أىٌ من هؤلاء أن يستوفى حاجاته من الآخر ويشبعها، وأن ينهض على ما يطلبه منه الآخر، وأن يواجه الظروف التى تحيط بهما أو تُفرَض عليهما لصالح استمرار علاقة المحبة أو الزواج. وقد تجعله الرغبة فى التوافق يعدّل من سلوكه أحيانا، وقد تمتد محاولات التعديل إلى البيئة نفسها، فيقارب بين إمكاناته وظروف البيئة أو المحيطين به من الأهل والأصدقاء، فإذا نجح فى ذلك فإننا نصفه بأنه إنسان متوافق. والفشل فى تحقيق ما سبق هو **عدم التوافق**، وقد يدفعه عدم التوافق إلى أن يقتل نفسه. وعدم التوافق هو الذى يُكرِه العشاق والمحبين على الانتحار. وقد لا يفشل المحب ولكنه يحقق نجاحاً محدودا، وتظل علاقته بمحبوبته أو بزوجته داخل إطار معين، فلاهى بالمقطوعة ولاهى بالموصولة، وعندئذ نقول إنها علاقة تتسم **بسوء التوافق**. وسوء التوافق فى علاقات الأزواج والمحبين هو المسئول عن الاضطرابات السلوكية التى تجرى بينهم، وقد يصابون منه باضطرابات نفسية لا تجعل تصرفاتهم تبدو سوية.

والزوجان أو المحبان اللذان يعيشان فى توافق نفسى، تجدهما فى نعمة حقيقية وسعادة يحسها كل المحيطين بهم، فلولاً تشعر الزوجة أو الحبيبة أنها تثق فى زوجها أو حبيبها، وأنها فى كَنَفه فى أمان، وبه أو بها يزيد إحساس كل منهم أنه صار أفضل مما كان، وأن احترام الناس قد زاد له، وأن تقديره لنفسه قد كبر، وكفاءته ارتفعت، وأنه قد صار محل اعتزاز ومحبة من الآخرين.

والتوافق فى الحب أو الزواج لا يمكن أن يتأتّى على أساس من المعرفة الخاطئة بالمجتمع أو بالنفس، فقد يحسب المحب أنه متوافق مع محبوبه وذلك بناء على معرفة خاطئه أو مغلوطة بالمحبوب. وقد يترتب على ظن التوافق أن تستنفر الضغوط الواقعة على الطرفين من بعضهما دفاعات الأنا، فيتصدى الأنا لهذه الضغوط أو الشكوك أو الخلافات، باستجابات تحاول أن تستحدث التوافق أو تطيل أمده، ومن ذلك «إنكار» «المحب» للواقع، أو

تجاهل الزوج لما وصلت إليه حالة أسرته، أو « **إغفال**» الزوجة لإهمال زوجها لها، أو «هروب» الزوجة من المشاكل مع زوجها إلى عالم مُتَخيل، وقد تدفن أحزانها وسوء توافقها فى هواية من الماضى كالمطبخ، أو تنصرف تماما إلى التحصيل الدراسى إلى أن تحصل على الدكتوراه مثلا، وقد تهوىَ الثياب، أو قد « **ينكص**» أيهما إلى استجابات من الماضى كانت ناجحة يوما فيكررها الآن مع أنها لا تصلح للمواقف الجديدة، ومن ذلك ما نشاهده مثلا من ترفّع الزوجة على زوجها، وتصرفاتها معه بحيث تشعره أنه كان يوما موظفا صغيرا عند أبيها، برغم أنه الآن صاحب شركة مثلا ومرموق اجتماعيا. وقد «**يكبت**» الزوج رغباته ويلغى أفكاره دون أن يدرى هربا من الواقع.

ومن التوافق بين المحبين والأزواج أن «**يتعين**» الواحد منهما بأهداف الآخر ومعتقداته وتقاليده وأعرافه، ويقوم الحب والزواج الناجح على الفهم المتبادل والتفاهم المستمر. وما من زوجة أو زوج يلجأ إلى الكذب أو أيه حيلة غير سوية إلا لأنه يستشعر أن زواجه فى خطر، ولكنه يستجيب بدفاعات غير سوية لأنه أخفق فى التوافق مع ظروف زواجه. وليس الطلاق إلا وسيلة متطرفة ضد «**الإخفاق فى التعويض**» عن التوافق فى الزواج.

وقد يؤدى «**الإخفاق فى التعويض عن التوافق**» فى الحب أو فى الزواج إلى المغالاة فى التصرفات، حتى ليستحيل الشخص إلى «عصبى»، وكثيرا ما نردّ سوء التصرف والعصبية الظاهرة فى الزوجات أو الأزواج إلى تأثير سوء التوافق فى الزواج أو الحب. وليس أظهر للسمات الخُلُقية للشخص، أو للتداعى النفسى بالاضطرابات الهستيرية أو الاضطرابات النفسية الجسمية، من سوء التوافق فى الحب والزواج. فمثلا قد يتأخر حمل الزوجة، وتحت وطأة الكلام الكثير من أهل الزوج قد تأتيها أعراض الحمل الكاذب، أو تتداعى بأعراض تُشبه الصَرَع، أو تنَسى كثيرا. وقد يؤدى سوء التوافق بالزوج إلى أن تتحول وسائله الدفاعية إلى **دفاعات ذهانية**، فيشكّ فى زوجته وينسب إليها الخيانة. ومثل هذا الزوج يحاول بهذه الطريقة أن يكون له **واقع متوهم** يعوّضه عن الواقع الأصلى، أو يدفع به عما قد تبقّى له من تكامله النفسى. وهو عندما ينسب الخيانة لزوجته يدفع عن نفسه التقصير أو النقص، واعتقاده هذا قد يجعله يشعر أنه كفء، وقد يساعده ذلك على أن يستشعر بعض التكامل. وقد تكبت الزوجة مابنفسها ولاتصرح به إلى أن تنهار تماما وتدفع الثمن من صحتها النفسية.

والإخفاق فى التعويض عن التوافق الذى يُمنَى به الأزواج والمحبون كثيراً قد يصيبهم منه الإنهاك النفسى، حتى أن **الأنا** قد ينفرط تماما بسبب هذا الإنهاك النفسى، فيلجأ المحب إلى اطلاق الرصاص على حبيبته، أو قد تطلق الزوجة الرصاص على نفسها، أو ينتحر الزوج، أو يصاب أيهما بالذهول عمّا حوله وتكون بهذا الذهول نهاية حياته. وليست شكوى الكثير من الزوجات من حالات **الإنهاك النفسى** إلا بسبب التوترات المستمرة مع الزوج. والمريضة **بالنهك العصبى** تحس أنها واهنة وعاجزة عن بذل أقل الجهد، ويؤلمها ظهرها، ويجافيها النوم، وربما كان ذلك لشعورها بأن زوجها يخونها، أو أنه متزوج بأخرى، وانعدام الأمان يترتب عليه العيش فى قلق مستمر.

ومن الاضطرابات التى يمكن أن تصيب الزوجة من جرّاء سوء التوافق مايقال له **ذهان ربة البيت**، وهو حالة تتردى إليها بعض الزوجات نتيجة الفشل فى الحب والزواج، فتفنى نفسها فى البيت، وتظل تعمل فيه من بواكير الصباح حتى النوم دون كلل، وذلك مايوصف بأنه **إفراط فى التعويض عن التوافق**.



الفصـــل الواحــد والعشـــرون

الـــزواج Marriage

مشاكل الزواج والمتزوجين، وشروط الزواج الناجح، وعلاج اضطرابات العلاقة بين الزوجين

يُطلَق الزواج على العلاقة بين الرجل والمرأة، والتى بها يحل للرجل بموجب القوانين والأعراف المُنظمة، أن يَطَأ المرأة ليستولدها، وأن تكون له منها أسرة تترتب فيها حقوق وواجبات تتعلق بالزوجين والأولاد.

والزواج نظام اجتماعى قديم، ورد فى الأديان أن الله قد فَطَر خَلْقه عليه، وبه تستمر الحياة فى الخَـلَف، وله عندنا نحن **العرب** الكثير من التعبيرات فهو **الزواج** وهو «**النكاح**»، وكان الأقدمون يطلقون عليه «**البعولة**» وهو الذى ينشأ بالخِطْبة والمهر والعقد. وكانت هناك أنكحة أخرى عند العرب بخلاف هذا الزواج الشرعى، ومن ذلك «**الاستبضاع**» وهو أن يطلب الرجل من زوجته أن تستبضع من آخر لتعلق منه، وليكون له عن طريقه الولد النجيب أو الشجاع. ونكاح الاستبضاع كان موجودا عند غير العرب من شعوب آسيا وأوروبا، وشبيه به اليوم **التلقيح الصناعى** الذى تمارسه النساء، كعلاج للرغبة فى الولد عندما يكون الرجل عقيما؛ و«**المضامدة**» من الضمد وهو اللف والعضب، وكان العرب القدامى يطلقونه على معاشرة المرأة لغير زوجها، وتلجأ إليه المرأة فى زمن القحط، فيضطر الجوع الرجل إلى أن يطلب من امرأته أن تضامد غنياً تحبس نفسها عليه، لتُغنَى منه بالمال فتعود به إلى زوجها؛ و«**المخادنة**» وهى المصاحبة، وتطلق على معاشرة الجماعة من الرجال لامرأة واحدة، فإذا حملت ووضعت جمعتهم واختارت منهم من تنسب إليه ولدها.

ولقد قيل فى الزواج أنه أرسخ الأنظمة الاجتماعية وأكثرها فائدة للإنسان، إلا أنه يتعرض، وخصوصاً فى هذه الأزمنة، للنقد والرفض، ويتعلّل الرافضون بأنه قيدٌ على الحرية، وأنه ضرب من الرقّ يُستعبد فيه أطرافه بأنواع من القيود والتبعات والمسئوليات. ونحن نعيش بحق زمن الرفض والتمرد، ويصفه علماء الاجتماع بأنه **عصر الأنا the me age**، حيث الواحد لايشغل إلا بنفسه، ومن ثم قالوا عنه إنه **عصر النرجسية**، ويبدو أن هذه الفلسفة مردّها إلى الحروب المتتابعة حتى لقد أصبح الشكّ فى كل شئ هو القاعدة، وتحلّل

الناس من الالتزام لأى شئ سوى أنفسهم، وانتشر الإلحاد بالله وبكل النظم، إلا أن الزواج رغم ذلك استمر، وانحسرت الإباحية وزال غبار التمرد عن **مؤسسة الزواج** كإحدى المؤسسات العتيدة التى تمسك باستقرار المجتمعات.

ومما يجدر التنويه به أن الزواج فى العربية علاقة فريدة بين اثنين، يكشف عنها ضمير المثنى، الذى يكاد يقتصر التعبير به عليها، وللمثنى صيغة عندنا غير صيغة المفرد، وغير صيغة الجمع، ومن ثم قيل إن مستويات الروابط فى اللغة انعكاس للحاجات الأصلية فى الإنسان، فهناك حاجة للتفرد والاستقلال، وهى التى يستلزمها الأنا، والتعبير عنها يكون بضمير المفرد، وحاجة للارتباط بالنوع أو الجماعة، والتعبير عنها بصيغة الجمع، وحاجة خاصة لها شكل العلاقة الحميمة تكون بين ذاتين اثنين، وأعلاها تطوراً هى التى تكون بين الزوجين، ويعبر عنها بالمثنى.

والزواج باتفاق كل علماء النفس والاجتماع هو أكثر الروابط الإنسانية إثراءً للزوجين وللأسرة وللمجتمع، بما يعود على الجميع من مزايا على كافة المستويات النفسية والاجتماعية والإنسانية. إلاّ أنه فى نفس الوقت أكثر هذه الروابط تعقيداً وألزمها للجهود المضنية، لكى ينجح ويؤتى ثماره المرجوّة. وبرغم أن هناك من الدلائل ماقد يوحى بفشل الزواج كنظام اجتماعى، وذلك مانلمسه فى النِسبَ العالية للطلاق فى المجتمعات الراقية حضارياً كالمجتمع الأمريكى، إلاّ أن الدلائل تؤكد أيضاً على أهمية الزواج كمؤسسة ضرورية لصحة المجتمع واستمرار الإنسانية، ونلمس ذلك من ارتفاع نسبة المتزوجين، ففى المجتمع الأمريكى مثلاً يتزوج أكثر من ٩٠٪ من الناس، ومنهم ١٣,٥٪ يتزوجون أكثر من مرة. ولقد ثبت أنّ **المتزوجين أقل الناس إصابة بالاضطرابات النفسية والعقلية**، ونسبة الإصابة بين المتزوجين أقل منها بين العزّاب، وأقل منها أيضا بين المطلّقين، ولعل ذلك مرجعه إلى أن هذه الاضطرابات تُعزَى إلى الوحدة والإجداب العاطفى، وربما لأن هؤلاء الأشخاص المعرضّين للاضطرابات النفسية، تنأىَ بهم اضطراباتهم أو استعداداتهم عن أن تكون لهم حياة عائلية واجتماعية غنيّة وصحية. ولقد ثبت أن **أعلى نسبة للإصابة باضطرابات الشخصية هى التى بين المطلقين من الجنسين**. ويرد بعض العلماء تدنّى مستوى الإصابة بهذه الاضطرابات بين المتزوجين، إلى وجود عوامل نفسية تقى المتزوجين من التداعى بالاضطرابات، وتحفظ عليهم الصحة النفسية. وثبت أنه لا يلجأ إلى الطلاق إلا

الأزواج الذين تفرط فيهم الأنانية، ويندر بهم العطاء، ويميلون إلى الاقتصاد، ولايتشاركون وأزواجهم عاطفيا، وحينئذ قد يستشعر الزوجان أن **الجحيم هو الزواج**، أو أنه معاشرة بالقسر، أو بالضرورة، أو بالاضطرار، وتتحول حياتهما معا إلى ضرب من العذاب النفسى، وقد يصاب الواحد باضطرابات فى القلب، أو صداع، وتأتيه نوبات من الذهول عما حوله وكأنه يعيش فى مصيدة.

وينسب بعض العلماء تصدّع نظام الزواج إلى **النقلة الحضارية** من مجتمع القرية إلى مجتمع المدينة، حيث الزوجان لأول مرة تقع عليهما معا مسئولية إعالة الأسرة اقتصاديا، ويبرز دور الزوجة وقد يغطى على دور الزوج، على عكس ماكان عليه الوضع فى مجتمع القرية، حيث الزوج هو العائل ومن ثم فله القوامة. ويترتب على الحرية الجديدة التى آلت إلى المرأة، أن صارت للأولاد حرية أيضا يمارسونها فى مجتمع أوسع وأكثر تعقيدا، فى وقت يعوزهم فيه النضج. وقد يؤدى إلى تصدّع الأسرة التغييرات الهائلة التى تجرى فى المجتمعات الصناعية المتطورة، والتى تستتبعها تغييرات اقتصادية، وأخرى فى العلاقات الاجتماعية والمفاهيم المتداولة، بحيث تتسع دائما الفجوة بين الأجيال وبين النساء والرجال، ويشق الأمر على الأسرة كفريق متماسك، وهو مايجعل من اللازم وجود مهن جديدة كمهنة **مرشد الزواج**، لتوجيه الزوجين، والنصح لأفراد الأسرة. ولاشك أن التوافق بين الأزواج هو الدعامة للحياة العائلية، وأن المودّة والتراحم أساس كل زواج، وصدق الله العظيم إذ يقول «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة» (الروم ٢١)، وهذه السكينة والمودة والرحمة هى عماد الزواج الصحيح، وهى الأواصر التى تشده بروابط متينة وتتوفر بها كل مقومات الحياة العائلية السليمة. ومن ذلك أن يتشارك الزوجان الخبرات والأفكار والمشاعر، ويتبادلا وجهات النظر، ويبذلا كل جهد لبلوغ الحلول المناسبة لخلافاتهما، ويحترما حاجات كل منهما، ويناقشا خطط المستقبل معا، وتكون لكل منهما مسئولياته ودوره فى حياة الأسرة، ويصلا بالتدريج إلى تفهم مزاج كلٍ واتجاهاته وسلبياته وقصوره، ليستطيعا معا أن يتأقلم الواحد منهما مع الآخر، ويتكيف مع مكونات شخصيته.

ولقد كانت هناك الكثير من **استبيانات الزواج**، أشهرها استبيان «**تيرمان**»، واستبيان «**بيرجس وكوتريل**»، وتكاد كلها تجمع على أن الزواج السعيد تنبئ به ظروف وملابسات فى حياة الزوجين، كأن يكونا قد نشأ الاثنان فى بيت سعيد لأبوين متفاهمين، تقل بينهما

الخلافات، ويخلو جو البيت من المشاحنات ويرتبط الأولاد بالأبوين ويستشعرون منهما الحب والحنان، ويتعلق الأولاد ببعضهم البعض، ويتربون جميعا فى ظل رعاية والدية حاسمة ولكنها ليست قاسية، وفى ظل نظام بيتى ليس فيه قسر أو إجبار، يشجع على التعلّم ويتوجه إلى طموحات علمية واجتماعية ترفع من مستوى الطموح العلمى والاجتماعى للأولاد من غير عَنَت، وفى مثل هذا الوسط الثقافى تتهيأ للأطفال حياة كريمة ليس فيها أوهام ولا أكاذيب، ويتعرفون إلى الأمور الجنسية بتأنٍ وعلى وجهها الصحيح، ولاتكون لهم فى طفولتهم إلا ذكريات سعيدة وخبرات موفقة.

ولقد ثبت أيضا أن تثقيف الأولاد تثقيفاً جنسياً من حيث اختيار الزوجة أو الزوج، وأهمية التوافق الثقافى والاجتماعى، والتعرّف على الاحتياجات الحقيقية للطرف الآخر، كل ذلك يجعل الشاب أو الشابة أكثر ثقة وهما يختاران، ويعطيهما دراية وحنكة للتعامل مع بعضهما، ولذلك تقوم بعض المدارس والجامعات بتدريس مواد الزواج وليس عليها تثريب فى ذلك.

وتبين من الدراسات على الزواج السعيد **(دراسة أدامز وبكارد من جامعة بنسلفانيا)** أنه كلما طالت فترة **الخِطْبة** كان ذلك أدعى إلى زيادة تعرّف الخطيبين إلى بعضهما، وترقية الثقة بينهما، والإحاطة بما يضايق أيهما، ومايجمعهما من ميول وينفرهما منها. ولاشك أن إطالة فترة الخطبة مسألة قد تشق على كثير من الأهل ولكنها أسبر لنفسية الخطيبين، وأدعى لدوام العشرة من بعد، وربما ترتب الطلاق على الزواج المتعجّل، وهو ماتشهد به المحاكم اليوم، ويؤكده ارتفاع نسبة الطلاق، وخاصة بين طبقات العامة وفى المجتمعات العمالية، وعلى عكس ذلك بين المتعلمين.

وتبين الإحصاءات والاستبيانات أن **أنسب الأعمار للزواج هو السن فى العشرينات**، إذ يكون الشاب أو الشابة قد نضجا انفعالياً، وتحصلا على قدر من التعليم المناسب، والمهارة فى التعامل مع الناس، ومعرفة الذات، والاستقلال المادى، على عكس الشباب دون العشرين. ويحتاج التوافق فى أى مجال، سواء فى المجال الجنسى، أو بين الأصدقاء، أو حتى العملاء فى التجارة، أو الزملاء فى العمل، إلى وقت أطول. وهناك ارتباط لاشك فيه بين ارتفاع نسبة الطلاق حاليا وتدنّى أعمار الأزواج، وكلما قلّ السن عن العشرين زادت نسبة الطلاق حتى لتصبح فى بعض المجتمعات طلاقاً **واحدا** من كل **خمس** حالات زواج.

وفى دراسة من الدراسات حول شئون الزواج كما يتصورها **طلبة الجامعة**، أجمع

الذكور على أن الفرق المثالى فى السن بين الزوج والزوجة ينبغى أن يكون **ثلاث سنوات**، بينما طالبت معظم البنات أن يكون هذا الفرق **أربع أو خمس سنوات**. ولم يتأكد أن الفرق فى السن له علاقة بمسألة السعادة الزوجية طالما أنه فى حدود **العشر سنوات**. ويذكر **كينزى** فى تقريره المشهور أن السن التى يكون فيها الرجل فى أفضل حالاته الجنسية هى التى تقع بين **الثامنة عشرة والثانية والعشرين**، بينما أفضل سن للمرأة بين **الثلاثين والسابعة والثلاثين**، وعلى ذلك فإنه ربما كان أنجح زواج هو الذى يقوم بين فتاة أكبر سنا وفتى أقل سنا، وذلك أدعى إلى التوافق الجنسى والعقلى، غير أن العرف قد جرى على أن تكون المرأة أقل سنا من الرجل، وذلك من مخلفات المجتمعات القديمة، حيث كان على الرجل أن ينتظر فترة أطول لتكون له القدرة المادية والخبرة الكافية لإعالة الأسرة وسياستها، وبالنظر إلى أن المرأة لم تكن تعمل، ولم تكن تتلقى تعليما غالبا، فلم تكن ثمة حاجة لتنتظر إلى سن أكبر، على عكس الرجل، بالإضافة إلى أن الطب لم يكن قد تقدّم كما هو الآن، وتحتاج المرأة الأكبر سنا إلى رعاية طبية أثناء الحمل والرضاعة لم تتوفر لها إلا حاليا، والكثيرات كن يتوفين أثناء الولادة، ولذلك كان الرجل يفضل المرأة الأصغر سنا لتكون أقوى وأقدر على الحمل والإرضاع والخدمة المنزلية، وأما الآن فالأمور تغيرت تماما، وصارت المرأة تعمل خارج المنزل وتساعد فى إعالة الأسرة، ولم تعد تخدم فى بيتها كالسابق، فهناك الأدوات الحديثة، وصار الزوج يساعد فى الخدمة، ومن ثم يفضل البعض المرأة الأكثر نضجا سواء من الناحية الذهنية أو العاطفية أو الجنسية، وهى التى قد تجاوزت العشرين، أو التى يزيد عمرها على عمر الرجل، بالنظر إلى الفروق فى بلوغ الشهوة وغير ذلك مما أكدته الدراسات غير دراسة كينزى، فلقد ثبت أن الرجل قد يبلغ الهِزّة خلال ثوان، وربما يزيد ذلك إلى نحو ثلاث دقائق، بينما المرأة تحتاج لأكثر من خمس دقائق، وربما تزيد عن ذلك كثيرا إلى العشر دقائق أو الربع الساعة، غير أنه من ناحية أخرى فإنها إذا كانت كبيرة السن عن الرجل فإن الفرق فى الزمن الذى تستغرقه هِزّة كل منهما يقلّ ويتدنّى، ويكون هذا الفرق أقل ما يمكن إذا كان الرجل فى نحو **العشرين** والمرأة بين **الخامسة والثلاثين والسابعة والثلاثين**.

ومن الخطأ الشائع أن يظن أن الرجل أو المرأة ذات **الخبرة الجنسية** تفيده أو تفيدها خبرتها فى الزواج، والثابت من دراسات كثيرة وخاصة دراسة «**تيرمان**» ودراسة «**ريفى**»

أنه كلما كانت للزوجين **خبرة سابقة** على الزواج بمسائل الجنس كان ذلك أدعى إلى فشل الزواج، وهناك فرق بين الثقافة الجنسية وبين الممارسة الجنسية، وتتثبّت أفكار ونظريات خاطئة عند الشباب الذى يمارس الجنس قبل الزواج، فإذا تزوج عانت من ذلك زوجته وكانت خبرته سبباً لفشل الزواج. ولربما يتهيأ للبعض أيضا أن الرجل أو المرأة الذى أو التى تتزوج للمرة الثانية تكون أنجح مع **الزوج الثانى** وتفيد من خبرتها الأولى، وذلك خطأ كبير، حيث أن الممارسات الجنسية عادات مكتسبة قد يتطبّع بها الفرد وتستقر عنده على أشكال معينة لا تناسب الطرف الآخر، ومن ثم تكون خبرته أو خبرتها فى الزواج السابق سببا لفشل الزواج الثانى أو الثالث إلخ. ولا يهم فى مسائل الزواج أن تكون للمتزوج **خبرة** بل المهم أن تكون له **ثقافة**، وأن يحاول أن يتوافق مع شريكته الحالية، فالتوافق يكون مع الشريك الحالى وليس مع شريك سابق.

والقدرة الجنسية من أهم أركان الزواج السعيد، وترتبط هذه القدرة بالرغبة فى **التوافق الجنسى** بين الزوجين، وما من شك أن الجنس دافع من أهم الدوافع إلى الزواج، وتحقيق الإشباع الجنسى غاية كل زوج وزوجة، فإذا لم يتحقق هذا الإشباع فالمرجّح أن يفشل الزواج وتتوتر العلاقة بين الزوجين، وتترتب على ذلك مشاكل اجتماعية ونفسية عويصة. وقد يستغرق تحقيق التوافق الجنسى بين الزوجين **مدة طويلة**، ربما تصل إلى الشهور أو السنوات، وذلك لأن هذا التوافق الجنسى يتطلب علاقة حميمة بين الزوجين تتجاوز مجرد اللقاء الجسدى، وتشمل كل النواحى النفسية والاجتماعية والذهنية والانفعالية والاقتصادية والثقافية والبيولوجية، وهو شئ قد يتعذّر بالنسبة لصغار السن من الأزواج، بالإضافة إلى ما سبق أن ذكرناه من أن الرجل يكون فى أفضل حالاته الجنسية قبل العشرين، بينما المرأة لا يتحقق لها ذلك إلاّ بعد الثلاثين. وربما يرجع الفشل أو اللاتوافق الجنسى عند الزوجين أو أحدهما إلى الخوف أو الكبت أو القمع الذى يترتب على تجارب من الطفولة، أو نتيجة المعلومات الخاطئة، ونقص التعليم الجنسى، والتعجّل، وتحفّظ الزوج بحيث لا يبدى لزوجته حبه ويبثها عواطفه، أو ربما كانت لأحد الزوجين تجارب صادمة قبل الزواج تستثير فيه القلق الذى يعمل على تقويض العلاقة بزوجته ويعجّل بفشلها، ولربما يحسب أحد الزوجين أن **السعادة الزوجية والتوافق** يأتيان تلقائياً وبشكل طبيعى ولاضرورة للسعى لإيجادهما. وتقول «**هيلين دويتش**»: إن **البنات** عند البلوغ يتخذن

صديقات يُعلمهن بأسرارهن، وتكون الواحدة ظهيراً للأخرى نحو الاستقلال، إلا أنهن يفزعن عندما تبدأ لهن علاقات بالأولاد ويتجهن نحو الأمهات. فإذا كان النُضج الجنسى فإن البنت تُظهر العداء لأمها لبعض الوقت ثم تعود إليها بعد ذلك، وأما **الأولاد** فإنهم يميلون إلى الصداقات الجماعية، وقد يتصادق الولد والبنت ويأخذ العلاقة معها مأخذ الجد، فإذا كان بتشجيع من الأهل فقد يتزوجان، وهو أمر خطير وقد يودى بالزواج لصغر سنهما. وبعض الشبان يتزوجون فى السن الصغيرة كطريقة لدخول حالة النضج، وليقال عنهم إنهم أصبحوا رجالا، والزواج فى هذه الحالة بمثابة **احتفال طقوسى** كاحتفالات البدائيين التى يتخلص بها الفتيان والفتيات من حالة الاعتماد والطفولة إلى حالة الاستقلال والبلوغ. وعموما فإن الفتى والفتاة عندما يلتقيان فقد يدخلان تجربة اختبار حقيقة ميولهما الجنسية، بمعنى أن أية فتاة أو أى فتى فى حالة النضج يرضَى كل منهما بما قُسِم له من أنوثة أو ذكورة والبعض قد لايرضى. وهناك أدوار فى الحياة تناط بكلٍ، فالذكر له المهن والأدوار التى يمكن أن يمتهنها ويقوم بها، وكذلك الأنثى، وقد يحدث أن لايرضى الذكر أو الأنثى بدوريهما فى الحياة وتكون لهما مهن وأدوار مختلفة لاينهض عليها إلا الجنس الآخر. وعند لقاء الفتى والفتاة فإنهما يعرضان نفسيهما فيرى أيهما فى الآخر مايعجبه منه، ومايوافقه نفسيا وعقليا واجتماعيا، ويرضَى الأنا بما يظهر من الأنا الآخر. وفى **الحب الرومانسى** لايرى الأنا من الآخر إلاّ ما يهوَى وليس حقيقته، ومن ثم يفشل الزواج القائم على هذا الحب، لأن الصدام حتمى بين الاثنين اللذين لم تكن للواحد منهما معرفة بالآخر، ولم يتعرف فيه على مايعجبه. وقد يحدث فى بعض الزيجات أن يظل أحد الزوجين مجهولا من الآخر فلايكشف عن مكوِّنات أناه، ويتعايشان كالأغراب، أو قد يحدث أن يكشف الواحد منهما عن كل مكوِّناته حتى يزهد فيه الآخر، ولايعود يرى فيه جديداً يشدّه إليه، ويستحيل عديم القيمة وغير مرغوب فيه. ومن محاذير الزواج أن يتوقف التعارف بين الزوجين، إما لعجز التواصل بينهما، وإما لزيادة مايكشف أحدهما من نفسه للآخر حتى ليتوقف بينهما التواصل أيضا، والعبرة دائما فى الزواج الناجح أن **يستمر التواصل**، وأن يكتشف أحدهما فى الآخر مايعجبه منه ويرضَى به، وفى مثل هذا الزواج يكون لكل زوج استقلاله الذى يُغنِي به استقلال الآخر، ويستشعر الواحد منهما أنه أصبح نفسه بوجود الآخر إلى جواره، ويثْرَى وجوده بوجود الآخر.

والجنس من أكثر المشاكل تقويضا للزواج، وليس هناك اتفاق حول مايمكن أن يكون سوياً أو عادياً فى الزواج من سلوك الزوجين الجنسى أو سلوك أحدهما، والمعوّل عليه أن مايستحسنانه هو السوىّ، وقد يحسب الرجل أنه سوىّ وهو بكثير من الاعتبارات سوىّ فعلا، ولكنه إذ يتزوج امرأة مُقلّة فقد تظنه مُفرِطا، وإذن هو **الوفاق** يبلغه الزوجان أو يحاولانه دائما، وهوالركن الركين فى الزواج. وفى كثير من حالات **عدم الوفاق الجنسى** يكون السبب الرجل حيث تكون له مطالب لاترضى عنها الزوجة أو تستسلم لها عن غير طواعية، والمثال لذلك **إتيان المرأة من الدبر**، وهى مشكلة قديمة أوردها القرآن وسأل عنها العرب النبى عليه الصلاة والسلام، وقضى فيها الله فى **سورة البقرة** (الآية ٢٢٢) حيث قال «فأتوهن من حيث أمركم الله». وقد يتكرر مطلب الرجل فتنفر منه زوجته، أو تصاب من جرّاء الألم الذى يحدثه الإيلاج فى غير موضع الحَرْث **بالبرود الجنسى**. وتنقسم مشاكل الزواج الجنسية بشكل عام إلى مشاكل مردّها : **الاختلافات فى الدوافع الجنسية، أو بسبب القصور الجنسى، أو الانحراف الجنسى**. ومما لاشك فيه أننا جميعا نختلف فى القُدرة الجنسية، ويجمع الزواج بين اثنين لايعرف أيهما قدرة الآخر، ويقوم الزواج الناجح على اكتشافهما، لقدرة بعضهما ومحاولة التوفيق بين رغباتهما، ويتعثّر الزواج إذا ظلت هناك اختلافات لايمكن تجاوزها بين الزوجين، وقد تظهر هذه الاختلافات بعد الولادة، أو بعد عملية قيصرية، أو عملية إجهاض، حيث قد يعاف الزوج زوجته ولايرغب فيها إلا قليلا، أو قد تكون بين الزوجين فروق فى العُمر تُظهِر الاختلاف من بعد، وربما قد يستغرق ذلك سنوات، وكلها مشاكل يمكن عرضها على المعالج النفسى ويمكن تجاوزها، بمساعدته للزوجين على استبصار الأسباب وتعديل سلوكهما، وربما تُردّ المشكلة إلى كبْت تعانى منه الزوجة، أو قمْعٍ لرغباتها يحول بينها وبين التصرف بتلقائية، ويفيد **العلاج النفسى الفردى** والمشترك، فأما العلاج الفردى فيفيد فى الكشف عن الخبرات القديمة التى تحول بين المرأة وأن تكون حياتها مع زوجها طبيعية، أو التى تجعل الرجل عنّينا عُنة نسبية، كما يفيد العلاج المشترك حيث لاينبغى تعريض أى من الزوجين وحده للعلاج فيتعدّل سلوكه وتتغاير أفكاره دون أن يحيط الآخر بما يجرى له من تغييرات، بل الواجب أن يستهدف العلاج أن يساعد الطرفين على حلّ مشاكلهما، وخصوصا عندما تكون الشكوى من قلة الممارسة الجنسية، أو عدم بلوغ الهِزة، وقصور الزوج أو الزوجة.

والقصور فى الزواج يتم تقويمه من خلال إحاطة المعالج بكل تفاصيل العملية الجنسية، ابتداءً من الانتصاب وانتهاءً بالإنزال. **والعنة** يمكن أن تُصيب الزوج أو الزوجة بدعوى أن الانتصاب قد لايكون كاملا، أو أنه لايتحقق البتة، أو قد يضعف، أو ينتهى بعد الإيلاج. وقد يكون مصدر الشكوى أن الزوج يُنزِل بسرعة، أو أنه لايُنزل البتة. وقد تكون الأسباب معقدة، وخاصة عندما لاتكون الشكوى ناجمة بعد الزواج، أو عندما يبدأ شعور الزوج بها بعد أن يشعر أن امرأته قد فقدت اهتمامها بنفسها، ربما بعد الولادة، أو نتيجة لفلسفة تتخلّف عند بعض النساء ومؤداها أنه لاأهمية للتجميل بعد الزواج. وربما ترجع العنة لإصابة الزوج بالسُكّرى، أو نتيجة تعاطى أدوية مُخفِضة للرغبة ومهدئة للأعصاب بإسراف. وقد يتبين أن السبب نفسى محض كأن يكون أحد الأعصبة المعروفة باسم **الفوبيا أو الرهاب**، وهى فى حالتنا هذه **رهاب الجنس**. وقد يختلف التشخيص باعتبار اتجاهات المعالج نفسه، فيرى فى الرهاب الجنسى أنه كبت جنسى. وقد يتحّصل للرجل أن المضاجعة نوع من العدوان ويرق قلبه لامرأته فيصاب انتصابه بهذا الارتخاء. والعلاج الأمثل يقوم على الجمع بين الزوجين، ومحاولة الوصول إلى الأسباب الدفينة والرهيفة التى دفعت لبلوغ هذه الحالة من اللاتوافق بينهما.

والبرود الجنسى اسم يُطلَق اعتباطا على نقص الإحساس باللذة من جانب الزوجة، ويشمل ذلك ابتداءً أن لا تُستثار المرأة بأى حال من الأحوال، فإذا حدث واستثيرت فإنها لاتستطيع الإكمال أو تُكمِل بالكاد ولايظهر عليها أنها تتلذذ من ذلك. والتقويم السليم للحالة يقتضى دراستها بدءاً من الملاعبة ومرورا بالهِزّة، وانتهاءً بسلوك المرأة بعد النكاح. ولقد ثبت إحصائياً أن **نحو** ٦٠٪ من النساء لا يبلغن الهزة، إلا أن ذلك لايعنى أنهن لا يستمتعن بالجماع. وبعض النساء يبلغن الهزة مرة ومرات فى الجماع الواحد ويشعرن مع ذلك أن شيئا ماينقصهن، وبعض النساء لايبلغن الهزة، ويظهر عليهن الرضا كاملا برغم ذلك بما يتحقق لهن من علاقة حميمة جدا بالزوج وبحكم مظاهر الحب التى يبديها الزوج قبل وأثناء وبعد الجماع، وهو الأمر الذى نخلص منه بأن الجماع فى حد ذاته ليس بالأمر المُشبِع بالنسبة للنساء، على عكس الحال عند الرجال، ومن ثم يقتضى ذلك من الرجل أن لايمهُر فى ميكانيكا الجماع، بقدر مايمهر فى اكتساب محبة المرأة بما يبذل لها من حنان وحدْب. وتفشل المرأة إذ تحاول أن تجعل من الجماع عملية ذهنية يمكن أن تتحقق موضوعياً دون

تدخل من العواطف، أو بمعنى آخر أن الجنس يمكن فصله عن الحب، وهو أمر ممكن عملياً فى البغاء، وبعض الزواج كالبغاء على الحقيقة وليس على المجاز، **والجنس يكامل الحب**، ومايقال له **الحب الأفلاطونى أو الحب العذرى** ممكن، إلا أن جنسية الطرفين مشكوك فيها، وكان **فرويد** يقر الحب الحر وزواج المتعة وزواج التجريب، إلا أنه من ناحية أخرى ذكر أن كل ذلك لايستقيم استقامة الزواج بالمعنى الشائع، والذى يفترض فيه أن يقوم على الحب، والتكافؤ والتشابه فى الميول والاتجاهات والأفكار والثقافة والدين والانتماءات. ولقد ثبت أن كل زواج يقوم على غير ذلك تكثر بسببه المشاكل وتزيد الضغوط على الزوجين، ومن ذلك الزواج الذى يقوم بين زوجين ينتميان إلى جنسين مختلفين، أو ديانتين متعارضتين، فالمفروض أن تكون بين الزوجين **أرضية مشتركة** لينهض عليها الزواج راسخا قويا، إلا أن القيم المختلفة والانتماءات المتباينة للزوجين لن تكون هذا الأساس القوى، وستكثر الخلافات حول كل شئ وخاصة عندما ينجبان، وستتنازع الصغير مختلف القيم ولن يستطيع أن يتمثّل أياً منها، وتكون ولاءاته بالجماعة التى يعيش بين ظهرانيها ضعيفة هشة.

ويلعب **الموقف الأوديبى** فى حياة الطفل دوراً هاماً فى تطوير جنسيته ونموها نحو أهداف سليمة وبوسائل صحيحة، فالطفل قد يتجاذبه الأبوان فيكره هذا أو يميل نحو ذاك، ويكبت فى نفسه نوازعه الحقيقية، وقد ينشأ ولم يحل صراعاته الأوديبية، فإذا تزوج من بعد فإنه يستحضر معه إلى البيت الجديد مشاكله مِن صغره، والمَثَل الشائع أن **أطفال اليوم هم أزواج الغد**، والكثير من التجارب الصادمة يعانى منها الأطفال وتلزمهم عندما يكبرون ويصبحون بدورهم أزواجا. وفى إحدى الدراسات أن ٤٠٪ **من الأزواج** يصابون بالاضطرابات النفسية حيال الحمل الأول لزوجاتهم، وبعضهم تظهر عليه أعراض عصابية. والأولاد عموما من منغصات الزواج، سواء كانت مشكلتهم هى مشكلة وجودهم، أو مشكلة الرغبة فى وجودهم والكثير من اضطرابات المعدة ووجع الرأس والأرق ونوبات القلق عند المتزوّجين سببها **الأولاد**. وقد يسعى الأب الشقى بأولاده إلى تعاطى الخمر، أو إنشاء علاقات جديدة بامرأة كعشيقة أو كزوجة. والبعض قد يعبر عن ضيقه بالدخول فى شجار مع زوجته أو قد يقمع انفعالاته، أو يلجأ إلى الطلاق، وقد يعانى من مشاعر ذنب وندم، أو قد يسلك سلوكا معاكسا تماما ويبدى اهتماما بأمرها وخوفا عليها، من باب قلب المشاعر، أى أنه بدلاً من أن يتمنّى لها الموت مثلاً يخاف عليها أن تموت. وبعض الأزواج من جرّاء خوفهم على زوجاتهم الحوامل تأتيه نوبات الحمل وكأنه حامل مثل زوجته، فيغثى فى

الصباح، وتنتفخ بطنه، فإذا جاءها المخاض رأيته لايقوى على الوقوف ويسارع إلى السرير يلزمه وكأنه فى المخاض هو أيضا.

وبعض الأزواج تكون لهم مشاكل من نوع خاص بأولادهم قد تفسد علاقاتهم العائلية، كأن يكون أحدهم قد عانى الفشل فيتحول إلى ابنه أو ابنته يحاول أن يدفع به أو بها إلى التعويض عن فشله، ويرفع باستمرار من مستوى طموح الولد أو البنت، وقد تكون قدراتها أقل من طموحاته، ومن ثم يكون العبء المبهظ على الأولاد، وخيبة الأمل التى يستشعرها الآباء، وقد يتداعى أيهم بالمرض للضغوط التى يتعرض لها. وقد يتمنى الزوج أن ينجب ولداً، فإذا أنجبت الزوجة إبنة بدأ سوء التوافق وظهرت المشاكل. وقد يكون لذلك الموقف تأثيره على البنت من حيث تمثّلها لدورها كأنثى، ويضطرب تعيّنها بأمها. ولربما تكون الزوجة نفسها متأثرة بأفكار زوجها. وتبدى من التصرفات مايجعل البنت تسخط على حقيقتها كأنثى وتتداعى شخصيتها. **والزواج الفاشل يعانى منه دائما الطفل، وهو الوحيد الذى يخسر فيه أكثر من الزوجين**، وعندما يضطرب تعينه بأى من الوالدين فقد تأتيه أعراضٌ عُصابية، ويتصرف على عكس المنتظر منه، فمثلاً فى حالة البنت غيرالمرغوب فيها، قد تحتقر أنوثتها وتصاب بسوء الطمث وتعاف الجنس، فإذا تزوجت عانى الزوج من برودها الجنسى أو قلّة إنجابها.



الفصل الثاني والعشرون

زواج المتعة Pleasure Marriage

موقف أهل الشيعة وأهل السنة منه، ومقارنة بينه وبين زواج التجريب وزواج المعاشرة في أوروبا، وحقيقة نوايا زوجات المتعة اليوم، وسيكولوجية زوجة المتعة، والفرق بينها وبين المحظية

قد يتزوج الرجل والمرأة وليس في بالهما أن يكوّنا أسرة وينجبا أطفالا، وقد يتعاقدان على **الزواج لمدة معينة**، وذلك هو زواج المتعة الذي **تبيحه الشيعة وينكره أهل السنة، بدعوى أن الشرط الزمني في الزواج يفقده الاستمرارية التي بدونها لايكون الزواج زواجا على الحقيقة**. والرسول يدعونا إلى أن نتزاوج وأن نتناسل ونتكاثر. وهدف كل زواج **الإنجاب**، والزواج شرعا وعُرفا لايعتبر كذلك إلا إذا كان مُنجِبا. ومن السهل على الزوجين الطلاق طالما لم ينجبا، ويتغاضى المجتمع عن الطلاق في حالة عدم الإنجاب، ولكنه لايقره عند الإنجاب ووجود الأولاد. وقيل في زواج المتعة إنه **محاولة لتقنين الزنا** وإضفاء الشرعية على سلوك جنسي محض قد أفرِغ من كافة الأبعاد الاجتماعية، وله دلالته النفسية التي لايختلف عليها اثنان. والرجل والمرأة اللذان يسعيان للزواج بطريقة زواج المتعة إنما ينشدان المتعة فعلا، ولقد قيل إن الإنسان يحكم تصرفاته أحد هذه المبادئ: **مبدأ المتعة pleasure principle**، أو **مبدأ الواقع reality p rinciple**، أو **مبدأ الواجب daty principle**، والأول: يسيطر فيه على المرء تحصيل اللذات من أي طريق وبأي ثمن، ويفصح عن نرجسية صاحبه، فكل مايفعله ويقوله المقصود به نفسه ومايتحقق له مما يفعل أو يقول من منافع ومسرات، ويصدق عليه **قول الملك لويس «أنا وبعدي الطوفان»**. و**مبدأ الواقع**، فيه أن يتعلم المرء أنه ليس وحده في العالم، وأن هناك آخرين يشاركونه الحياة، وأنه لكي يعيش فلابد أن يسمح للآخرين أن يعيشوا كذلك، ويتعلم أن يتشارك والناس في كل شئ، وأن يأخذ ويُعطي وذلك أساس كل اجتماع. وقد يتحصل لبعض الناس مستوى من التفكير أرقى من ذلك وهو موضوع **المبدأ الثالث** أو **مبدأ الواجب**، وفيه قد يتصرف هؤلاء البعض بحيث يؤثرون غيرهم عليهم، وقد يُضحّون بأنفسهم من أجل هذا الغير، وإذا كان عليهم أن يختاروا بين أنفسهم والغير فإنهم قد يختارون الغير.

وإنسان **اللذة** قد يضطر إلى الزواج لأنه قد لايستطيع تحصيل اللذة الجنسية بغير الزواج، فلربما يريد المرأة بمواصفات معينة ترضى مزاجه، ولن يجدها إلا إذا عرض على الناس أن يزوّجوه. وهذا الإنسان نفسه هو الذى قد يتزوج مرة ومرات وتكون له علاقات جنسية قبل الزواج وبعده. **وإنسان الواقع** يتزوج لأن الناس تفعل ذلك، وينجب ويشرف على رعاية أولاده، لأن ذلك هو العرف والدين، وهو **المنتمى** الذى يعيش قيم مجتمعه وعصره ويحاول أن لايشذ عنها. **وإنسان الواجب** يدفعه إلى كل فعل وسلوك مايتضمنه أيهما من قيم عليا وأهداف سامية، ومثله إذا مرضت زوجته لايطلقها، ولا يتزوج عليها، ولا يهجرها إلى غيرها، وقد تموت فلا يتزوج ويظل مخلصا لذكراها ومتعلقا ببيته وأولاده، يبذل لهم من نفسه.

والرجل أو المرأة المتعاقدان فى زواج المتعة لهما **مواصفات سيكولوجية** خاصة، ويسعيان إلى شئ حسّى يُدرجهما فى حكم الكثير من الفلسفات ضمن **الأبيقوريين** والملتذّين (أصحاب مذهب اللذة). وفى الدول الأوروبية يطبقون زواج المتعة تطبيقا مقاربا فيما يقال له **زواج التجربة trial marriage**، ومن رأى فيلسوف مثل **برتراندرسل** : أن زواج التجريب أو المتعة يُعَرف مضمونه من نقيضه، فنقيض هذا الزواج هو الزنا، وزواج التجريب أو المتعة هو محاولة للتحايل على القيم الدينية أو الاجتماعية لتحصيل اللذة بدون تصادم مع العُرف أو الدين. **وزواج التجريب** : هو أن يتفق الرجل والمرأة على أن يتعايشا لفترة قد تقصر أو تطول، فى محاولة لاختبار نفسيهما قبل أن يرتبطا كزوجين، أو قد يتفقان على تجربة العيش معا كزوجين دون اقتران. ولعل أروع ماكتب فى هذا المقام رواية «**تيس Tess**» **لتوماس هاردى**. وكما يقول **برتراندرسل** : إن الكثيرات من بنات العائلات الكبيرة فى أوروبا لم يعدن يبالين إن كن يحتفظن بعذريتهن أو يفقدنها، ولم يعد البغاء رائجاً بسبب أن الشبان وجدوا العيش ميّسراً مع بنات العائلات، فيما يشبه الزواج وليست له تبعات الزواج. ويشايع **رسل** القاضى **ليندسى** فى كتابه «**ثورة الشباب العصرى The Revolt of Modern Youth**» على أن نسبة كبيرة من الفتيات اللاتى يتزوجن من رجال مرموقين جدا، لهن تجارب جنسية قبل الزواج، وربما كانت لهن علاقات غرامية متعددة. ومن رأى **رسل** أن هذا الاتجاه فى أمور الجنس يدل على اهتمام بالجنس أكثر مما كان قبلا، وجعل شباب اليوم ينخرطون فى الجنس بشكل وبائى وجماعى، حتى

إنهم ليبدون منهكين تماما. ولقد أنتجت هذه التجارب الجنسية أطفالا كثيرين فيما يقال له **النغُولة** أو **أولاد السفاح**، وصارت هناك عمليات **إجهاض** لم تعرفها المجتمعات من قبل، لدرجة أن صار الإجهاض مشكلة قومية، أحيانا تبيحه الدولة، وأحيانا تحرّمه وتسن له القوانين وتنظّمه. ولقد تبين من **إحدى الدراسات الكويتية** أن عدد الأولاد من زواج المتعة من المصريات قد بلغ حداً مخيفا دفع الحكومتين الكويتية والمصرية إلى إصدار التشريعات للحدّ من هذا النوع من الزواج. غير أنه لا الحكومة الكويتية ولا الحكومة المصرية تستطيع أن تحجر على حرية الناس فى التعاقد على الزواج أو الاتفاق عليه، والزواج يقوم برضا أطرافه وإعلانه، وزواج المتعة من هذا الطريق جائز وإن يكن يجافى روح الدين، ومثله مثل **زواج المحلّل** الذى يُقصَد به شكل الزواج دون مضمونه، ليقع طلاق المرأة من بعد فتحِلّ لزوجها من جديد، وهو وإن كان جائزا شكلا إلا أنه روحا ليس من الدين، والقانون لايمكن أن يحاكم الضمائر.

وفى **أوروبا** كانت هناك حالات مقاربة فيما يسميه لندسى **زواج المعاشرة** Compan-ionate Marriage، بأن يتعاشر الرجل والمرأة على شروط معينة بينهما، ويعرف ذلك الأهل والأقارب. وفى بعض المجتمعات غير الأوروبية فى **جزر المحيط الهادى** يُجيز الآباء أن يتعاشر الأبناء والبنات لفترة ثم يكون الارتباط بالزواج. ويذهب دعاة زواج المعاشرة إلى أنه طالما أن الزواج لم يقصد به الإنجاب فلا بأس أن يكون زواجاً بالتجريب، أو زواجا بالمعاشرة، غير أن انتشار هذا الزواج والأخذ بنظام زواج المتعة **يقضى على الأسرة**. ولايمكن أن نوافق **رسل** على مايذهب إليه من تأييدٍ لزواج المعاشرة أو زواج المتعة لتهافت حجته، فهو يزعم أن البنات والصبيان ليس لهم أن يتزوجوا الزواج المنُجِب بدون أن يخبروا الجنس من قبل، وزواج المتعة أو المعاشرة يعطيهم هذه الفرصة. والرأى من **وجهة نظر علم النفس** أن اعتياد إتيان الجنس خُلْطَة أو مشاعاً، قد يجعل الرجل والمرأة من المخالطين أو المخطالطات، ويستحيل على أيهما من بعد أن يمتنع عن ذلك حتى وإن تزوج. وثبت من **تقرير كينزى** أن الغالبية العظمى من المخالطين والمخالطات قبل الزواج يخالطون أو يخالطن أيضا بعد الزواج. ويبدو أن أنواع الزواج المتعدّد، وزواج المتعة، وزواج التجريب، وزواج الرِفقة أو المعاشرة، أشكالٌ من النشاط الجنسى الزائد، وله بعض الصله بالبغاء. ولقد كانت كل المجتمعات القديمة والحديثة حريصة على مكانة الزوجة وحصّنت هذه المكانة

بحيث لم تكن للزوجة الثانية أبداً نفس المكانة والحقوق التى للزوجة الأولى. وكان **ملوك فارس الأقدمون** يجالسون زوجاتهم على الموائد، فإذا جاء دور الخمر وبدأ المجون، استُبعدت الزوجات واستحضرت نساء أخر يمكن أن يمارسوا معهن مالد يرتضون ممارسته مع الزوجات. ولايتزوج الرجل بامرأة ثانية أو ثالثة إلا لإشباع نزواته الجنسية غالباً. وكانت زوجات المتعة والتجريب والمعاشرة لأسباب كهذه، ومن رأى الكثير من العلماء أن العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج بالزوجة الواحدة كان دائما بهدف إنقاذ هذا الزواج، وأن كل أشكال هذه العلاقات الجنسية كان لضمان الأسرة التى هدفها الإنجاب، وأن فرط الشهوة لدى الذكور لم يكن من سبيل لتصريفه التصريف الأمثل إلا بتقنين هذه العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج بالزوجة الواحدة فى أمثال ما يسمى بزواج المتعة، لضمان استمراره دون أن يثمر الأولاد الذين يثمرهم الزواج العادى من واحدة.

ومن رأى بعض العلماء أن الزواج بقصد الإنجاب وتكوين أسرة ليس من الصواب فى شئ من الناحية النفسية، فطالما أنه، بتطبيق مقولات التحليل النفسى، سيأتى بأولاد يكرهون الآباء وينافسونهم جنسيا على الحب، سواء من ناحية الأم أو من ناحية الأب، وأنهم سيكونون متباغضين ومتنافسين كإخوة على حب الأبوين والاستئثار بهذا الحب، فإن من الحكمة تقويض نظام الأسرة وقصر الزواج على زواج المتعة. ويذهب **برتراند رسل** إلى الدعوة إما إلى أسرة قوامها **الأم والأولاد دون الأب**، أو أن **تتكفل الدولة بالأولاد** كما فى **الكيبوتز الإسرائيلى، أو عند أفلاطون فى جمهوريته**. ولو صدّقنا **كينزى** فإن ٨٦٪ من الزيجات برغم استمراريتها فإنها تعانى من سوء التوافق، ولذلك مردوده على تكوين الاولاد بحيث ينشأون والعُقَد تملأهم ويصابون بكافة أنواع الاضطرابات النفسية والجنسية، ابتداءً من اللواط، وانتهاءً بالهوس، ومن ثم يكون لزواج المتعة ما يبرره، إذ هو علاقة جنسية مشروعة برضا أطرافها دون أن تهدف إلى الإنجاب. ويزيد **رسل** الأمر وضوحا بأن للزواج عموماً رسالة اجتماعية لابد منها، وأن التناسل من أهم أهداف الزواج، وأن الدعوة إلى زواج المتعة وإباحته يناقض ذلك، وأن الأسرة نظام لابد منه لخير الأولاد نفسياً واجتماعيا، وأن الأولاد الذين ينشأون فى بيت عماده الأم والأب تتيح لهم تربيتهم أن يطّلعوا على أدوار الأبوة والأمومة، وان يتقمصوا هذه الأدوار. وأما إذا كان الزواج فاشلا فلا أقل من فسخه لمصلحة الأولاد، أيضا. ولقد ثبت أن تأثير الزواج الفاشل قاتل بالنسبة للأولاد ومدمرٌ

بالنسبة للزوجين، وأن الأم أولى بحضانة أولادها حينئذ وليس من بأس فى ذلك، وليس هناك كبير فرق بين الأولاد الذين يموت أبوهم وبين الأولاد الذين ينشئون فى كنف الأب، وإنه لخير ألف مرة أن ينشأ الأولاد بعيداً عن أب مستبدّ من أن يعانوا طوال حياتهم من استبداده وتأثير هذا الاستبداد على تكوين شخصياتهم. غير أن المرأة فى حاجة باستمرار إلى الرجل، وليس أفضل للمرأة الصالحة من الرجل الصالح، ودعوة المتعة كأساس للزواج ليست من ذلك فى شئ، وليس هناك من شئ فى المرأة إلا ويفصح عن وظيفة أولى لها وهى **وظيفة الأمومة والإنجاب**، وكل علاقة جنسية بين المرأة والرجل تتوخى هذا الهدف، والجنس هو الإغراء الذى تستدرج به المرأة الرجل ليشبع عندها هذه الغاية. ويذهب الكثير من الفلاسفة هذا المذهب، وإننا لنجد فلاسفة ممن تقوم فلسفاتهم على علم النفس **كشوبنهاور ونيتشة** لهم نظرات كهذه، وفى ذلك يعبّر **برنارد شو** أجمل تعبير عندما يقول إن كل ما فى المرأة ينشد إنجاب الطفل، وعندما تتحدث المرأة عن المستقبل فإنها تشير إلى طفلها وتقول هو سيكون. بينما كل ما فى الرجل يضج بالحركة والنشاط ويهدف إلى إعلاء قيم الحياة، ومن أجل ذلك هو يقول أنا سأكون. غير أن الرجل يطلب المرأة **كقيمة حياة**، والمرأة تطلبه **كواهب للطفل**، ثم إنها هى التى تنشّئه وتُغرى الرجل أن ينفق عليهما لتتفرغ لذلك، وهى لهذا السبب تجعل الرجل يتحوّل من صانع قيم إلى صانع مال ليعول أسرتها، وإذن فكل علاقة جنسية بين المرأة والرجل ليس هذا هو البناء الذى تنهض عليه هى علاقة ضد منطق الحياة. وليس ثمة فرق بين زوجة المتعة **والمحظّية hetaira** سوى فى توثيق العلاقة. وليست المحظّية إلا بغيّا، وزوجة المتعة **بغيّ** شاءت أم أبت، والفرق بين الاثنتين هو أن البغىّ تعيش واقعها البائس كامرأة، وتعرف أنها تبيع نفسها كامرأة بالثمن الذى يحدده لها السوق، والذى تتحكم فيه علاقاتها مع السماسرة والقوادين والزبائن، بينما زوجة المتعة تحاول أن تحصل لنفسها على اعتراف اجتماعى كإنسانة تعيش فى مجتمع يرتّب لكل واحد فيه حقوقاً وواجبات، وإذا نجحت فى ذلك فإنها فعلا تحقق لنفسها مالم تحققه الزوجة اجتماعيا واقتصاديا. وتاريخ زوجات المتعة والمحظيات حافل بذلك، وهناك حالات لزوجات يتوسطن لدى أزواجهن بزوجات المتعة والمحظيات، والسبب أن زوجة المتعة والمحظية هما دائما من الجميلات والفاتنات جنسيا، ولابد لزوجة المتعة والمحظية أن تكونا متميزتين جماليا وجنسيا، والرجل الجنسى sexual هو الذى يستهويه الجمال الحسّى لزوجة المتعة

والمحظية، وهو الذى ينبّه إلى هذا التميز فيهما ويلفت إليه الأنظار، وغالبا ما يستهوى حبه لهما آخرين مثله، ويضجّ بيت زوجة المتعة والمحظية لهذا السبب بأصحاب الزوج على شاكلته وشاكلتها، وإذا طلّقت زوجة المتعة يتقدم لها آخرون بسرعة، وغالبا من أصحاب الزوج. ولقد انتهت أسطورة المحظية بسبب الظروف الاقتصادية الجديدة، ولكن واقع زوجة المتعة ما زال قائما. وكانت غاية طموحات المحظية أن تستحوذ على المال والمجوهرات والضياع والعقارات، وصارت طموحات زوجة المتعة أن تصل بسرعة إلى المناصب العالية، وقد تطلب أيضا المال، وقد تهفو إلى الشهرة. ولقد تسنّى للكاتبة **سيمون دى بوفوار** أن تحُصى زوجات المتعة فى بلدها، وهن اللاتى يتزوجن لا بغرض الزواج وأن تكون لهن أسرة، فوجدت أن **زواج المصلحة** يكثر بين الفنانات والفنانين، والصحفيات، ومذيعات التليفزيون، والمثقفات عموما، وهذا شأن زواج المتعة فى بلدنا الإسلامية، فالزوجة فيه إما تقوم بدور المحظية القديم لقاء المال، وإما هى من الفنانات طالبات الشهرة فتتزوج زواجا سرّيا بمن يضمن لها النفاذ إلى دنيا الأدب والفن، أو أنها من طالبات المناصب فتتعقد على رئيس مجلس إدارة أو مدير يحقق لها ما تنشد، إلى وقت قد يطول أو قد يقصر بحسب ما يتحقق لها من مصلحتها. والمرأة التى ترضَى بزواج المتعة والتى تريد أن تحققق شيئا من ورائه، لا بد لها أن تكون بخلاف «الزوجات»، أى أنها لا بد أن تشبع حاجات للرجل تنقص زوجته العائلية familial wife. وكانت محظيات الأمس فى روما واليونان وبلاد العرب يُجدن فن الغناء وضرب الدفوف والرقص، وزوجات المتعة اليوم هن إما صحفيات أو مذيعات أو فنانات غالبا، وهواياتهن ليست إبداعا ولكنها تجارة، وبدلا من أن تستعرض فتاة الأمس نفسها بهز الأرداف أو الغناء للسكارى، فإن الفتاة اليوم تستعرض نفسها ككاتبة متحررة أو ممثلة سينما تسعى وراء أدوار الإغراء، ولأنها غير موهوبة فإنها لابد أن تبيع كتاباتها أو فنها مشفوعا بمفاتن جسدها واللذة الواعدة لمن يتولى رعايتها وتقديمها للوسط الفنى أو وسط المثقفين. وإنك لتسأل زوج المتعة عن سبب زواجه فيقول «إنه يرتاح إلى زوجته فى المتعة عن زوجته أم أولاده»، أو يقول «إنها تفهمنى أكثر»، أو يقول إنها تعطينى شبابها فى مقابل مساعدتها فى عملها». وكان زوج المتعة قديما يكتب لزوجة المتعة الضيعة أو العمارة، وأما اليوم فهو يعينها على العيش أو على عملها. وقد تسأل زوجة المتعة ومالذى يجعلك ترضين بهذا الوضع الثانوى، وتبتسم ابتسامة عريضة فالزواج العائلى قد

لايحقق دائما الأحلام، وساندريلا زواج المتعة طموحه وتخشى أن يتحول الزوج إلى مستبدّ، وتفضّل على ذلك أن تكون زوجة لبعض الوقت فى نظير أن يكون لها نصيب من ثروة زوجها أو من شهرته. وزوجة المتعة دائما تحب أن تكون موضوع أحاديث المحيطين بها، وبينها وبين المحظية نَسَب فكلاهما تحب الشهرة، ولعل هذا هو سبب انتشار زواج المتعة بين المشتغلات بتجارات الشهرة كالفنون والآداب. وهناك أيضا نَسَب بين زوجة المُتعة والبغيّ، هو أن كلاهما يعطى المتعة لقاء أجر.

ويحكم العلاقة بين الزوجين العاديين الكثير من العوامل النفسية التى يفتقدها زواج المتعة، ومن ذلك أن زوجة المتعة لاتنشد التوافق النفسى من زواجها، ولاتسعى إليه، **والتوافق بين الأزواج** marital adjustment شئ يعوز زواج المتعة، والزوجان فى المتعة لايتواصلان بقصد إذكاء التفاهم بينهما وإيجاد مصالح مشتركة واهتمامات متبادلة ونشاطات متماثلة، وتواصلهما ليس بتطارح وجهات النظر، والتعبير عن المشاعر، وصُنع القرارات باصطناع الأساليب المجدية والفّعالة، واحترام حاجات كل واحد، ومناقشة توقعاته للمستقبل، وشرْح أدوارهما ومسئولياتهما بحيث يتعلم الاثنان أن يحترم كل منهما توجهات الآخر، وتتحصل لهما المعرفة التدريجية بمزاجهما واتجاهاتهما وسلبياتهما وإيجابياتهما، وبذلك يمكن أن يتكيفا معا. وليس ذلك كله أو شئ منه مطلوباً فى زواج المتعة، بدليل أن أحكامه عند **الشيعة** تّبين أنه ليس زواجا على الحقيقة، بل هو متعة واستمتاع، وهم لايجعلون عَقْده كعقد الزواج، فلا يحتاجون فيه إلى شهود ولا وثيقة يحررها القاضى، وإذا مات الرجل والمرأة أثناءه فلا يتوارثان إلا بالاتفاق، فإذا انقضى العقد فلا توجد نفقة عدّة للمرأة، والرجل المستمتع له أن يجمع بين أكثر من أربع زوجات متعة بلا قيد لعددهن. ولايمكن أن تكون علاقة، هذه شأنها، زواجاً بأى معنى من المعانى، وأحكام المتعة تجعل منه زنا أو هى مبررات مدلسة للزنا كما وصفها سعيد بن المسيب عن حق عندما قال رحم الله عمر، لو لم ينْه عن المتعة لاتخذها الناس دولسيا - أى ذريعة مدلسة للزنا... وعمر هو الذى حرّم المتعة فى الإسلام، ويزعم الشيعة أنها حُرِّمت فقط برأى عمر على عكس ماجاء فى القرآن بخصوصها، حيث ورد فى سورة النساء «فما استمتعتم به ومنهن فآتوهن أجورهن فريضة» (الآية ٢٤)، ويفسرون تعليق عطاء **الأجر** فى الآية بغرض الاستمتاع، لأن **الأجر** بخلاف المهر، وأما **علماء السنة وجمهور المفسرين** فيذهبون إلى أن المتعة فى الآية يُراد بها **النكاح الحلال**، وأن **الفريضة** فى الآية هى المهر، لأنه لافريضة إلا فى المهور.

الفصـــل الثـــالث والعشرون

تعـدد الـزوجـات Polygamy

سيكولوجية المتعدد والمقارنة بين التعدد والمشاعية الجنسية، وتأثير التعدد على الزوجة الأولى والثانية، وعلى الأولاد

يبيح **الإسلام واليهودية** تعدد الزوجات إلى أربع، وتحرّمه المسيحية. ونظام تعدد الزوجات من الأنظمة التى أخذت بها الأمم، قديمها وحديثها، بالإضافة إلى نظام الزوجة الواحدة. وفى العربية يقال للزوجة الثانية أنها **الضُرّة** لأنها تضار الزوجة الأولى فى زوجها. وكره المسلمون الأوائل أن يطلق على الزوجة الثانية اسم الضرة فدعوها **الجارة**، وسواء كانت ضرة أو جارة فإن ذلك لايمنع أن تستشعر المرأة التى يتزوج عليها زوجها بالأذى النفسى يداخلها ويداخل أهلها. ويروى عن **النبى صلى الله عليه وسلم** أنه غضب حين علم أن **علىّ بن أبى طالب** يخطب على ابنته **فاطمة** فقام خطيباً فى المسجد وقال «إنما فاطمة بضعة منى يريبنى مايريبها ويؤذينى مايؤذيها»، واتخذ البعض من موقف النبى حجة على أن الأصل فى الإسلام هو الزواج بامرأة واحدة، وأن تعدد الزوجات استثناء تقتضيه الظروف.

والزواج على الزوجة الأولى من رُخَص الإسلام، وكان قائما قبله فى الجاهلية، وبعض الدول الإسلامية تحظره مع ذلك الآن. والمرأة المسلمة عموما تقبل بتعدد الزوجات وتوطن نفسها عليه غالبا، لأنه قد يكون به استقامة حياتها الزوجية، فربما يتزوج عليها زوجها لأن بها مرضا لاتستطيع معه أن تقوم بواجباتها الزوجية، أو لأنها عاقر لاتنجب، أو لأسباب أخرى تخصّ علاقاتها الجنسية بزوجها، غير أن بعض الأزواج يتزوجون نكاية بزوجاتهم، وهو ماينهى عنه الدين بالضرورة، ويأمر بأن لاتكون فى تعدد الزوجات مضرة. وتأتى أكثر المضرة من ميل الزوج إلى الزوجة الجديدة، حيث أن الرجل لايقبل على الزواج من أخرى إلا ليستكمل به نقصا فى الأولى، ويزيد إحساس الأولى بهذا النقص فتسلك بتصرفات تحاول بها أن تعوض عنه، ويكون لسلوكها وقع يختلف باختلاف أفراد أسرتها، وقد تغالى فى التعويض وتتجاوز بتصرفاتها حدود المعقول، كأن تلجأ إلى السحر والشعوذة والنساء المسلمات عرفن **النفث** ونزل فيه القرآن، ويطلق العرب عليه اسم **التأخيذ**، وهو رقية تتلوها

الساحرة على خَرَزَات يقال لها خرزات الحُب، فتربط الزوجة زوجها بمعنى أن لاينتصب على أيٍ من نسائه إلاّ عليها، وينحبس جنسيا على صاحبة الرُقْية دون سواها. والربط تقليد شائع فى الريف المصرى ويؤمن العامة بتأثيره، وفى إحدى الدراسات التى قمتُ بها فى الكويت تسنّى لى أن أخلص إلى أن الرَبْط من الثقافة الجنسية النفسية عند المسلمين، وهو بين المثقفين يَعتقد به نحو ٥٠٪. والكويت من البلاد الإسلامية التى تجتمع فيها جاليات من كل الأقطار الإسلامية، وأغلب الأقطار الإفريقية والآسيوية والأوروبية، وهناك إحصائية تقول إن الراشدين فى بلاد الخليج يجمع ٤٧,٧٪ منهم بين أكثر من زوجة، وأن ٢٩٪ لهم أربع زوجات، وأن ٣٣٪ قد تزوجوا فى حياتهم أكثر من أربع مرات، وأغلب أفراد العائلات الحاكمة فى الخليج من الذكور متزوجون من أكثر من زوجة. ومن الطبيعى أن تقوم على التعدد سلوكيات معينة واعتقادات شائعة، ومن ذلك الربط، وهو من باب التأثير النفسى عن بُعد. ويُروَى أن السيدة عائشة جاءتها امرأة تستأذنها أن تربط زوجها الذى تزوج عليها، وعبرّت عن ذلك بقولها أأقيد حَمْلى؟ والحَمْل هو زوجها، ولم تفهم السيدة عائشة فى أول الأمر فوافقتها، ثم لمّا علمت ماتقصد إليه نهرتها بشدة.

ويتوفر على تحقيق الرَبْط فى البلاد العربية عدد كبير من الدجّالين والمشعوذات، وتحفل الصحف المحلية بأخبار القبض عليهم، ويرجع البعض انتشار ظاهرة الربط إلى الجهل عموما، والجهل خصوصا برخص الدين والظروف الاجتماعية والنفسية التى تمر بها مجتمعاتنا، غير أن الربط موجود أيضا فى أوروبا ويُمارَس بكثرة بين المتعلمين والمتعلمات، وتلجأ المرأة إلى ربط زوجها الذى تعرف أن له علاقات جنسية بنساء غيرها. وكثيراً ماتكون السيطرة على النسوة من قبل الدجّالين مدخلاً إلى غوايتهن. ويروى ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية عدداً كبيرا من القصص حول ذلك جرت فى الريف والحضر فى زمانه، ويحفل الأدب الأمريكى بأخبار هؤلاء الدّجالين فى مدن أمريكا الكبرى وريفها على السواء فى زماننا هذا. ويروى توماس هاردى الروائى الإنجليزى أطرافا من ذلك فى بعض قصصه.

ونظام تعدد الزوجات يعرفه الإنسان ويمارسه كما تمارسه الحيوانات والطيور فى الطبيعة، بمعنى أنه فى الفطرة، والتعدد إن لم يشرّعه المجتمع فهو حتما موجود فيه أيضا فيما يسمى العلاقات الجنسية غير المشروعة بين الرجال والنساء. وفى بعض المجتمعات

يكون تعدد النساء للرجل الواحد ميزة لفئة من رجالات المجتمع دون بقية الرجال، كأن يقتصر ذلك على المحاربين أو على الرؤساء، وربما كان ذلك لكى يكثر منهم الولد، أو ليعزّزوا أنفسهم ومكانتهم بكثرة الإنجاب. وفى بلاد **كالسعودية** يتفاخر الرجال بأن لهم أولاداً قد يجاوز عددهم الأربعين. وفى بعض المجتمعات قد يتأتى التعدد من **وراثة الأخ لامرأة أخيه المتوفى**. وفى **قانون مانو** يتزوج **الهندى** على زوجته إذا كانت عاقرا أو مريضة أو غير محمودة الطباع. وفى **قانون حمورابى** يتزوج الرجل على زوجته، إلا أن الزوجة الأولى تظل لها المكانة الأولى، وغالبا ماتكون الثانية من طبقة أدنى لترضى أن تكون لها المكانة الثانية. وكانت العادة أن تزوّج الزوجة زوجها من **جاريتها** إذا قَنَطت أن تكون لها منه الولد، إلا أنها تضم ولد جاريتها إليها. وقد فعلت ذلك **السيدة سارة**، فزوّجت **سيدنا إبراهيم** من جاريتها **هاجر** فأنجبت له **إسماعيل**. وسارة كما هى فى **التوراة** عجول وعصبية وغيورة، ولم تحتمل أن يكون لإبراهيم الولد من جاريتها دونها فرزقها الله **إسحاق**. ويضرب علماء النفس المثل **بالسيدة سارة** على التأثير النفسى للغيرة على المرأة العقيم، ويجعلها الكثير من الروائيين نموذجا يحتذى وخاصة **فى الأدب الشعبى** فيما يروى عن العلاقات الإنسانية بين الزوجة والضُرّة، فإذا كان العُقم بالزوجة لعصبيتها فقد لاتحمل، إلا أن إنجاب زوجها من غيرها قد يجعلها تحمل. والعصبية قد تكون بالمرأة لسبب أو لآخر، ويجعلها ذلك باردة جنسيا مع زوجها، وقد تؤثر برودتها تلك على إفراز البويضات عندها، أو يُغلَق رحمها دون الحيوانات المنوية للزوج فلا تنجب لهذ السبب، إلا أن زواجه من غيرها قد يفتح رحمها، وقد يعجّل ويُسارع ويزيد من إفراز البويضات عندها. وقد تجعلها الغيرة تسترخى فى الجماع فيصيبها زوجها بعد انحباس. وكذلك قد تنجب العاقر بتبنى طفل، فيستحدث بها التبنى من الأثر النفسى مايجعلها «تتفتح» على الحقيقة لا على المجاز لفكرة الحمل. وبعض النساء قد يرغبن فى الحمل ويعلن عن ذلك ولكنهن فى الحقيقة لايردنه، أو أنهن يقاومنه لاشعوريا، ربما لأن المرأة تميل إلى **الذكورة النفسية** أكثر من الأنوثة، أو لأنها تكره الدور الأنثوى وتعافّ أنها امرأة وأن يأتيها الرجل، أو لأنها تكره الأمومة لذكريات فى لاشعورها عن دور الأمومة نتيجة نموذج أمها السئ كأم. وللزواج من ضُرّة تأثير على الزوجة أشد من تأثير التبنى على المرأة العقيم، فالتبنى يحنن المرأة ويستهويها أن تكون أما بعد أن تجرب الأمومة مع الطفل الذى تتبناه، وأما الزواج من ضُرّة فهو يقلب حياة

المرأة ويهزها نفسيا، فإذا استمرت مع زوجها رغم زواجه من غيرها فقد يثير زواجه من أخرى الاضطراب فى سلوكياتها الجنسية، وقد تذهب بها تصوراتها إلى تخَيل أشياء واستحداث طرق تحاول بها أن تستعيد زوجها، ويشبه حال الضرة مع الزوجة الأولى حال **الحافز فى الكيمياء** الذى من شأنه أن يتولد التفاعل بين عناصر لم يكن من الممكن أن تتفاعل مع بعضها بدونه. وتتأبىّ بعض النساء على الجماع، وقد لايحسنّه كما فى حالات العُصَابيات، ولكنهن بالضُرّة قد يفعلن الجماع ويُحسنّه ويتفتحن به على الحمل.

ولربما يتزوج الرجل على زوجته لأن به نَهَما جنسيا، ولربما تكون الزوجة طبيعية معه فإذا تزوج عليها استشعرت لذلك المرارة وعافته نفسها وتأبّت عليه وانحبست على نفسها دونه. والكثير من حالات **البرود الجنسى** تُستَحدث بعد زواج الزوج من أخرى، أو بعد اكتشاف الزوجة أن لزوجها علاقة جنسية بأخرى. والمستفاد من أحوال الصحة والمرض فى مجال النفس والجنس، أن الذكر بالفطرة قد يصيب أكثر من أنثى، وقد يفعل ذلك مع الأنثى الواحدة أكثر من مرة، والملاحظ من الإحصائيات فى أغلب الدول، أن تعداد الذكور يزيد على تعداد الإناث، وتزيد المفارقة بين العددين فى أوقات الحروب، ويُروَى أن الحرب العالمية الثانية قد قُتِل بسببها نحو عشرين مليونا من الشباب الذكور. ولربما كانت إباحة **اليهودية والإسلام** لتعدد الزوجات لبعض من تلك الأسباب السابقة، أو لكل هذه الأسباب.

وبعض المجتمعات تبيح للمرأة أن يكون لها أكثر من رجل، ومثلما هناك تعدد للزوجات فهناك أيضا **تعدد للأزواج**، إلا أن ذلك كان فى المجتمعات القديمة البدائية، وكان ذلك بتأثير الاستقرار فى هذه المجتمعات، بحيث كانت تزيد بها أعداد النساء عن أعداد الرجال. ويُروَى أن بعض القبائل كانت تقتل الإناث منذ الميلاد برغم أن هذه القبائل نفسها تحكمها النساء ويعمل بها الرجال عمل النساء. وتروى **هيلين دويتش** أن مثل هذه المجتمعات لم يقيض لها البقاء لخروجها على الفطرة، إلا أنه فى عصرنا قد يكون للمرأة أكثر من رجل، ومع مناخ الحرية الذى نعيشه واستقلالية المرأة اقتصاديا بتوافر فرص العمل لها، نلاحظ أن المجتمعات الصناعية تزيد بها أن تكون للمرأة علاقات جنسية متعددة. ومن رأى الكثير من علماء الأنثربولوجيا وعلم نفس الحيوان أن الذكور تمنع إناثها أن يكون لهن علاقات جنسية بغيرهم، ويزوِد الذكر عن حياضه ولو أدّى ذلك إلى موته، وقد لايكون قادرا على مُسافَدة كل إناثه، إلا أنه لا يسمح لذكر آخر أن يقترب منهن. وقد لوحظ فى مجتمعات **قردة**

البابون والروسوس أن الإناث قد يخضعن لعدوان المعتدى، إلا أن نفور الذكر لنجدتهن يجعلهن يعتدين على المعتدى ويساعدن عليه الذكر الذى هن فى حياضه. وبعض إناث القردة يضربن الإناث الأخرى إذا قبلن مسافدة ذكور غير ذكورهن. ويقول **كنزى** فى كتابيه **السلوك الجنسى عند الذكر وعند الأنثى فى الإنسان**، أنه ربما كان **تعدد الزوجات** هو الأصل فى الطبيعة وليس **تعدد الأزواج**، وربما كان **التعفف** مطلوبا فى إناث الحيوان كما هو فى إناث الإنسان، وربما كان ذلك مردّه إلى عناصر الوراثة فى جنس كل الثدييات، ولعل هذا هو السبب أن المجتمعات تبيح تعدد الزوجات، وتتغاضى عن سلوك الرجل الذى يحب أو يتعلق بأخرى خلاف زوجته، ولكنها تستهجن سلوك المرأة التى تكون لها بغير زوجها علاقات جنسية غير مشروعة، وربما لم يفعل التشريع سوى أنه قَنّن الفطرة. وقد يغالى بعض الرجال فى التعدد بحيث يكون له علاقات لا تحصَى كما كان **دون جوان** أو ما يسمى **زئر النساء**. ولقد كان **للنبى سليمان** من الزوجات، بحسب رواية التوراة، سبعمائة ومن السرارى ثلاثمئة، إلا أنه فى **علم النفس** فإن حالة زئر النساء الذى يطلب كل امرأة وينشط للغزو باستمرار، قد ترجع إلى ما يسمى **جُنّة النكاح**، تكون بالرجل فيأتى المرأة ولكنه لا يعاودها، بل يطلب غيرها وينتصب إذا كانت هناك آخرى، ويرجع **يونج** ذلك فيه إلى فشل فى علاقاته بأمه فى الطفولة، بحيث تظل به رغبات وحاجات عاطفية وجنسية لا ترتوى، وتكبر معه إلى الرجولة، وهو يفعل مع النساء فعل البغى مع الرجال، فهى الأخرى لا ترتوى وتشكو البرود الجنسى، وتكرر لذلك الفعل الجنسى لعلّها ترتوى به دونما فائدة. ويرجع **فرويد** البغاء والدونجوانية إلى رغبه فى **الثأر من جنس الرجال، أو جنس النساء**، بسبب كراهية تتولد عند الطفل لأمه النابذة، أو عند الطفلة لأبيها النابذ وأمها المسيطرة. ولربما يرجع تعدد الزوجات أو الزواج بأكثر من واحدة المرة بعد الآخرى إلى دوافع من هذا القبيل. ومن **رأى التحليل النفسى** أن الفحولة الجنسية فى الرجال هى التى تكون بهم فيطلبون فى الجنس إشباع الطرف الآخر، وهو مانعبر عنه باسم الحب المتوجه إلى موضوع، كنقيض للحب المتوجه إلى الذات، والرجل المحب لذاته يطلب المرأة لإشباعه جنسياً، بعكس الرجل المكتمل الرجولة الذى يطلب المرأة ويعطيها ويبادلها العطاء، ومن ثم فإن الرجل الذى يتزوج بأكثر من واحدة يكون محبا لنفسه وطالبا للشهوة، وهو يستخدم المرأة كوسيلة لإشباع شهوته، على عكس الرجل الذى يتوافق مع زوجة واحدة ويضع فى

اعتباره وهو يجامعها أنها إنسان لها حاجاتها، ويسعى أن يُشبع فيها هذه الحاجات، وتتحصل له اللذة وهو يشبعها فيها، وكمال الجنس فى المرأة والرجل على السواء هو **العطاء**، وليس الأخذ دون عطاء سوى **أنانية**، والنمط الأنانى من الرجال والنساء أو **النمط النرجسى** هو أسوأ أنماط الأزواج، وكمال الشخصية فى الزوج تبين بتوجهاته، والتعدد دليل أكيد على الأنانية، والتوجه إلى «**أنا الزوج**» دون «**أنا الزوجة**» لايمكن أن يتولد به التوافق فى الزواج. وفى العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج كما فى **المجتمعات الأوروبية** تتحصل هذه العلاقات من باب **المشاعية الجنسية**، والمشاعى الجنسى هو الذى تتعدد علاقاته الجنسية بأكثر من امرأة، وهو يعجز عن أن يحب واحدة لأن نوازعه الجنسية أقوى من عواطفه، أو أن مكوّناته الجنسية كانت تتطور وتنمو عنده مستقلة عن مكوناته العاطفية، وهو خلال عملية النمو النفسى الجنسى يتثبّت عند المرحلة الأوديبية، بمعنى أنه يستحيل عليه التطور من هذه المرحلة إلى المراحل التالية الأكثر نضجا والتى يكون بها إنسانا مكتملا للنضج النفسى والجنسى، وتحول بينه وبين النضوج شدة مايعتمل فى نفسه من غيْرة وكراهية يتعاورانه تجاه والديه، ولربما تكون علاقات الأبوين ببعضهما وبالإبن أو الإبنه بحيث لاينمو الطفل وجدانيا النمو الصحيح، ولا يكون له الأنا والأنا الأعلى اللذان بهما يكون تفاعله السليم من بعد بالناس، ويتحلل لذلك من القيم الأخلاقية، وتأتى تصرفاته على المستوى الغريزى وحده. وقد تبّين من دراسة بعض الحالات من المشاعية الجنسية وحالات تعدد الأزواج أو الزوجات أن المشاعى أو المتعدد ربما يفرط فى الجنس مع غير موضوع واحد ليحول بين نفسه وأن يتورط فى علاقات تربطه بهذا الموضوع الواحد، بحيث يظهر أنه يعتمد على هذا الموضوع وحده لإشباع حاجاته، وهو يخشى أن ينكشف كاعتمادى فينوّع فى علاقاته. وقيل إن التعدد كان أساس المجتمعات التى كانت تحكمها النساء، فلما تحوّلت المجتمعات بحيث صارت يحكمها الرجال صار التعدد من حقوق الرجال دون النساء، ليُنسَب الولد لأبيه، ومن ثم فالهدف الأساسى فى مجتمعاتنا التى تمارس التعدد بالنسبة للرجال كان **هو الإنجاب**، بعد أن كان فى المجتمعات التى تحكمها النساء ويتعدد فيها الأزواج هو تحصيل اللذة. ولقد لاحظ علماء الاجتماع أن السلوك الجنسى عند ذكور الثدييات وإناثها يخمد مع طول المعاشرة، فى حالة انفراد الذكر بأنثى واحدة لشهور، إلا أننا إذا استقدمنا مثلاً قردا ذكراً ينضاف إلى الذكر والأنثى من القرود

فإن القادم الجديد بصرف النظر عن استثارته لعدوانية الذكر، يوقظ فيه جنسيته، بحيث أنه يكثر من النزو على الأنثى، ويُنعظ أكثر من مرة بدون أن يقدّم للجماع، وكذلك لوحظ أن الأنثى تطلب الذكر وتسعى إليه. وأيضا فإن الثور الجديد يثير غيْرة الثيران القدامى ويجعلها تطلب الإناث بعد فترة خمود جنسي. ولقد استخلص علماء النفس من ذلك أن العزوف عن الجماع أو قلّته في ذكور البشر المتزوجين من واحدة، لابد أن مصدره **طول المعاشرة ورتابة الحياة الزوجية**، وقد يترتب على ذلك أن يندر جماع الزوجين، أو تصاب المرأة بالبرود الجنسي، أو يصاب الرجل بالعُنّة. ويجمع علماء النفس على أن **نظام الزوجة الواحدة أو الزوج الواحد** لابد أن له هذا الأثر، ولذلك فقد يُنصح أحيانا من الناحية العلمية وليس من الناحية الأخلاقية، بأن يتزوج الرجل بأخرى، أو أن تكون له علاقات جنسية بأخريات خارج نطاق الزواج. وقد تبيح بعض المجتمعات للمرأة والرجل، أن يختلطا مخالطة من شأنها أن تثير فيهما النوازع الجنسية، من غير أن يتورط الطرفان في علاقات صريحة، **والرقص الأوروبي** مجال من هذه المجالات، وكذلك **الزيارات المختلطة، والتعليم المختلط**، إلى غير ذلك مما تحفل به الحياة العصرية. ويرى علماء النفس في ذلك تنفيسا عن الضغوط التي تفرضها الحياة الحديثة، ومجلبةً للإثارة يمكن بها أن تستمر الحياة الزوجية من غير رتابتها المعتادة. غير أن نظام تعدد الزوجات يظل مع ذلك يفضُل الاختلاط من غير إباحة جنسية، أو الاختلاط مع الإباحة الجنسية، بالنظر إلى الأضرار النفسية التي يمكن أن تترتب على الاختلاط غير المنضبط اجتماعيا. ولقد كانت **بأوروبا** نُظُم معمول بها لها نفس أهداف نظام تعدد الزوجات من غير أن تكون لها نتائجه النفسية والاجتماعية، ومن ذلك ما كان يقال له **حق الليلة الأولى** Jus primae noctis أو **حق السيد** droit du seigneur وهو أن تهب المرأة نفسها للإقطاعي ليفضّ بكارتها قبل أن تُزَف إلى عريسها. وأمثال هذه النظم لم تكن المرأة هي التي تشرّعها، فالرجل هو المشرع دائما لها. وفي **الإسكيمو وبعض قبائل آسيا** يهدِي الزوج زوجته للضيف كضرب من كَرَم الضيافة، فتبيت معه ويضاجعها. وفي إحدى الإحصائيات تبين أن النساء اللاتي يتزوجن أكثر من مرة نحو ١٠٪، بينما أن الرجال الذين يفعلون ذلك نحو ٤٠٪. ويبدو أن الإناث في **أغلب الثدييات** قد يقضين حياتهن كلها دون أن يكون لهن إلا زوج واحد. ولعل ذلك يفسر لنا وجود **غشاء البكارة** عند إناث الإنسان، فالإنسان ترتقي عنده القيم، ويعي أن له رسالة، ولم

تُعرف لغشاء البكارة وظيفة فسيولوجية إلا أن يكون علامة على البكارة، والإنسان هو الوحيد الذى لإناثه غشاء بكارة، وهو أيضا الوحيد الذى يقول بالشرف كقيمة ويربطه بُعذرية الفتاة، ولعل ذلك يفسر قول العامة وصفاً للفتاة أنها بِختِم ربها، ونفهم من ذلك أن المرأة مطلوب منها أن تحافظ على نفسها إلى أن يتسلمها زوجها، وكأن **العفة فطرة فى المرأة**، ولقد فُهِم من ذلك أن الزواج عند المرأة لايكون إلا بواحد، وهو وحده الذى يفُضّ بكارتها، فى حين أن الرجل لم يُختَص بعلامة كعلامة غشاء البكارة، ومن ثم فقد يكون له أن يجمع بين أكثر من زوجة. وإذا كان الرجل الذى يأخذ بنظام التعدد يأتى النساء كما يأتيهن الرجل الذى لايأخذ بنظام التعدد ولكنه يمارس الاختلاط والمشاعية الجنسية، فإنه لايكون هناك فرق بين الشعوب من ناحية القوة الجنسية وإلحاح الجنس عندها إلا فى مجال تحريم أو تحليل التعدد أو المشاعية. وقيل إن **الشعب اليهودى والشعوب الإسلامية** التى تأخذ بالتعدد، وتحظر المشاعية وتعاقب عليها بالجلد أوالرجم، **هى شعوب أخلاقية**. وقيل أيضا أن التعدد يعنى أن الشعب الذى يأخذ به شعب له توجهاته الجنسية أكثر من غيره. والشعوب المسلمة يتميز فيها الرجل بالفحولة والمرأة بالخصوبة، وليس ذلك لأسباب فسيولوجية، وإنما قد يرجع فى جانب منه إلى أن الثقافة الجنسية من الأمور التى يُطلَب من المسلم والمسلمة أن يلِمّا بها، وهما لايتحرجان أن يسألا فيها ككمالٍ لدينهما. والعلاقة الجنسية يحددها القرآن فى آيات، ويتعرض لها الرسول فى الكثير من الأحاديث النبوية. وربما كان المسلم والمسلمة لذلك أعرف بما لهما وماعليهما من مسائل الجنس. وكذلك فإن الجنس فى الإسلام فضلا عن أنه من زينة الحياة، فهو أيضا للإنجاب، والرسول يحُضَ على التناسل والتكاثر، ولعل ذلك جميعه هو الفارق بين العربى المسلم وغير العربى فيما يقال عن فحولة الشعوب أو خصوبة نسائها. وليس تعدد الزوجات إلا من الرُخَص التى تسهّل على المسلم حياته. ويقول **كينزى** إن ٢٥٪ من المتزوجات فى المجتمع الأمريكى الأبيض يزنين، بينما يزنى من المتزوجين ٤٥٪، وأنه مع تقادم الزواج يتحرر الأمريكى والأمريكية من الغيْرة، ومن أية قيود أخلاقية على سلوكهما، ولايعود أيهما يهتم بخيانة الآخر له، وأن ٨٥٪ من حالات الزنا يُسجّل أصحابها أنهم نساءً ورجالاً ينُعظون، أى أنهم لم يعد بهم أى حرج أخلاقى، وأنهم لم يعودوا واقعين تحت سيطرة الكوابح والزواجر الأخلاقية أو الدينية. **والإسلام** يعالج هذه الحالات بتعدد الزوجات، ويجد لها حلولا بالثقافة

الجنسية التى تأخذ بها التربية المسلمة الفتى والفتاة منذ المرحلة المتوسطة فى التعليم، حيث تُدرّس للطلبة والطالبات فى نحو سن التاسعة ومابعدها الآيات والأحاديث التى يتعرفون من خلالها على مشاكل الطهارة والاستمناء والاغتسال، والزواج والطلاق، والحرام والحلال فى الجنس، التى يمكن أن تواجههم فى المراهقة ومابعدها.

وفى إحدى البحوث التى أمكن القيام بها فى قُطر عربى من أقطار البترول بين العائلات من الأزواج من مختلف الشعوب الإسلامية من بين المتزوجين بأكثر من واحدة، تبين أنه من بين ٧٠٠ حالة كان الرجل فى ٨٥٪ يتزوج على زوجته بعد الخامسة والثلاثين، وأنه فى ٣.٥٪ منها كان يتزوج بعد الخمسين، وأنه فى ٢.٨٪ كان يتزوج بعد الستين. وكان زوج الاثنتين يقسم الأسبوع بينهما، بينما زوج الثلاث يعطى كل واحدة يومين، وزوج الأربع يبيت لدى كل واحدة ليلة ثم يبدأ من جديد وهكذا، وأن الزوج فى كل هذه الحالات غالبا مايضاجع امرأته إلا إذا تفجرت المشاكل بينهما. ولم تكن بالزوجات شكوى من الناحية الجنسية من أزواجهن إلا بخصوص المسائل المالية. وكانت هناك حالات لأزواج بعد الخمسين أصيبوا بالخمود الجنسى ولكن الزواج بأخرى أيقظ فيهم قدراتهم الجنسية. وتزيد نسبة تعدد الزوجات بين **البدو** عنها بين سكان الحضر، وبين **أهل الريف** عنها بين أهل المدن، وبين **العمال** عنها بين المثقفين. ويكثر تعدد الزوجات بين **الأغنياء وذكور العائلات الحاكمة**، وهو ميزة كان الموسرون والحكام دائما يختصون بها أنفسهم فى كل مكان فى العالم القديم والجديد. وفى بحث فى حى من الأحياء الشعبية بالقاهرة كان هناك ١٣٨ زوجا يمارسون التعدد، ١٨٪ منهم يجمعون بين أكثر من زوجة فى بيت واحد، بينما ٦٧٪ كانوا يُسكنون الزوجتين وأولادهما فى بيت من حجرتين، بينما كانت هناك أربع حالات يعيش الزوج مع زوجتيه فى حجرة واحدة. وفى بحث فى بلد بترولى عربى كانت نسبة المتزوجين بأكثر من واحدة فى مجتمع المدرسين ٤٪.

ويتعاطى الكثير من المتزوجين بأكثر من واحدة **المخدرات**، وبعضهم يتعاطى **الخمور**، والبعض يتناول **العقاقير المطيلة للجماع**. وتشيع **المخدرات** بين العمال ويقبل المتعلمون على **الخمور**، وعموما فإن التعاطى يختلف من قطر عربى أو إسلامى إلى قطر آخر بحسب سهولة الحصول على المخدر أو العقار. ومن استقصاء تأثير التعاطى على العملية الجنسية كان الإجماع على أن **الخمر تزيد الانتصاب ولكنها تُسرع بالقذف**، بينما **يزيد الأفيون من القدرة الجنسية** بحيث يستطيع المتعاطى معاودة زوجتة عدة مرات، ويصيب الحشيش

المتعاطى بحالة من الانسجام تزين له الشهوات وتزيد به الخيالات الجنسية، إلاأن قدرتة على الانتصاب تتهافت باستمرار. وعموما فإن تعدد الزوجات بقدر ما يدفع إلى التعاطى إلا أن **الإدمان** يضعف من صحة الزوج وينتهى به إلى العُنّة، أو تقوم بسببه بينه وبين زوجاته مشاكل جنسية تترتب عليها مشاكل نفسية من شأنها تقويض التوافق والحياة الزوجية برمتها. وتبين أنه فى ١٦٪ من الحالات فإن المتعاطى يدفع زوجة من زوجاته، أو يدفعهن جميعا، إلى التعاطى لمشاركته، وتتأثر **المرأة** ويصيبها مع مرور الزمن **البرود الجنسى** فيتأخر إنعاظها، وقد لا تنعظ بالمرة، والبعض من النساء يصبن بنوع من **اللامبالاة الجنسية**.

وتتأثر **اقتصاديات** المتزوج بأكثر من واحدة بالنظر إلى ما تتطلبه إعالة الزوجات وأولادهن. وفى الأوساط الفقيرة تتأثر **القدرة الجنسية** للزوج بسبب الضغوط النفسية والمالية، وقد يُقبل الزوج على المخدرات أو الخمر ليستطيع أن يواظب على عاداته الجنسية، ومن شأن الإدمان أن يهمل المدمن نواحى التغذية فتتأثر بذلك قدرته الجنسية.

ومن الممكن أن يعمّر الزواج بأكثر من واحدة إذا أنجبت الزوجة الجديدة والقديمة، إلا أنه كثيرا ما لا تنجب الزوجة، ربما لأسباب عضوية، أو ربما لأسباب نفسية بسبب الضغوط التى تعانى منها مع زوج له أكثر من زوجة، وعندئذ فغالبا ما يطلقها خلال سنة أو سنتين من الزواج. وكثيرا ما يتزوج الزوج بعد الطلاق بعد فترة تطول أو تقصر. وبعض الأزواج يطلّق باستمرار لكى يجمع بصفة مستمرة بين أربع زوجات. وفى لقاءات مع عدد من هؤلاء تبين أن الزوج به نَهَم جنسى، ويُشغَل بخيالات جنسية بحيث يشكو دائما من الجوع الجنسى الذى يلح عليه، فيضاجع باستمرار ويعاود المضاجعة، ولكنه لا يشبع. ويفسر أطباء النفس ذلك بأنه عُنّة قذف. وفى بعض الحالات يكون التعدد الكثير بسبب ميول شَبَقية سادية تجعل الزوج يجمع بين أكثر من زوجة، يربطهن به ويتحكم فيهن، ولأنه لا ينعظ فإنه يُشغَل بالنكاح باستمرار، وبتصريف طاقته الجنسية، وقد يضاجع الأربع زوجات مرة واحدة أو الواحدة بعد الأخرى، وفى حالات نادرة قد يلجأ إلى العادة السرية ليستطيع الاستمناء. وقد يعثر الرجل الغليم على امرأة غليمة مثله، والكثيرون من أمثاله يتزوجون بغايا لهذا السبب. وربما قد يُدَفع الغليم إلى الزواج من أكثر من امرأة لمشاعر كراهية تتخلف عنده لأمه منذ الطفولة بسبب أنها أم نابذة أو مسيطرة، أو لأنها لم تشبع

فيه حاجاته إلى المحبة. ولربما يكون الدافع إلى تعدد الزوجات ميول لواطية كامنة تجعله يغالى فى السلوك الذكورى، فيتزوج ويطلّق، وتكون له الشهرة بأنه مِزواج، وبذلك تتوارى الميول اللواطية عنده التى تحاول الظهورمن آن إلى آخر.

وكثيرا ما يكون زواج الرجل من الزوجة الثانية وفارق العمر بينهما كبير، ويبدو أن دوافع الرجل إلى مثل هذا الزواج أوديبية، بمعنى أن الرجل الذى يتزوج من امرأة فى مثل سن ابنته، لابد أن تكون به ميول شبقية إلى محارمه من أمثال بناته أو أخواته، وهناك حالات كثيرة لا تقوم بين الزوج الكبير وزوجته الثانية الصغيرة علاقات جنسية صريحة، ولكن زواجة منها يشبع فيه وفيها حاجات للمحبة لاتجد الإشباع لها فى الظروف العادية، وقد تجد الزوجة الثانية الصغيرة فى هذا الزواج ما يحقق فيها إشباع الحاجة إلى معاملة كمعاملة الأب، فربما تجد فى كنف هذا الزوج الأب الذى تفتقده، وربما يجد فيها زوجهاالإبنه التى يريدها لنفسه.

وتتعقد الأمور كثيرا إذا كان للزوج أولاد يعيشون مع زوجته، أو إذا كان للزوج أكثر من زوجة وقد أنجب منهن جميعا، وتتشابك العلاقات بين الجميع ويسودها التنافس والغيْرة وتشحن بالكراهية، ويكون السلوك الظاهر عدوانيا، وقد لا يكون سافرا، إلا أن المناخ النفسى السائد لا يكون هو المناخ الصحى الصالح لتنشئة الأولاد. ويتميز الفرد الذى يكبر فى مثل هذه البيئة باتجاهاتٍ فى الشخصية ليست هى الاتجاهات السوية، والعامة تصفه بأنه «**تربية ضرائر**»، ويستشعر الظلم الواقع على أمه من أبيه، كما لايجد المحبة من أبيه، وقد يفتقد أباه، فيفتقد بذلك ما يجب أن يتعين به مما يناط بالأب عادة كقدوة ومثال، يتمثل فيه معانى الرجولة والواجب والمُثُل العليا الأخلاقية والدينية والأهداف الاجتماعية، وبعض الأطفال فى العائلات التى يتزوج فيها الأب بأكثر من زوجة يتوجه إلى خارج البيت بنشاطه وحاجاته، ويجد فى أقرانه أو الشخصيات الاجتماعية الأخرى فى محيطه ما ينقصه فى البيت، وقد يوفقه الله إلى ما يعوضه عن الأب، أو قد لا يوفق إلى ذلك فيضل ويجنح ويعرف أقران السوء، ويستبدل الأسرة بالعصابة أو الشِلّة، وقد يصرف عدوانيته فى العراك أو السلوك غير الاجتماعى، ويتعلم الكذب والسرقة وتعاطى المخدرات والانحرافات الجنسية، أو يقدم على والانتحار.

❋ ❋ ❋

الفصـل الرابـع والعشـرون

زوجـة الأب Stepmother

دوافعها النفسية، وسيكلوجيتها، وعلاقاتها بابنة زوجها، وبابنه، وتفسير أسطورة ميديا اليونانية، وعلاقة أولادها بأولاد زوجها.

يدور الكثير من **القصص الشعبى** حول زوجة الأب، وهناك العديد من **الأمثال العامية** تحكى عن العلاقة بين هذه الزوجة وبين أبناء الزوج، والصورة العامة لزوجة الأب أنها قاسية تستأثر بالزوج لنفسها ولأولادها دون أولاده من غيرها، وأنها لذلك تحيك المؤامرات وتُظهر من المكر ما يمكّنها من تحقيق أهدافها، وقد تلجأ إلى السِحر، وربما تتحول إلى الجريمة وتكيد لأبناء زوجها حتى ليقال إنها قد تحاول تسميمهم، وقد نقرأ عن هذه الجرائم فى الصحف اليومية، وقد يحكى الأهل فى محافلهم الخاصة عن ذلك، وربما تكون هناك قصص يرويها الجيران. وهذه الصورة العامة يغذيها دائما **الأدب الشعبى**، وقد تحدد الأمثال العامية والروايات الشعبية مكانه زوجة الأب وعلاقاتها بمختلف أفراد عائلة زوجها، حتى من قبل أن تكون لها بهم علاقات جدّية. ويتأثر الزوج نفسيا بما يقال، وتختلف المشاكل التى يثيرها زواجه الجديد بحسب الأسباب التى تؤدى إليه، فقد يكون هذا الزواج لوفاة الزوجة الأولى، أو لطلاقها، أو بسبب عدم الإنجاب أو ربما لأنه يفتقد الإشباع النفسى أو الجنسى مع الزوجة الأولى.

ولزوجة الأب مشاكل مع **ابنة زوجها** بخلاف مشاكلها مع ابن الزوج، وغالباً ما لاتحب ابنة الزوج زوجة أبيها لأنها قد حلّت من نفسه محل أمها، وتتحدد علاقة الإبنة بزوجة أبيها بعلاقاتها التى كانت لها بأمها. ولو قارنا علاقة البنت بأمها بعلاقتها بزوجة أبيها، نجد أن البنت فى علاقتها بأمها تنتهى بها صراعاتها الأوديبية معها بأن تتقمص غالباً دورها وتتعين بها وتكبت غيرتها منها وعداءها لها، وبهذه الطريقة تستميل أمها إليها وتكسب أباها إلى صفها، ولكن **فى حالة زوجة الأب** لا تجد البنت مبرراً لكى تكبت كراهيتها لزوجة أبيها فتسفر عنها، وتظهر حبها لأبيها صراحة، وتغار عليه منها علنا، وماكان غيرة منها لأمها على المستوى الشعورى أو اللاشعورى تزيحه إلى زوجة أبيها، فتستعدى زوجة أبيها عليها، فتناصبها هذه العداء، وتجد الإبنة فرصتها فى أن تتقول على زوجة أبيها الأقاويل،

بدعوى أنها زوجة أب، والمفروض فى زوجة الأب أن تكره أولاد زوجها، وكذلك تجد زوجة الأب أن ما يقال عن كراهية أولاد الزوجة لزوجة الأب أمر حقيقى، وتجد لنفسها العذر فى أن تكرههم، وخاصة كراهيتها لبنت الزوج.

والأم عادة يأتيها الشعور بأن ابنتها تتأنّث لزوجها وقد يغضبها ذلك شعوريا أو لاشعوريا، ولأن ابنتها من المحارم فلا يمكن أن يخطر ببالها أن تقوم بين ابنتها وأبيها علاقة غير شرعية؛ ولكن زوجة الأب قد يأتيها هذا الخاطر، وقد يتلبّسها بقوة حتى ليتحول إلى ما يشبه الهُذاء وقد فتتهمهما صراحة بالزنا. وتعكس زوجة الأب فى ذلك صراعاتها الأوديبية القديمة والتى لم تُحلّ، تعكسها على علاقات الإبنة بأبيها، وتسقط على ابنة الزوج ما كانت تستشعره هى نفسها حيال أبيها وأمها وتشعر إزاءه بالذنب.

وغالبا مايكون للمرأة أو الفتاة التى تقبل أن تكون زوجة أب **سيكولوجية خاصة**، فليست كل امرأة أو فتاة تقبل بهذا الدور، وهناك من النساء من لايُرضيها إلا أن يكون الزوج الذى تختاره قد سبق له الزواج، ويسعدها أن تأخذ زوج أخرى، أو أن يكون الزوج الذى يقع اختيارها عليه أرملاً أو مطلقا. وبعض النساء ينجذبن إلى رجال لهم أطفال من زواج سابق، والكثيرات من هؤلاء النساء يَمتِهنّ مِهَناً من نوع خاص، كأن تكنّ مشرفات فى مدرسة داخلية أو ممرضات لأطفال يتامى، والغالب أنهن يعوّضن أنفسهن من حيث أنهن لم يكن لهن أولاد.

وتبدى **أخت الزوجة المتوفاة** تفانياً فى خدمة أولاد أختها وزوجها، وتضبط البيت وتصرفات الجميع فيه بعد وفاة أختها، حتى ليعتمد الجميع عليها فى كل مايخصهم، وتبدو أخت الزوجة المتوفاة وكأنه لاغنى للبيت عنها. ويذهب أهل الزوجة المتوفاة فى تأكيد صلاحيتها كزوجة جديدة، بنسج الأعذار التى يصدُقها واقع الحال، فهى الأوْلى برعاية أولاد أختها المتوفاة، ومن ثم تفضُل كل النساء كزوجة جديدة. ومثل هذه الأخت لها أيضا تكوينها النفسى المعين، وغالبا ماتكون من هذا الصنف من النسوة اللاتى لايسعدهن إلا ما بيد الأخريات، وخاصة ما بيد أخواتها، وهى دائما تصغر المتوفاة، وتكون أقرب أخواتها إليها. وتتضاعف الصراعات لدى أولاد الزوجة المتوفاة بزواج أبيهم من خالتهم، وذلك بأنه بالإضافة إلى الصراعات الأوديبية المعتادة، فإن الأب يزيد التصاقه بابنته باعتبارها تحلّ محلّ أمها، ويغويها الأب نفسيا بحيث تجد البنت، نفسها فى صراع حاد لاشعورى مع

خالتها. وكذلك فإن الزوجة تجد نفسها فى صراعات مع هذه البنت باعتبارها التجسيد النفسى لهذه الأخت المتوفاة، وتتعاورهما المشاعر المتعارضة بالنسبة للزوج، كما أن هناك مشاعر الذنب عند الخالة لزواجها من زوج أختها واستئثارها به دون أولاد أختها. وإذا كانت الزوجة الثانية لايمكن إلا أن تفكر باستمرار بأن ترتيبها هو الثانية دائما عند الزوج وأن الأفضلية للأولى، فإن الأخت يكون بها أيضا هذا الوعى، علاوة على الغيْرة المعتادة التى تكون بها أصلا من أختها المتوفاة ونتيجة مايسمى **«بالغيرة بين الشقيقات»** والتى تتربى معها منذ الطفولة. ولهذه الأخت التى تتزوج من زوج أختها المتوفاة طبيعة عدوانية تظهرها إيجابيا بالرعاية المفرطة لأولاد أختها وزوجها وبيتها، حتى لتجعل الجميع يعتمدون عليها اعتماداً ماسوشيا. وهى تتصرف بدوافع مادية أيضا حيث أنها تعتبر نفسها وريثة أختها فى مال زوجها، وأنها بزواجها من زوجها تُحول بين أن تؤول ثروته وثروة أولاد أختها إلى غيرهم.

وكثيرا مانسمع أن زوج المتوفاة قد تزوج من **صديقتها**، أو من **ممرضتها**، أو من **مربية** الأطفال التى كانت تخدمهم فى حياتها. وفى كل هذه الأحوال تعتبر الأخت أو الصديقة أو المربية أولاد المتوفاة كأولادها. ولا يزعم الزوج أنه تزوجها لرغبات جنسية فيها ولكن كحلّ عملى يمليه عليه الواقع والمصلحة، ويدعى أن الشهوة الجنسية هنا لم يكن لها إلا دور ثانوى عنده، وتدعى زوجة الأب أنها هى الأخرى قد زالت من عندها الرغبة الجنسية تحت غطاء الصداقة والقرابة والواجب، غير أن واقع الحال ينبئ أنها كانت تطمح بفكرها إلى أن تأخذ مكان الزوجة المتوفاة، وكانت تحسدها شعوريا أو لاشعوريا على زوجها الذى أعطاها هذه المكانة وهؤلاء الأولاد. وعندما تتزوجه تحاول أن يكون الزوج لها كما كان للأولى، ومن ثم تجد أن كل من يعوقها عن تحقيق ذلك معادٍ لها، ومن ثم تتغير تصرفاتها حيال الزوج وأولاده، ويحسب المحيطون بها أن سلوكها الطيب القديم لم يكن إلا مناورة منها لتحوز الزوج، فلما آل إليها ظهرت حقيقتها وانكشفت نواياها. والواقع أن الأخت أوالصديقة أو الممرضة أو المربية، كانت تتصرف من موقعها كأخت أوصديقة أو ممرضة بدوافع، بخلاف الدوافع التى صارت لها بعد أن أصبحت زوجة أب. وهى كزوجة تريد أن تكون الأولى وليست الثانية، وتزاحمها على هذه المكانة **ذكرى** الزوجة الأولى، وأقوى مايذكرّ بها هو أولادها، ومن ثم يكون اختلاف معاملتها لهم بعد زواجها. وعندما كانت مجرد أخت أو

صديقة أو ممرضة لم تكن لها لدى الأب مطالب ولم تكن تصارع أولاده على الحظوة عنده، ولكنها بعد أن صارت زوجة أصبحت تنازعهم أباهم، وتحولت علاقاتها بأبيهم من مجرد علاقة صداقة أو قرابة إلى علاقة جنسية، وهو ماينفّر الأولاد منها. وتختلف معاملتها للأولاد باختلاف تكوينها الجنسي ونمط شخصيتها، فلو كانت من **النوع الظاهر الأمومة**، فإن أمومتها ستغلب مايستدعيه الموقف الجديد، وقد تستطيع السيطرة على مشاعرها كزوجة أب تجاه زوجها وأولاده. ولو كانت من **النوع النرجسي الشهواني** الذى يطلب محبة الآخرين، ويسعى إلى التجّمل، وأن يعيش حياته، وأن يكون المحيطون به فى خدمته، فإنها ستثير المشاكل وتفّجر الموقف بينها وبين الزوج وأولاده. وإذا كانت **نرجسيتها** تطغى على شخصيتها، فإنها ستعتبر تعلّق الأولاد بأبيهم مسألة مزعجة، وستطالبه باستمرار أن يحزم أمره من مطالبهم، وستحرّضه عليهم، وتميل به إلى أن يغلظ لهم القول. وقد ينحو هذا الصنف النرجسى من السيدات إلى التمثيل، فتُبدى من العطف والحدْب على الأولاد مايبرّئها أمام الزوج والأهل، ولكنها بينها وبين نفسها لا تكّن لهم إلا أشد الخصام، وتطلب من الزوج أن يكافئها على تفانيها، وتشكو أنه غالبا لايفعل بالقدر الذى تتوقعه. ولأنها نرجسية فهى تطلب الكثير بأكبر مما يستطيع الزوج أن يعطيها. وإذ تجد زوجة الأب أنها لاتُكَافأ بالقدْر الذى تطلبه، فإنها تقلب ظهر المجن للأولاد، وفى ذلك الضرر الكبير لهم من الناحية النفسية بعد أن يكونوا قد ركنوا إليها وإلى مساعداتها.

ومن النوع **النرجسى** من زوجات الأب صنف يسعى إلى أن يجعل أولاد الزوج يتعبدونها ويتوجهون إليها بحيث تكون ضميرهم، وتكون الكلمة كلمتها، والنصح نصحها. وهى تريد أن تشعر فى قرارة نفسها أنها المنقذة لهذه الأسرة، وأنها قد ضحّت بالكثير بقبولها لهذه المسئولية. وتتوقف علاقاتها بالجميع على قبولهم لما تقوم به من دور الأمومة، وعلى نجاحها فى إقناع نفسها بهذا الدور وإقناعهم به. غير أنها يستحيل أن تتحصل على المردود الذى ينقلها من موقف زوجة الأب إلى موقف الأم، فمهما فعلت فلن يشعر الأولاد والأب إلا أنها تحاول ماليس لها، بل قد يقولون صراحة أن ذلك ليس من حقها.

وتستهدى بعض زوجات الأب فى اختيارهن لأزواجهن من بين المطلقين أو الأرامل بانطباعاتهن بالعلاقة التى كانت لهن فى الطفولة بآبائهن، فالرجل المطلّق أو الأرمل يبدو لها كأبيها، وهى غالبا من النوع الذى لم ينضج بعد انفعاليا، ومازال تنشد أن يكون الرجل

الذى تختاره لنفسها بمثابة الأب، وتنجذب إلى هذا المطلّق أو الأرمل بتأثير موقفه الذى يحلّه من نفسها محل أبيها . وقد يستهويها فيه أنه رجل ذو خبرة، أو أنه قد عانى مثلما كان يعانى أبوها مع أمها ، أو أنه عطوف على أولاده ويذكّرها عطفه بأبيها . وتقع بعض النسوة فى حب هؤلاء المطلقين والأرامل من أول لقاء. وقد تقول إن حزنه قد شدّها إليه، أو تقول إن مرحه برغم مشاكله هو الذى يأسرها إليه.

وتبرر بعض النسوة زواجهن من مطلّقين أو أرامل بأن الرجل الذى اخترنه أشبه بأمهاتهن، والمرأة من هذاالنوع تكون شديدة التعيّن بأمها والتقمّص لدورها، غير أنها لم يقدّر لها أن تعيش مع أمها، واحتضنتها خالتها أو عمتها أو جدتها منذ طفولتها، ولمست العطف من أى من هؤلاء، إلا أن شوقها لأمها يجعلها تتعجل أن تكون أمّا، وتختار أن تكون زوجة أب لأنها ستكون أمّا لأولاد هذا الزوج بالذات الذى يذكرها حنانه على أولاده بأمها .

وبعض النسوة ممن نشأن فى بيوت كثيرة الأولاد، تكون لها بأخواتها منازعات، فإذا اختارت أن تكون زوجة أب فإنها تدخل فى منازعات مع أولاده وكأنهم أخواتها، وتتنافس معهم على زوجها باعتباره أمّا للجميع، حيث يسلك الأب سلوك الأم، سواء مع أولاده أو معها، من حيث الحنان والحدب والموالاة. ومع ذلك فأغلب مشاكل زوجات الأب تقوم على ما كان من روابط بينهن وبين آبائهن وليس بينهن وبين أخواتهن. وكما يتطلب نجاح البنت فى القيام بدور الأم أن تكون علاقتها بأسرتها فى طفولتها سوية، فكذلك يتطلب نجاح زوجة الأب فى القيام بدورها كزوجة أب أن تكون علاقاتها فى الطفولة بأبويها وأخواتها سوية.

وكثيرا ما تتوجة زوجة الأب إلى الدين إذا كانت من النوع الذى تربّى بحيث صار له «أنا أعلى » صارم، يجعلها كما فى حالة الأخت التى تتزوج بزوج أختها المتوفاة تضحّى بنفسها كى تقوم بواجباتها تجاه أولاد أختها، ولكنها عندما تتزوج تستيقظ فيها أنوثتها، وتلحّ عليها أن تشبع رغباتها الجنسية، وأن يكون لها من زوجها الولد أيضا مثل أختها المتوفاة، وكأى زوجة، وتُدخلها مطالبها فى مشاكل مع الزوج الذى لايريد المزيد من الأولاد، وقد تنبّهها هذه المشاكل إلى حقيقة كونها لم تتزوج هذا الزوج إلا لترعى أولاد أختها، وقد يجعلها هذا «الأنا الأعلى» الصارم الذى دفعها إلى الزواج منه، تستشعر الذنب لأنها نسيت دوافع زواجها، أو لأنها تحس فى جسمها إحساس الأنثى، ومن ثم فقد تندفع إلى

الدين لعله ينقذها من عذابات هذا الأنا الأعلى ويكون لها ملاذا من إلحاحات أنوثتها. وقد يجعلها القلق الذى تعيش فيه بسبب هذه الصراعات داخلها، تنفر من أن تكون لها بزوجها علاقات جنسية وخاصة بعد أن تمر الفترة الأولى من الزواج. وقد تجد أنها كلما تحررت من رغباتها الجنسية استطاعت أن تكون زوجة أب صالحة. فإذا انغمست فى الجنس مع زوجها فإن نرجسيتها تغلبها وتسلك مع أولاده مسلك زوجة الأب التى تريد أن تستأثر برجلها دونهم. وأن تكون لها معه حياتها المستقلة.

ولربما يكون **الإحساس بالذنب** مسألة متأصلة فى نفس زوجة الأب منذ الطفولة لأسباب مختلفة. وهذا النوع من النساء اللاتى يكنّ فى الحياة على هيئة من الجِدّ يلحظها المراقبون لهن، كثيرا مايكون اختيارهن لأزواج مطلقات أو أرامل لأن ذلك الدور يناسب جِدّيتهن، وتستكمل به المرأة من هذا النوع الشعور بالذنب الأصيل عندها. وهى تقوم بدورها مع أولاد الزوج خير قيام، ولكنها تحوّل البيت إلى مكان كئيب بتأثير شعورها الدائم بأن زوجها تزوج على زوجته الأولى أو تزوج بعد زواجه الأول، وهى تستطيع أن تنسى له ذلك، وتحس أن زواجها من مثله بمثابة العقوبة لها على ذنب ربما لاتعرف كنهه، ولكنها تستشعر له مشاعر تضطرها إلى أن تُنزل العقاب بنفسها، بأن تكون هى نفسها **زوجة الأب المكروهة**، وتقبل أن تقوم بهذا الدور، وقد تتصرف فعلا بحيث تكون مكروهة، أو تتصرف بحيث تشعر أنها تضحى بنفسها، وهى فى الحالتين تخلق جوا من الكآبة فى البيت. وقد تعامل الأولاد بصرامة لأنها لن تغفر لهم أنهم قبلوها كزوجة أب ونسوا أمهم أو تناسوها، ومن الممكن أن ينسوها هى أيضا. وقد تُصاب من جرّاء تفكيرها وتصرفاتها التى تثير لديها الحيرة باضطراب عُصابى، تحاول به أن تعوّض عمّا تشعر أنه سلوك مستغرب منها. ولربما تنخرط فى **النشاط الاجتماعى الدينى**، أو تكون لها ممارسات دينية أكثر من سواها تعوّض عن شعورها بالذنب، وفى نفس الوقت تنفّس من خلالها عن عدوانيتها، بأن تحيل حياة زوجها وأولاده إلى **النكد الدائم** انتقاماً منهم لما بلغته حالتها. ولربما يكون أولاد الزوج مع أمهم المطلقة، ولربما لايضايقونها فى كثير أو قليل، ولربما يجعلها الشعور بالذنب المبهم الأصل تتصور أنهم يكرهونها وهم على البعد، وهى لن تغفر لزوجها أن أولاده يشاركونها فيه، وهى تعاقبه على ذلك بأن تُنزل به النكد، ولربما تنجب منه وتذهب فى الانتقام منه أو التنفيس عن شعورها بالذنب إلى أن تساوى بين **ابنها** الذى من لحمها

ودمها وبين **إخوته غير الأشقاء** فتكرهه بطريقة غير مباشرة، وتبدى له من السلوك العدوانى ما يستعديها عليه وتعجب له من نفسها أحيانا. وهى لكى تحب ابنها لابد أن تحب أباه وأولاده من الأخرى، وتحاول ذلك بهستيرية **وتغالى** فى تصرفاتها، ولكن مغالاتها تشكّك الآخرين فى سلوكها، وتفسّر شكّهم بأنه إحباط لها، ومن ثم تظهر العناد وتتصرف بسلبية، أو تسفر عن الكراهية للأب وأولاده منها أو من غيرها. ولعل ذلك يفسر لنا موقف **ميديا** فى الأسطورة اليونانية، التى **قتلت أولادها من زوجها** نكاية فيه، بدوافع مختلفة من الغْيرة والشعور بالذنب والقلق، بتأثير موقفها **كزوجة أب**. ونلاحظ أن النساء اللاتى يعانين من **عقدة ميديا** غالبا مايعانين أيضا من سوء الطمث، ومن العقم، فإذا حملن فلمرة واحدة، ولايستطعن إرضاع صغيرهن لجدب فى أثدائهن.

ويعتبر علماء النفس حالة **السيدة سارة زوجة سيدنا ابراهيم** مثلاً جيدا لتأثير الزواج بزوجة أب على **الزوجة الأولى التى لاتنجب**، ويفسرون عدم إنجاب سارة بأنه لأسباب عُصابية، فالواضح من قصتها كما وردت فى **التوراة** أنها لم تكن تحب إبراهيم، وكانت معاشرتها له بعد زواجه من **هاجر** مليئة بالمنازعات، وهى التى أجبرته على الرحيل بهاجر وابنها إسماعيل عن خيامه فى فلسطين إلى أرباض مكة فى شبه الجزيرة العربية. وقيل أيضا فى تفسير سلوكها أنها وهى من **طراز النساء العُصابيات**، تريد أن ينشأ أطفالها بحسب ماتراه هى لابحسب مايريدونه لأنفسهم. وهى صارمة فى سلوكها مع ابن زوجها، وصارمة مع ابنها إسحاق، ولم ترض أن يعود الوئام إلى بيت زوجها إلا إذا استبعد زوجها كل مايخص الزوجة الأخرى. وبعض النسوة لايفعلن ذلك إلا إذا كن يستشعرن الغيرة لدرجة المرض، أو أنهن يستشعرن الذنب الممضّ، وكانت **سارة** من النوعين معا، فقد كانت تغار من **هاجر**، حيث هاجر **صغيرة فى** السن بينما كانت هى **عجوزا طاعنة**، وكانت تحس الذنب لأنها **هى التى زوّجتها لإبراهيم**.

وتتعقد الأمور كثيرا إذا كانت **زوجة الأب صغيرة السن** قياساً إلى عمر زوجها، وإذا كان ابنه كبيرا يضاهيها فى السن، وعندئذ فقد تقوم علاقة **صداقة بين زوجة الأب والإبن**، تتحول بتأثير التواجد معا تحت سقف واحد، وبتأثير العلاقة الجنسية بين الأب وزوجته، إلى علاقة من نوع محرّم، فيشتهيها الإبن كاشتهاء أبيه، وخاصة أنها لاتنزل من نفسه منزلة أمه لفارق السن المذكور. وقد لاترى زوجة الأب بأساً فى هذه العلاقة، لأنها أيضا لاتشعر

بالأمومة حيال ابن يناهزها فى السن. وكثيرا مانسمع بحكايات كهذه، وخصوصا فى **الريف** حيث يجبرون البنات على الزواج من رجال أكبر منهن كثيرا. ولربما يلجأ الإبن إلى غشيان زوجة أبيه انتقاماً من أبيه الذى أحلّ أخرى محل أمه، وانتقاماً من الأخرى التى اتخذت لها فراشاً ومضجعا مكان أمه. وربما تندفع زوجة الأب فى هذه العلاقة المحرّمة بدافع من الانتقام من الرجل الذى قتل فيها طموحاتها وشبابها. ومن رأى علماء الاجتماع أن **تحريم زوجة الأب** جاء عبر هذه المشاعر التى كانت تعانى منها المجتمعات القديمة، والاصل فى **عقدة الخصاء** أن الإخصاء المخوّف منه، أو التهديد بالإخصاء، لم يكن موجها للأبناء من الذكور إلا لحماية زوجات الآباء من اشتهاء أبناء الأزواج لهؤلاء الزوجات.

وتتعقد الأمور كثيرا إذا كان لزوجة الأب **أبناء من زواج سابق**، وكان هؤلاء الأبناء فى نحو المراهقة أو بعدها. وحينئذ تتشابك العلاقات فى الأسرة، وغالبا مايكون لهذه الزيجات الكثيرة تأثيرها على الناحية المالية للطرفين، ويتم إسقاط الصراعات الأوديبية للأولاد على زوج الأم أو زوجة الأب، ويؤكدها سوء الأحوال المالية للأسرة، وإذا أظهر الزوج بعض الخشونة مع أبناء الزوجة فإنها تتوجه بخشونة مماثلة لأولاده من غيرها، وتحرص الزوجة على **ابنتها** خصوصاً من محاولات الزوج الجنسية تجاهها، وتفسر سلوكه معها هذا التفسير الجنسى، وبعض اتهامات زوجات الأب على غير أساس، وكثيرا ماتصدق فى حالات أخرى.

وتتوقف سلامة الأسرة على **شخصية زوجة الأب**، فإذا كانت من النمط **الأنثوى المحب لدور الأمومة**، فإنها قد تحاول تجاوز هذا الموقف ومسايرة الدوافع إليه بنجاح، وإذ كانت من النمط **السلبى الاعتمادى** فإنها ستركن إلى مافيه من سلبيات تتطور باستمرار إلى الأسوأ، وقد تنشأ بسبب ذلك كوارث مؤكدة، وإذا كانت من **النمط الماسوشى العدوانى** فإنها قد تسكت على ما ترى، باعتبار أنها لاتستطيع غيرذلك، وترى أنه من خلال سكوتها تستطيع أن تفوز فى النهاية بحيث يتحرك الزوج لما فيه مصلحتها برغمه.

وليس من سبيل إزاء كل هذه الظروف غير المواتية فى أغلب الأحوال إلا أن يجنح الأولاد، ويتعلموا الكذب والسرقة والرذائل جميعها، وتكون لهم علاقات بغيرهم من خارج الأسرة لعلّهم بذلك يعوّضون مايفتقدونه من تفاهم وحب، فيكون الجُناح الذى تشكو منه كل المجتمعات، والانحرافات الجنسية، والعنف، وتعاطى المخدرات والخمور والانتحار.

❋ ❋ ❋

الفصل الخامس والعشرون

الحمل Pregnancy

سيكولوجية الحامل وانواع شخصية النساء اثناء الحمل والصراعات التى تنتاب الحامل وتفسير خوف الحامل من الموت وبيولوجية الحمل ومختلف النواحى السيكولوجية فيه ومواقف الزوج والابناء منه

تحمل المرأة فى الجماع الصحيح فتتحد البويضة الناضجة عندها بالحيوان المنوى الناضج من الرجل، ويتم ذلك فى القناة الرحمية عادة، وأصلح وقت لهذا **الإخصاب conception** هو الأسبوع **الثانى** الذى يلى الطمث مباشرة، وأقل الأوقات مناسبة الأسبوع الذى يسبق الطمث، إلا أن الإخصاب يمكن أن يحدث أيضا فى أى وقت من الدورة الشهرية، وإن كان الوقت الأكثر احتمالا هو نحو **اليوم الرابع عشر** قبل بداية الحيض المتوقع.

ويتحصل الحمل بواسطة حيوان منوى واحد يصل إلى البويضة عبر المهبل، فعنق الرحم، فالتجويف الرحمى، فالقناة الرحمية، سابحاً طوال الوقت فى السائل المنوى، ومدفوعا بحركاته الذاتية، وبجاذبية كيماوية حيوية بالغشاء المخاطى لعنق الرحم، حتى إذا ما دخل البويضة فإنها تتحصن ضد دخول أى حيوان آخر، وسرعان ماتنقسم وتتحرك أثناء ذلك، منزلقةً إلى تجويف الرحم، فيبدأ الحمل، ويكون لها حجم ثمرة التوت.

وتصحب الحمل جملة **تغييرات**، فيتضخم الغشاء المخاطى للرحم وجداره العضلى، ويكبر تجويفه، وتتضخم الأوردة والشرايين، ويكبر الثديان ويتكوران ويصبحان أشد صلابة، وتظهر الحلمة، وتكبر الهالة حولها، ويدكن لونها، وتكثر غددها، وتتسع أوردتها، ويتبع ذلك سلسلة متلاحقة من التغييرات مع تطور الجنين الذى يستغرق عشرة أدوار طمثية، أو عشرة شهور قمرية، أو ٢٨٠ يوما عادة.

ونستطيع أن نعرف بالتقريب موعد نزول البويضة، وذلك أن درجة حرارة جسم المرأة تزيد بمقدار نحو درجة مئوية واحدة (درجتين فهرنهايت) صبيحة اليوم التالى لبلوغ البويضة قناة فالوب.

والحمل يمكن أن يتحصل طالما هناك بويضة، والتبويض لايحدث عند الفتيات إلا إذا

كان هناك حيض، غير أن الحمل قد يحدث قبل أول حيض يأتى البنت إذا كان هناك جماع فى اليوم الرابع عشر السابق على نزول الحيض. وكذلك قد يحدث الحمل خلال الحيض، وذلك أن المرأة قد يزيد بها التهيج حتى ليفرز مبيضها فى غير الأوان. وأما المرأة فى سن **الإياس** فإن الحيض قد يأيتها متقطعا، ومع كل حيض تظل إمكانية الحمل قائمة حيث أن التبويض يعقبه، فإذا انقطع الحيض بالكلية توقف التبويض وانتهت إمكانية الحمل.

وليس للحمل موعد معين فى السنة كموسم التزاوج فى الحيوانات، وليس الحمل فى فصل من فصول السنة أكثر احتمالا منه فى فصل آخر، غير أن **للفصول تأثيرات سيكولوجية غير مباشرة** على إمكانية الحمل، فمثلا لابد أن تكون هناك علاقة بين مناخ **البحر الأبيض المتوسط** المعتدل وحالة الشبق التى عليها نساء ورجال هذه البلاد، فى حين أن المناخ الانجليزى البارد وانعالى الرطوبة يؤثر بالاكتئاب على أمزجة أصحابه فيعزفون عن الجماع. والمرأة **الإيطالية** مثلا تحب الجماع والحمل عن المرأة **الإنجليزية**. **والأمريكية** تهوى الجماع ولكنها تريده من غير حمل. وهناك عموما اختلافات بين الشعوب من حيث الرغبة فى الحمل، ومنطقة الشرق الأوسط كانت منطقة الديانات السماوية الثلاث، وفى التوراة والإنجيل والقرآن آيات نعرف منها أن **الساميين** يعشقون النساء ويستكثرون الولد، وخصوبة **المرأة العربية** أمر لاجدال فيه من حيث أن نسبة المواليد عندنا هى أعلى نسب المواليد فى العالم. **والمرأة المصرية** ولود ولايبزها فى هذا المضمار إلا **الفلسطينية**. وربما كانت هناك علاقة بين الأزمات الأممية وخصوبة النساء وشبق الرجال فى تلك الأمم، وتزيد نسبة المواليد **أثناء الحروب** عنها فى السلم، وتحت **الاحتلال** عنها زمن الاستقلال، وفى **الأسْر** عنها فى الحرية. وفى الوقت الذى نجد فيه الكثير من الطيور والحيوانات لاتبيض ولاتتناسل فى الأسْر نجد أن **بنى إسرائيل** كانوا يزيدون عددا فى المنفى وأثناء العبودية فى مصر وفارس.

وكل الرجال يستطيعون أن يستولدوا النساء بعد البلوغ وحتى الشيخوخة، إلا إذا كانت هناك أمراض عضوية أو وَهَن يصيب الرجل ويجعله عنينا. وكذلك كل النساء بوسعهن أن يحملن طالما أنهن يحضن ما لم تكن هناك عوائق عن الحمل فى المرأة أوالرجل، غير أن المرأة تظل بها القدرة على الحمل، فإذا بلغت سن اليأس ذهبت عنها قدرتها وصارت أقل ممارسة للجماع بتأثير التغييرات الهرمونية بها، فى حين أن الرجل ليس له سن يأس

ويمكن أن يأتى النساء إلى أن يتولاه الوَهَن. ولربما يرجع حدوث سن اليأس أو انقطاع الحيض، وانتهاء خَلَف المرأة فى السن بين **الأربعين والخامسة والخمسين**، إلى أن للحمل متطلبات صحية لا تتوفر فى النساء فى هذه السن، وبدونها لن تستطيع المرأة تغذية الجنين واحتماله فى بطنها تسعة شهور، ومايفرضه ذلك من ضغوط صحية ونفسية لا قِبَل للمرأة بها، حيث أن طاقتها البدنية والنفسية فى الاضمحلال باستمرار ابتداء من **الأربعين**.

ولابد للحمل لكى يحدث أن تكون صحة الزوجين جيدة، مع أن الحمل يمكن أن يحدث فى حالات الإصابة بأمراض مثل السكرى وأمراض القلب والصدر. ولابد لجهاز التناسل فى المرأة أن يكون ناضجا وسليما وليس به عيوب خِلْقية أو أمراض. ولابد أن يكون الرجل قويا جنسيا ومحبا لزوجته، وأن تبادله زوجته الحب وترغب أن يجامعها وأن تحمل منه، وأن لاتكون معقدة نفسية من ناحية كونها أنثى ودورها كامرأة وأم. وقد تحمل المرأة المغتصَبة والمرأة المسترجلة ولكن استمرار الحمل غير مضمون، وقد تتخلص منه أيهما بطريقة أو بأخرى. وبعض النساء اللاتى يكرهن كونهن نساء تعتمل فيهن مشاعر متضاربة تجاه الحمل، وذلك قد لايجعل المرأة تحمل، أو يجعلها تجهض. والنساء من هذا النوع يعانين من صراعات بعيدة التأثير فى تكوينهن النفسى وتفكيرهن، ويصبن من ذلك باضطرابات وظيفية فى جهاز التناسل، بحيث قد يكون هناك إخصاب للبويضة لو حدث جماع ولكن أرحامهن تلفظ البويضة الملقّحة ولاتحتفظ بها. ونفس الشئ فى الرجل الذى يعانى من صراعات مضمونها رجولته، أو يعانى من مخاوف من النساء، فإنه قد يصاب بالعجز الجنسى. وهذا العجز يصيب المرأة على شكل **برود جنسى** إذا كرهت الرجل بحيث تجعل عليه الجماع متعذراً، فإذا جامع فإن المهبل عندها يتقلص طاردا المَنىّ إلى خارج الفَرْج على عكس ما يحدث فى الجماع بين المحبين.

والمرأة فى الحمل تشارك فيه بكل خلايا جسمها وبعامة وجدانها ونفسها وعقلها. وإذا كان الرحم فيها هو عضو الحمل ظاهرياً إلا أن كل أعضائها، وكل مافيها من طاقة وحيوية، وكل مقومات شخصيتها، تشترك فى عملية الحمل. وهى تغذى الجنين تغذية مادية، ولكنْ إلى جوار التغذية المادية هناك التجارب اليومية وانفعالاتها وعواطفها وأفكارها، ثم إن مايجرى للجنين من تطورات له مردوده على جهازها العصبى ووظائف جسمها الحيوية، وعلى ذلك فرغم أن الحمل حَدَثٌ مادى، إلا أن أعراضه لها مردودها على المرأة أحوالاً

نفسية. وكل امرأة لها ظروفها ومواقفها وصراعاتها وعواطفها التى تطبع شخصيتها منذ الطفولة، ولها تصوراتها عن الحمل والإنجاب والزواج، ولها عاداتها المكتسبة بحكم بيئتها وميراثها الثقافى وتعليمها وماإكتسبته عن والديها، وكل ذلك تحمله معها إلى بيتها ويؤثر بالسلب أو بالإيجاب على الحمل.

والحمل نفسه وخاصة فى المرة الأولى يؤثر على العلاقة بين الزوجين، ويعقّد المواقف بينهما، ويفرض عليهما أن يحلما معا، ويخططا معا. ومعاملة الحامل لزوجها تختلف عن معاملتها له قبل الحمل، وتتطلب من الزوج معاملة خاصة مختلفة. وكانت العلاقة الزوجية قبل الحمل بين اثنين، ولكنها الآن تضم ثلاثة، وتنفتح لمجئ هذا الثالث. وكان الحمل قبل الإخصاب مجرد تصور، ولكنه الآن حقيقة، وعمّا قريب سيصبح واقعا. وهذه التغيرات فى المواقف لها مردودها على الزوجين كأفراد، وعليهما كشركاء فى المشروع. والحمل **مشروع**، ويتطلب الكثير من التفكير والجهد والعلم ليصبح مشروعا ناجحا. وعندما يحدث الحمل، فإنه إن كان مرغوبا فيه، وقد تهيأت له كل الظروف، فإن الزوجين يستقبلانه استقبالا حسنا، ويقرّب بينهما، ويدفعهما إلى أحضان بعضهما. وكلما تقدم الحمل كان ذلك تأكيداً لهما على صلاحيتهما التناسلية، وإثباتاً لأنوثة الزوجة ورجولة الزوج. ويمكن للحمل أن يكون **تجربة غنية**، وكأن الزوجين يحصلان على جائزة إذا تعاونا معا، وتفاهما وتعاطفا إزاء مايستحدثه الحمل من تغييرات شاملة فى حياتيهما من الناحيتين المادية والنفسية.

ولعل من أهم مستحدثات الحمل فى أوله **الغثيان والقئ** اللذين يصيبان الزوجة، وربما تضطرب بهما الحياة الزوجية وتفكير وعواطف الحامل والزوج. وربما كانت الزوجة التى تحمل **لأول مرة** قد عانت أو رأت الغثيان والقئ فى طفولتها، والحمل تجربة قد تستحث كل تجارب الماضى ومايرافقها من انفعالات. وربما كانت هناك ذكريات لمواقف استدعت الاستفراغ، وقد يكون الاستفراغ عقب تعاطى شئ أو قسرٍ على التعاطى، وربما كان ذلك يستحدث مشاعر كراهية أو ميولاً عدوانية، وربما كانت الحامل وهى بنت يضربونها لكى تتعاطى شيئا، وربما كان الاستفراغ يأتيها ثأراً من الضرب، وكل ذلك تعيشه الحامل التى تغثى أو تقئ، وهى تعيشه لاشعوريا فيُغيثها الحمل ويُقيئوها، وربما تستفرغ كل الأطعمة، وربما يكون غثيانها وتقيؤها إحياء لمشاعر قديمة تلفت بها انتباه من حولها وتعذبهم بهما. وهناك وَهْم طفولى عند كل الأطفال البنات أن الحمل يكون من طريق الفم، وأن الولادة

تكون من طريق الفم، وأن امتلاء البطن بالجنين كامتلاء البطن بالطعام، ومن ثم فقد يكون التعبير عن رفض الجنين بالقئ.

وتجوع الحامل وقدتأكل بشراهة، وقد يكون هذا **الجوع** الذى نراه عند بعض الحوامل تعبيراً عن جوع آخر نفسى أعمق **هو الجوع العاطفى**، حيث يفجر الحمل فى الحامل صراعات الطفولة حول الحب والكراهية، والشخصيات الأولى فى حياتها، والحرمان من الحب، فتعبر عما استقر فى وجدانها، والحاجات الملحة التى تطلب الإشباع منذ الطفولة، بأن تكثر من الطعام.

وقد تأتى الحامل نوبات تكثر فيها من الأكل أو تعزف عن الطعام، أو تأكل بشراهة ثم تقئ ماتأكل، من تأثير الصراعات عندها بين الرغبة فى الاحتفاظ بالجنين وتقوية جسمها من أجله، فتأكل بدون وعى، والرغبة فى التخلص منه فتقئ الطعام، **والقئ شبيه بالإجهاض** وتعبير عنه. ولربما تهدف الحامل لاشعوريا وهى تأكل حتى التخمة أن يزاحم الطعام الجنين ويخنقه أو يطرده. وإنه لأمر مألوف أن نسمع من الحوامل هذا التشبيه «**كأنى سأتقيأ الجنين**»، وقد تحدّق المرأة التى ينتابها القئ من الحمل فيما تتقيأه وكأنها تفتش بعنيها فيه عن أثر من الجنين. ونحن نعرف من الأغانى الفولكلورية أن العامة قد ترمز للحمل بالأطعمة، وخاصة من كان منها له شبه بالأعضاء الجنسية، كالسمك والتمر والخيار والبرتقال والتفاح، وكل ما له شكل الخصيتين أو القضيب، ويذهب بعض العلماء إلى تفسير رؤيا السيدة **مريم** أن جذع النخلة وعملية الهز والتمر المتدلى منها وتساقطه كل ذلك تصوير للعملية الجنسية، وكأنه رغبة فى الحمل على المجاز سيجعلها الله سبحانه وتعالى حقيقة. وبعض النسوة **يشتهين أطعمة بذاتها** فى الحمل، وتلح الحامل أن يأتوها بها، ويشخص **فرويد** هذا الإلحاح بأنه **حواز obsession** يتملك المرأة العُصابية دون غيرها. والحمل يُظهر الاضطرابات العُصابية، بالنظر إلى أن له ضغوطا ووطأة من شأنهما أن يستحثا كل الاضطرابات التى لم يتسنّ لها الظهور من قبل، أو التى كانت تُشاهَد لها ظواهر خفيفة. وبعض النساء تأتيهن الرغبة فى الحمل ملحة كالحواز، والإلحاح فى طلب الأطعمة المعنية حواز، وتقيؤها حواز كذلك، ولافرق فى الحالتين إلا أنهما عكس بعضهما، حيث الواحد بالإيجاب والآخر بالسلب، وتلك حيلة من حيل النفس تعبر بها الحامل عن رغبتها فى الحمل ورغبتها النقيض فى التخلص منه، والصراع الذى يتراوحها من تأثير تواجد الرغبتين،

وكأن الحامل هى **بنيلوبى** فى الأسطورة، زوجة **أوديسيوس**، تغزل بالنهار فإذا جاء الليل نقضته. ويعكس الموقف المتناقض للحامل من حملها مشاعرها المتناقضة لزوجها، ولأبيها من قبله. ولابد أن الحامل كانت تتراوحها **مشاعر الحب والكراهية** لأبيها وهى صغيرة، وكانت تستجيب لهذه المراوحة بالقئ، فلمّا تزوجت أيقظ فيها الزواج مواقف الطفولة الراغبة والنابذة، ولجأت إلى التعبير عن صراعاتها الحالية بنفس الطريقة القديمة.

وهذا **القئ** الذى يأتى بعض الحوامل لانجده إلا عند هذا الصنف من النساء الذى تتصل **الصراعات الأوديبية** عندهن إلى الطفولة، أما غيرهن من النساء اللاتى استطعن أن يصلن إلى حلول لصراعاتهن الأوديبية قبل الزواج فهن اللاتى لايقئن، ومع ذلك فقد تأتيهن حالات **الغثيان الصباحى**.

وبعض النساء تأتيهن أعراض أخرى بخلاف القئ أثناء الحمل تعبيراً عن الصراعات القديمة، ومنها **الإمساك والإسهال**، والشبه بينهما وبين إمساك الجنين أو التخلص منه واضح، وقد تأتى نوبات الإمساك والإسهال متراوحة، وقد يغلب الإمساك على الإسهال أو الإسهال على الإمساك. والمرأة قد تنتابها أثناء ذلك انفعالات مختلفة، فلربما تصاب الراغبة فى الحمل بالاكتئاب حتى ليظن من حولها أنها تكره الحمل، ولربما تصاب الرافضة للحمل بجذَل حتى ليعتقد أهلها أنها مسرورة بالحمل ويكون العكس هو الصحيح. وكذلك فقد لايعنى الإمساك أن الحامل تريد حملها، فالإمساك قد يكون من قبيل **تكوين رد الفعل** **re-action formation** بأن يحتال الأنا على رفض الدوافع اللاشعورية المهددة بأن يجعلها عكس ماهى عليه، فيكون الإمساك تعبيراً عن عكس رغبة التخلص من الحمل.

وليست هذه الأعراض السابقة التى تأتى الحوامل هى أعراض وِقْف على العُصابيات، فالحمل تجربة مبهظة، وقد تصاب الحوامل من غير العُصابيات بأعراض مشابهة، غير أن ميول رفض الحمل عند **المرأة العصابية** أقوى وأوضح منها عند **غير العصابية**. والمرأة غير العصابية تقمع ميول الرفض، وتحتمل ضغوط الحمل، وتنتصر عندها غرائز الأمومة والحياة على الميول **النرجسية** وغرائز التدمير والموت، وتكون الغلبة عندها للعطاء، والأمومة عطاء لايقوى عليه هذا الصنف من **النساء النرجسيات**. والحمل يعرّض كل النساء لتغيرات سيكولوجية تختلف من حامل إلى أخرى بحسب مواصفات شخصيتها، غير أن هناك أنماطا من التغييرات عامة تشمل كل الحوامل، تتجاوزها كل واحدة بحسب إمكانياتها،

كما أن التغيرات الكيميائية والجسمية فى الحوامل شاملة لهن جميعا، ولكن الواحدة تأتيها هذه التغييرات بدرجات تتفاوت عن الأخرى. وتتحصّل **التغييرات السيكولوجية** التى تأتى الحوامل نتيجة الإفرازات الهرمونية ومايستحدثه الحمل من استجابات نفسية وتفكير فى الطفل القادم، حتى أن الكثيرات من الحوامل يصبن **باكتئاب الحمل blues of pregnancy** نتيجة هذه التغييرات والتفكير اللذين يلازمان كل حامل آناء الليل وأطراف النهار، ولذلك تكون الحامل مرهفة الحس لمعاملة المحيطين بها، وتغضب لأقل استثارة، وترضى للاشئ، وقد تضحك من كل قلبها أو تبكى بحُرْقة، وتتراوحها الانفعالات لأتفه الأسباب، ويؤثر كل ذلك على الجنين من حيث أن الأم تشكّل معه وِحدة بيولوجية، ومايُمرض الأم يتأثر به الجنين، وهذا التوحّد يجعل من الظروف البيولوجية والنفسية كلاً واحداً للاثنين، ومايضايق أيهما سيضايق الآخر، ومن ثم فإن الأم التى تعانى مشاكل نفسية خلال الحمل لابد أن يعانى منها الجنين. وهناك من الشواهد مايثبت أن الحامل التى تعانى القلق ويتحصل لها الاكتئاب بالتفكير أو الزعل قد تلد طفلا **حرونا غضويا** يغلب أن يعانى من **القولون العصبى**، وقيل إن مايعانى منه الطفل من المواقف التى تمر بها مثل هذه الأم، يجعله سهل الاستثارة متوترا ومعرّضا للإصابة بالاضطرابات التى منها القولون العصبى مثلاً.

والحمل نفسه **استنزاف لطاقة الحامل** على التحمّل، ولولا أن الله تعالى قد ركّب فى تكوين النساء الاحتمال الذى يشمل النواحى البدنية والنفسية والذهنية لما كان من الممكن أن تحتمل أى امرأة مضايقات الحمل. والنساء بحسب فِطْرة الله **ماسوشيات**، والأمومة صميمها هذا العنصر **الماسوشى**، وهى تعنى أن يكون للمرأة طفل، ولكى يكون لها هذا الطفل **لابد أن تعانى وأن تحتمل المعاناة**. وطلب الطفل يكون بالمرأة منذ طفولتها، والطفل هو الذى يقدّم الحل لصراعاتها الأوديبية وميولها الشبقية لأبيها، وهى إذا حازت الطفل تستغنى بحبها له عن حبها **لأبيها**، أى أن الجانب الشَّبَقى فى حبها لأبيها يتحول **إلى ابنها**. وهى تستغنى بحبها لهذا الولد عن حبها **لزوجها**. وكل امرأة يَقصُر واقعها عن أن يفى بأحلامها وتصوراتها لرجلها، وإذا كانت **المرأة الأوديبية** تختار زوجها على نمط أبيها، فإن تجاربها مع الزوج ستدلل على استحالة المشابهة، ومن ثم تتحول لاشعوريا إلى طفلها تصنع منه أباً لها وعشيقاً. **فالطفل هو التجسيد لثنائية الأب والزوج**، وفيه تجتمع

الصورتان، ومن خلاله ستكون لها به **ولادة أخرى**، حيث أنها تتجاوز فى صنع الصورة المثلى التى تطلبها فيه الواقع البيولوجى، وستخلق منه ماكانت تتمناه فى **الأب والزوج معا**. والطفل لذلك له معنى عند المرأة يتجاوز كونها حملت فيه وولدته، فهى تحمل فيه **فكريا ونفسيا وبيولوجيا**، وتضع فيه كل ما اختزنته ذاكرتها الواعية واللاشعورية، وكل أحلامها ورغباتها وآمالها وطموحاتها، وهو أكبر المعانى لحياتها، وهى إذ تتحدث لاتتحدث إلا عنه، تشير إليه وتقول **هو سيصبح كذا**. والمرأة التى تنشأ نشأة مشوهة تضطرب بها خبراتها وأهدافها فى الحياة لن ترى هذا المعنى لحياتها فى طفلها، وستسد خبراتها الطريق على كل فهم صحيح لرسالتها. وكذلك المرأة التى لاتتزوج بتأثير من ظروفها، أو التى تتزوج ولاتنجب، فإنها لن تتاح لها فرصة ممارسة أمومتها، ولن يكون بإمكانها أن تعطى وتهب وتبذل مثل غيرها من النساء. **وكل مافى المرأة يصرخ بأنها مخلوقة للولد والحمل**. ومن حق المرأة التى تلقى معاملة سيئة وهى طفلة أو بالغة أن تغلب عليها ميول الرفض للحمل، ويكون القئ أو أية أعراض أخرى مشابهة عندها بهذا المعنى. ولو حرمت الحامل من الحب أو لم تعوَّض عن احتمالها للمضايقات والآلام التعويض النفسى الملائم، فإن ميلها للعطاء يضعف، وتتهافت طاقتها على الاحتمال، ويغلب عليها أن ترفض الجنين الدخيل على جسمها. ولكل امرأة ظروفها التى تجعل هذا الرفض يأخذ الشكل الخاص بأن يكون قيئا، أى رفضاً عن طريق الفم، أو إسهالاً، أى رفضا عن طريق الشرَج.

وقد يحدث أن **تتعين الحامل بالجنين** تعيّنا تاما، وتنكص فى سلوكها إلى مثل حالته، فتتصرف بسلبية وتركن فى اعتمادية مسرفة على المحيطين بها، وتضع كل مسئوليات الحمل وهمومه ومضايقاته على زوجها وأهلها، وكأنها تجعلهم يحملون عنها حَمْلها، وذلك منها **سلوك عدوانى سلبى**، والسلوك العدوانى احتجاج على الحمل، قد يتوجه **إلى الأهل**، فيجعل الحملُ المرأةَ مشاكسة وعنيدة وسليطة اللسان وكثيرة الشكوى والطلبات، أو يتوجه إلى نفسها فتهمل صحتها والعناية بالحمل بحيث تضرّ به وبنفسها.

ولعل من أبرز التغييرات السيكولوجية عند الحوامل هو ما يأتيها من **تخيلات وأفكار غير معقولة، مصحوبة بذكريات الطفولة** التى كانت قد كُبتت، والصراعات حول المسائل الجنسية، ومفاهيم الحرام والحلال فى الجنس، وعلاقاتها بالذكور فى عائلتها، وهى تخيلات وأفكار نشهدها كثيراً عند الحوامل فى **الشهر الثانى أو الثالث**، وتصل ذروتها معهن فى

نحو **الشهر السابع**، ولاتتخلى عنهن إلا بعد الولادة **بنحو ثلاثة أو أربعة أسابيع**، ثم تنسى المرأة ماكانت تفكر فيه لأنه يعود مكبوتا من جديد. وهذه الحالة تشبه مايكون عند مرضى **الفُصام** من النساء بخاصة، وتثبت اختبارات الشخصية كاختبار **رورشاخ** على تماثل الصورة بين الحامل التى تشطح فى خيالاتها والمريضة بالفُصام، غير أن الحامل تعرف أن مايذهب إليه خيالها هو مجرد تصورات وليس حقيقة، بينما المريضة بالفصام لاتدرى الفرق بين الخيال والحقيقة. ونحن نعرف أن الجسم أثناء الحمل ينظم نفسه، إلا إذا كانت هناك تغييرات كمّية بيولوجية أو نوعية نفسية كبيرة تمنع هذا التنظيم، فإذا كانت علاقة الحامل بالطفل إيجابية فيملأ التفكير فيه حياتها ويشبعها عاطفيا، فإن العمليات الفسيولوجية لاتكتسب شحنات نفسية تجعل منها نوعا من العمليات يضطرب به انتظام جسمها. ونعرف أن الصور والتهيؤات تأتى الأطفال عن الحمل ومنها أن الحمل قد يستحدثه تناول طعام معين، وأنه يحدث من الفم، وأن الولادة تكون من الشرَج، والشَبه قوى إذن بين الجنين والطعام، ثم بينه وبين البراز، والمرأة التى تستقبل حملها إيجابيا لاينكص خيالها، ولاتتقزز من الطعام خلال الحمل، ولاتقئ أو تسهل أو تمسِك، وأمّا إذا كانت تهيؤات الطفولة قوية لديها، وراسخة فى تكوينها اللاشعورى، ومنطبعة بها شخصيتها، أو إذا كانت الحامل امرأة من النوع الرافض لرسالة الأمومة والكاره للدور الأنثوى، فإن العمليات الفسيولوجية المصاحبه للحمل تُشَحن نفسيا شحنا مضادا بحيث تكتسب كمّاً ونوعاً مبهظين يجعلان الحامل تقئ، وكأنها بذلك تلفظ حملها تعبيراً عن رفضه، لمشابهةٍ بين الحمل والأطعمة، بتأثير التهيؤات والتصورات القديمة من الطفولة.

وذكريات الطفولة ومشاعر الذنب التى تولّدها عند الحمل، تختلف فى تأثيراتها عمّا يمكن أن تستحدثه من تأثيرات إذا أتتها هذه الذكريات والمشاعر وهى غير حامل. وكلما تقدّم الحمل وتحصلّت لها التهيؤات والتخيلات التى يبتدعها خيال الحمل المتعب، فإن القلق يشملها ويُعَمّم من بعد، بحيث لا يرتبط بمشاعر ذنب أو ذكريات معينة، ولكنه يصبح **قلقا حرا** free- floating من كل شئ، وربما يرتبط القلق عندها بالولادة باعتبارها الحدَث الكبير فى حياتها، ومن ثم تخشاها، ويكبر هذا الخوف حتى ليتحول إلى **خواف حقيقى** phobia، فتتصور أنها ستموت وهى تلد، أو أن طفلها سيولد ميتا أو مشوها، وكلها لا تعدو أن تكون تصورات ترمز للعقاب توقعه بنفسها لاشعوريا نتيجة مشاعر الذنب المرتبطة عندها بالصراعات القديمة.

وربما كانت ضغوط الحمل وما توقظه من ذكريات وصراعات ورغبات فرصة تحاول فيها الحامل أن تجد حلاً لما كانت تعانيه فى ماضيها وأشقاها التفكير فيه، ولم تجد لعدم نضجها وبسبب طفولتها إلا أن تبعده عن وعيها بإسقاطه فى اللاشعور. وربما تجد الحل فعلا وهى تعايش هذه الصراعات من جديد فى علاقاتها بزوجها وطفلها وأمها، فهى حتى الآن وبتأثير هذا الكبت لم تكن سوى طفلة غريرة تعتمد على أمها ولم تجرب أن تكون أنثى على الحقيقة، ولكنها الآن وبتأثير الحمل تحاول أن تكون نفسها وأن تفطم نفسها عن أمها وأن تكون أماً هى نفسها.

وربما لسوء حظها لا تستطيع أن تقدّم الحلول لصراعاتها القديمة بأكثر مما قدمته فى الماضى. والخطورة فى وضعها كحامل أنها تشغل نفسها بالحمل شعوريا، وفى نفس الوقت هى مشغولة لاشعوريا بصراعاتها، وقد يرتبط عندها الحمل بالصراعات فتستخدم طفلها كوسيلة لحل الصراعات، فمثلا قد تكون لديها مشاعر الذنب من ممارسات جنسية معينة فى المراهقة أساءت لعلاقاتها بأبويها، ويتحصل لها الاقتناع أن الله سيعاقبها بأن يخرب جهازها التناسلى أو أن يموت فيه ابنها، وعندئذ فقد يتنامى لديها الخوف أنها ستفقد طفلها، ربما لتنزل بنفسها لاشعوريا العقاب على ما اقترفته أو فكّرت فيه وهى صغيرة. وربما لا تكون الحامل قد حلّت تراوُحها بين الحب والكراهية لأمها بسبب شقاوتها وهى صغيرة، وقد تعيش ذكرياتها القديمة مرة أخرى وتعيد الدراما التى كانت تمثّلها مع أمها، فترى نفسها لاشعوريا فى طفلها وتتعين به وتُسقط عليه شقاوتها وتقوم هى بدور أمها بالنسبة له . ونحن كثيرا ما نسمع الحامل تقول إن الجنين شقى، وقد تتألم لحركاته، وتبالغ فى إظهار التألم تريد أن تؤكد هذه الشقاوة فيه، وتخاطبه كما لو كان حقيقة وتطلب إليه أن يكف عن الشقاوة، وبذلك تُهئ المسرح لكى يقوم الطفل بدورها وهى صغيرة بينما هى تتلبس دور الأم، وقد تتوعده عندما يولد بالعقاب الذى يستحقه. والخطورة فى مثل هذه الحالات أن الحامل لاتتعامل مع الجنين باعتباره كذلك، ولكنها تبدأ فى محاصرته منذ هو فى بطنها، بحيث أنه عندما يولد فإن هذه المعاملة تكون قد تحددت من زمن، والكثير من اضطرابات الأطفال النفسية ترجع إلى مثل هذه الاضطرابات فى تصورات الحامل والخلط الذى تستحدثه فى رعاية الجنين، ومن بعد فى رعاية الطفل.

وقد تشعر الحامل أنها بالحمل لم تعد نفسها وأنها **قد فقدت هويتها وشخصيتها**

depersonalized، فلم تعد ملك نفسها، واضطربت وظائفها وحياتها، وقد تقول الحامل لا أصدق أن هذه البطن المنتفخة هى بطنى أنا، أو تقول إنها تشعر وكأنها قد قصرت فى الطول وأنها على نهاية الحمل ستكون قزمة. وأحيانا قد تتصور أن مابيطنها لايعدو أن يكون انتفاخا وهو دليل مرض. ومعنى ذلك **من الناحية النفسية** أن علاقة الحامل بطفلها سلبية ومَرَضية. وهى قد تدرك أعراض الحمل ولكنها وجدانياً غير مصدّقة أنها حامل، وغير مدركة عقليا لمعنى الحمل. وهى برغم امتلائها بالحمل فإنها تشعر بالخواء داخلها، وذلك من قبيل الأضداد التى يستحدثها الحمل، فالحامل تضْخُم **بدنيا** بالجنين الذى يكبر، وتضخم **نفسيا** بوعيها الذى يتنامى به، وفى نفس الوقت تقول إنها تتضاءل بدنيا ونفسيا، والتضاؤل البدنى لأن جسمها يعمل ليل نهار فى خدمة الجنين ويزوده بالدم وكل مايلزمه لينمو، ووظائف جسمها كلها تتوجه بما لديها نحو هذه الغاية، كأن كل زيادة فى الجنين هى نقصان فى جسمها، وأما التضاؤل النفسى فلأن الجنين لايعطيها نفسيا بل يأخذ منها، وهى تُعطِى كحامل، وستعطى كذلك بعد أن تضع حملها.

وهذا **التضارب فى الأحاسيس والمشاعر والأفكار** التى يستحدثها الحمل تجعل تجربة الحامل تتراوح بين الإحساس بالتعاظم- حتى ليمكن أن تقول «فى بطنى كل عملية الخلق - كل الوجود- كل المستقبل»، ومن أجل ذلك قد ترى نفسها **عظيمة** لأن التجربة التى تخوضها **عظيمة**، وربما كانت أيضا تحمل **عظيما** - وبين الإحساس بالتضاؤل حتى ليمكن أن يشطح بها الخيال فترى أنها قد تلاشت ولم يعد لها وجود وأصبحت ثانوية، وأن الجنين ألغى وجودها، ولم تعد شيئا وصارت صفرا. والإحساس أو التفكير الأول يجعلها تزهو زهو الأمهات وتطفح له بالسعادة ويُترَع قلبها بالحب، وبالاختصار هو إحساس يعطيها الحياة، بينما الإحساس أو التفكير الثانى يصيبها بالاكتئاب، ويحفزها إلى أن تكره وتعتدى وتدمر، وبالاختصار هو إحساس يقتل فيها الحياة ويحملها على التفكير فى الموت.

وكل حامل تعتمل فى أغوار أعماقها هذه **الأضداد**، وبقدر ماتأمل وتترقب الميلاد الواعد، بقدر ماتخاف أنها لن تلد فى سلام، وربما تموت أثناء الوضع، وربما يموت الجنين ويذهب تعبها هباء.

وقد تعنى هذه الأضداد أنها الآن تحتوى داخلها الجنين، وهو حاليا جزء منها، ولكنها إذا ولدته لن يعود منها وسينتمى للعالم. وهو الآن يتنفس ويتغذى وينمو من خلالها، ولكنه

بعد الولادة ستكون له رئتان ونبض، وعالمه الآن هو عالمها، ماتفكر فيه وتشعر به، فإذا خرج فسيكون له عالمه. ومن ناحية أخرى فإن الجنين وإن كان داخلها فإنه غريب على جسدها، ولكنه مع ذلك له عالم هو عالمها، وبعد أن يخرج سيكون شخصا غريباً عليها بجسده ونفسه وعالمه، وسيكون عالمه عالما آخر بخلاف العالم الخارجي وعالمها هي نفسها. والمرأة وهي تلد **تتخارج** عن الجنين، وهو جزء منها تلفظه خارجها، من أحشائها. وهي تريده أن يبقى وأن يخرج، وتتوزع نفسها بين الرغبتين وتتألم حتى لتَخُرج أحشاؤها معه مع المشيمة، وتنشقّ النَفْس التي كانت واحدة وتصبح نفسين، وهو بالولادة يصبح نفسا وجسدا متعينين، وهو يصير **هناك** بعد أن كان **هنا**. وتنظر إليه بعينيها وقلبها متعلقٌ به، حتى الحيوانات لاتملك إلا أن تنظر إلى وليدها لأنها ترى فيه نفسها، فهو كان جزءا منها، وهو الآن قد تخارج عنها وصار امتداداً لها، وبعمليةِ الولادة أعطته الحياة، وكانت هي تكافح خلالها وتجاهد وتصارع لتعطيه الحياة، والحياة نفسها تكاد تفلت منها أثناءها، ولهذا تخاف الحامل من الموت. والولادة خبرة للمرأة **بالحياة والموت** يتشابكان، والمرأة وهي تلد تكاد تتلاشى، وصميمها يخرج منها في الولادة، وتتوارى **الذات** ولايبقى هناك صوت **للأنا**، وإنما **هو صراخ الحياة والموت** يتعاركان ويتخالصان، وبرغم المخاض وهو حقيقة فقد تسمع الحامل تولول أنها تموت، والسبب أنها لاشعوريا ترفض أن يخرج ابنها عنها، وخروجه يعني أنه لن يكون منها، ولن يصبح لها.

ويقول علماء النفس أن مايعتور الحامل هو **قلق** ولكنه ليس أى قلق، ويسمونه **قلق الانفصال**، والحامل طوال الحمل تحسب حساب الانفصال، ويُشيع في نفسها قلقا يبدو في سهومها واكتئابها، أو مرحها وجذلها الزائد عن الحد. وقلق الانفصال تورّثه لابنها، وهي لاتريد أن تبعده عنها، وتريده أيضا أن يبارح بطنها، وهو لايريد أن يتركها، ويريد في نفس الوقت وأن يكون نفسه بعيدا عنها، **وبكاؤه تعبير عن قلق الانفصال**.

ولعل **خوف الحامل من الموت** هو رد فعل **لذكريات قديمة**، عندما كانت غالبية الأطفال الذين يموتون أثناء الحمل إناثاً، وكانت غالبية الوفيات أثناء الولادة لبنات، وإذا جاء المولود بنتا كان مصيرها الوأد، وماتزال البنات يتوفين في الولادة أو يوأدن بعدها في كثير من المجتمعات في آسيا. ومن ثم تنشأ البنات وبهن خشية فِطرية من الموت كلما تعلق الأمر بالحمل أو بالولادة. ورغم أن الطب الحديث يوفر الأمان للحوامل إلا أن هذه الرهبة للحمل

والولادة ماتزال بهن، وربما كان هذا الحذر عند الحوامل فطريا قد وهبهن الله ليكون لهن وَجَاءً من مخاطر الحمل والولادة. وللحمل والولادة مخاطرهما، والولادة انفصال، والانفصال موت، وإلى أن تلد الحامل وتتسلم وليدها فى حضنها وتطبع على وجنته قبلتها وتستنشق رائحته، وتحس بدفء لحمه، فإنها ستظل يراودها الشك أنها ستلد بسلام. وفى الحمل تزيد حواس المرأة وخاصة حاستى الشم والتذوق، وعندما تلد لاتعدو الحامل إلا أن تكون أنثى لاغير، لاتختلف عن أى أنثى من الثدييات، فهى تتشمم وليدها وتتوقه وتحس بحرارة جلده وبرائحة بطنها كأنثى من الثدييات.

ولايعنى **الحمل السوىّ** أن الحامل سوية ولم تكن لها مشاكل وهى صغيرة، ولاصراعات ولارغبات، وذلك لأن بعض الحوامل تكون بهن الرغبة فى الإنجاب أقوى من كل صراعات ورغبات وأفكار مكبوتة، ومن ذلك أن المرأة التى تريد أن ينجح زواجها ربما تحفز إرادتها بحيث ينجح الأنا عندها فى استخدام كل مالديه من حيل ليستبقى الصراعات المكبوتة كما هى فلا تستيقظ مع الحمل كما عند غيرها من النساء. وربما تكون بالحامل رغبة عارمة أن تثبت ذاتها كامرأة تستطيع أن تنجب كالنساء فيأتى حملها طبيعيا بتأثير رفضها لكل مايجعله غير ذلك، وهو مانراه مثلا عند **النساء المسترجلات**، فالمرأة المسترجلة ترفض أن يعطل الحمل نشاطاتها الذكورية، فيسير حملها لذلك طبيعيا. ويقول التحليل النفسى إن **المرأة المسترجلة** تريد أن تنجب ولدا على الخصوص لأنها به تريد أن ترضى فى نفسها **عقدة الخصاء**، فلقد عاشت تعانى من أنها بنت لاتملك قضيباً كالأولاد، وعوضت عن ذلك بأن سلكت كالأولاد لتثبت أنها ليست أقل كفاءة منهم بعدم امتلاكها للقضيب. وحسدها للقضيب عند الأولاد يجعل البنت الحاسدة ترضَى بالزواج برغم سلوكها الرجولى، وهى بالزواج يكون لها زوج تأمره فيطيع وتخصيه على المجاز لتثبت أنه بامتلاكه للقضيب لم يفعل شيئا ذا بال، ويكون لها ولد له قضيب على الحقيقة فيعوضها عن نقصها.

والحمل **تجربة خاصة جدا**، والنساء عموما لايخضن فى الحديث عنها من جانبها **السيكولوجى**، وكل الكلام فيها من جانبها **البيولوجى**، ربما لأن الحديث عن الحمل نفسيا هو كشف للمستور النفسى فيهن، وربما لأن الحمل شئ جديد تماما، وربما لايتكرر. وهو **تجربة عاطفية** أعظم من كل تجربة عاطفية يمكن أن تخبرها، والحديث فيها يقلل من أهميتها وخصوصيتها ويجعلها مشاعا منتهباً. والحمل تجربة تستدخل الحامل دقائقها،

وتستدمج فى نفسها تفاصيلها، فتميل إلى أن تنكفئ على نفسها وتطوى عليها جوانحها. ويبدأ ذلك الاتجاه عندها فى الشهر **الثانى أو الثالث**، ويزيد عندها فى الشهر **السابع أو الثامن**، حتى لتنصرف الحامل عن كل هواياتها واهتماماتها السابقة التى لها بالعالم الخارجى، وتدخل عالمها الخاص الذى تصنعه لنفسها بتصوراتها وأخاييلها وأحاسيسها واستبطاناتها. وهى بالحمل لأول مرة تقف من نفسها مستبطِنة تتعمق دخائلها، ومن ثم كانت للحمل **وظيفتان**، **بيولوجية** هى التكاثر وحفظ النوع، **ونفسية** به تتأكد ذاتية الحامل وخصائصها وفرديتها. وفى الحمل تتوازن **عالمية الغاية وخصوصية التجربة**، ولأول مرة يتحقق للمرأة شئ مستحيل وهو أن ترى **أناها ego** يتعين ويتحقق على الحقيقة وليس على المجاز، والجنين هو **أناها** على الحقيقة، وإنها لتشعر به يتحرك داخلها فتتخيله ويملأ حياتها النفسية، وتخيلها له ليس كالخيالات المتوهمة وليس أضغاث أحلام ولكنه حقيقة ستراها وتلمسها بعد تسعة شهور، والحمل لذلك حلم المرأة الواقعى، وفيه تتعين ذاتها أو أناها بما هو لا ذات **non-ego**، فتنساح قواها النفسية على العالم المادى فلا يكون التمايز بين النفس واللانفس. وتجربتها لذلك **تجربة صوفية**، وحبها الذى تشعر به للجنين هو حب ممتد شمولى كونى، يتحقق فى الرحم، **هذا الكون الصغير** إلا أن مشاعر الذنب تجعلها تخاف، وقد تنتابها الهواجس أنها لن تكون أما صالحة، وكلما زادت سعادتها بالطفل المرتقب- الذى تؤكد به ذاتها البيولوجية بذات جديدة تتخلق منها وتعنى استمرارها واستمرار الجنس البشرى- فإنها تخاف أكثر من المقدور والمستور، فقد تعاقبها الأقدار على سعادتها. وكل فتاة تتمنى أن تتزوج وأن تنجب، إلا أن تفكيرها الجنسى عند البلوغ، وممارساتها الجنسية التى ربما تورطت فيها، قد تتخيل معها أنها أفسدت جهازها التناسلى ولن تصلح من بعد للزواج، ورغم طفولة هذا التخيل إلا أنه يكبر معها لاشعوريا، وقد يتسبب لها من بعد فى العُقْم. وأعدى أعداء الحمل **مشاعر الذنب** التى تكون بالمرأة من الطفولة والمراهقة بتأثير علاقاتها بأخواتها وأبويها وأقاربها والذكور فى محيطها. وفى كل إنسان يكون هناك شعور بالذنب، والإنسان بما هو كذلك يتميز عن الحيوان بأنه يشعر بالذنب، والحضارة مِنحة هذا الشعور بالذنب، والمرأة أكثر شعورا بالذنب من الرجل وأرهف حسا. والشعور بالذنب عند المرأة يعوق رسالتها البيولوجية ويحول بينها والأمومة، وإذا حملت يرين عليها خلال الحمل حتى لتنقله ميراثاً إلى طفلها، وتتنامى به مخاوفها أن

لاينقضى الحمل بسلام، وقد تجهض لهذا السبب ولكنها سرعان ماتحمل من جديد، لتثبت أنهاأقوى من ضعفها الداخلى الذى لاتعلم حقيقته. والكثير من النساء اللاتى يعانين من **مشاعر الذنب** تكون علاقاتهن بـأمهاتهن خلف هذه المشاعر. وكل امرأة يقرر مصيرها كأم **علاقاتها هى نفسها بأمها**. وقد تكون الحامل تعانى من الطفولة النفسية وتعتمد لذلك على أمها، ومن ثم لاتهتم بمسألة حملها، وتوكل أمورها لأمها، وتسلك كطفلة، وكأن الجنين دمية تلهو بها، أو كأنها هى نفسها دمية حامل. وتتصرف الأم بدورها باعتبار ابنتها دمية لها، وكأن الأم هى التى ستلد وليس ابنتها. وإذا كانت الأم أرملة أو مطلقة فإن حمل ابنتها سيكون قضيتها وشغلها الشاغل، وستتعين بها وتستعيد فى حمل ابنتها كل ذكريات ومشاعر الحمل التى خبرتها.

وحمل **المرأة الطفلة** يكون عادة طبيعيا، ولاتعانى فيه من مخاوف المستقبل لأنها تركن تماما على أمها، وإذا كانت من **بيت دينى** فإنها ستسلم أمرها لمشيئة الله وتتوكل عليه، وستجعل من الله سبحانة وتعالى راعياً لها يأخذ بيدها فى محنتها ويتجاوز بها كل المخاطر. وإذا كانت **مثقفة** وتأخذ بالتفكير العلمى فإن إيمانها بالعلم سيجعلها تعتمد تماماً على طبيبها وتتعامل معه كأب لها، أو تصنع من الطب إلهاً تعوّل عليه. وإذا كانت **متوسطة الثقافة** فإن ضحالة تفكيرها وقلة نضجها قد يتسببان فى إهمالها لنفسها وللجنين، وقد تتعامل مع الحمل كما كانت تتعامل مع حجرة نومها فى بيت أبيها من حيث إهمالها لترتيبها. وبعض النسوة من النمط الطفولى يكنّ على العكس منضبطات ومُوَسْوِسات ويقمن بما يُكلّفن به بطاعة شديدة كالأطفال، فإذا حملن فإنهن يفعلن ما يُطلّب منهن بشأن الحمل، ولكن أداءهن بدون فهم وبلا عواطف. وسواء كانت الحامل من هذا النمط من النوع المنضبط أو غير المنضبط فإن آثار طفولتها النفسية تظهر على ملابسها القصيرة والضيقة عليها من جرّاء الحمل ونمو بطنها، والتى تبدو بها طفولتها حتى ليشفق من يراها على حملها. وكثيراً ما نسمع تعليق النسوة المحنّكات على أمثالها بأنها طفلة وتحمل طفلة، وليس من الضرورى أن تكون الحامل من هذا النمط صغيرة السن بل ربما كانت كبيرة ولكن هيئتها وملابسها يجعلانها تبدو كالطفلة.

والحامل التى تعانى من **الطفولة النفسية** بقدر ما تعتمد على أمها إلا أنها تتمنى أن تتحرر من سيطرتها وتبعيتها لها. وهى تشعر أنها كبرت وينبغى أن تستقل عنها، وتمتنع

لذلك فى الأسابيع الأولى من الحمل أن تخبرها بحملها، ثم تضطر إلى البوح بسِّرها مع تزايد المسئولية والمخاوف من الحمل، وينشأ بها صراع هل تطيع أمها فيما تقول أو تستقل برأيها، ويحتدم الصراع حتى لتتمنى لو كانت لم تحمل أصلاً. والكثير من حالات إجهاض الحوامل من هذا النمط تدفع إليها هذه الصراعات.

والحمل قد يجعل الحامل تعايش ظروف حياتها وهى طفلة، فإذا كانت لم تحلّ **صراعاتها الأوديبية** فإنها قد تغار من أمها وتكرهها وهى تراها تهتم بحملها وتنافسها عليه، ويوقظ الموقف الجديد غيْرتها القديمة وتخشى على وليدها المرتقب من سيطرة أمها، وتسئ التفكير فى دوافعها وتتمنى لا شعوريا لو كانت لم تحمل.

ويتوقف مصير الحمل على تعْين الحامل بأمها وبالجنين، فإذا تعينت بأمها تعيناً صحيحا فإنها ستكون أماً صالحة، وإذا تعينت بالجنين ورأت نفسها فيه فإنها ستحافظ عليه وتُعنى به حتى تلد بسلام. **والتعين بالأم** من الماضى، **والتعين بالجنين** من المستقبل، والتوازن بين الاثنين هو الذى يستبقى الحامل حاملا، وإلاّ فإنها لن يكون لها دور الأم إن لم تتعين بالأم، وستلفظ الجنين وتُجهضه إن لم تتعين بالجنين.

وينمو الجنين فى بطن الحامل وتستشعر لنموه تغيرات فيها، فتأتيها الأفكار تدور حول طفلها وتتمناه على هيئة معينة وبجنس معين. وكل حامل تتمنى أن تلد ولداً، لأنه يجسّد فيها ميولها الذكورية، ويشبع عقدة النقص التى تحسها كل أنثى، ويعطيها القضيب الذى هو مدارعقدة النقص والذى حسدت الأولاد عليه وهى صغيرة. وحتى لو كانت امرأة شديدة الأنوثة فإنها ستتمنى أن تلد الولد لأنها تريد أن تفيض عليه كل حبها الذى كانت تكّنه لأبيها وهى صغيرة، وكل حبها لزوجها الذى لا تملكه ولا يطاوعها على حبها أحيانا ويتمرد عليها. وهى تريد أن ترى فى ابنها كل فضائل أبيها وكل محاسن زوجها. وأما الزوج فقد يتمنى أن تلد امرأته ابنا على صورته، أو أن تجد فى ابنها صورة له. والزوجة قلما تتصور ابنها على صورة أبيه فقط إلا إذا حدث ومات الزوج فإنها قد تغالى فى إظهار حبها لابنها ليكون صورةً لأبيه.

وبعض النسوة يكن شديدات الشَبَق ومحبات لأزواجهن، وتتصور الزوجة العاشقة زوجها المحب على صورة مثالية. وهى طالما تعيش قصة الحب فإنها تخلص للقاءات الحب الجنسية، وإذا لمست من زوجها فتوراً بحكم شواغله الدنيوية فقد تستعوض إشباعها

الشَبَقى، بأن تكون أُمّا فتحمل وتتمنى أن يجئ طفلها ذكراً يعطيها اللذة المحرومة منها ولو جزئياً بشكل دائم ودون فتور، وتتصور ابنها على صورة مُثلى هى صورة ذاتها، ولكل امرأة ذات مثلى تتصور نفسها عليها، وهى ترجو أن يكون ابنها كما تشتهى مخيلتها وحواسها وشبقها، وترى فيه كمالات أبيها التى يضخّمها حبها القديم الطفولى له. وعند الشعوب البدائية هناك اعتقاد بأن الجدّ يولد من جديد فى الحفيد.

والعلاقة بين **الزوج والحامل هى** أساس ما يستجد من علاقات باعتبار الوافد الجديد الذى به تكون الأسرة **ثلاثة أفراد**. وتتوقف طبيعة **هذا المثلث السيكولوجى** على مستوى نضج الأبوين، فإذا كانت الحامل من النوع الساذج الذى لا تجربة **لها فى** الحياة يُعتّد بها وتُصقِل شخصيتها فإن تجربة الحمل ستكون كحُلم يقظة وكأنما تلعب لعبة اسمها **الزواج والحمل**. وقد يطاوعها زوجها على هذه اللعبة ويلعب هو أيضا هذه اللعبة التى يراها طريفة ولاضرر منها، وهكذا كانت «**نورا**» وزوجها فى رائعة **«إبسن بيت الدمية»**. وقد يكون هو نفسه غَرّاً أيضا، وعندئذ قد تستغرقهما أحلام اليقظة ويظلان يتحدثان عن طفلهما المرتقب دون ملل، ويختاران له اسما وشكلا ويحددان جنسه إن بنتا أو ولد، ويعكسان فيما يقولان ويختاران مشاعرهما اللاواعية، ويعبران عن تصورات لها دوافعها وأصولها فى حياتهما الماضية والحاضرة. وقد يختار الزوج أن يكون الطفل بنتا أو يقول إنه ولد، وقد تفعل الحامل نفس الشئ ويكشفان فى أقوالهما واختياراتهما مايحمله كون الطفل الذى سيولد ولداً أو بنتا. وقد تقول الزوجه أريده ولدا له هيئتك، أو تقول لاأريد بنتاً حتى لايكون لها مثل حظى. وقد يقول الزوج أريده ولداً ليكون المهندس الذى لم أكنه. وكان **النبى زكريا** يدعو الله أن يكون له الولد الذى يليه «**يرثنى ويرث من آل يعقوب**» (سورة مريم الآية ٦). وقد يولد الطفل فيتسلطان عليه ليحقق آمالهما والميول التى كانت مكبوتة بهما والتى تستيقظ الآن. وربما كان أحدهما يعشق نجم سينما فيسميه على اسمه، أو يحب شخصية فى العائلة فيصر أن يكون اسمه على اسمها، وربما تقول الزوجة سأسميه على اسم أبى، وفى كل مايقولان يكشفان عن علاقاتهما بأبويهما والأدوار التى لعبها كل من الأبوين فى حياتيهما.

وينبغى على الحامل أن تفهم أن الجنين شئ مستقل عنها وليس امتداداً لذاتها، ويساعدها على ذلك غريزة الأمومة. ومهما كانت فقيرة أو غنية، صغيرة السن أو كبيرة، حريصة أو مهملة، سلبية أو إيجابية، فإنها فى كل الأحوال ستتمنى أن تخيط لوليدها

ملابس جديدة، وأن يكون له سريره، وربما تختار له مكانا أو حجرة تزينها من أجله، وتلك **غريزة** في كل الطيور وفي الإنسان هي غريزة **بناء العش** nest - building in- stinct ورغم أن الأم تنسحب على نفسها بسبب الحمل وتشغل بمسائل كثيرة إلا أنها ستجد الوقت لتفكر في مستقبل ابنها. وتحتاط للظروف وتوفر له أشياء بحسب وعيها وثقافتها وشخصيتها وعواطفها، وستحاول أن توفق بين نشاطها المتجه إلى داخلها وغايته ذاتها، ونشاطها المتجه إلى خارجها وغايته وليدها، وذلك لأنها لاتستطيع أن تستغنى عن المجتمع، وهي تحتاج إليه في تربية وليدها. غير أن بعض الحوامل تقصر همّتهن عن الوفاء بمتطلبات الحمل ولاينجحن كأمهات مرتقيات، ومن **هؤلاء الحوامل المنحرفات** واللاتى لهن نشاطات لااجتماعية، **والعاملات** اللاتى يطحنهن العمل، **والمريضات، والنساء المسترجلات** اللاتى لديهن طموحات ذكورية، وكل هؤلاء لايرضيهن الحمل ويحاولن التخلص منه، فإذا اضطررن إلى القبول به فإن فترة الحمل تستمر معهن مكرهات والبغض يتنامى في قلوبهن، ولايولين الحمل العناية اللازمة، فهن أسوأ حوامل وأسوأ أمهات من بعد.

وهناك على العكس **نمط المرأة الراضية بالحمل**، المتقبلة له، والراغبة فيه، والتى تستقبل كل تغير فيها بابتسامة وسعادة، والتى تحمد الله دائما.

وهناك غير هذين النمطين **النمط المثقف**، وهؤلاء يستكثرن الحمل على أنفسهن ولايبدين أنهن مهتمات بالتجربة، أو مكترثات، ولايحلمن كالأخريات، ولايخرجن من الحمل بخبرة تفيدهن في الحمل التالى.

وبعض النساء يأخذن **إجازة** بالحمل، فالحمل عذر يتعللن به حتى لايعملن ولايفكرن، وبمجرد أن يتبين أنهن حوامل يأتجزن من الذات والمسئولية والحياة.

والكثير من النساء تأتيهن **أحلام** وهن حوامل تتناسب والحالة التى هن فيها من أطواره، والمرأة التى تتزوج وتحلم أن تحمل قد تحلم بأنها تأكل كثيرا، فإذا حملت وكانت في الشهر الأول فقد تحلم بأن ماتأكله هو ديدان صغيرة، فإذا كبرت بطنها قليلا فقد تحلم أنها تأكل وليدها، فإذا كانت في الشهور الأخيرة فقد تحلم بوليدها له شكل وشعر وعينان، وكلها أحلام لها علاقة بالحمل، وهى **أحلام راغبة** تتمثل فيها آمالها ورغباتها وأفكارها. وفي أواخر الحمل قد تحلم بطفلها مثلاً وكأن النبى يعطيه لها، أو قد ترى في المنام أن اسمه محمد، فتعكس عليه ذاتها والصفات التى تحبها.

والحامل **يطول حملها لتتدرب على الأمومة**، ومن الواجب أن يكون هذا التدريب واعيا وتتولاه برامج تعليمية خاصة. **والأمومة خاصة المرأة**، ولافرق بين امرأة وأخرى فيها، والاختلاف أن الواحدة قد تظهرها صريحة بينما الأخرى قد تمارس أمومتها فى نشاطات بعيدة عن الزواج والحمل، كالتمريض أو الطب أو التدريس. وبعض النساء من هذا النوع قد تجعلهن خبرات الطفولة عازفات عن الزواج أو عقيمات إذا تزوجن. وبرغم عقمها الذى تتسبب فيه بكراهيتها المكبوتة لدورها كأنثى أو لأمها وماتمثله، أو لطفولتها، فإنها قد تطلب العلاج وتغالى فى طلبه فتعذب نفسها وزوجها وكأنها بذلك تعاقب نفسها، وحالتها تشبه حال المريض بالعُصاب الذى يسعى للعلاج ولكنه يقاومه لاشعوريا. ومقاومة المرأة للعلاج قد تسد جهازها التناسلى وتعوق وظيفته التناسلية. وبعض النساء إذ يتبينّ أنهن لايحملن يتقبلن ذلك لو كن **غير عصابيات** ويسعين لممارسة الأمومة فى مجالات الجمعيات النسائية والخيرية مثلا، والبعض **والعُصابيات** قد يستشعرن النقص. وتقوىّ الثقافة الشعور بالأمومة عند الأنثى، ولاتتحدث الأديان عن المرأة الكاملة إلا بوصفها أما. **والعقم** سبب للطلاق، ومع أن الرجل والمرأة يمكن أن يكون أيهما السبب فى العقم إلا أن المرأة ماتزال تعتبر نفسها المسئول الأول عنه، ربما بسبب النقص الموروث فيها واكتشافها منذ طفولتها أن تكوينها ونصيبها فى الحياة كأنثى أقل من نصيب الذكور. والمرأة العقيم قد تتأثر شخصيتها بالعقم وتزيد به نرجسيتها، وللعقم صدمة **sterility trauma**، من شأنها إن لم تتجاوزها المرأة أن تحيلها عدوانية، وقريب من ذلك قول أحد الشعراء: «قلب المرأة منِحل، وحبها الذى تسقيه صغارها عسلٌ يمتلأ به المِنحل ويفيض حناناً، وإذا نضب القلب من الحب أو خلا منه فإن المنحل يصبح عش زنانير».

ومن **أنماط العقم** ذلك النمط من النساء الذى يدور على الأطباء ويجرب كل دواء ويبدو كما لو كان يعامل جهازه التناسلى كالطفل، ويرضيه معاناته، **وهو نمط ماسوشى**، وزبون دائم عند الأطباء، يتوجه باللوم للزوج ويعذبه بالشكوى؛ ومنه **نمط ينكر الصدمة** ويزعم أنه لايرغب فى الإنجاب ولايحب الأطفال، وتعوّض عن فشلها بالعناية بشكلها وهندامها، وتهتم بأمور تافهة لاتحسنها مع ذلك فتجرب غيرها، وتنسب دائما فشلها لزوجها أو أسرتها أو المجتمع بدعوى أن أحداً لايعطيها الفرصة لتثبت كفاءتها. ومن العقم أيضا **نمط يعوّض عن النقص بأداء ناجح** إلا أنه لايتولى الأمور التى تناسب قدراته، ويذهب فى التحدى إلى

التصدى لأمور أكبر منه، فتكون النتيجة الفشل أيضا، فيكتئب وتزيد به الحساسية حتى لتكون كالهذاء، ويغالى فى اتهاماته للآخرين وخاصة الزوج والأم وينكر أن عصبيته مصدرها شعوره بالنقص بسب العقم.

ومن العقيمات **صنف حسود** شديد الحسد، وهو محب للاستطلاع ليرى الجديد عند غيره، فإذا عرف أو رأى الغير يشترون اشترى، **والمرأة الحسود** مغرمة بالامتلاك، وتريد أن تتملك كل شئ كالأخريات وتقتنى لذلك عشرات الفساتين والأحذية، وربما لو استطاعت تشترى السيارات والعقارات، وتغير أثاث بيتها باستمرار، وإذا كانت من الطبقة المتوسطة المهتمة بالأطعمة فإنها تفعل مثلهم وتشترى الأطعمة والمزيد منها، وقد تضطر لأن تدعو الناس عليها حتى لتُعرَف بالكرم وهى ليست بالكريمة، ولكنه **العقم** تسنعوض النقص فى الولد بأن تنصب الموائد للضيوف وكأنها تستكثرهم فى بيتها كالبنين، وهكذا كانت **سارة زوجة النبى إبراهيم**. والعقم هو الذى جعلها تزوّج زوجها لينجب، واشترطت أن يكون طفل **هاجر لها**، والعقم هو الذى يدفع العقيم إلى حسد أولاد الجيران، وتبدو العقيم عطوفة بهم حتى لتتولى الأطفال برعايتها ولكنها ليست الرعاية على الحقيقة بل إشباع حب الاستطلاع بينما الغيرة تأكل قلبها. ولقد طلبت **سارة** من بعد أن يأخذ إبراهيم ابن هاجر بعيداً عنها برغم أنها استقبلته فى أول الأمر بفرحة وعاملته بحب. وهذا الحسد وتلك الغيرة قد يجعلان المرأة المجدبة مخصبة وكثيرا مايتسببان فى استحداث الحمل. وكم من امرأة عقيم تزوج عليها زوجها وأنجب من غيرها فتحمل وتلد. وكم من امرأة عقيم تبنت طفلا فحملت وولدت، والسبب أنه ربما يفتح الحسد رحمها، وربما تزيل الغيرة العقبة فى جهازها التناسلى، وربما يستثير التبنى أمومتها ويستدرها حتى أنها لتحمل بعد طول عقم. والمرأة العقيم التى قد تستعوض عن عقمها بامتهان **التدريس أو التمريض** قد يجعلها ذلك تحمل وتلد، إلا أن الملاحظ أن هذا الصنف يتصرف بخشونة مع الأطفال. وحتى ولو بدت المرأة لطيفة حنونة فإن لطفها هو اللطف الزائف والحنان المتسلط الذى يسئ أكثر مما ينفع.

ويستجيب الرجل للعقم بخلاف المرأة، فالمرأة تريد الولد على الحقيقة، وتهفو للإنجاب، ومعناه أن يكون لها الولد النجيب النابه، وهذه هى رسالتها وحياتها، بينما الرجل يريد أن يعقب، أى أن يكون له ولد من صلبه يخلفه ويعقبه على ما يترك من ميراث، وهذا الميراث هو حياة الرجل ورسالته، فقد يكون تجارة أو زرعا أو صناعة أو فنا أو أدبا. **والتكاثر عند**

الرجل هو زيادة فى القيمة، بينما **التكاثر عند المرأة** زيادة فى النسل. والجنس عند الرجل متعة، وعند **المرأة** لاانفصال بين الجنس والأمومة. والرجل قد يكون عقيما فلا يتأثر إن لم يكن لديه مايورثه، وأما المرأة فتشعر أنها كالبنيان المعطل غير المسكون. والرجل قد لايهتم بعقم زوجته، ولكن الزوجة يثيرها عقم الرجل ويخيب فيه أملها. وبينما لايصاب زوج العقيم باضطرابات عُصابية فإن زوجة العقيم غالبا ماتأتيها الاضطرابات العصابية تباعا. وهى فى صميمها تحتقر زوجها لعدم كفاءته وتعطيله لأنوثتها. وقد تحاول أن تساعده فيتشاجر معها لأنه يزهد العلاج بسرعة وتسوء معاملته لها. ومن المألوف أن تزيد الرغبة فى الجماع عند الزوج السليم الذى له زوجة عقيم يعوضها بالجماع عن حرمانها بأسباب استحداث الولد، وتتقبل العقيم ذلك وتطلبه كفعل قهرى يلح عليها باستمرار ويتملكها كحل عُصابى لمشكلتها. وأما الرجل العقيم فعقمه قد يستشعر به النقص الذى يزيد شعوره به مع سوء معاملة زوجته له أو إفراطها فى العناية به بدعوى علاجه من عقمه فيصاب بالعُنة وتتفاقم المشكلة.

والعُقْم قد تكون له **مضاعفات جنسية**، فالرجل الذى يطلب منه الطبيب من حين لآخر عينة من المَنىِ لتحليلها قد يصاب بالاكتئاب من كثرة الاستمناء باليد، وقد يجعله ذلك لاينتصب، أو يصاب بسرعة القذف. وكذلك المرأة التى يسرع بها زوجها عقب كل جماع إلى الطبيب ليفحصها، قد تزهد من الكشف والجماع وتكرار ذلك تكرارا ليس فيه متعة، فتصاب بالعنة أيضا، وهى فى حالتها **البرود الجنسى** الذى يستحيل به الجماع أو يعسر.

والحمل نفسه ومشاكله قد يؤثران على **العلاقات الجنسية بين الزوجين**، فالرجل الذى لايريد الإنجاب ولكن زوجته تحمل باستمرار برغم كل الاحتياطات قد يزهد فى الجماع ويخشاه وينتهى عنه. والمرأة التى يتعبها الحمل وتشكو أعباءه قد تهرب من الجماع أو تتعجل الانتهاء منه وتحذر الإمناء فيها حتى ليشغل ذهنها بذلك عن التجاوب مع رجلها. وقد تكون للحياة وطأة مالية وتعيش الأسرة فى ضائقة اقتصادية فيطلب الرجل نفسه أن يُعقّم، أو تطلب المرأة ذلك غالبا حتى لاتحمل.

ويعالج العقم حاليا باستزراع الأجنة وبأطفال الأنابيب، وليست هناك دراسات نفسية لهذه الحالات منشورة حاليا، ومانعرفه حول ذلك لايعدو سوى شذرات. وهناك مشاكل مؤكدة ولاندرى كيفية استقبال المرأة لبويضة غيرها من النساء، ومدى تأثير شعورها بأنها

مجرد حاضنة لها، ولا إحساس المرأة التى ترضى باستقبال مَنى بخلاف مَنيِ زوجها. ولمن سيكون الطفل : هل هو للأم صاحبة البويضة الملقحة، أم للأم الحاضنة التى حملته جنينا وغذّته بدمها ولبنها؟ والاستزراع فى الحيوان ليست له هذه المشكلة، لأن الحمل نفسه بمعنى احتواء الجنين فى الرحم يكفى لتحنين الحيوان بصرف النظر عن كون البويضة ليست له، أما فى الإنسان فالمشكلة أعصى على الحكم فيها بسهولة، فمن **الناحية البيولوجية** يكون الطفل للأم الحاضنة كما فى حالة استزراع الأجنة فى البقر والأرانب والخيل، وإذا قلنا أن الطفل هو جزء من الذات العضوية للمرأة فإن صاحبة البويضة الملقحة هى الأم، وإذا طبقنا طريقة **النبى سليمان** فى الحكم فى نزاع المرأتين على الطفل، تلك التى أنجبته وتلك التى احتضنته وربّته، فإن الطفل لن تقدم منهما الدليل على أن الأمومة ليست ميراثا بيولوجيا ولا هى حيازة وتملّك، ولكنها سلوك وحنان وعطف وتفهم وعطاء. والحب هو الذى يدفع المرأة لتضاجع وتتلقى المنى يلقح بويضتها التى سيكون منها الطفل. والحب أيضا هو الذى يحرّك أحشاءها فتحتضن البويضة الملقحة وتنميها وتحيط الجنين بكل رعاية ليكبر حتى الولادة، وهو الذى يجعلها تحتمل عذابات رعاية الطفل. وكل الحيوانات والطيور بها هذا الحنان لصغارها، وكلما ارتقى الكائن الحى احتاج من أمه إلى مدة أطول من الرعاية، والإنسان أطول كائن حى يحتاج لمدة رعاية قد تطول إلى العمر كله، وحنان أمهات الإنسان لهذا حنان واع، والأمومة عند الإنسان من ثم ليست هى مجرد الأمومة الفطرية ولكنها شيئا ارتقى وابتعد كثيرا فى سلم الترقى عن أصوله الغريزية. وهى ليست مجرد أن تعطى المرأة البويضة وتنفعل أحشاؤها هرمونيا وفسيولوجيا لوجود الجنين فى بطنها فتضخ له الدم وتتهيأ لاستقباله، ولكنها شئ أرقى كثيرا مما سبق. وهى تركيبة سيكولوجية شديدة التعقيد ويمكن أن تكون بالمرأة وإن لم تحمل ولم تلد. والأمومة فيض حنان وتفهّم ويمكن أن تظهر فى نواح أخرى تكون فيها المرأة باذلة وواهبة. ولولا أن بالنساء دوافع أخرى نرجسية لاقتصرت الأمومة على ماسبق من دوافع غيرية هى الأساس والأصل فى الأمومة. وإذا كانت الأمومة كما قدمنا عطاءً (الدوافع الغيرية) فإنها أيضا أخذ (الدوافع النرجسية،). وكل امرأة تريد أن يكون لها ولد من صلبها هو وريث ذاتها ego، والذى تبقى به ذاتها حية وإن ماتت الأم، وهو ماتعنيه **فكرة الخلود**. والخلود ميل نرجسى بالرجل يجعله يصنع القيم ويُعقِب الولد ليرث ماصنع، وبالمرأة يجعلها تنجب لترى فى

طفلها حبها الماضى (أباها)، وحبها الحاضر (زوجها). ثم هى تشعر بالولد أنها كاملة وأنها قد صارت به نداً للرجال. وربما كان ذلك من الدوافع القوية التى تميز النساء عن الرجال من حيث الإنجاب. والحمل هو الطريق الموصّل للكمال، والحامل وهى ترقب نمو بطنها وكأنها تسرع الخطى إلى أرض الميعاد، وطفلها هو تذكرة الذهاب، ونعمة الحمل تعطيها إحساسا بالرضا عن كل شئ، فالمشاكل التى كانت بينها وبين زوجها تنتهى أو تتأجل، وحتى الجماع صار يشبعها، **والحمل الصحى** دليله هذاالشعور بالشبع وبالكمال، **والحمل غير الصحى** هو الذى له مشاكل ذهنية ونفسية وبدنية. وانظر مثلا إلى امرأة كلما حملت أشرق وجهها بالسعادة، وأخرى تحمل فيكفهر وجهها وتصاب بالغثيان والقئ. وبعض النسوة يكون بهن **الخوف من الحمل** كأنهن مصابات بالفوبيا. ومن الفوبيا **رهاب الحمل**، وقد يترتب عليه **رهاب الجماع**، وقد يفرط فيكون **رهابا من جنس الرجال**.

والجماع فى الحمل الصحى قد يلذ لبعض النساء حتى لينعظن فيه ولم يكنّ ينعظن من قبل. وربما لاتنعظ المرأة إلا فى الحمل. وقد يكون السبب أن المرأة قبل أن تحمل قد تكون بها مخاوف أن لاتحمل، وبعد أن تحمل تطمئن على أنوثتها. وربما كانت تمارس العزل فى الجماع قبل الحمل لأسباب عائلية أو اقتصادية أو صحية، وبعد أن تحمل لاتعود بها الخشية والحذر كلما جامعت. وبعض النسوة يثيرهن للجماع أن يشاهدن علاماته عليهن من انتفاخ فى البطن واستدارة فى الفخذين والصدر، ويرين أنهن صرن أجمل به، فيكون ذلك مدعاة لإتيان الجماع بكثرة كرد فعل للشعور بالسعادة. وفى بعض الثقافات تخجل المرأة من حملها، وقد تقبح فى الحمل فينعكس ذلك على طلب زوجها لها وعلى رغبتها الجنسية. وبعض النسوة يصبن فى الحمل بالنزيف فيمنع الطبيب الجماع. ولايمكن أن يكون الجماع مع الغثيان والقئ. وبعض الحوامل يتحلّب ريقهن خلال الحمل حتى لتكثر الحامل من البصق وتبلل وسادتها خلال النوم وتتحشرج به ويصاب الزوج من ذلك بالقرف. والبعض قد تزيد بهن أوجاع الحوض حتى ليعجزن عن الحركة وينفرن من الجماع بسبب ذلك. وهناك حالات يستحدث فيها الإنعاظ تقلصات بالرحم، ومع تكرار الإنعاظ قد تجهض المرأة، وحالات أخرى يكون مَنِيّ الرجل مهيّجا للرحم من حيث الأحماض التى يحتويها حتى ليسبب لها الإجهاض، وكل ذلك له **مردوده على السلوك الجنسى للحامل**.

وتؤثر **شخصية الحامل** فى سلوكها الجنسى. وكذلك تؤثر رغبتها ورغبة زوجها– يؤثران

فى الحمل، وتؤثر فيه ظروفهما المادية وحجم الأسرة. وبعض الحوامل تأتيهن من كل ماسبق زُملة أعراض أبرزها **الانطواء**. والانطواء هو أهم مايُلحَظ من تغييرات تصيب الحامل، ويبدأ ذلك فى **الشهر الثانى أوالثالث**، ويزيد فى **الشهرين السابع والثامن**، فتؤثِر الحامل الجلوس وحدها والصمت والنوم الكثير، وربما كانت **كثرة النوم** مسألة تستدعيها حالتها الفسيولوجية، ولكنها قد تكون كذلك وسيلة هرب من ضغوط الحمل والصراعات التى يستحدثها، وربما يكون الانطواء تعبيراً عن العزوف عن الزوج، وبعض العلماء يطلقون على الأعراض السابقة اسم **زملة تنافر الزوجين** **couple-at- odds syndrome**، وربما لذلك كان من الضرورى أن يكون الحمل متفَقا عليه بين الزوجين، وأن يكون أساسه الرغبة حتى لاتكون له مضاعفات تتأثر بها علاقاتهما، وأخصها سلوكهما الجنسى، وحتى لايكون الحمل مفاجأة لأيهما دون أن يكون مستعدا له ماديا ونفسيا وذهنيا واجتماعيا، فيتلاومان ويعيشان فى توتر وجدانى. والكثيرون يطبقون **تحديد النسل**، **وموانع الحمل** فى متناول المتزوجين وغير المتزوجين. والزوجة التى يأتيها الحمل عن غير اختيار ربما تكرهه وتتسبب فى إجهاض نفسها، أو قد ترضخ له مع البكاء والخلافات والبرود الجنسى كعقاب للزوج، وربما يكون الامتناع بالكلية عن الجماع. وإذا كان الزوج هو الرافض للحمل فسيأتى زوجته غير متحمس، وسيفرغ الجماع من مضمونه العاطفى ويجعله روتين ليس فيه الملاعبة التى تتقدمه. وقد تنزعج الزوجة من التعبيرات التى تطرأ على شكلها كلما أوغل الحمل، حتى لتحتاج إلى أن يؤكد لها زوجها باستمرار حبه لها، بأن يرغبها جنسيا ويكثر من مضاجعتها. وربما تكون المرأة قد كبرت فى السن وكبر أولادها، وقد تفكر لو أنها حملت ربما تستعيد زوجها الذى انصرف عنها، وذلك تفكير له خطورته، وربما يأتى بنتائج عكسية.

وبعض النساء تكون بهن مشاعر ذنب نتيجة الحرية الجنسية التى كنّ يحيينها قبل الزواج، وربما يكنّ قد حَمَلْن سفاحا وأجهضن أنفسهن إجهاضا مفتعلا، وتستمر معهن مشاعر الذنب بعد الزواج، فإذا حملن فقد يجهضن كذلك، ولكنه الإجهاض النفسى التلقائى بتأثير الإجهاض المفتعل السابق وكعقاب عليه. وفى أحد البحوث حول **الإجهاض التلقائى** تبين أن ثلث النساء اللاتى يعانين منه قمن بعمليات إجهاض مفتعل قبل الزواج. ومن الغريب أن الإجهاض التلقائى كان يأتيهن فى **نفس التاريخ** الذى أجرين فيه الإجهاض

المفتعل. وكانت بعضهن يتعمدن أن يحملن بحيث لايكون ضمن شهور الحمل عندهن الشهر الذى كان فيه الإجهاض المفتعل، فكان حملهن يستمر لما بعد التاريخ الواجب للوضع حتى التاريخ الذى فيه الإجهاض فتكون للولادة أعراض الإجهاض.

وهناك دلائل على أن النساء اللاتى يتورطن فى علاقات جنسية قبل الزواج كن كبنات محبات لآبائهن، وكان الأب «يغوى» البنت بالدلع الشديد الذى يوقظ فيها أنوثتها مبكرا، وهى غواية تبدأ فى البيت وتضع لها البنت الخاتمة خارجه فتقوم هى بالغواية وتمارس الجنس بحرية، وقد تكون واعية فتستخدم موانع الحمل، أو تهفو فتحمل وتجرب الإجهاض المفتعل.

والأنثى فى الحيوانات لاتطلب الجماع بعد السفاد والحمل، وقد تُجَبر على الجماع بعد الحمل فتخضع تحت ظروف قوة الذكر والعجز عن الهرب، إلا عند الإنسان فإن الأنثى تواقع باختيارها إنْ حملت وتطلب المواقعة.

وربما كانت الهرمونات والتغييرات فى إفرازها فى موسم العشار هى التى تدفع إناث الحيوان إلى طلب السفاد، لكن النساء يطلبن الجماع فى كل وقت، وبعض النساء يطلبنه قبل الطمث وبعده وأثناءه، وأكثر الجماع قبل وبعد الطمث. وقد تطلب الحامل الجماع أكثر مما كانت تفعل قبل الحمل، وإذا حدث ذلك فإنه يحدث بعد شهور من الحمل، والبعض قد يجربن الإنعاظ لأول مرة فى الحمل، ولم يكن يجربنه من قبل، وربما يعود ذلك فى المرأة السوية إلى الطمأنينة التى تعيش فى ظلها إذا كان حملها مطلوبا ومتفاهَما عليه وناجحا. وكلما كانت المرأة أصغر سنا كلما زاد طلبها على الجماع، ويلح طلب الجماع على الحامل المتزوجة حديثا ويقل عند الحامل التى تقادم زواجها. والمتعلمات أكثر طلبا للجماع عن غيرهن، وربات البيوت عن العاملات، والحضريات عن الريفيات.

وبعض الأزواج تزعجه الرغبة فى الجماع وحالة الإنعاظ التى تأتى الزوجات ربما لأول مرة، وربما لايرحب بالحمل الذى كانت معه هذه الصفات الجديدة، وقد يرى الزوج أن يصد زوجته وأن لايجعلها تعتاد على المعاملة الخاصة مع الحمل، وربما لايتقبل منها رغباتها وإلحاحها على الجماع أو أن يظهر المحبة لها دائما، وقد تتولد من ذلك مشاحنات قد يسعى إزاءها إلى أن تكون له علاقات بأخريات خارج نطاق الزوجية.

وتقل فرص الإنعاظ رغم ذلك مع تقدم الحمل وشواغله المستمرة والتفكير فى الولادة.

ويتدنى عدد مرات الجماع مع مشقة الحركة وامتلاء البطن. **ولأوضاع الجماع** التى يفرضها كبر حجم البطن دخل فى عدم تحقيق الإنعاظ. والوضع المفضل **هو وضع الجنب side-by- side position**، فيكون الزوج والزوجة متباعدين بالوجه وإن تقاربا بالحوض. ويقل اللجوء إلى وضع اعتلاء الرجل للمرأة. والبعض قد يلجأ إلى وضع اعتلاء المرأة للرجل، وذلك ييسر عليه أن تقوم هى بما تشعر أنه لايضايقها ويعجّل بإنعاظها. وقد ينصح بعض الأطباء **بالوضع الخلفى rear entry**، المعروف بالوضع الفرنسى، وذلك نادر (نحو ٥٪ فقط من الحوامل)، وهو فضلا عن أنه غير مريح للزوج فإن الزوجة فيه لاتستمتع بالجماع.

وربما تأتى بعض النساء **عادة الاستمناء باليد** كلما كان الجماع غير مشبع، والمعروف أن المرأة التى تستمنى باليد قبل الزواج قد تستمر فى ذلك بعد الزواج إذا لم يكن الإنعاظ يتحقق لها، ولكن الحمل يجعلها تتوقف عن إتيان هذه العادة فى ٥٠٪ من الحالات، وقد تطلب من زوجها أن يقدم للجماع بإثارة فرجها وبظرها بيده، وتقل فرص الاستثارة عن طريق اللعق باللسان إلى نحو ١٧٪، غير أن اعتياد اللعق قبل الحمل لبلوغ الإنعاظ قد يدفع نحو ٥٠٪ من الحوامل المعتادات إلى الاستمرار فيما اعتدنه.

ويعزز الأزواج السلوك الجنسى الذى له استجابة عالية، ومع التعزيز قد يصبح السلوك عادة، غير أن الحمل يكسر العادة ويضطر الأزواج إلى تجربة أنماط أخرى من السلوك الجنسى للتكيف مع أى منها، بالنظر إلى أن الحامل قد لاترتاح فى أوضاع الجماع القديمة، وقد تخشى الحركات غير المحسوبة التى قد يُؤذَى بها الجنين أو تجهضها. ويندر أن يتسبب الإنعاظ فى الإجهاض حتى مايستحدثه من تقلصات فى الرحم، غير أن العنف فى الجماع وتكرار الإنعاظ ربما يؤديان إلى الإجهاض، **والأفضل أن يتدنى النشاط الجنسى للمرأة ابتداء من الشهر السادس**.

والملاحظ حاليا أن التمسك بالقيم الدينية والأخلاقية فى مسألة الجنس يقل مع خروج النساء للتعليم والعمل، ومشاركة الرجال مقاعد العلم ومكاتب المصالح والشركات، وتأخر سن الزواج، وتحرر المرأة من سيطرة الأبوين والإخوة، وصار من المألوف أن تحمل البنات دون زواج، وأن يتكرر حملهن. ويكثر استخدامهن لوسائل **منع الحمل وخاصة الحبوب**، ويكثر لجوءهن للأطباء وغير الأطباء بغاية الإجهاض، وهو غير مسموح به قانونا مالم يكن

بقصد العلاج. وهناك دعوة لإباحة الإجهاض كي يكون تحت إشراف طبي بدلا من أن يمارسه أدعياء الطب، ويعرّض البنات لمخاطر قد يكون منها الوفاة، وقد يتسبب عنها أذى للرحم فلا تحملن من بعد. وتذهب بعض الدول إلى تثقيف أبنائها وبناتها جنسيا فى مرحلة المراهقة وقبل الزواج، وذلك إجراء وقائى لابد منه، برغم الدعوة المضادة التى تقول بأن تناول المسائل الجنسية قد يفتّح الأذهان إلى ممارسات قد يكون من الأولى أن لانعلّمها لأولادنا، ونرد على هؤلاء كما رد **أرسطو** على الذين عابوا عليه تعليمه **المغالطات** فى المنطق للشباب، فقد كانت حجتهم أن التمرس على المغالطات قد يخلق جيلا يوظّف المنطق لأهدافه ومصالحه ويفسد التفكير على عامة الناس، وكانت حجة **أرسطو** أن معرفة الشر تنجّى منه، والجنس ليس بالشرّ ولا بالخير، ولكن الممارسات الجنسية قد تخرج عن إطار العرف والشرع، والأوْلى أن نحذّر الشباب من مزالق الجنس وليس من الجنس نفسه كما يذهب بعض الوعاظ، فنكون قد ضمنا أن يعرف أولادنا طيبات الجنس وغاياته، ومايرتبط به من حلال وحرام وفضيلة ورذيلة، والسلوكيات التى تجعله فى خدمة صاحبه والمجتمع. وهناك حقيقة لاينبغى تجاهلها وهى أن الشباب يتعلم من بعضهم، والكثير مما يتعلمونه مغلوط وغير صحيح، والأوْلى أن يكون هناك التعليم الجنسى والمناقشات الحرة التى لابد أن يكون لها المردود الاجتماعى المطلوب، والملاحظ أن الدول التى تقدّم مثل هذا التعليم للشباب يقل فيها اللجوء إلى الإجهاض، وتحتاط فيها النساء غير الراغبات فى الحمل فلا يحملن عن سذاجة وقلة خبرة، ولايكن ضحيات للذئاب من الرجال، ولايقعن فى حبائل مدّعيات الطب اللاتى يقمن بعمليات الإجهاض غير القانونى. وليس لنا إلا ننصح بالامتناع كلية عن أى سلوك جنسى قد يترتب عليه الحمل أو يُستباح به جسد الفتاة، أو قد تلجأ بسببه للإجهاض، فإنه قد ثبت أن **مشاعر الذنب** التى تترتب على ماسبق تتفجر بأى فتاة وتظل تلاحقها شعوريا أو لاشعوريا طوال حياتها فتفسد عليها زواجها وتحرمها من الحمل الصحيح من بعد.

والآن ماهو **وهْم الحمل** الذى يأتى بعض الرجال؟ وماهى دعوى المأبونين **أن الحمل يأتى الذُّكْران كما يأتى الإناث؟**

وللرد على هذين السؤالين ينبغى أن نذكّر بمقولة فرويد عن **حسد القضيب** الذى يكون بالبنات الصغيرات، إذ يكتشفن امتلاك الأولاد للقضيب ومايعطيه لهم هذا الامتلاك من

قدرة على التبول، وما له من خواص أخرى. وقد يكون تفوق الأولاد على البنات راجعا لامتلاكهم لهذا القضيب، وقد تترتب على هذا الحسد **عقدة خصاء** فى البنات توّجه سلوكهن الجنسى والعام وجهات معينة. ومن رأى بعض علماء النفس أنه بالمثل يوجد **حسد للثدى** عند الأولاد، حيث قد يجدون أن الثدى ميزة للإناث، وأنه عضو مشبع، وقد تترتب على هذا الثدى **عقدة الثدى**، نتيجة أن تهمل الأم إرضاع ابنها، ومايصيبه لذلك من إحباط قد يدفعه إلى كراهية الثدى بالرغم من أنه يحتاجه، فإذا بلغ فقد يصبح حسد الثدى **حسداً للحمل** pregnancy envy عندما يجد النساء متميزات بالحمل، وتصبح عقدة الثدى **عقدة إفراز للبن** lactation complex بالنظر إلى هذه الخاصية التى لثدى الحامل. وبعض المتزوجين قد يتعين بهم هذا الحسد، وتفعل عُقده فيهم فعلها فيكبر بطن الرجل كلما كبرت بطن زوجته فى الحمل، فإذا جاءها المخاض كانت به آلام كآلام الولادة. ويكثر **حسد الحامل** فى المجتمعات التى تعيش على الفطرة. وهناك اعتقاد بين المأبونين أنهم يحملون **شرجيا**، وأن الحمل الشرجى لايأتى **المأبون** إلا إذا كان محبا للوطى رفيقه. والعلاقة الجنسية المثلية التى أساسها الحب بين الاثنين هى التى تجعل الحمل الشرجى للمأبون ممكنا، ولكنه حمل لايستمر لنهايته، وليست له أطوار الحمل عند النساء، وأقصى مايمكن أن يكون عليه أن تتكون مضغة دموية داخل المستقيم وتنزل من الشرج كما فى الإجهاض.

ويكون **بالمتخنث** حسدً للثدى وللحمل قوى، وهو يحسد النساء على امتلاكهن للثدى وللرحم وقدرتهن على الحمل والإرضاع. **والمتخنث** قد يعالَج بالهرمونات وينمو ثدياه، إلا أنهما مع ذلك يظلان متعطلين فلا يفرزان اللبن، لأنهما لايتصلان بالمبيضين، ولاينتفخان لأن المتخنث لايحمل.

وقد يجعل **حسد الثدى والحمل** بعض الرجال إناثا فى السلوك وإن كانت لهم مظاهر الرجولة الثانوية والأصلية، إلا أنهم يحبون أن يسلكوا كالإناث فيطبخون ويكنسون، ويحمّون الصغار ويرضعونهم، ويعنون بهم وكأنهم الأمهات. **والأب المهبلى** vaginal father هو أب متأنث، غالباً مايتزوج امرأة لها مسلك الذكور، فيقوم على خدمتها وخدمة أولاده وكأنه هو الأنثى وهى الذكر. وهذا الأب المتأنث قد تكون له كل ظواهر الحمل إذا أفرط فى حب زوجته، أو فى إظهار تأنثه لها أو رغب أن تحمل منه، أو إذا حملت على الحقيقة، فإن بطنه قد تكبر، فإذا جاءها المخاض فقد يركن إلى السرير ويتوجع إلى أن تلد، فتزايله آلامه ويعود بطنه سويا.

والحمل الكاذب pseudocyesis من ذلك، ويأتى الرجال كما رأينا، وقد يأتى النساء والبنات. والبنت أوالمرأة التى تتوهم أنها حامل تكون لها أعراض الحمل الحقيقى كانقطاع الطمث وانتفاخ البطن، ويزيد وزنها ويكثر تبولها وتثقل مشيتها وينفسح مابين ساقيها وتقئ، وقد يكبر ثدياها وتسمّر الحلّمتان. وقد تكون الأعراض من الوضوح حتى لتلتبس على الأخصائى. وقد يأتى المرأة المخاض فى الشهر التاسع، وتتألم آلام الوضع، وتنقل إلى المستشفى لتكتشف أنها ليست حاملا، وأن حملها من النوع الكاذب، والعجيب أن تزول الأعراض فجأة وبطريقة مسرحية بمجرد اكتشاف أن الحمل كاذب، ولذلك فإن الحمل الكاذب يعتبر استجابة تحولية من أعراض الهستيريا. وقد ينزل الحيض خلال يوم أو يومين بعدانقطاع دام تسعة أشهر، ويتوقف القئ ويتُلاشى انتفاخ البطن، وتعتدل المشية. ولاشك أن الحمل الكاذب **مَثَل واضح على تأثير الحالة النفسية على الوظائف الجسمية.**

ويتسبب **الحمل الكاذب** عن الخوف الشديد من الحمل، فقد تكون البنت الصغيرة على علاقة جنسية بأحد الشبان، وتمتلأ بالخوف أنها ربما قد حملت منه، وهى لاتتوهم أنها حامل إلا إذا كانت لها **شخصية هستيرية**، بمعنى أنها تتميز بقابلية زائدة للإيحاء الذاتى والغيرى، فهى تُوحِى إلى نفسها ويُوحِى إليها الغير، وقد يوهمها بالحمل رفيقها فى المضاجعة أو إحدى صويحباتها، وقد تحذرها أمها فتأخذ التحذير مأخذ الجد. ومن دأب أصحاب الشخصية الهستيرية أنهم يضخمون الأمور ويجعلون للكلام العادى أبعاداً درامية. والبنت التى تظن أنها قد حملت، ربما يكون كل مافعلته أن رفيقها قد قام بتقبيلها، والنساء عموما بهن هذه الميول، ولذلك كانت هذه الأعراض الهستيرية أكثر انتشارا بينهن. وقد تتوهم **الزوجة** أنها حامل لأنها ترغب فى الحمل. وتوهّم الحمل بالنسبة لأى من السابقات هو محاولة من الجسم لحلّ صراعات لاشعورية، أو لإشباع رغبة لاشعورية لدى المرأة أن تكون كغيرها من النساء، وأن يكون لها ولد، أو ربما محاولة تواجه بها الشعور المتنامى لديها بالذنب أو بالكراهية، أو تقابل بها دفعات عدوانية لاشعورية، أو حيلة دفاعية تحاول بها إنقاذ زواجها من الفشل، ويحكى الكثير من أطباء النفس عن حالات لزوجات أردن أن يحسمن الصراع حول استمرارهن مع زوج من الأزواج، ولم تكن الزوجة تحمل، فتعجلت الحمل بتوهمه لكى تكفى نفسها شر التفكير فى هجر زوجها أو فى أن يهجرها زوجها. وقد تتألم لزوجها أنه لم ينجب، ويكون حملها لشعور بالذنب أنها السبب، وقد تكره

زوجها وتكره عائلته لأنهم يلومونها على عدم الإنجاب فيكون توهمها الحمل لهذه الكراهية كحيلة تدافع بها عن نفسها.

والزوج الهستيرى قد ينتفخ بطنه ويمشى كالحامل طوال الفترة التى تكون فيها زوجته حاملا، وقد تفعل ذلك ابنتها الهستيرية تعاطفاً مع أمها أو مع أبيها الذى يريد أن تحمل امرأته وتنجب له ولدا، وربما كان دافع الزوج أو الإبنة كل ماسبق مما يمكن أن يتسبب عنه حمل الزوجة حملا كاذبا. والمريضة بالحمل الكاذب - طالما أنه استجابة تحولية أو هستيرية - تهدف من وراء هذه المسرحية التى يطول أمدها معها إلى التسعة شهور إلى إثارة الانتباه إليها، واكتساب عطف المحيطين بها، ونفى التقصير أو النقص عنها. وتبلغ الدراما أوجها عندما يكون الزوج هو المريض بتوهم الحمل، أو عندما تتوهمه الإبنة، فذلك لرغبة فى التعيّن بالزوجة أوالأم تلح على الزوج أو الإبنة، حتى ليحسب أيهما أنه فعلا الزوجة أو الأم، ثم يتوهم الحمل كنوع من التوافق بين مختلف الصراعات فى موقف الأسرة.

ومن اضطرابات الحمل أيضا مايقال له **ذهان الحمل** gestational psychosis، وهو اضطراب عقلى يترافق والحمل، ويقال له أحيانا **جنون الحمل** gestational insanity، وشبيه به **ذهان النفاس** puerperal psychosis. الذى يصحب فترة النفاس التى تبدأ بعد الوضع حتى تمام نكوص الرحم، **وذهان الرضاعة** lactation psychosis المصاحب لفترة الرضاعة. وقيل إنه لايوجد حقا ذهان سببه الحمل أوالنفاس أو الرضاعة، وإنما قد يترتب الاضطراب العقلى على اضطرابات عضوية قد تصحب الحمل أو النفاس أو الرضاعة أو ترتبط بها.

* * *

الفصل السادس والعشرون

الإجهاض Abortion

انواع الإجهاض واسبابه العضوية والنفسية، وتحريم الديانات له، ومتى يجوز، وسيكولوجية الحامل التى تجهض، وعلاقة الاكتئاب والفصام بالإجهاض

تحظر غالبية الدول الإجهاض إلا لأسباب صحية، كأن تكون الأم مصابة بمرض فى القلب فيُخشَى عليها من الحمل، أو كأن يكون بأحد الوالدين صفات وراثية خطيرة يخشى انتقالها إلى ذريته، ويقال للإجهاض المقصود أو المتعمد من هذا النوع أنه **إجهاض علاجى** therapeutic abortion، غير أن هناك نوعا آخر يحرّمه القانون ويحظره وهو **الإجهاض المستحدث** induced abortion، ويطلقون عليه لذلك اسم **الإجهاض غير المشروع** criminal abortion، وتلجأ إليه الحامل عندما لاتكون راغبة فى حملها لدواع اقتصادية مثلا بسبب الظروف المتدنية لأسرتها، أو لدواعٍ اجتماعية كأن يكون حملها قد جاء سفاحا، أو قد تكون دواعيه نفسية كأن تكون هناك مشاكل بينها وبين زوجها ولاتريد الارتباط به بأولاد. ويبدو أن ٥٠٪ من دواعى أو أسباب الإجهاض هى دواعٍ أو أسباب نفسية.

والإجهاض يُمارَس فى كل المجتمعات والحضارات وعبر كل الأزمنة، غير أن العرف والقوانين كثيرا ماكانت تتدخل لتحظره أو لتبيحه إلى حد معين وذلك بغية الحفاظ على استمرارية المجتمعات. واعتبر الإجهاض مباحا من الناحية الشرعية بحسب الاعتبارات الدينية ومعانى الحلال والحرام ومايراه الفقهاء فى الديانات والمذاهب المختلفة. **فالكنيسة الكاثوليكية** مثلا تعتبر أن تخليق الجنين يكون منذ لحظة التلقيح، وعلى ذلك يكون إجهاضه جريمة كجريمة قتل الإنسان سواء بسواء، والكنائس الأخرى تعتبر أن الطفل طالما أنه جنين فهو ليس بإنسان بعد، ومن ثم لايشكل إجهاضه جريمة. والإجهاض فى **اليهودية** غير مباح بعد أربعين يوما من الحمل حيث تكون المضعفة قد تخلّقت، إلا أنه لايشكل مع ذلك جريمة فهو من المكروهات لاغير. والإجهاض من المسائل الاجتماعية الخطيرة فى بلاد **كلوروبا وأمريكا**، فمن بين كل **ثلاث** حالات حمل توجد **حالة إجهاض**، وتتم عمليات الإجهاض خارج المستشفيات العامة والخاصة غالبا، ويقوم بها غير إخصائيين أو طلبة طب

أو حكيمات يمارسن هذا العمل فى الخفاء، ولذلك فكثيرا ماتترتب على هذه العمليات نتائج صحية خطيرة أو وفيات لاتعرف أسبابها غالبا.

وقد يأتى **الإجهاض عفويا** spontaneous abortion دون تدخل من الأم، وقد يحدث أن يتخلص الجسم تلقائيا من الجنين وهو فى الأسبوع من **الثانى والعشرين** إلى **الثامن والعشرين**، أى وهو لم يصبح بعد **عيوشا**. وقد يتكرر ذلك من الأم فيما يسمى **الإجهاض المعاود** habitual abortion، وغالبا مايكون ذلك لأسباب نفسية، وهناك ارتباط بين **الإجهاض المعاود وشخصية المرأة** التى تأتيه، وغالبا مايكون لهذه المرأة تاريخ طويل منذ الطفولة فى الطاعة والتبعية لأمها، وأمها دائما من **النوع المسيطر المهيمن** على أولاده والذى يظل الأولاد مرتبطين به طوال حياتهم، والبنات تُبقى علاقاتهن بهذه الأم حتى بعد الزواج متينة، وتدأب الأم باستمرار على أن تَبقَى ابنتها تابعة لها ومعتمدة عليها وخاصة من الناحية النفسية. وهذه السيطرة والحماية الزائدتان تسلبان شخصية البنت النضج الذى ينبغى أن تكون عليه، وهى لذلك قد تأنف من هذه السيطرة وقد ترفض هذه الحماية، وتضطرب نفسيا لتدخّل أمها وخاصة فيما يتعلق بعلاقاتها الجنسية بزوجها. ومشورة الأم تعمل باستمرار على أن لاتكون للبنت استقلالية فى التفكير، وأغلب علاقات هذه البنت مع الناس تحددها الأم، وتظل لذلك شخصيتها طفلة تفتقد الخبرة وتعتمد على المحيطين بها وتتوقع منهم المساعدة فى كل شئ.

والأب أيضا لهذه المرأة التى يعاودها الإجهاض إما أنه غائب غالبا أو أنه على العموم متباعد عاطفيا عن ابنته، أو أنه شديد الحرص عليها ليس بسبب حبه لها ولكن لتزمت فى أخلاقه يجعله يحاسبها على خروجها وتصرفاتها وصداقاتها وخاصة إذا كانت لها علاقات بذكور، ومن ثم كانت أمثال هذه المرأة غالبا من بيئة تشكو الجدب العاطفى.

والمرأة التى يعاودها الإجهاض غالبا ماتكون لها طفولة لاتهتم خلالها بالجنس ولايسترعى انتباهها أن تكون لأترابها علاقات جنسية. وهى تعنى بنظافة نفسها ولكنها لاتحفل بأعضائها التناسلية، وإذا سمعت من زميلاتها عن قصص تتناول هذه الأعضاء فهى لاتتفهمها كما يجب ولاتسأل حولها.

وقيل أن هذه المرأة التى يعاودها الإجهاض إما أن صورتها الإكلينيكية **صورة المرأة غير الناضجة** التى تعتمد فى حياتها على غيرها، وكانت فى طفولتها تنتابها المخاوف من

التغيرات فى جسمها نحو الأنوثة، ولم تكن تتقبل أنوثتها والنضوج فى أعضائها التناسلية، ومثل هذه المرأة لايمكن أن توفق فى حياتها الزوجية إلا إذا تزوجت من رجل يكون لها بمثابة الأم ويوليها عنايته، وهى مع ذلك تظل مرتبطة بأمها وتراها يوميا تقريبا وتختار من السكن مايجاورها، وإما أن الصورة الإكلينيكية للمرأة التى يعاودها الإجهاض هى **صورة المرأة القوية المعتزة باستقلالها** التى تتوجه إلى المهن العامة وتنافس الرجال عليها، وهى أيضا لاتتقبل أنوثتها لأن الأنوثة عندها تعنى الضعف وأن تكون فى عصمة رجل تخدمه وتُعنَى بأولاده، وهى تأنف من ذلك، وتتصرف بنوع من الفوبيا المضادة، أى أنها تسلك عكس السلوك المنتظر منها كامرأة بدافع من مخاوفها الكامنة أن تبدو ضعيفة أو يستضعفها الناس. والصورة الإكلينيكية الثالثة التى للمرأة التى يعاودها الإجهاض هى **صورة المرأة من النمط النرجسى** التى تخاف على جسمها أن يتلفه الحمل وتخشى من تأثير الولادة على جمالها، وتتصرف لذلك تصرفات هستيرية واضحة لكل المحيطين بها، وتبدى الفزع أشد الفزع من فكرة الإنجاب.

وقيل أيضا أن نمط الشخصية الغالب على المرأة التى يعاودها الإجهاض هو **النمط العُصابى**، وهى تجهض لأسباب غريبة، كأن تتأثر بالضوضاء والزحام، أو بأى من المزعجات الحضارية التى قيل إنها تهيج الإفراز الهرمونى الكظرى، والكظرى القشرى، ومنه **الكورتيزون**، وله تأثير ضار على الحمل ويؤدى إلى الإجهاض، ولذلك لا تعالج النساء الحوامل عموما بالكورتيزون أو على الأقل فى الشهور الأولى للحمل.

ويسبب الحمل للمرأة العادية اضطرابا فى انتظام جسمها وحالة التجانس به التى يقال لها **الهميوستاز**. وهو يرهق الجسم بمطالبه الكثيرة، وبرغم ذلك يظل الجسم محافظا على تجانسه، أو أن هذا هو المفترض فيه، وهذه المطالب التى للحمل تكون بمثابة الضغوط التى قد يتحملها الأنا فتتداعى لها الشخصية غير الناضجة.

وتحتاج الحامل إلى رعاية من المحيطين بها وخاصة فى **شهورها الأولى**، وفى هذه الشهور تكون الحامل نهبا للوساوس والمخاوف ومن ثم يتوجب تطمينها، وخاصة أن هذه الوساوس والمخاوف قد تكون لها آثارها الفسيولوجية. وتتوقف صحة الحامل على نتيجة الصراع بين الرغبة فى الإنجاب وبين مايترتب على هذا الإنجاب من مسئوليات، وقد تخشى الحامل أن يقيدها الإنجاب أو يدفع زوجها إلى إهمالها أو أن تكون اقتصاديات

الأسرة غير معدة له بعد، وتتأثر صحتها بحالتها النفسية والعاطفية وبما تقدمها لها بيئتها من رعاية. وتظهر على الحامل حاجتها النفسية إلى الرعاية من العديد من التصرفات التى لاتأتيها إلا وهى حامل، ومثال ذلك مايقال له الوحم عندها ورغبتها فى أطعمة معينة شديدة الغرابة، كأن تطلب المخلل فى الليل والناس نيام، وذلك محاولة منها للحصول على تأكيدات من زوجها باهتمامه بها ورعايته لها. فإذا استمر الحمل وصار حقيقة فإنه مع قبولها لهذا الواقع يتحول سلوكها من إشباع رغباتها الشخصية إلى العمل على كل مامن شأنه أن يجعل الحمل طبيعيا ويرعى الجنين، وأما إذا كانت دون وعى أو بوعى منها ترفض الحمل ولاتريده، فإن رفضها هذا قد تكون له أعراضه النفسية أو البدنية فى شكل آلام وأوجاع تنتابها فى مناطق متفرقة من جسمها، أو تداع نفسى أو محاولات للإجهاض. فإذا بلغت الحامل شهورها الأخيرة واكتمل نمو الجنين وصار حقيقة فلذلك مردوده على نفسية المرأة، حيث يثير فيها كمال الحمل مشاعر الأنثى الناضجة، والحمل له هذه المشاعر كالبلوغ تماما، وهو يسرع بنضج المرأة نفسيا وعاطفيا.

ويبدو أن الشعور بالذنب عند المرأة التى تجهض **إجهاضا معاودا** يكون أرهف وأحد من الشعور بالذنب عند النساء اللاتى يحملن ويلدن ولادات طبيعية. ويفيد هذه المرأة **العلاج النفسى** فى ٨٠٪ من الحالات ومن ثم ربما كانت أسباب الإجهاض نفسية أو ربما كان الإجهاض المعاود اضطراباً نفسى المنشأ. وتذهب **مدرسة التحليل النفسى** إلى تفسيره بأنه تعبير من المرأة عن رفض دورها كأنثى أو كأم، ويصدر عنها ذلك الرفض لاشعوريا. وقد يعاود الإجهاض بعض النساء حتى أنه لتتخذ الاحتياطات أثناء حملهن، ويشرف عليه الأطباء إلى نهايته، وتجرى لهن العمليات لتأمينه، فإذا ولدن فعندئذ يظهر أنهن ما كن فى الحقيقة يُردن الحمل، وماكان إجهاضهن المعاود من قبل ذلك لأسباب عضوية ولكنه كان لأسباب نفسية، بدليل إصابة البعض منهن بذهانات بعد الولادة عقب الوضع، وبحالات الاكتئاب التى تأتى البعض، وبالرغبة فى قتل المولود التى قد تعبر عن نفسها بالخوف من وساوس تلح على الأم بأنها قد تقتل وليدها. والعُصابيات من النساء يكن أكثر من غيرهن إصابة بهذه الذهانات، وتنبئ تصرفاتهن من بعد بما يدل على أنهن غير راغبات فى الأمومة.

ويدور النقاش باستمرار حول مايسمى **بالإجهاض المفتعل** induced abortion،

وهو الذى تأتيه المرأة وتقصد إليه بطرق شعبية أو بالجراحة أو بتعاطى العقاقير، وتحرّمه كل الأديان الكتابية، ويعتبره الإسلام **كالوأد**، ومن ثم فهو قتل لنفس من غير ذنب إذا لم تكن له مسوغات صحية. ولايُبرّر الإجهاض المفتعل فى الطب النفسى إلا أن يُخشَى على الحامل من الإقدام على **الانتحار**، فقد تصاب المرأة بمجرد الحمل باكتئاب شديد أو يستحدث بها الحمل غير المرغوب فيه استعدادات للإصابة بالاكتئاب أو للاستجابة بالفصام، وعندئذ قد تحاول الانتحار، ومن ثم فقد يُنصَح لها بالإجهاض، إلا أنه يُخشَى أحيانا أن يعقب الإجهاض شعور بالذنب قد تكون له عواقب نفسية أخطر من العواقب التى كان يمكن أن تلحق بالمرأة لو استمر الحمل، وقد تحاول الانتحار بعد أن تُجهَض، وعلى أى الأحوال فقد تبين من الدراسات على حالات الإجهاض المفتعل **بالسويد**، ومعدل هذا النوع من الإجهاض فيها من أعلى المعدلات، أن النساء اللاتى يعانين من اضطرابات نفسية يؤذيهن الحمل كما يؤذيهن الإجهاض. وليس من المستحسن كذلك أن تُمنَع الحامل غير الراغبة فى حملها من الإجهاض. ويؤخذ من إحصائيات الوفيات بالانتحار فى **السويد** أيضا أن نحو ٨٪ من المنتحرات يتبين بعد التشريح أنهن حوامل، الأمر الذى يؤكد الإصابة بالاكتئاب كنتيجة للحمل وهو مايدفع المرأة إلى الانتحار أو محاولته. ولاينصح الأخصائى النفسى بالإجهاض بالضرورة، فالأولى فى أمثال هذه الحالات علاجها **علاجا نفسيا**، وهو أمر لايتوفر للمريضة من هذا النوع إلا فى **المستشفى النفسى**، وغالبا ماترفضه ويأباه زوجها وأقاربها، ولذا قد يلجأ المعالج إلى **الإجهاض العلاجى**، وهو هذا الضرب من الإجهاض الذى يُنصَح به أحيانا إذا كان هناك مايستوجبه عضويا أو نفسيا. وفى حالات غير حالات **الاكتئاب** الذى يدفع إلى محاولة الانتحار، مثل الاستجابات الذهانية التى قد تتكرر مع مريضة عقب كل ولادة، أو استجابات الهوس الاكتئاب والفصام، قد يُنصَح أيضا بالإجهاض العلاجى، وكذلك فى حالات المريضات اللاتى لهن سلوك طفلى، يتأكد به أنهن لايمكن أن يتحملن مسئوليات الحمل والإنجاب التى لايضطلع بها سوى البالغات العاقلات من النساء. ولاينصح الطبيب النفسى بالإجهاض لغير الأسباب النفسية والعقلية، وليس له أن يقضى به لأسباب غير ذلك، وخاصة إذا كانت كل الدلائل تشير إلى إمكان العلاج النفسى ومع ذلك تصر المرأة على الإجهاض، فعليه أن يسأل نفسه باستمرار عن سبب هذا الإصرار، ويبدو أنه غالبا **سبب اقتصادى أو اجتماعى**. وليس للطبيب النفسى أن ينصح بالإجهاض لدوافع اقتصادية أو اجتماعية، غير أنه من جانب آخر قد يجد أن من مصلحة

الطفل أن تُجهَض الأم قبل أن يولد وهو غير مرغوب فيه، والكثير من الجُناح عند الأحداث سببه أن الطفل يولد في بيت ينبو به، ويصاب الطفل الذى ينشأ في بيئة مجدبة عاطفيا بالانسحاب شبة الفصامي، ويسرع به ذلك فيما بعد عندما يبلغ إلى الإصابة بالفُصام. ويكاد يبلغ عدد المرضى بالفصام ربع عدد المرضى النفسيين بشكل عام، وكذلك فإن أغلب الجُناح يغذيه دائما هذا النوع من الأطفال غير المرغوب فيهم من جميع الطبقات، ومن ثم كان من الضرورى النظر في أمر **الإجهاض المقتعل** بطريقة مغايرة تستلزمها نظرة أبعد إلى المقتضيات الاجتماعية.

* * *

الفصـل السـابع والعشـرون

العقــم والتعــقيم Sterility & Sterilization

العقم فى النساء والرجال وأسبابه العضوية والنفسية والاجتماعية، وسيكولوجية العقيم وسلوكه، والعقم والديانات والثقافات، والتعقيم وحالات اللجوء إليه وتأثيره النفسى وشروطه

العُقم هو العجز عن الإنجاب، ولايقال للمرأة أنها **عقيم** إلا إذا مارست الجماع على وجهه الصحيح ولمدة قد تبلغ **العام الكامل** ومع ذلك لا تحمل. وقد يكون العقم بها أو بالزوج، وقد يكون بالزوجين. **وفى النساء** ربما يكون السبب تلف أو نقص بوظيفة المبيضين، وقد لا يفرزان، أو أن البويضات لا يكتمل نموها بهما، أو قد لا تبلغ الرحم، أو قد تبلغه ولكن الرحم لعيبٍ فيه لايستقبلها ولايحتفظ بها ولا ينهض على تعهدها وتنميتها. وقد يكون هناك ما يعوق الرحم عن أن يبلغ بالحيوانات المنوية إلى البويضات، وربما كان العيب فى الرحم أو فى المهبل بحيث تتلف الحيوانات المنوية قبل بلوغها الرحم. وربما كان **العيب فى الرجل** فقد يشكو تلفا أو عيبهاً أو نقصا فى الخصيتين، أو فى القنوات الموصلة إلى القضيب، أو فى القضيب ذاته، بحيث لاتصل الحيوانات المنوية إلى خارجه وتصب فى مهبل المرأة. وربما يرجع العقم **فى المرأة والرجل** لنقص فى الفتيامينات، أو لإصابة بالاضطرابات فى الهرمونات، أو ربما لأى سبب آخر من سوء التغذية، أو لإصابة بالتدرن الرئوى أو بالسكر إلخ. ولعل **السبب الأهم والرئيسى** غالبا مايكون هو الفشل عن القيام بالجماع على وجهه الصحيح، فى وقته الصحيح، إما لجهل بما ينبغى، أو لأسباب نفسية، فلربما يكره أحد الزوجين الآخر وينفر منه، أو يرهب الاتصال الجنسى، أو يخشى الحمل، أو يهاب أن يتحمل مسئوليات الإنجاب من أبوة وأمومة وغير ذلك من متطلبات الزواج. وكثيرا ما يكون نمط حياة العقيم مع زوجها بحيث لا ترغب شعوريا أو لا شعوريا فى الإنجاب منه، فتأيتها الرغبات الجنسية قبل أو بعد الحيض حينما تقل احتمالات الحمل، وقد يعنى ذلك أنها راغبة فى الإمتاع الجنسى دون الحمل، وقد يحدث للمرأة تشنجات مهبلية أو رحمية خلال الجماع دون وعى منها بحيث يتحقق لها أن لا تصل الحيوانات المنوية إلى الرحم، وذلك كله من غير أن تقل شهوتها للجماع أو يتأثر استمتاعها به. وتحصى البحوث نحواً من خمسين

عاملا نفسيا قد تتسبب في العقم، منها أن تكون للعقيم **شخصية ذكورية عدوانية**، أو أن تكون شخصيتها أنثوية ولكنها **غير ناضجة**، أو ربما تعاني من **اضطرابات وظيفية**، أو من **البرود الجنسي**، أو لأنها متزوجة من رجل يعتمد عليها **وترضى تجاهه بدور الأم** وتكتفي بهذا الدور عن أن يكون لها ولد على الحقيقة، أو ربما تكون العقيم قد نشأت في بيت الأم فيه مسيطرة، ومن ثم تشب على **كراهية دور الأم** ولا ترغب فيه، أو ربما تعاني من **صراعات حول دورها كأنثى**، وقد تبدي المرأة رغبتها في الولد في حين أنها **لاشعوريا لاتريده** ومن ثم يكون عقمها رفضاً للحمل، وربما من شدة تعلّقها بالإنجاب تستحث **نزول البويضات** قبل أن تنضج فلا يكون الحمل. واتجهت بعض الدراسات إلى بيان **أثر التدخين** في استحداث العقم، وقد يكون هناك حمل ولكن الطفل يولد ناقص الوزن أومشوها، والكثير من حالات الإجهاض سببه التدخين. والتدخين نفسه له دوافعه من **عدم النضج النفسي**، وهو دليل على مخلّفات قوية من الطور النفسي، وما ينفثه المدخن، وما يتركه من رماد هو أيضا دليل على **مخلّفات من الطور الشرجي**. ولأن المدخن يلذ له أن يلوك السيجارة في فمه ويزهو بذلك فهو كذلك دليل **استعراضي وقضيبي**. ومن ثم كانت المرأة المدخنة غالبا ما تنحو، بحكم تكوينها النفسي إلى رفض الإنجاب لا شعوريا أو شعوريا لكل هذه الاعتبارات السابقة التي تفصح عن **عدم نضج نفسي** واضح. وهناك اعتقاد شائع بأن المرأة العقيم تحمل إذا تبنّت طفلا، وهو ما تؤيده البحوث، ولعل حالة **السيدة سارة زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام** مثالاً جيدا لأثر التبنّي على العقيم، فعندما زوّجته خادمتها **هاجر** وأنجب منها **إسماعيل** وجرّبت الأمومة له، حملت بعد أن طال بها العقم. ويبدو أن المرأة التي لا تنجب لأسباب نفسية، وأهمها الرفض ربما لظروف خاصة بزواجها، تنحل دفاعاتها ضد الحمل بتجربة أن تكون أمّاً بالتبني فتحمل.

وقد لاتحمل المرأة لأسباب من زوجها كما سبق، ونجحت تجارب **الإمناء الاصطناعي** مع الحيوانات وحملت الإناث في ٩٩٪ من الحالات، ولكنها مع النساء لم تنجح إلا في ٣٠٪ من الحالات على أقصى تقدير، والسبب أن موعد التبويض قد يختلف فيتطلب ذلك أن يتم الإمناء لأكثر من مرة. وتبيّن من دراسة النسوه اللاتي حملن بهذه الطريقة أنهن كن يعانين من مخاوف أن يكون حملهن سفاحا، أو أن يكون هذا الإمناء الاصطناعي زناً بطريقة أو بأخرى، وكانت تأتيهن أحلام سفاح تقضّ مضاجعهن، والبعض كن يعشن في خوف أن يكن

قد أُصبن بتلوث، أو أن يأتى الطفل مشوها أو بصفات لا يرضين عنها، أو بحيث لا يتقبله الزوج ويرفضه بعد الولادة، والسبب طبعا أن المنى الذى يُستخدم فى حمل المرأة ليس هو منى الزوج، ولكنه من رجل لا تعرفه، وربما لا يعرفه الزوج أيضا. وعلى أى حال فليست هناك دراسات تتابع الحمل من هذا القبيل والمشاكل التى يخلقها من بعد الولادة، غير أن استفتاء الأزواج أثبت أنهم بالإجماع يفضلون التبنى على هذه الطريقة.

ويفسر البعض **العقم النفسى المنشأ** بتأثير الصدمات الانفعالية على **الغشاء المبطن للرحم**، فلقد تبين أنه شديد الحساسية للخبرات الانفعالية، ويصاب بالتقبض ويتأبّى على الحمل ويرفضه. وتبين أيضا أن عدم النضج الانفعالى ينقص إفراز المناسل ويستحدث **تقبّضاً فى الأبواق**. وكذلك اتضح أن استمرار التهيّج الجنسى دون إشباع يصيب **عنق الرحم بالاحتقان وبالجفاف أو التلزج**، وثبت أن ما يسببه التقبض للعنق قد يزول مع العلاج النفسى للمرأة.

والشائع أن العقم مصدره **المرأة**، ولكن بعض الإحصاءات تؤكد أن السبب فى نحو ٣٠٪ إلى ٥٠٪ من الحالات هو **الرجل**، والبعض الآخر يجعل هذه النسبة **مناصفة بين الرجال والنساء**. واكتشاف العقم لابد أن يتضمن لذلك الكشف على الرجل والمرأة معا.

ومن الواجب التمييز بين العقم **والخصوبة** وهى القدرة على الإنجاب تكون بالرجل وبالمرأة على السواء، والثابت أن كل شعوب العالم تستوى فى الخصوبة فليس هناك شعب أخصب من شعب، ولا تتميز طبقة اجتماعية بخصوبة تنفرد بها على طبقة اجتماعية أخرى، وطالما أن المرأة فى كل الأحوال لا تستخدم موانع الحمل وتمارس الجماع بانتظام فهى عُرضة للحمل، ويمكن لكل امرأة تعيش حياتها الجنسية بشكل طبيعى أن تنجب عشرة أولاد فى المتوسط خلال عمرها كله، ولايؤدى إلى قلة الإنجاب أو عدمه إلا الإقلال من الجماع، واستخدام الموانع، والسن التى يتزوج فيها الرجل والمرأة، والصحة التى يتمتعان بها. ويلعب **السن** الدور الأكبر فى تحديد مرّات الجماع، والمعروف أن فرصة الحمل تتدنى بسرعة بعد سن **الثلاثين**، وأن أخصب سِنىّ العمر هى الفترة تحت **العشرين**، ثم تليها الفترة بين **العشرين والخامسة والعشرين**، ومن العلماء من يذهب إلى التأكيد على أن الفترة التى تقضيها المرأة متزوجة، أو التى تمارس فيها الجماع قبل أن تقرر أن يكون لها منه ولد، أن هذه الفترة إذا طالت فإن **محاولاتها عدم الإنجاب** قد تؤثر فعلا على قدرتها على الإنجاب.

ولم يثبت أن العقم وراثى، أو أنه بالأحرى لم تكن هناك دراسات بهذا الخصوص، والموجود منها هو إحصاءات، والغالب أن **العنصر الوراثى فى العقم هو العزوف عن الجنس**، ففى بعض العائلات نلاحظ أن الرجال يتزوجون فى سن متأخرة، والغالب أن هؤلاء لا يجامعون كثيرا ومن ثم تكون إمكانات الحمل بالنسبة لنسائهم قليلة، بالإضافة إلى أن الرجل كبير السن يختار امرأة كبيرة السن فتقل تبعا لذلك احتمالات الحمل والإنجاب. والمشاهد حاليا أن بعض الأمم والشعوب تتدنى متوسطات الإنجاب فيها فى حين تزيد عند البعض الآخر، والسبب غالبا أن الظروف المعيشية فى المجتمعات الصناعية قد تجعل النساء والرجال يعانون العقم، فمثلا قد تتسبب **ظروف العمل** فى عقم الرجال، وذلك فى الحالات التى يتواجد الرجال فيها تحت **حرارة كبيرة** تمنع المناسل من إنتاج الحيوانات المنوية. ومن ذلك أيضا أن يرتدى الرجال **سراويل تحتية شديدة الضيق** بحيث لا تسمح بالتهوية اللازمة للخصيتين، بالإضافة إلى أن بعض المهن كقيادة السيارات أو القطارات أوالطائرات وما شابه تُلزم الرجال أماكنهم فى أوضاع الجلوس التى **ترفع حرارة الخصيتين** وتتسبب فى إجدابها. ويتسبب **التعب** عند الرجل والمرأة، و**الإنهاك النفسى والتوتر الانفعالى** لمدة طويلة فى العقم. وربما تتضافر العوامل النفسية والبدنية والبيئية فى استحداث العقم، وعندئذ يصعب تحديد السبب الرئيسى فيه، فإذا لوحظ أن قلة الإنجاب متواترة فى عائلة من العائلات، أو أن أفرادها يعانون العقم عند الزواج، فلربما تكون هذه الأسباب السابقة سببا فيه باعتبارها عوامل وراثية. وبعض العائلات بها عيوب خِلقية وراثية فيما يتعلق بالرحم أو حجم الحوض أو شكله، أو تواتر الإصابة بأورام الرحم أو اضطرابات المبيضين والدورة الشهرية، وكلها أمور تضيف إلى عوائق الإنجاب.

وإذا كانت الضغوط النفسية والبدنية تؤثر على القدرة على الإنجاب وتتسبب فى الإصابة بالعقم فإن هذه الضغوط نفسها فى الأوقات العصيبة فى حياة الأمم والشعوب قد يكون لها تأثيرها العكسى وتزيد من القدرة على الإنجاب. والملاحظ أن **نسبة المواليد تزيد** فى أوقات الحروب عنها فى أوقات السلم. **وللقلق** تأثيرة الهابط على الرغبة الجنسية فى الجماع، وكذلك فإنه قد يزيد هذه الرغبة، وقد يلجأ الزوج أو الزوجة إلى المضاجعة كلما رأى أن الأخير حزين أو مكتئب كطريقة لإخراج الواحد منهما للآخر من حزنه أو اكتئابه، وكنوع من التسرية عنه، ومن ثم فقد تبلغ منهما المباسطة أن يخرجا عن الأطُر التى

اصطلحا عليها فى الجماع فيؤدى ذلك إلى الحمل. ويبدو أن الضغوط النفسية والبدنية من النوع **المتوسط** تؤدى إلى العقم، فى حين أن الضغوط الهائلة قد تجعل المرأة مخصبة. والمعول عليه فى كل الأحوال هو استجابة الرجل والمرأة للظروف المحيطة بهما، والاعتبارات الذهنية أو النفسية أو البدنية التى تجعل من هذه الظروف ضواغط لها حجمها وتأثيرها بالإنجاب أو بالسلب.

وللعقم **تأثيرة النفسى** على الزوجين، وقد يكون سببا فى كثير من **المشاكل الزوجية**، وقد يترتب عليه الطلاق أو أن يلجأ الزوج إلى الزواج بأخرى، وقد يتسبب للزوجة فى الإصابة بالأورام الليفية، وهناك ارتباط بين الإصابة بهذه الأورام وبين العقم، وقد يشعر أى من الزوجين نتيجة عقم أيهما بأنه أدنى من غيره من الناس ويصاب من ذلك بالعُقَد النفسية، وقد ينسب أيهما عقمه لحياته الجنسية قبل الزواج، وربما لإفراطة فى شهواته أو فى العادة السرية، وقد يرى فى عقمه عقاباً له من الله سبحانه وتعالى، أو قد يرى فيه عقابا له من الله لممارساته الجنسية اللاخلقية بعد الزواج، سواء مع زوجته أو مع غيرها من النساء. وهذا الإحساس بالذنب قد ينحرف بتصرفات الزوج مع زوجته. وقد يجعل العقم من جانب المرأة الزوج قاسيا عليها، أو يحدو بالزوجة أن تشرُس مع زوجها العقيم، وقد تطالبه بتأمين مستقبلها، وأن يكتب لها عقارا أو يهب لها أموالا، وتتعقد العلاقة بينهما كثيراً. وتقول **هيلين دويتش** إن الزوج أو الزوجة عندما يكتشف أيهما أن الآخر عقيم فإن ذلك يزيد من نرجسيته وعدوانيته تجاه الآخر. وقد يحدث العكس فالمرأة العقيم كثيراً ما تزداد أنانيتها باكتشافها أنها عقيم، وقد تتسلط على زوجها وجيرانها وأهلها.

وتختلف **الآثار الاجتماعية** للعقم باختلاف الثقافات، فإذا كان المجتمع يعتبر العقم عيبا فقد يجعل ذلك المرأة أميل إلى عدم الاختلاط بغيرها، وخاصة إذا كان زوجها يمكن أن يلتقى بأطفال فى لقاءاتهما بغيرهما. وقد يضغط الأهل على الزوج ليطلّق زوجته العقيم حتى لو كان لا يستشعر أنه ينقصه شى بعدم الإنجاب. ويخشى الغرب الأوروبى من تزايد نسبة المواليد فى بلاد العالم الثالث عنها فى أوروبا وأمريكا الشمالية، وقد يعنى ذلك أن تتوارى حضارة الرجل الأبيض لتحل محلها حضارة الآسيويين والأفارقة، ولعل ذلك سبب الدعوات المستعرة لتحديد النسل التى يدعو بها الرجل الأبيض فى العالم الثالث، وهى دعوات تناقض ما يدعونا إليه الإسلام والرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وليس خوف

ليس الخوف من الإسلام والمسلمين فقط، ولكنه الخوف أيضا عند الكاثوليك من أن يزيد عدد البروتستنت عليهم، وخوف اليهود من أن يزيد عدد الفلسطينيين من العرب عليهم، وبقدر ما يدعو هؤلاء الطرف الآخر إلى تحديد النسل بقدر ما يحببون أفرادهم فى الإقبال على الإنجاب وعلاج ظاهرة العقم بمختلف أسبابها.

والتعقيم هو استحداث العقم، وتلجأ إليه بعض المجتمعات والأفراد كطريقة للحدّ من النسل أو منعه بالكلية، وذلك بإزالة الأسهرين، أو قطع قناة المنى عند الرجل، أو باستئصال النفير عند المرأة. وقد يكون اللجؤ إلى التعقيم بغرض تحاشى إنجاب أولاد مشوهين، ويتوجة التعقيم فى هذه الحالة إلى البالغين من المرضى العقليين والذين يعانون نقصاً عقليا، والمرضى بالصرع، والمجرمين بالوراثة، والمنحرفين جنسيا. ويبدو أن ٩٥٪ من الذين أجرى عليهم التعقيم كانوا من **المتخلفين عقليا**، وهو فى هذه الحالات إجبارى فى الدول الكبرى. ويبدو أن غالبية المسلمين ضد التعقيم، غير أن **الرسول عليه السلام قد أقرّ العزل** لمصلحة، فإذا كان الأمر كذلك فالتعقيم أوْلى بالإقرار فى حالات ناقصى العقل والمرضى باضطرابات عقلية مزمنة، والمصلحة هنا **فردية واجتماعية** معا. وهناك اتجاه علمى ينادى بأن يكون التعقيم اختياريا وليس إجباريا بالنسبة للمرضى العقليين، وذلك لأنه لم يثبت أن هؤلاء المرضى يقبلون على الزواج أو أنهم يحبذون الإنجاب، وكذلك لأن علاج الاضطرابات العقلية فى تقدم مستمر إلا فى بعض الحالات المستعصية النادرة، وهى حالات لا يمكن أن تشغل أصحابها أمور الزواج والإنجاب.

وهناك اتجاه لدى الكثيرات من النساء فى **بلادنا العربية** لإجراء عمليات التعقيم عقب الولادة، وخاصة إذا تواترات ولادة المرأة بالقيصرية، غير أنه قد لوحظ أن المرأة التى تجرى التعقيم قد تلاحقها **مشاعر الذنب** وتصاب منها بالتوتر والمخاوف والقلق، وخاصة إذا كانت من بيت متدين. وربما يحدث أن تتوهم المرأة أنها حامل من بعد التعقيم، وأوهام الحمل قد تستمر مع هذا الصنف من النساء الذى يوصف بأنه **استهوائى**. وقد تصاب المرأة بالاكتئاب مثلما يحدث بعد الإجهاض، وإذا كانت هناك معاناة من اضطرابات نفسية قبل التعقيم فقد تستحثها العملية وتزيد بعدها، ولذلك يُنصَح باستشارة الطبيب النفسى قبل إجرائها، **وينبغى أن لا تجرى العملية لامرأة أقل فى السن من الثلاثين**، والواجب أن تكون لها ذريّة حتى لا تُحَرم من الإنجاب بالكلية، كما ينبغى أن **لا تتم العملية عقب ولادة**،

فقد يكون قرار المرأة صادرا عن حالة اكتئاب من النوع الذى يصيب النساء عادة فى فترة النفاس، وقد تندم المرأة على قرارها من بعد. وعلى أى الأحوال فإن التعقيم أصلا لا يُنصَح به إلا إذا كانت له أسباب قوية صحية أو غيرها تدفع إليه. ولاضرر من التعقيم جنسيا بمعنى أن **الرغبة الجنسية لا تتأثر** به عند المرأة أو الرجل، وكذلك **لا تتأثر به القدرة على إتيان الجنس**، إلا فى بعض الحالات التى يترتب فيها أن تصاب المرأة بالبرود الجنسى، أو يصاب الرجل بالعُنّة، وليس ذلك بسبب التعقيم نفسه ولكن بسبب **التأثير النفسى** الذى يستحدثه، ومن ثم لا يُنصَح به قبل استشارة الطبيب النفسى.

* * *

الفصل الثامن والعشرون

الـولادة Delivery

سيكولوجية الولادة، والعلاقة النفسية بالقابلة أو الطبيب، والأساطير حول الولادة، وعلامات الولادة، وسيكولوجية الحامل قبل الولادة، والمخاوف منها، وصدمة الميلاد، والنساء العصابيات، والعلاج النفسى بالولادة، والمعنى النفسى لآلام المخاض

الولادة حدث كبير فى حياة المرأة، وهى حدث نفسى ضخم وليست مجرد عملية فسيولوجية. ولو كانت مجرد عملية فسيولوجية لما كان هناك هذا القدر المتغاير من الولادات، ولتشابهت كل النساء عند الولادة، ولما اختلفت الولادة من ثقافة إلى ثقافة. ويتحدث علماء الأنثروبولوجيا أحاديث فياضة فى الولادة، وبعضهم ينسب الاختلاف إلى المغايرة فى المناخ وعناصر البيئة مما يكون له أثره على الإفرازات الغدّية التى تتصل بعملية الولادة، وبعضهم يقول إن الطريقه التى تعيش بها النساء فى إقليم معين، وأسلوب الحياة الذى يكون لهن، يؤثر على شكل بنية المرأة وخاصة حوضها وأعضاءها التناسلية التى تختص بالولادة وتتصل بأسبابها اتصالا مباشرا. ويلاحظ آخرون أن أكثر ما تتأثر به الولادة هو عضلات الحوض فى النساء، وهى عضلات قوية فى الريفيات وعند الإفريقيات، حيث إفريقيا قارة ما تزال قَبَلية والنسوة فيها على الفطرة، وحيثما كانت المرأة على الفطرة فإن بنيتها تكون قوية، بالنظر إلى الأعمال التى توكل إليها وتجعلها تمارس عضلاتها يوميا، وتباعد بينها وبين حياة الدعة العصرية التى أفسدت قوام النساء واسترخت لها عضلاتهن. والملاحظ أن الولادة ليست لها كل هذه الحفاوة فى الريف مثلما فى المدينة، وقد تكون الريفية حاملة المشنة أو الجرة فتأتيها آلام الوضع فتأوى إلى ظل شجرة، وما هى إلا دقائق وتكون قد ولدت ونظّفت وليدها ونفسها من الخلاص، وغطّت الطفل ببعض ملابسها وحملته فى مِشَنتها وانصرفت، فأين ذلك من التداعى الذى عليه بنات اليوم والحفلة الكبيرة التى يصنعنها من الولادة والتى يتكلفن لها الكثير من المال والجهد؟ ويقال إن للوراثة تأثيراً على استطاعة الولادة، وأن النساء المتمرسات بالحمل الكثير يغلب أن تتناقص المدة التى تستغرقها الولادة معهن. ونحن نفسر ذلك بأن البنت تتعين بأمها، فإذا كانت الأم العصرية تستسلم لمخترعات الطب فإن ابنتها ستكون مثلها، بينما فى دول العالم الثالث حيث يندر

اللجوء إلى الطب الحديث فإن البنت تفعل ما فعلته أمها من قبلها وتحذو حذوها، وليس لها إلا أن تعتمد على نفسها وظروفها. غير أن هناك أحوالاً تتعثر فيها الولادة مع الريفية تعثرها مع الحضرية، وتلجأ فيها الريفية إلى القابلة لجوء الحضرية إلى الطبيب. **وطب القابلة** غيبي، وأكثره معتقدات قد تساعد الوالدة نفسيا، وضررها الفسيولوجي كبير، الأمر الذي يجعلنا نقول إن الولادة حتى في الريف **مسألة نفسية**. والكثير من ممارسات **القابلة** وما تطلبه من الوالدة نشهده عند العُصابيات الحضريات، كاللجوء إلى الطقوس القهرية واستخدام الألفاظ المعينة لما لها من قوة سحرية. ونحن نقرأ في التوراة والإنجيل والقرآن، ونجد أن الولادة تُستَحب في الأماكن الرحبة وبين الطبيعة وحيث الأنهار والأشجار، وهكذا كانت **ولادة المسيح وموسى**. ويقول علماء الأنثروبولوجيا أن موضوع **الطبيعة والولادة** عند الأنهار وبين الأشجار تكاد تكون عند كل القبائل البدائية، ويذهب **علم النفس** إلى أن ذلك أيضا ما تميل اليه النساء الحضريات لولا أنهن يُجبَرن على الولادة بالمستشفيات، وليس استحضار **باقات الورد** للوالدة إلا مظهراً فطريا لخلق جو طبيعي مصطنع حول الوالدة. وربما تفسير ماسبق أن الولادة فعل من الأفعال الفطرية للطبيعة والتي يعود بها الإنسان سيرته ويمثل قصه الخلق من جديد، ولذلك نجد أن **دراما الولادة** يرافقها أيضا دراما الخير والشر، فنجد عندنا الاحتفال بالوالدة والمولود ورش الملح حوله والغناء بصوت عال في كل جنبات البيت طرداً للشياطين واستجلاباً للبركة، وذلك أو نحوه ماتفعله كل القبائل والشعوب، والاعتقاد أن الشيطان يتلبس المولود بمجرد الولادة، أو أن الغواية تبدأ بعد **أسبوع** من الولادة، وبعض القبائل تقول إن النساء في الولادة نَجَس، **ونجس الولادة ونجس الحيض** شيئان يرى علماء الأنثروبولوجيا أن آداب الشعوب جميعا تتضمنهما بطريقة أو بأخرى، غير أن القرآن يحسم تلك القضية ويرد نجس الوالدة لحيضها، **والحيض** نجس إلى أن تطهر المرأة منه، وهو أذى لا ينبغي للرجل أن يقرب امرأته وهي فيه. وكان **اليهود** يعزلون النساء في الحيض والولادة، وتنأى المرأة بنفسها إذا جاءها الحيض أو آلام الولادة، وتتبعها النساء ليساعدنها ويخففن عنها. وعند قبائل **نيام نيام في إفريقيا** يحدث نفس الشيء. ويبدو أن **إحاطة النساء** بالمرأة وهي تلد مسألة فطرية، وتجد النساء يَمثُلن لهذه العادة ويسارعن لممارستها وكأنها شيء لا يمكن التخلي عنه، ويذهب علم النفس الى تفسير تلك الظاهرة بأنها **مشاركة وجدانية وتعيّن** من النساء ببعضهن البعض، وتتعين

الوالدة بالنساء المجربات الأكبر سنا، وتتعين البنات غير المتزوجات بالوالدة. وأما التوجه القديم **لكوخ منعزل** تكون فيه الولادة فهو أصبح اليوم توجه **إلى مستشفى الولادة** التى تحل محل الكوخ القديم أو مكان الولادة المنعزل. ومن طرائف التعين بين النساء ما ترويه **هيلين دويتش** عن صديقتين كانتا تحملان معا وتتواسيان ببعضهما، فحملت إحداهما قبل الأخرى بشهر فجعلها تعيّنها بصديقتها تتأخر فى موعد الولادة شهراً لتلد معها فى نفس التاريخ. ولعل سبب تحلّق النساء المسنّات بالوالدة أنهن خبيرات، وكأن الخبرة تنتقل من الكبار إلى الصغار، وكان طبيعيا أن يُعهَد بأمر الولادة من بعد **إلى القابلة** بمقتضى الخبرة التى لها وتخصصها. على أنه هناك على زعم علماء الأنثروبولوجيا قبائل تعيش على الفطرة وتعهد **للزوج** بعملٍ فى الولادة ولا تستثنيه منها، فإذا حضرت الولادة إحدى النساء أخذها الزوج إليه يشد ظهرها بينما أمه أو أمها تساعد الجنين على الخروج، ولقد تطورت تلك العادة فى زماننا فأصبح الأمر يوكل **إلى الطبيب** يحل محل الزوج، **والممرضة الخبيرة** مكان الأم أو الحماة المسنّة ذات التجربة. وللطبيب **صورة الأب**، والوالدة تُسلمه أمرها وتعطيه صفات سحرية وقدرات تشبه دور الكاهن والمخلّص، والطبيب يُخلّص المرأة من مخاوفها وفزعها، وهى نفس المخاوف التى كانت تنسبها قديما للشياطين التى كانت النسوة يخلّصنها منها بالتعاويذ والرُقَى. وفى المجتمعات الفطرية قد يُستَبعد الزوج بالنظر إلى قلة خبرته وضعفه بسبب تعيّنه بامرأته، وفى عصرنا الحالى ينتظر الزوج فى مكان خاص للانتظار يروح فيه ويجئ. ولقد ذهب بعض أخصائيى الولادة إلى ضرورة تواجد الزوج فى الولادة لما لذلك من أثر على الوالدة، ومشاركة منه فى عملية الولادة وإحساساً للأبوة، وكأن ذلك بمثابة الانتقال إلى المجتمعات التى تعهد بالولادة الى الزوج وإحدى قريبات الوالدة، وتقليداً لفلسفتها، وذلك شئ يجعلنا نقول أن الإنسان هو نفسه، سواءً كان على الفطرة أو متحضرا، فهناك أمور نحن جميعا فيها سواء، ووجود النظريات الحديثة التى تحيط الولادة بأجواء نفسية معينة هى نفس المحاولات القديمة التى كانت تُضفِى على الولادة جواً غيبياً فيه دراما الشرّ والنجاسة والخلاص. وإن المرء لايتمالك إلا أن يخرج بالانطباع أن الولادة كانت دائما عملية تتحكم فيها ظروف **بيولوجية** تحاط ضد التدخلات من خارجها أو داخلها بأجواء **نفسية**. ومن المفيد أن نستبصر حالة المرأة التى تلد ولادة طبيعية ونتعرف إلى أخصب تجاربها احتواءً للألم وللذة معا بعد أن نعلم عملية الولادة نفسها فسيولوجيا. ويظل بطن

الحامل يكبر وتضخم جدران الرحم طيلة الحمل، ويتسع تجويفه وحساسيته، فإذا ما بدأت الولادة كان تقبض العضلات أولاً برفق ثم تزداد تدريجيا لدرجة مؤلمة مؤذنة بالولادة التى لم يُعرَف تحديداً سبباً للإيذان بها، وربما ذلك بدافع من الجنين، أو بتأثير الغدد الصماء، أو نتيجة امتلاء الرحم فتطرد عضلته الجنين خارجا كما يحدث مثلا عند امتلاء المثانة، ويتم ذلك على ثلاث مراحل، وفى **الأولى** يكون انقباض ألياف الرحم بمساعدة غشاء الأمنيوس وسائله، فيساعدان على ارتخاء ألياف العنق ليتمدد إلى نهايته، وفى **الثانية** تشتد الانقباضات وتعرف بآلام الولادة، وتدخل الرأس إلى الحوض فيدخل الجنين فى المهبل ثم ينقذف إلى الخارج، وفى **الثالثة** يواصل الرحم انقباضاته على فترات أطول إلى أن يقذف المشيمة والأغشية الجنينية.

وللولادة **علامات** أو تسبقها شواهد، ومن ذلك أن **الرحم يسقط قبلها** بعدة أسابيع، وتجده يتقبّض مع أى استثارة، أو تلقائيا كما لو كانت المرأة ستلد. وهذا السقوط فى الرحم يتسبب للمرأة فى صعوبات فى الحركة والتنفس، ويجعلها متوترة وشديدة الحساسية والعصبية، الأمر الذى يشق معه الجماع كثيرا وينصح معه بأن لايقربها الرجل جنسيا، وهذا التعب الذى يصيب المرأة يجعلها تتعجل الولادة وتتمناها، ولعل الله سبحانه وتعالى قد ابتلاها حتى يكون انفصال الجنين عنها محتملا نفسيا، إذ أن كل امرأة لكى تحمل قد ابتلاها الله شوقا للحمل واحتمالا لمضايقاته الهائلة مدة تسعة شهور كاملة، حتى أنها تتمنى أن لاتنفصل عن الجنين الذى يتخلّق منها، فإذا حان الحين للولادة اشتاقت للانفصال. ونحن نعلم من دراساتنا على النفس أنه مامن عمليات بيولوجية إلا وترافقها عمليات نفسية تشحنها نفسيا وتجعلها ممكنة ومقبولة ومطلوبة أيضا. والحمل عبء تترتب عليه نتائج نفسية تتراكم قوتها وتصبح له صفة عدوانية تدفع الحامل إلى الانفصال عن طفلها واستحداث الولادة. والحمل يضغط فى تنامٍ على الذات ego ويحاصرها، بحيث يجعل الذات يوما تعاديه فتنفضه عن جسم الأم بجهد نفسى، فتأخذ الحامل الشهيق ثم تزفره فى عزم، وكل طاقتها تُفتّح مسالكها، قاذفة بالطفل للخارج. ويبدو أن الذات ego يمكن أن تحتمل النوع الإنسانى species لفترة، ولكنها لايمكن أن تتوحد به للأبد. وتنشق الذات ذاتين، والجسم ينشق جسمين ويكون الميلاد. غير أن **علاقة الأنا – والأنت** تكون قد توطّدت فى الرحم مدة الشهور التسعة، ومع هذه الثنائية تُنسَج ثنائية أخرى من

الحب والكراهية. والحامل تحب طفلها ولكن جسمه يصبح دخيلا عليها وعدواً لذاتها، فتتخارج عنه كي يصبح **ذاتاً** هو أيضا فيمكن أن تحبه الحب الخالص من غير الشوائب الأخيرة التي عانت منها في الحمل بسببه، حتى أنها لتكرهه وتتعجل خروجه. وفي هذه الأسابيع الأخيرة من الحمل **تتصارع بالمرأة إرادتان**، إرادة استبقاء ابنها بداخلها والخوف أن تلده فتفقده للأبد، وإرادة أن تقذفه عنها وتخرجه، ولكن الإرادة الأخيرة إذ تنتصر فإنها تكون **بالجسم** فقط، والانتصار الحقيقي **لإرادة الاستبقاء** لأنها تعبير عن اكتفائها بذاتها، هذا الاكتفاء النرجسي الذي تنامى معها مع الحمل ورفض أن يفصم عرى الاتحاد بينها وبين الجنين. ولفظة الجنين نفسها من الأصل جنّ، وكل مشتقاتها سواء كانت الجان أو الجنان أو الجنة أو الجنون بمعنى واحد **هو الستر**، والجنين هو الشيء المستور يكون بداخل المرأة، واسمه هكذا حتى الشهر الثامن، لكنه من بعد ذلك وقد اتضحت معالمه وصار أقرب إلى أن يولد وتبينت حقيقته يصبح اسمه **الحميل**، والمرأة له **حامل**، فإذا ولدته فإن الذي كان حميلا في بطنها يصبح **محمولا** على ذراعيها وفي حضنها، وهو دائما في الحضن، سواء وهو جنين أو وهو وليد، وكلما اقتربت الولادة يزيد تعيّنها به وتقاوم ميول الانفصال عنه، إلا أن خيالها يتصوره بعد الولادة وله اسم وشكل وسمت وحياة ووجود، فتشتاق أن تعاينه على الحقيقة، ويكون خيالها عونا لميول الانفصال التي ماتزال تقوى كلما اشتدت متاعبها. وإذا اصطبغ الصراع فيها بين الاستبقاء والانفصال بصبغة مرضية فقد ينتصر **الانفصال** وعندئذ تكون الولادة قبل الأوان، أو قد تنتصر ميول الاستبقاء بتأثير اتحاد المرأة بطفلها نرجسيا، وتعيّنها الشديد به، وخوفها على حياته، والقلق الذي قد يستبد بها نتيجة ما يصوره لها خيالها عن الولادة وعندئذ فقد تطول فترة الحمل وتتجاوز التسعة شهور، أو تأتي المرأة آلام الولادة ولكنها تقاوم أن تضع حملها وأن تنفصل عن وليدها فتطول مدة الوضع. ويقدّم الله سبحانه وتعالى للانفصال بالمتاعب التي تستشعرها الحامل في الأسابيع الأخيرة من الحمل، ليجعله ممكنا نفسيا ويدفع المرأة إلى التفريط في وليدها وأن تسمح له بأن يولد، فكأن الكم البيولوجي يحيله الله سبحانه وتعالى كيفاً نفسياً ليصبح من الممكن أن يتحقق كم الولادة.

والحامل قبل الولادة تحلم كثيرا، **وأحلامها** تمهد للولادة أيضا وتقدّم لها نفسيا، وموضوعات الأحلام تعيّنات للأم بالطفل، فهي ترى نفسها فيه وتحلم أنها عادت بنتاً

صغيرة، أو أنها قد صار بإمكانها أن تفعل ما كانت تفعله صغيرة. وتحلم الحوامل المشرفات على الولادة بالمياه كثيراً، وبالسباحة، وبالانزلاق، والعدْو، وبلوغ الأهداف، وكلها مسائل تتصل بعملية الولادة والتجاوب معها. وتحلم الحامل بجنس الطفل، فهى تراه ولدا أو بنتا بحسب ما تشتهيه منهما. وكل امرأة، سواء كانت أنثى كاملة أو تميل إلى الاسترجال وتكره الأنوثة، تحب أن يكون طفلها البِكْر ولداً، وربما كان ذلك لرغبة تعتمل فى كل منهما لاشعوريا بأن تولد من جديد كذَكَر. وهناك دوافع اجتماعية خلف تفضيل الولد على البنت لن نتعرّض لها، وسنكتفى بالتعرّض للعوامل النفسية. ويحب الزوج أن تلد امرأته ولدا لأنه فيه سيولد من جديد. ويحب والد الزوجة أن تلد ولدا لنفس السبب. والمرأة كذلك تكون لها رغبتهما، لأنها نريد أن تهدى أباها وزوجها ما يحبان كرمز لحبها لهما، وهى تستهدى فى رغبتها أن تلد ولداً بدافع من المستقبل، فهى تريده لنفسها بعد عشرين سنة رجلاً يحميها ويحبها، وقد نحسب من كل ما سبق أن الجميع يريدون ولداً ولا أحد يريد البنت. والرغبة فى البنت تكون فى الحامل فى أعماقها وتستتر خلف الرغبة فى الولد، ورغبتها فى البنت من الرغبات الأنثوية النرجسية التى تؤكد بها ذاتها، وهى تريد بنتاً لترى فيها نفسها وتولد من جديد بشكل وملامح جديدين. وهناك اعتقاد شعبى أن الحامل فى بنت يصبح وجهها أجمل وأرق، بينما الحامل فى ولد تقبُحُ شكلا، وكأن البنت تعطى لأمها من جمالها، وكأن الولد يضفى على أمه من قُبحه، وقبح الولد لأبيه لأن الولد صورة أبيه، والحامل التى تلد ولداً له شكل الأب كأنها به تصور مشاعرها المتضاربة لزوجها، فهى تحبه فتقدم له الولد الذى يريده، وتكرهه فتقول له خذ ولدك، إنه قبيح الشكل مثلك. وترى الأم فى أحلامها الولد كأبيه، بينما ترى البنت جميلة كأشد ما يكون الجمال، وهو الجمال الذى تريده وتتمناه لنفسها. وترى الأم فى أحلامها الولد يتكلم ويمشى فتتحقق رغباتها فيه، وما تحلم به ليس رؤية تنبؤيه بقدر ما هو أحلام راغبة. وهى تعرف أن الكثير من الوالدات يلدن أطفالا مشوهين، ولا تريد أن تلد مشوها، ومن ثم تحلم بما يكون عليه كما تتمناه، فهو سليم يمشى ويتكلم. غير أن أحلامها قد تكون كالكوابيس، بالنظر إلى ما يعتورها من متاعب الحمل فى الأسابيع الأخيرة تعيد الأحلام تصويرها، فترى نفسها كأنها تتنازعها قوى غيبية مجهولة لا تعرفها، أو كأن يداً مستورة تدفعها دفعا إلى طريق مجهول.

وكلما اقترب موعد الوضع باتت تتصرف كالأطفال، وكأنها قد نكصت طفلة من جديد، وتتساءل ما شكل ابنى؟ وهل يكون ولدا حقا؟ وتعيد بأسئلتها الكثيرة أول أيام حملها عندما

كانت تكثر من وضع يدها على بطنها غير متأكدة أنها حامل، فإذا أحسّت بحركة الجنين اطمأنت، ولكنها تسأل أيضا ولماذا كل هذه الحركة؟ وإذا لم يتحرك قلقت وقالت لماذا لا يتحرك؟ ويذكرنا ذلك بالأطفال وهم يتحلّقون حول أمهم الحامل أو أية امرأة حامل يريدون أن ينصتوا أو يتحسسوا، ويسألون من أين ينزل؟

وكل النساء القويات والضعيفات، والصحيحات والمريضات، والسعيدات والشقيات تنتابهن المخاوف من الولادة كلما قربت. **فلماذا هذه المخاوف من الولادة عند النساء؟**

الولادة حدث كبير فى حياة المرأة يكاد يشبه العملية الجراحية، فيها أوجاع وآلام ودم وتغيرات فسيولوجية هائلة تحدث فى الجسم دفعة واحدة. وكلما ارتقى النوع الحيوانى كلما كانت هناك آلام فى الولادة وكانت هناك مخاطر، والإنسان أرقى الكائنات جميعاً، ومخاطر الولادة عنده أكبر من مخاطرها لدى أى كائن، غير أن العلم الحديث عالج هذا الأمر حتى أصبحت الولادة شيئا سهلا، وقلّت الخطورة فيها إلى الحد الأدنى، ومازالت النساء مع ذلك يخفن الولادة ويرهبنها، وربما لخوفٍ كامن فى الإنسان من الموت توقظه الولادة والقلق على المخلوق الجديد الذى يريد الخروج إلى الحياة، وربما هى مخاوف الانفصال تعمل عملها فى الحامل، انفصال ابنها عنها وما يعنيه ذلك لها. ويقول فرويد بصدمة للميلاد birth trauma، وربما للولادة وطأة وضغوط نفسية هائلة حتى يمكن أن يكون لها رد الفعل النفسى عند المرأة كرد الفعل الذى تستحدثه الصدمات، وإذا لم تتعلم المرأة أن تطامن من مخاوفها فإنها قد تبلغ حالة العُصابيات. ونحن نعرف أن المرأة العُصابية قد تفلت منها سيطرتها على وظائفها المتصلة بالجهاز التناسلى وأخصها وظائف الإخراج، وقد يتمثل خوف المرأة فى الولادة فى استمرار رغبتها فى التوجة إلى المرحاض، ولعل ذلك يفسر الكثير من حالات الوضع فى المرحاض.

ونعرف أيضا من دراسات تفاعل الحالات العُصابية المتصلة بالوظيفة التناسلية أن بعض الرجال يضنّون بالإمناء، بالنظر إلى أنه يعنى أن يفقدوا شيئا يخصّهم، فيصابون بتأخر القذف، وذلك يقرّب لنا ما يحدث لبعض النساء، فقد يكن مصابات بنفس الميل العُصابى للتملّك بحيث لا ترغب الحامل أن تلد فعلا، ويتأخر وضعها نتيجة المقاومة التى تبديها لانفصالها عن الجنين.

وربما يكون **الخوف من الولادة** خوفا من دور الأمومة، وذلك لوجود صراعات لم تُحلّ بين الحامل وأمها منذ الطفولة، وتجعلها ترهب هذا الدور أو تكرهه، أو يوقظ التفكير فيها

مشاعر بالذنب تجاه أمها. ونعرف أن الأطفال عندما يكرهون فقد يتمنون الموت لمن يكرهونهم، وتنتابهم لذلك مشاعر ذنب تالية قد تظل معهم وتعمل فيهم لا شعوريا. ولعله لهذا السبب تصرّ الحامل على أن تستدعى أمها لحضور الوضع، لعلها بحضورها تزيل عنها آثار مشاعر الذنب والكراهية للأمومة أو الخوف منها. وتحضرني حالات لنساء كان وجود الأم وقت الولادة يعيدهن إلى حالة الطفولة فيتبولن أو يتبرزن أثناء الوضع، وذلك أن الوضع ليشبه جدا فيما يُبذَل من أجله من جهد ما يُبذَل من جهد للتبرز مع المُمسِك مثلا.

والخوف من الوضع فيه خوف أصلى بدائى فطرى هو **الخوف من الموت**، وفيه خوف آخر يقتضيه الموقف، فرغم أن كل شىء معد كما ينبغى إلا أن الخوف يأخذ بخناق المحيطات بالوالدة، وتراه فى أعينهن وأصواتهن واللهفة البادية على محياهن. ولو سألت عن السرّ وراء ذلك لعلمت أنه **الخوف من المجهول**، فمع استتباب كل الأمور إلا أن الخوف يسيطر على الجميع، وهذا **الخوف الميتافيزيقى** هو الذى يجعل النساء يرهبن الولادة، بل ويرهبن الحمل والزواج أيضا. وهذا الخوف يسبب إعصابا يشمل الحامل بجميعها، ويتأثر به جهازها العصبى السمبتاوى والباراسمبتاوى، فتكون تلك العمليات المتضاربة فيها بين دفعٍ للجنين إلى الخارج، وبين تعطيل للولادة واستبقاءٍ للجنين. وتؤثر على إعصاب المرأة ظروفها المادية والنفسية وتوافقها فى الزواج، ووضعها العائلى، وفلسفتها فى الحياة، ودوافعها اللاشعورية من مسألة الحمل والإنجاب، واتجاهاتها نحو أمها، ومكونات شخصيتها، ولعل ذلك يفسر السرّ فى أن بعض الوالدات تكون ظروفهن كلها مواتية لحمل صحيح وولادة طبيعية ثم يحدث العكس، وأحيانا تكون الظروف منبئة بخطورة الولادة وتأتى طبيعية. ويعلق علماء النفس الكثير من الأهمية على عناصر الشخصية عند الحامل، وأهم هذه العناصر بالنسبة لعملية الولادة هى **عنصرا الإيجابية والسلبية**، فبرغم كل ما يكون بالمرأة لاشعوريا وما يوجه ولادتها من ديناميات، إلا أن توافقها وتفاعلها مع كل ما سبق يتحكم فيه بُعدا الإيجابية والسلبية. ومن اللحظة التى تأتى المرأة آلام المخاض تظهر هذه الإيجابية أو السلبية وتعمل عملها. **والمرأة السلبية** تسلم أمرها للمحيطين بها، وهم الذين يرتبون لها كل شئ، وطبيبها هو المنوط به أمرها، فإذا زادت بها الآلام فقد تصرخ وتمسك ملابس هذا أو ذاك، وتطلب المسكنات، ولكنها لن تحاول أن تقدم أية مساعدة. وعلى العكس **المرأة الإيجابية**، فهى التى قد تحادث الطبيب عبر الهاتف إذا جاءها المخاض،

وتطلب سيارة المستشفى، وتعد حقيبتها ولوازمها، وتتأكد من ترتيب بيتها قبل أن تخرج. والإيجابية مطلوبة فى الولادة، وهى صميم الولادة لأنها تعنى أن المرأة ستعطى، وعطاؤها الأكبر يتمثل فى الإنجاب. والإيجابية بخلاف **الاسترجال** الذى تدفع إليه عُقدة الذكورة، وهذه - أى **المسترجلة** - عملها لاشعورى، وهى تحمل ولكنها تستخفّ بالحمل، فلا تحس للولادة بآلام تشق عليها، وهى تأتى الحمل والولادة وكأنها الرجل حتى لقد تتحكم فى أمور ولادتها ولاتنسى أن تأمر وتسيطر خلالها، وهى التى تتوجه إلى المستشفى وتتفق على الأجر. والمرأة المسترجلة قد تعتبر الحمل والولادة من المظالم المجحفة بالنساء، وهذا النمط غير مستعد لتحمل الألم، ويترك أمر تخفيفه للطبيب.

والمرأة الايجابية نشيطة ومتعاونة، إلا أن بعض الإيجابيات قد يكن معاندات، يتشبثن بآرائهن ويرفضن النصيحة ويتولين أمورهن بأنفسهن، حتى ليمكن أن يعملن عكس فسيولوجيا الولادة، وربما كان ذلك رد فعل للخوف الزائد الذى يفرط له إعصابهن فينشط الرحم وتلد المرأة قبل الأوان. والإيجابية وسيلة دفاع ضد الخوف، وكذلك السلبية، والمرأة السلبية قد يتسبب إعصابها الزائد فى تعطيل الولادة بإبطاء نبض الرحم. وبعض النساء السلبيات قد يظهرن بمظهر الإيجابيات عندما تذهلهن الولادة، فيبدين فى حالة هستيرية تتسارع لها الولادة. وبعض النساء الإيجابيات قد يظهرن بمظهر السلبيات عندما يتوجه نشاطهن لغير أغراض الأنوثة فتستنفد هذه الأعراض طاقاتهن الأنثوية، وهؤلاء لايكون لهن عزم فى الولادة.

والولادة عملية مرهقة وتستلزم طاقة عالية للسيطرة على الخوف والمعاناة، ويشغل الجهاز النفسى بذلك حتى أن المرأة لايكون لديها الانتباه للمؤثرات الخارجية من قول يتوجه إليها أو طلب يُطلَب منها، ويقل اتصال الذات ego بالعالم الخارجى إلى أدنى حد، رغم أن ذات المرأة تنعصب على الآخر، إلا أن الانعصاب ينشغل بعملية الولادة وبالتنصت على مايجرى بالداخل لا مايجرى بالخارج. وقد ترهُف الانطباعات الحسية المرتبطة بالولادة حتى لقد تصبح المرأة كالمذهونة فتسئ فهم ما تسمع ومايقال لها كما فى البارانويا.

ورغم ماقد يبدو من التبلد لما يجرى حول الوالدة واشتغال ذاتها بداخلها إلا أن النوع الإنسانى يلحّ عليها فتراها قلقة على طفلها وملهوفة، ومن بين شهيقها وزفيرها ودفعها والحزق الشديد فى المرحلة الثانية، قد يأتى صوتها يطلب إلى الطبيب أن يحذر أن يؤذى

ابنها. وقد تكون آلامها فى القمة ويشتد بها الصراع بين عوامل الإيجابية وعوامل السلبية فتطول الولادة، وعندئذ قد يقطع الأنا صلته بالواقع الداخلى والخارجى، وتستسلم المرأة للنوم لثوانٍ فتأتيها **الأحلام** كأنها التهاويم، حتى لتختلط عليها أمورها ولاتدرى حقيقتها من زيفها. **وأحلام الولادة** لها سمت خاص يتصل بآلامها وتلقى أضواء على شخصية المرأة وماتعنيه الولادة لها، وكثيرا ماتكون لها تأثيرات إيجابية على الولادة، والنساء يذكرنها بالتفصيل من غير اتصال، وتذكرهن لها تذكّر مصوّر، فالأحلام صور من غير عواطف، فالعواطف تُنسَى وتظل الأحداث وحدها وإن كانت منفصلة، والرموز الجنسية فيها تكون واضحة، ومحتويات الحلم قد تضجّ بما يعكس آلام الوضع، وقد ترى أن أشباحا لها مخالب وأنياب تطاردها فتهرب وتجرى، ولكن الأهوال دونها حيثما توجهت، وتفيق مفزوعة على دفعة جديدة من الطلق. وكثيرا ماتتخارج المرأة عن نفسها فى أحلام الولادة فترى نفسها وهى تلد وكأنها تنظر امرأة أخرى، وقد ترى مولود الأخرى، وكأنها هى القابلة تستقبله فتعرف جنسه وشكله ولونه.

وتؤثر الاضطرابات العصابية على الولادة بالسلب، ويتجاوب الرحم لدواعى العُصاب مدفوعا بضغوط الولادة ومناسبتها، ولعل هذا التجاوب الفريد للرحم هو الذى حدا بإطلاق اسم **الهستيريا**، بمعنى اضطراب الرحم، من **هيسترا** **hystera** بمعنى الرحم. وفى حالة سيدة كانت تعانى من إمساك عصبى مزمن تحولت أعراض الإمساك من الأمعاء إلى الرحم فظلت تحاول الولادة **ثلاثة أيام** متصلة، وعندما همّ الطبيب الى المبضع ليستولدها جراحيا جاءها الطلق وولدت فجأة. ولقد تبين أن الإمساك أصابها فى **طفولتها** عقب ولادة أمها لأختها الصغرى، وأن أمها كانت تعالجها وهى طفلة بالحقن الشراجية، وكانت تصيبها بالهلع، ولقد أيقظ الموقف الجديد ذكريات الماضى وأمسك رحمها بدلا من أمعائها، وإزاء التهديدات للأنا بالجراحة أَسْهَلَ الرحم بدلا من الأمعاء فولدت. **والخوف** هو الذى تسبب فى استعصاء الولادة، وهو نفسه الذى سهّلها. ويصيب القلق فى الولادة الجهاز العصبى المستقل بالعجز كما فى حالات القلق العُصابى، وبدلا من أن يتمكن الشخص من الجرى هربا فإنه يتسمر فى مكانه ويصاب بالشلل، وكذلك الرحم.

والولادة تشبه الجماع، ففيها الأخذ والاستبقاء، وتنتهى بالعطاء والخروج، وتكمل الواحدة الأخرى، وتتداخلان بحيث تكونان عملية بيولوجية واحدة تبدأ بالإعجاب فالاشتهاء

فالجماع فالإخصاب فالحمل، وتبلغ ذروتها بالمخاض وهو إنعاظٌ كإنعاظ الجماع، ثم تكون الولادة. ولذلك كان كل جماع ليس غايته الولد جماعا ناقصا بيولوجيا ونفسيا. ويتهيأ جهاز المرأة التناسلى لهذه العملية تماما، وهو مقسّم بحسب التخصص، **فالمهبل** لاستقبال المنى، **والرحم** يضم البويضة والحيوان المنوى ويحفظ الجنين ويغذيه، ثم هو من بعد يطرده ويدفع به الى المهبل حيث كانت البداية، وذلك بدوره يسلمه إلى الخارج حيث الحياة. وكانت **للمهبل** لذة الجماع، بينما تكون للرحم آلام الولادة. وهذا **الإيقاع** المتراوح بين **الاستبقاء والاستفراغ** هو الذى يسيطر على الجماع والولادة معا، وفى الجماع يتولى الرجل ضبط هذا الإيقاع، بينما فى الولادة يوكل الضبط للنشاط الهرمونى فى الأنثى، أى أن المسألة تكون منوطة بالأنثى. ويلفت **فيرينزى** (فى كتابه **نحو نظرية تناسلية**)، يلفت النظر إلى **التشابه بين الجماع والولادة** حتى في الرموز التى تكون لكل منهما فى الأحلام والأعصبة والأساطير والأدب الشعبى. ولو استطاع الزوج أن يثير شبق امرأته إلى الولادة كما يثير شبقها للجماع فإن الزوجة قد تبلغ الإنعاظ المطلوب. وربما لاتخبر الزوجة الإنعاظ إلا فى الحالات التى يجتمع فيه تصورها للجماع مع تصورها للإنجاب وللولادة. وتحلم النساء بالجماع كأنهن يخبزن، وعملية الخَبْز فى الأدب الشعبى فيها هذا المعنى الجنسى، والولادة أيضا كالخَبز (بفتح الخاء)، ويرمز الخُبز (بضم الخاء) إلى القضيب. واللذة المتحصلة فى الجماع تشبه الألم المتحصّل فى الولادة، وألم الولادة هو **الألم اللذيذ**، كما أن لذة الجماع هى **اللذة المؤلمة**، وتتصايح المرأة فى الحالين وتتوجع فلا هى تكف عن أن تجامع بعد معاناة الجماع، ولا هى تمتنع عن الحمل إثر كل ولادة. وتقترن لذة الجماع بألم الولادة فيما يعنّ من أحلام أو أعراض عُصابية متعلقة بهما. وتنسى المرأة آلام الولادة ولاتذكر إلا الإشباع الذى تحصّل لها منها، وتشتاق لأن تحمل وتلد من جديد. **وللولادة شهوة** تنظرها فى عيون بعض النساء وتتلمسها فيما يقلن أو يفعلن وكأن لآلامها لذة متوقعة.

وللولادة **ميزة اقتصادية نفسية فهى** قد تغير وجهة المرأة المسترجلة فتجعلها لاتذهب إلى تصريف طاقتها الأنثوية فى نشاطات ذكورية، وإنما توقظ فيها الأمومة وتحول طاقتها الى نشاطات أنثوية، وقد تجعل المرأة التى تتعين بأمها تعيّناً سلبيا تجرب أن تكون أُماً هى نفسها، فتحول التعيّن السلبى إلى تعيّن إيجابى، وتسلك المرأة بعد الولادة سلوكا إيجابيا يدفعها إليه امتلاكها للطفل، وإن كانت تحاول فيه أن تقلد أمها إلا أنه التقليد الإيجابى وليس مجرد الطاعة لها والتسليم بما تقول به وتفعل.

والولادة فرصة لتصريف **الخوف** والسيطرة عليه، وهي **مناسبة علاجية نادرة** لأن المعاناة التى تدخلها المرأة لها صفة **التنفيس** catharsis عن كل عذاباتها والمكبوت والمقموع من نفسها، والولادة مَسْرَحة مختزلة لكل ماصادفته المرأة فى حياتها، وهى حلّ للكثير من صراعاتها، ومحنة تُصقِل نفسها، والمرأة وإن كانت تُعطِى بها الحياة لمخلوق جديد فإنها هى نفسها تتجدد بها وتولد مرة أخرى. ومن ثم فليس مجرد العناء هو الذى يمكن أن نراه فى الولادة، ولكنه النشاط الذى تستلهمه وتفجره، والذى تتتابع فصوله برغم العناء، وهو إن كان نشاطا تأتيه المرأة على غير إرادتها، إلا أنها تمارسه كفعل من أفعال الإرادة. والألم الذى تعانيه الوالدة وتحاول السيطرة عليه ألم مُطهِّر، أى يُطَهِّر صاحبته من كل أدران سابقة. والتخلص من الألم فى الولادة يتم بعملية نفسية رائعة، بأن ينقلب مرة واحدة إلى لذة إذ تطالع المرأة صفحة وجه وليدها ويطرق أذنيها صوته. وفى الولادات التى تتم حديثا بدون ألم يضطرب هذا الانقلاب ويعاق الأنا عن أن يقوم بهذه النقلة التى تتطلب يقظة ووعيا وتسجيلا من الذاكرة وتوجهاً ليس من سبيل إلى تحقيقه والأم مخدّرة. ومع أن الوالدة قد تصرخ وتطلب العون والمسكنات إلا أنها فى أعماقها ترجو أن تتغلب على آلامها من ذاتها وبطاقتها الخاصة، وترضى بالألم من أجل أن تستشعر تجربة المخاض كاملة. **والألم** يرهف كل طاقاتها النفسية، وكلما ازداد كلما استنفر هذه الطاقات، فإذا خرجت الرأس وصرخ الوليد كانت صرخته اللافتة بمثابة المحول الذى تتحول به كل هذه الطاقة إليه. وسبحانه وتعالى جلّ فى علاه أن يكون هذا **الترتيب** العظيم لتتأهل المرأة مرة ثانية لمشاق الرضاعة والحضانة، وماأكثرها وأرهقها، ولكنه تدبير الله ليصنع من هذه المخلوقة العظيمة، **المرأة**، مصنعاً للحياة فى الأول والآخر. وبعض النساء يأخذن هذا الأمر مأخذاً دينيا، فالحمل والولادة قَسَمَهما الله، وهما حظ المرأة فى الحياة، والألم مقدور، وعلى المرأة الصبر عليه، وماأكثر الآيات التى تُكرّم وتعظّم **المرأة الأم** فى القرآن. وهذا الاحتمال الميتافيزيقى قد يستغل وطنياً كما فى ألمانيا النازية، حيث كانت كل أم تُستحث أن ترضّى بالألم طالما هى ستنجب **هتلر** جديداً. والنساء المتعصبات **للدين أو للوطنية** قد يتعللن بعلل إيديولوجية لتبرير المعاناة الماسوشية فيهن عندما تزيد بهن إلى أبعاد غير عادية، وربما شاذة ومدمرة. وأما المعاناة الماسوشية البسيطة فهذه مطلوبة ولازمة لاحتمال الألم الذى لابد منه للإنجاب.

والمرأة أثناء الولادة تصرخ وتتوجع، غير أن البعض قد يلجأ إلى غير ذلك من وسائل التعبير، فبعض النساء يُخرسْهن الألم، حتى أنهن لاينطقن ببنت شفة من البداية حتى النهاية، والبعض قد يتهيج بالألم تهيجا وكأن المرأة صارت وحشا. والبعض قد ينسى التجربة، وأخريات قد يذكرنها ويرددن ماالحتملنه فيها. واحتمال المرأة أو عدم احتمالها مسألة تتوقف على البؤس أو الرضا الذى هى عليه، وفرحتها بالوليد القادم أو نبذها له. ويتمثل أقصى رفض للمعاناة فى الهروب منه بالتخدير، ومن رأى الكثيرين أن **التخدير** الذى تطلبه البعض ليس موجها فى الحقيقة للمعاناة، بل هو هروب من الخوف، وهو خوف هائل يتملكهن. والبعض من النساء يرفضن التخدير بالكلية لأنه يسلبهن وعيهن وقدراتهن على ممارسة وظائفهن، ويشعرن أنهن به سيكنّ تحت رحمة قُوَى خارجية ولن يكون بوسعهن الدفاع عن أنفسهن، وربما قد يحدث مايكرهنه. والبعض لايفعلن إلا أن يرقبن مايجرى من إعداد للولادة، والبعض يتمالكن أنفسهن ثم يسألن بعد الوضع عما قلن أو فعلن وهن تحت التخدير.

وعندما تعلم المرأة أنها ستُخَدّر يزيد شعورها بتهديد الموت. والمرأة المقبلة على الوضع تختلف فى استقبالها للتخدير عن المرأة التى تجرى لها إحدى العمليات التى ليست فيها عملية الوضع.

وبعض النساء يُسئن استخدام الألم، **والمرأة الهستيرية** قد تضخّم من الألم وتُمسْرِح الولادة، وتستعرض معاناتها أمام المرافقين لها، **والمرأة العُصابية الموازية أو المكتئبة** التى تعذبها مشاعر الذنب تُعاقِب نفسها بأن ترفع من درجة معاناتها؛ **والمرأة العدوانية** تستخدم الألم عندها لكى تعذّب به زوجها وكأنه هو الذى تسبب لها فيما هى فيه؛ **والمرأة المحبة الكريمة** فى عواطفها الغنية بالأنوثة، على العكس، قد تُطمئن زوجها وتُفعَم بالأمل حتى لتشيع جواً من الطمأنينة فيمن حولها. وكل ذلك أحوال ثانوية على الولادة ولكنها قد تؤثر عليها. والعلم الحديث قد تكفل بتقليل دور المرأة فى الولادة واشتراكها فيها والخوف الذى قد يستبدّ بها، حتى أنه ليمكن أن نقول إن دور المرأة كمنجبة تتزايد سلبيته، وهنا ينبغى أن نفرّق بين ماهو مطلوب من **الطبيب المولّد والأخصائى النفسى**، والأول لايهمه سوى إخراج الطفل، ويندفع من حالة ولادة إلى أخرى، والثانى يُعنَى بإعداد الوالدة نفسيا قبل الولادة، ويحاول تقوية **أناها** ego، والطامنة من أية مشاعر ذنب أو صراعات تعانى منها

الحامل. **وطبيب الولادة** عليه أن يجمع إلى جانب العلم بالطب بعضاً من العلم بالنفس البشرية. **وعلاقة الوالدة بطبيبها** من أهم مايمكن النظر إليه عند مناقشة الولادة. وهى تختلف من والدة إلى أخرى بحسب شخصيتها، وتتوقف عليها الخاتمة النفسية للولادة والتعامل مع الخوف الذى تعانى منه كل حامل، وبعض الحوامل يُنزلن الطبيب من أنفسهن منزلة الأب، وينسبن إلية قوى خارقة، ويشعرن أنهن فى أمان فى حضوره. وقد يجعلها اعتقادها فى قدراته تخشاه وتركز عليه مخاوفها. **والتعامل النفسى مع الوالدة** ركن ركين فى الولادة. وحتى بعدها لابد من هذا التعامل، فالوالدة لايقر لها قرار إلا إذا اطمأنت إلى جنس الطفل وطالعها وجهه، وقد يخيب رجاؤها وتحزن، وقد تحزن فى أول الأمر ثم تتقبل المسألة بالتدريج، وقد تقول الأم إنها لاتشعر بشئ، **والوالدات اللاتى يلدن سفاحا** لايشعرن بشئ حقا، ومن السهل عليهن ترك الوليد ونبذه والهرب من نسبته إليهن، وكذلك **المرأة الشقية فى زواجها**، فقد ترى أن التقيد بالطفل يعوقها عن حلّ مشاكلها مع زوجها بالطلاق. وستكون **الأم الهستيرية** لاهية عن الطفل بخيالاتها وتصوراتها وماحولها، وقد تلجأ **المرأة العُصابية الحوازية** إلى اللامبالاة هرباً من ثنائية عواطفها تجاه الوليد، **والأم شبه الفُصامية** قد ترى فى مناسبة الولادة إحياءً لعواطفها الميتة، وعودةً للانفعالات والآمال، إلا أنها لن تستطيع أن تعيش هذه العواطف وأن تجرّب هذه الآمال. والكثير من **النساء النرجسيات الطفلات** فى تصرفاتهن وشخصياتهن قد تؤذيهن آلام الولادة جدا، ويحملن على الطفل المولود لهذا السبب. والكثير من النساء أيضا لسن على مستوى مسئولية الإنجاب، لا من الناحية البدنية، ولا من الناحية الصحية، وتبهظهن أعباءها، ومع ذلك الشعور لن تكون هناك سعادة.

***

الفصل التاسع والعشرون

النفاس Confinement

سيكولوجية النفساء، والعلاقة النفسية بوليدها، وبأمها، وممرضتها، والطبيب المولد، والنفاس بحسب الأديان والثقافات المختلفة، ويعنى الانتقال من الذاتية إلى الغيرية، وأنماط النساء فى النفاس

هو الفترة التى تلى الولادة، والتى تؤدى إلى عودة الرحم وجهاز المرأة التناسلى إلى حالته الطبيعية التى كانت له قبل الولادة، ولو أن الوالدة لاتعود إطلاقا إلى سابق ماكانت عليه، وذلك أن حياة المرأة عبارة عن مراحل، كل واحدة تسلم للأخرى، وكل مافى المرأة له هذه الرسالة: أن تتزوج لتحمل، ولتنجب، ولتربى الطفل إلى أن يبلغ مبلغ الكبار. وجهاز المرأة التناسلى يعمل لهذه الغاية بدءاً من التبويض، فالحيض، فالإخصاب، فالحمل، فالولادة، فالرضاعة، فإذا حملت المرأة انتهت معها مرحلة التبويض والحيض لتبدأ مرحلة الحمل، وإذا وضعَت انتهت مرحلة الحمل لتبدأ مرحلة الإرضاع، فكأن جهاز المرأة التناسلى فى نشاط دائب، وتتباين وظائفه، فكلما أدى وظيفة وانتهى منها بدأت به وظيفة جديدة، وإذن فلا عودة أبدا لعهد سابق.

ويحتاج الرحم والجهاز التناسلى للمرأة لمدة تتراوح بين **ستة وثمانية أسابيع** ليكون له حجمه الطبيعى، فبعد الولادة ينزل الرحم من التجويف بين القص والعانة إلى مستوى السُرّة، ويفقد وزنه بالتدريج من **كيلو جرام** بدون الجنين وملحقاته إلى **نصف كيلو** بعد أسبوع من الولادة، ثم ربع كيلو بعد أسبوعين، ثم خمسين جراما فى آخر النفاس. كذلك تقل ثخانة جدار الرحم من **خمسة سنتيمترات** إلى أقل من **سنتيمتر**، وتقل سعته من **سبعة الاف ملليمتر** وقت احتوائه للجنين إلى مجرد **ملليمترين اثنين فقط** أى يصبح مجرد شق.

وفترة النفاس كما وردت عن الرسول **أربعون يوما**، وذلك هو المعمول به فى بلادنا الإسلامية، وإن كان متوسطها علميا وعند أغلب النساء **أربعة وعشرين يوما**، وهى الفترة التى يستمر فيها نزول **دم النفاس**، وهو دم قانى غليظ متجلط يخف بالتدريج ويصير بنيا فاتحا ممخطا إلى أن تظهر به القصة البيضاء، ويستغرق ذلك مدة **الثلاثة أو الأربعة أسابيع** التى قد تطول إلى **ستة أسابيع** إذا لم ترضع الأم وليدها.

وفترة النفاس ينبغى أن تكون فترة راحة للأم بعد مشقة الولادة، تلك المشقة التى تدرج ضمن الصدمات النفسية بالنظر إلى مالها من مردود نفسى بالغ، والتى تدرج كذلك ضمن الصدمات البدنية باعتبار الجهد العظيم المرهق الذى تبذله الأم فى الولادة، غير أن هذه المشقة أو تلك الصدمة يعوضها أن تنظر الأم وليدها وقد تخارج عنها. والولادة لها مشقة لكل إناث الحيوانات، ولكن أنثى الإنسان تختلف لأنها تحلم وتتصور وتخاف وترجو وتأمل، ولديها دائما مشروع ومستقبل لطفلها، ومن ثم فإن نفاسها يطول عن نفاس الحيوانات، وتتحول به طاقاتها الشهوية من **بطنها** حيث كان الحمل إلى **ثدييها** حيث يبدأ إدرار اللبن، وكان كل مالديها من حب يتوجه إلى **داخلها** حيث طفلها، وهو الآن يسيل مع اللبن إلى **خارجها** حيث الطفل تحتضنه بين ذراعيها. والمرأة التى تلد تحت المخدر تحرم من الشعور بهذا التحول فيها. وهى إذ تلد تحتاج لفترة النفاس تتحول فيها من النشاط الذاتى إلى داخلها إلى النشاط خارجها، وتستعيد فى هذه الفترة علاقاتها بالعالم الخارجى من أجل طفلها، وكانت قد انسحبت على نفسها من أجل طفلها داخل رحمها، وهى مرة أخرى تعود تمارس حياتها الخارجية من أجل طفلها خارجها، وتبدأ من جديد تنسج علاقاتها بالبيئة وبالناس من خلال حاجات طفلها. وكانت فرحتها كبيرة عندما ولدت طفلها، تراه واقعا وترى فيه نفسها، فهو صنعها وإنجازها، وهى تنتشى من أجل ذلك، ولاترى فيه إلا أنه امتداد لنفسها، ثم تكتشفه، وفترة النفاس لازمة لها لاكتشافه، وتتبين أنه موضوع بذاته له حاجاته التى قد تضايقها، وتبدأ تخافه، وقد تنفر منه وتنتابها الصراعات بين الإقبال وبين الإدبار، وبالتدريج تقبله كموضوع. والمرأة التى تفقد وليدها أثناء الوضع تختلف مشاعرها لذلك عن المرأة التى تفقده بعد حين، والأولى تحزن ولكنه ليس الحزن على الطفل الحبيب لأنها لم تعاشره ولم تحبه بعد، وحزنها عليه رد فعل لخيبة آمالها وأحلامها، وسرعان ماتتجاوزه بالرغبة من جديد فى الحمل، والثانية تحزن عليه حزنا حقيقيا لأنها تُصدَم بموته، ولكن ما يُصدَم فيها ليس غريزة الأمومة كالمرأة الأولى وإنما هو حب الأمومة، وهى فى المدة التى عاشرته فيها أحبته لأنها عرفته واكتشفته، والحزن الذى يلازمها يتدرج معها، وكلما تخفقت منه كلما عاودها الحنين للحمل ولكنه حنين لايأتى بسرعة كما فى حالة المرأة الأولى.

وفترة النفاس **فترة سماح** يعطيها الله سبحانه للأم كى تعد نفسها فيها لممارسة وظائف

الأمومة وأهمها **الإرضاع**، وترتب حياتها ترتيبا جديدا مداره طفلها. وتدخل الأم عددا من التجارب النفسية التى لها مردودها على اتجاهاتها وأحوالها ونظرتها إلى الحياة، وماتعانيه المرأة فى هذه الفترة مرهون بظروفها وظروف بيتها، ووضعها المادى، وكونها موظفة أو غير موظفة، ومايأخذ به أهلها من عادات، وتقاليد بلادها، فإذا كانت مثلا محدودة الموارد وتعانى من ضوائق مادية ولاتستطيع أن تبقى بعيدة عن بيتها طويلا أو أن تستمر فى المستشفى لأكثر من عدد من الأيام، أو تخشى أن تُفصَل من عملها، أو تؤرقها الأعباء التى تنتظرها فى البيت، بالإضافة إلى عبء الطفل الجديد، فإن تجربة النفاس ستختلف عن مثيلتها لامرأة أخرى متيسرة الحال ليس لديها ماتشكو منه وما يمكن أن ويفسد عليها فرحتها بالمولود الجديد، بالاضافة إلى علاقتها بالزوج والملابسات العاطفية للموقف ككل.

وللنفاس **ظروف خارجية** تتوقف على الوضع الثقافى للأم، ففى حالة **أم كلثوم الرسول عليه السلام** كانت مثيلاتها يدفعن بأطفالهن إلى مرضعات، وفى حالة **أم النبى موسى عليه السلام** اضطرت أن تعمل مرضعة له، وفى الأحوال العادية تسيطر الحماة على ظروف الوضع، وفى بلادنا يُصنَع للوالدة أسبوع يُحتَفل فيه بها وبالطفل، ويُرَش الملح ويُدَقْ بالهاون، ويُقدَّم المغُات للمهنئين، وقبل الأسبوع يُحَرم دخول بعض الناس على الأم، وتمنَع من النهوض من السرير إلا للضرورة، وتبقى بعيدة عن الإجهاد، حيث قد يتسبب التعجل إلى الحركة قبل عودة الرحم إلى حجمه الطبيعى أن يسقط، وقد يهبط القلب نتيجة الحركة المفاجئة، والحركة البسيطة مطلوبة وإلا فقد تصاب الأم بجلطة الساقين، وفى الريف قد تدفع الحماة كُنَّتها إلى الحركة قبل الأوان لدواعى أشغال البيت، والكثير من حالات سقوط الرحم واضطرابات الجهاز التناسلى فى الأرياف سببها ذلك، ولايُسمَح للرجل أن يقرب زوجته وعليها **دم النفاس**، ووضع دم النفاس كوضع دم الحيض فقهياً وطبياً، وهو أذى، والمرأة فى النفاس غير مستعدة جسمياً لاستقبال زوجها ولاتستطيع النكاح، وبعض الشعوب تجعل النفاس نجسا ولايُستحب أن يقرُب الأهل النفساء، ويُصنَع لها معزل أو أنها تُعزَل فى حجرتها، والبعض يخشى على النفساء أن تصيبها العين، ومن ذلك أن يقال نفست المرأة أى حسدوها وأصابتها العين بالحسد. وكثيرا ما تُستَحضر **أم الوالدة** كى تخدم ابنتها فى الولادة، وفى ضعف النفاس تعود الزوجة بنتاً صغيرة تتعلق بأمها وتستمع

إلى نصائحها، وتستعيد الأم ذكرياتها القديمة فى الولادة وتعيشها فى ابنتها، ولاتكون للزوج كلمة فهو منصاع لزوجته أو لأمه أو أمها بحسب مَنْ تكون لها الكلمة العليا خلال النفاس. وفى الزمان القديم عندما كانت **القابلة** هى كل شئ كانت تفرض أن يُصنَع للوالدة طعام خاص وبخور وطقوس معينة، وفى زماننا فإن **الطبيب** صار ديكتاتور النفاس، والكلمة الأولى والأخيرة له، وورث **كل سلطات الأم والحماة والقابلة معاً**. وربما كان عزل الوالدة لأسباب غيبية بمختلف الدعاوات السابقة- يفيدها فى كل الأحوال، لأنها فى فترة النفاس تكون قابلة للتلوث وتتدنى مناعتها إلى أقل الحدود، وتصبح عرضة لانتقال الأمراض إليها بسبب الضعف البدنى والخور النفسى اللذين هى عليهما. والوالدة تُزار من غالبية صاحباتها ومجتمع نساء عائلتها لتهنئتها، وتلك عادة قديمة ومتأصلة فى كل المجتمعات وعبر الأزمان، وكان السلف ومايزال الخَلَف حتى اليوم يعطون **النقوط**. وربما كانت **للنقوط فلسفة**، فهو قد يكون مساعدة مالية مستترة للأسرة للقيام بتكاليف الولادة. وعندما تلد الوالدة فإنهم يلبسونها أفخر ثيابها، وتضع عليها حُليها، وتُلبس طفلها لكى تبدو فى أحسن صورة، فالولادة وخاصة إذا انقضى أسبوع هى مناسبة للتباهى. وتراعى النظافة فى حجرتها، ويقدم الزوج عربون محبته ورضاه فيشترى لها مصاغا أو قد يكتب لها عقارا أو يعطيها بعض المال. ومايعنينا من كل ماسبق أن المرأة التى تلد لاتزال تعيش **الذاتية** التى كانت عليها وهى حامل، والتى زادت بها أثناء الحمل، وهى لم تتركها بعد لأنها فى فترة النفاس فى مرحلة **الانتقال من الذاتية إلى الغيرية**، أى الانتقال من الاهتمام بنفسها وبأحوالها إلى الاهتمام بطفلها واحتياجاته. والفرحة التى تعيشها لأنها قدمت شيئا ونجحت، والإنجاز يفرحها، وليست التهانئ إلا للنجاح، وإذا كانت قد ولدت ولداً فإن لسان الجميع أنها أنجبت ولدا، وهى تفرح بمقدم الولد لأن إنجازها به يكون أكبر، ولأنها به تتباهى على زوجها وحماتها وأهل زوجها وأخواته، وفرحتها هى فرحة انتصار فلن يشمت فيها أحد، ولن يعايرها إنسان. **وذاتها** هى التى تعنيها من كل ذلك. وكثيرا ما توضع الأيقونات فى حجرة الوالدة، أو يُقرأ القرآن، ويُدَس مصحف تحت وسادتها أو فوق سريرها منعا للحسد، فالمنتصر يخاف العين.

ولئن كانت الوالدة تلزم سريرها وحجرتها وتُعطى إجازة نفاس لفترة، وذلك كما قلنا للانتقال بها من الذاتية إلى الغيرية، فإن عليها بعد النفاس أن تخرج إلى الحياة من جديد

وتمارس وظائفها الإشرافية فى البيت وكزوجة، أى عليها أن تتجاوز حدود ذاتيتها وتؤكد نفسها وجدانيا كإنسان له روابطه الاجتماعية، وهى تفعل ذلك من خلال طفلها وبيتها. والأمومة علاقة بطفل، وعناصرها **ثلاثة**، هى **الحنان والعطاء، والتوجه نحو الآخر** الذى هو الطفل، والأم بالنسبة لطفلها تعطى كل شئ حتى نفسها، وهى مستعدة أن تضحى من أجله. ولاتطلب الأم مقابل حبها أى شئ، وهى تعطى حبها بلا حدود وبلا تحفظات. وطفلها فى حاجة لذلك لأنه لامعين له سوى أمه، وبدونها يموت، وهى بالنسبة له الحياة نفسها، وهى أمله ورجاؤه والمحقق لكل رغباته، والمشبع لكل حاجاته. والتعويض الذى تنتظره الأم لتعبها وتضحياتها هو أن ترى طفلها صحيحا سعيدا. وهذه العلاقة السابقة تتطور بسرعة خلال فترة النفاس والمرأة تستعيد لياقتها البدنية، وكأن فترة النفاس **فترة بناء أو إعادة بناء جسمى ونفسى**، فالمرأة تعيد بناء نفسها جسميا، وتعيد توجيه طاقاتها النفسية من الجنين إلى الوليد، وتبنى علاقتها به، وتوجه وظائفها النفسية للرضاعة، توليها كل عنايتها، وتعتصر كل طاقاتها النفسية لبنا للطفل، وحنانا يفيض مع اللبن، أى أنها تحول الطاقة إلى مُنَتج مادى ومُنَتج نفسى، وكأنها **مصنع كبير**، إنتاجه من شقين، المادى والمعنوى.

وصحيح أن الوالدة إذ تلد فإنهم يقطعون **الحبل السرى** الذى يربط إليها الطفل، فلا يعود يعتمد عليها جسميا، وتخلص المرأة بجسمها لنفسها، وتكون للطفل وظائفه فيبدأ رحلة الاعتماد على نفسه والاستقلال بها، وتتحرر الأم وتصبح أكثر حرية فى حركتها، ولكن هذه الحرية أو الاستقلالية التى أصبحت لها هما مسألتان نظريتان لاغير، فالعلاقة الوجدانية بين الأم والطفل التى تتمثل فى حب الأم لطفلها تخلق **حبلا سريا نفسيا** يربط بينها وبين الطفل، وربما كان أقوى وأمتن آلاف المرات من الحبل السرى الحقيقى الذى قطعناه عند الولادة، والحبل الجديد سيستمر ولن يقطعه أى شئ أو أية قوة، حتى الموت لايقوى على قطعه، **ولعل الله أراد بالحبل السرى أن يرمز للعلاقة الأبدية بين الأم وطفلها، فبينهما رباط فى أول الحياة يشير إلى ماينبغى أن يكون بينهما من رباط حتى آخر العمر، ولعله لهذا السبب يوصينا الله بأمهاتنا كلما نسينا وتقادم بنا عهد الحبل السرى.**

ونحن إذ نقطع الحبل السرى فى الولادة نريد بذلك أن تبدأ **مرحلة جديدة** فى حياة الأم والطفل، وإذا كانت الولادة قد أخرجت الطفل من الرحم وطرحته فى العالم الخارجى وفصلته عن الأم فإنها ستستعيده برحلة عودة، بأن تقيم بينها وبينه **حبلا سريا نفسيا**

يوحده بها ويميزها كإنسان عن أمهات الحيوانات، فالأمومة عند **الحيوان غريزة**، والولادة قمّتها، والإرضاع آخر مراحلها، وهى **عند الإنسان أكثر من غريزة**، وهى محبة تتجاوز كل العطاء المادى، وهو مانقصد إليه من قولنا إن قطع الحبل السرى يتم على **المستوى الغريزى**، ولكن على **المستوى النفسى** فإن حبلاً سريا آخر يُستَبدل به عند أمهات الإنسان وهو مانسميه **الحبل السرى النفسى**.

وفى فترة النفاس تُنسَج ضفائر هذ الحبل السرى النفسى. وإذا كانت الأم عند الولادة يتخارج عنها الجنين ويُطرَح هناك موضوعا **ليس هو ذاته non-ego**، فإن الموضوع الذى ينفصل عنها يتحول فى فترة النفاس بالضعف العاطفى من قبَل الأم تجاهه، يتحول إلى موضوع يستوعب ذاتها هى، أى أن الفرع ينمو على الأصل ويستوعبه بتأثير محبة الأم لطفلها وتفانيها فيه حتى لقد تؤذى نفسها من أجله. ولقد كان **فرويد** يقول إن المرأة غير قادرة على أن تحب بدون أنانية، وإن النساء لايستطعن الحب وكل توجهاتهن أن يكن موضوعا للحب، فإذا أحبت المرأة، فهى تحب بالتقليد على نمط الحب الذى تراه على الرجال. وربما كان ذلك صحيحا فى الحب الجنسى الذى يميز العلاقة بين الرجل والمرأة حيث الرجل إيجابى والمرأة متلقية، ولكنه ليس كذلك فى **حب الأم**، وكلما نما حب الأم كان نموه على حساب حبها لنفسها. وفى فترة النفاس يتم هذا النمو. والمرأة باعتبارها الشخصى لها رغباتها وطموحاتها التى ليست لها علاقة بوظيفة التناسل، ولها ذاتها التى تريد لها أن تنمو وتكبر وتتحقق. وفى فترة النفاس تبدأ المرأة تتحول بذاتها من التحقق بشكل عام إلى التحقق فى إطار وظيفة الأمومة، وتكون لها **وجهتان** يتنازعانها، فوجهة تساعد فيها نفسها على استعادة ذاتها فتكون لها حياتها ومطالبها وتدفع بها إلى الأمام، ووجهة تنحو إلى الطفل، تتعلق وتقوّى روابطها به، تريد أن تعود القهقرى، فتستعيد وحدتهما، وتنسج من علاقتها به حبلا سريا نفسيا بديلا عن الحبل السرى العضوى الذى انقطع. وهذه الوجهة الأخيرة هى التى تتدعم غالبا، لأنها الأقرب إلى الحالة التى كانت من قبل الولادة، ورغم أنها تدفع بالمرأة إلى الخلف إلا أنها تفضلها على أية وجهة أخرى، وذلك مانعنيه **بغريزة الأمومة عند الإنسان** تمييزا لها عنها عند الحيوان، وكأن الحب الذى يقول **فرويد** إن المرأة لاتقوى عليه وليس فى استطاعتها أن تعطيه، يتحرك فيها فقط بتأثير الأمومة، ففى حالة كون المرأة أُمّاً يمكن أن تُعطِى الحب، وفى غير ذلك تطلب الحب. وذات

المرأة التى تهفو إلى أن تأخذ وأن تتحقق بأن تكون نفسها، تجد فى الأمومة ما يعوضها، حيث تشعر الأم أن هذا الطفل هو طفلها وإنجازها وفخرها، وتتعين به إذ تحس باعتماده تماما عليها، ويلهب قدرتها على أن تحلم فتذهب بها أحلامها بعيدا حوله وتعيش المستقبل من أجله. فكأن الطفل برغم تعطيله للذات عن أن تكون نفسها فإنه يجعل الذات تتجاوز أخطار التضييق عليها بأن تعيش المستقبل من أجله.

وفى فترة النفاس يكون الصراع بين الذات التى تريد أن تتحقق فى الاستقلال والحرية، والذات التى يشدّها الطفل إليه وتصنع معه مقومات جديدة لنفسها. وتتراوح المرأة بين **الاتجاهين**، وقد يبدو عليها أنها تهمل طفلها، وقد تبكى، وقد تصاب بالاكتئاب، وقد يتداعى بدنها لحالتها فيجف لبنها كما لو كانت تريد للطفل أن يموت. وكلما كانت الأم صغيرة السن كلما استهدفها الصراع. وهى تحزن إذ ترى جسمها قد تغير وثدياها قد تغير شكلهما، وتحتار بين **الأمومة وأنوثتها**، وبين واجباتها ومتطلباتها الفكرية والعاطفية، وبين أن تكون هى نفسها بنتا دلّوعة لأبويها، وأن تكون أمّاً تدلل هى وليدها. وقد تشعر النفساء إزاء الأعباء التى يفرضها الوليد عليها أنها أضعف من المسئولية وتنتابها المخاوف، وقد تلجأ إلى وسيلة الهرب تدفع بها عن ذاتها. غير أن غريزة الأمومة التى توحّد بينها وبين الطفل تواجِه نواحى الضعف فى الذات، وتجعل المرأة تخشى مغبّة هذه الرغبات أو الصراعات فتفقد طفلها، **والخوف من الفقد** خوف فطرى فى الإنسان منذ أن خبره فى الميلاد، وهو عند النساء أكثر منه عند الرجال، ويتجدد فى المرأة عندما تلد، ويظل معها بعد الولادة. ويتوقف مصير أمومة الوالدة على نتيجة هذه الصراعات والمخاوف، فبينما تخاف الذات على نفسها وتريد أن تنأى بنفسها عن الطفل، ومظهر ذلك أن يفشل الجسم فى وظائفه التى يخدم بها التناسل، وأن تعجز المرأة عن تلبية مقتضيات الأمومة، فإن الخوف من فقد الطفل يجعل الأم تتعلق به حتى لتهمل فى حقوق ذاتها، وقد يكبر الخوف وينعصب. وفى أول النفاس يظهر على المرأة خوفها على نفسها وتسلك بحيث تبدو أنها **ذاتية**، وربما كانت ذاتيتها لأنها تخشى على نفسها من أجل طفلها، وربما كانت ذاتية فى تصرفاتها لأنها فى الحقيقة ماسوشية الطبع كما هو شأن المرأة. وقد ترى المرأة أن حياتها خواء ولاتستطيع أن تقدم شيئا لطفلها سوى نفسها، فتضن بنفسها وتبدو ذاتية لأنها تريد أن تدخر نفسها له. وقد تلمس من نفسها العجز عن أن تظهر الفرحة بطفلها فتلتمس

التعويض بأن تحمل مرة أخرى وباستمرار، لعلها بالحمل تمارس العطاء الذى حرمته فى الحياة المادية، وتنعصب ذاتها لأن الحمل يكون كالفعل القهرى تأتيه قسرا عنها بدافع داخلى من ذاتها، فتعيش الأمومة بتكرار الإنجاب وليس بالحنان تعطيه لطفلها.

وبعض النساء يخبرن **الوحدة** وقسوتها فتحمل المرأة وتلد وتنتقل فى فترة النفاس من الوحدة إلى حياة الملاء بالطفل الجديد، وتُشغَل به عما سواه، ولكنها تشكو أنه لايبادلها الحب، بينما الصغير لاحول له ولاقوة ويريد منها الحب لا أن يبادلها الحب، ويخيب أملها، وقد تبكى فى فترة النفاس، حتى إذا مرت الأيام وقارب النفاس نهايته كانت كأنها لاتعرف طفلها، وتمنت لو تحمل من جديد لعلها تحصل من حملها على الطفل الذى تريد، ويفيدها أن تحمل، والبعض يحملن على الأربعين، وكل امرأة توقظ الولادة فيها ميولها التدميرية ضد نفسها وضد طفلها لابد أن تجرّب أن تُولى اهتمامها لأشياء أخرى لعلها تصرف فيها تلك الميول بدلا من أن تتوجه لنفسها وللوليد.

وتعانى بعض النساء من ضغوط مستمرة **لمشاعر ذنب**، وأمثالهن يبدأن منذ الولادة فى إذكاء الأنانية فى أولادهن بحيث ينشأ الأولاد ولهم مطالب مستمرة يرهقون بها أمهاتهم.

وهناك صنف من النساء **المسترجلات** وهؤلاء يحل قدوم الطفل عقدة الذكورة فيهن، وتبدى المرأة فى النفاس لهفة على طفلها مبالغا فيها، تكرر بها تجربة القلق الذى عانته باكتشافها أنها أنثى تقل فى التكوين عن الذكور، ويمثل الوليد بالنسبة لها القضيب الذى كانت تحسده فى الذكور، فهى تملكه الآن وتحرص عليه وذلك سر لهفتها على طفلها. وصنف آخر من هؤلاء النساء المسترجلات لايردن أن يكن أمهات، ولكى تهرب المرأة من الأمومة ووظيفتها كأنثى أم، فإن الذكورة فيها تزداد حدة وتمارسها بشكل خلّاق بحيث تنال استحسان الذين حولها بما يعوضها عن أى نقد يمكن أن يوجه إليها من حيث إهمالها للوليد. وأمثالها يخرجن بعد الولادة بثلاثة أيام أو أربعة أيام ويستأنفن نشاطهن الذكورى، ومن آن لآخر قد تلاطف الوليد وكأنه دمية تلعب بها، فتستغل جزءا من ذكورتها فى إطعامه أو تعليمه. وكلما زادت الميول الذكورية بالمرأة كان ذلك أدعى إلى تماثلها السريع بالشفاء من النفاس والهرب من مسئوليات الأمومة. وبعض النساء يكن **سلبيات ماسوشيات** ويتربى لديهن الخوف من الطفل خلال الحمل، فبمجرد أن تلد تهرب من مسئوليات الوليد بأنشطة ذكورية، ولعل ذلك يفسر لنا السبب أن الكثيرات من النساء بعد

الولادة قد يبحثن عن عمل إذا لم يكنّ يعملن من قبل، أو يكثرن من النشاط بالخروج من البيت، وبديهى فإن **الذات الذكورية** هى خير مايمكن أن يدفع عن المرأة مسئوليات الولادة على عكس الذات الأنثوية السلبية. وأما **المرأة الولود** فالتفسير العلمى لولاداتها المستمرة وحملها بعد الأربعين بمجرد أن ينقطع عندها دم النفاس، أنها من النوع الذى يعانى من مشاعر الذنب فتستجلب على نفسها عذابات الحمل المتكرر بعد النفاس كنوع من العقاب لنفسها، ومثلها يصدق عليها الاتجاه الذى يطلق عليه اسم **المرأة المعذبة** mater dolo-rosa. وبعض النساء يتكرر حملهن بعد كل نفاس لأن الولادة تجددهن، والألم يخلصهن من الجرائم التى ترين فى اللاشعور. وهذا النوع **شبه القُصامى** يبحث عن الألم كتكفير عن ذنوب ربما لم يرتكبها، وربما لاتدرى المرأة من هذا النوع عن هذه الذنوب شيئا. فإذا كانت الأمومة متعبة فهى ترضى بها، وإذا لم تكن كذلك فهى تسعى للألم، تتوهمه حينا وتوجده بنفسها حينا آخر، وحتى الجماع إن لم يكن متعبا لايرضيها. وفترة النفاس بالنسبة لهذا النوع ليست فترة راحة ولكنه فترة طلب للتعب. وهناك نوع آخر ذاته لم تنضج ويعيش الطفولة، والحمل عند المرأة من هذا النوع لعبة تلعبها وتجد فيها السعادة تلفت إليها الانتباه وتجعلها موضع عناية من المحيطين بها، فإذا ولدت فإنها تستقبل صاحباتها بفخر وتقدم طفلها إليهن وتزهو بملابسه وتعتز بشكله وتلاعبه كدمية لها، فإذا مازادت مطالبه وحرمها النوم فإنها تزهد فيه وتصرخ وتبكى وتطلب مساعدة أمها. وبعض النسوة لايستطعن الحمل إلا إذا كانت هناك مشاركة وجدانية قوية من الزوج، وتلد بشرط وجوده، وفى فترة النفاس يمكن أن تحتمل تبعات الأمومة إذا كان الزوج فى عونها، ومثلها ليست أُماً ولكنها أم مساعدة assistant mother، وقد تهرب من مسئوليات النفاس بالنوم الكثير أوالشكوى المستمرة، وقد تصاب بالعصاب. وكثيرا ماتسعى الوالدة إلى أن تستعين بأمها أو تبحث عن أم بديلة من بين النساء من حولها، تعاملها كأمها وتتلقى منها العون بهذا الاعتبار، وتتعين بها وتسلك مع الوليد كما تنصحها، وهذا الاتجاه فيها ينبئ عن خلوها من الأمومة، ولكنها تصنع مع الوليد كأنما هى أمّ على الحقيقة بتقليد الأمهات، وتطلق **هيلين دوتيش** على هذا النوع اسم **النمط الممثِّل من الأمهات** as if type. ولربما تبحث هذه الأم عن العون فى امرأة غير أمها لأنها تغار من أمها على ابنها، أو أنها لاتريد أن ترى نفسها بالنسبة لطفلها كما كانت أمها بالنسبة لها، وهى تعتبر نفسها

بالنسبة لأمها قضية خاسرة، ولاتريد أن تخسر طفلها كما خسرتها أمها، ويتحول خوفها إلى خوف عُصابى حتى لتخشى على طفلها من أمها، وقد تجد فى المرضة المشرفة عليها بديلا عن أمها وتخاف على طفلها منها، وتتشاجر لذلك مع أمها ومع الممرضة لأتفه الأسباب. وأما المرأة التى تعطى من نفسها لطفلها وتُظهر الحدب والحب الحقيقى فى النفاس، وتكون رقيقة غاية الرقة مع الوليد، فهى الأنثى حقاً المفعمة بالأنوثة المحبة لزوجها، المبتسمة والراضية. وهى تُقبل على طفلها كعشيق، وإذا تركته قليلا فإنما لتذهب إلى زوجها كعشيق، **وهى تعيش العشق بين الوليد والزوج**، ومثلها يمكن أن ينضم إلى مجموعة **النساء الولودات** اللاتى يتكرر حملهن وإنجابهن أو اللاتى يكون الحمل والولادة معهن فعلا قهريا.

وهناك **النمط الذكورى العدوانى** من النساء، والمرأة من هذا النمط تحس بنفسها أكثر مع طفلها وهو وليد عنه وهو كبير، وذلك لأنها ترى فى الوليد عجينة يمكن أن تشكلها حسبما تريد، وهى تريد ابنا تتحكم فيه، وتوهم نفسها أنها تعلمه، ومثلها يبدأ التعليم بعد الولادة مباشرة، ولاتلبى حاجات الطفل كما تلزمه ولكن كما تتصور أنها لمصلحته.

والكثير من النساء يفضلن **فترة النفاس** لأنهن يكن فيها فى علاقة حميمة مع الوليد لاعتماده الكلى عليهن، وهن يردن هذه الاعتمادية فى أولادهن ويكرهن أن يكبر الأطفال لأن النمو يعنى الانفصال عنهن، ولذلك يكن سعيدات بالحمل ويردن فترة النفاس أن تطول لهذه المعاشرة اللصيقة بالوليد فيها.

وعلى العكس النفساء السابقة هناك **النوع الذكورى** الذى يخلو من الحس الأمومى، ولاتعرف المرأة كيف تتصرف مع الوليد وتعيش النفاس فى غربة معه لاتعرف كيف تترجم بكاءه، وتحاول وتقرأ الكتب وتسأل ولكنها تظل عاجزة عن عمل شئ، وتبدو الأمومة عندها معرفة منفصلة عن التطبيق، ومالم يكبر الطفل ويتحدث إليها فلن تفهم شيئا مما يريد أو يحتاج. وهى لذلك من النوع المتفلسف من غير أن تكون ذهنية الاتجاه، وتفلسفها وسيلة دفاع ضد عجزها عن التعاطف، فكلما اقتضى موقف من المواقف الانفعال بطريقة مناسبة، وكلما أعوزتها العاطفة فإنها تقدم بدلا من ذلك فكرة، والكثير من **النساء الذهنيات** فى الحقيقة يمارسن الحب ذهنياً لا غير ويعانين من إجداب العواطف.

والكثير من الأمهات الشابات يملن إلى تطبيق التعاليم الطبية الخاصة بالنفاس

بحذافيرها، والبعض يُستَنفر فيهن التحدى للسلطة الأبوية. ولايجد الوليد راحته إلا مع الأم التى تفيض بالأمومة، والأم التى تفيض بالأنوثة. وكلاهما توليه العناية التى تلزمه، الأولى عن حب مصدره أمومتها، والثانية عن الحب الذى هو صنْعتها. ويمتدح الطبيب المشرف على الوليد سلوكهما، غير أن الأولى تكثر على الطبيب بطلباتها أو أسئلتها حول الوليد، بينما الثانية تنصت وتطيع وإن كانت أحيانا لاتنفذ بالضبط مايطلب منها وتخرج على التعاليم بتأثير زخم عواطفها.

والحقيقة أن **علاقة النفساء بالوليد** تحكمها مواقف كثيرة ودوافع لا أول لها ولا آخر، ولن نستطيع حصر ذلك جميعه. وتبدأ هذه العلاقة فى الحمل، وتتوقف على استعداد المرأة للعطاء وقدرتها على منح الحب وطريقتها فى التغلب على مخاوفها. وهى علاقة تحكمها شخصية المرأة، ويصنع هذه الشخصية تجاربها منذ الطفولة ونشأتها وتربيتها ووسطها الثقافى والعديد من المؤثرات النفسية. وهى أيضا علاقة تتوسط أمشاج العلاقات التفاعلية للمرأة وتربط بينها ويمكن أن تنتهى إلى ردود فعل عُصابية. وفى رواية **شرقى** عدن للكاتب الأمريكى **شتاينبك** يجعل الزوجة تنفر من الوليد بمجرد الوضع، وتطلب إلى المحيطين بها أن يبعدوه عنها، ثم تهرب وهى نفساء وتمتهن البغاء. ورغم أنها كانت تبدو سعيدة بالحمل إلا أن سلوك زوجها ومعاملته لها كطفلة جعلها تتحداه وتنتقم منه، ولم تمنعها عواطف الأمومة عن أن تنفذ انتقامها، ثم نتبين أنها كانت تخشى على الطفل من عدوانيتها، وأن هذا الدافع اللاشعورى فيها هو الذى ألجأها إلى مسلكها كى تحمى طفلها من نفسها، بأن تعهد به إلى زوجها المحب الذى كان يعطى فى حبه بدون حدود. وهذه الأم رغم سلوكها **النابذ** من اللحظة الأولى من النفاس هى **أم حامية**، والتضارب فى سلوكها مصدره طفولتها التى أبدع **شتاينبك** تصويرها حتى ليمكن أن ننبه إليها كمثال تقليدى.

وقد تغالى الأم فى إظهار حبها للطفل، ومنذ اللحظة الأولى من الولادة تبدو مستغرقة تماما فى هذا الحدث حتى لتنسى فى النفاس كل اهتماماتها وتسقط كل علاقاتها الأخرى وتكرس نفسها بالكلية للوليد. وهذا السلوك نسميه **تعويضا زائدا** **overcompensation**، وقد ينقلب إلى نقيضه، أو يجعل من الممكن أن تتخلله أوقات تُظهر فيها المرأة اللامبالاة أو تكون عدوانية، وهو مايحيرها ويحير المحيطين بها.

وهناك سيدات يمكن أن يستخدمن الحمل كوسيلة لتثبيت زواجهن أو لتحصيل

الاستقرار النفسى، وذلك لشعورهن باضطراب لا يدرين كنهه إزاء الزواج، ولأن زواجهن لم يكن على أساس قوى، وتصرفهن فى النفاس كأمهات يتوقف على تحقيق الإنجاب للسبب الذى من أجله حملن.

ويبدو أن **علم الولادة** يتصادم اليوم مع **علم النفس**، ومايحدث اليوم بالاعتماد على الطبيب والطب يُحرِم الأم أن تَخْبُر الولادة وأن يتنامى إحساسها بها كأم، فأنْ تلد الحامل تحت المخدر، وأن يؤخذ وليدها بعيداً عنها فلا تراه وتشمه وتتحسسه بعد أن تضعه، لكفيلٌ أن يدعم عنصر الغُربة بين الأم والوليد، ويشككها فى أنه طفلها ويزيد مخاوفها منه. **والنفاس السليم** هو الذى يأتى عقب ولادة طبيعية تُعطَى فيها الأم كل الفرص لتلد ولادة طبيعية، تمارس فيها غريزتها كأم كأى أنثى وكأى حيوان. **والأمومة كغريزة** هى الأساس لكى تقوم عليها **الأمومة كحب**. ولا عجب أن يكثر الجميع من ترديد هذا المصطلح **«الأم النابذة»** بدون فهم لأبعاده النفسية، حيث أن هذه الأم النابذة غالبا أم مُحَبطة، عانت الإحباط فى الحمل وفى الولادة، فكان **سلوك النبذ** الذى يأتيها.



الفصل الثلاثون

الرضاعة Lactation

الرضاعة عند الأمهات السويات والمضطربات نفسيا. والرضاعة والمرحلة الفمية وصدمة الفطام. وأثر الاضطرابات النفسية على إدرار اللبن. وانطباع شخصية الطفل بطريقة إرضاعه والإشباع الذى يتحقق له. والرضاعة تجربة حسية ضرورية للمرأة. وتأثير الحاضنات والمرضعات والمربيات على الطفل. وأنماط شخصية النساء فى الرضاعة. وعن بعض القبائل التى تدفن الطفل مع أمه إذا ماتت وهو رضيع حتى لا ينشأ محروما من حنان الأم. وتأثير الحرمان من الرضاعة من الأم على مهارات الطفل وإدراكه

من الأمور المألوفة أن نتحدث الآن عن **تأثير الرضاعة** على النمو النفسى والجنسى عند كل فرد، وكان ذلك بفضل دراسات **فرويد** ومدرسة التحليل النفسى، وأصحاب هذه المدرسة توفروا كثيراً على دراسة الرضاعة عند الأمهات السويات،وكذلك الأمهات اللاتى يعانين اضطرابات نفسية. وإنه من المألوف الآن أن يقول كل طبيب أطفال بالمرحلة الفيمة وهى المرحلة الأولى من مراحل النمو النفسى والجنسى حيث تتركز كل طاقة الحس والاشتهاء فى منطقة الفم عند الطفل الحديث الولادة. ولم يعد خافيا على أحد أن للفطام رد فعل، وقد يعنف أحيانا حتى ليقول البعض **بصدمة الفطام** weaning trauma. وفى سنة ١٨٩٢ تسنّى **لفرويد** أن يعالج سيدة تعانى من أعراض هستيرية جعلتها تنكص عن أن ترضع طفلها، وكانت تأتيها آلام بثدييها ثم توقف بهما اللبن. وكان فرويد يستخدم وقتها التنويم المغناطيسى فى العلاج، وبعد جلستين اثنتين شُفيت المرأة وصارت أمّاً ممتازة، وصار اللبن يدر منها وتُقبل على إرضاع طفلها. وهذه أول مرة يتبين فيها بشكل جليّ أثر الاضطرابات النفسية على الإرضاع، وهى واقعة يؤرخ فيها لعلاج عُسر الإرضاع علاجاً نفسيا. وتحضرنى **حالة أخرى** لسيدة كان ثدياها يمتلئان باللبن، فإذا كان موعد رضاعة صغيرها جفّ ثدياها ولم يجد الصغير ما يرضعه. وحاولت السيدة أن تقدم موعد الرضاعة ليلحق الطفل ما يكون بصدرها من اللبن، ولكن ما حدث أولاً حدث مرة أخرى. وهذه الحالة تشبه إلى حد كبير حالة الرجل الذى دأب على أن يتهيج فيطلب امرأته، فإذا همّ بها توقف عن الانتصاب، وكلها ظواهر عُصابية.

وحالة ثالثة لامرأة كانت أمها تزورها بعد الوضع، وكانت من النوع المسيطر الذى تخشاه البنات، فكانت كلما حضرت الأم عبّرت ابنتها عن سخطها لزيارتها بأن يتوقف إدرار ثدييها للبن. ولا يختلف اثنان على تأثير الحالة النفسية على **إدرار اللبن**. وليس من شك أن اللبن يُشتَرط لإدراره من الأم أن تكون راضية نفسيا، وهذا الرضا النفسى هو المتحكم فى عملية الإدرار برغم أنها عملية فسيولوجية. وإذا كانت تبعية الطفل للأم تنتهى بالولادة بقطع الحبل السرّى، فإنه يظل هناك **حبل سرى نفسى** يصل عاطفيا بين الأم والطفل، وهو حبل لا يمكن قطعه إلا بالموت. وفى السنتين الأوليين بعد الولادة، واللتين يكون فيهما الإرضاع، يمتد هذا الحبل السرى النفسى بين صدر الأم وبين فم الطفل، ومن خلاله يدر اللبن. وكل أم تتروادها ميول واهتمامات ذاتيه مدارها نفسها ومصلحتها، وتتروادها ميول واهتمامات غيرية ترتبط بالناس من حولها، وفى حالة الأم المرضع فإن نتائج التناقض بين النوعين من الميول والاهتمامات يتوقف عليها نجاح أو فشل الرضاعة.

والرضاعة مرحلة تتلو الولادة، وتشير نتائج كثير من البحوث إلى إمكان استحداث اضطرابات نفسية وربما عقلية بالولادة، وربما يصاب نحو ٥٪ من النساء بما يسمى **ذهان النفاس** puerperal psychosis، وتمهد ضغوط الحمل ثم ظروف الولادة لظهور هذا الذهان، وكذلك **ذهان ما بعد العمليات الجراحية** post- operative psychosis حيث تكون هناك احتمالات قوية للإصابة عند النساء خاصة بهذا النوع من الذهان عقب الولادة بالجراحة. وربما هذا **الذهان النفاسى** هو نفسه نوع من **ذهان ما بعد الجراحة**. وهذه الاضطرابات لابد أن يكون لها مردود على الرضاعة، **وتؤثر على إفراز اللبن**. وأية اضطرابات نفسيه ترتبط بالقلق أو بالصراعات النفسية يمكن أن تؤثر فى الشخصية وعلى عملية الرضاعة بالتبعية. وتطول فترة الرضاعة عند الإنسان والحيوان بحسب حالة الرضا النفسى التى تكون عليها الأم المرضع. وحتى فى **الفئران** عندما أجريت عليها تجارب الرضاعة أثبتت **تأثير العامل النفسى**، فمثلا عملية **مص حلمة الثدى** إذا أُجريت على الفأر الأنثى غير المتزوجة فإنها تحمل **حملا كاذبا**، وإذا أُجريت هذه العملية فى الفأر الأنثى الوالدة فإن استثارة الثدى بهذه الطريقة تجعله يدر اللبن، وبقدر الاستثارة يكون إدرار اللبن. والفأرة نفسها إن لم يقربها صغارها فإنها تستثير نفسها باللعق بلسانها كما فى الاستمناء، الأمر الذى يجعلنا نقول إن **الرضاعة عملية فسيولوجية نفسيه لازمة للأنثى**

لزومها للصغير. وأثبتت التجارب أن الأطفال الذين يرضعون من الثدى **أنضج وأهدأ وأكثر استقرارا** من الناحية النفسية من الأطفال الذين يرضعون من الزجاجة. والرضاعة من الثدى بصرف النظر عن فائدتها بالنسبة لأن لبن الأم أكثر كمالا، ويوفر المناعة للطفل، وهو غذاء كامل فى حالة الأم الصحيحة البدن، وربما تظهر فائدته أكثر فى بعض الحالات كما فى النقص الدرقى الولادى حيث يقدم لبن الأم الهرمون الناقص ويمنع أن يتلف المخ نتيجة قلة الإفراز الدرقى، فهى- أى الرضاعة من الثدى- تجربة حسية تلزم الطفل وتعيشها الأم بعمق ووعى شديدين، وربما يبلغ إحساسها بها أن تشبه **الإنعاظ فى الجماع**، ولها مردودها الإيجابى على العلاقة بين الأم والطفل، وتلزم الطفل صحيا، بالنظر إلى حاجته إلى الحنان، وإصابته **بالجوع العاطفى** إذا حرم منها، أو إذ لم تكن تُؤدَّى بحيث يتدفق حنان الأم إلى الطفل مع اللبن، وهى لذلك ضرورية لحاجة الطفل فى نموه الوجدانى، مثلما اللبن فيه حاجته لنموه البدنى. ويتوقف على **شكل وطريقة الرضاعة من الثدى مستقبل الطفل الجنسى والاجتماعى والنفسى**.

ولقد كان لتقسيم العمل بين المرأة والرجل، بحيث يكدح الرجل ويكد فى الخارج، بينما المرأة فى البيت تُرضع صغارها وتُعَنى بهم وبتربيّهم، كان لهذا التقسيم فضل تخريج أجيال صالحة من الناس والمواطنين، ظهر من بعد أن عمل المرأة فى الخارج حرم الأطفال من الرعاية بحيث استوجب الأمر ظهور مهن جديدة منها **المرضعة والمربية**، ونشوء **دور الحضانة**، والحاجة إلى منح **إجازة وضع** للمرأة، وفترة سماح مدتها ساعة فى **الصباح** وأخرى عند الظهر تعطاها المرأة العاملة كى يتسنى لها إرضاع طفلها. ويبدو أن الموضة الآن هى أن تستغنى المرأة عن إرضاع طفلها بالرضاعة الاصطناعى خوفا على جمالها أو حريتها، وذلك شىء قد يخلّصها من الصراع بين أن تتوجه بنشاطها لنفسها وبين أن تتوجه به لطفلها، ولكنه فى نفس الوقت يحرمها من مصدر من مصادر اللذة. وما كانت المجتمعات الأولى تعرف هذا العزوف عن الإرضاع، وما كان الرجل يستبقى امرأته إذا لم تستطع أن ترضع صغارها. وما يزال الاعتقاد حتى الآن أن دخول الأغراب على الوالدة قد يجعلها **موضع حسد** فيجف ثدياها، وذلك اعتقاد يسرى على النساء وإناث الحيوان، ففى الريف يخشون الحسد لأى أنثى، حيوانا كانت أو أنساناً إذا كانت والدة. والمسألة إذن محلولة فى الريف، والمرأة تؤكد نفسها وذاتها من خلال نشاطها كأنثى، بأن تتجنب وترضع

طفلها، وذلك شئ معترف به ويطبقة الجميع، ويعكسه القصص الشعبى والأغانى، ويحكم العلاقة الزوجية والعائلية، ولكن المشكلة أن المدينة صارت تعمّق المفارقة بين أن تكون المرأة أنثى وأن تكون أُماً فى نفس الوقت. وتتجمل المرأة الحديثة وتهتم بذاتها، ولا ترى أن من الأنوثة فى شئ أن ترضع صغارها، وهذا إذا كانت ترى أن تنجب أصلا، وساعدها **الطب الحديث** على ذلك بأن جعل هناك مستشفيات للولادة، وحضّانات تتلقى الأطفال نيابة عن الأم داخل خيمة معقمة من الأوكسيجين، وصارت زجاجة الرضاعة أنظف من الثدى، واستغنت الأم عن اللبن الطبيعى بلبن اصطناعى مضاف إليه الفتيامينات، وكل ذلك يدعم **الجانب الأنوى أو الذاتى** فى المرأة، ويغلّب هذا الجانب على الجانب الغيرى فيها الذى يتوجه إلى الطفل وتهمّه مصلحته. ويعانى أطفال الأمهات العاملات من الانفصال عن أمهاتهم لمدة طويلة بالساعات أثناء النهار، ثم بعد الظهر حيث الخروج للزيارات وغيرها. ومن رأى فيرينزى أن أطفال اليوم يذوون كما يذوى البنات إذ يفتقد الرى ودفء الشمس، وبافتقاد الطفل أمه وعدم رعاية الحب فيه فإن الذى يُترَك لينمو **هو الكراهية والعدوانية**، ويشب الطفل وكل طاقته تتحول إلى التخريب. وما لم تتغير الأمور وتتوجه وسائل الإعلام إلى إذكاء عدم التعارض بين أن تعيش المرأة لنفسها أو مجتمعها وأن تعيش لأطفالها فإن الضحية سيكون باستمرار الأطفال. غير أن المرأة ستعانى أيضا لأنها بالعيش لنفسها ستكون كغيرها من الناس، مجرد إنسان له مطالب، وبالعيش لطفلها **ستكون امرأة**، وكل مافى المرأة يصرخ أنها للطفل، وأن **رسالتها فى الحياة هى الإنجاب**. وليس غريبا أن تسمع من الأم المرضعة أنها تشعر **أنها كالبقرة، وأن طفلها يحلبها**، وهو تعبير جدير بالبحث، ومعنى ذلك أنها تعيش لتعطى، وأنها قد ألغت كل ما عدا ذلك من حياتها. وقد تقول المرأة تفسيرا لما سبق «**إنى أنام وآكل بهدف واحد، هو أن أستطيع أن أعطى طفلى اللبن**»، وذلك هو ما يسعدها ويشعرها بالرضا، وهذا الرضا **هو رضا حيوانى**، ولكن المرأة تعيه فى نفسها، وذلك الوعى هو ما يفرق بينها وبين الحيوان ويجعلها سعيدة بنفسها. وقد تباشر المرأة مهاماً أخرى، إلا أنها تعترف بأنها ما عادت تولى الأشياء اهتماماً كالأول، إذ أن كل اهتمامها الآن منصبّ على طفلها. ونحن نفهم قول هذه المرأة أنها تشعر **أنها كالبقرة**، لأن حنانها يفيض مع اللبن إلى طفلها، وهى تُشَغل به فى الرضاعة أكثر مما كان يشغلها وهى حامل به، وكانت وهى حامل. تتصوره وتحلم به، فهو لم يكن يعدو أن يكون

تصورا أو حلما، ولكنه الآن حقيقة. وكان هواها فى الحمل مع طفلها الجنين يسرى منها إليه داخلها، ولكنه الآن مع هذا الطفل هناك يسرى منها إليه خارجها. ولم تكن تحتاج وهو جنين أن تنفق عليه نشاطها، ولكنه وهو طفل يحتاج أن تتفرغ له وتنفق عليه كل وقتها وجهدها. وأمثال هذه المرأة التى تقول عن نفسها أنها كما لو كانت **بقرة** أحد نمطين، فهى إمّا من النوع الأنثوى الذى تتفجر أنوثة وحناناً وعطاء، وتعيش أنوثتها وزواجها وأمومتها بشهوة متفتحة وحب حسى بالغ، تخلص لبيتها وتطيع زوجها وتهب نفسها لأولادها، وتوصف لذلك أنوثتها بأنها **أنوثة مطيعة**، وإمّا أنها من نوع **الأم السيدة matron**، التى تشرف على بيتها وعلى شئون زوجها وأولادها، وتنظم ذلك كله وتبنى فى كل ما تفعل، وتوجه للبناء. والحمل بالنسبة لهذين النمطين مسألة واعدة، والرضاعة عملية لذيذة فيها بهجة وفرحة.

وأما **المرأة الذكورية** التى تتصرف لتؤكد نفسها فى كل تصرفاتها ، فهى الآمرة الناهية، ولذلك سيكون الحمل فرصة لها لكى يعمل الجميع فى خدمتها، وستجعل من الرضاعة مسألة تظهر فيها درايتها، وتفاخر بها زوجها، لأنها نشاط لن يستطيعه. وستصبر على أن ترضع طفلها من ثدييها، لأنها بهذه الطريقة وحدها لن يستطيع الآخرون أن يحلّوا محلها. ولن تبدأ متاعبها إلا عندما يكبر طفلها وتصير له إرادة تصطدم مع إرادتها. وهى إن كانت امرأة عاملة سيرضيها أن تترك عملها من أجل عمل أكبر وهو تربية وإرضاع طفلها، ومثلها يصبح شكّاءً عندما يكبر طفلها، ويكثر قولها عن الأولاد «إنهم لم تثمر فيهم التربية»، غير أن قولها غير حقيقى، لأنهم بتأثير تضحيتها وتفرغها لأولادها ينشئون أصحاء نفسيا، وذلك هو المهم فى تلك الفترة الأولى من الحياة، فلو صحّت تلك الفترة بالإرضاع السليم يصح الأولاد مدى الحياة.

وهناك المرأة التى ترفض أن تكون بقرة أو أن تشعر أنها كالبقرة، وشعورها أنها كالبقرة يقضّ مضجعها ولا تشعر معه أنها آمنة على نفسها، وليست ذاتها أو أناها من القوة بحيث يستطيع أن يتحمل تحول الاهتمامات من نفسها إلى طفلها، أو انصرافها وجدانيا عن نفسها إلى طفلها، وهى تشعر لذلك بالخوف من الأمومة، وما تفرضه من مسئوليات، والأمومة عندها ليست عطاء ولكنها مسئوليات تُفرَض عليها وليست نابعة من ذاتها، وتتوتر لها، فتحاذر وتلجأ إلى ما يدفع عنها أخطارها على ذاتها، وتعانى لأنها رغم

كل ما تتنكر له فإن الأمومة تلحّ عليها، والشعور بالذنب يبهظها كلما هربت من أمومتها، فتلجأ إلى التعويض عن هروبها بإظهار أنها تريد أن ترعى الطفل، **وتغالى فى التعويض** overcompensation، وينفعل الطفل للاضطرابات فى إرضاعه، وتنشأ المتاعب من الرضاعة فيزيد عزوفها عن الطفل وتتنامى كراهيتها للرضاعة، **أى تزيد بها قوة القمع على قوة الإعطاء**، ويتأثر دفق اللبن بالقمع فيقل أو يتوقف، وذلك صدمة بالنسبة للطفل كما هو بالنسبة للأم، لأنه برهان على أنها غير طبيعية وهو ما يزعجها. ونفس الشئ يحدث للأم التى تعجز عن الإرضاع لأسباب عضوية. ونتيجة هذا الإحباط تتحول إلى الطفل فى كراهية وتسلمه إلى غيرها يرعاه، مكتفيةً بأقل الإشراف عليه.

والأم التى تستشعر بخطورة الطفل على ذاتها قد تعتبره عدواً لها وتعتبر حاجاته اعتداءات عليها، وهذه الحساسية التى تكون فى هذا الصنف من النساء إزاء الأخطار المتوهمة أو الحقيقية لذاتها قد تتولد بها مخاوف تجعلها تنظر إلى عملية الرضاعة كما لو كانت مصا لدمها أو نهشا للحمها، وذلك تصوير يكون بنا منذ الطفولة، يتهيأ به للأطفال الذين لم يعودوا بعد يرضعون أن غيرهم ممن يرضعون إنما يأكلون أمهاتهم، ويخاف الطفل من عملية الرضاعة التى يرى الوليد يمارسها. وهذا التصور يأتى الأمهات ويكون تعبيراً على ألسنتهن، وتستشعره انفعالا، وقد تعيه فكرة، وقد تستجيب له فتسمعها تقول إنها جوعانة تريد أن تعوّض، ولو سألتها ماذا تعوضين، تقول تعوّض ما أكله الطفل منها. وهناك تصور لدى بعض الشعوب البدائية أن الأطفال الصغار حيوانات صغيرة أو ديدان تتغذى على الثدى، وربما كان هذا التصور فينا فطرياً بدائيا. ولو اعتمل فى الأم فلربما تستجيب له بأن تسلك بعدوانية تجاه الطفل، فتكرهه وتعافه وتنبذه بدلا من أن تحبه وتلتصق به وتعطيه حنانها. وتسقط الأم عدوانها على الطفل وترسل انفعالاتها القلقة إشارات لاشعورية تستثير فيه نوعاً من الأفعال المنعكسة تعبّر عن نفسها **برفضه البسيط للثدى**، وإذا كانت ميول الطفل أكثر عدوانية فإنها قد تأخذ **شكل العّض للثدى**.

ويظهر التحليل النفسى أن **النساء اللاتى يعانين من مشاكل فى الإرضاع ليس لها أسباب عضوية** أنهن يدركن فى أنفسهن هذه العدوانية تجاه الطفل الرضيع، ويشعرن لهذا السبب أثناء الإرضاع كما لو كن حيوانات، ويفشلن فى الإرضاع، وفشلهن محاولة للهروب ليس هدفها حماية أنفسهن بقدر ما هى حماية للطفل من مخاطر عدوانيتهن. ولعل

ذلك يفسر الكثير من **أحلام النساء** حول علاقاتهن بأطفالهن الرضّع، فقد ترى المرأة نفسها كما لو كانت حيواناً يدفع عن طفلها، وقد تحكى هى الحلم فتقول رأيت نفسى وقد تحولت إلى ذئبة شرسة. والتحوّل إلى ذئبة نجده كذلك فى الأساطير فى قصة **رومولوس** منشئ روما، حيث تجعل الأسطورة ذئبة ترضعه وأخاه **ريموس**، وتفسير ذلك أن الأم التى نبذت طفليها فى أول الأمر قد أرغمتها أمومتها على أن تعود فترضعهما ولكن فى شكل الذئبة، **إسقاطا منها بحقيقة مشاعرها**، وكأنما هى تقول عن نفسها إنها كانت ذئبة عندما هجرت طفليها. وهذا **النبذ** الذى يبدو فى تصرّف الأمهات، والذى يعوضن عنه بالعودة عندما يمتلأ الثديان باللبن يريدان الإفراغ، أو عندما تنتصربهن الأمومة، هو الذى يجعل علماء نفس من اليهود يقولون عن أسطورة نبيّهم **موسى عليه السلام** أن أمه نبذته بإلقائه فى اليم وعادت إليه فى وظيفة مرضعة. وهذا التراوح بين الرضوخ **لغرائز الأنا** أو الذات والانصياع **لغرائز الأمومة**، والذى يشكّل الصراع عند هذا النمط من النساء، هو محور أحلامهن وخلاصة الكثير من الأساطير المشابهة، ونتيجته تختلف من امرأة لأخرى حسب قوة الأنا أو الذات عندها، فلو كان الأنا ضعيفاً فإن الأمومة تغلبه، وإن كان قويا عنيفا غلبها، وإذا كانت هذه الميول المتناقضة متساوية الدرجة فى الأم، بحيث لا ينحسم الصراع لأيهما، فإن هذا الخوف الذى تعانى منه الأم، والعدوان الذى يعتمل فيها، وما يشحذه من وسائل دفاع تُستَنفر ضده، يجعل الأم تتداعى بالمرض بأن **تصاب بالعُصاب أو بالذُهان**.

ولقد ندهش أحيانا إذ نسمع أماً صغيرة السن حلوة رقيقة تقول عن رضيعها إنها تغثى منه أحيانا، وأنها لا تستطيع أن تنظفه، وتراه كالحيوان يبول ويتبرز على نفسه ويقئ ويبكى بدون عقل. وقد تقئ هى نفسها وهى تتناول بُرازه بيديها مضطرة وتشم رائحته. وشعور القرف أو الضيق أو الميل للغثيان هذا يرجع إلى حالة الإهاجة العصبية خلف عملية الرضاعة، حيث يتصل الثديان اتصالا مباشرا بالمبيض، واتصالاً غير مباشر بالرحم. وينفعل المبيض والرحم للرضاعة انفعالا انعكاسيا، وبذلك تخدم الرضاعة سرعة تماثل الوالدة للعافية بتأثير الانقباضات التى يستحدثها الانفعال الانعكاسى للرضاعة فى الرحم، فيقل حجمه بالتدريج بعد الولادة، ويتناقص دم النفاس. غير أن انقباضات الرحم من جهة أخرى تكون مؤلمة، وهذا التهيج الذى تصنعه الرضاعة بمص حلمة الثدى ينتقل إلى المبيضين. والحلمة من مناطق التهيج الجنسى، والرضاعة إذ تكون مؤلمة، وفى نفس الوقت

تهيج المرأة جنسياً، فإنها قد تنفعل للتهيج بالكف أو القمع، لأنها لا يمكن أن تسمح بالتهيج الجنسى خلال الرضاعة، أو أن تتراوحها هذه الأحاسيس المتعارضة بين الألم واللذة. ومع الكفّ أو القمع يكون الشعور بالضيق وبالغثيان بتأثير تكوين رد الفعل. وقد يمتد الكف أو القمع للذة الجنسية إلى عملية الرضاعة نفسهابحيث ترفضها الأم أيضا، ومن ثم تكون المتاعب فى الرضاعة، وذلك شئ لا نلمسه عند **الأمهات المحبات**، فإنهن قد يقلن صراحة دون خجل إن **الرضاعة تهيجهن، وإنهن يشعرن بألم شديد داخلى أو فى الفرج**، وتلك خبرة تنضم لخبرات الرضاعة عندهن وتصنع منها عملية بيولوجية محببة.

وإنه لأمر يستوجب النظر أن نعرف أن بعض القبائل البدائية التى ماتزال تعيش على الفطرة **تدفن الطفل الرضيع مع أمه إذا ماتت فى الولادة**. وهم يضعون الطفل على صدرها حتى إذا كان فى الآخرة فإن الطفل يظل يرضع منها، ويكون له الحياة فى الآخرة بلبنها. وهناك قبائل أخرى تقتل الطفل إذا ماتت أمه وهو لم يزل بعد رضيعا. وتلك عادات تقوم على الاعتقاد بأن الطفل الذى يُحَرم من أمه لا حياة له بعدها، وأنه لو نشأ دون أن يرضع حنان الأم فسيكون إنسانا جافا ممروداً لا يعرف الرحمة، وهو خطر على مجتمعه. وأحيانا يُفسَّر ذلك بأن حظ الأم سينتقل إلى الابن وسيُعديه فيجعله خطراً على من حوله. وهذه المعتقدات تشبه ما عندنا من نظريات علمية عن تأثير الحرمان العاطفى على نشأة الطفل النفسية وافتقاد التعَين بين الطفل وأمه. ويكفى أن نقارن حال الأطفال الذين يتربون بين أمهاتهم بالأطفال فى الملاجئ. واليُتم بافتقاد الأم **ليس فقط بأن تموت ولكنه أيضاً بأن تُشغَل الأم عن طفلها أو تنبذه**. وليس أفعل فى نفس الطفل من أن يُحَرم أمه. وأثبتت التجارب على القرود أن صغارها إذا حُرِمت الأمهات ماتت أو أصابها الدَنَف أو الهزال الشديد، وعانت الاضطرابات النفسية والقلق، وقلّت فرص أن تتعلم وأن تتكيف مع البيئة، فحتى الحيوان لا يستغنى عن الأم، وكل طفل فى حاجة إلى أمه فى كل مرحلة من مراحل عمره وأخصّها فترة الرضاعة، وعلى هذه الفترة بالذات يتوقف النمو الوجدانى للطفل واتجاهاته، وعلاقاته الانفعالية بالناس، ونموه الذهنى، وصحته البدنية، فالأم هى المصدر الأول للأصوات وللضحك والغناء، والطفل الذى لا يرضع من أمه ينشأ متوتراً، متصلب العضلات، ضحل التنفس، يعانى من الإمساك، متبلد الحس، متباعداً عن الناس، مكتئبا، قليل الاهتمام بالطعام أو بالنظافة أو بملابسه. وهناك دراسات حول تأثير المراضع على

نمو الأطفال واتجاهاتهم. وحتى الأطفال الذين تعهد أمهاتهم بهم إلى الحاضنات لفترة ست ساعات فى اليوم لانشغال الأم بالوظيفة، فإن الدراسة أثبتت أن هؤلاء الأطفال بمجرد إلحاقهم بالحضانة يتخلفون فى مهارة استخدام اليدين، وفى الإدراك والتذكر والتقليد والنمو الاجتماعى، وتكون بهم صُفرة فى الوجه، ويضطرب نومهم، ويصابون كثيراً بالأمراض. ويستمر تأثير الحرمان من الأم ومن عطفها وحبها مدى الحياة، ويطبع الشخصية لمدى العمر. ومن الممكن أن يتعرض الطفل الذى لا ترضعه أمه لاضطرابات الشخصية، وللاضطرابات العُصابية النفسية والذهانية وللتخلف العقلى. وإذن فالرضاعة مسألة حيوية ولها مردودها النفسى الهائل. وهى مستحيلة فسيولوجيا بدون الجانب النفسى، وهذا الجانب هو المركز الركين للرضاعة، وهو الذى يجمع بين الأم والرضيع فى وشيجة رقيقة النسيج لا نراها دائما بأعيننا. ولكى يعيش الطفل ويكبر لابد من الأم، ولكى تكون الأم أُمّاً لابد لها من الطفل. ومن المستحيل أن نغصب امرأة على أن تكون أُمّاً، فالأمومة لا تكون بالقسر. وهى تسرى من الأم للطفل عفويا وليست بمقتضى تعليمات وإرشادات. وينبغى أن لا ننسى للحظة أن المرأة العصرية تزحمها اهتماماتها الذاتية وتزاحم اهتماماتها كأم، وأن فرص أن تعيش القلق فى حياتها لهذا السبب قائمة، وأنها لا يمكن أن تكون أُمّاً بالإرادة الواعية أو بتحصيل المعلومات عن الأمومة. والكثير من أمهات اليوم يُرضعن على الساعة، وملولات ولا صبر لديهن برغم أنهن حاصلات على مؤهلات عالية ويشغلن مناصب كبيرة. والكثير من النساء يخشين الأمومة، وهن فاشلات فيها لأنهن يخفنها. والكثير من النساء أيضا بهن الأمومة كالجرس، تنّبهن إلى موعد الرضعة. وكلما كان الطفل صغيرا كلما كان الحبل السُرّى النفسى بين الأم وبينه قصيراً، فيكون التنبيه أقوى. وهن يفسّرن القلق كلما تركن الطفل فى البيت بأنهن يشتقن إليه، والحقيقة أنها الأمومة تكون الأم شديدة الحساسية لها، حتى لتكون لها بمثابة أُذن حادة ليست كآذان الناس، فتسمع بها أقل الحركة من طفلها، أو أقل الصوت يصدر عنه مهما كان بعيدا، وهو ما يشبه التخاطر. وعلماء النفس يقولون إن الأم أثناء الرضاعة تزيد بها حاسة السمع زيادة فطرية.

* * *

الفصل الواحد والثلاثون

النغـولـة Illegitimacy

اولاد السفاح ومستوى ذكاء المراة المسافحة، ومستواها الثقافى والاجتماعى، بعض الشخصيات الاجتماعية والادبية يلدن سفاحا، وسيكولوجية المراة المسافحة وتحليل موقفها إزاء ابن السفاح

النغولة بمعنى الإنجاب غير الشرعى، وابن السفاح أو النَغِل أو ابن الحرام هو ولد الزنا، وتبلغ نسبة النساء اللاتى يحملن قبل الزواج من ٣٪ إلى ٣٠٪ من كل الزيجات، إلا أن البعض يجهض، والبعض يدارى الحمل بالزواج فورا، ولذلك تقل نسبة الولادات غير الشرعية إلى ٥ ، ١٪ وربما تزيد عن ذلك فى بعض المجتمعات حتى لقد تصل إلى ٥ ، ١٦٪ من كل الولادات.

وترتبط النغولة بتدنى **مستوى ذكاء النساء** اللاتى يحملن سفاحا، ويتراوح حاصل الذكاء للغالبية من ٨٣ إلى ٩١. ولاشك أن المرأة التى تقبل على الحمل غير الشرعى أو التى تنجب سفاحا لأكثر من مرة أقرب إلى الغباء، ولاينفى ذلك أن تكون هناك حالات إنجاب غير شرعى من نساء ذكاؤهن أعلى من العادى. ولقد أنجبت الكاتبة الروائية **جورج صاند** ستة أطفال سفاحا. ويعنى تدنى مستوى الذكاء فى المرأة المسافحة أن مستواها الثقافى **والأخلاقى** منخفض أيضا. ويبدو أن الإنجاب سفاحا يرتبط أكثر من ذلك بسمات مَرَضية فى شخصية المرأة المسافحة، فالعُصابية عند هذا الضرب من النساء أعلى، وغالبا ماتكون لهن نمط **الشخصية المنبسطة**، إلا أن مفاهيمهن الاجتماعية خاطئة، ويأخذنها من التربية الخاطئة ومن أوساط عائلية مضطربة. ومعظم البنات اللاتى يلدن سفاحا علاقاتهن بأسرهن مضطربة، والكثيرات منهن من **النوع السيكوباتى المعتّل نفسيا**، كأن يكن **بغايا** أو **مخالطات**، أى لايدققن فى علاقاتهن الجنسية، ويتجردن لكل رجل وبعد دقائق من التعرف، أو قد يكن مصابات بالغُلْمة وبهن جوع جنسى للجماع لايشبع.

وربما يكون السفاح عن رغبة لاشعورية تستبد بالمرأة لتعيش من جديد الرابطة الرمزية التى كات تربطها بأمها فتحمل ولو عن غير الطريق الشرعى لكى يكون لها الولد. وربما تكون هذه الرغبة مجرد رغبة أن يكون لها ولد يخصها، وربما يكون الدافع إلى الإنجاب غير الشرعى الرغبة فى الانتقام من الأم، أو مجرد الرغبة فى أن تحمل.

والطبيعى أن تخشى البنت الحمل سفاحا، ويأتى ذلك بعد خشيتها من افتضاض بكارتها، وهاتان الخشيتان هما اللتان تصونان البنت عن التردى فى الزنا إن لم يكن لديها العفاف الذى يحميها بتأثير التربية. والخوف من الإنجاب يتابع المرأة حتى إذا تزوجت فهى أيضا تخاف الحمل والولادة والأمومة وتبعاتها. ولربما تذهل البنت عما حولها إذ تسمع أنها حامل سفاحا، وقد تصاب بصدمة عنيفة تجهضها. ولربما كانت المصاعب والمشاكل الجنسية التى تعانى منها غالبية البنات بعد الزواج فى حقيقتها مترتبة على الخوف من الحمل سفاحا الذى عانين منه قبل الزواج، ومع أن احتفالات الزواج والعقد الشرعى يقصد بها رفع الحظر عن العلاقة الجنسية بين الفتاة وزوجها إلا أن الكثير من البنات تظل بهن المخاوف المزروعة فيهن اجتماعيا وثقافيا من الحمل سفاحا. وقد تبدى بعض البنات دهشتهن بعد الزواج أن تكون حفلة العرس هى التى تبيح لزوجها أن يمتهن جسمها، وأن تكون لهذا الامتهان ثمرة من الأولاد. وقيل إن البنت المسافحة تكون بها الرغبة فى الولد أقوى من أى من العوامل النفسية السابقة ومتعلقاتها الاجتماعية والثقافية، حتى أنها اتُقبل عن طيب خاطر وبرغبتها الكاملة وإرادتها المطلقة على الزنا لتحمل، وهو شئ تأتيه لاشعوريا. وربما تكون الرغبة فى الجماع أقوى من المحظورات النفسية والاجتماعية والثقافية. ومن رأى **هيللين دويتش** أن بعض النساء عندهن الرغبة فى الحمل بصرف النظر عن أن هذا الحمل سيترتب عليه أن تنجب، وتسمى **دويتش** ذلك العاطفة للحمل، وهى عاطفة مستقلة عن عاطفة الأمومة.

والمنجبة فى الحرام يمكن أن تكون قاصرا كما يمكن أن تكون راشدة، ولكل منهما مشكلتها. والقاصر تغلبها غرائزها الجنسية وتنسى نفسها فى حمأتها. وقد تهرب البنت المراهقة من عواطفها تجاه أبيها إلى أحضان أول رجل يمكن أن يحل محل أبيها، وقد تدرك وهى تفعل ذلك أنها ترغب فى أن يكون لها ولد، وإن كانت هذه الرغبة تعمل عملها لاشعوريا وربما استهدت فيما تفعل تعيّنها بصديقة لها قد حملت، أو بأمها الحامل، أو بأختها الحامل، فأرادت أن تكون مثلهن انتقاما من صديقتها أو أختها أو أمها، وبدافع من الميل لإنزال هذا العقاب بنفسها لمشاعر الذنب تصارعها تجاه هذه الصديقة أو الأخت أو الأم. وربما كانت هناك أسباب أعمق من ذلك دفعتها إلى هذه المغامرة، وربما كانت نتيجة عدم نضجها وعدم إدراكها لمغبة الأمر ونزوعها الاندفاعى.

وقد تشعر البنت إذ تهاجمها المراهقة أنها لاحول لها ولاقوة وأنها وحيدة بلامعين، وتصاب من ذلك باكتئاب يورثها الهمّ فتحتمى مما بها بالانخراط فى المجتمعات المتحررة وتحصيل اللذات المحرمة، وخاصة إذا كانت البنت تعانى فى بيتها من سوء الفهم وسوء المعاملة، وعُرضة لثوارت انفعالية تحتدم بها فتعوض عن حرمانها العاطفى بأن تبحث عن الحنان خارج البيت، وتجد فى اللذة الجنسية مايخفف عنها، وفى أحضان الشبان وقبلاتهم ما يشبع فيها بعض حاجاتها العاطفية. والكثير من البنات الصغيرات اللاتى يلدن سفاحا هن من **هذا النوع الذى يسلم نفسه لأول رجل**، ويكون تسليمها لنفسها كاملا وبلا حذر. وهذا النوع نفسه هو الذى يأتى الجنس مدفوعا وكأنه يأتى **فعلا قهريا**، وتحمل الفتاة المرة بعد الأخرى، ولا تتعلم من كل مرة، وتعيش فى عالم من نسجها تحسب معه أنها تستطيع أن تتغلب على مشاكل الحمل والإنجاب غير الشرعى بمساعدة الناس من حولها، وتصر على أن تحتفظ بالجنين ثم بالولد الذى تنجبه، لأنها تحس لاشعوريا بالأخطار المحدقة بها فتريد استبقاء ولدها، لأن فى استبقائه معها حماية له ولها، وهى تسعى لاشعوريا إلى أن تحتمى من المستقبل فيه. ويذهب علماء النفس إلى تفسير هذه الحالات للبنات الصغيرات المسافحات بأن **الأنا** لديهن من الضعف والتهافت بحيث لايستطيع أن يحميهن من أخطار ومغريات العالم الخارجى، ويعجز عن أن يضمن لهن نوع التفكير الذى به تكون لهن الوسائل التى تتحقق لهن بها الرغبة فى أن يكن أمهات شرعيات. ومعظم هؤلاء البنات تكون الرغبة فى الإنجاب قوية لديهن حتى ليعملن على تحقيقها حتى ولو كان ذلك بالطرق غير الشرعية. وقد تحمل البنت رغم ماتعرفه من المخاطر الاجتماعية للحمل سفاحا، وتصر على أن تضع حملها وتحتفظ به وتتحدى المصاعب تحدٍ غير واقعى، ثم تحمل مرة أخرى وكأن فشلها الأول لم يجعلها ترتدع بل أثارها لتحاول أن تنجح، أو كأن الخوف من الحمل الذى كانت تبديه رجعاً لأفكار المجتمع والدين والعرف، كان هو الدافع لها لأن تحمل، تماما كما يكون الخوف من الموت دافعا للبعض لمحاولة الانتحار. وهذا الإقبال على الإنجاب ولو عن غير الطريق الشرعى عند البنات قليلات التجربة وغير الناضجات لاتفسير له إلا أنه رجع صدى لحاجة الأم الصغيرة لأن يكون لها أم هى نفسها. ويعلم كل المشتغلات بالتحليل النفسى وبالطب النفسى أنه لانجاه لأمثال هؤلاء الأمهات الصغيرات اللاتى تكون الأمومة لديهن فعلا قهريا إلا بأن تكون لها الطبيبة بمثابة الأم البديلة. وكثيرا ما تكون

الأمهات غير المتزوجات ذوات طبيعة نفسية خاصة تميل بهن إلى الماسوشية والسلبية والاعتمادية وذلك مايجعلهن يبحثن عن رجال لهم مواصفات سادية بحيث يعاملونهن بخشونة، ولايكون لديهم أى استعداد لتحمل المسئولية ويندفعون فى العلاقة الجنسية بهن من غير روية، فإذا كان الحمل فإنهم غالبا مايتملصون من التبعة، وتظل المرأة بسبب طبيعتها الماسوشية تكن مع ذلك لهذا الرجل بعض الحب وأجمل الذكريات من بعد، ولاتستطيع أن تنساه، لأنه أول رجل فى حياتها، أو أول رجل يفض بكارتها، أو أول رجل تحمل منه. والطبيعة الماسوشية تميز عددا كبيرا من الأمهات غيرالمتزوجات ويناسبهن أن يشعرن بالذنب بسبب الحمل غير الشرعي.

وقد تلقى البنت التبعة على الرجل الذى أوصلها إلى هذه الحال، وقد تتأفف من ابنها الذى ولدته وتريد أن تتخلص منه بأى طريقة كانت. والبعض من هذا النوع يحاولن أولا أن يجهضن، فإذا لم يستطعن فإنهن بمجرد أن يضعن حملهن قد يلقين بالطفل على قارعة الطريق وذلك مايحدث كثيرا فى الأرياف وبين العاملات. وإذا كانت المرأة على قدر من اليسار فإنها تعدّ له الناس الذين يتولون تربيته دون أن تتعرض سمعتها للضرر. وغالبا ماتكون البنت أو المرأة من هذا النمط من النوع المتمرد على الأبوين والذى يجد فى الزنا، حتى وإن كان مع عشيق أوحبيب، أمراً لاتوافق عليه عقليا ولكنها تفعله فى تحدٍ لأهلها، ثم من بعد تلوم عشيقها أو حبيبها لأنه اشترك معها فى هذه الجريمة. ورغم أنها تكرهه فعلا بعد أن تعرف أنها حامل ولاتستطيع حلا لمشكلتها فإنها قد تستمر معه بسبب ظروفها، وتتنكر لكل حياتها السابقة كموقف معاند.

ويبدو أن الإنجاب سفاحا فى بعض العائلات بالوراثة، وكثيرا ماتُسأل البنت التى تلد بدون زواج ماإذا كانت هناك أخريات فى أسرتها قد أنجبن بنفس الطريقة فإنها تذكر عددا لابأس به من قريباتها، وهى تسمع منذ طفولتها أن أمها مثلا تزوجت من أبيها بعد قصة حب، تدخلت فيها الشرطة وأجبرت الزوج على الزواج من أمها التى كانت قاصرا وأغواها الزوج فحملت منه، وكان عليه أن يتزوجها أو يسجن. وربما كانت لها خالة تزوجت ولكنها هربت مع شخص آخر خلاف الزوج. وغير هاتين ربما كانت هناك بنات أخريات فى العائلة لهن نفس القصة. وقد تكون البنت قد سارت فى نفس الطريق بتأثير التربية، وقد تتعين بأمها وتقلّدها فى سيرتها.

وهناك طائفة من النساء المسترجلات قد يسعدهن أن ينجبن سفاحا، وكأن المرأة تباهى بأنها **الأم والأب** معا للطفل، وكأنها فى غير حاجة للرجل لتنجب ولداً، وتعى ذلك وعيا كاملا وتتحمل مسئوليته، إلا أنها من ناحية أخرى تلاحق الأب بطلباتها وتهديداتها **انتقاما** منه كرجل وليس كأب للطفل.

ويختلف **تأثير الحمل سفاحا** على البنت وأسرتها باختلاف طبقتها الاجتماعية، وتتفاوت ردود الفعل إذا كانت البنت من أسرة متوسطة أو إذا كانت قد تلقت تعليما جامعيا، عنها إذا كانت من أسرة عاملة وتعليمها متوسطا. والغالب أن تحاول البنت حلّ مشكلتها بالتخلى عن الطفل بالإجهاض أولاً أو بأى طريقة أخرى من بعد الولادة. وهى إذ تفعل ذلك تتخلى مع الطفل عن عالمها الداخلى وتخضع لمعايير العالم الخارجى. وعلى أى الأحوال فالنساء فى هذه المحنة يعبرن عن اتجاهاتهن حيال العالم ككل وحيال الأمومة فيهن خصوصا، فقد تكون المرأة من النوع المسيطر، أو صاحبة مطالب، أو متمردة، أو سلبية أو عصبية، أو متشككة، أو مستسلمة، ولهذه الميول عندها تأثير ضخم على استقبال الحمل واحتماله، ومدة الحمل، وصعوبة الولادة، والاحتفاظ بالمولود. والمرأة فى كل ماسبق من وظائف أنثوية تحتاج إلى آخرين إلى جانبها، وذلك دليل أن المرأة بطبيعتها اعتمادية وفى حاجة باستمرار إلى رجل إلى جوارها، وإلا فانها لايمكن أن تستمر إلا بمساعدةٍ من جهة ما. ولربما تستطيع المرأة غيرالمتزوجة أن تضع مولودها بدون مساعدة ولكن ذلك لايكون إلا على حساب صحة الأم أو الوليد. وتختلف مشاعر الأم المتزوجة حيال وليدها عن مشاعر الأم غير المتزوجة، ورغم أن البعض فعلا يدرن ظهورهن للوليد، إلا أن المرأة غير المتزوجة حتى وإن كانت طفلة، تتفجر بها الأمومة على أى وضع، ولايقطع السيال العاطفى بينها وبين وليدها إلا الظروف الاجتماعية من حولها، ومهما كانت فإنها دائما تطلب رؤية هذا الوليد وتفصح عن حب استطلاع عجيب وهى تتطلع بدهشة لهذا الكائن الذى تخلّق داخلها وأفرزته للعالم، ولولاها ما كان يوجد ولايرى النور، وأحيانا ماتنتظر لانفصاله عنها بحزن وتصاب باكتئاب أن خرج من بطنها وغادرها. وهى إذا كات تريده فإنها كانت تريده لها خالصا وكأنه جزء منها كيدها مثلا، ولكنها تجده يسلك سلوكا منفصلا عنها، فهو يطرف ويتثاءب ويحرك يديه ورجليه مستقلا عنها، وحياته له وحده مهما تفرض نفسها عليه. وكانت أثناء الحمل تفكر فى ظروفها، وتفكر فيه، وتتكهن بشكله، وتعيش معه بأفكارها، وبالنظر

لأنها بلا زوج فهى تعيش كل هذه الأفكار والمشاعر والقلق والمخاوف والترقب وحدها، والأمومة التى تعانيها خلال الحمل هى أمومة تعيشها **كخواطر**. وبعد الوضع تجد أن من فكّرت فيه هذا التفكير المضاعف قد أصبح واقعا يجسد وحدتها معه وموقفها الذى لايحسدها أحد عليه. وهى تكتئب إذ تجده يعتمد عليها تماماً ومع ذلك فهو هناك متفرد وبلا حول ولاقوة، ولايمكن أن تتصور أن تتركه. فإذا أرضعته فربما تنشئ معه علاقة حيوانية لصيقه به كالعلاقة التى تكون بين الحيوان ووليده، وقد تجد أن إرضاعه والعناية به أتعب لها من الحمل، ولكنها قد تأنس به وتعيش معه وهو فى حضنها أو مطروحا بالقرب منها لحظات غنية بالمشاعر، قد تجعلها تفكر ألف مرة قبل أن تتخلى عنه، وفى ذلك تقول **سيمون دى بوفوار** عن إحدى بطلاتها المسافحات إنها كانت ترضعه وتحتمل بقاءه على صدرها بالساعات، ولاتفكر فى شئ آخر وهو هناك منتظرة إلى أن يترك ثديها.

ومن النسوة المسافحات من لاتستيطع إرضاع الطفل وتظل مشاعرها اللامبالية التى كانت بها أثناء الحمل مستمرة معها بعد الولادة. وقد تخاف أن تضعه فى يديها، وربما تغثى. وبعض هؤلاء الأمهات تفاجأ بأن المسئوليات الواقعة عليها بعد الولادة لم تكن تفكر فيها، وكانت فى الحمل مجرد منتظرة وأما الآن فهناك مخلوق له مطالب. وقد تفرح الأم وهى تستقبل الوليد وتبدى سرورها به وتداعبه وتلاطفه، ثم تخرج من المستشفى وتجد نفسها معه وهى مثقلة بالعبء وحدها. وهذا **الصنف النرجسى** الذى يخشى على نفسه وجسمه أن تتلفه الرضاعة، وتكره أن يمص الصغير ثدييها، وتشكو من وجعٍ بهما، وتشبّه الطفل فى الرضاعة بأنه يمص عافيتها وحياتها وسعادتها، وأنه يستعبدها وتقلب له ظهر المجن، وتعاديه باعتباره لم يعد منها وصار غريبا عليها يهدد حريتها وكل ذاتها. **والأمومة المسافحة** على أى الأحوال تخيّب ظن الأم بما كانت تتوقعه منها، والأمومة عموما عندما تخبرها المرأة تكون لها زهوة كزهوة البلوغ أو الجماع الأول وفض البكارة، ولكنها تفاجأ بما فيها فتصيبها حسرة. وحسرة الأم المسافحة أبلغ وأقوى أضعافا، وربما قد تستعرض حبها للوليد ورغبتها فى الاحتفاظ به، ولكنها ربما تزيح إليه كل ماكانت تكّنه لأبيه الذى تخلّى عنها وهجرها. وتقول **سيمون دى بوفوار** إنه ليس صحيحا أن هناك غريزة أمومة، وأن **المرأة بحسب مشاعرها تجاه ظروفها** قد تحب أو تكره وليدها، وأن **غريزة الأمومة ربما تصدق مع الحيوانات ولكنها ليست مع الإنسان**، وأن المسألة كلها مع الإنسان مسألة

مواقف تدخل فيها اعتبارات لا أول لها ولا آخر، وأن الأم مالم تكن ظروفها صعبة فستجد أن إنجابها يثرى حياتها، إلا البغىّ التى تلد، والمرأة التى تنجب بدون زواج: فإنهما لايمكن أن يستقبلا الوليد استقبال الأم العادية المتزوجة. وتقول **سيمون دى بوفوار** إن المولود هو برهان **واقعية وجود المرأة**، وبالنسبة للمرأة غير المتزوجة فإنه **دليل الخطأ يكتنف حياتها كلها**، وبدلا من أن يكون الوسيلة للمرأة المتزوجة التى بها تقبض على الواقع وتمسك به وتعايشه بكل قوتها، فإنه مع المرأة غيرالمتزوجة **دمار حياتها**. وهى تشعر بثقله بين يديها يثقل حياتها ويضع ثقل العالم على كتفيها، بينما مع المرأة المتزوجة فإنه رباطها بزوجها وبالمجتمع، وبه تتخفف من كل ما كان يرين على حياتها من مخاوف وتوقعات.

***

الفصل الثانى والثلاثون

الأمومة Matriarchy

المرأة كانت لها السيادة وما تزال بدليل الإلاهات الأم فى الحضارات الأوروبية المسيحية والآسيوية. غريزة الأمومة وحب الأم. والوظائف الفسيولوجية فى المرأة وارتباطها بالأمومة. وانماط النساء فى الأمومة. وسيكولوجية الجدة الأم. وحالة المرأة التى تتبنى أطفال غيرها. والسارقة لأطفال غيرها. وسيكولوجية بعض المهن كالتدريس والحاضنات والقابلات إلخ

من رأى الكثيرين من **علماء الاجتماع** أن المجتمعات التى كانت تسودها الأم سبقت المجتمعات التى سادها الأب، وأن النساء كن يخترن شركاءهن فى المضاجعة اختياراً حراً تدفع إليه الرغبة فى الاستمتاع الجنسى وليس بهدف أن يكون لأطفالهن آباء يستطيعون إعالتهن وإعالة الأطفال. ودليل هؤلاء العلماء أنه فى الأمم القديمة **قد سبقت الإلاهات وجود الآلهة**. ولقد تبين للرجل من بعد أن النساء لايحملن إلا به، فأعطاه ذلك الدور أهمية انعكست فيما آل إليه من سلطات، جعلته يطلق اسمه على الأنهار ويتصور القوى الغيبية فى الطبيعة على ذكورته ويعطيها مسميات ذكورية. وكانت الحروب على الأراضى سائدة فى العالم القديم، وكان اتقان الرجال وتفرغهم للحروب سببا فى استشعار القوة على النساء، وبذلك انتقلت السلطة بالتدريج من النساء إليهم. ومن رأى البعض أنه ربما كان التحول من المجتمعات التى تسودها النساء إلى المجتمعات التى يسودها الرجال بسبب اكتشاف الرجل أنه **يستطيع أن يجبر المرأة على مضاجعته** فتحمل منه قسرا عنها وضد رغبتها، وهو مالا تستطيع الأنثى أن تفعله بالرجل، ولعل ذلك هو ماجعل الرجل يستشعر قوة فيه جعلته يتصدر المجتمعات القديمة المتأخرة ويأخذ بزمام الولاية فيها دون المرأة. ويصدق هذا القول على كل المجتمعات التى دالت دون استثناء، غير أن بعض المجتمعات الحديثة ماتزال فيها السيطرة للأمهات وإن شاركهن فيها الرجال، وإننا لنسمع عن **ملكات** يحكمن أوروبا **ورؤساء وزارات** فى بلاد من آسيا. ولو تأملنا التاريخ الدينى لهذه الأمم لوجدنا أنه ماتزال لها أيضا **إلاهات** بالإضافة إلى **الآلهة**، **وللعذراء مريم** أقنوم يتعبّد به المسيحيون تعبدهم بأقنوميّ الأب والإبن. وفى الهندوسية يتعبدون للإلاهة **دورجا** زوجة الإله

سيفا، والإلاهة **لاكشمى** زوجة الإله **فشنو**. ولدورجا صورتان، واحدة فيها قاسية، وفى الأخرى هى الرحيمة وتسمى لذلك باسم **الأم uma**. ويجمع علماء الأنثروبولوجيا على أن فكرة **الإلاهة الأم** هى **فكرة آرية** وتكاد تكون لدى كل الشعوب والأجناس الآرية، بعكس الفكرة عند **الساميين** حيث **الإله ذكر غالبا**. ويبدو أن **الأمومة** لعبت دورها قديما على المستوى الشعورى للشعوب وعلى المستوى اللاشعورى أيضا. وللأمومة تأثير **سايكولوجى** حيث هى مدار الصراعات التى يقال لها **صراعات أوديبية** فى الطفولة، ولايكاد يوجد من هو بمنأى عنها. ويبدو أن أمثل الروابط العائلية هى ماكانت فيه تأثيرات الأم والأب على الأبناء متوازنة، فإذا مالت كفة الأم تقوض التوازن النفسى للأطفال وشبّوا باتجاهات نفسية معينة تنطبع بها جنسياتهم، وقد ينشأون بميول جنسية مخالفة لحقيقتهم، فمن تأثير انطباع الذكر بالأم، أنه قد يخرج متعينا بها فيأتيه الذكران، وقد تكره البنت الأمومة برمتها بسبب أمها المسيطرة أو النابذة لها، وقد تأنف من دورها الأنثوى لأنها تريد أن تتنكب دور الأم، وتتكون لديها ميول واتجاهات ذكورية. والطفل فى نحو **الثانية أو الثالثة** تبدأ معه هذه الصراعات الأوديبية فيهفو لأمه ويغار من أبيه، ولكنه يخشاه فيتملقه ويتحايل على تحقيق غايته بامتلاك أمه بأن يتعين بالأب ليكون مثله، فلعل ذلك يقرّبه منها ويرضى الأب. ويدفعه إلى ذلك مايسمى **بعقدة الخصاء**، حيث كثيرا مايتهدده الأب مباشرة أو غير مباشرة بإخصائه. ويقول **فرويد** إن الإخصاء أثر من الذاكرة السلالية فى الطفل، نتيجة قيام الآباء فى السلالات البشرية الأولى بإخصاء الأبناء إذا نافسوهم فى المرأة. ويفسر **فرويد** عادة **الختان** كبديل رمزى للخصاء ومظهر لخضوع الإبن لإرادة الأب. ويشاهد **الخصاء كسلوك عند الكثير من الحيوان** كأثر من الفطرة، فالأرنب القوى يعض الضعيف فى خصيتيه إذا تنافسا على أرنبة أنثى. ويقوم الرجال بإخصاء الرجال كما عند الشعوب إذ تخصى الغريب أو الجنود الغزاة المهزومين عندما يدحروهم عن بلادهم وإننا لنلمس ذلك فى **نقوش معابد الأقصر** حيث يظهر إخصاء جنود الأعداء. وأيضا فإن الولد إذ يرى أن أمه ليس لها قضيب فإنه يخاف أن يكون مثلها، وكذلك تكره الإبنة أمها إذ تعزو ضعفها إلى حقيقة عدم امتلاكها القضيب، فتهوىَ أباها، ثم تتعين بأمها وتتقمص شخصيتها، وتكون لها نفس طرقها فى استمالة الأب، لعلها من بعد يكون لها هى أيضا زوجٌ مثِله، فيكون لها بطريقة غير مباشرة القضيب الذى حُرمت منه.

وللمرأة الأم أوالتى تكون الأمومة أبرز صفاتها **سيكولوجية خاصة**، وهى على عكس **المرأة الأنثوية**، أى التى تحفل كثيرا بأنوثتها، فإن الجانب النرجسى القوى فيها لاينصرف

إلى نفسها ولكنه يتوجه إلى طفلها أو من يحّل منها محل طفلها. وهى تحتمل الألم من أجل هذا الطفل، **واحتمال الألم** هو الشق الثانى من جنسيتها. وقد تعتدى بحكم الفطرة لصالح أولادها، وفطرتها أو **غريزة الأمومة** maternal instinct فيها بخلاف الحب **الأمومى** maternal love أى الحب الذى تودعه فيها الفطرة لأولادها، **فالغريزة** بيولوجية وهى أصل هذا الحب ولاعلاقة لها بالحضارة أو التعليم أوالثقافة، وأما **الحب** فإنه مسألة نفسية، وهو الذى يدفعها إلى التعبير عنه بالحنان والحدب. والمرأة تختفى فيها أنوثتها وتنزع عنها رغباتها الجنسية إذا تعارضت مع محبتها لأولادها، وهى تضحى بمتطلباتها الشهوية جميعها فى نظير رعاية أولادها، فإذا كبر الأولاد ولم يعودوا فى حاجة إليها فإنها تتواجه مرة أخرى مع متطلباتها النرجسية وتولى نفسها كل الرعاية وتضرب عرض الحائط بكل مايعوقها إشباع هذه الحاجات النرجسية القوية فيها.

وتترابط **الوظائف الفسيولوجية** فى المرأة مع مايحتاجه طفلها وتوقظ فيها نوازع الأمومة الكامنة بحكم الفطرة، فمثلا تهفو كل امرأة إلى **العطاء**، وعطاؤها هذا يصحو فيها لتمارسه فى شكل الحليب الذى تغذى به الطفل، وهى تحدد طعامها وأنواعه وأوقاته بما يمكنها من توفير هذا الحليب للطفل، ويطلق علماء النفس على هذا العنصر فى شخصية المرأة اسم **العنصر الفمى**، وهى تمارسه بالاهتمام **بغذاء طفلها**، وتبسط هذه الممارسة أكثر بأن تهتم **بغذاء أسرتها**، فتطهو لهم وتعد المائدة، وتوليهم رعايتها بتوفير ماتظنه يفيدهم غذائيا، وقد تزيد هذه الميول فتكون **كريمة** مع جيرانها وصديقاتها وتستضيفهم إلى أصناف من الأطعمة. وهذا **الاهتمام بالطعام** ومايتصل به نلمسه قويا فى **المرأة العربية** حتى أنه لبيبرز كصفة من صفاتها كامرأة.

ومع أن **الأمومة فطرة** فى المرأة، إلا أنها تختلف كفطرة عندها عنها عند **الحيوانات**، فالمرأة يمتد حبها لأولادها إلى مابعد فطامهم وبلوغهم وخلال حياتها كلها. ولعل من أبرز صفات الأم أن حبها لأولادها قد يسبب لها آلاما تتحملها بما يعرف عنها من ميول **ماسوشية**، فالأولاد يكبرون ويتعلمون أن يستقلوا عنها، ولكنها باستمرار متعلقة بهم، وقد يؤذيها هذا التعلّق نفسيا وماديا ويكلفها الكثير. وللأم استجابات عاطفية تتنوع بتنوع مراحل حياتها المرتبطة بأولادها، وترتبط بسيكولوجية هذه المراحل، فهناك مشاعر عميقة تحسها عندما تدرك أنها قد حملت، ومشاعر أخرى خلال الحمل، وثالثة إذ ترى طفلها بعد

الوضع، ورابعة وهى ترضعه منها، ثم وهى ترقبه يكبر ويصبح شابا ويتزوج، وفى كل ذلك يحفل عالم المرأة بأشياء لايعرفها عالم الرجل، وهذا **الثراء** الذى عليه المرأة هو ما يميز **عالم المرأة السيكولوجى** عن **عالم الرجال السيكولوجى**. وإذا كانت **الغريزة الجنسية** تتميز فى الرجل عن **الغريزة التناسلية**، وكذلك **غريزة المحافظة على النفس** التى تتمايز فيه عن **غريزة المحافظة على النوع**، فإن هذه الغرائز فى المرأة تسلم الواحدة الى الأخرى وتتشابك بحيث لاتبين كما هى عند الرجل. وهناك من الشواهد مايثبت أن الغريزة الجنسية فى الحيوانات والطيور **تخدم** غريزة الأمومة، فالحيوانات والطيور لاتتناكح غالبا إلا فى مواسم معينة بحيث تأتى مواليدها فى الظروف المواتية من ناحية المناخ والغذاء، فإذا حملت الإناث فلا شهوة جنسية ولارغبة فى السفاد، وأما فى الإنسان فالغريزة الجنسية والأمومة مرتبطتان بطريقة أو بأخرى غالبا، فإذا انعدمت الواحدة فقد تنعدم الأخرى. وهناك نساء لايشتهين الجماع ولايرغبن أن يكون لهن ولد، وأخريات شهوتهن عارمة ورغبتهن فى الإنسال قوية وغريزة الأمومة لديهن فى أعلى حالاتها، على عكس الحيوانات، فلقد أمكن تعقيم الكثير من أنواع الإناث فى الحيوانات عن طريق استئصال المبايض فكان العزوف عن الجنس ولكن الأمومة ظلت كما هى. وكذلك أمكن صرف حيوانات التجارب عن الأمومة بمعالجتها هرمونيا فانصرفت بالتالى عن الجنس. وأما **عند الإنسان** فللجنس والأمومة تعقيدات مختلفة، فلربما تختار إحدى النساء رجلاً بعينه كزوج لأنها ترى أنه أصلح الناس لكى يكون لها منه الولد النابغ، أو لأنه الكفيل بالإنفاق على البيت، بينما قد تتخذ لها عشيقا يُرضى فيها نوازعها الجنسية، وأما **المرأة المتكاملة نفسيا** فهى التى ترضى الجنس عندها والأمومة معاً من خلال **رجل واحد** تحسن اختياره لهاتين المهمتين معا. ولقد كان **بلزاك** بارعاً غاية البراعة عندما لمس بحسه الأدبى تكامل الجنس والأمومة فى روايته «**امرأتان**» حيث جعل المرأتين تتراسلان، وكانتا صديقتين حققت إحداهما لنفسها الحب دون الإنجاب، بينما كان للأخرى الأولاد دون الحب. وكانت كل واحدة تتحسر على نفسها وتتمنى ماكان للأخرى. والحقيقة التى يريد أن يقولها **بلزاك** أنه لاغنى للمرأة عن **الجنس والأمومة معاً**، وأن تحقيق أيهما دون الآخر لايمكن إلا أن يصيب المرأة بالاضطراب النفسى ويشعرها بالشقاء. ولقد كانت **البارونة لويز ماكومير** كما رسمها **بلزاك** امرأة من الطبقة العالية، وهبت نفسها للحب وللمتعة الجنسية، بينما كانت ربيبتها **رينيه إيستوراد** أمّاً

بمعنى الكلمة حتى أنها كانت تسلك مع زوجها سلوك الأمهات. وكتبت لويز تقول : إننا امرأتان، أنا أتعبّد للحب العظيم، وأنتِ أسعد الأمهات، وإنى لأعتقد أنه لاشئ يضاهى متعة الجنس، وأنتِ عرفت الأمومة ومباهجها. أكتبى لى عنها لأعرفها من خلالك....

والحقيقة أن لويز ماكانت تمارس الحب فى كل مرة وتنتهى منه إلا وشئ فى أعماقها يصرخ فيها بأن «**المرأة التى لم تنجب هى شئ بشع. إننا معشر النساء وُلدنا كى نكون امهات. إنى أهفو أن أسمع من يناديني أمى**». ومع ذلك فسرعان ما كان نداء الأمومة يطغى عليه عند لويز نداء الجنس. بينما المرأة الأخرى رينيه تكتب «**إن سعادتى الحقيقية هى إدراكى أنى جددت حياة رجلى المسكين بما أعطيته من أولاد، وإن عزائى أنى رغم أن الحب يعوزنى إلا أنى ربما كانت لى رسالة، وكلما رأيت أولادى تحصلت لى القناعة أن الأولاد ربما يعوضون عن الحب**». ورينيه ترى أن الأمومة إذن هى المراد من أى علاقة جنسية، ولقد كانت الرغبة فى الولد قوية عندها، وكانت غريزة الأمومة هى التى تهدى سلوكها وتملى عليها تصرفاتها وتجعل من حياتها رسالة. وهى عندما لاتبدى أسفها على الحب الذى لم تجده تشعر بأن الأمومة قد ملأت عليها حياتها حتى أنها لم تشعر بالنقص. وإذن فالحب أو الجنس عند لويز لم يغنها عن الأمومة، بينما عند رينيه أغنتها الأمومة عن الحب. وهى تكتب لصديقتها اللعوب «**لقد استغنيت عن الحب والمتع الجنسية التى كثيرا ما أهفو إليها والتى لم أعرفها إلا من خلال أوصافك لها. كم هو جميل وصفك لليالى الحب والهمسات والأحضان ودفء القلوب والشفاه والجسد**». وإذن كانت للحب عندها أشواق تصارعها وتجد له أصداء فى أعماقها، كما كانت عند رينيه للأمومة أشواق تغالبها وتشعر بإزائها أنها تعيسة. ولقد كانت الصورة القلمية التى صاغتها عبقرية بلزاك أكمل من أى توصيف حى إكلينكى لمدى مايصيب المرأة إذ تفصل بين الجنس والأمومة. وكانت حياة رينيه كلها أمومة، سواء فى علاقتها بأولادها أو بزوجها أو بالناس كافة. وكانت تشتاق للجنس ولكنها ماكانت تسمح لرغباتها أن تضللها أو تصرفها عن أمومتها، وكانت تكتم أشواقها ولم تصرّح بها إلا لصديقتها. وتوجهت بطاقتها الشهوية كلها **لأولادها**. غير أن هناك من النساء صنفاً يتوجه بهذه الطاقة إلى **أولاد الآخرين**، وقد يصرفها فى مجالات أخرى تختص بالكبار، والكثير من هؤلاء النساء يخترن لأنفسهن مهناً **كالتدريس والتمريض** تتحقق لهن من خلالها أوجه الإشباع لمشاعر الأمومة. وتروى **هيلين دويتش** عن مريضة لها

كانت تعمل **قابلة**، وكانت متفانية فى عملها وتشعر بسعادة غامرة كلما ساعدت فى حالات الولادة المختلفة، وكانت تقول إنها تريد أن ترى على يديها ميلاد عشرات الأطفال، وكانت تحب منهم الضعيف الذى يحتاج إليها أكثر من غيره. وقد تبين من التحليل النفسى لحالتها أنها ظلت تكره أمها لأنها أنجبت طفلا بعدها وهى صغيرة، ولقد ظلت تلوم نفسها لأنها تكره أمها، وكانت تراودها فكرة قتل هذا الطفل شقيقها، وخافت من فكرة الموت، وظلت تتعاورها عند صغرها المخاوف والأفكار حول الموت والحياة. وكانت تسمع عن آلام الولادة، وعرفت أنها مرتبطة بالجنس فعزفت عن الجنس حتى لاتتألم، وعوّضت نفسها عن مشاعر الأمومة بأن صارت **قابلة**، وتفانت فى عملها وكأنها هى نفسها التى كانت تعانى آلام الولادة. واختيارها لهذه المهنة دون سواها تعبير عن شعورها بالذنب تجاه أمها. ولقد أعطت هذه المرأة طبيبتها **هيلين دويتش** صورة لها تحتضن ثمانية أطفال حديثى الولادة، وذلك تجسيد حى للأمومة فيها.

وهناك صورة أخرى للأمومة يقدمها الكاتب الوجودى الأسبانى «**أونا مونو**»، وهو يروى عن سيدة اسمها **تولا** كانت الأمومة كل حياتها، وعلاقتها بالعالم من حولها علاقة أمومة ولا شئ غير ذلك، وكانت تحتقر الجنس وكل ما يتصل به من قريب أو بعيد، ولكنها إذا سمعت عن أمراة حامل ذهبت تُعنَى بها وكأنها الفلاح يعنى بزرعه أو البستانى يهتم بورروده. وكان اهتمامها ينصبّ أساساً على الجنين أو الوليد، فهذا هو ما يشغلها أمره وتعانى فى سبيله. وهى صنو القابلة التى سردت **دويتش** حكايتها، إلا أنها بقدر ما تحافظ على الوليد تهمل الأم وتقسو عليها حتى أنها تتسبب فى موتها. ويقول **أونا مونو** إن **تولا** كانت تحب رجلا دفعته دفعا وهو المحب الواله لها، إلى أحضان أختها وخطّطت لزواجها حتى أنجبت الأخت فأخذت منها طفلها لتُعنَى به هى، ووالت تحريض أختها على الإنجاب وهى الضعيفة حتى ماتت فى إحدى الولادات وتركت لها كل أطفالها. وعاشت **تولا** فى بيت أختها تولى أولادها عنايتها باعتبارها الخالة والأم البديلة. ولقد أوعزت إلى زوج أختها أن يتزوج من خادمتها لتستولدها المزيد من الأطفال، ولتموت الخادمة أيضا وتترك أولادها **لتولا**. ويظل زوج أختها يهواها ويتمناها وتمتنع عليه ولكنها تريده لنفسها طفلا آخر ينضم إلى بقية الأطفال. ويتبين من القصة أن **تولا** هذه كانت تعيش فى أوهامها تلك منذ الطفولة ولم تكن تتصور أن أمها جاءت بها من مضاجعة رجل، إذ كان أبوها قد مات قبل أن تولد، وعاشت بفكرة **أن الأمومة يمكن أن توجد بلا جنس**، ومن ثم عاشت حياتها وكأنها صورة أمها المتوهمة.

وهناك الكثير من السيدات يعشن فى فزع من الجنس ولكنهن يشبعن الأمومة فيهن بطرق غير مباشرة، والكثيرات منهن يتركن أمر الاستمتاع الجنسي والزواج والولادة لغيرهن ويرضين فقط بدور الأمومة. ورغم أنهن قد لايفصحن صراحة عن **الخوف من الجنس** إلا أنهن فى أعماق اللاشعور يصدرن فى تصرفاتهن عن هذا الخوف. والبنت من هذا النوع تستوعب دور أمها وتتمثله فى نفسها وتريد أن تقوم به عندما تكبر، ولكنها تتنكب طريق الشهوة التى رأت أمها تنزلق إليها فى حياتها العائلية مع أبيها، وظلت تلومها لأنها تردّت فيها، ومن ثم تريد لنفسها أمومة تناسب ذاتها العليا أوالمثالية أو مايسميه **فرويد الأنا** المثالى عندها، أى **أمومة بدون جنس**. وأمثالها من الفتيات والنساء يتكيفن تكيفا عظيما مع الواقع المحيط بهن ويشبعن فى أنفسهن الأمومة بالانخراط فى **النشاط الاجتماعى** وامتهان بعض الوظائف بخاصة. وعندما نحلل دوافعهن لأمثال هذه المهن نجد أنهم أحيانا يحرصن على إضفاء الحنان والرعاية على الأطفال الذين يناط بهن العناية بهم، حتى أنهن يتميزن على الأمهات الأصليات وكأنهن يقلن إنهن وهن **الأمهات البديلات** أصلح للأمومة من **الأم الطبيعية**. وإذا لم يكنّ عُصابيات فإنهن يفلحن فى القيام بهذا الدور بشكل رائع، إلا أنه كثيرا مايصدرن فى هذا العمل عن صراعات عُصابية ولايستطعن أن يكتمن العداء الذى يعتمل فيهن لهؤلاء الأمهات الطبيعيات. وبعضهن يرفضن الزواج ويخترن هذه المهن كنوع من التكفير عن المشاعر العدوانية المكبوتة بهن ضد أمهاتهن وأخواتهن وإخوتهن، ولهذا تراهن يكرسن أنفسهن لخدمة الأمهات والأطفال ويتفانين فى هذا العمل حتى لتكون له آثار تربوية ضارة. وتنتمى المدرّسات اللاتى يتعرضن للإهانة وسوء المعاملة من تلميذاتهن برغم طيبتهن ووداعتهن لهذا النمط. وهذا النوع من المدرّسات التعيسات يحاولن أن يشبعن الأمومة فيهن بطريقة خاطئة. وإننا لنلاحظ أن الكثيرات من **المدرسات الصغيرات الحجم** يؤثرن المدارس الابتدائية على غيرها من المدارس، ليكون تلاميذهن من صغار الجسم، وربما كان السبب أنهن فى طفولتهن عانين من ضمور أجسامهن، وظلت الواحدة منهن تهفو أن تكبر وتعجلت البلوغ وأن تكون أماً، ومن ثم ذهبت إلى إشباع هذه الرغبات عندها بهذه الطريقة التى توفق بها بين واقعها وماتريده لنفسها.

وهناك غير هذه الحالات من تلجأ من النساء إلى رعاية أطفالها وأطفال الآخرين، **ولاتنجح فى عملها كأم لأولادها إلا إذا كانت ترعى أطفالا لغيرها**، وأيضا لاتنجح كمدرّسة

أو حاضنة لأطفال غيرها إلا إذا كان لها أطفالها، وإلا فهى تفشل هنا وهناك بسبب عجز عُصابى يحول بينها وأن تنفرد بأى من العملين دون الآخر. وتشبه هذه الحالة المرأة التى تسعد فى زواجها إذا كان لها صديق أو صديقة تتوجه إليه أو إليها بحبها بالإضافة إلى زوجها، أو المرأة التى لاتستطيع أن تحب زوجها إلا إذا كان هناك آخر فى حياتها يشاركه حبها المتوقد. وكل هذه طرق يلجأ إليها البعض لإشباع المشاعر المتوزعة فيهن والتى تتنوع بتنوع العلاقات بين البشر. وفى كل هذه الحالات المنحرفة من السهل على التحليل النفسى أن يكتشف الأسباب فى المواقف التى أدّت إليها فى الطفولة، والميل إلى تكرار هذه المواقف واستمرارها فيما بعد.

وهناك صنف من النساء يتوجهن إلى إشباع الأمومة فيهن بسرقة أطفال الأخريات، **والأم السارقة** لاتختلف فى دوافعها عن السارقة المصابة بمرض السرقة، فهى تتحين الفرصة ويأتيها توتر شديد وتتملكها رغبة لا تقاوم أن يكون لها هذا الطفل. وهى تخرج من بيتها لاتستهدف طفلا بذاته، وتصاب بخيبة أمل هائلة إن لم تجد واحدا. ولا تواتيها فرصتها إلا مع **أطفال الفقراء** لأنهم الوحيدون الذين يكونون بلا رعاية، ولهذا فالمكسب المادى هنا غير وارد، بالإضافة إلى أنها تكون مدفوعة بنفس الدوافع التى تحدثنا عنها من قبل، وهى أنها ترى الطفل متروكا دون رعاية معرضاً للمخاطر فتريد أن تحميه، ويجبرها الموقف إلى أن تكون أمه البديلة وقد أهملته أمه الطبيعية. وهى تحنو عليه لبعض الوقت وتعطيه من نفسها الكثير وكأنها تهبه الحياة، ولكنها سرعان ماتواجهها مشكلة إيوائه، فتتسلل به إلى مكان بعيد وتخلّفه وراءها دون إحساس بالذنب، وهو نفس مايفعله السارق المريض بالسرقة، فبعد أن يفعل فعلته يرمى ماسرق لأنه لايحتاجه، وهذا هو مايميزه عن السارق الذى يسرق للمكسب المادى. وثمة مسألة أخرى وهى أن **السارقة للأطفال يسعدها كثيراً الألم الذى تعيش فيه الأم** التى فقدت طفلها، إلا أن أهم دوافعها هو إتيانها هذا الفعل **قسراً** عنها، وسرورها لأنها تأخذ شيئا له قيمته يخص امرأة أخرى.

وتتشابه **سيكولوجية المرأة التى لاتستطيع الإنجاب** لسبب أو لآخر فتتبنى طفلا تحنو عليه وتعامله كطفلها، تتشابه وسيكولوجية المدرّسات والحاضنات والمرضعات اللاتى سبقت الإشارة إليهن، غير أن **موضوع التبنّى** كثير التعقيد ويحتاج إلى تفسيرات أكبر. وهناك حالة فريدة من التبنّى ينبغى التنويه عنها، وهى حالة **المرأة التى تقوم بدور الأب لطفل من**

امرأة أخرى، فتتبناه بالإنفاق عليه وعلى أمه، أو تتقاسمه مع امرأة ليست أمه تتعهده برعايتها على أن تتولى هى الإنفاق عليهما معا. ومثلها تتراوح فيها نزعات الذكورة والأمومة معا وتقوم بالدورين، بينما المرأة الأخرى التى تضفى رعايتها على الطفل هى أم على الحقيقة أو المجاز تريد فعلاً أن تشبع فى نفسها رغبات الأمومة. والكثير من أمثال المرأة التى تتولى الإنفاق على أطفال أو مؤسسات أطفال، قد تقوم بهذا الدور الذكورى إلا أنها فى إعماقها امرأة تهفو إلى الجنس وتشتاق أن تحمل وتكون أما، ولكنها لسبب أو لآخر حيل بينها وهذا الدور. وقد تخفى المرأة مشاعرها الأنثوية وعواطفها، كأم لصراعات فيها من طفولتها أدت إلى أن تكبت مشاعرها وعواطفها، إلا أن تصرفاتها الآخرى تكشفها. وقد تختلط فى المرأة أنوثتها والأمومة معا، حتى لتقوم بدور الأم كعشيقة، أى بكل مافيها من شهوة إلى الجنس توجهها نحو أطفالها والرجل الذى تختاره لنفسها، أو حتى الرجال الذى تضاجعهم فى حياتها، فهى أم لطفلها ولكل رجل تهفو إليه وتؤثره كشريكها فى الفعل الجنسى. وحتى المومسات قد تقمن بأدوارهن كأمهات، وفى استطاعة الواحدة أن تتصور مُضاجِعها طفلاً دون أن يكون فى فعلها أى خدش لرجولته، وهى تضاجعه كرجل وتعامله أيضا كأنه طفلها فتقبّله وتحتضنه وتعطيه الكثير من حنانها، حتى أن مضاجعينها ليتأثرون بسلوكها غاية التأثر. ومن ناحية أخرى فإن المرأة قد يخفت فيها صوت الأمومة ويعلو الجنس، والكثير من المومسات من هذا النوع، إلا أن ذلك منافٍ للطبيعة، إذ أن الملاحظ أن كل الثدييات يخدم الجنس فيها وظيفة الأمومة. ويقول التحليل النفسى أن المرأة التى يشتد فيها الجنس على الأمومة، أو التى يزيد بها الجنس وتخبو الأمومة، هى امرأة قد حرمت من الأمومة منذ ولادتها، فلم تعرف حنانها من أمها أو من أية بديلة للأم. وبعض النساء يخفن أشد الخوف من الإرضاع، ويفسرن ذلك بأنه خوف من نوبان الأنا فى عملية الإرضاع. وقد يكون ذلك من تأثير الخوف الوراثى البدائى فينا من الميول لأن يأكل بعضنا بعضا، فالمرأة قد تخشى أن تضع ثديها فى فم الطفل، وهى خشية قد تكون عندها أكبر من غريزة الأمومة. ويصور بعض الرسامين الأمهات لهذا السبب نحيفات ضامرات، بينما الطفل الذى يحملنه يشع صحة وعافية، ويعنى ذلك أنه على أنقاض حياة تقوم حياة جديدة. ومن عادة النساء فى بعض الحضارات أن تحضر الكثيرات منهن الولادة وذلك ليذهبن الخوف من الموت عن الوالدة. وقد تخشى المرأة الحمل وإن كانت تأتى الجنس لأنها فى

أعماق لاشعورها تخاف من الموت، أو تخاف أن تتوارى بشخصها خلف طفلها. وقد يكون خوفها من الأمومة أنها تخاف أن تفقد جمالها أو وظيفتها أو اهتماماتها الاجتماعية الأخرى، وكلها أنواع من المخاوف على **أناها**. وقد تضحى المرأة بأمومتها كوسيلة للمحافظة على نفسها، ولعل ذلك يفسر السبب أن بعض النساء **يهملن أولادهن ويتزوجن** للمرة الثانية والثالثة والرابعة دون أن يشعرن لذلك بأى تأنيب من ضمائرهن. وقد تستطيع المرأة أن تتحول بفطرة الأمومة فيها إلى فطرة جنسية وتصرفها عن هدفها الأصلى. وقد تعتبر **المرأة المفكرة** أن أفكارها هى أولادها. ولعل رواية **أنّا كارنينا لليو تولستوى** تعتبر دراسة عظيمة فى هذا المجال، فقبل أن تقع **أنّا** فى حب الضابط كانت تعطى وقتها وتفكيرها كله لابنها، وكان حبها لابنها يعوضها عن الحب الذى تفتقده فى زوجها. وقد يكون الولد من الزوج الذى تحبه المرأة أقرب إلى نفسها من الولد من زوج تقليدى، إلا أن ذلك ليس صادقا دائما. ولقد كان ابن **أنّا كارنينا** يحميها من نفسها ويضفى عليها احتراما من المجتمع ويربطها ببيتها وزوجها، ولكنها عندما تجد نفسها لأول مرة بعيدة عن طفلها خلال الحفلة التى رأت فيها عشيقها تنسى كل روابطها العائلية وتتوارى أمومتها ويزأر داخلها الجنس المتعطش للارتواء. وكلما أرادت **أنّا كارنينا** من بعد أن تتخفف من شهوتها ألقت بنفسها فى أحضان ابنها، وتتعاورها الحالتان: **شهوتها للجنس وشهوتها للأمومة**، ولاتجد أنها سعيدة لأن الاثنتين يتعارضان ويتنازعانها، فكلما كانت فى أحضان عشيقها شعرت بتأنيب الضمير وتعطشها لابنها، وكلما ذهبت لابنها جاءتها الأفكار بأنه قد يكبر ولم يعد فى حاجة إليها، إلا أن وجود ابنها المستمر كان يلهب إحساسها بالذنب، ولم تجد لهذا الصراع المحتدم بها من مفر إلا **بالانتحار**. ولم ينتصر حبها على الأمومة. وكذلك لم تحسم أمر شهوتها لصالح الأمومة، ولكن الذى غلب عليها **هو السلوك السلبى للأنثى** فتخلصت من حياتها. وكانت **أنّا كارنينا** تبالغ فى تلمس الأعذار لنفسها بالكراهية لزوجها، وتضخم أخطاءه لكى تبرر لنفسها خيانتها. وعندما شعرت بدبيب الحمل داخلها من عشيقها **راودتها فكرة الانتحار أو الموت، وهى الفكرة الأزلية التى تأتى كل امرأة تحمل**. وعندما تضع حملها تحتدم بها صراعات بين حبها لابنها من زوجها الأول وحبها لابنتها من عشيقها، ولم يكن هذا الصراع بين حب وحب لاثنين من أطفالها، وذلك **لأن كل الأطفال سواء عند الأم، ولكن الصراع كان بين أسلوب حياة وأسلوب حياة آخر**، بين الزوجية

واحترام الناس، وبين **العشق** وما يتضمنه، ولم تستطع أبدا أن تحب ابنتها كحبها لابنها، وكأن الصراع المحتدم فى نفسها بين العشق و**الأمومة** هو صراع أبدى، مصير لكل امرأة، وعنصر من عناصر شخصيتها. وعلى عكس **أنّا كارنينا** كانت **نتاشا** فى «**الحرب والسلام**» **لليو تولستوى** أيضا. وكانت **نتاشا** قبل زواجها لعوبا ولها أفانين، ولكنها بعد الزواج انصرفت لبيتها ولتربية أولادها ورعاية زوجها حتى لقد أذهل التغيير الذى شملها كل المحيطين بها. ولم تعد تمارس ما تعلمته من ألاعيب عن الحب، فالعلاقة بينها وبين زوجها أكبر من ذلك. ولم تعد تجد الوقت لتخرج وتسهر مع الآخرين فبيتها يستغرقها. وكانت كأنما تريد أن تتزوج وتنجب ولهذا كانت تتصرف تصرفاتها الشهوانية فى صباها، فلما وجدت الزوج والبيت والأولاد استكانت شهوتها وغلبت عليها أمومتها، وكانت أسرتها هى شغلها الشاغل. وكانت تريد أن تكسب إليها زوجها ليكون رجلها دون سواها، ولتجعله رجل بيتها وأباً لأولادها. وكلما كبر انشغالها برجلها وببيتها وبأولادها كبرت صورة زوجها وبيتها وأولادها فى ذهنها وملأت عليها كل حياتها، حتى كانت لتعطيهم وهم أحباؤها كل وقتها وما كان ذلك يكفيهم فى رأيها. وهذا التغيير الشامل فى حياتها هو **معنى الأنوثة** الذى يجمع عليه كل علماء النفس، فهى تضحى بحاجاتها النسائية والنرجسية، وتوظفها فى خدمة بيتها وزوجها وأطفالها إلى درجة أن تجعل من زوجها جزءا منها وامتداداً لها، وبذلك تصبح الواهبة والمتلقية فى نفس الوقت، ولأنها أم حانية فحياتها تنصلح، وتنصلح بانصلاحها حياة زوجها. وكأن **تولستوى** يريد أن يقول إن المرأة عندما تنطفئ فيها انفعالات الغيرة والمنافسة، وتتوارى عندها الرغبة فى الاستئثار والاستمتاع الأنانى لصالح بيتها وآخرين يعيشون حولها وعندما تكون الأولوية فى حياتها لهؤلاء على حبها لنفسها ولحياتها لذاتها، فإن ذلك يمكن تسميته عن حق **الأمومة الصافية الخالصة**. ولم يكن غريبا أن يحكم لذلك **سيدنا سليمان** فى القصة المشهورة عنه، بضم الطفل لأمه الطبيعية لأنها أسلمت الأخرى طفلها إذ وجدت نزاعها معها عليه سيتسبب فى موته.

ولا تقضى الأمومة عند النساء كلهن على صحة الأم، وليس صحيحا أن الأمومة تصادم **الصحة**، فبعض النساء بالأمومة ينعمن ويزهون ويتفتحن كالورود فى الربيع، وتزكو صحتهن ويتألقن بالجمال، وخاصة بعد الولادة الأولى. وهناك نوع آخر يصرفن طاقتهن الشهوية إلى نشاطات أخرى اجتماعية أو إبداعية أو شهوية حتى ليشعرن أن **الحمل**

والأمومة بمثابة العدوان على شخصياتهن، أو أنهما يتعارضان مع هذه النشاطات تعارضا تاما، أو أنهن يكن مستغرقات تماما فى هذه النشاطات، لدرجة أنهن يكن مستهلكات بالكلية فلا يقدرن أن تضاف إلى أعبائهن أعباء انفعالية جديدة. والمرأة من **النوع الأول** تجد أن إنجاب طفل يثرى ذاتها ويضيف إليها، بينما المرأة من **النوع الثانى** تدرك أن الأمومة بمثابة إفقار لإمكاناتها وتحديدلنشاطاتها.

والجدة كذلك أم، وتعطى من نفسها **لأحفادها** كأم، وهم بالنسبة لها بمثابة أصغر أولادها، وهى منذ انقطاع حيضها وإلى أن يأتى أحفادها تعتبر نفسها فى إجازة من الأمومة واستأنفتها بهم، وهى أحيانا تفيد من خبراتها الجديدة، وأحيانا لا يعجبها الجديد فى معاملة الصغار، ولكنها فى كل الأحوال الدوبة الشغوفة والسعيدة بهم، وتريد أن تصنع منهم ما لم تستطع أن تحققه مع أطفالها. فإذا لم يكن لها ولد فإنها تستقبل ولادة حفيدها الذكر بحفاوة خاصة، فإذا لم تكن لها بنت فإنها قد تهش لولادة حفيدتها، وتشبع فى زوجة ابنها وحفيدتها أو فى حفيدها الحاجات التى لم يتيسر لها أن تشبعها فى نفسها فى حياتها الباكرة. **والحفيد فى نظر الجدة** بمثابة طفلها فقدته لفترة وعاد إليها. وبالنسبة لهذه **الجدة الأم** فإن ولادة الحفيد توقظ فيها مشاعر وأفكارا كانت قد خمدت عندما جاءها الإياس. وهى تشبه **الأم النرجسية** التى تحب ماضيها وتعود إليه باستمرار، فكذلك هذه **الجدة الأم** تحب ماضيها الأمومى، وتصل ما انقطع من الحبل السُّرى الذى كان بينها وبين الأطفال، وتعيد ترتيب حياتها من جديد التى كانت تحسب أنها فقدتها. **والجـدة الأم** أى التى تكون فيها الأمومة قوية، تظل فى شيخوختها كما كانت فى شبابها: الرقيقة الباذلة من نفسها، والنشيطة الحانية. ويقل هذا النشاط بتأثير السن، فإذا كانت ما تزال نشيطة وتتدخل عمليا فى كل شئ فإن ذلك قد يكرهونه فيها، وقد يكون سببا فى منازعات بينها وبين ابنتها أو زوجة ابنها.

والمرأة عموما **بعد أن ينقطع إنجابها** فإن الله سبحانه وتعالى أرحم بها من أن يتركها نهبا لوساوس الشيخوخة، فإذا كانت قد بلغت الإياس ولم تعد تعطى البشرية أولاداً فإن بإمكانها توظيف خبرتها لخدمة أولادها أنفسهم. والفتاة مثلما تكون فى بلوغها من حيث الهدوء ودماثة الخلق والعطف والمحبة والحدب تكون كأم فى شبابها، ثم كجدة فى شيخوختها. **والبنت النرجسية هى بالتالى أم نرجسية ثم جدة نرجسية**. وهناك نوع من الجدات لا تستعيد أمومتها، ولاتعيشها من جديد مع أحفادها، ولا تطلب أيا من عالمها

القديم، ولكنها تفعل شيئا مختلفا، فإنها تتعين بابنتها وترى نفسها فيها وتتلقى إعجاب الناس بابنتها أو بزوجة ابنها وكأنه الإعجاب بها، وتعيش مشاكلها وأفراحها وحزنها وكأنها أشياء تخصها. والتعين يعنى أنها تضع نفسها موضع ابنتها أو زوجة ابنها وذلك قد يبهظ على أيهما وتكرهه منها وتعتبره تدخلا فى حياتها. وتعيش الجدة قلقا كان لها فى ماضيها كأم، وتشغف بحفيدها وتقلق عليه وتكرر معه تجربتها كأم، ولا تعتبر أن لابنتها تجربة، فى الوقت الذى تريد فيه الابنة أن تقوم بدورها كأم، **فتتصادم الاثنتان**. وهى تغار من ابنتها التى تتعين بها، وتكره من نفسها هذه الغيرة، وتحاول أن تريح الابنة وتتملقها وتسلك معها بكياسة، وتتضارب مشاعرها وتصرفاتها، ويجعلها ذلك غير واثقة من نفسها ودائمة القلق، وبرغم أنها تريد أن تظهر بمظهر الجدة وأن يعتبرها المحيطون بها جدة إلا أنها فى أعماقها ترجو لنفسها **دور الأم**.

وهناك **نوع ثالث من الجدات** يستسلم تماما لظروفه الجديدة، ولا يغار من أحد، ولا يتعين بأحد، ولا يريد أن ينازع أحداً دوره، ولا يريدأن يكرر مع نفسه أدوارا سابقة من حياته. وكل ما تريده هذه الجدة هو **أن تعيش فى سلام**. وهى لاتطلب مالايمكن تحقيقه ولكنها تعيش الواقع، وترضى بما حولها. ولاتعانى من توزيع نفسها بين ما تريده وواقعها، وليست لها أهداف بعيدة، وتتصرف بدون تضارب فيحبها أحفادها ولا يشعرون إزاءها بتضارب فى مشاعرهم. ومثلها لاتشكو منها ابنتها ولا زوجة ابنها، إلا أنها **تدلل أحفادها**، والتدليل من جانبها ليس بتأثير الثقافة أو كمظهر حضارى ولكنه **فطرة فيها**، وهى **الفطرة** التى يعرفها أغلب الناس عن الجدة، وذلك أن هذا النمط من الجدات هو **أكثر الأنماط شيوعا**، وهو نمط تُصوَّر به الجدة على أنها **ملاك**. وعلى عكس هذا النمط هناك **الجدة الشريرة** التى لا تحب الأطفال، أو أنها تحاول أن تستميل أحفادها بدهاء، لأنها تحسد ابنتها على صغارها وتريدهم لنفسها نكايةً فيها. وهى تفعل ما تفعل فتتكرر مشاهد من طفولتها، وتنكص بسلوكها إلى ذاك الزمن الغابر من حياتها، وتدفع إلى هذا النكوص التغيرات التى استحدثتها فيها الشيخوخة، وحالات الاكتئاب التى تنتابها، وانصرافها إلى اهتمامات كانت لها من الطفولة بإخراجها وبهضمها وبالنظافة، وما يصاحب هذه الفترة من الخوف من المرض والفقر، فيكون حرصها على المال وتقتيرها على نفسها والمحيطين بها، وسلوكها بأنانية تصادمها مع أقرب الناس إليها، وتنزع الحب من نفسها ليحل محله الكره والحقد.

الفصل الثالث والثلاثون

الأســرة Family

دور الوراثة فى الصحة النفسية والجسمية للطفل، والوراثة والقوة الجنسية، والزواج المشبع الذى يؤلف الأسرة، ووضع المرأة والرجل والأولاد فى الأسرة، وترتيب الأطفال فى الأسرة، وعلاقة كل طفل بالأبوين، وأنواع العائلات، وضرورة تنشئة الطفل فى أسرة، واختلاف التربية باختلاف الطبقات وجنس الطفل، وتأثير غياب الأب أو الأم على سيكولوجية الطفل، والأسرة الكبيرة والأسرة الصغيرة، والأسرة التى تسيطر فيها الأم

هناك **عائلات تعرف بسلامة أفرادها** صحيا سواء من الناحية البدنية أو النفسية، وهذه العائلات تشتهر أيضا بأنها منجبة، والقدرة الجنسية لأفرادها محمودة فيهم سواء كانوا إناثا أو ذكورا. وهناك **عائلات أيضا تضطرب أحوال أفرادها** فيكثر بينهم الطلاق أو عدم الوفاق فى الزواج، أو يكونون مقلين من حيث الإنجاب، أو لايتزوجون إلا فى سن متأخرة، وتكثر بين أمثالهم الاضطرابات النفسية أو العقلية والعلل البدنية، ويعرف عنهم أنهم يكثرون من تعاطى الأدوية ومن التردد على الأطباء، وتزيد بينهم نسبة الأمية والانحرافات والخروج على القانون. **والجنس مظهر من مظاهر الصحة النفسية والجسمية، والقوة الجنسية** فى الأفراد مسألة ذاتية يرثونها عن الآباء والأجداد، وهى صفة جينية حسنة. وهناك علاقة بين الخصوبة والقدرة الجنسية. وبعض العائلات تعرف بخصوبة نسائها. والمرأة الهلوك التى تشتهى الرجال وتستطيع المضاجعة لعدد من المرات خلاف المرأة الصحيحة النفس التى تمارس الجنس وتعطى من نفسها وتبذل لرجلها، والأولى توصف بأنها مجدبة جنسيا ومريضة وتأخذ بدون عطاء، والثانية مخصبة وسليمة وتعطى حتى لينعظ رجلها ويحب منها ذلك، وتنعظ هى فيكون اللقاء الجنسى محصلة للوفاق. والمحبة التى تتجاوز الجنس هى المحبة المنتجة التى يكون فيها الحب مشبعا جنسيا ومفضياً إلى تكوين الأسرة والإنجاب. وفى العلاقات الزوجية السوية تكون كل الظروف مهيأة لبلوغ الإنعاظ، بينما فى العلاقات الجنسية من النادر أن تصل المرأة إلى الإنعاظ، ولايكون الجماع مشبعا بالنسبة للرجل. ولربما يؤثر البعض **زواج المتعة** أو **زواج التجربة**، وفيهما

لايكون أى من الطرفين خالص المحبة للآخر أو صادقا معه كل الصدق، ولذلك فغالبا مايفشلان. والزواج الذى **هدفه تكوين الأسرة** زواج صحى، يضفى على الرغبات الجنسية شرعية، ويرقى بها من المستوى المادى إلى مستوى آخر فيه إشباع نفسى ومتعة تتجاوز الحسيات إلى ماهو أكبر من ذلك. ومن **الناحية الاجتماعية** فإن الزواج يجعل للمرأة وضعا اجتماعيا أرقى، فتفيد اجتماعيا من جهاد زوجها وسعيه ومركزه الاجتماعى. والزواج يحمى **الحقوق** ويوزع **الواجبات** على الجنسين والأدوار بين الأب والأم بالنسبة للأولاد. والزواج يكون به استمرار **نظام الأسرة** وتربية الأطفال من خلال الأسرة، وهما ماقامت عليه **الحضارة** ويكون بهما اتصالها. وتتوقف الصحة النفسية والتوافق النفسى والاجتماعى للأفراد على أن يكون لهم عائلات ينشأون فى كنفها، وتحت رعاية وعناية الآباء، وخاصة فى السنوات التى نحتاج فيها إلى هذه الرعاية والعناية، وإلى أن نشب فى بيئة صحية من كل الوجوه، تخلو من الصراعات، ويتمثل فيها الأطفال الأدوار الاجتماعية المختلفة. ولقد ثبت تأثير **الإجداب العاطفى** الذى تكون عليه نشأة بعض الأولاد على تكوينهم الانفعالى، ومايؤدى إليه ذلك من أنواع الجُناح.

والأسرة السعيدة هى التى يقوم اختيار الزوجين فيها لبعضهما البعض كأزواج على **مبدأ التكافؤ الاجتماعى**، فيكونان من طبقة واحدة، ويتلقيان تعليما متقارب المستوى، وينتميان إلى عائلات ناجحة وموفقة. ولاتكون الأسرة سعيدة إلا إذا كانت تواجه الحاجات الأساسية لكل الأطراف بالإشباع الحقيقى. ولايمكن أن يتحقق الإشباع فيها إلا إذا كان هناك اتفاق بين الزوجين حول القيم الأساسية، واحترام متبادل لفردية كل منهما، وتواصلٌ مستمر يقوم فيه حوار دائم يتحدث من خلاله الطرفان فيما يعن لهما بحرية ليتحقق بينهما الفهم المشترك، ومن ثم كان لابد للرجل والمرأة أن لايقدما على الزواج إلا إذا كانت لهما به أهداف اجتماعية عليا، تدفعهما إليه أسباب صحية وليست عُصابية. **والزواج الموفق** هو الذى يكمل فيه الزوجان بعضهما البعض. **وتتزوج النساء** ليكون لهن أبناء، وكل مافى المرأة ظاهراً وباطناً، وتكويناً وهدفاً هو من أجل **الإنجاب**. والمرأة تحقق ذاتها بالإنجاب. **ويتزوج الرجال** لأنهم يريدون الاستمرار من خلال الأبناء. والرجل مهمته فى الحياة البناء والإثراء بتأصيل القيم، ولاسبيل إلى الحفاظ بما يبنى إلا إذا كانت له الذرية الصالحة التى تتولى البناء من بعده، ومن ثم فإن المرأة ترى مستقبلها فى ابنها، وتتزوج لكى يكون لها الإبن

الصالح من الرجل الصالح، ولكي تتهيأ لها من خلال الرجل الصالح أن يكون لابنها المناخ والبيئة اللذين ينمو فيهما النمو الصحي. ولعله لهذا السبب فإن المرأة تهتم بمركز زوجها الاجتماعي ومايدره عليه هذا المركز من مال. والمرأة تجعل من الزوج رجلاً ناجحاً يستطيع أن يكسب المال ليتوافر لها ولابنها المستوى المناسب من العيش، ولذلك فإن مستقبل المرأة في ابنها، وعندما يسألها سائل عن مشروعها تقول إن ابنها هو مشروعها وتتحدث عنه وتقول ابني سيكون، بينما الرجل يؤكد نفسه ويتحدث عن ابنه ويحكي عن مستقبله باعتباره مستقبله هو، وإذا ذهب بخاطره إلى ابنه فإنه يخطر بباله لأن به يكون استمرار مشروعه هو، ومن ثم كان الاختلاف في المنظور بالنسبة للزواج عند المرأة والرجل. وكلما كان الرجل أو المرأة قد بلغا النضج مبكرا كلما اعتملت فيهما تلك العوامل الوجودية، وكانت لها وطأتها وضغوطها بحيث تدفعهما دفعا إلى **الزواج المبكر**. والزواج المبكر ربما تكون له أسباب غير صحية، وهو بالقطع يحيل الرجل إلى كاسب مال، بينما قد يؤخر الرجل زواجه ويتسامى برغباته الجنسية ويصرف طاقته الشهوية في مجالات الخلق المختلفة، فيكون العالم المبدع والمهندس العبقري والفنان العظيم. ولقد كانت الحضارة منحة هذا **التأخير في الزواج**. وعندما يكون لدى الرجل مايخاف عليه من الاندثار فإنه يفكر في الولد الذي يرثه ويذهب تفكيره حينئذ إلى الزواج، ومن ثم يفضّل الرجال أن يتأخروا في الزواج، بينما تفضل النساء أن يبكّرن به، فالمرأة الشابة أقدر على الإنجاب وتكاليفه الصحية، وعندما تختار رجلها فإنها تختاره من بين المتيسرين ليكفل لها ولابنها الحياة الكريمة. وتتوجه عناية كل من الرجل والمرأة في الزواج الصحي إلى الإنجاب، **والزواج المنجب** هو المتكامل. وتهدف المرأة والرجل إلى تربية طفلهما وتنشئته التنشئة الصالحة. ولقد نبهنا **فرويد** إلى تأثير العلاقات الزوجية على تنشئة الصغار. ولاشك أن **السنة الأولى** من الزواج وهي التي تسبق الإنجاب تكون سنة حافلة بالمشاعر والأحلام والرغبات، ولذلك فالتواصل بين الزوجين يكون فيها على أشده، فإذا جاء الطفل الأول فإن مرحلة المشاعر التي يكثر الحديث بشأنها قد ينتهي أمرها، ويقل الكلام بين الطرفين، وتكون هناك مشادات ودواع كثيرة للتوتر، ومع ذلك فإن الكثير من الاستفتاءات التي أجريت بين مختلف قطاعات المتزوجين، أثبتت أن السنة الأولى التي يكون فيها مجئ الولد هي أكثر سنوات الزواج إشباعا، وهي سنة أعظم وأخصب وأجمل من أي فترة تسبق ميلاد الطفل الأول. ولعل أقل السنوات إشباعا في

الزواج وأكثرها مدعاة للكدر هى تلك التى تعقب رحيل الأولاد عن البيت، عندما يكبرون ويخرجون إلى الحياة لتكون لهم حياتهم الخاصة، ويليها فى الاعتبار السنة أو السنوات التى يبلغ فيها الأولاد وتبدأ مشاكلهم كمراهقين. ولا شك أن **تربية الصغار** عمل فيه مكافأته، وله أيضا مزعجاته، والأم أو الأب الحكيم هو الذى يستعد لما يأتى به الزواج من مشاكل أو مضايقات، ويصرف ذهنه عما قد يكسبه من وراء تعبه، فهو شئ يتجاوز توقعاته، ولا أحد يستطيع التنبؤ بالغيب، وليس من الصواب التعويل كثيراً على ما يمكن أن تكون عليه قدرات الأولاد أو يخبئه القدر من تصاريف.

والأسرة مؤسسة إنسانية تواجدت فى كل العصور وكل المجتمعات، وربما كانت أهم السمات التى اتسمت بها الأسرة أن أفرادها تربطهم ببعضهم البعض علاقة الزواج والدم، وأنهم يعيشون تحت سقف واحد أو يضمهم جميعا بيت واحد، وأنهم يتواصلون بحسب اعتبارات معينة، فهم زوج وزوجة، وأم وأب وأخت وأخ، تجمعهم تقاليد وعادات اجتماعية واحدة. وليست الأسرة مجرد زواج لأن الزواج هو عقد يجمع بين امرأة ورجل فى علاقة جنسية يضفى الزواج عليها الشرعية، وأما الأسرة **فعلاقات تفاعلية** بين الأبوين، وبين الأبوين والأطفال، وبين الأطفال بعضهم وبعض.

ولقد مرت الأسرة بتغييرات عبر التاريخ ولكننا نستطيع أن نتبين بحسب الاعتبارات المختلفة أنماطا منها، ومن ذلك **الأسرة النووية** nuclear family وهى تلك التى تجتمع على **نواة الأب والأم** وحولهما يتحلّق الأولاد. ويذهب علماء مثل **ويستر مارك** إلى أن الأصل فى الأسرة أن الأم تتزوج رجلا واحدا، ويتزوج الأب امرأة واحدة، ولايكون الزواج متعدداً، أو بالأحرى لايكون للزوج أكثر من زوجة، إلا فى حالات يكون فيها للزوج امتيازات اجتماعية بسبب المركز أو السلطة. ولايستطيع الرجل أدبيا وماليا واجتماعيا أن تكون له أكثر من زوجة فى الأحوال العادية. وبعض العلماء يستندون فى دعاواهم المناصرة للزوجة الواحدة على مايسمونه دعوى **الفطرة**، فالمشاهد فى الطبيعة أن للحيوانات والطيور زوجة واحدة غالبا. وفى المجتمعات التى تبيح أكثر من زوجة فإن الشرعية التى يضفيها الدين على هذا التقليد تستمد من مبدأ الحاجة المرسلة، فالناس كانت المجاعات تتهددهم والأمراض تخترمهم والوفيات تنتشر بينهم، حتى أن التوازن بين عدد النساء إلى عدد الرجال يختل، ويقل عدد الرجال بتأثير الحروب، فيتغاضى المجتمع عن أن يكون للرجل

اكثر من علاقة باكثر من امرأة، ثم يصبح هذا التغاضي تقليداً، ثم يكتسب الشرعية، وفي عصور الملكية التي حكم فيها الرجل، وكانت له الأبعديات والإقطاعيات والحشم والخدم والعبيد، امتلك الرجل المرأة وآل أمرها الى البيع بعقد زواج نص على صداق كان حقاً خالصاً لوليّها من قِبَل الزوج. ولم يكن الرجل يلجأ إلى التعدد إلا إذا كان قادراً عليه مالياً وكان الذكور يتزوجون مبكرين ربما في السادسة عشرة أو الثالثة عشرة، وكانت الإناث يتزوجن في الثالثة عشرة أو نحوها، فكانت هناك من ثم الفرصة والمتسع من العمر ليتزوج الرجل للمرة الثانية. وكان التقليد في الزمن الغابر ان يتزوج الرجل أخت زوجته، وفيما يبدو ما يزال هذا التقليد معمولاً به في بلادنا، فعندما تتوفى الزوجة فإن الأهل يذهب خاطرهم أولاً الى تزويج الزوج من أخت المتوفاة. وفي أمثال هذه العائلات فإن السيادة تكون معقودة للأب، وفي العائلة الأبوية patriarachal family يتحكم الأب في العلاقات بين افرادها، وهو الذي يقضي في أمور الزوجة والأبناء والبنات. وهذا النوع هو الذي بشّرت به الديانات وساد بين الساميين والرومان والهنود والصينيين واليابانيين وكل المجتمعات القديمة، وما يزال موجوداً عند بعض الأوروبيين والأمريكيين. وينظم الأب زواج الأبناء والبنات بحسب التقاليد والمركز الاجتماعي واليسر الاقتصادي. وغالباً ما يسود هذا النظام الأبوي في المجتمعات الريفية، ولكنه يتهافت في المجتمعات المتحضرة والصناعية وحيثما يتحلل أفراد الأسرة من الاعتماد على الأب، وعندما تكون للزوجة وظيفتها الاجتماعية، وعندما يستقل الأبناء بوظائف أو مهن تدرّ عليهم دخولاً يمكن أن يتدعم بها استقلالهم لو انهم اظهروا ميولاً تنأى بهم عن سلطة الأب. والأسرة النووية السائدة الآن في العصر الحديث، الذي يوصف بأنه عصر التواصل العالمي والتلاحم الصناعي، هي الأسرة الديمقراطية democratic family، وتقوم على المساواة بين الزوج والزوجة، واتخاذ القرار فيها منوط بأفرادها ككل حيث يتفقون فيها بينهم على ما ينبغي عمله، ويشترك في ذلك الأطفال بحسب سنهم ومع تدرجهم في النمو، ولا يُفرض عليهم أحد كزوج أو كزوجة، وإنما الزواج بين الشباب عمل اختياري يقدمون عليه بمقتضى ظروفهم وبوحي من إرادتهم المستقلة. وكان ظهور الأسرة الديمقراطية مع غلبة الحضارة الغربية على كافة الأنماط الحضارية الأخرى، وهي حضارة مسيحية يهودية في مضمونها، أي أنها تقوم على اعتبارات أخلاقية مسيحية يهودية، ومن ثم كان قول توينبي إنما نعيش مرحلة الحضارة

المسيحية اليهودية المستوحاة من التوراة والإنجيل **فى مضمونها** الروحى والفكرى والنفسى، وهو مضمون **ديمقراطى**، للرجل فيه حقوق وواجبات كتلك التى للمرأة مع فارق مايستوجبه الجنس، ومن ثم فقد تبوأت المرأة أرفع المناصب، وتصايحت النسوة بدعوة التحرير، وانتقلت بعض المهام التى كانت للأسرة إلى مؤسسات خارجها، فالعائلات الآن لاتعتمد على طعام البيت وتجتمع كثيرا إلى موائد المطاعم والنوادى، وصارت النوادى ملتقى الناس وانتهت مثلا أسطورة **حجرة المعيشة** drawing room الإنجليزية، ولم تعد ثمة حاجة إلى **موسيقى الحجرة** chambre music التى راجت فى يوم من الأيام بتأثير الزيارات البيتية والاجتماعات العائلية الدورية المشتركة، وتعددت فرص اللقاء بين الشباب من الجنسين فى المدارس والجامعات والمصانع والشركات، وتحول الزواج عن أن يكون من عمل الأبوين أو الخاطبة إلى زواج مبنى على الحب والفهم المشترك. ويقدّر العلماء نسبة **الزواج القائم على الحب** بين أبناء الطبقة المتوسطة **بتسعة أعشار** كل الزيجات، إلا أن الظروف المادية للحياة الحديثة والمتطلبات العصرية، والإرهاق الذى يعيش فيه أفراد الأسرة، يجعل الزواج المبنى على الحب هَشاً، وسرعان مايكتشف الطرفان أن المعاشرة العملية ليست على ماكان عليه تصورهما من رومانسية، ولذلك يكثر فى هذا الزواج الطلاق، بل إن **معدل الطلاق** فى المجتمعات الصناعية الحديثة **هو أعلى** معدل عرفته الإنسانية فى تاريخها. وتزيد أعداد الأطفال الذين ينشئون بعيدا عن أحد الوالدين. ولابد للوالدين من التواجد معا فى اتفاق وانسجام لينشأ الطفل النشأة السليمة. وتبين البحوث أن **انتزاع الطفل من الأم** بعد **الثلاثة** أشهر الأولى من الميلاد قد تكون له أوخم العواقب على تكوينه النفسى، وقد ينشأ مكتئبا ويتخلف نموه الانفعالى والاجتماعى. ويحتاج الطفل إلى الأم فهى التى تمنحه الحنان وتعطيه القدرة على التعبير عنه، ومنها يتعلم أن يحب. وهى التى تنبهه إلى الأصوات والروائح، وتهئ له الفرصة لمختلف الأحاسيس. وحرمان الطفل من أمه يعزله عن العالم من حوله بأن يحرمه المرشد الذى يرشده إلى مافى البيئة ويُغنى تجاربه. وحتى لو عهدنا بالطفل إلى المرضعات أو دور الحضانة فإنها لايمكن أن تُغنِى عن الأم. وهناك بحوث مستفيضة حول هذا الموضوع أهمها ذلك البحث الذى تابع تأثير إلحاق الطفل بالحضانة لمدة **أسبوع واحد**، وكانت هناك مجموعتان إحداهما اكتفت بزيارة الأم لمدة **ساعتين اسبوعيا**، والثانية كانت الزيارة **يومية** وتشمل كل أنواع النشاط فى الحضانة.

وكانت هناك محاولات عديدة لتعويض الطفل فى الحالتين، إلا أن تأثير الانفصال ظل ظاهرا على سلوك الطفل بعد انتهاء الأسبوع وعودة الطفل للبيت، وظل الأطفال مصابين **باكتئاب** ويبكون لأتفه المثيرات لمدة **ثلاثة** شهور.

والأب والأم كلاهما **ضروريان** لنمو الطفل النمو النفسى السليم. ونحن نعلم ذلك من الحالات المتطرفة فى المعاملة. وأول ذلك نعلمه من تأثير **الإهمال**، فالطفل الذى لايجد الصُحبة بين الأبوين ينشأ **عدوانيا ومتمردا**، ويسعى لأن يلفت إليه الانتباه حتى ولو اقتضى ذلك أن يجنح، **والجُناح** فى تفسير من تفسيراته هو محاولة للفت الانتباه. وهناك حالة **الأطفال المنبوذين**، وهم الذين يفتقدون المحبة من نويهم، ويعيشون مضطهدين ويساء إليهم ويُضرَبون، أو يُحقَّر أمرهم أو يحيون مهددين أو قد لاتُشبَع حاجاتهم فيتحصل لهم من ذلك إحباط وقنوط شديدين. ويقدم الروائى الإنجليزى **تشارلز ديكنز** أروع وصف لحالاتهم فى روايات **أوليفر تويست وداڤيد كوبرفيلد وقصة مدينتين** وغيرها. وأمثال هؤلاء الأولاد ينشئون ولديهم ميول عدوانية قوية وقلق ومخاوف، ويفتقدون الثقة التى بدونها لايتعاملون مع الناس تعاملا سويا. وبسبب مايستشعرونه من ظروف قاسية ومايتحصل لهم من تجارب فإنهم يخرجون إلى الحياة انفعاليين لايستطيعون السيطرة على تصرفاتهم.

وهناك حالات عكس الحالات السابقة تماما، وهى التى تفرط فيها رعاية الأبوين للطفل، فيجاب لكل مطالبه وتُلبَّى كل رغباته، والنتيجة أنه ينشأ **مفرط التدليل**، ويتحول إلى **طفل لا يُطاق** enfant terrible، يأمر ويكثِر من الطلبات، فيخدمه كل المحيطين به، وينشأ أنانيا محبا لذاته يجهل أمور دنياه ومايخص حياته، ولايعرف المسئولية.

وهناك أيضا حالة الطفل الذى **تُفرِط أمه فى رعايته وحمايته**، وتُغرِقه فى بحر محبتها حتى لَيُغصّ بهذه المحبة، فينشأ مسلوب الإرادة لاحول له ولاقوة، ويكبر خجولا خانعا.

وغالبا مايأتى **الطفل المدلل، والطفل المحمى**، من أسرة الأب فيها غير موجود، أو أنه معطل التأثير بسبب سيطرة الأم. وينمو هذان النوعان من الأطفال حتى إذا رشدا اختارا لنفسيهما، أو اختار لهما غيرهما، زوجة تعطى المدلل ما كانت تعطيه أمه من التدليل، أو تعطى المحمىّ ماكان يلقاه من حماية من أمه أو نويه.

ونلتقى فى الحياة بأنماط من الشخصيات تنتمى إلى هذه **الأنواع الأربعة** السابقة من الأطفال الذين ينشئون بتربية معينة نتيجة خلل فى العلاقات بين الأبوين، فالنوع **الأول** الذى

أُهمِل أمر تربيته لانشغال الأبوين عنه، لايفهم معنى أن تكون له أسرة، ولايقدر الزواج، وهو كأب مشغول، وكزوج لايعطى زوجته الحب الذى تحتاجه، وهو ربما لايأتيها إلا نادرا، ويهمل أمرها، وفى الجماع لا يعطيها من نفسه مايجعلها تُنعِظ، وأما المنبوذ فإنه يتصرف مع أولاده بقسوة، ويكثر من تقريعهم أو ضربهم، ويميل إلى السيطرة ويغلو فيها، ويفهم من الزواج أن يملك امرأته، ويكره أن يُظهِر المحبة لها لأن ذلك ضعف ينأى عنه، وفى المضاجعة لايعترف بأن المرأة يمكن أن تُنعِظ، ومضاجعته كأنها إنزال العذاب بها أو ضد رغبتها.

وغالبا مايختار **المدلل** امرأة تكبره فى السن، لها نفوذ من عائلتها أو مالها أو وظيفتها، وكثيراً مايكون حَسَن الهندام جميل الطلعة، ويجد من النساء من تسعى إلى الزواج به وكأنه قطعة أثاث جميلة تنضاف إلى مايمتلكنه من ماديات الحياة، ولربما يصبح من فرط التدليل **متأنثا** يسلك كالمتأنثين، والكثير منهم يتجه بحكم ظروفه إلى **اللواطة**، وقد يجد فيها حلاً لمشاكله كلما تأزمت معه الأمور ماديا أو اجتماعيا أو وظيفيا.

وأما «**إبن أمّه**»، الذى ينشأ فى حمايتها تزود عنه، فقد لايستطيع الفكاك من تبعيته لها، ويعيش أسير رعايتها، ويلزمها فلا يتزوج فى حياتها. وعندما يتزوج فزوجته غالبا من نمط أمه، فيعتمد عليها فى التفكير والتنفيذ، وهى امرأة مسيطرة، وقد يغلب عليها الاسترجال، وقد تتزوج به لتُرضِى فى نفسها نوازع قوية للأمومة.

والأنواع السابقة **الأربعة** يمكن أن تؤدى إليها التربية التى يلقاها الطفل فى أسرته إذا اختلت العلاقة بين الأبوين، ولربما ينشأ الطفل مضطرب الشخصية جانحا بسببها، وقد يسعى إلى علاقات مع أطفال آخرين يعلمونه تعاطى الخمور أو المخدرات. والكثير من هؤلاء الأطفال يعانون من بعد من أعراض فُصامية. وعلاوة على ذلك **فإن هذه الأنماط الأربعة من التربية** تثبت ضرورة الحنان يلقاه الطفل من أمه، والفهم يجده من أبيه. وهو يتعلم من علاقته بأمه أن يحب، ويتعلم من أبيه النظام. وليس أجدى فى التربية مما يسمى بالطرق السيكولوجية، فهى أفضل فى نتائجها من الضرب والتهديد والتقريع، وكم من طفل استقام أمره بحثّه على التعقل واستنفار قواه الذاتية، نتيجة مايستشعره من تأنيب ضمير أو ذنب. وإنه لمن المفيد ألف مرة أن يُظهِر الأب أنه مستاء أو غير راض دون أن يضرب ابنه أو يهدده أو يقرعه. ولايفعل **العقاب** سوى أن يزيد الطفل العدوانى عدوانية ويملأ قلبه

بالكراهية لأبويه. ومن ناحية أخرى فقد يؤدى **الغلو فى اللجؤ إلى الطرق السيكولوجية فى** التربية إلى أن ينمو الطفل عقلانيا وشديد الانتماء، فيسلبه ذلك قدرته على المبادرة والتصرف بعفوية، حيث تقتضى العقلانية أن يكثر التفكير فى الأمور ويتروى قبل أن يقوم على عمل ما، ويقتضى انتماؤه أن يفكر فى إرضاء الناس فيعمل وفق هواهم وليس وفق هواه.

ولربما تصلح الطرق النفسية فى التربية **مع البنات** أكثر منها مع الأولاد. وعموما فإن الأولاد ينالون معاملة من الأسرة تختلف عما يلقاه منها البنات. وماقد يجدى من الطرق النفسية مع طفل قد لايجدى مع طفل أخر، بحسب العمر، ثم بحسب الجنس، وكذلك بحسب الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها. وتفضل العائلات التى تنتمى **إلى الطبقة المتوسطة** طرق التربية القائمة على التفاهم والإرشاد والقدوة، بينما تميل عائلات **الطبقات العاملة والفلاحين** إلى الطرق العنيفة فى التربية. وهناك فروق بين أبناء الطبقتين من حيث السلوك الاجتماعى، فأولاد الطبقة المتوسطة أكثر انضباطا من أولاد الطبقة العاملة أو الفلاحين. وبشكل عام يكون البنات من أى طبقة أكثر انضباطا من الأولاد. ولاشك أنه بالإضافة إلى **التربية العائلية** فهناك مايمكن تسميته **بالتربية الطبقية**، ثم هناك أيضا **التربية القومية**، وهى مايمكن أن تتجه إليه العائلات فى بلد كمصر من طرق مشتركة من شأنها أن يخرج الفتيان والبنات فى هذا البلد على صورة معينة، بخصائص يشتركون فيها جميعا وتميزهم سلوكيا عن غيرهم من فتيان وفتيات البلدان الأخرى.

ويذهب علماء التربية إلى رد تفضيل كل شعب وكل طبقة وكل عائلة لطرق فى التربية دون أخرى إلى الظروف الخاصة لكل، ونجد مثلا الطبقة العاملة تميل إلى تعزيز السلوك الطيب بوسائل **مادية**، بينما تجعل **العقاب** كرد فعل على السلوك المعيب، بينما تجعل الطبقة المتوسطة العقاب بقدر **نتائج الفعل** وليس على الفعل نفسه، وكذلك الحال فى الثواب. وتهتم الطبقة المتوسطة **بالدوافع** على الفعل، وهو شئ لاتهتم به عائلات الطبقة العاملة.

ونلاحظ أن **كتب التربية** تكثر من الحديث عن **دور الأم** وماأقل ما تذكره عن **دور الأب**. وليست هناك بحوث كثيرة حول دور الأم، وربما يعتبر دور الأب مسألة مسلما بها، والمسلمات لاتُناقَش، وأما دور الأم فهو الشئ الذى قد يُختلف حوله، ومن ثم يكون البحث فيه. ولقد جرّ إلى البحث فى دور الأب حديثا التطور الهائل فى تكنولوجيا المواصلات،

والتنقل الكثير بين أنحاء العالم، واضطرار الآباء بسبب السياسة والحروب المتصلة والإعارات طويلة المدى إلى التغيب عن البيت والأسرة، الأمر الذى لابد أن يكون له مردود على تربية الأولاد إن لم يكن بسبب غياب الأب فعلى الأقل بسبب تولّى الأم لشئون البيت ورعاية الأولاد نيابة عن الأب، وهذا شئ من المستجدات التى لم يعرفها تاريخ العائلات من قبل. ونحن هنا فى مصر قد عرفنا مؤخرا غياب الآباء نتيجة الارتحال طويل الأمد بحثا عن الرزق فى البلاد العربية وغيرها. ولقد يطول غياب الأب إلى **سنة** وأحيانا إلى **سنتين وثلاث**، وهناك **قرى فى الصعيد** تكاد تخلو تماما من رجالها بين **الرابعة والعشرين إلى الخمسين** نتيجة هذا الارتحال الجماعى. وفى الظروف المادية هناك مهن يضطر أصحابها إلى التغيب عن بيوتهم لمدد قد تبلغ **الستة شهور** كالضباط البحريين والبحارة ورجال السلك الدبلوماسى. وتكثر الدراسات حول هذه الأمور فى أوروبا وأمريكا، ولم تكن هناك حتى الآن دراسة واحدة فى مصر مع أنه قد ثبت أن حوالى **أربعة ملايين ونصف المليون** من المصريين يغتربون، منهم نحو **الربع** بدون عائلاتهم. ولقد تبين أن أكثر الضرر الذى يصيب العائلة من تغيب الأب يلحق بالأولاد الذكور وذلك لأنهم ينشأون فى كنف الأم التى تسلك معهم سلوكا يعوّض افتقاد الأب، فتصر على أن يُظهروا لها الطاعة والانقياد، وأن يتعاونوا معها وينهضعوا بعبء الأسرة كما ينبغى، فلا يدعون الشجار يدّب بينهم، ويحتكمون إلى العقل، ثم إن عدم وجود الأب لايجعل هناك منازعات بين الأم والأب، وينشأ الأولاد فى البيت بدون أن يعانوا من الاختلافات الأبوية، ويشبون على اجتناب العنف، وتكون لهم دماثة خلق ورقة. ومن ناحية أخرى فإنه يلاحظ عليهم أن تصرفاتهم بها **سمات أنثوية**، وأبرز ذلك هذه الطاعة والانقياد للأم، ثم الطاعة عموما فى المدرسة وغيرها، وتعوز سلوكهم الاستقلالية والمبادأة والعفوية.

وللأب وللأم دوران متمايزان يكمل بعضهما بعضا، بحيث إذا لم يوجد أحدهما قد يضطر الأب أو الأم إلى أن يتولى الدور الآخر، وذلك شئ غير سوىّ فى التربية. ووجود **الأب** فى البيت يعنى أن ينشأ الأولاد على مفهوم حول الذكورة ومقتضياتها وأبعادها، وكذلك تعطى **الأم** مفهوما للأنوثة، ويلزم الولد أن يلمس بنفسه ماتعنيه الذكورة وأن يرى معانى الأنوثة، وكذلك يلزم البنت أن تجرّب فى أمها مفهوم الأنوثة وترى فى أبيها معنى الذكورة. ويزكّى الأب فى أولاده الذكور حب المعالى والجهاد من أجلها، والدفاع عن الحق

والزود عن الملكية والدخول فى المنافسات، وطلب القوة، والتصرف برجولة وفى استقلالية، بينما تحث الأم على التجمّل، والإقبال على أعمال النساء والتهيؤ للحياة الزوجية. ويتفاضل الأبوان فى الأدوار بحسب الجنس والعمر، فالأم تكون متزمتة فى تربيتها للبنت ومتسامحة مع الولد، والأب عكس ذلك يَصرُم مع الولد ويتعاطف مع البنت. ولربما يكون لهذا التمايز نتائج عكسية. وينبهنا **فرويد** إلى مايسميه **عقدة أوديب** التى تجعل الأب يميل إلى البنات، بينما تميل الأم إلى الأولاد الذكور، وبسببها يتعين الولد بأبيه خوفاً من العقاب الذى يطلق عليه **فرويد** اسم **قلق الخصاء** (أنظر **عقد أوديب والخصاء**)، وتتعين البنت بأمها، إلا أن الولد من بعد قد يحل صراعاته الأوديبية بأن يطلب زوجة تشبه الأم، بينما تحلّ البنت صراعاتها بأن تختار زوجا يشبه الأب. والأب والأم فى أى من الأحوال ضروريان لنشأة الطفل النشأة السوية. ومن الضرورى للأبوين أن يدركا أبعاد عقدة أوديب أو الموقف الأوديبى فى تكوين شخصية الأولاد. ومن اللازم أن يشب الأولاد فى البيت وسط جو من الرعاية والفهم والحدب، وإلا أصابهم من جهل الأبوين ومنازعاتهما اضطرابات تقوّض شخصياتهم، وخاصة الطفل الذكر. وليس من سبب لمرض الفُصام الذى يصيب الأولاد فى سن مبكرة ويتنامى معهم إلا أن ينشئوا فى جو عائلى مشحون بالاضطرابات. وعندما يزيد دور أحد الأبوين عما ينبغى أن يكون له وينقص دور الآخر، فإن ذلك يكون على حساب الصحة النفسية للأولاد. ولقد رأينا مثلا أنه فى حالة غياب الأب، أو حالة كونه ضعيف الشخصية، فإن الأم تتولى عنه وتسود البيت أو تسيطر على الأولاد، وتنقلب المعايير الخلقية والمفاهيم وتتصادم القيم العائلية والقيم فى المجتمع، ويكون الأولاد الضحية. ولربما يسأل سائل **وماهو الفرق بين أن يقود الأب البيت أو تقوده الأم؟** والحقيقة أن هذا السؤال لم يلق العناية الكافية من الباحثين إلا حديثا. ونحن نعرف حاليا أن مرضى **الفصام** ينحدرون من عائلات، الأم فيها مسيطرة بينما الأب ضعيف الشخصية ولا دور له، أو أنه غائب، ومع ذلك فمن ناحية أخرى قد تكون لسيطرة النساء على الأسرة نواحيها الإيجابية، فقد لوحظ أن العائلات التى تحكمها النساء تكون للأولاد طموحات غير عادية، وربما كان ذلك لأن الأم قد تردد باستمرار على أولادها أنها كانت تطمع أن تعيش فى مستوى أفضل، أو أن يكون لها زوج أحسن، وقد تطلب من الأولاد أن يذاكروا ويبذلوا أقصى ما فى طاقاتهم. وأثبتت الدراسات أن أغلب الأولاد الذين لديهم دوافع قوية للتحصيل ينحدرون من عائلات تلعب

فيها الأمهات أدوارا متفاوتة، فقد تكتفى الأم بأن تزكّى فى ابنها الميل إلى التفوق وأن ينجز ويحصّل، وقد تتورط معه عاطفيا وتتدخل فى حياته بحيث تصبغها تماما بصبغتها، بينما الأب قد يكون مرموق المركز وناجحا إلا أنه مع ذلك قد يقنع بأن يكون خلف الأم يشير بما تشير به ويشجعها عليه.

وإذا كانت لهيمنة الأم إيجابيات وسلبيات، فإن **هيمنة الأب** لها سلبيات وليس لها إيجابيات. والأب المسيطر يخنق شخصية أولاده فينشأون متهافتين وخاصة الذكور. وإذن فالأسرة المثالية هى التى يتقاسم فيها الوالدان مسئوليات التربية، فتكون للأب مسئولياته الذكورية وللأم مسئولياتها الأنثوية، وأما المقاسمة بالتساوى دون اعتبارات الجنس ومستتبعاته من القدرات والتمايز النفسى فإن ذلك يعرّض الأولاد لتجارب غير واقعية، تنتهى بهم إلى نتائج مغلوطة فى الحياة وفى أدوار الرجال والنساء فيها. وإذا تحملت الأم مثلا المسئولية المادية لسبب أو لآخر فقد يستدعى ذلك بالتبعية أن يفهم الأولاد معانى عن المسئولية ليست هى المتعارف عليها اجتماعيا. والمساواة فى المسئولية بين الأم والأب وتولّيهما ذلك دون إشراك الأولاد وتدريبهم عليها يُنشئ رجالا ونساء أقل تحملا للمسئولية وأضعف فى الشخصية وأدنى من حيث الكفاءة.

ولاشك أنه من الأفضل أن ينشأ الطفل فى **عائلة عدد أفرادها قليل**. ويتبين ذلك من الدراسات المستفيضة حول هذا الموضوع، بالإضافة إلى أن الكثير من الباحثين يذهبون إلى تأكيد ذكاء **الطفل الأول** أكثر من إخوته، واكتمال شخصيته عنهم. وربما كان ذلك صحيحا من حيث أن الطفل الأول يكون تعامله مع والديه، وهو دائما فى رعايتهما ويتعلم منهما ولم يشغلا بغيره عنه، بينما من ينجبانه بعده قد لا يعطيانه من وقتهما ما كانا يعطيانه للطفل الأول. وهما عند إنجاب الطفل الأول أصغر سناً وأكثر صبرا على التربية ومشقاتها عنهما عند إنجاب الطفل الأخير مثلا. ومن ثم فقد لوحظ أن **الطفل الأول** مقارنا بإخوته يكون أكثرهم قدرة على التعبير، بالنظر إلى حصيلته اللغوية الأغنى وما ناله من تربية مباشرة من الأبوين تجعله أقوى فى الشخصية.

والأسرة الكبيرة شئ عادى فى الريف وبين العمال وصغار الموظفين عنها بين خريجى الجامعة وأصحاب المهن والموسرين. وأولاد العائلات كثيرة العدد أشبه فى سلوكهم بعضهم ببعض، لأنهم يأخذون السلوك والتجارب عن بعضهم دون الأبوين، بعكس أولاد العائلات

صغيرة العدد حيث يكون الأولاد والآباء ألصق ببعضهم وتنتقل الخبرة مباشرة من الأبوين لهم. وفى الأسرة كبيرة العدد يكون ما يسمى **تنافس الأشقاء sibling rivalry** وهو شئ له سلبياته وإيجابياته، إلا أن هذا التنافس من شأنه أن يجعل الأولاد أكثر اعتمادا على أنفسهم، وأكثر ميلا للتحصيل، ويزيد بهم الدافع إلى الإنجاز. ونحن نعلم ماجرّ عليه هذا التنافس فى **قصة يوسف وإخوته** أولاد سيدنا **يعقوب**. ولو سألت الابن الوحيد عن مَثَله الأعلى لقال لك **أبى**، بينما لو سألت واحداً من الأبناء فى أسرة، الإخوة فيها ثمانية أو عشرة، لقال لك **أخى هذا** أو ذاك. والإخوة فى الأسرة الكبيرة يصادق أحدهم واحدا منهم، بينما فى حالة الإبن الواحد ربما يكون الولد صديق أبيه أو لا يكون. ومعنى ذلك أن **الطموحات** فى الأسرة كبيرة العدد طموحات **شبابية**. والإخوة الصغار أصدقاء للكبار أو فى عهدتهم ورعايتهم، وذلك شئ يزكّى التنافس بينهم ويزيد من مستويات طموحاتهم، إلا أنه من ناحية أخرى فإن احتمالات تعويق المواهب وتعطيل التحصيل وتفويت الذكاء أكثر فى العائلات كبيرة العدد قليلة الموارد.

وتختلف **معاملة الأبوين للأولاد** فى الأسرة الكبيرة دون أن يلاحظا ذلك. وفى بعض الأمم تكون **للولد الأول** امتيازات صريحة. وفى الديانتين **اليهودية والمسيحية** تكون البركة للبِكْرىّ. وهذه العناية التى يولاها **الولد الأول** لابد لها من مردود نفسى عليه. وهناك دراسات كثيرة حول تأثير **الترتيب فى الأسرة** بين الأولاد، والولد الأول يتكلم ويمشى أسرع من إخوته، ولكنه من ناحية أخرى أكثر استهوائية واعتمادا على أبويه وإظهاراً للقلق. وأما الإخوة الأصغر فهؤلاء يتأثرون بمن يكبرهم، فإن كان ذكرا كانت اتجاهاتهم ذكورية، وإن كان أنثى غلبتهم الأنوثة ومالوا للرقة والدماثة. ويبدو أن اهتمامات الأبوين فى الأسرة الكبيرة العدد تتوجه إلى منع العراك والنزاعات بين أولادهم. وتكون هذه النزاعات على أشدها حينما لا يكون بين الطفل والآخر الذى يعلوه أو يصغره أكثر من **ثلاث سنوات** ولا أقل من **سنة ونصف السنة**. وتنصب الغيْرة عند الولد **الصغير** على مايقتنيه الكبير من ألعاب أو ممتلكات، وهى غيرة تستمر معه حتى بعد أن يكبر ويرشد. وأما حَمِيّة **الكبير** فتستثار كلما تُهدِد فى امتيازاته أو تهددت مكانته عند أبويه. ويكبر معه هذا القلق على مكانته وما يكون له من امتيازات. ومن ذلك مثلا الاحترام الذى يكون له بمقتضى بكْريته. وكسر هذا الاحترام للأكبر، والتمرد الذى قد يبديه الأصغر، هما موضوع الكثير من

الروايات والمسرحيات، وتعرضه عرضا مثيرا رواية **الإخوة الأعداء لكازانزاكيس**. **ونزاع الأشقاء** هو دراما متجددة ابتداء من المسرح اليونانى عند **يوروبيدس وسوفوكل**، وانتهاءً بالمسرح الحديث عند **سارتر** مثلا فى **الذباب**. وللأم دورها، وكذلك الأب فى **دراما الأسرة**. والأم تؤثر وتفضّل بحسب ترتيب الأبناء، فالأول وليد الحب وربما الكره، وهو ابن الشباب، والأخير ربما يكون محاولة لاستعادة شباب ضاع وأمانٍ ونت. وكان سيدنا **يعقوب** يفضل ابنه الأصغر **يوسف**، وأوغر ذلك صدور إخوته حتى كادوا له، وتعبر **سورة يوسف** تعبيراً إلهيا معجزا عما يمكن أن يتحول إليه **نزاع الأشقاء**، وما قد تنتهى إليه دراما الأسرة. ويبدو أن العلاقات العائلية تزداد تشابكا بتأثير جنس الطفل والأطفال الأصغر أو الأكبر منه، وتترك هذه العلاقات آثارها الغائرة فى شخصية الأطفال جميعهم. وتزيد التفاعلات فى الأسرة كلما ازدادت عددا. وفى الأسرة التى عدد أفرادها **ثلاثة** هناك أنواع من العلاقات، فإذا كان ميلاد الطفل **الثانى** زادت هذه العلاقات إلى **إحدى عشرة علاقة**، ومع الطفل **الثالث** يكون عددها **ستا وعشرين**، ويرتفع إلى **سبع وخمسين** مع الطفل **الرابع**. ثم هناك عنصر آخر يزيد من هذا التشابك فى حالة وجود الجدّين، وشغّال أو أكثر. غير أن أهم هذه العلاقات جميعها هى التى تكون بين أفراد الأسرة التى يطلق عليها اسم **الأسرة النووية**، وهى التى تضم الأبوين والأولاد فقط. وما من شك أن الأسرة الصغيرة أفضل من الكبيرة **اقتصاديا وماليا**، ويمكن أن توفر لأطفالها تعليما أرقى وحياة أيسر، إلا أن الدراسات من ناحية أخرى تشير إلى إمكانية تصدّع الأسرة الصغيرة العدد بحكم تأليفها الصغير، بينما الأسرة الكبيرة قد يحميها هذا الكبر من الانهيار. ثم إن تأثير الكارثة نتيجة التصدع يكون أقوى على أفراد الأسرة الصغيرة حيث يكون نصيب الفرد فيها أكبر من نصيبه لو كانت الأسرة أكبر عددا. وتتقاسم الأسرة الكبيرة المشاكل فيخف عبؤها على أفرادها. ومن ناحية أخرى فإن الأطفال فى الأسرة الكبيرة يقل تعرّضهم للاضطرابات الانفعالية ومشاكل السلوك عن الأطفال فى الأسرة **الكبيرة**. إلا أننا نجد **سوء التكيف** فى الأسرة الكبيرة بخاصة فى حالتى الطفل البِكْرىّ والطفل الأخير، وفى البنات عنه فى البنين.

وتبين الدراسات على **المصابين باللواط**، أنهم كانت لهم بأمهاتهم علاقات وثيقة فى الصغر، بينما كانت علاقاتهم بالأب ضحلة، وكثيرا ما يكون الأب بعيدا عن الأسرة وخاصة

فى مرحلة المراهقة. وفى دراسة فريدة عن تأثير العلاقات العائلية :McCord et al) Family relationships and sexual deviance in lower class adolescents) على التطبيع الجنسى عند الأطفال، تبين أن هذه التأثيرات من **ثلاثة** أنماط، فقد يصبح الطفل مراهقا يخاف الجنس ويرهبه ويتصرف بقلق من جراء هذا الخوف anxious inhibilted type، وقد يفجُر الطفل كمراهق وينقاد إلى ممارسات منحرفة، ومن ذلك أن يجرب أيضا أن تكون له علاقات بالنساء أو البنات per- verted type، وقد يشب متأنثا feminine type لايحب عدوانية الذكور ومغامراتهم، ويكره من نفسه أن يكون ذكرا، ويحب الممارسات النسائية وأن يسلك كالنساء. وهذه الأنماط **الثلاثة** لا تتحصل للأطفال إلا إذا جاءت نشأتهم فى عائلات تعانى من النزاعات، وللأم فيها الكلمة العليا، والعلاقات الجنسية بين الأبوين متوترة وفاشلة، والأب والأم متباعدان عاطفياً، فيتحول الاثنان إلى أطفالهما يشبعان فى واحد منهم القلق الجنسى الذى يعانيانه، ويحدثان الاضطراب فيه نفسيا. ويتطلع الطفل إذا كان ذكرا إلى أبية يقلّده فى الذكورة، وتنطبع بها ذكورته، ويعزز الأب هذا السلوك فيه، وكذلك تتطلّع البنت إلى أمها فى مثل ذلك وتساعدها الأم. ولقد سبق أن قلنا إن الأم عندما تكون أقوى شخصية فإن الإبن لا يتحول إلى الأب، ولاينتقل إلى طور التعين به، ويبقى متعلقا بالأم. وفى دراسة على أطفال من عائلات مختلفة التأثير تبين تأثير هذه العلاقة فى **الاختيارات الجنسية** للمراهقين، فالولد الذى ينحدر من بيت الأب فيه الأقوى، يتلون اختياره بحسب مايفضله أبوه، بينما الولد الذى له أب ضعيف وأم قوية تختلط عليه الأمور ولا يعرف ماذا يفضل أو يختار، وينشأ بهوية جنسية مختلطة كما أسلفنا من قبل.

ولقد كان هناك اعتقاد سائد أن **الطفل الوحيد** مُشْكِل، وأنه بالإضافة إلى افتقاده للإخوة الذين يدخل معهم فى منافسات، أو يمارس معهم دور الأخ الأكبر أو الأصغر، ويعرف من خلال وجودهم المسئوليات التى قد تتشابه كثيرا مع مسئوليات الأب، أو الأم، فإنه قد يعانى من فرط العناية أو الحماية من قبل الوالدين وينشأ بسبب ذلك أنانيا. ولقد ثبت أن **الطفل الوحيد**، شأنه فى ذلك شأن أى طفل، يمكن أن يكون لوضعه فوائد أو مزايا، ويمكن أن يترتب عليه مضار. ومن الفوائد أو المزايا أنه إذا لم يولَ من الأبوين عناية تفسده قد ينشأ بينهما فيعرف من أمور الحياة الجدّى منها بدلا من أن يقضى عمره بين صغار،

وتتحسن لغته ويكبر تفكيره، وهو لذلك يبزّ أقرانه فى المدرسة. وربما قد يجمع الطفل الوحيد الوالدين ويؤلف بينهما، فلا تكون فرص الخلافات التى قد تفسد الجو العائلى. ولربما قد لاينحاز الطفل الوحيد بسبب المعاملة المتوازنة من قِبَل الوالدين إلى أيهما، انحيازا يشوّش على تعيّنه بأبيه إذا كان ذكرا، أو تعينه بأمه لو كان أنثى، فالأم تطبع البنت بجنسها، ويعزز الأب هذا الاتجاه بملاعباته لها كأنثى، وكذلك يطبع الأب ابنه بطابع الذكورة، وتقوّى فيه الأم تشكّله الذكورى، بأن تعامله كرجل صغير فى البيت.

ويحدد **الجنس طريقة التعامل** مع الطفل منذ مولده فيخاطَب بوصفه أنثى أو ذكراً، باعتبار أعضائه التناسلية الظاهرة. وتناط بالذكر أو الأنثى أدوار وتوقعات لايعيها الوالدان، وإن كانت داخلة فى ثقافاتهما ولاشعورهما الجمعى. ويتصرف الذكر بخلاف الأنثى، وللذكر طابع عام وكذلك للأنثى. ويميل الكثير من علماء النفس إلى اعتبار الذكورة والأنوثة سلوكين مكتسبين ومتعلَّمين، وليستا من المسائل التى تدفع إليها الإفرازات الهرمونية الخاصة بالذكورة والأنوثة فى الإنسان أو فى الحيوان، إلا أنه يتبقى دائما أن نؤكد دور الهرمونات بدليل اختلاف السلوك مع العلاج الهرمونى. **ودور الأسرة** هو إذكاء الفطرة فى الذكر والأنثى، وتوجيه ماتفرضه الطبيعة توجيها يتلاءم مع انتماءات الأسرة الطبقية والثقافية والعرقية. **واللغة** مساعد للأسرة، وهى وعاء حضارى فيه كل ثقافة الإنسان والمجتمع الخاص. وتفرّق اللغة بين الذكر والأنثى، الأمر الذى يكشف للصغير مبكرا أن هناك مغايرة بينهما. وتتأكد المغايرة **باللباس**، وهو وعاء حضارى آخر كوعاء اللغة. ومنذ اليوم الأول للميلاد تكون للصغير أو الصغيرة الألبسة المناسبة لجنسه أو جنسها. وهكذا تستمر كل التوجيهات والتوجهات من العائلة بطابع جنسى خالص لأى من الطفل أو الطفلة. ولقد لاحظ أحد العلماء (**جولين كريمر ١٩٨٧**) أن الأمهات يبتسمن أكثر ويداعبن المولودة الأنثى عن المولود الذكر، ثم إن البنت فى السنة **الثانية** أو **الثالثة** تعاقَب بإظهار عدم الرضا أو بحجب مظاهر المحبة لها، بينما يعاقب الولد بالضرب. وثمة ظاهرة أخرى تقوى الإحساس بالأنوثة أو بالذكورة وتتناول الأعضاء التناسلية للطفل أو الطفلة، فبعض المجتمعات تُطَاهر البنت وهو ما يسمى **بالخفض**، وقد تجور الخافضة فتقطع البظر كله، وأحيانا تقطع الأشفار ويخاط الفرج حتى ليستحيل إنفاذ شئ فى المهبل طالما البنت لم تتزوج، فإذا تزوجت قامت الخافضة بإجراء عملية توسيع فتحة الفرج. وبالمثل يطاهر الولد

وهو ما يسمى *بالختان*، وقد يتغول *الطبيب أو حلاّق الصحة* بحيث *يقطع الغرلة كلها*. والختان فى الذكور أكثر انتشارا من خفض البنات. ولقد تبين أن للخفض والختان تأثيرات نفسية عميقة على التوجهات الجنسية المستقبلية، وكثيرا ما يكون لهما دور الصدمة التى تُستدَمج آثارها وتكون باللاشعور وتوجه السلوك الجنسى. ولاشك أن الأسرة وهى تمارس الخفض أو الختان فى بال الأبوين أنهما لصالح الولد أو البنت، والمصلحة المرجوة هنا مضمونها جنسى، والدافع إليها التقليل من تأثير الجنس على السلوك عند البنت، بينما هو مساعدة الولد على الأداء الجنسى الأمثل. وواضح أن الثقافة التى تنصح بذلك تستهدى باعتبارات نحو الجنسين هى محصلة خبرات للذكور، وهى اعتبارات تدل على أن **الثقافة ذكورية الطابع** حيث الذكر هو السيد بينما الأنثى تطيع. وعلينا أن نتوقع من بعد أن العلاقة بين الجنسين ستكون علاقة موصومة بأن **الذكر هو السيد دائما، وأن الأنثى عليها الطاعة**. والدليل من بعد أنه عند الزواج تُسلَّم البنت إلى الزوج ليفض بكارتها، وقد يساعده على فضها الوالدان، **وفضّ البكارة** إجراء ثان له دور **الصدمة** ويؤكد من جديد **سلبية المرأة** فى الثقافة الخاصة التى تمارس فيها هذه الممارسات، وأنها إنسانه معتدى عليها، وأن الأفكار والمفاهيم بصددها لها اتجاه خاص. وتربى الأسرة أطفالها فى ضوء المفاهيم والأفكار المتوارثة حول أدوار الذكر والأنثى فى الحياة، وإنه لتقليد قد استقر طويلا أن الإناث سلبيات وضعيفات ويحتجن إلى الحماية دائما، بينما الذكور إيجابيون وأقوياء وهم الذى يعطون الحماية. غير أن المرأة إذ ينضجها الزواج وتجارب الحياة تتبين أن **الجنس هو نقطة الضعف فى الرجل**، وأنه مطلبه فيها، فتجعل ذلك **نقطة قوتها**، وتستغل الرجل استغلالا يصفه علماء الاجتماع بأنه **اقتصادى واجتماعى** معا.

❊ ❊ ❊

الفصل الرابع والثلاثون

الطلاق Divorce

الطلاق ومعناه اللغوى والشرعى والاجتماعى والنفسى. ومعنى أن يأتى الطلاق على مراحل فى الإسلام. الطلاق النفسى يسبق الشرعى. وعواقب الطلاق على الزوجين والأولاد والأقارب. الطلاق متوقع ممن سبق لهم أن عانوا من طلاق أبويهم. الزمن المتوقع فيه الطلاق. ونسب الطلاق بين مختلف الطبقات. زيادة مشاكل المطلقين بالطلاق. العصابى والطلاق. نوعية الخلافات قبل وبعد الزواج. ودائرة الزواج السلوكية. عقود الزواج وضمنياتها. وأنواع العلاج للحيلولة دون الطلاق

تقوم علاقة الزواج بين المرأة والرجل على عدة اعتبارات، منها أن **الرجل له القوامة** فى الأسرة، **وله حق الطلاق** على أساس أنه المسئول عن الأسرة والمنوط به رعايتها والإنفاق عليها، غير أن ذلك يخضع **للضوابط الاجتماعية والدينية**، فإذا لم يكن الزواج يحقق الغاية منه فللمرأة أن تطلب الطلاق، وللقاضى أن يحكم به لها فى حالات الضرر، سواء كان ماديا أو نفسيا، كأن تكون معاملة زوجها لها معاملة سيئة، أو إن كان به عيب يمنع من الإنجاب أو الوصال، وللرجل أيضا أن يطلق لنفس الأسباب.

والطلاق مرتبط بالتصور الاجتماعى **للأسرة** أو **العائلة**، واسم **الأسرة** مشتق من **الأسر**، وهو **بالمعنى المادى** الشدّ والربط بقطعة من الجلد تسمى السير، كان يُشَدّ بها العدو ويُدعَى مِن ثَمّ **الأسير**، وهو **بالمعنى المجازى** الرابطة التى تربط أفراد الأسرة وتصنع منهم قوة. وأما اسم **العائلة** فهو من العول، وهو كثرة العيال، وهم من يلتزم الرجل بمؤنتهم والإنفاق عليهم. والزواج فيه من معنى الأسرة **الجانب الاجتماعى**، وفيه من معنى العائلة **الجانب الاقتصادى**، وفيه أيضا المعنى أو **البعد النفسى**، حيث قد جعل الله فى الزواج سكنا ومودة ورحمة، ومن ثم نجد القرآن والسُنّة يؤسسانه على الدين والخُلُق باعتبارهما الشرطين الأوْلَى بالرعاية عند الزواج.

والطلاق فى **الإسلام** على مراحل كى تتهيأ للزوجين الفرصة لمراجعة نفسيهما، فلربما يتسرع الرجل فيندم، أو تنزجر المرأة فتُصلح من أحوالها. وراعَى الإسلام فى مراحل الطلاق الظروف النفسية التى قد يمر بها الزوجان قبل الطلاق وبعده، وجعل من الممكن

لهما أن يتراجعا، وكذلك أسقط أثر الطلاق إذا أوقعه الرجل وهو غضبان أو سكران أو مُكْرَه.

والطلاق يبدأ **نفسيا** قبل أن يتحقق **شرعا**، وذلك أن الغُربة تكون قد دبّت بين الزوجين قبل الطلاق بوقت طويل من تأثير الخلافات والمنازعات. ويرتبط **بالطلاق الشرعي طلاق اجتماعي**، وهو أن تنتهي العلاقات بين أهل الزوجين، وتنقطّع الصداقات التي كانت للزوجين بغيرهما من الأزواج. وبوقوع الطلاق يجد الزوجان نفسيهما يسعيان نحو إنشاء علاقات جديدة أو إحياء صداقات قديمة توقفت أو انقطعت بقيام الزواج. وبوقوع الطلاق أيضا يكون النزاع حول **الأطفال**، ويدب خلاف حاد حول تنشئتهم، ونوع التربية التي يمكن أن تكون لهم، وتبعيتهم، ويدخل أطرافٌ في النزاع ويخسر الأولاد، لأنه بانفصال الزوجين والتحاق الأطفال بأيهما يتوقف تعيّنهم بالوالد الغائب، وينقطع تقمصهم الأدوار الاجتماعية التي له. وقد يحدث أن يكون الولد محبا لأمه فيكره أباه لأنه انتزعه منها، أو تكون البنت محبة لأبيها وتشب بتكوين نفسي معين في ظل الظروف الصادمة التي عانت منها. ولربما يضطر الأولاد إلى التعايش مع **زوج الأم أو زوجة أب**، فيكون النفور الشديد والصراعات التي لاتنتهي، والتي تتخلّف عنها نتائج من الصعب التكهن بها، وإن كانت آثارها النفسية والاجتماعية محل الكثير من الدراسات. ولربما يضطر أولاد الزوجة مثلا إلى التعايش مع أولاد الزوج الجديد في بيت واحد، فإذا كانت المراهقة ظهرت المشاكل وكانت لنشأتهم معاً وهم ليسوا من المحارم نتائج شديدة الصعوبة. والمعروف أن الأسرة التي تعيش في كنف الأب والأم تربطها ببعضهم **أنواع من العلاقات عددها ثمانية** : علاقة الزوج بالزوجة، والأخ بأخيه، والأخت بأختها، والأخ بأخته، والأب بابنته، والأب بابنه، والأم بابنتها، والأم بابنها، في حين أنه بعد الطلاق وزواج الأب والأم فإنه من الممكن أن يكون عدد هذه العلاقات الجديدة ٢٢ علاقة، وذلك يضيف إلى تعقيدات الطلاق. وكذلك فإن الأولاد بعد الطلاق تتخلف لديهم **انطباعات** تتعلق بالأحكام مثلا، فيميلون إلى تعليق الأحكام والإحجام عن إدانة أطراف أي نزاع، وذلك بسبب ماعانوه من محاولات الاستقطاب من الوالدين، ولرغبتهم الدائبة التي تصبح طبعا فيهم أن لايتناولوا سيرة أي من الوالدين، ولايقضوا فيهما بأي قضاء. وقيل أيضا إن الأطفال الذين ينشأون في بيت ليس فيه سوى الأب، أو سوى الأم، لايشعرون بدفء العواطف التي يمكن أن تقوم بين الرجل والمرأة، ولايتعلمون

الجنس ودروسه المستفادة من مختلف المواقف التى كان يمكن أن تقوم بين الأب والأم لو كانا يعيشان معا. ويبدو أن الأطفال الذين يعانون من الطلاق يصبح **الطلاق تجربة قد مروا بها**، فإذا أصبحوا رجالا ونساء من بعد فلربما لايهمهم أن **يطلّقوا** بالنظر إلى **أنهم قد سبق** لهم أن مروا بالتجربة وتحصل لديهم الانطباع بأن أحدا لايخسر بالطلاق، أو أنه لايعنى نهاية العالم. ويكاد يكون هناك إجماع بين العلماء على أن الطلاق مسألة تسرى فى العائلات، وغالبا **ما يمارس الطلاق** أولاد العائلات التى مارست الطلاق، ونادراً ماتجد أسرة قد طلّق معظم أبنائها إلا وتجد أن ذلك مرده إلى أن الأب والأم مطلقان. وتبين من الاستقصاءات المختلفة أن الطلاق **يطلبه الرجل** عادة أولا، ويسعى إليه حثيثا عندما يجد أنه الخاسر باستمرار الزواج. والرجل عموما لايخسر بالطلاق بقدر مايخسر مع استمرار زواج فاشل من وجهة نظره، فى حين أن المرأة تكسب بالزواج وتخسر بالطلاق، ولاتقبل عليه لهذا إلاّ مضطرة، أو إذا وجدت مايعوضها عن استمرار الزواج. ويرتبط الطلاق **بالمستوى العلمى** للزوجين **والمستوى الطبقى**، وقد تبين أن **أعلى نسب الطلاق** تكون بين العمال، **وأقلها** بين الفلاحين ثم بين المتعلمين، **وأغلب الطلاق** يتم **فى السنتين الأوليين** من الزواج، وتزيد نسبة الطلاق بين **المسيحيين** عنها بين **المسلمين**، وأقل نسب الطلاق فى العالم هى التى بين المسلمين، وهو مايؤكد العلاقة بين الزواج والطلاق والثقافة أوالديانة والأفكار المرتبطة بهما بخصوص الأسرة ومكانة المرأة ومفاهيم الزواج فى أى مجتمع من المجتمعات. وليس من شك أن **وجود الأطفال مدعاة لتأجيل الطلاق** أو حتى إلغاء فكرته، ويعزو علماء النفس ذلك إلى أن قرار الإنجاب يتخذه الزوجان عندما يكونان موفقين كزوجين، ومن ثم فوجود الأطفال قد يعنى أن الأسرة سعيدة. ولقد ثبت أن الزواج الثانى ليس حلا لما قد يعانى منه الزوجان المطلقان، فاحتمالات الطلاق **فى الزواج الثانى** تزيد بوقوع الطلاق الأول، **واحتمالات الطلاق** عموما أكبر مع الأزواج المطلقين عنها مع الأزواج غير المطلقين. وللمطلق أوالمطلقة **اعتبارات اجتماعية** لايغفلها أبدا الزوج أو الزوجة الجديدة. وللزواج القديم دائما مشاكل قد تستمر وتؤثر على نجاح الزواج الجديد. ويثير الطلاق مخاوف الزوجين من حيث مايترتب عليه من **وحدة**، وليس أشق على نفس الزوجة أو الزوج أن يجد نفسه أو تجد نفسها تعيش وحدها من بعد الأسرة وماتقوم عليه من استقرار ومسئوليات ورعاية من الزوج، واعتماد من الطرفين على الآخر فيما يتعلق بواجبات البيت.

وقد يعسر عليهما معا التفكير فى إمكان إيجاد زوج أو زوجة، وقد يرين على أحدهما أن أمره قد انتهى، وأن الحياة قد تجاوزته، بالإضافة إلى أن الطلاق دليل اضطراب انفعالى أكيد يشكو منه الاثنان أو أحدهما على الأقل، وهو فى كثير من الأحيان **سلوك هروبى أو اجتنابى** ومؤشر على **عدم نضج انفعالى وذهنى، وقصور فى الشخصية**، من حيث القدرة على التعامل مع الناس، ومن ثم فإن الطلاق يزيد مشاكل المطلّق ويثقل عليه بضغوط جديدة. ولا غرابة إذن أن نجد **نسبة الوفيات، ونسبة الانتحار والوقوع فريسة للأمراض** أعلى بين المطلقين منها بين الموفقين فى حياتهم الزوجية. وتتوقف قدرة الشخص على التعامل بكفاءة مع غيره من الناس وخصوصا أهل بيته على درجة النضج الذى بلغه، وذكائه الاجتماعى ومرونته مع الآخرين. وفى الكثير من الأحيان فإن الأزواج قد يبدأون حياتهم المشتركة وكل منهم قد استحضر معه عقده ومشاكله وحاجاته التى لم تشبع من الطفولة، وكلها أثقال تزيد من عبء الزواج. وبالنسة لهؤلاء الأشخاص فإن الطلاق يشكل فشلا آخر يحول دون تحقيق نواتهم وإشباع حاجاتهم، ويضيف إلى شقائهم. وما من شك أن **الشخص العُصابى** يلجأ إلى الطلاق لعجزه عن الوفاء بعلاقةٍ بغيره لها متطلباتها الكثيرة، وهو عجز أصيل فيه يمتد الى علاقات الطفولة بأبويه أو بإخوته. وموقف الزواج فى هذه الحالة امتداد لمواقف الطفولة. وتزاح كل عواطفه نحو الأبوين أو الإخوة إلى الزوجة أو الزوج. واتخاذ قرار الطلاق قد يشير به أخصائى نفسى، باعتبار استحالة المعاشرة بالنسبة إلى عمق المشاكل النفسية، وإنهاءً للتوترات والصراعات التى قد يحتاج حلها إلى علاج نفسى طويل الأمد. وقد يطلّق **الشباب** مثلما يطلق الشيوخ. والإنسان دائما تنتابه تغيرات بيولوجية ونفسية واجتماعية، ويعى عن نفسه أشياء، وتكون له هوية، وتتغير باستمرار فكرته عن نفسه، وتبعا لذلك قد تتغير مهنته، وقد يجد أنه يريد أن يلتزم وتكون له أسرة، أو قد يرى أنه قد ارتبط فى غير الأوان، أو أنه لم يحسن الاختيار. **وقرارات الزواج أو الطلاق** برغم أنها ليست كقرارات المواقف الأخرى من الحياة إلا أنها كثيرا ما تتم فى عجلة ودون خبرة كافية. وقد يدفع إليها مرض وافد، أو كارثة تحل بصاحبها وتختلف بها ظروفه، بالإضافة إلى أنه مع الكِبَر فى السن تقل حيوية الرجل والمرأة، ويتعرضان لمختلف الاضطرابات العصبية والأيضية، ويضعف البصر، ويقل ورود الأوكسيجين إلى المخ. وحينما يكبر الشاب ينحو عادة وبالفطرة إلى أن يبدع شيئا، ومايبدعه قد تكون له أشكال عدة، فقد

يتخذ شكل العلاقة الحميمة، أو العمل الفني أو قد تكون له صبغة اجتماعية. وأكثر ماتتوجه إبداعية الشباب نحو الإنجاب أو «**صناعة الأولاد**»، وبرغم أنها مهمة صعبة، بل ربما كانت الأبوة هي أصعب المهام إطلاقا، إلا أنه مامن أحد ينكص أمام صعوبتها، ومن النادر أن يتلقى الناس الدروس فيها، ولعله من أجل ذلك كان أغلب الآباء **هواة** من حيث أبوتهم، وكان أداؤهم للأبوه أداء تعوزه الدربة والحنكة. ولكى نتكيف مع كل هذه المتغيرات والمتطلبات لابد من وسط أو **بيئة مواتية**، وفى البيئات التى تقل فيها المشاكل والتعقيدات يقل الطلاق ويتدنى، ويزيد على العكس من ذلك فى **البيئات الفقيرة اقتصاديا**، ومع الأفراد الذين لم ينالوا قسطا وافرا من التعليم، وحيثما كان **التفاوت** الطبقى فى الدخول والثقافات شديدا، وحينئذ قد يقبل الزوج على **المخدرات أو الكحول**، وتتحول المشكلة من مشكلة مصدرها البيئة إلى مشكلة تتضمن العلاقة بين الزوج والزوجة على المستوى الشخصى. وهذه المشاكل التى مضمونها العلاقة بين شخصيّ الزوج والزوجة هى أكثر ما يدفع إلى الطلاق، بما تجره من انحرافات عن القصد من الزواج، وانهيار للتوقعات، واختلافات فى القيم. والكثير من الناس يقبلون على الزواج بتوقعات غير واقعية، وقد تسمع من أحد الطرفين أن الحب يزيل العقبات، أو قد تقول الفتاة لو كان يحبنى فلن يصغى لما يقال عنى، أو قد يقول الفتى إنها ستتعلم وتنهض بكل أعباء البيت فى الوقت المناسب، أو قد يردد على الآخرين أنه سيغير طباعها. وقد تكون للزوجين أحكام مختلفة وشديدة التباين، حول موضوعات مثل تربية الأولاد، أو طبيعة الجنس ومايبنغى أن يكون عليه بين الأزواج. وبعض الخلافات تقوم قبل الزواج، وينكص الزوجان عن الخوض فيها وينأيان عن معالجة أسبابها، فتستفحل بعد الزواج وتكون سببا فى الطلاق، وبعضها ينشأ بعد الزواج عندما تتكون للزوجين اتجاهات متنافرة، وهناك العديد من الطرق التى بها يتدخل عدم النضج فى العلاقة الزوجية. ولعل منها إن لم يكن أوضحها، أن يطلب كلا الزوجين أو أحدهما من الآخر أن يهتم ويعنى به كما لو كان طفلا، أو قد يتصرف مع الآخر تصرف الطفل مع والده، أو قد يدخل الزوجان فى منافسة مع بعضهما فيكون هدفهما أن يفوز أحدهما من الآخر بشئ بدلا من أن يتعاونا مع بعضهما. وقد يظهر عدم النضج فى محاولات كل منهما أن يلوم الآخر متحللا من المسئولية. وتقوم بعض الزيجات على **المصلحة**، وقد تنتهى المصلحة فلا يكون ثمة مبرر لاستمرارها. وبعض الزيجات يعجز الزوجان فيها عن تطوير العلاقة الزوجية بينهما

وتنميتها فتذبل وتموت مع الأيام، وغالبا ماتأتى الشكوى أولاً من **الزوجة** فتبدى **السأم** من خواء الحياة الزوجية. ولكل أمرئ فى الحياة حاجات شخصية تلزمه لكى يعيش ويتنامى باستمرار، ولابد أن يشعر أنه حر وأن الزواج ليس بقيد على حريته، وأنه لايتعارض مع خصوصيته. وقد يحدث أن يعطى الشخص لحاجاته الشخصية الأولوية على علاقاته بزوجته فتبدأ المشاكل، غير أنه من ناحية أخرى لاينبغى على الزوجين أن يحولا بين أحدهما وأن يحقق **ذاته** وينمّى **قدراته**، ومن ثم كانت الأهمية لاختيار الزوجين لبعضهما، بحيث يمكن أن يجتمعا فى **الطباع** على مايمكن أن يحببهما فى بعضهما، ويتحكم فى ذلك مايقال له **الدائرة السلوكية**، وهى من أربعة أقسام، فقسم **السيطرة** ويقابله مباشرة قسم **الخضوع**، والشخص **المسيطر** يستهويه فى الآخرين أن يبدى الخضوع له، غير أنه إذا غالى فى سلوكه المسيطر فإنه قد يستثير فيه الرفض لسيطرته، وأما الشخص **الخاضع** فعلى العكس تستهويه صحبة المسيطرين ويسلم لهم قيادة، وإذا أظهر الخضوع المطلق فقد يزهد المسيطر أن يرى فيه ذلك. وهناك غير هذين القسمين **قسمان آخران** متقابلان أيضا، هما **دماثة الخلق** فى جانب، وفى الجانب الآخر **الشراسة**، أو أنه فى جانب هناك **الطيبة والمحبة**، وفى الآخر **العداء والبُغض**، والجانب الأول يدفع الآخرين إلى أن يسلكوا بنفس الطريقة، فالطيبة تستحث الطيبة، والعداء يستحث العداء، غير أنه من ناحية آخرى فإن الطيبة الزائدة قد تحدو بالآخرين إلى أن يستهتروا بصاحبها وأن يردوها إلى الضعف والمسكنة. وقد تجتمع فى الشخص الواحد أكثر من صفة، كأن يكون مستبداً ومتباهياً فينتسب إلى قسمى السيطرة والعداء معا. وعلى كل حال فإن كل سلوك يدفع إلى سلوك مقابله. ويتحكم فى اختيار المرء لزوجه **التناظر** فى الوضع الاجتماعى، **والتماثل** فى الاهتمامات والقيم، وكذلك **التكامل** فى السلوك، وهو أمر يقول به الكثير من العلماء. وهناك من الشواهد مايؤكد صحة **مبدأ التقابل** الذى يستحث سلوكا معينا فى الأفراد الذين يستهويهم فى الآخرين أن يكون سلوكهم مكاملا لهم، فمثلا **المرأة** التى تميل إلى السلوك بطريقة **مسيطرة** ولكنها تتوسل إلى السيطرة **باللطف والكياسة**، يستهويها الرجل الذى يظهر الرضا بسيطرتها ويتقبل سلوكها **بإذعان ممتن**، وكذلك فإن مثل **هذا الرجل** لاتستثيره إلا امرأة من هذا النوع، وقد يتجالسان فتدور المناقشات بينهما، بحيث تستحوذ المرأة على الجلسة وتطرح الأفكار وتتولى زمام الحديث، فيعجبه منها ذلك ويحب أن يرتبط بها مسلّماً

أموره لها ولتقديراتها، فإذا تزوجا فإن حاجاتهما **تتكامل**، ويأتيان من السلوك ما لا يتعارضان به، فأحدهما **مسالم وديع**، والآخر يتولى أمره، وكلاهما يرضيه من الآخر ذلك، فإذا تصرف أحدهما بالطريقة **الودية** إزاء الآخر فإن تصرفه، إما أن يكون التصرف المسيطر، وإما أن يكون التصرف الخاضع، وقيادتها له يستجيب لها بالاتباع من غير غضب، ويحدث نفس الشئ إذا كانت المرأة من **النوع الخاضع الودود** وكان **هو من النوع المسيطر الودود**. وهذا النوع من التجاذب والتفاعل يوصف بأنه **سلوك مكامل** لبعضه بعضا. وهناك نوع آخر من التجاذب والتفاعل يحدث بين اثنين، أحدهما **مسيطر عدوانى**، والآخر **خاضع عدوانى**، كأن يكون أحدهما سادى الطبع والآخر ماسوشى، وتجاذب الاثنين لابد أن يكون من النوع المرضى، وقد يتعايشان إلا أنهما بالتأكيد سيكونان محل الكثير من التساؤل من الأهل والمجتمع. وهناك علاقات زوجية متعارضة كأن يكون الرجل من النوع **المسيطر العدوانى** والمرأة من النوع **المسيطر الودود** أو بالعكس، والغالب أنهما لن يتعايشا، وسينتهى الأمر بينهما بالطلاق لأنهما لايتكاملان، فالرجل قد يحاول أن يستغلها وهذا هو معنى أنه مسيطر عدوانى، والمرأة قد تحاول أن تتصرف حياله وكأنها أمّه، فإذا استمرا فى العيش معا فستكون حياتهما مضطربة ومشحونة بالخلافات. وكذلك الحال لو كان الزوج من النوع **الخاضع العدوانى**، والمرأة من النوع **الخاضع الودود**، فقد يكون شكّاء، وكثير السخط، ودائم التكاسل والتوانى، فى الوقت الذى تعتمد هى عليه فى كل شئ، وتتكل عليه فى كل أمورها. وأمثال هذه العلاقات غير المكّملة لبعضها البعض، غالبا ماتدفع إلى التنافر والتشاحن والطلاق. وقد يستخدم علماء النفس تعبير **الاتزان أو التوازن الداخلى للبيئة** homeostasis، وهو من تعبيرات علم الأحياء، ليصفوا به **العلاقة المستقرة** بين الزوجين، ويعنى هذا التعبير فى مجال علم النفس أن هناك ما يشبه **العَقْد الاجتماعى**، الضمنى أو الصريح، يحكم هذه العلاقة، ويتصرف بموجبه الزوجان فى وفاق تام، فمثلا قد تستقر الأمور بين الزوجين على أن أحدهما يتولى مسائل الميزانية فى الأسرة، بينما يتعهد الآخر بالأمور الاجتماعية، وقد يحدث أن تضطر الزوجة بحكم علاقاتها الاجتماعية أن تشارك فى النشاط الاجتماعى لجمعية من الجمعيات، ويضطرها ذلك للتدخل فى مسائل الميزانية، فيرفض الزوج ويقاوم تدخلها لأنه فى الواقع لم يكن ضمن العقد أن يكون لها شأن فى النواحى المادية، ومن ثم تبدأ المشاكل بينهما، ولاينهيها إلا أن

يتعارضا ويبلغا بإزائها إلى تسوية توفّق بين اختصاصاته القديمة ومستلزماتها التى استجدّت ولم تكن ضمن العقد من العلاقات التى اتفقا عليها ولو ضمنيا. غير أنه فى بعض الحالات قد يستمر التوازن مع وجود الاضطراب، وكأن الاضطراب جزء من التوازن ولايستقيم إلا به. ونضرب لذلك مثلا حالة زوجين تهددت العلاقة بينهما بالطلاق بسبب عزوف الزوجة جنسيا، ولمّا عرضها زوجها على الطبيب وامتنع عنها الحياء، كان لذلك تأثيره على الزوج فأصابه من جرأتها عليه عجز جنسى، وإذن كان الأحرى بالزوجين أن يبقيا على حالتهما الأولى، فلو لم تعالج الزوجة من حيائها لما اجترأت على زوجها ولما أصيب بالعنّة. وأمثال هذين الزوجين كثيرا مايستمران فى الحياة معا رغم سلوكهما غير السوى، وكأن التوازن المنشود لايستقيم إلا باعوجاج سلوكهما.

وقد يعبر علماء النفس عن العلاقة الزوجية باصطلاح **العَقْد أو الاتفاق**، ويقولون إن السيدة التى توافق مثلا على إعطاء رقم تليفونها لصحفى ليتحدث إليها فى شأن من شئون الحياة، فإنها فى الواقع وضمنيا تجيز له أن يتحدث إليها ويتفرع الحديث إلى مسائل الحب، وقد تنشأ بينهما علاقة غرامية من نوع ما. وعقود الزواج أو اتفاقاته لها فائدتها لو كانت صريحة، إلا أن الأزواج يدخلون العقود الزوجية وكلاهما يعنى بها أشياء يُسِرّها فى نفسه ويخفيها عن الآخر، ولو شاء الزوجان أن لايتطالقا فإنه يلزمهما من آن لآخر أن يتطارحا مابنفسيهما، وأن يتحدثا بصراحة فيما يفهمه كل منهما من عقد الزواج أو اتفاقه. ولاتُستحدَث مشاكل الزواج إلا عندما يُضمر الزوجان بنودا غير معلنة لاتفاق الزواج، ومثال ذلك الزوجة التى تفترض أن زوجها يستطيع أن يخمن متى تريد المضاجعة، فإذا ضاجعها فهو يعرف كيف يأتيها دون أن تخبره، أو الزوج المطيع الذى يُسلِم قياده لزوجته ويحسب أن ذلك منه برهان على حبه لها. وعندما يكون لدى الزوجين أفكار كهذه لايتصارحان بها، فإنهما كثيرا ما يفهمان أن العقد بينهما قد فسخه أحدهما. ومن العقود المخيبة للآمال وتكاد تكون **عقود نصب**، أن تقوم الزوجة بدور اللعوب، تغرى زوجها لتحتال عليه، وتستخدم الجنس لتوقع به لمصلحتها، وقلما تنيله نفسها، وتمتنع عليه بحجة أو بأخرى. ومن الأمور المألوفة أن تسمع من الزوجة كهذه أنها تفعل ما تفعل لأن زوجها لايعدو أن يكون طفلا كبيرا، ولذلك تحتقره لهذا السبب فى صميمها، والعلاقة التى بينهما وإن تكيفت على هذا الوضع من السلوك السئ، إلا أن المسئولية تقع على الطرفين لأنهما معا يكيفان سلوكهما

بحسب تصرفات الآخر. وهناك عقود أو اتفاقات ضمنية بين الأزواج بحيث يتعايشان فى **وفاق محسوب**، بمعنى أن علاقاتهما بها مايجعلهما يتجنبان أشياء بعينها، لأنها لو أثيرت أو تعاملا معها فستجر معها **التصادم**، وكأنهما الراقصان، يتخاصران فى انسجام فى صالة كثيرة الأعمدة، وهما يتجنبان فى حركاتهما وسكناتهما الأعمدة. وفى **العقود المحسوبة** من هذا النوع يتعايش الزوجان ضمن نطاق معين وحدود يلتزمانها، وكأن الخروج عنها فيه حتفهما. ويحدث الطلاق مع أمثالهما بتصرفات من أيهما تخرج الآخر عن طوره، ولكنه من أجل الاستمرار يرضخ ويسكت على مضض، ويتكرر ذلك، ويصرخ الآخر ويزعق حتى يبح صوته، ولكنه فى النهاية لايجد أنه يستطيع الاستمرار. وهناك - بخلاف هذا الزعيق الذى يلجأ إليه الأزواج - الكثير من الطرق الأخرى لتجنب الطلاق فى العقود المحسوبة، ومن ذلك **الأدب الجم** الذى يخفى خلفه الكراهية، إلا أنها كراهية يجهد الطرفان فى إخفائها، ويتجنبان لذلك أن ينفردا ببعضهما، ومن ثم يشغل الزوجان بإقامة الولائم، أو بالدعوات والزيارات، أو بالاشتغال بالأنشطة الاجتماعية، أو بالانهماك فى القراءة، أو مشاهدة التلفاز، أو الاستغراق فى أعمال البيت، أو فى الرياضة.

وهناك عقود أو اتفاقات زواج ضمنية، يلجأ فيها أحد الزوجين إلى إتيان أنماط من السلوك تجرّ عليه المشاكل أو العار، فيتدخل الآخر للإنقاذ، ويكون اللوم والعتاب، ثم العفو. وتوصف هذه العقود بأنها**عقود سوء توافق محسوب**، ومنها أن تكون هناك حماة تلعب دور المنقذ فكلما اختلف الزوجان تدخلت الأم لتوفق بينهما، ويبدو على الأطراف الثلاثة أنهم يكسبون من امتثال أدوارهم، ولايبدو عليهم أنهم يتعبون من تكرار مشاهد هذه اللعبة الثلاثية، إلا أن أحدهم فى النهاية يزهد اللعب ويخرج من المسرحية وقد بلغ به الضيق والسأم حدّهما. وفى أمثال هذه العقود تكون للزوجين حاجات لايصرحان بها ويخفيانها عن بعضهما، وربما لا يكونان على وعيً بها أصلا. وقد يتزوج الرجل **المسيطر الودود** بامرأة **خاضعة ودودة**، ويبدو أنهما سيتكاملان، ولكنهما لايفعلان ذلك بسبب حاجاتهما غير المصرح بها، فالرجل رغم أنه يلبى مطالب البيت ويرعى شئونه ويبدو استقلاليا، إلا انه قد يهفو إلى حنان امرأته، وهو معنى آخر للحاجة إلى الأمومة، والمرأة الخانعة تسلم قيادها لزوجها لأنها تريد أن تعتمد عليه وتشعر منه بالأبوة، والنتيجة أن يتباعدا، فإذا لم يناقشا هذه الحاجات وموقفيهما منها تزيد الشقة بينهما وينتهيان إلى الطلاق. ولعل خير مثل

لعقود سوء التوافق المحسوب الزوجان، أحدهما ماسوشى الطبع والآخر سادى، أو أحدهما يسئ معاملة الآخر بينما الثانى يحتمل أذاه، وينجذب الماسوشى إلى السادى كانجذاب المغنطيس إلى الحديد، وكلاهما يهرب من صراعات داخلية به إلى نوع المعاملة التى يخفى فيها صراعاته أن تظهر من خلالها، فالماسوشى يحتمل الأذى لأنه يرى أنه عقاب ينزل به ويستحقه، والسادى ربما يهرب من ضعف يخشاه ويخاف أن يفضح صراعاته. ويوصف العقد بينهما بأنه يشتمل ضمنيا على مايشبه الرضا بسلوك كل منهما نحو الآخر، رغم أنه سلوك شاذ ومرضى، إلا أنه يستبقيهما معا، ويكامل بين حاجاتهما الداخلية ويشبعها فيهما إشباعا غير سوى، غير أنه الإشباع الذى يحفظ عليهما حالة التوازن. وتتفاوت هذه العلاقة الماسوشية السادية، فقد تكون مجرد عزوف من أحد الزوجين يبدو فى صورة انشغال بأمور الحياة، بينما الآخر يطلبه ويسعى إليه ويشكو انصرافه عنه، وقد تشكو الزوجة أنها تعطى بينما زوجها يبخل بكل شئ، وقد يقول الزوج أنه مظلوم مع زوجته وأنها لاتقابل حبه لها بما يستحقه. والسلوك السادى ونقيضه الماسوشى كلاهما يدعم الآخر ويقويه فى نفس صاحبه، بالإضافة إلى أن كلا من الزوجين يسقط مابنفسه على الآخر، فالماسوشى ينسب مابنفسه من ميول عدوانية وسادية مكبوتة إلى شريكه، وبذلك يجعل سادية الآخر تبدو أكبر مما هى عليه فى الواقع، والثانى يسقط ضعفه وماسوشيته على الأول. وكذلك فإنهما فى الواقع يتبادلان المواقف كثيرا وبذلك يزكيان فى نفس كل منهما السلوك الذى يناسبه، فمثلا قد تجد الماسوشية فرصتها فى ممارسة نوع من السادية السلبية، بأن تكون باردة فى المضاجعة وكأنها تريد أن تطعنه فى رجولته فلا تبدى التأثر بها، وقد يظهر هو فى دور الضحية المغلوب على أمره ببرودها وسلبيتها، وقد تسلك هى وكأن أمره لايعنيها أو كأنها فى صميمها تحتقره. وتتعقد العلاقات الماسوشية السادية كثيرا، وليس تلخيصها فى عبارة «الزوج يحب أن يؤذيها، والزوجة تحب منه هذا الأذى» إلا ابتساراً شديدا، وليس هناك من حدود للأذى الحقيقى الذى يلحق أياً من الزوجين من قِبَل الآخر. وعلاج أمثال هذه الحالات يحتاج إلى مقابلات كثيرة وجلسات طويلة مع المعالج. وهناك مايثبت أن ٨٥٪ من النزاعات الزوجية وحالات الطلاق سببها **الاضطرابات الشخصية** التى يعانى منها أحد الزوجين أو كلاهما. وكان المعالجون منذ **فرويد** يلتقون بالأزواج، كلٌ على حدة، ولاينصحون أبدا بالجمع بينهما فى جلسات العلاج،

إلا أن الاتجاه الآن إلى **العلاج الجمعى**، وفى القليل النادر يشير المعالج بجلسات فردية. وهناك نحو ستة من أنواع العلاج للأزواج المشكلين الذين يتهدد الطلاق حياتهم، وفى **العلاج الفردى للأزواج individual marital therapy** يلتقى المعالج بأحد الزوجين دون الآخر، وغالبا مايكون هذا الآخر رافضا لقاء المعالج، ويركز العلاج على المشاكل التى تعترض الزوجين وليس على الاضطرابات الشخصية التى يعانى منها أيهما. وفى **العلاج المشترك للزوجين collaborative marital therapy** يلتقى كل من الزوجين بمعالج مختلف، ولكن المعالجين يظلان دائما فى تشاور وتناصح حول الحالة ككل، إلا أن ذلك يكلف الزوجين معا، لولا أن ذلك ضرورى طالما أن النفرة بينهما بلغت حدا لايمكن معها أن يلتقيا معا. وفى **العلاج بالاتفاق concurrent therapy** يتفق الزوجان على أن يعرضا نفسيهما على معالج واحد، ولكن ذلك يتم مع كل على حدة، وذلك عندما تكون شخصية أحد الزوجين أظهر من شخصية الآخر، ويُخشَى من وجودهما معا أن يتسبب هذا التواجد معا فى أن لا تقال الحقيقة، أو أن يمتنع صاحب الشخصية الأضعف من كشف الحقيقة أو التحدث بصراحة. وقد يكون فى الإمكان استخدام **طرق التحليل النفسى** والكشف عن خبايا اللاشعور فى حالة العلاج بأى من الطرق السابقة، طالما أنها طرق العلاج فيها فردى. والعلاج الأجدى هو الذى يكون بتواجد الزوجين، حيث يستطيع المعالج أن يرقب التفاعل بينهما ويوجهه لمصلحة العلاج، مثلما يحدث فى **العلاج الموحد conjoint therapy** الذى يرى فيه الزوجان نفس المعالج معا، وفى **العلاج المزدوج combined therapy** الذى يجمع بين العلاجين الفردى والموحد. وهناك غير ذلك طريقة **العلاج الجماعى بتواجد أكثر من زوجين معا couples' therapy groups** يجمع بينهم المعالج بشرط أن تتشابه مشاكل كل زوجين مع مشاكل بقية أزواج المجموعة. وأشهر هذه العلاجات **هو العلاج الموحد** ويتم به علاج نحو ٨٥٪ من حالات الخلافات الزوجية الحادة التى يتهدد الطلاق أصحابها. والمعالج يسأل الزوجين ماإذا كانا يرغبان فى العلاج معا، ويبدأ بأن يسأل كلا منهما عن المشكلة التى يشكوان منها كما هى فى ظنه، وماالذى يرجوه كل منهما من الآخر لكى يستمرا معا، وماهى محاولات الحلول التى لجأ إليها كل منهما لتفادى المشاكل بينهما. والذى يحدث أن يبلغ الزوجان مرحلة من العلاج يلوم فيها كل منهما الآخر، ويلقى عليه بالتبعة، ويطلب من المعالج أن يؤيده،

ويذكّرهما المعالج بأن ذلك ليس من عمله، وأنهما ليسا عنده ليؤيد أحدهما على الآخر، ويطلب منهما معا أن يساعداه على إعادة الجسور المقطوعة بينهما وبناء الثقة، بأن يكونا إيجابيين معه، ومثلما يحدث فى العلاج الفردى عندما يبدو المريض يائسا، فإن المعالج يساعدهما على أن يريا الجوانب الإيجابية فى بعضهما، وقد يسألهما لذلك ماالذى تحبه فى الآخر، أو ماالذى أعجبه فيه قبل الزواج. وغالبا ما يكون أحد الزوجين قد قرّ قراره على الطلاق، أو أنه يضمره فى نفسه، إلا أن قبوله أن يعرض قضيته على المعالج لدليل على أن قراره ذلك يمكن أن يرجع عنه. وفى بلادنا يستحسن أن يحيل القاضى قضايا الطلاق على أخصائى فى مسائل الزواج والطلاق، وذلك ماتأمرنا به **الشريعة** حيث قد تحال الخلافات إلى قريبين عدول للزوجين معا، وعلى الأخصائى أن يظهر عدم انحيازه ويرفض التحدث فيما سوى مساعدة الزوجين على اجتياز المحنة التى يعانيان منها، ولاينصح بالطلاق إلا إذا كان الزوجان قد استنفدا كل الطرق، وبذلا كل الجهود لينهيا الخلافات، وليصلا ما انقطع بينهما، وحتى لاتتحول العلاقة بينهما إلى علاقة مدمرة للطرفين وللأولاد معا، فإذا أصر أحدهما على الطلاق ورفض الثانى لتستمر الأوضاع كما هى، فالغالب أن ذلك بدافع عُصابى لحاجة فى نفسه، إما لأن الألم والصراع وقضايا المحاكم والشجارات شئ يناسب ساديته أو ماسوشيته، فيشبع فى نفسه ميوله لإلحاق الأذى بالآخر ورؤيته يتعذب، أو ليشعر هو نفسه بالتعذيب يلحقه من جرّاء علاقة فاشلة كهذه مع ماتجره من تبعات ومسئوليات. وقد تكون أسباب رفض الطلاق أبعد من ذلك، فلربما تنبئ عن عدم نضج وحاجات اعتمادية، أو تشير إلى حاجات للامتلاك وليس للحب. وبعض الأزواج تصل به الأنانية أن يظل مالكا للزوجة على رغمها، لأن ذلك يناسب حاجاته، بصرف النظر عن أنه لايناسب حاجاتها.



الفصل الخامس والثلاثون

المطلقات والأرامل Divorcees & Widows

سلوك المجتمع والأهل من المطلقة، وزيادة نسبة المطلقات. الإسلام يحض على الزواج من الأبكار. المرأة لاتستغنى عن الزوج لأكثر من سنة. مستوى الذكاء وعلاقة التعليم بالتعفف عند المطلقة والأرملة. النشاط الجنسى عند المطلقة والأرملة. أسطورة الأرملة الطروب، وسيكولوجية الأرملة والمطلقة

ماذا تفعل المرأة التى يطلقها زوجها؟ وما هو سلوك المرأة بعد أن يتوفى عنها رجلها؟ وما حقيقة الأقاويل والإشاعات حول المرأة التى هجرها زوجها ولم تطلق بعد؟

ويبدو أن هناك **أدبا شعبيا** حول سلوكيات النساء المطلقات والأرامل والمنفصلات، ويبدو أن الجميع يصدقون ما يقال عنهن، بدليل هذه الروايات، والتى قد تدعمها قصص المسجونات وما تفيض به صفحات الجريمة فى الجرائد اليومية. وقد تفرض الأسرة حصاراً حول بناتها المطلقات أو المترملات، وقد تمنع البنت المغضبة من زوجها عن الخروج وحدها دون رقيب من أخواتها. وتحفل **ألف ليلة وليلة** بما يدين هؤلاء النسوة ويبرر حالة الحرب بينهن وبين المجتمع.

ولقد كانت هناك عشرات من البحوث فى هذا المجال، وكميات هائلة من الإحصائيات حول هذا الموضوع. ولعل أبرزها بحث كينزى **السلوك الجنسى للمرأة**. ويبدو أن الأرقام التى يوردها **كينزى** تقرب منها سواها من أرقام البحوث الأخرى. وطبقا **لكينزى** وغيره فإن نسبة المطلقات والأرامل تزيد باستمرار فى كل المجتمعات، بتأثير الاستقلال الاقتصادى للمرأة وتعليمها، وانتشار الأفكار التحريرية، وتعديل قوانين الأحوال الشخصية. وهناك نحو ١٥٪ من النساء قد سبق لهن الزواج ويعشن عازبات ويحاولن أن يتوافقن مع ظروفهن الجديدة. ولابد أن المرأة المطلقة، أو التى يتوفى عنها زوجها، أو التى يهجرها لفترة قد تطول، تعانى من وضعها الجديد، وتستشعر وطأة **الوحدة** التى تعيشها، وتحس بعنت وهى لا تجد المنصرف لطاقتها الشهوية. وكانت وهى بنت تعانى جنسيا وعاطفيا ولكنها بعد إذ أصبحت امرأة وخبرت لبعض الوقت الزواج ومتطلباته، ستشعر حتما بوطأة للعزوبة أحدّ من وطأة الجنس أيام كانت بنتا لم تتزوج بعد.

وقد يقول قائل ولماذا لا تتزوج المطلقة أو الأرملة فتريح وتستريح؟ ويبدو أنه ليس من

السهل حقيقة أن تتزوج المرأة التى سبق لها الزواج، فالإحصاءات تقول أنه من بين كل مائة امرأة تطلّق لا تتزوج إلا **اثنتان فقط** فى السنة **الأولى** من الطلاق، **وخمس فى السنة الثانية**، فإذا كانت السنة **الخامسة** فإن عدد اللاتى يكن تزوجن من **المائة لا** يتجاوز **الثمانى عشرة**، وأما الأرامل فإن عدد من يتزوج من كل **مائة** امرأة تترمل **لا** يعدو **الإحدى عشرة** خلال **الخمس** سنوات التالية على الترمل.

وهناك أحاديث **للرسول** تحض المسلمين على أن يتزوجوا البكر وتنفرهم من الثيّب، وهناك أيضا آيات ترفع من قدر **الأبكار** اللاتى لم يطمثهن من قبل إنس ولا جان. ويبدو أن النساء المطلقات وقد مررن بتجربة مريرة ربما تتخلف بهن منها ندوب نفسية تجعل من المخاطرة الزواج منهن. وكذلك فإن أى رجل لا يحب أن يضع نفسه فى مجال المقارنة بينه وبين زوج التى توفى عنها رجلها. ويبدو أيضا أن هناك **بعض الصدق** فيما يقال عن المطلقات والأرامل مما يجعل من الضرورى اجتماعيا التعجيل بأن تتزوج المرأة التى سبق لها الزواج، وذلك أفضل لها ولأسرتها وللمجتمع.

وتذهب مختلف البحوث حول قدرة المرأة على أن تتعفف بعد أن يهجرها رجلها أو يطلقها أو يموت عنها، إلى الجزم بأنها **لا تستطيع ذلك غالبا لأكثر من سنة**. ونذكر فى هذا المجال توصية **السيدة عائشة** عندما طلبوا منها النصح بخصوص نساء جُند المسلمين فى الأمصار، وكن يشتكين ولهن أشعار أخذت تروج، فقالت إن أكثر ما تستطيعه المرأة من احتمال لا يزيد على **الشهور الستة**. وتأخذ كل قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين بهذه التوصية وتبيح للمرأة طلب التطليق لو زاد هجر الزوج لها **لأكثر من سنة**. ومع ذلك فالنساء لسن كلهن سواء، وتختلف طبائعهن بحسب التكوين الجسمى والفسيولوجى والنفسى لكل، وبحسب ثقافاتهن وانتماءاتهن الطبقية. ومن النساء من توطن نفسها على ظروفها الجديدة وتحتمل الحرمان الجنسى وتتوسل بإرادتها على أن تبدو متماسكة برغم ما قد يعتمل داخلها من صراعات، ويساعدهن على ذلك أننا نعيش فى مجتمعات شرقية محافظة ومتدينة تحسب ألف حساب للحرام والحلال. ومن النساء من تعود سيرتها أيام كانت بنتا، فإذا كانت لها من قبل تجارب جنسية فلربما يهون عليها أن تعاود ما انقطع، ومنهن من تستعين بمالها أو بجمالها أو مركز أسرتها على أن تجد لنفسها الزوج أو يجده لها أهلها. وبعض النسوة يجدن فى الاستمناء وسيلة ترضى نزعاتهن الجنسية ولا تعرضهن لمهانة

طلب الرجال أو الرضوخ للمغازلات، وما يستتبع ذلك من فضيحة أو ما قد يجره عليها لو حملت سفاحا.

ويبدو أن **المرأة الصغيرة فى السن** والتى يهجرها زوجها أو تطلق منه أو يتوفى عنها هى الأكثر تعرضاً للزلل بحكم قلة خبرتها وشدة ما تعانى من شهوة. وهناك إجماع على أن المرأة الصغيرة فى السن لا تعدم الوسيلة لكى تجد الإشباع لرغباتها الجنسية بطريقة ما، وأن **القلة منهن** يعشن فعلا حالة الحرمان أو التعفف الكامل، وهذه القلة تتراوح بين ٢٥ إلى ٣٠٪. والمرأة الصغيرة فى التعريف هى التى تبلغ من العمر ما بين **السادسة عشرة إلى الخامسة والعشرين**، فإذا ما زاد العمر قليلا وحتى **الخامسة والثلاثين** فإنها قد تعانى كل العنت فى كبت شهوتها والظهور بمظهر من لايهمها إن كان لها رجل أو ليس لها هذا الرجل. وتؤكد الاستقصاءات التى تمت مع العديد من النساء أن هذه السن هى **أخطر سن** يمكن أن تمر بها المطلقة أو الأرملة أو المنفصلة، وأن نحواً من ٣٠٪ فقط من اللاتى يتعففن على الحقيقة.

ولعلماء النفس طريقتهم فى اعتبارات **التعفف**، وهم لا يحسبون من النشاط الجنسى إلا ما كان يُؤدّى منه فى الزواج، أى أنه مالم يتحصل للمرأة من هذا النشاط الإنعاظ فإنهم يتجاوزونه. وهذه النسب السابقة تقوم بناء على ما أفضت به النسوة من إجابات صريحة حول هذا الأمر. ولربما تكون هناك اختلافات بين المجتمعات بعضها البعض، ولربما تقل هذه النسبة فى مجتمعاتنا لو أجريت بها مثل هذه الاستقصاءات.

وللتعليم علاقة بتعفف المرأة التى سبق لها الزواج، أو بسلوكها المسلك الذى تتحصل لها به تحقيق رغباتها الجنسية ومطالبها العاطفية. ويبدو أن المتعلمة فى هذا المجال أقدر من غير المتعلمة على استحداث الطرق التى يكون لها بها الإشباع الجنسى والعاطفى. **والجامعيات** أكثر النسوة ممارسة للنشاط الجنسى.

ولربما سأل سائل وما هو هذا النشاط الجنسى؟ وإلى أى مدى يمكن أن يذهب؟

والنشاط الجنسى الذى نعنيه هو كل ما من شأنه أن يتحقق به هذا الإشباع المنعظ، ولربما يكون جماعا صريحا، ولربما يكون بديلا للجماع كالتقبيل والربت إلخ المفضى للإنعاظ، ولربما يكون الاستمناء باليد، ولربما يكون سحاقا بين امرأة وأخرى، ولربما يكون رياضة أولهواً يُستحدَث به الإنعاظ كركوب الخيل والدراجات، وقد يكون نشاطا اجتماعيا

يختلط فيه النساء بالرجال ويكون الاحتكاك بين الجنسين والملامسات، ولربما تحتلم المرأة وتفضى إلى رجل فى الحلم ويفضى إليها.

وللانتماء الطبقى أثرة أيضا فى توجهات المرأة المطلقة أوالأرملة أو المنفصلة عن زوجها. ولربما يكون **الفقر** سببا فى انحراف المرأة التى سبق لها الزواج، وهناك من البحوث ما يجعل الفقر هو السبب الأول فى **البغاء**، فإذا كانت ظروف العائلة من الضيق بحيث يستحيل أن تجد فى كنفها الرعاية المادية والعاطفية فإنها قد تمتهن البغاء. ويبدو أن العاملات مع ذلك من أكثر النساء ابتعادا عن ممارسة الأنشطة الجنسية بالنظر إلى انشغالهن فى كسب العيش. ويبدو أن **التفكير فى الجنس** يبدأ مع تحسن الظروف المعاشية، وتتحفظ **نساء الطبقة البورجوازية** بتأثير توجهاتهن الدينية التى قد تعصمهن عن الحرام. ولعل **الرفاهية** صنو الرذيلة، وربما لهذا السبب اضمحلت مجتمعات **كالمجتمع الرومانى** بسبب الانحلال الخلقى الذى كانت تعانى منه بعد أن ارتفعت الدخول وزاد الغنى بتأثير الفتوحات. ولعله لذلك السبب أيضا سقطت **الدولة العباسية**. وربما كان أكثر ما يمكن أن يصيب أمّة من الآفات أن يغتنى فيها الناس الغنى الفاحش فيصرفهم ذلك عن تحصيل المعارف، والعلم يعصم صاحبه إن لم يكن هناك المال الذى ينازعه السلطان على السلوك، وكان **ابن سينا** الرئيس الفيلسوف موفور المال فعاث فسادا حتى تلفت صحته ولم يشفع له علمه مع المال الكثير. ومن ناحية أخرى فإن الفقر والجهل قد يجعلان المرأة تسئ السلوك، وما من شك أن **الجاهلة الفقيرة** أسهل على الغواية بعد الطلاق أو فى غيبة الزوج بالموت أو الهجر، من المتعلمة التى تجد المورد الذى يعولها بكرامة.

وتؤكد بحوث **جيرهارد** (Divorce and After) أن المرأة بعد سنة من انتهاء زواجها أو انفصالها تبدأ فى التزين وتغالى فى السلوك وتكثر من الخروج طلبا للزواج وإن لم تصرح بذلك. **والمطلقات** أسرع من غيرهن إلى هذه الطريقة. وللمطلقة عادةً ضحكة عالية ونغمة مرتفعة فى الصوت تميزها. **والمرأة التى يهجرها زوجها** قد تظل متباعدة يستبقيها الأمل فى إصلاح ذات البين. وقد تتلهى **الأرملة** بالصدمة ويظل الحزن يلازمها لأطول من السنة، وقد يظل ملازما لها طوال عمرها، ولربما تشغلها شواغل أولادها أو مشاكل الميراث. ويبدو أن سن الطلاق هى السن بين **الخامسة والعشرين والخامسة والثلاثين**، وهى سن الشهوة وإلحاحاتها، بينما لا يأتى الترّمل غالبا إلا فى **سن متأخرة** والمرأة قد ولىّ عنها

جمالها. وتؤكد البحوث أن سوء السلوك يأتيه من المطلقات نحوٌ من **الثلثين** أو ربما **الثلاثة أرباع**، بينما لا يأتيه من الأرامل من نفس السن سوى **الثلث** فقط، ولعله لهذا السبب تروج بين عامة الناس **قصص الأرملة الطروب** merry widow **والمطلقة المرحة** the gay divorcee، ولاشك أن الزواج من الخبرات العميقة التى تظهر **حقيقية طبائع الناس** وخاصة النساء، وبه تقوى اتجاهات المرأة وتتبلور ميولها، فإذا توفى زوجها عنها أو طلّقها أو هجرها كانت أقدر بعد الزواج على أن تسلك بأمانة مع نفسها وحقيقتها. والزواج يرفع عن المرأة الكلفة والحرج، ولعله لذلك فإن الدين يجعل للبكر وليا عند الزواج، لا يتم نكاحها إلا بموافقته، بينما الثيب وهى التى سبق لها الزواج لا ولى لها إلا نفسها.

ولقد كان القائمون على البحوث يتساءلون: **هل إذا فرّطت المرأة يكون تفريطها مع رجل واحد، أو أن الأمر يستوى أن يكون التفريط مع واحد أو أكثر؟** ولقد تبين من ردود النساء أن المطلقة تريد أن تحب وأن يحبها رجل، لعلها بهذا الحب تتزوجه، بيد أن الأرملة إذا فرّطت فغالبا ما لايكون تفريطها لرجل واحد، وفى حين أننا نجد التجارب الجنسية للمطلقة مع واحد لا تتجاوز ١٢٪، فإن الأرامل بالمقارنة تزيد النسبة معهن إلى ١٦٪ ويرجع البعض هذا التفاوت إلى أن الأرامل ربما يكن فى سن لا تسمح لهن بالزواج، وربما تكون علاقة المرأة منهن بالرجال علاقة عابرة بالنظر إلى ما قد يكون بينها وبين من تعاشرهن من تفاوت فى السن، وهو أمر قد يجعلها تعدد التجربة.

ولقد قلنا إن **الاستمناء هو** الحيلة المرأة الثانية بعد الجماع المباشر. وتؤكد البحوث أن ١٣٪ من النساء المنفصلات عن أزواجهن دون **العشرين** يلجأن إلى الاستمناء، وأن النسبة تزيد حتى تبلغ ٢٩٪ بين **السادسة والأربعين والخمسين**، وربما كان ذلك لخوف المرأة على مكانتها، أو لأسباب من سنها تجعلها لا تتورط فى علاقات غرامية، وتسعى إلى إشباع نفسها ذاتيا عن طريق الاستمناء.

وقلنا إن **الاحتلام هو** المصدر الثالث للإشباع الجنسى، وتبين من الاستقصاءات أن الاحتلام عند النساء المنفصلات فوق الأربعين ضعفه عند النساء العازبات اللاتى لم يسبق لهن زواج. وربما كان الاحتلام حيلة المرأة الأساسية فى السن **بعد الأربعين** عندما تعز الوسائل الأخرى، وهو دليل على ما يجرى داخلها من صراعات ورغبات محتدمة قد تشعر بها أو لاتشعر بها.

والنشاط الجنسى المثلى فى البحوث الأمريكية ينضاف إلى الاحتلام كمصدر ثالث للإشباع الجنسى عند النساء اللاتى سبق لهن الزواج، إلا أنه **ليس كذلك فى بلادنا** وإن لم تكن هناك استقصاءات حول هذا الأمر، غير أنه ليست هناك أدلة على استفحال السحاق بين النساء عندنا، ولم تكن هناك قضايا من هذا النوع أو شكاوى، ولا تعرف العيادات النفسية شكاوى منه، بينما فى **الولايات المتحدة** تكثر المساحقات وتبين أن النشاط الجنسى المثلى يشيع بين النساء اللاتى سبق لهن الزواج فيما بين سن **السادسة والعشرين والخامسة والثلاثين**، وهناك قضايا طلاق لنساء **لزبيانيات**، كما أن لهن جمعيات تضمهن معا، وتظهر البحوث أنه من بين كل **مائة** امرأة مطلقة هناك **تسع** لزبيانيات أو مساحقات.

ولعل أكبر المجالات لممارسة تصريف الطاقة الشهوية فى كل المجتمعات هو مجال **المشاركة الاجتماعية والرياضية** بين النساء والرجال، وقد تكون للنساء أنشطة نسائية خاصة بهن يصرفن فيها طاقاتهن بالتسامى بالتصريف الجنسى عن التصريف المباشر. وتذكر البحوث أن هذا النشاط يشكل ٨٧٪ من كل أوجه التصريف الشهوى، ولعل ذلك مؤشر لما ينبغى أن يباح للنساء من أوجة النشاط الاجتماعى وخاصة للنساء اللاتى سبق لهن الزواج وهى صغيرات السن، حيث أنه قد تبين أن المرأة كلما أوغلت فى السن يقل إقبالها على هذا النشاط، فإذا كانت فى الخمسين قلّ عدد المشاركات من النساء بحيث لا يعدو ٥٧٪.

ولو قارنا بين **عدد المطلقات وعدد المطلقين** الذين يعاودون الزواج لوجدنا أن **ثلثى المطلقات** يفعلن ذلك بينما يفعله **ثلاثة أرباع المطلقين**، وعادة ما يتحسر الرجل على زوجته الأولى، بينما تفضل المرأة زوجها الثانى (Udry: The Soial Context of Marriage).

وربما كان سبب زيادة **عدد المترملات** عن **عدد المترملين** أن الأزواج غالبا يكونون أكبر سنا من الزوجات، بالإضافة إلى المتاعب الصحية التى يعانى منها الرجال غالبا نتيجة ضغوط الحياة والكدّ والنَصَب لتحصيل القوت وإعالة الأولاد، وهو ما يجعل إمكانات الوفاة عالية بينهم عنها بين النساء. ولعله لهذا السبب نجد أن **نصف عدد النساء** فى السن بين **السبعين والخامسة والسبعين** من الأرامل، بينما يحتاج الأمر لكى يكون نصف عدد الرجال من الأرامل أن يكون الرجال فى السن بين **الخامسة والثمانين والتسعين**. وكذلك فإنه فى

السن بين **الستين والرابعة والستين** يكون **ربع** عدد النساء من الأرامل، بينما لا يكون إلا ٦٪ **فقط** من الرجال فى هذه السن من الأرامل.

وإذا كان على الرجل أن يختار بين **البنت والمطلقة والأرملة** لكى يتزوجها فإنه يختار **البنت** أولاً، ثم **الأرملة**، وأخيرا **المطلقة**. ويفضل **المطلق الأرملة** على **البنت** بالنظر إلى ظروفه وظروفها حيث يتنازل كلاهما عن بعض متطلباته لقاء العيوب التى فيه، فلربما يكون لديهما أولاد، أو يكون أحدهما أو كلاهما كبير السن. ولاتسعى **الأرملة المسنة** إلى الزواج كالأرملة الشابة، وكذلك يختلف وضع **الأرمل المسن** عن الأرملة المسنة، والأخيرة قد يكفيها أن تجد التقّبل لها من أحفادها وزوجة ابنها أو زوج ابنتها، وأما الأرمل فالأمر يختلف معه حيث قد لا يجد الترحيب من زوجة ابنه أو زوج ابنته، ووجوده كرجل يحرج الجميع، ومن ثم فقد يكون الأنسب له أن يتزوج ويظل فى بيته، بالإضافة إلى أن العدد الكبير من **المترملات** يجعل سوق الزواج لهن كاسداً، على عكس **الأرمل** الذى له المعاش والبيت ويجعله ذلك مطمعاً من كثير من النساء.

والمرأة التى تترمل تفقد زوجاً ومكانةً اجتماعية كان يضفيها عليها وجوده، بينما **الرجل الذى يترمل** يفقد الزوجة والفهم والحنان وشريكة عمره وكفاحه، ولذا فالترّمل بالنسبة للمرأة قد يعنى مرحلة جديدة، ولكنه بالنسبة للرجل بمثابه الانقلاب الجذرى فى حياته، ولعله لهذا السبب **يكثر موت الأرامل فى السنة الأولى من وفاة زوجاتهم**، والبعض قد يحاول الانتحار أو ينتحر فعلا، وتحضرنى قصة أحد الفلاسفة الأمريكيين وقد توفيت زوجته فأحيا ذكرى وفاتها الأولى على قبرها بأن أطلق الرصاص على نفسه.

ولقد كثر فى بلادنا **الزواج العرفى** بين المترملات الشابات نتيجة لحربّى ٦٧ و٧٣، وتلجأ إليه الأرملة لتوفّق بين ظروف حياتها الاجتماعية والاقتصادية ومتطلباتها الجنسية، والمعروف أن زوجات المجندين والضباط الذين توفوا حصلن على معاشات ضخمة لم يكن بوسعهن الاستغناء عنها بالزواج الرسمى.

وهناك فرق بين **الفسيولوجية الجنسية** للرجل والمرأة يجعل سلوكهما يختلف إزاء قضايا الطلاق والترّمل، فالمرأة عندما تبدأ فى الزواج يكون ذلك غالبا فى **الثالثة والعشرين**، وهى السن التى تقوى فيها رغباتها الجنسية، وتنشط جنسيا وتلح عليها الرغبة فى الجماع، وتكثر إفرازاتها المهبلية وهى المعادل للانتصاب عند الرجل، وإذا جامعت قد تنعظ عدة

مرات، ويستمر معها هذا النشاط حتى **الخامسة والثلاثين**، ومعنى ذلك أن الترّمل أو الطلاق أو الهجر فى هذه السن له عندها معنى يختلف عن معناه عند الرجل، وإذا حدث يكون له وقع عليها شديد الإيلام لها. ويعرف الرجال عن النساء ما يستحدثه فيهن الطلاق أو نحوه فى هذه السن، ولعل ذلك سبب يدفع الرجال أن يطمعوا فى النساء تحت ضغط هذه الظروف، ولعله أيضا السبب فى **ضعف المناعة الأخلاقية** للمرأة وهى شابة، وتجاوبها السريع لمحاولات التودد إليها، وسقوط الكثيرات أخلاقيا فى **العشرينات والثلاثينات** بعد الترّمل أو الطلاق، واستمتاعهن بلذة **الجماع غير الزوجى**، أو قولهن أن زواجهن الثانى يفضل الأول، وذلك أن هذا الجماع أو ذاك الزواج يأتى فى فترة تكون فيها شديدة التجاوب مع النكاح، وربما لم تكن المرأة سعيدة فى زواجها الأول أو لم تختره، بينما هى فى الزواج الثانى تختار وتصنع سعادتها بنفسها ولا تنتظر لتعُطَى لها السعادة.

وإذا بلغت المرأة **الأربعينات** وطلقت أو ترمّلت لا تتأثر تأثرها السابق فى **العشرينات والثلاثينات**، ذلك لأنها فى الأربعينات تبلغ الإياس وينقطع حيضها، ويقل إفرازها الهرمونى، ويضمر جدار المهبل ويؤلمها الجماع، ولذلك فهى تنصرف عن طلب الجماع إلى العناية بمظهرها، وقد تحب أن تغوى الرجال ولكنها لا تصل فى غوايتها إلى حد أن تكون لها علاقات غرامية، فإذا كانت فى **الخمسينات والستينات** زاد تبرّجها وحاولت أن تدارى الشيخوخة بالأصباغ، ولا تلتذ بالجماع، ولكنها عموماً تَفْضُل الرجل جنسيا من حيث أن الرجل ربما يكون قد أصيب فى هذه السن بالعجز الجنسى، وربما يشكو أوجاعا بالبروستاتا وقد يضطر إلى استئصالها، وأما المرأة فيمكنها أن تستعيض عن الهرمونات الجنسية التى تدنّت لديها بالهرمونّات المصنعة فيزيد إفرازها المهبلى، وتستطيع أن تجامع، وقد تنعظ عدة مرات، ولعله لهذا السبب يقال إن المرأة من الناحية الجنسية ليست أسيرة ظروفها الصحية كالرجل، وأنها على العكس تستطيع أن تجامع أفضل من الرجل لو كانت مهيأة نفسيا. ولهذا السبب قيل أيضا أن الرجل قد يضطر اضطرارا أن يعيش أعزب بعد أن يطلق أو يترمّل وهو فى الأربعين، وذلك **لأنه فسيولوجيا قد لا يستطيع الزواج**، بينما المرأة تستطيعه، والطلاق لذلك أو الترّمل بالنسبة للمرأة محنة فسيولوجية ونفسية واجتماعية، والنساء يتفاوتن فى ذلك بحسب علاقاتهن بالزوج، فإذا كانت المرأة تحب زوجها كان طلاقها أو موته بمثابة الصاعقة تنزل بساحتها فتذهلها عما حولها، وقد تثور أو تنهار

وتستشعر حالة من انعدام الوزن والخلط الإدراكى، ثم تبدأ تفيق بعد فتره تطول أو تقصر، وتستجمع نفسها لتواجه ظروفها الجديدة، وقد تتحصل على التوافق بميكانيزمات عُصابية. غير أنه غالبا ما يقع الطلاق بعد أن يستبد النفور بالطرفين، وإن كانت العادة أن أحد الزوجين قد لا يرغب فيه، ولكنه فى كل الأحوال يسبقه **انفصال عاطفى** emotional separation يمهد لما يسمى **بالاغتراب النفسى** psychological alienation بحيث يعيش الزوجان معا كالأغراب، وينصرف كلاهما إلى نشاط يطفئ فيه رغباته الجنسية. وليس انصراف الرجل إلى عمله فى هذه الفترة أو انشغال الزوجة بأولادها وبيتها إلا ضربا من **السلوك الانسحابى أو الاجتنابى**.

وفى هذه الفترة قد ينفجر أحدهما فى الآخر لأتفه الأسباب، وقد يحلو لأيهما أن يكتب يومياته أو يتفلسف حول معانى الحياة والبؤس والإخلاص والقيم ومدلولاتها. ويعقب الانفصال العاطفى **انفصال جسدى** وينام كلاهما فى حجرة مستقلة. وفى هذه الفترة قد ينتقم أيهما من الآخر بغواية أصدقائه. وقد لا تجعلهما الخلافات يمتنعان جنسيا عن بعضهما، وقد تنعظ المرأة أكثر مما كانت تفعل سابقاً وذلك شئ لا يحدث لكل النساء.

وقد يندم الاثنان أو واحد من الزوجين، وقد تطلب الزوجة الطلاق فيرفض الزوج وتلجأ للمحاكم، وعادة ما يستمر الشقاق مدة لا تقل عن **ثلاث** سنوات، وقد تُرفَض دعوى الطلاق ويحكم للزوج بالطاعة، فإذا لم تذعن صارت ناشزاً، فلا هى زوجة ولا مطلقة مدة **سبع** سنوات، يكبران خلالها فى السن، ويكبر الأولاد ومازالا فى الخلافات. وكثيرا ما يحدث أن يعاشر الزوج زوجته وقضاياهما ماتزال منظورة فى المحكمة، وقد تحمل الزوجة، إلا أن المعول عليه أنه طالما هناك خلاف فكلاهما ينفر من الآخر، ولو اضطرت المرأة أن ترضخ لمحاولات زوجها فلن تتجاوب معه جنسيا، وقد تصاب من ذلك **بسوء الجماع**، وقد يصاب الزوج أيضا **بالعُنّة الثانوية** نتيجة نفورها منه. ولقد حاول العلماء تفسير انزلاق المرأة إلى ممارسة الجنس مع **غير زوجها** خلال هذه الخلافات، وقالوا إن ذلك ضرب من **السلوك الثأرى** أو ربما **السلوك التعويضى**. **ومحنة الطلاق** أو الترمّل من المحن التى تجلو نفسية المرأة، فإذا كانت من النوع الذى يبذل نفسه رخيصة فستفعل ذلك دون أن تحس لما تفعل بتأنيب الضمير، وإذا كانت من النوع قوى الإرادة المشحون بالقيم فإنها ستتسامى بغريزتها الجنسية. وبعض النسوة يترددين خلال الخلافات أو تحت وطأة محنة الترمل أو

الطلاق بسبب الحاجة المادية، ولكن من الصعب أن نرد دائما انحراف النساء لدوافع ذواتهم، وكذلك من الصعب أن ننسبه للدوافع الجنسية وحدها، وعلى المعالج الذى قد يوكل إليه أمر المرأة فى محنتها أن لا يبنى أحكامه على تصرفاتها الظاهرة أو تفسيرها لها، وعليه أن يتبين أسباب القلق الذى يجعلها تستنبط نتائج ربما خاطئة، وتتنبأ بأشياء وتقول بما لا تعلم، وتسلك السلوك الذى قد يفاجئها وتندم عليه، وهو سلوك تأتيه غالبا وهى غير واعية بما تفعل نتيجة ظروفها وعجزها عن السيطرة على غرائزها وهى فى محنتها. ولربما تذهب الظنون بها أنها أهينت بالطلاق، أو بتنكر زوجها لها وهجره لبيته أو طردها منه، فتزل نتيجة **الغضب**. وربما تحسب أنها وقد تعرّفت إلى رجل جديد يُحسِن صَنعة الكلام قد وجدت فيه الأمان لحياتها والفهم والحب. وأغلب النساء **يصدقن أنهن** السبب فى فشل زواجهن وذلك من طول سماعهن لهذه النغمة من الأزواج، وتهرب المرأة من الفشل فى الزواج إلى علاقة غرامية تؤكد بها أنها ما تزال جميلة ويرغبها الرجال، وأن العيب الذى من أجله طلّقها زوجها ليس هو عيبها. ولعل ذلك سبب تعجّل بعض النساء **بالزواج للمرة الثانية**، وقد يكون السبب فى **مغالاتهن فى الزينة** حتى ليفضحهن تبرجهن ويكاد يفصح عن رغباتهن الجنسية التى يحاولن إخفاءها، ولعله السبب فى أن البعض منهن قد يحاولن الإيقاع **بأزواج صديقاتهن** ويفلحن فعلا، وربما كان فى العلاقة الجديدة من الرومانسية ما يعوضهن عن مرارة الفشل الذى كن يعشن فيه مع الأزواج السابقين.

***

الفصل السادس والثلاثون

الإياس Climacterium; Menopause

مظاهر الإياس عند المرأة والرجل. نفسيا وفسيولوجيا. والانحرافات التى قد تظهر مع الإياس فى سلوك المرأة والرجل بحسب الشخصية والمستوى الثقافى والاجتماعى. واختلاف السلوك فى الفترة السابقة على الإياس. وأنماط النساء فى الإياس والعلاقات التفاعلية فيه. والأعراض الذهانية المصاحبة له

للمرأة وظيفة حيوية هى الإنجاب والإكثار من النسل، وما دامت تحيض فهى قادرة على الحمل، فإذا بلغت **الخمسين** أو نحو ذلك توقف حيضها وانقطع، ومعنى ذلك أن إفرازها الهرمونى قد طرأ عليه ما تتغير به طبيعتها كأنثى، **فالمبيضان** لا يعودان قادرين على إفراز البويضات، **والفرج** يضمر، **والجسم** تظهر عليه الشيخوخة، ولايقع ذلك فجأة ولكنه يتم على **مراحل**، وتكون له **علامات وإرهاصات**، ومن ذلك أن **تعرق** المرأة كثيرا وتشملها هبّات من **الحرارة** تستشعرها بجسمها كله، وتصيبها **الدوخة والأرق والصداع**، ويكثر **تبولها**، وتزيد لديها **الإفرازات المهبلية**، وتأتيها **حكّة** فى فرجها تزيد من عصبيتها، وتجامع فتجد **المًا** فى الاستمرار فيه وفى الإطالة، وتفقد المرأة كل ما أتاها به البلوغ، ويتأثر جمالها وحيويتها بنقص الإفراز الهرمونى، وحتى العلامات الثانوية للأنوثة يتناولها التغيير، **فالشعر** يتساقط ويخف، **والثديان** يقل حجمهما وتماسكهما، **والتجاعيد** تبدو على الوجه والرقبة، **والحوض** يترهل ، وتشعر المرأة بكل ما يطرأ عليها ويقلل من أنوثتها، وتحاول أن تعوض ذلك بالاهتمام بنفسها وبجسمها، وتعيش الفترة السابقة على توقف الطمث فى **توقّع وخشية وقلق** يمكن أن يقارن بما كانت تعانيه قبل البلوغ، وكما حدث قبل البلوغ يحدث قبل الإياس، **فتنشط فجأة** وتتوجه كل قوى الأنا عندها لمحاولة أن تحقق لنفسها توافقاً أفضل مع الواقع، وتتضاد عندها كل القيم القديمة، ويكون لديها دافع لتجربة أشياء جديدة ومثيرة.

وتتخذ **فورة النشاط** التى تتفجر بها أشكالا مختلفة بحسب **شخصية المرأة**، فقد يتوجه هذا النشاط مباشرة إلى **المنطقة الجنسية** التى يتهددها التعطّل فتستثمرها للمرة الأخيرة، وتشعر بدافع قوى لأن تحمل وتعيش الأمومة من جديد، وقد تحمل فعلا لمرة أو مرتين برغم

مشاغلها الكثيرة وأعباء البيت ومسئوليات الأولاد المتنامية. ولربما تكون المرأة قد عاشت حياة خصبة وأنجبت عددا لا بأس به من الأبناء، **فيتوجه نشاطها فى هذة الفترة إلى إحياء اهتماماتها القديمة** التى كانت لها فى الوقت الذى سبق البلوغ، والتى أهملتها بتأثير صراعات البلوغ. وعندما تكون بالمرأة **اهتمامات فنية** من أى نوع فإن الملاحظ أنها عند الزواج تهملها، باعتبار أن الإنجاب وتربية الأطفال تقتضى منها كل طاقاتها الإبداعية، ويكون عليها أن تختار بين أن تصرفها فى هذه المنصرفات الفنية أو فى مجال الزواج، وتختار الزواج، فإذا كانت فترة الإياس أو ما قبلها ولم يعد ما تستغل فيه طاقاتها فى محيط العائلة، توجهت بها مرة أخرى إلى ما كانت تحبه من **الفنون والأنشطة خارج الأسرة**. ويبدو أن الإبداع الفنى أو الفكرى والأمومة كلاهما يستقى من معين واحد، وكلاهما يمكن أن يكون بديلا عن الآخر، فالأم الحانية يمكن أن تترك كل ما يشغلها عن أولادها، فإذا انتهت وظيفتها البيولوجية ولم تعد قادرة على الإنجاب فإنها تعود إلى سابق اهتماماتها الإبداعية.

والفترة السابقة على الإياس والتى تتروح بين **الأربعين والخمسين** من عمر المرأة لها علاماتها من خارجها وداخلها، ففى نحو هذه السن يكون الأولاد قد شبوا عن الطوق ووَهَن الحبل السرى النفسى الذى يربط بين الأم وأولادها، ويشبه موقفها فى هذه السن موقفها فى **السن السابقة على البلوغ**، وقت أن كانت مجرد بنت صغيرة فى طريقها إلى أن تستقل عن أمها وتكون لها حياتها وأهدافها المختلفة. والمرأة فى السن قبل الإياس تضطر إلى أن تبحث لنفسها عن **أهداف أخرى** طالما أنها لن تنجب من بعد، ولم يعد أولادها فى حاجة إليها. وفى الوقت الذى يتوقف فيه مبيضاها عن إفراز البويضات وتنتهى كل العمليات البيولوجية التى كانت تضج فيها بالحيوية حفاظاً على الجنس البشرى، ولاتعود ثمة حاجة إليها باعتبارها واهبة للحياة وناقلة إلى المستقبل، فإن دفاعاتها عن أناها تُستَنفر وتكافح من أجل أن تثبت أنها **موجودة**، لا كأم ولكن كإنسانة تريد أن تعيش وأن تكون لها رسالة ومبرر لوجودها. والمرأة فى سعيها لأن تكون لها **هذه الرسالة الجديدة** تنشط، ولنشاطها مظهر الدفاع عن صميم ذاتها، وهو بمثابة **الاحتجاج** الذى تريد أن تقول به إنها ليست مجرد أداة للتناسل وتكاثر الجنس البشرى، وليست مَفْرخة لإنجاب الأولاد، ولكنها إنسانة لها قدراتها ومراكزها العقلية العليا وحياتها العاطفية المعقدة، وحياتها التى يمكن أن

تستأنفها حتى لو كان عليها أن تبدأها من جديد، وقد تنجح فعلا أن تكون لها هذه الحياة غير البيولوجية وعلى أرقى المستويات الفنية والفكرية.

والمرأة قبل الإياس تنظر إلى الحيض نظرة البنت التى يأتيها الحيض لأول مرة، والفارق أن هذه يأتيها لأول مرة، وتتوقعه وتقلق وتخاف وتفكر فيما يمكن أن يعنيه من زواج وحمل وولادة وموت، وتلك يأتيها للمرات الأخيرة، فمرة يتأخر لشهر، ومرة لشهرين، ويقل فى الكمية، وفى كل مرة تفكر فيه وتتوقعه وتستعجله وتهش له، لأنه فى كل مرة يأتيها يعنى أنها ما تزال أنثى، وما يزال جهازها التناسلى يعمل، فإذا تأخر تكتئب وتصبح عدوانية، لأن معنى توقف الحيض أنها تصبح كالرجل الذى يخصونه، وانقطاع الحيض له المعنى الرمزى الذى **للإخصاء** عند الرجل. وقد يحدث فى هذه السن أن تضطرب المرأة لإجراء عملية تستأصل بها المبيض أو الرحم، وتحزن على ذلك أشد الحزن مع أنها تعلم أنها بعد فترة لن تكون بحاجه إلى المبيض أو الرحم، ولكنها لا تريد أن يخصيها أحد، وتقاوم الإخصاء ولا تخضع لإجراء العملية إلا مضطرة بتأثير المضاعفات الشديدة. وإننا لنلاحظ أن النساء المصابات بالعُقم قد يسلمن فورا لمطلب إجراء عملية كهذه بأسرع مما تفعل النساء المخصبات، وذلك أن العملية تريحها من عنصر الانتظار الذى يستهلكها طوال حياتها، فمع أنها عاقر إلا أنها ما تزال تأمل وتظل تأمل ولا يخلصها من هذا إلاّ عملية كهذه، وعندئذ فقد تتحرر بها طاقاتها وتوجهها إلى مجالات أخرى واقعية.

وفى الإياس تحدث **تغييرات جوهرية فى المرأة تتناول أنوثتها** فى الصميم، ومن داخلها يتوقف **الرحم** ولا يعود يجدد نفسه عن طريق تجديد غشائه المبطن، وتتوقف **حويصلات جراف** ولا تعمل كما كانت تعمل. وفى أول الإياس رغم أن التبويض يستمر إلا أن البييضات تظل دون النضج، وبالتدريج يتوقف ذلك أيضا ويتعطل **المبيضان** تماما. وتحدث تغيرات مماثلة فى أنشطه غدد أخرى يترتب عليها أن تسمُك الطبقة الدهنية تحت سطح الجلد، ويرتخى الجلد، نفسه وينبت بعض الشعر فوق الشفة وكأنه الشارب، وينبت شعر بالذقن وعلى جدار البطن، وتتدهور صحة المرأة، ويشمل التدهور جسمها كله، ويصيب التدهور على وجه الخصوص ما سبق أن اكتسبته المرأة وقت البلوغ وجعل منها هذه الأنثى أو تلك ولفت الأنظار إلى تفتحها بحيث يرغب فيها الرجال. وكما سبق أن قلنا فإن الإياس لا يأتى مرة واحدة ولكنه يمر بما يشبه **المرحلتين**، وتمهد المرحلة الأولى للثانية وتسلم إليها،

وفى المرحلة **الأولى** يضطرب الحيض، ولا ينتظم، ولا ينزل بالكمية التى كان ينزل بها، وتستمر الإفرازات الهرمونية مع ذلك كما كانت، وتشبه هذه المرحلة مرحلة البلوغ من حيث حدة التغيرات، وحالة النشاط التى تبدو عليها المرأة، ورغبتها فى الجماع، واهتمامها بجمالها وجسمها وشدة شبقها، وهى تجهد أن تخفى ما بنفسها وتقاوم رغباتها كما عند البلوغ، ويبدو سلوكها غريبا لمن حولها، ويستمر ذلك لسنوات ثم يتدرج الأمر إلى توقف التكوين المشيجى. وقد تبدأ المرأة فى هذه السن بكتابة **مذكراتها** كما كانت تفعل فى المراهقة، وقد تطرح على أسرتها أفكارا جريئة وتطالبهم أن تكون لهم مثل أفكارها، وتبدى امتعاضها من جمودهم، وتكون لها مشاريع، وقد تتصادم وإياهم، وقد تفكر فى ترك البيت كما تفعل المراهقات فى سن التمرد على الوالدين، وإذا ذُكِّرت بسنها فإنها قد تقول إن أمها كانت أكبر منها سنا وكانت أصبى منها، ويساعدها على تأكيد هذا المظهر وسائل التجميل الحديثة وعمليات شد الوجه والأزياء وألوانها والأصباغ والكريمات وحمامات السونا وجلسات التدليك، وتخدعها نرجسيتها عن حقيقتها وتبدو لنفسها جميلة فى المرآة. ويتخصص بعض الرجال فى الإيقاع بأمثال هذه المرأة فى هذه السن حيث تكون مثلها قليلة المطالب. وقد يجد فى كنفها الرجل صغير السن حماية تذكره بحماية أمه له، أو قد يوقعها الرجل الخبير زئر النساء فى أحابيله طمعا فى مالها، وتعتقد فيما يقوله لها من عبارات الغزل وتدافع عن زواجها به. ومع أنها ما تزال العاقلة التى يعرفها المحيطون بها إلا أنها من **الناحية الجنسية** قد يفلت عيارها ويسوء حكمها على الرجال، وتكون لها علاقات غرامية أو حتى علاقات استلطاف بطبقة من الرجال ليسوا من طبقتها ينافقونها وتبدو بهم كما لو كانت مرغوبا فيها.

ومرحلة الإياس مرحلة **مراهقة ثانية**، والمرأة وكأنها البنت فى الخامسة عشرة تؤكد ذاتها وتدفع عن شخصيتها وتنال من شخصيات الآخرين، ولعل أقرب هؤلاء إليها هو **زوجها**، وربما بعد ثلاثين سنة من الزواج المتوافق تبدأ المرأة تناقش ما إذا كان زوجها جديرا بها، وقد تتمادى فتقول إنها كانت مخدوعة وأن زوجها كان غلطة، وقد تفعل العكس فتتذكر الأيام الحلوة لبداية زواجها وتعيش هذه الذكريات بعاطفية مغرقة، وتحاول أن تكررها مع زوجها أو تعوض عن أشياء فاتتها وقتها، وتسئ اختيار **صديقاتها** وتتورط فى صداقات مع نساء خطرات أو ترقى الشبهات إلى تصرفاتهن. والمرأة فى هذه السن

تتهافت عابها أمثال هؤلاء النسوة، ويفكر فى النيل منها كثير من الرجال الخطرين، وكما كانت فى البلوغ يمكن أن تتصرف برعونة وأن تتمادى فى الخطأ وتتمرد على النصح. وأحكام المرأة فى الإياس تنقصها الحكمة والروية، وتختار مستشاريها فلا تحسن الاختيار، وقد لاتستطيع أن تعيش نوعية الحياة التى تريدها فى هذه السن فتنكص إلى **خطاباتها القديمة** تفتحها وتقرأها وتتحسر على الأيام الخوالى، وربما تكون لها **مغامرات غرامية** فى السابق كانت تداريها وتخجل منها ولكنها الآن تذكرها وتتمناها، وقد تحاول أن تتصل **بعشيق سابق** لها من أيام المراهقة وتكتب إليه، وقد تحاول أن تلتقى **بزوج سابق** لها وتنسب إلى نفسها أنها ظلمته، وربما يكون هذا العشيق أو ذاك الزوج قد تسبب فى أذى لها لم تستطع أن تغفره فى المراهقة الأولى بسبب كبريائها، ولكنها فى **المراهقة الثانية** وقد ضعف هذا الكبرياء تغفر كل إساءة سابقة، وتلح عليها شهوتها المستثارة كى تطلب الإشباع الذى كان يتحقق لها من مراهقتها الأولى مع العشيق أو الزوج الأول ولم يستطع أن يحققه لها الزوج الثانى. وهؤلاء النسوة اللاتى لا يستطعن فى الإياس أن يكبحن شهواتهن يعشن من جديد مرحلة **المراهقة النفسية**، وكانت كل الرغبات والشهوات التى كانت لهن فى المراهقة موجودة معهن طوال هذه المدة وإنْ نجحن فى كبتها والتسامى بها مع النضوج، ولكنهن فى الإياس تغلبهن وتعاود الظهور. وهذا النمط من النساء غالبا ما يكون **هستيرى** الميول، وهن منذ البلوغ وحتى الإياس دائمات الهروب إلى عالم من **الأحلام والخيالات** يكن فيها شابات وجميلات، ولا يعشن الواقع، وبعضهن مع ذلك قد يهربن تحت ضغوط الإياس إلى **الواقع**، والبعض يهرب من الواقع **بالتدين والصلاة وأداء الأعمال الخيرية**. ولربما تسرف المرأة فى تحصيل الشهوات فإذا جاءها الإياس أسرفت فى إظهار **الزهد** وعوّضت عما أسلفت من معاصى بالتوبة. ولربما تبدى المرأة بالقول ما يدل على أنها لم تعد تطرب للإطراء والغزل، وتذكّر المحيطين بها بما آل اليه أمرها فى الشيخوخة لتستحثهم على المزيد من الإطراء، وهى فى توصيف ما طرأ على وجهها وجسمها من تغيرات نحو القبح يلذّ لها أن تعذّب نفسها والمحيطين بها، وأن تستجدى عطفهم عليها. وقد تغذى المرأة نرجسيتها فى الإياس بأن تعتزل الناس وتعيش فى **بحبوحة** تقصرها على نفسها، فتسافر إلى المصايف وتعيش فى الفنادق وتختار السياحة، أو تركن إلى الدعة هروبا من الإحباط الذى يأتى به الإياس، بعكس المرأة التى تهرب بالانخراط فى العلاقات بالرجال بحيث يتحصل لها منها المزيد من التأكيد بأنها ما تزال مرغوبة ومطلوبة.

وتتغير علاقات النساء بعضهن ببعض في الإياس، وتضطرب الصداقات، وكثيرا ما تكون هذه الصداقات من النوع المِثلى المتسامي، حيث قد تحب المرأة مثلها حبا يسمو على الجنس، ولكن هذا الحب يتعرض للامتحان فى الإياس وتدب الغيرة فى النفوس. ولقد قيل إن الخوف من أن ينكشف الاتجاه **اللوطى** فى الحب النسوى هو الذى يسرع بالقطيعة بين النساء فى هذه السن، وكثيرا ما يحدث أن تقطع المرأة صلاتها بامرأة ظلت تحبها لثلاثين عاما وليس من سبب للقطيعة بينهما سوى **هذه اللواطة الكامنة** والتى بدأت تكون لها مظاهرها الواعية فى سن الإياس. وقد تتعايش أختان أو صاحبتان معا فى بيت واحد لهذه المدة ثم يتدرج الحال بينهما إلى اختلافات ومشاجرات تضطرهما إلى الانفصال، والسبب هو هذه الصراعات اللوطية التى قد تدب بينهما فى الإياس. وقد يحدث العكس بأن يزيد التحام الأختين أو الصديقتين وتسفُر اللواطة التى كانت كامنة وتبدأ بينهما قصة حب جنسى صريح، وعندئذ ينكشف السبب الذى من أجلة عزَلا نفسيهما عن العالم طوال هذه المدة واكتفيا بنفسيهما. ولقد تسنّى لى أن أُلمّ بحالة لأختين أغوت الكبرى الصغرى، وظلت الاثنتان تعيشان فى عزوبية وتحتميان ببعضهما دون الناس، حتى إذا كانت الكبرى فى السن قبل الإياس، حاولت صراحة أن تتصل بأختها بطريقة أو بأخرى إلى أن تحقق لها ذلك، وعندئذ كانت سعادتهما الفائقة بما بلغته علاقتهما، وبالطبع فإن هذه العلاقات المَرَضيّة لم تظهر فجأة وإنما كانت موجودة منذ زمن بعيد ولم تَسفُر إلامع الإياس أو قربه.

والإياس يُظهر الاكتئاب الكامن، وهو اكتئاب تجد المرأة ما يبرره بتأثير ما تستشعره من عوامل التدهور. وقد تحس أحيانا باللامبالاة إزاء ما يجرى داخلها وما يطرأ على جسمها من تغييرات، وتسلمها اللامبالاة إلى حالات من النشوة تتعاور حالات الاكتئاب.

ومثلما تخشى البنت على نفسها عند البلوغ أن يفلت عيارها وينفضح حالها، بتأثير ما يكون بها من رغبات جنسية محمومة وأفكار خطرة، تذهل لها ويصيبها منها الذعر وتحسب أنها يمكن أن تسلك **سلوك البغى**، فإن هذه الخيالات تعتريها مرة أخرى فى الإياس، والفارق بين سن البلوغ وسن الإياس **أن عوامل الكبت** كانت قوية فى البلوغ ولكنها تضعف فى الإياس، وقد تنهار المرأة وتتحول إلى بغىّ على الحقيقة، وكثيراً ما تضبط الشرطة النساء فى هذه السن يمارسن الخلطة أو الدعارة، وقد نسمع عن قصص لنساء كن محترمات ثم انزلقن إلى الخطيئة فى سن الإياس.

وفى سن الإياس تتجدد العلاقات بالأب، ومثلما يقول **فرويد** فإن البنت فى البلوغ

تعاودها بعد مرحلة الكمون كل الرغبات والأفكار المحرمة التى كانت لها بأبيها فى الطفولة. وتتجدد هذه الرغبات والأفكار المحرمة مرة ثانية فى الإياس، ولكنها تتوجه إلى **الابن**، وفى هذا الابن تضع المرأة كل أحلامها وتحاول أن تجعل منه صورة مثلى لأبيها، فإذا شبّ عن الطوق وصار رجلا وبلغت هى السن التى يقال لها الإياس، فإن الجانب الجنسى من العلاقة التى كانت لها بأبيها، والتى تسامت بها فى علاقتها بابنها، يبين ويحل الابن محل الأب عندها من غير أن تكون له الصورة المثالية للأب، وتطلب المرأة من ابنها **أن يحبها كما تحبه**، ولا يفهم الابن، ولا يمكن أن يفهم مطالبها حينئذ، ولعل ذلك هو سبب **غيرتها** الشديدة من زوجته، ومحاولاتها الدائبة أن **تفسد** عليه حياته الزوجية ليكون لها وحدها، فإذا فشلت فإنها قد تتحول لتشبع هذا الجوع العاطفى فيها إلى موضوعات بديلة عن الابن، وقد تحاول أن تغوى **أصحاب ابنها**، وتحلم بعلاقات جنسية لها بهم، وقد نسمع أو نعرف حالات لنساء فى **الخمسين** كانت لهن علاقات بأولاد فى **العشرين** أو قد يتزوجن بشباب فى نحو هذه السن.

ويحدث الإياس تغييرات هائلة فى سلوك المرأة، فقد تكون المرأة **باردة جنسيا** قبل الإياس فيشتد بها الشبق مع الإياس، وتحتدم بها الرغبة وتنعظ مرات عديدة فى الجماع الواحد. وربما تكون المرأة عادية قبل الإياس وتبرد جنسيا معه. وربما يكون استمرار الزواج لمدة ثلاثين سنة مثلا سببا لهذا البرود الوافد بتأثير رتابة الحياة لزوجية. ويفسر البعض هذا البرود بالنظر إلى الكآبة التى تصحب سن الإياس. وقد تأتى الكآبة دوريا مع كل شهر، وفى موعد الحيض الذى انقطع، وتستمر مع المرأة لنفس المدة التى كان يستغرقها الحيض فيها. ولربما تترتب الكآبة لفشل الزوج وعجزه عن تلبية مطالبها الجنسية، حيث تشتد شهوة المرأة فى السن التى فيها تقل شهوة الرجل وقدرته الجنسية. وقد تطلب المرأة من زوجها أن يعاودها فلا يستطيع، وقد تطلب إليه أن يطيل فى الجماع فلا يقوى. وقد تزداد حساسية منطقة المهبل عند المرأة فى هذه السن وتستجيب للجماع مهبليا كما لم تفعل من قبل، بمعنى أن الاستجابة الشهوية فى هذه السن قد تتسع فتشمل مناطق لم تكن تشملها من قبل، وكأن المرأة تتحول إلى إنسانة غريبة على زوجها، وكأن عليه أن يكتشفها من جديد. وليس من المعروف سبب هذه الشدة فى الشهوة فى هذه السن، ومن الصعب أن نجزم بأن **الانتكاس فى قوى المرأة** يأتى أولا بزيادة فى هذه القوى

قبل أن تخمد وتنطفئ للأبد، وهناك نساء فى الستين تكون شهوتهن عارمة، ويفسر البعض هذه الزيادة بأنها **زيادة نفسية**، وهى رد فعل للانتكاس الداخلى. والمرأة التى تستمر بشهوتها لسن متأخرة تشبه البنت التى يأتيها البلوغ **مبكراً**، وينبرى **الأنا** والوسائل الدفاعية له للتصدى لنوازع البلوغ المبكر عند البنت، بينما هو عند المرأة المسنة يطلق هذه النوازع ليعوّض النقص فى الوظائف الحيوية للجسم.

وقد يحدث أن تكون عند المرأة **ميول ذكورية** أفلحت فى التسامى بها، ولكنها فى الإياس تُسْفِر عن ميولها الأنثوية، ويبدو الصراع واضحا بين الميول الأنثوية عندها وهذه الميول الذكورية. ونلاحظ أن مثل هذه المرأة قد تنجح فى البلوغ أن تصرف ميولها الذكورية فيما يعود عليها كأنثى بالفائدة، وتتحاشى النتائج المَرَضية للصراع بين حقيقتها كأنثى وما يمكن أن ينحرف بها عن فطرتها، فإذا كان الإياس فإن الأنثى فيها تنتصر وتطالب بما لم يتحقق لها حتى الآن، وما حُرِمت منه من إشباع، وتلح عليها حتى إنها لتسقط مريضة من جرّاء عجزها عن الوفاء بمتطلباتها، وعندئذ يمكن القول أن المرأة التى كانت تعانى من **عقدة ذكورة** فى البلوغ ستعانى حتما من **عقدة أنوثة** فى الإياس. وتمرض المرأة وتشكو من أوجاع بجهازها التناسلى الذى كانت الحياة تعمره، فإذا هو يصبح مصدرا لآلامها، ويأتيها منه الخوف من الموت، فلربما تكون الأوجاع بسبب أورام خبيثة على الحقيقة أو متوهمة تسلمها إلى حالات من الاكتئاب واليأس. والرأى السائد بين أطباء النفس أن المرأة المفعمة بالأنوثة، والتى تعيش حياتها سهلة وتدفع بقيادها لزوجها عن طيب خاطر، يكون إياسها سهلا، على عكس **المرأة المسترجلة أو العدوانية** فإن إياسها يتسم بالمرض والأوجاع والحزن والاكتئاب. وإننا لنسمع الكثير عن الأزواج الذى عاشوا حياة هادئة، يقضون فى الإياس **شهر عسل** آخر. ونسمع أيضا عن فنانات وكاتبات انخرطن فى قصص الحب ولم يصبهن الذعر سبب الإياس، ولكنهن يسترسلن فى طلب الملذات وكأنهن يستقطرن من حياتهن آخر ما يمكن أن تقدمه التجربة الجنسية لهن، ولذلك كانت أمثالهن اللواتى يعشن للجمال والحب والتذوق الفنى، يحتفظن بشبابهن وجمالهن حتى النهاية، وفى ذلك يقول **فرويد إن حب المرأة لنفسها** ربما كان هو سر جمالها، ويبدو أن المرأة من هذا النوع لديها وصفة تجميل نفسية **هى حبها الأنثوى لنفسها**، تحاول بعض النساء اللاتى حرمن منه أن يعوضن عن هذه الوصفة باستخدام أحمر الخدود والشفاه والتدليك والملابس ذات الألوان

التى تعطيها مظهر الشباب والجمال. وتعيش المرأة التى تفرط أنوثتها - سواء فى قوامها وجمال وحنو صوتها، أو فى سلوكها الحانى وعطائها الثرى من المحبة- تعيش شيخوخة أهدأ وأكثر استقراراً من المرأة الباردة جنسيا التى حَرَمت نفسها من الزواج، أو التى عاشت زواجها عازفة عن رجلها. ولربما تتحسر هذه الأخيرة أنها لم تر يوما حلوا فى حياتها. ولربما يُرضى الأولى أن تستعيد فى إياسها الأيام الخوالى الجميلة التى كانت لها فى صباها والخاطبون يتهافتون عليها، ولعل هذا الصنف من النساء هو الذى يُكثر من الحديث فى الشيخوخة عن **عصر الصبا الذهبى** وأمجادها فيه.

وكثيرا ما تشكو **المرأة الجميلة** من أعراض **فقدان الشخصية** فى الإياس، فهى لا تريد أن تعترف بالشيخوخة بدليل هذا الوهج من الأنوثة الذى ما يزال فيها، ولكنها فى الوقت نفسه تشعر بوطأة التغييرات التى تنتابها، ومن ثم كان إحساسها بأنها **شابة وعجوزة** فى نفس الوقت، وكثيرا ما تغلب عليها إحداهما فتتساءل فى الحالين أهذه أنا حقا؟ وقد تلجأ لتأكيد شبابها إلى أن تحترف تجارة أو تشغل نفسها بنشاط لتشعر أنها مهمة فيرضيها ذلك. وكثيرا ما نسمع عن نساء فى هذه السن افتتحن شركة، أو بدأن تعلّم الغناء أو الموسيقى، أو انخرطن فى الأعمال الخيرية، ويعتمد ذلك كله على شخصية المرأة واتجاهاتها والمعنى الذى للحياة والوجود بعامة عندها، ويتوقف على ما فيها من ميول ذكورية ما تزال تحتدم بها أو ميول أنثوية تحاول أن تؤكد نفسها، وعلى الصراع بين الاثنتين ونتيجته عندها. ويشبه الإياس لدى المرأة ما يكون منه لدى الرجل فى سن الشيخوخة عندما تقل قدرته الجنسية ويتهافت انتصابه، فيعوض عن ذلك بأن يبدو أكثر وثوقا من نفسه، ويتصرف بحيث يؤكد أنه ما يزال القوى النشيط. **والمرأة المسترجلة** كالرجل سواء بسواء، يمكن أن يزيد مع الشيخوخة احترامها لنفسها، وتسلك بكبرياء قد يوقعها فى المشاكل ويعرضها للمهانة. **والاسترجال** قد يكون فى الإياس نعمة للمرأة، وذلك أن تساميها بميولها الذكورية قد يجعلها تمتهن إحدى المهن الفكرية التى تلهيها عما يجرى داخلها من تغيرات بيولوجية صادمة لها فى الإياس. وقد يجعل الاسترجال المرأة تتجاوز عما يصيبها من الإياس من أعراض ثانوية كالصداع والتعب والخمول والاكتئاب وعسر البول والإفرازات المهبلية والحكّة بالفرج. ولم يُعَرف دور نقص **الإستروجين** عند المرأة فى الإياس، وليس من المؤكد أن هذه الأعراض سببها نقص الاستروجين، ولا نعرف ما إذا كانت ترجع إلى

عوامل اجتماعية وانفعالية مما تؤثر على الحالة النفسية للمرأة فى الإياس ويجعلها تستجيب بتصرفات سلوكية معينة. لذلك فإن **العلاج بالإستروجين** قد يفيد بعض النساء، ولكن المرأة المسترجلة تفيدها ثقتها بنفسها، وتأكيدها لذاتها بالدور الرجولى الذى تتخذه لنفسها. **والعلاج بالإستروجين** يفيد كثيرا فى تأخير التنكّس بالمهبل والرحم، وقد تستبقى به المرأة لفترة أخرى بعض مظاهر شبابها، وقد يفيد تعاطى الإستروجين مع القليل من الأندروجين، وبهما معا قد تستشعر المرأة الآيسة أنها أكثر صحة وأقدر على ممارسة النكاح. **والعلاج النفسى** فى الإياس يشق على الطبيب النفسى لأنه لا يجد ما يعطيه للآيسة ليصرفها عن مشاعرها وأفكارها. **والقلق العُصابى** الذى يمكن أن يتحصل للآيسة قد يصبح أكثر خطورة بالنظر إلى الواقع الذى يلح عليها باستمرار ويجعلها تستشعر يوما بعد يوم أنها تفقد أشياء باستمرار، ولا يوجد فى المستقبل ما يبشر بأنها قد تستعيد شيئا ولّى عنها، أو يمكن أن تحوز شيئا يصنع لها مستقبلا. ولا يوجد أمام الآيسة **إلا التسليم بالواقع** وهو أشق ما يمكن أن تطلبه من إنسان.

ولا ينبغى أن يُظَن أن ما يعتمل فى الآيسة من انفعالات وعواطف وأفكار هو بتأثير انقطاع الحيض بالكامل، فالحقيقة أن كل ذلك يوجد عند المرأة من قبل، ولكن انقطاع الحيض وعلامات الإياس الأخرى تُظهره بتأثير التوتر والقلق اللذين تعيشهما الآيسة، وتبين مع الإياس كل نواحى الضعف فى الشخصية بشكل مبالغ فيه. وليست التغيرات الهرمونية إلا عوامل تستحث الاضطرابات الانفعالية وتظهرها، وهى اضطرابات يمكن أن نعثر عليها حتى من قبل الحيض . ولعل المرأة التى لم تنجب، وكذلك المرأة المهتمة بنفسها، والمرأة التى تعانى من الاكتئاب قبل الحيض، لعل هؤلاء النسوة هن أكثر اللواتى يشعرن بوطأة الإياس. **وتختلف استجابه النساء** لتوقف الحيض ولبلوغهن الإياس بحسب **شخصية كل امرأة** على حدة، وتفقد بعضهن القدرة على التجاوب الجنسى أو على الحب، وبعضهن يتحولن إلى أنانيات، وبعضهن يصبحن سريعات الغضب، والبعض يتوجه بعدوانيته إلى نفسه، ويكبت فى نفسه غضبه. وتميل النساء إلى الاكتئاب وإلى الشكوى وتوهم المرض، وتصبح ربة البيت الموسوسة شديدة الالتزام بالنظام، وتطلب من المحيطين بها أن يهتموا مثلها بأشياء ينكرونها عليها، وتحاول بذلك تثبيت أنها مهمة وضرورية. وأما المرأة التى كانت تظن فى نفسها بعض القصور وعدم الكفاءة، فإنها فى الإياس تعانى من عقدة نقص، وتعتب على

نفسها دائما، وتنسب أى فشل فى حياتها إلى القصور فيها. وتصبح المرأة الحساسة أشد حساسية، وتتحول القلقة إلى امرأة تشكو المخاوف وأنواع الفوبيا المختلفة. وإذا كانت المرأة كثيرة الشكوك فيمن حولها، ودائمة العتاب لهم، فإنها قد تأتيها أفكار هُذائية وتنسب لمن حولها أنهم يكرهونها أو يكيدون لها. وقد يأتى الإياس مبكرا والمرأة فى نحو الأربعين، وقد تصاب المرأة بأعراض كأعراض **الاكتئاب الهياجى**، وهو مايقال له **جنون الإياس** climacteric insanity، وأعراضه الأولى عدم الاستقرار والأرق والقلق الزائد والبكاء فى النوبات، فإذا زادت الأعراض يظهر على المرأة الخوف والترقب، وتتهم نفسها بأخطاء ارتكبتها أو تتوهم أنها ارتكبتها، وقد تصاب من ذلك باليأس الشديد، ويعنف سلوكها وتكاد تمزق شفتيها بأسنانها أو تقطع شعرها، وتروح وتجئ وتتحدث إلى نفسها، وتندب حظها، وتهدد بالانتحار أو تحاوله. وغالبا ما تكون للمريضة قبل أن تأتيها هذه الأعراض فى سن الإياس شخصية لها طابع قهرى.

ويصيب **الذُّهان الانتكاسى** الرجال كما يصيب النساء، ويأتى الرجال فى سن متأخرة بعد **الستين** عندما يفقدون قدرتهم على إتيان النساء، غير أنه **يصيب النساء أكثر** مما يصيب الرجال، وقيل إن عدد المريضات به **ضعف** عدد المرضى من الرجال.

والإياس يأتى الرجال غير أنه أظهر فى النساء، بالنسبة إلى أن للمرأة دورة حيضية شهرية ليست للرجل. والرجل الذى يلحقة الإياس لا ينصب، وذلك يحدث فى سن متأخرة جدا وبالتدريج نتيجة انخفاض نسبة **هرمون التيستوستيرون**. ويبدأ هذا الهرمون فى التدنى بالرجل من **سن الخمسين**، ويزيد فى التدنى فى **الستين**، غير أن الكثير من الرجال فى السن بين **سبعين وثمانين** يظل محتفظا بحيويته، ويظل إفراز هذا الهرمون عنده على مستواه. وهناك عدد كبير من الرجال **فى التسعين** كان مستوى **هذا** الهرمون عندهم **هو** نفس مستواه عند الرجل العادى فى السن من الأربعين إلى الخمسين. وهناك **نظريتان فى مجال الإياس** عند الرجل، إحداهما تقول بأن العجز الجنسى يأتى بالتدريج، والأخرى تقول إنه يأتى فجأة، وتنسب النظرية التى تقول بأن **هذا** العجز عندما يأتى فى الشيخوخة فجأة يصاب الرجل منه بأزمة كالأزمة التى تعانى منها المرأة التى ينقطع حيضها، غير أنه لم يثبت أن هناك فارقاً بين أعراضه عند الرجل وأية أعراض مشابهة لأى أزمة من نوع آخر كالتى قد يعانى منها الرجل إذا اختلف مع زوجته أو أولاده، أو عانى من مشاكل فى عمله. والرجل عموما قد تصاب زوجته بالعُنّة فى سن الإياس فيطلب الزواج عليها برغم أنه

يكبرها بعشر سنوات، ويجد الرجل المسن المرأة التى تناسبه والتى تصغره فى السن كثيرا إذا طلب الزواج مرة أخرى، بينما لا تعثر المرأة فى سن الإياس على شريك لها إذا أرادت ذلك. وعموما **فإن الرجل الذى يبكر فى البلوغ تطول قدرته** على إتيان النساء، بينما الذى **يبلغ متأخرا** فى السن تتهافت قدرته الجنسية مبكرا. وأيضا فإن **البلوغ المبكر** قد يعنى القوة الجنسية والفحولة مع استمرار الصحة جيدة، بينما **البلوغ المتأخر** قد يعنى أن الرجل مُقِلّ فى الناحية الجنسية.

والمرأة فى الإياس قد يتعذر عليها الجماع، ذلك أن الغشاء المبطن للمهبل يرقّ ويضمر فيتعذر الجماع فى كثير من الحالات، وتتعرى حشفة البظر وتؤلمها الملامسة والاحتكاك. **والرجل أيضا** فى الشيخوخة تقل قدرته على معاودة الجماع، ويستغرق وقتا لينتصب، ولايكون انتصابة كاملا، وقد لا ينعظ أو قد ينعظ دون أن يُمنِى، ويتوقف الانتصاب على **الرؤية والمشاهدة بالعين أكثر من الملامسة**. ولعل هذه الخاصية الأخيرة، وهى أن الجنس فى الشيخوخة على عكس المراهقة مثلا، لا يستثار بالملامسة ولكن بالرؤية، هو سر القول الشائع أن الحياة عند الرجل تبدأ فى **الأربعين**، ومن ثم كان الرجل فى هذه السن جامح الخيال، وهو فى هذه السن يقيّم المرأة بخياله أكثر مما يحتاج إلى تقييمها بأن يلامسها. وهو يتخيلها عارية ويتخيل جماعه لها ويستثار لذلك، ولعله لهذا السبب أيضا يقال إن الرجل فى هذه السن «**قذر**» ويخشى النساء نظرته لهن. واستمتاع الرجل بالمشاهدة فى هذه السن أوقع فى نفسه من استمتاعه بالمجامعة، ولذلك قيل أيضا إن الرجل فى هذه السن **ليس رجل أفعال**، وتؤثر النساء الشبان فى العشرينات عليه. ولقد ثبت **أن الرجل أقوى جنسيا قبل العشرين**، بينما المرأة تكون **أكثر تجاوبا معه بعد الثلاثين**، ومن ثم كان العزوف من جانب النساء عن الرجال الكبار فى السن، وغرام النساء الكبار فى السن بالرجال من الشبان.

والإياس فى الرجال قد تكون له أعراضه أيضا، ومن ذلك أن الرجل قد يشكو من التعب ويشعر بعزوف عن الجماع، وقد يفشل فى الانتصاب إذا أراد، ولكنه ينتصب وهو نائم فإذا أراد الجماع فقد يرتخى، ويصيبه من ذلك قلق، وقد يصر على أن يثبت أنه قادر ويحاول فيفشل، وربما كان فشلة مصدره الخوف من الفشل وحالة القلق التى يعانى منها، وقد يصاب من ذلك **بالاكتئاب** ويعانى من أعراض **الذُهان الانتكاسى** التى تعانى منها بعض النساء فى الإياس.

***

الفصل السابع والثلاثون

الشـــيخوخة Aging

معنى الشيخوخة وزمنها عند الرجال والنساء. وقلة الدراسات حول الشيخوخة الجنسية. القدرة الجنسية قدرة اداء وتتدهور مع الشيخوخة. مظاهر الشيخوخة فى القدرة على الانتصاب وتكرار الجماع. والفرق بين المرأة والرجل فى ذلك. والفرق بين المُسِنّ والشاب. الافكار الخاطئة عن الجنس فى الشيخوخة. وفسيولوجيا الجنس فى الشيخوخة. وحالات الشرود في العلاقات الجنسية الخطرة. الشيخوخة الجنسية طفولة ثانية.

من الصعب أن نقول أن الشيخوخة تكون فى **سن معينة** دون سن آخر، ونحن **عمليا** نشيخ مع التقدم فى العمر **منذ أن نكون أطفالا**، غير أن الشيخوخة **فى الاصطلاح** يقصد بها الحالة التى يبلغها **كبار السن**، والتى فيها تهرم خلايا الجسم وأنسجته بشكل ظاهر، وتتقادم أجهزته وتضعف، وتقل كفاءتها الوظيفية، وتقصر عن الوفاء بمتطلبات المرء والتكيف مع البيئة وأنشطتها. والرغبات الجنسية فى الإنسان تتفجر عند البلوغ، ويزيد نشاطه الجنسى فى المراهقة، ويكون فى قمته فى السن **بين السادسة عشرة والأربعة والعشرين**، ثم يقل بالتدريج إلى أن يتوقف تماما، ربما لسبب من الأسباب يعجّل بهذا التوقف. ويتأثر التصريف الجنسى بالشيخوخة **بطريقة غير مباشرة**، بحسب تأثير الشيخوخة فى **الزواج** والعلاقة بين الزوجين، وتأثيرها فى **العلاقات الاجتماعية** التى تكون لنا بالجنس الآخر، وفى **الحالة المزاجية** التى نكون فيها زاهدين فى الجنس أو راغبين فيه، وفى **الحالة الصحية** التى قد تتدنى فنحس إزاءها بأننا مرهقون جسميا أو نفسيا، وذلك يصرفنا عن التفكير فى الجنس، أو يصرف طاقاتنا الشهوية فى غير النشاط الجنسى من الأمور اليومية، التى مع تدهور الصحة تستنفد منا طاقة أكبر مما كانت تستنفده فى السابق. **والدراسات** حول الشيخوخة قليلة، وتتوفر البحوث فى **الشيخوخةالفسيولوجية**، وهناك فروق لاشك فيها بين الشاب فى العشرين والشيخ فى الستين فيما يتعلق بسرعة القلب والتنفس ومايلزمهما من أوكسيجين فى العمل الواحد. والشاب أقدر على تنسيق نفسه عصبيا، واستعادة توازنه والعطاء أكثر. ومع زيادة الفيلبرين والكولاجين فى الأنسجة يسوء توزيع الأوكسيجين والمواد الغذائية عند الشيخ، ويعاق الأيض ويتراكم الكالسيوم

والكولسترول على جدران الشرايين وتتأثر الدورة الدموية، وتتناقص حجم المخ، وتتسطح تلافيفه، ويتسع ما بينها من أخاديد، وتسمك أغشيته وتتلف الكثير من خلاياه وتختفى، وتتأثر القدرات الحسية والحركية والفكرية، وتظهر أعراض تصدّع الشخصية.

وقد اعتبر **ثورندايك** سن **الخامسة والعشرين** هو بداية التدهور الحقيقى المصاحب للشيخوخة، حيث تتناقص قدرة المرء على التعلّم بواقع **نصف فى المائة** لكل سنة زمنية حتى سن الخمسين (Adult Learning). وأكد **ويكسلر** أن التدهور يبدأ من **الخامسة والثلاثين**، حتى إذا بلغ المرء **الستين** فقد يبلغ التدهور نحو **٢٥٪**. وذهب الكثيرون من علماء النفس إلى التمييز بين **القدرة على الأداء والقدرة على التفكير**، وأن المرء فى الستين بوسعه أن يستوعب المعارف التى يستوعبها فى العشرين، ولكن قدرته على الاستفادة والإفادة من هذه المعرفة تقل مع تناقص قدرته على الحركة. **والقدرة الجنسية** قدرة أداء، وهى من القدرات التى تتدهور بتأثير الشيخوخة، وأما القدرة على **تذوق الجمال والحب** فربما تظل بالمرء دون تأثير. وتتداعى **القدرة الجنسية** منذ المراهقة. وليست هناك سن معينة تبدأ عندها الشيخوخة. وهناك ذكور يبلغون سن الإياس مبكرا وهم فى الثلاثينات. وتتأتى **الشيخوخة الجنسية** كنتيجة للشيخوخة التى تصيب البدن ككل والوظائف الفسيولوجية. وهناك **النهك النفسى** الذى يترتب على الجهد المبذول فى تحصيل الكسب واللهاث وراء أسباب الحياة العصرية، **والملل** ومايستحدثه من انصراف الاهتمام بأشياء كثيرة ومنها الجنس. وبعض الناس يصيبهم الملل نتيجة العلاقة الجنسية الواحدة، وعدم التغيير فى نمط الفعل الجنسى، واستنفاد كل أسباب التجديد فى الجماع أو نمط الحياة والمواقف اليومية. وإننا لنجد البعض من كبار الناس وقد عزف عن الجنس بالكلية، ثم يتعرف إلى شريك جديد يوقظ فيه الرغبات الجنسية، وتكون القصص التى نسمعها كثيرا حيث **يتزوج** البعض من جديد فى سن متأخرة، أو تكون له **علاقات غرامية** خارج نطاق الزوجية، ويكون أداؤه الجنسى فيها متكافئا، وفى ظل الظروف الجديدة قد يزيد معدل لقاءاته الجنسية لشهور، أو ربما لسنة أو لسنتين، لتعود مرة أخرى لمعدلها السابق، إلاّ إذا بدأت معه **قصة حب جديدة** توقظ جِدّتها الجنس عنده الذى بدأ يتداعى بتأثير الروتين فى العلاقة الجنسية. ولايمكن فى كل حالة أن نعرف بالضبط مدى تأثير الناحية الفسيولوجية، أو المواقف النفسية، أو الفتور فى العلاقات، أو الملل، أو الانشغال بمسائل المال والوظيفة، بحيث نرد الشيخوخة الجنسية إلى أى منها دون الآخر.

وتقل احتمالات **الانتصابات الليلية** التي تكون بالفجر، وأكثر ما تكون هذه الانتصابات قبل المراهقة أو في بواكيرها. وفي **الثلاثينات** قد يحدث هذا النوع من الانتصاب **مرتين** في الأسبوع، وفي **الستين** يقل متوسط هذا الانتصاب إلى **مرة واحدة** ثم يتدنى، وقد لايحدث بالمرة **بعد السبعين**.

وينتصب الشاب بسرعة، ومع التقدم في السن تقل هذه **السرعة**، ويصبح ذلك واضحا ويتكرر كثيرا قبل أن تتلاشى القدرة على الانتصاب تماما. وتتناقص **المدة** التي يمكن أن يحتفظ فيها بانتصابه من **نحو الساعة** في المراهقة المتأخرة وبواكير العشرينات **إلى سبع دقائق** في الستينات. وقد يظل الشاب منتصبا لعدة ساعات بتأثير الإهاجة المستمرة، وقد يتعدد جماعه ومايزال منتصبا، وذلك شئ قد يقدر عليه الرجال متوسطو العمر ويعجز عنه الكبار. ونلاحظ أن هذه القدرة على الانتصاب لمدة طويلة تتدنى كثيرا قبل أن تتلاشى كلية.

وتختلف **زاوية الانتصاب** عند الشاب عنها عند الشيوخ، ويتميز الشبان بانتصاب يزيد عن الانتصاب **الأفقي**، ونحو ٢٪ منهم ينتصب بزاوية قد تبلغ ٤٥ درجة فوق الخط الأفقي، ونحو ١٠٪ فقط قد يكون انتصابهم قائما لدرجة أن يلامس القضيب البطن. وتتناقص زاوية الانتصاب مع التقدّم في السن، وهي **أفقية** بعد الخمسين، ثم أقل من الأفقية بعد ذلك.

ونحن نَمذيِ عند التهيج دون الجماع، وهذا السائل المخاطي الذي يندّى رأس القضيب نطلق عليه اسم **المَذيّ**، ونحو ٣٠٪ من الرجال لايمذون، أو أن مذيهم لايعدو نقطة، والبعض يكثر مذيه حتى تراه ينزل من القضيب نقطا. وهذه القدرة تقل مع التقدم في السن لأنها مشروطة بالقابلية على التهيج، وكبار السن لايستجيبون بسهولة، ومن ثم فالمذي قد يتأخر أو يمتنع معهم.

والإنعاظ المتكرر في الجماع الواحد من دأب المراهقين، وهي قدرة يأتيها نحو ٥٠٪ منهم وتقل بعد العشرين، وربما كان المراهق أقدر على اختبار نفسه إذا أراد، وذلك شئ لايتسنى لمن هم أكبر سنا، وقد يستطيع الشيوخ الاحتفاظ بقدرتهم على تكرار الإنعاظ في الجماع الواحد في نحو ٣٪ فقط من الحالات، بينما الغالبية العظمى يعجزون عن ذلك بعد الخامسة والثلاثين. والناس يختلفون في الطريقة التي يشيخون بها جنسيا، والشبان يختلفون عن بعضهم البعض كثيرا في القدرات الجنسية، إلا أن الشيوخ يمتازون بأنهم **متشابهون** تقريبا، فمثلا يتفاوت إقبال الشبان على ممارسة الاستمناء وعلى الاحتلام

والاتصال الجنسى خارج نطاق الزواج، بينما لاتجد هذا التفاوت الكبير عند الشيوخ. والشاب قد يجرب كل شئ لأنه لم يعرف بعد مايناسبه من طرق التصريف الجنسى، بينما الشيخ قد اطمأن إلى طريقة تصريف بعينها يجد فيها نفسه.

ولعل أكثر مايسبب المشاكل الجنسية للناس هو عدم معرفتهم لهذه **الفروق** التى يستحدثها **السن** فيهم، ولعلنا لو نبهنا إلى أن **دورة الاستجابة الجنسية** تتضمن مراحل أولها التهيج، ثم هضبة التهيج، فالإنعاظ، وأخيرا الارتخاء، فقد يسهل أن نفهم أن كبار السن يتأخر تهيجهم ربما لبضع دقائق، فى الوقت الذى تكون استجابة الشاب سريعة، وقد تتحقق بعد ثوان، ولذلك يتعين على الأزواج أن يتفهّموا المتغيرات التى يستحدثها السن، وأن التعجيل فى استحداث التهيج أو استبطائه قد يضر بالزوجين نفسيا، وأن الشيخ أبطأ فى المباشرة من الشباب، والحركة عنده أقل، وجماعه يطول، على عكس الشاب الذى يتعجل الإنعاظ، وتلك ميزة فى كبار السن أن بوسعهم أن يطيلوا الجماع ويتحكموا فى الإنعاظ. والإنعاظ يتم على **مرحلتين**، فى **الأولى** يكون الشعور بأن الإنعاظ قادم لامحالة، وذلك يستغرق عند الشاب مابين **الثانيتين إلى الأربع ثوان**، وأما كبير السن فهو لايشعر بما يشعر به الشاب وليس عنده إنذار بالإنعاظ غالبا، وإذا حدث فهو لمجرد **ثانية أو اثنتين**، على عكس الشاب الذى يستمر معه الإنذار لمدة قد تبلغ ضعف مدتها عند الشيخ. وأما المرحلة **الثانية** من الإنعاظ فهى التى يكون فيها **القذف**، بتأثير تقلصات المبال القضيبى، حيث تكون هناك نحو **ثلاث أو أربع** تقلصات، المدة بين كل واحدة ٨و٠ من الثانية، ثم تطول المدة بعد هذه التقلصات الأربع عند الشباب، ويخرج المنى مندفعا حتى ليصل مدى اندفاعه من ١٢ إلى ٢٤ بوصة بعيدا عن فتحة القضيب. وأما الشيخ فالتقلصات ليست أكثر من **واحدة أو اثنتين**، ثم يخرج المنى لايبعد لأكثر من **ثلاث إلى اثنتى عشرة** بوصة عن فتحة القضيب، بالإضافة إلى أن **حجم السائل المنوى** يقل إلى نحو النصف، ففى الشاب قد يبلغ حجم القذفة من ٣ إلى ٥ ملليم، بينما عند الشيخ قد تصل من ٢ إلى ٣ ملليم. وكل ماسبق من فروق لايقلل من عمق الاستمتاع بالجنس، سواء قل الحجم أو زاد، أو تناقصت الرمية أو لم تكن هناك مرحلة أولى من الإنعاظ، والمهم فقط أن لايشعر الشيخ بالفروق ويصنع منها أوهاما بالعجز الجنسى تصيبه بالقلق النفسى وتعجل بإصابته بالعجز الجنسى، وحتى عندما يأتى العجز ينبغى أن يفهم أن ذلك ما تقتضيه هذه المرحلة من عمره، ولكن المصيبة

أن الثقافة الجنسية عند الذكور التى يتناقلونها فيما بينهم تجعل من فقدان القدرة الجنسية مشكلة وكأننا مقدور علينا طوال العمر أن نبقى على حال الشبوبية.

وأيضا فبعد الإمناء فإن الشيخ يحتاج إلى وقت أكبر ليستطيع أن **يعاود** لو أراد، وكان فى صباه يستطيع ذلك خلال دقائق معدودات، وهو الآن ينبغى أن يرتاح لساعات، وقد يستطيع أن يفعل ماكان يفعله فى السابق ولكنه لن يفعله فى سهولة ويسر، وهو ماينبغى أن يفهمه الزوجان فلايصابان بالقلق من جراء ذلك. وهو حالما يمنى سيرتخى فورا، ولن يمر بمرحلتى الارتخاء كما عند الشباب والتى قد تستغرق دقائق وربما ساعات.

والشيخ المثقف الواعى بمضمون هذه التغيرات فى دورة استجابته الجنسية لن يهتم بها، وأما إذا لم يكن قد قرأ حول الشيخوخة الجنسية فقد يذهله أن يلمس ارتخاء قضيبه مباشرة بعد القذف وهو مايزال داخل المهبل، وقد يخترمه قلق بالغ حول قدرته فى المرة القادمة على إتمام الجماع، وقد يحاول أن يجرب وهو غير مستعد، ولايطاوعه الانتصاب، فيقع فى الإشكال الذى نطلق عليه **إشكال الشيخوخة الجنسية** المترتب على الأميّة الجنسية. وينبغى أيضا أن تُدْخَل زوجة الشيخ فى عملية التثقيف الجنسى حتى لاتتعجله فى الانتصاب، أو تعايره بطريقة أو بأخرى فتزيد الطين بلة من حيث لاتدرى، وعليها أن تصبر وتشجعه وتساعده على أن يطيل الجماع بمجرد أن ينتصب، حتى تكون لديه الثقة فى نفسه ويجتاز محنة التغيير من حال الشباب إلى حال الشيخوخة.

وكثيرا مايحدث أن تطلب الزوجة من الشيخ أن يمنى فى الجماع بحسب ما اعتادت منه وهو شاب، والشيخ قد يمارس الجماع **دون أن يحتاج إلى الإمناء**، فبمجرد أن تشبع الزوجة يستطيع أن ينسحب ويدخر طاقته الإمنائية لجماع آخر. وهو فسيولوجياً **لايحتاج إلى الإمناء فى كل جماع** ولكنه يحتاجه بعد **مرتين أو ثلاث مرات**. وإذا استطاع الزوجان أن يفهما ذلك فقد يكون فهمهما ذاك الأساس لتكرار الجماع برغم الشيخوخة، وينبغى أن يدركا أنه بعد **سن الخمسين** يُترَك كل زوج يفعل فى الجماع بما يناسبه لابما اعتاد منه الطرف الآخر فى السابق، وهذا الفهم هو السر فى استمرار القدرة الجنسية عند الشيوخ إلى الثمانين، على أنه إذا حدث كل ماسبق من تغيرات فإن الرجل المسن يستطيع أن يعوض نقص الهرمونات عنده بتعاطى الهرمونات الذكورية طبقا لما يصفه الطبيب له، وستساعده الهرمونات على استعادة أيضه الجنسى. والملاحظ أنه فى هذه المرحلة يكون

هناك **ألم فى البروستاتا** مع تقبضها عند القذف، ويبدأ الألم من لحظة الشعور بقرب الإنعاظ، وربما كان هذا الألم نفسه مؤشرا بضرورة تعاطى الهرمونات المعوضة. والمعول عليه أن الرجل المسن إن كانت لديه المعرفة الجنسية، وإن كان قد حصل على التثقيف الجنسى اللازم فإن أياً من التغيرات السابقة لن يعوقه عن ممارسة الجماع المشبع طالما أن صحته جيدة ولايشكو من شئ، وسيظل ينتصب بطريقة أو بأخرى. وثمة ميزة ينفرد بها المسن عن الشاب، وهى أنه يستطيع أن **يتحكم** فى عملية القذف وذلك شئ سبق أن أشرنا إليه، ومن ثم يستطيع أن يطيل الجماع أو يكرره من غيْر قذف إلى أن تنعظ زوجته مرة و مرتين، بالإضافة إلى ماتعطيه خبرته الجنسية السابقة من قدرة على تفهم شريكته والتعامل معها. ومن أكثر مايمكن أن يعجل بعجز الشيخ جنسيا **المزاح** الذى يلقاه من أقرانه ويسبب له زوال الثقة فى نفسه، مع ملاحظة أن الشيوخ فى هذه السن لاتكون بهم المناعة النفسية ضد المزاح. وسرعان مايتأثرون به ويصدقون عن أنفسهم مايتداوله الناس عن الشيخوخة الجنسية من حكايات أشبه بالأساطير أو الفولكلور المغلوط. **والعجز الجنسى فى الشيخوخة** مرده إلى هذه الأفكار الشائعة، والمعول عليه الآن فى الفكر الطبى النفسى أن الانتكاسة الجنسية فى الشيخوخة شئ مفهوم وحتمى، ولكن الرجل **لايفقد أبدا قدرته على أن ينتصب**. وليس مايحتاجه الشيوخ إلا المعرفة الصحيحة بأن **نمط الاستجابة يتغير** مع التغيرات الانتكاسية فى الجسم، وتغيرها لاينبغى أن يُقلق أو يزعج الأزواج، وإذا تقبلوا هذه الحقيقة وعرفوا أن الانتصاب فى الشيخوخة لابد أن يستغرق زمناً، وخاصة مع التعب أو المشغولية بمسألة من المسائل التى تلح فى الشيخوخة وتكون لها وطأة، فإن أى شكوى من سوء الوظيفة الجنسية سيتلاشى بعد ذلك. وإذن فما يحتاجه الشيوخ هو **تصحيح معلوماتهم**، وإذا كانت هناك علامات محددة للإياس فيمكن الاستعانة بالهرمونات الجنسية (sex-steroids). وليس من مصدر للعجز فى معظم الأحوال **إلا الخوف من الفشل فى الأداء**، ومايجب أن يعرفه الشيوخ هو أنه **لاعجز فى الشيخوخة وإنما تغيّر فى نمط الأداء**.

والأحوال مع **النساء فى الشيخوخة** أسوأ بالنظر إلى الأفكار الخاطئة عما يسمى **الإياس** climacteric أو **سن اليأس**، باعتبار أن المرأة التى يتوقف حيضها فى الاربعين أو نحوها لايرجى لها حمل، وذلك صحيح إلا أنها ماتزال تشتهى وتطلب النكاح وتنعظ. ولكى نفهم المرأة بعد الحيض وقبل الحيض نعود إلى **دورة الاستجابة الجنسية** التى

مراحلها الهياج ثم القمة فالإنعاظ فالارتخاء، وفى المرحلة الأولى وهى الهياج يفرز المهبل **سائلا لزجا** يسهّل العملية الجنسية، وهذا الإفراز عند الشابة يتم خلال **١٥ ثانية**، وربما تزيد إلى **٣٠ ثانية** من التهيج، وأما الآيسة فالأمر يقتضى عندها **مدة أطول**، شأنها فى ذلك شأن الشيخ الذى يلزمه مدة أطول لينتصب. وقد يستغرق ذلك **دقيقة** أو **دقيقتين**، وأحيانا **أربع أو خمس دقائق** من الملاعبة والملاطفة، وإذا قُسِرت المرأة على الإيلاج قبل ذلك فسيكون صعبا عليها وعلى شريكها. والمرأة والرجل المسنان لايستجيبان لأى مثير بسهولة، بسبب تدهور الحواس عندهما بفعل الشيخوخة. وهذا **الماء lubrication** الذى تفرزه المرأة من عناصر الاستجابة، وتأخر إفرازه ينضم إلى ظواهر الاستجابات المتأخرة الأخرى. وثمة سبب آخر لقلة الإفراز وهو ميل **المهبل إلى الضيق**، وترق جدرانه وتصبح ضعيفة، ويتغير لونها فتتفتّح. ومن شأن هذه الهشاشة التى تصبح عليها بطانة المهبل فإن الماء الذى تفرزه يقل. ولاتعود جدران المهبل قادرة على الاتساع وتفقد مرونتها. وقدرتها على الاتساع عند الشابة هائلة بحيث أنها يمكن أن تسمح بمرور رأس الجنين عند الولادة، وتمتنع هذه القدرة فى الشيخوخة، إلا أن المرأة المسنة إذا استثيرت للكناح فإن المهبل يمكنه أن يستجيب بمساعدة الأدوية الجنسية.

وثمة **فارق آخر** بين الشابة والمسنة، وهو فارق يظهر عند **قمة التهيج**، **وهو ارتفاع الرحم** طبيعيا فى الجماع عند الشابة، بينما تقل فرص هذا الارتفاع عند المسنة، ومن شأن ذلك أن يقلل من فرص اتساع المهبل فتضيق المساحة المسموح له فيها بالاتساع.

ويتغير **لون الشفرين الصغيرين** بالإنعاظ عند الشابة، كما أن **الشفرين الكبيرين** يتهيجان وينتصبان بحيث يبتعدان عن المدخل ويسمحان بالجماع، بينما عند المسنة لايتغير لون الشفرين الصغيرين، ويتدلى لحم الشفرين الكبيرين ويتثنى على المدخل. ويصغر **البظر** فى الحجم فى السن بين الستين والسبعين ويضمر الرأس، ويضمر **الفرج** وخاصة المنطقة الدهنية التى يطلق عليها اسم **جبل الزهرة**، ومع كل ذلك فليس هناك من الشواهد مايثبت تناقص الإحساس الشهوى فى البظر، وعمله الاستقبالى والإرسالى التهيجى يظل كما هو.

وتقل مرحلة **الإنعاظ** عند النساء بين **الستين والسبعين** بالمقارنة بالشابات. وعند الإنعاظ تظل المسافة بين التقبض والتقبض كما كانت ٨ . ٠ من الثانية، إلا أن **عدد التقبّضات** يقل إلى **أربع أو خمس** فقط بدلا من ٨ إلى ١٢ عند الشابة. وربما يأخذ التقبّض عند المرأة

المسنة شكلا آخر ينفرد بالمسنات وليس له هذه الهيئة الإيقاعية السالفة، وإنما يكون تشنجا يستمر لمدة دقيقة، وتحس به المرأة كوجع فى البطن السفلى، ويمتد إلى المهبل ويشمل الشفرين الكبيرين أو أحد الساقين، وربما الساقين معا. وقد يكون هذا الوجع شديدا.

وأما مرحلة **الاسترخاء** عند المسنات فهى سريعة، وإذا كان هناك تغير فى لون الشفرين الصغيرين فإنه يكون طفيفا، وسرعان مايتلاشى بمجرد انطفاء الإنعاظ، وإذا كان الرحم قد ارتفع فإنه يعود إلى مكانه فى الحوض خلال الإنعاظ، وتنصفق جدران المهبل بسرعة، وبالاختصار فإن فترة الاسترخاء تحدث سريعة عند المسنات عنها عند الشابات، وهى أقرب لفترة الاسترخاء عند الرجال المسنين.

ويستدل على الإياس بأعراض انتهاء الحيض، والدفقات الحارة التى تشمل الجسم، وعدم الاستقرار الانفعالى، والصداع القفوى، ووجع الرقبة، وحالة التعب والنهك المستمرة والتى لاتستوجبها الأعمال التى تقوم بها المرأة. كما أن العُسْر فى الجماع بسبب ضيق المهبل وهشاشة بطانته، وقلة ما يفرز من ماء، بالإضافة إلى تشنجات الرحم المؤلمة، لدليل على **افتقار المرأة للإفرازات الهرمونية الجنسية الأنثوية**. والملاحظ أن غالبية المسنات يشتكين من ألم المثانة والمبال بعد الجماع، ويذهبن إلى المرحاض بعده بسبب هذه الهشاشة التى تطرأ على بطانة المهبل والضغط عليها فى الجماع الطويل أو المتكرر، ولشيوع هذه الظاهرة توصف بأنها **مثانة العروسة bride's cystis**، بالإضافة إلى الحساسية المفرطة للبظر عند المسنة حتى ليجعلها دلك الرأس أو ملامستها تتألم بدلا من التهيج، ومن ثم كان من الضرورى التريث وعدم الشطط فى تناول فرج المرأة المسنة باليد أو لعقه باللسان، ويمكن تجنب كل ذلك بالوسائل المناسبة من خبير مجرب وعارف مثقف، فضلا عن أن تعاطى الهرمونات الجنسية يلاشى كل هذه الحساسية أو الآلام السابقة، ويجعل المرأة تطلب الجنس بدلا من الانصراف عنه، غير أن هناك نساء يمكن أن يستغنين عن تعاطى الهرمونات والاستمرار فى ممارسة الجماع حتى **السبعين**، والفروق كثيرة بين النساء فى هذا المجال، والسبب أنه برغم توقف الحيض إلا أن إفرازاتهن الهرمونية تستمر لسنوات بنفس معدلاتها أو أقل قليلا، وذلك يبدو من النشاط الذى يظهرن عليه والحيوية البادية فيهن حتى ليكن محط حسد. وهناك فريق من النساء يمارسن الجنس بانتظام مرة أو مرتين فى الأسبوع ويواظبن على ذلك، وهؤلاء عندما ينقطع الحيض يحميهن هذا

الاستمرار من أى تدهور جنسى، **فالممارسة المنتظمة** تكون بمثابة تدريب للمهبل والرحم ضد أى تدهور مستقبلى، والمشكلة مع معظم النساء أنهن محرومات من هذه الممارسة المستمرة للجماع والتى فيها خير وقاية من انتكاسات الشيخوخة، ولذلك توصف الهرمونات الجنسية لهؤلاء حتى يستطيعون بها التعويض عن النقص فى الإفرازات وفى الممارسة المنتظمة.

ولعل من الضرورى أن ننبه إلى كثرة لجوء المرأة فى الأربعينات ومابعدها إلى **الاستمناء باليد** أو بأية وسيلة أخرى، والسبب أن البعض يكن معتادات ذلك وهن شابات، واستمرت هذه العادة لديهن حتى الشيخوخة، أو أن المرأة فى سن الشيخوخة تفقد زوجها بالموت، أو تُطلّق، أو يمرض زوجها، فتشتاق للجنس من غير الزنا، فتلجأ إلى الاستمناء الذاتى لعلها تجد به الخلاص من توترها الجنسى وعصبيتها. وربما تكون المرأة بعد الخمسين غير مرغوب فيها وتعانى من الوحدة، ولجوءها للاستمناء الذاتى لن يعرضها للمهانة من عاشق أو زئر نساء قد يؤذيها نفسيا وماديا. **والاستمناء الذاتى** لذلك وسيلة سهلة ومضمونة وآمنة.

والوحدة هى الصخرة التى ترتطم بها المرأة فى الشيخوخة، وهى آفة الشيخوخة عند النساء والرجال، والمشكلة فى الشيخوخة أن أحد الزوجين قد يجد نفسه وحيدا عندما يختطف الموت منه الشريك الآخر، وحتى بوجود الزوجين فقد يتباعدان عن بعضهما ويشعر كل واحد منهما بالوحدة تكاد تخنقه. وترين الوحدة على العزّاب والعوانس بانصراف الصحاب وذبول الجمال وبلوغ سن المعاش وانتهاء صولة القوة والسلطان. والشعور بالوحدة هو أكبر مشاكل الشيخوخة، وهو الذى يسرع بالعجز الجنسى، فعندما يشتد القلق بالرجل والمرأة المسنة، مع تغيرالظروف الصحية والعائلية وزواج الأولاد وموت الأحباب، فإن الاشتهاء الجنسى يندر. ويتلاشى الشعور بالزمان، وتزيد المخاوف من المستقبل، ولذلك تكثر **الإصابة بالاكتئاب** فى الشيخوخة، ولايمكن أن يكون هناك اشتهاء جنسى مع الاكتئاب، والمكتئب يعجز جنسيا، وهو غير مطلوب لتدنى قواه النفسية وانحطاط قدراته. ومع الشيخوخة وبلوغ الستين يحال الناس إلى التقاعد، ويرين على الرجل والمرأة أنهما لم يعودا مطلوبين، ولم تعد لهما فائدة.

والمسن أو المسنة يكون بهما **جوع عاطفى** شديد ويستهويهما جدا أن تقال لهما كلمة تشجيع طيبة. وعند علاج الأزواج المسنين جنسيا لابد أن يتضمن برنامج العلاج وتدريباته

تثقيفاً للزوجين من حيث حاجة كليهما للكلام الحلو المشجّع، وهذه الحاجة التى تعبر عن جوع عاطفى وحاجات جنسية تريد الإشباع قد يجد الرجل مايشبعها خارج البيت، أو تجد المرأة الرجل الذى يخدعها بالكلمات التى تنحرف بها إلى مغامرات طائشة.

وإذا كان الرجل قد ماتت زوجته أو طلقها فإنه قد يغامر بالزواج. وكذلك المرأة. ويرفض الأهل فكرة **الزواج للمسن أو المسنة** بدعاوى كثيرة، منها أنه من غير اللائق للعجوز أن يفكر جنسيا، أو أنه من الخيانة لذكرى أمهم أن يتزوج الأب بعد أن بلغ هذه السن، ويرفض الأولاد الموافقة على زواج أبيهم أو أمهم. وقد يتصورون أن الأب يمكن أن ينجب إذا كانت الزوجة المقترحة صغيرة السن. وقد يخشى الأولاد إذا تزوج أبوهم أو أمهم من شخص مسن فقد تصبح لديهم مشكلة إعالة اثنين من المسنين بدلا من واحد. وربما تترتب على الزواج فى الكبر مشاكل مالية وعائلية، وقد يكون الزواج متسرعا، إلا أن التسرع فى الزواج، والزواج غير القائم على أساس متين، من المسائل التى ليست قاصرة على كبار السن، فهى أشياء قد يصادفها الكبير والصغير على حد سواء. **وزواج كبار السن** يختلف فى الدوافع إليه عن زواج الشباب، وقد يكون الدافع إليه جنسيا أو عاطفيا أو لتحصيل الأمن المادى والرفقة الطيبة فى الشيخوخة، وأكثر مايدفع إليه هو «**الأنس**» ضد الوحدة، ولذلك نجد أنه من الظواهر المألوفة فى الشيخوخة **ظاهرة الترحال wanderlust**، أو **شهوة الترحال** كما يسميها علماء النفس، ربما لأن المسن يريد أن يهرب من مشاكله فى الشيخوخة، وضغوط البيئة عليه، وعدم التوافق فى الزواج الذى كثيرا مايلح فجأة مع التغيرات الفسيولوجية الكثيرة التى تطرأ على جسمه، والتغيرات العائلية التى تستجد من حوله. وربما لأن استمراره كزوج لامرأة واحدة مدة قد تزيد على الأربعين سنة روتين ممل يريد أن يكسره ويجرب حياة جديدة، بأناس جدد، وامرأة جديدة فى مكان ما لايعرفه، وربما كانت حوادث الزواج فى الشيخوخة من منطلق الترحال، وقد يكون اتخاذه عشيقة فى هذه السن رحلة مع نفسه يعيد فيها اكتشافها، وإيقاظ الجنس فيه الذى خمد مع الزمن ومع نمطية الحياة الواحدة.

ويذهب علماء النفس إلى **تفسير شهوة التجوال** فى المسنين بعدم الرضا بالواقع، فعندما يشعر المسن بأن الدور الذى أنيط به ليس دوره، وأنه يعامل بأقل مما يجب لمثله، فإنه قد يلجأ إلى تغيير هذا الواقع بالخروج منه، وقد لاتساعده ظروفه المادية على السفر، وعندئذ قد يذهب إلى اعتياد التجوال الكثير فى الشوارع والضرب على غير هدى، لكى يتخفف من

القلق والتوتر والخوف، وكلها من سمات هذه المرحلة من العمر. وأيضا فإن التجوال أو الترحال قد يكون عرضا لتشوش فكرى نتيجة الضغوط أوالمرض. وقد تجعله هذه الضغوط يهرب من الحاضر إلى الماضى ويتصرف بطفولة ورعونة، وبعض الناس يحب أن يطلق على الشيخوخة **الطفولة الثانية** second childhood، والمسن قد ينكص سطحيا إلى سلوك الأطفال فيلعب بالدمى أو يشارك الأطفال ألعابهم.

ومن دأب الشيخوخة أن يظهر خلالها المخبوء من النفس، وذلك لأن القدرة على التحكم فى الأهواء تضعف، وتخف سيطرة الأنا والأنا الأعلى على **الرغبات اللاشعورية**، وتظهر هذه على السطح صريحة أحيانا، ومموهة أحيانا، فإذا كانت هناك **صراعات جنسية مثلية** مثلا فقد تفصح عن نفسها، ويتحول المسن **إلى اللواط** وهو شئ قد يستنكره هو من نفسه ويأباه عليه أهله، وهناك حوادث كثيرة تحفل بها محاضر الشرطة لجنوح سلوك المسن.

وأهم أسباب **الجناح فى الشيخوخة** هو العجز الجنسى، والشعور بالنقص المترتب عليه، وعندما يفشل المسن أن تكون له بزوجته علاقة جنسية مشبعة فقد يسعى إلى تعويض نفسه **بالاستعراء**، بتعرية عورته للنساء، أو قد يحاول **غواية الأطفال**، وبعض المسنين لايفرق فى ذلك بين الأولاد والبنات، تماما كالشأن مع الأطفال عندما لايفرقون فى ألعابهم بين أفراد اللعبة من الجنسين. وربما يكون الزوج المسن مايزال قادرا جنسيا إلا أن زوجته عازفة عن الجنس، أو متوفاة، وقد لايجد امرأة من سنه تشاركه الفعل الجنسى. **والانحراف فى السلوك الجنسى** بسبب هذه الحالات لايقتصر على الرجال دون النساء، إلا أنه أظهر فى حالة الرجال عنه فى حالة النساء. وهناك من النساء من هن لوطيات ومأبونات، وكن كذلك طوال حياتهن، لكن انحرافهن كان **كامنا**. ومع الشيخوخة ووطأة التغيرات الجنسية قد يظهر الكامن صريحا. ومن النساء من يلح عليها الجنس فى الإياس ولاتجد الإشباع من زوجها لانصرافه عنها إلى شواغله فتشرد جنسيا، وقد **تخالط وتشتاع**، وقد تمارس **البغاء** عند الحاجة المادية. ومن النساء المتصابيات من تغوى صغار الشبان، والكثير من النساء فى هذه السن، وخاصة المثقفات منهن، قد تستغل ظروفها المادية الحسنة وحاجة أحد الشبان وتغويه وتكون لها قصة وقصص، وقد تتزوج من يصغرها كثيرا. ومن النساء المسنات المشهورات فى هذا الصدد **چورج صاند، وآنى بيزانت، وسيمون دى بوفوار، وسافو، وفرانسواز ساجان، واليزابيث تايلور**، ومن الرجال **البرتو مورافيا، وشارلى شابلن، وبرتراند رسل، وفولتير، وچان چانيه**. (أنظر أيضا **المراهقة** و**البلوغ**).

الفصل الثامن والثلاثون

أعضاء الجنس الظاهرة والاضطرابات المتعلقة بها

(١) الأعضاء المشتركة بين الجنسين

-١-

الفم The Mouth

الفم مثله مثل أى منطقة بالجسم يمكن أن يتعرض لخبرات منذ الطفولة، فتزيد به الحساسية الشهوية التى تميز **المناطق الشهوية** erogenous zones بالجسم. ونحن نولد وتكون طاقتنا الشهوية بالفم، ويطلق أصحاب التحليل لنفسى على هذه المرحلة أو الطور اسم **الطور الفمى** oral stage ، ومن رأى **فرويد** أن اللذه عند الطفل مصدرها سطح الجسم كله، ثم تتركز فى الفم، ثم الشرج، ثم الأعضاء التناسلية الخارجية. وهو يقسم المرحلة أو الطور الفمى إلى **مرحلتين**، فى الأولى تكون اللذه فى **الرضاعة**، ثم فى المرحلة الثانية يجد لذته فى **العض**. ولايعنى ذلك أنه ينتقل من مرحلة حاسمة إلى أخرى، فالمراحل تتداخل، وتؤثر كل مرحلة على نفسيته وتترك رواسبها على شخصيته، فإذا كان ما تتركه كبيراً فإن ذلك يعنى أن قدرا كبيرا من الطاقة الشهوية قد تخلف عند هذه المرحلة وهو ما يسمى **التثبيت**، وهو نوع من توقف النمو النفسى الجنسى ولو جزئيا عند إحدى المراحل بنوع خاص، فيظهر المرء من السلوك والسمات ما هو خاص بهذه المرحلة وإن كان قد كبر فى العمر وتجاوزها افتراضيا. ويطلق على السمات النفسية المصاحبة للمرحلة الفمية اسم **الخلق** (بضم الخاء واللام) **الفمى** oral character ، فإذا حدث تثبيت على هذه المرحلة فإن السمات الفمية تطبع الشخص بطابعها وتجعل من شخصيته **شخصية فمية** oral personality.

والطفل فى **مرحلة الرضاعة** من المرحلة الفمية يتلازم وأمه، وتمتد هذه المرحلة من الولادة حتى **الشهر الثامن** تقريبا، وتكون لذته الكبرى وهو يرضع، فإذا أشبعته أمه غذائيا وعاطفيا فإنه ينتقل بسهولة وبدون مشاكل إلى **مرحلة العض**، ثم يترك المرحلة الفمية كليا إلى طور آخر هو **الطور الشرجى**، إلا أنه تظل به مع ذلك بعض الشعور باللذة من ممارسة الوظائف الفمية، كأن يمارس مص إبهامه، أو يستبدل ذلك فى المراحل التالية بأن يكتسب

عادة أن يلوك القلم فى فمه، أو يقبل على التدخين، أو يهوى الأكل، أو يحب الثرثرة، أو يشغف بالتقبيل، أو يأتى أفعالا قهرية لها طبيعة جنسية خالصة كلعق الفرج. والملاحظ أن المرضى بالفُصام ينكصون أيضا إلى هذه المرحلة، وتكون بهم سلوكيات فمية ككثرة الكلام أو الأكل. وإذا كانت الأم حانية على طفلها خلال الرضاعة فقد يتعين بها ويشب كريما ومتفهما ومتفائلا، وتنطبع شخصيته بالثقة فى النفس، إلا أنه قد يكون أيضا على قدر من النرجسية. وأما إذا كانت الأم من النمط المهمل لطفلها الجامد العواطف، أو إذا حرم الطفل من أمه لسبب ما ولم يجد أما بديلة تحنو عليه، فإن إحساسه بأنه لم يشبع عاطفيا وربما غذائيا قد يستمر معه طوال عمره، فيظل يطلب الإشباع عند الآخرين، ويعاملهم كأنه طفل يعامل أمه، فيناشد فيهم ما حرم منه، فإذا أعطوه ركن إليهم واطمأن لهم واعتمد عليهم، وقد يجد الإشباع من أمه ولكنه يتعلم من تركها له بعض الوقت أن يخشى على ما يناله منها من التوقف، وأن يجرب الحرمان ولو على فترات، ويجعله ذلك متشائما.

وتكون **لمرحلة العض** أنماطها السلوكية وسماتها التى تخلّفها فى الشخص طفلاً وراشدا، وتستمر المرحلة من **الشهر الثامن حتى الثامن عشر**، وفيها يتعرف على نفسه، ويشعر بأنه بخلاف أمه ومستقل عنها، وعلى هذا الأساس يتعامل معها، فإذا أشبعت حاجاته أحبها وأقبل عليها، وإذا لم تشبعها سخط عليها وكرهها. وفى هذه الفترة يبدأ لأول مرة تكون له ميول عدوانية وممارسات يفصح بها عن كراهيته أو غضبه، بأن يعض ثدى الأم أو حلمة البزازة كلما رضع، وتنتقل معه هذه الممارسات إلى المراحل التالية من النمو فى شكل **قضم الأظافر** nail biting، أو **البصق** يلزمه كعادة، أو **إخراج اللسان** يأتيه كلما اغتاظ، أو قد يعتاد **قضم القلم** فى مرحلة الذهاب إلى المدرسة، **أو أن يلوك ياقة قميصه**، أو **يتلهى بالبان** يمضغه، فإذا كان راشدا فقد يهوى **الغليون أو السيجارة** يضعها فى فمه ولو من غير أن يدخنها، ويظل ذلك معه بالساعات لمجرد اللذة التى يعطيها له وجود شئ يملأ فمه كأنه الثدى، فإذا بالغ فى هذه المظاهر فإنها تكون دليلا على تثبيت عنده للدوافع الفمية من تلك المرحلة العضية من الطور الفمى، ومن ذلك ما يكون ببعض الناس أن يهووا **النقد اللاذع والسب**، وهما شكلان أكيدان من **السادية الفمية** المتخلّفة عن تلك المرحلة. **والعضّ** الذى يكون دغدغةً ويأتيه المحبان ويجربانه على جسم كل منهما من ذلك أيضا، غير أنه فى الأحوال المتطرفة قد يكون العضّ كما لو كان الشخص يريد أن يقطع

لحم الآخر ويتناوله، أو قد يتناوله فعلا كما عند **القبائل آكله لحم البشر**، أو عند بعض المرضى بأمراض عقلية **كالذُهان السُعْرى** الذى يهيج به المريض فيجرى يعض الناس، أو يطعنهم بالمدى أو السكاكين بيده.

ويحوى الفم **الشفتين واللسان**، وتزيد بهم الحساسية الشبقية. والفم كله مدخل الجسم ومصدر للحساسية عظيم، ويتنبه بشدة عند الاتصال الجنسى. وتستخدم كل المخلوقات الشفتين واللسان فى التواصل، وخاصة عند **التقبيل العميق**، وعندئذ قد يجرى اللسان على كل الجسم ابتداءً من الوجه وانتهاءً بالقدمين. ويكون التقبيل للشفاة وكل سطح الجسم، ويكون المص بالشفتين للثديين وللأعضاء التناسلية الظاهرة والمستترة، وقد يكون المص للّسان، ويحرك اللسان لأحد الشريكين داخل فم الشريك الآخر. ولقد تبين أن الأسماك والسحالى والكثير من الطيور، وخاصة كل **الثدييات**، تضع أفواهها على مكانٍ أو آخر من جسم الشريك فى الفعل الجنسى، سواء عند التمهيد للجماع أو خلاله. وقد يستمر اتصال الفم بالفم عند بعض الطيور والثدييات لعدة ساعات. والإنسان حيوان ثديى، وعندما يستخدم فمه فى التواصل الجنسى فإنه يخضع لنفس تقاليد الثدييات. والفم ليس فقط للتقبيل ولكنه لإصدار الأصوات والكلام، **والصوت** أيضا وسيلة تعبير جنسى، والإنسان عندما لا يستخدم الفم كل هذه الاستخدامات الجنسية بتأثير التعاليم أو التقاليد فإنه يشذ عما تفعله أصوله وما كان يفعله أجداده وما تقضى به تركيبات جسمه.

ويحوى الفم **الأسنان**، وتستخدم فى العضّ، **والعضّ** طريقة للتواصل الجنسى، ومنه العضّ للدغدغة، والعضّ المؤلم، وكلاهما مطلوبان بطريقة أو بأخرى، ومشبعان بحسب ما أسلفنا من تأثيرات الطفولة. والعض عند الطيور والحيوانات، وقد يقسو كما عند **القطط**، وقد يكون العض وسيلة القط ليمسك بالأنثى للجماع، إلا أن هذه القسوة من مستلزمات الجماع للطرفين، وحتى **الخيل** فإنها تستخدم الفم تفتحه وتغلقه، وتضم الشفاه وترخيها وتعض بالأسنان. وفى بعض الثدييات قد يشمل استخدام الفم استخداما جنسيا **أطراف الأنف** حيث قد تكون الحساسية بالأنف كحساسية الفم، ويكون الأنف امتداداً للفم، وعموما **فمداخل الجسم ومخارجه** كلاهما على قدر من الحساسية الجنسية عظيم، ويستوى الناس جميعا فى الإحساس الجنسى بمنطقة الفم، غير أن الحساسية قد **تفرط وتشذ** عند البعض، وقد ينحرف البعض فيستخدم الفم فى الاتصال الجنسى، والمنحرف أو الشاذ يستوى أمره

كالممتنع بالكلية عن أن يستخدم الفم فى هذا الاتصال، والملاعبة بالفم مطلوبة بيولوجيا ولها تأثيراتها فى التوافق بين الأزواج، والإساءة فى استخدام ذلك مظهر من مظاهر الاضطراب.

وتذهب بحوث **كينزى** إلى أن ٩٩٪ من الناس من المستويات الاجتماعية العليا تستخدم الفم في الممارسات الجنسية الغيرية، **والتقبيل** شئ عادى بين والأزواج طوال اليوم كمظهر للمحبة، وهو سلوك جنسى مألوف قبل الجماع وأثناءه، ولكنه نادر بين الطبقات الدنيا كسلوك يومى وإن كان ٩٦٪ من الناس العاديين يأتونه، إلا أنه يبدو أن التقبيل سلوك حضارى معقد يتناسب وثقافة الممارس، وبينما نجد **التقبيل العميق** الذى يستخدم الشفتين واللسان والفم من الداخل يأتيه ٨٧٪ من أفراد **الطبقات الراقية**، فإن ٥٥٪ من **الطبقات الدنيا** تمارسة فى الجماع وقبله. وهناك من الناس غير المتزمتين من يأتونه كسلوك تلقائى فى الجماع وخاصة عند الإنعاظ، وبهؤلاء حساسية فمية عالية وتتطور لديهم الشبقية الفمية تطورا كبيرا حتى ليمكن أن يرقى التقبيل لمستويات الجماع.

والتقبيل مألوف عند **طلبة الجامعات والمعاهد**، والكثير من الطلبة يقبّلون حتى وإن لم يجامعوا، بينما قد يمارس **العمال والفلاحون** الجماع بدون أن يقبلوا، ومن النادر أن يقول **الريفى** أنه يقبّل، وإذا فعل ذلك فهو مجرد تماس للشفاه، وأمّا **التقبيل العميق deep kissing** فهو وسيلة معقدة وفنية للاستثارة الجنسية، وقد تأتية بعض الثدييات كسلوك متقدم جدا، ويعافه بعض الناس على زعم أنه غير صحى.

وتناول الثديين بالفم مسألة مألوفة عند **الطبقات الراقية** أكثر من الطبقات الدنيا، ومن النادر أن تتناول الأنثى ثدى الذكر حيث أن ثدى الذكر غير مثير مثل ثدى الأنثى، ثم إننا بهذا التناول لثدى الأنثى نستعيد علاقاتنا القديمة بأمهاتنا، والبعض قد يصل به حد الهوس بالثدى أن **يعضه**، **والمص الحانى** دليل على علاقة طيبة للذكر أثناء طفولته بأمه متمثلة فى الثدى الحانى المشبع له، والعض والعبث بالثدى باللسان والأسنان دليل على علاقة سيئة بالأم أثناء الطفولة متمثلة فى الثدى غير المشبع. وهناك من يعتبر تناول الثدى بالفم **محرما** بدعوى أن الثدى للطفل، وتناول الثدى عند **هؤلاء من المحرمات taboos**، ويقول فرويد إن التحريم يجعل لذة إتيان المحرم مضاعفة، ويعطيه جاذبية، وقد يرى البعض فى تناول الثدى بالفم قذارة وانحطاطاً خلقياً، والممارس إنسان والغ فى اللذة وحسى، ويخالف تعاليم الدين واعتبارات الذات.

وتناول الأعضاء التناسلية بالفم قد يختلف عليه الكثيرون وخصوصا فى بلادنا الإسلامية، وليس ذلك سلوكا شائعا بين الطلبة ولا فى الأرياف وبين العمال، إلا أن بعض كبار السن قد يأتونه كلما ضعفت شهوتهم، أوكلما أرادوا بذلك تعويض عدم قدرتهم على الاستمرار فى الجماع حتى ينعظ الطرف الآخر، فيستكملون القصور فى القدرة على الجماع بلعق الفرج أو مص القضيب. والمرأة التى تعانى من البرود الجنسى، أو التى تشبق من بظرها قد يتعلم زوجها أن يأتيها أولا بلعق البظر والأشفار حتى إذا قاربت الإنعاظ أولج قضيبة فى فرجها. وكذلك قد يعانى الرجل من ضعف الانتصاب، أو قد تكون به غلمة لا ترتوى إلا إذا مصت زوجته قضيبه حتى ينتصب، أو حتى يكاد يقارب الإنعاظ فيولجه فيها. ويبدو أن ٦٠٪ من الأزواج يفعلون ذلك لمرة أو مرات خلال حياتهم الزوجية، والقلة القليلة تفعل ذلك قبل الزواج، وقد يتبادل الزوجان هذا الفعل فيما يشبه وضع العدد 69 حيث يتواجه الزوج والزوجة وعوْرة الآخر ويتخالفان. وهناك حالات من الانحراف قد يشمل التناول بالفم الدُبُر والعِجان، وقد ينعظ الرجل فى فم المرأة وتبتلع منيّه أو تبصقه، وتصف النساء مذاقه بأنه مالح ودافئ.

والتناول بالفم لأعضاء التناسل قد يكون من الممارسات فى **اللواط**، وكذلك التقبيل، والمرأة قد تقبّل المرأة، وقد تتناول ثدييها بلسانها وفمها، وقد تلعق فرجها وبظرها، وقد يتلاعقان. وكذلك قد يفعل الرجل للرجل، **والمأبون** هو الذى يقوم بالمص، والمص يشمل القضيب كله وخاصة الرأس، وقد تُلعَق الخصيتان.

وتتناول الأعضاء التناسلية يتم أيضا على **المستوى الحيوانى**، وإن كان الحيوان يثيره أيضا من الأنثى الرائحة المنبعثة من فرجها، حيث تنبعث منه من غدد خاصة **رائحة** تجذب الذكر وتثيره فى موسم التزواج.

وقد يفرط استخدام الفم جنسيا عند المصابين **بالسادية الفمية** oral sadim فينال الزوجة أو العشيقة أو البغى بعض الأذى من التقبيل أو تناول الثديين، فقد يعض الشفتين أو الثديين، وقد يكون العض شديدا. والسادية الفمية تعنى تثبيتا شديدا على مرحلة العض من الطور الفمى الذى سبق أن تحدثنا عنه، والممارس لها يتعامل مع تهيؤات وتصورات فى ذهنه وليست فى الواقع، وهى تهيئوات وتصورات تخرج بالفم والشفتين والأسنان عن وظائفها فى الاتصال الجنسى. وفى بعض أنواع **الذُهان** قد يصل الانحراف بالمريض أن

يقطع الشفتين ويمضغهما أو يقطع الثديين، وقد يقطع الشفرين بأسنانه. وفى حالات **الاغتصاب** قد يترافق **الاغتصاب** والاعتداء باليدين أو بالأسنان على الأعضاء الجنسية.

وهناك حالات من **الجنون** قد يستخدم فيها الفم فى أكل الغائط، وذلك بديل عن الممارسة الجنسية وله لذة جنسية. (**أنظر الجماع والسادية والجنس والمرض العقلى**)

ولعل **القُبلة** هى أرقى وسائل التعبير الجنسى، وفيها يقول الشعراء إنها مفتاح باب الجنة، وأن التقبيل مسألة تُحَس، والأحرى باللسان والشفتين أن يمارسا التقبيل عن أن يتحدثا عنه. وتتنوع القبلة من **القبلة المشبوبة** التى طبعها **فاوست** على شفتى **مارجريت**، إلى **القبلة الغادرة** التى كانت من **يهوذا ليسوع المسيح**، ومن **القبلة النهمة** التى يكاد العاشق يلتهم فيها شفتى المعشوقة، إلى **القبلة الرقيقة الحانية** وكأنها رفة الفراشة على الزهرة، وهكذا كانت قبلة **أرتميس إلاهة الصيد لإنديميون** وهو نائم. وللقبلة صوت يكون كالفرقعة، وربما كهسيس الماء تصافح أمواجه الشاطئ. وكان **الرومان** شعباً عرف القبلة وصنّفها، ومنها ما يكون على **الخد** oscula، وما هو على **الشفتين** basia، وما هو **مص للشفتين** suavia . والقبلة دائما تكون بعاطفة، والعواطف تترقّى. **والقبلة على الجبين** تعنى الاحترام، **وعلى الخد** تعنى الصداقة والمودة، **وعلى اليد** تعنى الولاء، **وعلى القدم** تعنى العبودية، **وعلى الفم** تعنى الحب. وللقبلة **فلسفة** عند الشعوب، ولها دلالاتها، وهى عندنا نحن العرب تعنى **الموافقة**، واشتقاقها من قَبِلَ بمعنى الموافقة، والتقبيل دليل **الحب المواتى** الواعد والوصال القريب، ومن اشتقاقات الفعل **القِبلة** بكسر القاف وهى مكان التوجه والقداسة، وارتباط القُبلة بضم القاف والقِبلة بكسرها هو تحقيق المحبة فى مكانها، والفم هو قِبلة المحب (بكسر القاف). **والفم والفرج** لفظان مترادفان، ونحن نقول عن الشفتين إنهما منفرجبان، ونقول عن الفرج إنه فم يلتهم وله أسنان تعض. **والشفاه** بالفم والفرج، وكل الحساسية الجنسية بالشفاه، سواء فى الفم أو فى الفرج. والمحب الذى يقبل الفم يعنى مجازاً أنه يريد الجماع، وتقبيل شفاه الفم يفرج شفاه الفرج. ولعل أروع الشعر فى القبلة كان من **الفرنسيين**، والقبله عندهم غاية فى حد ذاتها، وهى جماع مكتمل. والقبلة عند **الإيطاليين** جنسية، وتعنى الانتصاب، **والشفاه المكتنزة** هى التى تثير، بينما عند **الفرنسيين** هى الشفاه الرقيقة. **والألمان** شعب غليظ، والقبلة مسألة روتينية وتُؤدّى كالجماع من غير فن. **والإيطاليون** أكثر الشعوب تفننا فى التقبيل. وأما **الإنجليز** فلم يعرفوا التقبيل إلا

مؤخرا، ولغة **السلت** عندهم ليس فيها التقبيل، ولم يعرفها أهل ويلز ولا **الأيرلنديون**، وليست كلمة poc وpog إلا اشتقاقا من pax اللاتينية بمعنى السلام. ويبدو أن أقدم الشعوب التى تحدثت آثارها عن التقبيل كان **الهنود**، وتحدثنا كتب **الفيدا** (٢٠٠٠ ق.م) عن القبلة **بالتشمم sniff kiss**، بأن يضع المحب أنفه على خد حبيبته ويشمها، واللفظة الهندية المساوية «**لقبلنى**» هى «**تشممنى**»، وبلغة **بورنيو** «**تشممنى**» كذلك، وما يزال **التشمم** وسيلة التقبيل عند **الملاويين**. والقبلة عند **الصينيين** هى وضع الخد على الخد، ويعتبر التقبيل سلوكاسوقياً. وليس فى اللغة **اليابانية** كلمة تساوى القبلة. ولاتعرف **الشعوب الزنجية** التقبيل.

والقبلة تكون فى ممارسة الجنس كما تكون فى التعبّد، وكانت القبلات تؤدى فى الاحتفالات الماجنة فى العراء وتحت ظلال الأشجار، كما تؤدى فى المعابد وعلى مذابح الآلهة وعند التعميد. وفى أعياد **فلورا إلاهة الخصب** كان **الرومان** يقبلون، وكانت البنات تؤم معبد **ميليتا** وتقف منتظرة أول غريب لتعطيه شفاههن. وفى **العصور الوسطى** كانت القبلة تعنى أن تسلم المرأة نفسها لمن يقبلها، وترادفت لذلك **القبلة osculum** **والتسليم homa-gium**، ويبدو أن أصل **التسليم أو المصافحة باليد** بين المحبين كانت تقبيلا، كما كانت مصافحة الخد للخد تقبيلا. وكانت القبلة محرمة عند **اليهود**، وحرّمها **المسيحيون الأوائل**، ولم يحلّ هذا التحريم سوى **القديس بول** الذى وافق على التقبيل، إلا أن المسيحيين غالوا فى ذلك ورخّصوا بالتقبيل وخاصة فى **عيد المحبة Agape**، حتى كان التقبيل يعنى الجماع، فعادوا إلى التحريم والحظر.

والتقبيل اساسه التلامس، وهو لُحمة وسُداة كل الأحاسيس، حتى قيل إن **اللمس** هو ألِف الحب، **والقبلة** هى باؤه، والجماع هو ياؤه. **واللمس** يستثير الجهاز العصبى. والتلامس والتحسس شائعان بين الإنسان والحيوان، سواء تَمَثّلا فى التقبيل بالشفاه، أو باللسان كما فى إفريقيا وبين الحيوانات. والجسم كله مهيأ للمس، والفم مركز اللمس، وهذا ما يجعل الأطفال يحملون كل شئ إلى أفواههم، وتفعل صغار القرود نفس الشئ. وتلعق أمهات الحيوانات أطفالهن باللسان والفم، ويتبادل الصغار ذلك مع الأمهات. **واللعق باللسان** تقبيل، وهذا السلوك الحيوانى أساس اللعق عند الإنسان، ولن يعنى ذلك أن يوصف التقبيل بالحيوانية، وحتى لو كان هذا أساسه فلن يبخسه جماله، ولن يسلبه ما يعطية المحبين والعاشقين من لذة قد تترقى وتتسامى حتى ليرتفع بها كل من المحب والمحبوبة إلى عليين، أو تنزل فى المرتبة وتكون مجرد قبلة جنسية تمهد الجماع.

-٢-

The Anus الشــرج

هـو المخرج الذى تنتهى بـه القناة الهضمية، وله فى الطب النفسى اعتبارات خاصـة بالنظر إلى مايضفيه بعض الناس على هذه المنطقة من عناية وما يتعلق بها من أفكار ومشاعر تغلب عليهم فى حياتهم اليومية. ولبعض المرضى **بالذُهان**، وخاصة المرضى **بالفُصام**، اعتقادات تدور حول المنطقة الشرجية، فقد يذهب المريض إلى أن يتوهم أن شرجه هو المكان الذى خرج منه العالم، وكأنه يلد الناس كلما تبرز. والبعض من **الأسوياء** يحلو له أن يكثر من ذكر شرجه أو خرائه كلما أراد أن يعبر عن عدم اهتمامه أو لامبالاته، وعموما فإن **الأدب الذى يدور حول الشرج** عند كل الأمم لمن الموضوعات التى تجدر دراستها للإحاطة بميول الشعوب الجنسية والتى تتفارق إلى حد كبير. وهناك من الأقوال فى الحياة اليومية مايستعجم على البعض بحيث لايدرك تعلقه المباشر بالشرج، إلا أنه بمثابة **اللغة الرمزية** التى لايستخفى ولايستدق معناها على الخبير. وكذلك قد يتصل بالميول الشرجية الكثير من الأفعال، فمثلا قد يحدث أن تؤدى المخاوف الشرجية إلى الإصابة **برهاب أو فوبيا الممرات والسراديب والدهاليز والأنفاق** وواضح أنها جميعا رموز شرجية.

ويذهب التحليل النفسى إلى التأكيد على دور الشرج فى تكوين الشخصية منذ الطفولة، فيما يقال له **المرحلة الشرجية anal stage** ، وهى المرحلة الثانية من مراحل النمو النفسى الجنسى، وتقع بين المرحلتين الفمية والقضيبة. وفى هذه المرحلة تتركز الشهوة أو اللذة فيما يقال له **المناطق الشهوية**، وهى فى المرحلة الأولى **الفم**، ثم **الشرج** فى المرحلة الثانية، ثم **القضيب** فى المرحلة الثالثة. وفى المرحلة الشرجية تتحصل اللذة للطفل فى السن بين **الثانية والثالثة** من عمره من عملية التحكّم فى استبقاء البراز وإخراجه، وتنصرف إليها اهتماماته واهتمامات المحيطين به، كى يتعود ضبط نفسه، ويستغرق فى وَهْمِه أن هذا البراز لابد له قيمة كبيرة، ويعتز به. فإذا كان الأبوان من الذكاء والكياسة بحيث يساعدان الطفل على اجتياز هذه المرحلة دون الصدام معه فإنه قد ينجح فى الترقّى بمشاعره الشرجية والطاقة التى يصرفها فيها إلى اهتمامات أخرى، بحيث يتحول نجاحه فى تنظيم الإخراج إلى نجاح فى تنظيم نواحى حياته اليومية، كما يتحول اهتمامه بالبراز فيما بعد إلى اهتمام **بجمع المال**، أو يزيد فى الترقّى فيصبح اهتماما بالألوان والتلوين أو **بالفنون**

التشكيلية بشكل عام. وإذا فشل الأبوان فى مساعدة الطفل على تجاوز هذه المرحلة وتعرّضَ للتوبيخ والضرب، فقد يلجأ إلى وسيلة الكبت الدفاعية ليتخلص من رغباته الشرجية، ويرفع عن نفسه تأثير مشاعره المتعلقة بها، ويبعدها عن وعيه الحاضر، إلا أن هذه الرغبات والمشاعر الشرجية المكبوتة والتى تذهب إلى اللاشعور تظل تعمل عملها فيه، وتؤثر على اتجاهاته وسلوكه، فيلجأ لدفعها عنه إلى حيل ووسائل دفاعية مختلفة تتلون بها حياته.

والمرحلة الشرجية بالمقارنة بالمرحلة الفمية التى سبقتها، والتى كان الطفل فيها يعتمد على الرضاعة من أمه، يستشعر فيها - أى المرحلة الشرجية - قدراً من الاستقلالية، ويجد أن لذته تتحصل له من عمليات لاتتصل بأمه، وترتبط بشئ من نفسه وهو **البراز**، ويعى أن هذا الشئ يخصه. وفى المرحلة الفمية يتميز الجزء الثانى منها بالإضافة إلى الرضاعة بالعض، أى أن الطفل يمارس به عدوانيته أو ساديته. وفى المرحلة الشرجية تكون لذة الطفل فى **أولها** فــى **الإخراج** ومايصاحبه من محايلة وعمليات تفاهم وإغراء يقوم بها الوالدان، غير أنه يبدأ كذلك فى **أواخر** هذه المرحلة يمارس من خلالها عدوانيته أو ساديته، بأن **يحرن ويرفض** التبرز، أو أنه يتبرز دون إعلان عن ذلك، فتتسخ ببرازه ملابسه أو ملابس والديه وخاصة أمه، وهو ما يتوخاه من فعلته تلك، عقاباً لها أو لهما، بالنظر إلى المشاعر العدوانية التى كبرت معه تجاههما من المرحلة الفمية.

والتعشق الشرجى anal erotism من مصطلحات مدرسة التحليل النفسى، ويعنى أن الطاقة النفسية أو الشهوية فى المرحلة الشرجية تتوجه إلى **المنطقة الشرجية**، بحيث تتحصل للطفل كل اللذة من العمليات والاهتمامات المتصلة بهذه المنطقة. وكذلك فإن **الخُلُق الشرجى** anal character مصطلح آخر من مصطلحات هذه المدرسة، ويعنى أن كل شخص تظهر عليه تصرفات واتجاهات واهتمامات هى مخلّفات ومترتبات على المرحلة الشرجية، ومايتأتى له بسببها من عادات ومواقف وقيم، وماتثبّت فيها من الطاقة النفسية أو يرتد إليها. ولقد قسم **فرويد** المرحلة الشرجية **إلى مرحلتين**، فى **الأولى** تكون لذة الطفل فى **الإخراج**، أى التبرز، فإذا استطاع الترقّى برغبات هذه المرحلة فإن الإخراج يميل به إلى البذل والإنفاق والغرور والطموح والريبة، وفى **الثانية** تكون اللذة فى **الاستبقاء**، أى الإمساك عن التبرز، فإذا كانت هذه المرحلة هى الغالبة عليه فإنها تميل بشخصيته إلى

التدقيق والحذر والبخل والحرص والعناد. وينبه **فرويد** إلى أن الخُلُق الشرجى عموما، والذى يمكن أن يوصف به أحد الناس من تأثير المرحلة الشرجية، يتميز **بثلاث خصال أساسية**، تعرف باسم **الثلاثى الشرجى anal triad**، وهى **العناد، والبخل، والتحذلق** أى الإسراف فى التدقيق والنظام والترتيب.

ويقول **فرويد** إن نكوص البالغ إلى المرحلة الشرجية قد يؤدى إلى الإصابة بالعُصاب، أو تكون له سمات خُلُقية عُصابية وسواسية، وينبه إلى أنه من اللازم التفرقة بين **النظام والترتيب**، كصفتين خُلُقيتين يمكن أن تكونا للشخص العادى السوىّ نتيجة الترقّى بالرغبات الشرجية الاستبقائية، وبين **التحذلق** فى النظام والترتيب، كنتيجة تترتب على اللجوء لاشعوريا إلى الوسائل الدفاعية ضد هذه الرغبات الطفولية. وكذلك لاينبغى أن ننسب كل أعراض لها شكل استبقائى أو إخراجى إلى الميول الشرجية، أو أن نعتبرها من مخلفات المرحلة الشرجية، فمثلا الميل عند البالغ لأن يستخدم شرجه وكأنه مهبل فيكون **لوطيا مفعولا فيه**، أو يحب أن يلجأ كثيرا إلى **الحقن الشرجية** ويدمن عليها دون سبب، فذلك ليس نكوصا إلى المرحلة الشرجية، ولكنه بالأحرى نكوص **قضيبى** بمعنى أن الشرج هنا يصبح مهبلا ويستخدمه كذلك.

ولقد قلنا إن **البراز** فى المرحلة الشرجية يعتبره الطفل من خصوصياته، ويستشعر لأول مرة إزاءه بمعنى المِلْكية، ومن ثم فقد يزيد ذلك عند بعض الأطفال إلى درجة أن يجد لذة فى اللهو ببرازه، أو يتناوله بيده ويطعمه بفمه. وقد تتحول هذه اللذة من بعد عند البالغين المصابين بالذُهان إلى **تعشق للبراز coprolagina** فيسعد المريض بمطالعة برازه، وقد يحتفظ به فى علب وصناديق، وقد يذهب الشذوذ به إلى **أكل الخراء coprophagia**، وأحيانا تترابط المرحلتان، الفمية والشرجية، ويمارس الشخص عدوانيته من خلال **الكلام البذئ coprolalia** يخرجه من فمه كالخراء، وتراه أحيانا أو كثيرا يفرط فى استخدام مترادفات الخراء فى وصف الأشياء. وربما يتحول **تعشق الخراء coprophilia** إلى **خواف الخراء coprophobia**، ولايظهر هذا الخوف المرضى فى شكله الصريح، ولكنه يتمثل فى **رهبة الوساخة mysophobia** ، أو **رهبة التلوث molysmophobia**، ويرده علماء النفس إلى ظاهرة تكوين رد الفعل، بمعنى أن تعشق الخراء ينقلب إلى نقيضه فيصير عزوفاً ونفوراً منه.

ولقد قلنا إنه قد يحدث أن ينكص البالغ إلى المرحلة القضيبية، فيستخدم شرجه وكأنه المهبل، ويمارس اللواطة فيكون مفعولاً فيه، وهو ما يسمى بالمأبون، وذلك أن الطفل عندما يبلغ المرحلة القضيبية فقد يجبره تهديد أبيه له بالإخصاء كلما ضبطه منتصب القضيب، أو كلما رأى منه إصراراً على ملازمة أمه، أو الإقبال على التعرى، أن يبالغ فى إظهار طاعة أبيه، حتى أنه لينافس أمه على طاعته والتقرّب منه، ويلجأ لذلك إلى تقليد الأم والتعيّن بها لعل ذلك ينجّيه من عقاب أبيه له بالإخصاء، ويريحه من قلق الخصاء الذى يلازمه. وقد يجعله التهديد المستمر والعقاب من قِبَل الأب أو الأبوين معا، أن يتصرف كالإناث، فإذا كانت مرحله البلوغ فإنه يتأنث للأولاد من جنسه. وقيل إن ضرب الأب لابنه على مؤخرته باستمرار ضرباً مبرحا يزيد الحساسية فى هذه المنطقة، فإذا كان البلوغ تحوّل الإبن فصار مأبونا. وأيضا قد لا يكون للطفل إخوة إلا من الذكور، وقد يحدث أن لا يكون هناك بنات فى سنّه، ومن ثم لا يجد فى محيطه كله إلا الذكور من سنه، وخلال اللعب تتمايز شخصية الأطفال ويكون أحدهم عدوانيا أو ذكوريا، وقد يخنع الآخر ويستكين للعدوان ويتصرف بسلبية مع أقرانه، ويعرف بينهم بأنه بنت، ولا تكون لهم علاقة به إلا من خلال هذه الصفة، وكثيراً ما يحدث أن يتقدم أحد الذكران لحماية هذا الطفل بثمن أن يستخدمه كمأبون. والشخص الذى ينشأ وهو طفل بحساسية من أبيه، وخوف وتهديد من عقابه، قد يطلب وهو مأبون أن تكون علاقاته بذكورٍ فى عمر أبيه، وأما الشخص الذى ينشأ وهو طفل بحساسيةٍ وخوفٍ من أقرانه، ويستخدمه بعضهم كمأبون، قد لا يطلب إلا ذكوراً من سنه ليشبعوا فيه الرغبات الجنسية المثلية.

واللواطة قد تكون صريحة، وقد تكون كامنة، واللوطى الكامن قد يكون متزوجا وعندئذ قد يطلب مضاجعة امرأته فى دُبُرها ويصر باستمرار على ذلك، وحتى إن فعل معها فى الفرج فعله لدقائق إرضاءً لها، ثم يتحول إلى الدُبُر يأتيها منه ويستكمل لذته. وهناك حالات كثيرة لذكور متزوجين يشكون من البرود الجنسى لزوجاتهم، ويحتالون بهذه الطريقة للانصراف عن الجماع فى الفرج، بالنظر إلى الألم الذى يتحصل لهم نتيجة جفاف المهبل أو قمطته، إلى الجماع فى الدُبُر، برغم أن برود الزوجة المُدّعى ربما كان أصلا بتأثير ميول الزوج للجماع فى الدبر دون الفرج، الأمر الذى يتحصل للزوجة بسببه إحباط ينشأ عنه البرود.

والبغاء قد يكون بالذكور كما بالإناث، ويقال للذكر أنه **بغيٌ** كما يقال للأنثى أنها بغى.
وتعريف البغى سواء فى الإناث أم الذكور، أنه أو أنها الشخص الذى يقترف الفعل الجنسى **من أجل المال** أو ما يشبهه. ويصر **البغى الذكر male prostitute** أنه ليس لوطيا، وإنما هو يفعل ذلك تحت إلحاح حاجته إلى المال وبالنظر إلى أن تحصيل المال بهذه الطريقة غير متعب، ولكن الذى يحدث فى بغاء الذكور أن البغى ينتصب أثناء الفعل فيه ويُمنيِ كذلك ، وهذا دليل أكيد على أنه **مأبون** وإن نفَى هذه الحقيقة، فإذا أضفنا إلى ذلك أن البغايا من الذكور يكونون فى السن بين **الخامسة عشرة والخامسة والعشرين**، تأكد لنا أن بغاء الذكور هو لواطة لاشك فيها، لأنه فى هذه السن يكون إلحاح اللواطة على أشدّه فى المأبون. وأما فى السن قبل ذلك، أى قبل البلوغ فإن الطفل لايدرك مايُفعَل به، فإذا أتاه الكبار فذلك من باب مايسمى **جماع الأولاد pederasty** ويدرج ضمن **الجماع فى الدبر coitus per anum**، بمعنى أن الناكح والمنكوح كلاهما لايعتبر من **قوم لوط** الذين ينسب إليهم اللواط، لأن الناكح لايطلب الولد الصغير لأنه ذكر، بل يطلبه لأنه **صغير فقط**، ويستوى عند الناكح أن يطلب الأولاد الذكور أو يطلب البنات، والسبب أنه فى هذا النوع من النكاح لايكون الناكح ناضجا جنسيا بل يشكو القصور والكفاءة الجنسيين، ويخشى أن يتصل بالنساء فينكشف أمره، ومن ثم يغرر بالصغار سواء كانوا صبية أو صبيات، فيأتى الصبى فى الدبر، ويأتى الصبية فى الفرج، ويدارى بهذا الاتصال عجزه أو قصوره.

والانحرافات الجنسية التى يُستخدَم فيها الشرج استخدام الفرج كثيرة، ومن ذلك **لعق الشرج anilinction** ، وهو أن يتواصل الذكر والأنثى فيكثر من لعق جسم الأنثى، ويقترب بلسانه من شرجها ويلعق حوله، وكثير من الحيونات يلعق هو نفسه، وقد يُمنيِ بهذه الطريقة أو ينتصب، فإذا قارب من الإمناء أنفذ فى الشرج، أو أنفذ فى المهبل مداراة لشذوذه. وقد يوجد هذا الميل فى البعض فى شكل **تقبيل للمؤخرة وربت عليها والتدّله فى التعبير عن السعادة أو اللذة بها**. وقد يشكو البعض أن به **ميلا قهريا** أن يلعق الشرج، ويطلب العلاج لهذا السبب. وفى الانحراف المسمى **البُضعية partialism** قد يكْلَف المريض بأى جزء من أجزاء المرأة كالساقين أو النهدين أو الشعر، ومن ذلك أيضا **مِقْعَدة المرأة**، أى إليتاها، فإذا أتى المرأة التى يهوَى منها هذا الجزء دون سواه، أتاها منه، وهو فى حالتنا هذه **الشرج**. ويبدو أن **البضعية الشرجية anal partialism** كانحراف،

كثيرة الحدوث بين الذكور، وخصوصا عندنا **نحن العرب**، وماأكثر الشعر الذى يُطرِى الأرداف ويحكى عن الجماع فى الدبر، وهو أمر استقصيتُه فى الأدبين الفرنسى والإنجليزى فما عثرت فيه على شعر، وما وجدت عند الفرنجة غراماً بهذه الناحية. وهناك أبيات من الشعر كثيرة تبالغ فى وصف أرداف المرأة حتى لتصفها بأنها كالجبال وتجعل ذلك من باب محاسن المرأة، وكثيرا ما يضبط رجال يسيرون بالساعات خلف النساء ذوات المقاعد، يطالعهن أثناء السير، ويشبعون جنسيا من مجرد المطالعة. وقد يتخذ هذا الكَلَف شكلا رمزيا وهو مايسمى **بالفيتيشية** أو **الأثرية fetishism**، والفيتيش أو الأثر يرمز إلى الجزء من جسم المرأة الذى يتعشقه الذكر، وفى حالة تعشق المِقْعَدة قد يُغْرَم الذكر **بالسراويل**، باعتبارها لباسا شرجيا، فيكثر من اقتنائها. وقد يبعد الرمز قليلا أو كثيرا عن المشابهة، كأن يعشق الرجل أكل القرع، أو يحب الكُرَة ويقتنى منها أشكالا. وقد أحصى أحد أطباء النفس عدد الكورسيهات التى عند مريض بالفيتيشية يهوى الإليتين فبلغت ٨٩٦ قطعة مختلفة الأشكال والأحجام والطُرُز.

ومن حرفيات الجماع مايقال له **وضع القضيب والشرج penis-anus position**، وقد تطلب المرأة أو الرجل أن يضع شريكه فى الجماع إصبعه فى دُبُره فى أىٍ من مراحله، وقد يفعل الرجل ذلك دون أن تطلبه المرأة، وغالبا مايكون فعل ذلك من قِبَل الرجل، وتعتاده المرأة، وكثيرا مايكون ذلك قبل الإنزال ويساعد عليه، ويحذر الأطباء من أن يستخدم الإصبع الذى أُدخِل فى الدبر بحيث يُستَدخل أيضا فى الفرج، وإلا أصيبت المرأة بتلوث المهبل. وقد يستخدم الرجل لسانه يلعق به الشرج لاستثارة المرأة، بالنظر إلى أن المنطقة الشرجية عموما من المناطق الشهوية. والكثير من الرجال يلجأون إلى **جماع الدبر** فى وقت **العادة الشهرية**. وقد ترضخ المرأة لذلك إذا لم يكن الجماع فى الشرج هو دأب الرجل، ويأتيه لِماماً وكنوع من التغيير، وعندئذ تستلقى وتضع وسادة تحت المنطقة من فرجها لترفع بذلك مؤخرتها، ثم تفتح بين ساقيها، وقد يساعدها على ذلك أن تستند إلى كوعيها وركبتيها، ثم يفتح الرجل بين الإليتين، ويرطِّب فتحة الشرج بلسانه أو بقليل من الكريم، ويولج قضيبه ويبدأ فى النكاح، فإذا كانت المرأة فى وضع مستريح ولا تشعر بأذى نفسى فعندئذ لن تحس الألم، وقد يساعدها على ذلك أن يمسك الرجل بظرها بأصابعه ويدلكه إلى أن تبلغ ذروتها معه خلال النكاح.

والعُنّة الشرجية anal impotence اصطلاح من مدرسة التحليل النفسى كذلك، ويقصد بها حالة العجز عن التبرز من جرّاء إمساك المنطقة الشرجية دون غيرها، ويعانى الشخص حالة الإمساك، وغالبا مايكون السبب قلقا نفسيا نتيجة مواقف انفعالية ضاغطة يستجيب لها بالامتناع عن التبرز، وخاصة عندما يكون مضطرا، كما فى حالة المجندين، إلى أن يمارس الإخراج علنا، فيتأبّى عليه إتيان هذا الفعل الذى لايحب أن يأتيه إلا وحده، وربما كان ذلك منه أثرا عُصابيا من مخلفات الصراعات القديمة بين الرغبة فى التبرز وقتما وحيثما يشاء، وأن يلوث أو يلطخ ببرازه مايريد، والرغبة النقيض أن يكون متعاونا وينصاع لأوامر أمه فيتبرز كما تريد له، وبالشكل اللائق، وفى المكان المخصص لذلك. وقيل إن **الإمساك الشرجى** قد يكون أصله خوافا خرائيا، أو خوافا من التلوث أو النجاسة، وأنه دليل قمع لرغبات الشخص أن يكون على هواه، أو أن يؤذى أو يسئ بخرائه الآخرين.

والحكة الشرجية pruritus ani تكون فى الشرج أو فى الفرج، وقد تشمل الحكة المنطقة العجانية كلها، أى الشرج والفرج معا، بتأثير صراعات تستحثها دوافع جنسية مناطها هذه المناطق، أو نتيجة الشعور بالذنب الذى يدفع إليه الإدمان على العادة السرية عند بعض المراهقين والمراهقات، أو إتيانها كفعل قهرى يتصادم مع الوعى الدينى والأخلاقى للممارس لها.

وأكثر ماتكون **الحكة نفسية المنشأ** فى المنطقة الشرجية والعجانية باللوطى، سواء من الذكور أو الإناث، فإذا كانت بالشخص دواع جنسية مثلية لاشعورية قوية فإنك تراه يحك أيا من هذه المناطق باستمرار، بحسب ميوله الجنسية، فالمأبون يحك باستمرار المنطقة الشرجية، واللوطى يحك حول قضيبه وشرجه. وكذلك المرأة تجدها دائمة الحك حول فرجها وعند بظرها. ولايعنى مما سبق أن الحكة نفسية المنشأ لاتكون إلا بهذه المناطق، وإنما هى قد تمتد فتشمل الجسم كله، وقد يقسو المريض بها على نفسه فيهرش شرجه، أو تهرش فرجها بشدة ولمدة طويلة، بحيث يتورم الجلد ويخشّن، وقد يُخدش ويَدمى. والرأى أنه حتى فى الحكة المعممة التى تشمل الجسم كله، فالسبب غالبا صراعات جنسية أو مشاعر ذنب وكراهية مكبوتة، فيتخفف منها الشخص أو يعبر عنها بهذه الطريقة وكأنه يعاقب نفسه.

والحكّ خلاف الحِكاك، حيث الحكاك يكون مصحوبا بمرض جلدى، إلا أنه فى الحكاك أيضا فإن المريض لايشعر بشدة أنه يريد أن يهرش المنطقة من الجلد التى يريد هرشها إلا

بتأثير الظروف النفسية، وفى الحالتين فإنه بالحك أو الحكاك تتحصل له اللذة بالنظر إلى الإشباع الشهوى الذى تحققانه، وهو **إشباع شهوى ماسوشى**، أى أن الشخص يلذ له أن يهرش بشدة فيُدمِى نفسه أو يؤذى جلده.

والمريض بالحك عادة مايأتيه **كفعل قهرى** يقوم به وكأنه مجبور على القيام به، وفى **حكة الفرج** pruritus vulvae فإن المرأة التى تأتيها، ربما تكون مدفوعة إلى ذلك بكراهية منها لهذه المنطقة من جسمها، وتعتبرها ملوثة أو مرنولة، سواء كان ذلك منها بوعى أو بدون وعى، وكثيرا ماتسمع منها فى نفس الوقت أنها تكره هذه المنطقة، وقد تعترف أكثر من ذلك فتقول إنها تكره الزواج، وغالبا ماتكون لهذه المرأة صديقات يعاملنهاوكأنها المسئولة عنهن، ويعتمدن عليها، والحقيقة أن مثلها تعانى من **ميول جنسية مثلية**، تماما كالرجل الذى يعانى من هذه الميول ويلجأ إلى **حكة الشرج**، متعمدا ذلك كبديل للفعل الجنسى، أو كأنه يقوم بهذا الفعل الجنسى لاشعوريا، حيث الجنسية المثلية أو اللواطة به **كامنة**، وكذلك الحال مع المرأة التى تأتى الحك باستمرار.



- ٣ -

الثدى The Breast

الثديان من العلامات الجنسية الثانوية للأنثى، ويتم تكوينهما عند **البلوغ** أو قبله، ويشملهما عدة تغيرات فى سن البلوغ، وعند الطمث، وفى الحمل، وفى سن الإياس. ويرتبط الثديان ارتباطا شديدا بالجهاز التناسلى للمرأة، فعند **الحمل** مثلا ينتفخ الثديان وتحتقن أوعيتهما وتتسع، إعداداً لهما ليقوما بدور الإرضاع. ويكبر الثدى قبل **الطمث** حتى ليؤلم ثم يعود سيرته الأولى بعد الطمث. والثديان **زينة** المرأة وعلامة على أنوثتها، ولهما دلالة كبيرة من حيث أن المرأة إذا كبر ثدياها فإن صغيرها سيجد الإرضاع المشبع.

وعند **المراهقة** يكبر الثديان فى الولد والبنت، غير أن ما يكبر فى الولد هو عضلات الثديين وليس الثديان. **وتقلق** البنت على ثدييها مثلما يقلق الولد على قضيبه. ويساعد على قلق البنات والأولاد ما يقرأونه من مجلات أو كتب حول موضوعات الجنس والقياسات للثدى أو للقضيب. وليس هناك **مقاس** للثدى يقاس عليه ويعتبر نموذجيا، فكل فتاة لها الحجم الخاص بها والشكل والمحيط، وهناك اختلافات هائلة بين البنات فى حجم ولون

ونسيج **الحلمة** وما يحيطها. وليس من الشائع أن ينمو **الشعر** فى الثديين عند الإناث.
ويختلف **موقع الحلمة** من الثدى من أنثى إلى أنثى، وقد تكون الحلمة واقفة أو مفلطحة، صغيرة أو كبيرة، ملساء أو محببة، رقيقة أو سميكة، بل إن **أحوال الحلمة وشكلها ولونها** لتختلف فى المرأة الواحدة بحسب السن والحالة المزاجية والصحية. وتتركب **غدة الثدى** من ألياف خلوية ليفية بها بعض من ألياف عضلية غير إرادية خصوصا حول الحلمة، وفصوص دهنية عديدة بعضها كبير ويرجع إليها حجم واستدارة وصلابة الثدى، وغدد لبنية كثيرة العدد من النوع العنقودى يفصل بينها حواجز ليفية النسيج، ولكل غدة قناة يتحد بعضها مع بعض لتكوين قنوات أكبر منها تنتهى فتحاتها بقمة الحلمة.

وتختلف **غدة الثدى** مظهراً وحجماً وبنيانا باختلاف السن والقوام والصحة العامة، فى **الفتاة** البالغ، عنها فى **السيدة** التى لم تحمل بعد، أو التى حملت وتكرر حملها. وتختلف أيضا عند **العانس**.

وترتبط غدة الثدى مباشرة بغدة المبيض، وترتبط مباشرة أو غير مباشرة بغدد أخرى كالنخامية والرحم والمشيمة والجسم الأصفر وغيرها. وللإفراز الداخلى **لغدة المبيض** والجسم الأصفر أكبر نصيب فى تكوين ونمو الثدى عند البلوغ، فإذا كان البلوغ مبكرا كان نمو الثدى مبكراً، وإن تأخر ظهوره تأخر نمو الثدى. وللانفعالات النفسية والجنسية أثر فعال فى تكييفه ونموه. وترد تغييرات الثديين فى الحمل إلى **الجسم الأصفر**. ويصابان بالضمور ويلحقهما بعض التليف بانقطاع الطمث فى نحو الخامسة والأربعين.

وقد يكون الثديان فى الأنثى والذكر **أكثر حساسية** من مناطق أخرى من الجسم. وثديا الأنثى أكثر حساسية من ثديى الذكر بسبب أنهما أكبر فيمكن استثارتهما باليدين أو بالفم. وليس للثدى دور فى العملية الجنسية عند الحيوانات الثديية، ولكن الثديين **فى الإنسان** يلعبان دوراً رئيسيا، سواء فى الجاذبية الجنسية، أو خلال المداعبة التى تسبق الجماع، أو أثناء الجماع نفسه. وتتفنن النسوة فى إظهار الصدر والإيحاء بجمال الثديين، ويزيدهما جمالا التناسب بين حجميهما وشكل الصدر والقوام. ويقول **كينزى** إن ٩٠٪ من الذكور من الطبقة الراقية يستهويهم الثديان، وأن ٩٣٪ يمارسون المداعبة بالثديين قبل الجماع وخلاله، وذلك يلهب مخيلة الرجل ويستثيرة ويسرع به إلى الانتصاب أو الإنعاظ، إلا أن بعض النسوة لا يجدن فى هذا الفعل ما يستثيرهن، بينما ترضى عنه نحو نصف

النساء، والقلة القليلة فقط هى اللاتى قد ينعظن بتدليك الثدى أو مص الحلمة. وبعض النسوة قد يقمن بالاستمناء لأنفسهن ويتناولن الثدى باليد ويربتن عليه ويمسكن الحلمة. وبعض النسوة قد يطلبن من الرجل أثناء المداعبة أو الجماع أن يشد على الثدى. **ومصاص الثدى** mammalingus هو الذى تتحصل له أقصى الشهوة بوضع فمه إلى ثدى المرأة. والاصطلاح **لجونز** زميل **فرويد**، ويعنى به تلك الممارسة التى يلذ للبعض أن يأتوها باستبدال القضيب بثدى المرأة فكأن مصاص الثدى يمص قضيبا وليس ثديا. ومِن مص الثدى أن يستغل الطفل ثدى أمه فيمص فيه دون حاجة فعلية إليه، ولكنه يهوىَ المص، وكذلك الرجل البالغ، والمرأة تمص للمرأة. ومعنى استغلال مص الثدى أن الرجل يتعيش على كدّ المرأة و«يمص» ثروتها أو دخلها (Jones:Papers on Psycho- analysis).

ولا يجد الرجل أية استثارة أن تمص المرأة ثديية، وإن فعل فذلك من تأثير التغيير وأن المرأة هى التى ستتولى استثارته وذلك يرضيه. وبعض الرجال مع ذلك بهم **حساسية فى الثديين**، نتيجة الاهتمام الزائد لسبب أو لآخر بهذه المنطقة منذ الطفولة، وأحيانا قد يطلب الرجل من المرأة أن تمص ثدييه، وقد تفرط بهما الحساسية حتى ليحلق الشعر فى الصدر ليسهل عليها ذلك وحتى لا تنفر من هذا العمل. ويستشعر **اللوطى** بلذة كبيرة من تدليك ثدييه ومصهما، وحساسية **المأبون** بالثديين تشبه حساسية النساء. وربما كان تناول الثديين للمرأة مثيرا لها، بالنسبة إلى أن ذلك قد يثير **أمومتها**، وبعض النسوة يتصرفن مع أزواجهن تصرف الأم مع ابنها، وتحب المرأة أن يناديها **بأمى** وتعطيه ثدييها فتتهيج.

والطفل إذ يكتشف أن أمه تعطية ثدييها فيشبع يحبهما. والثدى هو أول ما يعيه منها، غير أن اختفاء الثدى عنه أحيانا يجعله يشعر أنه ليس ملكا له، ومن ثم فقد يحسد أمه عليه، وقد يجعله **حسد الثدى** breast envy يرغب أن يكون له مثل هذا الثدى المشبع، وإذ يكتشف أن له **قضيبا** ليس لأمه أو لأخته يعتز به، وينزله من نفسه منزلة الثدى الذى حسد أمه عليه. وقد يجعله اعتزازه بالقصيب **كبديل** للثدى يلجأ إلى مص القضيب كأنه ثدى، ومن ثم يصبح **مأبوناً** ويأتيه الذكران، أو قد يجعله ذلك يلجأ **إلى الاستمناء** باليد إدرارا للقضيب، للذة حرم منها من الثدى بالفطام. وقد يجعله **الفطام** المبكر، **والجوع العاطفى** الذى أصبح يلازمه بسببه، يعتز بقضيبه ويحرص عليه من البنات، وذلك أنه يكتشف أن البنات لهن **فرج** عاجز عن أن يلعبن به عند التبول، وقد يتوهم للمشابهة بين

الفرج والفم أنه فم وأن له أسنانا وهو ما يعرف باسم وهم الفرج المسنن، ومن ثم يخشى على قضيبه من أذى الفرج ويرهب الجماع ويخاف النساء.

ويذهب فرويد إلى ردّ حسد الثدى إلى عقدة الثدى التى تتحصّل للطفل فى المرحلة قبل الأوديبية، فهو يبدأ بأن يحب الثدى لأنه الذى يشبعه، وتمثل الأم عنده ثديا، وهى الثدى الطيب لأنه المشبع، فإذا فطمته فجأة فإنه يرفض ويحرن ويظهر الغضب العنيف. ويتطامن غضبه مع اكتشاف قضيبه كبديل للثدى، ولكنه مع ذلك يستمر لا شعوريا يحسد البنات على امتلاكهن للثدى، وقد يجعله حسد الثدى يلجأ إلى القضيب عند الذكور يستخدم استخدام الثدى، وقد تتأكد لديه الميول الجنسية المثلية بأن يتصرف بما يفيد استهانته بأمر الثدى من باب القلب، فما لا أستطيع تحصيله أحتقره، ومن ثم فإنه يتوجه إلى القضيب استغناء به على المجاز عن الثدى على الحقيقة. وقد يصل بالرجل الميل إلى تأكيد استغنائه عن الثدى أن يطلب من الأنثى فى الجماع أن تمص ثدييه بدلا من أن يمص هو ثدييها، وكأنه يغالى بهذا الفعل فى الابتعاد عن الثدى الحقيقى، ويباهى بثدييه كمنافس له. وقد يحدث شئ مماثل عند المرأة، فعندما تحرم من ثدى أمها فى الطفولة بسبب الفطام فقد يتحول عندها حسد الثدى الذى يتحصل للذكور إلى كراهية للثدى، ولكل ثدى حتى ثدييها. وتنمو البنت فتتجه إلى الاسترجال، وتميل إلى تمثيل أدوار الذكور كاحتجاج على أنوثتها. وقد تغالى فى ذلك وتنفر من كل علاقة جنسية غيرية، وتؤكد على العكس ميولها الجنسية المثلية وكأنها ذكر فتطلب الإناث.

وربما يتحول حسد الثدى عند البعض من الذكور بالتسامى إلى نشاطات فنية وأدبية وعلمية. ويصف الكثير من الشعر صدور النساء، ويتفنن شعراء الغزل فى وصف الثدى، ويرسمه الرسامون فنسعد برسوماتهم وبالصور الغزلية الجميلة التى تلهمنا أرق المشاعر، وربما لأن القراءة عن الثدى أو مشاهدته تلهمنا هذه المشاعر المتسامية تسمح الرقابة على المصنفات الفنية بتعرية الصدر، ولكنها لا تسمح بكشف العورة، وربما لهذا السبب أيضا فإن الإفريقيات يظهرن وقد انتصبت أثداؤهن دون خجل، فى حين أنهن يدارين عوراتهن. وهذا التسامى اتجاه سوِى يختلف عن تكوين رد الفعل الذى قد يجعل المرء يصاب بحسد القضيب، فيتجه إلى الفيتيشية، وهى أن يتعشق السوتيانات الحريمى ويقتنى منها الغالى والطريف، ويستعيض بها عن ممارسة الجنس مع النساء، فكلما اشتاق للمضاجعة ارتدى

سوتيانا ولامس البعض الآخر واستمنى بيده، أو بتمثل الجماع يتخيله تخيلا. **وعقدة الثدى** breast complex هى كل ما سبق مما يترتب على حسد الثدى، وهى التى تدفع فى حال المرض إلى الانحراف إلى الجنسية المثلية، أو المغالاة فى مص الثدى، أو الإساءة إليه والتسبب فى إيلام المرأة بتناوله باليد أو بالفم تناولاً مؤلما، وفى بعض حالات السادية قد تصاب المرأة بأذى بالغ، وأحيانا قد يقوم الرجل بعضّ الثدى بأسنانه أو بقطعه بآلة حادة، وقد يقضمه. **وعقدة الثدى** أيضا هى التى تجعل البعض يمتهن الطب ويحترف طب النساء، أو يخصص وقته فى بحوث حول تغذية الأطفال والرضاعة المثالية، وذلك فى حال التسامى بحسدالثدى. **(انظر الفيتيشية واللواط والجنسية المثلية)**

* * *

(٢) أعضاء الجنس الظاهرة عند الذكور

-١-

القضيب The Penis

هو الذَكَر والإير أيضا، وأصله واحد فى المرأة والرجل، حيث يكون الجنس غرمول لم تتضح هويته فى الشهرين الأولين، فلاهو بالقضيب ولا هو بالبظر، ثم يكون من بعد أيهما. **والبظر** فى المرأة هو المقابل للقضيب فى الرجل، وكلاهما شديد الحساسية ومن مواضع التهيج فى جسم الإنسان، وإن كان أكثر المواضع تهيجا فيه، وخاصه ما يسمى رأس القضيب أو **الحشفة**.

وكانت للقضيب **عبادة**، والمتعَّبدون له يصنعون تماثيل لها شكله، ومنها أيقونات وحلّي يلبسونها استجلابا للإخصاب وجلبا للإنجاب. والقضيب كرمز للإخصاب يسمونه **الفالوس** phallus، **وعباده القضيب** phallicism عبادة على الحقيقة وليست على المجاز، أو أنها كانت كذلك، وإنْ كان البعض يجزم أنها ما تزال رائجة فى بعض المناطق بآسيا وإفريقيا، وهى تفريع عن عبادات الخصوبة والتكاثر، وكان الأقدمون يذكّرون الآلهة أو يؤنثونها، بمعنى أن **الجنس** شملها، فهى إما آلهة ذكور، أو آلهة إناث، والمصريون مثلا جعلوا **الشمس** إلها، فى حين جعله العرب إلاهة، وقالوا إن قوة الإله تحل فى حيوان هو رمز للإله، ورمز الشمس عند المصريين هو **الجِدْى**، ويقول **هيرودوت** إن النساء كن يتوجهن إلى معابد الشمس حيث كانت الجديان شديدة الفحولة، وكن يرقدن لها، وكذلك كان

الرجال يجامعون الماعز الإناث. واتخذ ملوك الرعاة **الكبش** معبوداً لهم، وكلما كانت للحيوان فحولة كان ذلك لأن الإله قد حلّ فيه، ومن هذه الحيوانات **الثعبان والسحلفاة**، وبينما تصور الأقدمون القضيب **ثعبانا** فإنهم تخيلوا الفرج سلحفاة، وكثيرا ما نرى في تصاويرهم الثعبان وقد جعلوا رأسه كالقضيب، وجعلوا العالَم يقوم على ظهر السلحفاة. وهناك شواهد كثيرة تقول بأن **الشجرة** أيضا عُبدت عند **العبرانيين** وغيرهم، وهى رمز الخصوبة فى الإناث والذكور، وكانت **الشجرة** رمز الحياة فى **التوراة** فى قصة خلق آدم، فبينما الأغصان رموز للذكورة، فإن الثمار رموز للأنوثة، وتناول **التفاحة** المحّرمة بمثابة الجماع. وأغرق **الإسرائيليون** فى عبادة القضيب حينما اختصوا النُصُب بعبادتهم وجعلوه فى شكل القضيب. وحتى قصة خصف **آدم وحواء** لعورتهما بأوراق التين تحفل بالرمزية، وتشبه **ورقة التين** الرحم، وما تزال أوراق التين لها هذا المعنى عند المثّالين المعاصرين. ولو لم تكن للجماع هذه اللذة العالية لما أضفى الناس على أعضاء الذكورة والأنوثة كل هذه الأهمية التى ترقى إلى القداسة أحيانا. **والقضيب** والفرج هما وسيلة اللذة، وتأتى اللذة بالتكاثر، ويرمز القضيب **لمبدأ اللذة**، وتقوم كثير من الديانات القديمة على دعوى من هذا القبيل، وتُؤدّى الطقوس والاحتفالات سعيا وراء اللذة التى يعطيها الإله القضيب، فمثلا كان هذا الإله **أبريوس** عند الفرس، وهو الآن **بريابوس priapus** عند المحدّثين، وصورته تَهب من يطالعها الخصوبة، وتشفيه من الأمراض التناسلية عند الذكور، بينما كانت تماثيل الإلاهة **إيزيس** المصرية تشفى النساء من هذه الأمراض. وصاحَبَ عبادة هذه الآلهة عبادة أجزاء من الجسم البشرى، كأن يُجمّل معبد الإله بِصُوَر الأثداء أو الفرج أو القضيب أو الإليتين، وكان المصريون وغيرهم ينحتون شكل القضيب على المقابر استجلاباً للبركة، وطلباً للخلود للميت. وفى بعض الديانات كانت العادة أن توهب **البكارة** للكهنة أو يعطى الكاهن **حق الليلة الأولى**، وتُرَدّ هذه العادة إلى ما كان معمولا به من إعطاء الإثمار الأول، سواء كان من نبات أو حيوان أو إنسان إلى الآلهة، ولهذا كان يوهب **الإبن البكر** إلى الآلهة فى مصر واليونان وروما. وكانت العادة فى **طيبة** أن تُختار **لإله النيل** عروس من الجميلات من أرقى العائلات، وفى معابد **جوبيتر** كانت تُختار العروس وتفضّ بكارتها على المذبح، وكان على شكل قضيب ضخم. وكانت النسوة بقصد التبرك للحمل يشترين تماثيل القضيب ليستعملنها، بإنفاذها دخل المهبل. وكان الاعتقاد أن مجرد لمس القضيب يكفى ليفتح

أرحامهن. وكان الإله **هيرمز** من آلهة الرومان التى يُرَمز لها بالقضيب، وكذلك **ديونيسوس وباخوس**.

وللقضيب فى التحليل النفسى معنى خاص، ويطلق على إحدى مراحل النمو النفسى الجنسى اسم **الطور القضيبى phallic phase**، وهو الطور الذى ينصرف التهيج الجنسى فيه عند الولد إلى قضيبه، وعند البنت إلى بظرها. ويأتى هذا الطور عقب الطور الشرجى فى السن بين **ثلاث** إلى **ست سنوات**، فإذا كانت فترة الكمون بين **الرابعة والحادية عشرة** تعرضت الرغبات والانفعالات التى تميز الطور القضيبى للكبت أو أنها تترقى فيه وتتجه به إلى النضوج الجنسى. ويتسم الطور القضيبى بالعُجْب الذى يكون بالطفل الذكر بقضيبه والاعتقاد بأنه وحده يملك قضيبا كهذا، فهو يكثر من الإمساك واللهو به، وخاصة إذا ما انتصب، إلا أنه يخشى عليه بسبب ما يتهدّده به الأبوان من قطعه، أو كما نقول إخصائه، كلما ضبطوه يلعب به. ويأخذ الطفل هذه التهديدات مأخذ الجد، ويصيبه من جرائها قلق يطلق عليه اسم **قلق الخصاء castration anxiety**. وأما البنت فإنها تكتشف لأول مرة أنها لا تملك قضيبا كالأولاد، ولا تستطيع مثلهم أن تبول بالطريقة التى يبولون بها، وتتعرض منهم للتهكم وهم يرونها تبول منفرجة الساقين وليس لها من أدوات التبول إلا هذا الشق الذى كان مكانه بالقطع قضيب، ولكنه لسبب ما غير موجود، ويستشعر الأولاد أن البنت ناقصة، وتستشعر هى كذلك **النقص**، وتنتابها ما يسمى **مشاعر النقص أو الدونية**، وتكبر معها، ويكون بها أيضا مايطلق عليه اسم **حسد القضيب penis envy**. ويترتب على كل ما سبق بالإضافة إلى الصراعات الانفعالية التى يقال لها **الصراعات الأوديبية** التى تتفجر نتيجة علاقاتها المتوترة والمتفاوتة بالأبوين، أن تنشأ البنت على طباع خاصة، وتتخلق بأخلاق تناسب خبراتها وتكوينها النفسى، وقد تكون هذه الطباع والأخلاق إرهاصات باضطرابات عُصابية لاحقة. وخلال **الطور القضيبى** تتحرك بالطفل الرغبات للاستمناء، إلا أنه يكبتها بتأثير التربية، كما أنه يقوم بكبت النزعات الأوديبية نتيجة التهديد بالإخصاء، الأمر الذى يساعد على تكوين **الأنا الأعلى**، ويعجل بترسيخ مفاهيم خاصة عند الطفل تمنعه من الاستسلام لما يريد، والاستغراق فى **الخيالات الأوديبية**، وتتأدى به بالتدريج إلى الدخول فى **مرحلة الكمون**. ويترتب على عملية الترقّى بانفعالاته ورغباته الأوديبية تجاه الوالدين أن يشب الطفل بطريقة صحيحة، ويتحرر من

احتمالات الإصابة بالعُصاب، ومن ناحية أخرى قد يزيد **قلق الإخصاء** بالطفل، فيجعله ذلك يميل بسلوكه إلى السلبية ويتصرف كالإناث، وعلى العكس من ذلك فقد يجعل **حسد القضيب** البنت تتجة إلى التخلص من **الشعور بالنقص**، بأن تنزع إلى تصرفات الأولاد الذكور وتميل إلى السيطرة، والدخول في المنافسة معهم، وإظهار التفوق عليهم، وتتنامى بها الميول الذكرية، وقد يجعلها ذلك تسلك فعلاً كالذكور، فتكون لها بالبنات علاقات جنسية لواطية.

وفي **الطور القضيبي** لا يجد الطفل الذكر أنه يمكن أن تتحقق رغباته القضيبية عن طريق أمه، وقد يشكو إليها انتصاب قضيبه، ويطلب منها أن تهرش له فيه، وقد تلبى الأم طلبه مرات وترفض مرات، وقد ينهاها الأب أو يزجره، وقد يضربه أو يهدده بقطعه، فيكره الأب لذلك وتتفجر به مشاعر عدوانية تجاهه، وعندما يكتشف أن أمه وهي تتعرى أمامه ليس لها قضيب مثله ومثل أبيه، فلربما يحسب أن أباه قد خصاها في إحدى مرات غضبه مثلما يهدده بالإخصاء، **وترتبط عنده الرغبات الجنسية بالتهديد وبالإخصاء وبالعقاب**، وينشأ على كراهية الجنس والعزوف عنه. وكذلك فإن الطفل الذكر إذ يتبين له أن كل الأولاد الذكور لديهم قضيب، بينما كل البنات تخلو من القضيب، فقد يرتبط عنده ذلك بتهديد الأب بالإخصاء، ويحسب أن البنات كان لهن قضيب ثم خصاهن الأب، وينشأ وقد عافت نفسه هذا الصنف من الناس الذي عوقب بالإخصاء، وهو صنف **البنات**، ويتثبت عنده النفور منهن، وينسى السبب ولكنه يظل يعزف عن علاقة له بهن، أو بمعنى آخر بالنساء، ربما لأنهن يبعثن في نفسه **قلق الخصاء**، أو الخوف من العقاب المرتبط **بالرغبات الجنسية**، أو لأنه لا يريد التورط مع هذا الجنس الذي يستشعر في نفسه أنه أقل منه شأنا ويعاني من نقص أصيل في بنية الجسم.

ويقول **فرويد** إن الطفل ليتجنب الإخصاء قد يظهر الطاعة للأب، وإذ يجد أن الأب يحب الأم فإنه قد تنعكس لديه **عقدة أوديب** فتكون سلبية، أي أنه قد يتقرب من الأب خوفاً وطمعا، وتغريه نوعية علاقة الأب بالأم أن تكون علاقته به على نفس النمط، فيتصرف معه بخنوع أو سلبية أو أنثوية. وأما **البنت** فإنها إذ تكتشف أن أمها ليس لها قضيب فإنها تنفر من التعّين بها، وبدلا من ذلك تتعين بالأب الذي له قضيب وتتقمص شخصيته وتكون لها هوية الذكور، وقد تجد في **بظرها** مشابهاً للقضيب، وقد يتولد لديها لذلك الإحساس بأنها من الذكران، أو أنها تنتمي إلى عالمهم، وتعزف عن صحبة النساء إلى صحبة الرجال.

ويقول فرويد إن إحساس الولد بقضيبه يعود إليه قويا فى **الطور التناسلى**، عندما ينجح فى التحول من الأم كموضوع لحبه، إلى موضوعات أخرى بخلافها، ويطلق **فرويد** على الحب فى **الطور القضيبى** اسم **الحب القضيبى phallic love**، وفيه يكون الهدف من الحب إشباع الولد لشهوته الجنسية، دون أن يحفل بشهوة البنت شريكته فى الفعل الجنسى وموضوع حبه، على عكس الحب فى الطور التناسلى فهو **الحب التناسلى geni-tal love**، وفى هذا الطور- أى التناسلى- لا يكون القضيب وسيلة الإشباع الجنسى للرجل فقط، ولكنه وسيلة هذا الإشباع له ولشريكته فى الجماع، أى أن اهتمام الرجل بقضيبه فى الطورالتناسلى لا يكون لأن مصدره اللذه له وحده، ولكنه له ولمن يحب.

وفى **الطور القضيبى** قد يتثبت النمو النفسى الجنسى للولد، وقد يكون له خُلُق أنانى، ويتميز بحبه لذاته ونرجسيته. وخُلُقه الذى قد يتخلف عن هذا الطور والذى قد يستمر معه يقال له **الخلق القضيبى phallic character**، وقد يجعله هذا الخلق منغلقاً على نفسه، أو قد يزيده إحساسا بنفسه بحيث يجعله عدوانيا واستعراضيا. ولربما يغلو هذا الشخص فى التصرفات من هذا القبيل ويكون سلوكه عُصابيا. **والشخص القضيبى** هو إنسان عُصابى، سمته الغالبة الحساسية المفرطة والخشية الزائدة، وأكثر ما يخافه المرض والآلام، وربما كانت خشيته أثراً من الخوف من الخصاء، ودليلاً على اضطرابات انتصاب عنده. **والزهو القضيبى phallic pride** هو فرط الثقة فى النفس والإحساس بالتفوق عند الأولاد، نتيجة الشعور بالتمايز المترتب على امتلاك القضيب الذى لا تمتلكه البنات. والولد أو الرجل المزهو بقضيبه يتصرف بطريقة يُشعِر بها الآخرين بذكورته أو رجولته، ويتمثل فى حياته **أهدافا قضيبية**، أى أهدافا تخص الذكور أو الرجال دون النساء، وترضى نزعاته القضيبية أو الذكورية.

وأما البنت فإن توجهها إلى بظرها فى **الطور القضيبى**، ويتحول إلى المهبل فى **الطور التناسلى**، ويشحنه انفعاليا بحيث تكون اللذة المتولدة عندها بالجماع، لذة مهبلية هدفها **الحمل**، وليست لذة قاصرة على بظرها الذى هو عندها بديل القضيب. وليس معنى ذلك أن شعورها ببظرها يتوقف، فما من مشاعر فى طور من أطوار النمو النفسى الجنسى تنتهى تماما عند البالغ، ولكنها تبقى معه، وتكون الغلبة لمشاعر الطور الأخير، إلاّ فى حالات التثبت على طور من الأطوار، وذلك يحدث أحياناً وتترتب عليه اضطرابات عصابية وانحرافات فى السلوك الجنسى.

والبنت التى تتثبت على **الطور القضيبى** قد لا تطلب الجنس إلاّ إذا كانت وسيلته بظرها، وقد تطلب باستمرار إلى شريكها أن يأتيها أولاً منه، وقد تظل تلجأ إلى العادة السرية بدلك البظر بالرغم من أنها متزوجة، وقد تحب أن يكون إتيانها بلحس البظر، وقد تكون لها علاقات لواطية بأخريات فيقمن باللحس أو اللعق لها، دونما حاجة أصلاً إلى الجماع، ويقال لها **امرأة قضيبية** phallic woman أو **امرأة مسترجلة**، ويدفعها إلى ذلك شكل قوى من أشكال **حسد القضيب**، بحيث تسلك دائما دون اعتبار لجنس الذكور، وكأنها لا شعوريا قد قامت بإخصائهم، بأن ألغت فى تعاملها معهم أى تميز لهم باعتبارهم ذكورا، وفى الوقت نفسه تتصرف وكأنها هى نفسها ذكراً، وقيل فى ذلك إنها تتعين **بالقضيب**، أى أنها تتصرف بتوهم أن لها قضيبا، وبذلك تنكر دعوى الإخصاء بالنسبة لها، وكأنها تقول لست أنا المخصية، ولكنكم أنتم أيها الرجال المخصيون.

ولقد قيل إن **حسد القضيب** هو رغبة بالأنثى أن تكون لها أعضاء الذكورة على الحقيقة وليس على المجاز. وعندما تكتشف البنت أنها لا تملك شيئا يملكه أخوها، تعتقد أن هذا الشئ ينقصها، لأن والديها ربما قد حرماها منه، وتلوم أمها خصوصا، وتنسب قلة حيلتها وضعف بدنها عن أن تجارى الصبية الذكور إلى افتقادها للقضيب، وتردّ القوة التى لهم إلى اكتمالهم من هذه الناحية، ولكنها تتساءل عن سرّ القوة التى لأمها على أبيها رغم النقص الذى تعانيه باعتبارها أنثى، وتغار منها وتتمنى أن يكون لها رجل مثلما لأمها هذا الرجل، فيأتمر بأمرها ويعوضها، وتأمل أن يكون على نمط أبيها، ومن ثم تبدأ معها مشاعر **عقدة إليكترا** فى نحو سن **الثالثة**، فتتقرب إلى أبيها وتنافس أمها عليه، أو أنها قد تحاول أن تتصرف كالأولاد حتى ولو لم يكن لها قضيب، لتثبت أنها رغم النقص الذى عندها فإنها ليست أقل منهم مقدرة، وفى هذه الحالة تتخلق بأخلاق الذكور. ويفجر **حسد القضيب** عند البنات ... عر بالقلق، توازى مشاعر القلق التى يفجرها عند الأولاد خوفهم على القضيب من الإ... وتدارى البنت حسدها لكى تتخلص من القلق، وتقمع مشاعر الغيْرة وتكبتها حتى لكأنها لا تعلم أو تعى بها، وتكف عن غواية أبيها لاستحالة الاستحواذ عليه دون أمها، وللصدّ الذى يواجهها به، والعقاب الذى توقعه بها أمها، ولكنها تستمر فى التعيّن به فتكون لها الكثير من قيمه ومعاييره ونظراته فى الحياة.

ومن رأى **فرويد** ومدرسة التحليل النفسى عموما، أن **حسد القضيب** له أثره على تطور

شخصية البنت، لأنه قد يتحول إلى حسد لما للذكور من مكانة اجتماعية وامتيازات. وتتوقف شخصية البنت على الطريقة التي تتعامل بها مع المشاعر التى يستحدثها حسد القضيب، فإما تتقبل نفسها كأنثى، وإما أن ترفض ذلك وتعاند وتسلك سلوك الذكور الذى تحدثنا عنه، وتتقلد أدوارهم.

والأم القضيبية phallic mother تصوُّر يتولد عند بعض الذكور، فيتحصل للطفل أن **قضيب أمه** ليس هو ذلك الشكل المعهود للقضيب فى مكانه المعهود، ولكنه **الثدى**. وهذا الاعتبار للثدى يتأتى له عندما يلمس أنه عضو يغذيه ويحرم منه أحيانا، فيكون له فى الحالين مصدر لذة عظيمة وألم شديد، ومن ثم تتراوحه مشاعر الحب والكراهية للثدى. ومثلما قد تحسد البنت الأولاد على القضيب فكذلك قد يتحصّل للطفل الذكر أن يحسد ثدى أمه، وقد يتوهمه لذلك قضيبها، ويتحول إليه بحبه وكراهيته بوصفه ذاك الجديد. ولقد تبين **لفرويد** من دراسة بعض حالات المرضى بانحراف الفيتيشية، أنهم قد يغرمون بأشياء لها شكل القضيب، وأن هذه الحالات تتأتى لهم نتيجة تصورهم وهم أطفال أن **الثدى هو قضيب الأم**، ويستمر معهم هذا التعشق للثدى بهذا الاعتبار فى البلوغ، ويكون دافعا إلى اللواطة السلبية، **وخاصة ممارسة مص القضيب**، بتصور القضيب وكأنه ثدى الأم، والمص نفسه وكأنه عملية الرضاعة. وعند تحليل **فرويد** للحلم الذى رواه **ليوناردو دافنشى**، والذى رأى فيه وكأن طائرا قد وضع ذيله فى فمه وضربه به عليه عدة مرات، قال إن **الطائر هو ثدى الأم** الذى كان يرضعه ليوناردو صغيرا، وهو أيضا يمثل **قضيب الأم**. ويرجع فرويد هذا التصور الذى يتأتى للبعض فى الأحلام، بحيث يرون الإنسان الواحد وكأنه ذكر وأنثى معا، إلى الميكانيزم الذى به تتم التحريفات التى تتناول الحوادث فى الأحلام، والذى به تكون الأمور على ما هى عليه فى القصص الأسطورية. ففى الأسطورة المصرية القديمة نجد **الإله موت** المصرى يظهر فى شكل، له رأس صقر، وجسم امرأة لها ثديان، ومع ذلك يتدلى لها بين الساقين قضيب منتصب، وبذلك تجتمع فى الإله صفات الأنوثة والذكورة معا، وهو ما كان يؤكده **فرويد** دائما من اجتماع الأنوثه والذكورة فى **كل فرد** وإن غلبت عليه أيهما.

والقضيب فى الأحلام يتخذ، بمقتضى ميكايزم التحريف السابق الإشارة اليه، أشكالا رمزية تشبهه، كالعِصِىّ، وجذوع الشجر، والمظلات (لأن انفتاحها يقارن بالانتصاب)، كما

تصوره كل الأسلحة المستطيلة الحادة، مثل السكاكين، والخناجر، والمعاول، بينما ترمز **الحجرات** إلى النساء، وفتحها يعنى فضّهن أو جماعهن. وكذلك يرمز **المفتاح** للقضيب. ويكثر فى أحلام الرجال أن تنوب **ربطة العنق** عن القضيب، وليس ذلك لمجرد كون ربطة العنق مستطيلة الشكل ومدلاة، ويلبسها الرجال دون النساء، بل لأن الرجل الذى يضعها يختارها وفق هواه، فيمارس حرية حُرِم منها عندما لم يختر شكل قضيبه ولا حجمه. ويغلب أن يكون الرجل الذى له اهتمامات بأعضائه التناسلية من أشد الناس احتفالا باختيار ربطة عنقه، ذلك لأن **ربطة العنق** تستهوى خياله كرمز للقضيب. وليست ربطة العنق وحدها التى يمكن أن تأسر بعض الرجال للتشابه بينها وبين القضيب، بل **الأسلحة** أيضا، وهناك كثيرون يهتمون بجمع السيوف والخناجر، ولهم منها مجموعات، وكذلك البنادق والمسدسات. وتأتى هذه الأشياء فى الأحلام بكثرة، حتى أن كثرة ورودها فى الأحلام لتشبه كثرة ورود بعض الألفاظ فى النُكَت الجنسية، والتى يفهم البعض منها المعنى الجنسى المراد بالتلميح وليس بالتصريح. ومن الممكن أن تأتى صور القضيب فى الأحلام باعتباره من أجزاء الجسم، فتمثله أجزاء أخرى منه **كاليد أو القدم**، بينما يمكن أن يُمثّل الفرج بالفم أو الأذن أو العين.

والقضيب الأنثوى female penis من الاصطلاحات الكثيرة التى أثّرت بها مدرسة التحليل النفسى الأدب النفسى الجنسى، وهو تصوُّر يتحصّل لبعض الأطفال الذكور دون البعض الآخر عن البنات، فعندما يزيد خوف الولد من الخصاء وأن يتحول إلى بنت فقد يطامن من مخاوفه أن يتصور أنه حتى البنات يمكن أن يكون لهن قضيب، وإن لم يكن فى شكل قضيب الأولاد، إلا أنه فى النهاية قضيب ولايقل شأنا عن قضيب الأولاد. وقد يداخله الاطمئنان لهذا التصور، فحتى لو أخصاه أبوه كما يهدده وتحول إلى بنت، فلن يحرم بالكلية من أن يكون له قضيب على صورة ما. وقد تدفعه هذه الفكرة التى قد تتملكه وتستحوذ عليه كالوسواس، إلى أن يتعشق التنظّر الى عورة البنات وأن يحب الاستعراء، وقد يذهب به هذا الميل الملّح من بعد إلى أن يتعشق بالتالى التنظّر فى الجماع، وأن يأتى امرأته أولاً بممارسة لعق فرجها.

والبنت القضيبية phallic girl فكرة أخرى من أفكار مدرسة التحليل النفسى، وبها يتغلب الطفل الذكر على قلق الخصاء بأن يتعين بالنساء، فطالما أن كل بنت لابد أن لها

قضيبا على نحو ما، فلا يهم من بعد إن أخصوه فصار كالبنات. وهو يسلك كالبنات تحسّباً لما قد يقع له، أو كوسيلة للانتصار على الخوف من الخصاء. والطفل الذكر الذى يذهب الى هذا التصور لا يتعين غالبا بأمه أو بأمراة بالغة، بل بالبنات الصغيرات. وقد تكون هذه البنت التى يتعين بها أخته، وفى معظم الأحيان تكون من البنات المتشبهات بالذكور، ولعل هذا هو السرّ فى الصداقة الحميمة التى تكون للولد بإحدى أخواته البنات، وهو يحب فيها صفة الذكورة لأنها بهذه الصفة تكون مثله وتجمع بين الذكورة والأنوثة معا، ومن ثم يعاملها برقة لا يعاملها بها الآخرون، وخاصة أمه، ويقلّد هذه البنت فى الكلام والثياب، ويلعب مع لِداتها، وقد يكون هذا التقليد لها فى ملابسها هو أصل الميل الذى يتثبت عنده ويصبح ما يسمى بانحراف التزّيى، وهو الانحراف الذى نعرفه عند بعض الرجال، ويبدأ معهم منذ الصغر لأسباب كهذا السبب السابق.

واعتقال القضيب penis captivus من اضطرابات الجماع، وهو استبقاء القضيب داخل المهبل قسرا، بحيث لايستطيع الزوج الانسحاب منتصبا بسبب قمطة المهبل أو اعتقاله لدوافع نفسية غالبا. (أنظر **اعتقال المهبل**)

وهوس دعك القضيب peotillomania هو ولع مرضى بدعك أو دلك القضيب، أو الضغط عليه من حين لآخر على فترات متقاربة، دون وعى أو قصد كفعل قهرى، ويدرج ضمن **اللوازم العصبية**.(أنظر **اللازمة**)

واضطرابات القضيب عضوية غالبا وتعوق انتصابه أو إنعاظه، وتستحدثها غالبا تشوهات فيه يولد بها الشخص، ومن النادر أن يولد الذكر بلا قضيب وقد يبدو البعض بدون قضيب لحظة مولده، ولكن يحدث أن يكون القضيب محشورا تحت جلد الصفن أو العجان.

ومن اضطرابات القضيب ما يسمى **ازدواج القضيب** diphallus، **ونقص تنسّجة** أو نموه hypoplasia، وقد يجئ **القضيب بمبال تحتى** hypospadia، وقد يحدث أن تأتى فتحة البول عند اتصال القضيب بالصفن، وقد تزيد الحالة سوءاً بأن يكون القضيب صغير الحجم، وأن تكون به انحناءة، وكثيرا ما يكون منحنيا فى مثل هذه الحالات، وقد يتسبب ذلك فى انفتاله، وهو ينفتل دائما فى حالتى الإحليل التحتى **والإحليل الفوقى** epi-spadia، ويقال للقضيب عندئذ أنه **أحنف** clubbed penis. وفى حالة **مرض بيرونى**

Peyronie's disease يتصلب نسيجه. وقد يتحصل العجز الجنسى أيضا إذا كانت للشخص **خصية واحدة** monorchism، والعُنّة هنا غالبا سببها الشعور بالنقص والخوف من الفشل، وفى حالة **غياب الخصيتين** anorchism يصاب الشخص بالتأنث فى الشكل والسلوك، وتقل رغبته الجنسية، ولايكون هناك انتصاب أو قذف، وهو غير **خفاء الخصيتين** chryptorchidism الذى تكون للشخص المصاب به خصيتان، ولكن يحال بينهما والتدلّى. وقد توجد الخصيتان ولكنهما تصابان بما يسمى **ألم الخصية**orchialgia فتفرط حساسيتهما، وتزيد الحساسية فى البربخ.

ومن الاضطرابات كثيرة الحدوث **القسّاحة** priapism، وهى النعوظ المستمر دون هياج أو رغبة جنسية، وتترتب على تليف الجسمين المتكهفين فى القضيب بسبب الأنيميا من النوع المنجلى غالبا، ويزيد الألم كثيرا بالقضيب.

وقد يحول **ضيق الغرلة** phimosis دون الانتصاب، أو أن الانتصاب يحدث ولكنه يؤلم. وفى **داء الفيل** يضمر القضيب والصفن ويتورمان. وقد تتسبب **القيلة** فى انسداد الحبل المنوى، وقد تترتب العُنّة على القيلة الدوالية.

ويبدو أنه لا تأثير على القضيب **بالختان** برغم ما يقال من آراء متضاربة، وربما كانت للختان ميزة تيسير الجماع وإطالته بالتقليل من حساسية الحشفة، حيث يسمك الجلد حولها بعد التئام جرح الختان، ولربما يكون وجود الغرلة بدون ختان سببا فى زيادة الحساسية بالحشفة فيصاب الشخص بالقذف المبكر، غير أن بحوث **ماسترز وجونسون** أثبتت أنه لا تأثير للغرلة، سواء بالإعاقة أو بزيادة الحساسية أو تقليلها (Masters & Johnson: Human Sexual Inadequacy). وكذلك ثبت أنه لاعلاقة بطول القضيب واللذة الجنسية، ولا يستلزم الجماع أن يكون القضيب على حجم معين، ومن رأى مدرسة التحليل النفسى أن **الجماع مهبلى** ويلزمه القضيب، وأن الرجل والمرأة معا يلذ لهما أن يحتوى المهبل القضيب أثناء الجماع، وتذهب بحوث **ما سترز وجونسون** إلى أن **الجماع بظرى** وليس مهبليا، وأن المهبل لا يكاد يكون حساسا للجماع، ولكن اللذة كلها والإنعاظ يتأتيان من البظر. **والبظر** هو أداة الشهوة فى المرأة، ومن ثم كانت المداعبة هى أهم ما يقوم عليه الجماع، وتشمل المداعبة جسم المرأة كله. والإيلاج فى المهبل هو آخر ما يمكن أن يقوم به الرجل فى الجماع، حيث موضع الإمناء لحفظ النسل والإنجاب، ومن ثم فمسألة

حجم القضيب ليست لها كل هذه الأهمية التى يضفيها غالبية الناس عليها، إلا إذا كانت المرأة من النوع الذى تثيره فى الجماع ضخامة قضيب الرجل، وتلهب خيالها. والقضيب فى المتوسط يتراوح فى الطول وهو مرتخ من سبعة سنتيمترات إلى أحد عشر سنتيمتر، فإذا انتصب فإن طوله يتراوح بين أربعه عشر إلى ثمانية عشر سنتيمترات، بينما يبلغ طول المهبل فى المتوسط نحو ثمانية سنتيمترات، ومن ثم فالطول فى القضيب لا يلزم الجماع، ولا دخل له فى تحقيق الإشباع. والجماع عندما يترقّى لا يكون مجرد عمليه طول أو قصر للقضيب، وإيلاج وقضاء شهوة، ولكنه يتحول من علاقه جنسية إلى علاقة تناسلية أى تكون له غاية الحمل والإنجاب وتكوين الأسرة. والجماع الذى له هذا الهدف عند الرجل والمرأة معا يقوم على أساس التفاهم المشترك والحب المتبادل وينحو إلى التوافق، ولتحصيل هذا التوافق يلزم للرجل والمرأة أن يكتشف كل منهما الآخر، ويستخدم منه ما هو متاح من إمكانات جنسية وطاقات نفسية، استخداما يجمع بين الطرفين فى وحدة أو اتحاد، بحيث تنسجم كل مكوناته وتتناسق مع بعضها. وتحضرنى حالةٌ لضابط شاب أصيب فى الحرب برصاصة نالت من قضيبه وأطارته إلا نحو السنتيمتر، وكان هذا الجزء ينتصب فيبلغ نحو السنتيمترين والنصف، وقد أحب سيدة كان يلتقى بها فيداعبها ويطيل المداعبة حتى لتنعظ مرات عديدة، وعندئذ كان يولج هذا الجزء المتبقى من قضيبه فى فرجها. وقد طالبته بأن يتزوجها واضطر أن يصارحها بحالته، ولكنها طمأنته إلى رجولته، وجاء يستشير فى زواجها فأشرنا عليه بأن يفعل فوراً.(أنظر الجماع والزواج)

***

- ٢ -

الخصيتان The Testes

الخصية testis غدة التناسل فى الذكر، وتقابل المبيض فى الأنثى، وتوجد واحدة على كل جانب من الصفن معلّقة بالحبل المنوى من جهتها، ويبلغ طول الخصية أربعة سنتيمترات، وعرضها سنتيمترين ونصف، وسمكها ثلاثة سنتيمترات، ووزنها أربعة عشر جراما، وهى بيضية الشكل ومفرطحة قليلا من الجانبين، ولها سطحان، واحد وحشى وآخر إنسى، وحرفان أمامى وخلفى، وطرفان علوى وسفلى، وفرجة من أعلى والخلف والوحشية حيث تتصل بالبربخ.

والخصية عبارة عن عدة **أقسام**، بكل قسم قناة ملتوية على نفسها، ويبلغ عددها من ٣٠٠ إلى ٤٠٠ قناة، وتجتمع القنوات بعضها إلى بعض مكونة فى النهاية قناة واحدة هى **القناة الناقلة للمنى**.

والخصية يغلفها كيس أو محفظة ليفية بيضاء تعرف **بالغشاء الأبيض** tunica ab-luginea، ثم غشاء مصلى مكون من طبقتين من البريتون بينهما سائل زلالى.

والخصية يغذيها شريان الخصية من شرايين الأورطى البطنى، ووريد الخصية، وأوعية لمفاوية، وجملة أعضاء شوكية وذاتية السمبتية ونظير السمبتية.

وللخصية **عملان** : دور داخلى كالغدد الصماء، وتكوين الحيوانات المنوية التى هى أساس إخصاب البويضة من إفرازها الخارجى، وتنشأ كخلايا منوية تنضج تباعا مكونة الحيوانات المنوية وتختزنها حتى تدعو الحاجة إليها فتسبح هذه الحيوانات فى السائل المنوى إلى البربخ، فالقناة الناقلة للمنى التى تتحد فى نهايتها بقناة الحويصلة المنوية، حيث تزودها بالسائل المنوى، الذى يسبق الحيوانات المنوية، بطريق القناة المشتركة المعروفة بالقناة القاذفة للمنى، التى توصل السائل بكل محتوياته إلى قناة مجرى البول فى جزئها البروستاتى، ثم تواصل سيرها فى قناة مجرى البول فى جزئها الغشائى وجزئها القضيبى، حتى تندفع إلى الخارج وذلك يكون عادة فى المهبل.

ويبدأ تكوين المناسل فى الجنين فى **الأسبوع الرابع** من تكوينه، إلا أنه لايبين منها إن كان ذكرا أو أنثى حتى **الأسبوع السابع**، حينما تفد الخلايا الجرثومية البدئية من المعى البدئى إلى منطقة المناسل، فيكون لها تأثير حافز، فتتمايز الغدد الأنثوية عن الذكرية، وتتوزع الحبال الجنسية، وتتفمم فى نخاع الغدة الجنسية مكونة حبال الخصية ثم الأنابيب ناقلة المنى، لكنها قبل ذلك تبقى فى حالة مصمتة حتى البلوغ. ويكبر الجنين فى **الشهر الثانى** وتتدلى الخصية، فإذا كان **الشهر الثالث** استقرت بالقرب من المنطقة الإربية، وعند نهاية **الشهر الثالث** تتكون غدة البروستاتا والكيس الصفنى، ثم يكون التدلى النهائى إلى الانتفاخ الصفنى فى **الشهر السابع**.

وللجماع **مراحل ثلاث**، وفى المرحلة **الثانية** منه التى يكون فيها الإيلاج تكبر الخصيتان فى الحجم بمقدار ٥٠٪ وترتفعان جزئيا فى اتجاه العجان. وقد يشكو الرجل من ألم فى الخصيتين نتيجة عدم التصريف واختزانها للمنى. ويقول **كينزى** إن الاختزان أغلبه ليس فى

الخصيتين ولكنه فى البروستاتا وقنوات المنى، وأما الخصيتان فأقل المنى يختزن بهما، وأما **الألم** فمصدره التوتر العضلى فى منطقة العجان، وربما بسبب التوترات فى قنوات الحيوانات المنوية، وخاصة فى النهايات الدنيا للبربخ. ويخف الألم بالإنزال لأن التوتر يزول وليس لأن ضغط المنى بالخصيتين ينتهى. وأيضا فإن المرأة تشعر بألم بالإربيتين نتيجة التهيج الجنسى إذا طال أمده دون أن تنعظ.

وعندما تصاب الخصيتان بمكروه فإن الأعضاء التناسلية لاتنمو فى الطفل نمو باقى الجسم، وقد يصل البلوغ وتظل أعضاؤه التناسلية على حالها وهو طفل، ومن ذلك أن لاتنزل الخصيتان من البطن أو لاتسقطان فى كيس الصفن أو تخصيان، وعندئذ تتأثر الوظيفة التناسلية.

وتنتج الخصيتان بالإضافة إلى ماسبق **الهرمونات الذكورية**، ولكنهما كذلك تفرزان **هرمون الأنوثة**، وتتساوى كمية **الأندروجين** مع كمية **الإستروجين** فى الذكر والأنثى قبل المراهقة، ثم قرب المراهقة يزيد الأندروجين فى الذكر عن الإستروجين، فإذا كان البلوغ كان هناك اختلاف كبير بين الكميتين، إلا أن كلا من الأندروجين والإستروجين يزيدان، ومع التقدم فى سن المرأة فإن الأندروجين عندها يزيد على الإستروجين حتى إنه يقال إن كبار السن من النساء لديهن أندروجين (هرمون الذكورة) يساوى فى كميته ثلثى ماعند الذكر.

وهناك علاقة فى الرجل بين زيادة إفراز الأندروجين وزيادة نشاطه الذكورى فى المراهقة، غير أن زيادة الأندروجين عند النساء لايصبغ تصرفاتهن بالذكورة، وبينما نجد أن نقص الأندروجين عن معدله كلما كبر الرجل فى السن يعنى زيادة عزوفه عن النشاط الجنسى، فإن نقص الأندروجين عند المرأة لايجعلها أكثر أنوثة.

ولعل تأثير نقص الهرمونات الجنسية على **الهوية الجنسية** أظهر ما يمكن فى تجارب الخصاء على الحيوانات، غير أنه كان من العسير قياس هذا التأثير، وذلك لأن بعضه مرده للنقص الهرمونى المترتب على الخصاء، وبعضه بسبب تأثير الخصاء على غدد أخرى، كالنخامية والدرقية، لها فعالياتها على المستوى الأيضى العام لكل الوظائف الفسيولوجية، بما فى ذلك وظائف الجهاز العصبى، بالإضافة إلى أنه فى حالة البشر فإن الخصاء له مردوده النفسى وذلك أظهر ما يكون فى حالة الذكور، بالنظر إلى ما تضفيه الثقافة من أهمية على الدور الجنسى للرجل وعلى فحولته وقدرته التناسلية. والكثير من المتاعب التى

قد يعانى منها **الخصى** castrate مصدرها سوء التوافق الاجتماعى الذى يلقاه من جراء إخصائه، وأما فى الثقافات التى قد تتطلب بعض المهن الاجتماعية أن يكون الشخص خصيا فإن الخصى لايعانى اجتماعيا. وكانت **القصور العربية** إلى عهد قريب تعج بالخصيان، وكانت لهم مكانتهم حتى إنه قيل إن **كافور الإخشيدى**، وكان خصيا، تولى المُلك فى مصر.

والخصى هو الذكر الذى استؤصلت أو سُلّت خصيتاه، **والخصاء** قد يكون للذكر والأنثى. وفى **الذكر** قد يشمل الاستئصال القضيب والخصيتين، وفى **الأنثى** يتجه الاستئصال إلى المبيضين، والأصوب أن يسمى ذلك عند الإناث باسم **استئصال المبيضين** ovariotomy أو oophorectomy. ويجاز الخصاء طبياً فى حالات الجرائم الجنسية، فيخصى المجرم المعتاد على إتيان الجرائم الجنسية، حيث قد تبين أن هذا النوع من المجرمين لايجدى معه أى علاج، وليس من سبيل لمنع معاودته الجريمة **إلا** بإخصائه، ثم مايمنع أن يُخصَى **المغتصب** وعقوبته من جنس جرمه، شأن قطع اليد للسارق، والساق لقاطع الطريق؟

وقد يجاز الخصاء أيضا مع **المتخلفين عقليا**، أو الذين يخشى أن تنتقل منهم بعض الأمراض الوراثية التى قد تكون لها نتائج وخيمة اجتماعيا، فيحال بين هؤلاء وأن يكون لهم نسل يكثر بهم المتخلفون عقليا، أو الحائزين على **صفات وراثية غير مرغوب فيها**. والأسلم فى هذه الحالات ليس الإخصاء بمعنى استئصال الخصيتين أو المبيضين، ولكنه الخصاء بمعنى **قطع القنوات المنوية** vastectomy فى الذكر، **واستئصال النفير** salpingec- tomy فى الأنثى، وذلك يفى بالمطلوب فيفقد الرجل أوالمرأة القدرة على الإنجاب مع الاحتفاظ بالقدرة على النكاح.

والخصاء castration إذا استحدث قبل بلوغ الحلم كانت له تأثيرات مباشرة على الصفات الجنسية، فينمو **الطفل الذكر** وقد مال إلى أن يشبه الإناث شكلاً، فيكون صوته ضعيفاً رقيقاً وردفاه ممتلئتين، وكتفاه ضيقتين، وصدره قد ظهر ثدياه، وربما يجئ نموه ولادياً، بمعنى أن صفاته هذه لاتكون صفات أنثى بقدر ماهى صفات طفل لم ينم ليصبح رجلاً. وأما **البنت** فتنمو أشبه بالذكران، فتكون لها بِنْيتهم وصوتهم، ويكثر الشعر بوجهها وجسمها ويغزر، ويقال لتلك الأعراض أنها **الخصوانية** eunuchoidism أو eunu-

chism، ويسمى الرجل **خصوانياً** eunuchoid man، والمرأة **خصوانية** eunuchoid woman.

والخصاء فى **الطب النفسى** يعنى العجز الجنسى وانعدام الرجولة، وله مدلول خاص عند أصحاب **التحليل النفسى** فيما يقولون عنه **عقدة الخصاء** castration complex، وهى عند الذكر تسمى **عقدة أوديب**، وعند الأنثى **عقدة إليكترا**، فابتداء من سن **الثانية** أو **الثالثة** يقال إن الولد يدخل **المرحلة القضيبية**، ويستشعر اللذة الجنسية فى قضيبه، ويتعلم أن يستحدث هذه اللذة بيديه. وفى هذه السن أيضا يزيد التصاقه بأمه ويعطيه جسمها إحساسا خاصا، وقد ينتصب قضيبه كلما لامس أمه، وقد يلذ له أن يتعرى أمامها ويريها قضيبه، وذلك بدء مرحلة **الاستعراء** التى قد تستمر عند البعض إلى البلوغ والنضج. وقد يطلب ويصرّ على أن يشارك أمه فراشها، فإذا أبعده أبوه أو استُبعد كلما حضرالأب فإنه يكره أباه ويتمنى لو يموت لكى يصفو له تماما أن يستأثر بأمه، إلا أن الأب أو الأب والأم معا كثيراً مايصدر منهما فى هذه المرحلة مايفهم منه الطفل أن العقاب الذى يمكن أن يوقعانه به هو **قطع قضيبه**، ويساعد على هذا التوهم أن الطاقة الشهوية وانتباه الطفل فى هذه السن يتركزان على القضيب، ومن ثم يصدق مايهددانه به ويخاف على قضيبه من الخصاء، وخاصة أنه يلمس بنفسه أن هناك أطفالا قد حرموا القضيب أمثال البنات. ويقول **فرويد** إن مايحمل الطفل خصوصا إلى تصديق هذا التهديدات وجود أثر من الذاكرة السلالية بالفطرة فى كل طفل، نتيجة أن الآباء فى السلالات البشرية الأولى كانوا يخصون الأبناء إذا نافسوهم على النساء. ويعزو فرويد عادة **الختان** كبديل رمزى للخصاء، وكمظهر لخضوع الأبناء لإرادة الآباء، ويقول بأن الخصاء على المستوى الحيوانى موجود، ونشاهده فى اعتداء الحيوانات الأقوى على الحيوانات الأضعف، بقطع القضيب والخصيتين، أو على الأقل بإلحاق الأذى بهما حتى لاتكون للذكران قوة جنسية. وإننا لنرى الكلب القوى يعض الكلب الضعيف فى خصيتيه، وكذلك تفعل الأرانب عندما تتنافس على الإناث، بل إن الكثير من القبائل البدائية لتفعل نفس الشئ فتُخصى الأغراب، ويقوم الغزاة بإخصاء الذكور من الأهالى. ولقد سمعنا شيئاً من ذلك تفعله إسرائيل مع الشباب الفلسطينى غيّرة من إخصاب الفلسطينين وكثرة تناسلهم. وهناك نقوش على **المعابد المصرية فى الأقصر** وغيرها تظهر إخصاء الجنود المصريين لجنود الأعداء.

ويتأدى خوف الأطفال من تهديد الوالدين بالخصاء إلى كبت مابهم من ميول شبقية نحو الأمهات، وميول عدوانية نحو الآباء. وهذه الرغبات الشبقية نحو الأم التى تتراجع وتتخذ لها مقرا فى اللاشعور حيث تعمل عملها من خلاله هى التى تسمى **عقدة أوديب**، كما أن المخاوف المكبوتة من التهديد بالإخصاء الذى يوجهه الأب للإبن هى التى يقال لها **عقدة الخصاء**.

ويعتقد **فرويد** أنه ما من طفل إلا وقد جرّب **الموقف الأوديبى**، إلا أن الأطفال يتفاوتون من حيث القدرة على التخلص من الآثار التى يطبعهم بها هذا الموقف، والعمق الذى يمكن أن تبلغه العقدة الدفينة فى نفوسهم، والمدى الذى يمكن أن تلازمهم إليه من حياتهم، وذلك لأنها باعتبارها عقدة قد تمكنت منهم لاتؤثر فحسب على علاقة الشخص بأبويه، بل بكل أسرته والناس جميعا رجالاً ونساء، كما أن هذه العقدة هى التى يكون من خلالها كبته لميوله الجنسية والعدوانية سواء فى طفولته أو بعد المراهقة، وعن طريقها يتأثر تكوين **الضمير أو الأنا الأعلى** الذى يحول بين المرء وارتكاب المحرمات أو حتى اشتهائها، وبعد أن كان التهديد بالعقاب مصدره الوالدان فإن كل شخص يتمثل فى ضميره أو أناه الأعلى هذه السلطة، ومن ثم تظل العقدة تعمل عملها من أعماق اللاشعور.

ويقول **فينيخل بالإخصاء الذاتى** autocastration ويطلقه كمظهر للشخصية التى يعانى صاحبها من عقدة الخصاء، وقد تكون به من الأعراض المرضية، فإذا اتجه الأنا إلى ارتكاب مايعترض عليه **الأنا الأعلى** – بديل الأب ووريث عقدة أوديب – فإن الشخص بدافع غير شعورى ينزل العقاب بنفسه، ويكفّر بنفسه عما ارتكب تجنباً للخصاء الذى كان يتوقعه. وهو يسبق مايمكن أن ينزل به من خصاء أو بديله من عقاب أبوى أو إلهى فيعاقب نفسه حتى لو لم يرتكب الفعل الخاطئ بل بمجرد أن يتجه الأنا إلى فعله شعوريا، أى بالنية. وهذا التفسير قد يلقى ضوءا على سلوك البعض من حيث الخوف الإلهى والتصرّف بتذلل شديد ومسكنة، وكأنهم فعلا قد خصوا أنفسهم وفقدوا رجولتهم وأصبحوا كالنساء لاحول لهم ولاقوة. ويتصرف بعض الأطفال كالبنات بخنوع وأنوثة، وكأن الولد بإخصائه لنفسه بحيث يصبح كالبنت فى السلوك، فإنه بذلك ينجو بنفسه من الإخصاء الحقيقى، ولايعود هناك ثمة مايتهدده منه.

ويرد **فينيخل** الإخصاء الذاتى إلى التفكير البدائى أو الفطرى فى الإنسان، فعندما يكفّر

الشخص ويعاقب نفسه مقدما فإنه ينجو من العقاب الإلهى من حيث أننا نستبدل الخوف من الأب بالخوف من الله، أو حتى نستبدل به الخوف من الضمير أو الأنا الأعلى. ويفسر فينيخل بالإخصاء الذاتى المظاهر السلوكية القاسية التى يأخذ بها العابد أوالناسك أو الصوفى نفسه كالصوم عن الطعام أو عن الشهوات، والعزوف عن الناس، والتزام الصوامع تزلفا إلى الله وخوفا من عقابه أو عذابه المتوقع، وهو البديل اللاشعورى للخصاء، ومع ذلك فإن الخصاء الذاتى قد يمارسه البعض فعلا فى بعض حالات الفُصام، وفى أحلام المرضى بالفصام، وقد يتجه المريض إلى قطع أعضائه التناسلية أو ربطها أو تشويهها وإن كان ذلك يتم بوسائل رمزية أخف ضررا.

***

(٣) أعضاء الجنس الظاهرة عند الأنثى

- ١ -

الفـرج The Vulva

اصطلاحا هو عضو الأنوثة فى المرأة الذى تُؤتَى منه عند الجماع. وللعرب نعوت للنساء فى فروجهن، فيقال للمرأة صغيرة الفرج أنها **صغيرة المتاع**، وهى **المهلوسة والأتوم**. ويقال للضيقة الملاقى أنها **المتلاحمة، والعارقه والعاروق** أيضا هى الضيقة الفرج، ويقال للتى التزق ختانها فلا يصل إليها الرجال أنها **المرفوعة،والرتقاء**، والمرأة **الخلقاء الرتقاء** هى المصمتة كالصخر التى لا تؤتى من ضيق فرجها، وهى **المرصوفة** التى التزق ختانها فلا يوصل إليها. والمرأة واسعة الفرج يقال لها **الرطوم، والمدقمة** وهى التى يلتهم فرجها كل شئ، **والميقاب والخوقاء والخجواء والدمالق والرهو والمفضاة** وكلها بمعنى سعة الفرج. ويقال **الرطوم** للمرأة كثيرة ماء الفرج، وهى أيضا **اللخواء، وعكسها اللطعاء** وهى يابسة الفرج. فإذا كانت مرتفعه الجهاز فهى **المهدفة**، وإذا كانت بظراء فهى **المفضاة والناسعة**. والمرأة **المأسوكة** هى التى أخطأت خافضتها فأصابت غير موضع الخفض، وأما التى لم تختن فهى **اللخناء**.

ويحوى الفرج بداخله **غشاء البكارة** ويتصدر فتحة الفرج ويكون ظاهراً عند البكر، ويتخذ أشكالا فهو قد يكون هلاليا أو حلقيا أو غرباليا، وقد يكون مصمتا فيتوجب صنع فتحة به لخروج الطمث عند البلوغ، وإذا تمزق الغشاء خلّف نتوءات تسمى **بالزوائد الآسية** حول فتحة الفرج.

وفتحة الفرج هى طرف المهبل من أسفل وتظهر بين الشفرين الصغيرين وبكل جانب بصلة مهبلية، وتختلف تبعا لحالة غشاء البكارة، فإن كان موجودا كانت الفتحة ضيقة تكاد لاتبين، وإن كان قد تمزق تظهر الفتحة واضحة وحولها نتوءات أو مخلفات الغشاء. وأما **بصلتا المهبل** فهما عبارة عن جسمين انتصابيين، ويقابلات بصلة القضيب فى الرجل. ويوجد أعلى فتحة الفرج **الصماخ البولى**، وهو الطرف الانتهائى لقناة مجرى البول، ومكانه أسفل البظر، ويحيط بالصماخ بروز دائرى يمكن التعرف عليه باللمس.

والفرج يعلوه **ارتفاع العانة**، فإذا نزلنا قليلا نجد **الشفرين الكبيرين**، وهما أكثر أعضاء الفرج ظهورا ، وهما عبارة عن انثناتين بارزتين من الجلد يغطيان جملة فصوص دهنية هى التى تعطى للفرج شكله الصغير أو الضخم، ويتخللهما نسيج خلوى، ويلامس حرفاهما الإنسيان بعضهما بعضاً فيحجبان بقية أعضاء التناسل الظاهرة عن الرؤية فيلزم إبعادهما عن بعضهما لرؤية بقية أعضاء التناسل الظاهرة.

ويكوّن كل شفر بروزاً طوليا على كل ناحية، عريضاً من أعلى وضيقاً من أسفل، ويتصل الشفران معا من أعلى أمام الارتفاق العانى فيكونان بروزا محدبا واضحا يعرف **بجبل الزهرة**، وهو عبارة عن فصوص دهنية مجتمعة بعضها إلى بعض، وتغطيه منطقة من الجلد يعلوها شعر كثيف. ويتحد طرفاهما الضيقان من أسفل بالخط المتوسط أمام النقطة المتوسطة للعجان، ويكونان شكال الشفرين الكبيرين.

والشفران الصغيران بروزان طوليان من الجلد أصغر من الشفرين الكبيرين، ويقعان خلفهما وبينهما، جلداهما أملسان رقيقان ووردبا اللون، ويحتويان على بعض الفصوص الدهنية، ويحيطان إحاطة تامة بفتحة الفرج، ويتصل بعضهما ببعض من أعلى حول البظر لتكوين غلفة البظر، أما من أسفل فيتصلان معا فى شكال الشفرين الصغيرين.

والبظر هو عضو الأنوثة الذى يقابل القضيب عند الرجل، ويتركب من قائمتين نسيجهما إسفنجى انتصابى، يتحدان معا لتكوين جسم البظر الذى يبلغ طوله السنتيمتر والنصف، وينتهى من الأمام بجزء مخروطى الشكل هو حشفة البظر التى تحاكى حشفة القضيب.

والدهليز عبارة عن المسافة بين الشفرين الصغيرين إذا ما أبعد أحدهما عن الآخر، وأظهر ما فى الدهليز فتحة الفرج والصماخ البولى الخارجى، وفتحة غدة بصلة المهبل، واحدة على كل ناحية.

ويحلو للبعض الجماع فى الفرج دون الإيلاج وذلك هو **الخضخضة**، وقد يعطى تحسس الفرج لذة هائلة لكل من الرجل والمرأة، والبعض يكون جماعهم ربتاً ودلكاً للبظر ولفتحة الفرج وللشفرين الكبيرين والصغيرين. والفرج به كل الحس الجنسي، وقيل إن أعماق المهبل غير حساسة جنسيا، وأن الجماع المنتج للذة هو ما تناول الفرج وما يحويه. والمرأة قد تطلب الخضخضه، سواء بالقضيب أو باليد، وعندما تستمنى النساء أو البنات باليد فإنهن يكتفين بتناول البظر باليد وبالدلك على الشفرين وعلى فتحة الفرج، وإيلاج الأصابع بين الشفرين وبطولهما. وكذلك قد يأتى الرجل المرأة بلعق الفرج وقد تفعله المرأة مع المرأة، وقد تدرب المرأة كلبها على فعله. وبعض النساء تلتذ من الصماخ البولى ويحببن إيلاج أشياء فى فتحته، ويكون ذلك مؤلما فى أول الأمر بالنظر إلى حساسيته المفرطة، وربما هذا الألم هو ما يسعين إليه. وبفتحة الصماخ وما حولها مجموعة كبيرة من الأعصاب، ومن ثم فقد يشمل الدلك باليد هذه المنطقة لتنضاف اللذة المتحصلة منها الى لذة دلك البظر والأشفار.

ويشبه **الشفران الصغيران** غلفة قضيب الذكر، وبسطوحهما الداخلية والخارجية نسبة عالية من الأعصاب تجعلهما شديدى الحساسية للربت أو التحسيس أو التناول باليد، وكلاهما حساسيته بدرجة واحدة. وأما الشفران الكبيران فحالهما يشبه حال الصفن عند الرجل، وكلاهما له نفس النشأة فى الجنين، وبعض النساء يتلذذن بتناولهما باليد أو بلعقهما، والقله القليلة جدا لا تتحصل لهن لذة من ذلك، والغالب أن حالهما فى اللذة كحال دلك الخصيتين عند الرجل.

ويقول **كينزى** إن ٩٧٪ من النساء يتلذذن بالإيلاج الخفيف الذى يتوخى الدهليز دون المهبل. وربما تكون مخلفات غشاء البكارة حساسة للتناول أيضا، ولم يعرف ما إذا كانت حساسيتها الجنسية نتيجة وجود أعصاب بها أم نتيجة إثارتها للمناطق من الدهليز حولها، وهى المناطق الحساسة بالفعل للاستثارة الجنسية. وتحيط بالدهليز مجموعة من العضلات الرافعة، وقد تشعر الأنثى بالضغط عليها أثناء الجماع وتتجاوب عضلاتها كرد فعل لهذا الضغط، وأغلب النساء يستثيرهن ذلك.

* * *

البظر The clitoris

يتمركز الحس الجنسى عند المرأة فى البظر، وهو أداة شهوتها ويعادل **القضيب** عند الرجل ويجانسه تكوينا، ويتألف مثله من نسيج إسفنجى ينتفخ بالاستثارة، ويبلغ طوله فى المرأة غير المختتنة نحو **البوصة**، وله **قذتان** corpora cavernosa، يعلوهما **العناب** (بضم العين) glans clitoris ويقطع منه بالختان. ويكمن معظم البظر أعلى المهبل، ولا يبين منه إلا العناب الذى تغطيه غرلة بحيث لا يظهر البظر من الفرج، ومن ثم فلا يتأثر بالاحتكاك بملابس المرأة الداخلية.

والبظر فى اللغة هو الذى يبرز ويبين، وفى الإنجليزية clitoris لفظة إغريقية الأصل بمعنى المختفى. ويحتوى البظر على شبكة من الأعصاب أكبر من شبكة أعصاب القضيب فى الرجل ثلاث مرات. ويقول علماء التشريح إن الجنين فى تكوينه الباكر **أنثوى**، ولا يبدأ الذكر فى التمايز عن الأنثى إلا فى نحو **الأسبوع السادس** بتأثير إفراز الجنين للإندروجين، فإذا كان **الشهر الثالث** اكتملت المعالم الجنسية للجنين. ويتشابه البظر والقضيب من حيث أن الاثنين يمكن أن يتهيجا وينتصبا. وقيل إن البظر ما هو إلا قضيب فى حالة بدائية، بينما القضيب بظر مكبر.

ويقول **كينزى** إن النساء يثيرهن ذلك البظر، وأكثر ما يتهيجن منه هو ذلك جسم البظر وليس رأسه. ويتصل البظر بالشفرين الصغيرين، وعند الجماع تكون الحركات الدافعة للقضيب على الشفرين الصغيرين هى وسيلة إهاجة البظر، حيث لا يتأثر البظر بحركات القضيب مباشرة وإنما عن طريق الشفرين الصغيرين. وتعالج البرودة الجنسية فى المرأة فى بعض الأحيان علاجا جراحيا بإزالة غُرلة البظر وتعريته. وعند الإهاجة وهى المرحلة الأولى فى الجماع، ينتصب البظر بتأثير الدم الذى يتدفق إليه، وفى المرحلة التالية التى تسبق الهزة يرتفع البظر ويتراجع إلى الخلف فى اتجاه العانة، مخليا الطريق إلى المهبل أمام القضيب.

والمرأة التى تساحق المرأة تدلك البظر أو تلعقه بلسانها، وكذلك قد يفعل الرجل كتقدمة للجماع، ولايوجد فى جسم المرأة منطقة أكثر حساسية من البظر والشفرين الصغيرين وامتدادهما إلى المهبل، فإذا عرف الرجل ذلك كانت معرفته تلك طريقا إلى النجاح فى

الجماع، أو الاتصال بالمرأة اتصالا يهيجيها غاية الإهاجة حتى ليمكن أن تبلغ بها الهزة سريعا. وهو فى الجماع يحاول أن يجعل البظر فى نطاق الملامسة، التى تتحقق بجسمه عن طريق العانة كلما دفع قضيبه أو أخرجه من المهبل فى حركات الجماع الرتيبة.

وللبظر أهمية خاصة عند أصحاب **التحليل النفسى،** فعندما يبدأ وعى البنت جنسيا تكتشف أن ما تملكه ليس قضيبا كقضيب الأولاد، وأن بظرها أقل من القضيب حجما ومن ثم أقل شأنا، وتصيبها من ذلك غيرة يطلق عليها علماء التحليل النفسى اسم **حسد القضيب** penis envy، وقد تعمم البنت النقص الذى تستشعره فيشملها الإحساس به بجميعها، وتتصرف بعقدة نقص وكأنها ولد، ويقال لعقدتها أنها «**عقدة ذكورة** masculine complex»، وتسلك مع البنات سلوك الصبية، وتظهر عليها اتجاهات جنسية مثلية، وقد تطلب منهن تناول بظرها، أو قد تتناوله بنفسها. وقد يترتب على شعورها بالنقص أن تنفر من أمها وتتعشق أباها باعتباره ذكرا، وقد تنافس أمها عليه. وهى إذ تتعشقه تفعل ذلك على زعم أن أباها هو الأمثل، ويطلق علماء التحليل على عقدتها اسم **عقدة إليكترا** Electra complex، وتعادل **عقدة أوديب** عند الولد، والأخيرة مضمونها أن يتعشق الولد أمه، أى أن أياً من الولد أو البنت قد يذهب فى هذه المرحلة الباكرة من حياته إلى أن يتعشق الوالد من الجنس الآخر. وقد يترتب على استمرار عقدة اليكترا عند البنت أن تختار زوجها فيما بعد بصفات أبيها، وقد تنجح فى تحويل اشتهائها للقضيب إلى اشتهاء للرجل الذى يملك القضيب، ويعنى ذلك أنها قد استطاعت أن تنقل إشباقها أو إنعاظها من البظر الى إشباق أو إنعاظ مهبلى، باعتبار المهبل المكان الذى يمكن أن يحتوى هذا القضيب ويستبقيه فيه، فتشعر المرأة حينئذ أنها فعلا قد امتلكت قضيبا، والإيلاج فى المهبل هو الذى يشعرها بملكيتها للقضيب، وذلك يشعرها أيضا بأنوثتها باعتبار أنها مؤهلة لأن توظف هذا القضيب التوظيف الأمثل والناضج، بأن يكون أداتها للإنجاب، وأن تكون أماً فتلد الولد الذى يملك قضيبا على الحقيقة، وتملكه بالفعل بوصفه ابنها وجزءا منها. **والجماع المهبلى** الذى غايته الحمل يختلف لذلك عن **الإنعاظ** أو **الإشباق البظرى** الذى ليست له هذه الغاية. ومن رأى التحليليين أن المرأة التى يظل إشباقها بظريا هى امرأة قد تثبتت على المرحلة الأوديبية من مراحل التطور النفسى الجنسى، ولم تتطور إلى المرحلة التناسلية التى هى أنضج وآخر مراحل هذا التطور.

ومن رأى أطباء النفس أن **الإنعاظ المهبلى** **vaginal orgasm** الذى يقول به التحليلون مسألة مشكوك فى صحتها فى ضوء معلوماتنا عن تشريح وفسيولوجيا الاستجابة الجنسية، إذ يجمع هؤلاء العلماء أن **البظر** وليس المهبل هو أداة الشهوة الجنسية عند المرأة، بينما يرى **فرويد** وتلاميذه أن البظر شديد الحساسية فعلاً وأن المهبل غير حسّاس عند البنات، ولكنهن عندما ينضجن جنسيا ونفسيا تتحول الحساسية من البظر إلى المهبل، ويشتهين الإيلاج فى المهبل بدلا من ملاطفة البظر، وقد يطلبن هذه الملاطفة ولكنها مقدمة للإيلاج الذى بدونه لا يكون الجماع الصحيح. ويذهب **كينزى** وآخرون إلى أن هذا التحوّل مغلوط علمياً، وليس ممكنا، ولم تؤكده التجارب والبحوث. وربما كان المقصود **بالإنعاظ المهبلى** أن الارتعاشات والتقلصات التى ترافق الإنعاظ وتتلوه تشمل المهبل أيضا، وذلك حق عند بعض النساء دون البعض، حيث هناك فروق فردية فى الاستجابة الجنسية عند النساء، فالبعض يشعر بالإنعاظ شعورا قويا يشمل المرأة جميعها، بحيث يرتجف به كل جسمها ومن ذلك المهبل. غير أن الغالبية يستجيبون للإنعاظ استجابات ليست على هذه الدرجة من الشدة، وهؤلاء لا تبلغ هزة الإنعاظ إلى المهبل، ولا شأن هنا للنضج، وليس هناك من دليل على أن المهبل يستجيب استجابه غير الاستجابة التى يأتيها الجسم كله عند الجماع. وقد تتسبب هذه النظريات لمدرسة التحليليين فى بلبلة تفكير بعض النساء والرجال، فلربما تضطرب المرأة نفسيا إذ تسمع بأن معيار النضج الجنسى أن تكون شهوتها بالمهبل وليس بالبظر، مع أنها تشعر بهذه الشهوة غالبة بالبظر وليس بالمهبل، وقد تحسب أنها غير ناضجة نفسيا وجنسيا، وقد يحسبها زوجها أيضا كذلك، وقد تعرض نفسها أو يعرضها زوجها على أخصائيى النفس، وقد تحاول أن تغير أسلوبها فى الجماع مع زوجها، فتفشل ويزيد اضطرابها النفسى، وقد تسوء الأمور أكثر وتتهدد حياتها الزوجية.

ويبدو أن هذه المسائل الخلافية تزيد حدتها إذا عرفنا أن الكثيرات من **المسلمات** يختتن، **والخفض** قد يزيد فيما يسمى **بالطهارة الفرعونية**، فتقطع الخافضة البظر أغلبه، وقد تزيل الشفرين الصغيرين، ومع ذلك فإن المرأة المختتنة تنعظ وإن كانت تتأخر قليلا عن المرأة غير المختتنة. والمرأة غير المختتنة تبلغ غاية التهيج بعد **عشر ثوان** من الاستثارة الجنسية، وتستمر على هذا التهيج الذى بلغته لفترة أخرى يقال لها **هضبة التهيج**، قد تستغرق من ٣٠ ثانية إلى عدة دقائق ثم يكون بعدها الإنعاظ. وفى المرأة المختتنة يحدث نفس الشئ مع

فارق بسيط يمكن للرجل أن يعوض عنه بخبرته، فإذا علمنا أن الرجل يمْنِي غالبا قبل المرأة غير المختتنة، فإن ذلك قد يجعله يلجأ إلى **المخدرات** ليطيل من فترة الجماع حتى يستطيع أن يحقق للمرأة إنعاظها، ولعل ذلك من **أسباب انتشار المخدرات** فى بعض البلاد الإسلامية، وخاصة **الحشيش** الذى له هذه الصفة. غير أن تعاطى المخدرات له أسباب أكبر من ذلك فى التكوين النفسى للمتعاطى، ومتعاطى المخدرات له مشاكله التى يعانى منها، ويشكو من اضطراب فى الشخصية واضطرابات نفسية كثيرة، ولاتستحدث المخدرات التوافق الذى ينشده فى الزواج وفى الجماع حيث أن ماتستحدثه فى الشخصية يباعد بينه وبين زوجته، وكلما اعتاد المخدرات وأدمنها زادت كمية الجرعات المطلوبة منها لاستحداث التخدير عنده، ويجره ذلك لمشاكل أخرى أكبر وأعوص.

وإذا كان الاختتان أو الخفض لا يمنع المرأة أن تستشعر الشهوة، وإذا كانت مداعبة ما يتبقى من البظر بعد الخفض له هذا التأثير فى التعجيل بإهاجة المرأة، فإننا لاندرى سببا يدفع إلى عملية الاختتان وما قد تجره من عواقب نفسية وخيمة على البنت فى مطلع حياتها، حيث ترتبط هذه العملية وآلامها بالعملية الجنسية ويقرّ فى لاشعورها أنها عقاب لها على أية مشاعر جنسية، ومن ثم تزيد حدة الكبت عندها، ولايجعلها ذلك سوية عندما تتزوج، إذ تكون عملية القمع لمشاعرها وأحاسيسها قوية بحيث تؤخر إنعاظها، وقد تمنعه عند بعض النساء بحسب شخصيتها وتكوينها النفسى.

والمرأة بعد **سن الخمسين** يقل حجم بظرها، إلا أن ذلك لا يحدث إلا بعد الإياس، ولايعنى ذلك أن جسم البظر أو عنّابه يصغران، وإنما تضمر غرلة البظر المتصلة بالشفرين الصغيرين، وكذلك يتضاءل الغطاء الدهنى للعناب. وليس هناك ما يثبت أن حساسية البظر تقل، وهو يستمر يؤدى وظيفته الاستقبالية ويرسل الأحاسيس إلى الجهاز العصبى كما كان دائما، غير أن انحسار الغشاء الدهنى المغطىِ للعناب وضموره من الشفرين الصغيرين والكبيرين يجعل رأس البظر وجسمه معرضاً للملامسة، وذلك يؤلم المرأة ولا يهيجها. وكثيراً ما تكون ملامسة البظر عند النساء كبار السن بعد الخمسين مجلبة للألم، وقد تستجيب المرأة استجابات مؤلمة بالدلك أو السحق للبظر خلال التحضير للجماع أو أثناءه، وهو ما كان يسعدها عندما كانت صغيرة السن، ولايعنى ذلك أن البظر لم يعد وظيفيا كما كان من حيث الإهاجة، وإنما يعنى أنه قد يستجيب، **على عكس المتوقع منه**، إذا عومل من قبل الذكر الذى يجامع المرأة بغلظة أو عنف، فإذا كانت المعاملة **بتمهل وبرقة** فإنه يظل يعمل كعضو إهاجة أساسى فى العملية الجنسية عند المرأة.

وبعض النساء قد لا يطلبن من الجماع إلا دلك **البظر**، وهؤلاء يقال إنهن مصابات بما يسمى **الهوس البظرى** clitoromania ، وهو الولع إلى حد المرض بمباشرة البظر دون سواه من الأعضاء التناسلية. **والتبظر** clitorism وهو **الغلمة البظرية**، أو شدة الشبق تستشعرها المرأة ببظرها، ويصيبها منها أن ينتصب بظرها باستمرار فتتوق للجماع، ولكنه ليس الجماع العادى فهى تطلب من الرجل على الخصوص أن يدلك بظرها أو يلعقه، وقد تجد حرجا أن تطلب ذلك من زوجها، أو يعزّ عليها أن تجد من يفعل لها ذلك فتقوم به لنفسها، وهذه ظاهرة تلجأ إليها الكثيرات من إناث الحيوانات، عندما تستبد بها الشهوة وتهفو الضراب فتلعق فرجها ذاتيا (انظر **لعق الفرج والنعوظ والعلدة**).

* * *

- ٣ -

البكــارة Virginity

هى **العُذرة**، وعلامتها فى البنت البكر العذراء غير المدخول بها **غشاء البكارة** hymen، يغشى فتحة الفرج الظاهرة، يكاد يسدها، ويتخذ أشكالا، فقد يكون كالهلال، أو كالحلقة، أو كالغربال، فإذا تزوجت البنت، أو وقع عليها اغتصاب، أو أصابها أذى ينال عُذريتها، فإن غشاء البكارة يتهتك أو يتمزّق ويُخلّف نتوءات آسية، وأحيانا وبرغم الدخول بها فإن الغشاء يظل سليما حتى تلد فيتمزق وقت الولادة.

ولم تعرف لغشاء البكارة **وظيفة** سوى أنه يميز البنت عن الثيب، وليست لإناث الحيوانات غشاء بكارة، وارتبط وجوده فى أنثى الإنسان العذراء **بالشرف والعفة للعذراء**، وبما للعُذرية من قيمة يناسبها أن يكون الإنسان محل تكليف إلهى، وأن تكون للزواج قدسية، وأن تُعَطى البنت لزوجها فى ليلة عرسها لم يمسسها رجل قبله، **فلا تختلط الأنساب**. **والبكارة** يمتدحها الله سبحانه، فيصف الحور فى الجنة بأنهن لم يطمثهن إنس، والبكارة هنا قد تعنى **الفطرة**، أُمّ الفضائل، والفضائل تكليف من الله، ومن ثم كانت نظرة الاعتبار لغشاء البكارة عبر التاريخ، والهالة من الاحترام للعُذرية فى كل العصور. وتعكس الأغانى الشعبية والقصص الفولكلورية المعانى الكبيرة التى للبكارة عند عامة الناس وخاصتهم. وفى **الريف** يكون لافتضاض البكارة شأن عظيم حتى لتشترك فيه الأمهات، ويُستَقبل الدم على شاشة تُستَعرض بالغناء والزغاريد. ورغم أن الذكور إذا طلبوا النكاح

لا يميزون بين بِكْر وثيّب، إلا أنهم فى الزواج لايتزوجون إلا البكر. وقد يعتدى الرجل على ابنة جارة أو فتاة صديقه بسهولة دون تثريب، إلا أنه مستعد أن يجاهد الاعتداء على بناته حتى الموت. وافتضاض بكارة البنت فى غير الزواج عند الكثيرين وفى ثقافة العديد من الشعوب، ثَلْم للشرف دونه الموت، وكان كذلك فى الماضى ومايزال حتى اليوم، يستوى فى ذلك أن يكون الرجل أميا أو متعلما، ملحدا أو مؤمنا، من العامة أو من الخاصة. وتؤكد البحوث أن **خاصة الناس** أكثر طلبا للبكارة ومحافظة عليها من عامتهم، وأنه كلما تعلّم المرء عرف قيمة البكارة أخلاقيا، وتبينت له أبعادها النفسية والاجتماعية. وكذلك يزيد الطلب على البنات الأبكار عند **الشباب** أكثر من الفتيان المراهقين، وعند **كبار السن** من الرجال الذين تجاوزوا الأربعين عن الرجال فى السن المتوسطة أى فى نحو الخامسة والثلاثين. وأكثر مايكون إلحاح الذكور على طلب الزواج من إناث إبكار فى سن **الخامسة والعشرين**. وكما تكون العذرية فى الإناث مرغوبة، فإنها قد تكون مطلوبة أيضا فى الذكور، **وعذرية الرجل** تعنى أنه لم يجرب النكاح قبل الزواج، إلا أن بكورة الرجل ربما تكون مؤشرا لقلة الخبرة، أو دليل اضطرابات جنسية لها أسبابها العضوية أو النفسية، أو أنها عن ممارسة للعفة بدعاوى التدين أو الالتزام بالعرف والتقاليد والأخلاق. (Kinsey: Sexual Behaviour in the Human Male).

وللبكارة حُرْمة لاترتفع إلا بطقوس الزواج، واصطلاح **حرمة البكارة virginity taboo** ينصرف إلى معنيين، ويتضمن **المعنى الأول أن للبكارة قداسة**، وأما **المعنى الثانى** فيذهب إلى أن البكارة نجس. وتنصرف قداسة البكارة إلى المعنى المتضمن فيها وهو العُذرية، فالعذراء هى التى لم يبن بها أحد، وبخاتَم ربها. ولم يحدث فى تاريخ البشرية كلها أن أقرّ الإنسان الزنا منذ **شريعة حمورابى**. والبكارة مطلوبة فى كل الديانات البوذية والهندوسية، وفى اليهودية وعند المسيحيين. وأما النجاسة فهى أمر خارج عن البكارة فى ذاتها، فمثلا عند افتضاض البكارة يُسفَح دم البكر ينزل من فرجها، **ودم الفرج** تلحقه نجاسة تنسب **لكل دم** ينزل من الفرج. وتحظر الشرائع أن تُؤتَى الفتاة أو المرأة وعليها دم **الحيض**، والعلم يعتبره أذى، وبعض الشعوب يخشى الرجال فيها أن يقوموا بأنفسهم بافتضاض الفتاة بالنظر إلى مايسيل من هذا الدم، وقد يعهدون بذلك **لغريب** يؤم البلدة لأول مرة، أو ينوطون بهذا العمل للكهنة، على اعتبار أن **الكاهن** رجل مبروك لايلحقه من

الافتضاض نجس. ويذهب علماء النفس إلى تفسير نجس الافتضاض إلى أن الدم المسفوح يُعدى بالضعف الأنثوى، ويقول **فرويد** إن الرجل يخشى دم الافتضاض ودم الحيض، لأنه يخاف أن يُعدَى بالأنوثة، ولربما يفضّل الرجل أن يبقى بدون زواج على أن يقوم بنفسه بافتضاض بكارة الفتاة. وقد تخشى البنت أيضا افتضاض بكارتها وترهب ليلة الزفاف، ويأتيها الأرق وتصاب بالقلق وبالتوتر الشديد، وتذهب تصوراتها كل مذهب. وتدفع الفتيات عن أنفسهن فى ليلة الزفاف، ويتجنبن ما أمكن أن تُفَض بكارتهن، ويصبن بالحزن رغم جو الفرح العام من حولهن، فالبكارة بالإضافة إلى أنها **معنى فهى مبنى**، وغشاء البكارة جزء من عُذرية البنت وأنوثتها، ومهما كان حب الفتاة للفتى الذى ارتضته زوجا إلا أن افتضاضه لبكارتها يصيبها **بازدواجية المشاعر** تجاهه، فهى تحبه، وقد تكرهه لأنه فعل ذلك. وافتضاض البكارة إن لم تتحصل للبنت قناعة به قبل الزواج فإن وقوعه ليلة الزفاف قد يستنفر فيها عدوانيتها فتقاومه، وقد تجد أن طقوس رفع حُرمة افتضاضها التى تمارس مع الزفاف، وبعقد القران، وموافقة الأب ومباركة رجل الدين، شكليات غايتها تهيئتها **ذهنيا**، إلا أنها **نفسيا** لاتكون مهيأة له، وتتصرف لاشعوريا بدوافع من الأنا للمحافظة عل تكاملها. وقد تجد أن أهلها غلبوها على أمرها، وأنها لاتملك أن تقاوم الافتضاض فتتوجه عدوانيتها إلى نفسها، وتصاب **بالبرود الجنسى**. ومعنى **البرود الجنسى** أن يُحال بين الرجل وأن يأتى المرأة، وكأن المرأة تقول به للرجل ولأهلها إنكم تستطيعون أن تغلبونى على أمرى ولكنكم لاتملكون أن تقسرونى على النكاح. ومن شأن المرأة التى تصاب بالبرود الجنسى أن يجف فرجها، فيستحيل على الرجل أن يولج فيه. ولعله لذلك يوكل أمر الافتضاض أحياناً إلى المسنّات من النساء، أو إلى الطبيب. وربما تكون بالرجل رهبة من الافتضاض، والرجل المصاب **بخواف أو رهاب الافتضاض** يستشعر عدم كفاءة ونقصاً فى رجولته يمنعانه أن يقوم بنفسه بالافتضاض. والمرأة وإن كانت تخاف الافتضاض وتمتنع عليه وتقاومه ماأمكنت، إلا أنها لاشعوريا لاتريد أن يقوم آخرون عن زوجها بافتضاض بكارتها، ويصيبها من ذلك اضطراب فى الصورة المتحصلة لديها عن زوجها، ويتطامن تقديرها لرجلها ولذكورته، ويقل احترامها لشخصيته. وإذا كان علينا أن نقارن بين نفور المرأة من الافتضاض بالكلية، ونفورها من أن لايقوم الزوج به ويكلّف به غيره فإن النفور الأخير يغلب النفور الأول. والفتاة فى ليلة عرسها تتراوحها المشاعر بين أن تسلم نفسها لرجلها

وأن تقاومه، وتقوم **سيكولوجية المرأة** على هذين العنصرين: خضوعها لزوجها واستقلاليتها. ويقدر ماتنشأ الفتاة على **الاستقلالية** يكون دفعها للخضوع ومقاومتها لعدوانية الرجل على بكارتها. والنساء يختلفن في رد الفعل، **فالمرأة الأنثى** أى التى تكون أنوثتها إيجابية تجد سهولة ويسراً أن تتعين برجلها، فتجد نفسها فيه وتعطيه موافقتها الضمنية على مايفعل ويتحول خضوعها له إلى عطاء منها إليه. **والمرأة النرجسية** على عكس ذلك، تستعصى على الخضوع، ولا تنقاد لشهوة الجنس، لأن الجنس يقصر عن الوفاء بمتطلبات الأمان لذاتها، وهو طريقة للاعتداء على الأنا. ومالم يكن الزواج يهئ لها فرصة أكبر لإثراء الأنا، فإنها ترفض الزواج، وإذا أُجبرت عليه استعصت على رجلها منذ اليوم الأول لزفافها إليه. وكلما اشتدت النرجسية بالفتاة كلما حرنت على رجلها وتأبّت على افتضاض البكارة، لأنه اعتداء مباشر على أناها يصيبها منه أذى بليغ. **والفتاة النرجسية** تجد أن طلبها للزواج مسألة عادية، لأنها على يقين من نفسها، وأن الناس يعرفون لها قدرها، وبكارتها لذلك **باهظة الثمن**، فما لم تحصل على ماتحسب أنه يعادل بكارتها فإنها تعرقل كل شئ، وتقاوم أى فعل قبل الزواج وأثناءه وبعد الزواج. **والمرأة الأقل نرجسية** تقدّر ردود فعل الناس على ماتظنه جمالها، وتحمد لهم إعجابهم بها، وتفرح وتنتشى لهذا الإعجاب، فإذا تعلّق الأمر بافتضاض بكارتها فإنها تقاومه، إلا إذا كانت ظروف الافتضاض تعلن عن تقدير الرجل لها، وحبه إياها واحتفاله بها. وفرحتها ليلة زفافها فرحة لما ينالها بالزواج من **مكاسب** تثرى أناها، فإذا رضيت فإنها تمكّن رجلها منها من باب الرضا به وليس من باب الخضوع له. ومن اليسير لذلك التنبؤ بمستقبل الزواج من الطريقة التى تستقبل بها الفتاة افتضاض بكارتها. **والفتاة الأنثى** التى دأبُها العطاء، والتى لها من ثراء الأنوثة مايجعلها تفهم الحب على أنه عطاء، تستقبل عُرسها بالرضا، وأمثالها شريكة مثالية للزوج، فهى تفهمه بسرعة وتألفه، وتحسن معاشرته وتلهمه، وتشير عليه وتتصرف معه وكأنها أمّ تتصرف مع ابنها، فهى من الزوج وهو فى اعتبارها منها. وهذا الصنف من النساء لايطالب بحقوق، وهن فى الجنس يتهيجن بسرعة وينعظن بسرعة، وإذا عاودهن الزوج يتجاوبن المرة بعد الأخرى. **والمرأة الأنثى** تنشد الحب وتعيش العواطف الملتهبة، وإذا وجدت فى رجلها التجاوب فإن الحب والعواطف اللذين تتعايش بهما، هما خير الجزاء على تفريطها فى عُذريتها ونفسها ليلة زفافها، والعذرية هى صميم الأنوثة عند المرأة الأنثى،

لأنها تعنى كمالها كامرأة. والزواج عندها ليس إنقاصاً من أنوثتها، ولكنه زيادة فى الأنوثة، فإذا كانت ستعطى رجلها بكارتها فإنما لتكون بهذا العطاء **الزوجة والأم**، وهما غاية ماتنشده لنفسها كأنثى.

والمرأة الأنثى يتعذر عليها أن تقاوم الرجل الذى تختاره، وتسلم عذريتها له جسدا ونفسا. وهناك نوع من هذا الصنف من المرأة الأنثى يستعصى على الرجال عموماً، ويتصرفن بحسم، ويوجهن العلاقة بالرجال وجهة الزواج الإيجابية، بعيداً عن اللهو والمتعة، فإذا وجدت ضالتها فإنهن يحاولن أن يربطن الرجل إلى مصيرهن، فإذا وثقن أن الرباط قد أُحكم، وأن الرجل تعلّق بهن، لم يعد ثمة امتناع ويتدفق العطاء منهن. وهذا الصنف المعطاء لايقتصر عطاؤهن على الحب أو العذرية، ولكن العطاء أسلوب حياة أنثوى فيهن، فهن كريمات د [illegible]ات مع الأهل والأقارب والصديقات.

والمرأة بطبعها سلبية وماسوشية، وعندما توصف امرأة بالإيجابية فإن ذلك يعنى أن بها ميولاً ذكورية. والفعل الجنسى يقتضى عدوانية من الذكور، ويقتضى من الأنثى أن تحتمل العدوانية. والنساء قد يتمايزن عن بعضهن بالسلبية والإيجابية. والمرأة المسترجلة لها تصرفاتها الجنسية المتباينة عن المرأة السلبية. والذكورة فى بعض النساء واقع يؤكده التحليل النفسى. والجدير بالذكر أن **أنثى العنكبوت** نموذج للأنثى الذكر؛ فهى وإن كانت أنثى إلا أن سلوكها الجنسى ذكورى خالص، وترد أنثى العنكبوت فى الأحلام كرمز للمرأة الأنثى، وذلك يؤكد الارتباط بين الفاعلية والذكورة. وفى مجال انتضاض البكارة تكون **المرأة السلبية** هى المفعول فيها، وتنتظر الرجل الذى يقوم بفض بكارتها بطريقته، وأما **المرأة المسترجلة** فالأمر معها مختلف، وقد تنظر إلى البكارة على أنها من بقايا عصر الحريم، وقد تنشد التخ[illegible]نها قبل الزواج، والبكارة بالنسبة لها عائق عن ممارسة الحرية الجنسية، وربما يرجع عدم احتفال المرأة المسترجلة بالبكارة إلى أنها أصلا لاتحترم أنوثتها، وتعانى من عقدة ذكورة، ومن ثم لا تولى البكارة الاعتبارات التى توليها النساء المتأنثات. والجنس لايشغل **المرأة المسترجلة**، وقد تنقل نشاطها الشهوى أو إيجابيتها إلى مجالات عمل وميادين فكرية تنافس فيها الرجال، فإذا مارسته فإنها تمارسه كمجال من المجالات التى تكون فيها بينها وبين الرجال مطارحات ومساجلات، فإذا كانت عذراء فإنها تُقبِل على افتضاض البكارة كشئ عادى ليس فيه كل هذا الاحتفال الذى يكون له عند المرأة

النرجسية مثلا. وأما **المسترجلة العدوانية**، وهي صنف آخر من صنوف المرأة المسترجلة، فإن مناسبة افتضاض البكارة تمر بسهولة، وسيعاني رجلها، وقد ينال منها الضرب أو العض، ولن تمكنه منها إلابعد لأى، وقد تمر الأسابيع ولايتمكن منها، وقد يستعين بأمها عليها، وقد يضطر إلى إعطائها مخدر. ومثل هذه المرأة يدور بينها وبين زوجها من بعد صراع على كل شئ، إلا أنها من ناحية أخرى تعيش حياة مستقرة جنسيا لأن الجنس ليس هدفا من أهدافها ولا مجالا من مجالات نشاطاتها. وغالبا ماتختار **الفتاة المسترجلة** زوجها رجلا سلبيا خانعا، يطيعها ويدور في فلكها، ويفعل ما تطلبه منه أو تأمره به. غير أن هناك نمطاً من الفتيات الإيجابيات أو اللاتي لهن نشاط متميز في مجال الجنس، وليس شرطاً أن لا تظهر المرأة النشيطة الفاعلة نشاطها في مجال الجنس، وهذا الصنف لايحتفظ بالبكارة منذ البلوغ وبداية النشاط الجنسي، ولعل النموذج لهذا النوع هو **الغليمة أو المشتاعة أو البغّي**، وتلك ميول يظهرها البلوغ. ومثل هذه المرأة **الشهوانية erotic** تختار شريكها من النوع الغليم، وغالبا ماتعيش الحرية الجنسية، أو تكون كثيرة الطلاق والزواج، والجدير بالذكر أن الكاتبة الروائية **جورج صاند** كانت من هذا النوع الأخير، فهي **المسترجلة الغليمة كثيرة الزواج**، وتكتب صاند أنها تذكر المرة التي افتُضّت فيها بكارتها، وتتحدث عنها كما لو كانت هي التي تفتض بكارة الرجل وليس العكس، فهي الفاعلة، وهي التي تسعى إلى خِطبة الرجل، وتختاره أصغر منها سنا ليكون قويا جنسيا. وفي المرأة كما في الرجل تختلط المكونات الجنسية الأنثوية والذكورية، إلا أن المكون الأنثوي يكون الغالب عند النساء عادة، فإذا حدث أن كان التركيب الجسمي للمرأة أنثويا واتجاهاتها النفسية ذكورية، فإنها إن لم توجه ذكورتها لمجالات نشيطة من مجالات الرجال قد تعاني من جراء هذا التضارب في تكوينها، وبدلا من أن تتسامى بأنوثتها وذكورتها معا التسامي الذي كان مع **جورج صاند**، فإنها تلجأ إلى استخدام الحب أو الجنس استخداما يشبع فيها ذكورتها العدوانية، ويرضي نزعاتها الشهوية لإلحاق الأذى بالرجال. وتظهر كل هذه الصراعات عند افتضاض البكارة، فتكون مناسبته مناسبة قد تستذل فيها الفتاة زوجها أو عشيقها، وتجعله يستشعر أنه قد حصل منها على شئ ما كان يحلم به، وتستخدمه لأنانيتها ولتنتقم فيه من ذكورته وكل ذكورة. والكثير من النساء من هذا النوع تتشكل علاقة المرأة برجلها من خلال رغبتها اللاشعورية أن تصنع منه موضوعا لها، وكأنها تستخدم بكارتها كما لو

كانت رجلا يستخدم قضيبه، وذلك اتجاه يتولد معها منذ البلوغ، فإذا كانت تفتقد فى تركيبها القضيب الذى للولد، فهى ستعوض عنه باعتبار تميزها العضوى الجنسى بقضيب كالقضيب، ومن ثم تُنزِل البظر وغشاء البكارة كليهما منزلة الأعضاء الجنسية الذكورية، وتستخدمهما استخداما فاعلا. ونفس الشئ قد يحدث عند بعض **الرجال**، فكما قد يكون هناك حسد للقضيب عند النساء، تقوم عليه عقدة الذكورة، فكذلك قد يكون هناك **حسد للثدى عند الذكور، وحسد للبظر، وحسد لغشاء البكارة**، تنبنى عليها جميعا **عقدة أنوثة**. وعقدة الأنوثة فى الرجال هى التى تحدو بهم أن يتصرفوا كالإناث، وأن يبزّوا الإناث فى مجالات عمل المرأة، من تربية الأولاد، وإرضاعهم، والطبخ، والكنس فى البيت، وذلك شئ نعرفه فى علم النفس باسم **الذكر المهبلى** vaginal male، أى أنه برغم أن تركيب الرجل تركيب ذكورى، إلا أن سلوكه أنثوى. **وحسد غشاء البكارة** هو الذى يدفع الكثير من هؤلاء الفتيان المتأنثين أن يتحدثوا عن بكارتهم أو عُذريتهم، وقد يتباهون بها، وقد يمّن الفتى المتأنث على شريكته أو شريكه فى أول جماع له، بأنه قد جعل لها أو له أمر فض بكارته. ويحكى الكاتب المسرحى والقصاص الفرنسى "**جان جانيه**" عن ليلة عُرسه برجل، وكان **جانيه** مأبوناً، وهو يصف تجربته كما لو كان عروسا مجلوّة وكما لو كان يسلم بكارته لشريكه اللوطى.

ويؤكد التحليل النفسى على الطبيعة الماسوشية التى **للأحلام** والتصورات التى تمر بها البنات فى البلوغ والمراهقة، والتى يغلب على موضوعاتها الاغتصاب. وتحلم البنت أو تتصور أنها تُغتَصب وتُضرب وتهان، وقد يتناول الضرب أعضاءها الجنسية صراحة. وقد تستمر هذه التصورات والأحلام إلى مابعد المراهقة وأواسط العمر، ولاتعنى هذه التصورات أو الأحلام أن الحالمات أو المتصورات لها مريضات نفسيا، ولكنهن صحيحات البدن والنفس، وإنما هذه الأحلام والتصورات تكون بهن تعبيراً عن رغبة فى أن يكن موضع حب. والاغتصاب للبنات يعنى فض البكارة، وتتصور البنت أنه عمل جنسى فيه الألم، ولكنه الألم اللذيذ، وشبيه بذلك تصورات الفتيات المصابات بالهستيريا، وكثيرا مايكن من العوانس، وقد تتهم البنت رجلا بأنه اغتصبها زوراً، إذ ربما لم يكنْ هذا الرجل قد التقى بها من قبل أصلاً، وليس أمثال هذا الاتهام إلا لدوافع **ماسوشية فى الإناث**، تعرّب عن نفسها فى أمثال هذه التصورات والأحلام. وينبه **فرويد** إلى **تصورات الاغتصاب ذات**

المواقف الثلاثية، وهى التى تتصور فيها البنت أن أخرى تقيدها وتعريها ليتسنى للرجال أن يغتصبوها ويعذبوها ، بِكَىِّ فرجها مثلاً، أو إنفاذ قضبان حديد فيه. ومن السهل تفسير التعذيب فى هذه التصورات، فالتعذيب يخفف من **الشعور بالذنب** الذى يتولد عن اللذة المتحصلة من الفعل الجنسى، وكأن حلم الاغتصاب أو تصوره يعرب عن رغبة البنت فى الجماع، ولكنه يجعله وكأنه جماع هى مقسورة عليه وبذلك فلا مسئولية عليها تجاهه. ويذهب التحليل النفسى إلى رد الماسوشية فى الإناث إلى **مشاعر الذنب** نتيجة الرغبات الجنسية التى تكبت، والتى تفصح عن نفسها رغم كبتها بهذه الطريقة فيما يعن من أحداث الحلم الماسوشى. ولو لم تكن هذه الأحلام والتصورات التى ترى فيها الفتيات أنفسهن يُغتصبن، فربما قد تعبر الرغبات الجنسية المكبوتة عن نفسها مباشرة بانحرافات جنسية كما فى التَسوّط، واللذة المتحصلة فيه من الضرب. ولربما تقاوم البنت أن يدخل بها زوجها ليلة الزفاف، وتستثيره حتى ليعتدى عليها بالضرب، وقد تنكر أنها السبب، وقد تنسب إلى عريسها أنه المعتدى وتصفه بالهمجية والوحشية، وذلك صحيح أيضا لأن الرجل إذا زادت به الإيجابية الذكورية لدرجة المرض، أصبحت **سادية** مسرفة تظهر فى أفعال مباشرة كالضرب، ولولا هذا العنصر السادى فى الذكور لما استطاعوا أن يفضوا بكارة البنات، وليس تفضيل الذكور للبكارى من الإناث إلا لسبب كهذا ضمن دوافع أخرى، وهو أن الرجال بهم بحكم ذكورتهم بعض من السادية فى السلوك الجنسى، وهو سلوك يتسم بالعدوانية وفيه عنف لابد منه.

وتصورات افتضاض البكارة التى قد تأخذ شكل الاغتصاب، قد تجعل البنات يرهبن الافتضاض حتى ليكون بهن مايسمى **حرض الافتضاض** **defloration scruple**، فتخشى البنت على عذريتها وإن كانت غاية سلوكها الجنسى طلب الافتضاض، وهو سلوك جنسى له طبيعة **الغواية** دائما إلا أنه يتخلله كفٌ أو قمع يدفع إليهما حَرَض الافتضاض. وحرض الافتضاض قد يكون بالذكور أيضاً، وهو خوف عندهم أن لايجدوا البنت عذراء، وربما تدفع إليه العُنّة أو الخوف من العنة عند الذكر، وذلك يفسر لنا السرّ **فى تأجيل الزفاف** المرة تلو الأخرى من البنت أو من الشاب، وهو أيضا يكشف السر فى حالة الفزع التى تكون عليها بعض البنات وبعض الشبان ليلة الزفاف. وربما تكون هذه المخاوف من الافتضاض أعراض مرضية حقيقية لفُصام من النوع الهُذائى، والأوهام من هذاالنوع

تجعل الدخول على البنت مستحيلا إن لم يقسرها آخرون عليه، بالقيام عن العريس بالافتضاض، كأن يتم بإصبع الأمّ.

وحرض البكارة virginity scruple من ذلك أيضا، وهو تأثّم من جانب الأنثى التى تشك فى نوايا الذكور المتصلة أعمالها بهم، فتتوهم أنهم يريدون أن يغتصبوها وأن يفضوا بكارتها. وحرض البكارة يكون أيضا **بالذكور** فيتحرج الشاب أن لاتكون البنت التى تزوج بها بكرا. وربما يتصل هذا الخوف بخوف آخر يشتق منه هو **الخوف من الخصاء**، وليس الخصاء وقفاً على الذكور، فالبنات أيضا يمكن أن يكون بهن خوف من الخصاء، **وخصاء البنت** هو فض بكارتها، وترهب البنت عندئذ مقاربة أى ذكر خوفا من أن يعتدى عليها جنسيا ويغتصبها فاضاً لبكارتها. **والبكارة** هى الرمز للأنوثة، وهى الرمز الوحيد لها، وفض البكارة هو انتزاع للأنوثة يرقى إلى الإخصاء، والبنت التى تُفضّ بكارتها قد تعتبر أنها لم تعد أنثى على الحقيقة. وكذلك قد يخاف **الرجال** افتضاض البكارة. ويعزفون عن البنات العذارى باعتبار توهم غشاء البكارة بمثابة قضيب داخلى بالبنت يمكن أن يقضى على قضيب الرجل، أو يتوهم الرجل أن الأنثى البكر تتميز بفرج ليس كفروج النساء، فطالما أنها لم توطأ من قبل ففرجها مسنن، وتوَهّم الفرج المسنن كثيرا مايكون بالشباب تجاه فروج البنات بالذات، بتوهم أن الفرج **كالفم له أسنان**، وذلك من **أوهام المراهقة** التى تكبر مع الأولاد فتحول بينهم وبين الاتصال بالإناث وتكوين علاقات جنسية طبيعية بهن، ويحسبون أن فروج العذارى تعضّ، فيزهدون الجماع خوفا من الإخصاء. وربما لهذا السبب قد يختار البعض لاشعوريا الثيّب للزواج دون البِكْر، وربما يفسر ذلك من ناحية أخرى أن الرجل يستشعر **نقصا أو عدم كفاءة جنسية** تقصر به عن أن ينجح فى فض بكارة البنت. **(أنظر الخوف الجنسى، والماسوشية، والأنوثة والذكورة، والإخصاء والفرج المسنن)**.



- ٤ -

المهبل The Vagina

المهبل **فى اللغة** هوة ذاهبة فى الأرض، كما أن **الفرج** فتق أو شق، وأما **فى الاصطلاح** فالفرج هو عضو الأنوثة الذى يكون فيه الجماع، بينما المهبل قناة تمتد من الفرج إلى عنق

الرحم. والاسم اللاتينى للمهبل أو للفرج له نفس الدلالة اللغوية والاصطلاحية. والمهبل فى أحواله العادية فى حالة استرخاء وله إمكانية الاتساع، وهو عضلى مخاطى انتصابى، وامتداده بطول **ثلاث بوصات** تقريبا من أعلى، من عنق الرحم، إلى أسفل حيث الدهليز بفتحة الفرج بين الشفرين الصغيرين، ومنه يبدأ المهبل. فإذا كان **الدهليز** أو **فتحة الفرج** من أعضاء الجنس الظاهرة عند المرأة، فالمهبل من أعضائه الباطنة أو المستخفية عن العين.

وعادة ما يفصل الدهليز عن **قناة المهبل** عند معظم البنات **غشاء البكارة**، فإذا تمزق فإنه يخلّف زوائد آسية تظل بالمرأة حتى بعد أن تحمل وتلد. ويبطّن المهبل غشاء مخاطى يتمدد عند الولادة، ويتسع ليحتوى قضيب الرجل عند الجماع، واتساعه يكون بالطول والعرض فى الجماع، ومن خلاله يمر الطمث من الرحم خارجا من الفرج، وبعد أن تبلغ المرأة الإياس وينقطع حيضها فإن المهبل يفقد الكثير من مرونته. وعندما تتهيج المرأة فإن المهبل يفرز ما من شأنه تسهيل الإيلاج والجماع، ويحدث ذلك خلال **العشر ثوان الأولى** من الإثارة الجنسية الشديدة، ويتقبّض فى **ثلثه الأول** من جهة الفرج، ويتغير لونه إلى الوردى عندما يشتد الجماع وتقرب المرأة من الإنعاظ، فإذا انعظت ظل المهبل يتقبض لا إراديا، وبعض النساء قد تبلغ عدد التقبضات بهن **ثلاثا**، والبعض قد يصل هذا العدد إلى **اثنتى عشرة**. وتمتد هذه التقبضات إلى فتحة الفرج والرحم وعضلات العجان والفخذين، وتستمر الواحدة نحو عُشر الثانية، وبعد الإنعاظ يأتى الاسترخاء فيعود المهبل إلى حالته الطبيعية ولونه العادى الفاتح، ويتوقف الإفراز، وتشعر المرأة بأنها أفضل حالا. وإذا لم تنعظ فإن عودة المهبل إلى حالته قد يتأخر وربما **لساعتين** أو لأكثر من ذلك. ومن الممكن للمرأة أن تواصل الجماع بعد الإنعاظ طالما لم تجف مهبليا، فإذا جفّت فإنه من الصعب عليها الاستمرار فيه، وقد يصيبها من ذلك ضرر بالغ.

والمهبل على عكس الدهليز يكاد يخلو من **أعصاب الحس** عند أغلب النساء، وهو لا يتجاوب مع الضغط عليه أو لمسه، ولو حدث تجاوب عند البعض فإن ذلك يكون فى الجزء المتاخم للدهليز أو لفتحة الفرج، ولذلك يذهب بعض العلماء إلى أن المهبل ليس أداة الشهوة والإنعاظ عند المرأة، وإنما أداتهما هو **البظر**، ويكاد ذلك يكون القاعدة مع نحو ٨٠٪ من النساء، إلا أن البعض قد يستحدثن اللذة فى الاستمناء مثلا بإنفاذ الأصابع أو أية أدوات فى المهبل للضغط على العضلات الداخلية الملاصقة للبظر، ولم يحدث أن كان هناك

استمناء مع الاسترخاء العميق فى المهبل. والكثير من النساء يهيجهن أن يكون الجماع **استدخالا** إلى أعماق المهبل، وربما ذلك لأسباب كثيرة نفسية أكثر منها متعلقة بالحس الجنسى فى المهبل، فالمرأة يرضيها أن تستشعر أن رجلها يمتلكها، وأنه يسره ذلك الاستدخال. وكذلك فإن الاستدخال يعنى الملامسة والاحتكاك الجسدى الشديد الذى يكون فيه كل جسم الرجل وقد ران بثقله على المنطقة الشهوية للمرأة، مستحدثا ضغوطا على عضلات البطن والعجان والفخدين، ومهيّجا للبظر والأشفار والدهليز، مع العنف الذى يستلزمة الضغط، وذلك يعجل بالإنعاظ، فيُظَن أنه بسبب الاستدخال نفسه لا من حيث ما يعنيه هذا الاستدخال. ولقد كان **فرويد** يقول بأن **الإنعاظ مهبلى**، وأن كمال المرأة جنسيا أن يكون إنعاظها مهبلياً، وأنها لو ظلت تنعظ بظريا فذلك دليل على عدم نضج جنسى. ويقول **فرويد بطوْر قضيبى**، تمر فيه الفتيات بمرحلة تكون الشهوة فيه بالبظر، إلا أن أية فتاة تنتقل من الطور القضيبى إلى الأنوثة، وتطلب الجماع فى الفرج والمهبل وإن كان البظر يظل عضوا تهيجيا شديدا، وذلك أنه من الطبيعى أن تنتقل من المرحلة الجنسية إلى المرحلة التناسلية، حيث يكون للجماع هدف يتجاوز اللذة الجنسية الى الإنسال والإنجاب. ويذهب علماء الفسيولوجيا إلى أن طريقة تجاوب الأنثى مع الجماع شئ من طبيعتها، وأن النساء يختلفن فى ذلك، فبعضهن إنعاظهن يشمل الجسم جميعه، وهو إنعاظ عنيف يرتج له جسد المرأة وعضلاتها جميعها، ويتقبض له رحمها ومهبلها وفرجها وعضلات فخذيها، والبعض إنعاظهن خفيف وليست له هذه الأبعاد، وتظل كل امرأة لها طبيعتها الخاصة بها، وليس هناك ما يسمى نضج أو انتقال من طور إلى طور. وإذا كان هناك انتقال حقيقى من الطور الشبقى البظرى إلى الطور الشبقى المهبلى فإنه انتقال **نفسى** أكثر منه انتقال **فسيولوجى**. ويردّ علماء التحليل النفسى إصابة المرأة بالعُنّة أو البرود الجنسى إلى فشلها فى القيام بهذه النقلة، ومن رأيهم أن المرأة العنينة هى التى يظل شبقها ببظرها، فيتطلب ذلك الكثير من المداعبة الجنسية، والملامسة والدلك للبظر والفرج دون الإدخال إلى المهبل، حتى لاتصاب المرأة مع العجلة بما يسمى **قمطة المهبل vaginismus** أو **قمطة الفرج**، وهى أن يضيقْ المهبل حتى ليستحيل على الرجل أن يستدخل قضيبه وإن كان يمكنه أن يستدخل إصبعه. وربما تُردّ قمطة المهبل إلى **حسد القضيب** عند المرأة، فعندما تكتشف وهى بعد صغيرة أنها لاتملك قضيبا كالأولاد فإنها تحسدهم على مايملكون، وتعتز ببظرها

كبديل، وتحب أن تؤكد دوره الجنسى كبديل للقضيب. وقد تعمد إلى الثأر لمشاعر النقص عندها بأن تتأبّى على الجماع، وكأنها بذلك تلغى دور قضيب الرجل، وكأنها بذلك تقول له أنه إن كان يمتلك قضيبا يميزه عنها إلا أنه قضيب عاطل لا فائده منه. وقد يكون انتقامها من الذكور بأن تسمح للقضيب بالولوج ثم تقمط عليه وهو داخل المهبل فيوجع الرجل. وبعض الرجال يتولد لديهم الوهم بأن للفرج أسناناً كالفم، وأنه يعضّ، وهى الظاهرة التى يقال لها **الفرج المسنن** vagina dentata، وقد يتولد هذا الوهم للمرأة عندما تلمس بنفسها ما يعانى منه الرجل وهو بالداخل فتظن أن بإمكانها أن تخصى الرجل على الحقيقة وليس على المجاز. (أنظر **الفرج المسنن وقمطة الفرج**)

ويقابل **المرأة البظرية أو القضيبية** أن يكون الرجل **مهبليا**، وهو أن يحب الأدوار النسائية، فيقول ويفعل ما يُشعِر الآخرين من حوله أنه يتمنى أن يكون امرأة. **والرجل المهبلى** له أحلامه ذات الطابع الخاص، فقد يحلم أن رجلا يضاجعه، ولكنها مضاجعة ليست كمضاجعة الرجل للرجل، كما يفعل اللوطى مع المأبون، ولكنه يضاجعه كما لو كان له فرج وباعتباره امرأة، أى يضاجعه من أمام وليس فى الدبر.

والرجل المهبلى، ولنطلق عليه اسم **المتأنث**، إذا كان **زوجا** فهو يختار شريكة حياته من النوع المسيطر الذى يتصرف بوحى من عقدة الذكورة، وكأنها رجل، وهو يحب أن يخدمها ويتوفر على تلبية كل ما يشعره أنه أنثى تخدم رجلا، ويقوم بأعمال البيت كلها من طهى إلى كنس وغسيل ورعاية للأولاد، فإذا ضاجع امرأته عاملها وتحدّث إليها كما لو كانت رجلا. وهو فى صغره كان يرى نفسه فى أُمّه وتعيّن بها، وأحلامه وأوهامه تصوره كالأنثى، وقد يعلن بصراحة أنه كان يفضل لو كان أنثى. ولأنه تعيّن بأمه فعلاقته بأبيه كانت علاقة أنثى بذكر، وكان ينافس أمه على أبيه. ولأنه ذكر على الحقيقة فعلاقته بأبيه كانت علاقة ذكر بذكر، ومن ثم فالميول التى كانت له بأبيه كانت ميولاً لوطية، وترسخت هذه الميول وعمّمها من بعد على كل الرجال، ولكنها ظلت **كامنة**، أى تعمل عملها فيه وتوجه سلوكه مع الذكور لاشعوريا.

والرجل المهبلى يؤثر أن يتعامل مع الرجال المسيطرين ويعاف سواهم، فإذا وجدهم استكان لمعاملتهم وركن إليهم كما تركن الأنثى على رجلها الذى تعتمد عليه وتثق فيه. وهو دائما يهفو لأن يجد من يحبه، ويستجدى الحب أنّى كان، وبأية طريقة، ولذلك فهو يترضّى

الجميع ويتودد إليهم، وخاصة الأطفال، فهو العطوف عليهم والمحتفى بهم وكأنه الأم الرءوم. وليس عطفه من قبيل عطف الأب، ولكنه عطف **أنثوى** يتوجه إلى أداء ما يخص النساء من واجبات تجاه الأطفال. وقد يُظهِر اهتماما كبيرا بأمورهم ودرايةً بما يحتاجونه. ويبدو عليه أنه يتعذب إذا بكى الطفل أو وقع له حادث. ويطلق عليه أصحاب **التحليل النفسى** لذلك اسم **الأب المهبلى** vaginal father أو **الأب المتأنّث**. وهو يبذل من نفسه لراحة الآخرين وخدمة الضيوف، وخاصة إذا كانوا ضيوف زوجته، وربما كان سلوكه ذاك من باب ربط الآخرين به وتعويدهم عليه ليشعر بتفوقه عليهم، وربما كان ذلك منه سلوكا عدوانيا يتخفّى تحت ستار الابتسام والخدمة. وربما كانت تصرفاته صادرة عن ميول ماسوشية فيه أو سادية، بحيث يمتهن نفسه أو يجعل الأنثى تشعر بالمهانة وهى تراه يقوم خير قيام بما كان مفروضا عليها، ويحس الذكور إزاء ما يفعل بالانكسار والخجل وهو ينهض بما تنهض به الإناث (Lorand: The Role of the Female Penis Fantasy in Male Character Formation).



الفصل التاسع والثلاثون

الوظائف الجنسية

-١-

الحيض Menstruation

يخطئ البعض حيث يظن أن المراهقة تعنى أن البنت قد بدأت تحيض، والواقع أن علامات المراهقة من غير الحيض تكون بالبنت قبل ذلك. والغالبية من البنات يذكرن أنه قبل الحيض قد تنبت شعرات العانة، ومع ظهور شعر العانة يكبر الثديان، ويبدأ ذلك عند بعض البنات فى سن **الثامنة**، ويتأخر الحيض حتى **الثانية عشرة** تقريبا، ولكنه قد يبدأ فى **التاسعة** عند البعض، وقد يتأخر عند أخريات حتى **الخامسة والعشرين**. وهناك فترة زمنية تمضى بين ظهور شعر العانة ونمو الثديين، وبين نزول الحيض لأول مرة، قد تبلغ فى المتوسط **ثمانية شهور**.

والحيض هو خروج الدم من رحم الأنثى من البلوغ حتى سن الإياس، كل أربعة أسابيع تقريبا. والدورة الشهرية **menstrual cycle** هى انتظام الحيض لمدة قد تبلغ الأربعة أيام، ونضوج البويضة وخروجها من المبيض فى نحو منتصف الشهر، فإذا حدث الإخصاب لم ينزل الحيض فى موعده وكان ذلك من علامات الحمل.

ويطلق على الدورة الشهرية اسم **العادة الشهرية menses** من **mensis** اللاتينية بمعنى **شهر**. ويطلق على الحيض يأتى الفتاة لأول مرة عند البلوغ اسم **الطمث me-narche**، **والقرء** بضم القاف وفتحها أيضا **catamenia** هو الحيض تتربص به المرأة حتى يزول عنها فتطهر منه.

ونزول الحيض لأول مرة هو أهم وأخطر ما تتذكره البنت أو المرأة من مجريات المراهقة، ويعنى عندها نضوجها جنسيا، وله مردوده النفسى عليها، حتى أننا ليمكننا أن نقول إن للحيض سيكولوجية كسيكولوجية المراهقة أو البلوغ، باعتبار الحيض حادثا محوريا فى حياة البنت يفرق بين طفولتها ونضجها كأنثى، وبه تترابط العوامل البيولوجية والنفسية المؤثرة فى حياتها.

ويبدو أن **للظروف المعيشية** للفتاة تأثيراتها الكبيرة على التبكير بالطمث عندها أو

تأخيره، وربما كان من الممكن التنبؤ بموعد نزول الطمث عند البنت بالإلمام بحياتها وأحوالها العائلية، وكلما كانت هناك اضطرابات نفسية تعانى منها من جرّاء الخلافات العائلية فإن الطمث يأتيها مبكرا.

ويبدو أيضا أن البنت تفكر فى الطمث، من قبل المراهقة بزمن قد يقصر أو يطول، ويمكننا أن نقول إن هناك **«فترة توقع الطمث»**، وأنه وإن لم تفكر فيه وهى طفلة فإنه موجود مع ذلك فى خاطرها، بحيث نستطيع أن نصف وجوده هذا بأنه **وجود نفسى**. ويبدأ هذا الوجود معها مع وعيها بما تعانيه أمها شهريا من آلام، أو ما تتحوط له ويكون لها معه سلوك يتكرر فى دورات أو على فترات منتظمة، وقد تساعدها البنت وتعرف بعضا من أسرار هذا الحيض الذى يزور أمها، وتلم بما يصيبها منه من تكدّر وانزعاج، وما يخرج منها من دم أو يكون له من رائحة. وقد تحرص بعض الأمهات على تجنيب بناتهن أن يعرفن شيئا عن الحيض، فتفاجأ البنت من بعد وهى فى المراهقة بنزول الحيض وقد تفزع وتحسب أنها مريضة، أو أنها تنزف داخليا. وقد تتعلم البنت من قريناتها أكثر مما تتعلم من الأم. وتتعلم البنت من نزول الحيض الحرص على **نظافة نفسها**، وتقبل على الاهتمام بجسمها لأول مرة. ولاتكاد توجد بنت إلا وتلم بمعانى الحيض من قبل أن يأتيها، فإذا لم تكن تعرف عنه فعلاً فمردّ ذلك لعزوفها أصلا عن أن تعرف، وجهلها به يعود لعوامل كبت عندها، أساسها الخوف والشعور بالذنب، نتيجة ذكريات خاصة تنهَى نفسها عن أن تفكر فيها فتنساها، وتكف بسببها عن أن تسأل حول الحيض أو ما يمت بصلة للجنس، وتتعلم أن لاتبذل أى مجهود من بعد لكى تعرف عنه، وتظل أفكارها حول الحيض والجنس وماشابه، مدفونة فى أعماق لاشعورها. وتؤثر فيها عوامل التعليم فى فترة الكمون وتجارب ما قبل البلوغ، وتتكون مما تعرف وتتعلم المحتويات النفسية لفترة التوقع. ومن الممكن أن تتحدث الأم إلى ابنتها عن الحمل ولكنها تصمت إزاء الحيض، ويستوى فى ذلك الأم المتعلمة والأم الجاهلة، والأم العصرية والأم البدائية، وذلك لأن موضوع الحيض من الموضوعات التى يخشى الناس التعرّض لها، ويعتبرونها من الموضوعات المحرّمة التى ترتبط بالمخاوف من القذارة والتلوث والإثم والخطيئة والعار. وكانت **المرأة الحائض** فى الديانات القديمة والحضارات الأولى من **النجاسات**، وفى الديانة اليهودية تُعزَل المرأة الحائض طوال فترة الحيض، ولاتقرب المنزل إلا بعد أن تطهر، وفى الإسلام المحيض أذى،

ويعتزل الرجل المرأة الحائض ولا يقربها حتى تطهر. ولايجد الطب الحديث سببا يدعو إلى اعتزال النساء فى الحيض سوى لسبب من الدين، أو من النظافة، أو لاعتبارات جمالية، وأما إذا كانت بالرجل والمرأة معا رغبة قوية فى الجماع أثناء الحيض فلا ضرر من تحقيقها فى زعم البعض، بدعوى أن دم الحائض غير مؤذ، غير أن **الطب الإسلامى** يجد أن الإيلاج خلال الحيض يضر المرأة كثيرا من حيث أن جهازها التناسلى يكون شديد الحساسية، وقد يكون الحيض غزيراً بحيث تكون عملية الجماع نفسها شيئا غير مستحب، أو تُكَره عليه المرأة فلا تتحقق الغاية منه، والغالبية من النساء والرجال لا يتضاجعون فى هذه الفترة بسبب هذا التحريم المستقر فى الفطرة، أو فى اللاشعور كما يقول أصحاب مدرسة التحليل النفسى، وما يذهبون إليه هو نفسه ما يذهب إليه الدين، حيث أن الدين ينسب هذا التحريم إلى الفطرة بينما يقضى المحللون النفسيون بأن هذه الفطرة هى ما يسمونه اللاشعور.

ومن الواجب أن تتعلم البنت عن الحيض فى المدرسة حتى لا تكون لديها هذه الأفكار والمخاوف من قبل أن تنضج وتصبح امرأة. ويحكى **هافلوك إليس** أن الكثير من البنات قد يفاجئهن الحيض ولا يعلمن شيئا عنه، وقد يبلغ بهن الخوف أن يحاولن الانتحار. **والقلق** هو السمة العامة التى يمكن أن تكون عليها البنت فى هذه الفترة، وهو قلق مما يصيبها، وقلق مما يخبئه لها البلوغ. وقد تتعجل بعض البنات نزول الحيض، باعتبار أن ذلك هو البديل لنضجهن الذى سيثبن عليه بمعاملة مختلفة من العائلة والوالدين، ولكن الدم يأتيها فلا تتحصل لهن الحرية التى ينشدنها بالبلوغ والنضج، بل إن القيود التى كانت مفروضة عليهن فى الطفولة بحكم كونهن بنات تزيد عن الأول، حيث أن ما كان مسموحا به وهى صغيرات لايعود مسموحا لهن بعد بوادر النضج، وتتكون لديهن بتأثير ذلك ردود فعل عنيفة تزيد بتأثير الدوافع الجنسية التى تكبر معهن وعلامات البلوغ التى تسبب لهن الخجل وتربكهن، ومن ثم كان نزول الدم لأول مرة بالنسبة للبنت **صدمة نفسية** تتلقاها بحسب عمرها الزمنى وتكوينها النفسى والوسط الاجتماعى الذى تعيش فيه. وإذا جاء الحيض البنت وهى ما تزال فى سن الاعتماد على أمها فى غسلها ونظافتها فإن العبء يزيد عليها وعلى من حولها، وتستجيب بالحرون فتتأبّى على النظافة، وترفض تغيير ملابسها، أو تخفى ألبستها الملطخة بالدم حتى لا يراها أهلها، وتتفنن فى ذلك هنا وهناك، وتشعر بأنها مقيدة

الحركة إذا أرادات أن تقوم بألعابها الرياضية أو بالسباحة. ومن رأى الكثيرين من علماء النفس أن البنات يتجاوبن مع نزول الحيض لأول مرة بحسب السن، فالبنت الصغيرة قد يربكها ذلك وتخجل منه وتداريه، وهناك نظرة تسيطر على البعض وقد تكبر معهن بأن كل مايأتى من **نصف الجسم السفلى** ليس سوى الوسخ، وقد يشمل البنت هذا الإحساس بحيث تعتقد أن كل جسمها هو وسخ، وتتعامل مع نفسها على هذا الاعتقاد وينطبع به سلوكها، وهو إحساس يقوىَ مع البنات اللاتى يعانين فى فترة من فترات طفولتهن من التبول أثناء النوم، وقد يحدث أن ينزل عليهن الحيض لأول مرة وهن نائمات فيجدن الدم يبلل ألبستهن، تماما كما كان يحدث لهن عند التبول أثناء النوم، وقد يرتبط الدم بالبول، وتعاودهن **مخاوف وقلق التبول** وإن لم يكن هناك تبول. ومن المعروف والشائع أن البنات يعانين غالبا من ضعف فى عضلات المثانة، بحيث يكون تحكمهن فى التبول أقل من تحكّم الأولاد، وقد يحدث أن تضحك البنت ضحكا عاليا فتبول قليلا على نفسها، أو قد تصعد درجا أو تهبط درجا فتفلت منها بضع قطرات من البول لا تستطيع التحكّم فيها، ويضايق ذلك البنات من الناحية النفسية ويحد من حركاتهن وضحكهن. وقد يذهب تأثير هذا الانطباع بعيدا من الناحية النفسية فتنكر البنت من بعد على نفسها أية ملذات أو متع قد تحرجها أمام الناس. والفكرة عند البنات أن الولد له قضيب بفتحة يمكنه أن يغلقه كالحنفية، أما البنت فلها فرج أو فتحة ليس من سبيل إلى سدها. والنتيجة أن البنت تنشأ باحتقار لطبيعتها كأنثى. وبالمثل فإن نزول الحيض قد تشعر به كنزول البول، وقد يحرجها جدا أن تأتيها العادة الشهرية، وقد تفضل أن لاتخرج من البيت وهى فى الحيض، ويتأكد به عزوفها عن المشاركة فى الحياة الاجتماعية للفترة التى يستمر معها. وقد تؤثر بعض النساء المترفات أن يقبعن فى الأسِرّة طوال الحيض، بدعوى هذا **المرض الشهرى** كما تسميهن، والحقيقة أن المرأة التى تلزم فراشها خلال الحيض إنما تفعل ذلك نتيجة التحريم المفروض على المرأة الحائض، وهو **تحريم فطرى** كما رأينا، فالدافع هنا **لاشعورى**، وهى تعزل نفسها بنفسها، وتؤثر أن تداوى جراحها الحيضية بنفسها، والتعبير الذى تستخدمه فى هذه الحالة **«أن حوضها أو رحمها مفتوح»**، ولأنها تشعر هذا الشعور المَرَضى فهى تفضل أن لاتحتك بالناس أو يحتكون بها. فضلا عن أن «المَرَض الشهرى» له مكاسب أى مرض من حيث العناية التى قد تلقاها المرأة المترفة منذ صغرها من المحيطين بها. ويجعل

الحيض الأم تقبل على ابنتها وتُعنَى بأمرها، وتكون لها بهذه العناية أجمل الذكريات عن أيام الحيض. ومن النساء من هذا النوع من تعطى نفسها إجازة خلال فترة الحيض، ولذلك فهن يستقبلن هذا الوافد الشهرى بكل ترحاب كلما جاء.

وأما البنات من أصحاب الحال الرقيق، فالعادة الشهرية عندهن لها وطأة لا تعترف بها الأمهات، والبنت مطالبة باستمرار بأعمال البيت، فتسوء الأمور بينها وبين أمها، وأمثالها ينشأن غير ناضجات انفعاليا، ونزول الحيض عندهن قد تعجل به ظروفهن المعيشية، فإذا تزوجن فإن نفس السلوك الحاد قد يكون بهن كلما استقبلن الحيض، على العكس تماما من المترفات اللاتى يسترخين للدورة الشهرية ويستسلمن لها وهن يتلقين العطف والحب من أمهاتهن.

وقد تكون البنت صاحبة مزاج عُصابى وسواسى فتعتبر الحيض وسخا، لا لأنها غير ناضجة نفسيا، ولكن لأنها تشكو شيئا أعمق يجعلها تحرص على النظافة، وخاصة نظافة أسفلها، فإذا أتاها الحيض حرصت على أن تزيل منها كل آثاره ومترتباته باستمرار وأولا بأول.

والبنت أو المرأة يستهلكها الحيض نفسيا ويخفض معنوياتها، ويجعلها متواضعة ومستكينة. وقد لوحظ أن النساء **المجرمات** يمكن أن يعترفن بجرائمهن أثناء الحيض بسهولة ويسر. وكذلك قد يستخدم دم الحيض على ملابس بعض النساء البريئات كدليل على الاشتراك فى الجريمة، فلا تسارع الحائض أن تقول أن الدم عليها هو دم الحيض لخجلها، وأيضا فإن المرأة فى الحيض قد يمكنها أن تبرئ نفسها بأن تقول إنها فى الحيض ولكنها لاتفعل، وحتى البغايا يخجلهن الحيض، ولا تجرؤ المرأة الحائض أن يطالعها الرجل فى حيضها.

وبعض النساء المسترجلات عندما يجيئهن الحيض لأول مرة لايبالين بالحادثة ويستقبلنه كل شهر بلا اهتمام، وكأنهن يقلن إنهن حقا لسن برجال ولكنهن أيضا لا يرين أنهن يفترقن عن الرجال فى شئ. **والمرأة أو البنت المسترجلة** يأتيها الحيض فتمارس حياتها عادية، وتلعب أو ترقص كما عند الأوروبيات وكأن شيئا لم يتغير فى حياتهن، وبالطبع هذا السلوك قد يكبر مع البنت ويحسم تراوحها بين الميل إلى الرجولة والتسليم بكونها امرأة. وقد تكون لامبالاتها عند نزول الحيض هى العامل الذى يحسم هذه المراوحة فيشدها إلى

الاسترجال. وعلى عكس ذلك تماما يكون الحال مع البنت الطبيعية مع أنوثتها، فنزول الحيض لأول مرة هو عندها خطوة إلى الأمام نحو النضج والأنوثة، وهو يدفعها إلى إيلاء جسمها المزيد من العناية، وخاصة المنطقة الجنسية التى صارت الدورة الشهرية تشدها إلى العناية بها عناية تتكرر كل شهر. ومع البنت الطبيعية تستمر هذه العناية لفترة من حياتها، حيث تنصرف مع تقدم العمر والمزيد من النضج من الاهتمام بجسمها كعلامة على الأنوثة إلى **الاهتمام بأشياء أخرى** أهم وأكثر قيمة، بمعنى أن العادة الشهرية تجعل البنت الطبيعية تهتم بنفسها جسميا على طريق التقدم فيما بعد إلى الاهتمام بمطالبها النرجسية العقلية والروحية، وبعد أن يكون هدفها هو أن يعجب من حولها بجمالها ويطرون أناقتها، فإنها تهمل هذه الأناقة فى سبيل التحصيل الدراسى أو إشباع اتجاهاتها الأكثر نضجا، وفى الفترة التى تتسم بالاهتمام بالجسم تشكل **الجروح** أهمية فى حياتها لأنها تذكرها بالحيض تذكيرا لاشعوريا، بمعنى أنها لاشعوريا تربط بينها وبين نزول دم الحيض، ولذلك فالجروح عند البنات لها وقعها ومعناها المختلفان عنهما عند الصبيان. **والبنت الطبيعية** تعالج نزول الحيض بحيث تستعيد توازنها النفسى وتكاملها، وكذلك مع الجروح حيث تتعامل معها التعامل الذى يطببها بالفعل. وأيضا فإن هذه البنت نجدها فى طفولتها تعالج مسألة اختلافها عن الصبيان بطريقة تصحح بها منزلتها عند نفسها، فإذا لم تفعل ذلك فإنها قد تلجأ إلى الاستمناء بيدها، كتعويض لها عن نقص القضيب عندها، بتأكيد دور **البظر** فى شهوتها. غير أن الحيض عندما ينزل عليها لأول مرة يحول بينها وبين ممارسة **الاستمناء**، وقد تستمر فى الامتناع عن الاستمناء من بعد. وعندما يأتيها الحيض لأول مرة يكون شعورها بالتعب والاكتئاب، وتظهر عليها أعراض القلق التى لم تكن تشاهد عليها من قبل، فإذا كانت بها ميول عُصابية نتيجة صراعات من المرحلة قبل البلوغ فإن الضائقة التى يضعها فيها الحيض لأول مرة قد تُظهر العُصاب، وكثيرا ما يكون لهذا القلق صفة المخاوف أو الفوبيا، وقد تغالى البنت فى العناية بجسمها حتى ليمكن أن تصاب **بتوهم المرض**، وقد تؤدى بها مشاعر الذنب نتيجة ما تشعر به ويعتمل فيها إلى أن تستجيب لما تشعر ويجرى داخلها من استجابات هذائية.

وهناك عوامل نفسية الأصل ترتبط بقبول أو رفض الحيض بعد أن ينزل على البنت لأول مرة، فقد ينزل هذه المرة ثم ينقطع عنها لسنوات بالرغم من عدم وجود أسباب عضوية

لامتناع العادة الشهرية. ولقد ثبت من العلاج النفسى لأمثال هذه الحالات أنها تدخل ضمن مايسمى **باستجابة الصدمة reaction schock** التى يستحدثها الفزع الذى ينتاب البنت إذ ترى نفسها تدمى من هذا الموضع الحساس من جسمها. ويترافق **الألم** مع نزول الدم، ويرد بعض علماء النفس **آلام الحيض إلى آلام الولادة**، حيث تترابط هذه الآلام مع تلك الآلام باعتبار المكان واحد. ويرى بعض علماء النفس أن ظهور الآلام مع ظهور الدم حيلة دفاعية لتحويل انتباه البنت من المعنى الجنسى المرتبط بالحيض إلى الألم الذى يرافقه. ولاشك أن نزول الحيض يفجر الصراعات النفسية عند البنت فتستجيب لها بالقلق، وهى لايمكن أن تعتبر العادة الشهرية مجرد «مرض شهرى»، فلو كانت هذه العادة مجرد مرض شهرى لما أصابها منه هذا **الاكتئاب** الذى يأتى البنات كل شهر، ولما فكّرت بعض البنات فى الانتحار بسبب آلامه الجسدية والنفسية.

ولربما تكون للبنت ميول **سادية** فتأتيها العادة الشهرية فتكوّن بمثابة الحافز الذى يحفزها إلى أن تسلك بعصبية وبسوء خلقها، ومن المعروف أن الميول **العدوانية** تظهر سافرة مع الحيض، وأن المرأة تكثر **أخطاؤها** أثناءه، وقد ترتكب بعض الزلاّت أو حتى الجرائم. ويذهب علماء النفس إلى تفسير ارتكاب النساء **للسرقة** من المحلات العامة خلال الحيض إلى ضعف سيطرتهن على ميولهن وغرائزهن وهن فى الحيض، بحيث يستولى على المرأة أن تأخذ ماتريده لنفسها متى شاءت ذلك، وربما كان ذلك منها تعويضا عن البويضة التى حُرِمت منها ونزلت مع الحيض دون فائدة فتستعيدها لاشعوريا بأن تسرق، **وللسرقة** هنا معنى جنسى. وقيل إن السرقة نوع من **التحطيم** كالذى يجرى فى رحمها.

وقد يأتى الحيض البنت **لمرة واحدة** ثم يمتنع بدافع من الصراعات الداخلية كما قلنا، وتظل البنت لسنوات لاتحيض، وقد يأتيها الحيض فى شكل **نزيف بديل** يصاب به مكان آخر فى جسمها له استخدام جنسى عندها، كحالة إحدى البنات وكانت تدمى كل شهر لمدة أربعة أيام من شحمة إحدى أذنيها دون سبب يذكر، واعتقدتْ أنها مصابة بالسرطان، وتبين للطبيب النفسى الذى كان يعالجها أن النزيف من أذنها كان مرتبطا بالقلق الذى تعانى منه بعد أن جاءها الحيض وارتفع عنها بعد ذلك، وأن النزيف كان يأتيها كبديل عن الحيض، وقد اطلعها على رأيه فلم تعد تدمى، ولكنها استمرت لاتحيض لسنوات. وحالة أخرى لفتاة كانت تشكو **أوجاعا فى الظهر** لأيام معدودات فى الشهر كبديل عن آلام

الحيض الذي لم يأتها إلا مرة واحدة وانقطع عنها، وتبين للطبيب أن بمنطقة الشكوى ورما فأحالها إلى جراح أجرى لها عملية استأصل الورم الذى لم يكن إلا تجمعا دمويا ليس له من سبب عضوى إلا أن يكون السبب كما قال الطبيب النفسى أنه **نزيف بديل عن الحيض**، وأن أوجاعه فى الظهر هى البديل لأوجاع الحيض الذى ماعاد يأتيها، وكانت تتوقع أن يأتيها بأوجاع صرفتها عنها أوجاع الظهر، وحوّلت انتباهها من أعضائها الجنسية والمعنى الجنسى للحيض، وصارت هذه الأوجاع تشغلها وتستهلك كل طاقتها بحيث لم تعد تمارس الاستمناء الذى كانت تمارسه قبل نزول الحيض عليها أول مرة. وفى حالة البنت التى كانت تنزف من **شحمة أذنيها** كانت منذ طفولتها تستخدم شحمة الأذن **كبديل** للفرج، وتعركها وكأنها تستمنى بيدها. وهناك حالات كثيرة لصبية وبنات يكافحون ضد الاستمناء فيستخدمون آذانهم أو أنوفهم أو شعر اللحية والفودين **كبديل** للاستمناء، بنتف الشعر بالأصابع أو حك الأنف أو عرك الأذن. ويلجأ معظم الأولاد إلى **الأذن** مثلا، ولكن معظم البنات يفضلن **الشعر والأظافر**.

ومن غير المعروف حتى الآن السبب الذى من أجله **تكتئب** الأنثى قبل الحيض أو أثناءه أو بعده. ويقول النساء اللاتى **يكتئبن قبل الحيض** إن الحيض يخلّصهن من **الاكتئاب** ويكون بمثابة الفَرَج لهن، وأمثالهن يكون بهن القلق المعتاد قبل أن يأتيهن الحيض لأول مرة، أى فى فترة التوقع، فإذا نزل الدم عليهم فرحن وكأن **الاكتئاب** لم يكن إلا لهذا السبب الفسيولوجى. وأما اللاتى **يحزَنّ خلال الحيض** فربما ذلك لأن الحيض يفجر عندهن الرغبات الجنسية التى تستعر بهن، ويخفن من الافتضاح، ويتولدهن الفزع من فكرته، وقد يتجنبن الرجال بالكلية خلال الحيض مخافة الحمل، باعتبار أن الحيض يثير فيهن فكرة الحمل والولادة، وتجعلها كل تلك التخيلات المرتبطة بتخيلات الطفولة حول أفكار الحمل والولادة والجنس مكتئبة. وأما اللاتى **يكتئبن بعد الحيض** فربما كان ذلك لأنهن يعرفن أنه بانتهاء الحيض تكون البنت أو المرأة مهيأة للحمل، وقد يكون لهذه البنت أو كان لها أب يسجل عليها كل شهر أيام الحيض، ويعمل كالحارس عليها وعلى عفتها، وربما كانت أمها تحدثها عن الحيض حديثا يخيفها، وربما كانت معرفتها ومعلوماتها عن الحيض عن طريق نساء أخريات، وقد تعانى البنت من حالات قلق شديدة وأعراض حمل تعبر بها عن مخاوفها من نوازعها الجنسية التى لاتفهمها. وقد تخاف من الحمل خلال هذه الفترة من مجرد دخول

الماء الى المهبل خلال استحمامها. وقد تخاف من الجلوس على مقعد دافئ، وتتحاشى أن يقبّلها رجل من فمها أو أن يحضنها. وتكون هذه المخاوف شعورية أو لاشعورية بحسب ثقافتها. وقد تكون للفتاة معرفة جنسية ولكن أعراض الحمل تظهر عليها وتتوهمها بعد أن يقبّلها فتاها، ولاتستطيع أن تعطى سببا لهذه الأعراض المتوهمة، ولكنها بسبب الهياج الذى يثيره فيها التقبيل تتجه بخيالاتها لاشعوريا إلى الحمل وتربط بينه وبين التقبيل، بينما قد تؤكد فتاة جاهلة بالجنس أنها قد حملت فعلا بسبب التقبيل. وأمثال هذه البنت أو تلك يُفرحها نزول دم الحيض، فإذا ارتفع عنها بدأ قلقها من جديد.

وتروى **هيللين دويتش** عن حالتين لفتاتين، كانت معلوماتهما عن الحيض خاطئة، حتى أن **الأولى** أصيبت بالعُصاب وانتابها الخوف الشديد من الحياة، والثانية انتابتها حالة هذائية بعد اليوم الثانى من نزول الحيض عليها، وصارت تهذى بكلمات البوليس والبغاء والحمل. وكان الحيض فى الحالتين بمثابة الحافز الذى عجّل بالانهيار النفسى. ويعرف كل طبيب الآن تأثير العوامل النفسية للحيض على الحالة العقلية للإناث، وذلك يتمثل فى اضطرابات مختلفة، بعضها يبدو نفسيا خالصا وبعضها قد تكون له مظاهر عضوية، وللانفعالات مردودها على الوظائف الجسمية. ويرتبط الحيض بفترة **البلوغ** خصوصا، بالنظر إلى الحرج الذى يسببه للبنت ومايفجره فيها من عدوانية وقلق وأفكار تتعلق بالموت، وبالنظر إلى المخاوف من الموت الذى يحمله الحمل والولادة فى طياتهما. **واضطرابات الحيض هى أهم** أنواع الاضطرابات التى يمكن أن تلحق بالبنات والنساء وأكثرها شيوعا بينهن، ومنها عدم انتظام الدورة الشهرية، وانقطاع الحيض وقلته وعُسره، والإياس، والنزيف، الرحمى، والنزيف من أعضاء بديلة. ولايوجد عُصاب أو مشكلة عاطفية إلا ويكون لها مردودها البسيط أو العنيف على الجهاز التناسلى للمرأة، ويكون ذلك أظهر وقت الحيض. وهناك من الدلائل مايشير إلى أن الحيض يتأثر **بالهياج الجنسى**، وأنه يقل مع الجماع بالرغم من أنه كان المفروض أن تزيد حركة الجماع وحدّته من نزول دم الحيض. وتقلل الاستثارة الجنسية من نزف الدم من أى جرح بالجسم. ولم يثبت أن ارتفاع دم الحيض فى الإياس والمرأة فى نحو سن الخمسين تقل معه الاستثارة أو الرغبة الجنسية. وقد تكون هناك نساء يعزفن عن الجماع مع انقطاع الحيض، إلا أن التاريخ الجنسى لهن لم يشر إلى أنهن كن من المتلهفات على الجنس فى يوم من الأيام، وكان انقطاع الحيض عذرا يتعللن به عن ممارسة الجنس بالكلية.

والحيض يأتى البنت عادة فى نحو **الثانية عشرة**. وتؤكد الدراسات المختلفة أن البنات **اللاتى يطمثن مبكرا** يكن قويات الشخصية، برغم أن النضج المبكر قد ترتبك له البنت ويصيبها منه الخجل. والبنت التى تطمث مبكرا تميل إلى المحافظة، بينما تكون البنت التى تطمث فى موعدها أنثى فى تصرفاتها. وتظهر البنات اللاتى يطمثن فى **الرابعة عشرة** أو مابعد ذلك ميولا للسسيطرة والنقد، ويكن منضبطات انفعاليا وسلوكيا. وتشعر البنات اللاتى يحضن مبكرا بالقلق أكثر من غيرهم، ولكنهن يتعلمن أن يتكيفن مع ظروفهن. ويغلب أن تكوت المصابات باضطرابات عقلية من **المتأخرات فى الطمث** إلى مابعد الرابعة عشرة.

ويُطلَق على انحباس الطمث اسم **الضَهَى** **amenorrhoea**، ومنه **الأولى** أى العضوى، ومنه الثانوى أو الوظيفى. ومن أسباب انحباس الطمث إلى سن متأخرة أن تكون البنت مصابة بشذوذ فى تكوينها الكروموسومى، أو يُظهر الكشف أن بها شذوذاً فى المبايض. وفى **الضَهَى الثانوى** يكون انحباس الحيض بعد عدة حيضات عادية. ولايقال للبنت أنها مصابة بالضهى إلا إذا كان انقطاع الحيض بدون حمل لدورتين شهريتين متتاليتين. وقد يدفع إليه **الخوف من الحمل**. وكثيرا ما يترافق انحباس الحيض ومعاناة الأزمات، أو أن تترك الأنثى بيتها لسبب من الأسباب كأن تكون مسافرة لأمر ما سفرة تطول لشهور، أو مُغضبَة من زوجها.

وانحباس الحيض تصاب به النساء **العاملات** كثيرا، ولربما كان هذا هو المعنى الذى ذهب إليه القرآن عندما طلب من النساء أن يقرن فى بيوتهن، والمرأة التى تستقر بها أمورها فى بيتها وتنتظم بهذا الاستقرار أحوالها المعيشية يأتيها حيضها منتظما، بينما الأخرى التى تعمل وتكد خارج البيت، وتقلق على مصدر رزقها، وتصاب بالتوتر وتأتيها المخاوف، وتعيش فى قلق، قد **يرتفع عنها** الحيض، وأحيانا قد **يفرط أو ينزل فى غير موعده**.

وشُحّ الحيض **oligomenorrhoea** **مثل غزارته** **menorrhagea** وقد تكون له أسبابه النفسية القوية. وربما كان الضهى محاولة من الأنثى لرفض دورها كأنثى، وربما كان بسبب فشلها فى التعيّن بأمها فلا تأخذ عنها دور الأنثى، أو ربما أنها تعيّنت بأم ترفض دورها كأنثى.

وقد ينحبس الحيض كما قد يفرز عند التعرض للأزمات الشديدة. **وانقطاع الحيض**

ظاهرة مألوفة زمن الحرب حتى لقد جعلوا هذا النوع منه مرضا بذاته أطلقوا عليه اسم **ضهى الحرب** war amenorrhoea، وكان المظنون أن سببه سوء التغذية زمن الحرب، وردّوه إلى الحالة النفسية التى تعانى منها النساء نتيجة الافتراق عن الرجال الموجودين فى ساحات القتال، وتبين أن النساء المجندات يصبن به كذلك، رغم تواجدهن مع الرجال جنباً إلى جنب، وممارستهن للجنس وتغذيتهن الجيدة، ومن ثم قيل إن الضهى فى الحروب سببه **الأحوال المضطربة التى تعيشها المرأة المصابة**. وقيل إن **الاغتراب** يسبب الضهى كذلك، وكثيرا ماتشكو النساء العاملات المغتربات دون أزواجهن من الضهى، ومنهن مدرسات وممرضات وطبيبات ومربيات. وفى **دول الخليج** حيث تكثر هؤلاء العاملات المغتربات تستوى شكوى النساء من كل الجنسيات، المصرية والفلبينية والكورية إلخ. ولهذا السبب أيضا تصاب **المسجونات** بالضهى، وتظهر أعراضه عليهن فى الشهر الثانى من حبسهن فى السجون. وإذا كان الضهى فى المسجونات يمكن أن يسببه **سوء التغذية**، فإن هذا السبب لايمكن أن ينسحب أيضا على المدرسات أوالطبيبات المغتربات دون أزواجهن. وأيضا لايمكن أن يكون **الحرمان الجنسى** سببا مباشراً للضهى، طالما أنه يحدث للعذارى كحدوثه للمتزوجات. ولاشك أن العامل الظاهر **هو العامل الجنسى** فى حالة كحالة الممرضات المجندات، بمقارنتهن بالراهبات اللاتى يعملن بالتمريض فى نفس المستشفيات، ولاتصاب الراهبات بالضهى بينما تصاب به الممرضات رغم الظروف الواحدة، وربما كان الفرق فى الحالتين أن الراهبات لايشعرن **بالاضطرابات النفسية** التى تشعر بها الممرضات المجندات نتيجة ارتباطاتهن كمجندات.

ولقد قلنا إن المرأة قد ينزف رحمها فى **الأزمات النفسية**، ويشبه النزيف فى هذه الحالة **استجابة البكاء** التى تأتى النساء عند فقد عزيز أو الافتراق فجأة عن حبيب.

وعسر الطمث dysmenorrhoea حالة أخرى من اضطرابات الحيض تعانى منها نحو ٣٤٪ من النساء، وقد يكون سببه **تشوهات خِلْقية** فى الحوض، غير أن غالبية النساء المصابات به يعانين كذلك من **اضطرابات نفسية**، أو أن أغلبهن من **العُصابيات**، أو ربما كان المرض نفسه من تأثير الإصابة بالعُصاب النفسى. ويبدو أن عُسر الطمث مثله مثل الضَهَى قد يكون تعبيرا عن الفشل فى التعيّن بالأم، أى أنه تعبير عن الفشل فى أن تتعين المرأة بدور الأنثى، وربما يكون تعبيراً عن رفض **دور الأنثى**.

وتصاب بعسر الطمث الشابات أكثر من غيرهن، وأما النساء اللاتى يتجاوزن سن الشباب فهؤلاء قد يصيبهن مايسمى **بالمتلازمة قبل الحيضية**، وهى أعراض متراكبة من الصداع والصرعة والاكتئاب تأتى المرأة قبل نزول الحيض.

وتزيد أوجاع الحيض بين **العصابيات**، وتكون عادية بين **المكتئبات**، وأقل من العادية بين **الفصاميات**. وقد تستشعر بعض النساء ألما فى منتصف الدورة الحيضية يرتبط بالتبويض ويسمى **ألم مابين الحيضين mittelschmerz**، وله أيضا **أسبابه النفسية** بالرغم من أنه لايشيع بين المريضات نفسيا، وذلك أن الاضطرابات النفسية الشائعة هى التى تأتى النساء قبل الحيض مباشرة، وفى هذه الفترة يزيد **الرمش** أثناء النوم. ومن الملاحظ أن الدورة الحيضية يمكن التأثير عليها بتعجيلها أو برفع الحيض فى غير موعده **بالتنويم المغنطيسى**. ويقل الحيض عند النساء اللاتى يعالجن **بالصدمة الكهربية** أو **بصدمة الأنسولين**. وتزيد الحوادث، ويكثر الانتحار بين النساء، وتشيع الجريمة، ويسوء العمل اليدوى أو الفكرى الذى يقمن به فى الفترة قبل نزول الحيض، وتكون المرأة فى هذه الفترة غير طبيعية، ولذلك يقول بعض الأخصائيين بذهان أطلقوا عليه اسم **الذهان الحيضى**، وهو المسئول عن التصرفات غير السليمة التى تقوم بها بعض النسوة فى الفترة قبل الحيضية.

واضطرابات الحيض فى الغالب **عائلية**، فعندما تكون الأم ساخطة على وضعها كأنثى ولاتجد متعة فى كونها امرأة، فقد تتعين بها بناتها، ويأخذن عنها هذا السُخط، ويصبن بالاضطرابات الحيضية النفسية المنشأ. وغالبا ماتكون للأوجاع الحيضية وتقلصات الرحم والصداع الحيضى والتقلبات المزاجية المصاحبة والعجز النسبى عن القيام بمختلف المسئوليات وقت الحيض أسباب انفعالية. ولاتشاهد هذه الأعراض على البنات اللاتى تتقبل أمهاتهن أدوارهن كإناث.

ولقد قلنا إن بعض النساء تزيد لديهن **الرغبة الجنسية** وقت الحيض، وهؤلاء قد يفيدهن الجماع إذا كانت المرأة من النوع الذى يأتيه الحيض بتقلصات فى الرحم. وقد يريحها الإنعاظ من أوجاع الرحم، غير أن النساء عموما كما سبق وذكرنا يزهدن فى الجماع وقت الحيض. وليس صحيحا أن الإيلاج يؤذى المهبل وقت الحيض، أو أن المنى يؤذى المرأة وقت الحيض، أو أن دم الحائض فيه سمومة، أو أن دم الحيض يخرج من بطانة المهبل، بل الصحيح أن مصدره بطانة الرحم. وبعض النساء تكون لدم الحيض عندهن رائحة منفرة

لاترضى أن يعرفها فيها الرجل، ولعل ذلك أو بعضه سبب الحضّ على اعتزال النساء فى المحيض كما سبق أن نبهنا، وهو ماتقصد اليه الآية "فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين" (**البقرة ٢٢٢**). ولا أظن إلا أن **التطهر** غاية ينشدها كل عاقل ومتحضر.

وإربما تكون المرأة غائبة عن زوجها، فإذا كان يوم سفرها إليه جاءتها العادة الشهرية فى غير وقتها، ويضطر الزوجان رغم ذلك إلى المضاجعة، ومن الغريب أن يزيد دم الحيض ويغزر فى أمثال هذه الحالات عندما تغيب الزوجة أو الزوج لفترة طويلة، **والتوتر الانفعالى** المصاحب لغياب أحدهما وتوقع الجماع والخوف منه أو الاشتياق إليه يجعل المرأة تحيض فى غير موعدها، أو يجعل حيضها غزيرا. ومن الحوادث الطريفة فى هذا المجال أن تأتى العادة الشهرية الزوجة فى **شهر العسل** على غير ماتتوقع، وتستمر معها لفترة أطول، فيتعكر صفو الزوجين، ويكثر الجماع بالرغم من نزول دم الحيض، ومن المألوف أن ينزل غزيرا مع شدة التوتر والانفعال. **وغزارة الحيض** على أى الأحوال، بالرغم من أنها قد تزعج المرأة أوالفتاة، إلا أنها قد تكون دليل صحة نفسية وجسمية، وقد ترتبك، إلا أنها تترافق وكون المرأة من النوع المنبسط الضحوك والاجتماعى، فى حين أن **شُحّ الحيض** يترافق والاكتئاب، ويماثل شح الحيض العُنّة أو العجز الجنسى عند الرجال، **والمرأة شحيحة الحيض** مقلة فى الجماع ولاتشتهيه، بعكس المرأة الغزيرة الحيض. وقد يحدث نادرا أن ينقطع طمث المرأة الشحيحة الحيض وتكبر بطنها ويكبر ثدياها حتى لتظن أنها حامل، مع أنها ربما لم تضاجع رجلا، وأمثالها من النوع غير الناضج، ولها شخصية هستيرية، وتعانى من صراعات حادة حول الجنس والإنجاب ودورها كأنثى.

* * *

- ٢ -

الجمــاع الجنســى Copulation;Coitus

الجماع والنكاح والغشيان والوطء والرفث كلها بمعنى واحد، وقد يكون بتقابل الأعضاء الجنسية وتلامسها مثلما يكون بالإيلاج فى البضع، ومنه الجماع المشروع المقصود بلفظ **النكاح** marital coitus، ويكون بين الأزواج، وبه تقوم الأسرة، لأن بقاءها مرهون بالتوافق الجنسى بين الزوجين، ولُحمة هذا التوافق وسُداه هو **الجماع المشبع**، وعلى تنظيم

النشاط الجنسى عند الإنسان ينهض الاجتماع، وترتقى الحضارات، ويشعر الرجال والنساء بالأمان، وينصلح حال الأولاد نتاج هذا الجماع.

ولايمثل **الجماع خارج نطاق الزواج extramarital coitus** إلا نحو ١٥٪ فقط من كل المباشرات بين الجنسين، ويمارسه الشباب بكثرة فى السن **قبل العشرين**، وقد يأتيه الشاب فى اليوم الواحد **مرتين**، وفى هذه السن يكون الذكر أقوى مايمكن فى حياته كلها، ويقل عدد مرات الجماع إلى نحو **مرتين** أو **لثلاث مرات فى الأسبوع فى** نحو **الثلاثين**، ثم يتدنى هذا العدد إلى **المرتين** أو نحو ذلك فى السن **قبل الخمسين**، ثم إلى **المرة فى الأسبوع فى نحو الستين**. وتزيد قدرة الرجل على الجماع كلما كان نضجه الجنسى أبكر. ويقل **سكان الريف** فى الجماع عن **سكان المدن**، ويقبل عليه **المثقفون وأولاد الذوات**. ولنوع التربية والمستوى الاقتصادى والاهتمامات الدينية والاتجاهات الثقافية ونمط الحياة عموما أثره فى الإقبال على الجماع، أو إتيانه فى أى مجتمع من المجتمعات، أو أية طبقة من الطبقات التى يتوزع إليها هذا المجتمع، ولذلك فلكى يكون **الجماع مشبعا** للطرفين لابد فيه أن يكونا **متكافئين** إجتماعيا وثقافيا، وذلك لأن للجماع اعتبارات وتقاليد وأوضاعا يلجأ إليها الطرفان، فإن لم يكن هناك توافق بينهما فى كل ذلك كان الجماع مقضيا عليه بالفشل من أول الأمر. وهناك اختلافات كثيرة بين الناس بحسب ماسبق من حيث مايفضلونه فيه، والمدة التى يستغرقها، والتى تلزم للإعداد له، والرغبة فى ستر العورة أو كشفها، وفى التجرد والاستتار، وممارسة الجماع فى الظلمة أو تفضيل النور، وفيما يكون عليه مكانه. ولم يكن **الروائى لورنس** موفقا إذ جعل "**اللادى شارترلى**" تهوىَ غفيراً فى قصر زوجها وإن جعل هذا العشيق يحب الفلسفة والقراءة، إلا أن التقاليد التى عليها الاثنان لايمكن أن تجمع بينهما فى توافق، حيث **الجماع آداب** هى جزء من **الثقافة الخاصة** للفرد، ومن الثقافة العامة فى مجتمعه. وللجماع آداب فى **الإسلام** تجعل منه فنا عاليا تلزمه الكياسة والدربة. **والقرآن** يقول نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم (البقرة ٢٣)، **والإتيان والتقدمة** هما ما اصطلح عليه العلماء باسم **المداعبة أو الملاعبة petting**. والرسول ينصح بهما "هلاّ تزوجت البكر تلاعبها وتلاعبك". وتتوخى التقدمة أو الملاعبة أن يتهايأ الزوجان بحيث يسعى كلاهما أن يبلغ بالآخر إلى الحد الذى يطلب معه الجماع. **والملاعبة** التى تأتى كمقدمة للجماع شأنها شأن أى نشاط جنسى يمكن أن تتحول إلى غير

الهدف منها، فتكون غاية فى حد ذاتها ولاتصبح وسيلة لغاية الجماع نفسه، وقد تستغرق البعض فيستكفى بها، وقد تقتصر على مايسمى بالمناطق الشهوية، وقد تشمل الجسم كله. ويختلف **التجاوب الجنسى** عند الذكر والأنثى، ومن فرد إلى آخر، باختلاف الخبرة أو بما يتعلمه كل منا بالإشراط النفسى، وبحسب الفروق بين الناس فى إعصاب منطقة دون أخرى. ولاتوجد منطقة من الجسم إلا ويمكن اصطناع الشهوة بها وجعلها من المناطق الشهوية عن طريق الإشراط النفسى. ومن الخطأ البّين التعامل فى الجماع مع **المنطقة التناسلية** باعتبارها المنطقة الجنسية الوحيدة. وقد يحسب البعض التقبيل أو ما يقوم مقامه من أمور قد تجرى بين الزوجين شذوذاً أو انحرافا. **والتقبيل** وغيره من السلوكيات الجنسية العادية التى تأتيها الثدييات ومنها الإنسان. وإذا كان الإنسان عندما يمارسها أو يتصور أنه يمارسها يصيبه من ذلك اضطراب وهياج عظيمين فإن ذلك منه دليل على أنها من **الدوافع البيولوجية** التى يُقسر على كبتها سواء بالتربية أو بالعقاب كلما ضبط يفعلها، ومع ذلك فإن ٩٩٫٦٪ من الناس يقبّلون فى الجماع أو قبله، وأن ٨٧٪ يلجأون إلى **ماهو أعمق من التقبيل deep kissing** الذى يتجاوز الشفتين إلى الفم من الداخل واللعاب واللسان. والتقبيل بكثرة عادة يأتيه **المثقفون** فهو من السلوك الحضارى المتعلم، ولايفعله سوى المتعلمين الذين استطاعوا أن يتحرروا من كثير من أوجه الكبت المفروضة عليهم، وأما غير المتعلمين والأفراد من الطبقات الدنيا فنسبة من يكثرون من التقبيل منهم كمقدمة للجماع تتدنى إلى ٥٥٪ فقط.. وقد يشمل التقبيل ملامسة الثديين بالفم أو مص الحلمتين عند نحو ٩٣٪ من أبناء الطبقات الاجتماعية العالية، ونحو ٦٣٪ من أبناء الطبقات الدنيا. وكانت **الكنيسة** تنهى عن التقبيل وتحرم أى تناول للثديين. وقد يثير **الثديان** ببروزهما والاستدارة التى هما عليها البعض بأكثر مما يثيرهم متاع المرأة. وكان الثديان دائما مصدر **إلهام للفنانين** إذا تصدروا لرسم المرأة. وقد يثير المرأة أن يمص الرجل ثديها، وقلة من النساء ينعظهن ذلك. ونادرا ماتلجأ المرأة إلى مص ثدى الرجل، ربما لأنه لايلفت نظرها، وربما لأن الأقرب إلى طبيعة المرأة أن تستكين للمداعبة وتطلبها لا أن تقوم هى بها أو تبدأها.

وليس أكثر حساسية فى جسم المرأة من **بظرها**، ويذهب البعض إلى القول بأن **الإنعاظ بظرى**، أو أن أداته البظر وليس المهبل. والرجل عندما يجامع يولج قضيبه فى المهبل، ولكن

اللذة التى تستشعرها المرأة ليست من الإيلاج نفسه بل هى من الحركة الدائبة للقضيب، واستثارة هذه الحركة للبظر ومايتصل به من أجزاء الفرج المجاورة. ويحتج القائلون بأن الإنعاظ بظرى بأن المرأة عندما تمارس العادة السرية لاتدخل أشياء فى فرجها بقدر ماتلجأ إلى تدليك الشفرين والبظر. ولايؤثر كثيراً أن يحاول الرجل إثارة المرأة بالإيلاج والخروج أثناء التقدمة أو المداعبة، بالقدر الذى يكون عليه التأثير بتنبيه الشفرين أو البظر بالتناول بالأصابع أو باللحس باللسان. وقد ثبت أن ٦٠٪ من الأزواج قد يلجئون إلى لحس أو لعق الفرج كنوع من التغيير فى ممارسة الجماع، وأن ٤٧٪ من الزوجات قد يمارسن مص القضيب، ولكن ذلك قد يحدث لمرات قليلة فى حياة الفرد كلها، وقد يتكرر من الزوجين، وقد يأتيانه باستمرار. وتكرار لحس الفرج أو مص القضيب دليل **لواطة كامنة** بالزوجين معا، بمعنى أن المرأة التى تطلب أن يلعق فرجها بها **ميول ذكورية** وتريد أن تستخدم بظرها استخدام الرجل لقضيبه، ويلذ لها أن يكون رجلها فى دور الأنثى، بينما هى فى دور الذكر. ولعق الفرج عمل قد يكثر بين النساء بعضهن البعض فى التجمعات النسائية كالمدارس الداخلية والأديرة والسجون، بينما مص القضيب يأتيه الرجل إذا كانت به **ميول أنثوية**، بمعنى أنه يريد من المرأة أن تكون هى الفاعلة وهو المفعول فيه، أو أن تقوم هى بدور الذكر بينما هو يقوم بدور الأنثى. ومن العلماء من يقول إن لعق الفرج أو مص القضيب من **الظواهر البيولوجية** التى يأتيها الناس بالفطرة، وتشاهد عند كل الحيوانات الثديية ومنها الإنسان، ويطلقون عليهما على المستوى الحيوانى اسم **اللعق التناسلى** or-gantilism، وإتيان الحيوانات الثديية لهما لايجعلهما من السلوك الجنسى الشاذ، وإن كان ذلك مكروها أدبيا ودينيا، بسبب ماقد يترتب عليهما من نتائج تضطرب بها العلاقات بين الأزواج، ومع ذلك فلا تخلو حضارة من الحضارات أو ثقافة من الثقافات من بعض المصورات أو الروايات التى تصف هذين الفعلين، وهناك الكثير من الرسومات والنقوش المصورة على الأوانى والجدران من آثار اليونان والرومان والمصريين والهنود والصينيين واليابانيين وكلها تنبئ بأن لحس الفرج ومص القضيب لم يكونا مستهجنين، إلا أنه يكثر حاليا أن تطلب المرأة الطلاق بسبب استحيائها من طلب زوجها أن تمص قضيبه ونفورها من ذلك، أو قد تضطرب إذا لعق فرجها بالنظر إلى الهياج الشديد الذى يسلمها إليه هذا الفعل، فتنكر على نفسها ماتشعر به وتأباه تربيتها وإتجاهاتها الدينية. ويبدو أن ذلك هو

السبب عموما فى إيثار الزوجين للوضع التقليدى فى الجماع الذى يعلو فيه الرجل المرأة ويتوسط فخذيها .

وأوضاع الجماع كثيرة، غير أن البعض قد يؤثرون وضعا على وضع آخر بحسب ثقافتهم والتقاليد التى يأخذون بها أنفسهم فى مسألة من أخص المسائل بالنسبة لكل فرد. **والوضع الطبيعى** فى الجماع هو الوضع الذى تأتيه الحيوانات، وهو الذى يتخالف فيه الزوجان بأن تستلقى المرأة بوجهها إلى الأرض وكأنها ساجدة وتعلو مؤخرتها، ثم يأتيها الرجل من الخلف فى فرجها، والحيوانات تفعل ذلك، ومن أهم خصائص الجماع عندها هذه الظاهرة التى **يتقوس فيها ظهر الأنثى lordosis** بحيث يسهل على الذكر امتطاؤها، وبحيث تظهر مؤخرتها ويبين فرجها فيسهل على الذكر الإيلاج، ويطلق البعض عليه عند الإنسان اسم **الوضع الفرنسى** فى الجماع، وكان العرب يسمونه **المخالفة coi-tus a tergo**. ومما لاشك فيه أن هناك حاجة لتعلم أوضاع الجماع، فليس يكفى أن يجتمع الزوجان يحدوهما الحب فلابد أن يستهدى الحب بالعلم، وأن يتعرف كلاهما على جسم الآخر ويستكشف فيه مايثيره من مناطق شهوية. وكثيرا مايضطر المعالج النفسى إلى التطرق إلى طرق الجماع وأوضاعه، ليستنير الزوجان فى معرض الاستشارة أو العلاج. وهناك العديد من الثقافات فى آسيا وإفريقيا وأوروبا وأمريكا تجيز للبنت وللولد أن يتعلما أوضاع الجماع ضمن مايتعلمان من آداب الجنس، ومايزال العالم يقرأ كتب التراث القديمة بكافة اللغات التى تتحدث فى هذا المجال حديثا ضافيا عن أوضاع الجماع، مثل **الكاما سوترا Kama Sutra والبستان المعطر Perfumed Garden، وألف ليلة وليلة، ورجوع الشيخ إلى صباه**، والكتابان الأخيران من كتب التراث القديمة ويُنسبان إلى القرن الخامس عشر أو ماقبل ذلك. وتحكى هذه الكتب عن **مائة وضع** من هذه الأوضاع يوجزها البعض فى عدد أساسى، أهمها **الأوضاع التى يتواجه فيها الرجل والمرأة** كمقابل للأوضاع التى يكون الرجل فيها **خلف المرأة**، والأوضاع التى **يعلو فيها الرجل المرأة** كمقابل للأوضاع التى **تعلوه فيها**، والأوضاع التى يكون فيها الجماع **إيلاجا** كمقابل للأوضاع التى يكون فيها الجماع **مداعبة وملاعبة وملاطفة** لمناطق الجسم الشهوية دون الإيلاج الصريح.

ولاينصح فى الجماع بوضع أو أوضاع على أوضاع، والجماع فيه كل ذلك، والرجل والمرأة لهما أن يأتيا ما يشاءان من أوضاع وحركات، بدءاً من الكلمة الحانية إلى النظرة العاطفة، والربت والدلك والتقبيل والأحضان وانتهاءً بالإيلاج.

والجماع **فى اللغة** هـو أن **يجتمع** الرجل والمرأة، وأن يكون اجتماعهما بكل أو جميع مايشتمل عليه حضورهما معا من نفس وجسم وتفكير. **وخاصة الجماع** هى إدخال القضيب فى الفرج، واشتمالهما معا فى دفق اللقاء وحرارة العاطفة، ولكن هذا الإدخال لا يأتى إلا تتويجاً للجماع ويكون فى قمته، فهو الفعل الذى يخلص إليه وينتهى به، فإذا تحقق به الإنعاظ فهو تمام النشوة والغاية من الجماع. والجماع إذن ليس هو مجرد الإيلاج ولكنه فعل يبدأ من الصوت الرقيق والقول اللطيف واللمسة المدغدغة، وصولاً إلى الإنعاظ، ولذلك فالقول بأن الإنسان **يزنى بالنظرة** هو قول صحيح، **والصوت** المجرد من الصورة قد يكون له أعمق الاستجابات الجنسية لدى السامعين، وصدق الله العظيم إذ يطلب من المؤمنات أن **لا يخضعن فى القول** فيطمع الذى فى قلبه مرض، وتاريخ الأدب يحدثنا عن شعراء وأناس عاديين استمعوا لأصوات جَوارٍ خلف الأستار فوقعوا فى الحب وأصابهم منه الومق.

وأوضاع الجماع حيث **يتواجه الزوجان** هى الأوضاع الأكثر شيوعا، ويصفها **هافلوك إليس** بأنها الأنسب والأليق بالإنسان المتحضر، وأن الرجل لا يأتى المرأة بحيث يكون وجهه لظهرها إلا مقلدا للحيوان، ويقول "**فان دى فيلد**" بأن أوضاع الجماع من الخلف لاتكون إلا بين غير المتحضرين وإن كانت هى الأوضاع الفطرية، ولذا يطلقون على هذا الجماع أحياناً "**الجماع الوحشى** coitus more ferarum".

وأوضاع الجماع التى **يتواجه فيها الزوجان** face-to-face positions تناسب الأزواج الذين يأتون الجماع بهدف الإنجاب، فهى خير الأوضاع لكى تحمل المرأة إذا لم تستخدم موانع الحمل ولم تكن عاقرا. ويفضلها الرجال لأنها من الناحية النفسية تعطيهم الإحساس بأنهم يملكون المرأة، إذ يكون الرجل أعلى المرأة ويتحكم فى الجماع. والمرأة فى **الوضع الذى يعلوها الرجل** man- on- top position تفتح فخذيها وتثنى ركبتيها قليلا، ويكون الرجل بين ساقيها مستنداً إلى مرفقيه وركبتيه، ويسهل عليه فى هذا الوضع أن يدخل قضيبه تلقائيا أو بترشيد من يد المرأة حيث تدخل هى القضيب، ثم يبدأ الرجل حركات الجماع عنيفة أو رقيقة، وقد يخرجه ويدخله من حين لآخر، وهذا الدفع المتكرر يدلك القضيب ويثير الرجل فيقرب من الإنعاظ بسرعة، وقد تتحرك المرأة بحوضها إلى الأمام والخلف مع دفع الرجل لقضيبه وسحبه، وقد تتحرك حركة أفقية من جانب إلى جانب كحركة الطحن، وقد تقمط فرجها على فترات وتشد جسمها كله وتتقبض

عضلات إليتيها. ويتيح هذا الوضع للرجل والمرأة أن يقبل كلاهما الآخر فى الفم والوجه، وقد يمص الرجل ثدى المرأة أو يقبلهما أو يدغدغهما بيديه، وتكون يدا المرأة طليقتين فتستطيع أن تتناول بهما خصيتى الرجل أو تمسك بأسفل القضيب، وقد تفضل أن تتحسس وجه الرجل وظهره وفخذيه وشعر رأسه وتذهب بيديها على صدره، وقد يتعب هذا الوضع الرجل، وقد يستريح منه لفترة بالتوقف عن الدفع بحوضه، ويركن بجسمه إلى جسم المرأة ويؤخر الإنزال، وقد يغير الوضع، غير أن الغالبية تنتهى من الجماع على هذا الوضع بدلا من أن تبدأ من جديد، فإذا أنعظ الرجل وارتخى مال إلى جانبه وخرج، وضمت المرأة فخذيها ومدّت ساقيها. وهى قد تنعظ إذا طال الجماع، وقد تُبقى الرجل بين فخذيها وقضيبه داخل المهبل بعد الإنزال فينتصب من جديد بتأثير ضغط المرأة بفخذيها عليه. ويشق على الرجل أن يعلو المرأة إذا كان سميناً أو كانت المرأة حاملا. والإثارة تتأتى للمرأة فى هذه الوضع من الحركات الدافعة للرجل بحوضه على الفرج، فيظهر البظر ويتهيج بهذه الحركات الضاغطة عليه وتنعظ المرأة. وعندما تتقدم المرأة فى السن ولايعود مهبلها مطاطا كما كان وهى صغيرة، قد يتعبها أن يتحرك الرجل هذه الحركة عليها، ويكون أصلح لها لو وضعت وسادة تحت إليتيها، أورفعت فخذيها وأمسكت بهما إلى الخلف فى اتجاه رأسها، أو لفّت ساقيها حول ظهر الرجل، وعندئذ يرتفع حوضها ويرتاح فرجها ويسهل الدخول والحركة ويكون الضغط على الشفرين الصغيرين.

والوضع والمرأة هى الأعلى woman- on-top position قيل فيه إن سقوط روما كان لمائة سبب، منها أن يكون الجماع والمرأة تعتلى الرجل، فلقد يعنى ذلك أن الرجل هو الخانع والمرأة هى المتحكمة فى أخص خصوصيات العلاقة بينهما، ولقد آلت الأمور فى الدولةالرومانية على الحقيقة إلى النساء ولم يعد الرجال هم المحاربون الذين فتحوا الأمصار. وهذا الوضع بالرغم مما قيل فى دلالته النفسية من حيث ذكورة المرأة وأنوثة الرجل فإن المعالجين ينصحون به فى حالات كثيرة، ومنها أن ينعظ الرجل قبل المرأة، أو أن يكون الرجل مريضا بالقلب أو الضغط ويرهقه الجماع. والمرأة تنعظ فى هذا الوضع أسرع من الوضع السابق بتأثير الدور النشيط الذى يكون لها فيه. وهى تحتوى الرجل أسفلها متمدداً بين فخذيها، مع ثنى ساقيه قليلا أو كثيرا، بحيث تجلس المرأة على حوضه تماما وتدخل القضيب بيدها أو يدخله هو. ويهئ لها هذا الوضع أن يدخل القضيب بكامله

متعمقا فى المهبل، وتستطيع المرأة أن تميل على الرجل بجسمها وتستند إلى مرفقيها أو ساعديها، ويكون الرجل حراً يحرك يديه كما يشاء متحسسا جسمها كله، ويستطيع أن يقبلها وتقبله ويمص ثدييها ويتناول بظرها بأصابعه بينما هى التى تتحرك بجسمها صاعدة هابطة أو فى حركة دائرية. والنساء **يفضلن** هذا الوضع وتمارسه ٤٥٪ منهن، ويمكن للرجل والمرأة أن يختارا بينه وبين الوضع السابق بحسب حالة كل منهما النفسية والجسمية، فإذا كان الرجل متعَبا فيمكن أن تتولى المرأة الجماع، وإذا كانت المرأة المتعبة فيمكنه هو أن يتولاه. ويستطيع الرجل أن يتحرك تحت المرأة. وتتأتى لذة المرأة، من الاستثارة التى تهيؤها لها حركة الجماع وتوالى احتكاك البظر بمنطقة الحوض عند الرجل نتيجة ميلها للإمام. ويوصف هذا الوضع **كعلاج للرجل الذى يشكو من القذف المبكر**، حيث يمتنع عليه الحركة التى تعجل بإنعاظه، فتقرب المسافة الزمنية بين إنعاظه وإنعاظ المرأة، إذ أنه من المعلوم أن الرجل ينزل بأسرع من المرأة.

وفى الوضع الجانبى side-by-side يضطجع الزوجان على الجنب بحيث يكونان متقابلين، وتحتوى المرأة جسم الرجل بين فخذيها، إلا أن دخول القضيب لايكون كاملا ولايكون أى من الزوجين على حريته فى الحركة، ويحتمل كلاهما الآخر على فخذه. ويريح هذا الوضع **المرأة الحامل** وأياً من الزوجين فى حالة إقبالهما على الجماع وأى منهما متعب، وإذا لم ينجح الزوج فى إدخال قضيبه فى هذا الجماع فإن بإمكان الزوجين أن يغيرا من وضعهما ليتسنى له الدخول ثم ينقلبان على الجنب، ويقول **كينزى** إن ٣٠٪ من الأزواج قد يلجئون إلى هذا الوضع كنوع من التغيير.

وفى أوضاع الوقوف والجلوس sitting and standing positions يجلس الرجل على كرسى أو على السرير، بينما تجلس المرأة على فخذيه، ويدخل الرجل قضيبه جاذباً حوض المرأة إليه ودافعها حوضه إليها، وقد تجلس المرأة على فخذيه وتمد ساقيها إلى الأمام أو تلفهما حول حوضه، وتميل إلى الخلف بحيث ترقد بظهرها على ساقيه. وقد ترقد المرأة عى السرير بينما الرجل قابع بين فخذيها، أو يرقد الرجل فارجاً ساقيه بينما المرأة تقبع بينهما وتدخل القضيب وتحرك نفسها حركة دائرية، أو تجلس على السرير وتبسط فخذيها وتميل بجسمها إلى الخلف بينما الرجل واقف على الأرض ويميل عليها مدخلا قضيبه. وفى **وضع الوقوف** قد ترفع المرأة ساقاً يحملها الرجل بذراع ويدخل

من الجنب، أو أنه يرفعها إلى أعلى بساقيها حول وسطه وذراعيها حول رقبته بينما عجيزتها كلها على كفيه يحملها بهما ويضغط عليها إلى حوضه.

وفى **وضع الدخول من الخلف** rear-entry position يولج الرجل قضيبه بينما المرأة تجلس القرفصاء ومؤخرتها إليه ورأسها منكسة إلى الأرض، ويساعد ذلك على الدخول الكامل ويكون البظر عاريا تماما وتستثار المرأة من حركة الجماع عليه، غير أن هذا الوضع لا يصلح للمرأة البدينة، وقد يسمح بدخول بعض الهواء إلى المهبل فتتمدد بها جدرانه وتقلل من الاحتكاك، وقد يتسبب عن الهواء أصوات أثناء خروجه خلال الجماع. وفى **الوضع الخلفى** يكون الرجل قادراً على تناول الثديين والبظر، وقد يأذن هذا الوضع للمرأة أن تتناول خصيتى الرجل بيديها. وللوضع الخلفى استثارة تختلف عن استثارة الأوضاع الأمامية.

ويشرح كتاب «**رجوع الشيخ إلى صباه**» أوضاعا أخرى منها **الوضع والرَّجُل بكامل ثقله** على المرأة ويسميه كتاب **أطلس تشريح الجسم البشرى** (Dickinson: Atlas of Human Anatomy) «**وضع الثقل الكامل** full- weight position»، وقد يتخذ الرجل هذا الوضع السابق مستنداً إلى ذراعيه weight- supported position؛ و**الوضع الطولى** بكامل طول الرجل على طول المرأة full-length position، بأن يبسط الرجل جسمه على جسم المرأة ماداً ساقيه على ساقيها ويولج وهى منفرجة الساقين ثم تضم فخذيها من بعد؛ **ووضع الوسادة مع ثنى الركبتين إلى الصدر** pillow position؛ **ووضع السرير** حيث المرأة تضع ساقيها على الأرض والرجل يقف على ركبتيه ليكون حوضه أمام حوضها، وهو **الوضع الأصلح للحامل** حتى لا يهبط بثقله على بطنها الممتلئ؛ ما **والوضع حيث فخذا الرجل خارج فخذيها؛ والوضع حيث المرأة أعلى الرجل وفخذاها حول فخذيه؛ والوضع حيث هى أعلاه وفخذاها بين فخذيه؛ والوضع حيث هى أعلاه وفخذاها حول فخذ واحد من فخذيه. وهناك وضع الدخول من الخلف** بينما المرأة ترقد على ظهرها على بطن الرجل وصدره؛ **ووضع الدخول من الخلف** بينما تجلس القرفصاء وثدياها ورأسها ملامسين للسرير أو رأسها دون ثدييها يلامسان السرير. **ووضع الدخول مع الوقوف** بينما المرأة تجلس على أحد فخذيه وتتعلق برقبته؛ **ووضع الدخول والرجل جالس على كرسى** تحيط فخذيه بفخذيها ويحضنها إليه؛ **ووضع المستلقى عليها**

وساقاها على كتفيه؛ **ووضع الجنب** بينما هو بكل جسمه بين فخذيها؛ **ووضع الجنب** وهى بكل جسمها بين فخذيه.

وهناك من أوضاع الجماع أوضاع يتناول فيها أى من الزوجين باللعق أو المص قضيب أو بظر الآخر، وقد يعتلى الرجل المرأة بحيث يكون قضيبه فوق فمها بينما فرجها أقرب إلى فمه، وتمص المرأة القضيب ويلعق الرجل الفرج. وقد تحب المرأة أن يلعق لها فرجها دون أن تمص هى قضيبه أو بالعكس. ويبدأ الرجل بتقبيل مابين فخذيها ويتجه بشفتيه إلى فرجها حتى يمسك البظر بينهما، ويمص الرأس أو يلعق جسم البظر إلى أسفله ويلعق الشفرين، وقد يدخل لسانه إلى المهبل، وقد يلعق البظر والشفرين مع إدخال إصبعين فى المهبل يحركهما فيه كحركة الجماع. وعادة مايثير ذلك المرأة إلا أنها فى بعض الحالات قد تتضايق منه بتأثير اللذة العارمة، أو أن مايثير أحيانا قد لايكون مرغوبا فيه فى وقت آخر، ويعتمد ذلك على الحالة المزاجية للزوجين، وقد يتسبب نفخ الهواء فى المهبل خلال اللعق فى مضايقات وتعقيدات أقصاها **الوفاة**. وغاية اللعق أن يصل بالمرأة إلى الإنعاظ، فإذا قاربت أدخل قضيبه فيها. ويحب الرجل أن تمص المرأة قضيبه بينما هو يلعق فرجها، ويطلق على ذلك اسم "**وضع العدد** soixanate- neuf position69" حيث العدد 9i يمثل المرأة والعدد 6i يمثل الرجل فى الوضع المعكوس بالنسبة لها. **ومص القضيب** fella- tio **ولعق الفرج** cunnilingus كلاهما من الطرق المعروفة والشائعة، وكما سبق ونوهنا تأتيهما الثدييات كلها. والمرأة التى تمص القضيب تبدأ بالرأس وتسير شفتيها على جسم القضيب، وقد تدخل فى فمها أكثر من الرأس، وتدغدغ شفتيها الخصيتين، وتستمر فى ذلك إلى أن يمنى الرجل أو يقارب على الإمناء فتدخل القضيب فى فرجها، أو تستقبل المنى فى فمها، أو تتلقاه فى راحتها وهى تضغط على الرأس. وتحس المرأة للمنى بدفء فى فمها ومذاق مالح، وقد تبصقه وقد تبتلعه، وبعض النساء يسعدهم أن يبتلعنه.

وهناك **أوضاع الإهاجة الجنسية باليد**، بأن يتبادل الزوجان ذلك، أو يفعله أحدهما للآخر، أو يفعله أى منهما وحده دون الآخر. وقد تكون الإهاجة باليد مقدمة للجماع أو يقتصر عليها حتى الإنعاظ. والإهاجة الذاتية باليد يطلق عليها اسم **العادة السرية**، ويقول عنها **كينزى** إن ٩٩٪ من الذكور والإناث يمارسونها لمرة أو مرات طوال حياتهم، وقد يدمنونها.

وإهاجة **المرأة باليد** تكون بتناول بظرها، وهى مسألة ينبغى أن يحذرها الرجل، وذلك لأن بعض النساء لايطقن أن يتحسسهن أحد فى هذه المنطقة، وقد يشمل المرأة دفق غامر من اللذة يفقدها الوعى أو قد تتألم له. ويذهب **"ماسترزوجونسون"** إلى أن **المرأة اليمينية**، أى التى تستخدم يدها اليمنى أكثر من اليد اليسرى، تكون حساسة من الجانب الأيمن من البظر، بينما **المرأة العسراء** أى التى تستخدم اليد اليسرى، تكون حساسة من الجانب الأيسر منه، وأن المرأة يهيجها جسم البظر أكثر مما يهيجها رأسه أو مايسمى العُنّاب. وبعض النساء يتهيجن **ذاتيا** بضغط الفخذين على بعضهما، أو دلك **قبة الفرج mons veneris**، أو بتحريك اليد عليها ربتاً متواليا، وأثناء ذلك قد تحب المرأة أن تتحسس ثدييها، أو تدخل أصبعها فى فرجها وتضغط على عضلاتها الشرجية. والمرأة قد تصنع مثل ذلك للمرأة مثلها. وإذا كانت البنت والولد كلاهما معرّض لإتيان العادة السرية بالبلوغ فإنه فى سن ٢٥ يكون **نصف البنات** قد تخلفن عن اصطناع العادة السرية، بينما يستمر ٩٥٪ من **الأولاد** فى اصطناعها. وللمرأة قدرة على بلوغ الإنعاظ لمرات متعددة بالإهاجة الذاتية أو بالإهاجة باليد.

وقد تتزوج **المرأة** لعشرين أو لثلاثين سنة ولايحدث أن تخبر **الإنعاظ إطلاقا**، أو قد تخبره لمرات قليلة طوال حياتها الزوجية. وإنعاظ **الرجل** يترافق والقذف، والرجل يقذف لمرة واحدة فى الجماع الواحد، وقد ينعظ بعض الرجال والنساء مرتين فى الجماع الواحد، أو ينعظون عدة مرات فى الليلة الواحدة. وقد يؤخر البعض إنعاظه ويطيل فى **الجماع** ويقال إن الرجل فى هذه الحالة يعزل، **"والعزل coitus incompletus"** ضرب من الجماع غير الكامل، وهو أيضا **"الجماع المعوّق coitus retardata"** أو **"الجماع المتقطع coi-tus interruptus"** أو **"الجماع المتحفظ coitus reservatus"**، وفيه يتجنب الرجل القذف حتى تنعظ المرأة، أو أنه يتحاشى الإنزال فى المهبل منعا للحمل. ويسمى كذلك **"الجماع المطول coitus prolongatus"**.

ويطلق العرب على **الجماع بالجنب** اسم **"المخاصرة"**، وعلى **الجماع بين الفخذين** اسم **"المفاخذة coitus einter femor"**، ويقال له **"المحارقة"** أيضاً، وهو ضرب من **العزل**، والرجل يأتى المرأة فى فرجها فإذا حان الإمناء فإنه يولج بين الفخذين بعد أن تضمهما المرأة ويمنى هكذا. وقد تكون المرأة فى الحيض فيأتيها بين الفخذين. ومن العزل أيضا ما

أيضا ما يسمى «**الجماع العجانى** perineal coitus» بالضرب بالقضيب على الفرج دون الإيلاج، وقد يسمى «**الخضخضة**» أيضا، ومنه «**الحرش**» وهو حك القضيب فى الفرج دون الإيلاج، وهما وضعان فى الجماع يلجأ اليهما الشباب من الجنسين كثيرا.

والجماع فى الدُّبُر من طرق الجماع التى تحظرها الشرائع، ولو ثبت يكون مبررا كافيا للطلاق، وتجثو فيه المرأة على ركبتيها مقوسة ظهرها للأسفل، ومستندة بصدرها ورأسها إلى الحشية، ومتكئة إلى ذراعيها على طريقة الحيوانات. **ومن النادر** أن تأذن الزوجة لزوجها بإتيانها فى الدبر، ولاتفعل ذلك إلا البغايا المأجورات، وتستعين المرأة بالدهانات والموسعات لتوسعة شرجها وتسهيل الإيلاج، ورغم ذلك فإن الإكثار من ذلك يؤذى المرأة شرجيا، وقد يصاب الرجل بأذى جلدى، فضلاً عما قد يصيبه من عدوى من جراء الإدخال فى الشرج وهو مكان خروج البراز.

وقيل فى **الإنعاظ** إن له مراحل **أربعاً**، فى **الأولى** تكون الإهاجة وتتحقق بعد **عشر ثوان** من بداية الجماع، فينتصب بظر المرأة ويكبر الشفران الصغيران والكبيران بما يأتيها من دفق الدم نتيجة الاستثارة، وتكبر حلمة الثدى. وقد تستمر هذه الحالة **لبضع دقائق**، وقد تطول إلى **عدة ساعات** كلما طال الجماع ولم تنعظ المرأة. وبعض النساء يبلغن المرحلة التالية بسرعة والبعض يطول معهن ذلك بحسب برودة المرأة جنسيا. والمرحلة التالية وهى التى يقال لها «**هضبة الجماع** plateau of coitus» قد تدوم من **ثلاثين ثانية إلى عدة دقائق**، وفيها يكبر الثديان بنحو ٢٥٪ من حجمهما الحقيقى، ويتغير لون المهبل والشفرين الصغيرين والكبيرين إلى اللون القرمزى الغامق، ويزيد انتصاب البظر والقضيب، ويقمط المهبل، فإذا كانت **المرحلة الثالثة** حيث الإنعاظ فإن الرجل **يقذف** المنى تلقائيا، و[illegible] ـرأة فإن المهبل تتوتر عضلاته بشدة وتتقبض، وقيل إنه يحدث به من **ثلاث إلى ١٢ دقّة** نتيجة هذا التقبض، وهى دقات أو تقبضات **لاإرادية** لا دخل للمرأة فيها، وهى شبيهة بدقات القضيب التى من خلالها بوسعه أن يقذف المنى، ويتقبض **الرحم** ويدفق قاعه على العنق، وتشد **عضلات الإليتين والوجه والعنق** بخاصة. ويترافق الإنزال عند الرجل **وأربع أو خمس** تقبضات فى البروستاتا والحويصلات المنوية وقناة المنى والإحليل.

وتكون القدرة على الإنعاظ عند الرجل فى ذروتها فى نحو **الثامنة عشرة**، وعند المرأة فى نحو **الخامسة والثلاثين**. وقد يستطيع الشباب أن ينعظ حتى **ثمانى** مرات فى اليوم الواحد، بينما المألوف هو **مرة واحدة** فى اليوم عند الرجل **فوق الثلاثين**.

والمرحلة الرابعة هى التى تلى الإنعاظ، وفيها ترتخى العضلات كلها ويعود الدم إلى دفقه الطبيعى فى المنطقة الجنسية، ويميل الجسم إلى السكون، وقد تستمر هذه الحالة لبعض الوقت عند العصبيين، ويستشعرون ببعض الألم أثناءها، وأما الطبيعيون فإنهم سرعان ما يفيقون منها ويحسون بعدها بأنهم أحسن حالا، وينتظم تنفسهم. ويترافق الإنعاظ ودفق من **العرق** يغشى الجسم كله، ويعد الإنعاظ تشمل الرجل حالة من **الاسترخاء التام** قد تمتد إلى دقائق أو ساعات لا يستجيب فيها لأية استثارة، ولا يقدر أن ينعظ من جديد، وذلك شئ غير موجود فى النساء، فالمرأة تستطيع أن تواصل وتستجيب لمرة ثانية وثالثة للإنعاظ على التوالى، وبعض النساء قد ينعظن **لعشرين وثلاثين مرة** فى الجماع الواحد مالم يصبهن التعب.

والجماع عند البغايا ليس فيه ما تحدثنا عنه من حيث الأوضاع والتَقْدِمة، فتلك مسائل لاتكون إلا بين الرجل والمرأة المتحابين. ولقد سبق أن قلنا إن الجماع ليس مجرد الإيلاج فإنه يبدأ بالنظرة والكلمة وينتهى بالإيلاج. ومن الجماع ما يقال له **«الجماع النفسى psy-chic coitus»** ويقوم على تخيل الجماع، وليس ذلك من طبيعة البغى. والبغايا غالبا من بيوت وضيعة ومنحلة ومتدنية التعليم، وكل طرق الجماع التى تحدثنا عنها ليس لها معنى عند البغى وتعتبرها انحرافاً، والجماع عندها هو أن تخلع ملابسها وتضطجع ليعلوها الرجل ويمنى، ولاتسمح له تقبيلها، وإذا فعلت فليس ذلك إلا خضوعا ورغبة فى الكسب. وبعض البغايا قد يرون أن الرجل لابد أن يتحصل على مايريده من لذة مدفوعة الثمن، ومن ثم فقد يطلبن أن يتعلمن فنون الجماع. وتتقن **بنات الجيشا** فى اليابان هذه الفنون وتأتيها كجزء من المهنة وليس طلبا للذة. وبعض البغايا نلن قسطا من التعليم ولديهن من الذكاء ما يجعلهن مختلفات عن غالبيه البغايا، وهؤلاء قد يجعلن من ممارسة الجماع فنا وليس مجرد حرفة، وقد يقبلن أن يتعرين وأن يأتيهن الرجال تحت الأضواء، وأن يقضين الليل بطوله مع العميل أو العملاء، ولكن **البغى الرخيصة** تحاول أن تقلل ما أمكن من الوقت الذى تقضيه مع العميل، وفى **بيوت الدعارة** لاتزيد المدة عن **خمس دقائق** أو أقل، فإذا زادت عن ذلك يدفع العميل أجرا إضافيا.

والبغى لا تنعظ ولا تنفعل للجماع، وتستخدم المواد الطبية كالكريمات والمراهم لتسهيله، وهى عادة مصابة **بالبرود الجنسى**، وتعانى من اضطراب أساسى فى الشخصية، والجماع

عندها ليس غايته اللذة ولا الإنجاب، ولكنه وسيلة لكسب الرزق. والبغاء عرفه العرب من خلال **نظام الجوارى**، ويورد القرآن أن البعض كان يقسر جواريه على البغاء ارتزاقا.

والجماع مثلما يكون بين **الذكر والأنثى** فإنه قد يكون بين **الذكر والذكر**، **واللواط** كان فى كل المجتمعات ومايزال، ومن اللواط أن تأتى الأنثى الأنثى وهو ما يسمى **السحاق**، وبعض الذكور قد يحب أن يكون دائما **الفاعل**، والبعض قد يؤثر دور المفعول فيه أو **المأبون**، وقد يبدو الرجل كامل الرجولة ويفضل أن يكون المفعول فيه، بينما يحب أن يثبت الرجل المتأنث أنه رجل فيطلب أن يكون الفاعل، غير أن **الأدوار** كثيرا ما تختلط بحسب المواقف وشخصية الطرفين، وقد يمارس الرجل اللواط ويتزوج فى نفس الوقت. ويصف **جان جانيه الكاتب المسرحى الفرنسى** قصة ليلة قضاها مع حبيبه على حد تعبيره، ويستغرقه وصف الجماع بين اللواطيين حتى لتحسب أنه يصف ليله غرام بين رجل وامرأة، والمأبون يستشعر على الحقيقة أنه امرأة. **وجماع اللواطيين** فيه القبل والأحضان ومص الثدى ومص القضيب. وتنفعل المرأة مع المرأة مثل ذلك. ويتعرض كتاب **Lesbian woman للجماع بين الإناث**، والمؤلفتان **ديل مارتن وفيليس ليون** تتعشقان بعضهما، وتقول **ديل** «ما الذى تفعله المرأة مع المرأة جنسيا؟ إنه نفس الشئ الذى يفعله الرجل والمرأة، أو الرجل والرجل، فيما عدا أنه لا يوجد لأى من المرأتين قضيب، والمرأتان يشبعهما من كل واحدة أن تتناول كل منهما بظر الأخرى بيدها وتدلكه والشفرين، وتدخل إصبعين من أصابعها فى المهبل أثناء ذلك. وقد تتناول كل واحدة بظر الأخرى وشفريها باللسان (لعق الفرج)، وقد تعلو الواحدة الأخرى وكأنها رجل يجامع أنثى وتضغط بحوضها وفرجها على حوض وفرج الأخرى لتهيج البظر إلى أن تنعظ الاثنتان.

والجماع قد يكون بين ذكر بالغ أو أنثى بالغة **وحيوان**، وينتشر **جماع الحيوانات zoo-philia** فى الريف، وأكثر ما يتوجة ذلك إلى الحيوانات فى البيئة كالكلاب والخيل والماعز والخراف، وغالبا ما يأتية المراهقون، ويستمنى الذكر بحك قضيبه فى فرج أنثى الحيوان، وقد تكتفى المرأة بأن يلعق الكلب فرجها. والأكثر أن يولج الولد قضيبه فى فرج أنثى الحيوان، والغالب أن المجامع للحيوانات يعانى من **اضطراب أساسى فى الشخصية**، وكثيرا ما يرتبط ذلك **بالتخلف العقلى**.

والجماع قد يكون بين بالغ **وطفل** صغير، **وإتيان الصغار pedophilia** شذوذ

جنسي، وقد تواقع المرأة طفلا ذكراً ويواقع الرجل طفلة، والغالب أن الرجل الذى يفعل ذلك يستشعر نقصاً حاداً فى قدرته الجنسية يمنعه من أن يأتى النساء حتى لا ينكشف عجزه، فيبحث عن الصغار ويوقعهم فى حبائله، ويتحصل للصغير من هذا الاعتداء عليه أضرار بالغة جسميا ونفسيا، ويُؤذَى بشدة فى فتحة شرجه. ولا **يستغرق** جماع البالغ للطفل إلا ثوان. ونادرا ما تكون هناك مواقعة بين امرأة وطفل. والغالب أن **كل الشذوذ** يكون من الرجال، **والفضيلة أقرب إلى طبيعة المرأة**، وتميل المرأة أن يكون لها رجل واحد، ولايستهويها أن تجامع أكثر من رجل، وقليلا ما تكون لها ميول جنسية لوطية.

وقد تفسر **الاختلافات بين المرأة والرجل** بأن المرأة كأنثى سلبية بيولوجيا، بدليل أن البويضة التى تنتجها تظل فى الرحم فى انتظار الحيوان المنوى الذى من صفاته السعى إليها، وأنها بتكوينها تستجيب للاستدعاءات الحسية أكثر من استجابتها للاستدعاءات النفسية، وأنها مثلا لا تمارس لهذا السبب الجماع النفسى الذى يقوم على التخيل، فذلك شئ أقرب إلى طبيعة الرجل، والمنبهات الحسية تتنوع وتتعدد عنده بشكل لا تعرفه طبيعة المرأة، وكلها اختلافات تميز الجنسين وتنسجم مع الأدوار المنوطة بهما فى الحياة، حتى فى الحيوانات الثديية، ومرجعها غالبا **الفروق فى البنية العصبية** التى توجه السلوك الجنسى لكلٍ، ومن ثم فقد تستغرب بعض النساء أن يكون للرجل علاقات جنسية خارج إطار الزوجية. وربما يعود بعض النشاط الجنسى غير المشروع للرجل إلى أسباب من الزوجة نفسها، وقد تكون لبعض الزوجات علاقات جنسية متعددة، إلا أنه بشكل عام لا يلجأ إلى **الجماع غير الشرعى المسمى بالزنا** إلا أبناء الطبقات الدنيا، وغير المتعلمين، والمصابون باضطرابات نفسية أو خُلُقية من كافة الطبقات.

والزنا تدينه كل الثقافات والحضارات والديانات، وتعاقب عليه ولا تجيزه القوانين الوضعية، وهو مدعاة لاختلاط الأنساب وإشاعة الفاحشة ونشر الأمراض التناسلية وغير التناسلية وإضعاف النسل. وقيل إن الرجل بدون الزواجر والنواهى يميل إلى المشاعية الجنسية ويخالط جنسيا عندما يجد نفسه فى ظروف قد يستطيع فيها أن يتحلل من الآداب الاجتماعية، وهو يستطيع أن ينزو على امرأة جاره، ويمكن أن يشتهى أمه وأختة، ويغتصب النساء إذا تيسر له ذلك، وهو قد يمارس الاستمناء واللواط إذا حيل بينه وبين النساء، ويمكن أن يصاب بالاستعراء والفيتيشية **(الغرام بالأدوات الحريمى)** وأن يواقع الأولاد

الصفار، فى حين أن المرأة لا تفعل ذلك إلا إذا كانت مصابة بالغلمة أو كانت بغياً، والأولى تفرط فى الجماع لذات الجماع وتشتاع جنسيا، والثانية تأتى الجماع طلبا للكسب.

ولا تشكل **النساء المنحرفات** فى أى مجتمع نسبة تذكر، ويرتبط انحرافهن دائما بانحرافات أخرى كممارسة القمار أو احترافه والاتجار فى المخدرات أو إدمانها، والخمور والتهريب والسرقة والبغاء، ويتصل انحرافهن غالبا بتدنى **مستويات الذكاء** أو بما يسمى **الجنون الخُلُقى**، أى أنها تفتقد الحس الخلقى أصلا.

واضطرابات الجماع من الاضطرابات الجنسية التى تحول بين المرء وأن يستجيب بالانتصاب أو بالإنعاظ، وقد يتسبب فيها **القلق أو الاكتئاب أو الغضب أو التعب أو انفصال الزوجين أو إدمان المخدرات أو الكحول أو الاعتلال البدنى أو الجهل بأمور الجنس.**

واضطرابات الذكور بخلاف **اضطرابات الإناث. والعنين أو العنينة** كلاهما يعجز عن المباشرة. ولاينتصب العنين أو قد يكون انتصابه جزئيا أو مؤقتا أو نسبيا، وتنفر العنينة من الجماع، وإذا باشرته لا تنعظ، ويقال إنها باردة جنسيا، وقد يتشنج مهبلها فيضيق ولا يسمح بالإيلاج، **وقمطة المبهل** أو اعتقاله من الأمراض التى غالبا ما يكون لها أسبابها النفسية ككراهية الرجال أو ما يقال له **خواف جنس الرجال**، وربما يكون السبب نفورها من زوجها أو من نمطه.

وقد ينتصب الرجل ولكنه يقذف مبكراً قبل أن يولج، أو قد يعاق قذفه، **والقذف المبكر** أو ضده **القذف المعوق** أو العجز عنه، ربما يكون أيضا بسبب **خواف من جنس النساء**، أو النفور من المرأة شريكة الجماع لملابسات فى حياتهما تعجل بقذف الرجل مبكرا أو تجعله عاجزا عن القذف. وقد تكون لكل هذه الاضطرابات التى تحول بين الجماع وإتمامه على الوجه المشبع أسباب أعمق من ذلك ولها جذورها فى طفولة المرء أو مراهقته، وتعكس اضطرابات العلاقات بينه وبين أفراد أسرته وخاصة أبويه، ويتوجه **علاجها** لذلك إلى ترشيد المريض بأسبابها وتفسيرها وتئويلها فى ضوء خبراته الحالية، والأوفق دائما أن يكون العلاج للزوجين معاً، فكثيرا ما تتسبب اضطرابات الجماع عند أحدهما إلى إصابة الآخر باضطرابات مماثلة، فمثلا قد يصاب الرجل بالعنة نتيجة فشله فى الجماع مع زوجته المصابة أصلا بالبرود الجنسى، وقد يقتضى الأمر لهذا السبب أن يعالج الاثنان علاجا سلوكيا يتشاركانه(**انظر الاضطرابات الجنسية والإنعاظ والقذف واللواطة والسحاق وجماع البهائم وجماع الأولاد وخواف الجماع وكراهية النساء**).

ومن المصطلحات الكثيرة فى مجال التحليل النفسى المتصلة بالجماع مصطلح «**المشهد الأولى** primal scene»، ويعنى الذكرى التى تعلق بمخيلة المرء من طفولته لأول فعل جنسى يراه رأى العين، وتنطبع به خبرته الجنسية طوال حياته، ويتأثر به نموه النفسى الجنسى وتكوين شخصيته، وعادة ما يكون ذلك الجماع حقيقى يشهده الطفل بين أبويه. وقد يكون ما يستقر فى مخيلته وذاكرته من هذا الجماع مجرد أصوات وهمهمات يستمع إليها من خلف الأبواب أو فى الظلام ويستكملها خياله. وقد يكون هذا المشهد الأولى أو المشهد الأول لعدوان جنسى يقع على الطفل، أو غواية يتعرض لها مما ذكرناه فى مجال الأولاد. وربما يكون أول مشهد جنسى فى حياته هو لقاء بين اثنين من المحبين فى حديقة عامة والمحاولات الجنسية بينهما. وقد يكون جماعاً بين الكلاب أو القطط أو غير ذلك من الحيوانات أو الطيور التى تحفل بها بيئته، وعادة ما يسئ الطفل فهم ما يرى بحكم طفولته، فإذا كان ما يراه من الفعل الجنسى بين الحيوانات، أو ما يتحصل له من الخبرة الجنسية نتيجة ما يسمعه من الأطفال، فإنه ينقل ما يرى أو يسمع إلى مجال أبويه ويتخيلهما يمارسانه، فإذا رأى ذكر الحيوان يؤذى أنثاه أثناء العملية الجنسية، أو شاهده يأتيها بعنف، فقد يحسب أن أباه يفعل نفس الشئ، فيتحصل له انطباع سئ عن دور الذكر، وتتشوه أفكاره ومن ثم اتجاهاته الجنسية، وقد تهزة الخبرة وتؤثر فيه بشكل هائل وتظل الأفكار تلح عليه وذكريات المشهد الأولى لا تفارقه، **والنتيجة أن يصاب بالانحراف**.

وقد يتسبب المشهد الأولى فى استحداث **أعراض عُصابية** واضحة فى بعض الحالات، والمثال الجيد الذى يُضرَب لذلك حالة صبى كان يشكو من أنه يرى العالم مقلوبا، وتناول ذلك كل مجاله البصرى، وأمكن تحت تأثير التنويم المغناطيسى تتبّع السبب لما كان يشاهده بين أبويه من عمليات جنسية كل يوم، تتم بينهما والأب أسفل الأم، بمعنى أن الوضع العلوى كان هو وضع الجماع المفضل للاثنين، بينما ما كان يسمعه من الأطفال وما كان يشاهده بين الطيور يؤكد له أن ما يجب أن يكون هو الوضع السفلى، وقد صدمه أن يرى ذلك وأن يتكرر أمامه، فظن أن الخطأ هو خطؤه وليس خطأ الأبوين وظل يرى العالم مقلوباً إلى أن شفى بالعلاج الذى يعتمد على الإيحاء خلال جلسات التنويم.

***

النعوظ Orgasm

هو الشبق أو الإشباق أو الإنعاظ، بمعنى شدة الهياج الجنسى الذى علامته هزة الجماع عند المرأة والرجل على السواء، فالقذف غالبا عند الرجل. ولايحدث القذف عند **الصبية** قبل المراهقة. وقد يكون النعوظ أو الإنعاظ بغير **قذف** عند بعض الرجال فى حالات الإصابة بعُنّة القذف، غير أن القذف يستحيل بدون إنعاظ.

ويختلف **السلوك الجنسى** فى الإنعاظ أو الإشباق باختلاف الأشخاص كأى وجه من أوجه النشاط الجنسى. ويستمر النمط الذى عليه إنعاظ الشخص من قبل المراهقة معه حتى الشيخوخة. ويبدو أن الاختلافات فى النمط مصدرها إلى حد كبير **الاختلافات الموروثة** فى البنية الفسيولوجية.

وقد ينعظ **الأولاد والبنات** قبل المراهقة بكثير، وربما يكون ذلك ابتداء من **الشهر الخامس أو الرابع** من الولادة. ويأتى الصغير بنفس الحركات الإيقاعية التى يأتيها البالغ فتتوتر عضلاته وخاصة فى الردفين والبطن والظهر، ثم تشمله فجأة رجفة وتتقلص عضلات الشرج ثم تختفى الأعراض، وقد يبكى الطفل عند الإنعاظ.

وغالبا مايكون إنعاظ الصغير **أسرع** منه عند البالغ، وإنعاظ المراهق أسرع من الكبير وهكذا. وبعض المراهقين ينعظ فى أقل من **عشر ثوان**، وبعضهم قد يستغرق **عشراً أو عشرين دقيقة**. ويتحقق إنعاظ المراهقين فى **ثلاث دقائق** فى المتوسط. والصبى أو المراهق السريع الإنعاظ أو البطيئه يستمر هذا شأنه طوال حياته، مالم تكن هناك ظروف تعجل به أو تؤخره، إلا فى **الشيخوخة** فالمنعظ سواء من الرجال أو النساء يحتاج لوقت أطول ليشبق.

وللصغار قدرة على الإنعاظ المتكرر فى وقت أقل مما يستغرقه ذلك عند **المراهقين**. وبالمثل يفترق المراهقون عن الكبار فى القدرة على الجماع المتكرر. وقد يستطيع البعض الإنعاظ **ثلاث مرات** أو **أربعا** أو **خمسا** على التعاقب فى وقت يقل عن العشر ثوان بين المرة والأخرى، وقد تزيد المسافة إلى الدقيقتين أو إلى نصف الساعة، وقد يستمر انتصاب البعض ولايرتخون.

وكان **فرويد** يذهب إلى أن **للأطفال جنسية**، إلا أن بعض ماقاله لم يتأيد علميا كقوله بطور الجنسية الكامنة قبل البلوغ. ويبدو أن الإنعاظ المصحوب بالقذف لايبدأ قبل نحو سن

الحادية عشرة، وغالبا مايكون فى **الثالثة عشرة**، فإذا كانت **الخامسة عشرة** يكون نحو ٩٢٪ من الأولاد قد عاينوه، بينما تقل النسبة كثيرا عند **البنات**، وربما لاتخبره منهن سوى **الربع فقط**، وقد تبلغ البنت **التاسعة والعشرين** دون أن تكون لها به تجربة من أى نوع.

والإنعاظ المتأخر .delayed o ترف يعرفه الإنسان دون بقية الثدييات أو حتى الحيوانات والطيور. وقد يسعى الناس جميعا إلى تأخير النعوظ وإطالة الجماع طلبا للذة، وغالبا مايمارسه الرجال والنساء من الطبقات العليا والمثقفين أكثر من غيرهم. والدارج أن ينعظ الذكر خلال **دقيقتين** من بداية الإيلاج، وقيل إن ثلاثة أرباع الرجال يفعلون ذلك، وأن أقل من الربع ينعظ فى أقل من **دقيقة** أو مابين العشر إلى العشرين ثانية، والبعض قد يقذف أثناء المداعبة وقبل الإيلاج.

والمعروف أن **الإناث** يتأخر إنعاظهن قليلا عن الذكور بفارق نحو **الدقيقة**، وقد تكون لبعضهن من الثقافة والتربية مايكون بمثابة الكابح أو القامع لشهواتهن، فيتأخر الإنعاظ لأكثر من الثلاث دقائق. وهذا **الفرق فى سرعة التجاوب الجنسى بين الذكور والإناث** هو الذى يدفع الذكور إلى تدخين المخدرات وتعاطى العقاقير والخمور بقصد تقليل سرعة التجاوب عندهم، وهو المسئول أيضا عن كثير من أوجه الخلافات الزوجية وخاصة فى أوساط العائلات التى تنشأ بناتها على الكبت والقمع.

وليس من اللازم أن يوصف المنعظ **السريع** الإنعاظ بأنه **عصابى**. ويصر بعض الأخصائيين على اعتبار المنعظ الذى يعجز عن تأخير قذفه حتى تنعظ معه امرأته مصابا باضطراب جنسى. وأثبت البحث العلمى أن غالبية الذكور أو النسبة الكبرى منهم قد ينعظون فى ثوان دون أن يكون بهم اضطراب جنسى من أى نوع. وربما للثقافة الجنسية دور فى ذلك، وبمجرد أن يتعلم الرجل كيف يؤخر إنعاظه أو تتعلم المرأة أن تتجاوب مع رجلها، فإن المشكلة التى ربما قد تستمر لسنوات قد تنفرج سريعا. ومن الأخصائيين من يذهب إلى القول بأن **مشكلة سرعة القذف** عند الرجل ليست فى الحقيقة مشكلة تخص الرجال بقدر ماهى مشكلة تخص النساء. والثابت أن نسبة كبيرة من النساء لايعرفن الإنعاظ ولم يجربنه، وينفرن من الجماع، بحكم ما يعلمن عنه مما يتواتر إليهن خطأ من أترابهن، أو بالإشراط. وقد يتطلب لبلوغ المرأة الإنعاظ من **عشر إلى خمس عشرة دقيقة**. وعلى العموم فالفرق بين الإناث فى سرعة الإنعاظ أكبر من الفرق بين الذكور.

وهناك نسبة من الذكور والإناث يمكن أن يتصفوا بالشبق وشدة الشهوة الجنسية، وبهم نَهَم للجماع وقدرة عليه يوميا. وتزيد هذه النسبة عند الشبان والشابات الأقل من **الثلاثين**، وهو عندهم **أربعة أضعافه** عند من تجاوزا **الخمسين**، وقد ينعظ الذكر أو الأنثى أكثر من مرة في الجماع الواحد أو فى الليلة الواحدة. ويشكك بعض الأخصائيين فى إمكان ذلك مع الذكور لأسباب فسيولوجية، غير أن الشواهد تؤكده وخاصة بين الشبان، وغالبا بين المراهقين. وقيل إن **الإنعاظ المتكرر multiple o.** يخبره أكثر من ثلث الذكور والإناث. وقد تضاجع **البغى** أكثر من رجل فى الليلة الواحدة بدون إنعاظ، وقد لاتنعظ إطلاقا إلا مع عشيقها الذى تحبه وتؤثره. وقلما يحدث ذلك مع **البغى الذكر** الذى يؤجر قدرته الجنسية، أو مع **الغليم** وهوالرجل المفرط جنسيا والذى قد يجمع بين الزوجتين والثلاث والأربع، وقد يضاجعهن جميعا فى الليلة الواحدة وينعظ لذلك مرتين وثلاث وأربع وخمس مرات يوميا، ويستمر على هذا الحال لسنوات. وربما لايكون **فرط الرغبة الجنسية** بالمرأة أو بالرجل علامة مَرَضية، والأولى أن نقول إن **الغُلمة** سلوك جنسى نادر من أن نقول إنها سلوك جنسى شاذ أو منحرف، وأحيانا لايكون السلوك الجنسى الذى يوصف بالشذوذ نادرا، وقد يحدث أحيانا أن يأتيه **أكثر من ٣٠٪ من الناس**، وبعض أنواع هذا السلوك يأتيه أكثر من ٦٠٪ منهم، وأحيانا تتجاوز النسبة إلى ٧٥٪ (Kinsey).

ويُعرَف **إنعاظ الذكر** بانتصابه وانتفاخ قضيبه وتزايد الضراب وقذفه للسائل المنوى، ثم يرتخى القضيب ويقل عزمه ويظهر على الشخص الإعياء أو يبدو عليه أنه قد ارتاح، وقد يغفو، ولكن الأمور تتعقد مع **المرأة** كثيرا، ومع أنها مع شدة الشهوة ينتفخ بظرها وتزيد به الحساسية الجنسية، إلا أن التحليليين يذهبون إلى أن الشهوة البظرية أو **الإنعاظ البظرى clitoral o.** الذى تأتيه المرأة بإشباق البظر وحده دون المهبل، أى دون الإيلاج فى المهبل، دليل عُنّة جنسية أو برود جنسى، وعَرَض من أعراض عدم النضج الجنسى والتثبيت على مرحلة حسد القضيب، فعندما تنتاب البنت الحسرة على أنها لاتملك قضيبا يملكه الأولاد فإنها تولى اهتمامها لبظرها وتحسد الأولاد على قضيبهم، وتنظر إلى بظرها كقضيب وتعامله كقضيب وإن يكن مبتورا، ولايتخلى عنها حسد القضيب أو اهتمامها ببظرها إلا عندما تبلغ مبلغ النساء، ويكون لها رجلها ويتحقق لها به امتلاك القضيب الذى كانت تتمناه وإن يكن امتلاكا غير مباشر، وحينئذ يتحول اهتمامها عن بظرها إلى المهبل

مكان إيلاج هذا القضيب وتشحنه بالشهوة. ويقول **التحليليون** إن المرأة إذا تم لها ذلك تكون قد عرفت نفسها كأنثى ووعت دورها، ومن ثم تستطيع أن تستمتع بأكبر قدر من الإشباع الجنسي **بالإنعاظ المهبلي**، ومكانه ثلث المهبل الخارجي، ويعتبرون هذا الجزء من المهبل **موضع الإنعاظ** orgasmic platform، وتظهر به شواهد الهياج بالتقلص والتقبّض في **الطور القمي** plateau phase من أطوار الاستجابة الجنسية، وهو الطور الذي يحدث به النعوظ أو ينهيه الإنعاظ، وبعد ذلك ترتخي عضلات المرأة بعد نحو **الربع** ساعة، وقد تصيبها من النعوظ غشية يسمونها **غشية النعوظ** orgasmolepsy تفقد فيها وعيها من جرّاء التوتر العضلي الشديد الذي يرافق هزّة الجماع.

ويذهب كثيرون إلى أن **الإنعاظ بظرى** أساساً، وأنه ليس مهبليا، وأن البظر يمكن أن يُكتفى به لبلوغ الإنعاظ، وأن الحساسية الشهوية به قد تبلغ ٨٥٪ من الحساسية الشهوية للمرأة، وأن المهبل تتأتى حساسيته للجماع من خلال اتصاله بالبظر عن طريق الشفرين، وأن بعض النساء لذلك **بظريات**، أي لايطلبن الجماع وإنما دلك البظر، وردّنا على ذلك أنه لو كان البظر إداة شهوة المرأة على الحقيقة لما كان جهازها التناسلي الذي هو أصل العملية الجنسية كلها، وهو جهاز مهمته القيام بالجماع واستقبال المنى وتلقيح البويضة ليكون الحمل والإنجاب، الأمر الذي يدل على أن التكوين الجنسي للمرأة لايمكن إلا أن يخدم هذه الغاية وهى **الإنجاب**، والرأى عندنا أن البظر يخدم الرغبة الجنسية والإسراع بالإنعاظ، ولكن الشبق لايمكن إلا أن يكون مهبليا، ودليلنا على ذلك أن إناث الحيوانات ليس لها بظر وشهوتها شهوة مهبلية، وللمهبل عندها تقبضات شديدة عند الشهوة والضراب والاشتياق. وأما أن يغلب على المرأة أن تكون شهوتها بظرية، فذلك كما تكون شهوة الرجل في دبره، وهذا هو **الشذوذ**. ولهذا السبب فإن النساء البظريات لايطلبن الجماع، وإنما يطلبن **السحاق ولعق البظر**، وقد يكتفين **بالاستمناء باليد**.

وعندما **لاينعظ الذكر** فمعنى ذلك أنه إما لم ينتصب، أو أنه انتصب ثم ارتخى، أو انتصب ولم يقذف. **والفشل في القذف أو القذف المعوق** وهو الذي لايتحقق داخل المهبل هو **عجز عن الإنعاظ** orgasmus deficiens يبتلى به بعض الذكور لسبب أو لآخر، وأغلب مايكون ذلك لعوامل نفسية. **واضطرابات الإنعاظ** عند الذكور يشار إليها باعتبارها **اضطرابات انتصاب أو اضطرابات قذف (أنظر العنة والقذف)**، ولايقال اضطرابات الإنعاظ

إلا على القصور أو سوء **الوظيفة الإنعاظية** orgasmic dysfunction عند الإناث، وهو سوء وظيفة أو قصور **أولى** لاتخبر المرأة المصابة به الإنعاظ أبداً، **وثانوى** أو مؤقت بمعنى أنه يرتبط بمواقف معينة فتخبره المرأة بين الحين والآخر وفى مواقف معينة لها ضغوطها النفسية ذات التأثير عليها، ومن ذلك أن لاتنعظ المرأة بالجماع الصحيح فى حين تنعظ بتدليك بظرها، أى أن يكون إنعاظها إنعاظاً بظريا وليس إنعاظاً مهبليا. وقيل إنه من بين كل **خمس نساء** تجد الإنعاظ **اثنتان فقط**، وقيل إن نحو **٣٦٪** من النساء يجهلنه وينكرنه، ويبدو أن لذلك علاقة **بالكبت والقمع** اللذين تنشأ عليهما البنات ويرتبطان بالتربية الدينية، ومن ثم كان **العجز عن الإنعاظ نفسى المنشأ غالباً**، وربما **سببه** أن يقذف الزوج مبكراً فلا تتهيأ الفرصة للمرأة أن تشبق، وتشعر أنها استُخدمت أداة لإشباع رغباته دون رغباتها، أو قد يرجع إلى سوء معاملته أو إهماله أو لكثرة الخلافات بينهما، مما يؤثر على استجابة المرأة الجنسية وينتقص من رغباتها. وقد تُصدَم مشاعرها باكتشاف خيانة زوجها، أو قد تعانى المرأة من حادثة اغتصاب وتتأثر بالصدمة. وقد يكون عجزها عن الإنعاظ نتيجة مرض تتهافت به صحتها، أو بتأثير التعب الشديد أو إدمان الخمر أو أى من العقاقير المهبطة، أو لشعورها بالاكتئاب. وكثيراً مايكون العجز عن الإنعاظ مصدره نقص فى الهرمونات، وفى مثل هذه الحالات لايفيد العلاج بالإستروجين، إلا فى الحالات الشديدة من قلة الإفرازات التناسلية فيترتب العجز عن الإنعاظ على اضطرابات المبايض.

ويقوم **العلاج النفسى** على تبصير المرأة وزوجها بحالتها وترشيدهما، وعلاج الزوج من القذف المبكر إن وجد، وإعادة تثقيفهما جنسياً، وتحليل مشاعر الذنب أو الصراعات التى يمكن أن تكون لديهما وتفسيرها فى ضوء المواقف الحالية من حياتهما. ويفيد كثيراً أن يتدرب الزوجان على أن لايولج الرجل حتى تتهيأ المرأة بالمداعبة بمختلف وسائلها، وعلى المرأة أن تحيط زوجها بما يدخل السرور قلبها، وقد يكون على الرجل أن يكتشف زوجته وأن يثيرها من المناطق الشهوية عندها ليتبين أى هذه المناطق تتهيج منها، وقد يحاول تنبيه البظر بالدلك حتى إذا زاد هياجها أولج، والأفضل أن تعلوه كى تصل بحركة الجماع إلى مواطن شهوتها، وقد يستمر هو أثناء ذلك فى دلك بظرها، فإذا لمس شدة ضرابها وعنف إيقاعات الجماع عندها، وأتت بالحركة والصوت مايدل على قرب إنعاظها، فعندئذ قد يكّف عن دلك البظر ويتولى هو الحركة، وقد يعلوها ويكمل الجماع إلى نهايته.

✱ ✱ ✱

القــذف Ejaculation

يخبر الولد القذف على أبواب النضج الجنسى، والقذف هو **الإمناء**، فعندما يبلغ الولد فإنه يُمنيِ، ويكون إمناؤه قذفا أو رميا بقوة تدفعه اختلاجات الإنعاظ أو الإشباق. وقد يتحقق النعوظ دون قذف فى السن السابق على البلوغ، وقد يحدث كذلك عند البالغين المصابين بعُنّة القذف، وعند البالغين الذين يتعمدون عدم القذف فى الجماع المُرجأ أو مايقال له **العزل**، ولكن من غير الممكن أن يحدث القذف دون إشباق، وإن كان بعض العلماء يقولون بغير ذلك ويذهبون إلى إمكان القذف دون إشباق، إلا أن **الطبيعة البيولوجية** للقذف تجعل ذلك من المستحيل، ولايكون الإمناء قذفا كما هو اسمه إلا إذا صحبته اختلاجات الإشباق ودفعت إليه، فإذا كان الإمناء أحيانا دون قذف فهو ليس عن إشباق، وهو فى هذه الحالة **إنزال** كما فى حالات **الإمذاء البروتستاتى**، وهو استثناء لايقاس عليه وليس بجماع أو لايصدر فى جماع، وهو إنزل أو دفق لا لذة فيه وليس بقذف على الإطلاق.

ولايبدأ الولد يخبر القذف إلا فى السن بين **الحادية عشرة والرابعة عشرة**، وفى هذه السن يظهر شَعْر عانته ويجرب لأول مرة أن يقذف، وأكثر مايكون ذلك بين **الثالثة عشرة والرابعة عشرة**، أو بين **الرابعة عشرة والخامسة عشرة**. وقد يحدث أن يجربه فى سن يسبق كل هذه السنين جميعها بكثير. وهناك أولاد يخبرونه فى **الثامنة**، وبعضهم يخبره فى **السادسة**، والغالبية منهم يخبرونه فى سن **تتوسط** كل ماسبق أى فى نحو **الثالثة عشرة**. ويختلف الأولاد فيما بينهم بحسب **الظروف الغذائية** عند كل منهم، والبنية الصحية، والطبقة الاجتماعية التى ينتمون إليها، ومايكون لهم من تجارب ومشاهدات جنسية، والتعليم الذى يتلقونه والقذف من مراحل الجماع، وهو **المرحلة قبل الأخيرة** منه والتى تسبق الارتخاء، ويتسبب فيه اختلاجات عضلية تشمل **البروتستاتا والحويصلات المنوية والإحليل**، وهى اختلاجات منتظمة قد تكون **أربع** اختلاجات أو تزيد إلى **الخمس**، بين الواحدة والأخرى نحو ٨و٠ من الثانية، ويرافقها اختلاجات أخرى إرادية ولا إرادية تشمل عضلات الجسم كله، وتُشَد عضلات الوجه، وتختلج اليدان والقدمان، ويشعر المرء كما لو كانت نفسه تُنتَزع منه انتزاعا، أو كما لو كان يُشَقّ إلى نصفين. والقذف يكون **أشد ما يكون** عند الرجل فى سن **الثامنة عشرة**، وفى هذه السن أو نحوها يكون انتصابه فى أقوى حالاته، وبعد ذلك يقل

الانتصاب. وهو فى سن الثامنة عشرة قد يستطيع أن يُمنيِ فى اليوم الواحد **لثمانى** مرات، فإذا كان فى **الثلاثين** فإن انتصابه وقذفه يتدنَّى إلى **المرتين فى الأسبوع** ثم إلى **المرة** فى نحو **الخمسين**. و"**القذف التلقائى** spontaneous e." هو الإمناء بدون اتصال جنسى، ويعانى منه الأولاد فى بداية البلوغ، وهو من مصادر الخبرة الجنسية الأولى لهم، ولربما يُمنى الولد نتيجة إطالة الجلوس أثناء القراءة، أو للإجهاد فى الرياضة، وقد يمنى وهو يبول أو وهو يُخرِج. وقد تستحثه إليه انفعالات جنسية تفجرها فيه مشاهدة أحد الأفلام الجنسية، أو مطالعة الحيوانات وهى تتسافد، أو التنظُّر إلى رجل وامرأة يتعانقان أو يتجامعان، أو التجسس على العاريات. وقد يُمنى بالتفكير أو التخيل الجنسيين، أو لمجرد معاناة انفعالات قوية كالخوف ليلا. وعندما يخبر القذف تلقائيا للمرة الأولى فإن ذلك قد يحفزه لأن يحاول هُو بنفسه أن يستحدث القذف ويتعمد أن يأتيه ثم يحاول أن يكرر ذلك كل مدة، أو قد يمارسه يوميا فيما يسمى **بالعادة السرية**.

و"**القذف الليلى** nocturnal emission" هو الاحتلام، ومعناه أن يحلم الصبى أحلاما معينة يخرج بتأثيرها السائل المنوى منه. وربما يحلم الشخص أحلاما جنسية يقذف بسببها، لأنه فى اليقظة إنسان صارم مع نفسه فى مسائل الجنس، فإذا نام فإنه يتحلل من الضوابط ولايكون للنواهى والزواجر تأثير عليه، فيحلم بما يريد ويشتهى، ويفعل مايحرمه على نفسه فى اليقظة. وقد يحتلم الشخص **كل عدة ليال**، ويختلف ذلك من فرد لآخر ولربما يحتلم **المتزوج**، والغالب أن المحتلم يكون عزبا. والمتزوج كالعزب قد تكون له رغبات محرَّمة، وقد يكبتها، وقد يعيش الحرمان ويعانيه على شكل من الإشكال.

وأكثر ماتكون **أول** خبرة بالقذف الليلى فى **سن الرابعة عشرة**، وتزيد نسبة الذين يأتونه من المتعلمين وأبناء الطبقات العليا، وتقل هذه النسبة عند غير المتعلمين والناس العاديين الذين تستهلكهم مطالب الحياة اليومية. وإذا كان هناك **شخص واحد من طبقة العمال** مثلا يمكن أن يحتلم فإن فى المقابل هناك **سبعة أشخاص من أبناء الموسرين** يأتون الاحتلام بشكل عادى، فالراحة البدنية والنفسية ونوع الغذاء والإثارات الجنسية فى البيئة لها تأثيراتها التى لاشك فيها على الاحتلام. وتزيد النسبة بين **المتدينين** إلى أكثر من ذلك، **والاحتلام** عند المتدين هو المنصرف الجنسى الوحيد، فهو لايسمح لنفسه أن يأتى العادة السرية وليست له اتصالات جنسية بالجنس الآخر. وفى حياة كالحياة العصرية من الصعب

على المتدين أن ينأى بنفسه عن مشاهدة وسماع الجنس الآخر، والأفلام والأغانى والحكايات التى تتردد عن الجنس، والمعروف عن **الأحلام** أنها غالبا محصلة الخبرات اليومية، والمتنفس الذى من خلاله يستطيع أى شخص أن يصرف طاقته من أى نوع وخاصة الطاقة الجنسية.

وتتباين **سرعة القذف** عند الأولاد تباينها عند البالغين، وقد يستغرق البعض نحواً من **العشر ثوان** لكى يقذف، وبعضهم قد يبلغ **العشرين دقيقة**. وقد يستطيع بعضهم أن ينتصب على التوالى، ومن ثم فقد يستطيع أن **يكرر** القذف فى الفترة الواحدة، وقد يمر بين القذف الأول والثانى نحو **العشر دقائق**، وقد يتطلب ذلك أكثر من **نصف الساعة**.

والقذف قد يضطرب، شأنه شأن العمليات الفسيولوجية أو البيولوجية الأخرى. واضطرابات القذف منها **القذف المبكر والقذف المعوق**.

و"**القذف المبكر** premature ejaculation" هو الذى يأتيه الرجل قبل أن يولج، أو مع الولوج، أو بعده خلال الثلاثين أو الستين ثانية التالية على الولوج، فإذا استطاع أن يؤجل قذفه أكثر من ذلك فهو إنسان عادى. وقيل إن **القذف المبكر** هو الذى يحدث فيه الإشباق والإمناء قبل أن يريدهما الرجل، وكان العرب يطلقون اسم **الزملق** (بضم الزاى وفتح وتشديد الميم وكسر اللام) على الرجل الذى يقضى شهوته قبل أن يفضى إلى امرأته، وعند أهل الطب النفسى هو الرجل الذى يأتى ذلك فى ٥٠٪ من مضاجعاته لامرأته.

ويرجع القذف المبكر على الأرجح إلى **القلق النفسى** الذى قد يعانى منه الرجل كلما هَمّ بالجماع. ولربما يخيف الرجل التفكير فى الجماع لأنه كزوج لايريد الحمل، أو كعشيق لايريد الافتضاح. وقد يتأتى قلقه من قلة خبرته الجنسية، ولربما يدفع إلى القذف المبكر مشاعر بالذنب لأى سبب من الإسباب، ولربما تكون ثقافة الرجل الجنسية هى المسئولة عن توتره وقلقه، وقد يرجع قلقه أو توتره أو خوفه أو غير ذلك من الانفعالات المعوقة لفعل أو قول يصدر عن المرأة فيزيد به هياجه أو توتره، ويضطرم بالانفعالات التى من شأنها أن يعجز عن السيطرة على تصرفاته، وقد يتضايق ويُصدَم فى مشاعره، وقد يحس أنه أهين أو أنه يفقد احترامه لنفسه. وربما لاتكون المرأة راغبة فى الجماع وتخضع مضطرة فتتعجله، أو تكون من النوع الذى يخشاه لأنه يحترمها أكثر من اللازم، أو يرى فيها شبها بأمه، وقد تكون خشيته منها لأنها مستبدة، وتنتقص تصرفاتها من رجولته، والنتيجة أنه قد

يأتى الجماع على مضض. وعلى أى الأحوال فإن للمرأة دوراً خطيرا، سواء فى أن يصاب الرجل بالقذف المبكر، أو فى علاجه من هذه الحالة. وأفضل أنواع **العلاج** مايشترك فيه الزوجان ويتعاونان عليه. ويقوم العلاج على أساس أن القلق هو مصدر هذه الاستجابة، ومن ثم فقد يفيد تدريب المريض على أن يصرف فكره خلال الجماع إلى مسائل غير جنسية، أو يشغل نفسه بالضغط مثلا على عضلة شرجه، أو بالعد تنازليا، أو يقلل من حساسية قضيبه بدهن حشفته بالمراهم المخدرة، أو بوضع "القراب condom"، أو يطامن من قلقه بتعاطى المخدرات. وقد يدّرب نفسه على أن يأخذ نفسا عميقا ثم يحبسه. والأفضل أن يُعالَج المريض علاجا نفسياً يستبصر به حقيقة قلقه وصراعاته ورغباته الجنسية المحرّمة، اللاشعورية والشعورية التى قد تكون السبب الأصلى، أو قد يعالج الشخص على أساس أن قلقه مصدره خوف لاشعورى من النساء، وكراهية دفينة لهن، تعبر عن نفسها بأن يقذف بسرعة، ربما انتقاما من المرأة بأن يحرمها الارتواء، وكأنه يستخدمها كمرحاض جنسى يبول فيها منّيه ويقضى حاجته البيولوجية.

وقد يّدرَّب الرجل على أن يطيل **المداعبة** حتى ينتصب، فيضطجع على ظهره وتدلك امرأته قضيبه حتى يقارب القذف فتمتنع، ثم تستأنف من جديد لعدة مرات على فترات، ثم يبدأ التدريب بأن يدخل الرجل قضيبه وهو أسفل امرأته، وتقوم هى بالحركة، وكلما قارب على الإمناء تمتنع حركتها، وتسمى هذه الطريقة لذلك باسم "**طريقة التوقف والبدء** stop-start technique"، والمرأة فيها تستمر على المنوال السابق إلى أن تنعظ، فإذا نجحت محاولات الزوجين، وهى غالبا تنجح فى ٩٨٪ من الحالات، فإن الرجل يبدأ فى أن يجرب أن يعلو المرأة، ويقوم بما كانت تقوم به وعلى منوالها إلى أن يبلغ الغاية من الجماع. وهناك **طريقة أخرى** يتشارك فيها الزوجان أيضا، ولها نتائج أفضل من الطريقة الأولى، ويسميها العلماء الذين يقولون بها (Matsers and Johnson) "**طريقة الضغط** squeeze technique". والزوج فيها يخرج قضيبه كلما أحس أنه سيمنى، وتسرع زوجته فتمسك بحشفته وتضغط عليها نحو ١٥ ثانية ضغطا خفيفا، وقيل إن هذا الضغط يقلل من هياج الرجل ويطامن من توترة وقلقه.

و"**القذف المعوّق** retarded or inhibited e." هو الذى يشق فيه على الرجل أن يُمنى بالجماع، وقد يعجز عن الإمناء بالكلية، ويطلق عليه اسم "**عجز القذف** ejacu-

"latio deficiens"، وهو أوّلى إذا كان قد عانى منه طوال حياته، وثانوى إذا كان قد أصيب به حديثا لسبب أو لآخر.

والقذف المعوق وعجز القذف كلاهما نادر ولايتعدى عدد المصابين بأيهما عن ٣٪ من مجموع المرضى باضطرابات القدرة الجنسية (**أنظر العجز الجنسى**). وقد تدفع إلى القذف المعوق **خوافات دينية أو خوافات من الحمل**، وربما **خوافات من القذارة** باعتبار المَنيّ نجسا يلحق المرأة أو يضرها، أو باعتبار المهبل مكانا نجسا يؤذى الرجل، وقد يخشى الرجل المهبل وتأتيه تهيؤات أن المرأة ربما تقمط على قضيبه وتقضمه قضما، وغالبا مايكون أمثال هذا الرجل من النوع المريض بالمخاوف (**الفوبيا**)، أو يكون له نمط الشخصية الموسوسة، فيخاف الإشباق لما يسببه له من اضطراب انفعالى خلاله ومن بعده، وربما يقوم بناؤه النفسى على اعتبار أنه آمن طالما أنه يحتفظ بما يخصه، وإحساسه بالأمن والأمان يضطرب كلما يُمنيِ لأنه بالإمناء يفقد جزءاً من نفسه أو يبذل بعض نفسه.

وقد يعجز الرجل عن القذف برغم إتيانه الجماع بالنظر إلى اضطراب العلاقات بينه وبين زوجته، وعجزه يكون من **النوع الثانوى** أى الطارئ، فقد تضغط عليه زوجته كى تحمل ويكون هو من الرافضين للفكرة شعوريا أو لاشعوريا. وقد يكون عجزهُ نوعا من الرفض غير المباشر لمطالب لها أو التزامات تلزمه بها ويخشى مغبتها. وربما يصاب بالعجز عن القذف لاعتبارات تتعلق بالشرف أو بالحب أو بالقيم الجمالية. وقد تكون لهذا العجز أسباب عضوية تمنعه أن ينعصب جنسيا كما فى حالات التكهف النخاعى أو القطع السمبتاوى أو الشلل الباركسونى، أو تناول عقاقير ذات تأثير خافض على إفراز الأدرينالين كبعض أدوية علاج الضغط المرتفع.

ويحتاج **العجز الأوّلى عن القذف** لعلاج نفسى طويل الأمد، يتناول اضطرابات الشخصية وصراعاتها العميقة بالتحليل والتفسير، فإذا كان **العجز ثانويا** بسبب موقف ضاغط فإن العلاج يقتصر على مساعدة المريض على تجاوز ظروفه، ومن ذلك أن يقوم المعالج بعمل لقاءات معه ومع الزوجة، وقد يحتاج الأمر أن يدرّب الزوجان على المداعبة، وقد يقتضى ذلك أن تقوم الزوجة بتدليك قضيب زوجها حتى يقارب على الإمناء، وتهئ لزوجها فى الحال أن يدخل قضيبه فى فرجها ليكمل الجماع ويمنى فى المهبل، ويتكرر ذلك منهما على فترات، ثم يجرّب الزوج مضاجعتها بشكل عادى. ويغلب أن تنجح هذه الطريقة فى ٨٣٪ من الحالات (**أنظر الجماع**).

الفصل الأربعون

انماط من التعشق الجنسى

-١-

التعشق الجنسى Androphilia

يكون **التعشّق الجنسى للنساء** female androphilia، فيهوىَ الرجل أن يجلس إلى النساء ويستمع إلى أحاديثهن، ويشبعه ذلك جنسيا، أو أنه يمهد للجنس عنده. وكذلك يكون **التعشق الجنسى للرجال** male androphilia، بمعنى أن المرأة قد تتعشق الرجال وتحب محضرهم، وتستثار جنسيا فى حضورهم. وقد يكون التعشق الجنسى للنساء من امرأة للنساء، كما يكون التعشق الجنسى للرجال من رجل للرجال، وكان **أفلاطون** فى **المأدبة** يحب ويتعشق الرجال، ويرى فى هذاالحب تسامياً عن الحب الجنسى للنساء، وكذلك الشاعر الأمريكى **والت هويتمان**.

وقد يكون التعشق من الرجل **للرجال والنساء معا**، فهو يهوىَ أن تكون له علاقات جنسية بالجنسين، وكذلك قد تهوى المرأة العلاقات الجنسية المثلية والغيرية معا، وذلك هو **التعشق للجنسين** androgynophilia، ويرادف **ازدواج الجنسية** bisexuality **(أنظر الجنسية المثلية والغيرية والثنائية الجنسية)**.

✹ ✹ ✹

-٢-

غلمة الصور Iconolagnia

للصور غُلمة أو لذة شبقية يتحصلها البعض بتأملها، وتستحثها الغلمة التى تزيد بالبعض من مجرد مطالعة الجمال، **والمطالعة أو التطلع** عموما غُلمة قد تتدنّى بالبعض فتكون شهوة **للتطلع الجنسى**، وقد ترتقى فتصبح **شهوة للتفحص** inspectionism **ولذة استطلاع** هى أساس تحصيل المعارف والعلوم بشكل عام.

واقتناء الصور للِّذة المتحصلة من الاقتناء أمر شائع، وربما كان أصل هذه اللذة هو ما يحققه تجميعها، حيث أن جمع الأشياء قد يكون تعشقا له مردوده الشبقى. وقد يدفع البعض ملايين الجنيهات نظير اقتناء صورة، وتقام المعارض سنويا لإشباع **غريزة التجميع**

وشهوة **التطلع إلى الصور**، وتجرى المزادات عليها حتى لأصبحت تجارة. وتنشئ الحكومات المعارض الفنية السنوية تتملق هذه **الغريزة** فينا جميعا، لترقية الذوق العام وتأصيل محبة الفنون عند الناس.

وغُلمة الصور تكون سلبية كما تكون إيجابية، **والسلبية** هى التى يأتيها المحبون للفنون من حيث مطالعة الصور واقتناؤها، وأما **الإيجابية** فهى التى تكون بالفنانين شهوة للرسم ولعرض الصور على الناس.

وربما تتخصص غُلمة الصور فى موضوعات دون غيرها، فالبعض قد تتأتى غلمته من **مطالعة صور الأجسام العارية**، وهؤلاء بهم رغبة التعرى إلا أنهم يجعلونها رغبة فى تعرى أو تعرية الآخرين دون أنفسهم. والبعض قد تكون غلمته فى **مشاهدة صور الطبيعة**، فيستشعر الراحة، وتعطيه المساحات والأشجار والسعة فى الخضرة إحساسا بالتكامل، وربما يكون لديهم حب للطبيعة يجعلهم يطلبونها، حتى لو كانت فى الصورة، لافتقادهم الأصل. وميزة الفن أنه عندما يعوزنا الأصل نكتفى بالصورة **ونشحنها جنسيا**، بحيث تعطينا مطالعتها نفس المشاعر أو الإشباع الذى تعطينا إياه مطالعة الأصل.

* * *

- ٣ -

تعشّق الصور الجنسية Pictophilia

يميل الذكور إلى مطالعة صور النساء وخصوصا الصور العارية أو الفاضحة، وللذكور **أكثر** من الإناث **تخيلاتهم وتصوراتهم الجنسية** التى تستثيرهم، حتى ليمكن أن يُمنى المراهق من مجرد التخيّل.وتعشّق الصور يكون **أكثر فى المراهقة**، وقد يتعشق الصور **الرجل كبير السن** الذى يراهق فكريا. وتعشق الصور يقوم على **التطلّع الجنسى**، والمتعشّق للصور يمتاز بأن **عينيه حساستان** أكثر منهما عند غيره، وحساسيتهما جنسية، بمعنى أن الموضوعات الجنسية التى تقع عليها عيناه يتحصل له منها الهياج عن طريق العينين، وكأن العينين بهما فرط **حساسيةجنسية**.



- ٤ -

تعشّق الحكايات الجنسية Narratophilia

هى الحالة التى يكون عليها الشخص الذى يهيّجة سماع **قصص وروايات الجنس**،

ويستجيب لها وينتصب، ويستزيد المتحدث منها، ويجد متعة جنسية كبيرة فى ذلك. وقيل المتعشّق للحكايات **أذناه** تعتبَران من المناطق الشهوية التى يزيد بها أو يتركز الإشباق الجنسى، مثل العينين عند متعشّق الصور أو المريض بالتطلّع الجنسى. والتعشّق للحكايات منه **الإيجابى والسلبى**، والسلبى هو أن **تسمع** وتهوى القصص الجنسى، وأن **تقال** لك النكت الجنسية، والإيجابى هو أن تحب أن **تلغو** بالقصص الجنسى وتُسمِعها لغيرك.

***

- ٥ -

تعشّق الصغار Pedophilia

كثيرا مايُضبَط أشخاص بالغون وهم يحاولون **غواية الأولاد الصغار**، سواء كان هؤلاء الأولاد من البنات أو الصبية، وقد يحاول الكبير أن يجامع الولد أو البنت، وقد يحدث الجماع فعلا، وإذا حدث فهو يجامع الولد فى الدُبُر كما يفعل **اللوطى**، ويجامع البنت فى الفرج. ورغم أنه يجامع الأولاد من الصبية فى الدبر إلا أن **مجامع الأولاد أو متعشقهم** pedophile لايعتبر لوطيا، وليس الانحراف الذى يشكو منه هو **اللواط**، لأن اللواط شذوذ جنسى مِثْلى، بمعنى أن الرجل يجامع الرجل مثله فى الدُبُر، والمرأة تساحق المرأة، وأما مجامع الأولاد فهو لايطلب الأولاد لأنهم ذكور مثله، فقد يجامع البنات أو الصبية على حسب ماتهيؤه له ظروفه، وليست به ميول جنسية مثلية، وإلا لما سعى إلى أن يجامع البنات الصغيرات أيضا، ولما كان جماعه لهن فى الفرج. **وجماع الصغار** إذن انحراف مختلف، ويمكن أن يكون بالرجل وبالمرأة أيضا، وهناك نساء كثيرات قد يحاولن غواية الصبية من الذكور أو من الإناث، وأكثر ما تتوجه محاولات الزجل فى بيئاتنا للصبية الذكور، لسهولة اللقاء بالصبية الذكور عن البنات الصغيرات، ولذلك تروج هذه الممارسات بين **بيئات العمال**، حيث يكثر استخدام الصبية فى ورش إصلاح السيارات والنجارة ومحلات البقالة، ويختلطون بأولاد أكبر منهم فى سن المراهقة، كانوا هم أيضا وفى يوم من الأيام ضحايا للعدوان الجنسى لمن هم أكبر منهم. وكثيراً ما يعتدى المدرسون فى المدارس الابتدائية على الأولاد الصغار جنسيا. وتتحدث الكثير من روايات "**إحسان عبد القدوس**" عن غواية المدرسات للصبية الذكور. ويميز بعض علماء النفس بين **جماع الصغار** عموما وبين **جماع الأولاد** الذى يكون **بين البالغ الذكر والطفل الذكر**، ويسمون الأخير pederasty بمعنى

جماع الأطفال الذكران دون الأطفال الإناث، حيث أن جماع الذكران يكون بالإيلاج فى الدُبُر كما فى اللواط. **والمتعشّق للأولاد**pederastic أو كما يسميه العامة «**بتاع العيال**»، يختار لممارساته الجنسية أطفالاً بين سن **الرابعة والعاشرة** غالبا. وقد يكتفى متعشّق الصغار بأن يقبّل البنت أو الولد، وقد يقتصر شذوذه على الربْت على شعر البنت أو الولد، أو تمتد يده إلى أكثر من ذلك من أجزاء الجسم، كصدر البنت أو فخذها أو مؤخرتها، أو كصدر الولد أو فخذه أو مؤخرته. وقد يزيد فيحاول الجماع أو ينجح فى القيام به فعلا، وربما يطلب من الصغير الذى قد يطيعه أن يمسك قضيبه بيده الصغيرة ويمررها عليه فى محاولات كالتدليك عند الاستمناء، وقد يُغرى الطفل أن يستمر فى ذلك إلى أن يُمنى فعلا.

وجماع الصغار أو تعشّقهم **يُمارَس فى كل الطبقات**، وفى الريف والمدن، غير أنه أكثر مايكون فى التجمّعات التى تضم بالغين وصغاراً بدون رقابة، فمثلا حالة **مدرس ألعاب** كان معينا أيضا كمشرف على الداخلية فى مدرسة تجمع بين تلاميذ الابتدائى والمتوسط، فكان يوميا يأتى الصبية، وكان اختياره للأولاد الضعاف البنية الذين يعانون من الخجل الشديد ويسلكون كالبنات. وحالة **مورد عمال** من الصبية والصبيات فى الريف فى مواسم جمع القطن، فكان يغوى البنات فى نحو العاشرة ويعتدى عليهن بالجماع أو الدقر أو التقبيل أو التحسيس. وتتباين **أعمار** المتعشقين للصغار وتختلف **ثقافاتهم وظروفهم** الاجتماعية، ومعظمهم من **المتزوجين** أو **كانوا متزوجين**، وكثير منهم لهم أولاد، وأغلب الراغبين منهم فى البنات دون العاشرة من الكبار بحيث قد يتعدى عمر الرجل **سن الخمسين**، بينما أغلب الذين يطلبون منهم البنات المراهقات أى فى السن بين الثانية عشرة والخامسة عشرة من الرجال دون **الأربعين**.

ومتعشّق الصغار يمارس نشاطه غالبا على أطفال **الجيران والمعارف**، وأحيانا **الأهل والأقربين**، كأطفال الأخت والأخ أو الزوجة أو الأحفاد، بل وقد يعتدى على أولاده القصّر إذا كان سكرانا. وهناك حالة لأب من صغار الموظفين ماتت زوجته وكانت له ابنة فى العاشرة من عمرها، فكان يعود من الخمارة يوميا فيضاجعها إلى أن شكت الصغيرة لخالاتها فأبلغوا عنه الشرطة. وحالة أخرى لشاب فى نحو الخامسة والثلاثين كان يطلب من الكواء أن يرسل إليه الصبية ليأخذوا ملابسه لكى تُكوى، فكان يجامع الصبِية، حتى إذا تزوج ظل يمارس هذا السلوك إلى أن ضبطته زوجته.

والمتعشق للصغار لايمارس هذه العادة دائما ولكن على **فترات**، ويكتسب خبرة فى غواية الأطفال ومهارة فى التعامل معهم، وله وسائله الخاصة فى تهديدهم حتى لاتفضحه الضحية منهم، وقد لاينفضح أمره قبل سنوات طويلة يظل يعيث فيها فساداً لايدرى به أحد.

والمتعشق للصغار يبلغ فى المتوسط من **الثلاثين إلى الأربعين**، وكثيرا مايلجأ إلى **العنف** وهو يمارس انحرافه. وهذا الضرب العنيف من المنحرفين هوالذى يرتكب معظم الجرائم الجنسية. والعنف الذى يمارسه قد يكون **باللفظ**، وقد يتخذ شكل **الإيذاء البدنى**، وتقدر نسبة الحالات التى يلحق الضحية فيها أذى بدنى بنحو خُمس الحالات المبلّغ عنها، ويبلغ عدد البنات اللاتى يقسرن على الفعل الجنسى **ضعف** عدد الأولاد. والحالات التى لايبلغ عنها **أضعاف** الحالات التى يبلغ عنها. وهناك فارق بين **الاغتصاب** وبين التعدّى الجنسى على الصغار. **والمغتصب** بخلاف المتعشق للصغار، والاغتصاب قد يتوجه إلى النساء البالغات والبنات الصغيرات، وهناك اغتصاب أيضا لذكور من الأطفال والرجال، كحالة شاب فى السادسة عشرة أغواه رفاقه الأكبر سنا أن يذهب معهم فى نزهة، ثم أجبروه تحت التهديد بالمطاوى أن يخلع ملابسه وضاجعوه، إلا أن جماع الأولاد بخلاف ذلك، حيث أنه يتم فى الحالات العادية دون تهديد، وليس فيه إفراغ للعنف، بعكس الاغتصاب الذى يقوم على إشباع **الميول السادية** بالمغتصب، علاوة على أن المغتصب إنسان سيكوباتى أى معتل الشخصية، فى حين أن مجامع الصغار **يعانى من سوء توافق اجتماعى وبعض الاضطراب العقلى إذا كان شابا، وقد يصاحب ذلك أن يكون مدمنا للخمر أو المخدرات، وإذا كان كبير السن فالغالب أن يدفعه إلى هذا الفعل الجانح شعوره بالوحدة، وهو شعور قد تكون لعلاقته بالبنت الصغيرة أو الطفل راحة منه، وخاصة أن ضحاياه من بين معارفه من الأطفال**. فكم من الأعمام من الجيران أو المعارف من كبار السن يعتز بهم الأولاد الصغار ويحبون أن يلهوا معهم، والعم يشترى الحلوى للصغير، ويهش له باستمرار، ثم إذا بهذا العم وقد تواجد والصغير وحدهما فيغريه بشئ أو يفعل معه شيئا قد يعجب له الصغير أو يدهش، ولكنه يفعله إرضاء لهذا العم العزيز، وخاصة إذا كان الصغير سيناله قطعة حلوى فى نهاية الأمر. وعلى أى الأحوال فإن المغتصب ومجامع الصغار كلاهما يصدر عن **شعور حاد بالنقص الجنسى وعدم الكفاءة لمباشرة النساء**، وفى ذلك نفرق بين

مجامع الصغار **الشاب** ومجامع الصغار **كبير السن**، والأول شخص يخشى النساء ويخاف أن يُقابَل منهن بالصد، ويلجأ لذلك إلى إشباع رغباته الجنسية عن طريق الاعتداء على الأطفال جنسيا تجنباً للفشل المحتمل مع النساء. وهو غالبا إنسان عاجز عن إقامة علاقات سوية بينه وبين الناس من سِنّه، أو أن يجد دوراً فى مجتمعه يرضيه اجتماعيا ونفسيا، وغالبا ماتكون له شخصية فصامية أو شبه فصامية، أى أنه يتميز بالانطواء والخجل ويميل إلى العزلة ويستسلم للهواجس وأحلام اليقظة، ولذلك فهو لايعتبر سلوكه الجنسى مع الأطفال انحرافا، وقد يعتذر بأن الطفلة هى التى أغوته، أو أنه كان تحت تأثير المخدر أو الخمر فلم يعرف مايفعل أو أساء فهم الطفل. وقد يكون مخمورا أو مخدرا فعلاً وهو يرتكب فعلته، وتقلل الخمر والمخدر من سيطرته على ضوابطه الخلقية ومن تبصّره لما يفعل.

والمتعشق **كبير السن** أقرب إلى المذهونين، بمعنى أن غرائزه تسيطر عليه، ويعيش فى عالم خاص به، وتتسم شخصيته بعدم الاستقرار الانفعالى وعدم النضج من حيث التمييز بين الصغير وغير الصغير من الناحية الجنسية. وهو عُرضة لصراعات جنسية مثلية يشعر معها بأنه أقل شأنا وأحط قدرا مما ينبغى لمن هم فى مثل سنه، ويحاول باستمرار أن يتحاشى التورط فى علاقات جنسية مثلية مع من هم فى مثل سِنه، ويذهب إلى إشباع ميوله الجنسية المثلية بالإيقاع بالقُصّر من الصبية، لأن القاصر لن يفضحه ولن يستطيع الدفاع عن نفسه غالبا. وكثيرا مايصاحب انحراف التعشق عند كبير السن **مرض تصلّب شرايين المخ أو الشلل**، وهذا الضرب من المتعشقين للأولاد تنحل عنده الضوابط الخلقية، وكثيرا مايُلقَى القبض عليهم بتهمتَى الاستعراء والتعدّى الجنسى على الصغار. وماأكثر من يضبط منهم أمام مدارس الأطفال متلبسا بالاستعراء، ولكنهم عندما يتعدون على الصغار جنسيا فتعديهم من النوع **غير المؤذى بدنيا**، ولو أن الأذى النفسى يكون أبلغ دائما من الأذى البدنى، وقد يكون وراء الميل للتعشق **خوف من العُنّة** بالنظر إلى كبر سن الرجل، وربما كان السبب ميل الى **النكوص** بحيث يستحيل طفلاً فى سلوكه ويتعشق الأطفال. ويؤكد التاريخ الإكلينيكى للمريض بالتعشّق أنه كانت له فى طفولته تجارب جنسية كالأطفال الآخرين، ولكنه بخلافهم لم تكبر معه ممارساته الجنسية لتصير كممارسات البالغين، ولكنه ظل على ماكان عليه فى طفولته وتثبتت عنده هذه الممارسات، أو أنه صار ينكص إليها كلما لم يجد الإشباع فى الكِبَر، وربما كان سبب نكوصه شعوره بالخجل من

الجنس الآخر، أو إحساسه بأنه أعجز من أن يُرضيِ النساء، أو أن فرص الاتصال بالنساء لم تعد مواتية بالنظر إلى كِبَره فيلجأ إلى الأساليب المنحرفة ليشبع رغباته الجنسية، ومن شأن ذلك كله أن يتعزز به السلوك الجنسى غير الناضج الذى كان له بزملائه فى الطفولة.

ويتعرض الطفل الذى يبلّغ أهله عن الاعتداء الجنسى عليه للمساءلة والاستجواب والكشف الطبى، **ويتضاعف الأذى النفسى** الذى يلحق به باستعادته للتجربة الصادمة. ومن الضرورى تجنيبه لمواقف التحقيق ما أمكن. وقد يلجأ الطفل فى حال التحقيق معه إلى التهويل والافتراء أحيانا.

ومن أمتع الدراسات فى جماع الأطفال رواية **"المنتمى" لألبرتو مورافيا**، ولقد كان من أثر محاولة سائق الأسرة الاعتداء الجنسى على الولد أن لجأ الولد وهو الضحية إلى إطلاق الرصاص على السائق والهرب، ولكنه يظل طوال حياته يحاول الهرب من اعتقاد عنده بأنه شاذ، وإلا لما حاول أقرانه والسائق الاعتداء عليه جنسيا، واعتقاده هذا يغير من شخصيته تماما ويدفعه إلى السلوك كما يسلك الناس، ولقد تواجد فى مجتمع استبدادى فى ظل حكومة فاشيستية، فحاول أن يكون مثل الغالبية وانتمى للحزب الفاشى وصار فاشيا، وتزوج لكى يؤكد أنه غير شاذ، ولكنه ظل حتى وهو يكاد يتجاوز الأربعين مطمعاً من رجال أكبر منه يعانون من اللواطة وكانوا يحاولون غوايته.

والمتعشق للصغار قد يحكم عليه بالسجن، وقد يودع مصحة عقلية ليظل بها مدى العمر، وقد يخضع **للعلاج النفسى**، ولو أن العلاج النفسى لن يفيده، لأن المريض لاتكون لديه الدافعية كى يعالج، وبمجرد أن يبدأ الجانب الجدى من العلاج وتكثر طلبات المعالج يبدأ المريض فى التهرب وفى رفض العلاج.

وسجن المتعشق للصغار واجب لأنه يحول بينه وبين ارتكاب المزيد من التخريب الاجتماعى والنفسى، وخاصة أن ضحاياه من القُصّر والأطفال الذين لاحول لهم ولاقوة.

والاعتداء على الطفل جنسيا من جانب البالغ **تجربة انفعالية مدمرة بالنسبة للطفل** تترك لديه مشاعر عنيفة بالذنب وقلقاً هائلا، ويشعر بعدها بمزيج من الرعب والغضب، وإذا كان الطفل بنتا فقد تُعجَب بالمعتدى عليها، وتتولد لديها أخلاط من المشاعر تجاه الرجال والجنس، وينمو عندها الاستعداد للإصابة بالقلق والفوبيا والاضطرابات الوسواسية. وينبغى على **الآباء** أن يكونوا على وعى بآثار هذه التجربة الصادمة على نفسية الصغير، وأن يعملوا على حمايته من خوضها (**أنظر اللواط والاغتصاب والاستعراء**).

تعشق الصبايا أو الصبيان Ephebophilia

قد يحدث أن يهوى **الرجل الكبير فى السن أو المرأة الطاعنة** فتاة أو فتى يصغرهما بثلاثين أو أربعين سنة أو نحو ذلك، وذلك من باب **الحب المتصور paraphilia** ، الذى يصنع فيه المحب لمحبوبه صورة متوهمة ليست هى واقعه، ثم يقع فى حب الصورة، وينشأ ذلك نتيجة **تثبيت أوديبى** على مرحلة كان فيها أخاً أكبر لبنات، وكان يَكلَف برعايتهن، وكان يسلك معهن **سلوك الأب** فهو يرعاهن ويشرف عليهن؛ أو كانت له أم تصغر الأب كثيراً وتَثَبّت حبُه لها ونشأ به حتى طعن فى السن، فما يزال يأتى البنات على **صورة أمه**، وربما كان ذلك يرضى فيه نزعات أبوية قوية تتصرف على شكل تعلّق بالبنات الصغيرات، ولعله أيضا مظهراً من مظاهر **عقدة الأب أو عقدة جوكاستا** ، فجوكاستا رغم فارق السن بينها وبين ابنها تزوجته وأنجبت منه، والرغبات الشهوية للأمهات والآباء والأبناء تعمل عملها لاشعوريا ، وهى تُكبَت ولكنها ترشّد السلوك، والأب الذى يعانى من رغبات كهذه لبناته، أو الأم التى لها رغبات شهوية بأولادها الذكور، لاتظهر بأيهما آثار هذه الرغبات فى الشباب، حيث تكون لهما الإرادة القوية، ويكون الجهاز النفسى متماسكا يستطيع أن يخفى مايدور بالنفس من صراعات، فإذا كانت الشيخوخة فقد يظهر المخبوء نتيجة الضعف الذى يعترى البناء النفسى، وتتكشف عُقدَة المحارم عن الرغبات التى كانت تحتدم يوما ولاتجد المتنفس، وعندئذ يتصرف الشيخ أو العجوز بوحى من دوافعه. وربما يكون الرجل يعانى من ضعف جنسى أو عُنّة، يجد أنه لو كانت له علاقة جنسية بامرأة تقاربه فى السن فقد ينكشف أمره، فيعالج ذلك بغواية صغيرة يغريها بماله أو بمركزه الاجتماعى. وربما كان تعلّق المرأة العجوز بشاب نوعاً من النكوص إلى مرحلة ولّت من حياتها وترفض أن تعترف بواقعها، فتتعلق بأهداب الشباب بأن تكون لها علاقة بآخر يصغرها بعشرين أو ثلاثين سنة، وكثيراً مايحدث ذلك **لروائيين وشعراء وشخصيات سياسية كبيرة**، ونذكر منهم الفيلسوف **برتراند رسل، والكاتب توماس هاردى، والروائى ألبرتو مورافيا ، والشاعر ميلتون**. **(أنظر عقدة أوديب وتعشق العجائز)**



تعشق العجائز Gerophilia;Gerontophilia

يتثبّت بعض الأطفال فى **المرحلة الأوديبية** على محبة أحد الوالدين، فإذا كان هذا الأب أو الأم كبيراً فى السن بالنسبة للطفل نتيجة زواج متأخر، فإن هذا الحب قد يصبح عقدة يسميها علماء التحليل النفسى **بعقدة الجد** grandfather complex، وينمو الطفل متصوراً أن أباه أو أمه سيصغر حجما بينما هو (أى الطفل) يكبر، وتصوراته يشوبها الشبق، وهى تحقيق لرغبات جنسية محرّمة من نوع اشتهاء المحارم، فالطفل الذكر الذى تلده أمه وهى فى **الأربعين** قد ينشأ وبه تثبيت على حب النساء كبار السن ويتعشقهن. وكذلك البنت التى تولد بينما أبوها قد تجاوز الأربعين، فإذا أحبته وتثبّت بها هذا الحب فقد تطلب الرجال كأبيها كما وعته ذاكرتها، بشعره الأبيض، وبفارق السن الهائل بينهما، تحقيقا للرغبات الأوديبية القديمة والتى لم تتحقق وظلت بها تعتمل لاشعوريا وتهدى سلوكها الجنسى من بعد. ويطلق بعض العلماء على هذا النمط اسم **شبيه المحبة** para-philia، وهو حب متصور يتخيل فيه المحب حبيبه على صورة معينة ليست هى الواقع، ويتعشق الصورة ويتعامل معها وليس مع الواقع. وبالمثل فى **تعشق الصبايا أو الصبيان** ephebophilia فإن العجوز يهوى البنات الصغيرات، بينما المرأة قد تهوى الشبان، وذلك من غرائب السلوك الجنسى، ويفسره علماء النفس بأن الدافع إليه ارتكاب المحرّم أو المحظور، والمرتكب للفعل لايرتكبه مع الشريك العجوز باعتبار الحقيقة، ولكن باعتبار التصوّر لديه، وطالما أن هذا التعشق محرّم فهو يفعله، ويعطيه فعل المحرّمات لذة مضاعفة. ويبدو أن مرتكب المحرمات أو المحظورات من نوع البارافيليا أو شبيه المحبة يعانى من **ضعف جنسى**، أو به عُنّة تزول بمضاجعة الشريك فى الفعل، وفى حالة تعشق العجائز قد يقنع العجوز بأقل القليل من الفعل الجنسى فلا ينكشف أمر **المتعشق** paraphilic (أنظر **تعشق الصبايا وعقدة الجد**). ونذكر من ذلك حالة **موليير**، فقد كان يعشق امرأة أكبر من أمه، وكان يطلق عليها اسم «الأم la mère»، وكانت به عُنّة، وأيضا الكاتب الروائى **لورنس** صاحب روايتى «**أبناء وعشاق**» و«**النساء فى الحب**».

❋ ❋ ❋

تعشق الحيوانات Bestiality; Zoophilia

قد يولع بعض الناس من الجنسين بنوع من الحيوانات ويكون بهم دافع شهواني للربت عليها ومداعبتها، وفى هذا "**التعشق الشهواني للحيوانات zoophilia erotica**" تتحصل للشخص لذّة جنسية، وأما مواقعة الحيوانات فيقال لها "**الجنسية الحيوانية zooerastia**"، وهى ضرب من الشذوذ الجنسى يكون فى الإنسان ميلا جنسيا قويا للاتصال بالحيوان وإتيانه من دُبُره أو قُبُله. ويبدو أن هذا السلوك تعرفه **كل الحضارات**، ولهذا فقد نهت عنه الشرائع القديمة وجعلت عقوبته الموت، و**اليهودية** تحرّمه، والإسلام يحظره ويجرّمه. ويبدو أن **الحيوانات والطيور** فى الطبيعة لاتأتى هذا السلوك إلا نادرا، فكل جنس من الطيور، وكل صنف من الحيوانات لايهوىَ إلا شبيهه، وربما كان ذلك حتى يتكاثرو النوع وتستمر الحياة، وينسب العلماء للحيوانات **روائح خاصة** تنفثها وتستهوى بعضها البعض دون سائر الأنواع الأخرى، ولعل سبب ممارسته، سواء على المستوى الإنسانى أو الحيوانى، هو استيلاد أنواع أخرى غير نفس النوع، ولقد رصد العلماء حالات تزاوج بين أنواع مختلفة من الطيور أو الحيوانات، وكثيرا مايكون لذلك نتاج، إلا أنه غالبا يكون عقيما، فالبَغْل وهو نتاج نوع الحصان ونوع الحمار ليست له جنسية ولايُنتج، ولم تعرف حالة واحدة لنتاجٍ بين نوع الإنسان ونوع الحيوان. والاتصال بين الإنسان والحيوان نادر، ومن رأى الكثير من العلماء أنه لايمثل إلا نحو ١٪ فقط من كل أوجه التصريف الجنسى التى يمارسها الإنسان وتتحقق له بها بلوغ الهزة، ويكون ذلك غالبا فى الفترة الحرجة من **المراهقة** فى السن بين البلوغ وحتى العشرين، حيث تكون الشهوة حادة ويعوز المراهق تصريفها، وخاصة فى **الأرياف**، فلا المراهق يجد المناسبات الاجتماعية التى يمكن أن يكون له من خلالها اتصالات تغنيه عن اللجوء إلى هذه الطريقة الشاذة فى الإشباع الجنسى، ولا المجتمع القروى يسمح بهذه الاتصالات، بالإضافة إلى أن رؤية المراهق الكثيرة للحيوانات وهى تتسافد فى الأرياف تغريه بالنسج على منوالها وتقليدها. ولقد تبين للعالم **كينزى** أنه من بين كل ١٢ صبيا فى الأرياف، هناك **واحد** على الأقل قد واقع حيوانا ولو لمرة واحدة. وعلى العموم فإن الإنسان السوى قد يضطر إلى مواقعة حيوان، ولكنه غالبا لايفعل ذلك سوى **مرة أو مرتين** فى حياته كلها. ولقد تبين **لكينزى** أن الأولاد فى الريف قد لايبلغون إلا

وهذه الطريقة هى الوحيدة تقريباً المتاحة للتصريف، حتى أنه فى بعض المناطق قد يأتيها نحو ٦٥٪ من الأولاد، ومع تحصيل التعليم والإلمام بالحرام والحلال قد يقل الإقبال على مواقعة الحيوانات، ويروى **كينزى** أنه من ١٤٪ **إلى ١٦٪ من تلاميذ المدارس الثانوية فى الأقاليم** يمارسون هذه المواقعة، وهناك بعض الحالات تتراوح بين **مرة** فى العمر كله وبين **المواقعة اليومية** لمدة سنوات، وكانت هناك حالات لأولاد فى السن حتى ١٥ كانوا يمارسونها يوميا، وحالات لأولاد فى السن **دون العشرين** كانوا يمارسونها يوميا كذلك، وغالبا ماتبدأ هذه الممارسات قبل سن البلوغ. ونادرا مايفعل المتزوج ذلك. وتتجه كل الممارسات من هذا النوع إلى **كل الحيوانات المتاحة** فى البيت أو القرية، وقد تمتد إلى الدجاج والبط والأوز، وأكثر الاتصال بالحيوانات عند الذكور يكون فى القبل وأحيانا فى الدُبُر، وقد يقتصر الأمر على تعويد الحيوان أن يمص قضيب الولد وخاصة **الكلاب**، وقد يستهوى الولد أن يربت على فرج الحيوان أو قضيبه إلى أن يراه يُمنى، وأكثر مايكون ذلك فى الكلاب. ويتعلم الأولاد المواقعة وأسرارها من بعضهم البعض، وقد يؤثر بعض الأولاد أن يثيروا ذكور الحيوانات بالنظر إلى أن الإثارة تؤتى مفعولها عند ذكر الحيوانات فينتصب ويُمنى بعكس الأنثى، وقد يكون هذا الفعل من الولد دليلا على **ميول لواطية**. وينعكس **المعنى النفسى** للتجربة عند الولد على درجة إحساسه باللذة من المواقعة وسرعة انتصابه وقذفه، وقد يكون لها مردود على **أحلامه** حتى أنه ليواقع الحيوان فى منامه ويمنى أيضا. وقد تتكون بين الغلام والحيوان الذى يواقعه **علاقة حميمة** حتى أنه ليضطرب انفعاليا إذا اضطرته ظروفه إلى مفارقته، وتلك ظاهرة تشاهَد على الكثيرين من محبى الحيوانات الأليفة من كل الطبقات. ولاتختلف العواطف التى تتحصل للبعض بالنسبة للحيوان عن العواطف التى تكون عندهم بالنسبة للإنسان. وقد يعتاد الحيوان على مواقعة الإنسان حتى أنه يتأبّى على أى مواقعة أخرى تأتيه من نوعه، فالكلب الذى يعتاد أن يُمنيه صاحبه قد ينفر حتى من إناث الكلاب ويرفض أى استثارة إلا من صاحبه. وغالبا ماينسى المراهق اتصالاته بالحيوانات ويكبر على هذه الممارسات، وتكون له مغامرات مع نوعه الإنسانى، إلا أنه فى حالات إدمان المواقعة مع الحيوانات وإتيانها بكثرة قد يتثبّت هذا السلوك عند المراهق ويتهايأ به ويستمر معه، حتى أنه قد يتزوج فلا ينتصب إلا إذا تخيَّل هذه المواقعات، أو تخيَّل أن امرأته هى تلك الكلبة أو القطة التى كان يأتيها فى المراهقة وله بها

ذكريات شهوانية عميقة، ونلمس ذلك فيما يطلقه على امرأته من أسماء من باب **المداعبة** كأن يسميها قطة أو يعاملها وكأنها تلك الكلبة وهكذا.

وأما **المواقعة بين النساء والحيوانات** فالشواهد عليها كثيرة فى **الأدب القديم** وفى **الحكايات الشعبية**، وهناك العديد من القصص فى **ألف ليلة وليلة**، وتقوم على مواقعات من هذا النوع بين الناس والخيل والحمير والكلاب والقرود. ويحفل **الأدب الإغريقى** بأمثال هذه القصص التى أبطالها دِببة وقرود وثيران وماعز وخيول وثعابين. ومايزال الفن والأدب المحدثان يعرضان لأشياء كهذه كما فى أفلام **كنج كونج**، ولربما يكون الرجال هم المؤلفون لهذه القصص كنوع من الإسقاط لما تكون بهم من رغبات ينسبونها إلى النساء دونهم. ولقد لاحظ **كينزى** أنه بينما يستثار **٣٢٪ من الرجال** بما يشاهدونه من سفاد الحيوانات، فإن **١٦٪ فقط من النساء** يتهيجن به، وتمر مشاهد هذا السفاد على الكثير من النساء فى الريف دون أن تلفت انتباههن. ويقول **كينزى** إن نسبة بسيطة جدا من البنات قبل سن المراهقة قد لاتزيد على ١٪ يكتشفن أن الحيوانات المنزلية كالكلاب يمكن أن تثيرهن، وقد تتراوح علاقاتهن بهذه الحيوانات بين الاحتكاك بالحيوان، وخاصة بين أعضائه الجنسية والأعضاء الجنسية للبنت، وبين مضاجعته مباشرة، وقد تجعل البنت كلبها يلعق لها فرجها، وقد تدلك قضيبه إلى أن يُمنى، وهناك نسبة من البنات تقدر بنحو ٢٪ تقتنى الكلاب من مواصفات معينة لهذا الغرض. وفى المراهقة تزيد هذه النسبة إلى نحو ٣٪، **ويقول كينزى** إنه من بين كل **ثمانين** فتاة فى المراهقة **هناك** واحدة تمارس الجنس بمجامعة الحيوانات، وخاصةً الكلاب المنزلية، وبعض البنات (١٪) يتخيلن أثناء ممارسة العادة السرية أنهن يضاجعن حيوانات، وبعضهن تأتيهن أحلام (١٪) بأنهن يضاجعن حيوانات. وكانت **لنصف العينة** التى أجرى عليها **كينزى** بحوثه مغامرات من نوع ما مع الحيوانت قبل سن **العشرين**، وكانت هناك **٩٥ امرأة** من العينة فى **الأربعينات** كن ما يزلن يضاجعن كلابهن. ومعظم هذه الممارسات تتأتى من **عوانس، إلا أنه كانت هناك ٤٤** حالة من بين النساء المتزوجات أو اللاتى كن متزوجات. ولاتقتصر المجامعات بين النساء والكلاب على نساء طبقة معينة دون أخرى، إلا أن أغلبها أو تحديداً نحو **٨١٪ منها** كانت لنساء من **الطبقة العالية**، وربما لأن هذه الطبقة كانت مُمَثَّلة أفضل من غيرها فى العينة. وقد تتحصل للمرأة هذه الخبرة **مرة واحدة** فى حياتها أو **مرتين**، والأغلب أن المرأة لا تدمن هذه العلاقة، وتأتيها فقط تحت وطأة

ظروف نفسية واجتماعية معينة، والغالب أن تقتصر المرأة على أن يلعق الحيوان، وهو غالباً كلب، فرجها. وعموما فإن هذا السلوك، سواء فى المرأة أو الرجل، لا يرقى إلى حد المرض إلا عندما يجد المواقع للحيوانات إشباعا فى إتيانها يفتقده فى ممارساته الطبيعية ومن ثم يؤثرها على الجنس الآخر، وربما يكون ذلك بسبب التخوّف من قصور جنسى حقيقى أو متوّهم به، وقد يكشف شذوذه عن تخلّف عقلى أو قد يعكس ذُهانا حقيقيا.
(Kinsey:Sexual Behavior in the Human Female-1953).

* * *

- ٩ -

تعشق الأشجار Dendrophilia

تعشّق الأشجار قد يكون بالبعض كَلَفا شديداً بها لايعلَم له سببا، ولكنه يعرف أنه يستشعر الراحة الشديدة وهو بين الأشجار. وبعض علماء النفس يعتبر ذلك **ولعا جنسيا**، حيث تكون الأشجار **رمزاً للقضيب**، ويكون تعشّق الأشجار فى حقيقته **تعشقا للقضيب**. وتعشّق القضيب من الأمور التى نعرف أن بعض الشعوب كانت تأتيه كعبادة، وتحفل **الآثار المصرية واليونانية والرومانية** بصور لعبادة القضيب **(أنظر القضيب)**. ويروى أطباء النفس حالات لمرضى يتحدثون مع الأشجار، ويواعدونها ويبثونها لواعج أشواقهم، ويحتّكون بها ويقبلونها، وقد يستمنى المريض أثناء ذلك.

* * *

- ١٠ -

تعشق المعرفة Epistemophilia

الرغبة فى تحصيل المعرفة دافع فطرى فى الإنسان يرقى إلى مستوى الغريزة، والإنسان يعتمل فيه **دافعان** متكاملان هما حب المعرفة، وحب **التطلّع scopophilia**، والمعرفة تتحصل بالتطلّع، ووسيلة التطلّع النظر، إلا أن النظر حاسة كغيرها من الحواس، بينما المعرفة بالأشياء يمكن أن تتحقق بالنظر وبسائر الحواس.

والإنسان يولد فيبين حبه للمعرفة وللتطلّع منذ الولادة، عن طريق هذا الميل القوى لاستكشاف الأشياء التى تقع فى يد الطفل فيرفعها إلى **فمه** حيث الفم وسيلة التحسس أو التطلّع، ومن خلاله تتحصل المعرفة، ثم يكون **الشرج** هذه الوسيلة فى الطور الشرجى كما

يقول أصحاب التحليل النفسى، فتدفع اللذة المتحصلة من الأحاسيس الشرجية إلى تقوية الميل إلى التطلع وإشباع الحاجة إلى المعرفة، فإذا جاء **الطور القضيبى** من التطور النفسى الجنسى كانت البداية الحقيقية لإشباع التطلّع وحب المعرفة معا، بالتركيز على القضيب والتفكير فيه واستكشافه حسياً، والإحاطة بأموره معرفياً. وإذن فالمعرفة عند أصحاب التحليل النفسى جنسية فى دوافعها، غير أن الحاجة إلى التطلّع وكذلك الحاجة إلى المعرفة، يخدمان غايات أكبر عند الإنسان، ومع ذلك فإشباعهما يمكن أن يتحول إلى غاية فى حد ذاته دون الغاية الأكبر من المعرفة والتطلّع، وذلك مانقصد إليه عندما نقول إن هذه الغاية قد تناولها الكفّ. وشبَق التطلّع وكذلك شبق المعرفة إذ نشبعهما فى ذاتهما تتحصل بهذا الإشباع لذة تحصيل المعرفة العلمية واللذة الجمالية المتحصلة بالتطلّع.



- ١١ -

تعشق التلوث Mysophilia

متعشّق التلوث هو هذا الذى تسمع العامة يصفونه بأنه قذر أو وسخ، وهو فعلا يولع كطفل ورجل **بالأشياء** الوسخة، ويحب سماع **الحكايات** القذرة، ويكثر من **العبارات** التى لها هذه الموضوعات، ويلوك كلماتها ومعظمها **كلمات جنسية معيبة** أو تتصل بعمليات **الإخراج**، ويحب أن يشاهد مناظر الإخراج، وتلذ له ويضحك منها، وقد يزيد فيحب أن يلهو ببوله أو يتحدث عن خرائه، وسبابه فيه الكثير من ألفاظ الخراء، وإذا مارس الجنس فهو المحب أن يأتى النساء من الدُبُر، ويروى الحكايات عن أنه خدعهن، فاتصل بهن قبل الإنزل من الدبر، وهو يحب أن يسبّ امرأته وتسبّه امرأته، وأن يسبّ الناس ويسبّه الناس، وممارساته الجنسية غالبا مع **البغايا الرخيصات**، ويؤثر منهن ومن النساء جميعا ذوات المظهر القذر، والقبيحات، اللاتى يكثرن من اللعان، وهذاالنوع المتعشّق للتلوث، أو "الوسخ" هو نفسه الذى يؤثر **الخادمة** فى الجماع على الزوجة ابنة الأصول، وينحدر إلى مستوى أقبح الخادمات مظهراً ومخبراً.



- ١٢ -

تعشّق البراز Coprophilia

قد يولع البعض بالبراز حتى ليولى اهتماما كبيرا بالعمليات الإخراجية، فإذا ذهب

ليتغوط فإن هناك طقوسا لابد له من أدائها، والبعض قد لايحلو له **قراءة الجريدة** إلا فى المرحاض، وهناك عائلات تضع فى المرحاض أرففا للصحف والمجلات، والمولع بعملية التبرز يقضى فيها وقتا لابأس به، وقد يستأذن أهل البيت قبل أن يدخل المرحاض لأنهم يعلمون أنه يغيب داخله، وهو يستمتع بعملية التبرز والتبول، ويتهيج وهو يؤديهما حتى لينتصب أثناء ذلك، وهو ينهيج أيضا عندما يرى الآخرين يتغوطون، وتذهب به تصوراته الجنسية بعيدا حتى لمجرد رؤية شخص يدخل المرحاض ويغلقه عليه.

وقد يمعن الشذوذ بالمولع بالتغوط حتى ليحب التنظّر إلى غائطه بعد كل مرة يتغوط فيها، وقد يغرب به الشذوذ فيتناول برازه بيده يتفحصه ويقلب فيه، وقد يتذوقه، وربما يأكله، وقد لايقتات إلا به، ويسمى هذا الانحراف **أكل البراز coprophagia**.

وإننا لنعثر عند الأطفال على رغبة فى معرفة مايصنعه الآخرون فى الأكنفة والحمامات، وكيف يتغوطون وماذا يتبرزون. وهذه الرغبة هى **أصل اشتهاء البراز أو الولع به** عند الكبار. ويغذى حب الاستطلاع عند الطفل مايحيط بالتغوط من سرية. ومايبدو على الكبار من خجل وهم يهمون بأدائه، ومايضفون على عملياته من اهتمام. ويقوىَ من رغبتهم فى الإحاطة بكل مايعنيه أن التغوط مسألة تتصل بالأعضاء الجنسية من شرج وقضيب وفرج فى الرجل والمرأة والبنت والصبى على السواء.

وقد يصل الإغراب فى الشذوذ بالمصاب بحب البراز أن تنتابه حالات تحدثه فيها نفسه أن يُخرِى على الآخرين، أو أن يُخرِى عليه الآخرون، وغالبا ماتلح عليه هذه الخواطر خلال ممارساته الجنسية المثلية أو الغيرية.

ويروى **هافلوك إليس** حالة غلام فى السادسة عشرة كان يؤم المواخير، ويطلب أن يشاهد المومسات يتبرزن جلوسا على طاولة زجاجية يجلس تحتها ويستمنى بيده خلال ذلك. وكان هناك غلام يدفع مبالغ كبيرة من المال لبغى لترضى أن يبول عليها. وواضح أن هذا الفعل تعبير عن احتقار الشخص لنفسه أو احتقار منه للآخرين، بحسب ماإذا كان هو المفعول فيه أو الفاعل.

وقد لايبين الانحراف فى حالات أخرى أقل وطأة، ويصبح مجرد تلذذ بالتغوط أو بسماع الآخرين يتغوطون، كحالة صبى كان يُكثر من التسكّع حول دورات المياه ليتصنّت على البائلين، وكان يهيّجه صوت بول النساء من أهل بيته متحدّراً فى صحن المرحاض، وكثيرا ماكان يستمنى بعد سماعه.

والولع بالبول والتبول undinism صنو الولع بالبراز والتبرز، وقد تدفع إليهما استجابات بيولوجية تستثير الاهتمام بالعمليات الإخراجية، وقد تكون من أسبابهما ميول شرجية أو قضيبية بالشخص. وقد يفصح هذا الميل عن نفسه فيما يسمى **الكلام البرازى** coprophrasia أو coprolalia وهو الكلام الوسخ، وهو نوع من التقيؤ البرازى، أى أن المتكلم بهذا الكلام الذى يكثر فيه السباب بالخراء كما لو كان يقئ برازاً من فمه. وقد يأتى المنحرف هذا الكلام قهرا كمقدمة للممارسة الجنسية أو كشرط للاستمرار فيه، وهو فعل قهرى تماما كما أن اشتهاء البراز فعل قهرى، أى أن المريض يأتى بهذا أو بذاك قسراً عنه ولايمكن إلا أن يفعل ذلك، ويفعله فى ترتيب كما لو كان يؤدى طقوساً. ويطلق **إرنست جونز** على هذا النوع من الكلام الجنسى الطابع والذى موضوعه الخراء اسم **الكلام الخرائى** coprophamia، ويصفه بأنه ممارسة جنسية تتمثل فى سبّ النساء بأقذع الألفاظ والتحدث إليهن بوساخة، ويقول إن البعض لديه هذا الميل بشكل خفيف قد لايبين، وبعض الأزواج يحلو له الجماع فى الفرج ولكنه أثناء ذلك يولج أحد أصابعه فى شرج المرأة، ومن آن لآخر يسبها بألفاظ تتناول الفرج أو غير ذلك من ألفاظ السباب المتداولة بين السفلة من القوم أثناء الجماع. وقد يكون ذلك عَرَضا سادياً. وإننا لنشهد بعض الناس يقودون سياراتهم ويطلّون منها برءوسهم بين الفينة والفينة يسبّون الناس بالألفاظ النابية، ويمنحهم ذلك لذة أيما لذة تظهر فى أصواتهم ووجوههم، وخاصة إذا كانت الكلمات المستعملة مما يتصل بالجماع أو بالتبرزّ. وقيل إن بعض من يفعلون ذلك ينتصبون، وقد تراه يهرش كثيراً وقتها فى قضيبه أو يحكّه بيده كما لو كان يستمنى.

وقد يكون الكلام الوسخ **إحدى طرق تصريف الميول الجنسية العدوانية**، وهو من أهم مظاهر **متلازمة جيل لاتوريت** Gilles de la Tourette syndrome، والمصاب بها يميل إلى أن يقذع فى السباب وإلقاء الناس بالوسخ والتبرز عليهم.

ويرجع **فيرينزى** الميل إلى اللعب بالطين والنقود والحَصَى والتيلة والأزرار وتشكيل الصلصال والحجارة وألعاب الدومينو والطاولة والشطرنج إلى هذا الاهتمام بالبراز الذى يعود فى اعتياده إلى المرحلة الشرجية. وقد لانشعر بالتشابه بين الاثنين، وقد ننكره. وليس **حب امتلاك المجوهرات والنقود والأشياء الثمينة إلا نوعا من التسامى** بحب البراز الذى تتسم به المرحلة الشرجية، ففى هذه المرحلة يلحظ الطفل اهتمام الكبار بالتبرز، ويجلس

على القصرية فيطيل الجلوس، ويشعر بلذة كلما أطال، وتراها تنعكس على وجهه وفى حركاته، وينتصب أثناء التبرز ويتعلم أن يدلك قضيبه بيده (**الاستمناء الذاتى**)، ويمارس السادية وهو يتبرز، وقد يعاكس المحيطين به كلما رأى اهتمامهم بالتبرز، فيمسك عنه، ويستبقى برازه ويتدرب على الضبط الشرجي، وقد يعمم هذا الضبط من بعد إلى نواحى الحياة اليومية. ومن الكبار من يستمر معه الانتصاب أثناء التبرز، وقد يمنى تلقائيا. **والمرحلة الشرجية** تأتى فى بواكير الحياة ولذا فقد ينطبع الطفل بما يتخلف منها إذا حدث فى حياته ما يثبّت منها شيئا لمراحل حياته التالية. ومن ذلك مثلا أن الطفل قد يضن ببرازه ويستبقيه كما أسلفنا، بخلاً به قد يتحول فيما بعد إلى بخل حقيقى، ويتحول ولعه الطفولى بالبراز إلى ولع ببدائله، ويصبح استبقاء البراز جمعاً للمال وادخاراً له. **وادخار المال** بمثابة نكوص إلى المرحلة الشرجية. وعندما يشتد الولع بالبراز ويصبح مرضا فقد نرى المريض يتعامل مع برازه كما لو كان يتعامل مع **ثروة**، وقد يخفيه أو يهيله على نفسه وملابسه وكأنه زينة يتزين بها. وقد يعلن عن حبه لبرازه ويقرن هذه المَعَزّة لديه بمعزة الأولاد. وقد يتسامى هذا الميل الأوّلى إلى البراز فيتخذ شكل **الولع بالألوان والرسم والتصوير**، وهناك من يذهب إلى تفسير **هواية الرسم** بأنها تسام لهواية اللعب بالبراز، والرسام يستبدل بالبراز الألوان. وكذلك **هواية الطبخ** وماشابهها. وقد يتخذ الولع بالبراز شكلا مناقضا فيكون **خوافا من البراز coprophobia**، أو خُوافاً من الأوساخ عموما. ولايعلن المريض أنه يخاف البراز ولكنه يقول أنه يكره الوساخة، وقد يتعلل بأنه لايحب النجاسة. ويدفع إلى هذا الخُواف مايسمى **بالتكوين العكسى**، بمعنى أن ماكان دافعا لاشعوريا يتمثل فى حب البراز يتكون له رد فعل مناقض فى المراحل التالية على المرحلة الشرجية، ويصبح خُوافا وكراهية للبراز (أنظر الش...



- ١٣ -
تعشّق الموتى Necrophilia

يغرم الكثيرون بأخبار الموتى وارتياد المقابر. وهناك فئة من الناس لاتقرأ فى الصحيفة أول ماتقرأ **إلا أخبار الوفيات**. وهذاالميل قد يغلو فيصبح تعشُّقاً للموتى، والموتى من النساء بخاصة. وقد لايثير الشخص فى صفحة الوفيات إلا أسماء النساء. وتعشق الموتى من

النساء قد يكون **هوسا** يتملك الرجل ويدفعه دفعا إلى كل تصرف يمكّنه من مطالعة الموتى من النساء عاريات، وقد يحكى حراس المقابر عن بعض المختلين عقليا يحومون حول المقابر، حتى إذا كان الميت امرأة ورحل عنها أهلها، نبش الرجل القبر وأخرج الجثة. وقد يكتفى بمشاهدتها أو يتحسسها وخاصة عورتها، وقد يستمنى بيده عليها، وقد يضاجعها أى يكتفى بالرقاد إلى جوارها، أو قد يباشرها. وفى بعض الحالات التى يطلق عليها اسم **سادية الموتى** **necrosadism** قد يُدفَع المريض إلى أن يقتل النساء ليخفى جثثهن ثم يأتيهن وقتما يشاء، ويهيجه القتل فينتصب ويستطيع أن يباشر الجثة، أو قد يلجأ إلى أكثر من القتل فيعمل فيها تقطيعا وخاصة عورتها، وقد يلجأ إلى نهش العورة بأسنانه ويلوكها ويزدرد لحمها فيما يعرف باسم **أكل الميتة** **necrophagia**، **وأكل الجثث** **necrapha-gous** ربما يدفعه إلى ذلك أنه يريد أن يتوّحد بالمَيّتة، أو ربما كان لعمله صلة بُهذاء الفناء والرغبة فى الموت. ويعيش المريض **بهوس الموتى** **necromania** كالميت ويقلّد الموتى، ومرضه هو **التماوت** **necrominesis**، ومعناه فى الاصطلاح أن يُظهر المريض به أنه ميت. وقد يطلب المهووس بالموت والموتى من المرأة التى يضاجعها أن تتصنّع الموت، وأن تتحدث إليه كما لو كانت تموت، ولايهيج ويباشرها إلا إذا فعلت ذلك. وبعض الناس ممن لديهم ميول خفيفة من هذا الشذوذ يفعلون نفس الشئ بدرجات أقل، ولا يهيج الرجل من امرأته إلا استعطافها له حتى يُذبلها الاستعطاف ويُغمَى عليها، وعندئذ يخفق حسه لها. والبعض قد تتكون به ميول عكسية، فتراه يزهد الموت ويُغشِى إذا سمع عن الموت، أو رأى مشهد ميت، أو سمع بجنازةٍ قريبة. وقد يزهد البعض فى اللحم ويصبح نباتياً فى طعامه لأنه يرى فيه أنه جثة أو بقايا جثة. **واشتهاء الموتى** مرض نادر، والبعض يؤم المواخير ويطلب من البغايا أن يتصنّعن الموت كى يستطيع أن يباشرهن. وقد يتهيج المريض إذا رأى امرأة نائمة فيحاول أن يغتصبها وهى **نائمة**، وكانت هناك حالة لمرض فى إحدى المستشفيات كان إذا رأى سيدة مخدّرة فى حجرة العمليات يذهب ليستمنى بيده. وقد تجد بعض الشبان يقعون فى حب الفتيات وهن **مريضات**، وذلك لأن الفتاة المريضة مثلها مثل النائمة كلاهما يشبه الميتة، أو كلاهما صورة للموت، فإذا شفيت المريضة وعوفيت زهد فيها الشاب وانتهى حبه لها. وبعض الناس يشعر بالجنس وهو فى **المقابر**، ويروى **أحد الصوفية** أنه لم يعالج من العجز الجنسى الذى كان به إلا عندما رقد وامرأته على قبر السيد البدوى

(**كتاب طبقات الشعرانى**). ويروى **شتيكل** أن امرأة قسرت ابنها الخُنثَى أن ينام فوق جثة امرأة ليشفى من خنوثته. وكانوا قديما يرسمون على شواهد القبور **صورة القضيب** كرمز للحياة التى تهزم الموت. ويذهب **شتيكل** إلى تفسير **الأحلام التى بها موتى من النساء**، بأنها أحلام مضمونها اشتهاء الموتى، ودليل عجز صاحبها جنسياً، ويروى أحلاما لمرضاه كانوا يضاجعون فتيات قد توفين، وكانوا ينعظون فى الحلم. ومن ذلك حالات شبيهة وليست ذُهانية وتُدَرج ضمن ما يسمونه باسم **اشتهاء الموتى الكاذب** pseudonecrophilia، والمشتهى لا يشتهى على الحقيقة ولكنه يتخيل أنه يضاجع امرأة وهى **نائمة أو شبة ميتة**، أو يضاجعها وهى تتصنّع الموت وكأنها ميتة، ويستمنى عادة أثناء ذلك. وتعالج هذه الحالات بسلب الحساسية والتنفير بالصدمة وبالعقاقير. وأما الحالات الذُهانية فلا علاج لها Lazarus:A case of Pseudonecrophilia Treated by Beha-) (viour Therapy. (أنظر **تعشق المقابر**)

* * *

- ١٤ -

تعشق المقابر Taphophilia

قد يشكو الناس من ميول واضحة بالبعض منا إلى ارتياد المقابر والمدافن. وقد يقضى الشخص الذى به تعشّق المقابر وقت فراغه كله هائما بينها يجد فى صحبتها مايغنيه عن كل صحبة، وقد يشغل بحكايات الموت والموتى والدفن ومايتصل به، وقد يذهب إلى امتهان **مهنة** مما يتصل بدفن الموتى، كأن يعمل **حانوتيا** ، أو **حفاراً للقبور**، أو **قارئاً على القبور**، أو **كاتباً للشواهد**، أو **بنّاءً للمدافن**. وبعض الناس يقتصر عملهم على ذلك ويتخصصون فيه، ولو خيرّتهم بين هذا العمل وأية أعمال أخرى أكثر إدراراً للمال لاختاروا هذا العمل على سواه متعللين بمختلف العلل. وأمثال **هؤلاء لم ينضجوا** النضج الوجدانى الكافى، والغالب أنهم نشأوا فى عائلات كانت لهم بأبويهم مشاكل منذ الولادة، وربما يكونون قد تثبّتوا عند **المرحلة الشرجية** من التطور النفسى الجنسى، ولهذا السبب قد يهوىَ الشخص المتعشق ارتياد المقابر أن يتبرز بين المقابر أو عليها، أو قد لايجد مكاناً أنسب أو أليق ببرازه من المقابر، من باب التوقير لبرازه وللمقابر معاً. وقد لايفرّط فى برازه ويحافظ عليه إذا اضطر إلى التبرز فى غير المقابر، ثم يدفنه فى مكان بالمدافن كل حين.

وربما يكون بمتعشق المقابر **اضطراب ذُهاني** يجعله يحوم حولها كلما كان هناك ميت، يتعرّف إنْ كان أنثى أو ذكرا، فإذا عرف أنه أنثى فربما بعد أن يهيلوا التراب على الميتة يعود فى الليل لينبش القبر، وقد يكتفى **بمطالعة** الجثة عارية و قد يتحسسها أو يضطجع إلى جوارها لفترة وهو يعبث بأعضائها التناسلية ويمنى أو يستمنى خلال ذلك، وقد **يفسق** بها فيباشرها بعد أن يهيجه عبثه بها، وقد يعمل تقطيعاً بأعضائها التناسلية، أو **يضرب** الجثة إلى أن ينهك فيزايله عجزه الجنسى ويباشرها، أو ينهك فينتصب ويمنى.

وكانت هناك حالة **لمتعشق للمقابر taphophile**، كان شديد الوداعة ناحل الجسم، وكان يعرف مقابر النساء قبراً قبرا، وأسماءهن، ويلم بأطراف من حكاياتهن، ويؤثر قبراً على قبر، ويفضل الجلوس إليه ويحادثه وكأن صاحبته أمامه. وبعضنا يفعل ذلك، وهناك أزواج وزوجات يذهبن كل حين ويتحدثن إلى أزواجهن المتوفين ويبثثن القبور لواعج أشواقهن، وهى مظاهر **عدم نضج وجدانى** واضحة. ومن ذلك أن **هاملت** كان من رواد المقابر، وهو الذى توهم رؤية وسماع أبيه المتوفى، **والهلوسة البصرية والسمعية** قد تأتى البعض عند حد معين من الإصابة بالذُهان، وقد دفعه تعشّقه للموت أن يلحق أمه وعمه بأبيه ويلحق بهم، غير أن **شكسبير** جعل من ذلك مأساة نواتها **عقدة أوديب المعكوسة**، فتعيّن هاملت بأبيه، وكَرِه أمه وغار عليها من عمه، فنسج خياله المريض القصة ليبرر القتل الذى لجأ إليه.

وقد تتكون للشخص الذى به دوافع شبقيه للموتى **ميول عكسية**، فيخاف المقابر ويتحاشى رؤيتها أو زيارتها أو حتى السماع عنها، وقيل إن **خواف المقابر** ضرب من **خوافات الأماكن المغلقة**، وقد تمثل المقابر عنده مشاعره الجنسية، وهروبه من المقابر هو هروب من هذه المشاعر المحتدمة به (أنظر **تعشق الموتى**).



الفصل الواحد والأربعون

العقد النفسية الجنسية

-١-

العقدة النفسية الجنسية Psycho-sexual Complex

قد نسمع أن فلانة أو فلانا من الناس معقّد، أو أنه يشكو أعراض **عُقْدَة أوديب**، أو **عقدة الخصاء**، فنعرف أنه ليس إنسانا سويا، وأن تصرفاته بها شذوذ، وأن الجنس يسيطر عليه بطريقة ما. والواقع أن الجنس ليس مضمون كل العُقَد، ولكنه غالبا الدافع الرئيسى فيها.

والعُقّدة مجموعة أفكار أو رغبات، لها صبغة انفعالية معينة، وذات محتوى غريزى، تترابط مع بعضها وتدفع الشخص إلى التفكير والتصرف بطريقة خاصة به، تختلف عما اعتاده هو، وتثير فى نفسه الاضطراب.

ولربما تتركب العقدة من عنصر نووى تتحلق حوله عناصر أخرى ثانوية، بمعنى أن تكون هناك **ذكرى أو فكرة معينة** مثلا، وترتبط بها ذكريات أو أفكار تتعلق بها وتنتسب إليها من حيث الموضوع.

وربما تعمل العقدة على المستوى الشعورى أو اللاشعورى، إلا أن الغالب أن العقدة مردها **غريزى** ومكوناتها **لاشعورية**، أى أن هذه المكونات كُبِتت وذلك ماجعلها عقدة، فمثلا **عقدة أوديب**، وهى من أشهر العقد المعروفة وتوصف بأنها عقدة العقد أو العقدة الأمّ، عبارة عن رغبات شبقية لاشعورية نحو الأم منذ الطفولة. **وعقدة الخصاء** عبارة عن ذكريات وأفكار ومخاوف تتنامى فى وعى الطفل إلا أنه يكبتها ويتناسى خبراتها، بيد أن عملها يستمر معه طوال حياته ويوجه تصرفاته فى المستقبل، سواء مع الناس عموما أو مع أهله الأقربين، وأخصهم أبويه.

والعقدة تشبه **العاطفة** من حيث أنهما انتظام لمجموعة من العوامل ذات الشحنة الوجدانية، ومن حيث أنهما مكتسبتان ونزوعيتان إلا أن العقدة مَرَضية بينما العاطفة سوية.

ومن أشهر العقد بخلاف ماذكرنا **عقدة إليكترا**، وهى رغبات جنسية مكبوتة عند البنات نحو الأب، مع اتجاه عدوانى نحو الأم، **وعقدة جوكاستا**، وهى تعشّق الأم لولدها حتى

ليمكن أن تقوم بينهما علاقات جنسية صريحة؛ **وعقدة ميديا**، وهى الرغبة اللاشعورية لدى الأم أن تقتل ولدها بسبب كراهيتها للزوج؛ **وعقدة جريزلدا**، وهى تعلّق الأب بابنته حتى ليرفض كل خُطّابها ويتعلل العلل لكى لايزوجها، **وعقدة النقص**، وهى إحساس دفين بالدونية، ومن ذلك إحساس البنت بأنها أدنى من الولد بسبب اكتشافها أن له قضيبا قد حُرمت منه، وقد يدفعها إحساسها بالنقص إلى التعويض عنه بعقدة أخرى هى **عقدة التفوق**، كأن تحاول أن تبزّ أقرانها من الصبية، وتكون لها تصرفاتهم الصبيانية، ومن بعد تتصرف كالرجال وتقبل تحدياتهم ومنافساتهم، لعلها تظهر عليهم وقد تتزعمهم فيما يقال له **عقدة الذكورة**.



- ٢ -

عقدة أوديب Oedipus Complex

أهم العقد النفسية جميعها، ويقال لها **العقدة الأم أو الأساس أو النواة nuclear complex** لأن كل العقد الأخرى تشتق منها بطريقة أو بأخرى، أو أنها تستقى من نفس المصدر الذى تقوم عليه، أو تدور حول موضوع فرعى من موضوعاتها.

وأوديب الذى تُنَسب إليه هو **الملك أوديب** أو **أديب** فى الأسطورة اليونانية التى تناولها **سوفوكل** شعراً ودوّن قصتها دراميا فى القرن الخامس قبل الميلاد وتحكى عن ملك لمدينة يقال لها **طيبة**، اسمه **لايوس**، واسم زوجته **چوكاستا**، واستخارا أهل الطالع فذكروا لهما أنهما يرزقان بولد يقتل أباه ويبنى بأمه وتكون أولاده إخوته. وما أن وضعت الملكة مولودا ذكراً حتى خشى لايوس على نفسه من تحقق النبوءة، فأسلم الطفل لأحد الرعاة ليقضى عليه، ولكن الراعى رقّ له قلبه فأخذ الطفل إلى مدينة قريبة هى **كورينثه** وأعطاه لملكها **بوليبوس**، الذى فرح به لأنه لم يرزق ابنا، واتخذه لنفسه وليا لعهده وأحسن إليه، وشبّ الطفل وهو يعتقد أن أباه ملك كورينثه وأمه ملكتها، واستقرأ طالعه فعرف أنه سيقتل أباه ويتزوج أمه، فهرب مبتعداً إلى طيبة لينجو من مصيره، والتقى فى الطريق بملكها **لايوس** وتعاركا، فقتل الملك وهو يجهل أنه والده، ثم أنقذ المدينة من الهوْل أو الوحش الذى كان يجثم على أهلها، وحلّ لغزه فكافأه أهلها بأن نصبّوه ملكاً خلفاً للايوس، وزوّجوه من **چوكاستا** أمه التى كان يجهل أنها أمه، وثارت الآلهة فسلّطت الوباء على **طيبة**، وتحرّى

أوديب السبب من العرّافين، وأخبره الراعى عمّا كان من أمر ولادته والنبوءة، وذُهِل أوديب عمّا حوله، فشقّ ملابسه، وضرب على رأسه، وسمل عينيه، وبخعت چوكاستا نفسها، وخرج من **طيبة** أعمى محطماً لاوجهة له، يمشى على غير هوى تقوده ابنته **أنتيجون**.

والقصة كما طرحها **سوفوكل** عمل أدبى ممتاز، ومن رأى **مدرسة التحليل النفسى** أن الأعمال الأدبية العبقرية لها القدرة على التعبير عن محتويات **اللاشعور الشخصى والجماعى**، وأوديب تعكس الرغبات المكبوتة فى لاشعور **سوفوكل**، وهى فى نفس الوقت صدى لوقائع حيّة عرفها الناس واستوحاها الكاتب بحسه الصافى المبدع، وليس قتل أوديب الإبن لأبيه لايوس وزواجه من چوكاستا أمه إلا بعض مايعترينا من رغبات فى الطفولة على زعم **فرويد**، وإذا كان أوديب قد جهل ماآل إليه أمره ولم يقصد إليه بإرادته، فذلك من فعل الكبت يدفع الرغبات المحرمة إلى اللاشعور، ولكنه أى الشخص يأتيها دون معرفة أو وعى وذلك عمل الرغبات المكبوتة، وهى من شئون اللاشعور الذى يقسر المرء قسرا على مايريد. وليس حزن أوديب إلا مشاعر الذنب تأخذ بخناقه، وليس سمل العينين إلا عقوبة الخصاء يهدد بها الآباء أولادهم الذكور، وأوقعها أوديب بنفسه ومارس بها الخصاء الذاتى، يعاقب نفسه بما كان من الممكن أن يعاقبه به أبوه أو الآلهة تكفيراً عن ذنبه.

وتناول **فرويد** الأسطورة واستقرأ فيها أبعاداً نفسية، ثم أضفى عليها تفسيرات وتأويلات أبدع فيها كإبداع **سوفوكل**، وطرحها طرحا علميا جعل منها فرضية مقبولة لدى الكثيرين. ويقول **فرويد** إن كل طفل لابد أن يمر بأطوار نفسية وجنسية منها **الطور الأوديبى** فى نحو سن الثالثة يستشعر فيه لذة بقضيبه ويحس به منتصبا، ويسعد بملامسة أمه له واحتكاكها به، وفى هذه السن يطلب الطفل أن ينام مع أمه، ويغار من أبيه، ويثيره منه أن يستأثر بها أو يقبلّها، وقد يضربه أبوه أو يعاقبه كلما ضبطه يلعب بقضيبه، وكثيرا مايأتى على لسان الأب التهديد بأن يبتر له يده أو يقطع له قضيبه، وحتى عندما يلاعبه قد يصدر من الأب تخويف الطفل بأن يأكل قضيبه، وكلما يفزع الطفل كلما يتمادى الأب ضاحكا، وقد يحدث أن ينهض الطفل من نومه مذعورا نتيجة مخاوف من هذا القبيل، ويتعلم أن يخشى الأب ويرهبه، وقد يضمر له مشاعر عدوانية ولكنه يكبتها، ويضطر أيضا إلى كبت مشاعره الشبقية تجاه أمه. وتُسمّى الرغبات أو المشاعر الشبقية تجاه الأم **عقدة أوديب**،

كما تسمى المخاوف المكبوتة من تهديدات الأب للطفل **عقدة الخصاء**، والواقع أن العقدتين متداخلتان، والواحدة منهما تنبه للأخرى وتستدعيها، ولكن يغلب أن تعنى عقدة أوديب **هذه الميول الشبقية للأم**، بينما تعنى عقدة الخصاء **الخشية من العقاب ومايصاحبه من قلق وكفّ للجنس أو لأيه رغبة محرمة**.

ويعتقد فرويد أن **الموقف الأوديبى** حقيقة واقعة فى حياتنا جميعا، غير أننا نتمايز فيما يطبعنا به أو يخلفه فينا من آثار نفسية قد تؤثر بدورها على علاقاتنا الشخصية بالناس من حولنا فى مستقبل أيامنا. ويقول **فرويد** إننا نتجاوز الموقف الأوديبى بشكل تلقائى مع نهاية الطفولة، فإذا كانت **مرحلة البلوغ** تبدأ من جديد **الصراعات الأوديبية** تعمل عملها، وتستيقظ فى نفس الطفل أو بالأحرى المراهق مشاعره ورغباته تجاه أمه، ويحس بنفس الأحاسيس التى كان يحس بها إزاء أبيه، ولكنه فى **نهاية المراهقة** قد يتخلص من ذلك كله ويعى نفسه ويعرف مايريد، ويتوجه باهتماماته الجنسية لموضوعات بعيدة عن أمه، ولكنه بالرغم من ذلك قد يختار أقربهن شبها بأمه، وقد يكره أو يميل إلى هذا أو ذاك من أقرانه بتأثير علاقاته بأبيه ومانتهت إليه، وقد يظل به الميل إلى كبت مشاعره الجنسية والعدوانية على نفس الوتيرة التى كانت عليها تصرفاته مع والديه. ويقول **فرويد** إن مايمكن أن يحلّ عقدة أوديب هو عقدة الخصاء، فتهديدات الأب وخوف الإبن قد يجعل الأخير يتعين به ويقلّده فيما يكره ويحب من قيم، وقد يحبه بدلاً من اتجاهاته العدوانية المكبوتة نحوه، وبدلاً من أن يتعشّق أمه قد ينزلها من نفسه منزلة التقديس ويوليها احتراماً بالغاً بدون ميول جنسية تجاهها، ومن ثم فقد يتوجه بطاقاته التى كان يصرفها فى الصراعات الأوديبية إلى أهداف فى الحياة، يترسم فيها أباه ويستشير بإزائها أمه، أو بدلاً من أن تكون موضوع غريزته الجنسية الأم يتحول بتأثير الخوف من الأب أو الكبت إلى موضوعات مرغوبة أو ليست ممنوعة يوليها كل حبه ورعايته. ويطلق على مشاعر التقديس عند الإبن لأمه والاحترام لأبيه اسم **عقدة أوديب المعكوسة** inverted Oedipus complex. ويرى **فرويد** فى التراث الإنسانى من ثقافة واختراعات وفنون وآداب صوراً من التسامى بالغريزة، من الممنوعات أو المحرّمات إلى المرغوبات أو المشروعات، وليس **الضمير أو الأنا الأعلى** إلا من تأثيرات الموقف الأوديبى والخوف من الخصاء والكبت للميول الجنسية أو العدوانية، وينوب **الضمير أو الأنا الأعلى** عن الأب فى تهديد الشخص بالعقاب كلما همّ أن يأتى إحدى

الخطايا أو يزلّ، ويحول بينه وغشيان المحارم. ويظهر التحليل النفسى أن **كل عقاب** وراءه عقدة أوديب، وهى بالنسبة **للعُصاب** بمثابة النواة، وقد يظهر **المرضى بالفصام** أعراضا أوديبية كالتى وصفها **سوفوكل**، فينكر المريض أن له أبا، أو يتحدث عن أمه وكأنها زوجته، أو عن إخوته كأولاده، ويتصرف كالأعمى أو الخصى، وقد يذكر ذلك صراحة وكأنه يعيش مأساة أوديب بكل تفاصيلها.

* * *

- ٣ -

عقدة إليكترا Electra Complex

قد تحب البنت أباها وتبغض أمها، ويحدث ذلك كثيراً فى العائلات التى يكون البون فيها شاسعا بين الأب والأم، من النواحى الثقافية والاجتماعية، وقد تكون للأب إنجازات كبيرة وسمعة ضخمة بينما الأم عادية، وربما الأب إنسان واجب وصاحب مبدأ، والأم من النوع اللاهى المهتم بنفسه دون بيتها وأولادها. وقد تغار البنت من أمها إذ تشهد مع ذلك سيطرتها على أبيها. وهذا الحب وتلك الغيْرة بالبنت يرجعهما **فرويد** إلى خبرات الطفولة عند البنات واكتشافهن للفروق الجنسية بينهن وبين الأولاد، ولعل أهم هذه الفروق الظاهرة أن الولد له قضيب ليس للبنت، وأنها مكان القضيب لها فتحة، وأن قضيب الولد ينتصب ويستطيع أن يباهى به فيبول واقفا مبعداً بوله كيفما يشاء، وإلى أى اتجاه يريد، وتلمس البنت هذه الفروق وتعتبر نفسها ناقصة التركيب، فتتوجه باللوم على هذا النقص إلى أمها لأنها ولدتها ناقصة، وتتحول بحبها لأبيها، ويدفعها إلى ذلك شعورها بأن أباها ولد كبير، وله قضيب كبير مثله، وأكبر من كل مالدى الأولاد الذين تعرفهم، وتحبه لذلك وتجعله موضوعا لحبها، فتتصرف معه كما تفعل أمها، ولكى تعجبه تتقمص شخصية الأم، وتكره أمها للمرة الثانية لأنها تجد فيها منافسا لها على حب الأب. وقد تراود البنت الرغبة أن تلد من أبيها، ولاتستطيع أن تتصور إمكان زواجها من آخر سوى أبيها. وعقدة إليكترا هى هذه الرغبات التى تكون بالبنات حيال الأب ونفورهن أو بغضهن من الأم. وقد تستمر عقدة إليكترا التى تتكون عند البنت من الطفولة إلى مابعد البلوغ، ولكنها تصرفها منصرفا آخر يجيزه المجتمع والدين، فطالما أن الأب من محارمها فإنها تشتهى من الرجال هذا النوع الذى يضاهيه، وتختار مَنْ تحبه بعد البلوغ على نمط أبيها، وتبذل له كزوج كل نفسها وتخضع لسلطته.

وإليكترا فى الأسطورة إبنة **أجاممنون** ملك مسينا، حرّضت أخاها **أوريست** أن يثأر من أمها **كليتمنسترا** وعشيقها **إجيثوس**، وأقرّت الآلهة ماانتوياه. وكانت الأم قد تآمرت على قتل زوجها لتفوز بابن عمها، وتمكّنت منه وهو يستحم، وألقت عليه شبكة فصادته كالحيوان وهو بطل الأبطال، ثم دقت رأسه وبَنَت بعشيقها المخنث، **فقتلهما** ابنها شر قتلة.

وعقدة إليكترا هى المقابل **لعقدة أوديب**، هذه عند البنات إذ يتعشقن الأب، وتلك عند الأولاد يغرمون بالأم، غير أن عقدة إليكترا إذ تتكون عند البنت فليس هناك مايحول دون استمرارها عندها، ولكن عقدة أوديب قد **لاتستمر** عند الولد بتأثير تهديدات الأب له بأن يخصيه أو يقطع له قضيبه إذا استرسل فى علاقاته الأوديبية بأمه، ومع ذلك فقد يؤدى كبت الميول الجنسية والعدوانية تجاه الأبوين عند البنت إلى تكوين رد فعل ينقلب الوضع بمقتضاه فتحب البنت أمها، وتنزل أباها من نفسها منزلة التقديس فلا تشوب حبها له أية رغبات جنسية، ويقال حينئذ أن العقدة التى تحكمها هى **عقدة إليكترا المعكوسة** inverted Oedipus complex.

وكثيراً مايطلق على عقدة إليكترا أنها **عقدة أوديب عند الإناث**، أو **النسخة الأنثوية لعقدة أوديب** female Oedipus complex، وقد يتحدث البعض عن عقدة أوديب بوصفها تشمل الرغبات الجنسية الشاذة **عند الجنسين تجاه الأبوين**، ويكتفى بها تعميماً على الذكور والإناث، وإن كان الأصح دائما أن يقال عقدة أوديب لأعراضها عند الذكور، وعقدة إليكترا لمظاهرها عند الإناث.

* * *

- ٤ -

عقدة النقص Inferiority Complex

مشاعر بالدونية مكبوتة أساسها العجز عن التوفيق بين الرغبات الأوديبية فى الطفولة، والقصور الذى يكون عليه الطفل ويحول بينه وتحقيق هذه الرغبات، أو هى **مشاعر النقص** تكون بالأطفال **الإناث** عندما ترى البنت أن بظرها ليس قضيبا وليست له استخدامات القضيب ولاينتصب مثله.

وعقدة النقص قد تكون أيضا شعورا دفينا بالدونية يعوض عنه الشخص بسلوك دفاعى ينزع به إلى **إظهار التفوق دائما**، ولذا يقال **عقدة النقص وعقدة التفوق** بنفس المعنى،

ولننظر مثلاً إلى الرجل يكون له الجسم الواهن فيؤكد ذكورته على حساب جسمه الضعيف بأن يكون عدوانيا مع النساء، أو المرأة القبيحة الشكل وهى تعوّض عن قبحها بأن تعطى الرجل عواطف أكثر وحناناً أكبر، ولعل ذلك هو مايجعل الرجال يتغاضون عن القبح فى النساء إذا كن من هذا النوع الذى يظهر فرط الحنان.

وعقدة النقص بقدر ماتكون سبباً فى إفشال الكثير من الزيجات، إلا أنها عندما تصبح **عقدة تفوق** قد تدفع أيضا إلى إنجاح الكثير من الزيجات. وقيل إن عقدة النقص تدفع أحيانا إلى **المغالاة فى التعويض**، بأن يصاب الرجل أو المرأة بالغُلمة وهى الإفراط الجنسى، أو أن يسلك سلوك **الدون جوان**. ويحكى علماء النفس عن **متلازمة أصحاب البنية الضئيلة** little- man syndrome مثل **نابليون**، فيعوض صاحب هذه البنية عن قصره أو ضآلة حجمه بأ يتشدد مع زوجته، أو يصبح زئر نساء ويحب أن يأتى النساء بكثرة وكأنه يفتح المدائن. وقيل إن **نابليون** كان يشكو ضآلة قضيبه، وكان يحب أن تكون له علاقات جنسية بالنساء طوال القامة اللاتى يتسمن بالجسمية.

* * *

— ٥ —

عقدة الخصاء Castration Complex

يذكر **سيجموند فرويد** أن الأطفال جميعا على السواء يعانون مما يسميه **قلق الخصاء** castration anxiety بسبب التجارب الصادمة التى قد يلتقى بها الطفل نتيجة تهديد الوالدين، وخاصة الأب له بقطع قضيبه، أو حتى قطع يده أو إصبعه أو رقبته إذا فعل هذا الشئ أو ذاك، ولاسيما أن الطفل الذكر كثيراً ماينتصب قضيبه ويضبطه الوالدان يلهو به بأصابعه، وربما كان ذلك أكثر مايكون خلال جلوسه على القصرية يتبرز، ولذلك فغالبا مايرتبط **قلق الخصاء** بعمليات التبول أو التبرز أو التدريب عليهما. وقد تضبطه أمه وقد انتصب قضيبه كلما نام معها فى فراشها، أو ركن إليها واستسلم لحضنها، وقد يتعلم الطفل أن يرى فى أبيه منافسا له، إذ يلاحظ أنه كلما حضر الأب انتزعه من حضن أمه أو فراشها ليأخذ مكانه، وقد يهدده الأب كلما بكى أو أساء الأدب. ويرتبط **قلق الخصاء** بالكبت الذى يتعلمه الطفل لرغباته الشبقية وخاصة لأمه، وتتحول الطاقة الشهوية التى لم تجد المنصرف الأصلى لها إلى طاقة عدوانية نحو الأب أولاً، ثم نحو من يمكن أن يحلّ

محله أو يأخذ مكانه. ويطلق **فرويد** على العلاقات التى يستحدثها هذا الموقف الذى يضم الثلاثة معا، وهم **الطفل والأم والأب**، اسم **الموقف الأوديبى** نسبة إلى **أوديب الملك**، الذى تقول الأسطورة الإغريقية أنه قتل أباه وتزوج من أمه، كما يطلق اسم **عقدة أوديب** على الرغبات الشبقية نحو الأم التى يضطر عقل الطفل إلى كبتها فى اللاشعور، خوفاً من **تهديدات الأب** وعقابه، كما يسمى **المخاوف المكبوتة من تهديدات الوالدين له**، خصوصا تهديدات الأب، باسم **عقدة الخصاء**.

ولقد عاد **فرويد** من بعد إلى القول بأنه حتى لو لم تكن هناك مثل هذه التهديدات من الأب للطفل، فإن الطفل يتخيلها إذ يرى بنفسه صنفاً من الأطفال هم البنات ليس لهن مثل قضيبه، وقد يتصور أن بالإمكان أن يفقد قضيبه أو يلحقه الضرر أو الأذى لسبب أو لآخر. ومن ثم يتولد عنده **قلق الخصاء** نتيجة مشاهدته خلو البنات منه. ويقول فرويد إن **قلق الخصاء** قد يعمل على تحويل الرغبات الأوديبية الإيجابية عنده إلى رغبات أوديبية سالبة، وقد يطبع هذا القلق شخصيته فيصبح الخوف من أن ينزل به العقاب من أى سبيل من سماته. وقد تؤثر عقدة الخصاء فيه تأثيراً ضاراً، وقد تظهر على الطفل فيما بعد علامات مَرَضية عُصابية بسببها، ولربما مرجع المقاومة التى يبديها العُصابيون خلال جلسات التحليل النفسى، هو عقدة الخصاء، أو هذا التهديد الذى يتوهمه المريض من قبل الطبيب باعتبار أن رضوخة للطبيب هو بمثابة الإخصاء له. وإذا كان الولد عندما يشاهد أن البنت ليس لها قضيب يصاب بالقلق على قضيبه، وتنتابه المخاوف من أن يفقده، فإن البنات بدورهن يحسدن الغلمان على امتلاكهم للقضيب، والقدرة التى يمكن أن يعنيها ذلك بالنسبة لهم، حيث يمكن للولد أن يتبول بطريقة لاتستطيعها البنت، ويطلق **فرويد** على ذلك اسم **حسد القضيب** penis envy، ويلعب هذا الحسد دوراً كبيرا فى الإصابة بالعُصاب عند البنات، حيث تحاول البنت أن **تعوض** نفسها عنه بإظهار **التفوق** على الأولاد من الذكور، وتنافسهم على كل شئ، فتكون لها هيئتهم وسلوكهم، وتأنف أن تظهر بمظهر البنات الخانعات، ومن ثم قد يتسبب لها ذلك من بعد فى الإصابة **بالبرود الجنسى**، باعتبار أن الجنس مظهر من مظاهر الأنوثة التى لاترتضيها لنفسها. ويقول **فرويد** إن البنت عندما تفتقد القضيب تقنع ببظرها، وتجد فيه مقابلاً أو بديلاً عن القضيب، وتستخدمه فى الاستمناء، فإذا كبرت فإن اهتمامها ببظرها ينحسر ويصبح المهبل هو موضع الإشباع الجنسى، إلا أنه فى الحالات المرضية يستمر البظر هو موضع الإشباع الجنسى عندها.

وعقدة إشوم أو إيشمون Eshmun complex هى عقدة خصاء، نسبة إلى الشاب الأمرد **إيشمون**، خشى على نفسه الخطيئة وكيد النساء فخصى نفسه. **والإخصاء الذاتى** قد يلجأ إليه البعض على الحقيقة أو مجازاً تحسباً لظروف أقوى منهم، وكأنهم لو قاموا بإخصاء أنفسهم مقدما، أو تصرفوا وكأنهم الخِصيان، أى بلارجولة، فلن يهددهم أحد من بعد الإخصاء. وإنك لتجد بعض الرجال يسلكون بأنوثة مع الرجال من جنسهم، ويتدللون عليهم، وذلك هو المقصود **بالإخصاء المجازى**، وعندئذ يضمنون أن لاتتحدى ذكورتهم ذكورة الآخرين، وسيجدون منهم الموافقة، وهو مايحدث فى غالب الأحيان فعلاً.

* * *

-٦-

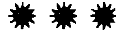
عقدة الذكورة Masculintiy Complex

تتصرف البنت بمقتضى هذه العقدة وكأنها ذكر، ويدفعها إلى ذلك اكتشافها **النقص فى تكوينها التناسلى**، باعتبار أن الأولاد الذكور لهم أعضاء جنسية ليست لها، ويداخلها الشعور بأنها أقل شأنا ولكنها ترفض ذلك شعوريا ولاشعوريا، وتتصرف فى تحد ظاهر للذكور، وتحاول أن تدخل فى منافسات معهم ويكون لها سلوكهم، وتسلك بعدوانية من حيث أن مظهر الذكورة هو العدوانية والسيطرة والحرية، ويطلق **أدلر** على ذلك اسم **الاحتجاج الذكورى** masculine protest، ويؤثر البعض ترجمته باسم **إظهار الذكورة**، وليس إظهار الذكورة وقفاً على الإناث، ولكنه قد يكون أيضا بالذكور، باعتبار أن الأطفال يكتشفون وهم صغار أبعاد الذكورة من حيث أنها تعنى التمرد ورفض الخضوع، ومن ثم فقد يحاول الولد أيضا أن **يؤكد ذكورته** من خلال الخروج على طاعة الوالدين والتأبّى على الأوامر والسلطة بعامة، وإننا لنشاهد ذلك فى الكثير من النساء، المتشبهات بالرجال من حيث الزى وامتهان مهن الرجال، والميل إلى قيادة الرجال من أمثال ماسمعناه عن **الخنساء وجان دارك**، ونلمسه أيضا فى سلوك الرجال الذين ينحون إلى الغزو والفتح **كنابليون والإسكندر**، أو يتجهون إلى غزو من نوع آخر فتكون لهم ضحايا من النساء من أمثال **دون جوان** وأضرابه. وتذكر كتب التاريخ أن **الإسكندر ونابليون** وحتى **دون جوان** كانت لهم قامة النساء وأصواتهن، وربما تنحو بهم هذه الأنوثة إلى أن يكون لهم هذا السلوك العدوانى كمظهر للذكورة.

وترى "**هيلين دويتش**" أن عقدة الذكورة قد تترتب كنتيجة لخبرة بعض النساء منذ طفولتهن، حيث يجدن أن الأنوثة تحول بينهن وبين تحقيق بعض الأهداف، ولاشك أن عقدة الذكورة لاتكون إلا بالبعض اللاتى لهن ميول ذكورية قوية، وإذ يجدن الأنوثة عقبة تتحرك بهن الميول الذكورية وتقوى، ويزيد بذلك الاضطراب الذى يلحظه المحيطون بهن والذى به تتعطل الكثير من وظائفهن الأنثوية، ومن ناحية أخرى فإن **المرأة الذكورية** إذ ترى أن الأنوثة عقبة تنفر منها وتكرهها فى نفسها، وتتأبّى عليها وتغالى فى السلوك الذكورى على حساب الأنوثة، وقد تنجح هذه المرأة فى **التسامى** بالميول العدوانية الذكورية فتوجهها نحو قضايا عامة، وتكون مُدرسة ناجحة مثلاً أو داعية من الدعاة، وتبز الرجال فى الخطابة وفى الحركة من أجل المجتمع، غير أن ذلك يكون من وقت بيتها وأولادها ومن الطاقة التى كان يمكن أن تصرفها على العناية بأطفالها، والكثيرات من هؤلاء النساء تطاردهن لهذا السبب مشاعر الذنب تجاه أولادهن وأزواجهن فتمنعهن من النجاح فى حياتهن العملية، وفى نفس الوقت لايستطعن الانصراف تماما إلى بيوتهن فقط.. والكثيرات من **المتهنات للمهن الفكرية** يعانين من **عقدة الذكورة**، وهن أذكى من التورط فى منافسات مع الرجال من المفكرين، لأنهن يعلمن حدود المرأة وأن الطموح الفكرى هو خاصة الرجل، ومن الصعب على المرأة مهما أوتيت من عبقرية أن تنافس الرجل فى هذا المجال. وتقول **دوتيش** إن المرأة المفكرة من النمط المسترجل تضحى بالحدس الدافئ الذى هو خاصة النساء، من أجل التفكير العقيم البارد. وتقول إن المرأة المسترجلة تحاول جاهدة أن تكون شيئا فى عالم الرجال، وأن تتميز على غيرها فى عالم النساء، ولكنها لاتحقق أياً من أمانيها، فلاهى احتفظت بوضعها كأنثى، ولا هى صارت كالرجال. ويتسبب لها ابتعادها عن الأنوثة واقترابها من الرجولة الدخول فى صراعات ليست لها حدود، وتزكيها دوافع لاحصر لها، كأن يضطرب تعينها بأمها فى الفترة التى تنمو فيها من الطفولة إلى النضج الأنثوى، وبدلا من أن تلتصق بها وتترسم خطواتها فإنها تتراوح بين الإقبال عليها والإنصراف عنها، وبين الاستحسان والاستهجان لما تفعله، وقد يرفض الأنا المثالى عندها أن يتعين بالأم فتنتقدها نقدا صريحا أو مستترا، وشعوريا أو لاشعوريا، فإذا استبعدتها كمثال تصوغ على منواله أناها فإنه لايتبقى لها إلا الأب. وإننا لنجد الكثير من السيدات ينصرفن عن الدور الأنثوى ويهملن واجباتهن كسيدات فى سبيل النجاح الوظيفى والاجتماعى. وقد يتسبب هذا

التراوح بين التعين الأنثوى والتعين الرجالى فى أن تتصدع شخصية المرأة وتنقسم على نفسها، فيكون الجزء العاطفى أنثويا، بينما الجزء المفكر ذكوريا. ولعل أروع الأمثلة لحالة الصراع بين الأنوثة والذكورة هى حالة الكاتبة **جورج صاند**، ولها صورتان، إحداهما لسيدة أم تحمل أطفالها فى حِجرها، والأخرى لها فى ملابس الرجال وقد مشّطت شعرها على طريقتهم وجلست فى تحدٍ ظاهر والسيجارة فى فمها، والصورتان تبينان بما لايدع مجالا للشك أن صاحبتهما لها **شخصية مزدوجة**، وتعانى من انقسام وصراع بين الميول الذكورية والأنثوية. ويعبر اسم **جورج صاند** أبلغ تعبير عن شدة الصراع، حيث أن اسمها الحقيقى "**أورور دوبان**"، واسمها بعد الزواج "**السيدة دوديفات**" ولكن اسم جورج صاند هو اسمها الأدبى أو القلمى الذى اشتهرت به وصنعته لنفسها صنعاً فى دنيا الكتابة. وتقف جورج صاند كمثال رائع **للمرأة الرجل man-woman** التى لها كيان رجل فى جسم امرأة، وحتى عندما كانت تختار الرجال وماأكثرهم فى حياتها الذين تورطوا معها فى قصص حب، كانت تختارهم من النوع الأنثوى الذى يشبع فيها استرجالها، وحتى **شوبان** الموسيقار الأشهر كانت له طبيعة أنثوية وانضم إلى سلسلة ضحاياها من الرجال، وكان من الطبيعى أن تختار عشاقها من بين هذا الصنف الأنثوى من الرجال، فبهذه الطريقة ترضى فى نفسها **النزعات الذكورية والأنثوية** معا. وهناك صنف من النساء المسترجلات يحلو لهن أن تكون لهن علاقات غرامية بشبان صغار نتيجة شوقهن أثناء فترة البلوغ أن يكن ذكوراً، وكانت جورج صاند أيضا من هذا الصنف، فكان يحدث كثيرا وهى صغيرة أن تجرب نفسها فى ثياب الذكور مرات ثم فى ثياب الإناث، وهذا ماتحكيه لنا فى مذكراتها ويعكس طبيعتها الأصيلة التى أساسها **الازدواجية الجنسية**. وتقول "**هيلين دويتش**" إن المرأة المسترجلة لاتدخل أبدا فى قصة حب مع صنف الرجال الذكوريين، لأنها لايمكن أن تنتصر وتمارس عدوانيتها إلا مع الصنف الضعيف الأنثوى من الرجال. وتقول "**دويتش**" إن الذكورة فى المرأة بسبب **حسد القضيب أو عقدة الإخصاء الأنثوى** إنما تشكل جانبا من الجوانب التشخيصية للذكورة فى الإناث، فهناك الكثير من النساء العدوانيات من هذا النوع يدفع إلى إذكاء الذكورة فيهن خوفهن من الرجال، أو رغبتهن فى الثأر لأنفسهن ولبنى جنسهن من الرجال، بسبب توقعهن للاغتصاب، وأن تُفَضّ بكارتهن يوما ما، وذلك يجعلهن يقلبن الموقف بحيث أن المرأة من هذا النوع الذكورى العدوانى تقوم هى بالغواية،

والحاق الأذى بالرجال الذين يتصلون بها، ثم تهجرهم من بعد، وبهذا تهرب المرأة من التوقع القلق وتنبذ الرقة ولاتطلب أن تَشْبَع كأنثى من أجل أن تتشبه بالرجل، فتكون مثله عدوانية، وتذيقه من نفس الكأس التي يذوقها منه بنات جنسها عادة، وهو ماتفهمه من الذكورة في علاقة الرجل بها. وهذا الفهم منها قد يؤدي بها إلى ممارسة **البغاء**، سواء البغاء الصريح أو المستتر، بأن تسلك نفسيا **سلوك البغي** وإن لم تكن تتكسب من البغاء. وأمثال هذه المرأة يدخلن في قصص الحب المرة بعد الأخرى بقصد إيذاء الرجال والأخذ بالثأر منهم. وقد يبدو البغاء عند بعض المومسات من النمط الذكوري في شكل **رفض للأمومة**، بمعنى أنه كما يكون الجنس عند الرجال للهو والمتعة فكذلك يكون الجنس عند هؤلاء النسوة، وتقول **هيلين دويتش** إن كل امرأة تتحاشى أن تحمل، وفي نفس الوقت تطلب الجنس وتلتذ به، إنما تفعل مثل فعل الرجال وتظهر بالمظهر الذكوري. وبشكل عام فإن **المرأة المسترجلة** مالم تتسامَ بميولها العدوانية وتتجه بها إلى نواح إبداعية خلاّقة، فإنه مامن سبيل آخر يمكن أن تنهجه سوى أن تكون سادية، وليست العدوانية ومنها البغاء إلاّ الوسيلة المتاحة لها لتستعرض من خلالها ذكوريتها (Deutsch: Pscychology of Women).



- ٧ -

عقدة الأنوثة Femininity Complex

يكتشف الولد وهو يلعب مع أخته، ثم وهو يستحم معها، وكذلك وهي تبول، أنها لاتملك قضيبا ويستشعر أن ذلك نقص فيها، ويرد هذا النقص للتشابه بين طبيعة أخته وطبيعة أمه، وقد يرى أن الأم هي التي أخصت أخته كي تجعلها مثلها، وقد يحسب أنها أخصت أخته لأنها استغضبتها، وقد يتوهم أن أمه ستخصيه إذا استمر يغضبها، وقد يخشى منها على قضيبه فيحاول أن يترضّاها، وعندئذ قد يلجأ إلى حيلة دفاعية يحمي بها نفسه منها ويستميليها إليه بها، وهي أن **يتصرف بأنوثة** محاكياً الأم، وكأنه بهذا التصرف يريد أن يقنعها أن الأنوثة التي تريدها له بالإخصاء يمكن أن تتحقق بدونه، ويتحبب إليها ويتعين بها، فيرغب أن يكون له ثديان مثلها وفرج كفرجها، وقد يحسدها عليهما، ولربما يكون هناك فعلاً **حسد فرجي** كما أن هناك **حسداً قضيبيا**. ثم إن الولد عندما يتعين بها ولايجد مع

ذلك أنه قد صار مثلها على الحقيقة قد تتربى لديه **عقدة نقص** فيحاول **التعويض** عن شعوره بالنقص بأن **يظهر التفوق**، وقد يصبح الدافع إلى التفوق **عقدة تفوق**، وقد يتولد عنده رد فعل لإحساسه بدوافعه الأنثوية المخالفة لطبيعته، ويخشى أن يتحول إلى بنت فيتصرف بعدوانية **ويغالى** فى إثبات ذكورته.

***

- ٨ -

عقدة الثدى Breast Complex

الثدى مصدر الإشباع للطفل، وهو يعيه كأول مايمكن أن يعيه من جسم أمه، ولو كان باستطاعته أن يقدم لنا صورة للأم لقدّمها لنا على أنها **ثدى**، وهو يفرح لظهور الثدى لأنه يعنى الحليب، واختفاء الثدى أو ارتفاعه عن فمه يحزنه ويؤلمه فيبكى، ويستدمج الثدى باعتباره امتدادا له، ولكن هذا الحرمان الذى يعانيه كلما رغب فيه فلم يجده يجعله يحس أنه ليس جزءاً منه كما تصور، وأنه عضو مخالف له. وتفطمه الأم على غير هواه، ويحاول أن يستعيد الثدى المشبع له، ويحتمل الإحباط. وقد يحسد الأم من بعد على أنها تملك هذا الشئ المشبع والذى لايملكه أبوه وقد يجعله **حسد الثدى breast envy** يرغب أن يكون له مثل هذا الثدى المشبع، ويكتشف من بعد أن له قضيبا ليس لأمه وليس لأخته، وقد يرى فى تفرّده بهذا القضيب مايجعله يشعر أن القضيب يعوضه عن الثدى، وأنه بديل الثدى، ويحبه لهذا السبب كما يحبه فى الآخرين، وقد يتولد لديه الدافع لأن يأتيه يمص فيه كالثدى، ويسلك **كالمأبون** تأتيه الذكران، أو يتعشق **مص القضيب**، أو يمارس **الاستمناء** باليد، وقد يمارسه بالتبادل مع طفل مثله فتتاضعف بذلك لذّته.

والولد إذ يكتشف أن قضيبه شبيه بالثدى، فيعامله كبديل له، ويحبه ويحرص عليه لأنه ملكُه هذه المرة ويخصه، ويلازمه ولن يختفى كاختفاء الثدى، ولن يحرمه أحد منه كما كانت تفعل أمه، يزداد حرصه عليه إذ يتبين أن البنات لهن فرج، وأمه أيضا لديها فرج، وهو يبول بقضيبه وينافس الأولاد فى التبول به، ولكن البنات لايفعلن ذلك، ومحرومات من اللعب بالقضيب. وقد يرى فى الفرج شبهاً بالفم ويتوهم لذلك أن له أسنانا كالفم، وهو مايعرف **بوهم الفرج المسنن**، ويخشى الفرج لأنه يخشى أن يعض إصبعه إذا وضعه فيه، ويتعلم أن يخاف من هذا الموضع من الإناث، ويقدر مايخاف من الفرج فإنه يعتز بالقضيب، وليس

اعتزازه به سوى لأنه المقابل للثدى المشبع، وإذن فشتّان بين الفرج المؤذى والقضيب المشبع، لأنه بديل الثدى المشبع، وانحراف الولد **للجنسية المثلية** قد يكون مصدره عقدة الثدى هذه، ومضمونها المشابهة بين **الثدى والقضيب**، والحرمان من الثدى الذى يدفع إلى السعى لاستعواض لذة الثدى بلذة القضيب، والخوف من الجنس الآخر الذى يمثله الفَرْج العضاض (أنظر **الثدى والفرج المسنن ومص القضيب**).

***

- ٩ -

عقدة الصبى Apprentice Complex

المقصود **بالصبى** الذى يتتلمذ على آخر ليأخذ عنه الصنعة أو المهنة، وفى فترة التلمذة هذه يكون مطيعا، يسمع وينفذ ليشرب أسرار الصنعة أو المهنة بسرعة، ويكون فى المستقبل مثل أستاذه أو معلمه. وكذلك الطفل فإنه تأتى عليه مرحلة يود فيها أن يكون كأبيه، ويتصرف إزاءه تصرّف الصبى أو التلميذ، وينصاع له لعله بهذه الطريقة يكتسب الرجولة، ويكون من بعد الرجل أو الذكر المرتقب. وقد يغالى الطفل فى إتيان هذا السلوك مع أبيه أو مع كل بديل عن الأب. وقد يظل هذا الاتجاه فيه حتى بعد البلوغ والنضج فيخضع بسرعة لكل من **يَتَعلّمَنْ** عليه أو يظهر المعرفة أكثر منه. وفى بعض الحالات قد يتحول فيه هذا الميل للخضوع والسلبية إلى الجنسية المثلية، أى أن يلتاط متخذا لنفسه الدور السلبى أى دور **المأبون**. ويثبت التحليل النفسى أن **السلبية** تكون ببعض الأولاد وتدفعهم إلى السلوك بخضوع مع من هم أقوى منهم، فيغرى ذلك الأقوى بالإساءة إليهم جنسيا . وعقدة الصبى هى ذلك الجانب من التكوين النفسى لبعض الأطفال، والذى يتميز بالعلاقة العاطفية الخاصة بين الأب وابنه فى المرحلة قبل التناسلية من مراحل التكوين النفسى الجنسى، والتى فيها يكون تشبّه الولد بأبيه أقوى مايمكن حتى أنه يواليه على كل شئ، وفيها يكون الولد متلقياً أو سلبياً من أبيه، وكأنه الأنثى المتفتحة لذكورة طاغية لاتملك حيالها دفاعا عن نفسها، ولعل ذلك يفسر الظواهر الأنثوية فى سلوك البعض والتى تتخلف عن هذه المرحلة.

***

- ١٠ -

عقــدة الجــد Grandfather Complex

رغبة تستبد بالطفل أن يكون جدا وأن يكون له سلوكه، وأصلها أنه يريد أن يتصور نفسه والداً لأبويه، وكلما رأى نفسه يكبر باستمرار تزيد توقعاته أن يأتى اليوم الذى يكون فيه كالوالد لهما، فيعتمدان عليه بتأثير الشيخوخة، وقد يتعجّل الزمن فيأتى من السلوك مايقوى فيه الرغبة ويفصح عنها، وقد يزيده نقداً لهما. وربما كان هذا الضرب من التخيل عند بعض الأطفال هو أساس الاعتقاد فى **تناسخ الأرواح**، وربما كان أصله الرغبات الجنسية المحرّمة عند الطفل طالما أنه يتمنى لو كان أبا لأبويه (Jones: Papers on Psycho - analysis).

***

- ١١ -

عقــدة الأخ Brother Complex

(أنظر عقدة قابيل)

***

- ١٢ -

عقــدة قابيــل Cain Complex

عقدة الغيرة والتحاسد والتنافس تصيب الإخوة، فيتباغضون ويبغى بعضهم على بعض. **وقابيل** الذى تنسب إليه هو ولد آدم، كره من أخيه **هابيل** أن ينكح أخته توأمته، وأبى أن يسلمها له وأرادها لنفسه عصيانا لأمر أبيه وخرقا للشريعة. وطلب منهما أبوهما أن يتقربا إلى الله وأيهما يُتقَبل منه ينكحها، فتقرّب قابيل بقمح وكان صاحب زرع، وتقرّب هابيل بكبش وكان صاحب غنم. وتقبّل الله من المتّقى هابيل. وتقدّم قابيل يقتل أخاه، ولم يفعل هابيل إلا أن قال لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك. إنى أخاف رب العالمين. وأصبح قابيل من الخاسرين، وذهب مثلاً فى البغى والحسد بين الإخوة.

وإننا لنعرف من واقع حياتنا اليومية كيف لايحلو من النساء لبعض الإخوة إلا نساء إخوانهم، ويقارن الأخ بين زوجته وزوجة أخيه ونصيبه ونصيب أخيه، وتعرف زوجات الإخوة ذلك ولعله سبب تباغضهن أيضا. وربما كان **حسد الإخوة** هو الذى أدّى إلى قول الله عز

وجل فى التوراة : لاتنظر إلى امرأة أخيك. ولهذا فكثيراً مايموت الأخ فيسرع أخوه إلى الزواج بامرأته تحقيقاً للرغبة التى كانت تحتدم به وأخوه حى، فلما قَضَى خطبها لنفسه واستحوذ عليها، وكأنه كان يرجو موته لينالها، وليس من سبب فيها يغريه بها إلا أنها كانت زوجة أخيه.

ويعرف الإخوة مايسمى **تنافس الإخوة** sibling rivalry، وهو كثير الحدوث بين الإخوة الذكور عنه بين الأخوات البنات، وربما يرجع إلى التسابق بينهم على نيل رضا الأم، ولهذا يكره الولد الأكبر أخاه **المولود حديثا لأنه** صار يستحوذ على انتباه أمه دونه، وصار ينال منها المحبة كلها بدليل القُبَل التى تغدقها عليه، وبدليل أنه دائما فى حضنها. وبعد أن يُفطَم الصغير يلمس أن أخاه **الأكبر** هو الأقوى والأكثر حرية والأقدر على فعل الأشياء، فيكون التحاسد ثم التباغض. وهذه المشاعر تشتد وتحتدم بالإخوة المحبين للتملك والذين يطلبون بكثرة، وذلك ما يغرسه الأبوان فيهم نتيجة المحاباة والاستلطاف وإيثار هذا على ذاك. ويضرب القرآن مثلا على تنافس الإخوة بقصة **يوسف**، وللقرآن تعبير معجز "لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين، إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين. اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكن وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين" (يوسف من ٧ إلى ٩). والعقدة التى تحكم تصرفات إخوة يوسف هى **عقدة الأخ** أو بالأحرى هى **عقدة قابيل**، وأوثر أن أطلق **عقدة يوسف** على التنافس بين الإخوة، تمييزا لها عن عقدة قابيل. وكذلك أوثر أن لا أخلط عقدة قابيل بعقدة الأخ، وذلك أن عقدة الأخ قد تنصرف إلى مشاعر الأخ نحو أخته حتى ليغار عليها بشدة وتكون به رغبات جنسية لاشعورية نحوها تعمل من داخله ولاتظهر عليه إلا مشاعر الصراع معها، وكان الأخ يبنى بأخته فى ظل نُظُم الزواج القديمة، وهكذا تزوج النبى **إبراهيم** من أخته **سارة**، ونعرف أن نظام الزواج فى مصر القديمة كان يقر زواج الإخوة (زواج حتشبسوت والملك تحتمس الثانى). وقد يحل الأخ هذا الصراع بأن يتعلل بمختلف الأعذار عن رفض تزويج أخته وبذلك يحبسها على نفسه. وهناك حالات زنا بالأخت فى التاريخ كحالة الشاعر **بيرون**. غير أن كل الحضارات والأديان تحرّم أن يغشى الأخ أخته ولهذا يأمرنا الإسلام أن نفصل بينهما فى المضاجع فى فترة الكمون (دون التاسعة)، ومن رأى **فرويد** أن الأخ عندما يحب أخته فإنه يوقف نفسه عليها ولايتزوج، وكذلك عندما تحب الأخت أخاها فإنها لاتوافق

على الزواج من آخر، وذلك يفسر العزوبية التى يعيشها الأخ والأخت المتحابان. ومن رأى **فرويد** أن الرغبات الجنسية المحرمة يكون مآلها الكبت، وهى التى تسبب العجز الجنسى للأخ والبرود الجنسى عند الأخت، الأمر الذى يجعلهما غير صالحين للزواج من آخرين. ونحن نصادف أمثلة كثيرة لهذا فى حياتنا، وقد تسأل الأخ الأعزب عن سرّ عدم زواجه رغم تقدمه فى السن فيتعلل بأخته التى لم تتزوج، وهو فى الحقيقة يعتذر بها عن زواجه، لأنه فى الواقع يحبها ولايستطيع أن يتزوجها، فيمتنع بالكلية عن الزواج.

***

- ١٣ -

عقدة أتريوس Atreus Complex

أتريوس فى الأسطورة خانته امرأته مع أخيه فعافت نفسه ولديها **أجاممنون ومينيلاوس**. وعقدة أتريوس هى عقدة كل أب تخونه زوجته فيكره بيته وأولاده وقد يولىّ الأدبار لايلوى على شئ، وقد يخطط لينتقم منها فَيَهِمّ ولكنه لايرقى إلى تنفيذ مايخطط، وقد يفعل.

وعقدة أتريوس هى المقابل **لعقدة ميديا**، ومثلما عقدة أتريوس هى **عقدة الأب النابذ لأولاده**، فكذلك عقدة ميديا هى **عقدة الأم النابذة لأولادها**، يخونها زوجها مع أخرى أو يتزوج بأخرى عليها. وكان زوج ميديا قد تقدم لخطبة أخرى فكادت للخطيبة وسحرتها وقتلت ولديها انتقاماً من زوجها.

***

- ١٤ -

عقدة انتيجون Antigone Complex

عقدة الأخت المحبة لأخيها، الواصلة لأرحامها ولو كان ذلك ضد مصلحتها وفيه حتفها، أو هى عقدة المرأة عموما تصطرع فيها العاطفة والعقل، أو الواجب والقانون فتنتصر العاطفة والواجب.

وأنتيجون فى الأسطورة إبنة **الملك أوديب**، قضوا بقتل أخيها وترك جثته فى العراء عبرةً للمعتبر، فانسلّت بليل لتواريها التراب، فأمسكوا بها وحكموا بدفنها حية فبخعت نفسها، وذهبت أنتيجون مثلا لتفانى الأخت فى حبها.

***

- ١٥ -

عقدة اوريست Orestes Complex

عقدة الإبن تتآمر أمه وعشيقها على قتل أبيه ليخلُوَا إلى بعضهما، فينتقم الإبن لأبيه ويقتل الأم والعشيق معا. **وأوريست** في الأسطورة إبن **أجاممنون** ملك مسينا، وأمه **كليتمنسترا**، والعشيق **إجيثيوس**، والقصة من حوادث كل يوم، والبعض يرى لذلك أن **العقدة أصيلة** كعقدة أوديب، وقيل هى **عقدة ثانوية** تقوم على **مشاعر أوديبية مُحرّمة**، شأنها كشأن العقد الأخرى، وتشبهها **عقدة هاملت** في رائعة **شكسبير**، وحبكتها هى نفس الحبكة.

* * *

- ١٦ -

عقــدة جـريزلـده Griselda Complex

عقدة الأب المتعنّت يمقت أن يزوج ابنته وينفر أن يسأله الناس خِطبتها، أو يشترط لزواجها الشروط ويسرف في المطالب ليعز بها على الطالبين.

وكانت **جريزلده أو جريزيليس** في الأسطورة مضرب المثل في الجمال والكمال حتى نسجوا حولها الروايات. وقيل في تفسير موقف الأب أنه يعاني من **مشاعر ورغبات أوديبية** واضحة تجاه ابنته، وأساسها **صراعات أوديبية** لم تحل من الطفولة، وقوامها مشاعره ورغباته تجاه أمه، فكلما تصور ابنته يمتلكها آخر وتكون له زوجة ولأولاده أما، استيقظت في نفسه مشاعره ورغباته القديمة التي كان يستشعرها ويتوجه بها لأمه فيزداد حرصاً على ابنته وإصراراً على استبقائها لنفسه دون سواه.

* * *

- ١٧ -

عقـدة جـوكاسـتا Jocasta Complex

جوكاستا هــي أم الملك **أوديب** في الأسطورة اليونانية، وهي التي تزوج منها وأنجب أولاده دون أن يعرف أنها أمه، وعندما عرف ثَمّ عينيه وشنقت جوكاستا نفسها، واستطاع الشاعر **سوفوكليس** أن يبدع قصتها ويكشف عن الجوانب الدرامية في موقفها. وبرغم أنها لم تكن تعلم أن الذي تزوجته هو ابنها، إلا أن بعض العلماء أتخذ مأساتها مؤشراً على مايمكن أن تكنّه الأم لابنها من محبة مفرطة، تصرف هذه المحبة عن وجهها السليم وتجعلها سلوكاً غير سوى.

وعقدة جوكاستا هى **عقدة الأم** المولّهة بابنها حتى الإغراب، وهى المقابل **لعقدة أوديب**، فالرغبة اللاشعورية الشبقية بالإبن للأم تقابلها رغبة شبقية لاشعورية بالأم تجاه الإبن. ولاتستشعر الأم غرابة لتصرفاتها مع ابنها ولاتحس بالدوافع اللاشعورية التى تدفعها إلى هذا السلوك الغريب على من حولها، وقد يصل فى الحالات المَرَضية الشديدة إلى حد العلاقة الجنسية السافرة. وكثيرا ما يكون فى هذه المحبة المفرطة من قِبَل الأم دمار له كالدمار الذى لحق بأوديب، يشمله داخليا وخارجيا، أو نفسيا واجتماعيا معا.

* * *

- ١٨ -

عقـــدة ديـانـا Diana Complex

ويقال لها أيضا **عقدة أرتميس**، وهى الرغبة المكبوتة بالأنثى أن تكون ذكرا، فتصدر فى تصرفاتها عن ذكورة، أو تظهر بها الذكورة، وتنهج نهج الذكور وتسلك سلوكهم.

وديانا فى الأسطورة اليونانية **هى أرتميس**، قيل فيها إنها **الإلاهة العذراء** فلم يجامعها أحد، وعاقبت من حاولوا اغتصابها أو أن ينافسوها فى ألعاب الذكور وخاصة الرمى، وكانت تمتشق قوسا كالآلهة الذكور وتتشبه بهم، وكانت تتقن فنون الحرب واشتركت فى حرب الآلهة. ولم يُسمَع عنها أنها تزوجت، وكانت على العكس تهوىَ الحوريات وتجمعهن حولها ولاتأذن لهن بالاتصال بالذكور. وربطوا ظهورها **بالقمر** وفسروا تأثيره على حيض النساء وحملهن. وقيل إن أحد أبطال الإغريق تجرأ وتطلع إليها عارية وهى تستحم فقتلته بسهم من سهامها، وقيل إنه اجترأ عليها وباراها فى الرمى.

وعقدة ديانا هى نفسها **عقدة الذكورة** التى تجعل البنت تسلك كما سلكت ديانا فتكون عدوانية من حيث أن مظهر الذكورة هو العدوانية، ويجعلها تتشبه بالرجال وتميل إلى امتهان مهنهم، وقد تتزعم الرجال من أمثال ماسمعناه عن **الخنساء** و**جان دارك** وغيرهما.

* * *

- ١٩ -

عقـــدة فيـــدرا Phaedra Complex

عقدة زوجة الأب تقع فى حب ابن زوجها وتريده لنفسها ولكنه يستعصم منها.

وفيدرا فى الأسطورة اليونانية هى زوجة **ثيسيوس**، أحبت ابنه **هيبوليتوس** وكادت له عندما رفضها فأوقعت بينه وبين أبيه، وقُتل الابن فى حادثة وبخعت الزوجة نفسها.

- ٢٠ -

عقدة كليتمنسترا Clytemnestra Complex

عقدة المرأة تراودها الرغبة اللاشعورية أن تقتل زوجها لأنها تحس بالحب لقريب له، وقد تفعل مثل كليتمنسترا فى الأسطورة اليونانية، قتلت رجلها بطل الأبطال **أجاممنون** فى الحمام، بأن أوقعته فى شبكة تصاد بها الحيوانات وأطبقتها عليه، ثم ضربته على رأسه ثلاثا، لتخلو من بعد بابن عمه **إجيثيوس**. وقد أفزعت الجريمة ابنها **أوريست** فانتقم منها ومن عشيقها وقتلهما شر قتله.

وإن المرأ ليقرأ عن **عقدة كليتمنسترا** فيذكر قصة **شجرة الدر** وما فعلته بزوجها فى الحمام أيضا، بضربه بالقباقيب إلى أن مات، ليخلو لها الجو من بعده فتتزوج وتحكم على هواها. ونذكر أيضا قصة **هاملت** الذى تآمرت أمه وعشيقها، وهو أخو زوجها، على قتل الزوج ليتزوجا ويحكما، ولكن هاملت يقتل العم ويقتل نفسه.

وصارت مأساة كليتمنسترا موضوعا للعديد من الأعمال الأدبية الكبرى، ونسبت إليها تلك العقدة التى نجد لها أفعالا عجيبة نقرأها كثيرا فى صفحات الجرائم فى الجرائد اليومية، ونشهد تأثيراتها فى العديد من أوجه الخلافات الزوجية.

❋ ❋ ❋

- ٢١ -

عقدة ميديا Medea Complex

عقدة المَقْت تتوثق بالأم لأولادها عندما ينشز زوجها ويخونها مع أخرى أو يهجرها لزوجة ثانية فتنتقم منه فى أولادهما، وانتقامها قد يقتصر على **نبذ الأولاد** كما تفعل الكثير من نسائنا فى حالات كهذه، وقد يزيد فتتنازعها رغبات إجرامية أن تقتلهم، وقد تفعل.

وميديا فى الأسطورة اليونانية أحبت **جيسون** وساعدته ضد أبيها، وفعلت المستحيل كى يحصل على **الفروة الذهبية**، فخانت أباها، وذبحت أخاها **أسبرتوس**، وقطَّعته إربا، ووزعت القطع فى الطريق كى تشغل الأب بجمعها عن اللحاق بها وعشيقها. ووصلت ميديا وجيسون إلى كورينثه وقد أنجبا ولديهما **ميرميروس وفيريس**، ويخطب جيسون ابنة ملك كورينثه، وتجن ميديا، وفى ليلة العرس تهدى العروس ثوبا تضعه فتموت لتوها، وتقتل ميديا ولديها وتولى الأدبار.

وقيل إن **عقدة ميديا** تفعل فعلها فى المرأة فإنها تكيد لزوجها وتتفنن فى ذلك، وقد تصاب منها **بعسر الطمث أو بعسر الجماع أو بالعقم**، وإذا كانت مرضعا يجف لبنها، وأشياء أخرى كثيرة مما نسمع بها فى حياتنا اليومية وفى الريف خصوصا حيث يكثر أن يتزوج الرجل على زوجته أو يطلقها لزوجة أخرى.

ويطلق بعض العلماء **عقدة ميديا على رغبة الأم فى أن تموت ابنتها**، غير أن ذلك لايتفق مع مضمون أسطورة ميديا، وذلك أن ميديا لم تكن لها بنات وكان إنجابها كله من الذكور. وقوبلت عقدة ميديا عند الأم **بعقدة أتريوس** عند الأب، وهى عبارة عن رغبة لاشعورية عند الأب أن يلقى ابنه الموت، وقد تجد الأب ملهوفا على ابنه وقلقاً عليه كلما خرج أو غاب كتكوين عكسى لما يشعر به داخليا، وقد يسعى الأب إلى قتل ابنه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

ولربما تبدو أعراض **عقدة ميديا معكوسة** فتكون خوفاً تبديه الأم على أولادها ورعاية زائدة لهم بتأثير عكسى للعقدة، أو قد تشغل بفكرة أن آخرين يتآمرون على ابنها ويريدون قتله، وقد تنسب ذلك لضُرّتها أو أهلها وتتهمهم على سبيل الإسقاط، أى إسقاط مايدور بنفسها عليهم.

وقيل إن من أعراض عقدة ميديا أن تعجز المرأة عن إرضاع أولادها برغم صحتها الظاهرة وامتلاء صدرها، إلا أنها لاشعوريا **لاتريد طفلها** ومن ثم ينضب ثدياها دون سبب، وكأنها بذلك تحاول قتله. والكثير من الظواهر السلوكية فى الزواج غير الموفق تفسره عقدة ميديا التى قوامها عزوف الأم عن أولادها، وكراهيتهم، ونفورها من زوجها.

✱ ✱ ✱

- ٢٢ -

عقـــدة نابليـــون Napoleon Complex

ويطلق عليها علماء النفس أحيانا **متلازمة أصحاب البنية الضئيلة** حيث تجتمع للرجل صغير الجسم أعراض تتراكب ويعوض بها عن ضآلة حجمه، بأن يكون عنيفا مع النساء أو عدوانيا مع زوجته، ويميل إلى السيطرة والاستحواذ والأخذ، وقد يميل إلى الإكثار من غشيان النساء ويصبح زئر نساء ويتصرف **مثل دون چوان فى الأسطورة**، فينحو إلى غزو القلوب وكأنه القائد يغزو البلدان. وكان **نابليون** له هذا النمط من الشخصية، وكانت له قصص كثيرة مع النساء حتى لقد قيل إنه ماكان يذهب إلى النوم إلا ومعه امرأة جديدة.

وكان يختار من النساء أفرعهن عودا، يعوض **باختياره** ماانتُقص منه من جسمه **بغير**

اختياره. وقيل إن قضيبه كان صغيرا، وكان ذلك من الضغوط الجنسية عليه التى تدفعه ليؤكد ذكورته فيغالى فى التعويض عن النقص به، بأن يتصرف مع الرجال والنساء بعدوانية وعنف عُرف عنه واشتهر بهما، وتحقق له من سلوكه أن فَرَض احترامه على الذكور. ولعلماء التحليل النفسى تعبير خاص فى ذلك فهم يقولولن إنه **أخصاهم**، بمعنى أن أجسامهم الضخمة لم تشفع لهم أن ينجحوا كذكور نجاح نابليون وهو الضئيل الجسم، واختارته النساء دونهم رغم أنه الصغير القضيب، لأن ذكورته وفحولته فى السلم والحرب تضاءلت إلى جوارها ذكورة الآخرين. ويُروَى عن نابليون أنه كان يحسن الكلام مع النساء حتى أن ضباطه بما كانوا عليه من جمال الطلعة وعبالة الجسم كان يصيبهم العىّ من ذرابة لسانه وبراعة تعبيراته، والعى قد يكون على الحقيقة فيصيب اللسان، وقد يكون على المجاز فيكون **عجزا جنسياً**. ويروى أيضا أن إحدى عشيقاته طلبت من أحد أركانه أن يضاجعها نكاية فى نابليون، ووافقها الضابط فما استطاع أن يأتيها فى تلك الليلة، وهو المقصود من قول علماء التحليل **بالإخصاء النفسى**، وفى حالة هذا الضابط نقول إن تأثير نابليون عليه كان **تأثير الإخصاء**.

* * *

- ٢٣ -

عقدة هيراكليز Heracles Complex

هيراكليز فى الأسطورة اليونانية كان مغواراً ولكن الفشل وسوء الحظ ظلا يلازمانه، وقد جعله ذلك ينسب مابه إلى أولاده فاغتالهم، **وعقدة هيراكليز** تكون بالأب وتظهر فيما يبدو من سلوك معادٍ للأبناء، ونفور وكراهية تتمثلان فيما يقوم بينه وبينهم من مشاكل تطبع العلاقات العائلية بطابع شديد السوء، وقد يصل الأمر بالجميع إلى ساحات المحاكم، وأحيانا يتولى الأب بنفسه أو بتحريضه لغيره قتل واحد من أولاده، وكلما كانت هناك جريمة مروعة من هذا النوع كانت عقدة هيراكليز هى السبب. ولقد حاول بعض علماء النفس أن ينسبوا **رؤيا النبى إبراهيم** أنه يقتل ابنه إلى هذه العقدة، باعتبار أن **إسماعيل** لم يكن مرغوبا فيه من **سارة** بالنظر إلى ولادته من أَمَة، والخلافات التى دبّت فى نطاق العائلة والتى مرجعها استعلاء **هاجر** وغيْرة **سارة**، الأمر الذى جعله يهاجر بابنه وزوجته إلى أرض نائية ومقفرة غير مأهولة ولا آمنة، ويتركهما فيها وحدهما، وهو نوع من **الحكم بالإعدام**، وكان من الممكن أن يكونا فى عداد الأموات فعلاً لولا رحمة الله فعوّضهما وصار القفر كعبةً للعالمين.

الفصل الثانى والأربعون

النرجسية والسادية والماسوشية

-١-

النرجسـية Narcissism

هى حب الذات، من **النرجس** وهو الزهر المعروف، وله قصة أسطورية عند **الإغريق**، مفادها أن فتاة تدعى **صدى** هامت بحب الفتى **نرجس**، وأصابها من ذلك السقام حتى ذبلت وماتت، فأغضب موتها الإلاهة **نقمة**، فأنزلت به عقابا بأن جعلته يعشق صورة نفسه التى رآها منعكسة على صفحة الماء، وشُغِل بها عن كل ماعداها حتى أُرهق نفسيا واضطرب عقله، فنزل يوما إلى الماء يريد أن يحتضن صورته فغرق ونبتت مكانه زهرة **النرجس** التى تظهر كل ربيع وتنمو على الماء.

والنرجسية تعنى أن الشخص المصاب بها **غير ناضج انفعاليا**. ونحن نبدأ فى الصغر بأن نحب **أنفسنا**، ثم نكبر فنحب **غيرنا** وتكون لنا اهتمامات موضوعية بخلاف حاجاتنا وملذاتنا الشخصية، فأما الإنسان غير الناضج فإنه الذى يتثبّت نفسيا عند المرحلة الأولى التى كان عليها وهو طفل، ويظل نشاطه محصوراً فى نفسه فيضيق أفقه المعرفى، ويتسبب له ذلك فى الكثير من الفشل، فيستشعر القصور، ويحاول أن يتجنب هذا الشعور بأن يتنصل من المسئولية، ويكتفى بأن يكون لنفسه دون الناس، ويغالى فى تقدير نفسه وصفاته ليعوض عن الشعور بالقصور ولأنه قليل الخبرة وأنانى.

والنرجسية من **مصطلحات التحليل النفسى**، ومنها **نرجسية أولية** تتحصل أولاً للأطفال فيكون توجههم لأنفسهم، ولأن حاجاتهم تُلَبّى دائما لهم والكل موظف لخدمتهم فإن شعورا بالقوة أو بالقدرة يتعاورهم، وهذا الشعور هو سمة المرحلة النرجسية الأولية، إلا أنهم مع استمرار النمو والترقّى بالتعليم يتأتّى لهم أن يدركوا قصورهم، وفى نفس الوقت يتأتى لهم أيضا بالمقارنة أن يلمسوا هذه القدرة المطلقة لأبويهم، ومن ثم يحاول الأطفال من بعد أن يتعينوا **بالأبوين** لتكون لهم قدرتهما. وتتوجه بعض الطاقة النفسية التى للطفل إلى الأبوين وإلى **الناس والأشياء** من حوله، إلا أنه قد يعود فيوجه هذه الطاقة من جديد إلى نفسه فيحب **نفسه** أكثر من حبه لأبويه أو أية موضوعات أخرى من الحياة، ويتمثّل نفسه تمثلا

عاليا وهذا هو المقصود **بالنرجسية الثانوية**، وهى هذا النوع من النرجسية الذى يمكن أن يكون **للكبار**، بخلاف النرجسية الأولية التى تخص **الأطفال** دون سواها.

والنرجسية الثانوية يصاب بها **المذهونون** وخاصة **المرضى بالفُصام**، فتتقطع بالمريض أسباب التواصل **بالعالم الخارجى**، ويعيش داخل عالم من أوهام العظمة يترضّى بها حاجاته، **وعالم المريض الداخلى** يكون ذاتيا، موغلاً فى الذاتية، فيوصف لذلك نوع الذُهان الذى يشكو منه بأنه **اضطراب نرجسى**.

ويتحدث البعض عن **نرجسية سالبة**، قيل إن المريض بها يبخس نفسه حقها من التقدير ويبالغ فى ذلك، وغالبا ماتلاحظ أمثال هذه الحالات عند **المرضى بالمالنخوليا**، فيتهم المريض نفسه باتهامات ليست فيه، ولايعيش الواقع، ويستشعر النقص، ويهاب المسئولية، ويتحاشى كل فعل يمكن أن تكون له عواقب يخشاها.

ويستخدم **فيرينزى** اصطلاح **نرجسية المرض** ليصف هذا النوع من النرجسية الذى تظهر أعراضه مصاحبة لمرض عضوى يصيب الشخص، فيتصرف بأنانية شديدة، وينصرف باهتمامه وحبه ومخاوفه إلى صحته وأحوال جسمه.

والنرجسية بخلاف **الأنانية egoism** حيث الأنانية تتوجه إلى تقدير الأشياء والناس بحسب قيمتهم وأهميتهم للأنانى أو مايفيده منهم، بينما النرجسية **هى حب الذات**، وقد يقال إنها تعشُّق الذات، وكثيرا مايكون العنصر الجنسى من معانيها. ويحكى **كرافت إيبنج** عن مرضى كانوا لايستمنون إلا إذا نظروا لأنفسهم فى المرآة.

والنرجسية أيضا بخلاف **العُجب** (بضم العين) **egotism**، حيث العُجب نوع من التقدير المبالغ فيه للذات، والإعجاب بها وبما يصدر عنها إلى حد الصلّف والادعاء، ومن ذلك أن المرء قد يؤلّه نفسه كما هو عند المرضى بالفُصام، بمعنى أنه يصل فى حبه لنفسه أن يتعبد نفسه، ويحيط كل مايقوله أو يفعله بهالة من القداسة ويعتد به، **فلايقبل مناقشة أو** نقدا، وهو المقصود باصطلاح «**تأليه الذات egotheism**». ويمكن أن يدرج كل ماسبق ضمن مايسمى **بالشخصية النرجسية**، فصاحب هذه الشخصية محب لنفسه وشديد الاعتزاز بها وبما يقوم به، ولديه أوهام بقيمته وتفوقه تعمل عملها فيه دون أن يشعر، ويعتبر أن من حقه أن تكون له امتيازات وأن يأخذ دون أن يعطى، وفلسفته فى الحياة أن رغبته فى الشئ هى المبرر له على أن يحاول أن يحوزه، والناس عنده وسائل لتحقيق مايصبو

إليه، وهذا هو مايجعله موضوعا لكثير من **الروائيين والمسرحيين**، وقد ينفر منه الناس إلا أنه رغم نفورهم يفلح فى الحصول منهم على مايحصل عليه، فتقوى ثقته بنفسه ويتفاءل مهما كانت الظروف على عكس مايدعوه إلى التفاءل، وهو دائما يقول إن كل شئ سيكون على مايرام فى النهاية، ولعل ذلك من تأثير خبراته الباكرة فى الحياة، وغالبا مايكون الوالدان قد جعلاه يركن إلى فكرة أنه محبوب وموهوب وأنه مهما يفعل فالناس ستتقبل مايفعل بصدر رحب، وكثيرا ما تقسو عليه الحياة لأن ذلك لايتكرر معه بنفس الطريقة من بعد، وتشق عليه المسئولية لهذا السبب ويحاول أن يتحاشاها، ولا يهمه الناس ومايقولونه أو يتقولونه عليه، فهو دائما الأقوى وفوق المساءلة والنقد. والنرجسى لهذا السبب **لايميل أن يسأل الأطباء علاجا** لحالته فصلَفه واعتزازه بنفسه يجعلانه يرفض فكرة عرض نفسه على الأطباء، لأن طلب العلاج معناه أنه مريض وهويرفض فكرة المرض لأنه يعتقد أنه الأصح وأنه الكامل، فإذا رضخ أن يذهب إلى الطبيب فلا يسلم له نفسه ويظل بمنأى عنه ويقاوم أن يجيب على أسئلته بالطريقة التى ترضى الطبيب، وقد يتحول الموقف بينه وبين المعالج إلى صراع فيحاول أن يظهر أنه الأكثر فهما وإدراكا للأمور.

والنرجسى فى **بيته ومع زوجته** يسلك مع الجميع باعتباره أنه ولى نعمتهم، وهو يريدهم على مايتصور الأشياء التى يملكها، وهو **فى الفراش** لايعطى ولكنه يأخذ، ويطلب مايسعده وليس ما يسعد امرأته، ونادرا ماتتحقق لها الهِزّة، وجماعه بها قليل لأنه ضنين بمنيّه، فإذا رغب فيها فرغباته ينجزها على حساب رغباتها هى، تدوم مضاجعته إلا بقدر مايرغب، فإذا حاول أن يبلغ معها الهِزّة فذلك فقط ليبرهن لها أنه قوى جنسيا، ولأنه يريد أن يحافظ عليها كشئ من ممتلكاته. وهو يختار زوجته **الأجمل** ويجعل منها أكثر النساء أناقة لأنه يقصد إلى المباهاة بها، على أنه غالبا مالا تستقيم أمور صاحب الشخصية النرجسية فى الزواج، وقد تصدقه زوجته مرة ومرات إلا أنها فى النهاية تطلب الطلاق. وربما قد يفيده أن تناقشه الزوجة أو الطبيب فى أحواله، إلا أن مناقشته حول نفسه قد تتفتح بها أشياء مجهولة ويكشف عن مواضع ضعف وقصور، فإذا اعترف بها فربما يكون ذلك مؤشرا إلى نجاح المناقشة معه، وربما تتصحح فكرته عن نفسه ولكن ذلك **يحتاج إلى الصبر** من الزوجة أو من الطبيب.

ومن الأشياء التى تشكو منها الكثير من زوجات النرجسيين مايقال له **التطلّع الذاتى**

النرجسى، وهو أن يحب أن يطالع النرجسى نفسه عارياً فى المرآة، أو أن يحب أن يرى **عورته** أو أن يراها الآخرون، ويبدأ معه ذلك منذ الصغر، وبعض الأطفال من هذا النوع نجدهم فى نشوة غريبة وحالة هياج قصوى عندما يتعرون، ويجرون هنا وهناك ضاحكين مهللين، غير أن حبه لأن يطالع عريه ويطالعه الناس يزيد وينمو معه فيصير حبا لأن يطالع أيضا **عُرى الناس** وخاصة أبويه والمحيطين به. ويزعم بعض علماء النفس أن هذه **المطالعة لعرى الآخرين** هى أساس اختيار البعض **للتمثيل** كمهنة، وتفسير ذلك أن الأبوين إذ ينهيان الطفل عن أن يتعرّى فإنه ينتهى ولكنه ينقل اهتمامه بعريه إلى عرى مَنْ حوله ويسره لذلك أن يرى أبويه يتغازلان، فإذا استشعر الحرج من ذلك أيضا لأن أبويه ينهيانه عنه فقد يستعلى برغبته فى مطالعة نفسه ومطالعة غيره إلى أن يطالعه غيره بطريقة لاتصادمه بهم، بأن يتقمّص شخصيات ويجيد التقمّص والتمثيل حتى ليشد الجمهور إلى مطالعته، وتتحصل له اللذة من رؤيته لتأثير تمثيله على الناس.



- ٢ -

السادية Sadism

قد يبدو على البعض أنهم يسلكون بعنف ويميلون إلى إيقاع الأذى بغيرهم، وهؤلاء هم الموصوفون بأنهم **ساديون أو صاديون**. وأخص مايمكن أن تظهر فيه السادية من المجالات هو مجال الحب أو العلاقات الجنسية، وذلك أنه فى الحب يفترض أن يكون المحبان على وفاق ويترضّى الواحد الثانى ويتصرف معه بحيث يسعده، ولكن السادى يفعل العكس وهو مايجعل الناس يعجبون من أمره ويدينون سلوكه ويحكمون على السادية بأنها انحراف من الانحرافات الجنسية.

والسادية والصادية اصطلاح أطلقه لأول مرة **كرافت إيبنج** نسبة إلى الروائى والثورى الفرنسى الماركيز **الفونس دى صاد** (١٧٤٠ - ١٨١٤) الذى كتب اعترافات ماتزال تحظى بالإقبال الشديد من القرّاء، وفيها ذِكْر لصنوف العذاب التى كان ينزلها بالنساء اللاتى كن يقعن فى غرامه فيهيج ويستطيع مباشرتهن، وإلا فهو العِنّين غير القادر على المواقعة. وقيل فى السادية إنها **جنون القسوة**، وبالمعنى الاصطلاحى هى **التهيج أو الإشباع الجنسى عن طريق إيلام الشريك فى الفعل الجنسى بالتعدّى عليه بالضرب أو السبّ أو ماشابه ذلك.**

وغالبا مايأتى التجاوز من جانب الرجل، ويتراوح بين أن يتوهم أنه يعذب ضحيته وأن يمارس هذا التعذيب على الحقيقة، ولكنه قد يبدو فى صورة مداعبات من النوع الثقيل المشاكس قد تكون كلاما وقد تكون باليد كالقرص، وقد تتخذ شكلا جديا فتكون اعتداءات بالغة الأذى ببدن شريكته قد تصل إلى حد القتل. وقد تكون هذه الممارسات السادية مقدمة للجماع أو قد ينتهى بها الجماع. وقد يكتفى بها السادى دون الجماع بوصفها أفعالا جنسية مشبعة فى حد ذاتها. وقد يجرح فتاته بموسى أو يشكّها بإبرة فتصرخ ويُمنِى أثناء ذلك، كحالة شاب استطاع أن يدلف إلى إحدى الشقق ويفاجئ ربة البيت بقطعة من القماش مبللة بالكلوروفورم يلصقها بفمها وأنفها ويفقدها الوعى ثم يحرق فخذها بقضيب محمّى ومع ذلك لم يجامعها.

وقد يصحب الفعل السادى سطو على الملابس الحريمى أو الأحذية النسائية وذلك مايقوم به **الفيتيشى** أيضا، غير أن الفارق بين **الفيتيشى والسادى** أن الفيتيشى يستمد اللذة من تحصيل المقتنيات النسائية ومن ملامستها، بينما السادى يحصل عليها ويتلفها بعنف، **كحالة شاب** ضبط متلبسا بسرقة الأحذية الحريمى وبعد أن يحوزها كان يُعمل بها السكين تقطيعا، وعندما حكم عليه بالسجن ضبط مرة أخرى يتلف الصور الحريمى التى كان السجناء يعلقونها فى زنزاناتهم، وكان يعتدى على الصور بقطع رقاب النساء فيها، واعترف بأنه كان يستشعر من ذلك لذة كلذة الجماع تماما.

وهناك **حالات أخطر كهذه الحالة لشاب** قتل زوجته ومثّل بجثتها وقتل خمس نساء أخريات وفعل نفس الشئ بهن، وكان وهو صبى لايشعر بالطمأنينة إلا مع الأولاد الجانحين، ولما دخل الجيش هرب منه لمحاولة رئيسه الاعتداء عليه جنسيا، وعرف امرأة وتزوجها ولكنه كان دائم الشجار معها، وفى إحدى الليالى خنقها وأعمل سكينه فى بطنها ليتأكد من زعمها أنها حامل، ثم هرب وتعرف بامرأة أخرى رافقها إلى بيتها وتهيأ لمضاجعتها ولكنه فجأة خنقها ومثّل بجثتها بوحشية، ثم تعرف على ثالثة وخنقها أيضا وقطع ثدييها، ولم يحدث أن باشر أياً من هاته النسوة مع أنه كان يفعل كل مامن شأنه أن يظن هو نفسه أنه سيضاجعها.

والسادية التى نعنيها هنا هى **هذه السادية الجنسية**، وقد تفسر بأنها جزء من سلوك عام يتسم بالقسوة ويأتيه المرء كلما كانت له معاملات بالآخرين. وهو يشعر مع هؤلاء

الآخرين بالإحباط ويحس فى صحبتهم بالوحدة وأنه منبوذ، ويسعى بالسلوك العدوانى التدميرى أن يعوّض عن ذلك بالشعور بأنه قوى ومهم وأن يثأر لنفسه من العالم الذى يسئ إليه. ويروى أحد الباحثين **حالة لأحد الأزواج** كان يخرج منفعلا إثر كل شجار مع زوجته ويقرص من يصادفهن من النساء فى مواضع الثدى، وقد فسر عمله بعد القبض عليه بأنه كان يريد إيذاءهن، ولم يكن يجد فى فعلته الكثير من اللذة الجنسية ولكن عمله كان إخراجا للكراهية الشديدة التى يكبتها للنساء. ويكشف هذا النوع من الساديين عن ميوله السادية بتصرفاته فى كل نشاطاته فى الحياة.

وقد ترتبط الممارسات السادية باتجاهات عنيفة **ضد الجنس** قد يبررها السادى بأنها اتجاهات **دينية أو أخلاقية**، وهى يحتمى بالدين أو بالأخلاق من رغباته الجنسية المحتدمة والتى يرفضها ولايفهم لها سببا فى نفسه، وبقدر ماهى عنيفة عنده بقدر عنف رفضه لها، وتمكنه اتجاهاته العنيفة الرافضة من أن يعوض عن تحقيق رغباته الجنسية بأن يحتدم بينه وبين الآخرين النقاش بسببها ويبدى لهم احتقاره، وقد ينزل بهم عقابا ما إذ يجدهم على آراء معينة أو قد تورطوا فى فعل جنسى ما. وهذه **حالة لشاب** متدين انخرط فى إحدى الجماعات الدينية وكان واضحا من سلوكه أن مايعجبه فى الجماعة هو أخذهم الأعضاء بأقسى أنواع السلوك الدينى من صيام وقيام وزهد وتعفف، وقد انعكس ذلك على علاقاته بأهله فكان لايكلمهم وينسب إليهم الكفر حتى إذا كان يوما تمادى فقصّ شعر أخته حتى يمنعها من الخروج، ثم **قصّ شعر** أمه من بعد، ثم أصبح قص الشعر من ممارساته العدوانية التى يعتدى بها على البنات إلى أن قبض عليه. **وحالة أخرى لشاب سادى** كان يعتدى على أخواته البنات بالضرب والأذى، وتنامى ذلك فيه فكان يضرب بنات الجيران والحى ضربا موجعا ولو أدى الأمر به إلى أن يشوه وجوههن، وفى إحدى المرات قطع ثديى إحدى الفتيات، وقد برر سلوكه أنه كان على العكس يحاول أن يصرف البنات عن الجنس. **وحالة ثالثة لشاب** كان يُخصى الأولاد الصغار ويقتل البنات الصبايا بدعوى أنه كان يرحمهم من المصير اللا أخلاقى الذى ينتظرهم مستقبلا بسبب الجنس.

وقد ينمو السلوك السادى من الخبرات السابقة التى **ارتبطت فيها الإثارة الجنسية بالألم**. وقد تقوم هذه الارتباطات فى ظل ظروف متنوعة، فقد تحدث خلال عملية التطور النفسى الجنسى أن تكون للكثير من الأطفال أفكار خاطئة عن **حقيقة العلاقة بين الرجل**

والمرأة أو بين الذكر والأنثى عموما، وقد يغذيها مايشاهدونه فى الطبيعة بين الحيوانات والطيور من **قسوة** عند الجماع، ومايسمعونه من حكايات وخبرات عن **ليلة الزفاف**، ومايرونه بأعينهم من احتفال الأهل وتهليلهم عندما تخرج أم العروس ومعها **الشاشة بيضاء ملطخة بالدم** برهاناً على بكارة ابنتها، ومايتردد بعدها من تعليقات، وقد يقرأون عن حوادث **الاغتصاب** فى الصحف، ويشاهدون ذلك فى **أفلام** التليفزيون، ويلمسون تعديات الرجال على النساء فى **السينما والأتوبيسات والشارع**، وتحفل الحياة اليومية بمشاهد لا أول لها ولا آخر **للتعذيب والقسوة** ينزلها بعض الأفراد بالحيوانات أو الناس. ويثير ذلك فيهم انفعالات قوية واستثارات جنسية غير مقصودة، وقد يتعلم الطفل من كل ماسبق أن يتصرف مع الناس بنفس السلوك، وإذا بلغ فقد يباشر النساء وتكون له معهن طقوس يأتيها لاإراديا وتتحصل له من خبراته المسموعة أو المرئية، ويراعيها حرفيا كلما أتى إحدى النساء، وأذكر شابا **تأثر بقراءة نجيب محفوظ** والشذوذ الذى عليه شخصيات إحدى رواياته فكان يفعل نفس الشئ ويتبع نفس الطقوس فى الجماع. وقد تفقد هذه الطقوس العنيفة فاعليتها بالتقادم فيلجأ إلى ماهو أشد فاعلية منها ليحصل على الإشباع الجنسى الذى يحتاجه.

وقد يكون مصدر السلوك السادى مايسمى **بقلق الخصاء** castration complex، وقد يفتعل السادى القسوة الجنسية ليخفى خوفه من الخصاء وليستر الضعف الجنسى الذى هو عليه أو العجز الذى يعانى منه وينكره فى نفسه. وقد يكون قلقه متوهما. والكثير من الساديين يعانى **الضعف الجنسى** فعلا، والكثيرون منهم أنثوى الشكل والسلوك ويشوب تصرفاتهم التردد والشعور بالنقص والجُبن، ومن ثم يلجأون إلى العنف يفزع السادى به الطرف ال[illegible] يتأثر هو نفسه بالانفعالات التى تتبدى على وجهه وفى صوته وحركاته ويهيج وقد يمنِى. وهو لايرضيه ولايشبعه أن لاينفعل بمثيراته المؤلمة، وكثيرا مايردد عند القبض عليه أن ضحيته كانت سعيدة بإيلامه لها.

وفى السادية التى مصدرها قلق الخصاء لاتكون الرغبة فى الإيذاء هى سبب قتل السادى للمرأة ولكنها الرغبة فى أن يريق دمها وأن يرى الدم يسيل منها، ويثيره منظر **الدم المراق**، ويوجه ضرباته إلى المناطق من الجسم التى يكون نزف الدم منها شديدا مثل العنق أو البطن.

وترتبط بقلق الخصاء **مشاعر عامة بالنقص ومخاوف من الفشل** من مواجهة الجنس

الآخر. ويولد الفشل شعورا بالمذلة وتحقيرا للذات، ولكي يؤكد السادى لنفسه أنه كفء ويدافع عن احترامه لذاته فإنه يفعل مايفعله بضحيته ليأمن أنها ستستسلم له ولن تفضحه، ويهيجه التوقع وتوهم القدرة والإشباع الجنسى المحروم منه، أو كما يقول **فينيخل** فإن لسان حال السادى هو "**أنا المُخصِي** (بضم الميم) **بدلا من أن أكون المَخصِي**" (بفتح الميم)، أى أن الخوف من الخصاء يجعل السادى يقوم بإخصاء **غيره** فيكون **هو** فاعل الإخصاء وليس المفعول فيه، وبهذه الطريقة يشعر بأنه الأقوى تعويضا عن النقص الذى فيه.

والسلوك السادى مع النساء يمكن أن يرتبط **بالفُصام أو بالهوس** نتيجة انحراف العمليات الرمزية وضعف الضوابط السلوكية، ولعل **الدكتور جيكل والمستر هايد** من هذا النوع حيث كان **هايد** يرتكب من الأفعال السادية فى الليل ماكانت لندن تضج به بينما **هو** فى النهار **جيكل** الوديع. والمصاب بالهوس أيضا قد يغلو حتى ليقتل، وفى **هوس القتل** **homicidomania** قد يلتاث المريض فيهاجم النساء ويكرر ذلك ويريد قتلهن، وهو يفعل ذلك فى مرح زائد ويأتى من الكلمات ماهو كالصراخ، ويتحرك بعنف وهياج ولايكاد ينام أو يهدأ. وكان فى نوبات الهوس من هذا القبيل أن قتل **هاملت** مَنْ قتلهم فى لحظات هياج خطير. وقد يؤدى نقص الكفّ وضعف القيود الخُلُقية عند صاحب الشخصية اللاجتماعية إلى التصرف بسادية مع النساء، والمثال لذلك **حالة الغاصب** الذى يلجأ إلى قتل ضحيته والتمثيل بجثتها.

وتفسر السادية أحيانا بأنها إخراج لغريزة الموت أو تحقيق للميول التدميرية، وترتبط بمراحل التطور الجنسى المختلفة، فيقال **السادية الفمية** **oral sadism** عندما تظهر الرغبات والميول الفمية الطفلية بأشكال مغايرة بعد البلوغ كمكونات لأعراض عُصابية أو كانحرافات ورغبات تسبق الجماع وتمهد له. ويلتمس السادى الفمى إشباع ساديته من طريق استخدام فمه وأسنانه وشفتيه بطريقة بدائية فيعمل فى ضحيته العضّ، وقد ترتبط السادية الفمية بشذوذ آخر من نوع أكل لحوم البشر أو مص الدماء حتى ليعض السادى الضحية من المواضع الجنسية كالشفاه والثديين والفرج ويقطع اللحم بأسنانه ويمضغه، أو يهوى بأسنانه على الرقبة ويمص الدم من شريان من الشرايين.

وفى **السادية الشرجية** **anal sadism** تزاح عادات المرحلة الشرجية ومنها رفض الإخراج والبخل بالبراز إلى مراحل العمر اللاحقة وتصبح من سمات الشخصية، ومن ثم

يتحول الشعور بالظلم الذى يكون عند الطفل لغضبه على التخلى عن برازه إلى شعور بالظلم وهو شاب أنْ يجد نفسه محروما من الجنس وعاجزا عن إتيان النساء، فيشعر أنه قد ظلم بسلب قوته على مباشرتهن، ومن ثم يثأر لنفسه منهن بأن يعنف ويحاول أن يبلغ منهن ما لايبلغه بالشكل الطبيعى، بأن يقسرهن على الجماع أو يغتصبهن أو يقتلهن فى محاولة الجماع، ومع أنه لايجامع إلا أن محاولة الجماع تقنعه بقوته الجنسية وتفوقه. وهو نفسه يمارس السلب الذى وقع عليه فيباشر المرأة سالبا حياتها وشرفها، وهو لايستطيع أن يفعل ذلك إلا إذا استخدم العنف، والعنف الذى يستثار فيه لابد أن يعادل مقاومة المرأة أو يفوقها ليكون هو فى وضع السيد الذى لايقاوم.

والسادية القضيبية phallic sadism من خصائص المرحلة القضيبية وفيها يتصور الولد أن الجماع فعل يتسم بالعدوان من جانب الذكر، وأن القضيب أداته، وأنه لم يخلق إلا لهذا الغرض، وقد يتعلم أن يخشى الجماع لأنه يقوم على العنف، ويتعلم أن يخاف القضيب لأنه أداته، وقد يتحصل له ذلك مما يشاهده من مشاهد الجنس فى الطبيعة، وربما بين أمه وأبيه حيث قد يحسب تأوهات أمه أنها دليل معاناتها بتأثير اعتلاء أبيه لها والحركة الدائبة له فوقها. وربما يصاب من ذلك بشذوذ **حب التطلع scopophilia** وأساسه مايتحصل له من لذة من مشاهد الفعل الجنسى يُباشَر بقوة والقضيب أداته، وكأنه فى انتصابه السلاح المشهر، وليس **الاغتصاب** إلا من قبيل الاستخدام السادى للقضيب.

وقد نستخدم اصطلاحا مثل **سادية الهو id sadism** ونقصد بها الممارسات الغريزية التدميرية الأولية التى للدافع الجنسى مثلاً فى مراحل العمر الباكرة، والتى تواجه بالإحباط ولاتجد الإشباع فتكبت بتأثير التربية والخوف من العقاب، ولكنها قد تظهر من بعد فى شكل السلوك الجانح بمعاكسة الفتيات والتعدى عليهن بالضرب أو الاحتيال عليهن. وقد نجد أولاداً مغرمين **بشدّ شعر البنات** للاسبب، ولعل ذلك نفسه سبب تهيج الجانح إذ يشاهد فتاة فيسعى خلفها مغتصبا أو قاتلا دون أن يعرفها من قبل ودون أن تكون له بها أية معاملات.

وسادية الأنا الأعلى superego sadism هى التزام السادى لقواعد الأخلاق والعرف والتقاليد والدين، وصرامته فى تطبيقها، ولعل مجال الجنس هو أهم المجالات استدعاءً للتزمت والتعصب. والسادى من هذا النوع يسبب لزوجته شقاء مابعده شقاء

ويحاصرها بشكوكه وأحكامه، ويسجنها داخل سيطرته ورقابته، ويجعل من الجنس ممارسات روتينية لامعنى لها حتى لتزهد فيه وتعاف الجماع وتصاب بالبرود الجنسى، وفى كثير من الأحيان يخلو الزواج من السادى من هذا النمط من أية ممارسات جنسية بعد فترة وجيزة من بدايته.

والسادية اللاشعورية unconscious sadism هى ميراث العدوانية والرغبات والميول التدميرية التى نفطر عليها، وتكون بنا منذ الطفولة ونحسب معها أن العنف يمكن أن يجعل فى استطاعتنا أن نحوز كل شئ، فإذا كبرنا نظمأ للقوة ونسعى إليها، وقد يكون بنا هذا الظمأ حتى ليلح علينا ويخرج من اللاشعور فى شكل أعراض عُصابية. والسادى من هذا النمط يحب أن يسيطر على النساء بصرف النظر عن قرابتهن له، فربما تكون المرأة التى يمارس عليها ساديته من النوع العدوانى البدائى أو الفطرى أخته أو أمه أو خالته أو زميلته فى العمل، وقد يلجأ لكل الوسائل الاحتيالية ليُحكِم سيطرته عليها. **وهذه الحالة لشاب** كان يجلب زملاءه فى الجامعة ليضاجعوا أخته ليذلّها ويحاصرها بسيطرته على رغباتها وحاجاتها الجنسية.

والسادية اليدوية manual sadism هى أن يلجأ السادى إلى يده لتحقيق رغباته الجنسية السادية، كأن يستمنى بيده، ولكنه يفعل ذلك بطريقة تؤلم قضيبه، ومع زيادة الألم بالضغط على رأس القضيب قد يُمنِي، أو أنه يستخدم عضلاته ويده فى إلحاق الأذى بضحيته فتتحصل له اللذة الجنسية بالتعويض.

***والسادية المكنونة* larval sadism** هى *التى* يداريها صاحبها تحت ستار من الملاطفة الخادعة والوداعة التى يحتال بها ويستخدمها استخدام الصيّاد للكمين ليوقع بضحيته فيهاجمها بشراسة وينال منها. **وزئر النساء** من هذا القبيل، والحب الذى يبديه من النوع المدمر ولكنه لايظهر هذا الوجه التدميرى فيه، ويحاول أن يخفى شَرَكَه بمعسول الكلام.

والسادية المعقّدة complicated sadism هى *التى* تجمع الإيلام ينزله السادى بالضحية، والشعور بالتقزز مما يفعله، والألم له والرعب لما يراه من نفسه ومن حال الضحية. **والسادية الماسوشية sadomasochism** هى تلك الحالة المختلطة التى تجتمع على الشخص الواحد من المشاعر المتناقضة، كأن يحب ويكره فى نفس الوقت، أو ترى

العشيق يضرب محبوبته ويقبلها إذ تبكى. ويصف **شكسبير** الحب فيقول إنه اللذة كالألم، وهو الألم ولكنه لذيذ، ويطلق بعضهم على ذلك اسم **لذة الألم algolagnia**، ويقولون عن السادية وحدها أنها **لذة إيلام active algolagnia**، وعن الماسوشية وحدها أنها **لذة تألم passive algolagnia**.

وتستمد السادية من **الكراهية**، والذى يكره لابد أن يقسو. والكراهية أصلا من نعَم الله علينا لأننا بها نحمى أنفسنا مما يتهدد الأنا، غير أننا قد نكره لأننا نحسد الآخرين على ماهم فيه من سعادة ومن ثم فقد نتمنى لهم زوال هذه النعمة، وكأن لسان حالنا "إذا كان الألم مقدورا علىّ فليكن علىّ وعليك أيضا"، والإنسان مفطور على القسوة، وهو إذ يمارس نفسه فى القسوة يعانى لذة الممارسة. وكانت القسوة ضرورة للصراع من أجل البقاء، ولكن القسوة الأصلية هى تلك التى تكون بها سعادة القاسى فى ألم الضحية، وكأن المبدأ الذى يعتنقه القاسى «نصيبى اللذة ونصيبك الألم». وفى ذلك يقول **دستويفسكى** إن أنبلنا ليشعر بالسعادة إذ يسمع أن غيره يعانى فيشكر الله أن المعاناة تجاوزته إلى غيره وأنه نجا منها... وعموما فإن مصائب الآخرين ربما تستحدث فينا أحد هذه المشاعر، فإما أننا لاننفعل بها وذلك يعتبر من القسوة، وإما أننا نحزن لها لأننا نتمثل أنفسنا فى الناس، ونحن لانفعل ذلك إلا لأننا فى الواقع ربما نفرح لمصائب الآخرين، ولكننا نتسامى بما نشعر ونرى أنفسنا فى الآخرين فنعطف عليهم ونرثى لحالهم، والعطف والرثاء ليسا فى الواقع إلا أحجبة تخفى خلفها الفرح بما ينزل بالناس من كوارث، وهذا الفرح هو الذى يجعلنا نشعر بعمق بما يحلّ بهم، وهو الذى يجعل قضيتهم قضيتنا.

وتتحكم فى السلوك البشرى قوتان أزليتان هما **الحب والكراهية**، أو **الدافع إلى الحياة، والدافع إلى الموت**، ويخدم الدافع إلى الحياة حفظ الحياة واستمرارها، ويكفل للأنا البقاء، بينما الدافع إلى الموت يعجّل بتعريض الأنا للخطر للقضاء عليه. **والكراهية** وليدة غريزة الحياة، فلأنى أحب أن أعيش أكره، وهى أيضا وليده **غريزة الموت** لأنى سأكرهك إذا هدّدت حياتى. **والحب** كدافع إلى الحياة يحاول أن يُفقد الكراهية فاعليتها، ولكن قانون البقاء يضطرنى لأن أكره إذا أحببت، وذلك إذا كان من أحبه سيفقدنى استقلالى وسيجعلنى استشعر الألم بدلا من اللذة. ونحن إذن نحتاج للكراهية بقدر ما نحتاج للحب، ولايوجد من يستطيع العيش بلا حب، وكذلك لايوجد من يستطيع أن يعيش دون أن يكره. ونحن نرفض

أن نعترف بأن الكره نقيض الحب، ونعلل الكره بملايين الأعذار وننسبه لأشياء هى منه براء، ولكن دائما يحتاج الكره لكبش فداء نلقى عليه بأعذاره، **ومثال ذلك** أن الزوج قد يزيح كراهيته لامرأته إلى أسرتها وإلى أمها خصوصا. وقد يحدث أحيانا أن يجعل الزوج من صديقة زوجته أو الجارة أو حتى الخادمة أو الكلب كبش الفداء الذى يتوجه إليه بالأذى تعبيراً عن الكراهية للزوجة.

وترى الزوجات فى **الغيرة** دليلا على الحب، ولكن الغيرة فى الأصل نشأت مع الحسد من الرغبة فى الامتلاك، وفى البداية كان الدافع أن نمتلك نحن وحدنا دون الآخرين، وأخص ما يمكن أن نمتلك هو الرجل أو المرأة التى نحب. ونحن نكره أن يقاوم الطرف الآخر محبتنا، وفى الغيرة نفرغ كل مكونات الكراهية للطرف الآخر التى لانقوى على كبتها.

والحب نتاج عاملين، **الأول** إرادة القوة وإرادة الاستسلام، **والثانى** الدافع الجنسى، ولاتتسلل الكراهية إلا إذا كان أحد العاملين لايمكن تحقيقه، فالمحب بسبب حبه سيحب كل العالم إلا مايمنعه من أن ينال الموضوع الجنسى الذى يحبه، فإذا كان سعيدا غاية السعادة بحبه فذلك لأنه لايحس الكراهية، ولكنه عندما يغار فإنه سيكره وستكبر كراهيته مع كبر الغيرة إلى أن تصبح مرضا وعندئذ قد تدفعه إلى ارتكاب الجريمة وإلى أن يسلك بعنف. وقد يغار المحب من الكلب الذى تربت عليه محبوبته، ومن البيانو الذى تقضى معه ساعات بطولها، والكرسى الذى يلامس جسدها دونه. وإذا استمر فى أن يخفى كراهيته فسيزيد توتره إلى أن لايستطيع تحمله فينفجر، وقد لاتكون هناك مناسبة لانفجاره، إلا أن أى شئ مهما كان تافها يمكن أن يفجره، وقد يتبادل الكلمات القاسية مع محبوبته، وقد تكون هناك صفعات، ولكن الصلح يأتى بعد انفثاء الكراهية، ويكون الحب أحلى بعد إفراغ الكراهية.

والحاجة إلى الكراهية عامة، وكل العظماء يعترفون بأنه كان لهم أحباء وأعداء، وأحيانا يكون الصديق أو الحبيب هو من نكره. وتتخذ الكراهية أعذاراً وتبريرات مختلفة، فمرة بسبب الأخلاق، وأخرى بسبب الدين أو الوطنية إلخ. وإذا لم نجد المنصرف للكراهية لمدة طويلة فلربما يكون انفجارها عنيفا كما يحدث فى الحروب حيث تكون الكراهية من شعب لشعب بأكمله. **والقسوة** هى التعبير عن الحب وإرادة القوة. ولاتوجد كراهية بدون لذة

جنسية، فالكراهية مثل الحب تعطينا اللذة، والإنسان يقسو لكى تتحصل له اللذة بتحقيق الكراهية. **والقسوة** تعنى لذة تألم الآخرين ومعاناتهم. ولايعى الطفل القسوة أو لذتها منذ البداية، ولكنه يسعد بممارسة قدرته على الأشياء. وهو يأتى إلى العالم ومعه المبدأ «**اللذة لى والألم لك**»، ثم يتحول هذا المبدأ معه من بعد إلى «**الألم الذى تستشعره أنت هو لذتى أنا**». وينشأ الطفل على الحواديت والقصص الدينى الحافل بالقسوة والتهديد بالعذاب. وليس **الزهد والتصوف** إلا مزيجا من السادية والماسوشية، وفى الزهد والتصوف يكون المعاناة والألم. وقد يحدث أن تكون ممارسة الكراهية أو القسوة **جماعية** بسبب تأثير أحد الزعماء، فقد يدعو إلى **الصيام** المنهك للقُوَى، أو يكون ضمن طقوس الجماعة ممارسات سادية، وكانت هناك من قريب جماعات فى أمريكا تمارس **الجنس والانتحار الجماعى** بحسب تعاليم الزعيم. وإذا كانت الفطرة قد زودتنا بقدر من القسوة فإن هذه القسوة يمكن أن تتمرد على السيطرة فتكون ظاهرة مرضية. وتشتمل الغريزة الجنسية على عنصر إيلامى، كالألم الذى نستشعره فى انفعالات الجنس القوية، ولهذا لايشعر السادى أنه يؤلم الآخر كالألم الذى يمكن أن نشعر به فى الوعى، ونحن مثلا قد نجرح أنفسنا ونحن غضبانون ولا نشعر بالجرح إلا إذا هدأنا. واللذة إذا زدنا من المثير الذى يستحدثها قد تنقلب ألما، فالربت مثلا لذيذ ولكنه إذا صار صفعا مؤلم. وممارسة القسوة سادية، وتحمّلها والصبر عليها ماسوشية، وكلاهما شكل غير ناضج وطفولى من التعبير عن الجنس، وكلاهما يختلط بالآخر أو يؤدى إليه، فالمحب الذى يفشل فى حبه ينقلب فى التجربة الثانية للحب من الحنان إلى القسوة، وكذلك فقد ينصرف المحبون عن الفتاة القاسية فتصبح من بعد من أرق الناس. ومن الصعب حقيقة أن تجد حالة خالصة من السادية أو من الماسوشية، وكلاهما وسيلة للهرب من الممارسة الحقيقية للجنس، وإذا حدث أن كانت هناك مواقعة جنسية بعد مشهد سادى فإن ذلك استثناء لايقاس عليه. والزوج الذى يستحدث نقاشا مع زوجته ويتحول به إلى شجار إنما يهرب من الجماع، وسلوكه طفلى لأننا كما سبق أن قلنا إن الطفل يبدأ أولا بممارسة القسوة كنوع من ممارسة القوة، ولاتكون للقسوة شقها الجنسى إلا من بعد ذلك عندما يصبح الطفل بالغا. والسادية سلوك نكوصى يمارس به السادى القسوة المفطورة فيه، ويُخرِج من خلاله الكراهية المختزنة والمتراكمة عنده، بإظهار القوة من غير أن يداخل ذلك الجنس. وفى السادية تتم الإزاحة من الجنس

إلى **العنف**، وبدلا من تحصيل اللذة بممارسة الجنس تكون اللذة من الموضوع الثانى وهو **العنف**. ولقد قيل أن المغتصب لايدخل قضيبه غالباً فى فرج المرأة، ولذلك نجد أن البنت التى تَغتَصب بكراً كما هى، وقيل إن السادى تنحصر اللذة فى قضيبه فى **الحشفة** دون جسم القضيب، على عكس الماسوشى فلذته تكون فى **منطقة العجان** بينما القضيب نفسه لايستشعرها، ولعل ذلك يفسر لنا لماذا تكون البنت المغتصبة بكرا، وذلك لأن رأس القضيب عند الغاصب وهو هنا السادى، بمجرد أن يلامس الفرج يُمنى فلا يستدخله. ولهذا السبب أيضا يكون السادى **فاعلا** بمعنى أن يسعى لتحصيل اللذة لأنها فى **رأس القضيب** الذى هو سلاحه لتحصيلها، بينما الماسوشى لذته فى **العجان** فيكون **سلبيا** لأنه ينتظر أن يعطيها له الآخرون. غير أن **تفسير فرويد** للسادية مختلف عن ذلك، فالأصل أننا **ساديون** ثم نتحول إلى **الماسوشية** بسبب مشاعر الذنب. ويذهب **شتيكل** إلى أن يجعل السادية والماسوشية كلاهما من الاضطرابات التى تستحدثها **البيئة** بسب تأثيرات معينة فى الطفولة. والسادى يأتى مايأتى وكأنه مقسور عليه، ويكرره وكأن هذا الفعل يتملكه ولايستطيع ردّه. والسادية إذن **من الأفعال القهرية**. والسادى وهو يرتكب مايرتكب لايشعر بما يفعله، وكأنه مخدّر. والملاحظ أن السادى والماسوشى كلاهما حسّاس جداً للألم إذا لم يصاحبه انفعال ما، بمعنى أنهما يستشعران الألم خارج نطاق الجنس. وهناك نساء ورجال يُمتَحنون فى الحب بأفظع مايمكن أن يؤلم الإنسان فيحتملون، ولكنهم لايطيقون أن يخلع لهم طبيب الأسنان ضرسا بدون مخدر، وفى ذلك يقول يقول **شتيكل** إن الألم محتمل فقط إذا كان مضمونه جنسيا، فإذا انفصل الألم عن الجنس صار محسوسا كألم. والألم المتضمن للجنس فإنه لايُحَسّ كألم، لأن المتألم أو الذى يوقع الألم كلاهما يستغرقه الجنس فلايعى الألم. والسادى لايستغرقه الفعل الجنسى ولكن **الجَيَشان الجنسى**. ولايوجد سادى إلا وهو يعانى من **الجوع الانفعالى**، وهو دائما يحتاج إلى مَشاهِد تُغذيّه انفعاليا، وهى مشاهد خاصة به، فيها يستطيع أن يوجه كراهيته لشخص ما من محيطه إلى أشخاص آخرين كبدائل لهذا الشخص، أو قد يوجه كراهيته لنفسه، وفى كل الأحوال فإن السادى ينقل ساديته إلى موضوع آخر خلاف الموضوع الأصلى الذى يكرهه، ولقد رأينا كيف أن الزوج يمكن أن يظهر كراهيته لحماته ويحجبها عن زوجته، أو أن الزوج قد يكره زوجته فينقلها لجاره أو زميله فى العمل أو حتى للكلاب.

وبرغم أن **التحليل النفسى** يؤكد العامل التكوينى للسادية، فإن هذا العامل التكوينى ماكان أن يظهر ويسفر عن نفسه لولا ظروف البيئة والتربية، وفى **حالة الابن لأم مسيطرة،** وهو يراها تستعبد أباه، فقد يرفض استعبادها ويقول لن أكون عبدا لأية امرأة، بل لابد لكل النساء أن يطعننى. ووسيلة السادى أن يهرب من الواقع إلى **الطفولة**، ويتصرف بتأثيرمن **إرادة القوة**، بمعنى أنه يريد أن يسيطر على النساء وأن يبدو **وكأن سيطرته جنسية**. وكثيرا مانقرأ عن حوادث لأشخاص احتجزوا امرأة وقيدوها وضربوها بالسياط وهى عارية، وذلك هو الفعل السادى الذى يطلقون عليه اسم «**الحبس والضرب** bondage and desciplin**e**» واختصاره B D، ونجده حتى فى **قصص ألف ليلة وليلة**. وأغلب ماتكون السادية بين **الرجال** كعادة كل الانحرافات الجنسية. وقد يستخدم الرجل السلاسل والسياط والعصى الغليظة فى التعذيب، وقد يلجأ إلى العضّ والقرص كما سبق أن قلنا. والسادية تمارس من **قديم**، وهناك **شعوب** يبدو أنها سادية أكثر من شعوب أخرى، **فالشعوب اللاتينية** التى كانت سابقا **الإمبراطورية الرومانية شعوب سادية**، وكان **الرومان** يحبون الرياضات العنيفة فى **المصارعة** بين العبيد أو بين الرجال والأسود، وكانوا يمارسون **الجنس** استمتاعا بالقسوة، وحول حلبات المصارعة انتشرت بيوت الدعارة، وكان الجنس المتنفس لشعب أخذ نفسه بالصرامة والحياة العسكرية، وحتى **المسرح والفن الرومانيان** عكسا السادية، وامتلأت قصصهما بالزنا بين المحارم والقتل وسفك الدماء، ولذلك كانت الشعوب اللاتينية من الشعوب التى مارست **الاستعمار**، وتعذّبت بها كل شعوب الأرض الأخرى قديما وحديثا. وعلى العكس كان **الشعب المصرى** قد تعاقبت عليه السنون وهو يرسف فى العبودية ويُستَذل من قبَل الأجانب وأبنائه أنفسهم، وفى زمن **الفراعنة** استذلوه فى بناء آثارهم، وفيما بعد استذلوه لأمجادهم، فمثلاً حديثاً كان **محمد على** يضرب الناس بالسياط ليجبرهم على الزراعة، **والماسوشية** فى الشعب المصرى تكاد تكون فطرية، بينما السادية فطرية عند اللاتين. ونعود إلى العامل التكوينى أو الوراثى ونقول كان **قابيل** ساديا، بينما كان **هابيل** ماسوشيا، **وقابيل** كان يتمرد ويتحدى، وكانت مهنته الصيد، وفيها يقتل ويسفك الدم، بينما **هابيل** كان استسلامياً ومهادناً حتى أنه كان يرفض أن يرد عن نفسه عدوان أخيه. ولم تعرف **مصر القديمة** السادية الجنسية الجماعية مثلما عرفتها **اليونان**، أو مثلما مارسها **الرومان**. ولم يقل لنا التاريخ أن حاكما مصريا كان يستمتع بأن يرى

الممارسات الجنسية بين النساء والرجال علنا، أو أنه كان يغصب النساء على أن يضاجعهن الرجال، مثلما كان يفعل **الإمبراطور أوغسطس أو الامبراطورة مسالينا زوجة كلوديوس**، وقد كان يلذ للأخيرة أن تستحضر الأزواج ليشاهدوا اغتصاب زوجاتهم أمامهم من قِبَل رجال متخصصين. وكانت **مسالينا** تمارس المشاهد السادية حتى مع الحيوانات، بين الرجال وإناث الحيوانات المتوحشة، وهو مايقال له **السادية الحيوانية zoosadism** فتدخل لبؤة الحلبة، ويقابلها عدد من المصارعين، فتغالبهم ويغالبونها حتى إذا ماانهزمت جامعها الرجل الأخير المنتصر أو الرجال المنتصرون أمام الجمهور.

***

- ٣ -

الماسوشية Masochism

تختلف اتجاهات الناس إزاء الجنس، ومن ذلك أن يكون الرجل أوالمرأة سلبيا يرضَى بالهوان ويستشعر المذلة ويتوق العذاب، ويستمر مع ذلك يحب من يحب، وقد يتسبب له محبوبه فى أحداث تجر عليه المزيد من الشقاء ولاتجده يزهد من يحب. وقد تشكو الزوجة سوء معاملة زوجها حتى يثور عليها، وقد يضربها ثم لاتجدها تترك المنزل، بل أنه قد يطردها فتعود إليه وهى أسعد حالا. وبعض الزوجات لايجامعن أزواجهن إلا إذا ضُرِبن، وبعض الأزواج لاينتصبون أصلا إلا إذا تشاجرت معهم زوجاتهم وأغلظن لهم القول. وتوصف حالة الزوج أو الزوجة من هذا القبيل **بالماسوشية** أو **المازوكية** أو **المازوخية** نسبة إلى الروائى النمسوى **ليوبولد فون ساخر مازوخ** Sacher Masoch (١٨٣٦ - ١٨٩٥)، وتحفل رواياته بشخصيات تستعذب الألم وتستجلبه على نفسها، وتجد فى العقاب ينزله الغير بها متعة.

والماسوشية نقيض السادية (أنظر **السادية**)، والاثنتان كوجهى العملة لدافع غريزى واحد، لكن بينما يتوجه الدافع فى السادية إلى **موضوع خارجى**، فإنه يتوجه فى الماسوشية إلى **الذات**، والسادية هى إنزال العذاب بالآخرين، وفى ذلك لذة يستشعرها السادى ويطلبها، بينما الماسوشية لذة تَلَقّى العذاب وسوء المعاملة والمهانة من الآخرين.

وتوصف الماسوشية بأنها **سلبية**، لأن الماسوشى لايفعل سوى أن يستقبل الأذى، بينما السادية **فاعلة**، لأن السادى هو الذى يفعل الأذى. وكان **فرويد** يقول إن الماسوشية **ثانوية**

بالنسبة للسادية، وذلك لأن الأصل أن يفعل الإنسان الأذى لا أن يتلقاه ويحتمله ويصبر عليه، ناهيك عن أن يطلبه. **وفرويد** يقول إن الأوْلى أن يتحول السادى إلى الماسوشية فى مرحلة من حياته بتأثير مشاعر الذنب التى تتراكم عنده، كرد فعل للأذى الذى ينزله بالناس فيعاقب نفسه على مااقترف، وعقابه لنفسه على أى وجه ولو كان مجرد لومٍ يوجهه لنفسه هو ماسوشية.

والغالبية العظمى من الناس **ماسوشيون وساديون** فى نفس الوقت، بمعنى أنهم يرضون أحيانا بالألم ينزله من يحبون بهم، وأحيانا يلذ لهم أن يؤلموا من يحبون. وكالعادة غالبا مايكون **الرجال** أميل إلى السادية بينما تميل **النساء** إلى الماسوشية.

والماسوشية والسادية نمطان من السلوك يتعاوران كل أنشطة حياتنا، غير أن مايعنينا هنا هو **صلة الماسوشية بالجنس**. وفى **الماسوشية الجنسية** تستسلم المرأة للرجل، ويفض بكارتها ويقتحمها بسلاحه المشهر وهو القضيب، ويعلوها ويُعمِل فيها فمه وأسنانه ويداه تقبيلاً وعضاً وعركاً للثديين وللبظر ولكل الجسم، ويشد عليها بالحركات الإيقاعية العنيفة للجماع، بينما هى أثناء ذلك ربما أغمضت عينيها وراحت فى نشوة لذيذة، وكلما عنف الجماع كلما زادت لذتها، **والسادية** هى محصلة أفعال الرجل، بينما **الماسوشية** هى هذه اللذة التى تكون بالمرأة كرد فعل لما يأتيه الرجل.

وقيل إن **المرأة بفطرتها ماسوشية**، ولأنها تحتمل مايلحقها من قسوة فهى لابد تستشعر أن الألم أليق بها، وأنها لابد ناقصة وفى وضع أدنى، وماكان يمكن أن ترضى بذلك لولا أنها تستشعر هذا النقص، وتستشعر الكراهية لوضعها، والكراهية لمن تسبب لها فيه.

ومن دأب الماسوشى عموما سواء كان رجلا أو امرأة أن يختزن الكثير من مشاعر الكراهية، ويشعر من أجل ذلك أنه مذنب، ويريد أن يتخلص من مشاعره هذه، ولايرى سبيلا لذلك إلا بأن يعاقب نفسه عقابا بدنيا، وأن يحتمل العقاب البدنى ينزله به الغير، وقد يطلب العقاب ويسعى إليه ويستثير الطرف الآخر لكى ينزله به، وليس الجنس أو ليست ماسوشيته الجنسية إلا جانباً واحدا من حاجته للمعاناة، فهو فى كل نشاطاته وعلاقاته يستجلب على نفسه اللوم أو العقاب أو التحقير، ويستعدى السلطة على نفسه. وليست التضحية والتكفير والزهد والتقشف وماشابه إلا ممارسات ماسوشية قد نشعر معها بأننا أفضل وأقوى.

ويروى **شتيكل** (Stekel: Sadism and Masochism) عدداً من الحالات الماسوشية، ومنها الأوهام التى تأتى كثيرا بعض الماسوشيين، كأن يتصور الرجل نفسه مثلا يحمل امرأة بدينة ويجهد فى حملها حتى يسقط إعياء. وقد يلذ للمرأة السادية على العكس أن تتوهم أن رجلا يحملها وهى تستحثه وتضربه بالسياط. والرجل أو المرأة الماسوشية قد تأتيه أوهام بأنه كلب أو حصان، تحقيراً لنفسه وحطاً منها. وقد تجد هذه الأوهام منصرفاً لها مع الماسوشى فى المواخير، حيث تتدرب البنات هناك على الحالات التى من هذا القبيل، فتجارى البغى الزبون وتقوم بتمثيل الدور المقابل، فمثلا يمثل الماسوشى أنه الحصان فتركبه هى وتضربه بالسوط، ويستمر الاثنان فى حبك أدوارهما إلى أن يُمنِى الماسوشى، أو قد يمثل هو أنه كلب وتركله هى بقدمها، وقد يغالى فيعض البغى فى قدمها كشأن الكلاب. ومايفعله الماسوشى، والأوهام التحقيرية التى تأتيه، للطفولة وتجاربها دخلٌ فيها. وقد يثبت التحليل النفسى أنه كان يلعب هذه اللعبة مع الأب وهو بعد صغير، وأن الأب كان يردفه على كتفيه ويعدو به كالحصان، أو كان يمثل أنه كلب ويتناول ساقه أو قدمه الصغيرة فى فمه مدعيا أنه يعضه. وذلك دليل على أن الماسوشية سلوك **ينكص** بالماسوشى إلى **الطفولة**، ويتكرر معه باستمرار، وكأنه **الفعل القهرى** يتملكه ويستحوذ عليه كالأفعال القهرية التى نُقسَر على فعلها دون إرادة منا. ومن ذلك أيضا حالات يطلب فيها الرجل من المرأة أن تصنع معه كما لو كان ديكاً، وتضع له فى دُبُره ريشة فيزعق كالديك، أو يتصنّع أنه دب، ويسير على أربع ويخور، وتضربه المرأة على إليتيه بعصا إلى أن ينعظ بشدة ويُمنِى. وتتناقض تلك الصور من الماسوشية مع صور أخرى يؤلّه فيها الماسوشى المرأة، ويجثو أمامها ويترضاها لاعقاً قدميها، وكلما حقّرته كان إحساسه بنفسه وشعوره بالألم ولذته العظيمة. ويبدو أن **توهم الماسوشى أنه حيوان** هو قمة تحقيره لنفسه، حيث يكون الفارق كبيرا بين المعذِّب وبين ضحيته. وربما كان هذا هو السبب فى وجود شواذ كثيرين بين الماسوشيين يهوون أكل الخراء أو شُرْب البول. وهذا الحط من الشأن الذى يكون عند الماسوشى، إذ يشعره أن المسافة بينه وبين المرأة كالتى بين الله فى السماء وحقير مثله أو حيوان على الأرض، ينجيه من التورط مع المرأة جنسيا، لأنه لايمكن أن يتصور نفسه يعلو، وهو الكلب أو الحصان، امرأة هى والإله واحد. ويقول **جان جاك روسو فى اعترافاته**، أن اكتشافه للذة أن تضربه امرأة بالسياط قد جعله بمنأى أن يمارس

الجنس مع أية امرأة، لأنه كان باستمرار يضعها من نفسه موضع الإله الذى لايمكن أن يقربه بدنس كهذا، ويعاقب نفسه على مجرد أن يخطر بباله خاطر الجنس معها، ويجد بديلا للذة الجنسية معها بمتعة أن تضربه بالسياط. وهذه الهالة التى يضفيها الماسوشى على النساء مرجعها للتربية الدينية أو تأثير الدين فينا، حيث يجعلنا نميل إلى تقديس مالا نفهمه وما يرهبنا. ويقول **شتيكل** إن الماسوشى يعانى دائما من **عقدة البغىّ**، بمعنى أن كل بغىّ عنده بمجرد أن يعرف أنها بغى يتعامل معها وكأنها ملاك. ويستشهد **شتيكل** باعترافات ماسوشى آخر بخلاف **روسو** وإن يكن أقل منه شذوذا وهو **ألفريد موسيه**، حيث يقول **موسيه** أنه كان يشعر مع حبيبته بمزيج من الأحاسيس حتى ليبدو معها وكأنه الراهب يتعبدها والهمجى يريد أن يفسق بها ويتعهّرها. وينبه **شتيكل** إلى تأثير **الدين** فى تكوين الماسوشى فيجعله يجمع بين الفُحش فى تصوراته وبين التنزية والتقديس للمرأة موضوع هذه التصورات. وهذا التأثير الدينى هو الذى يجعل الماسوشى يؤلّه المرأة ويتعذب بفراقها الذى يستدعيه. ومن رأى **شتيكل أن الماسوشى به دائما جانب دينى**، ولنلاحظ أن أغلب **تصرفات المتدينين** من نوع احتمال الأذى والصوم والتجويع والصلاة حتى تتورم الأقدام، وكانت هناك طوائف فى القرون الوسطى تلجأ إلى **الطق** أو كما نقول بالعامية الطج، أى الضرب على الصدر أو الجسم بالعصى أو بالسياط كشعيرة تعبدية فيها تذلل لله سبحانه وتعالى، وشبيه بذلك فعل **الشيعة** فى احتفالاتهم بعاشوراء. ولقد تبدو هذه الطقوس أحيانا أكبر من أن تكون وسيلة جنسية، إلا أن التطهّر الذى يستشعره **الشيعى** بعدها، وحالة الرضا التى يبدو عليها، والوله الذى يأتى به الطق حتى لينسى نفسه فى نشوته، كل ذلك يجزم **بجنسية الطق**. ولقد حكى لى بعض الشيعة أنهم قد يُمنون أثناء ذلك، وإلا فالإمناء يأتيهم وهم نيام. ولايجد الشيعى علاقة بين الإمناء وبين الطق، وهذه عادة الماسوشيين، فهم يفرغون كل عمل يعملونه بتكرار من جنسيته، ويخدعون بذلك أنفسهم عن حقيقته وعن مشاعرهم. **والطق** سلوك طفلى، وهو لن يعيد **الحسين**، ولكن الشيعى يفعله بتفكير طفولى ويعود به إلى ممارساته الطفولية. ولقد قلنا فى السادية إن من الممكن أن تكون الاتجاهات فى **الجماعة** كلها سادية أو ماسوشية، وقلنا إن ممارسات **الرومان** القديمة تجعل منهم شعوبا سادية، ولهذا تعذّب العالم من الشعوب اللاتينية ومن الاستعمار الذى نكبته به، فى حين تبدو اتجاهات **الشعب المصرى** مثلاً اتجاهات ماسوشية، لأنه كان يسمح لحكامه أن

يضربوه وكان يضرب بالسياط أيام الفراعنة ليبنى الأهرامات، وضُرِب بالسياط أيام **محمد على** ليزرع الأرض، وضرب مرة ثالثة بالسياط ليحفر قناة السويس. ويبدو أن صبر هذا الشعب واحتماله، أو ماسوشيته هى التى أغرت به حكامه، فكان استبداد الفراعنة أولا، ثم تعاقب عليه المستعمرون، وكان أبناؤه الذين حكموه من الطغاة حتى **عبد الناصر** ومَنْ خَلَفه. ويبدو تلازم الماسوشية فى **المصريين** مع اتجاهات دينية قوية تجعلهم يعادلون بين الحياة والموت، ويقيمون للموت أدباً لايقل فى عبقريته عن أدب الحياة. ولعل الاتجاهات الدينية القوية أيضا عند **الشيعه** تصبغهم كذلك بالصبغة الماسوشية، وتفسر مسلكهم الدينى الطفولى فى الطق، وقولهم بالإمام المعصوم، وحاجتهم المستمرة الى راشد إمام يتولاهم عن أنفسهم.

والماسوشى طفل فى تصرفاته وإن يكن من البالغين، وهو يحرص على طفولته ويزُود عنها ولايريد أن يبرحها، ولذلك ينصرف ذهنه عن الجنس ويصاب بالعُنَّة، ويشكو المرض ليعطف عليه أهله وأحباؤه، ويقدس المرأة وتكون اتجاهاته النسوية ماسوشية، بينما قد تكون اتجاهاته الذكورية سادية. وعلى عكس ذلك **الشيعى**، فإن اتجاهاته الذكورية ماسوشية، بمعنى أنه يتعشق الإمام ويجعله إلها ويورد نفسه موارد التهلكة إرضاءً له، بينما هو سادى مع المرأة وأخصها **السيدة عائشة**، ولم يحدث فى تاريخ الأديان أن نالت زوجة رسول من الذم والتحقير والتشوية ما نالته السيدة عائشة على لسان الشيعة.

وهناك من الظواهر فى حياتنا العامة والخاصة ما يثبت مقولة «**اللذة فى الألم**» التى تقوم عليها الماسوشية، وتحفل حياتنا بالعشرات من الناس الذين يستحدثون الجروح بأنفسهم أو يتهمون أنفسهم بأفظع الجرائم دون سبب ظاهر، ولكن التحليل يبرهن على أن هناك من الدواعى اللاشعورية ما يجعلهم يفعلون ذلك استقبالا للعقاب الذى يفرضه عليهم اللاشعور. ولقد تسنّى لى أن أعمل لفترة فى **أقسام الشرطة** وهالنى أن يكون من السهل على بعض الناس أن يجرحوا أنفسهم بشكل خطير وفى الحال ودون تفكير، وحيّرنى جداً أن البعض كانوا بتعبيرهم «يشيلون بعض القضايا الجنائية» لقاء أجر زهيد، كان واضحا أنه ليس السبب فى قبولهم لأن يتهموا بشئ لم يرتكبوه وقد يكون فيه حتفهم. ومن بعد عرفت أن **الدافع** لأن نعانى برغم أننا أبرياء هو دافع موجود عند الماسوشيين، ولايظهر إلا مع التحليل. وتبين السادية **مستورة** خلف الماسوشية، وبسببها تكون أحاسيس الذنب التى

تحث صاحبها إلى أن يستجلب العقاب على نفسه فى الدنيا قبل أن ينزله به الله فى الآخرة. وهناك مثلا نساء يكشفن عن **هوس بالعمليات الجراحية** ويخدعن أمهر الأطباء فتجرى لهن العملية بعد العملية تحت وهم المرض الشديد، وليس ذلك إلا بتأثير الدافع النفسى لاستنزال العقاب بهن لمشاعر ذنب قوية ولاشعورية تتحكم فى تصرفاتهن. وهناك الرجال الذين يفدون إلى مراكز الشرطة **يتهمون أنفسهم بجرائم لم يرتكبوها**. وهناك كمثال آخر النساء اللاتى يفيض بهن الكيل فيلجأن إلى الشرطة شاكيات من **مكالمات** «فظيعة» تتهمهن بالانحلال والخَرَق، وقد يتقدمن ببلاغات حول **خطابات** تصلهن بهذا المعنى، ثم يثبت أنهن اللاتى يرسلن هذه الخطابات لأنفسهن ويحرّضن على المكالمات التليفونية.

ولحوادث الطفولة وخبراتها أبلغ الأثر فى الانحياز إلى الماسوشية. ويروى أحد الباحثين **حالة لشاب** فى السابعة والعشرين كان يُمنِى إذا ضربه أحد على مؤخرته بالعصا، وكشف التحليل النفسى أنه وهو صبى عاقبته مدرسته بأن ألقته على فخذيها وانهالت على مؤخرته ضربا بالعصا، وقد أثاره وضعه على فخذ المرأة واحتكاك قضيبه بها حتى أنه أمنى، وارتبطت اللذة الجنسية من يومها عنده بالضرب على المؤخرة.

وقد تكون للماسوشية فى بعض الحالات أبعاد أكثر تعقيداً، وقد يدفع إليها الخوف فى الطفولة من **النبذ** من الأهل **والهجر** منهم، وقد يلجأ الطفل الذى يستشعر هذا الخوف إلى أن يغالى فى السلوك ليلفت نظر أبويه إليه فيفتعل مامن شأنه إغضابهما وإنزال العقاب به، ويرتبط عنده العقاب بمعانى الحب، فإذا كان رجلا فقد يسلك بحيث يغضب فتاته فتثور عليه فيترضّاها، وقد تهجره فيذلّ نفسه لها ليصالحها. وكذلك فإن البنت قد تستسلم لأذى فتاها لتزيد من شعورها باللذة أنه يهتم بها ولتطمئن أنها ماتزال محبوبة منه. ويسعى الماسوشى من هذا النمط إلى شريك من الجنس الآخر له ميول سادية، وقد يستغضبه كل حين ليكيل له الضرب أو السب أو الإهانة صنوفا، وهو الصابر المثابر الراضى بالذل والهوان كما أسلفنا فى حالة الزوجة التى لايلذ لها الجماع إلا بعد أن يضربها زوجها.

وقد يعايش الكثير من شبابنا خبرات يرتبط فيها الألم باللذة الجنسية، ولكن معظمهم يتجاوزها خلال تطورهم إلى مرحلة الجنسية الغيرية، بينما يتعزز الارتباط عند الماسوشى ويترسخ.

وربما تكون للكثير من **تعبيراتنا وأغانينا** معانٍ ماسوشية صريحة مثلما يحدث عندما

تقول البنت أريده أن يضمنى إليه ويعتصرنى بيديه القويتين، أو أن يكتم أنفاسى بقبلاته المحمومة. وربما يكون السلوك الماسوشى رد فعل لدوافع سادية نتيجة التعاليم الأخلاقية التى تستحث فينا كبت الدوافع السادية. وتتنامى فينا بتأثير التربية الدينية اتجاهات ماسوشية لم تكن لنا أصلا، وقد يحدث فى كثير من الأحيان أن نتغاضى عن الإهانة ونعفو عن المسئ تحقيقاً للمُثُل الدينية. وقد يمتد ذلك إلى المجال الجنسى فيحتمل الزوج مثلا زوجته المتجبّرة، وقد يحدث فى ظروف معينة أن يفشل الكبت أو القمع وعندئذ قد يلجأ الماسوشى إلى السلوك السادى فيقتل حبيبته التى تخونه، أو يؤذيها بشكل ما جسميا أو نفسيا، أو الاثنين معا.

ويميز **فرويد** بين ثلاثة أنواع من الماسوشية، وعنده أن **الماسوشية الأولية primary m.** هى التى تتوجه فيها قوى التدمير من الشخص إلى ذاته كما فى **الانتحار**، أو عندما يشتد الغضب بأحد الناس فيضرب نفسه أو يسبّها، وليست لهذه الماسوشية سن معينة فهى عند الطفل والمراهق والشاب والشيخ والمرأة والرجل. والمكتئب أو الذى يميل إلى الاكتئاب شخص يعانى من الماسوشية، لأن **الاكتئاب** نوع من إيذاء النفس. وهناك **الماسوشية الشهوية أو الشبقية erotogenic m.** وتتبدّى فى سلوك **الطفل الصغير** الذى يخشى الناس ويتوهم أنهم سيؤذونه، فإذا كان هذا الطفل مايزال فى **المرحلة الفمية** من تطوره الجنسى، أى أن شبقه كله يكون فى فمه، فقد يظن الآخرين سيعضونه أو يأكلونه، وإذا كان فى **المرحلة الشرجية** حيث يكون الصراع على أشده بينه وبين أبويه حول تدريبه على الإخراج فإنه قد يلذ له أن يضربه أبواه على مؤخرته كلّما تأبّى أن يتبرز، وفى **المرحلة التناسلية** تكون المرأة سلبية فى الجماع وتكثر من الحمل رغم مشقته عليها وتتحمل أعباء البيت وكأنها **سيزيف** فى الأسطورة، ينهض بالحجر ويصعد الجبل حتى إذا شارف القمة وقع منه وعاد من جديد يحمله من السفح صاعداً، وهكذا المرأة فى مشقة يومية، ولاينتهى عذابها، ولاهى تملّ هذا العذاب وتتمرد عليه. وتكون الماسوشية فى الرجل فيكون سلبياً فى الجماع ويختار **الوضع السفلى**، ويتزوج امرأة ذكورية أو سادية وتسيمه صنوف المهانة فلا يطلقها، وإنما هو يشكو ليزيد الخلافات أوارا ويشتد عذابه بها.

والماسوشية الأنثوية feminine m. هى التى نعرف أن المرأة مطبوعة عليها، والمرأة عموما ماسوشية إلا ماندر. **والماسوشية الأخلاقية moral m.** هى مايدفع البعض إلى أن

يظهر بالمظهر الأخلاقى المتسامح مع أذى الناس، وهى ميل مكتسب بالبعض منا من أصحاب السيرة المحمودة، لمعاقبة نفسه على ما يستشعره منها من هوى ينحرف به عن القصد، ومايعتمل فيها من رغبات تهوله، لأنه يعرف أنها رغبات جنسية غير مقبولة شرعا أو عُرفاً. **والماسوشى الأخلاقى** تدور به هذه الصراعات لاشعوريا، وتملى عليه اتجاهات وأحكاما فى مواقف تجعله فيها يعمل ضد مصالحه ويدين نفسه، فمثلا قد يمتنع الماسوشى عن الزواج بدعوى فساد الأخلاق، أو قد يتزوج ثم تجده قد تديّن وأطلق لحيته وأصبح من الزاهدين، وليس ذلك منه إلا لإنه لايجد فى الزواج مايشبع عنده رغباته الجنسية الماسوشية، وهو يحتمى فى الدين هاربا من رغباته التى تلح عليه، وهى كما رأينا ليست بالرغبات الجنسية حقا بقدر ماهى رغبات فى أن تؤذيه الزوجة. ولقد كانت هناك حالة عرفتها لشاب ماسوشى كان يطلب أن يطلق زوجته لأنها هادئة ووديعة، وعندما تكاد ترضَى يعود يتوسل إليها أن لاتقبل، ويتكرر ذلك منه باستمرار.

ويطلق فرويد اسم **الماسوشية المثالية** ideal m. على هذا الضرب من تحمّل الأذى النفسى دون البدنى، فالصبر على هجر الحبيبة، أو احتمال خيانتها أمور أذاها نفسى. ويطلق آخرون اسم **الماسوشية الجماهيرية** mass m. على استسلام الجماهير لأذى الحاكم. والشعراء لهم فى ذلك أوصاف فيتحدثون عن **أنوثة شعب، وذكورة شعب آخر**، وكلما زادت استبدادية الحاكم اشتد استسلام الشعب وتحمّس لطاعته وإظهار الولاء له، وفى ظروف كهذه يطلق اسم **الماسوشية الاجتماعية** على الاتجاهات التى تسود فى المجتمع بتأثير الديكتاتور وتميل بالكثيرين أن يسلكوا بسلبية كالإناث، ويقال فى هذه الحالات إن المستبد استطاع أن يُخصِى شعبه أو أن يحوّله إلى إناث، ويطلق البعض على ذلك اسم **الاتجاه الاستسلامى** giving- up attitude، وإننا لنعثر على الكثير من الزيجات التى يغلب عليها سوء التوافق ومع ذلك فهى مستمرة نتيجة غلبة الاتجاه الاستسلامى على الزوجين أو أحدهما.

والماسوشية الشفوية أو الكلامية verbal m. تكون بالبعض بحيث يستثيرون الآخرين لأن يتناولوهم بالتحقير بالسبّ، وقد يعرف عنهم ذلك حتى لتجد زوجاتهم يفعلن معهم نفس الشئ، وقد لايمارس الرجل الجماع مع زوجته إلا إذا سبّته خلال ذلك، وكلما زادت شتائمها كلما زاد وعيه بلذة المواقعة. وهناك بغايا متخصصات فى الإيذاء بالألفاظ

مثلما هناك أخريات متخصصات فى ضرب الماسوشى بالسياط. وإنك لتجد بعض الناس وقد اعتذرتَ لهم فيتمادون فى لجاجهم، فإذا حمقت معهم وقلّ أدبك وبدأت تسبّهم فقد يتغيرون فجأة ويكونون أفضل.

والتخريب الماسوشى masochistic sabotage عند بعضهم اتجاه إلى النقد البَرِم لكل شئ نقداً هداماً، وتسخيفه والحطّ من شأنه حتى ليثير المحيطين به والمستمعين له فيكيلون له من جنس عمله، وقد تزيد المسألة فيضربونه. والزوجة الماسوشية المخرّبة دائما ساخطة وتستعدى زوجها، إلى أن ينتهى الأمر بأن يضربها فتترضاه ليجامعها، بأن تبكى من الضرب وتظل تتأوه وتتألم حتى يرق قلبه لها فيجامعها فعلاً كما خطّطت لاشعوريا من أول الأمر. فإذا انتهى الجماع عادت لخصلتها السابقة. والزوج الماسوشى المخرّب يفعل نفس الشئ، إلا أنه أيضا يمكن أن يبدى التذمر سلبيا بأن لايتكلم ويرفض أى محاولة لجرّه للكلام، إلى أن يثير الزوجة وأهلها فيوجِدوا عليه ويبالغون فى إهانته، أو يعتدون عليه وهو كل مايرجوه من زوجته، وهو **الإيذاء اللفظى**، أو **اللفظى البدنى**، وهو عنده بمثابة المواقعة.



الفصل الثالث والأربعون

الجنس واضطرابات النوم. والأحلام والاحتلام والكوابيس وأحلام اليقظة

- ١ -

الجنس واضطرابات النوم Sex and Sleep Disorders

قد تشكو زوجة أو يشكو زوج أن زوجته تنام كثيرا أو أن أحدهما كثيراً مايغفو وهو يتحدث إليه، ويحدث أن يصاب المحب الخائب أو المحبط بالأرق. وللمحبين **أحلام جنسية**، ونحن ننتصب أثناء النوم طوال حياتنا من الصغر إلى الشيخوخة. وانتصاب القضيب وتبوّغ البظر كلاهما من مظاهر الإثارة التى يكون عليها الجهاز العصبى المستقل وليسا بالضرورة نتيجة أحلام جنسية. ويرافق الاضطرابات الجنسية نمط من النوم يقال له **النوم العصبى** neurotic sleep، وهو حالة من الاستجابة بالنوم للضغوط، فعندما تمل الزوجة حديث زوجها المكرر عن بطولاته الوهمية فى عمله، أو عندما يزهد الزوج فى ثرثرة زوجته، فإنهما قد يهربان بأن ينعس الواحد خلال حديث الآخر. وبعض الزوجات تأتيهن نوبات النوم مبكراً ليهربن من مواقعة الأزواج، وهناك حالات نوم أثناء العملية الجنسية بين الأزواج فيما يشبه **غشية النوم** narcolepsy تأتى الزوجة قسراً وتستمر معها لثوان أو لدقائق، وقد يسمع الزوج لها شخيرا. **والنوم** هروب من الجنس، وهو استجابة ساكنة وحيلة تلجأ إليها كل الحيوانات فى المستويات العليا والدنيا، وقايةً لنفسها من المخاطر، فعندما يحدق الخطر بالحيوان فقد يتظاهر بالموت أو **التماوت** play possum، **والبيات الشتوى** يعرفه الحيوان هرباً من البرد والجوع، وتهرب **قبائل الإسكيمو** بالنوم الطويل يستعينون به حتى لاتتبدد طاقاتهم بالبرد. **والمحبون** يهربون بالنوم. وقد يجافيهم النوم وكأنه الموت، ويشبه النوم الموت، وقيل **النوم موت أصغر**، والموت يسميه فرويد **ثاناتوس** ونقيضه **إيروس** أو غريزة الحب، وقد يغالى المحب الهارب بالنوم فيطلب الموت، ومتعشقو النوم محبون يعانون الإحباط، أو يشغلهم الجنس ولكنهم يجبنون عن مواجهته، **وانتحار العشاق** هو طلب للموت هربا من وطأة الحب، **والموت نوم**. وكثيرا ماتأتى ربات البيوت حالة **نوم الصباح** narco-phynia فيشق على المرأة أن تنهض من النوم عندما تعرف أنها ستواجه بالمشاكل والأعباء. **ونوم الصباح** وسيلة هروب من الأمومة وتكاليفها، ومن الزواج الفاشل. وقد تصاب

بشلل الاستيقاظ **waking paralysis** وهو عجز مؤقت عن الحركة عند الاستيقاظ وحالة تهويمية **hypnogic state** بالهرب بالنوم، وقد يضطر الزوج إلى أن يقسو عليها لتستيقظ وتقوم المشادات بينهما، وقد تكره الزوجة اليقظة وتتمنى الموت صراحة باعتباره أقصى درجات الهروب بالنوم.

والنوم تكون فيه الأحلام والكوابيس، وقد يطلب الجنسان النوم طلباً للأحلام الجنسية. **والاحتلام wet dream** هو إمناء يأتيه النائم لاإراديا وهو يحلم حلما جنسيا. وترتبط الأحلام الجنسية **بثقافة** الحالم، وأكثر المراهقين ثقافة أكثرهم احتلاما واستثارةً فى النوم، وترتبط **الحالة الصحية** بالاحتلام ومرّاته، **وأحلام البنات الجنسية** قد لايرافقها نعوظ، بينما أغلب أحلام الأولاد تنتهى بالإمناء، وربما كان الاحتلام أكبر المنصرفات الجنسية عند الشباب، وربما يُمنيِ الشاب فى النوم دون أن يكون هناك حلم ما، ولذلك قد يقال له **الإمناء الليلى nocturnal emission**، وربما كان للاحتلام أسباب غير نفسية، غير أن أغلب الاحتلام **مصدره الرغبات الجنسية المكبوتة والتعفف والامتناع الجنسى**، ويتوقف الاحتلام على المخيِّلة الجنسية ومن ثم كانت بداية الاحتلام فى **المراهقة**، والمحتلم قد يُمنيِ فى الحلم الواحد عدة مرات، وبعض الاحتلام تدفع إليه رغبات **مشاعية**، وقد تحلم البنت أنها تضاجع أكثر من فتى وتنعظ فى كل مرة، وقد تحلم بأن فتى تريده لنفسها ولاتستطيع أن تناله يغتصبها. وكثيراً مانحلم بما تستثيره **قراءاتنا**، وقد يكون الحلم **غيريا** أو **مثليا** أو مزيجا من الاثنين. وقد يحتلم الحالم على خلفية من الطبيعة، أو وهو ممتط جواداً أو مسرع بسيارة، أو أثناء المراقصة لفتاة. **ولأدوات الحلم** تفسيرات، **فالسيارة والطائرة** رمزان للجماع، **والاهتزاز** الذى يستحدثانه يشبه إيقاع الجماع، وترمز **السلالم** وصعودها لتنامى الاستثارة أثناء الجماع، **والثعابين** رمز القضيب، **والفواكه** المستديرة أو المفلطحة رمز الفرج، ويكثر أن نحلم **بالحيوانات**، والمرأة كثيرة الاشتهاء قد تحلم بمقابلة حيوان **كاللبؤة** أو **النمرة**، وفى البلاد التى يكُثر فيها النساء من ركوب الخيل تحلم المرأة بأنها تركب **فرسا** وتسرع به وتهتز بشدة فتنعظ، وقد تحلم النساء بمضاجعة الفرس. ويطلق على **الكابوس** اسم **العضون**، وهو **فرس الليل nightmare** لأن ماتحلم به المرأة يأتيها خفيفا كالفرس فى الليل ويطاردها، ولعل **الفرس** هو الذى يتطرق إليه خيال النساء لفحولته وقوته الجنسية، **والعضون** الذى نطلق اسمه على الكوابيس هو شيطان ذكر شديد الغُلْمة، ويختار النساء

المحرومات جنسيا ليزورهن فى الليل ويعانقهن، **والكابوس** يأتى البنات والنساء اللاتى بهن ميول ماسوشية، واللاتى يتمنين المضاجعة الموجعة والجماع الذى يتسم بالعنف وكأنه الاغتصاب، وليست **أحلام الاغتصاب** إلا لدوافع وميول كهذه، وكانت صورة **الحضون** كما تصورها الرسامون فى القرون الوسطى لمخلوق شائه، ويبدو أن صورة الذكورة ترتبط عند كثير من النساء بالقبح، فى حين ترتبط صورة الأنوثة عند الرجال بالاشتهاء، ويبدو أن **الذكورة** كما ترد صورها فى الأحلام معناها العنف والجنس المصطبغ بالقسوة، والرغبات الجنسية توصف فى الوعى وترتبط فيه بأنها **حيوانية**، والكثير من الكوابيس تدفع إليه **الصراعات الجنسية**، ومن ثم فهى تخرج فى الأحلام كغيلان وعفاريت. وفى الكوابيس كما فى غيرها من الأحلام قد **يتكلم** النائم وقد **يمشى**، والكلام نوع من المشاركة بحيث يبدى النائم رأية صراحة ومسموعا، وكذلك **المشى فى النوم somnambulism**، وكلاهما دليل على أن المتكلم أو الماشى واقعان تحت ضغوط، وأن النوم فرصة لينفضاها عن نفسيهما، ويتحدثا أو يفعلا ما من شأنه أن يفصح عن مشاعرهما، وربما النائم محروم من المشاركة بالنهار فيشترك فيما هو محروم منه فى الليل، وربما هو يريد أن يشارك فى نشاطات الليل ومن ثم يتحدث أو يمشى. ووظيفة **الكلام والمشى** أثناء النوم كوظيفة الأحلام هى **التنفيس** عن رغبات مكبوتة. وتحدث الأحلام فى فترة **النوم المُرَمّش** بينما يحدث المشى أثناء **النوم غير المرمش**، وخاصة فى المرحلتين الثالثة والرابعة منه، أى فى الثلث الأول من الليل، ورغبات المتكلم والماشى أغلبها **جنسية**، وهو ينفّس بالكلام أو المشى عن **صراعات جنسية**. وقد يمشى الطفل والمراهق والبالغ نتيجة صراعات من هذا القبيل، وربما لمواقف ضاغطة ونتيجة قلق، وربما لأن المتكلم أوالماشى إنسان اعتمادى نشأ فى كنف والديْن شديدى الرعاية له، وأم ربما من النوع المسيطر فتضفى عليه حماية كاملة، فإذا كبر وأنيط به عمل ما فقد لايستطيع أن يتحمل المسئولية ويصاب بهذا الاضطراب. وأكثر مايكون الكلام والمشى فى النوم كتنفيس عن رغبات يقوم الشخص بقمعها أو كبتها أو استبعادها من وعيه خلال يقظته، كتلك **الحالة** لسيدة كانت تنهض من نومها وتظل تفتش حجرة نومها بحثاً عن لفافة، تبين من جلسات العلاج أنها رمز **للطفل** الذى كانت تتمنى أن تُرزَق به، حيث أنها كانت عقيما وترجو بلا جدوى أن تكون أُمّاً. وكانت الصفحات التى أوردها **شكسبير** عن "**لادى ماكبث**" وهى تقوم فى نومها بكل ماكانت تفكر فيه فى يقظتها، من أروع ماكُتب

فى تحليل الشخصية فى هذا المجال، فالمشى والكلام فى النوم تحقيق لأفكار ورغبات انفعالات وعواطف **النهار**. وهناك **حالة أخرى** لسيدة كانت بينها وبين زوجها مشاكل جنسية، فكانت تتأبّى عليه، ثم انقطعت محاولات الاثنين أن يقربا بعضهما، فكانت تنهض من نومها وتتوجه إلى حظيرة المواشى وتقترب من حصان كان زوجها لايحبه ويريد أن يتخلص منه، وتربت عليه، ثم تدلّك قضيبه إلى أن ينتصب، وتظل تفعل ذلك إلى أن يُمنِى، ثم تعود إلى حجرة نومها تنام حتى الصباح.

والأرق من أكثر اضطرابات النوم شيوعا، وثبت أن **الاكتئاب** من أكثر الاضطرابات النفسية التى تسبب الأرق، وأن العشاق والمحبين على غير ما يُعرَف عنهم يميلون إلى الاكتئاب ويتعرضون للإصابة بالفصام. وكان "**مجنون ليلى**" يشكو مرّ الشكوى من الأرق، وكان **روميو** يسهر حتى الصباح فيسمع شدو القُبرّة فى الفجر. وقد تصحب أرق المحب حالات ذُهانية كالهلوسات أو الهُذاءات، وقد تكون هلوسات نتيجة مخاوف من الهَجْر أو الخصام أو القطيعة أو عداء الأهل، ومن المحبين من تأتيه نوبات هياج فى الليل دون سواه من الأوقات، **والليل** هو زمن المحبين. وقد ينام المحب إعياءً **ويصحو مبكراً** early-morning awakening ويشكو النوم الخفيف. والمصابون بالعُنّة ينامون نوما خفيفا، ونومهم من النوع **غير الجالب للعافية** non-restorative sleep، وربما ذلك من الاستيقاظ عدة مرات فى الليل. والمصاب بالعنة قد ينتصب كلما نام، فإذا استيقظ ليجامع ارتخى، ويتناوب نومه مع صحيانه. وأغلب الأرق المزمن يرافق الاضطرابات الجنسية بالإشراط، وتعاطى **المنومات** يزيد أحوال المتعاطى سوءا. وقد يأتيه الأرق أصلا من الانسحاب الذى يصاب به الفاشل فى الحب أو فى الجنس، فيتعلم أن يرقد فى السرير بدون نوم. ومع الأرق يكون النوم المَرَضى الذى قد تصاحبه **مخاوف ليلية** night-terrors، فيفر النائم من النوم صاحياً فيما يسمى **فزّة الليل** وهى غير الكابوس، حيث يذكر النائم الكابوس عندما يصحو لكنه فى فزّة الليل يهبّ صاحيا جالساً أو واقفاً، أو يعدو ويصرخ، فإذا أحاط به أهله وطمأنوه عاد إلى النوم فلايذكر فى الصباح ماجرى منه فى الليل (أنظر **الأحلام والاحتلام والكابوس**).

✵ ✵ ✵

- ٢ -

الجنس والأحلام Sex & Dreams

مامن إنسان إلا ويحلم، إلا أن بعضنا ينسى أنه قد حلم لأن ذاكرته لا تولى الأحلام عنايتها، فما أن نهتم بها حتى نتذكرها. وينسب بعضنا إلى الأحلام صفات تنبؤية ويعنيه منها تلك الصفات، والأحلام هى الطريق إلى اللاشعور، وهو مخزن النزعات والرغبات المكبوتة التى تحاول الإشباع، وأغلبها نزعات ورغبات جنسية، وإذا كانت قد كبتت إلا أنها لم تمت، ويظل لها تأثيراتها بما أنها ماتزال حية، وتتحين الفرصة لتخرج وتعبّر عن نفسها فى الأحلام الجنسية، وتفسيرها **علم** اضطلعت به مدرسة التحليل النفسى.

وللحلم **مضمون صريح ومضمون كامن**، ومضمونه الصريح هو الحلم بتفاصيله التى يراه عليها النائم، ومضمونه الكامن هو تأويله بما يحتوى على أفكار دفينة ورغبات لاشعورية ودوافع مكبوتة تظهر فى الحلم بصور رمزية. ويمنع **الرقيب فى الجهاز النفسى** أن يظهر المضمون الكامن للحلم بصورة صريحة، الأمر الذى يجعل **اللاشعور** يُلبِس الحلم **أقنعة** تجعل مضمونه بريئا، والرقيب قوة نفسية، كابتة قد يغفل أثناء النوم فيسمح الرغبات اللاشعورية أن تخرج بعد أن تتخفى ويتّم تمويهها، فالبنت التى تريد أن تقلدّ صاحبتها ويكون لها حبيب قد تحلم بأنها ترى صاحبتها تحمل ثعبانا يرعبها، غير أن صاحبتها تَرْبُت عليه وتدعوها للربت عليه وتقول لها اطمئنى إنه لايؤذى. **والثعبان رمز** لعضو الذكورة فى الرجل، وتخشى البنت من مغبة الاتصال الجنسى فتطمئنها صاحبتها وتدعوها إلى تجربة الجماع وتقول لها إنه لايؤذى. وتفسير الثعبان بأنه قضيب الرجل يقال له **تفسير مادى**، غير أن هناك **تفسيراً وظيفيا** كذلك، وهو أن الثعبان رمز للغواية كما فى **قصة آدم وحواء وأصل الخلق** كما توردها **التوراة**، فقد قيل إن الحية أضلتهما بدعوتهما إلى الأكل من شجرة المعرفة أو شجرة الحياة المحرّمة. وقد نحلم **بالديك** وهو رمز جنسى مذكر، وبالعصا وهى رمز للقضيب، **وبالعين** وهى رمز جنسى مؤنث، وتفسير الرمز يتوقف على **ثقافة** كل من الحالم والمفسّر، **فمضمون** الحلم يستحضر الحالم جزئياته وتشبيهاته من البيئة ووسطه الثقافى، ويعتمد **التفسير** على إحاطة المفسر بالمعانى الفولكلورية والحضارية لرموزه المختلفة، فإذا كان بصدد تفسير أحد الأحلام فإنه يجعل الحالم **يتداعى تداعيا حرا** بأن يقول كل مايعن له حول الحلم، بينما يقوم المفسر بتأويل دلالة الرموز ومغزاها. وقد

يرى النائم أنه يسير عاريا كما ولدته أمه ويخجل ويضايقه ذلك، ويحاول أن يستتر ويتوارى، وقد لايبالى، وقد ينجح فى ستر نفسه، وقد يصاب بالذعر فلا يستطيع حراكا، وقد يرى الناس عريه، وقد يلهون عنه. **وأحلام العرى** نمط من الأحلام يأتى البعض، وينبه **فرويد** إليها ويصفها بأنها أحلام استعراضية أو استعرائية، بمعنى أن الحالم به رغبة أن يستعرى وذلك ميل فطرى حينما كان الإنسان يعيش عريانا، والكثير من القصص الشعبى به أمثلة للعرى كما فى **قصة ملابس الإمبراطور** لكاتب الأطفال **أندرسون**، فالإمبراطور استغفله بعضهم وصنعوا له ملابس زاهية يرتديها فيزهو، إلا أنها خفيّة لايراها إلا المتقون، بينما غالبية الناس تنظره عريانا. والارتباك بسبب العرى يرده المحللون إلى الصراع بين الرغبات المحظورة وقوى الكبت فى النفس التى مصدرها العُرْف والشريعة والواجب، فإذا كان التعرّى ميلا إلى التحرر الجنسى ورفض القيود الجنسية، فإن **الخجل** الذى يترتب عليه إشارة إلى مايمكن أن يصيب الشخص من معاناة لو أنه انصاع لهذه الرغبة. وربما يشير هذا الفعل الجنسى الفاضح فى الحلم إلى ناحية ليست جنسية، فقد يكون رمزاً للقصور فى شخصية الحالم، فيدل على مافيه من سيئات يحاول أن يخفيها، إلا أنها قد تظهر لبعض الناس، أو أن بعض الناس بوسعهم تعريته والوصول إلى سوءاته. وإيثار تفسير الحلم تفسيرا معينا دون تفسير آخر هو شئ يخضع لملابسات الحلم الأخرى، فمثلا قد يرى الحالم أن التى تتعرى أمامه هى أخته وذلك يذهله ويخجله أيضا، وواضح أن الحالم به رغبات جنسية محرّمة لأخته، ومايستشعره من هذه الرغبات فى حياته اليومية يذهله ويجعله يحس العار. ولربما **يُمَسْرَحُ الحلم أى يأى على صورة مسرحية**، كأن يرى النائم أنه يدخل على رئيسته فى العمل فتبتسم له ابتسامة عريضة وتطلب إليه أن يخلع ملابسه، فيعترض، ولكنها تنهض وتبدأ تتناول ملابسه قطعة قطعة فتخلعها، ويتململ ويرتبك، ويحاول أن يمتنع، وتستمر العملية إلى أن يأتى الدور على سرواله التحتى فيمسك به، إلا أنها تغصبه على خلعه، فيدارى سوءته بيديه، إلا أن رئيسته تنحيهما وتضحك، وتقول ماالذى تخافه، إنك مثلى، وعندئذ يجد أن رئيسته هى نفسها زوجته. وهذه المَسْرَحة للحلم طريقة لاشعورية لتمرير الأفكار الكامنة، والحالم يرى أن زوجته تحطّ من قدره وتعامله بقسوة، ويبدو أنه هو نفسه يريدها أن تسلك بقسوة، وهو معها كأنه قد خُصِىَ فهو بلا رجولة، وربما يريد أن يقول عن علاقته الجنسية معها أنها

فاشلة بسبب عُنّته التى يردها إلى قسوتها معه، وهو لايستطع أن يقول لها ذلك فى نهاره فيقوله أو يُمسرِحه فى الحلم.

والعرى قد يكون كاملا أو جزئيا، فالمرأة التى تحلم بأنها عريانة تماما قد ترى نفسها أحيانا أخرى مرتدية غُلالة رقيقة، وقد ترى نفسها كاملة الملابس إلا أنها حافية. **والحفاء** عرى جزئى وهو شائع فى الأحلام. ويرى **فرويد** أن **أحلام العرى والحفاء** قد تكشف عن رغبات عند البعض للنكوص إلى الطفولة، والمعروف أن الاستعراء يحبه الأطفال ويسعون إليه، وربما تستبد بنا هذه الرغبة إذا كان الحاضر يسيئنا أو كان به من المحظورات والنواهى والزواجر مانرفضه ونثور عليه، وليس كل الحاضر مكروها منا، ولكن المكروه أجزاء منه دون **أجزاء**، ولذلك فنحن نتعرى جزئيا، أو نرتدى ملابسنا ومع ذلك نسير حفاة، وأحلام الحفاة كأحلام التعرّى كلاهما يكشف عن رغبة مكبوتة فى التخفف من قيود التقاليد والعودة إلى انطلاق الطفولة. وربما تعنى أحلام التعرّى وأحلام الحفاء شعورا بالنقص، فالمدرس الذى يحلم بأنه يدخل الفصل حافى القدمين أو عارى الجسم لابد أنه يحس النقص بطريقة ما. ومن رأى **أدلر** أنه ينبغى الربط بين حياة الحلم وحياة اليقظة، وأن غاية الأحلام تأكيد **أسلوب الحياة**. ويذهب **يونج** إلى تفسير الأحلام **باللاشعور الجمعى الفطرى الموروث**، أى بردّ رموزها إلى مااصطلحنا عليه من رموز للأشياء، فالحفاء شعبيا يعنى الفاقة، والحلم بذلك يحذرنا من الفقر، أو يحذر منه الحالم، أو يعبر به الحالم عن خوفه من الفاقة التى يذكّره بها فى حياته الناجحة الحالية.

والطيران فى الحلم خبرة أخرى تعطى الحالم لذة هو محروم منها، وتشير إلى حياته المثقلة التى يريد أن يتحرر منها، والحالم لأنه يطير قد يدرك أثناء الحلم أنه يحلم، وقد يطلب البعض أن يحلموا أنهم يطيرون، بالنظر إلى ما يعطيهم الطيران من خلاص. وأحلام الطيران شائعة، وكثيرا ماتنتهى **بالاحتلام**. ويذهب **فرويد** إلى أن **الرجل** الذى يحلم بأنه يطير قد يعنى طيرانه انتصابه، ولذلك فهو يحتلم فى نهاية الحلم. **والمرأة** التى تحلم بأنها تطير تعبر عن رغباتها المتقدة العاطفية المضمون، ويؤيد هذا التفسير أن **الأطفال** لاتأتيهم أحلام الطيران، وأن الطيران فى الأحلام يبدأ فقط مع **المراهقة**. وذلك يؤكد الاتجاه الجنسى فى تفسير هذا النوع من الأحلام. ويقول **ابن سيرين** فى كتابه **تفسير الأحلام** أن من يحلم بأنه يطير من سطح إلى سطح فإنه يستبدل بامرأته امرأة أخرى.

وأحلام **الامتحان** شائعة كذلك، والامتحان يعنى محنة يخبرها الحالم، وحياتنا تحفل بالمحن وأوجه القلق والجزع، وأكثر مايتعرض لأحلام الامتحان الناس العُصابيون، والذين يستشعرون القصور فى شخصياتهم، والذين يعرفون نواحى النقص فى حياتهم. وتكثر أحلام الامتحان فى المراهقة بالنظر إلى مايرافق **المراهقة** من قلق جنسى مصدره التغيرات التى تشمل الجسم والنظرة إلى الحياة. وتكثر **قبل الزواج** بسبب المخاوف من العُنة ومن الفشل. والفتى والفتاة كلاهما قد يعتبر الزواج محنة، وينعقد الامتحان ليلة الزفاف، وفيها يُكْرَمُ المرء أو يُهان. وإنه لأمر ملفت للنظر أن الحالم يحلم بأنه يُمتَحن فى مادة يعرفها جيدا ويتفوق فيها، والقلق الذى يصاحب الحلم نتيجة الرهبة من موقف تُمتَحن فيه رجولة الحالم، وهو متأكد أنه رجل، إلا أن الزواج امتحان يدخله فيما هو يعرفه يقينا عن نفسه، وكأنه بذلك الحلم يريد أن يقول لنفسه ولماذا القلق وأنت تتقن الجنس اتقانك لمادة الحساب مثلا التى تمتحنها، فإن كان الامتحان فى الحساب وأنت تتقنه فامتحانك الجنسى كذلك مضمون النتيجة لأنك مؤكد الرجولة. وتكثر أحلام الامتحان كذلك فى **سن الإياس**، وأكثر ماتكون مع النساء، إذ فى سن الإياس تكون التغيرات الهرمونية والاجتماعية فى حياة المرأة وكأنها تريد بذلك أن تقول إنها فى محنة، فلا غرو أن يطلق على هذه السن اسم سن **الإياس أواليأس**. والفشل فى أحلام الامتحان بالنسبة للرجال فى هذه السن يعنى أن الرجل عِنِّين وأنه لم يعد ينتصب.

وهناك نوع من الأحلام نحلم فيه كما لو كنا **ننظر فى مرآة**، والنظر فى المرآة يذكرنا بقصة **الفتى نرجس** الذى عشق نفسه والنظر إلى وجهه فى الماء، وانشغل بذلك حتى زهد الدنيا إلا أن ينظر إلى وجهه، فكان أن نزل إلى الماء ليبلغ الصورة فغرق، وفى نفس الموضع نبتت **وردة النرجس** المائية. **والنرجسية هى** عشق الذات، والمرأة العاشقة لنفسها كثيرة النظر فى المرآة. والنرجسية من مراحل النمو النفسى الجنسى، وفيها يكون التماس اللذة الجنسية ذاتياً بالاستمناء باليد، والنرجسى قد يتزوج إلا أنه يوظف زوجته للذته ويستخدمها لإشباعه جنسيا. والانشغال بالذات قد يفرط فيكون التداعى له بالمرض، وكان **القدماء** يفسرون **أحلام النظر فى المرآة أو فى الماء** بأنها نذير مرض أو سوء، والذى يُشغَل بنفسه دون العالم من حوله يجهله، ويرديه جهله به موارد التهلكة، وفى الأسطورة أن القدماء كانوا يخشون النظر فى الماء باعتبار أن الخيال على الماء روح، وقد تتخطّفه وحوش

الماء، غير أن الماء رمز للرحم، **والخروج من الماء** يعنى الولادة، وفى الفرنسية تتشابه كلمة mére بمعنى أم وكلمة mer بمعنى بحر. والجنين فى بطن الأم وسطه مائى هو السائل الأمينى، وكثيرا ماتأتى ولادة الأبطال من الماء كما فى قصة **حورس** المصرى **وفينوس** الرومانية، والنبى **موسى** (الذى معنى اسمه العبرى **لقيط الماء**). ويقول العرب عن **المَنِىّ** إنه ماء الرجل فى مقابل ماء المرأة، والله سبحانه وتعالى يقول وجعلنا من الماء كل شئ حى. **وأحلام السباحة** فى الماء مثلها مثل أحلام الطيران تثير الهياج الجنسى. والأشخاص الذين يكثرون من أحلام السباحة غالبا ممن كانوا يبولون على أنفسهم وهم نيام أثناء طفولتهم، وكذلك الذين يحلمون **بالحرائق**، فالحريق يتطلب ماء، وقد يُمنِى الشخص وهو يواجه الحريق، أو قد يبول على نفسه، **والبوال** من دأب الأطفال، وأما المراهقون والكبار فهم يُمنون. والحريق يشبَّه به الشبق، والشعراء يصفون لوعة الحب بأنها حريق يأكلهم، والرغبة الجنسية هى هذا الحريق، والحالم بالحريق قد يرى أنه يهرب منه ويجتاز ممرا ضيقا يتزحلق عليه إلى ساحة رحبة، وتلك إشارات ورموز جنسية لاشك فيها، **فالممر الضيق** هو مابين فخذى المرأة، **والساحة** هى فرجها، وفى العربية نسمى الساحة فُرْجة، **والتزحلق صعودا وهبوطا** إشارة إلى الجماع، ويقول **فرويد** أن **صعود السلالم والمرتفعات** يرمزان من غير شك إلى الجماع الجنسى، وأن بلوغ القمة أو الأوج climax يستلزم حركات موقّعة تُؤَدَّى فى لهث متزايد، بينما يكون النزول فى قفزات قليلة مسرعة. **والصعود** يعيد النمط التوقيعى للجماع، ونحن نصف تزايد الرغبة بأنها صعود، ونقول إن الشهوة تتصاعد.

وللجماع رموز كثيرة فى الأحلام الجنسية، ومن ذلك هذا الحلم لفتاة قالت بأنها رأت نفسها تركب مع أمها قطارا، ولكنها سقطت منه ومرت العجلات فوقها، وكانت تسمع قرقعة عظامها. **والسقوط من القطار ومروره فوقها** رمز للعملية الجنسية، وكانت هذه البنت تعانى من تسلّط أمها ورفضها أن تزوجها حبيبها، وهى قد رأت نفسها فى الحلم صغيرة، وكانت أمها تناديها ياصغيرتى، وقالت الفتاة فى تفسيرها لنداء الأم وتدليلها بهذا الاسم، كأنها تقول لها إنك صغيرة بعد على الحب ولا حاجة لك إلى الحياة الجنسية. والأحلام الجنسية تختلف عند أصحاب **الميول السادية** عنها عند أصحاب **الميول الماسوشية**، وعند **الذكور** عنها عند **الإناث**، وقرقعة العظام التى تقول عنه الحالمة هى محصلة خبرتها ورؤيتها للجماع، فهو كأنه قرقعة العظام، ومن ذلك أن **بسمارك** رئيس وزراء ألمانيا حلم مرة أنه يمتلك سوطا وأن

سوطه يطول ويقصر، **والسوط** رمز جنسى للقضيب، وتشبيهه بالسوط دليل على عدوانية عند بسمارك، وكان سياسياً محبا للغزو والتوسع، والجنس عنده **غزو وفتح**، وكذلك السياسة وكأنه يمارسها كممارسته لذكورته.

وكثيرا مايحار الناس فى تفسيرهم **لليسار واليمين** فى الأحلام. ومن رأى **شتيكل** أن **اليسار** يعنى الخطأ والمحرم، **واليمين** يعنى الصواب والحلال، ولربما يرجع تفضيل اليمين على اليسار كاثر من تفضيل **الثدى الأيمن** على **الثدى الأيسر** أثناء الرضاعة. وقد يرمز للثدى بأنه **تفاحة** يتناولها الحالم بِوَلَه لأنه جوعان، فيستشعر الشبع أو يزيد به الجوع. ورموز الأعضاء التناسلية فى الأحلام رموز **شعبية مادية**، وقد يرمز إليها **بالمائدة الحافلة**، وقد يرمز للقضيب بأنه **سجق، وعصا، وسمكة، ودودة، وسلاح**، وللخصيتين بأنهما **بيضتان أومنطادان**، وللفرج بأنه **صندوق، وحقيبة، وباب، وفرن**، وللبكارة بأنها **فتح لقفل، وعين تُفْقأ، وسن تُنْزع، وفاكهة تُقطَف**، وتُشبّه العانة **بالفراء، وبالغابة، والأشجار، والحديقة، والقبعة، والزهور. والغرف** فى الحلم ترمز فى معظم الأحيان إلى النساء. والحلم الذى يعبُر فيه الحالم سلسلة من **الحجرات المتتالية هو** حلم بمنزل بغاء ولكنه قد يستخدم أيضا من قبيل التضاد فى تمثيل الزواج، وأما أن يحلم الحالم **بحجرتين كانت من قبل حجرة واحدة**، أو أن يرى **حجرة واحدة يألفها قد انقسمت حجرتين**، فينم عن تطلعات جنسية طفولية، فالطفل يعد عضو التناسل عند المرأة منطقة واحدة يضم إليها فتحة الشرج (النظرية الإستية عند الطفل) ولايفطن إلا فيما بعد إلى أن هذه المنطقة تضم فجوتين وفتحتين مستقلتين. وأما **الحوائط الملساء** التى يمكن أن يتسلقها الحالم، **والواجهات** التى يمكن أن ينزلق عليها فى فزع عادة، فتمثل الجسم الإنسانى وهو واقف، وتعيد غالبا ذكريات التعلّق بالوالدين والتشبث بهما واقفين. **والحوائط الملساء** رجال، وليس بمستبعد أن يتشبث الحالم **بنتوءات فى الحوائط**، وهى فى هذه الحالة تمثل النساء. وتُشبّه النساء **بالموائد الحافلة بالطعام، والسرير هو** رابطة الزواج. ويكثر فى أحلام الرجال أن ينوب **رباط العنق** عن القضيب، والكثير من أحلام العُصابيين من الأوساط البورجوازية تصور أربطة العنق، كحلم كان فيه رباط العنق عبارة عن أفعى يشرئب برأسه ويتأمل فتاة، وحلم رأى فيه الحالم نفسه يرتدى ملابسه فدخلت عليه امرأة فدارى عنقه بقميصه حتى لاتراه بغير رباط، وكان هذا الرجل هو نفسه يشكو من العُنّة فى اليقظة. ورمز رباط العنق لا يأتى أحلام الرجال إلا إذا كانوا

من النمط الشديد الاحتفال بملابسه، والذى يختار ربطة عنقه ويجهد فى الاختيار ولديه منها الكثير. ومن المرجح أكبر الترجيح **أن جميع الآلات والأجهزة المعقدة** تقوم فى الأحلام مقام الأعضاء التناسلية، وأعضاء الرجل عادة، وذلك شئ يتكرر فى الأحلام كما هو الشأن فى النكت، فمثلما يغلب أن تكون النكت **جنسية الطابع** فكذلك الأحلام. ومن المألوف أن تكون **الأسلحة والعدد كالمحاريث والمطارق والبنادق والمسدسات والخناجر والسيوف والسكاكين** رموزاً لعضو الرجل. وقد يتضمن الحلم **مناظر طبيعية**، وخاصة إذا احتوت جسورا وقمما تعلوها الأشجار، وهى إشارات للأعضاء التناسلية. وحتى فى اللغة يقال للقضيب إنه **العمامة** إعزازاً، بينما يشار إلى الإخصاء تصويراً بأنه **سقوط الشعر أو الأسنان أو قطع الرأس أو الصلع. والسحالى** فى الحلم، وهى حيوانات من خصائصها أن ذيولها تنمو من جديد إذا قطعت، تعنى الأمل فى الانتصاب بعد العجز. والكثير من رموز الأعضاء التناسلية فى القصص الشعبى له نفس الاستخدام فى الأحلام، مثل **القواقع والسمك والقطط والفئران** (لشعر العانة)، كما أن التَنَوّد يمثل الحمل، ويقوم **الأقارب** فى الحلم مقام الأعضاء التناسلية، **فالأخوات** يرمزن لهن الصدر والأثداء، بينما **الإخوة** يرمز لهم بالردفين. ويفسر شتيكل عدم **اللحاق بالقطار أو المركبة** إياً كانت بفارق السن بين الزوجين. **ومتاع السفر** يرمز إلى عضو الحالم التناسلى رجلاً كان أو امرأة. ومن رأى **شتيكل** أن **الأرقام** رموز تناسلية من حيث شكلها، فالخمسة رمز جنسى أنثوى، بينما الواحد رمز جنسى ذكورى. وكذلك قد تصور الأعضاء التناسلية بواسطة أجزاء أخرى من الجسم، فتمثل **اليد أو القدم** عضو الذكورة، ويمثل **الفم أو الأذن أو العين** عضو الأنوثة. **وإفرازات الجسم** قد تحل محل المَنىّ مثل الدموع والبول والمخاط.

وسنضرب بعض الأمثلة لاستخدام **الرموز** فى هذه الأحلام، فها هى امرأة تحلم بأنها تسير متوكأة على عصا، برغم أنها سليمة ليس بها شئ يجعلها تتوكأ على العصا. وكان الوقت عصرا فى الصيف، وتمر أمام مجموعة من الشبان تعرف بعضهم حيث يسكنون فى نفس شارعها، وتهز عصاها لهم وتقول إنكم لن تستطيعوا أن تؤنونى. وكانت هذه المرأة كفتاة لها علاقات ببعض هؤلاء الشبان، ثم تزوجت، وكانت ترى أن رجلها كامل، والعصا يرمز له، وهى عصا تحميها من الغواية، ففحولة زوجها تذّب بها عن نفسها إمكانية أن تعود إلى عشق أى من هؤلاء الفتيان.

وحلم آخر لزوجة ترى أن زوجها اسمه **فريد**، وهو يغنى لها ويصعد معها درجاً، ولكنها قرب نهاية الدرج من أعلى تجد أمه وأخواته وتسمع منهن أنه ليس فريدا، فتشيح بوجهها وتنزل الدرج بسرعة وحدها، وتنتظر زوجها أسفله، ولكنه لايحضر فتبتئس، وتقول إنه لابد قد مات، وتبكى، وتصحو.

وفريد هذا يتبين أنه **فريد الأطرش** المغنى، وكان يقال لها إن زوجها يشبهه وله صوته. وكانت حياتها الزوجية موفقة لولا أم الزوج وإخوته، وصعود الدرج هو الجماع، وهو مشبع لكليهما، لولا أن سعادتها لاتكتمل بسبب تدخّل أسرة الزوج، ولذلك كانت تنزل وحدها وتنتظر أن يعود إليها رجلها الذى كثيرا مايستمع لأهله، وتكون بينهما مشاحنات تنتهى فى ليال كثيرة ببكائها.

وليست كل الأحلام بالطبع جنسية، **وفرويد** نفسه يقول إن موضوعات أحلامنا قد تتناول الجنس وقد تدور حول العدوان، ومقولتا **الجنس والعدوان** هما مدار الكثير من الأحلام والأفعال سواء فى النوم أو اليقظة. وتنتهى ٨٥٪ من الأحلام الجنسية بالإنعاظ، **والاحتلام** غالبا يميز الأحلام الجنسية عن غيرها، وأكثر ماتأتى هذه الأحلام **للشباب** من بعد البلوغ وحتى العشرين، ومن الشائع أن يحتلم الطلبة فى سن التحصيل، وربما يكون الحلم جنسيا صريحا وينتهى بالاحتلام، وهو دليل رغبات جنسية تحاول التصريف بشكل لايصطدم بالعرف والأخلاق والتربية الدينية. وربما لاتكون المرأة التى يحلم بها الشاب معروفة لديه، فالمهم أن يضاجعها وكفى، والبعض قد يحلم **بالفَرْج** فقط، وذلك يعنى أنه غير معنى بشخصية الأنثى بقدر ما يعنيه فرجها لاغير، إذ هو العضو الذى يريد التعامل معه منها. ومن النادر أن تكون الأحلام الجنسية بسيطة، وهى غالبا مزوّقة. والصورة الجنسية تتعقد وتكبر، وتفسيرها يحتاج إلى الإحاطة بمفهوم الجنس عند الحالم ومايشير إليه من مضامين شخصيته. **والدافع الجنسى** على المستوى البيولوجى من أهم الدوافع، وعلى المستوى النفسى تترتب عليه الكثير من أفكارنا. والكثير من أحلام الجنس له طابع مفرح ويتضمن احتفالات، أو نحلم بأننا وسط **زحام** كأننا فى عيد أو مولد، والدنيا رحبة، والأشجار باسقة، والجو صحو، **كهذا الحلم لمهندس شاب** حضر لتوه فى إجازة وكان يعمل فى بلد عربية، وذهب كما يذهب الناس يتفرجون على **المريلاند**، وقال إنه حلم بأنه كان مع رفقة من الصحاب وذهبوا للفسحة والتقوا بمَدْرسة بنات، وتعرّف بمُدرّسة شابة ولكنه تركها وذهب،

ثم عاد إليها وسألها إن كانت تريد العودة إلى البيت فقبلت، ولما وصلا إلى بيتها دعته للدخول وغابت عنه وتركته فى الصالون لتغير ملابسها . وواضح من الحلم أن الشاب كان مترددا فى التعرف إلى الفتاة بسبب تربيته الدينية، ولماّ غلبته رغباته تقدّم منها ودعاها فلبّته، ولم يكن خروجه عن تزمّته إلا بسبب وجوده فى المريدلاند حيث الصخب والترويح عن النفس، وأما الجنس فمكانه البيت. وهناك ارتباط بين **المكان والجنس**، فمثلا فى **البلاد الحارة** يكون الدافع إلى الجنس أقوى، وفى **البلاد المحافظة والريف** تكثر الأحلام الجنسية عنها فى **البلاد المتحررة والمدن**، كهذا الحلم لشاب رأى نفسه فى الشتاء والدنيا برد وحجرته كئيبة، وفجأة ظهرت الشمس وأشرقت الحجرة بنورها، فانتعش وأمنَى. والتغيّر فى الطقس يعنى التغيّر فى المشاعر، والسَفَر إلى البلاد الحارة يعنى التهيّج، ودائما تكون أحلام الجنس على خلفيات طبيعية أو مبهجة.

والسيارةوركوبها من الأحلام الجنسية، ومعنى أن تركب **سيارة فارهة** أن الحالم يشعر بالقوة والقُدرة وهما معنيان للطاقة الجنسية. ومن الرموز الجنسية فى الحلم أن **تكسر إشارة مرور، أو تنقلب بالسيارة**، أو **تعجز عن كبح جماح السرعة**، وأحيانا يحلم الحالم أنه كان يستمع إلى موسيقى وأراد أن يرفع **غطاء السيارة** فامتنع عليه ثم فجأة ارتفع وانتشر. **والطائرة** رمز للجنس، فبالإضافة إلى قوتها وسرعتها فإنها تطير لفوق وتحت، وتصوّر إيقاع الجماع، ثم يكون الهبوط أو النزول. وكذلك **المصعد الكهربائى**.

ولربما يتأثر الحالم بما يقال عن أن الشهوة حيوانية، وأنه لكى يعيش فاضلاً عليه أن يكبت الحيوان فى داخله، ومن ثم قد تأتى الرغبات الجنسية مقنّعة فى الأحلام فى صورة الحيوانات، وتسمى **الأحلام الحيوانية** theriomorphic dreams لأن موضوعاتها حيوانات، إما أليفة كالقطط والكلاب أو متوحشة. ولعل أكثر ماتنتجه الأحلام لتصويره **الخيل والكلاب ثم القطط**، والخيل أهمها بالنظر إلى كثرة الحديث عنها فى الروايات والشعر، ولعل ألطف ماتناول الخيل من المقطوعات الأدبية **فيدراس** لأفلاطون، وفيها يشبّه **سقراط** العقل والروح والنفس الأمّارة بالسوء بعربة يجرها فرسان، ويقودها الخيّال، فأمّا أحد الفرسين فشرير وجامح، والآخر هادئ ومطيع. والفرس الجامح هو **الشهوة** تستبد بصاحبها. والفرس علاوة على كل ماسبق يرمز للحيوية والفحولة والغريزة عندما تسيطر. وتحلم النساء بالخيل **ضعف** مايحلم بها الرجال. ولاشك أن ركوب الخيل مهيّج، وفى الأحلام يهتز

الراكب كإيقاع الجماع. وعند الإمناء يصهل الفرس. وقد تحلم المرأة أنها تركب الحصان من تحت، إشارةً إلى وضع المرأة فى الجماع. وكثيرا مايتهيج الحصان عندما يكون الحالم امرأة ويهاجمها، وهو هنا إشارة إلى الاغتصاب، كهذا الحلم لفتاة رأت نفسها فى حديقة مضطجعة، ثم انصفق شباك وعبره حصان كسر الزجاج وطار إليها، ثم حملها عليه واختفى. **وكَسْر الزجاج** فى الحلم هو فضّ البكارة. **والحصان الأسود** هو الشهوة المحرمة، **والحصان الأبيض** شهوة حلال ويعنى الزواج. **واللون الأسود** دليل رغبات جامحة لايرضى عنها الحالم، والبنت التى تحلم بأن **عبدا أسود** يغتصبها، أو أن **لصا** يدخل حجرتها فى **الليل المظلم** مقنّعا **بقناع أسود**، تعانى من رغبات جامحة حوّرتها مخيّلتها أو مَسْرَحتها وجعلت الأبطال العبد الأسود، واللص المقّنع بالسواد. **واللص** من رموز الأحلام الجنسية، وهو رغبة محرّمة. وهناك اعتقاد شعبى أن السود يتمتعون بقوة جنسية خارقة، وكذلك الخارجون على القانون من اللصوص والقتلة والسفاحين. ومن دأب الدافع الجنسى أن يعبّر عن نفسه بطرق مختلفة فى الأحلام، ولكن مفهوم الحالم عن الدوافع الجنسية هو الذى يحدد الطريقة، فإذا كان يرى أن الجنس شئ قذر فإن الصور الحلمية التى تأتيه ستكون من نفس نوع تفكيره، فإذا رأى أن الجنس مسألة خطيرة لها عواقبها فسيراه هكذا فى الأحلام. ولكى يساعدنا تفسير الأحلام على **تحليل عناصر الشخصية** ينبغى أن نعرف مايعنيه الجنس للشخص الحالم، لأن فكرته عن الدافع الجنسى هى التى تحدد تصرفاته وسلوكه فى الحياة وفى الحلم وليس العكس. **وأحلام النوم خلاف أحلام اليقظة**، فالأخيرة ينسجها الشعور بينما أحلام النوم ينسجها اللاشعور، والأحلام تتابع من الصور التى تجسد أفكار ورغبات الحالم، والهدف من **تفسير الأحلام** هو معرفة شخصية الحالم بتحويل الصور فى أحلامه إلى أفكار. **ووظيفة الحلم** هى الكشف عن المخبوء فى الشخصية والعقل، وقد تبدو الأحلام مستغلقة لأنها رمزية، ولكن هذه الرموز ليست إلا صوراً مجازية، ومن شأن هذه الصور المجازية أن تكون أبلغ فى التعبير عن مكنونات النفس من اللغة العادية، غير أن المشكلة فى الأحلام أن الصور التى تستخدمها هى **لغة** كاللغات، ولكنها أقدم اللغات، وهى **اللغة الأم** التى اشتّقت منها كل اللغات، ورغم أنها قديمة إلا أنها ماتزال تُستخدم، ولايستخدمها إلا العقل القديم مثلها، أو مايسمى **باللاشعور**، ولو كانت الأحلام تعبر عن الشعور أو العقل الواعى الحالى لكانت لغتها سهلة مثله، وعصرية، ولذلك فمحاولة

تفسير الأحلام بأحداث معاصرة وبوصفها تشبيهات من الواقع ابتسار للأحلام وإساءة إلى الحالم.

ولمّا كانت العائلة البشرية كغيرها من العائلات الحيوانية تنحدر من أصلين أو جنسين أحدهما أنثى والآخر ذكر، ومن لحظة الحمل تنطرح الفوارق بين الذكر والأنثى، وهذه الفوارق هى التى تحدد **الأدوار الجنسية البيولوجية** لكلا الجنسين. والإنسان بما هو كذلك **ثنائى الجنسية**، غير أن هذه **الثنائية** تختلف من فرد إلى آخر، والذكر الذى به نسبة هرمونات أنثوية أكثر يميل للأنوثة شكلاً وموضوعا، أكثر من الذكر الذى به نسبة هرمونات أنثوية أقل. وداخل كل منا توجد نزعات أنثوية وذكورية، فجزء منا رقيق وآخر قاس، وجزء عدوانى وآخر سلبى، وجزء يميل إلى الجنس الآخر، وجزء يميل إلى ذات الجنس. وهذا التباين والتضاد يجعل الإنسان موضع صراعات نسميها **صراعات الأدوار الجنسية أو الثنائيةالجنسية**.

وتتيح الأحلام لهذه الصراعات أن تظهر، كهذا الحلم الذى تنقلب فيه **الأدوار الجنسية** لفتى رأى نفسه مضطجعا على سرير، عارياً وقد غَطّى صدره كما لو كان له ثديان كالنساء، فنهض وإذا له ثديان. ويتبين من التحليل أنه يعانى من **الصراعات الثنائية**، فبينما هو متزوج وله أولاد، إلا أنه فى نفس الوقت يمارس اللواط ويستمتع بكونه مأبونا، وأحيانا يقول صراحة أنه يرى أن يتحول امرأة. وهذا الحلم تعبير عما يجيش بنفسه وعقله من رغبات وأفكار. وقد لايصرح البعض بما يعتمل فى نفوسهم من رغبات متعارضة مع الدور الجنسى الذى ينهضون عليه، وعندئذ تظهر صراعاتهم على شكل مخاوف يقال لها **مخاوف الخصاء**. أو **قلق الخصاء**، كهذا الحلم لشاب رأى أن كلباً عقره فى خصيتيه وقضيبه فاستيقظ [illegible]رخا. وأحيانا تتمثل أحلام الخصاء فى إصابات يرى الحالم أنها تصيب أعضاء أخرى من جسمه ليست الأعضاء التناسلية، **كأحلام فقدان الأسنان** التى هى أحلام خصاء، كأن يرى الحالم أن سِنَّة انفلقت ووقعت مع السِنَّتين الأخريين المجاورتين لها، فأمسكها بأصابعه، وظهرت التجاويف مكان الأسنان الثلاثة، بينما كان مكان الوسطى أعلى قليلا وبارزاً نوعا ما. وواضح أن معنى **الثلاث أسنان** القضيب والخصيتان، والحلم تعبير عن رغبة الحالم أن يفقد ذكورته ويتحول إلى امرأة، والتجاويف تشبه الفرج.

وفقدان الشعر فى الأحلام تعبير عن رغبة فى التأنّث حيث الشعر رمز الذكورة، وكان

السر الذى يحتفظ به **شمشون** هو أن قوته أو ذكورته فى شعره، **فلمّا قصّته دليلة** استؤنث. وقد تحلم النساء أنهن قد صارت لهن **لحية**، وذلك أيضا تعبير عن الرغبة فى التحوّل إلى الذكورة.

وقد يُعبّر فى الحلم عن **الرغبة فى الإخصاء** بأن ينكسر **قلم** الحالم، أو تضيع **بندقيته**، أو يُسحَق **طربوشه**، وهى أشياء تشبه القضيب شكلا. **وأحلام الإخصاء** تأتى النساء كما تأتى الرجال. وتُشتَهر النساء بأنهن الجنس المَخصِى، لأن القضيب ينقصهن، وذلك يجعلهن يعانين مايسمى **حسد القضيب**، وقد يحلمن لذلك **أحلاما تعويضية**، كهذا الحلم الذى يتألف من جزءين لسيدة رأت أنها كانت تسير فى حديقة مع أمها فخرج عليها لص، وهددهما بمسدسه، وطلب أن يأخذ كيسَى نقودهما، فرفضت، ولكن أمها طلبت إليها أن تطيع، فقبلت، بشرط أن تحتفظ **بقلمها الفضى الذى فى الكيس**، وذهب عنهما اللص، ولكنهما فى الجزء الثانى من الحلم دخلا مكانا كان الناس فيه نياما ومنهم اللص، وبحثت الحالمة فى ستراتهم وفى سترته عن المسدس فوجدته. واستيقظ اللص وقد حزن أنها اكتشفت أن المسدس الذى كان يهددهما به ليس إلا لعبة، ومع ذلك فقد تعاركا على امتلاك المسدس، وقد اضطر أن يتركه لها إزاء إصرارها، ولكنها بعد أن امتلكته ألقته وولّت.

وواضح أن **سرقة الكيس** يعنى أنها تظن أن الرجل لايفعل سوى أن يغتصب النساء، وأن الرجال يهددون النساء بما لهم من أعضاء الذكورة التى ليست فى الحقيقة سوى أشياء للهو. ولم يكن **القلم الفضى** سوى رمز الذكورة، وهو إشارة إلى ذكورة الحالمة، وهى تريد أن تحتفظ بذكورتها إذا كان عليها أن تطيع أمها وتسلّم نفسها إلى رجل تتزوجه، ويُرمز له هنا باللص. ونفهم من الجزء الثانى من الحلم أنها بعد أن تتزوج أرادت أن تخصى رجلها، بأن تؤنّثه، بسلبها لذكورته، والرجل (اللص) يرفض، ولكنه يذعن فى النهاية ويستسلم، وهو ماتحقق لها بعد سنوات من الخلافات العائلية بينها وبين زوجها، وعندئذ يتبين لها أن الذكورة ليست شيئا يستحق أن تحوزه بعد أن جعلتها بطريقتها فى التعامل معه وكأنها مسدس لعبة. وهى فى الجزء الأول من الحلم تستغنى عن دور الأنثى بدليل إلقائها الكيس رمز الأنوثة، وفى الجزء الثانى من الحلم تلقى بالذكورة أرضا فى هيئة المسدس رمز الذكورة. وهى تنكر الدور الجنسى الذكورى والدور الجنسى الأنثوى، ولايعجبها الدوران وتفضل النمط الذى هى عليه من **الثنائية الجنسية**.

وقد يدفع بعض الناس عن **الثنائية الجنسية** التى بهم عن طريق أحلام يرفضون فيها هذا الدور أو ذاك، وقد يبدون ضيقهم بأيهما بأن يحاربوا فى الأحلام الميل الأنثوى أو الذكورى فى غيرهم، وذلك بعض مايعنيه **النقل** فى الأحلام حيث يسقط الحالم مابه على الناس.

* * *

- ٣ -

الاحتـلام Nocturnal Emission

هو الإمناء الذى يصدر لا إراديا عن النائم الذى يحلم حلما جنسيا، ويغلب عند **الشباب** من كل الطبقات الاجتماعية، ويزيد أكثر عند **المثقفين** عنه عند العمال، وعند **المهنيين** عنه عند الحرفيين. ويروى **كينزى** فى بحثه المشهور فى السلوك الجنسى عند الذكر والأنثى أن ١٥٪ من التصريف الجنسى عند المراهقين من المتعلمين هو إمناء أثناء الأحلام، بينما لايمثل هذا النشاط عند غير المتعلمين إلا ٦٪ فقط. ويبدو أن **التعليم** له علاقة بزيادة الحساسية للاستثارة الجنسية، وتزيد الاستجابة الجنسية عند المتعلمين، بقراءة القصص الجنسى، أو بمشاهدة الأفلام الجنسية، ويزيد استهواؤهم الجنسى كلما تدرجوا فى التعليم، بدليل أن فرص الاحتلام عند طلبة المدارس المتوسطة لاتشكل سوى ٢٥٪ فقط بينما هى ٧٥٪ عند طلبة المدارس الثانوية وتتنامى إلى ٩١٪ عند طلبة الجامعات. ويرتبط الاحتلام أيضا بالقدرة البدنية، فبينما قد يحتلم **المراهق** نحو **مرتين اسبوعيا**، فإن **الشيخ** الذى يتجاوز الخمسين قد لايحتلم أكثر من **أربع مرات فى العام كله**. وأيضا يرتبط الاحتلام بالتصريف الجنسى عموما، **فالأعزب** أكثر احتلاما من المتزوج، وقد يشكل الاحتلام نحو ٥٦٪ من التصريف الجنسى عند الأعزب، بينما هو لايشكل عند المتزوج إلا نحو ٢٪. وقد يرى النائم حلما جنسيا ولكنه لايتهيج به إلى درجة بلوغ الهِزّة، وذلك أظهر عند **البنات**، حيث قد تقتصر أحلامهن الجنسية على المداعبات الجنسية دون الإنعاظ. وقيل إن الذكور قد يمنون فى النوم دون أن يحلموا بشئ ما، وقيل إن ذلك منهم ظاهرة فسيولوجية عن حاجة إلى التخلص من التوترات الجنسية. ويرى بعض الأخصائيين أن ذلك مستحيل، فلا إمناء أثناء النوم دون أحلام جنسية، غير أن هؤلاء الذين يدّعون أنهم أمنوا دون أن يحلموا، لايذكرون أحلامهم ولكنهم يجدون فى الصباح ملابسهم التحتية وقد بللها المنى، والحقيقة أنه ما من أحد إلا ويحلم، غير أن البعض لايذكرون أحلامهم فى الصباح. ولربما يذهب البعض من

الأخصائيين إلى تفسير الإمناء الليلى تفسيرات فسيولوجية بردّه إلى تأثير النوم على الظهر، ومايمكن أن يؤدى إليه من استثارة للحبل الشوكى الأسفل حيث المراكز العصبية للإمناء، وقيل إنه بتأثير احتكاك الملابس التحتية بالأعضاء التناسلية، إلا أن ذلك لاينفى أبدا أن الاحتلام تؤدى إليه فى الأصل التوترات الجنسية وحالة الهياج الجنسى قبل النوم، بدليل حدوثه عند المراهقين أكثر من غيرهم، وهم تلك الفئة من البالغين الذين لاتتوافر لهم فرصة التصريف الجنسى إلا عن طريقين رئيسيين هما الاستمناء باليد والاحتلام، غير أن الاحتلام لايغنى أبدا عن الجماع كوسيلة أساسية للتصريف والإشباع الجنسى، ويروى **كينزى** أن **المساجين** لايخبرون الاحتلام إلا نحو أربع أو خمس مرات فى السنة، برغم الحرمان الجنسى الذى يعيشونه، وبرغم أنهم قبل أن يسجنوا كانوا والغين فى الجنس، حتى أن بعضهم كان يأتيه ربما فى اليوم الواحد عدة مرات، وذلك دليل على أن الاحتلام لايلازم **الحرمان** بالضرورة، وليس وسيلة أساسية تغنى عن الجماع كما ذكرنا. وعلى أى الأحوال فالناس يختلفون عن بعضهم البعض فى إتيان الاحتلام بحسب قدراتهم الجنسية، وتوجهاتهم فى الحياة، وانشغالهم بالإشباع الجنسى، ونشاطهم الجنسى الفعلى مقارناً بحاجتهم الجنسية، والبعض قد يحتلم يوميا، بل وفى الحلم الواحد عدة مرات، والبعض الآخر قد لاتتجاوز خبرته بالاحتلام سوى بضع مرات فى حياته كلها، **والغالبية من الشباب** قد يحتلمون **مرة كل أسبوعين**، ولايحتلم الواحد إلا بعد أن يراهق بنحو **سنة**، عندما تكون له المخيلة الجنسية بعد البلوغ، بحيث قد يستثار جنسيا بما يقرأ أو يشاهد أو يسمع، وتتجمع عنده الاستثارات حتى لتكون لها وطأة أثناء النوم عندما تقل قدرته على التحكم فى رغباته وضبطها، فتتشكل انفعالاته أحلاما تنتهى غالبا بالإمناء وبإفراغ التوتر الجنسى الذى كان يعانى منه.

وتختلف **موضوعات الأحلام الجنسية** باختلاف التجارب الشخصية للناس فى اليقظة والرغبات المرتبطة بها. وقد يشتمل الحلم على **شخصيات** لايعرفها الحالم، وقد يراهم يتضاجعون، أو يقبّلون بعضهم البعض، أو قد يظهرون أمامه عرايا فينفعل جنسيا ويمنى، وقد تكون له بهم فى الحلم علاقات جنسية ظاهرة، وقد يكون الحلم غيرياً، أو مثلياً، أو خليطاً من الغيرية والمثلية، بحسب النشاط الجنسى للشخص فى النهار، وبحسب ميوله الجنسية الغيرية أوالمثلية أو المختلطة، وقد يحدث أن يأتى الحلم الواحد غيرياً ومثلياً معا.

وعادة مايقع الحلم الجنسى ضمن **مشاهد من الطبيعة**، أو على خلفية متنوعة المناظر كالحدائق والمتنزهات وشواطئ البحر، وقد يحتلم البعض وهو ممتط ظهر **جواد** حقيقى أو حصان خشبى، أوقد يكون راكبا سيارة أو دراجة، أو سابحا، وربما يتواجد الحالم فى خمّارة أو صالة رقص، فيحتك بالمحتفلين ويُمنى، ولربما يكون **اختلاف الطقس** إيذانا بالإمناء، فقد تحلم الفتاة بأنها تسير مع خطيبها على شاطئ البحر والجو عليل وفجأة تشتد الحرارة أو تعصف الرياح، وفى الحالتين يأتيها الإنعاظ. وقد يرى النائم نفسه فى صحراء أو غابة ثم يستروح مكانا غريبا فيهما كأنه حديقة غنّاء، ويجد هناك امرأة حلوة فيقبّلها ويُمنى. وترمز **السيارة والطائرة** للفعل الجنسى، والاهتزاز داخلهما كالاهتزاز الجنسى، كما ترمز **السلالم وصعودها** للعملية الجنسية. وقد يحلم البعض بأنه يجامع حيوانا أليفا، وكثيرا ماتحلم البنات **بالكلاب والخيل**. وغشيان الحيوانات فى اليقظة معروف، وغشيانها فى الأحلام كذلك من الأشياء المألوفة فى الثقافات المختلفة، غير أن الحيوانات التى يأتيها الحالم تختلف من ثقافة لأخرى بحسب المألوف منها فى هذه الثقافة أو تلك. وفى البلاد التى يكثر فيها استخدام **الخيل** تحلم النساء بأنهن يركبنها، وتهتز بهن اهتزازا رتيبا ثم مسرعا، إلى أن تقع الراكبة من فوق الحصان فيواكب ذلك الهزة. وقد تحلم المرأة بمشاهدة **نَمِرة** تجامع ذَكَرها، وتجد المرأة نفسها فى النمرة رمزاً للشهوة الجامحة، أو قد ترى الفتاة نفسها مع فتاة أخرى متزوجة فتدعوها للربت على **ثعبان**، وتطلب إليها أن لاتخاف منه، ويفسر هذا الحلم بأن صاحبته ربما تحب شخصا أو قد خطبت له وتخشى إتمام الزواج لأنها تخاف من الجماع الذى يرمز إليه القضيب، فتطلب منها الأخرى المتزوجة أن لاتخاف منه بمعنى أن تتمم الزواج. والأحلام التى لها موضوعات حيوانية يطلق عليها اسم **الأحلام الحيوانية** theriomorphic dreams، وربما كان الدافع إليها رغبات من اليقظة لغشيان حيوان بالذات، وربما لأننا دائما نكرر الوصف للشهوة بأنها حيوانية، وكأن الحالم وهو يُمنى بمجامعة الحيوان، يحكم على نفسه أيضا بأنه حيوان، بتأثير الأنا الأعلى أو مشاعر الذنب، وغالبا ماتكون للحالم فى هذه الحالة اتجاهات دينية.

وقد يرمز **كسر زجاج النوافذ أو الأبواب** إلى فض البكارة، ويرمز له أيضا **فقدان الخاتم**. وقد يرى الرجل زوجته فى الحلم يجامعها آخر، وذلك دليل على فساد العلاقة

الزوجية بين الاثنين، ربما لضعف جنسى بالرجل وشبق عارم بالمرأة، أو بسبب عدم الإنجاب الذى يرجع إلى نقص أو مرض بالرجل، وربما لميول مثلية به، والكثير من **أحلام مرضى البارانويا** لها هذه الصبغة، والحقيقة أن الرجل ينسب لزوجته مايريده هو لنفسه وهو أن يأتيه الآخر بدلا من زوجته، إلا أنه يراه فى الحلم يضاجع الزوجة ولايضاجعه.

والاحتلام منه **المريح نفسيا** للحالم بحيث أنه يستمر فى نومه بعد الإمناء، وذلك عندما تكون المداعبة السابقة للإمناء من النوع الذى تجيزه الثقافة، ولايتصادم مع العرف الأخلاقى، كأن يحلم الرجل بأنه يجامع زوجته، فإذا كان الحلم له محتوى باطن أعمق مما يبدو، وإذا لم يكن بقصد التنفيس عن التوترات الجنسية أو الحرمان الجنسى الذى طال أمده، فعندئذ قد يكون للحلم تفسير يحتاج إلى إعمال فكر من المحلل ومعرفة بتاريخ الحالم. وهذا النوع من الأحلام الجنسية هو الذى **يوقظ النائم** قبل الإمناء أو بعده، ويشعر له بأنه متعب، وقد يتكدر طول يومه، وذلك أنه يعلم أنه قد ارتكب خطأ، وحينئذ لايكون الحلم قد أدّى الغرض منه من حيث التنفيس النفسى، وإنْ يكن قد أراح الجسم من حيث التنفيس الفسيولوجى. ويهتم المحلل للأحلام بمعرفة الدوافع إلى الحلم، اهتمامه أيضا بمعرفة آراء الحالم فى هذه الدوافع، لأن الدوافع وأفكاره عنها هى التى تحدد سلوكه ومتضمنات أحلامه (Kinsey et al : Sexual Behaviour in the Human Male).



- ٤ -

الجنس والكوابيس Sex & Nightmares

المظنون أن الكوابيس تأتى **البنات والنساء** عموما أكثر من الفتيان والرجال، وأن **الأرامل والعوانس والراهبات** أكثر تعرضا لها من المتزوجات، وأنها تعبر عن **صراعات نفسية حادة** تدور حول رغبات جنسية مكبوتة تجاه المحارم. وحوادث الكابوس تمثيل لدور المرأة فى العملية الجنسية حيث تستلقى ويكون الرجل فوقها، وكذلك فى الكابوس فما تحلم به يكون باركاً فوقها **ويكبسها**، ومن ثم كانت من تسميات الكابوس أنه أيضا **الباروك**، وأنه **العضون**، وهو "**فرس الليل** nightmare" لأن ماتحلم به المرأة يأتيها خفيفا **كالفرس** ويطاردها فلاتستطيع منه مهربا، وكثيرا مايكون هذا الوافد المزعج فرسا فعلا، ولعل

الفرس من دون سائر الحيوانات قد يتطرق خيال المرأة إليه بسبب فحولته وقوته الجنسية العارمة، وأما اسم **الحضون** فلأنهم قديما كانوا يتصورونه شيطاناً مريداً من الذكور به غُلْمه، ويختار النساء لإشباع غلمته فيزورهن ليلا أو نهارا وهن نائمات، ويعانقهن ويجثم على صدورهن مجامعا، ولذلك فقد رسمه الفنان الإيطالى **فيوزيللى فى أواخر القرن الثامن** عشر بشع الوجه وشائه الجسم، وقد ربض على صدر امرأة شابة مستلقية على ظهرها ومستغرقة فى النوم، وربما كان رسمه شائها لأن الرغبة الجنسية اللاشعورية لايمكن تصورها إلا على هذه الصورة الفطرية من حيث إلحاحها اللامعقول وسطوتها الحيوانية.

وليست كل الكوابيس أحلاما جنسية، **وليست** كلها بدوافع نفسية، والشائع عند العامة أن أسبابها جسمية **كالتخمة وامتلاء المعدة**، وماينشأ عن ذلك من ضغط على الحجاب الحاجز وإعاقة للدورة الدموية إلى القلب والرئتين، حتى أن بعض الكُتّاب كانوا يستوحون الكوابيس بتناول الأطعمة الدسمة قبل النوم. **والغالب** أن الكوابيس عند **البالغين** أحلام جنسية تدفع إليها رغبات محمومة لاتجد لنفسها المنصرف، ويستحثها أن ينام الحالم على **ظهره**، ولعل ذلك هو السبب فى نصيحة البعض بالتزام النوم على الجانب الأيمن. وقد يرى الطفل أبويه يتضاجعان فيصاب من ذلك بالقلق، ولايفهم مارآه وماسمعه، ويبدو له أن أباه يعاقب أمه طالما أنها تتأوه، ومع ذلك فإن مايشاهده أو يسمعه يوقظ فيه الجنس مبكرا، ويتسبب له فى الكثير من الصراعات فى علاقاته بأمه وأبيه، وهو الأمر الذى يترتب عليه أن يحلم بالكوابيس. ويذهب علماء التحليل النفسى إلى ردّ الكوابيس إلى **الصراعات** التى تعتور الطفل أو المرأه أو البالغ حول دوافعه الجنسية، والتى توقظها فيه علاقاته بأمه وأبيه، وعلاقات أبويه ببعضهما البعض، وهى صراعات **لوطية أحيانا**، **وسادية ماسوشية** أحيانا، **وعدوانية** أحيانا أخرى، ولذلك فهى تخرج فى الحلم باعتبارها **غيلان وعفاريت ومصاصات دماءوساحرات**.



- ٥ -

الجنس وأحلام اليقظة Sex & Daydreams

أحلام اليقظة عبارة عن رؤى يراها المتيقظ **كالأحلام** التى يحلم بها النائم، غير أن زمانها **النهار** غالبا، ولعل هذا الحلم من أحلام اليقظة يفسر هذه النوع من الأحلام، وهو

لرجل كانت له علاقة بسيدة تعيش فى الأرياف، فرأى نفسه وكأنه يسافر إلى عشيقته تلك، ولكنه مايكاد يرحل بسيارته حتى تتعطل لسبب ما، ويتوقف فى الطريق، ويلتف حوله ثلاثة رجال يتبين له أنهم إخوة عشيقته، ويصرعونه ثم يعتدون عليه فيخصونه. ولقد تبين من التحليل النفسى لذكريات الرجل وتفسيراته لهذا الحلم أن المرأة **لم يكن لها إخوة**، ولكنه هو الذى له ثلاثة إخوة، وأن رغبته الشعورية فى مضاجعة المرأة قد عطّلها أن يرى هذا الحلم فى اليقظة، وبذلك انتصر لاشعوره على شعوره، وذلك أن هذه المرأة قد تمثّلها لاشعوره باعتبارها أمه، فقد كانت أكبر منه سنا، ومن ثم فقد رأى إخوته يخصونه لأنهم كانوا ينافسونه على حب الأم، والتنافس بين الإخوة على الاستئثار بحب الوالدين معروف، وقصة **سيدنا يوسف** تصوره خير تصوير، والحلم الذى رآه هذا الحالم يتحقق به رغبته فى أن تكون له أمه خالصة، وهى الرغبة القديمة التى كبتها من طفولته، ووجدت المناسبة فى الظهور مرة أخرى فى الحلم، وكان من صغره يرى أنه لولا إخوته لأعطته أمه كل حبها، فهؤلاء الإخوة هم الذين حالوا بينه وبين تحقيق هذه الرغبة، ولذلك فإن **فرويد** كان يرى فى أحلام اليقظة أنها من **ضروب التفكير الذاتى**، وتدفع إليها الرغبات الباطنة، وتعوّض الحالم عن الفشل أو القصور، فمثلا قد تكثر أحلام اليقظة عند المراهق أو البالغ الذى لايستطيع أن يتواصل ومن يحب، وقد يستحيل عليه هذا التواصل لعوائق مادية أو اجتماعية أو ثقافية، وعندئذ قد يتصور نفسه بطلاً منتصرا، يشقّ طريقه إلى حبيبته، ويتجاوز كل العوائق، ويحوزها لنفسه، أو قد يتصور نفسه بطلاً يضحى من أجلها وإن كان يتعذب لتضحيته أشد العذاب. ومشاعره التى ينفّس عنها فى الحلم مصدرها إشفاقه على نفسه، وبينما تشير **أحلام البطل المنتصر** إلى معنويات عالية عند الحالم، فإن **أحلام البطل المعذّب** دليل تكوين نفسى ضعيف، وتثبت أن صاحبها غير متوافق مع نفسه ومجتمعه.

وقد يرى **البطل المنتصر** أنه يحلم بأنه قد أصبح غنيا، وتحصّل له النجاح، وأنه يتقدم لحبيبته يهبها كل ماتريد وتصبو إليه. وقد ترى البنات أنفسهن وكأنهن أميرات، والخدم والحشم يحيطون بهن، وأمير الأحلام الوسيم والغنى يحادثهن ويقول لهن أحلى الكلام، وأحلام اليقظة من هذا النوع من **نمط التفكير الراغب**، ولاتحلم البنت أو الشاب أحلاما كهذه إذا كان يعيش فى توافق مع ظروفه، وتتوفر له الماديات المطلوبة، فإذا كان يعيش فى حرمان أفرط فى أحلام اليقظة. والفرق بين حالتى الصحة والمرض فيما يتعلق بأحلام

اليقظة أن الشاب المعافى يميز بين ماهو من صنع الخيال وماهو واقع، فإذا لم يكن هناك **الاستبصار** الذى يجعله قادرا على اختبار الواقع والتمييز بين الواقع والخيال فإن أحلامه ربما تكون أعراضا **فُصامية**، وعندئذ فقد تلح عليه **رغبات الماضى** وتتزاحم على رغبات الحاضر، بحيث يحل الماضى اللاشعورى محل الواقع ويصبح حاضرا يراه فى أحلام اليقظة. ويقول **فرويد** إن الحالم المتيقظ شخص يتحصَّل على اللذة بتخيّل أنه قد صارت له متطلباتها، وأن أغلب **أحلام المراهقين** هى أحلام جنسية، لأن الجنس فى هذه المرحلة هو أكثر الضغوط وطأة على الفتى والفتاة، غير أنه قد لوحظ أن **الذكور** أكثر إتيانا لأحلام اليقظة من الإناث، وأن أحلام الذكور يرى فيها الحالم أنه **يفعل** شيئا، بينما أحلام الإناث ترى فيها الحالمة أن **غيرها يعطيها ويقول لها أن تفعل كذا**. وكذلك فإنه بينما قد يتمادى الحالم الذكر حتى ليتخيل نفسه يقوم بالفعل الجنسى، فإن الحالمة الأنثى لايصل بها خيالها أن تحلم بأنها تضاجع، وغاية ماتحلم به غالبا من أمور الجنس أن غيرها يقبّلها أو يحتضنها أو يحملها. وقد يحلم الشاب أنه يغتصب حبيبته، وكذلك قد تحلم البنت أنها تُغتَصب من قبِل من تهواه، وأمثال هذه الأحلام تتوافق مع **شخصية الحالم** وميوله واتجاهاته.

* * *

الفصـل الرابـع والأربعون

المفـاهيم الجنسـية

-١-

الثنـائية الجنـسية Bisexuality

العلاقة الجنسية المثلية هى أن يأتى الذكر الذكران من جنسه، أو أن تكتفى الأنثى بعلاقاتها الجنسية بالإناث مثلها. **والعلاقة الجنسية الغيرية** هى أن يشتهى الذكر الأنثى ويطلبها وتشتهى الأنثى الذكر من غير جنسها وتطلبه. وفى رأى بعض العلماء أن نحو ٥٠٪ من أفراد أى مجتمع يميلون إلى العلاقات الجنسية الغيرية ويمارسونها طوال حياتهم، فى حين لايشكل عدد الأفراد الذين تقتصر علاقاتهم الجنسية على العلاقات المثلية دون غيرها أكثر من ٤٪، وأما الباقون وهم نحو ٤٦٪ من أفراد المجتمع من البالغين فإن نشاطاتهم وممارساتهم الجنسية تختلط وتتوجه إلى الجنسين معا، بمعنى أن الرجل قد تكون له علاقات مثلية فيأتى الرجال وفى نفس الوقت يكون متزوجا، والمرأة قد تكون متزوجة أيضا وتتورط فى علاقات جنسية مع نساء مثلها، ويصنف هذا الرجل بأنه **ثنائى الجنسية** bisexual، ويقال أيضا عن المرأة أنها **ثنائية الجنسية**.

والثنائية الجنسية فى الأصل من اصطلاحات **علم الأحياء**، وتوصف بها بعض الكائنات التى لها من التركيب التشريحى والفسيولوجى ما يجمع فى أجسامها **الوظيفتين الجنسيتين** الذكرية والأنثوية، فبالإضافة إلى وجود أحياء **أحادية الجنسية unisexual**، وهى أصلا مؤنثة ومع ذلك تتناسل تناسلا عُذريا أى بدون إلقاح، توجد كذلك أحياء إثنينية الجنسية، بعضها ذكور وبعضها إناث وتتكاثر بالتزاوج، إلا أنه قد توجد أيضا بعض الأحياء مثل العلّق، تجتمع فى الدودة الواحدة الذكورة والأنوثة معا وتسمى **خُنْثَى hermaphrodite** وذلك أحد معانى الإثنينية الجنسية فى مجال الأحياء، أما فى مجال الجنس البشرى فإن الإثنينية الجنسية تنصرف أصلا الى **السلوك**، فإذا كان الرجل يميل جنسيا إلى جنس الرجال بالإضافة الى جنس النساء فهو إثنينى الجنسية، وكذلك الحال فى المرأة التى تميل إلى بنات جنسها بالإضافة إلى جنس الرجال. ولايعنى أن للرجل أو للمرأة من هذا النوع أعضاء ذكورة وأنوثة معا، أو أن له إمكانيات فسيولوجية مشتركة، فمثل هذا الشخص لو

وجد، ونادرا ما يوجد، يقال له خُنثَى، وينبغى أن نميز بين **الإثنينى الجنسية والخنثى والمختلط الجنسية** intersexual، وأما **الإثنينى الجنسية** فأعضاؤه أعضاء ذكوره أو أنوثة بحسب كونه رجلا أو امرأة، إلا أنه يأتى الجنسين معا، **والخنثى** بخلاف ذلك حيث له **النوعان من الأعضاء** وإن كان يميل أكثر إلى الذكورة أو الأنوثة، وأما **المختلط الجنسية** فإنه ذكر فقط أو أنثى بحسب أعضائه التناسلية إلا أن له صفات ثانوية من الجنس الآخر، وذلك موجود أيضا فى **عالم الحشرات**، كأن تكون الحشرة الأنثى صغيرة الحجم والذكر كبير الحجم، فتأتى الحشرة المختلطة الجنسية **متوسطة الحجم**، وفى عالم الإنسان قد يقال كذلك إن **اللوطى** مختلط الجنسية أى أنه ذكر، ولكن له من الصفات الأنثوية ما يخرجه من دائره الذكور الخُلّص إلى مركز يتوسط الذكور والإناث بحكم اتجاهاته الجنسية وسلوكه الخنيث، ومن ذلك أيضا أن الأنثى التى تولد ببظر ضخم تكون لها من بعد نشاطات جنسية مثلية، ويتشابه البظر الضخم فى المرأة والقضيب فى الرجل، وبعض العامة يختلط عليهم الاثنان فيظنون البنت تولد ببظر ضخم خنثى.

ويّرد البعض ظهور أمثال هذه الصفات الجنسية الثانوية إلى تأثير الإفرزات الهرمونية الجنسية، حيث المعروف أن كل شخص يجمع بين الإفرازات الهرمونية الذكورية والأنثوية، فإن زادت فيه إحداهما على الأخرى كان نشاطه الجنسى ذكوريا أو أنثويا بحسب نوعه، فإن كان ذكرا اختلفت فيه درجة الذكورة بحسب ما لديه من إفرزات الذكورة، وإن كان أنثى تباينت أنوثتها أيضا بحسب نسبة إفرازاتها الأنثوية. وقد تزيد الهرمونات الأنثوية فى الذكر إلى درجة أن يتصرف كالإناث، وتكون له رغبات **جنسية مثلية** فيشتهى الذكور ويميل إليهم أكثر من ميله إلى الإناث بحكم ذكورته، والبعض قد يقبل هذه الرغبات العكسية أو يرفضها ويستنكرها فى نفسه ويعيش فى صراعات معها، وقد ينجح فى كبتها، وقد تسفر عنده فى شكل أعراض عُصابية. ومن أمثلة السلوك الجنسى الإثنينى أن يكون الشخص ذكراً ولكن تصرفاته تأتى **سلبية**، ويحب الاعتماد على غيره، ويهوىَ أعمال النساء كالطبخ والغسل والخياطة ورعاية الصغار، وقد تزيد الحالة **فيلبس** كالنساء، أو **يمشى** مشيتهن، أو **يتحدث** كما يتحدثن. وقد يقاوم هذا الشخص ميوله الأنثوية **فيغالى فى إظهار الذكورة** ويعنف فى سلوكه ويتخّشن فى ثيابه ليبدو عكس رغباته. وقيل إن خلوص الجنين إلى الذكورة يتوقف، بالإضافة إلى الكروموسوم Y، على تعريض مخه إلى نبضات هرمونية

منشطة للذكورة ليتجه الجسم فى نموه الاتجاه الذكورى، ولو حدث وكان الجنين يتجه إلى **الأنوثة** ومع ذلك تعرض لتأثيرات هرمونية منشّطة للذكورة، فإن الإنسانة التى سيكونها هذا الجنين من بعد سيصبح سلوكها **ذكوريا** برغم أنوثتها، أى أنها ستكون إثنينية الجنسية.

ويرد **فرويد** الإثنينية الجنسية إلى نوع **النشأة** التى ينشأ عليها المرء صغيراً، فإذا لم يكن الشخص وهو طفل يميز بين الذكور والإناث، وتكون له بالأفراد من الجنسين علاقات شهوية ويتعلق بهم تعلقا عاطفيا، أو كما نقول يشحنهم شحنا جنسيا، فإنه يكبر وبه ميول جنسية نحو الذكور والإناث، ويستوى الأمر عنده أن يأتى الذكران أو النساء. ومن رأى **فرويد** أن كلاً منا تكون له هذه الميول المشتركة فى الطفولة الباكرة قبل أن تتجه به إمكانياته البيولوجية إلى هذه أو تلك، وقد تظهر هذه الميول المشتركة بشكل جلى أو تضعف فى مرحلة من مراحل التطور النفسى الجنسى بحسب خبرات كل شخص وما يمر به من ظروف عائليه أو اجتماعية أو صحية، وقد تتثبت لسبب أو لأخر، فمثلا قد ينشأ الصغير فى كنف ورعاية الرجال، ومن ثم تظهر عنده وتغلب الميول الجنسية للرجال على أساس تفضيلة للرجال على النساء. ويلعب التعّين بأحد الوالدين دوره الحاسم فى الاتجاه الجنسى نحو جنس الرجال أو جنس النساء أو الاثنين معا، وكذلك التهديد بالإخصاء، أو اكتشاف البنات للنقص القضيبى فيهن ولذلك أثره على التكوين النفسى الجنسى وتطوره عند الجنسين. وعادة ما يتعين الولد بأبيه، والبنت بأمها، إلا أنه قد يحدث العكس ويتعين الولد بأمه والبنت بأبيها، ونتيجة لذلك فقد يتجه الاثنان **اتجاهات جنسية مثلية** بحكم الأنوثة النفسية التى يشب عليها الولد، فيطلب الذكور لإشباعه جنسيا، ولا مانع أحيانا أن تكون له علاقات بالإناث بحكم تكوينه الفسيولوجى والتشريحى الذكورى. وكذلك الحال مع البنت التى تتعين بأبيها فيكون لها مسلك الرجال وتطلب النساء ولا مانع أن تتزوج فى نفس الوقت من رجل. ومن شأن تجارب الطفولة والتثبت النفسى الجنسى الذى قد تستحدثه أن تبدو آثارها فى مرحلة البلوغ، فما يتحصل فيها من تغييرات قد يكشف التثبت المثلى، وقد يصبح للغلام أو للبنت نشاط جنسى مثلى صريح. ومن المعروف أن ضغوط **المراهقة لها** وطأة قد توقظ الميول الكامنة أو الهامدة ويصاب منها المراهق باضطرابات تؤدى الى ممارسات كثيرا ما تكون منحرفة. وكثيرا ما تكون **للأنا** مدافعات ضد التجارب الصادمة التى تتسبب له فى تطورات شاذة، فمثلا قد يحدث أن تموت الأم، ويفتقدها الولد، ويصاب لذلك بحزن شديد، ويحاول

أن يتخفف منه بأن يتحول بعواطفه نحو أبيه، أو قد ينصرف بطاقته الشهوية إلى الأولاد من أقرانه. وليس **الأنا** وحده هو الذى يمكن أن يشكل التطورات الجنسية، فكذلك **للأنا الأعلى** دوره فقد ينجح فى كبت الدوافع الأوديبية الإيجابية عند الطفل بسبب قسوة الأب أو تهديده المستمر له، وعندئذ قد يتجه إلى التعين بأمه بدلا من أبيه ويكتسب موقفا سلبيا من الجنس. وبالمثل فإن الأم التى تدأب على تنفير الولد من أبيه قد تدفعه إلى التعين بها دونه، وقد يترتب على ذلك أن تتجه ميوله الجنسيه إلى الذكور من جنسه بحكم تعّينه الأنثوى. ومن كل ما سبق يتبين أن المعالج عليه أن يدرس تاريخ المريض بالإثنينية الجنسية ليحيط بتأثيرات وتطورات الدوافع إليها، سواء كان مصدرها الأنا أو الهو أو الأنا الأعلى، وذلك من الخبرات الماضية والحاضرة. ويؤكد **فرويد** على الدعوى البيولوجية بأننا جميعا نتخلق أجنة فى البداية بهذه الإثنينية، وأن إمكانيات الذكورة والأنوثة تكون فينا، ثم تتطور وتحسم النوع بظهور أعضاء الذكورة أو الأنوثة، إلا أن ذلك لايعنى أن أحد الاتجاهين قد تلاشى تماما، فالواقع أنه يظل فينا بدرجة أو بأخرى، والدليل على ذلك الصراع الذى يستشعره الكثير منا بين الميول والرغبات والممارسات الذكورية والأنثوية.

والثلاثية الجنسية trisexuality تصور رمزى يتحصل للبعض فى الأحلام خصوصا، وله دلالته من الناحية التحليلية النفسية، فيحلم الشخص بأنه **امرأة ورجل وطفل** فى آن واحد، ويقوم بالأدوار **الثلاثة** معا، وذلك علامة على انقسام نفسى ثلاثى، وأن به ميولا جنسية ثلاثية، ومن ثم دوافع ورغبات متزامنه، أن يكون الرجل والمرأة والطفل معا (Freud : Analysis Terminabe and Interminable).

* * *

- ٢ -

التعويض الجنسى Sexual Compensation

التعويض عموما وسيلة دفاعية نلجأ إليها دفعا للتوتر الناتج عن الشعور بالنقص، وقد نعوض عن نقص **عضوى** حقيقى، وغالبا ما يكون النقص **نفسيا** أى أننا نتخيله.

والنقص الجنسى كثير، وأوجهه لا عدّ لها. وهذا **نابليون بونابرت** كان يعانى **عقدة الرجل الضئيل** little-man complex ويشكو من صغر قضيبه، فكان ينشد مجتمعات النساء ويغرم بإيقاع الجميلات، ويعوّض عن صغر قضيبه، بأفانين الجماع، ويغدق على

نسائه المال والمجوهرات. ويحدثنا التاريخ عن رجال معقدين مثل **روزفلت** إلا أنهم كانوا ممتازين فى حياتهم العائلية، وعوّضوا عن النقص الجسمى فيهم بثراء نفسى كانوا يعطون منه لبلادهم وعائلاتهم. وكانت الحياة العاطفية لفنانين يشكون النقص البدنى مثل **بيتهوفن** وموتزار وسميتانا ملاءً لهم ولزوجاتهم. وفى الأساطير كان التعويض الجنسى بارزا فى الكثير من القصص الشعبى، ففى **ألف ليلة وليلة** يعوض **شهريار** عن عجزه الجنسى بأن يطلب فى كل ليلة امرأة ويقتلها حى لاتبوح بسره، ولم تنج من القتل إلا **شهرزاد** التى استطاعت أن تثير فيه حبه للمعرفه وللقصص، وذلك فى عرف علم لنفس تسامٍ بالغريزة الجنسية، والذى فعلته شهرزاد أنها صرفت الطاقة الشهوية لشهريار فى مجال الأدب، وأشبعت شبقه الذى كان يعجز عن الإشباع مع النساء، بأن جعلته شَبِقاً بالجميل من القصص، وبدلا من **امرأة كل ليلة** صارت لشهريار **قصة كل ليلة**.

وفى مجال **الأسطورة** كان للتعويض الجنسى دوره، **بالعجز** الذى كان عليه **إدوين الأعور، وتير ذى اليد الواحد، وفولكان الأعرج، وفيدار العيىّ**، فجعلهم العجز فى قمة الكمال الجنسى حتى أُدرِجوا كآلهة. وحتى **ساطير** فى الأسطورة الذى تنسب إليه غُلمة الرجال، **ونيمف** التى تُنسَب إليها غُلمة النساء، كان بهما قُبْحٌ ظاهر وتشوهٌ واضح، عوّضا عنه جنسيا بفحولة، حتى أن **ساطير** ليأتى النساء الواحدة بعد الأخرى، ولا يشبع نهم **نيمف** للرجال، وقيل فى ذلك إن **الرجل الغليم** يعانى من شبق مفرط وسادية شديدة، بينما **المرأة الغليم** تعانى من برود جنسى.

ومن التعويض الجنسى أن يعوض **الزوج الخائن** عن خيانته بأن يبالغ فى التودد إلى زوجته. وبرغم أن بعض السلوك الجنسى التعويغى **إيجابى** إلا أن بعضه أيضا **سلبى** ومدمر، فمثلا قد يعوض **الرجل الذى لا تحبه امرأته** بأن يخونها، وقد تعوض **المرأة التى لا تجد الحنان** فى بيتها بأن تلتمس دفء العاطفة عند أول رجل يعطيها من معسول الكلام ما يكون بديلا عن الحرمان العاطفى الذى تعيشه مع زوجها. وقد تعوض المرأة التى تَقصرُ همّة زوجها العاطفية عن إشباع جوعها العاطفى بأن تحمل وتنجب، لعلها تجد فى **ابنها** العشيق الذى افتقدته فى زوجها والأب الذى حرمت منه فى حياتها.

ومن **التعويض السلبى** السلوك **الدون جوانى**، فالدون جوان أو زئر النساء رجل عنيّن يعوض عن عُنّته بأن يهوىَ مغازلة الصبايا، وقد يدمن العنين الذى به رهبة من النساء

(فوبيا النساء) الخمر أو المخدرات يتغلب بها على خوفه منهن وعدم شعوره بالأمان معهن. ومثل ذلك نجده فى الريف والمدن فى **ليلة الزفاف**، فيتناول العريس **الخمر** أو يتعاطى **المخدرات** لعله يتجاوز خوفه من الجماع أو من النساء. وتعوض **المرأة العقيم** بامتهان المهن التى تكون بها مُدَرسة أولاد، أو معلّمة موسيقى تُنشِد الصغار، أو ممرضة فى ملجأ أيتام.

والاستجابة التعويضية الجنسية غالبا ما تكون غير مباشرة، هدفها صرف النظر عن النقص بإبراز نقيضه، فالمرأة القبيحة قد تكون عطوفة محبة وقد تكون العكس تماما. وهناك **أنواع من التجارة المتخصصة** فى إخفاء العيوب البدنية فى القبيحات غير المرغوبات جنسيا وتأكيد السمات المطلوبة. ومن دأب النساء تقليد بعضهن البعض والدخول فى منافسات، فهذه امرأة حلوة ولكنها تريد أن تكون أحلى من تلك، أو أكثر أناقة. ويفهم أصحاب **الموضة** ذلك عن النساء ويستغلونه فيهن. وبعض النساء قد يعوضن عن النقص فى الجمال بأن يسلكن **سلوك الذكور** حتى ليدخلن فى منافسات معهم. ويطلق **أدلر** اسم **الاحتجاج الذكورى** على ذلك النوع من التعويض الجنسى. وبعض النساء قد يعوضن تعويضا زائدا بمعنى أن العيب البسيط فى المرأة قد يجعلها شديده التفوق على الرجال، وهكذا كانت **جولدا مائير** فى إسرائيل، **ومسز ثاتشر** فى بريطانيا، **وأنديرا غاندى** فى الهند. وأغلب المتزعمات للحركات النسائية يلجأن إلى **التعويض الزائد** ويبرزن لهذا السبب. والبعض يلجأ إلى **التعويض المخفق** decompensation وهو الذى يستجيب فيه الشخص لعيوبه أو قصوره باستجابات عُصابية أو ذُهانية. وهناك جملة أعراض يطلق عليها اسم **متلازمة ربة البيت أو عُصاب ربة البيت**، فتعوض فيه المرأة التى لاتشبع عاطفيا وجنسيا بأن تغالى فى المسح والكنس حتى لتنهك نفسها. والبعض من الرجال والنساء قد يأتون السلوك التعويضى الجنسى تلقائيا بسبب ما يستشعرونه من الخوف من الجنس الآخر، وربما نتيجة التربية المتزمتة أو الدينية، ويطلق على هذا التعويض اسم **التعويض الجنسى الذاتى**، ومثاله أن يشكو الرجل من الضعف الجنسى فتراه رقيقا بشكل دائم مع النساء، فإذا جلس اختار مجلس النساء، وإذا تحدث فبما يروقهن، وذلك من غير أن يحاول مغازلة هذه أو تلك، ورقته هذه تكون تلقائية معه حتى لتبدو كالسمة فى خُلُقه. وبعض الرجال ينشأون فى بيوت الأم فيها مسيطرة فيشب الرجل على الإذعان، ويكون الإذعان أو التقبلّ سمة له، فيعوض عن ذلك بأن يكون زوجا ممتازا حفيا بزوجته وبأولاده. وبعض

علماء النفس يطلقون عليه اسم **الأب المهبلي** vaginal father أي الأب الذي صار يهوَى أشغال النساء فيطبخ ويكنس ويرعى الأولاد.

ويعتبر **هوس السرقة** تعويضا عن الفشل الجنسي، وما يعانيه المهووس بالسرقة من ضعف جنسي يستعوضه بأن يثير نفسه بتوترات السرقة. وكذلك تعتبر **الفيتشية** تعويضا جنسيا عن العُنّه، فبدلاً من أن يُشبع الفيتيشي رغباته الجنسية للنساء مباشرة تجده يلجأ إلى اقتناء ملابسهن ويباشرها أو يستمنى مرتديا إياها، وذلك لخوفه من مواجهة النساء بسبب عنّته. **والغيْرة** سلوك تعويضي حيث يُسقط المحب رغباته في الخيانة على محبوبته وينسب إليها ما فيه، ولولا أنه يشعر بالنقص نتيجة ما يعتمل فيه من رغبات في الخيانة ما نسب إليها الخيانة التي فيه. وقد يعوض المحب الخائب عن غيرته بأن يدخل في شقاق أو تنافس مع طرف ثان يحاول أن يستميل إليه فتاته. **والحَسَدَ** في النساء سلوك تعويضي، فالمرأة المحرومة من شئ ينتابها الحسد وتتمنى هذا الشئ الذي مع الأخريات، فإذا كانت تحسد الأخريات على الزوج فقد تعمل على أن تحصل على زوج بصفات معينة مهما كان الثمن. ومن رأى فيرينزى أن القوّاد يفعل ذلك لغيْرة منه من الدور الأنثوى، ورغبة منه أن يكون امرأة، فيسهّل تعارف النساء بالرجال وكأنه يقدّم نفسه هو للرجال. والقوّاد مأبون على المجاز، والقوادة سلوك تعويضي يُشبِع فيه ميوله الجنسية المثلية الكامنة.

والكبرياء عند النساء سلوك تعويضي تحتمى به المرأة النرجسية حتى لا تظهر ضآلتها وقلة شأنها بين النساء، وتفاهة بضاعتها الأنثوية عند الرجال، فتلجأ إلى الكبرياء تزود به النساء والرجال عن حياضها، فلا يقربها هؤلاء أو أولئك، فلا ينكشف أمرها.

✹ ✹ ✹

- ٣ -

الإفـراط الجنسـي Hyperphilia

قد يكون **المفرط جنسيا** hyperphiliac سوياً، بمعنى أنه يمارس الجنس دون أن يشكو اضطرابا معينا، إلا أنه يمارسه أكثر من غيره، فهو متميز فيه supranormal، وربما يكون هذا الإفراط في الجنس نتيجة **فرط جنسية** hypersexuality، بمعنى أن الشخص يتصرف جنسيا بأكثر مما تقدر عليه طبيعته، فمثلا قد يطلب العُصابي الجنس ويمارسه كالإدمان، وليس ذلك دليل فرط صحة جنسية ولكنه علامة على عدم إشباع نفسي

جنسى، ومن ثم يحاول المفرط جنسيا العُصابى أن يعاود الفعل الجنسى المرة تلو الأخرى لعله يحقق بالتكرار مالم يتحقق له بالممارسة، ولن يشبعه التكرار. وقد يحسب المفرط جنسيا أن هذه المعاودة للجنس هى من قبيل القوة الجنسية، وقد يباهى بها غيره، أو قد يتصرف بمقتضى ذلك بحيث يطبع الجنس سلوكه فيبدو كالمشغول به أو كالمفرط فى الذكوره، فإذا حكى حكاية جعل محورها الجنس. والجنس سواء بالفعل أو بالكلام هو كل نشاطه أو أغلب هذا النشاط لسببين، **الأول** أن الجنس عنده الذى لا يرتوى بالإمناء يلح عليه باستمرار فى الأوقات والأماكن غير المناسبة، **وثانيا** لأنه بذلك يثبت لنفسه أنه ليس عنّينا، فإذا كان امرأة فإنها تثبت لنفسها أنها ليست باردة جنسيا. وعندما يكون الإفراط الجنسى ظاهرة إكلينيكية، ربما تكون هناك عوامل أخرى، كأن تكون وسيلة المفرط أن يستخدم جهازه التناسلى لتصريف طاقته غير الجنسية، وربما يريد أن يحقق لنفسه من خلال الإفراط الجنسى احتراما لنفسه لا يستطيع أن يتحصل عليه بغير هذا الطريق. وسواء كان هذا المريض من نوع **زئر النساء الدون جوان** الذى يسعى إلى الإيقاع بكل امرأة، وقد لا يتصل بها جنسيا وإنما يكتفى بأن يضمها إلى قائمة اللاتى شُغلن به، أو كان من النوع **الغليم** الذى به رغبة جنسية فى المواقعة الحقيقية ويتوفر على الجماع ويكرره، فإن التحليل يكشف عنده عن حاجات نرجسية واتجاهات سادية ومخاوف انفصال عميقة الجذور، فأما **الحاجات النرجسية** فتتبدّى من خلال استخدامه للمرأة كوسيلة إشباع لنهمه الجنسى، وتتلوّن علاقات المفرط كلها بهذا اللون النرجسى. وأما **الاتجاهات السادية** فلأنه يحاول أن يغصب من الطرف الآخر الإشباع لحاجاته ولا يقنع منه إلا بالرضوح لشهواته، فإذا شاهد على الآخر تأثير قدرته الجنسية تحَصل له من ذلك الاحترام لنفسه. وحالما ينتهى الفعل الجنسى معه فإن هذا الشريك لا تصبح له قيمة بالنسبة له ويحاول أن تكون له علاقات جديدة بشريك جديد يريد به أن يثبت فحولته ويشبع ما بنفسه من حاجات نرجسية، ولذلك فهو **دائم التغيير** للشريك، وأيضا لأن هذا الشريك لا يتحقق له به أبدا الإشباع الجنسى.

والإفراط الجنسى المَرَضى قد تكون له أسباب أخرى لا علاقة لها بالحاجات التناسلية، وإنما مصدره **ميول لواطية كامنة** عند المفرط، فهو وإن كان يمارس الجنس الغيرى إلا أنه فى الحقيقة لا يريده غيريا، ولهذا فهو غير راض عنه ويستشعر وهو يؤديه أنه يؤديه ناقصا، ويستزيد منه لعلةّ يحس الإشباع الذى لا يتحقق له.

وربما كان للإفراط الجنسى عند النساء دوافع أعمق تتناول تركيب الشخصية عند

المرأة. ويذهب المحللون النفسيون إلى القول بأن بعض النساء تجيش بهن ميول قوية لاتقاوم أن تبزّ المرأة الرجل فى كل شئ حتى فى الجنس، وكأنها تريد أن تثبت أنها لاتقل عن الذكر فى الاتجاهات وإن كانت تنقصها تكوينه، ومصدر ذلك أن بعض النساء بهن ما يقال له **حسد القضيب**، فإن كن لا يملكن القضيب فبوسعهن أن يستخدمن الفرج استخداما يجعل القضيب أسير الفرج، بأن يُطِلن الجماع ويطلبنه باستمرار، وكأن القضيب بذلك قد صار يخصهن وليس ملك الرجل، فهن يتصرفن فيه وفق مشيئتهن.

والإفراط الجنسى السوى أو الذى يدل على فحولة جنسية طبيعية قد يجعل الرجل يتزوج أكثر من زوجة، أو قد يدفع المرأة إلى الزواج أكثر من مرة. وحتى بعض المومسات قد لا يلجأن إلى ممارسة البغاء بسبب الحاجة المادية بقدر ما هو طريقة للإشباع الجنسى الحقيقى دون أن تضطر المرأة إلى التورط مع شريكها اجتماعيا أو أدبيا. ولقد تعودنا فى مناقشة البغاء أن نتعرض للدوافع الاجتماعية والمادية دون أن نتناول البنية الجنسية والنفسية للبغى. ويشترك فى البغاء أو تجارته رجال وأولاد لهم أهداف مادية ولكن امتهانهم لأعمال تتصل بالجنس دليل مشاعية جنسية. **والمشاعية الجنسية sexual promiscuity** كانت موجودة عبر التاريخ الإنسانى، وكانت تمارس كطقوس دينية واحتفالات، ومازالت المشاعية الجنسية تمارس فيما يقام من **احتفالات خاصة أو عامة orgies**، يراق فيها الخمر أو تتُعاطَى المخدرات بشكل جماعى، ويُمارَس الجنس بدون ضوابط ويجمع علماء النفس على اعتبار الحمامات العامة، وحمامات السوْنا، ودورات المياه العامة، ومحافل النوادى، أماكن تُمارَس فيها المشاعية الجنسية، وتكون خلطة الزحام مدعاة لخلطة جنسية. وفى الزحام يكون **الدقر frotteurism**، وتكون الملامسات لأجزاء من الجسم، يكرر بها الملامس أو الداقر الفعل الجنسى الذى به يتهيج، وهذا **التكرار** الذى يأتيه مظهر لإفراط جنسى لا يتحقق له إلا **بمعاودة نفس الأفعال polyiterophilia**، ومع التكرار يتنامى تهيجه إلى أن يُنعظ.. وهناك نمط من المفرطين جنسيا يعتاد أن يستجيب على مراحل، ويحتاج الأمر معه أن يواصل تكرار الفعل الذى يجد أنه يستجيب له جنسيا، وقد يرتوى الطرف المشارك له فى الفعل الجنسى ولا يرتوى المفرط، وقد يواصل أفعاله الخاصة هذه مع شريك آخر، ولربما يكون هذا الفعل مصاً للقضيب، وقد يكون مجرد التقبيل، أو قد يكون مصاً للثديين، أو تحسساً للبطن، أو دقراً بين الإليتين. وليست

هناك حدود للأفعال التى يمكن أن يتهيج بها شخص عن آخر، فهذه مسألة تخص نشأته وظروفه والمواقف التى خبرها فى حياته. وفى كل منا تزيد الحساسية الجنسية لمناطق عن مناطق، وتتكون لدى البعض تصورات خاصة يحاول أن يترضاها وهو يمارس الجنس، فمثلا هناك دقر فى السيارات العامة وأماكن الاستحمام على الشواطئ وغيرها يُقبض على الممارسين له ويتبين أنهم لكى يكون باستطاعتهم ممارسة الجماع لابد أن يتكرر معهم الدقر إلى أن يصل بهم التهيج حد القدرة على الجماع الحقيقى فيكون الإنعاظ، وبدون هذا الدقر المتكرر فلن يستطيعوا الإنعاظ مهما طال الجماع. ويشير علماء النفس إلى أن **الإفراط الجنسى** الذى يستلزم له **أكثر** من شريك هو حالة من حالات الاعتلال النفسى أو الاجتماعى، إلا أن **تعدد الزوجات** ليس من ذلك لأنه يتم داخل مقتضيات الثقافة والدين، فهو ليس خروجا على العرف ولكنه يمارسه داخل نطاق المباح، ويطلق عليه علماء النفس اسم **التعددية الجنسية** multiphilia، وهى فعل قهرى تكون به للفاعل عدة علاقات بنساء مختلفات، ولكنها علاقات حميمة، فهو مع كل امرأة كأنه لايعرف سواها، والعلاقة فى كل مرة **علاقة ثنائية** a pair- pond، ولايملك المفرط إلا أن يعرف فى مثل حالته عدة نساء، وقد يستمر مع إحداهن لفترة، فإن لم تكن تصوراته الجنسية تشبع بها طلّقها وتزوج غيرها. وأما المعتل نفسيا أو اجتماعيا **(السيكوباتى)** فإنه لايحتاج إلى الطلاق لأنه لايتزوج أصلا وإنما **يرافق**، ويستمر الرَفَق لمدة ثم يغيّر المرأة لأخرى. ويتم التغيير قسريا فهو يهملها، أو هى تهمله. **والتعددية الجنسية** شأنها شأن كل أنواع الإفراط الجنسى قد تتم على المستوى **الغيرى** أى بين الرجال والنساء، أو على المستوى **المِثلى** أى بين الرجال والرجال ،أو النساء والنساء فى حالات اللواط.

وقد يتمثل الإفراط الجنسى فى **الاحتلام**، وبعض الشباب يشكون من كثرة الاحتلام حتى أن الواحد ليحلم فى الليلة الواحدة عدة مرات ويُمنِى، والبعض يمنى عدة مرات. وهناك حالات تبدو كما لو كانت تعبيرا عن انشغال جنسى طاغ كما فى حالات الحب المَرَضى التى يَسْقَم فيها المحب ويمرض ومع ذلك يتصرف مع المحبوبة بحيث يبعدها عنه فتستمر شكاواه وآهاته، وهى حالات وإن كانت تتعلق بامرأة واحدة أو برجل واحد هو المحبوب، إلا أنها تصنّف باعتبارها فُصامية. والبعض قد تكون له **علاقة حب واحدة** يشغل بها وتصرفه عن كل نشاط حتى ليدرج ضمن المفرطين، مثل **دانتى الشاعر** الذى أغرم

ببياتريس ولم يعرف غيرها. والبعض قد يفرط جنسيا ولكن موضوعه يكون صورة بطل أو نجم سينما، وقد يموت البطل أو الممثل أو المغنى فينتحر العاشق أو العاشقة، وذلك من صور **سيطرة الجنس** والتفكير فيه والانشغال به.

***

- ٤ -

الإقلال جنسى Hypophilia

المشكلة فى الجنس أن بعض الناس لهم تصورات خاصة، ولا يمكن أن تستثار شهوتهم إلا بعطر معين، أو روائح بذاتها، أو ألوان فى الثياب أو الحجرة، أو كانت المرأة بطول معين أو قوام خاص، ويقعون صرعى حبهم لهذه الخصوصية، فإذا توافرت فى الموقف الجنسى استثيروا وإلا فإنهم لا يمكن أن يأتوا الجنس، ولربما يسرع البعض فيصفهم بأنهم مصابون بالعُنّة، والعنة تكون بالرجل فلا ينتصب، وتكون بالمرأة فلا تواقع، وإذا اضطرت إلى المواقعة فإنها لاتنعظ..

والإقلال الجنسى أو الانصراف عن الجنس بالمرة قد يأخذ فى الذكر **شكل العزوف عن استخدام قضيبه** لسبب أو لآخر، وربما كان ذلك لعلّة شرعية تتلعق بالحرام والحلال، فالرجل قد يكون زئر نساء ولكنه بسبب مخاوف دينية قد ينأى بنفسه عن استخدام **المنطقة تحت الحزام**، باعتبار أن ما يأتيه داخل المنطقة فوق الحزام هو من قبيل اللّمم المكروه ولكنه مغفور، أما ما يمكن أن يأتيه فى المنطقة تحت الحزام فهو الزنا المحرم شرعا. وكذلك فإن المأبون لايستخدم قضيبه فى الجماع. **وعدم الإنفاذ فى الجماع** coital aninser- tia يمكن أن يكون بالمرأة أيضا، أو كما نقول **الجنس عندها شفهى**، أى بالكلام والملامسة دون الإنفاذ فى المهبل. وربما عدم الإنفاذ هذا مصدره فى المرأة أنها تأنف أن يدخل القضيب فى مهبلها، أو لاتقبله على نفسها اشمئزازاً من دورها كأنثى. وربما أيضا قد يبرر الرجل عدم رغبته فى المضاجعة **بالزهد** فى الجماع وهو مظهر للعُنّة أو مظهر لما يقال رُهاب أو **فوبيا الجماع**، وفوبيا الجماع تكون بالذكر أو الأنثى فكلما هَمّ أحدهما أن يباشر هرب من الموقف أو أصيب أثناءه بالعنة، فلا ينتصب الرجل، وتبرد المرأة جنسيا ويجف مهبلها حتى ليستحيل الإيلاج. وربما تكون لدى الرجل أو المرأة تهيؤات معينة -para philias حول الجماع أو ما يكون عليه الرجل أو المرأة لتلزم المضاجعة، كحالة الرجل

الذى لايتهيج إلا على البغايا، فمثله لايمكن أن يأتى زوجة محترمة، ويصاب أمامها بعنة نسبية. وفى الحالات التى يجمع فيها رجلان على امرأة، كأن يكون أحدهما الزوج والآخر العشيق، فإن سرّ تمسك الزوج بالمرأة، وكذلك العشيق، هو أن كليهما لاينتصب إلا اذا كانت تصوراته عن المرأة التى يريدها لنفسه هى تصورات لامرأة بغى، وهو إذ يأتيها فإنما يأتيها بهذا التصور، والتصور نفسه هو الذى يهيجه وليس المرأة فى حد ذاتها. وكذلك فإن الرجل الذى يظن أن كل امرأة **قديسة** لايتصور أن يأتيها جنسيا، ومن ثم فإنه مستعد أن يدخل فى أى علاقة غرامية معها تشمل **ما فوق الحزام** دون أن يخطر فى باله أن هذه المرأة يمكن أن تستثار تحت الحزام وتطلبه جنسيا.

ولربما يشكو الرجل أو تشكو المرأة من عجز عن الإحساس الجنسى فى فرجها أو فى قضيبه، وهى الحالة التى يسمونها vulval anesthesia (**خدر الفرج**) أو penile anesthesia (**خَدَر القضيب**)، وفيها قد ينتصب الرجل وتشتهى المرأة، فإذا أولج فإنه لا يستشعر أو لاتستشعر بلذة فى الولوج، وقد يستحيل عليه أن يقذف لأنه قد لا يبلغ النعوظ. وقد لا تستطيع المرأة الاستمرار فى الجماع وقد لا تبلغ النعوظ أبدا، وهى حالة أخرى يقال لها **اللانعوظ** anorgasmia، وقد يخبره الرجل والأنثى دون أن يكون بأيهما عجز عن الإحساس الجنسى بالفرج أو بالقضيب. ويتوقف الأمر على المدخل الذى تستشعر المرأة منه الهياج أكثر من غيره، أو يحسب الرجل أنه به أقرب إلى النعوظ، فمثلا قلنا إن بعض الرجال يحبون الإناث أن يتصرفوا معهم كما لو كن بغايا، وبدون أن تتصرف الزوجة مع زوجها من هذا النوع التصرف الذى يهيجه فإنه سيفشل فى مضاجعتها، ولذلك قد يصر هذا الزوج أن ترقص له امرأته أو أن تلبس ثياباً فاضحة، أو تضحك كالمومسات، أو تتبرج وتتبذل أثناء المضاجعة، أو تتفوه بألفاظ بذيئة، وبدونها لايمكن أن يصل الأوج فى اللذة وينعظ. ولربما يفضل بعض الرجال الاستمناء باليد على الإيلاج بالقضيب. وتتهيج بعض النساء بدلك البظر، وتؤثر المضاجعة دلكا للبظر على إيلاجٍ فى المهبل. ولربما يفضل البعض تناول حلمة الثدى أو أى جزء آخر من الجسم، وتتركز الشهوة فى منطقة من المناطق دون غيرها عند البعض، وهناك نساء يتعشقن التقبيل، ولو استمر الجماع مجرد تقبيل طوال الليل لأنعظن مرارا. وليست الشهوة الجنسية مقصورة على المهبل والقضيب، بل هى تشمل الجسم كله من الشفتين وحلمة الأذنين والثديين إلى أصابع اليدين والقدمين،

والثنايا تحت الإبطين وأسفل الثديين وخلف الركبتين، وبطول البطن والظهر والساقين والفخذين. وبعض الرجال والنساء فى حاجة إلى استثارة قوية لبعض هذه المناطق لو أنها كانت لغيرهم لتضايق منها وربما يتضرر.

وليس **اللانعوظ** إلا حالة ثانوية يمكن علاجها، فمثلا المرأة التى تشكو **جفاف المهبل** vaginal dryness قد تبدأ المباشرة ثم تصاب بالجفاف فيؤلمها الجماع لو استمر ويؤلم الرجل. ولا تُولى الكتب الطبية هذه الحالة العناية الضرورية من البحث مثلما تُولى عُنّة الرجل المتمثلة فى اللانعوظ، وهو أن **لايستطيع إكمال الجماع** رغم انتصابه داخل المرأة، أو لايستطيع أن يستمر منتصبا داخلها. والمقابل لهذه الحالة وللعجز كليا عن الانتصاب هو **القذف المبكر** premature ejaculation عند الذكور، ويقابل اعتقال أو **قمطة المهبل** vaginismus عند الإناث، وفى الحالتين تتقبّض عضلات الأعضاء التناسلية، فبمجرد ولوج القضيب إلى دفء الفرج أو بمجرد النفاذ إلى المهبل يقذف، وبذلك يُحرَم صاحبه من لذة ضراب الجماع، ويَحرِم منها المرأة، وإذا استمنى هذا الشخص قبل الجماع أو جربّت معه امرأته مص القضيب فقد لا يقذف بهذه السرعة، ومن ثم كانت **طريقة التوقف عن الولوج** إلا بعد أن تجرب معه امرأته الاستثارة باليد والضغط على رأس القضيب مرات، وهى طريقة فى علاج هذه الحالة. وأما **قمطة المهبل** عند النساء فقد يحدث أن تتقبض عضلات الفرج بحيث يستحيل الإيلاج، أو قد تحدث القمطة بعد الولوج فيتعذر على الرجل أن يواصل الجماع. ويطلق على حالة تعذر الجماع اسم **عسر الجماع** dys-pareunia أو الجماع المؤلم بصرف النظر عن أسبابه. ولاينطبق الاسم على تعذر الجماع عند الرجال، إلا أنهم كذلك يمكن أن يخبروا هذا الألم، ويمكن أن يعانى الجنسان الآلام بعد الجماع فى الفرج أو فى القضيب أو فى الحوض، وقد يحدث أن يصاب المجامع بعد الانتهاء بصداع رهيب. وقد **تعالج** هذه الحالات من الإقلال الجنسى دوائيا بالهرمونات أو بالعلاج النفسى بالنصح والإرشاد، وبالتحدث إلى الزوجين، ومعظم هذه الحالات إن لم يكن لها أسباب عضوية هى ظواهر نفسية، فقد يحدث أن يكون اللانعوظ عند المرأة أو ما نسميه **برودها الجنسى**، مردّه مباشرة الرجل لها دون تقدمة أو ملاعبة، وتأتى أغلب الاضطرابات فى مجال الجنس من جهل الطرفين، وعلاج ذلك بتحدّث المعالج معهما، أو بالقراءة فى الجنس وما يتصل به من مسائل نفسية. وأما الحالات النفسية المستعصية

فيلزم لها **التحليل النفسى العميق**، ويتم فرديا باعتبار أن المشكلة النفسية الجنسية ليست سوى عَرَض ثانوى لاضطرابات فى الشخصية، فإذا عولج اضطراب الشخصية انحلّت العقدة الجنسية تلقائيا، غير أن **ماسترز وجونسون** كانت لهما طريقة تُطَبّق الآن على نطاق واسع، ويوجّه العلاج بها إلى المشكلة الجنسية ذاتها، باعتبار أن حلها يؤدى بالتالى إلى حلّ اضطرابات الشخصية، وتتألف من شقيْن، أحدهما يقوم على تدريبات جنسية تتناول الأحاسيس الجلدية فى اللمس والضغط بالتدليك (المساج)، وتتعهدها بالملامسات التى مدارها الحرارة والبرودة والرطوبة وتسمى لذلك **تدريبات جسمية somesthetics**، والشق الثانى يسمى **العلاج بمناقشة الأفكار والمعانى ideogogy** حول تصرفات المريض مع المحيطين به وأخصهم زوجته، ويجتمع المعالج لذلك بالزوج والزوجة معا، ويكون النقاش على أساس أن مايعانى منه أحدهما هو نتيجة لصراعات تُستَخدم فيها **الأعضاء الجنسية** بدلاً من استخدام **اليدين** فى الصراعات العادية، وإذا كان الانتقام من العدو يكون باليد، فإن الانتقام بين الزوجين قد لا يكون إلا بالأعضاء الجنسية، فالزوجة الكارهة لزوجها قد تصاب **بقمطة المهبل**، وهى وسيلة لمنع الجماع، بإعجاز الزوج جنسيا وكأنها توقع به الإخصاء انتقاماً، ومع استمرار الحالة قد يصاب بالعجز الجنسى فعلاً (**أنظر قمطة المهبل والنعوظ والعنة والجماع والقذف والفرج والمهبل والبظر والقضيب**).

***

- ٥ -

الامتنــاع الجنســى Sexual Abstinence

الامتناع عن النساء أو الرجال قد يأتيه المرء طواعية وقد يُجبَر عليه، والأصل أن الإنسان يميل إلى إشباع حاجاته الجنسية، إلا أنه كثيرا مايضطر إلى الامتناع عن إتيان الفعل الجنسى، وقد يكون ذلك منه تعففا أو زهدا أو تقشفا، وكثيرا ما يكون بتأثير عقده نفسية، كأن يدفعه إلى ذلك الإحساس الدفين بالذنب. ويحكى **غاندى** أنه فيما بعد امتنع عن امرأته عقاباً لنفسه على تورطه معها جنسيا بينما كان أبوه ينازع الموت فى الحجرة المجاورة لحجرته، وكان شعوره العميق بعظِم فعلته وما ارتكب من ذنب فى حق أبيه الذى نعاه الناعون بينما كان هو منغمسا فى الشهوة، سبباً فى زهده وإقلاعه عن إتيان الجنس. ويُنسَب للبعض إن لم يكن للأغلبية أن **الخوف** هو الذى يجعلهم ينكصون عن النشاط

الجنسى، وقد يكون هذا الخوف من **العدوى**، وربما هو خوف من التورط فى المشاكل التى قد تترتب على الممارسة الجنسية **كالحمل سفاحا** مثلا، وربما هو خوف من **الفقر** باعتبار أن كثرة العيال مع ضيق ذات اليد قد يدفع إلى الامتناع، وقد يكون الخوف أدبيا أو اجتماعيا أو دينيا على أساس من **القيم** التى يتربى عليها الأفراد، وكثيرا ما يكون **التعب والإرهاق** سببين للامتناع الجنسى، فضلا عن أنه قد تضطر **الظروف الصحية** للمرأة شريكها إلى اجتناب المواقعة، وخاصة فى أيام الحيض والحمل. وقد يكون الاضطراب الذى يشكو منه الرجل هو العُنَّة، وقد تبين ان امتناع كثير من الرجال إنْ هو إلا عُنّة فى حقيقته أو برودا جنسيا أصيلا عند المرأة، وخاصة أن بعض الرجال يشكو عُنّة دائمة تلازمهم من بداية رجولتهم. وكثيرا ما تعالج نساء باعتبار أن بهن بروداً جنسياً وافداً ويتبين أن البرود أصلى فيهن. ويشكك لذلك الكثير من علماء النفس فى **إمكانية التعفف** كفعل إرادى خالص، فالتعفف **لابد له من سبب**، وغالبا ما يكون السبب **داخليا**. وقيل إن الامتناع ممكن عند الطبقات الاجتماعية العادية والمثقفين، وقيل أيضا إن التعفف يحفظ على المرء طاقته فيستغلها فى مجال آخر بخلاف الجنس ويفيد منها فى ممارسات اجتماعية، ولذلك كان الفنانون وأساتذة الجامعات والمفكرون والمشتغلون بالمهن العقلية أقل الناس إتيانا للجنس باعتبار أنهم الأقدر على التعفف والأكثر احتياجا إلى كل طاقة يوجهونها التوجيه الاجتماعى الأمثل. ومع ذلك فهناك من علماء النفس من لايجد أى ارتباط بين التسامى أو التعفف وبين الامتناع الجنسى، ويقصرون التعفف والتسامى على مجال الأخلاق، وينسبون ما يقال عن تعفف المفكرين وغيرهم إلى **قدراتهم الجنسية المحدودة** التى يشهد بها تواريخ حياتهم. وقيل إن إدخال **مصطلح التسامى** إلى مجال علم النفس كان بتأثير **فرويد**، وكان يرى ان الامتناع الجنسى إن زاد عن حده يؤدى إلى الإنهاك العصبى، وهو قول قد يصدق فعلا فى الكثير من الحالات ويؤيده **ألفريد كينزى** فى بحثه القيم المشهور **حول سلوك الرجل والمرأة الجنسى**. وعند **كينزى** أن الرجل أو المرأة فى الظروف الملحة قد يستطيعان أن يمتنعا عن الجنس **لأسبوعين**، فإذا زاد الأمر عن ذلك فإن سلوكهما قد يصاب بالاضطراب. ويذهب **فرويد** إلى تأكيد تأثير المجتمع على ممارسة أفراده للامتناع الجنسى إلى حد الإصابه بالعُصاب، وقال إن الامتناع الجنسى ممكن فقط بمساعدة **العادة السرية**، وإذا طال اللجؤ إلى العادة السرية فبرغم أنها مشبعة جنسيا، إلا أنها تؤدى إلى الإصابة

بالعُصاب إن لم يكن اللجوء إليها بتأثير العُصاب، وكثيرا ما يكون الاستمناء باليد من المظاهر المَرَضية عند العُصابيين، وغالبا ما يدفع إلى ممارسة رغبات جنسية مكبوتة من الطفولة تنفّس عن نفسها من خلال تلك العادة السرية المستهجنة. ويرى **فرويد** أنه خلال العلاج بالتحليل النفسى لاينبغى أبداً التهاون مع المريض والإذن له بممارسة العادة السرية والتنفيس عن أى من رغباته الجنسية الطفولية، وذلك يتيح للمريض أن يدخر طاقته كقوة دافعة فى العلاج.

ويذهب **فرويد** كذلك إلى تأكيد خطورة الامتناع فى مجال الممارسات الحالية للفرد والتى لا دخل فيها للخبرات الماضية من الطفولة، كتأثير **العزل** فى الجماع، **والقمع** للنوازع الجنسية كلما أهاجتها بعض المواقف الحاضرة، ويردّ القلق العُصابى إلى الإشباع الناقص كما فى العزل أو فى حالات الهياج الجنسى الشديد، ومحاولة قمعه وضبط النفس إزاء مصدره، كما أنه يردّ النَهَك النفسى إلى الإشباع المفرط سواء بالعادة السرية أو بالاحتلام (أنظر **العصاب الجنسى**).



- ٦ -

سلبية جنسية Sexual Passivism

هى **الانفعالية الجنسية**، ضد **الفاعلية الجنسية** sexual activism. والسلبية فى مجال الجنس **انحراف جنسى** يكون فى **المابون** فيناط به الدور الأنثوى فى الفعل الجنسى مع الذكور، بمعنى أنه يكون المفعول فيه. والمرأة **المابونة** هى أيضا اللوطية السلبية بالنسبة لشريكتها فى الفعل الجنسى التى تكون فاعلة.

والسلبية أيضا من الصفات التى يوصف بها البعض ويقصد بها أنهم **اعتماديون**، فيقال للرجل أنه سلبى أى **أنثوى الطبع**، تنقصه المبادرة، ويركن على غيره يحميه ويسيطر عليه ويوجهه ويتولى عنه المسئولية. وبعض الناس يحبهم الآخرون لهذه الصفة لسهولة التعامل معهم. **والنساء السلبيات** لايكتشفهن الناس بسهولة على عكس الرجال **السلبيين**، وذلك لأن الناس يتوقعون أن تكون المرأة مستقبلة ومتلقية ويوجهها غيرها، ولايتوقعون ذلك من الرجل.

والشخص السلبى منذ طفولته اعتمادى ومؤدب ومطيع، ويستمر كذلك وهو طالب

وموظف وزوج، ولاتظهر سلبيته كصفة مستهجنة إلا عندما يتواجد فى ظروف تتطلب فاعلية ومبادأة، وعندئذ يتقاعس وينكص ويفشل. وربما تتأصل السلبية عند البعض كنتيجة للتربية فى بيت مسيطر، فيتعلم السلبى منذ نعومة أظفاره أن يكبت مشاعره ولايبديها ويستسلم للأذى يلحق به وكأنه **الأنثى**، فإذا كان السلبى **أنثى** فعلا فإنها تكون أنثى مستضعفة، ويستمر بها ذلك إلى أن تشيخ وتموت.

والسلبى قد يكون **عدوانيا**، بمعنى أنه قد يثور على سوء المعاملة، ولكن ثورته لاترقي إلى الردّ عليها بما يناسبها، ولكنه يثور بالمخالفة، أو قد يخرج ثورته بأن يكسر شيئا فى طريقه، وهو أمر يجعله **شبيهاً بالنساء** فيقال إن **ثورته أنثوية**. والطفل الذكر أو الأنثى السلبى بدلا من أن يثور فى وجه والديه قد يلجأ إلي **الهروب**، أو يخرج سلبيته **بتخريب** الممتلكات العامة أو الخاصة.



الفصل الخامس والأربعون

الجنس والعوارض النفسية الجسمية

-١-

الجنس والمرض Sex & Illnes

يؤثر المرض على السلوك الجنسي للمريض وعلى اختياراته واتجاهاته وتوقعاته الجنسية. وبوسع المريض أن يتكيف مع التغيرات التي تطرأ عليه في أدائه الجنسي وهي تغيرات غالبا ما تكون وقتية ويمكن أن تزول، فمثلا يلاحظ أن المرضى بإصابات **العمود الفقرى** يمكنهم بسهولة وبعفوية شديدة تجاوز الآثار النفسية لهذه الإصابات وتكييف سلوكهم الجنسي بحسب حالاتهم الجديدة. وكذلك نجد أن **كبار السن** يستطيعون بسهولة التكيف مع ظروفهم. وليست هناك حالات يتأثر بها الأداء الجنسي للمريض إلا عندما يُشغَل المريض بأعراض مرضه وأوجاعه، ويصرف انتباهه إليها، ويوجه كل طاقته النفسية نحوها. وهناك حالات من العجز الجنسي نتيجة المرض لايبذل المريض جهداً لعلاجها إلا أن من الممكن مع ذلك علاجها بسهولة، وقد يظنها المريض نتيجة لجهله أو غفلته أو تحرّجه حالات ميئوساً منها. غير أنه توجد أيضا حالات من العجز الجنسي مصدرها أن المريض نفسه لم يكن أصلا من المهتمين بالجنس والحريصين عليه، فلما أصابه المرض عزف عن الجماع بالكلية. وربما يكون المريض من النوع المتأفف من الجنس قبل أن يصاب بمرضه، فلما جاءه المرض كان عذرا له يكفيه أن يتعلل به عن إتيان الجماع الذى يكرهه، وقد يخشى المريض من تأثير الجماع على حالته. ويفقد الكثير من المرضى الاهتمام بالجنس والرغبة فيه بالانصراف إلى أعراض أمراضهم، ويحدث ذلك غالبا عند **المرضى بأمراض معدية حادة**، والذين يعانون من **الصدمات الحادة، والربو الحاد، واضطرابات الحساسية الحادة والسكرى والشقيقة والأنيميا، والصلاء herpes، والتهاب الوريد الجلطى، والتسمم الكحولى أو بالعقاقير واضطرابات الغدد الصماء والاضطرابات الشديدة للتغذية، والاحتشاء الحاد لعضلة القلب**. وإذا كانت هناك شكوى فإنها تصدر غالبا من الزوجة أو من الزوج أى الطرف الآخر المشارك فى الجماع. ويتوجه العلاج للمرض نفسه وتزول الشكاوى الجنسية مع زوال أعراض المرض، فإذا لم تنته الشكاوى الجنسية بانتهاء هذه الأعراض، فإن المريض يصنف تصنيفا آخر، ويتوجب له علاج مختلف.

ومشاكل السلوك الجنسي للمرضى وماتتضمنه من عجز جنسي ومايلحق صورة المريض عن نفسه وجسمه من تشويه من جرائه، قد يمكن تصنيفها إلى **مجموعتين**، فهي إما مشاكل تترتب على الأعراض الأولية للمرض، وإما أنها عقابيل تستحدث العجز. وتسبب **الصدمات الحادة** التي تقع للعظام أو تصيب الأعضاء الداخلية أو العضلات أو الجلد في توجيه السلوك الجنسي للمريض وجهات غير مريحة ومربكة. ومن ذلك **كسور الساق** التي يستلزم معها وضع الساق في جبيرة، **وأوجاع العضلة السفلي للظهر، والتهاب الجلد، وحَبّ الشباب الحاد، والتهاب المفاصل، وأوجاع الأعصاب، وسحجات الأربية أو إجهادها، ولفحة الشمس الحادة، وقمطة المهبل الحادة، والتهاب المبال، والتهاب المثانة والكيس البارثوليني، وأورام الرحم أو الأمعاء، والحمل المتأخر، والبدانة، والتهاب بطانة الرحم، وهبوط البواسير بعد الجماع، والفتق، وخراج الثدي، والقيلة، ودوالي الساقين،** وكلها حالات لأمراض يتأثر بها السلوك الجنسي للمريض، فإذا كانت مدة المرض بسيطة توجه العلاج الذي يقدمه الطبيب إلى طمأنة المريض، فإذا طالت المدة أو توقع الطبيب أن تطول كان على الطبيب أن يشرح للمريض الحالة ويطمئنه. وقد يحاول المريض أن يستأذن الطبيب أن يجرب **طرقا جديدة في الجماع** تناسب حالته، وقد يأذن له الطبيب في ذلك ويحاول أن يحيطه علما بتجارب آخرين مثله، وعلى الطبيب أن يشجع المريض على الخوض في الحديث عن حالته الجنسية وشكاواه، وإلا فإنه سيحجم عن ذلك ويشعر بالحرج. وإذا تردد الطبيب في الإجابة أو استشعر هو نفسه الحرج فلن يعاود المريض الكرّة، ولن يحتاج أن يُعرَض على طبيب نفسي أو طبيب خاص بالشكاوى الجنسية.

وتتسبب بعض الأمراض في عقابيل جنسية ينشأ عنها العجز الجنسي، أو قد تكون لها عواقب تتدخل في كفاءة المريض الجنسية أو كفاءة أدائه. وربما تكون للمرض عقابيل جسمية دائمة ولكن مايترتب عليها من آثار في السلوك الجنسي قد يكون طارئا، أو أنه من الممكن تعديل السلوك الجنسي ليتناسب معها. ولقد تبين من العلاجات التأهيلية للمصابين **بشلل النصف السفلي من الجسم، أو شلل الأطراف الأربعة**، أن من الممكن للمريض أن يتجاوز ظروفه ويؤهل نفسه لحالته ويعدّل من سلوكه الجنسي ليناسب أوضاعه، وأغلب المرضى في هذا النوع من الأمراض يمكنهم التكيف مع شريك من الجنس الآخر سليم الجسم. ولا يوجد مايثبت أن الزواج بين الكسيح أو المشلول شللا نصفيا سفليا أو بشلل

الأطراف الأربعة غير قادر جنسيا . وعلى العكس فإن أمراضا كالسكرى، والتهاب المفاصل، والأمراض القلبية الوعائية، ومرض بيرونى، ومرض كلاينفيلتر، والقيلة، والامفزيما، وتغيرات الإياس المهبلية المخاطية، والكثير من الأمراض العصبية العضلية تتسبب جميعا فى مشاكل جنسية مؤلمة أو محرجة للمريض. وكذلك تسبب حروق الجلد وتلفياته المزمنة، واستئصال الثدى، وعمليات البتر، وفتحة القولون، والاضطرابات الوراثية أو الولادية، واضطرابات الغدد الصماء، والتثدّى فى الذكور، والأعضاء الجنسية الطفولية، والتخنث، والرائحة الكريهة المزمنة المهبلية – أقول إنها جميعا تسبب تغيرات فى تصورات الشخص لجسمه تجعل المريض يخاف أن يلمسه أحد أو يقترب منه ويعاشره. ويتوجه العلاج فى أمثال هذه الحالات إلى تأهيل المريض ليعايش حالته ويتدبر أمره مثلما فعل غيره بإيجاد الحلول المناسبة:

وقد تأتى المريض مخاوف من أن يصاب بالعجز أو تتغير قدرته الجنسية بعد الإبلال من أمراض خطيرة مثل **احتشاء عضلة القلب أو الحوادث الوعائية المخية**. وقد تستمر هذه المخاوف لمدة طويلة مع المريض. وقد لايثير المريض نفسه المسألة مع الطبيب ولكن زوجته هى التى تثيرها خشيةً على صحة المريض، أو قد يتحاشى المريض أن يستثار جنسيا حتى لايبذل جهدا يودى بحياته. وقد يتوتر المريض وزوجته، أو يشعر المريض بالذنب باعتباره مسئولا عن الحرمان الذى تعيش فيه زوجته، وقد تعيش الزوجة فى قلق وتتساءل عن مصيرها وتحزن أو تكون سريعة الغضب. وقد يسعى الزوج الذى تمرض زوجته إلى إشباع رغباته الجنسية خارج البيت، وقد تخون الزوجة السليمة زوجها المريض، إلا أن كل ذلك لابد أن يكون له تأثيره على الأداء الجنسى للطرفين بتأثير الحالة النفسية التى يعيشانها ومايصاحبها من مشاعر ذنب وخيانة، ومراجعات الضمير، وأوجاع الرغبة والكراهية. ويقتضى لذلك أن يطرق الطبيب الموضوع ويناقش فيه المريض وزوجته صراحة وذلك أجدى من السكوت بدعوى أن أحدا لم يسأله عن رأيه أو يشكو شيئا.

وقد تنشأ مشاكل جنسية مماثلة نتيجة **أفكار خاطئة** لدى البعض عن الجنس، فمثلا قد يعتقد البعض أن الجماع غير جائز إلا للإنجاب، وأن لذته لغير هذا الغرض حرام، وقد يفرض البعض على نفسه العفة فى الشهور الأخيرة للحمل أو بعد الولادة بدعوى أن الجماع يؤذى الجنين.

وقد يصاب أحد الزوجين بمرض تناسلى أو تجهض الزوجة، وقد يترتب على ذلك شعور قوى بالذنب تتأثر به قدرة المريضة الجنسية، أو قد يجعله يتأبّى على الجماع أو يعزف عنه بالكلية، فقد يحسب أن مرضه، أو تحسب أن الإجهاض عقوبة من الله، وقد يستمر هذا الحال لشهور أو ربما لسنوات، وماكان يمكن أن يستمر لو أن طبيبا تطوع بنصيحة بسيطة أو كلمة خير من مجرب خبير، وإذا طالت المدة فربما تقتضى لذلك من بعد علاجا نفسيا طويل الأمد.

ويتعلل بعض المرضى بأمراضهم عن إتيان الجماع وكأنهم كانوا ينتظرون المرض ليخلّصهم من ممارسات لايحبونها. والواقع أنه مامن مرض يمكن أن يمنع المريض من ممارسة واجباته الزوجية، وحتى الأمراض التى تترك آثارا بالقدرة العامة للجسم قد ثبت أن الكثير منها يمكن التكّيف معه دون أن يتأثر بها الأداء الجنسى.

❋ ❋ ❋

- ٢ -

الجنس والمرض العقلى Sex & Mental Illness

للجنس أكبر الأدوار فى تشكيل الشخصية وصياغتها وتوجيه نموها واطراد هذا النمو وإصابتها بالأمراض النفسية أو العقلية. وتضطرب الوظيفة الجنسية بالاضطرابات النفسية أوالعقلية، ويتأخر شفاء المريض أو قد يمتنع نتيجة لممارساته الجنسية. وإذا لم يستطع المراهق أن يكبح جماح شهواته ويسيطر على غرائزه الجنسية فإنه يصاب حتما بالاضطرابات العُصابية أو الذُهانية، وقد يحاول المراهق أن يتجنب الصراعات الجنسية أو قد يعمل نووه على تجنبيه هذه الصراعات أو تأجيلها، فيؤدى به نقص التجربة الجنسية إلى فشله فى السيطرة على دوافعه الجنسية أو إلى قصور فى الشخصية. وإذا لم يستطع المراهق أن يحل صراعاته الجنسية التى تولدت معه مبكرا نتيجة علاقاته بأبويه وإخوته ورفاقه فإنه يصاب بالاضطرابات العُصابية.

ويختلف العلماء بحسب مصادر خبرتهم حول دور الجنس فى الإصابة بالأمراض النفسية والعقلية. ومن رأى البعض أن **الجنس قد غولى فى تقديره** كعامل رئيسى فى الإصابة بهذه الأمراض، وأنه على العكس **ثانوى** فى تأثيراته، وأن التجارب على الحيوانات تثبت أن هناك **حاجات نفسية أخرى أهم من الجنس** توجه سلوك الحيوان، وافتقاد إشباعها

يجعل سلوكه مضطربا، وأن الجنس دافع وقتي وعارض. ويذهب بعض العلماء إلى **التشكيك** فى دور الجنس فى الكثير من الأمراض النفسية والعقلية، ويقصرون هذا الدور على **الهستيريا والانحرافات الجنسية**. ولاشك أن السلوك الجنسى فى اعتبار أى من الآراء السابقة كغيره من أنماط السلوك يمكن أن يتأثر بالاضطرابات النفسية أو العقلية، وكذلك فإن انحرافات هذا السلوك قد يمكن ردّها إلى بعض هذه الاضطرابات. ولقد كانت هناك دائما محاولات للتنبيه إلى خطورة **تزاوج** المتخلفين عقليا، وإلى ضرورة **تعقيمهم** لمنع الإنجاب وتحاشى استمرار التخلف العقلى فى نسلهم، إلا أن الاهتمام بالجنس من قِبَل المتخلف عقليا يتفاوت بحسب درجة تخلفه، وكلما زاد تخلفه كلما ابتعد سلوكه الجنسى عن أن يكون سلوكا غيريا يتوخى به الإشباع الجنسى عن طريق شريك فى الجماع، وكان سلوكه أقرب إلى البدائية، وربما اقتصر على نوع من الممارسة القريبة من الاستمناء باليد. وليست هناك حالات يمكن التحذير منها أو تتوجب دراسة نتائجها إلا تلك التى يكون فيها المتخلف عقليا على درجة تمنكه من أن يمارس الجماع مع من هم مثله فى التخلف، أو مع عاديين من أى من الجنسيين، أو التى يكون فيها استغلال من قِبَل الناس العاديين للمتخلف عقليا بحيث يستدرج لأن يقوم بالممارسة الجنسية الغيرية أو اللواطية.

وإنه لأمر ذو بال أن يكون العامل المشترك الأعظم فى أغلب حالات اللواط والمشاعية الجنسية والبغاء والحمل سفاحا **هو الغباء** الذى يميز الممارسين والممارسات لهذا السلوك المضطرب، ومع ذلك فليس كل من يسلك هذا السلوك غبياً، ولم يعثر بعض الباحثين فى مشكلة الإنجاب سفاحا على أى قدر من التخلف العقلى أو حتى الغباء عند أى من الطرفين. ويذهب **كينزى** إلى أن ممارسة الجماع مع الحيوانات يكاد يقتصر على الأرياف وعلى **المتخلفين عقليا** أو بالأصح **الأغبياء**، ولكن لاينبغى الظن أيضا بأن كل ممارس للجماع بالحيوانات غبى فالبعض ذكاؤه عادى.

وقد تنشأ الانحرافات الجنسية نتيجة آفات أو تلف عضوى بالمخ، ويتوقف نوع هذه الانحرافات على المساحة التى يشملها التلف والمنطقة التى يمتد إليها، فمثلا فى المتلازمة المعروفة باسم **متلازمة كلوفربوسى** **Kluver-Bucy syndrome** يكون التلف بالفصوص الصُدغية، ويكون للانحراف الجنسى سواء فى الإنسان أو الحيوان مميزات خاصة حيث يشتد الشبق بالمريض **ويطلب الجماع بلاتمييز، وتفسير ذلك أن المرض يطلق**

الشهوية ويستحثها فيكون هذا السلوك الجنسى العشوائى عند الإنسان أو الحيوان. ومن المعروف أن إصابة الجهاز العصبى المركزى بأى تلف من شأنه أن يدفع إلى سلوك جنسى متخلف أو بدائى بحيث قد يطلب المريض الجماع فى أوقات أو ظروف غير مناسبة اجتماعيا، وليس من ذلك أن يشتد إنعاظه أو يشذ سلوكه الجنسى الشذوذ المعروف. وكذلك فإن السلوك الجنسى عند **كبار السن** قد نستهجنه ونصفه بأنه سلوك جنسى مَرَضى، ويرتبط ذلك بالتدهور الذى قد يلحق المخ عند المرضى بأمراض المخ فى الشيخوخة، قياسا على مايحدث من تغير فى وزن المخ وحجم بطين الدماغ ومايتكون من صفائح وتشابك فى الليفات العصبية. وفى الحالات المبكرة التى يصاب أصحابها باضطرابات عضوية فى المخ قد يترتب عليها أن يصاب المريض أيضا **بالاكتئاب** كما فى عَتَه قبل الشيخوخة، وفى زهرى الجهاز العصبى، وفى كل حالات الاكتئاب، تنخفض الاهتمامات والنشاطات الجنسية بحيث يعزف المريض عن الجنس بالكلية.

وكانت هناك دراسات كثيرة على تأثير **مرض هنتنجتون** على الناحية الجنسية. وغالبا ماتطلب النساء الطلاق بعد أن يصاب الزوج بهذا المرض، وتظهر عليه الغيرة الجنسية، ويشتاع جنسيا، وقد يعتدى على الأولاد جنسيا، وقد يشذ سلوكه فيحب أن يتطلّع جنسيا، أو يحب أن يستعرى أو يلتاط. وعموما فالمريض يقوى لديه الجنس ويطلبه فى غير الأوقات المستعدة فيها الزوجة، أو فى غير الأماكن المناسبة، وقد لايشبع جنسيا، وقد تصده الزوجة فيخشن سلوكه ويسب ويعنف. وإذا كان المريض امرأة فإنها تخالط وتشتاع، وقد تحمل سفاحا، وقد تحب أن تستعرى وتتبرج، وفى النادر قد يصاب المريض أو المريضة بالبرود الجنسى.

ولقد قيل إن المريض **بالصرع** يكون مهووسا بالجنس ويعنف فيه أو فى طلبه، غير أن الدراسات الحديثة تجزم بأن المرضى بالصرع النفسى الحركى تقل بهم الدوافع الجنسية، وأن هذه الدوافع فى الواقع تختلف بالمرضى بالصرع بحسب نوع الصرع وأسبابه، وفى الحالات التى يشمل فيها التلف الفص الصدغى من المخ فإن المريض يشتد طلبه للجنس، ومن ذلك أن يشذ سلوكه فيهوىَ أحذية النساء أو ملابسهن الداخلية وهو المرض المسمى **الفيتيشية** أو قد يتشبّه بالنساء.

وفى **حالات صدمة الرأس** تكون هناك تغيرات عاطفية بحسب شخصية المريض قبل

الصدمة، وقد تستحدث الصدمات بالدماغ فى مناطق الفصوص الجبهية والحجاجية شذوذا فى سلوك المريض، فيقوى إنعاظه، ولايراعى الاختيار فى شريكته فى الجنس، وقد يرتكب الجرائم الجنسية. وأيضا فإن الجروح أو أى تلف بالفص الجبهى الأيمن قد تصيب المريض بالعُنّة. وعموما فإن **اضطرابات الدماغ** قد يكون من جرائها أن يسوء توجه المريض ويصاب بالدوخة والاكتئاب وذلك يجعله يعزف عن الجنس. ولقد أمكن رصد تأثير **عمليات استئصال مقدم الفص الجبهى من المخ** عبر عدة سنوات من المتابعة لسلوك المرضى، وتبين أنه فى كثير من الحالات كانت هناك شكاوى من الإفراط فى الجنس، وربما كان السبب أن العملية من شأنها أن يقل شعور المريض بالحرج أو بالذنب، وأنه من الممكن أن لايجد مايمنعه من أن يعبر عن رغباته الجنسية بحرية، وقد يكون المريض مصابا قبل العملية بالقذف المبكر أو بالميول اللواطية، فإذا به بعد العملية يمارس الجنس بشكل صحيح وليست به الميول اللواطية.

وهناك علاقة **بين الاضطرابات النفسية خلال الحمل وعند الولادة وبعدها**، وبين الإشباع الجنسى أو التوافق الجنسى بين الزوجين، والكثير من الزوجات اللاتى يصبن بذُهان مابعد الولادة لهن حياة انفعالية مضطربة مع أزواجهن.

ولربما يمكن ردّ أغلب الانحرافات الجنسية أو السلوك الجنسى الشاذ عند الكبار فى السن إلى **اضطرابات المخ العضوية**، ويذهب البعض إلى أن ثلاثة أخماس الجُنَح الجنسية يقوم بها أفراد من الكبار فى السن مصابون غالبا باضطرابات مخية مزمنة، من أسبابها التغيرات المخية المرافقة للشيخوخة، أو التغيرات فى الجهاز العصبى المركزى ومايطرأ على الشرايين من تصلب.

ولم تكـ [illegible] ك دراسات كافية على تأثير **الاضطرابات الانفعالية** على الحياة الجنسية، وتتأثر الطاقة والقدرة الجنسيتان **بالاكتئاب**، وإننا لنلاحظ تدنى القدرة الجنسية عند المرضى باستجابة **الهوس الاكتئاب** حتى لقد يصاب هؤلاء بالعُنّة، وأما المرضى **بالهوس الخفيف** فإن الرغبات الجنسية على العكس تشتد بهم حتى لنجد الرجال يعاكسون كل امرأة، وحتى ليحدث أن تشتاع النساء ويكثر أن يحملن لهذا السبب سفاحا. وغالبا مايصاب المرضى بالهوس بالهُذاءات الجنسية. وقد تتوهم النساء المريضات به أنهن حوامل، أو قد تكثر المرأة من الشكوى وتطلب الحمل، أو يطلب الرجل المريض به من امرأته

أن تحمل منه، فإذا لم تكن الظروف المعيشية للأسرة مهيأة لهذا الحمل فإن المرأة والرجل قد يعترض على هذا الطلب وقد يتولد من الاعتراض المشاكل بين الزوجين وقد يطلب أيهما الطلاق.

ولاتختلف حالات **البارانويا والملانخوليا الانتكاسية** فى ظواهرها الانفعالية عن غيرها من الاضطرابات الانفعالية فى مراحل العمر المختلفة، ومع ذلك فإن التغيرات الأكيدة الغدّية والفسيولوجية والسيكولوجية التى ترافق السن الانتكاسى تجعل من هذه الاضطرابات السابقة حقائق مرضية لها طبيعتها الخاصة.

والغالب أن يصاب **بذهانىّ الاكتئاب والبارانويا** الأشخاص الذين تتصف حياتهم بالكبت للدوافع الجنسية والعدوانية، والذين يتصفون بالوسوسة والتدقيق فى النواحى الأخلاقية وليست لديهم القدرة على التكيف مع ظروفهم، ولديهم الإصرار على أن تكون لهم تصرفاتهم الخاصة المحدودة. وأمثالهم تتكون لديهم دفاعات وسواسية قهرية، ويتداعون بالمرض كطريقة للتخلص من هذه الدفاعات وتنكبها، وعادة يكون التوافق الجنسى عند هؤلاء فاشلا أو عاجزا.

ولقد كانت هناك دراسات حول تأثير ترك الأولاد للبيت على الوالدين فى السن التى ينبغى أن يتركوهما فيه. وكان الزعم أنه فى هذه السن يكون الوالدان فى أمّس الحاجة إلى أن يلتف الأولاد بهما ويولوهما الرعاية، ولكن هذه الدراسات أكدت أن الوالدين يتحسن أداؤهما الجنسى بعد انفصال الأولاد عنهم، وأن **اكتئاب الانفصال** لايصاب به الغالبية من الآباء، وبعض الأباء إذ يغادر آخر أولادهم البيت يبدأ فى التخطيط لحياة جديدة بآمال جديدة وتكون للأب علاقات أفضل بامرأته. ويبدو أن مسألة الإصابة بالاكتئاب فى سن الشيخوخة من المسائل التى ينبغى مناقشتها بدليل استمرار الغالبية من الأزواج فى إتيان الجنس بكفاءة فى هذا السن، وهو مايتعارض مع القول بتلازم الشيخوخة والاكتئاب. والقلة من الأزواج الذين يشكون من سوء الوظيفة الجنسية يعانون من اضطرابات ذُهانية، وأقل من ذلك يعانون من الاضطرابات الانفعالية.

وليس من شك أن **المريض بالفُصام** يتأثر أداؤه الجنسى تأثرا شديدا بالنظر إلى التغيرات الهرمونية أو الأيضية التى تترافق والمرض، والصلة التى للمرض بالصراعات قبل التناسلية التى لم يوفق إلى حلّها. والغالب أن الفصام يصيب المريض بالانحرافات فى

الوظيفة وفى الاستجابة، وذلك واضح من عزوف المرضى بالفصام عن الزواج وقلة خصوبة المتزوجين منهم، وذلك يعنى أن الاتصال الجنسى يكون شحيحا بين الأزواج، حيث أن المريض بالفصام يميل إلى أن تكون حياته بمعزل عن الآخرين، ولايحب الدخول فى علاقات حميمة. غير أنه قد يحدث كثيرا أن تكون للفصامى ممارسات جنسية إلا أنها ممارسات بعيدة عن المشاعر الرقيقة وليست صادرة عن محبة، وقد تخالطها اتجاهات مرضية منحرفة أو سادية. وتزيد **الأحلام الجنسية** عند النساء المريضات بالفصام، وتكون المرأة المريضة بالفصام وقحة غالبا فى أدائها للجنس، وتعبر عن نفسها بطرق سوقية. وتكون الرغبات الجنسية عند المرضى بالفصام من الرجال والنساء فى بداية المرض ملحة، غير أن تحقيقها يتم غالبا ممن خلال العادة السرية. والواقع أن المريض بالفصام تكون له مشاكله منذ الطفولة، وعادة ما تكون ممارسات السرقة والهروب من المدرسة والهروب من البيت إرهاصات تنبئ عن الميول الفصامية المتنامية عند الطفل. وتجزم كل الدراسات على المرضى بالفصام على أن حياتهم فى الطفولة كانت حياة تتسم بهذا السلوك اللااجتماعى أكثر من أنهم كانوا منسحبين أو ميالين إلى الخجل كأطفال. وهؤلاء الأطفال اللااجتماعيون هم الذين يكبرون ويعجزون عن أن تكون لهم ممارسات جنسية غيرية أو اهتمامات جنسية سوية.

وتتوالى الدراسات باستمرار على تأثير **الفصام** على الزواج، ويبدو أن الزوجة لاتستطيع احتمال المعاشرة الزوجية باطراد تنامى المرض عند الزوج، وغالبا ماتطلب الزوجة الطلاق، فى حين أن الأزواج لزوجات مريضات بالفصام غالبا مايحتملون زوجاتهم، ويذهب بعض العلماء إلى تفسير سلوك الزوج الذى يحتمل فظاظة سلوك زوجته بأنه ضحية قد ارتضى لنفسه هذا المصير willing victim. وكثيرا مايترافق الفصام عند كل من الزوجة أو الزوج المفصومين بأحلام مذائية جنسية. ويؤثر علاج الفصام على النواحى الجنسية عند الزوجين، ويتأثر انتصاب المريض بالأدوية التى يتعاطاها ويفشل فى القذف.

وأما تأثير **العُصاب** على الجنس فالواضح أن الصراعات التى تبدأ مع الطفولة والتى مع استمرارها يتولد العصاب، تحول بين الشخص وأن تكون له استجابات جنسية سوية وتنحرف باستجاباته أو تحول بينه وأن يعبر عن رغباته الجنسية ويحققها التحقيق السوى. ويصاب المريض **بعصاب القلق** بالعجز الجنسى، أو لاتكون ممارساته الجنسية مشبعة

للطرف الآخر، ولايؤدى الجنس بإقبال ورغبة. وعموما فإن **القلق والخوف والعدوانية** عناصر نفسية تتوارد باستمرار فى حالات الإصابة بالعجز الجنسى الثانوى. وتؤكد الدراسات على المصابات **بالبرود الجنسى** أن أغلبهن لديهن عامل **القلق**، وهناك صراعات نفسية عميقة يعانين منها. وفى حالات **تأخر القذف** تبين أن المرضى لهم نمط الشخصية الهذائية الوسواسية، وأن التأخر تعبير عن العدوانية تجاه النساء، وممارسة للتنافس مع الرجال، وكأن المريض يحاول أن يثبت أنه يبز غيره فى الرجولة، وفى نفس الوقت يؤذى المرأة شريكته فى الفعل الجنسى. وكذلك تبين أن سهولة إتيان البعض **للزنا** يصاحبه اضطرابات نفسية، وأن هناك صلة أكيدة بين البغاء والمشاعية الجنسية والاضطرابات العصابية. وتتأثر **البغايا** نتيجة عدم بلوغ الهزة، ونتيجة الوضع الجنسى خلال الجماع الذى تأتيه البغى باستمرار، وتكون هناك **أوجاع بالظهر** ولاتستطيع النوم، وتصاب بعصبية المزاج. وهذه الأعراض نفسها تصاب بها النساء اللاتى يمارسن الجنس دون بلوغ الهزة، وغالبا مايصبن بالاحتقانات فى منطقة الحوض. وكان **فرويد** يفسر هذه الإعراض بأنها نتيجة عُصاب القلق، ويرجعه فى حالات كثيرة لمارسات جنسية من أمثال الجماع غير الكامل أو الذى يضطر فيه الرجل إلى الإنزال خارج الفرج، أو الذى يهيج من جرائه أو تهيج به المرأة ولايكون هناك جماع على الحقيقة، أو عندما يمارس الرجل أو المرأة العفة، فذلك من شأنه أن يصيبهما بالعُصاب. وعموما تجمع كل الدراسات على الصلة بين السمات العصابية وبين الإصابة بالاضطراب فى السلوك الجنسى.

وأما **الاضطرابات الشخصية** وتأثيرها على الجنس فذاك أمر لم يُدرَس طويلا، وتناولته بعض الدراسات من بعض النواحى دون بعضها الآخر. وليس أكثر من **الشخصية الهستيرية** تأثراً من الناحية الجنسية. ويشكو أغلب المصابين **بالهستيريا التحولية** من مشاكل جنسية. وأكثر مايلاحظ على النساء المصابات بالهستيريا أنهن لايبدين اهتماما بالجنس، وإنه لأمر ذو بال أن يشكو زوج المرأة ذات الشخصية الهستيرية من أن زوجته إما باردة جنسيا وإما أنها مصابة بعسر الجماع أو أنها كثيرة القئ أثناء الحمل. ومن ناحية أخرى فإن الرجال من أصحاب الشخصية الهستيرية يؤثرون عند الزواج النساء الأكبر سنا، ويحدوهم فى ذلك أنهم يعرفون قدراتهم الجنسية المحدودة ولايحبون أن يتورطوا فى علاقات جنسية مع نساء أقل سنا أى أكثر رغبة فى الجنس. والرجل

الهستيرى غالبا مايكون له ماض إجرامى أو يكون من المدمنين للمخدرات أوالخمر. وكانت هناك تفسيرات للسلوك الهستيرى فى ضوء أن الهستيريا أصلا من الاضطرابات التى يلفت المريض بها الناس إلى نفسه، بأعراض منها أن تستخدم المرأة الجنس لتغرى وتتصيد الرجال، ولكنها لاتريد بذلك أن تمارس مع أى منهم الجنس على الحقيقة. والمرأة الهستيرية بها عزوف عن الجماع ولو مارسته لاتبلغ فيه الهزة غالبا. ويربط بعض العلماء بين السلوك الذى يتوسل بالجنس دون دافع جنسى إليه عند الإنسان وهذا السلوك نفسه عند الحيوان، فالملاحظ أنه فى الحيوانات يظهر بعضها تزلفا بالجنس ترضيا للطرف الآخر دون رغبة فيه. وفى إحدى الدراسات تبين أن أصحاب الشخصية الهستيرية كثيرا مايلجأون إلى الجنس ولكنهم فى معظم الأحوال مضطربون ويوصفون بالجُناح أو الانحراف أو الشذوذ، كأن يجربون الاغتصاب سلبا أو إيجابا، وتكون لهم تجارب جنسية غيرية قبل الزواج. والجُناح والمشاعية الجنسية والبغاء أكثر عند البنات والنساء الهستيريات أكثر منها عند الصبية والرجال. والملاحظ أن الشخصية الهستيرية أكثر بين النساء بينما الشخصية غير الاجتماعية أو المعادية للمجتمع أكثر بين الرجال. ومن ناحية أخرى فإن البنات المضطربات اجتماعيا، أكثر من الأولاد المضطربين اجمتاعيا بمعنى أن البنت عندما يبدأ سلوكها أن يتنكب العرف والآداب الاجتماعية فإنها تبكر فى ذلك عن الولد، وتتسم تصرفاتها بالعنف فى الشذوذ والمغالاة فى الانحراف. وعموما فإن أصحاب **الشخصية اللااجتماعية** هم غالبا من الممارسين والممارسات للمشاعية الجنسية أو الخُلطة، وكثيرا ما يصابون بالأمراض التناسلية، وقد يلتاطون. والنساء أكثر إتيانا للشذوذ الجنسى المثلِى، بمعنى أن صاحبة الشخصية اللااجتماعية قد تكون بها ميول أظهر لممارسة السحاق ومعاشرة النساء. وينتشر البغاء والاغتصاب والأمراض التناسلية بين صاحبات الشخصية اللااجتماعية، وأغلبهن صاحبات تجارب جنسية قبل الزواج، غير أنهن من ناحية أخرى مصابات بالبرود الجنسى وعُسر الجماع واللامبالاة الجنسية، وأغلبهن يعشن كزوجات كرها أو قسرا أو يطلبن الطلاق، والكثيرات منهن قد جربن الإجهاض أو أنجبن سفاحا أو اضطررن للزواج تحت ضغط الحمل سفاحا. ويلاحظ أن الجانحات من النساء أو صاحبات السوابق أكثرهن من بيئات منحرفة أو نشأت فى بيوت تجتاحها الخلافات الزوجية. وتتأثر البنات أكثر من الأولاد بهذه الخلافات ويتداعين تحت وطأتها، فإذا اختارت

البنت زوجا من بعد فإنها تختاره على سجيتها ومن بيئتها، ومن ثم يكون لها أولاد لهم نفس الاتجاهات.

ولقد كانت هناك دراسات كثيرة حول ارتباط الاضطرابات الجنسية بالشخصية اللااجتماعية، وقال بعض العلماء أن الكثير من مسائل الخروج على القانون مصدره الغيْرة، وأظهرت البحوث أن صاحب الشخصية اللااجتماعية غيور وشديد الغيرة ويؤدى به ذلك إلى الكثير من المصادمات مع القانون. وكانت هناك بحوث على تأثير النقص الهرمونى والعلاج بالهرمونات على مثل هذه الحالات.

ولاشك أن **الشخصية العدوانية السلبية** من بين أنماط الشخصية المضطربة التى يمكن أن تشكو من اضطرابات جنسية، غير أن البحوث فى ذلك قليلة، وينتشر الطلاق والزواج المتعدد بين أصحاب هذه الشخصية، والكثير منهم يعيشون حياة إباحية، وليس بينهم لوطى، ولاتشكو النساء البرود الجنسى، وليست بينهن انحرافات جنسية بخلاف هذه المشاعية قبل الزواج وأثناءه.

وهناك بخلاف ماسبق من أنماط اضطراب الشخصية فيما يتعلق بالنواحى الجنسية **النمط غير المتوازن عاطفيا**، ويعانى أصحاب هذا النمط، وخاصة النساء، من المشاكل الجنسية، وأكثر مايظهر ذلك فى الإباحية الجنسية، غير أن هذا النمط يقبل العلاج بالعقاقير، وذلك ما يميزه عن أنماط الاضطرابات الأخرى فى الشخصية التى لاتستجيب للعلاج بالعقاقير.

وقد تستحدث الاضطرابات الجنسية أنواع من المؤثرات الاجتماعية أو المؤثرات الفسيولوجية، فللبيئة والتربية والثقافة والضغوط الانفعالية وأنواع الأمراض التى يمكن أن يصاب بها الشخص، والتعلم والإشراط الاجتماعى ردود فعل نفسية تتأثر بها قدرات الشخص الجنسية وتجعله يستجيب لها استجابات خاصة عاطفية وجنسية، وقد تترسخ هذه الاستجابات معه وتصبح أنماطا لاستجابات مستقبلة.

ولاشك أن **الإفراط الجنسى** اضطراب يشكو منه البعض وإن لم تكن هناك دراسات مستفيضة فى هذا الشأن، برغم الأدب الوصفى الذى يكثر حول الغُلْمة الذكورية والنسوية. والغلمة فى الرجال كالغلمة فى النساء كلاهما إفراط فى الجماع، وقد يحسد البعض الغليم أو الغليمة على قدرته أو قدرتها الجنسية، إلا أن ذلك فيهما دليل اضطراب نفسى وليس

علامة صحة نفسية، وذلك لأن الغلمة تعنى ظمأ جنسيا لايرتوى أبدا ولايشبع، الأمر الذى يجعل الطرف الآخر فى الجماع يمل ويتأذى. والغليم أو الغليمة نرجسى الطبع ولايهمه الطرف الآخر، ويطلب لنفسه الإشباع الذى لايتحقق أبدا. والغلمة أكثر عند النساء منها عند الرجال، وقيل إن ترتيب **الغلمة النسوية** فى سلم المشاكل الجنسية التى تعانى منها النساء **هو الثامن عشر**، بينما يأتى ترتيب **الغلمة الذكورية** فى سلم المشاكل الجنسية التى يعانى منها الرجال **العشرين**.

وكثيرا مانعثر على نمط **الدون جوان** وهو زئر النساء الذى له قصص لاتنتهى مع النساء، وله ضحايا منهن، وهو دائب الإيقاع بهن مع أنه فى الحقيقة **عاجز جنسيا**، وسلوكه الجنسى لايعدو الغزو واستحداث الفضيحة. والكثير من المصابين بالهستيريا من نمط الدون جوان. وقيل إن الدافع إلى الدون جوانية صراعات أوديبية تحدو الرجل إلى أن يترضى النساء وخاصة كبار السن، وكأنه يستعيض بهن عن أمه التى لم يشبع من حبها وظل دون الارتواء، وظلت به من طفولته حاجات إلى المحبة تلح عليه وتجعله يطلبها لدى هذا النوع من النساء. وإذا تزوج الدون جوان وأنجب فإن بناته لايسلمن من معاكساته لهن، الأمر الذى يوقظ فيهن الأنوثة، ولكن لأنه بطبيعة الحال ينصرف عنهن من بعد إلى مغامراته فإنهن يصبن من ذلك بهستيريا القلق.

وتعالج أمثال هذه الحالات السابقة بهرمونات الأنوثة للتخفيف من غلواء الاتجاهات الجنسية عند الرجل الغليم أو الدون جوانى، إلا أنه بمجرد توقف العلاج يعود الحال إلى ماكان عليه من قبل.

وكانت هناك دراسات حول **الإباحية** عند النساء أكثر من الممارسات حولها عند الرجال، والمجتمعات قد تغفر للرجل الإباحى ولكنها لاتغفر للمرأة إباحيتها، وأيضا لأن الرجل لايتأثر بالإباحية تأثر المرأة فقد تحمل المرأة سفاحا وتتزايد باستمرار عمليات الإجهاض مع زيادة فرص الاختلاط بين الجنسين. وتعنى الإباحية أن تكون للرجل علاقات جنسية مع أى امرأة يقابلها ويجد منها استجابة، وكذلك تكون المرأة الإباحية امرأة لكل رجل يطلبها، ولايجد أى منهما تثريبا فيما يفعل. ويفسر علماء النفس هذا الضعف فى بناء الشخصية بأن **الأنا** عند أيهما غير ناضج، بحيث يستحيل على الإباحى أو الإباحية أن يحسن اختيار الشريك فى الجنس، أو أن يتحكم فى عواطفه وغرائزه، أو أن يضع نفسه فى الموضع الذى

يحترمها فيه، وهو لايشعر بالندم أو بالذنب لما يفعل ويعجز عن أن تكون له علاقات غرامية مستقرة، ولكنه دائم التنقل بحيث أنه بمجرد أن يتعرف إلى أية امرأة يحاول أن يستميلها للمضاجعة، وكذلك فإن الإباحية تفعل نفس الشئ دون أن يخالجها أى إحساس بأنها ترتكب سلوكا معيبا أو خاطئا.

وترتبط **الأمراض التناسلية** بالإباحية، والإصابة بها فى بلدان أوروبا بين النساء الإباحيات أكثر منها بين الرجال الإباحيين. وفى بلداننا العربية تكثر الإصابة بها بين الفتيان أكثر منها بين الفئات الأخرى، وعموما فإن الأمراض التناسلية تشيع بين الأوساط الفقيرة والأوساط العمالية وخاصة العمال غير المهرة، وهناك ارتباط وثيق بين الإصابة بالأمراض التناسلية والذكاء المتدنى وعدم النضج، وللمصابين بها مشاكل عاطفية وسلوكية عديدة من قبل وبعد الإصابة بها. وأغلب الذين يصابون بها يمارسون الجماع من سن مبكرة جدا (حوالى الخامسة عشرة) وأكثر المصابات بها من بين البغايا والساقطات.

وهناك علاقة فيما يبدو بين الإباحية وارتكاب الحرائق والسرقة والنشل وغير ذلك من الانحرافات السلوكية. ويقرن علماء النفس بين الميل القوى عند البعض إلى إضرام الحرائق كلما واجهتهم مشكلة وبين الميول الجنسية، وعندهم أن الجنس هو الدافع العميق نحو **إشعال الحرائق**.

وكانت هناك دراسات مستفيضة **للبغاء** من ناحية البغى نفسها والزبون الذى يأتيها. ويكاد يكون هناك إجماع على أن **زبون البغى** إنسان نشأ فى أسرة، السيطرة فيها للأم وليس للأب فيها إلا دور سلبى، وعندما عرف الابن الجنس لأول مرة عرفه عن طريق بغى، فيظل طوال حياته وإن تزوج لايضل طريقه إلى بيوت البغايا. وأما **البغاء** فهو مهنة للبنت العاطلة من المواهب بشكل عام، ولايحتاج اتقانها لعملها لمهارات خاصة، ويمكن تدريبها بسهولة. والبغاء تجارة لها المشرفون عليها والمستفيدون منها. والبغى عادة صغيرة السن، قليلة التعليم والدراية، وعلاقاتها بعائلتها واهية، والعائلة غالبا تكون منفرطة العقد، وهى لاتقبل على البغاء لأنها عن طريقه تشبع نهمها الجنسى بقدر ما تتخذه مهنة تتكسب من طريقها. وقيل أن البغى لاتلتذ بجماع زبائنها، وأنها باردة جنسيا وعاطفيا، وأن البغاء عند التحليل النهائى هو ضرب من السلوك العدائى الموجة لجنس الرجال بدافع شهوانى للانتقام منهم عن طريق الجنس الذى ينشده الرجال.

وليس البغاء وحده هو الذى يرتبط بالاضطرابات النفسية، فالواقع أن **العلاقات الجنسية المتعددة** التى يدخلها الرجال والنساء المتزوجون دليل اضطرابات انفعالية من نوع ما، وهناك دراسات كثيرة على هذا النوع من العلاقات وإن كان هدفه يختلف عن البغاء حيث يميز البغاء عن هذا الضرب من السلوك أن البغاء بقصد الكسب، ولذلك فإن العلاقات الجنسية غير المشروعة وإن بدت أنها ليست من البغاء إلا أن تحرّى مجرياتها يجزم بأن المرأة التى تعمل سكرتيرة مثلا، وترضى بأن تكون لها علاقة جنسية بمخدومها لأنه يزيد مرتبها أو يعطيها هدية من آن لآخر، أو يدعوها للعشاء فى مطعم فخم، هى فى الحقيقة بغى، وكذلك المرأة التى تسلّم نفسها لصاحب نفوذ بقصد خدمة يؤديها لها هى بغى بتعريف علماء الاجتماع والنفس للبغاء (Jensen: Contemporory Sexual Behaviour).



- ٣ -

الجنس والجنون Sex & Insanity

قد نسمع أن رجلا قتل عشرين امرأة على مدار سنتين، أو أن سبعة شبان اغتصبوا امرأة وابنتها البالغة ثمانى سنوات، أو أن مهندسا أطلق ثلاثاً وعشرين رصاصة على أمه فلا نتمالك أنفسنا ونعلق قائلين «مجنون أو مجانين». **والجنون** هو الخروج عن جادة العقل، ويعنينا منه مايتعلق بالجنس، ويؤثر العلماء إطلاق اسم **الجنون الأخلاقى** moral in- sanity أو **الخبل الأخلاقى** moral derangement **أو الجنون الجنسى الإجرامى** criminal sexual insanity على الأفعال اللااجتماعية التى تدرج أحيانا ضمن الانحرافات الجنسية، وأحيانا ضمن الجرائم الجنسية. وليس **سفّاح النساء**، أو **الغاصب** rapist، أو **مجامع الأولاد** الذى يغويهم ويعتدى عليهم جنسيا والذى يكرر هذا الفعل ويأتيه وكأنه مدفوع إليه دفعا، أو مقسور عليه، إلا مهووسا بالقتل أو الاغتصاب أو الاعتداء على الأولاد جنسيا. ويدّرج **الخبل الخلقى** هذا ضمن **الهوس الانفعالى** ويسمونه أيضا **الجنون الانفعالى** affective insanity. **والجنون الوجدانى أو العاطفى** emotionali·، واضطراباته تشمل انفعالات المريض وأخصها الانفعالات الجنسية. ونحن أحيانا نقول عن الحب يكون بين رجل يشغل منصبا وبغى ساقطة أنه جنون، وذلك

مثل الحب الذى تردّى فيه الراهب وتاييس البغى فى القصة الفرنسية المشهورة. وفى سن اليأس مثلا قد تنحرف انفعالات المرأة وتكون كانفعالات المجانين، أى أنها بلامنطق ومن المستحيل التنبؤ بما ستكون عليه هذه الانفعالات وتصرفاتها فى المواقف المختلفة، ويسمى ذلك **جنون سن اليأس** climacteric i.، كما يسمى هوس النكاح **جنون النكاح** أو جُنّة النكاح. وقد يترافق الجنون وانقطاع الطمث **جنون انقطاع الطمث** amenor-rhoeal i. ويقال له أيضا **الجنون الرحمى** uterine i.، وتزول أعراض هذا الجنون إذا عادت المرأة إلى الحيض، وقد يكون الجنون الرحمى حالة تهيج فى الرحم الذى يطلب النكاح والمقصود بها الغُلمة النسوية. **والجنون المبيضى** ovarian i. ويسمونه **جنون العانس** old maid's i.، وقيل أنه يصيب العوانس إذا انقطع الحيض وتوقف المبيضان عن التبويض. **والجنون التناسلى** reproduction i. اضطراب عقلى تصاب به نسبة ضئيلة من النساء لديهن الاستعداد له الذى تظهره اضطرابات الحمل أو الإرضاع أو حمى النفاس أو تعسر الوضع أو الاضطرابات النفسيه، كأن يكون الحمل غير شرعى. ومنه **الجنون الحملى** pregnancy i.، وتظهر أعراضه خلال فترة الحمل وتزول بزوال الحمل، **والجنون النفاسى** puerperal i. ويتلو الوضع، **والجنون الرضاعى** lactational i.، وقد نطلق على النوعين الأخيرين معا **الجنون بعد الولادى** in-sania post partum وهو نفسه الذُهان بعد الولادى، وأعراضه ضعف الذاكرة والهذيان والأرق والخلط والأخيلة والمخاوف ورفض الطعام، وقد تصحبه أعراض كالهوس مع ميول عدوانية نحو الزوج والطفل، وقد تقتل الأم طفلها، وهو ماتناوله بحذق شديد **الدكتور يوسف أدريس فى قصته** عن عمال التراحيل. **وجنون المراهقة** adolescent i. وكذلك **جنون البلوغ** pubescent i. يترافقان واضطرابات البلوغ. **وجنون الاستمناء** masturbational i. قيل ينشأ من إدمان العادة السرية وحالة النهك التى تصاحب الإدمان.

والجنون القمرى lunacy ويقال له **القِمر** بكسر القاف، والهلّة أيضا، هو ضرب من الهوس يكون بالنساء خصوصا ويتوافق واكتمال القمر بدراً أو بزوغ الهلال. والقَمِر بفتح القاف وكسر الميم lunatic هو المجنون جنونا قمريا. وكان المظنون قديما أن للقمر تأثيرات على حيض المرأة وعلى شهوتها، ويبدع **الكاتب لورنس** فى قصصه **الثلاثية** التى

منها «**النساء عندما يحببن** Women in love» فى تصوير علاقة القمر والشبق النسوى، ويذهب الكثيرون مثله إلى أن للقمر تأثيرات على العواطف قبضا وبسطا كتأثيراته على حركة المد والجزر. وقيل إن للقمر تأثيرات على بعض العقول، وأنه فى المد القمرى تنجذب هذه العقول وتختل عند أول ظهور القمر وعند اكتماله، والمجنون الذى يتأثر بالقمر يسمى **مجنونيا**، وثبت فى الطب النفسى الحديث أن للقمر هذا المفعول، وأن **هوس قتل النساء** يكون ببعض الذكور أو ببعض النساء حيث تزيد جرائم الجنسين مع اكتمال القمر، أو مع بزوغ الهلال، أو أن هذه الجرائم تزيد خلال الأربع والعشرين ساعة قبل وبعد بزوغ الهلال (Lieber et al: Homicides and the Lunar Cycle). ويقال لنوبة الهوس تهل مع هلة القمر أنها **جُنّة قمرية أو قمرة** lune، وقد يقال للجنون القمرى أنه **الداء القمرى** lunatismus أو lunatism ونقصد به هذا الجنون الذى تختلف أحواله مع الدورة القمرية، أو يقصدون به **تجوال النائم** الذى لايكون إلا فى الليالى القمرية، فمثلا هذه كحالة سُفاح كانت رغبته كالسُعار لقتل النساء كلما بزغ القمر هلالا. ولقد رصد أحد العلماء جرائم قتل النساء للرجال للخيانة الزوجية، وغيرها فكانت فى أول الشهور القمرية أو نحوها. وكانت هناك حالات قتل جماعية فى أمريكا منذ عهد قريب ارتكبتها جماعة تتبع مجنون اسمه **مانسون**، حتى أنه فى هذا **الجنون الجنسى الجماعى** قتل نحو ثمانين فتاة وشاب.

وقد يطلقون على ذلك اسم **الجنون الضارى** agriothymia وهو سُعار للقتل حتى أن المسعور أو المجنون لايكتفى بقتل المرأة مثلا بل يمثل بها أيضا، ومنه **جنون القتل** homocidomania الذى صوّرته رواية «**الغريب**» **لكامى** خير تصوير. والمجنون بالقتل لايفعل ذلك لأسباب عضوية ولكن لأسباب نفسية محضة أو بالأحرى اضطرابات نفسية، فعندما يضبط الزوج زوجته فى السرير مع عشيقها ويطلق عليهما الاثنين النار فإننا نقول إن ذلك **جنون اندفاعى** impulsive i. أو **جنون نفسى** psychic i.، ويقول عنه **يونج** إنه **جنون الأسوياء** normal i.، وقانونيا يقولون أن له مايبرره باعتبار العرف والتقاليد فى مسائل الشرف، غير أنه من الناحية النفسية نقول إن الشعور تتوقف سيطرته على الإرادة والتفكير ويبرز اللاشعور فى هذه اللحظات، والقتل فى هذه الحالة لاشعورى وبدائى، والغضب الذى يتملك الزوج والغيْرة والكراهية كلها تقلب موازين العلاقة بين الأنا

واللاشعور، وفى لحظات تكون هناك أفكار ومشاعر تتملك الزوج لم تكن له من قبل ولايستطيع لها دفعا، حتى أن العالم الكبير **يونج** يقول إننا نستطيع أن نقول إن أعراضها أعراض الذُهان، ويمكن أن تُعدى الآخرين، وأماحالات القتل الجنسى التى تكون بتأثير ذُهان الشيخوخة مثلا فهذه ليست من القتل النفسى ولاتدرج ضمن جرائم الجنون النفسى، كحالة قسيس أمريكى طاعن فى السن، وكان سويا ومعروفا عنه الورع والخدمة الاجتماعية، ثم مرض بالسرطان وخاف على زوجته الطاعنة فى السن أيضا من بعده فقتلها وقتل نفسه. ومن ذلك أيضا **جنون الزمالة أو المعاشرة** communicated i. ويشترط له أن يكون بين زوج وزوجة مثلا، أو بين أب وابنته، أو أم وابنها، أو أخ وأخته يتساكنان، وأحدهما مجنون حقيقى أو أصيل فيقلده الآخر أو يستوحى منه الجنون، ولنلاحظ أن الجنس أيضا يلعب دورا فى إصابة أيهما بالجنون فلابد أن يكون الطرف الثانى من الجنس المغاير، وإذا باعدنا بينهما تزول الأعراض عند هذا الثانى، ويطلق عليه أحيانا اسم **جنون الاثنين** folie á deux **أو الجنون المزدوج** double i. **أو الجنون التبادلى** reciprocal i.، وقد يكون بين أكثر من اثنين فيكون **الجنون الجماعى** col-lective i. الذى تحدثنا عنه. ونحن نلحظ أن الزوجين بعد فترة وإن كانا من الأسوياء إلا أن أحدهما يتأثر بالآخر وتكون له مساوئه وحسناته ويكره ويحب كما يحب الثانى، وهو ضرب من جنون الاثنين. ويتم التأثير إذا كان هناك نوع من الثبات والاستقرار فى تفكير وانفعالات الطرف المؤثر، وإنما قد يحدث أن تكون أفكار وعواطف أحدهما دورية، حتى أن أفكاره وعواطفه التى تخص الطرف الثانى تكون أيضا دورية، فهو مرة المقبل على زوجته مثلا، أو أنها مرة تبدى له المحبة، ومرة تنفر منه وتظهر الكراهية، أو مرة تستغضبه ومرة تعتذر له. **والجنون الدورى** cyclic i. من هذا النوع يجعل الشخص مخفق مع زوجته، وتوصف شخصيته بأنها فُصامية، ولايمكن أن تتأثر به الزوجة.



- ٤ -

الجنس والجراحة Sex & Surgery

قد يضطر البعض أحيانا إلى إجراء عمليات جراحية قد يكون لها مردود سئ على القدرة الجنسية، والكثير من هذه العمليات الجراحية يتناول النواحى البولية، وقد يضطر

الجراح إلى التعرض لمناطق قد يسئ التعرض لها إلى الوظيفة الجنسية. وقد تؤثر العملية الجراحية فى نفسية المريض بحيث تؤذيه فى تصوره لكفاءته، أو تؤذيه من حيث تصوره لاحترام الناس له نتيجة إجرائها. والناس عموما قد يذهب تفكيرهم إلى أشياء من ذلك، والمريض يعرف مايذهب إليه تفكير الناس لأنه واحد منهم، وكان من الممكن أن يفكر تفكيرهم بالنسبة لآخرين فى مثل حالته. وعندما يُؤذَى الشخص نفسيا أو بدنيا فالمنتظر أن تتبادل النفس والجسم التأثير، فالحالة النفسية قد تؤثر على الحالة الجسمية، وبالعكس. ولربما يتخيل المريض أن زوجته لايمكن أن تُقبل عليه بعد أن آل أمره بعد العملية الجراحية إلى ما آل إليه، ومن ثم يعاف هو نفسه الجنس تلقائيا، فمثلا قد يصاب أحدنا بما يجعله عاجزا عن التحكم فى تبوله، وقد يجعله ذلك يستشعر أنه غير مرغوب فيه من زوجته، وقد يتصور أنها ووضعه على ماهو عليه لايمكن إلا أن تشمئز منه، ومن ثم يمتنع عن إتيانها وينتهى به الأمر أن يندر انتصابه إن لم يتوقف بالمرة. وتزداد الأمور تعقيدا فى الحالات الجراحية التى لابد فيها من أخذ رأى الزوجة أو موافقتها، وعندئذ قد تنتاب أيهما المخاوف والقلق والشكوك، وقد يشعران بالذنب، وقد يجرّم أحدهما الآخر ويحمّله التبعة أو المسئولية، وقد تدب بينهما من بعد الخلافات وتكون الكراهية.

وقد يسهل على الطبيب فى أول الأمر إقناع المريض بالعملية إذا كان عدم إجرائها فيه مايهدد حياته، ولكنه من بعد إجرائها قد يتعرض لمساءلات من المريض برفع قضايا تعويض عليه. ولايمكن بالطبع أن يجرى الطبيب جراحة لمريض يعقبها أن يصاب المريض بالعجز الجنسى إلا إذا كان هناك سبب ضرورى يدعوه إلى إجرائها. ولربما لا يشرح الطبيب للمريض أسباب إجراء العملية بالنظر إلى المردود السئ الذى قد يحدثه شرحه لهذه الأسباب، وعندئذ قد يظل المريض يتهم الطبيب بالتسبب فى إصابته بحالة العجز الجنسى التى هو عليها نتيجة جهله لأسبابها.

ولعل أولى العمليات التى لها مردود سئ على الحالة النفسية والجنسية للمريض هى **عملية التعقيم** ومثيلتها **عملية التخصية**، ولأيهما تأثيرات تختلف باختلاف سن المريض، فإذا حدث لسبب ما أن استئصلت الخصيتان **قبل سن البلوغ** فإن الأندروجين الذى تفرزه الخصيتان ويحرم منه المريض قد يجعل نموه يضطرب، فتطول عظامه مثلا وتكون له سحنة الخصيان، ويصغر قضيبه جدا وذلك يصيبه بالقلق الشديد كلما طالع عورته، فإذا عالجنا

هذا الشخص بالأندروجين بما يعوضه عما فقده منه نتيجة فقده لخصيتيه، فإنه قد يصبح شخصا عاديا وتكون له المواصفات الخارجية التي للذكور عادة، ويستطيع أن ينتصب ويمارس الجماع بشكل عادى. وأما إذا اضطر لإجراء استئصال للخصيتين **بعد سن البلوغ** فإن استئصالهما لن يؤثر على ماصار له من سمات الذكورة قبل استئصالهما، وكذلك فإنه يستطيع أن يجامع بشكل عادى بالنظر إلى أن الأندروجين الكظرى عنده لا يكفيه، إلا أنه لا ينجب. فإذا كان الاستئصال **فى سن متأخرة** بعد أن يكون الشخص قد تزوج وأنجب أو تجاوز السن التى يقلق فيها على الإنجاب، فإن فقده القدرة على الإنجاب لن يقلقه أو يزعجه. وهناك حالات لابد فيها من الاستئصال مثل **الأورام الخبيثة فى الخصيتين**، وحتى استخدام الإستروجين بهدف التخصية له الأثر النفسى الذى للتخصية الجراحية. وتتم **التخصية** عادة بربط الوعاء والحبل المنويين والبتر أسفلهما. والأفضل أن يبين الجراح للمريض أنه سيقطع الجزء المفرز للهرمون والبصلة الداخلية مع ترك الغشاء الأبيض والبربخ وقناة المنى فى الصفن كبديل، بحيث تبدو الخصية من بعد العملية كما لو كانت قد ضمرت بعض الشئ. والمفروض أن يصاب المريض الذى يخُصَى **بالاكتئاب** الشديد بعد العملية، واكتئابه ربما يعود إلى انحسار الإفراز الهرمونى، أو لأنه يعرف خطورة مرضه، أو ربما لإدراكه أنه لن يستطيع من بعد أن ينجب، أو قد يتحسّب مقدما مايمكن أن يلحقه من عجز جنسى نتيجة العملية، أو ربما لكل ماسبق. ويحدث عكس ذلك تماما عندما يعالج المريض بالأندروجين أو بالمنشطات المنسلية فإن نهمه الجنسى يزداد ويكون جماعه مشبعا جدا للطرفين، إلا أنه فى نهاية العلاج يصاب بالاكتئاب، ويشعر بضعفه عضليا وتهافته حركيا وعجزه عن الممارسة الجنسية. وتزول كل هذه الأعراض فى خلال **شهرين** إذا عادت الخصيتان لنشاطهما السابق. وتطول المدة أكثر بالنسبة للمرضى المصابين بقلة المنى حتى يعودوا لسابق إخصابهم قبل العلاج، وقد يحدث أن يزيد المنى أحيانا.

والربط وسيلة قد يلجأ إليها البعض أحيانا إذا تبينوا أنه لافائدة من استخدام أقراص منع الحمل أو العجلة أو الكبوت، إلا أنها وسيلة يرفضها المسلم والعربى بخاصة، وقد تروج فى مجتمعات كما فى الهند، ولابد أن يعرف الرجل والمرأة مقدما أنه بمجرد إجراء العملية فلن يكون باستطاعتهما الإنجاب من بعد، وقد تتحسن كفاءة الأداء الجنسى للرجل بعد

العملية إذا كان خوفه من الإنجاب أو خوف الزوجين معا يؤثر على هذا الأداء أو استقبال المرأة له، وأما ماسوى ذلك من مشاكل فإنها تستمر بعد العملية كما كانت قبلها. وقد يصاب الرجل بالتفمم إلا أن ذلك نادر. وقد يترتب على إدراكه أنه لن يستطيع أن ينجب، أو أن سنوات الإنجاب قد ولّت ولن تعود، أن يصاب بالاكتئاب بما يشبه اكتئاب المرأة عندما تبلغ سن اليأس وينقطع حيضها.

ومن العمليات الجراحية ماقد يؤدى إلى الإصابة بالعجز عن القذف، ومنها **استئصال البروستاتا** عن طريق المبال أو من فوق العانة أو خلفها. وقد تؤدى العمليات الجراحية التى تتناول جدار المثانة الخلفى إلى تأخير القذف وربما إلى غيابه. ولايحس المريض بتأخير القذف بأحاسيس الطور المبالى من أطوار الإنعاظ. وإذا قطع السمبتاوى فقد تتلف العقدة السمبتاوية القطنية الرابعة ويفقد المريض القدرة على القذف. ولايمكن تقدير الأثر النفسى لذلك عليه، وكثيرا مايعنف سلوك المريض ويبدى الكراهية للطبيب وينتهى به الأمر إلى الشعور بالمرارة والاكتئاب الشديدين.

وكثيرا مايؤدى استئصال البروستاتا من أصلها أو الاستئصال العجانى لها إلى الإصابة بالعجز الجنسى، وفى حالات أخرى إلى فقدان القدرة على التحكم فى البول أيضا، بسبب ما قد يحدث للأعصاب العجانية وفروعها من تلف، ويقابل المريض هذه النتيجة بالعنف، ويرفض الإذعان لها، وتصاب معنوياته بالانحطاط الشديد. وبالمثل فإن أى تلف قد يلحق الأعصاب العجانية فى المرأة نتيجة أى عملية جراحية قد يؤدى إلى فقدان حساسية الفرج، ولربما يتعذر على المرأة أن تدّرب نفسها على الإحساس الجنسى بأى عضو آخر أو منطقة جنسية أخرى بخلاف بظرها. وقد يصاب بعض الرجال بالسرطان فى القضيب، وفى هذه الحالة لابد من استئصاله، ولايقبل الرجل ذلك إلا بعد لأى، ولايعترف من بعد فى تصرفاته بوضعه الجديد، وحتى الجنود الذين قد يصابون فى الحرب نتيجة إصابة مباشرة فى المنطقة الجنسية تستأصل القضيب، أو تضطر الطبيب إلى استئصاله والخصيتين، فإن الكثيرين منهم قد يلجأون إلى الانتحار من بعد. وعلى العكس فإن الخنيث الذى له قضيب وثديان وله اتجاهات أنثوية قد يسعى سعيا حثيثا ليتخلص بالجراحة من قضيبه وليتحول إلى أنثى بشكل خالص.

وقد يشكو بعض المرضى من النعوظ المستمر نتيجة لمرض فى الدم كثيرا مايكون

الأنيميا المنجلية، وقد لايعالج المريض، مما يتسبب عنده فى تليّف القضيب واستحداث ألم به، وقد يعالج بعمل موصل للوريد الصافن إلى الجسم المتكهف، وقد يترتب على ذلك أن يفقد المريض القدرة على الانتصاب إلا إذا مارس الضغط على التوصيلة، ويمكن ذلك خلال الجماع وقبله.

ويبدو أن تأثير العمليات الجراحية **فى البطن أو الصدر** بحيث يترك مكانا فاغرا قد يكون له أثره أيضا على المريض من بعد، من حيث خجله من التعرى أمام زوجته، أو خجل الزوجة من زوجها. ولقد يضطر أحد الزوجين إلى إجراء جراحات من شأنها **تفويه القولون** وذلك قد يضر بالأعصاب العجانية والضفيرة حول المثانة، الأمر الذى قد يترتب عليه اضطراب الإنعاظ عند الرجل والمرأة، واضطراب القدرة الجنسية عند الرجل. ولربما تجرى فتحات فى مجرى البول أو تجرى فى المعى اللفائفى من شأنها أن تنز باستمرار، وتحتاج باستمرار إلى وسيلة تجميع للسوائل الخارجة منها، وذلك يجعل الاتصال الجنسى بين الزوجين شيئا متعبا ومقززا أحيانا. وثبت أن المرضى الذين تجرى لهم أمثال عمليات **تفويه القولون** colostomy أو **التفويه اللفائفى** ileostomy يتحولون إلى أناس عاطفيين ينصرف اهتمامهم إلى أنفسهم باعتبار العناية المستمرة التى تتطلبها تلك الفتحات فى أجسامهم، ومن المستحيل أن نتوقع منهم أى عطاء من الحب للآخرين.

وكذلك فإن المرضى **بأمراض الكلية** قد يترافق ويفقدون قدراتهم الجنسية. ولوحظ أن الذين تستبدل لهم كلياتهم لايشعرون بذواتهم بعد العملية ومع فقد القدرة الجنسية تماما، ولربما يكون فقد القدرة الجنسية بمثابة السلب لهم لكل طاقة. وتختلف النساء فى ذلك عن الرجال، وتفقد المرأة بعض الشئ استجابتها الجنسية.

والنساء عموما أحرص على النواحى الجنسية من الرجال فيما يخص العمليات الجراحية التى يمكن أن تجرى على أجهزتهن التناسلية، وذلك لأن جهاز المرأة التناسلى داخلى على عكس الرجل، ومن ثم يكون ذلك أدعى لأن تتصور المرأة أشياء عن صحتها الجنسية وقدرتها على الإنجاب لايتصورها الرجل عن نفسه، غير أن مخاوف الرجل فيما يخص قدرته الجنسية ربما تكون أكبر من مخاوف المرأة، ولعل الرجل يتميز بما يسمى **قلق الخصاء**، ولكن تصورات المرأة أو تهيؤاتها من بعد العمليات الجراحية أو بسبب الأوجاع النسائية الداخلية قد يكون لها مردود نفسى يجعلها تشعر بالقلق المضاعف أو تشعر

بالذنب، ويمكن أن يجعلها ذلك تكتئب نتيجة المشاعر التى تحتدم بها حول كفاءتها كزوجة وأم والإحساس بالنقص، ومن ثم فقد يختلف سلوكها من بعد **العمليات الجراحية النسائية** اختلافا كبيرا نتيجة اختلاف تفكيرها واتجاهاتها، ومن تلك العمليات ربط البوق، والكى بالتنظير البطنى، واستئصال المبيض، واستئصال الرحم.

ويختلف رد فعل **عمليات التعقيم** باختلاف ثقافة المرأة وحاجتها إلى التعقيم، وليس ثمة استجابات سلبية لدى النساء اللاتى يطلبن هذه العملية، إلا ما يظهر نادرا من قلق واكتئاب ومظاهر ذُهانية عند القليل منهن، غير أن النساء اللاتى يُنصح لهن بعملية التعقيم ربما لمرض بالقلب أو بالكليتين، فإن الكثيرات منهن تظهر عليهن فورا أعراض القلق والشعور بالذنب والاكتئاب والذُهان. وقد يؤدى الاكتئاب عند البعض إلى الانتحار أو محاولة الانتحار. وعموما فإن رد الفعل يكون عنيفا عند النساء اللاتى ينتمين إلى ثقافات دينية وبيئات محافظة ينشأن فيها على حب الإنجاب وتقديس دور المرأة كأم. وتلوم المرأة نفسها بعد العملية، ويتوجه غضبها فى أول الأمر إلى نفسها ثم إلى المحيطين بها والطبيب، ومن بعد تبرر موافقتهم على إجراء العملية بأنهم يريدون مصلحتها فتلوم نفسها على لومها لهم، ومن الواجب لذلك **تبصير المريضة** قبل العملية وعقد عدة لقاءات معها.

والمرأة التى **يستأصل مبيضاها** قد تشعر أنها انتهت كامرأة، اعتقادا منها بأن المبيضان هما ورشة الأنوثة فيها، وأن امتناع إفراز الإستروجين سيسرع بها إلى الشيخوخة ويسلبها أنوثتها، وهو شئ به بعض الواقع، إلا أنه من الممكن أن تتعاطى الإستروجين كبديل، ومن الممكن أن يجعلها ذلك تشعر بأنها أصغر سنا وأن يستمر هذا الشعور معها لعمر أطول من المرأة الطبيعية التى قد تأتيها الشيخوخة فى نحو هذه السن أو قبل ذلك بكثير.

وتتزايد **عمليات استئصال الرحم** لأسباب عديدة من أهمها الإصابة بالسرطان، ولهذه العمليات آثار نفسية كبيرة، وكان الإغريق قد لاحظوا من قديم الزمان الصلة بين الرحم والانفعالات الأنثوية، وأطلقوا على الرحم هذا الاسم hysterus، ومنه اشتق اسم **الهستيريا**. والرحم فى اللغة العربية منه الرحمة، وهو لذلك مناط أرق العواطف وأنبلها. واعتبر **فرويد** الرحم رمزا للأنوثة ونبه إلى الاضطرابات الهستيرية التى تنتاب النساء من جرّاء استئصال الرحم. ولقد لاحظ الأطباء أن النساء اللاتى تُستَأصل أرحامهن تأتيهن

نوبات من الشعور بالذنب ويبررن ذلك برد مصابهن إلى الله باعتباره عقابا منه تعالى على أفعال جنسية ارتكبنها أو على انخراطهن فى الشهوات. ويذهب الكثير من أطباء أمراض النساء إلى أن الرحم فى حقيقته ليس سوى عضو لاستقبال الجنين ونموه، وأنه إذا قررت المرأة أن لاتحمل من بعد فإن الرحم يصبح عضوا عاطلا، ويظل يدمى كل دورة حيضية حتى سن اليأس، ويحمل فى إمكانياته دائما الإصابة بالسرطان، وينصحون لذلك باستئصاله بمجرد أن لاتصبح لدى المرأة الرغبة فى الحمل والإنجاب.

ويتفاوت شعور المرأة بعد عملية استئصال الرحم بحسب ثقافتها وموقفها من قضية الحمل والإنجاب، وظروف حياتها، ومايعنيه الرحم بالنسبة لها، ومايمكن أن تكون عليه تصوراتها لأعضائها الجنسية قبل العملية وبعد العملية. ولقد تسنى للبعض أن يقارن بين الأحوال والظروف النفسية والاجتماعية للنساء اللاتى يجرين عمليات استئصال الرحم، وغيرهن من النساء اللاتى يجرين عمليات جراحية أخرى غير نسائية، وتبين أن الغالبية من اللاتى تُستَأصل أرحامهن كن عوانس، أو مات أزواجهن من زمن بعيد، أو طلقن لسنوات خلت. وأيضا تبين أن هناك صلة بين الحاجة لاستئصال الرحم وبين الإصابة باضطرابات نفسية أو عقلية متوارثة فى الأسرة، وأن النساء اللاتى تُستأصل أرحامهن يصبن باكتئاب بعد العملية أكثر من النساء اللاتى تجرى لهن عمليات جراحية غير نسائية. وأيضا تبين أن نحو العُشر من النساء اللاتى تُستأصل أرحامهن يصبن باضطرابات نفسية بعد العملية يحتجن معها إلى الإدخال إلى المستشفى. ويبدو أن هذه الاضطرابات يتعرض لها أكثر النساء اللاتى لم يشعرن بمعنى للزواج، وفشلن أن يوجدن له معنى أو رسالة، والنساء اللاتى لهن تاريخ مرضى نفسى من قبل. ويبدو أن لاستئصال الرحم تأثيرا ضارا أيضا على زوج المرأة. ويصاب الرجل فى الكثير من الحالات بالعُنّة النسبية، بمعنى أنه لاينتصب مع امرأته، وربما يعافها ولكنه ينتصب مع غيرها من النساء. ومن الممكن أن يصاب الرجل باضطرابات نفسية، ومن ذلك أن يكون غضوبا وعصبيا، وأن يتحول إلى إنسان معاند لزوجه، وقد يهينها ويصفها بأنها نصف امرأة، وقد ينصرف إلى الإكثار من الزنا، وربما تنتابه لذلك حالات اكتئاب قد يحاول معها الانتحار. ولقد أمكن أيضا دراسة تأثير العملية بعد إجرائها مباشرة مقارنة بتأثير عمليات أخرى غير نسائية بعد إجرائها مباشرة، وكانت النساء فى عملية استئصال الرحم يفقن من التخدير وهن يتنفسن تنفسا غير طبيعى

ويتنهدن ويبكين ويتأوهن وقد لايستطعن الحركة، حتى أن المرأة تعجز عن فتح عينيها. وكانت النساء اللاتى يرغبن فى الإنجاب أو اللاتى يجعلن منه رسالة، أشد النساء تأثرا بعد العملية. وأيضا فلقد تسنى دراسة النساء اللاتى يستأصلن الرحم وتبين أن الأغلبية العظمى كن من المتخلفات دراسيا أو اللاتى تركن المدرسة فى سن مبكرة.

وتتفاوت تصورات النساء **لعمليات التوسيع والتكحيت**، وهى عمليات يقصد بها تحسين ظروف المرأة من أجل الحمل، والبعض قد يرى أن عملية التوسيع أو التكحيت كانت لمصلحتها، والبعض يرى أن جهازها التناسلى قد امتُهن وأنها اعتُدى عليها، والبعض قد تخلصه العملية من الشعور بالذنب من عدم الإنجاب أو تخلصه من مشاعر بالنقص، فإذا لم تحمل المرأة من بعد فإنها تغضب وتتوجه باللوم للطبيب، وذلك نتيجة إحساسها بأن أملها فى الحمل قد خاب، وأنها قد تعرضت للعبث باعضائها التناسلية للافائدة.

وقد تشعر المرأة بالذنب والغضب نتيجة الإجهاض التلقائى، ولكنها إذا كانت متوازنة نفسيا فقد تجرى عملية التكحيت من بعد بنية تخليص نفسها من أية أعراض أخرى نتيجة الإجهاض بنفس راضية، وإذا لم تكن متوازنة نفسيا فإنها قد تصاب بالاكتئاب إذا كان الإجهاض فى الشهور الثلاثة الأولى، فإذا حدث الإجهاض وقبل نهاية الحمل فإن غضبها يزداد لاعتقادها بأنها كان من الممكن أن تلد، وقد تشعر بالذنب وتنتابها الهواجس وقد تقع ضحية نوبات هستيرية ويصيبها الاكتئاب الشديد، وخاصة إذا كانت المرأة تحب أن يكون لها ولد بسبب ظروفها العائلية.

وتتزايد **عمليات خياطة المهبل والعجان** بالنسبة للنساء فى منتصف العمر، ولها نتائج إيجابية كثيرة، غير أن البعض قد يكتئبن بسبب خيبة تصوراتهن وتوقعاتهن، وقد تحسب المرأة أن شهوتها الجنسية أو إحساسها بالجماع سيزيد بالعملية ولكنها إذ تجد أن ذلك لم يتحقق فقد تصاب بالإحباط.

وقد يحدث كثيرا أن تجرى **عمليات سد المهبل colpocleisis** للنساء كبار السن عندما يكون هناك سقوط فى الجدار الأمامى للمهبل والفتق المثانى أو الفتق فى المستقيم أو التدلى فى الرحم. وقد يغضب سد المهبل المرأة رغم كبر سنها وذلك لأنها تريد الاستمرار فى ممارسة الجماع، ورغم كبرها فإنها ماتزال تستمتع بالجماع، والقليل من الناس من يعرفون أن الكثيرات من النساء من كبار السن تكون لديهن القدرة على الجماع والاستمتاع به إلى سن متأخرة، ولذلك ينبغى قبل إجراء العملية إعداد المرأة نفسيا وعقليا ومراعاة أحوالها الجنسية والعائلية.

وأيضا فإن بعض النساء يولدن بدون مهبل أو مهبل صغير جدا، وتجرى لأمثالهن **عمليات لاستحداث** المهبل قد تكلل بالنجاح جراحيا، إلا أن النجاح الأخير لها يتطلب معاونة من المرأة نفسها، وذلك أن ردود الفعل عند المرأة قد تفسد العملية، فقد تزيد لديها المخاوف من الفشل ويستبد بها القلق الشديد، فإذا أمكن التغلب على هذه المخاوف وعلى القلق واستطاعات المرأة أن تستخدم المهبل الجديد الاستخدام الأمثل فإن النتائج ستكون حتما فى صالحها.

وقد تنفر بعض النساء من **عمليات شق فوهة الفرج episiotomy** لتسهيل خروج رأس الجنين فى حالات الولادة، لاختصار المرحلة الثانية من الولادة ولتلافى تمزق اللفائف داخل الحوض، الأمر الذى قد يترتب عليه فتق المستقيم. وهذه العملية نفسها قد يرفضها بعض الأطباء وإن كانت المدرسة الأمريكية تنصح بها لظروف خاصة بطبائع النساء فى تلك البلاد. وتسبب العملية للمرأة بعد الولادة إزعاج، ولاتتبين المبررات التى دعت الطبيب لإجرائها، ولذلك فإنها قد تستجيب بالغضب حالما تعلم بعد الولادة أنها قد شُقّت فى الفرج. ولاتحبذ بعض النساء **الولادة بالجفت**، وقد تظن أن الجفت يضرها ويضر وليدها، وقد تحسب أن لجوء الطبيب للجفت لقصور فيها كامرأة، ويجعلها ذلك أقل إحساسا بقيمتها كأنثى وزوجة وأم، وقد تنتابها لهذه الأسباب نوبات اكتئاب بعد الولادة لاتدرى ظروفها. وكذلك قد تصاب المرأة التى تلد **بالقيصرية** بالاكتئاب لنفس الأسباب، وقد ينشأ لديها الخوف من الحمل مستقبلا ومن الجماع، اعتقادا منها أنها لن تلد فى كل مرة إلا بالقيصرية.

وقد تضطر بعض النساء إلى إجراء **جراحات عميقة فى الحوض بسبب السرطان**، وليس هناك أبلغ تدميرا من هذه العمليات إذ أن المرأة بعدها لاتتبرز أو تتبول بشكل عادى، وتحتاج إلى وسائل خاصة، الأمر الذى يصيبها بالاكتئاب الشديد ويحطم كبرياءها ويقلل من احترامها لنفسها، وتتكون لديها تصورات خاصة عن احترام الناس لها، ولو خيرت المرأة بين الحياة والموت فإن البعض قد يتمنى الموت. وقد تتحايل بعض النساء فى حالة استئصال المهبل فتكون لهن الطرق الجنسية البديلة للإشباع، والبعض قد يستمر فى الحياة من بعد هذه العمليات الحوضية لوجود دوافع أخرى للاستمرار فى البقاء، إلا أن الغالبية تصاب بالاكتئاب الشديد.

والعمليات الجراحية في الأعضاء التناسلية للمرأة تصيبها عموما بعواقب نفسية، تتوقف على تصورات المرأة لمترتبات العملية، ومدى تقديرها لتلك الأعضاء، واعتباراتها لدورها كأنثى وزوجة. وقد تكون هناك مشاعر ذنب قوية، ومخاوف تكبر معها وقد تصبح مرضية، وقلق من النوع الذى يتحول إلى قلق عُصابى وقد يستبد بالمرأة لدرجة أن تصاب منه بأعراض ذُهانية. ومن الواجب أن تكون هناك قبل هذه العمليات لقاءات إعداد نفسى لها، وكذلك ينبغى أن تكون هناك **جلسات تعالج العواقب النفسية** التى تترتب عليها، وخاصة إذا تعلقت العمليات باستئصال الرحم.

* * *

- ٥ -

الجنس واضطرابات التنفس Sex & Respiratory Disorders

للرغبات الشهوية تأثيرات على الجهاز التنفسى، كما أنها تثير القلق، ومن مظاهره أن يفرط تنفس المحب. ويتحدث الشعراء عن **لهاث العاشق**، وقد تأتيه الأحلام والكوابيس فيلهث أو يتعثر تنفسه ويضطرب، ومن **فرط التهوية** hyperventilation أن يغشى ويعرق وكأن تنفسه سيتوقف، أو كأنه يعجز عن التنفس، ويشعر بخدر فى أنامله وقدميه، وتستمر النوبة لدقائق، وكانت هناك حاله لمريض بفرط التهوية كانت تأتيه النوبة كلما التقى بابنة زوجته، وكانت شابة جميلة يحبها وعلى وشك أن تتزوج، وحالات لآباء وأمهات تأتيهم نوبات كهذه قرب زواج بناتهم وأبنائهم وفراقهم لهم. ونعرف **تنهيدة العاشق** والهَم الذى تعنيه، وهذه **التنهيدات** sighing respirations كأن من يعانيها يعانى من نقص الهواء، أو كأن جبال من الهم ترين على الصدر فتحول بينه وأن يتنفس.

وقد يستحث **الجوع العاطفى** أو **الحرمان العاطفى** الحساسية عند بعض الناس، وتستحدث بهم مايسمى **الربو الشعبى** bronchial asthma النفسى المنشأ، ويأتى الأطفال والكبار، وسواء كان صغيرا أو بالغا فإن الشخص الذى يصاب به لاتكون علاقته بأمه سوية، ويعانى من الحرمان العاطفى منذ صغره، وكانت أمه تتركه وحده كثيرا ولاتشبع فيه حاجاته للحب، وكان يجهد تنفسه من البكاء، ويتأثير الغضب والإحباط والإصرار على أن ينادى على أمه جاءته الأزمة الأولى التى تضطرها إلى الحضور، وتتابعت الأزمات بتأثير **نجاح الأزمة الأولى** فى تحقيق الغاية منها، ويترسخ هذا السلوك،

فكلما فارق هذا الشخص حبيبا أو عزيزا فإن الأزمة تأتيه، ويبدو أن **نمط الشخصية** التى لديها استعداد للربو الشعبى النفسى المنشأ هو **النمط قبل الفمى** pre-oral type، أو **نمط الشخصية التنفسية** respiratory type حيث يسبق التثبت على الارتباط بحب الأم أى علاقة أخرى، وتصبح الأم من الأهمية والإلحاح للطفل حتى أن أى فراق مهما كان لفترة صغيرة يهدد تنفسه. وتشبه أزمة الربو أزمة البكاء، أو أنها بديل عن أزمة البكاء بدليل أن المريض الذى يستطيع أن يبكى فعلا تنتهى أزمته فورا. وكان الكاتب الفرنسى الأشهر **مارسيل بروست** يفرط تنفسه وتأتيه نوبة الربو منذ صغره بسبب حبه لأمه وقلقه على فراقها، وكانت هذه حاله من بعد مع كل علاقة شهوية. والمواقف الجنسية التى تفجر الصراعات كثيرة، وكل أشكال الحرمان الجنسى والعاطفى تشق على بعض الناس فيتلاحق تنفسهم ويشق عليهم. وأصحاب التحليل النفسى يقولون إن **الربو الشعبى** تدفع إليه الرغبات الجنسية اللاشعورية التى لاتجد المنصرف إلا بالتنفيس عن بعض طاقاتها بشكل تدميرى للجهاز التنفسى، لأنه أضعف أجهزة المريض، فيستشعر الألم، ويحس بالإشفاق على نفسه، ويرضيه هذا الإحساس لما يجلبه عليه من عناية أحبائه من حوله كتعويض لحرمانه العاطفى، والربو الشعبى فى جزء منه سلوك استعراضى مرضى.

ونحن نعرف أن الكثير من الشعراء والرسامين يصابون بضعف شديد فى الجهاز التنفسى حتى ليصابون **بالسل الرئوى**، ونقرأ كثيرا عن حالات الإصابة بالسل الرئوى بين الشعراء الرومانسيين فى القرن التاسع عشر، ولقد كتب **توماس مان** فى روايته **الجبل السحرى** عن نمط الشخصية التى تصاب **بالسل الرئوى** tuberculosis وهو نمط الشخصية شديدة الحساسية للفراق والانفصال، وهى سريعة التأثر بالعطف والعناية، وتتعلق بمن يبذل لها، ويكون القلق منذ الصغر على فقدان هذا العطف وتلك المحبة، والشخص القابل للإصابة بالسل الرئوى غيور غيرة العاشقين، نرجسى يحاول أن يستحوذ على من يحبونه دون سواه، متشائم وفلسفته سوداوية، يخشى خيانة الحبيبة وغدر الصديق وتقلب الأيام، ومزاجه شاعرى ورومانسى، ويميل إلى أن يعذب نفسه، ويبتئس لذلك، ويرثى لحاله، ويفكر فى الانتحار ويحاول أن يرتكبه. والكاتب الأشهر **كافكا** نموذج لذلك، وكان ضئيل الجسم، متهافت الصحة، عصبى المزاج، ورواياته "**المحاكمة**" و"**القلعة**" عن شخصيات صورة منه، أو هى سيرة ذاتية للحياة العقلية التى كان يحياها والظروف النفسية التى

أحاطت به، وفى اعتقادى أنها أولى محاولات **الرواية النفسية** التى تعتمد على الاستبطان كوسيلة فى الكتابة الروائية. وفلسفة كافكا فلسفة انهزامية، وشخصيته مثل لنمط الشخصية التدرنية أو القابلة للسل، وهناك علاقة بين الإصابة بالسل **والشخصية الواهنة الجسم** asthenic body-type. وعلماء التحليل النفسى يقولون **بالاستدخال التنفسى** respiratory introjection بمعنى أن بعض الناس ينشئون منذ الطفولة على استدماج أو استدخال الخبرات العاطفية المتصلة بالحاجات الشهوية بالتنفس بأن يكون لهم تنفس عميق وكأنهم يريدون أن يتوحدوا بالشخص المحبوب، بأن يدخلوه داخليا، وكأنهم يشفطون روحه، والهواء فى تخيل البعض الروح، وقد يصبح بديلا عن الشخص، وأمثال هؤلاء يكون بهم حساسية للروائح لأن جهازهم التنفسى شديد الحساسية، والروائح من اختصاص هذا الجهاز، وهم يميزون بين الروائح، والمحبون العشاق أشد الناس حساسية للروائح، وأمهات الحيوانات فى فترة الإرضاع يميزن بين أطفالهن بالرائحة فقط لاغير، وعاطفة الأمومة من العواطف الجياشة، وهى عند الحيوانات من أقوى العواطف، ولذلك يكثر المحبون والعشاق من استخدام الروائح العطرية، ويقول علماء النفس بما يسمى **شهوية تنفسية** respiratory eroticism وهى أن تكون وسيلة الشهوانى فى إشباع الحاجات الجنسية والشهوية عموما هى الجهاز التنفسى. وتأمّلْ كيف تتشمم الأمهات أطفالهن، أو كيف يفعم جو اللقاءات بين المحبين بالعبق الخاص بهم، أو كيف تزيد حساسيتهم للروائح، أو كيف تكون لذة مدخنى السجائر أو المخدرات ولجوئهم إلى الجو الخاص الحافل بالهواء الخاص الذى يستنشقونه عميقا فيشبع حاجاتهم الشهوية والجنسية، أو كيف يتشمم المحبان بعضهما وكأنهما يستدخلان بعضهما بالتنفس، وكأن الروح أو النفس أثير يشربانه تنفسا. وبعض المحبين تأتيهم حالات غُصّة يطلق عليها **الكرة الهستيرية** globus hystericus تكون إحساسا بالاختناق يبدأ من منطقة المعدة، وكأن كرة تتحرك متقدمة إلى الزور حتى ليمكن أن تسده، وقيل هى من أعراض **عصاب المرئ** esophagel neurosis، وتمثل رفضا لاشعوريا باستدماج موضوع الرغبة أو الشهوة، أى ابتلاعه ليندمج بالذات، وقد تكون فى شكل اشمئزاز هو بدوره رفض ونفور من موضوع غير مرغوب، فمثلا قد لاترغب الزوجة أن يقبّلها زوجها فتصاب بالكرة الهستيرية لتتعلل بها عن أية علاقات جسدية به، وتأبياً منها عليه. **والخناق الهستيرى**

suffocatio hysterica تقلص هستيرى لعضلات الزور يشاهد كثيرا كجزء من الصورة العامة للكرة الهستيرية، وهو مثلها أساسه الرفض اللاشعورى للاستدماج بتهيؤات لها طبيعة جنسية، والكثير من أسباب **التهاب الحنجرة laryngitis** نفسى المنشأ وله علاقة بالنواحى الجنسية. وأذكر حالة لسيدة قسرها زوجها على أن تمص قضيبه وقد رضخت له، وفى الصباح بدأت شكواها من التهاب الحنجرة واستمرت الشكوى معها إلى أن أمكن علاجها بالتحليل النفسى وكشف أسباب الالتهاب. وكذلك الكثير من أسباب **التهاب الأنف rhynitis** قد يكون جنسيا، وعموما فإن التهاب الأنف يشبه فيما يؤدى إليه الربو، وهو رفض أنفى للواقع المادى والنفسى للمريض، وقد تكون للمريض زوجة يكرهها، ونحن نقول فى المثل العامى عندما نكره «إن فلانا لاينزل لى من زور» ونقول «أبصق عليه»، والتهابات الزور والفم والأنف تعبيرات من هذا القبيل. وتحضرنى حالة سيدة كانت كلما تخاصمت وزوجها وارتحلت إلى بيت أبيها تشفى من التهاب بالأنف، فإذا عادت إلى زوجها عاودتها الشكوى. ومن المألوف أن يصاب الكثير من البنات المخطوبات بالرشح فى مواقف اللقاء بالخطيب، ويتسبب الارتباك عند المحبين فى الرشح، وقد تطفر الدموع من العينين دون سبب، وتكون هناك كحة، وليس ذلك إلا بتأثير الموقف النفسى الجنسى على الجهاز التنفسى.



- ٦ -

الجنس والاضطرابات الهضمية Sex & Digestive Disorders

تتراوحنا جميعا مشاعر الحب والكراهية. ويتمايز المحبون، فمنهم المحب الذى يعطى، والمحب الذى يريد أن يأخذ، والمحب الذى يعطى ويأخذ معا. والإحباط فى الحب قد يولد التوتر والقلق، وقد يدفع إلى سلوك عدوانى. وقد يكره المحب ويكتم الكراهية ولايصرح بها. وأمثال هذه الانفعالات والإحباطات ومايصاحبها من غضب وخوف قد تضطرب له **أمعاء الشخص ومعدته**. وهناك كثيرون يشعرون برغبة فى **التبول** كلما ذهبوا للقاء حبيبه أو حبيب، والبعض قد **يقئ** أو **يغثى** أو **يغلو**، ومن ذلك أن يصاب البعض بما يسمى **القئ العصبى nervous vomiting** وهو قئ وظيفى نفسى المنشأ، أسبابه انفعالية أو عصبية، وغالبا مايأتى النساء بخاصة فى السن بين **العشرين والأربعين**، ويعبرن به عن

رفضهن لفكرة ينفرن منها، أو عن مشاعر رافضة لشخص كريه. ومن شأن ما تنفر منه المرأة أو تكرهه أن يفجر بها صراعات شعورية ولاشعورية لها طبيعة انفعالية. **والقئ** في هذه الحالة يكون بمثابة المخرج الوحيد من الصراع المحتدم حيث لايكون بوسع المرأة احتمال ما تستشعر من كراهية أو نفور، كذلك لاتستطيع أن ينطق لسانها كلاما بالكراهية ومن ثم تأتى بها قيئا، **كحال فتاة** خطبت لشاب تريده لها أمُّها وتقسرها على الزواج منه، وكان يحضر لزيارتها من بلد قريب، فكلما حادثها في التليفون جاءها القئ، وعندما اقترب زفافها تقاربت نوبات القئ وكأنها بالقئ، تريد أن تقول أنها «لاتهضم» هذا الرجل. ومن القئ العصبى أيضا **قئ الحمل** hyperemesis gravidarum ويعزى لأسباب نفسية، ويصفة علماء التحليل النفسى بأنه «**رفض معدى للجنين**»، فعندما تتأبَّى المرأة على الحمل من رجل تكرهه ثم تحمل قسرا عنها فإنها تتقيأ، وكأنها بذلك تتقيأ الجنين، من تأثير الفكرة القديمة والمسيطرة على الأطفال أن الحمل والولادة يكونان من طريق الفم.

ومن الاضطرابات الهضمية التى تصيب المحبين والكارهين على السواء **القرحة الهضمية** peptic ulcer بسبب زيادة النشاط في المعدة سواء في حركتها أو إفرازاتها، حتى وهى خالية من الطعام. وتدفع إلى هذا النشاط الاضطرابات النفسية والأزمات الانفعالية اليومية كالغيرة والخلافات الزوجية وما أكثرها في حياتنا. ومن شأن استمرار هذا النشاط أن يضعف الغشاء المخاطى المبطن للمعدة، فيرق ويصبح قابلا للتشقق ، ولأن العصارة المعدية تحتوى على حمض الهيدروكلوريك المذيب للطعام، ولأنه مؤذ لجدار المعدة، فإن العصارة المعدية تشتمل أيضا على مخاط يعمل على عزل الجدار عن تأثير حمض الهيدروكلوريك، غير أنه في حالة زيادة نشاط المعدة يزيد حمض الهيدروكلوريك عن الحد اللازم له، وكذلك فإنه يتواجد في المعدة دون أن يكون بها طعام، ومن شأن استمرار إفرازه بالإضافة إلى رقة الغشاء المخاطى أو تشققه أن يفعل فعله في جدار المعدة فيصيبه بالالتهاب ويبدأ في التقرّح وقد يثقبه.

والقرحة الهضمية تسلُّخ جزئى في الغشاء المبطن للمعدة قد يتراوح حجمهُ بين رأس الدبوس والقطعة النقدية فئة العشرة قروش، وغالبا مايكون في مكان انفتاح المعدة على الإثنى عشر. ويشعر المريض في أول الأمر بحرقان وألم ممض في المعدة يظهر بانتظام بعد دقائق من كل وجبة، وقد يتأخر أكثر من ذلك، وفي الحالات الشديدة قد يتقيأ وينزف.

ولكن لماذا تصيب الانفعالات العاطفية بعض الناس بالقرحة دون سواهم؟

يبدو أن بعض الناس لديهم **استعداد موروث** لذلك عن غيرهم، وهؤلاء الناس لهم صفات نفسية وجسمية معينة، ويغلب عليهم **النمط النحيل ضيق الصدر**، وضيق الصدر هنا حقيقى ومجازى، ومعنى أنه مجازى أى أنه يضيق بأية إحباطات ويصيبه القلق البالغ، وكلما التهبت عواطفه زادت إفرازاته الهضمية والتهبت معدته. ويميل البعض إلى بالقول بنمط من الشخصية يمكن أن يصاب بهذه القرحة، وصاحب **الشخصية القرحية الهضمية peptic ulcer personality** غالبا عصبى جدا وشديد التوتر، وطموح، ودائم الحركة والنشاط، ويحب أن يحصل على مايريد، ويؤكد لنفسه ولمن حوله أنه ناجح، ومن أجل ذلك يفشل فى الحب، ويفشل فى الزواج، ويسبب التعاسة لمن يحب ويتزوج، وذلك لأنه يريدها أن تتبعه وتأتمر بأمره وتحتمل نوبات غضبه أو توتراته وسعيه الدائب لكى ينجح، إلا أنه من ناحية أخرى مسكين حقيقة، فرغم عصبيته، ووظيفته الكبيرة والهيلمان الذى يصنعه لنفسه، إلا أنه يشعر شعورا حادا **بالوحدة**، ويريد أن يتواصل بمن يحب وأن يرتبط بهم ويعتمد عليهم، ولايعرف كيف. وغالبا ماكانت نشأته كطفل **منبوذ** بمعنى أنه ربما تربّى **يتيما**، أو كانت أمه مشغولة عنه، وكان دائما يطلب أن يكون محبوبا ولكنه كان يفشل، ولم يحدث أن أشبع يوما حاجته إلى الحب، ولذلك كان يشعر دائما **بعدم الأمان** وينشد أن يعترف به الناس، وأن يحبوه، بأن يطلب **أهدافاً كبيرة** ويسعى لتحقيقها، وفى سبيل ذلك لايحاول أن يبدى مابنفسه من كراهية أو عدوانية **ويكبت مشاعره** التى قد تجلب عليه النقمة، ويتوجه بانفعالاته إلى **داخله**، ويتسبب عنها فرط نشاط المعدة والأمعاء وفرط إفرازاته، الأمر الذى يؤدى إلى إصابته بالقرحة.

وقيل إن صاحب القرحة المعدية مصاب بها منذ **ولادته**، وثبت من التجارب على صغار الفئران أنها تصاب بهذه القرحة إذا فصلت عن أمهاتها فى الأسبوعين الأولين. ويصاب الطفل بالقرحة المعدية مع تكرار **انفصاله** عن أمه. وكانت نسبة الأطفال المصابين بها نحو ١٪ ارتفعت إلى ١٠٪ نتيجة ارتفاع العمالة بين الأمهات واستمرار تركهن لأطفالهن. وقيل فيما ذهب إليه البعض من تفسيرات للإصابة بها أننا فى الطفولة يرتبط عندنا الإشباع من الجوع بالإشباع من الحب أيضا، طالما أننا ننال الاثنين على صدور أمهاتنا ونرضع اللبن والحنان معا، ولكننا كلما كبرنا ضعف هذا الارتباط بين الإشباعين وتناسيناه. ويتفاوت هذا

الضعف والنسيان من فرد لآخر وباختلاف الظروف. وقد يحدث فى الكِبر أن نفتقد أى الإشباعين فيستدعى الجوع إليه الجوع الآخر المرتبط به، فنجد أننا نجوع إلى الطعام إذا شعرنا بالجوع إلى الحب، أو بالعكس. وقد يحدث أن يتوقف النمو الانفعالى لبعض الناس عند مرحلة الطفولة، وينشد هؤلاء عندما يكبرون علاقات اعتمادية بالآخرين كالتى كانت لهم بالطفولة، كأن يطلب الرجل زوجة **كالأم**، أو تطلب المرأة زوجا **كالأم** يحنو عليها ويلبى رغباتها، وكثيرا مايخيب أملهم وتحبط رغباتهم فينفعلون باستجابات **حشوية** كالتى كانت لهم فى طفولتهم بأمهاتهم وبسبب الارتباط القديم بين الجوع العاطفى والجوع الغذائى. وقد يحدث أن يكبر قليلا من الناحية الانفعالية عما كان عليه فى طفولته، فإذا ووجه بظروف ضاغطة فقد يستجيب لها **بالنكوص** انفعاليا إلى مرحلة الطفولة. وسواء كان الأمر على هذا الوجه أو ذاك فالذى لاشك فيه أن المريض بالقرحة الهضمية له مواصفات شخصية أبرزها أنه **طفل كبير ينفعل انفعالات حشوية**، وكلما عانى صراعات عاطفية كان عليه أن يفاضل بين الاعتماد والاستقلال، وبين الارتباط والانفصال، وإنه ليهفو دائما أن يجد **الفهم والحب** حتى أن أغلب المرضى بالقرحة الهضمية ليشفون بمجرد أن يركنوا إلى الراحة ويلقوا الرعاية الحانية من زوجة محبة أو ممرضة حنون.

وقد يبدو بعض المرضى بالقرحة الهضمية، وخاصة النساء، **سلبيين** على غير العادة، فلا نجاحات تشدهم، ولاطموحات يسعون إليها، وهم غالبا يركنون على شخصيات قوية من الأهل أو الزوج أو الولد أو الأصدقاء. وقد تزهد الزوجة فى زوجها الاعتمادى، أو يزهد الزوج فى زوجته الاعتمادية، بالنظر إلى تعلّق الواحد منهم بالزوج الآخر، واعتماديته الشديدة عليه، وإلحاحه فى طلب الحب باستمرار منه. وهو يطلب ويأخذ، ولايعطى. وقد تغرى سلبيتهم بهم الآخرين فيكونون محل طمع واستغلال منهم، وإننا لنسمع عن زوج باع كل أملاك زوجته بتوكيل منها، أو زوجة قسرت زوجها على أن يكتب باسمها كل أملاكه، وقد يصيبهم من ذلك قلق يعرضهم للإصابة بالقرحة.

ويتوجه **العلاج النفسى** للقرحة الهضمية إلى حل صراعات المريض الكامنة المرتبطة بالقدرة على تحمل المسئوليات فى استقلالية دون إلقاء اللوم على الزوج أو الصديقة أو البنت أو الإبن، **وترشيد** أهله للمساعدة على تهيئة الجو النفسى الذى يرفع المعاناة عنه من الوحدة أو الشعور بالجوع العاطفى، وذلك لأن **العلاج بالعقاقير وحده** لن يكون إلا علاجا وقتيا، خاصةً إذا كانت القرحة مزمنة.

وتصاب النساء **بالتهاب القولون colitis** أكثر من الرجال بنحو الضعف وذلك يرجع أن للانفعالات والضغوط التى تتعرض لها، وخاصة النساء، دخلا فى الإصابة به، وبالإضافة إلى ذلك فإن المصابات به من النساء **شخصيات متهافتة** ويتميزن بأنهن نوع معين من النساء، ويظهر من دراسة تاريخهن المرضى أنهن يكن مغلوبات على أمرهن سواء قبل الزواج أو بعده، وهن من **القابعات** فى البيوت والملازمات لدورهن، ويغلب أن يكن من المتفانيات فى خدمة الأبوين، والمطيعات أشد الطاعة لهما، فإذا تزوجن كن على نفس النمط من الخدمة والتبعية والطاعة للزوج.

ولقد ثبت أن **التهاب القولون** يصيب الأرانب والكلاب إذا عانت الخوف لمدة طويلة، والمرأة التى تعانى من **نضوب حياتها العاطفية**، وتعيش فى بيت تعوزه **العلاقات الدافئة** بين أفراده، وكانت نشأتها بين والدين لم يشبعا فيها **الجوع للحب**، ولم يكونا يظهران لها مايقتضى أن يُظهراه من **التفهم والتعاطف والمحبة**، وكان زواجها من زوج ذهب إلى نفس طريقة الأبوين وتابع نفس المعاملة معها، بحيث ظلت **حاجاتها العاطفية** دون إشباع، وربما يبرزها أكثر من الأول أن **العلاقات الجنسية** بينها وبين زوجها من شأنها أن توقظ فيها هذه الحاجات، بحيث تشعر بها أكثر من الأول وتلح عليها باستمرار، ورغم ذلك فإنها تكتم مابها، وقد تعلن التمرد بما يجيش فى نفسها - مثل هذه المرأة قد تثور على كل ذلك، وقد تعلن التمرد على حياتها، إلا أنها بدلا من أن تظهر غضبها إلى الخارج فإنها تستدخله ويتهيج به قولونها وتصاب بالإسهال. وتستفحل الحالة وينكشف المرض عندما تتعرض لمواقف يكون الظلم الواقع عليها أكبر من كل سابقة. وقد يظن بعض الأطباء أن أوجاعها نتيجة التهاب فى الزائدة الدودية، وقد تجرى لها جراحة الزائدة، وقد تظل تتردد على الأطباء الجراحين دون غيرهم، وهذا النوع لابد أنه **ماسوشى الطبع**، يطلب الألم ويواظب عليه، ولذلك فهى تقاوم كل علاج حقيقى يُبْذل لها، وتخفى مقاومتها خلف هدوء ملحوظ هو الدليل الأكبر على ما تعانية من اضطرابات شديدة تتكتمها.

والمريضة **بالتهاب القولون التقرحى ulcerative colitis**، وهو نوع آخر من التهاب القولون يكون إسهاله مُدمما ويصحبة مغص شديد وارتفاع فى درجة الحرارة، يغلب على شخصيتها **السمات الشرجية** أى التى تتخلف عن **الطور الشرجى** من أطوار النمو النفسى الجنسى، بتأثير **ضبط الإخراج** وما يتعلق به من أمور أخرى، فتتعلم منذ

صغرها أن تهتم بالنظافة وأن تطلبها باستمرار، وأن تتحكم فى تصرفاتها وتسلك السلوك الذى يوصف بأنه اقتصادى، وأحيانا تبدو كما لو كانت شحيحة، وتنشد الدقة فى كل شئ. وقيل فى تفسير شخصيتها أو **شخصية المريض بالتهاب القولون التقرحى أنه ماسوشى**، يعانى الألم ولايصرح بما فى نفسه بتأثير تربيته، وهو عادة ينشأ فى كنف **أم مسيطرة** تسأله الطاعة ولاتقبل بغيرها، وتريده صورة لطموحاتها التى لم تتحقق فى زواجها، وتنشد فى علاقاتها به أن يشبع لديها حاجات لم يشبعها فيها زوجها، ومن ثم ينشأ الطفل اعتمادياً شديد الحساسية، يهفو للحنان والحب ويطلبهما ولايجد من يشبعهما فيه، ويعيش حياته به **جوع عاطفى داخلى** ينهش أمعاءه على الحقيقة والمجاز. وهو دائما **قلق** نتيجة **الإحباط** المستمر الذى يعيش معه، ويصيبه القلق **بالإسهال**، وهذا **الجوع العاطفى** والإحباط والقلق تتنامى بهم الدوافع التدميرية التى يكبتها ولاتجد المنصرف لها إلا من خلال النزيف الذى يدمى به القولون. وربما يعبر التهاب القولون التقرحى عن **رغبات طفولية جنسية شرجية**، كهذه **الحالة** لسيدة فى الثامنة والثلاثين من عمرها أصيبت به قبل أن تتزوج بسته شهور، وكانت وقتها تخرج مع خطيبها فيجامعها، وسمعت أن صديقتها المتزوجة قد أنجبت، وجاءتها أعراض القولون التقرحى شديدة، ومعها أخذت تلح عليها فكرة أن الأطفال يولدون من الشرج وأن الحمل بهم يكون من الفم، وأنهم يتكونون بخليط من البراز والبول، وهذه الأفكار أو الأوهام هى التى استدعت عرضها على الطبيب النفسى، ونبهها الطبيب إلى الطبيعة **الطفولية** التى لأوهامها، وقال لها إن التفكير فى إنجاب طفل قد جعلها تستعيد أفكارها عن الأطفال عندما كانت هى نفسها طفلة، والأطفال يتوهمون أنهم يولدون من الشرج، والحمل بهم يكون من الفم، وقد نكصت هى إلى طفولتها وتوهمت أنها ستحمل وتنجب بهذه الطريقة، فأصابها من ذلك خوف شديد، وفهمت المريضة أنه أحيانا تكون الإصابة بأعراض القولون التقرحى نتيجة التأثير النفسى لأوهام كأوهام الطفولة، وأنه فى حالتها لابد أن توهّم الحمل والأنجاب بهذه الصورة الطفولية قد جعلها تُسهِل وتصاب بالمغص ويدمى قولونها وترتفع درجة حرارتها. ولقد توقف النزيف القولونى بعد أن استنارت المريضة (Sullivan et al: Ulcerative Colitis of Psychogenic Origin).

والحب والكراهية قد يُسقِمان أو تفرط بسببهما الشهية. وسُقم الحب وهزاله أفاض

الشعراء فى القول فيهما، ومن ذلك مايقال له **فقد الشهية العصبى**-anorexia nervosa، وهو يصيب **البنات والنساء** غالبا، وكثيرا ما تكون البنت بدينة ثم تضعف حتى ليذهل من حولها من هول مايصيبها من هزال، وينقطع طمثها نتيجة هزالها. وللمريضة **شخصية متميزة** فهى غالبا غير ناضجة الشخصية وأنانية ومثالية فى سلوكها، وكانت تهتم بطعامها منذ صغرها، والطعام عندها **يرمز للجنس**، وتناوله رمز للعملية الجنسية، ولذلك اعتبر فقد الشهية العصبى اضطرابا أطلقوا عليه فى البداية اسم سوء **الهضم الهستيرى**، حيث كان الظن أنه استجابة هستيرية، وربما كان اعتياف الطعام رغبة لاشعورية أن **تقبح** البنت فى أعين الناس فلا يأتيها الخُطّاب وقد يكون ذلك تعبيرا عن **الخوف من الزواج والقيام بدور الأنثى**، وربما مرجع ذلك **كراهية البنت لأمها وللدور الأنثوى**.

وقد تفرط شهية البنت عكس الحالة السابقة حتى لتسمن وتبدو عليها **البدانة** واضحة، وأكثر مايكون ذلك لأسباب **نفسية** بالإضافة إلى الاضطرابات الهرمونية، **والسمنة** يمكن أن يكون مردها **العادات** الغذائية فى الأسرة، أو فى المجتمع، وغالبا مايكون السبب فى السمنة أن للسمين **أماً مسيطرة** تشرف على طعامه وتجبره عليه، وربما ذلك نتيجة عدم شعور بالأمان يجعلها تتحول إلى طفلها تصنع منه ماتفتقده فى زوجها، فتغذّية باستمرار لعلها تتعجل أن يكبر. وربما كانت البدانة بالشخص **لأنه لم يشبع فى المرحلة الفمية**، وظلت به حاجات فمية تريد أن تشبع باستمرار وتستمر معه وتطالبه بالإشباع فيصبح نهما. والبدين قد يطلب البدانه لأنها تعطيه **حجما وأهمية** قد تجعله مقبولا من الناس أو من الجنس الآخر. والبدانة قد تكون وسيلة هروب من فكرة الزواج، نتيجة **خوف من الزواج، أو خوف من جنس الذكور**، أو **خوف من الجماع**، وقد يحسب الرجل البدين أو المرأة السمينة أن البدانة تنفر الناس فتكون النجاة من الزواج. وربما كان الهروب من فكرة الزواج بالنظر إلى **عُنّة جنسية أو برود جنسى**. وربما كانت البدانة تعبيرا عن **الحرمان الجنسى** فينصرف المحروم الى الطعام يعطيه لذة كاللذة الجنسية، وقد تكون عند السيدات تعبيراً عن **الرغبة فى الحمل**، وربما تفرط شهية الحامل فى الطعام نتيجة رغبات لاشعورية فى **التخلص من الحمل**، وكأنها بالطعام تريد أن تتخم به نفسها فيزاحم الامتلاء به امتلاء بطنها بالجنين.

وفرط الشهية الذى يؤدى إلى البدانة قد يمثل **جوعا للمحبة**، وقد يمثل **جوعا جنسيا**، وربما يختار مفرط الشهية أطعمة بذاتها يطلبها بالذات ويفضلها على غيرها، وليس ذلك إلا **لمشابهة** بينها وبين أعضاء الجنس.

وربما يبدو **التجشؤ** كعلامة لفرط الأكل، وهناك فرق بين هذا النوع ونوع آخر يتجرّع فيه الشخص الهواء مراراً عديدة متلاحقة حتى لتمتلئ به معدته وتنتفخ بطنه. **وبلع الهواء aerophagia** حالة هستيرية يظل المريض بها يبتلع الهواء دون إرادته، ويرافق ذلك إحساس بالامتلاء فى المنطقة تحت القصبة مع ألم فى الجزء الأيسر من الصدر وفى التامور، والغالب أن تأتى هذه الحالة النساء اللاتى لديهن رغبات لاشعورية فى الحمل، ويعيطها امتلاء بطنها شعورا بأنها حامل. وقيل أيضا إن انتفاخ البطن بهذه الطريقة ربما يشير إلى رغبات لاشعورية عدوانية دفينة، حيث تتحقق للمريض وهو يبتلع الهواء أن يشبع هذه الرغبات اللاشعورية، والأصل فى اسم aerophagia أنـه **مضـغ الهواء**، وكأن المريض وهو يلوك الهواء يلوك أعداءه. وقيل فى تفسير الألم بالصدر أنه ربما تعبير عن اعتراضات **الأنا الأعلى** على هذه الرغبات اللاشعورية سواء كانت **رغبات جنسية أو عدوانية**، وقيل أيضا فى تفسير ابتلاع الهواء أنه ربما يعطى المريضة شعورا متزايدا بقدرتها ويؤكد ذاتيتها، لأنها عندما تتوهم أنها حامل دون أن يمسها ذَكَر فإنها قد تحسب أن ذلك لقدرات فوق طبيعية فيها، وبرغم أنها بالغة إلا أنها من الناحيتين الذهنية والوجدانية كالأطفال، وما تزال تعتبر الحمل يتم عن طريق **الفم** كتوهم الأطفال.

وقد يفسر ابتلاع الهواء عند الذكور بأنه أيضا **تعبير رمزى عن رغبات لاشعورية فى الحمل**، والذَكَر الذى يصاب بهذا الاضطراب غالبا مايترافق ابتلاعه للهواء أن يتجشأه مرة أخرى، أى يخرجه من معدته عن طريق فمه مع استحداث الصوت الخاص الذى يصفه العامة فيقولون إنه «يتكرع»، ولذلك قد تترجم aerophagia بأنها **الجُشاء**، ويتلاحق منه ذلك وكأن بمعدته معينا لاينضب من الهواء، والواقع أنه يظل يبتلع الهواء دون إرادته ثم يتجشأه، وقيل أن ذلك دليل **مكونات أنثوية جنسية** فى الذَكَر، أو **ثنائية جنسية نفسية** (أنظر **الثنائية الجنسية والحمل الكاذب**).

والإمساك constipation من الاضطرابات الهضمية التى قد تكون لها أسباب نفسية جنسية، ويُردّ إلى مخلّفات عن **المرحلة الشرجية**، حيث تنقسم هذه المرحلة إلى إخراجية تكون لذة الطفل فيها **فى الإخراج expulsion**، **واستبقائية** تكون لذته فيها فى **الاستبقاء retention**، أى فى ضبط العضله القامطة الشرجية والإمساك عن التبرز. وتعتبر المرحلة الشرجية مرحلة سادية تختلط فيها **اللذة بالعدوان** يتوجه إلى ذات الشخص أو إلى المحيطين به.

والإمساك من أنماط عصاب **الوسواس المتسلط**، والمريض بالإمساك شديد الاحتفال بصحته ويراعى مواعيد التبرز والأماكن التى يمكن أن يتبرز فيها، ولا يغير من مواعيده ولا طريقته، ويأتى ذلك وكأنه يأتى طقوسا.

والإمساك النفسي يبعث على الاكتئاب ويجعل المريض به يتطيّر، والممسك انطوائى وشديد التدقيق والتخوّف والحذر، وبخيل، ويخشى المسئولية.

والإمساك يسبب الانتصاب، وقد يُمنيِ المريض وهو يحاول أن يغصب نفسه على التبرز. وقد يعنى الإمساك أن المصاب به يعانى من **شبق شرجى** **anal erotism** ينم عن **لواطة كامنة**، أو هو عَرَض للواطة صريحة وممارسات لواطية. ويلذ الإمساك للبعض حتى ليعالجه بإمرار إصبعه فى شرجه أو بوضع التحاميل والدّلك بالمراهم، أو باعتياد الحقن الشرجية. ولربما يتسبب الإمساك عند الأطفال، ومعالجة الأمهات لهم بالتحاميل والحقن الشرجية، على إدمانهما، **وعلى زيادة الحساسية الجنسية بالشرج** مما يكون دافعاً للواط.

❋ ❋ ❋

- ٧ -

الجنس والأمراض التناسلية Sex & Venerial Diseases

تنتشر الأمراض التناسلية فى العالم كله خاصة فى دول العالم الثالث وبين العمال والمثقفين فى الدول الكبرى، وبرغم المضادات الحيوية فإن عددالمصابين بالأمراض التناسلية فى ارتفاع دائما.

والأمراض التناسلية الرئيسية هى **السيلان، والزهرى، والورم الحبيبى الأربى، والقرحة الرخوة، والورم اللينفى الحبيبى الزهرى، وحمة الملاء**، وهناك اتجاه لضم **التهاب الكبد** إلى الأمراض التى تعدى تناسليا.

وكانوا قديما يعتقدون أن الأمراض التناسلية تنقل من خلال **الجماع فقط**، غير أن الاتصال الجنسى لايعنى فقط الجماع بل يشمل كذلك الاتصال عن طريق الفم بالتقبيل، سواء للفم أو للأعضاء التناسلية، أو حتى للجلد أو حك الأعضاء التناسلية فى الجلد، أو الاتصال عن طريق الدُبُر، أو بين الفم والدبر، وكل ذلك طرق للعدوى بغير طريق الجماع مباشرة.

والزهرى syphilis مرض مزمن يسببه الكائن المسمى تريبونيماباليدوم، وله **أربعة**

أطوار : البدئى، والثانوى، والكامن، والزهرى من المرحلة الثالثة. ويمجرد العدوى بميكروب الزهرى تبدأ فترة الحضانة وتستمر نحواً من ثلاثة أسابيع، ثم يكون **الطور البدئى** فتظهر القرحة وتعتل الغدد اللنفاوية. ويعقب ذلك الطور **الثانوى** وأظهر خصائصه تجرثم الدم والشواهد الجلدية المخاطية، ثم يكون **الطور الكامن** وفى أوله قد تعاود ميكروبات الزهرى النفاذ إلى الدم من المواضع المتقرحة وتظهر من جديد كزهرى جديد أى كقرح، ويكون ذلك لنحو أربع سنوات، ثم يدخل المرض **طور الكمون المتأخر** إن لم يكن هناك علاج يقضى عليه، وأخيرا تكون المرحلة أو **الطور الأخير** حيث يظهر الزهرى باعتباره **زهرى الأعصاب أو زهرى قلبى وعائى**.

وميكروب **التريبونيماباليدوم** حلزونى وله حلقات تتراوح بين الست حلقات والأربع عشرة حلقة طولا، وكان اكتشافه سنة ١٩٠٥ عن طريق العالمين **شاودن وهوفمان**، وانتشر كوباء فى نهاية **القرن الخامس عشر فى آسيا وأوروبا**، وقيل أن رجوع **كولومبوس** من أمريكا حمل معه العدوى سنة **١٤٩٣**، ونسب بعض العلماء انتشاره إلى **الغزو الفرنسى** لإيطاليا سنة **١٤٩٤**. وعالجوه أولاً بالزئبق ثم بدواء زرنيخى سنة ١٩١٠، واستمر ذلك إلى أن اكتشف **البنسلين** سنة **١٩٤٣**، وهو العلاج المختار له، ولم يثبت أن قاوم ميكروب الزهرى فاعلية البنسلين برغم أن العلاج قد يفشل أحيانا.

ومن الصعب إحصاء المصابين بالزهرى بالنظر إلى السرية التى يلجأ إليها المريض عند العلاج، ومع ذلك فإن واحداً من بين كل اثنين يمكن أن يصاب به بالعدوى، وذلك شئ يسير وخاصة بين تجمعات الطلبة والعمال وهيئات التمريض بالمستشفيات، بالنظر إلى الاحتكاك اليومى بين أفراد هذه المجموعات، وكذلك بالنظر إلى **الحرية الجنسية** التى أصبح الناس وخصوصا الشباب يعيشون فيها، واستخدام أجهزة مثل العجلة بدلا من أغلفة القضيب الجلدية التى كانت تحمى الرجل والمرأة من العدوى به.

ويتواجد الميكروب فى الدم بعد ساعات من الجماع، ومن ثم فإن دم الحاضن للميكروب يمكن أن يُعدِى. وتستمر الحضانة من **عشرة إلى تسعين يوما** أى نحو ثلاثة أسابيع، وتظهر القرحة وتستمر من **أسبوعين إلى أربعة** ثم تختفى تلقائيا، وتبدأ كورم لا ألم له وسرعان ماتتقرح، وغالبا ما يكون مكان القرحة **الأعضاء التناسلية** ولكنها يمكن أن تظهر فى مكان العدوى بالفم أو الثدى أو العجان أو الشرج.

وفى **الطور الثانوى** تكون هناك آفات جلدية مخاطية واعتلال فى الغدد اللنفاوية وينتشر الطفح الجلدى على الجذع والأطراف المجاورة، وفى المناطق الرطبة تظهر الكونديلوما (السعدانات) ويشاهد فى الفم حكاكات وبقع مخاطية، وقد توجد خاصة بقعية.

وفى **الطور الكامن** يكون الكشف المصولى إيجابيا للزهرى. **والزهرى الكامن** يعنى أن المرض قد استمر لمدة **أربع** سنوات بعد العدوى به، وأنه قد يستمر لأية فترة لاحقة طالما كان المريض حى ولايعالج. ويتميز هذا الطور بالمناعة الجزئية عند المريض، وأنه لايقبل العدوى بالزهرى. ومع أن وجود اللولبيات فى الدم يكون متقطعا إلا أن الآفات الزهرية للزهرى من الطور الثانوى لاتكون موجودة، ومن ثم فإن المريض لايعدى مرضه الآخرين، ورغم ذلك فمن المحتمل أن يحدث التلوث بالزهرى فى حالات الجماع فى الدبر مع عملية حك جلد القضيب ووجود المخاط الشرجى المختلط بالدم.

ومن الممكن أن يشفى من **الزهرى المتأخر** نحوٌ من ٣٠٪ إلى ٤٠٪ من المرضى به بشكل تلقائى وبدون علاج ولكنهم يكونون عرضة للعدوى مرة أخرى. وأما الحالات الكامنة الإيجابية مصليا فالمظنون أن أصحابها مصابون بالتصمغ، والصمغات **gummas** آفات وحيدة تتراوح بين الدقة حتى لتحتاج رؤيتها إلى المجهر أو أنها كبيرة قطرها عدة سنتيمترات.

وينقسم الزهرى المتأخر إلى **زهرى الجهاز العصبى العرضى واللاعرضى**، ومع وجود اللاسوية فى السائل المخى الشوكى إلا أن المرض لايكون **أكلينيكيا** موجوداً، ثم يتحول **عشرون فى المائة** من المرضى به إلى النوع العرضى خلال العشر سنوات التالية. وأما هذا النوع **العرضى** فهو أكثر ذيوعا بين **الرجال** عنه بين النساء، وبين **البيض** عنه بين السود، ومنه **الزهرى السحائى الوعائى والزهرى البرنشيمى**، والأول يتميز بالتهاب العنكبوتية والأم الحنون، ويتضمن الثانى الشلل العام والتابس الظهرى. ويحدث الشلل العام بعد **عشرين أو خمس وعشرين سنة** بعد الإصابة بالمرض ويتميز بالتغيرات الواسعة فى البرنشيمة. ويحدث التابس الظهرى بعد **خمس وعشرين أو ثلاثين سنة** من بدء الإصابة. وهناك نوع آخر من الزهرى البرنشيمى وهو **الزهرى القلبى الوعائى** ويترتب عليه التهاب الوتين وانبجاسه والإصابة بالأنورسمة وضيق فتحة الشريان التاجى. ويحدث الزهرى القلبى الوعائى بعد فترة تطول من **عشرة إلى أربعين سنة** من بدء الإصابة، وهو أكثر بين **السود** عنه بين البيض، والإصابة به تقدر بنحو ١٠٪ من مجموع الحالات التى لم تعالج.

ويصاب الجنين بعدوى الزهرى من الأم فى الشهر الرابع من الحمل. **والزهرى الخلقى** congenital s.، أى الذى يبدأ مع الشخص منذ أن يكون جنينا لاتظهر أعراضه إلا بعد مرور سنتين على الولادة، وهى طفح يمكن أن يأخذ شكل النمش، أو شكل الآفات النفاطية، أو تكون له أعراض اليرقان أو الأنيميا الحالّة للدم، أو تضخم الكبد والطحال، أو التغضرف العظمى. ومن الشائع أن تنقص الصفيحات الدموية وتتكثر الكريات البيض. ويوصف الزهرى الخلقى الذى يظل بدون علاج بعد أن يبلغ الطفل سنتين أنه **زهرى خلقى متأخر**. ولاتكتشف نحو ٦٠٪ من حالاته، والحالات العرضية منه تبين من التهاب القرنية خلاليا وتفحج الظنبوب أو القصبة والشلل الصبيانى والسهام الظهرى وصمم العصب الثامن وأسنان هتشنسون.

ويعالج الزهرى بمركبات **البنسلين** ولايوجد مصل مضاد له حاليا للوقاية منه. وأما **السيلان** Gonorrhea فالإصابة به غالبا جنسية، وهو أكثر الأمراض التناسلية انتشارا، ومايزال ينتشر وتشتد الإصابة به نتيجة عدم إقبال الرجال على استخدام أغلفة القضيب والاكتفاء بالعقاقير أو العجلة لمنع الحمل، وأيضا نتيجة التحلل الخلقى والفسوق فى الأماكن الصناعية وانتشار البغاء. وتبلغ إصابة الفتيان به نحو ٢٥٪ من مجموع الإصابات به، وتحدث ٩٠٪ من الإصابة به قبل سن **الخامسة والثلاثين**، ولعل ذلك يرجع إلى أن معظم الشباب قد يلجأون إلى طرق فى الجماع بحيث يكتفون منه بما يسمى **الفضفضة** أى بالضرب على الفرج من أمام، وفطر السيلان يوجد فى الجزء الأمامى من الفرج أو فى المهبل، ولكنه لايوجد غالبا فى الرحم أو قرب العنق، وكذلك فإن المرأة بعد **سن اليأس** لاتعدى بالسيلان. ويمكن أن يصاب الرجال بالسيلان فى أى سن، ويمكن أن يكمن المرض فى **البروستاتا** دون أعراض وبذلك يكونون مصدر عدوى. ويمكن أن تكون النساء أيضا مصدرا للعدوى بالسيلان اللاعرضى. **ومدة الحضانة** للمرض عند الرجال **من يومين إلى سبعة**، ويمكن أن يصاب به اللوطى فى الشرج وفى البلعوم بحسب ما إذا كان يمارس اللعق. **وأعراضه** التهاب المبال التقرحى والتهاب البربخ. وفى **النساء** تكون هناك إفرازات مهبلية وتضطرب البيلة. والمرأة تصاب أكثر بالسيلان اللاعرضى. وقد يعدى الشرج والبلعوم. ويصاب بالسيلان **الأطفال** بعد الولادة. ويعالج السيلان **بالبنسلين**.

والقرحة الرخوة Chancroid مرض تناسلى آخر تكون العدوى به جنسيا، ويتميز

بالقرح التناسلية المؤلمة التي تظهر بعد ثلاثة أو خمسة أيام من العدوى على الغرلة أو الحشفة فى الرجال والشفرين فى النساء. ولم تعرف نسبة الإصابة به إلا أنها عموما مثل نسبة الإصابة بالزهرى، ويعالج بمركبات السلفا والتتراسيكلين.

والأورام الحبيبية الأربية Granuloma Inguinale مرض تناسلى مزمن، فيه أيضا يتقرح العجان والقضيب والفرج، ويعدى جنسيا، وهو ذائع بين اللوطيين، وقد تنتشر القرح بعد سنوات من الإصابة فتشمل العظام والمفاصل ويمكن أن يموت بسببه المريض، وقد يخطئه الطبيب فيظن أنه سرطان، ويعالج **بالتتراسيكلين**.

والورم التناسلى اللمفاوى المحبب Lymphogranuloma Venerum مرض آخر ينتقل بالعدوى، وهو أيضا يظهر فى شكل قرحة تناسلية، ويتلو ذلك تقيح العقد اللنفاوية، وقد يظل المرض كامنا بالمريض لسنوات ثم تحدث المضاعفات، كأن يصاب المريض بداء الفيل أو يصاب بالضيق الشرجى. والمظنون أن سبب المرض نوع من الميكروبات الدقيقة المعروفة باسم **كلاميديا**، وينتشر فى البلاد النامية، وينقل من خلال النساء والمرضى باللواط، وتتراوح فترة حضانته من ثلاثة أيام إلى أربعة أسابيع، وبعدها تظهر القرحة فى مكان الإصابة على القضيب أو فى المهبل أو فى الشرج. ولاتظهر القرح فى الفم. وعادة ماتندمل القرحة خلال أيام ومن ثم لايتبين المريض مابه، ثم يكون التورم اللنفاوى فى المنطقة الأربية وتنتشر حبيباته وتتقيح بعد أيام وتكون كالجيوب، فترتفع درجة حرارة المريض وتؤلمه عضلاته ومفاصله، وقد يحدث أحيانا أن تظهر عليه أعراض التهاب السحايا أو أعراض التهاب التامور. ومن مضاعفاته خراج ما حول الشرج والناسور الشرجى. ومن المضاعفات اللاحقة الفيلى التناسلى فى شكل تصلب للقضيب أو الفرج بسببه انسداد لنفاوى مزمن. وتعالج هذه الحالات **بالتتراسيكلين** أيضا لمدة اسبوع أو أسبوعين مع **السلفاديازين**.

والمرض الذى اشتهر مؤخرا باسم **الهربس Herpes** ومعناها **الحلاء** اكتشف سنة **١٩٦٠**، ويعرف علميا باسم **حمة الحلاء Herpesvirus** ومنه **حمة الحلاء واحد**، **وحمة الحلاء اثنان**، وكلاهما له أعراضه وأسبابه المختلفة، والأول أو **رقم واحد** يصيب أماكن غير تناسلية كالعينين والفم، وأما الثانى أو **رقم ٢ (Herpesvirus2)** فهو مرض تناسلى وينتقل عن طريق الاتصال الجنسى أيا كان شكل هذا الاتصال. وفى الأيام الأولى من

العدوى ترتفع درجة حرارة المريض ويشعر بالتعب الشديد وتعتل العقد اللمفية وتظهر الحمات فى الدم viremia. وقد تظهر حويصلات على رأس القضيب أو قصبته يسيل منها الماء. وتظهر حويصلات عند النساء على الشفرين الصغيرين والسطوح الداخلية للشفرين الكبيرين وعنق الرحم. وتتقرح هذه الحويصلات وتكون آفات رمادية بيضاء. وقد يصاب الجنين بالمرض إذا كان الفرج أو عنق الرحم مصابين وقت الولادة. وينتشر الحلاء حاليا بين النساء وقيل إن المصابات به أكثر من كل المصابين بالسيلان، وأن المصابين به من الرجال يعادلون المصابين بالزهرى عددا. وتستمر فترة الحضانة من يومين إلى ستة أيام، وتبقى الآفات التى تظهر وتستمر فترة الحضانة من يومين إلى ستة أيام، وتبقى الآفات التى تظهر من بعد فترة تتراوح بين ثلاثة إلى ستة أسابيع وتسبب الكثير من الألم والعجز عن الحركة. ويستمر المرض المعاود لمدة تتراوح بين سبعة إلى تسعة عشر يوما وقد يزيد سوءا بالمزيد من العدوى، وتنتشر الحويصلات على الفخذين وتشمل الإليتين. وقد يظل الفيروس فى الخلايا العصبية فى النوبات المعاودة، ولذلك تكون معاودة المرض مؤلمة، وربما يستحدث الحلاء السرطان.

ولعل طاعون العصر هو **مرض العوز المناعى البشرى HIV** أو **مرض الإيدز**، ولا تخلو منه الدول العربية والإسلامية، وحالاته فى العالم قاربت **الثلاثمئة ألف**، وينتشر من خلال **الشذوذ الجنسى**، وتنتقل النساء العدوى به أثناء **الدورة الشهرية** أو فى غير أوقاتها إذا كان هناك جرح أو خدش بالأعضاء التناسلية. وتعتبر **العاهرات** من أكثر الفئات تعرضاً للإيدز، وإن كانت المرأة حاملا فإن **الجنين** يولد حاملا للفيروس، والقبلات العميقة قد تنقل العدوى.

ومن الأمراض التى يمكن أن تتناقل تناسليا **التهاب الكبد من النوع B** وكذلك **التهاب الكبد من النوع A** الذى كان يسمى فيما سبق **التهاب الكبد المعدى**، ويكثر بين المرضى **باللواط**، وأما التهاب الكبد الصغير فينتشر بين **اللواطيات**.

ولايجد الشباب رغم خطورة الأمراض التناسلية أن الإصابة بها يمكن أن تقلقهم كما فى الماضى، فالعلاج منها الآن ميسر وسهل، ولم تعد الأمراض التناسلية لذلك حائلا يحول بينهم وبين ممارسة الزنا بأنواعه دون خوف من العدوى، إلا أننا مانزال نجد بعض القلق عند البعض من المرضى عندما يكتشف أنه مريض تناسليا، والبعض يبدون من المخاوف من العدوى تناسليا مايمكن اعتباره من **الفوبيا**. ولعل **فوبيا الأمراض التناسلية** من

الاضطرابات النفسية التى تحول في كثير من الأحيان فى حالات العجز الجنسي دون إقدام الرجال والنساء معا على الجماع خوفا من العدوى. ومن الممكن أحيانا أن يكون الخوف المرضي من الإصابة بمرض تناسلى **خُوافا عاما من التلوث**، ويتطور إلى أن يكون **خُوافا من الأمراض التناسلية** لسبب أو لآخر، إذ أنه من السهل فى حالة الإصابة بالمخاوف أو الفوبيا أن تتحول هذه المخاوف إلى مخاوف من أشياء أخرى خلاف السبب الأصلى.

***

- ٨ -

الجنس والتبول Sex & Urination

التبول والتبرز كلاهما من الوظائف التي يتحصل للطفل تعلمها في الوقت المناسب، ويعتبران من مؤشرات النمو في الشخصية. ومن أطوار هذا النمو طور يقال له **الطور الإحليلي** urethral stage (الإحليل هو مجرى البول) ويكون عادة فى السن من **الثالثة** وحتى **الخامسة**، ويأتي بعد الطور الشرجي، والطفل في الطور الأخير يُشغَل بعملية التبرز ويوليها اهتماما ويسعد بها، وفي الطور الإحليلي يتوجه اهتمامه **للتبول**، وتعطيه القدرة على ضبط تبوله والتحكم فيه متعة تشبه متعة التحكم فى التبرز. وتقوم على التبول صراعات واضطرابات عديدة. وللتبول معنى جنسى خاص يرتبط باشتراك قناة مجرى البول في جزء من القضيب أسفل الجزء الانتصابى منه وتمر فى آخرها بنسيج حشفة القضيب، وفي المرأة لقناة مجرى البول نسيج انتصابى وتنتهى أسفل البظر وأعلى فتحة الفرج مباشرة. وتكتشف البنت أنها لاتستطيع أن تبول مثلما يبول الولد، ويجعلها ذلك تلمس لأول مرة الفرق بينهما فى التركيب التشريحى، وتحسد الولد على قضيبه، ولهذا الحسد دوره من بعد في توجيه تصرفات البنت، بحيث تحاول أن تعوض هذا النقص عندها بأن تنافس الذكور فى مجالات الرزق والرياضة وغيرهما، وأن تلبس لباسهم وتتحدث مثلهم. وكذلك فإن الأولاد بالتبول وقوفاً يكتشفون أن لكل منهم قدرة خاصة بحيث يستطيع أن يبلغ ببوله مسافة معينة، ويستطيع به أن يطفئ النيران، فيتنافسون فيما بينهم، ولعل ذلك هو الذى يجعل الأولاد فى هذه السن يغرمون **بسيارات الإطفاء** ويقلدونها، وربما يدفع هذا الغرام بعضهم إلى **احتراف الإطفاء**. ثم إن القدرة على التبول تعطى الطفل إحساسا بالقوة يتيه بها على أقرانه، وقد تحاول البنات أيضا أن يجربن إطفاء الحرائق بالتبول عليها

بطريقتهن ليثبتن أنهن لسن أقل شأنا من الأولاد. والكَلَف بإطفاء الحرائق قد يتخلف من هذه الفترة، **والحرائق الحقيقية قد تصبح حرائق مجازية، وتصبح متعة إطفاء الحرائق متعة إطفاء لأى خلاف**. وإننا لنجد هذا الكلف فى القبائل البدائية حتى بين الكبار، ويتحدث **الشعر العربى** عن عادة إطفاء النار بالتبول عليها عند النساء (**قصائد جرير الهجائية**). وقد يفشل الطفل فى التحكم فى تبوله، فإن لم يكن ذلك لأسباب عضوية، فإنه **لأسباب نفسية** نتيجة الصراعات قبل الأوديبية، وكسلوك عدوانى يتوجه به للوالدين، لحرمانه من عطف الأم، أو حرمان البنت من عطف الأب، أو نتيجة القسوة على الطفل وسوء المعاملة، وقد يستمر البالغ يبول على نفسة كبديل **للاستمناء**، فكلما استبدت به رغباته الجنسية وأعوزه السبيل إلى إطفائها لجأ إلى التبول يطفئها به أو كأنه يستمنى به. ويفسر هذا الاتجاه بما يسمى **التثبيت**، بمعنى أن التطور التناسلى للشخصية يسير من الطور الشرجى والطور الإحليلى إلى الطور التناسلى فيكتشف المرء أن للقضيب وظيفة جنسية بخلاف وظيفة التبول، إلا أن الكثيرين من العُصابيين يتثبتون عند **الطور الإحليلى** مثلا، وبرغم أنهم يستمتعون جنسيا بالقضيب، إلا أنه يظل بهم أيضا الاستمتاع به جنسيا فى التبول، ولذلك فإنه عندما يتهيج جنسيا فإنه **يطلب أن يبول**، والبعض قد تكون جنسيته مثلية فيرغب لاشعوريا أن يُبال عليه، وإننا لنجد ذلك فى بعض حالات الاضطراب العقلى جليا، فيلجأ الشخص إلى اغتصاب امرأة وبعد أن يجردها من ثيابها الداخلية ويهمّ بالجماع فإنه **يبول عليها**، وهو أقصى ما يفعله بها. وتميل بعض النساء أثناء الجماع الى التبول، وبعضهن تأتيهن حالات التبول مع **الهياج الجنسى**، وبعض النساء يذهب بهن طلب المتعة بعيداً، فتطلب المرأة من الرجل أن يشرب بولها أو أنها تسقيه له سرا. وهناك مشابهة بين **التبول والإمناء**، وبعض الحيوانات جماعها كالتبول، فالأسماك مثلا قد تضع الأنثى بيضها ثم يخصبه الذكر بالإمناء عليه كالتبول تماما. ولعل هذا الميل للتبول عند الهياج الجنسى أو فى الجماع هو الذى يصيب الرجل بالعُنّة خوفا منه، كما قد تصاب المرأة بالبرود الجنسى كلما فكرت أنها قد تبول خلال العملية الجنسية، ولربما يأتى هذا الميل للتبول كعامل من عوامل **الانتقام** من الطرف الآخر، والتعبير عن الاحتقار له والإقلال من شأنه، استهانةً من المرأة بالدور الذكورى للرجل، أو استهانةً من الرجل بالدور الأنثوى للمرأة. ولعل الطفل وهو يستعرض قضيبه أمام أقرانه أو أمام البنات خلال التبول، والتباهى بالقدرة عليه، قد يتثبت

عنده هذا الميل إلى **الاستعراض**، فإذا جاءت المرحلة التى يشحن فيها القضيب جنسياً وتتجاوز وظيفته التبول، فإنه يظل يستعرضه باعتبار قدرته على الإمناء، وربما كان ذلك هو السبب فى اكتشاف الأولاد دون البنات للعادة السرية فى وقت مبكر، وممارستهم لها كاستخدامهم للقضيب للتنافس على التبول. وفى الوقت الذى نجد أن الأولاد قد يستمنون باليد جماعات لانجد ذلك عند البنات، ويرجع البعض سلوك الاستمناء الجماعى إلى سلوك **التبول الجماعى**. ويفسر فرويد **اللذة التى تتحصل من إطفاء النيران بالتبول عليها** بأنها لذة جنسية، سواء عند البدائى أو عند الإنسان العصرى، باعتبار أن النار أو الحريق رمز **للعواطف المشبوبة والرغبات المستعرة**، وهى لايمكن أن تكون عواطف ورغبات إلا من نوع أداة الإطفاء المستخدمة وهى القضيب، وكأنه يقول بأنه ليس أصلح لإطفاء هذه النار الداخلية من هذا القضيب (Freud: The Acquisition and Control of Fire.1932).

واللذة الجنسية المرتبطة بالمجارى البولية urethral eroticism أو undinism تلاحظ على الأفراد الذين تفرط العناية بهم وهم أطفال من قِبَل أمهاتهم. وتطلق على اللذة بالتبول على الشريك فى الفعل الجنسى أو طلب هذا التويل منه اسم **اللذة الجنسية للتبول** urolagnia. وقد يصبح التبول مرضا يأتى صاحبه قهرا عنه وهو ما يسمى **البوال** enuresis. والبوال فى ٩٩٪ من حالاته **نفسى المنشأ**، ويحدث للأطفال والبالغين على السواء. وهو عندما يحدث للبالغين يرتبط **بالأحلام الجنسية**، وهو لذلك أكثر عند **الذكور** منه عند الإناث، وذلك أن الذكور يتوسلون بالأحلام الجنسية للإشباع الجنسى أكثر من الإناث. وهو عند الأطفال دليل القلق النفسى نتيجة **الجوع العاطفى**. وللبوال جانب شهوى لأنه قد يرتبط **بالصراعات الجنسية**، ويعطى المصاب به لذة لأنه يعنى الخلاص من التوتر العضوى الذى يسببه امتلاء المثانة. وللوظائف الإخراجية عموما ومنها التبول **ارتباط بالجنس** لدى الطفل والمراهق، وقد يتساوى فعل التبول بالفعل الجنسى من خلال الإشراط. وقد يزيد الميل إلى التبول عند بعض الرجال والنساء كلما كانوا بصحبة أفراد من الجنس الآخر. وقد يصاب المريض بالبوال بالعُنّة نتيجة خوفه من التبول أثناء الجماع، وكذلك قد تصاب زوجة المريض بالبوال بالبرود الجنسى توهماً منها أن زوجها سيبول فيها أثناء الجماع. وقد ينقلب هذا الخوف من التبول اللاإرادى إلى **خواف** phobia، والمعروف أن

الخُوافات لا تأتى إلا العُصابيين. وهناك ارتباط بين البوال والعُصابية، وقيل إن غالبية المصابين بالبوال عُصابيون، ولذلك فقد ينقلب الخوف المرضي من التبول إلى أنواع أخرى من الخُوافات حيث من السهل دائما تحول الخواف إلى أنماطه المختلفة، فمثلا قد ينقلب خواف التبول إلى خواف **من القذارة** mysophobia، أو **خواف من المطر** ombropho-bia، أو **خواف من الماء** hydrophobia، أو **خواف من الجماع** coitophobia، أو **خواف من النساء** horror feminae.

* * *

- ٩ -

الجنس وألم الظهر Sex & Backache

ليس أكثر من شكوى النساء من **ألم الظهر**، وقد تكون له أسباب عضوية إلا أنه فى ٩٦٪ من حالاته يرجع إلى أسباب نفسية (Sargent:Psychosomatic Bachache). وتترافق حالات ألم الظهر **وسوء التوافق فى الزواج**، وتعيش الكثرة الغالبة من النساء مهضومات الحقوق ومغلوبات على أمرهن، وتميل المرأة بفطرتها إلى الاحتمال وكبت مابها وعدم التصريح به، والنتيجة أن تتداعى بالاضطرابات النفسية التى تكون لها مردود جسمى ومنه **ألم الظهر**. وأكثر ماتصاب النساء بألم الظهر بعد **الأربعين** وخاصة فى **سن اليأس**، وتصاب به **ربات البيوت**، ويأتى العديد من **الأزواج** عندما يعانون من الإحباط فى زواجهم، وتثقل عليهم واجبات الأسرة. وقد تشتد أوجاع الظهر **بالأم** كلما أقترب موعد زواج ابنها، أو تزيد علّة الظهر **بالأب** وأولاده يتركونه للشيخوخة وللوحدة. وليست **أوجاع الكاهل** من قبيل المجاز ولكنها أوجاع نفسية جسمية، **والكاهل** هو مابين الكتفين، وعندما تنزل المصيبة بالشخص يتدلى كتفاه. وقد يتزوج الفتى اليافع فيشكو الوجع **فى الظهر وبين الكتفين**، ويعنى الزواج المسئولية، وقد لايكون هذا الفتى قد جرّب المسئولية من قبل فينوء كاهله تحت حملها ويوجعه ظهره. وصاحب الشخصية الاعتمادية تأتيه أوجاع الظهر عندما يتزوج. وقد يشكو **الطفل** وجعا بالظهر كلما أنيط به عمل.

والعلاج النفسى مهم لتعليم الزوج أو الزوجة أن يجأر بالشكوى بصوت عال بدلا من الكبت، وأن يبوح بما يزعجه ويفضى بما يعتمل فى نفسه، وما لايجد القدرة على التصريح به من مشاعر الذنب أو الخجل أو الكراهية أو الإحباط.

وشبيه بألم الظهر **ألم المفاصل**، وهو شائع فى بلادنا، وأكثر شيوعا بين **النساء**، الأمر

الذى يجزم أن للعوامل الانفعالية دوراً ولو جزئيا فى الإصابة به، وذلك أن هذا النوع من الألم لايأتى إلا النوع **الكتوم** الذى لا يصرح بما فى نفسه من المشاعر الودية أو غير الودية. وتتعرض النساء لضغوط هائلة، ويعشن حياة يغلب عليها المعاناة والاضطهاد، والمجتمع والبيت والزوج والأولاد يريدون منها أن تقدم خدمات، وبدلا من أن تعبر عن مودتها بالكلام، فإن المجتمع يريد منها أن تترجم الكلام إلى فعل، فإذا كانت **ابنة فهى** الخادمة التى يناط بها كل أمور البيت من كنس ومسح وطبخ وغسيل، وإن كانت **زوجة فهى** مسئولة عن كل شئ بالنسبة لزوجها وأولادها، ابتداء من ساعة الاستيقاظ حتى ساعة النوم، وقد يقال إن المرأة إذ تفعل ذلك فإنما لأنها دون وعى منها تقصد إلى التحكم فيمن حولها، وأنها برغم أنها قد تبدو مغلوبة على أمرها إلا أنها فى الواقع المسيطرة والمتحكمة بما تقدم لأسرتها فتربطهم بها. وربما كان ذلك لأن المرأة تشعر دوما بحاجات اعتمادية، وهى دائما تريد الحب وتحس بظمأ أبدى لأن تكون **محبوبة**، وذلك أنها تنشأ فى ظل تقاليد تجعل لمقَدِم الولد الأولوية على مقدم البنت، وتُنزل الولد منزلة أكبر من منزلة البنت، ومن ثم لاتُعطَى الحب الذى تطلبه، وتصاب بالإحباط من صغرها وتشعر **بالغضب** ولكنها لاتصرح به لظروف التربية التى لاتسمح لها بالتعبير عن غضبها، وتتعلم أن لا تطلق العنان لمشاعرها الودية وغير الودية، ويأتيها الغضب فلايتجاوز حدود **يديها**، وكأن الغضب يحاول أن يجد المنصرف فيُفرَغ فى يديها، أو ينتهى انصرافه إلى يديها، وهما وسيلة العدوان، فتقبضهما دونه، وتحول بينه وممارسة العدوان، ويكون **التهاب المفصل الرثيانى** الذى يزمن معها، وقد يكون تقبّض اليدين الذى يأتى النساء خاصة من مرضى التهاب هذا المفصل له هذا **المعنى الرمزى**، ودليل مايجرى داخلهن من صراعات بين الدوافع العدوانية تجاه البيئة المحيطة وقوى الكبت عندهن. وربما يكون ما تقدمه النساء من خدمات للأسرة والأولاد والنشاط الذى تبذلنه فى أدائها وسيلة لتصريف بعض انفعالاتهن غير الودية.

ومن الآلام التى ترتبط بالجنس **آلام الرقبة**، ومنها مايقال له **الصَعَر** **torticollis** وهو انفتال مؤلم فى العنق له أسباب عصبية، والغالب أن يكون **نفسى المنشأ**، فمثلا **هذه الحالة لسيدة** ظلت تعالج منه لمدة سنتين دون جدوى، فلما عُرِضت على طبيب نفسى تبين من التحليل أن الأعراض لازمتها عقب حادثة معينة، فقد طلب منها زوجها فى إحدى الليالى أثناء الجماع أن تمص قضيبه فرفضت وأشاحت بوجهها، ولكنه ألح وأجبرها، فلما

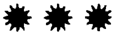
نامت من بعد ظلت مشيحة عنه بوجهها، واستيقظت فى الصباح وقد اعوّجت رقبتها وظلت تتألم، ولم تعرف السبب إلى أن كشفه التحليل النفسى. **وحالة أخرى** لشابة رأت زوج أمها مرارا يسير عاريا فى البيت فكانت تزوَر عنه بوجهها حتى أصيبت بالانفتال، وتبين من التحليل أن الحياء كان يفرض عليها أن تشيح بوجهها بينما كانت فى أعماقها تريد أن تطالعه عاريا، وحُسِم الصراع بين ماينبغى وماتريد بأن تصلّبت رقبتها على وضع معين، بحيث أنها تبدو بجسمها كما لو كانت تواجهه فى عُريه، بينما رأسها بعينيها لايطالعه.

ومن رأى جماعة التحليل النفسى أن **الصعر** لازمة تترتب على صراعات داخلية. وقيل أن **الرأس والرقبة** وسيلتان من أكثر الوسائل استخداما للتعبير عن **الانفعالات**، ومن ثم فإن أى **صراع داخلى** ربما يتسرب إليهما من باب الإزاحة، وماكان من الممكن أن يصيب عضلات معينة من الجسم بالتيبس والعطالة قد يزاح إلى عضلات الرقبة ويظهر أثره فيها، ولربما ينتقل **التهيج أو التوتر** الذى قد يصيب المنطقة الشرجية أو المنطقة التناسلية إلى عضلات الرقبة.

ومن شأن أى **لازمة** أنها تصرف **الطاقة الشهوية** عن المنصرف الأساسى الذى كان عليها أن تنصرف إليه لكى يتحقق بها الدافع أو الرغبة اللاشعورية، فهى إذن طريقة تدفع عن الأنا، ومع ذلك تهئ متنفسا للمكبوت، وفى الحالة السابقة للفتاة التى كانت ترغب فى مطالعة زوج أمها عاريا، فإنها قد حققت الرغبة بأن كان تواجهها إليه بجسمها إلا أن انفتال عنقها كان يعنى أنها ترفض أن تنسب مسئولية المطالعة لنفسها، بالتأكيد على أنها قد أشاحت برأسها مدفوعة إلى ذلك بالخوف أن ترى عورته، وهو عمل لا أخلاقى قد يجر عليها العقاب.

ويبدو الصعر أحيانا كما لو كان **عُصاباً قهريا**، بمعنى أن المريض به قد يأتيه لا إراديا ويستمر معه، وربما كان لديه استعداد تكوينى له من حيث بنية عضلات الرقبة. ويتميز الأشخاص الذين يشكون من هذا الاضطراب بأنهم **مندفعون**، غير أنهمُ من جهة أخرى يكثرون من توجيه اللوم لأنفسهم، ومن ثم فقد تتصلب عضلات الرأس والرقبة فى الصراع بين الاندفاع وضبط النفس. ولربما تكون لديهم دوافع جنسية ملحة، ويكون الأنا عندهم من النوع الذى يلجأ للتعبير عن هذه الدوافع تعبيراً بدائيا، أو أنه يرتد إلى التعبيرات الطفولية، ومن ثم يكثر من الإفصاح عما يحتدم بداخله بلغة الإشارات والحركات. وكثيرا مايرمز

تصلب الرأس وتيبس الرقبة إلى **الانتصاب**، وكذلك قد يرمزان إلى العقاب يوقعه الأنا بالشخص الذى يلجأ إلى **الاستمناء باليد** (Mahler: Psychoanalytic Evaluation of Tics).



- ١٠ -

الجنس والصداع Sex &Headache

من صَدَع بمعنى شقّ، والصُداع هو وجع الرأس يكاد يفلق الدماغ أو يشقها شقا، ومنه **الشقيقة** أى صداع نصف الرأس أو الصداع النصفى اختصارا.

والصداع هو الشكوى الأوُلَى لأكثر من **نصف المرضى** المترددين على عيادات الأطباء طلبا للعلاج من أمراض مختلفة، وهو مصدر شكوى عامة من كل الناس، ويكاد يكون القاسم المشترك بين أعراض كل الأمراض الجسمية والنفسية.

والصداع نفسى المنشأ psychogenic h. قد يبدو كما لو كان **عقابا** ينزله الشخص بنفسه لإساءته إلى **زوجته أو أطفاله**، أو **لخيانة زوجية** يمارسها أو لأسباب أخرى قد يشعره إتيانها بالخجل أو الذنب أو القلق. وقد يكون له أحيانا **معان رمزية** خاصة، كأن يكون تعبيرا عن عداوة نحسها تجاه الناس الذين يُفترَض أنهم أحباؤنا، أو عن صراع بين رغبة للهرب من تأثير من نحب كالأم وبين الخوف من عواقب الهرب لو تحقق. وكشفت الدراسات عن **نمط من الناس** لديهم استعداد للإصابة بهذا الصراع النفسى المنشأ، ويتميز هؤلاء الناس **بالذكاء وبالتخلف الوجدانى** فى نفس الوقت. والصراع الأمثل الذى يمهد لنوبات الصداع عند هؤلاء هو الذى يقوم بين الرغبة فى أن تكون للشخص حياته المستقلة كأى بالغ، وبين الخوف من فقدان مظلة الوالدين وحمايتهما. ويظهر بعضهم ارتباطا شديدا **بالأم** ليس بوسعه الفكاك من إساره. وتفصح الصورة الإكلينيكية عن توقف فى النمو الانفعالى يمنعه من **التكيف الجنسى النفسى الناضج**. وما من شك أن الصداع النفسى المنشأ يخفى **اكتئابا** لاشك فيه، أو أنه **معادل للاكتئاب**، وهو استجابة تحولية أكيدة تتحول بها أعراض القلق عند المريض إلى أعراض بدنية مقبولة لديه تختلف شدتها ونوعيتها باختلاف ثقافة المريض ونوعية الضغوط التى يتعرض لها، ولعل **الزوجات** من أكثر الناس تعرضا للضغوط وخاصة **ربة البيت المتفانية**، وكلما زادت ثقافة المرء ازدادت

الأعراض تعقيدا. ولقد تبين من دراسة الصداع النصفى أن إصابة النساء به ضعف إصابة الرجال، ولايبدأ الصداع النصفى يصيب النساء إلا فى **المراهقة** ومع بداية **الطمث**، الأمر الذي يجزم بوجود علاقة بين الإفرازات الهرمونية الجنسية عند المرأة وبين الإصابة بهذا النوع من الصداع، وهو يصيب نوعيات معينة من الجنسين تتميز عموما شخصياتهم بالطموح والتدقيق والوسوسة وطلب الكمال والسيطرة على انفعالاتهم وخاصة في الغضب، ويميل هؤلاء الناس إلي الاعتزاز بأنفسهم في مسائل **الحب والجنس**، وإلى الأخذ أكثر من العطاء، ولذلك فإنهم معرضون دائما للحنق إذا ووجهوا بالإحباط، ويستبد بهم القلق، وتمتلأ نفوسهم بالمرارة، ويصيبهم من ذلك رَهَق شديد يستحث ميكانيزمات الجسم الفسيولوجية فتتسع شرايين المخ وتستثار أعصاب الألم في الدماغ.

* * *

- ١١ -

التعب النفسي الجنسي Psycho-sexual Fatigue

قد يعجز **المتعب** عن ممارسة الجماع فيعزف عنه أو قد يشرع فيه ولكنه يرتخي أثناءه. **والتعب** حالة يشعر فيها الرجل أوالمرأة أن طاقته قد استنزفت وأنه قد حيل بينه وبين تجديدها وعندئذ يتعذر عليه أن يحتمل أبسط الضغوط ولايقدر على تلبية احتياجات التوافق العادية. **والغذاء الجيد والراحة والنوم** علاج للتعب. والحرمان من أي من هذه الأمور لمدة طويلة من شأنه أن يستشعر له الشخص بالتعب، فمثلا يعجز الشخص الذى يحرم من النوم لمدة **يومين** عن الانتصاب، وإذا زاد حرمانه من النوم عن ذلك إلى **ثلاثة أيام** اضطرب تفكيره ولم يدر من شئون الجنس شيئا ويسوء توجهه وتصوره، وقد يرفع يده إلى رأسه من حين لآخر وهو مايطلق عليه اسم **وَهْم الطاقية** hat illusion، وكأن طاقية تحزم رأسه من الألم المُمِضّ. وقد تبين أن **العمال** أقل الناس إتيانا للجنس بينما أكثر الناس انشغالا به وممارسة له هم **الأغنياء**، بالنظر إلى الحرمان المادي والنفسي الذى يعيش فيه العمال، فظروف العمل ونقص النوم والتغذية وقلة الراحة كلها عوامل يشعرون معها بالتعب الذي يصرفهم عن الحب ويستنفد طاقتهم دون الجماع. **وللمجهود العضلي** تأثيره البالغ على الناحية الجنسية، فالعضلات تصاب منه بالتيبس نتيجة العرق المبذول ونقص السوائل، كما أن عمليات المخ تتأثر نتيجة تناقص الأوكسيجين في الدم بالنظر إلى حالة اللهاث التى

يكون عليها المُتعَب عضليا الذى يبذل الجهد الكبير. ويبدو أن كل الأعمال حتى الفنية والأدبية تكون مرهقة لصاحبها إذا كانت على وتيرة واحدة فيصاب منها بالملل، غير أن الفارق بين الملل الذى يأتى العمال، والملل الذى قد يعتور المترفين من الفنانين والأدباء، أن الأخيرين يعيشون فى ظروف أفضل فلا يكون شعورهم بالتعب سريعا.

ويبدو أن أكثر الطلاق يكون والزوج متعب، ويقع طلاق العمال بعد يوم شاق من العمل. والوَهَن النفسى له نفس أثر الوهن العضلى، فإذا ترافق الوهن النفسى والحرمان من النوم ومن الراحة، ومعاناة بعض الظروف السيئة كالبرد أو الحر الشديدين، فإن ذلك قد يجعل الزوجين أقل احتمالا لأية احتكاكات بينهما، بل يكون مدعاة للشجار، ناهيك عن العجز تماما عن إتيان الجنس. وكانوا قديما يردون الكثير من مشاكل الزواج وفشله إلى النهك العصبى أو النوراستينيا كما كانوا يسمونها، غير أن ذلك يجعل من التعب اضطرابا بذاته، وهو ليس كذلك، وفى حالات التعب يشعر المتعب بالعجز كليةً وبتناقص الكفاءة. وعندما نقول حالات التعب fatigue states نعنى تلك الحالات التى يكون التعب أظهر أعراضها والتى لها أسباب نفسية حالية، أو تكون أسبابها النفسية قد طال أمدها فصارت مزمنة. وتسبب مشاكل الأسرة المادية والخلافات الزوجية ومشاكل الوظيفة ضغوطا نفسية تستحدث التعب الحالى أو قد تكون مشاكل مستفحلة تجعل التعب مستفحلا. وإذا ترتب العجز الجنسى على التعب فإنه إذا أزمن التعب فقد يزمن العجز الجنسى ويصعب علاجه. والفرق بين التعب العضوى الأسباب، والنفسى الأسباب، أن التعب العضوى قد ينتج عن نقص التغذية مثلا أو نقص الفيتامينات أو الهرمونات، وكثيرا مايدفع هذا التعب البنات الفقيرات إلى احتراف البغاء. وأغلب زلل البغايا كما تقول سيمون دى بوفوار من هذا النوع من التعب الذى يولده الجوع والفقر، والذى به يتشوش الفكر ويضطرب ميزان القيم ويسلك المرء بحسب ماتمليه حاجته لابحسب مايمليه عقله. والتعب النفسى ليس له مكان بعينه على عكس التعب العضوى. وهو تعب غير منتظم ولايساير النواحى التشريحية للجسم، مثل تعب ربة البيت بتأثير الضغوط. النفسية المنزلية والصراعات العائلية. وغالبا مايأتى هذا التعب النفسى أو النهك النفسى psychasthenia على فترات وكلما واجهت المرء مواقف عصيبة. وهو يرتبط بصراعات انفعالية وبمشاعر بالذنب وبالوحدة والإحباط، وبميول عدوانية ورغبات جنسية لاتجد الإشباع، فمثلاً قد ينشب الشجار بين

الزوج والزوجة فتنهار الزوجة وتسقط على الأرض، وقد يغمى عليها، وقد تصاب بالغثيان ويبدو عليها التعب حتى لتلزم من بعد الفراش. وقد يكون لإدمان **العادة السرية** تأثيره على الشاب أو البنت، وأغلب مايكون ذلك على هيئة مشاعر بالذنب ترهقه أو ترهقها وتمرض بسببها، ولايكون مرضه أو مرضها سوى التعب يشمل كل جسمه أو جسمها حتى أنه لايقوى على النهوض، ومن ذلك تعب **قيس-ليلى** الذى يقعده فلا يستطيع الحركة حتى ليقول لمن يعاتبه «أقوم هات يدا، أمشى هات قدما». والإحباط فى الحب والصراعات الجنسية تستنفد طاقة المحب، وكلما قلّ وعيه بصراعاته استشعر حدة التعب، وتلازمه أعراضه الأخرى من اكتئاب **وعجز عن الشعور باللذة ahedonia** فلا يكون للدنيا طعم، ويفقد الشخص شهيته للأكل، ولذا كان هزال العشّاق والمحبين الخائبين فى الحب، وتناقص وزن الأزواج الذين يتشاجرون، وإصابة الكثيرين بالإمساك.

ومن أنواع التعب مايسمى **بتعب التنبيه stimulation fatigue**، ومايعنينا منه فى المسائل الجنسية أنه مثلا فى حالات البرود الجنسى للمرأة أو عجز الانتصاب عند الرجل فإن الزوج أو الزوجة قد يتعب من **كثرة الاستثارة** دون إشباع، ومن ثم فقد يتناقص تجاوب الزوجة مثلا لمحاولات الجماع الفاشلة التى يقوم بها الزوج كلما تكررت هذه المحاولات بلا فائدة، وقد تصاب من ذلك بالبرود الجنسى، أو قد يصاب الزوج بالعُنّة إذا حاول مرارا أن يباشر زوجته الباردة جنسيا أوالمصابة باعتقال الفرج أو قمطة الفرج وفشلت محاولاته.

وعلاج الحالات النفسية المتولدة عن التعب تكون بحل الصراعات والمشاكل الجنسية، وتحسين موقف الشخص برفع معنوياته أو بمساعدته لاستعادة احترامه لنفسه، وأن ينال الحب الذى يستحقه، أو أن يجد لنفسه مايعوضه عن الحب المفقود. وأما **حالات التعب المزمن** الذى يدخل فيه عنصر عُصابى دائم، ولايتجاوب مع تغيير البيئة أو بتعاطى المهدئات أو المنشطات، فالأوْلى فيه **العلاج النفسى العميق** بغاية حل الصراعات القديمة، والمثال لذلك حالات **العصاب الحقيقى actual neurosis** التى تحدّث عنها **فرويد** والتى ترتبط بالوظيفة الجنسية عنده، فالشخص الذى يُقسَر على عدم الزواج وتُفرَض عليه العفة كما يحدث فى حالة بعض الفتيات، أو تحبط كل محاولاته للإشباع الجنسى، كأن يضطر إلى العزل إذا جامع، أو يُقسَر على ممارسة الجنس بأكثر مما يستطيع، أو تغلب عليه مشاعر

الذنب أو الصراعات فتجعله لايجامع بالطريقة الصحيحة أو تعوق الجماع عنده، ومن ثم فقد يصاب بالعُصاب الحقيقى ويستشعر أنه مريض ومتعب تعبا شديدا لايستطيع معه الوقوف أو السيْر أو النوم أو تناول الطعام.

والنهك العصبى neurasthenia الذى أشرنا إليه حالة ضعف عام قيل سببه **الإفراط** فى الجنس، وقيل سببه **الإثاره المفرطة** للخلايا العصبية فى المخ، وأسموه لذلك **الاهتياج العصبى nervosismus**، فمثلا إذا انهمك الشخص فى الممارسات الجنسية فى الليل والنهار من غير طعام أو نوم فقد يصاب بالنَهَك العصبى، وبعض طلبة الجامعات يشغلون بالجنس لعدة أيام حتى لقد يحبسوا أنفسهم عن كل نشاط إلا الجماع، والبعض قد يتعاطى **المنبهات** حتى تكون له الطاقة على الانتصاب والاستمرار فى الجماع لساعات، والبعض قد يتعاطى **الأفيون** لنفس السبب، وكل ذلك قد يدفع إلى الشعور بالنهك فيحدث عكس المتوقع ويتوقف الانتصاب. ولربما يتولد النهك العصبى نتيجة التعرض للخلافات الزوجية الكثيرة والانفعالات المستمرة المترتبة عليها، ويساعد على الشعور بالانهيار أن الأشخاص الذين يستجيبون بهذه الاستجابات يولدون ومستويات الطاقة لديهم منخفضة فلا يقوون على الاحتمال فى مواجة مثل تلك الضغوط.

ويطلق البعض على النهك العصبى اسم **عُصاب ربة البيت المحبطة** neurosis of the frustrated housewife وذلك أنه قد لوحظ أن أكثر الذين يصابون بهذه الحالة هم ربات البيوت، وعندما تبذل الزوجة من نفسها لأولادها وزوجها أكثر من طاقتها، ثم لاتجد إلا الفشل فى استجلاب رضا الزوج، وتعانى من الإحباط فى الحب، وتشعر بالجوع العاطفى، فإنها قد تتداعى بالمرض وتتهافت صحتها نتيجة الإرهاق والإحباط. وقد يدرج النهك ضمن اضطرابات **توهم المرض** hypochondriasis حيث أن مثل هذه الزوجة قد تشغل بصحتها ويشغل بها المحيطون بها وأخصّهم الزوج. غير أن توهم المرض يكون له أعراض محددة كأن يشكو الشخص أوجاعا بمعدته، أما النهك العصبى فشكاواه عامة، وهى ليست آلاماً بقدر ما هى **انحطاط وتعب وإرهاق** يصيب الجسم، ويخور بسببها عزمه ويضعف إقباله على الحياة. ولننظر مثلا إلى **حالة ربة البيت** التى أسلفنا القول عنها، فالملاحظ أن بعض النسوه تولين أعمال تنظيف البيت وكنسه ومسحه وترتيبه عناية قد يتضرر منها أهلها، ويشكو الزوج من حب امرأته للنظافة، وقد يجد أن تكرار تنفيضها

للبيت عدة مرات فى اليوم مسألة شاذة، وربما تكون المرأة كارهة لزوجها وتعانى لذلك من صراعات نفسية، فهى مضطرة للاستمرار كزوجة ومع ذلك تتآكل صحيا ونفسيا فتتوجه إلى أعمال البيت تصرف فيها كراهيتها، أو تصرف فيها طاقتها الشهوية التى لاتمارسها، والنتيجة أنها مع توالى السنوات تكبر فى السن، وما لا تقدر على احتماله فإنها تنهار تحت وطأته.

ولئن كان الأشخاص الذين لهم **نمط الجسم الواهن asthenic** أكثر تعرضاً من غيرهم للتداعى تحت وطأة الإرهاق والتعب، وخاصة مايتعلق منهما بالصراعات الجنسية، إلا أنه لاينبغى أن نخلط بين **المنهك عصبيا neurasthenic** والواهن جسميا as- thenic، والقلق إحدى السمات عند الاثنين، غير أنه لا يوجه كل تصرفات **الواهن**، بينما هو من مكونات **المنهك**، ويظهر على المستوى الشعورى عنده أو يكون ظهوره بشكل غير صريح ومباشر. ويوصف للمنهك **العلاج بالراحة rest cure**، وينصح للزوجة التى تعانى بالافتراق بعض الوقت عن زوجها للتخفيف من الخلافات الزوجية، والافتراق لبعض الوقت مطلوب للأزواج ليزول الفتور فى العلاقة، وليتوقف السأم والإحباط والتثبيط وهى أعدى أعداء الزواج. وهناك حالات لأوجاع تناسلية تنسبها النساء للمبايض والرحم والفرج وعضلات الفخذين وفى منطقة العجان، وعندئذ قد نطلق اسم **النهك التناسلى genital neurasthenia** على أعراضه، وقد تأتيها هذه الأعراض دوريا وكلما جاءتها الدورة الشهرية أو قُربها، فيقال لها **الوهن العصبى الدورى neurocirculatory asthe-nia**، وقد يترتب بسببه الإفراط فى الجهد بدون طائل، مما يترتب عليه الشعور بأوجاع فى الجسم وربما القلب أو المعدة، فنقول نهك رب الأسرة الفاشل، أو نهك الزوجة الفاشلة، أو نهك المحب الخائب. وهناك حالات لشبان أنهكوا أنفسهم جنسياً وعندئذ يصاب الواحد منهم بما يسمى **العقال cramp**، فكلما أراد أن يستمنى مثلا ارتجفت يده وتقلصت عضلاتها، وعجز عن ممارسة الاستمناء بتأثير الصراعات النفسية حولها ومايعانى منه من مشاعر ذنب وقلق.

وقد يكون **النهك مرحليا** كما قلنا **periodic neurasthenia** يخبره الشخص على فترات وكلما ألّم به الاكتئاب واستحوذت عليه الانفعالات أو الأفكار التى لها طبيعة الحواز، كحالة زوجة اكتشفت أن زوجها **يخونها مع البغايا** فتوهمت أنه سينقل إليها مرضا

تناسليا، فكانت تصر على أن **يغتسل** قبل الجماع معها، وكانت تغتسل بعده مرات ومرات، والنتيجة أنها عافت الطعام وعافت الجنس وكرهت زوجها وبيتها وتداعت تحت هذه الانفعالات بالنهك، غير أن أمثال هذه الحالات يكون ظهورها عند الأشخاص الذين يعانون من **تهافت نفسى** فتكون الصدمة التى يخبرونها منبها يعجّل بظهور النهك، فاكتشاف الابن يستمنى بيده من قَبِل الأم قد يجعله يتداعى بالنهك، واكتشاف الزوج أن زوجته تخونه أو أنها تدعوه باسم آخر غير اسمه وليس له صله بهذا الاسم قد يعجل بالنهك، وأمثال هذه الصدمات وما أكثرها فى حياتنا يجعل البعض يربط بين النهك والصدمة ويطلقون عليه اسم **نهك الصدمة**.

ومن المعروف أن الناس عندما يتعبون وبهم حاجة إلى النوم فإنهم يتثاءبون. **وللتثاؤب yawning** علاقة بالجنس. **والتثاؤب العصبى** وسيلة لا شعورية يأتيها البعض عندما تتفجر بهم الرغبات الجنسية الطفولية والميول العدوانية، ويُلاحظه كثيرا أطباء النفس خلال جلسات التحليل، فكلما اقترب الطبيب من أسباب المرض وتناول بأسئلته موضوعا حسّاسا للمريض فإنه يلجأ إلى الهروب من الإجابة بالتثاؤب. وقد يتثاءب المريض وتطفر عيناه بالدموع، وذلك دليل على أن الموضوع الذى أثاره الطبيب يسبب له الكثير من الألم أو يسترجع أحزانا خاصه، وبدلا من أن يُظهِر المريض انفعالاته الحقيقية ويتداعى لذكرياته بالبكاء مثلا، فإن **الأنا** يلجأ إلى هذه الوسيلة ليخفى الحقيقة. وقد تلتقى فتاة بحبيبها فتكثر من التثاؤب حتى لتخجل بشدة من نفسها، ويتبين من التحليل أن تثاؤبها وسيلة لاشعورية تصرف فيها رغباتها الجنسية المستعرة التى يفجرها تواجدها مع هذا الحبيب، وفى هذه الحالة ربما يكون التثاؤب أيضا إقناعا منها لنفسها بأنها ليست شَبِقة، وأنها لايهمها أن تكون إلى جوار هذا الحبيب بدليل تثاؤبها، أى أنها رغم وجوده لاتطلب سوى أن تنام، وفى نفس الوقت فإن استمرار تثاؤبها يضايقها ويؤلمها، ولكنها مستعدة لتحمل هذا الألم ولا أن تتحمل الألم الآخر الذى يمكن أن ينزله بها هذا الحبيب لو أنها أظهرت تعلّقها به وولهها فى حبه وتصرفت بحيث يتمكن منها جنسيا. وهذا الضيق أو الألم من التثاؤب هو فى الحقيقة الضيق أو الألم المُزاح من رغباتها الجنسية اللاشعورية التى لم تجد متنفسا لطاقتها تخرجه فيها إلا التثاؤب، وما يدريها لعل هذا الحبيب يرفضها لو أسلمت له نفسها جنسيا، والتثاؤب ينقذها من مخاطر عرض رغباتها الجنسية، بتحويلها إلى تعب ورغبة فى النوم والراحة (أنظر **العصاب الجنسى**).

- ١٢ -

الغثيان النفسي الجنسي Psycho- sexual Nausea

يرتبط الغثيان بالجنس بشدة، وكثيرا ماتتسبب الأزمات النفسية الجنسية في الشعور بالغثيان والقئ. ويرتبط الغثيان بالقلق سواء كان قلقا نشأ مع المريض من تجارب الطفولة الصادمة أو قلقا تستلزمه مواقف حالية، فمثلا قد تتعرض البنت لاعتداء جنسي في صغرها ويترتب على ذلك أنها كلما تحدث أبواها في زواجها من بعد، أو تقرّب إليها شاب، انتابتها حالة الغثيان والقئ، ومن ثم يستلزم علاج حالات الغثيان المزمنة الكشف عن أسبابها البعيدة التي تتستتر وراء الأعراض المَعِدية المعوية.

وقد ينتاب الغثيان الشخص القلق عدة مرات في اليوم إذا شعر أن عزيزا أو حبيبا له يهدده الموت وقد يفقده، أو إذا نأت به المقادير عن عزيز وأحس بفراغ عاطفي شديد الوطأة على نفسه من جراء الفراق. وقد يظل الزوج أو الزوجة يقئ لوطلب أحدهما من الآخر الطلاق. وقد يأتي الغثيان العروس كلما اقترب موعد زفافها حتى لتقئ في اليوم الواحد عدة مرات. وكانت هناك زوجة تقئ كلما همّ بها زوجها، ويأتيها القئ مرة ثانية كلما ذهبت إلى الحمام بعد الجماع ورأت آثار المَنِي عليها وعلى قميصها. والغثيان من هذا النوع دليل **النفور الشديد**، وقد يكون عَرَضا من أعراض **خُواف الجماع** أو **خواف الرجال**، وهو ذريعة لكي لا يأتيها زوجها. ويشبه الغثيان **لمطة الفرج**، فكلما كان هناك جماع جاء الغثيان إلى أن يصبح من العلل التي تحتج بها الزوجة كلما أرادت أن لايضاجعها زوجها. وكانت هناك **حالة لفتاة** كان الغثيان يأتيها لمجرد أن يتحدث إليها خطيبها في التليفون، وقد اضطروها مع ذلك إلى الزواج منه وطُلّقت من بعد.



- ١٣ -

السأم الجنسي Sexual Boredom

يشعر المتزوجون كثيرا بالسأم أو الملل بعد فترة قد تطول أو تقصر من الزواج. وغالبا مايترافق السأم أو الملل وبعض التغيرات التناسلية، ويرتبط بفترات من العمر كالمراهقة أو سن اليأس أو طول فترة الزواج. وقد يشعر المحبون بالسأم. وقد يسهل على المحب أو الزوج أن يقول أن مايشعر به هو السأم بدلا من أن يقول أنه يشعربأنه يفقد شخصيته أو

يفقد الواقع ويحس بأنه غريب عليه، أو أن الناس من حوله يضجرونه وأنه يكرههم ولايجد مبررا لكراهيتهم. والزوج الذى يجد أنه أصبح يسأم زوجته ربما يكون مايعانى منه اكتئابا نفسيا، وكانت **أنّا كارنينا** فى رواية **تولستوى** تعانى من اكتئاب نفسى فى دور التكوين، ومن ثم فلم تكن تجد نفسها فيمن حولها، وكانت تعزف عن كل فعل، ولايرضيها شئ، وكانت تعبر عن ذلك بأن ما بها ليس سوى **السأم** أو **نوبة من الملل**. وقد يكون الاكتئاب صريحا ويدفع إلى الانتحار، ولقد لجأت **أنا كارنينا** إلى الانتحار، بأن قذفت بنفسها تحت عجلات القطار برغم أنها تزوجت من عشيقها وأنجبت منه طفلين.

وغالبا مايكون السأم هو الوجه الآخر من الإحباط، ويكثر الشعور بالإحباط فى المجتمعات المحافظة والمتدينة، وفيها لايتسنى للمحبين والشباب عموما إشباع حاجاتهم الجنسية ويعيشون فى جوع عاطفى يجعلهم يفشلون فى نواح ومجالات أخرى، الأمر الذى يجعلهم يتصرفون بعدوانية قد تتجه إلى أنفسهم فيلجأون إلى الانتحار، أو تتجه إلى الآخرين وخاصة **الجنس الآخر**. والسأم هو الدافع لكثير من حوادث الاغتصاب والقتل، ولم يقتل **الغريب لألبير كامى** إلا لأنه يشعر بالسأم. والسأم يتسبب فى **العجز الجنسى** عند الرجل وفى البرود الجنسى عند المرأة. وهو أيضا السبب فى الكثير من **اضطرابات القذف واضطرابات الحيض**، وعلاج هذه الاضطرابات لابد له من علاج السأم نفسه وأسبابه فى حياة الشخص، ليتبين حقيقة مابه، ويكون له الاستبصار الذى يمكن أن يجعله أقدر على تجاوز ظروفه وتوجيه طاقاته الوجهة الإيجابية، سواء بالنسبة لنفسه أو لمجتمعه.

ومن رأى **فينيخل** أن الشخص الذى يستشعر السأم إما أنه مثلا يحب ويستحيل عليه أن يواصل محبوبه، أو أنه يريد أن يحب ولكنه لايجد الفرصة لذلك، وإما أنه لايشعر بأنه فى حاجة إلى الحب وذلك هو **السأم المَرَضى**. والفرق بين الشخص العادى والشخص المريض نفسيا، أن الأول عندما يسأم علاقة جنسية فإنه يبحث عن غيرها، وأما الثانى فإنه برغم شكوى السأم من موضوع حبه إلا أنه يصر عليه.

ويقول **فرينزى** أنه كان فى جلسات التحليل يرى المريض **يتثاءب سأماً** عندما يتناول التحليل مواضع من حياته حساسة، وكانت هناك مريضة تتثاءب وتطفر عيناها بالدموع كلما كان عليها أن تتطرق إلى حوادث مثيرة فى حياتها. ويقول **فرينزى** إن السأم مظهر عند البعض لاضطرابات تحاول أن تظهر إلا أنها تُكبت، غير أن كبتها لايكون تاما فتفصح عن نفسها فى شكل **التثاؤب** لتخفى حقيقتها الانفعالية، إلا أن ارتباط السأم بالتثاؤب الذى

أداته الفم لدليل على أن الرغبات المكبوتة هي رغبات فمية أو من المرحلة الفمية، وفي بعض حالات السأم المَرَضي يكون التثاؤب دفاعا عُصابيا ضد الرغبة في البصق أو التقيؤ.

ويذهب آخرون إلى رد التثاؤب في السأم إلى رغبات شرجية بالإضافة إلى الرغبات الفمية، وقد يعبر السأم عن رغبات من أي من الأطوار النفسية الجنسية، ومن ذلك أن يكون التثاؤب مظهراً للميول الاستعراضية.

* * *

- ١٤ -

الدوار النفسي الجنسي Psycho-sexual Vertigo

قد تسمع أن فتاة تشعر بالدوار يتملك رأسها وتترأرأ له عيناها كلما قابلت فتاها أو عندما يقبلها لأول مرة. وقد تقول بعض النساء إنهن يشعرن بهذا الدوار حتى ليغشى عليهن عندما يأتيهن الإنعاظ. والدوار من هذا النوع نفسي المنشأ، وهو غير الدوار العضوى الذى له أسبابه العضوية بالدورة الدموية، أو يترافق واضطرابات المخ، أو بسبب التهابات الأذن الداخلية.

والدوار شأنه مثل حُمرة الخجل قد يكون استجابة قلق، ولأعراضه معان رمزية تتصل بالصراعات النفسية الداخلية، فعندما تتفجر الدوافع الغريزية بالمرء فإنها تدفعه إلى الحركة من أجل إشباعها، غير أنها إذا كانت دوافع غريزية مكبوتة فإن هذه الحركة تتعطل ويحل محلها الدوار، فمثلا قد تستبد بإحدى النساء رغباتها الجنسية وتكون بها ميول للبغاء، وقد تأتيها لذلك أحلام يقظة بأنها أصبحت بغيا فعلا وتتوهم نفسها كذلك، وعندئذ قد تعاني من دوخة تعترض أحلامها، وتستشعر خَدَراً يسرى في أطرافها ويختل بسببه توازنها، حتى لتسرع فتستند إلى شئ أو تجلس، ويستمر الدوار يتملك رأسها، وهو هنا يتدخل ليمنع حركتها لتنفيذ رغباتها الجنسية، ويحول بينها وأن تجوب الشوارع كالبغايا، والدوار وسيلة دفاعية من الأنا ضد الرغبات اللاشعورية أو الأفكار الممنوعة أو المحرمة، أو أنه العقاب الذى يوقعه الأنا الأعلى بالأنا نتيجة هذه المشاعر والأفكار المحرمة. وكلما كان الدوار شديدا كلما كان ذلك صدى للقلق والصراعات النفسية الشديدة بالمريض.

* * *

الجنس واللـوازم Sex & Tics

اللازمة حركة تقلصية لاإرادية بالوجه أو بالجسم تتكرر بين وقت وآخر بصورة نمطية، وغالبا ماتكون أسبابها نفسية تدفع إليها صراعات لاشعورية شبقية، وكثيرا ماتكون بسبب صراعات حول الاستمناء، وهى صراعات يريد المريض باللازمة أن يخرجها ويتخلص بإخراجها مما يعانيه من توترات وقلق. واللازمة تعبير بالعضلات عن هذه الصراعات ومدافعات المريض، وهى وسيلته لدفع التوترات والقلق. والمريض يتميز بأنه إنسان تلقائى مفرط الحساسية والحركة، ولايتحمل الإحباط، ومتعجل، وكانت نشأته بين والدين شديدى الحماية له، متزمتين فى تربيته وخاصة فيما يدور حول الجنس.

واللازمة من **الخُلُق الشرجى السادى**، أى الذى يتخلف من **المرحلة الشرجية** من مراحل التطور النفسى الجنسى، فمع اللذة التى تترافق مع الإخراج يكون ضيق الطفل من إلزامه بالتبرز وتلقينه عادات النظافة. والطفل فى هذه المرحلة يتراوح بين الإذعان والثورة والتمرد. وتعرف الميول العدوانية المختلطة بلذة المرحلة الشرجية **بالسادية الشرجية** anal sad-ism، واللوازم فيها من المرحلة الشرجية للتعبير عن الصراعات الشبقية وإتيانها وقت المعاناة الانفعالية خلال الحياة اليومية، وتعبر عن العدوانية المصطبغة باللذة. وتخرج الحركة العضلية فى تعبيرات الوجه أوالرقبة أو اليدين بمضمون الصراع أو المعاناة، وهى لذلك **المعادل** لهذا الصراع وتظهر بدلا منه، وبدلا من أن يخرج الصراع نفسه فاضحا الشخص فإن اللازمة تأتى لتمثل المعنى النفسى اللاشعورى أو بعضا من معناه، واللازمة حركة صاحبت الهياج الانفعالى أو الجنسى المكبوت وقد يكون المريض قد لاحظها بغيره وتعّين بهذا الغير هستيريا فيقلده فيها.

ومن اللوازم مثلا **فتل الشارب** وله دلالة جنسية واضحة حيث التماثل بين الشارب والقضيب. ولازمة أخرى هى **شدّ القضيب** ويأتيها الكثيرون كلما تواجدوا فى مواقف انفعالية، وكثيرا ماتحرج المحيطين بهم وخاصة من النساء. **ولازمة البصق** وتماثل القذف. **ولازمة عرك الأذن أو الأنف** وهى معادلة للاستمناء. **ولازمة الرمش أو تكرار لفت الرأس** وقد تعنيان رغبة فى تجنّب موقف جنسى شديد الوطأة. **ولازمة النحنحة** وكذلك **لازمة النفخ** من خلال المنخارين اللتان فى المواقف الضاغطة، وقد تتخلفان عن المرحلة الشرجية تقليداً

للكبار أثناء تعلّم الإخراج، وقد يتعلم الشخص أن يكررهما تخفيفا عن نفسه فى المواقف الانفعالية خلال مرحلة البلوغ وتجربة الاستمناء وإدمانه. **والنحنحة** قد تعبر عن رغبات جنسية شديدة الإلحاح تتكرر مع الشخص فى مواقف معينة، ثم تشيع من بعد لتأتيه فى أية مواقف ضاغطة بصرف النظر عما فيها من إشباع جنسى. وقد أمكن ردّ **لازمة النحنحة والنفخ من المنخارين** عند شخص كانت تضطره ظروفه إلى مواجهة مجموعات من الناس والتحدث إليهم كما لو كان يخطب، إلى خبرات فى طفولته كان يسمع والديه وهما يتضاجعان، ولكن ماكان يصله من جماعهما هو لهاث الأب والكُحّة التى كانت تأتيه بين الفينة والفينة. **ولازمة شد شعرات الرأس أو الذقن أو الشارب** من اللوازم التى قد تعبر عن مخاوف خصائية.

وتعالج اللوازم بالتحليل النفسى لمعرفة الخبرات الماضية التى دفعت إليها،وقد يستعين المعالج بالتنويم المغناطيسى لعلاجها بالإيحاء. وقد يلزم العلاج النفسى العميق فى حالة اللوازم الهستيرية (أنظر **قضم الأظافر وشد الشعر**).

❋ ❋ ❋

- ١٦ -

الجنس وقضم الأظافر Sex & Nail- biting

لقاضم أظافره تاريخ طويل فى **العادة السرية**، وهو لايلجأ إلى هذه اللازمة إلا كبديل للاستمناء باليد، وربما يكون قضم الأظافر توجها منه إلى **عقاب** نفسه على أحاسيسه الجنسية، وخاصة إذا ما كانت موضوعاتها من معارفه المحيطين به. وأكثر مايكون إتيان قضم الأظافر فى **الطفولة والمراهقة**، وفى طور المراهقة يزيد الإقبال على هذه العادة من مخلفات الطور الفمى، وفى هذه الطور يجد الطفل لذته من الرضاعة ويتعلم أن يعض ثدى أمه ويجد فى ذلك لذة سادية، وقد يتخلف من هذا الطور بعض الخُلُق الفمى ويتثبت فى الشخصية، ومن ذلك أن يستدمج الشخص فى قضم الأظافر لذتىّ **الرضاعة والعض** معا، فكلما واجهته مشكلة لجأ إلى هذه اللازمة يخفض بها توتراته، ويستعوض بها اللذة المفتقدة، ويطرح عنه الألم الحاصل، ويستعيد بها الطفولة التى كان يعتمد فيها على أمه تحل له كل مشاكله. ولو سألنا قاضم أظافره عن سبب لجوئه إلى هذا الفعل لقال إنه يشعر **بالراحة** إذ يفعل مايفعل، وأنه يشغل به نفسه ويطامن به من **قلقه**. وصاحب الشخصية

القاضمة للأظافر يعانى من القلق، وكلما توتر أو عانى من الصراعات أقبل على ممارسة قضم الأظافر. ويبدو أن الأطفال يبدأون فى محاولات القضم عندما تكون العلاقات العائلية بين الأم والأب متأزمة، وتحتوى الأزمة الطفل فيما يقال له **الموقف الأوديبى** حيث قد يعانى من **الصراعات الأوديبية** ويستدمج الكراهية والعداء لأحد الأبوين، ولكنه لايستطيع أن يصرح بعدائه ولا أن يبدى كراهيته فيتحول بها إلى نفسه. والصراعات الأوديبية جنسية الطابع ولها تأثيرها الحاسم على تطور الشخصية (أنظر **اللوازم**).

***

-١٧-

نتف الشعر Hair Pulling

للشعر دلالة جنسية، فهو زينة للرجل والمرأة معا، وبه يتجملان كى يكون لهيئتهما التأثير الجنسى الأمثل عند الطرف الآخر. والشعر يغطى مناطق الجسم المثيرة جنسيا للمرأة والرجل، ومن ذلك **شعر العانة** فى المرأة والرجل، **وشعر الصدر والشارب والذقن** فى الرجل. ويهتم الجنسان بتسريحة الشعر وهى **مظهر للشخصية**. وعندما يتشبّه الذكر بالأنثى فإن أول مايفعله أن **يطيل شعره** ليجعل له هيئة الأنثى. وكذلك فإن المرأة المسترجلة **تُقَصّر شعرها** على شكل الصبيان، ويطلق الحلاقون على هذه التسريحة اسم à la gar-conne، وتفيد لفظة garconne الفرنسية معنى الفتاة المتحررة المتشبهة بالفتيان. والشعر عامل إثارة جنسية، وقد تعرف الأنثى ذلك فتجعل من شعرها مصيدة لاجتذاب الذكور، وفى داء **البُضعية الجنسية** sexual partialism قد يهوىَ الرجل من المرأة شعرها، وبدلاً من أن يطلبها فى بُضعها أى فرجها فإنه يطلبها فى شعرها، ويستغنى به فى إشباع شهوته الجنسية فيلامسه ويحتضنه ويكفيه ذلك وقد يمنى أو يستمنى. وفى داء **الفيتشية** قد يتعشق الرجل أى شئ يخص الشعر عند النساء، فيجمع دبابيس أو شرائط الشعر، ويقتنى منها الأعداد الكبيرة بالمئات، ويعطيه تأملها لذة جنسية كالجماع، أو قد تدفعه إلى الاستمناء فيستمنى ممسكاً بها أو وهى تحيط به على السرير. والفرق بين البضعية والفيتشية فيما يتعلق بالشعر أن **البضعية** استغناء بالشعر نفسه عن بقية جسم المرأة، أو استغناء بجمع خصلات الشعر النسائية، أما **الفيتيشية** فتكون غراماً بمتعلقات الشعر من الأدوات أو الصور. والبضعى لذلك قد يلجأ لكى يتحسس الشعر أن يلامس

النساء فى الأسواق وأماكن التجمعات، وقد يعمل لهذا السبب حلاقاً، **ومعظم الحلاّقين** فى مجال الحلاقه للنساء من الرجال، **والحلاّق البُضعى** فنان وهو يتحسس الشعر ويصنّفه ويخترع له التسريحات التى تناسبه. وهو لايحلق بقدر ما يتعبّد للشعر، وحلاقته طقوس. وأما البُضعى من غير الحلاقين فقد يضطره انحرافه الجنسى إلى أن يعتدى على الإناث أطفالا كانوا أو بالغين، فيقص شعرات أو يتغول فيقطع جديلة. وقد أمكن فى إحدى الحالات التى ضبطتها الشرطة إحصاء ٤٦٢ جديلة استطاع المريض بهذا الانحراف أن يقطعها من رءوس بنات فى المراهقة.

ولربما يكون **شد الشعر** هوساً يطلقون عليه اسم **trichotilomania**، وهو الولع الشديد لحد المرض، وفى حالة الشعر يكون الولع بشد أو نتف الشعر، ولربما يكون هذا الهوس عاما بحيث يكون **هوسا بالظواهر** **phaneromania** من فانيروس اليونانية بمعنى الظاهر، ومنها **الفنار** لأنه يعلو ويظهر. والظواهر هنا هى **بوارز الجسم** كالثديين والقضيب والأنف والأذنين والشعر والأطراف، وبوارز الجلد كالثآليل. **وهوس الظواهر**، أو **هوس نتف الشعر**، أو شدّه، دافع قهرى لتحسس هذه الأجزاء الظاهرة وخاصة النوابت والنواشئ من الجلد والشعر والأظافر. والمهووس قد يعبث بشاربه أو سوالفه، أو يقضم أظافره، أو ينتف شعر منخاريه أو حاجبيه، أو يتخلل أسنانه، أو يمسح على شعره أو جبينه أو صدره أو مؤخرته الفينه بعد الفينة، أو يشد على قضيبه الحين بعد الحين. ويكثِر المرضى بشد الشعر أو نتفه من هذه العادة المرضية مقهورين على هذا الفعل، أو يربتون على الشعر، والشعر ربما يرمز للقضيب ويتدلى مثله، وكلما استبدّت بالمريض الرغبة الجنسية يشد شعره أو يملس عليه وكأنه يشد قضيبه أو يدلكه، وهو لايستطيع أن يفعل ذلك بقضيبه فى الحال عندما تكون به الرغبة، ولكنه يستطيع أن يُملّس على رأسه أو يشد شعره (أنظر **الهوس**). والبعض يكون به هوس الشعر أن يشده ويأكله باعتبار الشعر يرمز لموضوع جنسى هو القضيب أو الفرج، **وأكل الشعر** **trichophagy** قد يظهر فى صورة تقبيل للشعر أو للرأس، وقد يكون فى شكل خواف على الشعر من أن يعتل **tricho-pathophobia**، أو أن يتلف ويتحول عن استوائه **trichonophobia**. والاهتمام بالشعر عموما قد يأخذ هيئة مرضية ويصبح اهتماما زائداً فيعدو المريض خلف الأطباء وينتقل من طبيب إلى آخر مخافة أن يفقد شعره. ولم يكن عبثا أن تكتشف **دليلة** فى

الأسطورة أن سرّ فحولة **شمشون** هو شعره، فلمّا قصّته له زايلته قوته وعادت إليه بنمو الشعر من جديد. ومن رأى البعض أن **الخوف الوسواسي على الشعر** يرجع لصدمة فى الصغر، باكتشاف الطفل أو الطفلة أن الأم مخصية، وتزيد المخاوف فى مرحلة الاستمناء عند البلوغ، ثم إذا عانى الطفل أو الطفلة من عمليات جراحية فيخشى على نفسه التشوه ومن ذلك أن يفقد شعره. وربما يتعلق الطفل فى مرحلة من حياته بأشياء لها شعر، كأن تكون دمية لدُبة أو أن يكون حيوانا حقيقيا كالكلب أو القط، وقد تتعقد العلاقة بينه وبين هذا الشئ أو الحيوان ويشعر بلذة جنسية بربته، وينمو معه هذا الميل فيكون من بعد ذلك لذة جنسية بربت الشعر أو بشده، وقصة **رجال وفئران لشتاينيك**، من ترجمتنا، هى دراسة رائعة لهذه اللازمة أو الهوس، **وليني** فى القصة يجتمع به هذا الميل مع بعض التخلّف العقلى. والبعض قد يتحول به التلذذ من تحسس الشعر إلى تلذذ من تحسس الأقمشة ذات الشعر. **وتعشّق التلذذ القماشى hyphephilia** انحراف جنسى قد يجعل صاحبه يمتهن بيع الأقمشة وأن يكون خبيرا فى أنواعها.

وشد الشعر بالإضافة إلى أنه تلذذ جنسى حسى بالتهيؤات، فهو يشبع الميول العدوانية ويمثل رفضا للإخصاء، ورغبة فى إرضاء الغير، ودفاعا ضد الميول للاستمناء، فبدلا من أن يستمنى الولد أو البنت فقد يذهب إلى **شد شعر البنات**، وقد يمارس **شد شعر نفسه**، وقد تفعل البنت هذا الشئ بالبنت مثلها، وقد تفعله بالصبية الذكور (أنظر **الفيتيشية والبضعية الجنسية**).

وتختلف النساء بحسب **نتف الشعر** فى المناطق الجنسية، ولادخل الثقافة فى ذلك، ولكن المسألة تتوقف على الناحية المزاجية للمرأة، وعلى تكوينها النفسى. والمرأة التى بها شبق للجماع وتشغل بكل مايخص الجنس تتجه إلى **نتف شعر العانة** باستمرار، **ونتف شعر جسمها كله**. ولذلك طقوس يتدرب عليها الإناث المشغولات بالجنس ويحتفلن بها ويخصصن لها يوما يقال له **يوم الجلوة**، حيث تجلو المرأة نفسها فتتبدّى أعضاؤها الجنسية زاهية وتظهر خواصها. ولربما يكون نتف الشعر الذى قد تأتيه بعض النساء بشكل طقوسى رفضاً للذكورة، وخوفاً من أن تتحول المرأة إلى ذكر، وتأكيدا على أنوثتها، وبعض الرجال يخشى شعر الجسم فى المرأة وخاصة شعر العانة، ولربما يبلغ به ذلك حد الخوف المرضى فيرهب أن يجتمع بامرأة تطلق شعر جسمها وعانتها، وقد يكون هذا الخواف **خوافا من التلوث** أو **خوافا من الإخصاء** باعتبار **الفرج المشعر** موضوعا يرمز للذكورة.

الفصل السادس والأربعون

السلوك الجنسى المضطرب عند الذكور ومظاهره

- ١ -

الاضطرابات الجنسية Sexual Disorders

قد تكون الاضطرابات التى تلم بالوظيفة الجنسية من النوع الفسيولوجى أو البيولوجى بسبب سوء أو قصور أو إفراط هرمونى، أو وربما لعيوب خِلْقية ولادية أو بعد ولادية، أو لاعتبارات صحية عقلية، أو صحية نفسية. وربما تكون هذه الاضطرابات الجنسية تُعامَل كذلك فى مجتمع بينما هى فى مجتمع آخر لا تعتبر اضطرابات. وللاعتبارات الأخلاقية والدينية تأثير فى تحريم الفعل الجنسى، والفعل الجنسى نفسه باعتباره سلوكا هو نتاج **التعليم الاجتماعى**. ويتعرض الطفل من الميلاد، لمؤثرات اجتماعية يُدخِلها فى خبرته الجنسية، وبها يتحدد نمط سلوكه فى المستقبل، وما يفضله، ومالايفضله من موضوعات ونشاطات جنسية. و**السلوك الجنسى المضطرب** هو فعل يتسم **بالقصور**، فهو يبدأ كنشاط جنسى كامل ولكنه يتوقف دون الكمال، أو أنه يتسم **بالشذوذ**، فبدلاً من أن يتوجه لفرد من الجنس الآخر فإنه يتوجه لفرد من ذات الجنس مثلا. وصاحب السلوك الجنسى المضطرب يعرف أن ما يأتيه ليس سوياً ومع ذلك يصر عليه ويداوم على فعله.

ولاشك أن **الجنسية** نفسها فطرية فى الإنسان، وأن كل الناس مالم تكن بهم عوائق معينة لديهم الحد الأدنى اللازم، أو الذى يحتاجونه للممارسة الجنسية، غير أن الوجهة التى ينصرف إليها النشاط الجنسى تتحدد بالتربية والأعراف الاجتماعية كما ذكرنا. ولقد تبين أن أكثر من ٩٠٪ من الناس يرتكبون أو ارتكبوا مخالفات جنسية ولو لمرة واحدة. وربما من المستحيل لهذا السبب أن نتبين الحدود الفاصلة بين الشذوذ والسوية. وأدى الاختلاط بين مختلف المجتمعات، والاندماج الذى يقرّب بين الطبقات، والتلاقح الحضارى والتعارف بين الشعوب، إلى اهتزاز الكثير من القيم، حتى لم يعد مستهجنا ما كان مستهجنا من قبل، واعتبر البعض ما نشهده الآن من قبيل «**الثورة الجنسية sexual revolution**»، إلا أننا رغم ذلك مانزال نعتبر بعض النشاطات الجنسية من الاضطرابات الجنسية، كاللواط، وجماع الصغار والتخنّث. وكان للثورة الجنسية المشار

إليها آنفا فضل إعادة النظر فى كثير من القيم الجنسية، وإلقاء المزيد من الأضواء على العديد من المشاكل الجنسية، ومن ذلك التمييز بين **القصور والشذوذ** الجنسيين، والقول بأن **القصور** عجز عن تحصيل الإشباع الجنسى، بينما **الشذوذ** انحراف بالفعل الجنسى عن غايته وهو النكاح بين شخصين متخالفين فى الجنس.

والقصور الجنسى له ثمانية ضروب، نصفها يخص الذكور، والنصف الآخر يخص الإناث، وما يخص الذكور **هو العُنّة بشقّيْها الأوْلى والثانوى، والقذف المبكر أو العجز عن القذف بالكلية. وفى العنة الأولية** يعجز الرجل عن الانتصاب، وهو لم ينتصب فى الماضى ولا ينتصب فى الحاضر، بينما هو فى **العنة الثانوية** كان ينتصب فى الماضى ومايزال ينتصب، إلا أنه فى حالات معينة يعجز عن الانتصاب، ربما لنقص فى الخبرة الجنسية، أو من جرّاء الإصابة بالاكتئاب، أو بسبب صدمة أو نحو ذلك، من الأمور المؤقتة التى يمكن أن يتجاوزها ويُشفَى منها، فيعود إليه انتصابه بارتفاع الموانع أو الضغوط من أى نوع التى كانت تحول دون هذا الانتصاب. وقد يحدث أن يستطيع المرء الانتصاب لكنه يقذف قبل أن يولج، أو مع الولوج، أو بعده مباشرة، ويسمون هذا النوع من القذف بأنه **قذف مبكر** لأنه يحدث قسرا عن صاحبه، وقبل أن ترتوى المرأة جنسيا، أو قبل أن تبلغ هِزة الجماع. ولربما يعجز عن القذف كلية.

وفرص **العلاج** من العنة الأولية نحو ٦٠٪، بينما هى فى العنة الثانوية نحو ٧٠٪، وفى القذف المبكر نحو ٩٨٪، وفى العجز عن القذف نحو ٨٣٪ (Masters & Johnson).

وللقصور الجنسى عند النساء أربعة ضروب كذلك، هى سوء الوظيفة الشبقى orgasmic dysfunction بشقيّه الأولى والثانوى، واعتقال المهبل أو **قمطة المهبل، وعسر الجماع**. ويعنى سوء الوظيفة الشبقى الأولى أن المرأة لم يحدث فى حياتها أن جرّبت هِزة الجماع بأى شكل من الأشكال، بينما هى فى سوء الوظيفة الثانوى لا تستطيع تحصيل الهزة إلا فى مواقف معينة وخاصة جدا، وأما فيما عدا ذلك فهى طبيعية وتستطيع أن تعايش هذه اللذة وتعاينها.

وتشعر المرأة المصابة **باعتقال المهبل** أن شريكها عاجز عن أن يُدخِل قضيبه فيها لتشنّج أو تقبّض مهبلها، أو بالأحرى لأن الثلث الأمامى من المهبل يقمط بشدة فيتعذر إدخال القضيب أو يصبح الجماع مؤلما. والجماع المؤلم يسمونه **عسر الجماع** ويعانى منه الرجل أو المرأة أو الاثنان معا.

وفرص **العلاج** من سوء الوظيفة الشبقى الأولى نحو ٨٣٪، وتقل النسبة فى سوء الوظيفة الثانوى إلى نحو ٧٦٪، وهى فى اعتقال المهبل ١٠٠٪، وأما فى عسر الجماع فكثيرا ما يكون السبب فسيولوجيا وتعالج الحالة بالأدوية أو بالجراحة.

ولقد قيل إن أكثر من **نصف الأزواج والزوجات** فى أى مجتمع متحضر يشكون من **اضطرابات القصور الجنسى**، وإن كانت الغالبية منهم لايسعون للعلاج. ولاينبغى الخلط بين أوجه القصور السابقة والقصور المؤقت الذى يعترى البعض بسبب التعب أو الإجهاد أو الانشغال الفكرى. ولربما يتسبب القصور عن أسباب تتجاوز التعب أو الانشغال الفكرى إلى ما هو أعمق بيولوجيا أو فسيولوجيا، كأن تصاب المرأة بتمزقات داخلية أثناء الولادة فيتسبب ذلك عندها فى عُسر الجماع من بعد. وقد تترتب العُنّة الثانوية على الإصابة بداء السكرى، وقد يؤدى إليها إدمان الكحول أو المهدئات، وفى غير ذلك أو أغلب الحالات تكون للقصور الجنسى **أسباب نفسية**، ربما ترجع إلى عجز عن حل الصراعات اللاشعورية التى نشأت فى المرحلة الأوديبية من مراحل التطور النفسى الجنسى، واستمرت مع الشخص إلى ما بعد الرجولة، كأن يكون سبب العنة ارتباط الرجل جنسيا ارتباطا لا شعوريا بأمه، فيتمثلها فى كل امرأة يريد أن يجامعها، وبذلك تَحرُم كل امرأة عليه ويعجز عن غشيانها لعجزة عن غشيان أمه، ولعل رواية **«السراب» لنجيب محفوظ** من أكثر الأعمال الأدبية عَرْضا لهذه الحالة وسبراً لأغوار صاحبها.

وقيل إن **حسد القضيب** الذى يمكن أن تصاب به المرأة منذ صغرها عندما تكتشف أنها كطفلة تختلف عن أخيها، حيث يمتلك هو قضيبا يستطيع أن يأتى أعمالا كثيرة لا تستطيعها هى، وتنسب إلى امتلاكه لهذا القضيب الامتيازات التى تُعطَى له دونها وعندئذ قد تشعر بالغيْرة منه وتحسده على هذا القضيب، وهذه الغيرة وذاك الحسد يعملان عملهما فى سلوكها ويطبعانه بحيث تنشأ على أوضاع معينه وبتكوين نفسى معين- قيل إن هذا الحسد قد يفسر ظاهرة **اعتقال المهبل**، وكأن المرأة إذ تقمط على قضيب رجلها فيعجز عن إخراجه أو تحريكه منتصباً فى فرجها، تريد أن تحتجز القضيب الذى تحسده عليه لنفسها، أو تحرمه منه باعتقاله داخلها.

وقيل أيضا فى القصور الجنسى أنه قد يرجع الى **انسداد نفسى** بحيث لا تستجيب المرأة أو الرجل بسبب ما يرتبط بخبرتهما الجنسية من خوف من الافتضاح أو من الحمل، أو الاشمئزاز، أو مشاعر الذنب الدينية، أو القلق النفسى (أنظر **العنة والقذف**).

والشذوذ الجنسي الذى قد يكون بأى شخص يُقصَد به الشذوذ فى السلوك، ويمارسه الشاذ أو المنحرف جنسيا **بالاستعراء، أو بالتطلع الجنسى، أو بتعشق الصغار، أو باللواط، أو بإتيان المحاريم، أو بالاغتصاب، أو بالتخنث، أو بارتداء المغاير من الثياب مما يخص الجنس الآخر وهو ما يسمى التشبّه، أو بإنزال الأذى بالشريك فى الفعل الجنسى فيما يُسمّى بالسادية أو الصادية، أو بنقيضها فيما يعرف بالماسوشية أو المازوكية (أنظر كلا من هذه الموضوعات تحت عنوانه).**

وللاضطرابات الجنسية من وجهة نظر **التحليل النفسى** تفسيرات تختلف عن تفسيرات **المدرسة السلوكية**. ومن رأى **فرويد** أن هذه الاضطرابات تبدأ فى الظهور فى مراحل الطفولة المختلفة، وتستمر مع الشخص إلى مابعد المرحلة التناسيلة. وللأطفال قدرة على التحايل بمختلف الوسائل الدفاعية للتغلب على قلق الخصاء أو حسد القضيب اللذين يلازمان المرحلة الأوديبية (أنظر **قلق الخصاء وحسد القضيب والمرحلة الأوديبية**). وتذهب مدرسة التحليل لنفسى إلى إرجاع الاضطرابات الجنسية إلى تثبيت على مرحلة من مراحل النمو النفسى الجنسى التى تسبق المرحلة التناسلية، وبالأخص **المرحلة الأوديبية** التى تبدأ هذه الاضطرابات فيها عادة. فمثلا **إتيان المحارم** هو اضطراب تتحقق به للشخص رغبات جنسية مكبوتة تجاه أمه أو أبيه من المرحلة الأوديبية. ويعتمد العلاج النفسى أو التحليلى لهذه الحالة أو غيرها على تبصير المريض بصراعاته اللاشعورية ومساعدته على السيطرة على دوافعه وقلقه.

وترد **المدرسة السلوكية** الانحرافات الجنسية إلى عمليات إشراط مبكر ترتبط بها الخبرات الجنسية المفضلة عند الشخص المنحرف جنسيا، كأن يتعلم الصغير الاستمناء فى الحمام بينما ملابس أمه أو أخواته البنات ملقاة هنا وهناك، وقد يطالعها وهو يستمنى، وقد يستمنى فيها، ويكبر وما يزال يستمنى مكتفياً بالملابس الحريمى الداخلية يقتنيها لهذا الغرض. وقد تختلط عند المراهق لذة الاستمناء بالألم الذى يستشعره وهو يثير نفسه ويجهد لإتمام الاستمناء، ويكبر وهو ما يزال **يخلط بين اللذة والألم**، فيمارس النشاط الجنسى فى شكل **السادية أو الماسوشية**. ولربما يكون أصل السادية أو الماسوشية أن الشخص وهو طفل، كان يعاقبه أبوه أو أهله ويصالحونه ويترضونة فى نفس الوقت، فيرتبط عنده **الحب بالعقاب**. ولربما يكون للإشراط دور فى تفسير **التخنث**، فقد يخلو للطفل أحيانا

أن يمثل دوراً نسائيا فينال الاستحسان على تمثيله، أو قد يبدى المحيطون به إعجابهم وهو يرتدى لسبب أو لآخر ملابس النساء، وقد يتكرر ذلك منه ومن ثم يترسخ الانحراف.

وتعالج المدرسة السلوكية **الشذوذ الجنسى** بالإشراط المنفّر، طالما أن الإشراط هو سبب الانحراف. وحين يتبين للمعالج نوع المثير الذى يفضله الشاذ تُعقَد له جلسات يطالع فيها صوراً جنسية وأفلاما، فإذا ظهر المثير يُعطَى الشاذ صدمة كهربية، وتتكرر العملية بحيث يتعلم النفور من هذا المثير. وقد يزيد المعالج فيقدّم له مثيراً آخر من النوع السوى، ويقوّى إقباله عليه. ولقد ثبت نجاح **العلاج السلوكى** فى كثير من الحالات، وخاصة مع الفيتشيا والاستعراء والتشبّه، وفى بعض حالات جِماع الصغار والسادية. ولم يثبت أن للواط علاجا ويذهب بعض المنظّرين من الوجوديين والإنسانيين إلى مساعدة اللوطى أو المصاب بالجنسية المثلية على قبول وضعه الشاذ والسلوك فى الحياة بإيجابية، بحيث لا يكون شذوذه عائقا له عن التفاعل الاجتماعى وأداء واجباته الأسَرية والوظيفية (**أنظر العلاج الجنسى**).



- ٢ -

الاستمناء Masturbation

الاستمناء عند الذكور، **والتبظّر** عند الإناث، **والأول** هو أن يحك الذكر قضيبه بيده ويجريها عليه لعدد من المرات مع التخيل اللازم لجماع أو لامرأة بالذات إلى أن يُمنيِ، **والثانى** هو أن تفعل المرأة مثل ذلك ببظرها إلى أن تأتيها الهِزّة فتستكفى، غير أنه يطلق على الاثنين اسم **الاستمناء** تجاوزاً ومن باب التعميم. ويشترط له أن يكون مُتعَمداً ويقصد استجلاب اللذة، ومالم يكن لاستجلاب اللذة فأى تناول للأعضاء الجنسية من قبَل صاحبها ليس استمناء. والكثيرين من علماء النفس يذهبون إلى أن الاستمناء شئ يمارسه البالغون، مثلما يشاهد عند الأطفال، وهو سلوك طبيعى يصدر من الطفل أو المراهق وبه يستطيع أن يفرغ توتره الغريزى، وأحيانا يكون الاستمناء وسيلة عادية للتنفيس الجنسى عند البالغ عندما يعز تصريف الرغبات وإشباع الحاجات الجنسية بالطرق الطبيعية. وقد لا يلجاء المراهق إلى الاستمناء تعففاً بوحى من التربية، أو خوفاً بسبب ما يتناهى إلى سمعه عن الآثار التى يمكن أن تترتب على هذه العادة صحيا ونفسيا، وعندئذ قد يمارس الكبت

ويصاب من ذلك بأضرار نفسية بالغة، مالم يكن هذا الضبط لغرائزه من باب التسامى بها وتوجيهها وجهات أخرى فى نشاطات فنية أو رياضية أو اجتماعية. وعادة ما يستطيع المراهق أن يحلّ الصراعات التى تدور فى نفسه تجاه الاستمناء، وتتكون لديه ردود فعل تساعد على تشكيل شخصيته تشكيلا ناجحا، فيجد بدائل للاستمناء، وإلا فإنه يصاب بالاكتئاب نتيجة لهذه الصراعات، وقد يدمن الاستمناء ويصبح عصابيا. ويبدو أن أكثر مايلحق المستمنى من أذى يترتب أساسا على مشاعر الذنب التى تعقب الاستمناء، وقد تستمر هذه المشاعر مع المراهق لسنوات وتستنفد الكثير من طاقته النفسية وتهدرها هدرا. وقد يرد المراهق كل مايصيبه من أمراض لممارسة الاستمناء، وقد يحسب أن حَبّ الشباب وهزال جسمه والدمامل التى تصيبه وضعف بصره وتخلفه عن التحصيل فى الدراسة وحالات التوهان والشرود وضمور كتفيه إنما بسبب الإدمان على الاستمناء، وكان ذلك فعلا هو ما ساد الفكر الطبى فى وقت من الأوقات، واعتقد **فرويد** أن اعتياد الاستمناء يصيب المدمن بالنَهك العصبى، وهو عكس مايذهب إليه الطب النفسى المعاصر الذى يردّ النهك إلى قلة التصريف الجنسى أو عدم بلوغ الهِزّة، بمعنى أن المرء قد يضطرب سلوكه الجنسى بسبب القلق الذى يصاحبه، والذنب الذى قد يستشعره نتيجة الصراعات التى تحتدم به بين ماينبغى ومالا ينبغى والحلال والحرام والصواب والخطأ، فيعوقه ذلك عن الأداء الأمثل للتصريف الجنسى، ويمنعه عن التصريف المشبع. ويبدو أن تثقيف المراهق جنسيا لايحدث أثره المطلوب، فمهما قيل له من باب تخفيف مشاعر الذنب فإنه يستمر فى تقدير عواقب الاستمناء تقديرا مبالغا فيه، ويرجع الأخصائيون ذلك لا إلى ممارسة الاستمناء بل لما يصاحبه من تخيّلات تعود جذورها إلى **التخيّلات الأوديبية** المختزنة فى اللاشعور من الطفولة. وتطلق مدرسة التحليل النفسى اسم **الاستمناء المكبوت** **repressed masturbation** على نوع الاستمناء الذى تدفع إليه الرغبات الجنسية الطفولية ويمنع من التصريح بها مايأخذ به الوالدان طفلهما من التربية ومايأمران به وينهيانه عنه، ومايتكون نتيجة له مما يطلق عليه الضمير أو الأنا الأعلى أو الصورة الوالدية التى تستقر فى وجدان وعقل الطفل فينحو إلى التصرف على مقتضاها. ويترتب على كل ما سبق أن الدوافع الاستمنائية التى مناطها تحصيل اللذة تتراجع أمام الرغبة فى أن يظهر الطفل بمظهر الشخص المؤدب والمطيع مما يستحسنه الأبوان. وتظل هذه الدوافع الاستمنائية مكبوتة،

كما تبقى مشاعر الذنب التى تقوم عليها هى الأصل لأية مشاعر ذنب مقبلة تدور حول اللذة وتحصيلها فى البلوغ ومابعده.

والاستمناء السوى normal m. وسيلة التصريف الطبيعية فى المراهقة، بالإضافة إلى **الإمناء الليلى** الذى يترافق **والاحتلام**، فعندما تعز الوسيلة المباشرة فى **حالات الامتناع الجنسى** لايكون أمام الصبى وأحيانا البالغ إلا أن يستمنى بيده، أو يتخلص من توتره الجنسى بأنه تأتيه الرغبات الجنسية أحلاما أثناء النوم ويزيد بها تهيجه إلى أن يمنى طبيعيا. ويترتب التوتر الجنسى نتيجة عدة ظروف، وأهم مايدفع إليه أن تمتلأ **الحويصلات المنوية** بالمنى وتريد التخلص منه وشأنها فى ذلك شأن المثانة، فإذا لم تفرغ بالجماع المباشر أو بالاستمناء باليد أو بالاحتلام فإن الشخص قد يعانى ويظهر عليه الاضطراب والقلق، وقد يصاحب الاستمناء أن يتخيل المستمنى أنه يجامع، **وخيالات الاستمناء** من الأهمية بمكان، ذلك لأنها تمثل الرغبات الاستمنائية فى الطفولة أو الرغبات الجنسية المنهى عنها، وهذا هو السبب الذى يجعل الاستمناء أحيانا وسيلة صحية تحول بين المستمنى والمرض النفسى، إلا أن ذلك يشترط له أن يكون الاستمناء بهذه الطريقة وسيلة إعداد للشخص كى يتعرف على اللذة الجنسية، فيكون ذلك بمثابة التمهيد له للتدرج برغباته إلى الجنس الآخر وطلب الجماع كوسيلة وحيدة للإشباع الجنسى، فإذا استمر فى إتيان الاستمناء برغم ظروفه المواتية لممارسة الجماع الطبيعى، فإن ذلك يكون مؤشرا على **اضطراب نفسى** ربما مصدره أن الشخص يعانى من عُصاب أو ذُهان يجعله يأتى الاستمناء ويطلبه ويلح عليه. وهذا النوع منه هو مايطلقون عليه اسم **العادة السرية** أو بالأحرى **الاستمناء الاعتيادى** habitual m. أى الذى يدأب المرء عليه ويأتيه سرا، وقد يفعله له المزات فى اليوم الواحد وكل يوم، ويدفعه إليه القلق المفرط، ولذا يسميه البعض **الاستمناء المَرَضى** pathological m.، ومنه نوع يترافق والانحرافات الجنسية كأن يكون الشخص مصابا **بالفيتيشية** مثلا فيهوىَ أن يجمع ملابس النساء أو غير ذلك من متعلقاتهن ويلامسها أو يرتديها أثناء الاستمناء بيده، أو قد يعانى من ميول **إظهارية** فيأتى الاستمناء صريحا أمام امرأة بعينها، أو يكون مريضا **بالتطلّع الجنسى** فيتلصص على النساء ليشاهدهن عرايا فيدفعه ذلك إلى ممارسة الاستمناء. ومن **انحرافات الاستمناء** أيضا أن يتبادل شخصان الاستمناء بحيث يأتيه كل منهما الآخر، وقد يكون

الشخصان رجلا وامرأة ويمارسانه كجزء من الجماع، أو يكونان رجلين أو امرأتين فيكون فعلهما من باب الممارسة **الجنسية المثلية**، وقد يكون الاستمناء فى هذه الحالة كمدخل يسبق اللواط أو يكون غاية فى حد ذاته. والبعض يمارس أحيانا **الاستمناء الجماعى group m.** وذلك كثيرا مايحدث فى المراهقة، فيقوم الأولاد من نفس السن تقريبا بتجربة الاستمناء لمعرفة الوقت الذى يستغرقونه بالمقارنة مع بعضهم البعض، أو لتحديد كمية المنى لكل، أو شدة القذف باحتساب المسافة التى يصلها المنى عند القذف أو لمقارنة الانتصاب والقدرة عليه، وليس ذلك من المرض فى شئ إلا أنه بسبب تأثير التربية السيئة، وأما إذا كان الاستمناء الجماعى ظاهرة يأتيها البعض من الكبار فإنه بلاشك ظاهرة مرضية ودليل ميول انحرافية أكيدة.

ومن الاستمناء المرضى مايسمى **بالاستمناء الإحليلى urethral m.**، **والاستمناء الشرجى anal m.**، **والاستمناء الفمى oral m.** وهى حالات نادرة، والأول يكون بإدخال أداة فى الإحليل أو قناة مجرى البول وأكثر مايكون ذلك إن وُجِد بين الإناث، والثانى يتم بدعك الإست وإدخال الإصبع به ودلكه فتكون اللذة المفضية إلى الانتصاب والإنزال، والثالث شديد الندرة وغالبا مايستطيع الشخص أن يثنى جسمه بحيث يطول فمه قضيبه ومن ثم يصبح بإمكانه أن يمص القضيب، ويسمى ذلك **المص الذاتى للقضيب auto-fellatio**.

وهناك الحالة التى يقال لها **الاستمناء النفسى psychic m.** وهى أن يركز الشخص على الخيالات دون سواها ويزيد بها تهيجه، والتهيج فى هذه الحالة ذاتى أى من داخل الشخص، وحتى إذا بلغ الذروة فيه فإنه يستمنى، وذلك نادر أيضاً. **والاستمناء القهرى compulsive m.** قد يقصد به البعض الاستمناء الاعتيادى أى الذى يعتاده الشخص والذى يؤثره على الجماع ويأتيه فى اليوم الواحد لعدة مرات لعله فى كل مرة يحقق لنفسه الإشباع دون فائدة، فكأنما هو فى كل مرة تستعر فى نفسه الرغبة ويزيد بالاستمناء أوارها يكرره، ويظهر ذلك جليا عند الأطفال حيث قد يكثرون من اللعب بأعضائهم الجنسية، وقد ترى البنات يدخلن ماتقع عليه أيديهن فى فروجهن أو قد يقتصر ذلك على أصابعهن دون أن تتحقق الهِزّة، وأيضا لايبلغ الأطفال الذكور حد الإنعاظ، وكأن الاستمناء القهرى هو نوع من العقاب وليس لذة بالمرة، وكأن **الأنا** فى كل مرة يلجأ فيها

الشخص المستمنى إلى الاستمناء فى محاولة الحصول على الإشباع، يعاقب نفسه بنفسه عقاب الآلهة للملك ميداس، الذى بتحقيقها أطماعه وشرهه جعلت نهايته عن طريق هذا الإرضاء النهم لشره ليست له حدود، فطالما أن الشخص يطلب الإشباع الجنسى بهذه الطريقة فليتحقق مطلبه ولكن ذلك سيكون فيه ألمه ومعاناته، وهيهات أن يشبع بالاستمناء. ولعل المستمنى القهرى يعبر به عن محاولة يائسة للتخلص من توتراته بتصريفها بهذه الطريقة بعد أن عزّت كل الطرق الأخرى للتصريف، وهو فى ذلك يشبه مدمن المخدرات، فكلما تعاطى منها يطلب المزيد ويستزيد الكمية اعتقادا أنه سيرتاح، ولكن العكس هو الذى يحدث. والمستمنى يُمنِى حقيقة ولكن إمناءه لايشبعه، والإنعاظ الذى يتحقق به إنعاظ عضوى وليس نفسيا، ولربما يكون لجوؤه للاستمناء من باب الهروب من الواقع ومجابهة الآخرين وخاصة من الجنس الآخر، والمريض من هذا النوع عادة يخجل خجلا عُصابيا، أو ربما هو يحاول به أن يشفَى من حالة اكتئاب تلم به، نتيجة حاجة به إلى الحب ظلت به منذ طفولته، نتيجة إحباطات شديدة مصدرها أمه أو المحيطون به، أو قد تكون بالشخص انحرافات جنسية يجد منها العَنَت فتتسبب عنده فى صراعات يستشعرها محتدمة به، فيحاول أن يتخلص منها ومن أسبابها بأن يجعل أموره الجنسية فى «يده»، فعلا ومجازا، فيلجأ إلى الاستمناء ويدمنه ويكرره، ولربما يكون الاستمناء استنزالا لعقاب يقضى به على نفسه، أو هو بديل عن العقاب طالما أنه حقيقةً لايشبع به ويستشعر بعده بأنه أشد جوعا إلى الجنس منه قبل الاستمناء. وقد يستمنى المحبط الذى يحس تجاه الآخرين بالعدوانية والكراهية ولايجد فى نفسه القدرة على التوجه إليهم بما يريد أن ينزله بهم، فيتوجه إلى نفسه بما كان من المفروض أن يتوجه به إلى الآخرين، ولكن لأنها نفسه فهو يوفق بين اللذة والعقاب ويعطى نفسه اللذة التى لايستشعر منها إلا ألما، طالما أن ضراوة الجنس عنده تزيد بالاستمناء، ويريد باستمرار أن يستمنى فى اليوم الواحد لعشرات المرات، وذلك شئ مرهق للنفس والجسم معا. ويطلق بعضهم اسم **مدمنى الاستمناء m. addicts** على هذا النوع من الأفراد الذين يلجأون باستمرار إلى الاستمناء باليد تخلصا من التوترات. ويقول بعض علماء النفس أن **بعض الأفراد قد يلجأون إلى العقاقير أو المخدرات يدمنونها كبديل عن الاستمناء باليد**، وذلك منهم نكوص إلى **المرحلة الفمية** حيث كانت اللذة وإشباعها مناطها الفم وليس القضيب أو الفرج، ومع ملاحظة أن العقار أو المخدر يغنى عن الشريك

فى الفعل الجنسى تماما كما فى الاستمناء. ولقد استخدم «**فينيخل**» اصطلاح **مدمنى الاستمناء** إشارة إلى النوع المتطرف من المرضى بالاستمناء القهرى، وهؤلاء قد يكون الاستمناء باليد عندهم هو الاستجابة التقليدية لأية استثارة أو تنبيه من أى نوع. وفى الحالات الشديدة من «**الإدمان الجنسى**» لايصبح الجنس وظيفة ولكنه وسيلة غير موفقة لحماية صاحبها من أى مثير (Fenichel: The Psychoanalytic Theory of Neurosis).

وقد لايلجأ المستمنى مباشرة إلى القضيب أو البظر ولكنه يتوصل إلى مايحقق له الاستمناء عن طرق أخرى أو أعضاء من جسمه كبديل لعضو الذكورة أو الأنوثة، كالفم أو الثديين أو الإست أو الإحليل، أو يكون جلده كله عموما مثيراً له، أو عضلاته، أو ربما النشاط الحركى عامة أو نوع منه خاص، وعموما قد تكون أعضاء الحس وسيلته للاستمناء بأن يشحنها شحنا جنسيا، ولربما يلجأ إلى ذلك بعد أن ينجح فى كبت ميوله إلى الاستمناء باليد فيتوجه إلى عضو أو جزء آخر من جسمه كبديل، فإذا نجح فى كبت ميوله الجديدة فعندئذ قد يحل محلها أجزاء أو أعضاء أخرى. ويطلق أطباء النفس على هذا النوع اسم **معادلات الاستمناء** m. equivalents، غير أن هناك ضربا آخر يطلق عليه اسم **الاستمناء الرمزى** symbolic m. قد تستخدم فيه معادلات الاستمناء كالفم أو الثديين إلخ لتحقيق الاستمناء بدلكها والربت عليها، أو ربما يلجأ الشخص إلى وسائل أو معادلات أخرى أبعد من هذه، وقد لايتحقق له الإنعاظ عن طريقها لهذا السبب، إلا أنه مع ذلك يسعد بها ويستشعر لها لذة جنسية، وكمثال لذلك قضم الأظافر، أو السأف وهو جزء الجلد المتدلى بجانب الظفر أو عند جذره، أو شد الجلد أو البشرة الميتة أو المتصلبة عموما، أو عض الذراع وتشمم مكان العض، أو اللهو بأطراف الثوب أو المنديل، أو بالأكمام أو الياقة يلوكها الشخص فى فمه من حين إلى حين، أو يشد الشعر أو يفتل بعض الشعرات من حين لآخر، أو يتحسس أنفه بأصابعه كل حين، أو شحمه أذنه، أو يستدخل إصبعه فى أنفه أو أذنه أو فمه، وهذه العادات كلها لها أهميتها فى التحليل النفسى للشخص الذى يأتيها وتعتبر **بدائل لممارسة الاستمناء الصريح**، وهى أعراض سلوكية نفسية جنسية كثيرا مايأتيها الناس يوميا.

ولقد قلنا إن الاستمناء له طرقه الكثيرة التى أهمها عند الذكور الدلك للقضيب حتى

الإنزال، وبعض الذكور، وإن يكن ذلك قليلا، يطيلون العملية حتى ليؤخرون الإنزال لتطول بذلك لذتهم، وقد يستمر الدلك لنصف الساعة وأحيانا لساعة أو أكثر، إلا أن غالبية الذكور يبلغون الهِزّة سريعا ولاتستغرق عملية الاستمناء لديهم أكثر من دقيقة أو دقيقتين، والبعض قد لايستغرق أكثر من نصف دقيقة وأحيانا من عشر إلى عشرين ثانية. وقد يستمنى البعض بحك القضيب فى السرير وهو مستلق على بطنه ولكن ذلك لايحدث كثيرا، وغالبا مايكون ذلك كبديل لجماع مع مايصاحبه من خيالات بالجنس الآخر. والبعض قد يحاول الاستمناء بأن يمص قضيبه إلا أنه نادر الحدوث وذلك لأن الإنسان لايستطيع غالبا أن يطول قضيبه بفمه إلا إذا كان لين الظهر ويستطيع الانثناء الذى تتطلبه تلك العملية. وهذه الطريقة فى الاستمناء تأتيها **القرود** بكثرة وخاصة من نوع **الريسوس والمكاك والماندريل والشمبانزى**. وقد يستعين المستمنى بالصور ليلهب بها خياله ويزيد بها انتصابه، إلا أن ذلك لايحدث إلا مع المتعلمين دون غيرهم، وأما الغالبية فليس لهم إلاخيالهم يستعينون به على الانتصاب. وتختلف هذه الخيالات **باختلاف الميول الجنسية** للشخص، فمع الغيرى الجنسية فإنه يتخيل الجنس الآخر وهو يستمنى، ومع المِثْلى الجنسية فإنه يتخيل مواقعة أناس من جنسه. وقد يحب البعض أن **يرى** أعضاءه الجنسية وهو يستمنى، وقد ينظر فى المرآة، وقيل إن ذلك دليل على **جنسية مثلية**. وتبين بالدراسة أن الراغب فى مشاهدة نفسه وهو يستمنى غالبا **لوطى**، بينما صاحب الميول الجنسية الغيرية نادراً مايلاحظ أعضاءه الجنسية وهو يستمنى، وهو غالبا يستمنى فى الظلام، وقيل إن ذلك لكى يصفو ذهنه إلا من الخيالات الغيرية المصاحبة للاستمناء.

وأما **الاستمناء عند الإناث** فله صوره المختلفة وهى أكثر تعددا منها عند الذكور، والغالب أن تُجرِى الأنثى إصبعا من أصابعها أو أكثر على الشفرين الصغيرين وبينهما، وهى أثناء ذلك تلامس البظر، وتركيز أغلب الإناث على الاستمناء بهذه الطريقة دليل على أن هذه المنطقة من المناطق الشديدة الحساسية من الناحية الجنسية إن لم تكن من أشدها حساسية. ولاتستدخل الأنثى شيئا فى مهبلها وذلك لأنه قد ثبت أن المهبل يخلو من الأعصاب تماما، أو أن هناك بعض الأعصاب عند مدخل المهبل لاغير. وقد يلجأ البعض إلى دلك الشفرين الكبيرين وإن كان الغالب أن البظر والشفرين الصغيرين هما أكثر ماتتوجه إليه الأنثى من الفرج لكى تستمنى، فإذا حدث وكان الاستمناء عن طريق الشفرين

الكبيرين فالغالب أن يصاحب ذلك أن تستعين الأنثى بالضغط على كل فرجها مع ملاطفة الشفرين الكبيرين. **والضغط** عموما من الوسائل التى قد تلجأ إليها الإناث لتحصيل اللذة، وقيل إن **نحو عشرة في المائة** من المستمنيات يمارسن الاستمناء بضغط الفخذ على الفخذ فى حركات إيقاعية ويُصاحِب ذلك الضغط بعضلات الفرج، وذلك يؤثر على البظر والشفرين الصغيرين والشفرين الكبيرين، وقد تستخدم الأنثى يديها أيضا تربت بهما أو بأحدهما على فرجها أو تدلك فتحة الفرج بأصابعها، ويسهم ذلك فى الإثارة العضلية للمنطقة. وقد ترقد الأنثى على ظهرها وترفع ساقيها إلى بطنها وتضغط على عضلات الإلية والفخذين ضغطات إيقاعية، وقد ترقد على بطنها تضغط فرجها إلى حشية السرير أو تضع إحدى الوسائد بين الفخذين وتضغط عليها بهما وكأنها تمارس الجماع، وهذه الطريقة أفضل الطرق للوصول الى الهزة سريعا، وقيل إن ذلك بسبب هذه الحركات الإيقاعية التى تأتيها المرأة بكل جسمها بهذه الطريقة. ونفس الشئ يحدث للذكور عندما يمارسون الاستمناء بطريقة مشابهة، وقيل فى تفسير ذلك فسيولوجيا ان بلوغ الهزة هو عمل إيقاعى محض، فالحركات الإيقاعية التى تصاحبها التوترات العضلية دليل الاستجابة الجنسية ومظهر هذه الاستجابة، ولعل ذلك يفسر السبب الذى يجعل بعض الذكور يستمنون وهم وقوف بشد عضلاتهم والارتفاع بقامتهم على كعوبهم والضغط بشدة بعضلات الإليتين والفخذين دون ملامسة القضيب. وقد يحدث أن ينزل بعض الأولاد عندما يبذلون مجهودا من شأنه أن يزيد من شد عضلات هذه المنطقة الجنسية. ولعل التوتر العضلى الذى يصيب الأنثى من جراء هذه الطريقة يذكّر بحركات الجماع عندها وعند الذكور، وخاصة إذا كانت الأنثى فى وضع المعتلى للذكَر فإنها تقوم بالجماع بنفسها. وقد ثبت إن طريقة الاستمناء بالضغط على عضلات الفرج والإليتين والفخذين أسرع إلى بلوغ الهِزّة من أية طريقة أخرى إن لم تتساو مع الطرق الأخرى.

والثديان وخاصة **حلمتى الثديين** قد يهيئان للأنثى وسيلة مجدية للاستمناء، والبعض يظهرن حساسية مفرطة فى الثديين، وقيل إن **نحو عشرة فى المائة** من الإناث يذهبن إلى تدليك حلمة الثدى بيد وباليد الأخرى يدلكن الفرج، ولاتبلغ الهزة بتدليك الحلمة وحدها إذ لابد أن يصاحب ذلك معالجة البظر أيضا والشفرين الصغيرين والشفرين الكبيرين.

وقيل إن **نحو عشرين فى المائة** من الإناث يُدخلن أصابعهن فى المهبل أثناء معالجة

البظرين والشفرين، ويبدو أن أعصاب الحس لاتوجد فى المهبل نفسه كما قلنا ولكنها تنتهى بعد الحلقة العضلية التى تؤدى الى المهبل عند مدخله، وإذا كانت بعض النساء يلجأن إلى إدخال أشياء شبيهة بالقضيب فإنما ذلك لأنهن قد مارسن الجماع الحقيقى ويردن أن يكون الاستمناء شبيها بالجماع، غير أن بعض النساء كذلك توجد لديهن أعصاب حسية داخل المهبل استثناء، وأمثال هؤلاء يسعدهن أن يدخلن أشياء إلى المهبل. وبعض الذكور يظنون أن إدخال أصابعهم إلى المهبل يسرع إلى بلوغ الأنثى الهزة، وهم بذلك يصنعون كما فى الجماع. والواقع أنه قد ثبت أن ما دون فتحة المهبل لايستشعر اللذه الجنسية، إلا أن يكون إدخال القضيب يستهوى خيال المرأة فتحب ذلك وتطلبه، ومع ذلك فإن لذتها الفعلية لاتتحصل إلاّ عن طريق استثارة بظرها وشفريها الصغيرين والكبيرين، وخاصة البظر. وعلى أى الأحوال فلا ينبغى الظن دائما أن المرأة لاتستشعر اللذة الجنسية ولاتبلغ الهزة إلا اذا لامس شئ ما المواضع الحساسة منها للجنس، فالواقع أنه قد ثبت أن نحو ٢٪ من الإناث يبلغن الهزة لمجرد تخيل المواقعة أو المداعبة، والحال عكس ذلك تماما مع الذكور لأنه يندر أن يستمنى الذكر وهو يقظ بمجرد تخيل الجماع مثلا، ولايحدث ذلك إلا فى النوم فيما يسمى **الاحتلام**، وأحلامه قلما تأتى الإناث. وكذلك لاينبغى الظن أن هذه الطرق السابقة وحدها هى الطرق المستخدمه عند الإناث للاستمناء فقد يلجأن إلى وسائل أخرى غريبة، ومن ذلك أن تستشعر المرأة اللذة بعمل الغسيل المهبلى وتحب الماء الدافئ تخضخضه فيها، أو تحب مبسم الحقنة تدخله فى مهبلها، أو تهوىَ الحقن الشرجية. وقد تُغرَم المرأة بالضرب، ويروى «**هافلوك إليس**» و«**شتيكل**» حكايات شاذة كثيرة عن ذلك. ولاتستغرق الأنثى لبلوغ الهزة بالاستمناء باليد إلا زمنا قد يتروح بين **الثوانى والدقائق الثلاث أو الأربع**، وإذا كانت تستغرق أكثر من ذلك فلأنها تريد أن تطيل العملية بوسائلها الخاصة وليس لأنها لاتستطيع أن تبلغ الهزة أو تعجز عن الاستجابة بسرعة، وحتى فى الاستمناء بالتخيُّل فإنها لاتستغرق أكثر من ذلك، ويطلق عليه البعض اسم **الجماع المتخيَّل** **idealized coitus** أو**الجماع النفسى** **mental cohabitation** أو**الاستمناء النفسى أو المعنوى** **moral or psychic m.**، أو **حلم اليقظة الشهوى** **erotic day dreaming**. وليس بصحيح أن الأنثى تستغرق وقتا أكبر كى تبلغ الهزة فى الاستمناء، فقد ثبت أن الفارق فى المتوسط بين الذكر والأنثى لايعدو بضع ثوان، فالذكر

يستغرق فى المتوسط دقيقتين أو ثلاثا، بينما الأنثى تزيد عن ذلك قليلا، وأما فى الجماع فالقول بأن الأنثى يطول زمن الرجع الجنسى عندها فذلك لعدم كفاية الجماع حيث لايكون لها دور إيجابى، فإذا كان لها دور فهى أسرع من الذكر إلى بلوغ الهزة.

والإناث اللاتى يقبلن على الاستمناء، وكذلك الذكور، عادة من **طبقات اجتماعية أعلى**، وكلما ارتفعت الطبقة الاجتماعية للمراهق أو المراهقة، وكذلك كلما ازداد المستوى التعليمى كلما ازدادت احتمالات إتيان الاستمناء، ويبدو أن فرص التهيج الجنسى تزيد مع القراءة عن الجنس ومشاهدة الصور الجنسية والموضوعات الجنسية بالكتب والمجلات، وعن طريق السينما والتلفزيون، وبمشاهدة ما يدور بين الكبار من الجنسين فى الحفلات العامة والخاصة، الأمر الذى يجعل الصغير أو المراهق فى الطبقات المتيسرة والمتعلمة يُشغَل بالأمور الجنسية عنه فى الطبقات الكادحة المشغولة بأمور معاشها. ويكاد إتيان الاستمناء ينعدم تماما فى **المجتمعات الإسلامية** حيث ينهمك الشباب المسلم فى العبادات وينصرفون عن الأمور الجنسية، وحيث يكون الزواج وجاءً للمسلم من كل ذلك، وحيث الدين يأمره بالتعفف وينهاه صراحه عن الاستمناء. غير أنه مع الأخذ بأسباب الحضارة الغربية والتعليم الأوروبى تزيد نسبة المستمنين بين العِلْمانيين وخاصة طلبة المدارس الثانوية، وتصل إلى أعلى مستوى لها بين طلبة وطالبات الجامعات العِلْمانية. وعموما فإن أعلى المعدلات للاستمناء فى المجتمعات المتحضرة هى المعدلات للمراهقين حتى سن **الخامسة عشرة** وتبلغ فى المتوسط نحواً من ٨٨٪، وبعد ذلك تأخذ فى التناقص كلما زاد السن، إلا أن نحواً من نصف غير المتزوجين سواء من جنس النساء أو جنس الرجال يستمر فى الاستمناء حتى **الخمسين** وما بعدها، وقد يطعن الرجل فى السن ومايزال يستمنى وإن يكن استمناؤه ناقصا لايبلغ به إلى الهزة.

وقد يُنصَح بالاستمناء **كعلاج** للمساعدة على استحداث تغييرات فى التوجهات الجنسية عن طريق الإشراط، أو كعلاج للإنزال المبكر، وكذلك كعلاج لبعض حالات البرود الجنسى عند النساء. وهناك مايسمى **إعادة الإشراط الإنعاظى** orgasmic recondition-ing (ORC) وهو ضرب من العلاج يطلب فيه من المريض باللواط مثلا أن يأتى الاستمناء ويتوجه بأفكاره وخيالاته إلى مثير مناسب وسوى من الجنس الآخر، بحيث مع التكرار يتعلم أن لايثيره سوى الجنس الآخر بدلا من نفس الجنس، وذلك أدعى به إلى الشفاء من

اللواط المصاب به. وكذلك يستخدم الاستمناء لعلاج القذف المبكر، وذلك بأن يُطلَب من المريض أن يستمنى بيده أو تفعل زوجته له ذلك فإذا قارب على الإمناء توقف أو طلب من زوجته أن تتوقف، ويكرر ذلك عدة مرات ويُمنِي في الرابعة، وقد قيل إن ذلك يدربه على تأجيل القذف والتحكّم فيه، غير أن هذه الطريقة كثيرا مايعترض عليها المرضى المتزمتون أو قد لا تتقبلها الزوجات. وأيضا قد يستخدم بعض الأخصائيين الاستمناء فى علاج البرود الجنسى عند النساء بأن يُطلَب من المرأة أن تستكشف أعضاءها الجنسية وأن تحاول أن تدلكها حتى الإنعاظ، مهما طال الأمر، فإذا تكرر ذلك على عدد من الجلسات مع رفع مخاوف المرأة وكوابحها وموانعها الأخرى فإنها قد تستعيد حساسية هذه الأعضاء، خاصة وأن أغلب البرود الجنسى مصدره مخاوف جنسية نتيجة تجارب فاشلة أو صادمة.

***

- ٣ -

عنة جنسية Sexual Impotence

قد يتأخر زواج الرجل، وقد يلح عليه المحيطون به أن يتزوج فيتهرب من الردّ عليهم ويتعلل بمختلف العلل ثم يتبين من بعد أنه **عنّين**، ومعنى ذلك أنه لايستطيع أن يتزوج لأنه عاجز جنسيا. والمرأة أيضا قد تعزف عن الزواج وتعنس وقد يكون السبب أنها **عنّينة**، **والعُنّة النسوية** هى ما اصطلح على تسميته **البرود الجنسى**، بينما **العُنّة الذكورية** هى التى نطلق عليها عموما اسم **العُنّة**، وقد يسميها البعض باسم **العيية** impotentia co-eundi، **والعياياء** هو الرجل الذى يشكو عدم الانتصاب، وهو أيضا العَجِير، وقد يشكو الرجل عدم القذف، **وعُنّة القذف** impotentia ejaculandi يقال لها أيضا هرب المنى aspermia. وقد تكون **العنة عضوية** organic i. وتتسبب عن مرض أو شذوذ خلقى تناسلى، كأن يكون مبال الرجل تحتيا، أو كأن يكون مصابا بالطَّفَالة أو بالسُّهام، وقد تكون **العنة نفسية** psychic i. أو **نفسية المنشأ** psychogenic i. ويقال لها **العنة الوظيفية** functional i. بمعنى أنها سوء أداء فى الوظيفة وليست بسبب سوء فى التكوين الخِلْقى.

والعنة النسبية relative i. عجز عن غشيان امرأة معينة أو نمط معين من النساء دون بقية النساء. **وعنة الإشباق** orgastic i. أو الإنعاظ هى العجز عن بلوغ الهزة.

وقيل إن الذَكَر يستحيل أن يقذف دون هزّة، والقذف نفسه يعني الهزة، وربما يكون المقصود بعنة الإشباق هذه الحالة من عدم الرضا أو عدم الشعور باللذة الجنسية مثلما يكون الأداء الجنسي للعُصابي أو النرجسي، **فالعُصابي** لا يولي الفعل الجنسي اهتمامه الكامل، وقد يأتيه بلا وعي، **والنرجسي** شخص له تصرفات البالغين الجنسية ولكن شعوره الجنسي هو شعور الطفل. وهو كالعُصابي لا يأتي النشاط الجنسي بوعي كامل، واهتمامه بنفسه يحول بينه وبين الشعور باللذة تماما كالعصابي، ومن أجل ذلك يوصف إشباقهما بأنه **إشباق عاجز** أو أنه **عُنّة إشباق**.

والعنة الشرجية. anal i. تصف بعض حالات الإمساك والتي يصاب فيها الشخص بالعجز عن الإخراج تماما كالعجز جنسيا، وذلك من فرط القلق والخوف من أن يلحقه الأذى بمنطقة الشرج عند التغوط، كأن يُجَرح أو كأن يُتلَوث بالغائط، وشبيه بذلك الخوف من إراقة المني تجنباً للضعف أو بسبب اعتقاد بأنه يصيب صاحبه بالتسمم، وقد يفسر **الإمساك** بأنه محاولة من الشخص كي لايغضب المحيطين به ولكنه بدلا من أن يضبط سلوكه فإنه يضبط إخراجه أو **يضبط إمناءه**، فيصاب بالإمساك أو يصاب بالعجز عن الإمناء أو القذف، وشبيه بذلك مايحدث للمجندين الجدد وللأولاد في معسكرات الكشافة حيث يعجزون عن التغوط والتبول أمام الآخرين، وقد يرتبط **الإمساك الشرجي** لهذا السبب **بالإمساك الجنسي**، ومردّ ذلك إلى صراعات منذ الطفولة بين لذة أن يفعل الطفل ما يشاء، ويتبول أو يخرج وقتما يريد وفي أي مكان، وبين الالتزام بالنظافة وتنظيم الإخراج والتبول.

والعنة بوجه عام ظاهرة يشكو منها كثيرون حتى لقد قال عنها **فرويد** (١٩١٢) أنها تأتي في المرتبة **الثانية** بعد **القلق** من حيث نسبة عدد المصابين بها بالنسبة لمجموع المترددين على العيادات النفسية من المرضى النفسانيين. وقيل إن **عنة القذف** ظاهرة نادرة بالنسبة **لعنة الانتصاب**. وقيل إن استئصال **الفصين الصدغيين** عند القرود يستحدث بها أعراض السلوك الجنسي المفرط، وأنهما لذلك قد يكونان موضع الوظيفة الجنسية، وأن سوء وظيفة هذين الفصين ربما يعني نقص السلوك الجنسي أو العنة.

ويغلب أن ترجع العُنّة في الرجال والنساء **لأسباب انفعالية**، وقيل إن ١٪ من حالات الإصابة بها ترجع لأمراض أو عيوب جسمية، وأن أغلب المرضى بها يولون اهتمامهم بأسبابها العضوية أو البدنية دون أسبابها النفسية. وقيل إن العنة عند الرجال هي أصلا

عجز عن الانتصاب أو عن استبقاء الانتصاب حتى تمام الجماع. وقد يعجز العنين عن الانتصاب، أو قد ينتصب قبل الجماع، ولكنه ما أن يشرع فى الإيلاج حتى يرتخى أو قد يرتخى بعد الإيلاج مباشرة.

ويمكن بشكل عام تقسيم المرضى بالعُنّة إلى فئتين، الأولى أفرادها ليست لديهم مشاكل جنسية ولكنهم تحت وطأة بعض الأزمات والمحن قد يصابون **بعنة مؤقتة**، والثانية مشاكلهم الانفعالية أساسية تسبب لهم **عنة دائمة** أو قد تتعاودهم العنة بسببها من حين الآخر.

وإنه لأمر عادى أن يصاب الأسوياء أحيانا **بعُنّة طارئة** لفترة قد تستمر أياما وقد تطول لشهور، وقد تبلغ أحيانا **الثلاثة والأربعة شهور** عندما يستبد القلق بالرجل أو يصاب بالاكتئاب أو تلم به الهموم والمشاكل فى الوظيفة والبيت. وقد يسببها التعب والإرهاق أو الخوف من الافتضاح عندما يكون الجماع زنا، أو تكون العلاقة بامرأة علاقة محرمة، وقد تترتب **العنة المؤقتة** نتيجة لقلة الخبرة الجنسية والخوف من الفشل فى ليلة الزفاف أو الأيام الأولى من الزواج. وإذا كانت شخصية الرجل متوازنة فإن العنة ترتفع عنه غالبا وتلقائيا فى مدة تتراوح بين **الأيام والشهور**. وقد ينسب العنين شفاءه إلى تعاطية للمقويات أو لممارسة الرياضة أو إلى الراحة والاسترخاء والاستنجاز من الهموم والمشاكل. والواقع أن شفاءه يتحقق إذا استطاع أن يخرج من الأزمة الانفعالية التى يمر بها وأن يستبصر المشكلة الأساسية ويجد لها الحل، ومع ذلك فإن مايظنه قد أفاده قد يكون له أثره الشفائى الناجع لأنه به يستعيد ثقته بنفسه.

وقد يحدث لسبب أو لآخر أن يفشل الرجل السوى فى ممارسة الجماع فيقلق لذلك وتضطرب أحواله ويكون ذلك سببا فى إصابته بعنة تطول معه. وإننا لنعرف أن الجماع والقدرة عليه مسألة محورية بالنسبة للرجل، وذكورته من المكونات الأساسية لشخصيته، وإذا فقد الرجل القدرة على الجماع فقد يعنى ذلك نهاية حياته، فيحس بالضآلة ولايجد للعيش لذة، ويشعر بالمذلة وينصرف عن كل النشاطات الاجتماعية ولا تشده اهتماماتها. وقد يفيد أن يطمئنه المعالج، وأن يبين له أن **العنة الوقتية** مسألة طبيعية تحدث للكثيرين وتزول بزوال أسبابها. وقد يفيد أن ينصحه بتغيير نمط حياته، وأن ينظر إلى زوجته بمنظار مختلف، وأن يحاول معها من جديد، وأن يغير من الطرق الجنسية التى كان يتبعها معها، وقد ينصحه بالسفر، ولكن الأهم من ذلك أن ينبهه إلى ماتحدثه العنة من توترات، ومايلحق

المصاب بها من إحساس بالخزى من زوجته، والخوف من انهيار حياته الزوجية وانفراط عقد عائلته، وأن يلفت نظره إلى أن هذه التوترات قد تزيد من محنته وتطيل بالتالى من أمد العنة، وقد يطلب منه المعالج أن يعمل على استعادة توازنه وثقته بنفسه، وأن يستمر فى محاولة مباشرة زوجته مع تغيير أوضاع الجماع، وغالبا ما ينجح المريض ولايعود إلى العيادة النفسية.

وقد ترتبط العنة بمشاكل انفعالية تضرب بجذورها فى أساس الشخصية، وترجع إلى **صدمات تفاعلية** جرت وقائعها إبان الطفولة أو المراهقة. ويخشى الرجال ممن لهم مشاكل من هذا النوع الدخول فى علاقات جنسية مع النساء وإن كانوا لايعلمون عن أنفسهم هذا الخوف من النساء، ويخشى بعضهم من النساء سيطرتهن وتسيّدهن، ويرون فى الجنس مصيدة يقع فيها الرجال لتستعبدهم النساء. والرجل من هذا النمط يخشى أن يفقد حريته ويضيع استقلاله إن هو ارتمى فى احضان المرأة، وقد تكون خشيته من أن تمتنع عليه المرأة وتذله إن تورط فى حبها وتدلّه فى التودد إليها، ويسلبه الخوف قدرته على مباشرة النساء والقيام بالجماع بالطريقة السليمة. وقد لا تكون للرجل شخصية ناضجة فيستحيل عليه أن تكون له علاقة ناضجة بالمرأة. وقد يكون من النوع المرتبط عاطفيا بأمه أوبأخته الكبرى فيشق عليه أن يتوجه بمشاعره إلى غيرها، أو أن تكون له عواطف مدارها امرأة أخرى، أو حتى أن تكون له أفكار مستقلة عن أفكارها، أو غير مستوحاة من تعاليمها. واعتماده على هذه الأم أو الأخت الكبرى قد يكون من الشدة بحيث يفقده القدرة على أن يرغب فى أمرة أخرى أو يطلبها. وقد يرى فى كل النساء صورة من أمه، وكلما رغب فى إحداهن أحسّ الخزى والعار والذنب كما لو كان سيضاجع أمه. وقد يمارس لذلك الجنس مع نساء أدنى من طبقه أمه الاجتماعية لأنه لايرى فيهن أمه، أو قد لايرى فى الاتصال الجنسى بالنساء الأقل منه اجتماعيا ما ينقص من استقلاله أو يستعبده لهن، وبدلا من أن تستعبده المرأة فقد يستعبد هو المرأة الأدنى اجتماعيا. وهذا النوع من الرجال يُكنّ للنساء كراهية بشعة ويخشاهن فى أعماقه أيما خشية. وقد يظهر بعض ما يضمره لهن من عدوانية بأن يختار **البغايا** موضوعا لمباشراته الجنسية وأن تكون معاملاته لهن من أسوأ المعاملات، وذلك شئ لا يستطيعه مع المحترمات من النساء.

وقد تلعب **الزوجة** فى بعض الأحيان دوراً أساسيا فى إصابة الرجل بالعنة، فقد تكون

من النوع المسيطر العدواني سليط اللسان، وقد يكره زوجها منها ذلك فيعاف الجنس لخاطرها، وقد يوقعه ذلك في صراع مع نفسه ورغباته، وقد تخلصه العنة من هذا الصراع بأن تنهى علاقته بزوجته وتقضى على رغباته الجنسية، وقد تكون العنة تعبيرا عن التمرد على رغباته الجنسية وطريقة للتخلص من السيطرة الجنسية لزوجته عليه. وقد تتسبب له العنة في المزيد من المشاكل مع زوجته فتسخر منه وتعيره بها فتتأصل به العنة. وتتحصل لبعض **النسوة من النمط السادى** لذة سادية من تعيير الرجل بعنته وإنزال المزيد من الإذلال به، وكأن عنته أساسها نفسه فى حين أن الأصل فيها زوجته. وقد يستطيع الرجل من هذا النوع أن يأتى النساء جميعا إلا زوجته.

وتتضافر صدمات الطفولة والمراهقة من كل نوع على إصابة الرجل بالعنة إبان سنوات الرشد وقد ترجع العنة عند البعض لنشأتهم فى كنف أمهات مستبدات، فتكون الأم دائمة التصغير لشأن ابنها ودفعة للإحساس بالقصور، وربما يكون أبوه من النوع الخانع المستكين لسوء معاملة الأم فيشكل نموذجا سيئا له يقيس إليه سلوكه. وقد يكبر الطفل وقد نمت لديه مشاعر قوية بالقصور، وخشية مستقره من النساء، فإذا أصبح رجلا قد يخشى الاتصال الجنسى بالنساء، وقد يرهب الزواج حتى لاتتكرر القصة ويعانى من نفس الموقف الذى عانى منه أبوه وعركه فى طفولته. ومن ناحية أخرى فإن هذا الرجل قد يمضى طفولته وهو يعتمد على أمه، لا يعقد أمرا الا بمشيئتها ويكره ما تكره ويحب ما تحب، ومن ثم يظل فى رجولته شديد الارتباط بها حتى ليعجز عن إقامة علاقة سوية ناضجة بأى من النساء. وقد تكون اللواطة وإن كَمُنت سببا فى العنة. وقد يقوم الصراع فى نفس الرجل بين رغباته الجنسية المثلية ورغباته الجنسية الغيرية، وقد يتسبب له هذا الصراع فى الإصابة بالعنة. وقد تتسبب اللواطة الكامنة فى الإصابة بما يسمى **الخوف الغيرى** **heterophopbia** وهو أن يخشى الرجل الاتصال بالنساء أو يخشى أن تكون له علاقة بهن، ويجعله ذلك يخشى الجماع ويعزف عنه. ومن شأن هذه اللواطة الكامنة أن تجعل الرجل يُؤثِر صُحبة الذكور على صحبة الإناث، ونعرف اللواطة الكامنة فى الرجل من هذه الأعراض، ونطلق على هذا النمط منها اسم **اللواطة الثانوية**، وترجع بعض حالات **عُنَّة الانتصاب** إلى الخوف من العلاقات الجنسية الغيرية.

وقد يتسبب **إدمان العادة السرية** فى مشاعر ذنب تبدأ مع الشخص منذ صغره وتلاحقه

في الكبر وتحول بينه وبين غشيان النساء والتعبير الغيرى الصحيح عن دوافعه الجنسية. ومن ناحية أخرى فإن العنّين قد يستمر يأتى العادة السرية التى أدمنها كمنصرف وحيد لطاقته الشهوية، إلا أن استمراره فى إتيانها يعمق مشاعر الذنب والخزى والعار، فضلا عن أن العادة السرية قد تكون طريقة عُصابية للتخلص من مشاعر الذنب والمخاوف من النساء، غير أن العنين غالبا شخص ضعيف جنسيا ودوافعه الجنسية ضعيفة، وقد يكون قضيبه صغيرا فيكون لذلك تأثيره على تفكيره وأحاسيسه بالكفاءة. وقد تترتب العنة عند البعض نتيجة الإسراف فى إتيان النساء، وربما يكون فى وسع الرجل أن يجامع عشر مرات خلال بضع ساعات، إلا أن ذلك يصيبه بالتعب والإرهاق، فإذا لم يكن يعطى نفسه راحة فإن الجسم نفسه يقوم تلقائيا بإجباره على الراحة بأن يعجز بعد فترة عن أن يستمر على مواصلة الجماع بنفس المعدل السابق، ثم يتوقف الرجل من بعد عن الانتصاب مع زيادة الإرهاق. والواقع أن الشهوة الجنسية تتأثر بالإفراط والتفريط، وهناك تخمة جنسية كتخمة الطعام تتعطل بها أجهزة الجسم الشهوية، وقديما كانوا يقرنون شهوة الفرج بشهوة البطن، وكلاهما يتأثر بعوامل كثيرة، ومن ذلك المناخ، وتزيد الشهوتان فى الشتاء، ومن شأن فصول الحرارة وعندما تزيد الرطوبة أن تجعل الرجال يعزفون عن الجماع، وإذا حاولوه فقد يعجزون، وكذلك تبين أن الناس فوق الجبال العالية لاتكون بهم رغبة للجماع وتصيبهم العنة.

ولاتوجد علامات جسمية يمكن أن نتعرف بها على العنِّين الذى أزمنت به العنة لأسباب عضوية أو نفسية، والمعول عليه أن العنة قد يصاب بها الشخص إذا أصابه الاكتئاب، وكذلك فإن العنين يصاب من العنة بالاكتئاب، ويلحق الجسم ضرر بليغ من الاكتئاب سواء فى الهيئة أو المشية، وتتغير به ملامح الشخص وسحنته. ومن جهة أخرى فإنه قد تبين أن العنة تلازم الجسم النحيف الواهن، وتترافق والأجسام المشوهة أو المصابة بالعاهات، وتكاد تنطق بها أحوال الرجال الكبار فى السن الذين يسيئون الأدب مع النساء فى الحدائق العامة أو الأتوبيسات أو الأسواق أو يحاولون الاعتداء على الأطفال.

والعنين قد يكون خصيا، وقديما كانوا يخصون الرجال الأسرى، وقد يوقع الجيش المنتصر برجال المدينة التى تسقط ويُخصيهم. والإخصاء ليس فقط بقطع الخصيتين، فلقد يطلق اسم الخصى مجازا على الأسير فى الحروب الحديثة بعد أن يُجرَى له غسيل مخ

وتُستأصل شخصيته وتُصنَع له شخصية جديدة باتجاهات وتفكير جديدين. واستئصال الشخصية يتم أيضا بشكل عادى وإن يكن مبرمجا بواسطة أجهزة الإعلام، وقد تسمع ضمن الاستخدامات السياسية الحديثة مصطلح الإخصاء بمعنى أن يتحول المرء من بعد القدرة على التعبير عن نفسه إلى العجز حتى عن التفكير لنفسه، وعندئذ قد يقول إنهم أخصونا أو إننا قد أُصبنا بالعنة. والعنين المقصود هو هذا **العيياء** أو العاجز **عقليا ونفسيا**، وهو عنين على المجاز والحقيقة معا، إذ تترافق **العنة النفسية والعنة الجنسية** ترافق الصنوين، ولقد تبين أن من تُجَرى لهم عمليات **غسيل المخ** يعجزون عن أن تكون لهم علاقات جنسية سوية وأغلبهم يصاب **بعنة بالانتصاب**.

والخصى الذى عُنِّته بسبب مرض يوقف نمو الخصيتين قبل البلوغ تتوقف السمات الجنسية **الثانوية** عن أن تنمو به أيضا، فلا يتغير صوته مثلا إلى الرجولة، ولاينمو **شعر العانة** عنده إلا لماما، ويظل جسمه على رقته ويميل إلى التكوين الأنثوى، ولاينتصب أو قد يكون انتصابه ضعيفا، بينما الخصى الذى جرى إخصاؤه بعد البلوغ قد ينتصب وإن كان ذلك نادرا وبعد الإخصاء مباشرة، فإذا انقضى عهد على الإخصاء فقد لاينتصب بمضى المدة، وهو لا يُمنِى أيضا.

والعنة تزيد فى سن عنها فى سن أخرى، وطبقا لتقرير **كينزى** فإن احتمالات الإصابة بها فى **الشباب** أقل منها فى الكبر، وكانت نسبة المصابين بها بين الشبان فى **العشرين** ١ر٪، وبينهم فى **الثلاثين** ٨ر٪، وبين من بلغوا **الأربعين** ٩ر١٪، وبين كبار السن فى **الخمسين** ٧ر٦٪، وفى الستين ٤ر١٨٪، وفى **السبعين** ٢٧٪، وفى **الثمانين** ٧٥٪.

والعنة تكثر بين الرجال فى **المدن** عنها فى **القرى**، وربما كان ذلك بسبب الضغوط النفسية التى تشتد بتأثير الصراعات بين الأفراد فى الحياة فى المدينة. وكذلك تكثر العنة **فى البيئات الصناعية وبين سكان الدول المتحضرة**. وتزيد احتمالات الإصابة بالعنة العضوية بالنظر إلى نوعية الحياة المضطربة فى تلك البيئات والتى منها إصابات العمل والعدوى بالأمراض التناسلية، إلا أن العنة أغلبها فى هذه المجتمعات **عنة نفسية**، وعموما فإن العنة فى ٩٥٪ من الحالات هى من نوع العنة النفسية التى سببها ما قد يعانيه الرجل من ضغوط واضطرابات انفعالية نتيجة العيش فى ظل الظروف الاجتماعية والدولية المعاصرة. وأغلب المصابين بالعنة من بين المترددين على العيادات النفسية أو مراكز الأسرة

هم من أبناء الطبقتين **المتوسطة والعالية**، وكانت أغلب حالات العنة التى اكتشفها **كينزى** لرجال من هاتين الطبقتين ومن **فئات المتعلمين**. وتكثر العنة بين **أساتذة الجامعة وبين الفنانين**، وهناك ارتباط قوى بين **العنة واللواط** عند الفنانين، ولعل ذلك يفسر حالة العزوبة التى يعيش فيها أغلب الفنانين. واللواط نفسه عَرَض لاضطراب فى الشخصية، والعنة لاتترتب على اللواط بقدر ما تترتب على الاضطراب الكامن فى الشخصية. وتستحدث **الاضطرابات العقلية** العنة، أو أن الكثير من الصراعات الانفعالية التى تدخل ضمن الاضطرابات العقلية والعصابية ترتبط بالصراعات الجنسية التى منها عَرَض العنة. وتنشأ العنة غالبا عند الشباب الأقل من **الخامسة والثلاثين** نتيجة مشاكل نفسية، ومن ثم يمكن أن تترافق والإصابة بالاضطراب العقلى أو العُصابى. والكثير من **المجرمين** يشكون العنة على غير المتوقع من أمثالهم، وتدل الإحصاءات على أن **المجرم غالبا لايتزوج**، ويظهر من التحقيقات والفحوص التى تتم للمجرمين الذين يهتمون بجرائم جنسية أنهم غالبا مصابون بالعنة، ويبدو أن **المجرم الجنسى** يتجه إلى هذا النوع من الجرائم الخلقية كمحاولة لإثبات قدرته الجنسية، وغالبا ما يكون **السلوك الإجرامى الجنسى** والعنة كلاهما مظهر لسوء توافق جنسى أو أى نوع آخر من سوء التوافق.

والعنين الذى يصاب بالعنة بعد حياة جنسية عادية تظل به رغباته الجنسية ولكنه بدلا من أن يتوجه بها إلى التحقيق فإنه قد تأتيه حالات من الاكتئاب نتيجة الإحباط الذى يحياه ويعتزل الناس، وقد يعيش كالآخرين ويستسلم لِقَدَره، وقد يتمرد على ما آل إليه حاله، ويستعوض ما فقده **ويغالى فى التعويض** بأن يسلك سلوكا ذكوريا استعراضيا، يتباهى فيه بعضلاته أو يستعرض صوته أو يكثر من الحكايات والنكت الجنسية، وقد تصبح لديه هواية جمع الصور العارية أو مشاهدة الأفلام الجنسية الممنوعة، وقد يلعب الرياضة ويهوَى العنيف منها. وقد تعبر الرغبات الجنسية المكبوته عنده عن نفسها فى **الأحلام** أو تتحول أعراضا عُصابية.

ويسلك العنين مع الناس من حوله من وحى تأثيرات العنة على حالته النفسية، وبقدر ما يستشعر منها الخزى أو الخوف أو الذنب أو الضعف والمهانة، وكلما كان شعوره بالعنة التى أصابته عميقا كان رد الفعل على أهل بيته وزملائه سيئاً. وتختلف حالته، ومن ثم سلوكه، باختلاف اعتقاده بأن عنته سببها نفسه أو سببها زوجته.

ولربما تخفف الثقافة الجنسية التى تلقاها العنين منذ صغره من تأثيرات العنة عليه، ولربما تزيد هذه التأثيرات، والثقافة الجنسية يمكن أن تفيد صاحبها ويمكن أن تكون لها عواقب وخيمة فتضخّم الأمور بالنسبة له. والخبرة الجنسية كذلك قد تضر وقد تنفع. وقد تجعل الثقافة الجنسية والخبرة العنين أقل إحساسا بالخزى وبالخوف، وأكثر تقبلا للعنة باعتبارها حدثا طارئا أو وافدا. وقد يحسب أنه لابد أن ينسجم مع زوجته التزاما بما ينبغى أن يكون عليه الزواج الموفق، وقد يظن أنه وزوجته لكى يكونا سعداء فى حياتهما الزوجية لابد أن يبلغا الهزة معا، وأن يطول الجماع بحيث ترتوى منه زوجته ارتواؤه منه، وقد يفرض على نفسه أمورا ويحاسب نفسه حسابا عسيرا ويبالغ فى الحساسية حتى ليخاف أن يجامعها أو يدخل معها تجربه الجماع متوترا وقلقا فيفشل كما هو المتوقع. وقد يلوم نفسه لأنه عاجز عن إشباع زوجته جنسيا، وقد يجعله هذا الشعور غضوبا، ويفجر به الشعور بالنقص الغضب، وقد يتولد شعوره بالذنب نتيجة إسرافه فى العادة السرية فى صغره أو إسرافة فى إتيان البغايا فى المراهقة والبلوغ أو نتيجة ولوغه فى إتيان النساء قبل الزواج.

ويمكن أن لايصاب العنين باليأس. وهو إذ يصاب بالعنة قد يفرط فى حب زوجته وإظهار المحبة لها، وقد تجعله العنة يعبدها ويترضاها. وقد يكون حب العنين لزوجته بمثابة **تكوين رد الفعل** لكراهية لاشعورية، أو قد يكون تعبيراً عن رغبة فى **العودة إلى الطفولة** والسلوك كطفل يحب أمه، فيتعلق العنين بالزوجة لكى تظهر له العطف والمحبة وكأنه ابنها.

ويبدو أن **بعض الرجال يميلون إلى أن يصابوا بالعنة** بتأثير اتجاهاتهم نحو الجنس أو مشاعرهم نحو زوجاتهم أو النساء فى محيطهم، وهناك من النساء من يجعل الأزواج يتعلمون العفة على الحقيقة وليس على المجاز، ولربما تكون الرغبة فى الإصابة بالعنة التى يبديها الرجل فى أحاديثه كأمنية يتمناها لنفسة دليل معاناة من صراعات جنسية لاشعورية. وبعض الناس قد يتمنون الموت ويتصرفون بحيث يستجلبون الموت لأنفسهم، وكذلك **هناك من الرجال من يطلب العنة ويتمناها خلاصا من سيطرة الجنس** وما يستولده من حاجات تجعله فى موقف ضعيف بالنسبة للنساء. ولقد اضطربت الأدوار الاجتماعية للمرأة والرجل فى الحياة المعاصرة حتى ما عاد أحد يدرى الحدود التى فى إطارها تكون المرأة أنثى، أو ما عاد أحد يعرف من هى الأنثى بعد أن شاركت المرأة الرجل فى كافة

المجالات ونافسته فيها، ومن ثم فقد انعكس ذلك على العلاقات الاجتماعية بين الجنسين، ولعل العلاقات الجنسية هى أكثر هذه العلاقات اضطراباً، ويظهر أثرها على الرجال فى شكل **العنة النفسية** التى سببها الصراعات الانفعالية بين الجنسين.

ولاشك أن **زوجة العنين** لها أثر على أصابته بالعنة واستمرارها معه، ولا مندوحة عن افتراض أنها إنسانة تعانى من مشاكل جنسية قبل أن تتزوجه وبعد أن تزوجته، وإلا فما حاجتها أن تتزوج رجلا لديه كل إرهاصات الإصابة بالعنة، أو تستمر فى الحياة مع رجل أصيب بها. وتستطيع كل امرأة أن تتبين بسهولة ما إذا كان خطيبها أو الرجل الذى يتقدم لها كزوج له المواصفات العامة للذكورة من حيث الشكل والسمات والسلوك، غير أن النساء يرضين برجل دون الآخر لأنه يناسب حاجات فى نفوسهن. وكذلك فإن بعض الرجال يرتبطون بنساء يعلمون أن فيهن **حتفهن النفسى** إلا أنهم يتعلقون بهن، والنتيجة أن الزواج يكون صراعا مدمرا بين الطرفين يخسر فيه الرجل رجولته وتقبله المرأة على علاّته. وقد ينفر الرجل من أسلوب زوجته فى الجماع، فبمجرد أن يجدها، باردة وغير متجاوبة فإن حماسه يقل ويتهافت انتصابه ويكثر فشله إلى أن يقلع عن الجماع تماما. ويعكس الجماع **العلاقة بين الزوجين** فى مجملها، وهى علاقة نفسية جنسية تتأثر بحساسية الأزواج، وبالخناقات والصراعات بين الطرفين. وقد تتأثر القدرة الجنسية للرجل إذا لمس استرجال زوجته أو أحس منها بعدم الرضا بحياتها معه، ومع ذلك فقد يسأل سائل ولماذا يستمر مع زوجة كهذه بحيث تجعل منه رجلا كالخصى؟ والجواب أن الناس يتفاوتون فى الحاجات، ومن الصعب الإحاطة بهذه الحاجات حتى نقضى فى أيهم بمثل هذا التساؤل السابق.

وقد يستخدم الزوج **موانع الحمل**، أو تستخدمها الزوجة برغم عدم رغبتها أو نفور الزوج منها، وقد ينعكس ذلك على تصرفات الزوجة وتجاوبها أو انتصاب الزوج، وقد تستدخل المرأة العجلة بعد الملاعبة "فيبرد" الرجل،وقد يتسبب قراب القضيب فى القذف قبل الأوان، أو قد يقلل من حساسية القضيب فلاينتصب. وينتج عن الخلاف بين الزوجين حول استخدام موانع الحمل أو استخدام أحدها دون الموانع الاخرى أن تقل الرغبة الجنسية عند الرجل أو عندهما معا.

ولاتعنى العنة أن الرجل لايحب امرأته، فبعض العنة أسبابها من خارج الزواج، وإذا لم تكن هناك مشاكل بين الزوجين فعلى الزوجة أن تتقصى أسباب عنة زوجها فى المشاكل

خارج نطاق الأسرة، ولاتتهمه بكراهيتها أو انتهاء حبه لها. ولربما فعلا يلجأ الزوج إلى الانتقام من زوجته بأن يصاب بالعنة وذلك لكى يجعلها، دون أن يعى ذلك، تزهد الاستمرار فى العيش معه، وربما تكون العنة وسيلة هجومية من الزوج ضد الزوجة باعتبار القضيب سلاح الرجل يستخدمه للقضاء على زوجته، بأن يرفض توظيفه لخدمتها. وقد يستخدم الرجل عدم انتصابه كوسيلة ليلقى اللوم عليها، أو كذريعة فيطالبها بأن تكون معه على هواه وترضى نزعاته التى ترفضها. وبعض الرجال قد يشتهون جماع الزوجة فى الدُبُر فتنكره على الزوج فيعاقبها بأن لاينتصب كلما كان عليه أن يجامعها فى الفرج. وهناك حالات كثيرة لأزواج لاينتصبون لأن زوجاتهم لايمارسن مص القضيب معهم أو لأنهن يرفضن أن تُلعَق فروجهن. وعلى العموم فإن الرجل يمكنه أن يعرف قبل الإقدام على الزواج ما إذا كانت زوجته ستوافقه على ميوله أو ترفضها، فالمرأة شديدة الخجل قد تجعل زوجها يستشعر الخجل من نفسه ولايكون على سجيته معها فيصاب بالعنة، وكذلك المرأة العدوانية قد تجعله يخافها، وأيضا المرأة الغليمة التى تتعجل الجماع وتطلبه دون حياء وتريد أن يكرره معها فقد تجعله لايحترمها ويشمئز منها. ولربما يكشف أى الزوجين عن ميوله من الأوضاع التى يؤثرها وهو يجامع، والكلمات التى ينطق بها.

وتتأثر **الأسرة** كلها بعنة الزوج باعتبار العنة عرض لاضطراب ينعكس على العلاقات التفاعلية بين الزوج وبقية أفراد الأسرة. وتزيد العنة من الإحساس بالمشاكل وتصبغها بالمشاعر المتبادلة وأحاسيس الذنب والخزى ونقص الكفاءة والإحباط، والنتيجة أن الزوجين قد يتبادلان الاتهام وقد ينسب أحدهما للآخر الخيانة، وقد تجعل هذه الأمور أكثر من واحد فى الأسرة ويتمنى طلاق الزوجين، وتعيش الأسرة أحلام يقظة من نوع مزعج.

ويتأثر محيط **الأطفال** بعنة الأب والخلافات المترتبة عليها، وتكون للاتجاهات العُصابية أثرها فى تنشئتهم. ومع ذلك فمن الممكن أن تتحمل الزوجة عنة زوجها، وأن يتقبلها الزوج كقضاء وقدر، وأن يتعايش الاثنان من غير منغصات تنعكس على الأولاد. ولاينبغى أن نفهم من ذلك أن الرجل المصاب بالعنة يمكن أن يتزوج بصرف النظر عن العلاقة الجنسية، والواقع أن الرجل الذى يكون عنينا قبل أن يتزوج ولايقول للمرأة التى يريد أن يرتبط بها، إنما يمارس خداعا غير مقبول فى الزواج، ويخاطر بحب المرأة له. ورغم أن الحب يصنع المعجزات إلا أن المخاطرة بالزواج بين رجل عنين وامرأة تحبه ولاتعرف عنه أنه عنين يرجّح

احتمال الفشل ويحمّل الزواج أكثر مما يحتمل. وإذا استمرت العلاقة بين الزوجين قائمة فإنها تستمر بسبب وعود بالوفاء يستشعر منها الطرفان أن أحدهما هو الخاسر، وأن حياته بلامستقبل ولاضمان، وإذا انعدم الشعور بالأمن فى الزواج فمصيره إن آجلا أو عاجلا إلى نهاية.

وغالبا ماتكون حالة العنين الذى يسعى إلى الطبيب طلباً للعلاج مبشّرة بالشفاء، غير أن نسبة الشفاء من العنة المزمنة متدنية. وعلى أى الأحوال فإن **العلاج** الذى ينصح به يتضمن الاسترخاء العضلى وتثقيف المريض جنسيا. ويقوم **العلاج السلوكى** على فكرة سلب الحساسية بخفض القلق المصاحب للاستثارة الجنسية أو الجماع، والتدريب على الثقة بالنفس كوسيلة مساعدة للرجل على الإحساس بأنه المسيطر على الموقف خلال علاقاته بالنساء. وقد ينجح الرجل الذى لايستطيع إكمال الجماع بسبب الارتخاء المفاجئ قبل الإيلاج أو بعده إذا تعلم هو وزوجته أن يقوما بالأداء الجنسى بالمشاركة فيما بينهما، وبالتدريج بحيث ينتهيان كل مرة عند مرحلة معينة تزاد عند نجاحها إلى مرحلة أخرى تالية عليها وهكذا. وأثبتت هذه الطريقة نجاحا كبيرا فى كل الحالات التى أجريت فيها (Masters & Johnson : Human Sexual Inadequacy).

* * *

- ٤ -

عنانية Onanism

هى العزل بطريقة «عُنان» أو «أونان» كما يسميه مترجمو **التوراة (سفر التكوين الفصل الثامن والثلاثون العبارة ٩)** فبعد أن مات أخوه «**عير**» أمره أبوه أن يدخل على امرأة أخيه ليكون لأخيه منها ولد، فرضخ «عنان»، ولكنه كان إذا قارب الإنزال أخرج قضيبه بسرعة وأنزل خارجها حتى لاتنجب نسلا ينسب إلى أخيه دونه.

والعنانية إذن هى مايسمى **العزل**، وهى بتعريف **هافلوك إليس** جماع **غير كامل**، يتجنب الرجل بها القذف فى المهبل ويفضى خارجه، وقيل هى جماع **متقطع** لأن الرجل يقطعه قرب الإنزال، وهى أيضا جماع **متحفظ** لأن المجامع لايترك نفسه على سجيتها ولا يضاجع المرأة حتى النهاية خشية الحمل غالبا. **والجماع المتقطع** وكذلك **الجماع المتحفظ** من ضروب الجماع.

والعنانية عند **فيرينزى** معادلة للاستمناء، لأن العنانى أو العازل لايكمل الجماع ويؤديه ناقصا بغاية الاستمناء دون غاية الجماع، فالجماع الكامل شرطه أن يفضى الرجل فى الرحم. ويبنى **فيرنيزى** على ماسبق أن حالة الهياج التى يبلغها الأطفال باللهو بأعضائهم الجنسية هى عنانية **أولية** لأنها أدنى من الجماع وليس فيها إنزال. ويقول **فيرنيزى** أيضا **بعنانية سرئية** larval o.، والسرأة larva هى اليرقة. وهذا الضرب من العنانية يشير به إلى كل فعل يعادل الجماع ولكنه لايرقى إليه، ومن ذلك مثلا أن بعض الناس يشاهدون وهم يضعون أيديهم فى جيوب سراويلهم باستمرار يضغطون بها على قضبانهم أو يشدون عليها أو يدلكونها. ومن ذلك أيضا **العنانية الفمية** buccal o. تمارسها النساء بمص القضيب، أو يأتيها الرجل الشاذ بمص ذَكَراً لآخر. **والعنانية النفسية** هى أن تكون للرجل وللمرأة أوهام جنسية فيتخيل أنه يضاجع وينتصب ويجامع، وقد ينزل كما فى العزل، أو قد لاينزل كما فى الجماع الناقص.

ومن رأى البعض أن العنانية أو العزل تضرالمرأة والرجل على السواء، فقد يترتب عليها اضطرابات جنسية تحول بين المرأة وبلوغ الإنعاظ، وقد يتطور ذلك عندها إلى برود جنسى، وقد يستحيل الخروج المتكرر قبل الإنزال إلى عنة مؤقتة. وقد يسوء التوافق فى الزواج نتيجة استمرار ممارسة العنانية أو العزل، ولم ينصح **الرسول** الكريم بالعزل إلاّ تحت إلحاح الظروف كما فى الحرب. ومن رأى **فرويد** وآخرين أن العزل قد تكون له أعراض العُصاب الحقيقى، غير أن الطب النفسى الحديث لايذهب إلى هذا الرأى. وربما كان هذا القول من **فرويد وفيرنيزى** والتحليليين الآخرين أساسه **يهوديتهم** وأخذهم من التراث التوراتى حيث وردت **قصة عنان** هذا.



- ٥ -

كراهية النساء Misogyny

قد يبدى بعض الرجال نفوراً واضحا من النساء ويفصحون عن كراهية أصيلة لهن، ولاشك أن هذا النفور وتلك الكراهية بمثابة ظواهر مرضية ترجع غالبا إلى خبرات قديمة من الطفولة نتيجة العلاقة المتردية بين الأبوين ومردودها على إطفالهما، وبسبب الخلافات والصراعات التى تحتدم بينهما، وماقد يستشعره الأطفال تجاه الأمهات المسيطرات

أوالمسترجلات أو اللاهيات عن واجباتهن الزوجية بأمورهن اليومية، والطفل إذ ينفر من أمه ويكرهها لإهمالها له، أو بالنظر إلى ماتثيره من مشاكل، فقد ينزاح شعوره ذاك إلى كل النساء **ويعممه** عليهن من بعد ويصبح نفورا منهن بعامة.

وربما تنفر **النساء من النساء** فليست الكراهية للنساء وقفاً على الرجال دون النساء، والمرأة التى تنفر من بنات جنسها ربما تعانى من **ميول لواطية** تتسبب لها فى صراعات بين أن تُظهِر هذه الميول صريحة وأن تكبتها أو تقمعها، وتكرههن بسبب ماتعانيه فتبالغ فى إظهار الابتعاد والنفور والكراهية، أو تظهر عليها أعراض الخوف من النساء.

والمرأة العُصابية قد تظهر من السلوك مايفهم منه المحيطون بها، أنها تحتقر كل ماهو أنثوى، وذلك بسبب رغبتها المستمرة أن تكون رجلا، وربما كانت لهذه المرأة تربية جعلتها تتمنى بالفعل أن تكون ذكرا، وربما كان والداها يتوقعان أن ينجبا ذكرا فلما جاءت أنثى ظلا من الطفولة يعاملانها كذكر، ويطلقان عليها اسما ذكرا، ويسمعانها من الحكايات مايقر فى ذهنها ووجدانها أفضلية الذكر على الأنثى، فتشب وهى تتمنى أن تكون كذلك، وتأتى من السلوك مسلك الذكور، وترتاد المجتمعات الذكورية، وتعاف مسلك النساء، وتدخل مع الرجال فى مساجلات ومنافسات. والكثير من النساء من هذا النوع يتعامل معهن الرجال بوصفهن **أشباه رجال**.

وقد يبدى **المأبون**، وهو اللوطى المفعول فيه، كراهية للنساء، لأنه يرى فيهن ضعفه الفاحش، أو ربما لأنه يعتبرهن مزاحمات له يفضلنه فى هذا المجال.

ولربما يلجأ **المريض بالبارانويا** إلى قتل النساء حتى تكون له أنوثتهن، وذلك لأن رغباته الجنسية المثلية تجعله يريد أن يتحول نهائيا إلى امرأة، ولربما بقتل المرأة يمكن أن تكون له صفاتها أو يصبح هو المرأة الوحيدة (أنظر **خواف النساء والفصام والبارانويا**).

* * *

- ٦ -

كراهية الزواج Misogamy

يرجع علماء التحليل النفسى الكراهية للزواج والنفور منه إلى تأثير **الموقف الأوديبى** من الطفولة واستمرار مشاعر الطفل تجاه أمه إلى البلوغ ومابعده، وتثبّته على هذه المشاعر حتى ليستحيل عليه أن يستبدل بأمه أية امرأة أخرى فيعاف الزواج وينفر من فكرته.

وقيل إن كراهية الزواج مصدرها ببساطة **خبرات الطفولة الصادمة** بسبب الخلافات والصراعات بين الأم والأب. ويعانى **المصابون بالفصام** بوجه خاص من كراهية الزواج. ويذهب علماء التحليل النفسى إلى القول بأن الزواج عند الفُصامى بمثابة ممارسة جنسية مع الأم، وكراهيته للزواج هى لذلك دفاعه ضد رغباته الكامنة من هذا النوع.

* * *

- ٧ -

الجنس والقمار Sex & Gambling

الإثارة فى القمار هى مايسعى إليه المقامر، وهى **إثارة جنسية** فى باطنها، والفوز فى القمار **إنعاظ**، والخسارة يرمز لها **بالإخصاء**.

والقمار **لعبة الذكور**، ومثلما يحدث عندما تتلاعب ذكور الحيوانات فإنها قد تعض بعضها البعض فى القضيب والخصيتين، أو قد تتعارك فتتاعض فى هذين المكانين بقصد الإخصاء، فإن كل مقامر لاشعوريا يريد أن يُخصِى الآخر، وإنه لمن المألوف أن تسمع المقامر يقول لزميله إنه سيخصيه. والمقامر وإن كسب فإنه الخاسر فى النهاية، وهو يستمر فى اللعب على أمل أن يعوض خسارته. والمقامر **ماسوشى**، ومعاودته للعب **فعل قهرى** ودليل على **عُصابية**، وهو يجر على نفسه الخراب وعلى المحيطين به. ومعنى **أنه ماسوشى** أنه من استمراره فى المقامرة برغم الألم الذى تستنزله به وبأهله يستشعر لذة لهذا الألم. وهو يسلم نفسه للحظ ويهدف إلى الثراء السهل، ويعنى ذلك **أنه اعتمادى**، وأنه يريد أن ينكص **إلى المرحلة الفمية** التى كان يتغذى فيها بالرضاعة **يوفرها له غيره**. والمقامر **استمنائى** قد نجح فى كبت إتيان فعل الاستمناء المباشر باليد واستخدمها، أى اليد، استخداما استمنائيا فى تناول أوراق اللعب وحبّات النرد، ويشعره ذلك بلذة شبقية معادلة للذة الاستمناء. ويذهب **فرويد** إلى أن القمار **معادل للاستمناء**، ومن شأنه، أو من شأن الاستمناء ومعادلاته أنهما يؤديان إلى الإدمان. والقمار يلزم له شريك، واستمناء المقامر من نوع **الاستمناء المتبادل** بين المستمنين mutual masturbation. ومعنى أن القمار استمناء **قهرى** أن المقامر يستخدمه كبديل للجماع، **فهو** يخفف عنه التوتر، ويأتيه دوما كاستجابة وحيدة كلما تواجه وأى استثارة. **والمقامر القهرى** لايكون للشبق الجنسى طبيعته السوية عنده، ولكنه وسيلة يحمى بها نفسه ضد أى مثير خارجى، **ونرجسيته** تجعل من أى

مثير خارجي موضوعا يتهدد أمنه، وهو يدمن القمار بسبب **مشاعر الذنب** التى يستشعرها به، والمستمنى والمقامر كلاهما يحس الذنب ويتوقع العقاب ويلعب استجلابا للذة جنسية تنسيه مايعانيه. والمستمنى وهو يقهر على الاستمناء برغم علمه بما سيجره عليه الاستمناء، يترك مصيره **للحظ**، وكذلك المقامر. وهو لايعيش فى أمان، والإنسان عندما يعوزه الأمان ينكص إلى مراحل سابقة من حياته يفعل ماكان يفعله فيها ويعطيه الإشباع. والمقامر ربما وهو صغير تهددته ظروف، وقد يكون قد انتصر عليها بالاستمناء، وفى كِبَره قد يلجأ إلى **بدائل الاستمناء** ومنها **القمار** كخلاص من توتراته.

وهناك أنواع من المقامرين، **فالمقامر الاجتماعى social gambler** يلعب لمتعة مشاركة الآخرين، **والمقامر المحترف. professional g** يلعب كتجارة ومهنة، **والمقامر المعادى للمجتمع. antisocial g** غشاش ويلعب ليسرق، فليس اللعب غايته ولكنه وسيلته للسرقة، وأما **المقامر القهرى** فهو بغيتنا، وهو يلعب لأنه **مريض** بالقمار، وهو يهمل طعامه وشرابه ووظيفته وزوجته ليلعب، ويبيع قوت عياله ليواصل اللعب، ولايستطيع إلا أن يلعب، واتجاهاته غير واقعية ومعتقداته الكثير منها غير منطقى وتقاوم التغيير، وهو يؤمن أنه بالقمار سيصير غنيا وأنه لاحاجة به لأن يعمل، وتفكيره **تفكير سحرى magical thinking** يأخذ بالفأل، ويعطى الكلمات والإيماءات والألوان معانى، ويجعلها رموزا يستفتحها ليلعب بوحى منها، ويرى أنه بها يستطيع أن يؤثر فى الورق أو فى الزهر بتركيزه وتفكيره فيه، وتسليط عينيه عليه، والتمتمة بكلمات يستبرك بها. ويذهب علماء النفس إلى ردّ هذا السلوك إلى **شخصية المقامر الاعتمادية السلبية** التى بدأت تتكون لديه منذ الصغر، بتشجيع من الأهل، ليظل مرتبطا بهم وبلاحول ولاقوة من دونهم، فإذا كبر لايستطيع أن يصمد فى وظيفة ذات مسئولية ولا أن يكون زوجا، ويركن إلى الحظ، والحظ امرأة لعوب lady luck تُمنّى ولاتعطى، وربما كان هو نفسه حظ نفسه، وصديق نفسه، لأنه **ذاتى**، وذاتيته هذه هى التى تجعله بلا صديق، وهو لهذا السبب غير موفق إن تزوج، وغالبا مالايتزوج.



- ٨ -

الدون جوانية Don Juanism

الدون جوان هو زئر النساء، وقيل إنه عاش حقيقة فى إشبيلية بأسبانيا، وأنه أغوى

إحدى البنات فتصدى له أبوها، وتبارزا فقتل الأب، فانتقم له جماعة من الرهبان باستدراج دون چوان إلى حيث كان مدفن الأب وقتلوه. وخلد **موزار** القصة فى **أوبرا دون چيوڤانى**.

ويذهب علماء التحليل النفسى إلى اعتبار الدون چوانية **نمطا من أنماط الشخصية الجنسية**، والدون چوان عندهم هو التجسيد **لعقدة الذكورة**، فزئر النساء إما له شكل الإناث فيحب أن يؤكد ذكورته باستمرار وينحو لذلك إلى الغزو والفتح والسيطرة وكأنه القائد الفاتح، يهوى كل يوم أن تستسلم له مدينة إظهاراً لذكورته (**مذهب أدلر**)، وإما أن الدون چوانية تكون فى الرجل من طراز **كازانوڤا**، وهو القبيح الشكل ولكنه الجرئ اللسان على النساء، يعوض بجرأته قبح شكله، ويبدو أن شكله هذا كان ينفر منه أمه فى صغره، فتحول بسبب هذا النفور منها إلى كل نساء العالم ينتقم منهن ويفسق بهن ويستحلّ الحرمات ويعبث بالأعراض. وربما كانت به **رغبات شبقية بأمه** رغم قسوتها عليه، أو ربما كان يتمنى لو يفسق بأمه كنوع من رد الفعل على قسوتها، وهو مالم يتحقق له فيعوض عنه تعويضاً يستنفد الكثير من طاقته، ويتوهم أن كل النساء أمه ويغرر بهن، وفى ذلك إظهار للسيطرة ولو فى صورة مرضية.

والدون چوان أو زئر النساء عشيق الغوانى، ويهدف إلى أن يجعل كل امرأة غانية وبغيا، ربما لأن نمط الغانية أو البغى هو نمط المرأة التى تنتقم من الرجال لما عانته من فشل وإحباط فى علاقاتها بأبيها فى طفولتها، فكأن **الغانية أو البغى** هى المقابل للدون چوان فى دنيا النساء، أو كأن الدون چوان هو بغى دنيا الرجال.

* * *

– ٩ –

ديونية Dionism

اسم آخر **للجنسية الغيرية** أى الجنسية التى تكون بين رجل وامرأة، بخلاف **اليورانية** uranism وهى الاسم الآخر **للجنسية المثلية** أو **اللواطة**، أى الجنسية التى تكون بين الإناث والإناث، أو بين الذكور والذكور.

والديونية نسبة إلى **ديون** Dione فى الأسطورة الإغريقية، من إلاهات الأوليمب، أخلصت **لزيوس** ولم تكن لها علاقات جنسية بغيره. وأما **اليورانية** فهى نسبة إلى **يورانوس** uranus وكان لوطيا، حتى اضطر أولاده إلى إخصائه ليمنعوه عن ممارستها، وذهب

اسمه مثلا على الشذوذ جنسيا وعلى الجنسية المثلية. ومن اسم أورانوس اشتق **هوس السماء** uranomania أوالهوس الإلهى، ويكون ببعض المرضى العقليين فيعتقدون أنهم من أصول إلهية أو أنهم هبطوا من السماء.

***

-١٠-

المعاكسات الهاتفية Intrusive Telephone Calls

قد يعن لأحد الناس أن يطلب امرأة على الهاتف ويُسمعها ألفاظا تخدش الحياء، أو قد يتنهد أو يُصدر مامن شأنه أن يجعل المرأة تُعرب عن استيائها ونفورها، وهذا هو ماينشده من المكالمة. والمعاكسات الهاتفية من هذا النوع فى تزايد مستمر، ومنها مايبلّغ بها الشرطة، والغالبية لا يبلغون بها، وهناك حالات يكون فيها المعاكس هو نفسه المسئول عن جهاز رصد المعاكسات أو الشرطى المنوط به تلقى شكاوى المعاكسات الهاتفية. والمعاكسات المبلغ عنهالاتزيد عن ٢٥٪ من مجموع المعاكسات الفعلية.

والمعاكس شأنه شأن البصّاص peeper الذى يثيره أن يختلس النظر إلى العورات، فكلاهما أجبن من أن يواجه ضحيته، والبصّاص وسيلته النظر، والمعاكس عن طريق الهاتف وسيلته السمع، وكلاهما **البصر والسمع** من أدوات اللذة الجنسية، والبص مثله مثل المعاكسات على الهاتف من حيث أنه يؤذى المرأة فتُظهر الدهشة أو الرعب مما تسمع أو ترى وتُذهلها المفاجأة فيسعد البصاص والمعاكس وتكون لذتهما، ومثل ذلك يحدث للذى يرسم رسوما على الحائط ذات مضمون جنسى فاضح أو يكتب على حوائط المراحيض ويرسم رسوما جنسية، فكل ذلك يصدر عن **كبت جنسى** واضح وخوف من التعبير عن الرغبات الجنسية صراحة، وقصور عن أن يواجه الفاعل الشخصيات المجهولة التى يخاطبها بألفاظ مسموعة أو مقروءة. ومعظم المكالمات يقوم بها **مراهقون أو بالغون من الذكور**، والمعاكس يختار ضحيته عشوائيا، أو ينتقى الاسم من الدليل، أو يقرأ اسم الضحية فى الصحف مقرونا بمناسبة من المناسبات فيسعى إلى البحث عن رقم الهاتف. وقد يحدث كثيرا أن يختار الضحية من **الأرامل** اللاتى توفى عنهن أزواجهن حديثا. وقد تبين أن ١٥٪ من مجموع المعاكسات تهديدات، بينما الباقى من النوع الجنسى. وتبين أيضا أن ٢٥٪ من المعاكسات فاضح obscene calls تذكر فيه أسماء الأعضاء

الجنسية وعملية الجماع، وتوصف فيه المرأة بأفحش الصفات، بينما يلجأ البعض الآخر فى ٦٠٪ من الحالات إلى مجرد التنهيد على الهاتف أو الصمت أو إدارة مقطوعة موسيقية أو جزء من أغنية. والغالب أن يكون المتحدث زوجا فاشلا فى زواجه، وربما يكون منفصلا عن زوجته، أو تكون زوجته مغضبة، أو يكون محبا أو عاشقا قد أخفق فى حبه، وقد يكون جارا مشاكسا أو تاجرا يكيد لزميل له فيتصل بزوجته ويقول لها مايقول انتقاما، وكل هؤلاء ربما تكون دوافعهم السابقة عدوانية، ولكن منهم كذلك من له دوافع البصّاص أو المتطلّع جنسيا أو المستعرى الذى يمارس استعراءه على محطات السيارات وفى الحدائق العامة والأسواق، وهو إنسان منبوذ لايشعر بالأمان فى حياته وتعافه النساء ويحس بالوحدة، ويسعى إلى التغلب على مشاعر النقص الشخصى والجنسى عنده بأن يجعل ضحاياه من النساء يظهرن الاستغراب والدهشة والخوف والفزع لما يقول أو يفعل، فتكون له الغلبة عليهن، ويشعر أنه الأقوى؛ وربما كان المعاكس يحاول عن طريق الهاتف أن يتصل بالناس وقد يئس أن تكون له بهم علاقة مباشرة، وفشل فى ذلك فيحاول بطريقة غير مباشرة ودون حاجة لأن يواجهم أن يؤكد وجوده كمقابل لوجودهم.

وتجهد شركات الإلكترونات أن تخترع الوسائل التى بها تحدد المعاكس، ولكن مايمكن أن ننصح به فى مثل هذه الحالات أن لاتجيب المرأة على مايوجه إليها من أقوال فاحشة، وأن تضع السماعة أو ترفعها من بعد لكى لايتسنى للمعاكس الاتصال من جديد. وأى محاولة للإجابة ولو بمجرد الإنصات سيدفع المعاكس إلى التمادى لأنه سيعرف أنه قد استحدث فى متلقى المكالمة الأثر الذى يريده. ومن الواجب إبلاغ الشرطة أو المختصين فى حالة التكرار ليمكن تتبع المعاكس وضبطه. وعلاج هذا النوع من السلوك سهل بالتنفير منه، وإذكاء الخجل من إتيانه ومناقشة دوافعه.



الفصل السابع والأربعون

السلوك الجنسى المضطرب عند الإناث ومظاهره

-١-

الاسترجال Virilism

قد تظهر علامات الرجولة على بعض الفتيات أو النساء بسبب اضطرابات تعترى الغدة الكظرية، يطلق عليها أحيانا اسم **المتلازمة الكظرية التناسلية**، ويترتب عليها أن يفرط إفراز اللحاء الكظرى لهرمون الأندروجين الذكورى فيرتفع الحيض أو يمتنع، ويصغر الثديان، ويخشوشن الصوت، وينمو شعر اللحية والشارب، ويكبر البظر. وتتأثر الحالة النفسية للبنت وهى ترى نفسها تتحول بالتدريج إلى ولد، ويعترى المرأة اكتئاب وقنوط إذ تجد أن جسمها تجرى به تغييرات لها خطورتها. وقد تشغل البنت بالتفكير فى حقيقة دورها الجنسى، وقد تعاف جنس البنات والمسائل الجنسية عموما، أو قد يهولها ضخامة بظرها وتقبل على الاستمناء باليد ويصيبها من ذلك شعور بالذنب يجعلها تكتئب وتعتزل الناس. وأما المرأة البالغة التى تأتيها أعراض الاسترجال فغالبا ما تصبح شديدة الاعتزاز بنفسها، وقد تتملكها أفكار جنسية مثلية. والعلاج بالكورتيزون يشفى الحالة ويوقف الأعراض مبكرا، غير أن الجراحة قد تلزم فى حالة ما إذا كان اضطراب الكظرية بسبب ورم فيها، وقد يستوجب الأمر أحيانا استئصال الكظرية برمتها أو جزء منها.

* * *

-٢-

العبودية الجنسية Sexual Bondage

العبودية الجنسية هى التى تكون ببعض النساء اتجاهات وميول **ماسوشية** تجعلهن يجدن متعة فى أن يعاملهن الرجال بغلظة وخشونة. والمرأة الأمَة تعيش مُستَعبدة حتى لتقبل أن يسجنها الرجل فى بيته ويغلق عليها الأبواب ويسئ إليها بالألفاظ وبيديه، وقد يحرمها الطعام والشراب، ويذهب العلماء إلى ردّ العبودية إلى **الميول الانتحارية**. وتورد بعض البحوث إحصائيات لضبط حالات كثيرة من قبَل الشرطة كانت فيها المرأة تهان وتحبس، وهناك حالات أوردتها الشرطة المصرية لاستعباد جماعى كانت فيها نحو ثلاث أو

أربع نساء قد حبَسن فى إحدى الشُقَق لعدة أيام. وقد تحبَس المرأة أو تُستَغل جنسيا أبشع استغلال من قبَل عدة رجال، وقد يصل سوء المعاملة أن تموت المرأة أو تشرف على الموت، وقد تتنحر. والكثير من النساء يعشن مستعبدات وخاصة فى بلادنا العربية، وقد أثبت **القرآن** إكراه الفتيات على البغاء فقال «ولا تُكرِهوا فتياتكم على البغاء» (النور ٣٣). والمرأة **الشرقية** عموما مستعبدة. والمرأة **العاشقة** يستعبدها موضوع عشقها. وتتحدث **الأغاني** عن حالات استعباد كثيرة. وقد يهب الشخص نفسه **للقضية** تستعبده وتكشف عن ميول **ماسوشية** فيه. والاستعباد يعطى المستبعد (بكسر الباء) لذة شبقية بالتفوق والسيطرة، والعبودية نزوع فيه الألم الشبق للمستبعد (بفتح الباء). والموقف العبودى أو الاستعبادى شبية بحالات التسوّط التى ترضى فيها المرأة أن تُضرَب بالسوط لتتفجر بها الرغبة الجنسية وتَرضىَ بالجماع، والتى لاينعظ فيها الرجل إلا بأن يرى المرأة تتألم وتستصرخه ليتوقف. وبعض النسوة يتمنعن على الجماع إلا بعد أن يتشاجرن مع أزواجهن حتى ليبلغ الشجار أن تُسَب المرأة أو تُضرَب وعندئذ تكون سعادتها بالجماع (أنظر **هوس التسوط والماسوشية والسادية**).



- ٣ -

البرود الجنسى Frigdity

قد يشكو الزوج أن زوجته باردة جنسياً، ومعنى ذلك أنها لا تتجاوب معه جنسيا، ولربما لا تتجاوب امرأة مع رجل معين بينما هى تتجاوب مع رجل آخر، وعلى كل فالتجاوب يختلف فى الدرجة والشكل، وكذلك اللاتجاوب له أشكاله ومستوياته المختلفة.

ويقصد بالبرود الجنسى أن المرأة عاجزة جنسيا، وعجزها يَقصُر بها عن أن تلتذ بالجماع. والبرود الجنسى قد يطلق عليه أحيانا اسم **الخدر الجنسى sexual anesthesia** ومعناه أن الإحساس الجنسى مفتقد عند المرأة. وهذا الخدر أو البرود الجنسى يقابل **العُنّة** عند الرجال، ويقال للمرأة الباردة جنسيا أنها **عنينة**، كما يقال للرجل العاجز عن الانتصاب إنه عنّين وعَجيز أيضا. والبرود الجنسى أو عُنّة النساء أقسى ما يمكن أن تصاب به المرأة لأنه يعنى أنها عاجزة عن القيام بدورها كأنثى، والتوفر على الجماع والنجاح فيه هو صميم هذا الدور، وهو المحرك للزواج والدافع إليه، وإذا خلا

الزواج من الجماع أو كان الجماع فيه فاشلا فى كل مرة يأتى فيها الزوج زوجته، فإن الزواج مآله حتما إلى الانهيار، فإذا أضفنا إلى ذلك أن عدد النساء المصابات بهذه العنة النسوية هو عدد هائل يكاد يكون **ثلث عدد النساء جميعا** فى سن النكاح، فإن لنا أن نتصور حجم المشكلة المترتبة وخطورتها اجتماعيا. ولايصاب الرجال بالعنة أو العجز الجنسى بمثل هذه النسبة العالية التى تصاب فيها النساء بالعنة النسوية.

والبرود الجنسى أو العنة النسوية لها **مستويات** بحسب التكوين البنيوى للنساء وقدرتهن على الممارسة الجنسية، وهى مسألة تختلف من امرأة لأخرى، ومن **ثقافة** لأخرى. وأدنى مستويات العجز الجنسى النسوى أن تمارس المرأة الجماع دون استمتاع، وأعلاها أن تنفر بشدة من مجرد مقاربة الرجل لها حتى لتتشنج عضلات الفرج عندها فيشق على الرجل أن يولج قضيبه فيها إن لم يكن ذلك مستحيلا. وتصاب المرأة العنينة بقمطة الفرج أو **قمطة المهبل** أو **اعتقاله** vaginismus ومعناها أن عضلات العجان عندها تتشنج وتتقلص عضلات الفخذ المقرِّبة حتى لتشد المرأة على فخذيها وتحزمهما على فرجها فلايستطيع الرجل أن يفتحهما، وإذا استطاع بالعنف وباستخدام قوته، وقد يضرب المرأة، فقد يتمكن منها وعندئذ قد يكون الإيلاج عسيرا، وإذا أولج فلن يتمكن من القيام بحركة الجماع الإيقاعية لأن الفرج عندئذ سيقمط بشدة وسيضيق المهبل حتى ليشق على الرجل أن يواصل، وقد يتسبب **عسر الجماع** dyspareunia المترتب على قمطة المهبل فى تهتك أغشيته وإيذاء القضيب.

والمرأة العنينة هى التى برودها الجنسى **كامل**، وهى التى لاتطلب الجماع ولاتسعى إلى الرجال، وإذا أغصبت على المضاجعة لم تبلغ الهزة أبدا، ولم تحس بأية لذة، وهذه هى حالة **العنة المثلى أو الكاملة** anhedonia عند النساء. والمرأة المصابة بها تتقزز من الجماع وتغثى من المنى وتأنف أن تكون تحت رجل يقبلها ويحضنها ويولج فيها. ولربما يكون تخوف المرأة لأى سبب هو الدافع إلى قمطة المهبل وتشنج عضلات فخذيها والانشغال بالاجتناب أو بدفع الرجل عنها. ولربما تكون القمطة استجابة خوف شرطية نتيجة خبرة سابقة أعطتها انطباعا سيئا جعلها ترهب أن يدخل أى شئ فرجها. ولربما تكون قد أدخلت شيئا فى فرجها فى أى وقت من حياتها وتسبب لها فى مضاعفات وآلام لم تنمح من ذاكرتها وتدفعها إلى الاستجابة الرافضة للجماع باعتباره إيلاجا لشئ فى الفرج.

ولربما تكون هذه المرأة قد تعرضت للاغتصاب أو محاولة الاغتصاب فى يوم ما وفى أى سن، فيُثبت الألم الحادث مالديها ولدى كل النساء من خوف أصلى من عملية الجماع ويرسّخه فيها.

ومن البرود الجنسى ماهو **وقتى طارئ**، وماهو **مزمن أساسى** فى المرأة. وعندما لاتكون للبرود الجنسى أسباب عضوية فهو حتما **نفسى المنشأ** أو كما نقول **هو سوء وظيفة جنسية** يعوق الرغبة أو الانفعال الشبقى وتسببه الصراعات الانفعالية. ورغم أن كل حالة لها ملابساتها إلا أنه بالإمكان حصر المشاكل التى تدفع إليه، ومن ذلك **مشاعر الذنب المفرطة** نتيجة ممارسات جنسية محرمة، وتحضرنى **حالة فتاة** كانت تنام وأخوها فى سرير واحد من صغرهما، فلما راهقا استيقظت يوما وأخوها فوقها يباشرها وقد استسلمت له وادّعت النوم، وظل أخوها يباشرها يوميا وهى تدّعى النوم إلى أن حملت فأخذتها أمها إلى من أجرى لها عملية الإجهاض. ومضت السنون إلى أن تقدم إليها البعض خاطباً فكانت ترفض بشدة، وقسرها أهلها على الزواج فكانت تقوم المعارك بينها وبين زوجها ليضاجعها، وإذا نجح فى الإيلاج فإنه ماكان يكمل الجماع أبدا لاستحالة مواصلته، وكان يقول إن فرجها يَعُضّ.

وقد تعانى المرأة من **ميول مثلية** تجعلها تنفر من الرجال، وتروى **فيليس ليون** مؤلفة كتاب **«المرأة اللزبانية»** كيف كانت تعانى أشد المعاناة عندما يأتيها زوجها حتى انتهى بهما الأمر أن يتساكنا دون اتصال، إلى أن عثرت على ضالتها **«ديل مارتن»** التى عشقتها، وكانت الأخرى متزوجة وتعانى من البرود الجنسى ومايترتب عليه من مشاكل مع زوجها، وعندئذ هجرت الاثنتان بيت الزوجية وعاشتا معا حياة جنسية مشبعة دون برود جنسى.

وقد تخاف المرأة أن يصيبها **أذى أو مرض** إذا مارست الجنس، ربما لأنها تخاف النشوة وترى أن الجماع قد يلحقها منه **تشوّه** يصيب أعضاءها التناسلية، أو عدوى، أو ربما كانت بها مخاوف من المنِى باعتباره قذارة، وربما كانت بها مخاوف من الحمل لأنها تخاف التشوّه، وربما كان خوفها من الجماع **لخوف من الرجال** حتى أنها لتخاف الأسماء المذكرة وتتجنب أن تنطق بها، ونحن نعرف أن المخاوف المرضية المختلفة يمكن أن تسلم الواحدة منها للأخرى دون سبب. وبعض النساء ترهب الأمراض التناسلية وتتأبّى على الأزواج لهذا السبب.

وقد تدفع **الصراعات الأوديبية** التى لم تحل منذ الطفولة إلى عجز المرأة عن الجماع لأنها قد ترى فى الرجل أنه مثل **أبيها** ويمنعها ذلك أن تستسلم له باعتباره من محارمها.

وربما كانت للمرأة **ميول نرجسية**، ومعنى ذلك أنها تتعشق نفسها ولاتسمح لأحد أن يقربها، ولاترسل نفسها على سجيتها فى الجماع، وتخاف على ذاتها أن تنوب فى اللذة فتمنع نفسها عنها، وترفض أن تكون بالنسبة للرجل وسيلة إشباع لشهوته. والمرأة **النرجسية** دائمة التدليل لنفسها ولجسمها وتوليه عناية زائدة وتضن به على الرجل، ولاتجد لديها فائض وقت يمكن أن تخصصه لرجلها، وإذا مارست الحب فإن إرضاء الرجل يأتى فى المرتبة الأخيرة، والجماع عندها مجرد دقائق تفرغ بعدها لنفسها.

وقد يكون البرود الجنسى تعبيراً عن اتجاه نفسى لدى المرأة، فقد تكون من **النمط الذى يكتفى بذاته** ولايجد أنه يحتاج إلى رجل وتنفر من الجنس لأنه يقتضى أن يكون هناك شريك فى فعله. وقد تكون من **النمط المسيطر** الذى يرفض أن تكون لها كامرأة علاقة برجل هى فيها الخاسرة أو الطرف السلبى. وإذا اضطرت أن تجامع فهى تختار الوضع الذى تعلو فيه الرجل حتى تتحكم هى فى عملية الجماع وتنهيها وقتما تريد. وقد تنفر المرأة من فكرة أن يعتليها رجل، وتبرد عواطفها وتتلاشى أحاسيسها الجنسية إذا ماشعرت أن الرجل قوى الشخصية وله ذكورة لاتستطيع أن تجاريها أو تنافسها. وقد يستجيب هذا النوع من النساء للرجل السلبى ضعيف الشخصية. ولربما يكون الزوج من النمط الذى يمُنى قبل الأوان فتربط الزوجة الاستثارة الجنسية بالتوتر وعدم الإشباع، ومن ثم فقد تقاوم رغباتها وتدافعها وتكبت شهواتها كحل لمشكلة تلازمها مع هذا الزوج، وإنهاءً للصراع بينها وبينه أو بين رغباتها وشهواتها وواقع حياتها الزوجية. وكثيرا مايحدث أن تكون هذه المرأة الباردة جنسيا قد تعلمت كفتاة أن تعتبر الجنس خطيئة وقَذَرا وشرا مستطيرا. وتنغرس فى نفسها اتجاهات معينة ضد الجنس يصعب تعديلها وتفصح عن نفسها بعد الزواج فى شكل صراعات لاتنتهى. وإذا حدث وصار البرود الجنسى نمطا لها فقد يكون من المستحيل التخلص منه، وخاصة إذا كانت الممارسة الجنسية مع رجال بعينهم من نمط معين يثير فى نفسها النفور أو يفجر عندها ذكريات وصراعات قديمة.

وقد يرجع البرود الجنسى بالمرأة إلى **عقدة الخصاء**، ومن رأى **فرويد** أن عقدة الخصاء تنشأ عند البنات لدى اكتشافهن أن الأولاد لديهم قضيب فيحسدنهم عليه، وقد تحاول البنت فى المرحلة القضيبية أن تستخدم بظرها استخدام القضيب بالحصول على اللذة بتهييجه بيدها، وغالبا ماتفشل فى الحصول على لذة كافية فتعمم الحكم بالنقص الذى كانت تطلقه

على بظرها أو قضيبها الصغير، فتطلقه على نفسها بأكملها، وتعرض عن العبث بأعضائها التناسلية وعن الحياة الجنسية بأكملها، أو قد تتشبث برغبتها فى أن تكون **كالولد** وتتجلى فى تصرفاتها صفات الذكورة واضحة، وقد يصل الأمر باتجاهاتها الذكورية أن تكون لها علاقات جنسية وحيدة **بالإناث** دون الذكور. ومن هنا فقد يكون مردّ البرود الجنسى إلى **عقدة الخصاء** بحيث لاتطلب المرأة الجماع أبدا ولاتسعى إليه. وقد تضطر إليه كما فى حالات البنات اللاتى يقسرن على الزواج فيكون استعصامهن أو شعورهن بالألم الحاد خلال الجماع، حتى لينصرف الرجل عنها تلقائيا لعزوفه عن شئ مؤلم له ولها معاً.

وقد تسعى المرأة للجماع ولكنها ما أن تشرع فيه حتى تثبط عزيمتها وتنكص عن إتمامه، ولعل السبب **دافع لاشعورى** يدفعها إلى خذلان الرجل، وكأنها بالبرود الجنسى تعبر عن **كراهيتها للرجال** أو تثأر لنفسها من الرجال كمظهر **لعقدة النقص** التى تعانى منها.

ويذهب علماء التحليل النفسى إلى أن المرأة لكى تكون **بغياً** لابد أن تكون باردة جنسيا، وأن البغايا يصرن بغايا لأنهن يكرهن الرجال ويطلبن الثأر منهم، **والبغاء** هو وسيلتهن للثأر، وفى ذلك يقول **تولستوى** إن اليهود بتأثير أنهم **الأقلية** يقع عليهم الاضطهاد فإنهم ينحون إلى الثأر من المجتمع بالتحكم فيه من خلال أهم جوانبه وهو الاقتصاد، وكذلك المرأة فإنها تثأر للنقص الذى تستشعره بها بأن تسيطر على الرجال من نقطة الضعف فيهم وهى **الجنس**. ولعل البغى هى أكثر النساء ميلا إلى الانتقام من الرجال، ولعلها لذلك أكثرهن برودا من الناحية الجنسية. ومن رأى **فرويد** أن **حسد القضيب** الذى عانت منه البنت وهى صغيرة يظل يلاحقها دائما، وأنه من أهم أسباب البرود الجنسى عند النساء. ومعنى أن تحسد البنت الولد على قضيبه أن تتمنى أن تكون مثله ولدا ولها قضيب. وقد تكرهه لذلك وتخفى فى نفسها الرغبة فى الثأر منه، ومن بعد فى **الثأر من أى رجل** يحاول أن يشعرها أنها امرأة ويستخدم ذكورته فى الاعتداء عليها بقضيبه، فتنتقم منه بإشعاره أن قضيبه لايثير فيها أنوثتها بل هو على العكس يقززها، وكأنها بذلك تُخصيه بتحييد القضيب وإفراغه من قدراته وإفقاده وظيفته.

والبرود الجنسى عند **هيلين دويتش** هو أن لاتستطيع المرأة أن تنعظ، والمرأة تنعظ بإثارة بظرها. ويترتب البرود الجنسى على جهل الرجل بوظائف الأعضاء الجنسية للمرأة، ومن ثم يتناسى البظر أو يهمله فى الجماع ولاتبلغ المرأة الهِزّة نتيجة لذلك، ومع استمرار فشل الجماع تتعلم المرأة أن تكون باردة جنسيا.

ويذهب **كينزى** إلى أنه فى **السنوات الأولى من الزواج** تكون الشكوى من البرود الجنسى فى الزوجة **أكثر** من الشكوى من العجز الجنسى فى الزوج، ولكن بعد مضى **عشرين سنة** تكون الشكوى من العجز الجنسى فى الزوج **أكثر** من الشكوى من البرود الجنسى فى الزوجة، غير أنه بشكل عام هناك شكوى من البرود الجنسى **أكثر** من الشكوى من العجز الجنسى حتى سن **الخمسين**، وإذا كان المعيار فى الجنس **هو الإشباع وليس الإنعاظ** فإن الكثيرات من النساء يجزمن أنهن يبلغن حد الاكتفاء دون النعوظ، وفى ضوء هذا المعيار يكون البرود الجنسى فى النساء مقارناً بالعُنّة فى الرجال **أقل** بمراحل.

والآن هل هناك سن معينة يكون فيها البرود أكثر منه فى سن أخرى؟

والجواب عند **كينزى** أن المرأة التى تخبر الجماع لمدة طويلة يقل بها الميل إلى البرود، وأن نسبة البرود الجنسى عند النساء **المتزوجات حديثا** أعلى منها عند النساء المتزوجات ولهن عشرون سنة فى الزواج، وكأن **كينزى** يريد أن يقول إن الأهم من السن هو **التوافق** بين الزوجين والخبرة والثقة فى النفس.

وهل هناك ارتباط بين البرود الجنسى والمستوى التعليمى للمرأة؟

والجواب طبقا **لكينزى** أيضا أن هناك علاقة مباشرة بين **المستوى العام للتعليم** الذى تبلغه المرأة وإحساسها بالجنس، ويبدو أن التعليم يجعل النساء أقل لهفة على الجنس، أو يجعل مطالبهن الجنسية أكثر من حيث الشروط التى ينبغى أن تتوافر للمرأة فى شريكها وفى وقت المضاجعة ومكانها، ومن ثم فإن المرأة المتعلمة إن لم يتحقق لها ذلك لاتشعر بالجماع شعور الإنسانة البسيطة التى نالت قدرا بسيطا من التعليم ومن ثم تكون حاجاتها بسيطة ويمكن أن يشبعها القليل. ولقد استطاع **كينزى** أن يحصل على حالات **برود جنسى كامل بين الخريجات من الجامعات** أكثر مما وجد بين الحاصلات على تعليم متوسط، وكانت النساء الحاصلات على تعليم ثانوى فى موقع يتوسط النسبتين السابقتين.

فهل هناك ثقافات يمكن أن تزيد فيها المصابات بالبرود الجنسى عن ثقافات أخرى؟

والجواب بالإيجاب، لأن الحب وطرق التعبير عنه تختلف من ثقافة لأخرى، وكذلك تختلف طرق الجماع السائدة، ومكانة المرأة وما لها من احترام وتوقير وحقوق وواجبات. وهناك ثقافات تدين المرأة التى تحب أو تختار شريك حياتها أو التى تطلب الجماع أو تعبر عن التذاذها به أو سعادتها بزوجها، أو أن تبلغ الإنعاظ. وهناك ثقافات تجعل من حق الرجل

أن يعدد نساءه، وأن يجامع هذه وتلك حتى وإن مال إلى إحدى نسائه وأهمل الأخريات وتركهن كالمعلقات. والمطلوب من المرأة فى مثل هذه الحالات أن تستقبل الرجل وتضاجعه بصرف النظر عن مشاعرها، فلا غرو أن تصاب **بالبرود الجنسى**، بل وأن تصاب **بخواف الجماع**، وأى الخوف المرضى من الجماع، فتعافه حتى الغثيان، وهناك نساء كثيرات يشكين من الغثيان كلما قاربهن أزواجهن نتيجة المعاملة السيئة من الزوج، المترتبة على النظرة العامة للمرأة فى المجتمع، والتى تنعكس فى معاملتها كابنة وفتاة وزوجة وامرأة. وعموما فإن البرود الجنسى ينتشر **بين نساء العائلات المحافظة** أكثر منه بين العائلات المتحررة فى غير انحلال، وبين **العائلات المتدينة** أكثر منه بين العائلات التى لاتغالى فى دينها. ولايصلح **معيار الإنعاظ** للحكم على البرود الجنسى بين النساء المتدينات، وربما كان الأقرب إلى الصواب استخدام **معيار الإشباع أو الاستكفاء** كمعيار وحيد لقياس نسبة البرود الجنسى بينهن.

فهل تأتى على النساء فترات من حياتهن يعانين فيها من البرود الجنسى؟

والجواب بالإيجاب، وذلك لأن **الشهور الأولى** وربما **السنوات الأولى** من الزواج تكون فترة برود جنسى بالنسبة لكثير من النساء. وقد تعانى النساء من البرود الجنسى **بعد الولادة**، وإذا انتابهن القلق من أن تكن **حاملات** مرة أخرى، وعندما تسكن الزوجة مع **حماتها** أو أخوات زوجها أو أى من أقاربها، وعندما تزعجها **المسائل المالية** للأسرة أو غير ذلك من المسائل التى تهم البيت. ومع **سن اليأس** قد يأتى البرود الجنسى بالنظر إلى القلق والتوتر والاكتئاب وهى الأمور المألوفة فى سن اليأس، وقد تنزل بالزوج نازلة أو مصيبة أو كارثة وتتضامن معه زوجته وتصاب بالبرود الجنسى.

وتقل الإصابة بالبرود الجنسى مع التحرر الذى نعيشة حاليا، والاتجاهات السائدة حيال الجنس، والاختلاط الذى تفرضة الحياة الحديثة بين الجنسين فى كل المجالات. وهناك فى المقابل عوامل أخرى يمكن أن تزيد بسببها نسبة الإصابة بالبرود الجنسى بين النساء، ومن ذلك ما تستحدثه الصحف من توترات يومية بما تحمل من أخبار عن الحروب والكوارث والجرائم والأزمات، والصراعات المحلية والإضرابات وارتفاع الأسعار، وغير ذلك مما يمكن أن يكون له مردود نفسى سئ على العائلات والنساء بصفة خاصة.

وقد يكون من المفيد أن نعرف شيئا عن **أحوال المرأة العربية أو المسلمة** فيما يتعلق

بالبرود الجنسى. ولقد قلنا أن المعرفة الجنسية التى تلم بها المرأة وخبرتها الشخصية وثقافتها وانتماءاتها الطبقية، كل ذلك يمايز بين امرأة وامرأة. والمرأة العربية والمسلمة لم تنل حظا من الرقى مثل الذى نالته المرأة الأوروبية، ويجعلها ذلك تعانى من إحباطات وصراعات أكثر مما تعانيه الأوروبية، بالإضافة إلى الأفكار السائدة المتشككة فى المرأة والتى تجعل دورها ثانويا إلى جانب دور الرجل، وما تتعرض له فى تربيتها من حصارات وضغوط، كل ذلك يجعل احتمالات الإصابة بالبرود الجنسى عند المرأة العربية والمرأة المسلمة عموما أكثر مما عند المرأة الأوروبية.

ويتأثر الرجل نفسيا إذ يجد أنه يفشل فى إبلاغ زوجته الإنعاظ، وقد يظن أنه غير كفء جنسيا، وقد يتوقع أن تكرهه زوجته، وقد يحاول أكثر ويقرأ فى ذلك ويسأل المجربين، وربما يلجأ إلى **المخدرات** لإطالة الجماع. وقد يتشكك فى رجولته ويزيد إحباطه. وقد يسوء خلقه ويتهم زوجته بأنها تتعمد أن تهين رجولته. وقد ترد عليه الزوجة بما يهينه فعلا، وتفسد علاقتهما ويزيد البرود الجنسى بالزوجة أكثر من الأول. وربما يكون الزوج عصبى المزاج وغير مستقر انفعاليا، وقد يتسبب له فشله مع زوجته واستمرار الإحباط فى الشعور بالقلق ويزيد به ذلك باستمرار، ويصاب بالعُصاب نتيجة الصراعات الشعورية واللاشعورية التى يفجرها الموقف مع زوجته. وقد يتسبب البرود الجنسى عند الزوجة فى أن يصاب الزوج بالعنة نتيجة الفشل المستمر والتأفف من الزوجة واهتزاز ثقته فى نفسه وفى رجولته.

وهناك **دواع عضوية** قد تستدعى البرود الجنسى فى المرأة، فأى شذوذ فى تكوين الجهاز التناسلى للمرأة قد يتسبب لها فى الإصابة بالبرود الجنسى. وقد تجعل الالتهابات والجروح بالفرج العملية الجنسية مؤلمة وصعبة، وتقل الرغبة الجنسية بالمرأة بعد العمليات الجراحية فى الرحم أو التى تتوخى المبيضين، وبعد انقطاع الحيض فى سن اليأس، ومع ذلك فإن ذلك ليس صحيحاً دائما ونادر ولايقاس عليه. ويذهب **كينزى** إلى أن بعض النساء باردات جنسيا بحكم طبيعتهن، ومنذ ولادتهن لديهن الاستعداد للبرود الجنسى بمعنى أنهن كن دائما نافرات من الجنس وعازفات عنه، ولذلك فإن بعض الباحثين يرون أن البرود الجنسى ربما يخفى ميولا **للاكتئاب**، أو ربما كان عرضا لاضطرابات عُصابية أعمق. وأما **الأسباب النفسية** للبرود الجنسى فإن **كينزى** ينبه إلى مسألة **السن**، ولقد لاحظ ارتباط البرود الجنسى عند الكثيرات بحداثة خبراتهن فى الزواج. وليس السن هو كل شئ ولكن

الأهم منه قلة الخبرة والخوف والتوتر والتوقعات المبنية على الحكايات المتواترة عن الزواج عموما وعن ليلة الزفاف خصوصا. وقلة الخبرة ليست وقفاً على الزوجة وحدها ولكن على الزوج أيضا. وكثيرا ما يتسبب الخوف من الحمل وعدم الرغبة فى الإنجاب بالنسبة للشبان من الأزواج فى إصابة الزوجة بالبرود الجنسى. وهناك الصراعات اللاشعورية والتى تنشأ بسببها اضطرابات فى الشخصية تصيب النساء بالبرود الجنسى المزمن، ومن ذلك المخاوف المرضية من الرجال ومن الحمل ومن الموت، ورغبة الزوجة أن تكون مع أمها لحاجتها إليها أكثر من حاجتها إلى الزوج، والأوهام التى تكون عند بعض النساء حول القضيب باعتباره سلاحا. وما يقال له حسد القضيب (أنظر القضيب)، وبعض هذه الأسباب النفسية قد يكون حميدا وبعضها قد يكون خطيرا. كل ذلك قد يدفع إلى الإصابة بالبرود الجنسى، بالإضافة إلى جهل الزوجة والزوج باعتباره من العوامل النفسية.

ويدور جدل كثير حول دور الرجل ودور المرأة فى الجماع. وقيل إن الرجل دوره نشيط بينما المرأة سلبية ومتلقية. وقيل إن الرجل لايفعل فى العملية الجنسية إلا أن يلقى بالمنى ويريح توترة الجنسى، بينما الجماع عند المرأة تمهيد للحمل ويحمل معه لاشعوريا كل آمال وأخطار الولادة. وقيل إن الرجل ملول ولا يريد أن يطيل الجماع، بينما المرأة تحب أن يغازلها الرجل وأن يتودد إليها ويلاطفها إلى أن تبلغ النعوظ بالتدريج. ويقول كينزى إن الكثير من النساء يكرهن الإطالة فى الملاطفة التى تسبق الإيلاج، وأنهن طالما تهيجن يردن بسرعة أن ينعظن. وربما لم تكن المسألة بين الأزواج مسألة اختلافات فى الأدوار بقدر ما هى تفهم متبادل بين الطرفين لحاجات كل واحد منهما وما يسعده ويدخل عليه السرور ويسهم فى تحقيق لذته الكبرى. وليس ارتفاع نسبة البرود الجنسى بين النساء فى السنوات الأولى من الزواج إلا دليل الحاجة إلى مايسمى «التجربة والخطأ»، بمعنى أن يحاول كل من الزوجين أن يتعرف إلى الآخر وحاجاته والطرق الموصلة لإشباعها، وسيخطئ مرات وسيصيب مرات إلى أن يلتقى الاثنان أخيرا ويكون التوافق المنشود.

ويؤثر سلوك الزوج بعد أن يفرغ من الإمناء فى تجاوب امرأته من بعد ذلك، وعندما يطلب منها الجماع فى المرات التالية. وتحب المرأة أن تشعر أنها لم تكن مجرد وسيلة إشباع شهوة الرجل، وأنها بمجرد أن ينتهى منها يهملها. ويتصرف بعض الرجال بطريقة لاتجعل المرأة تغضب ولكن تصيبها منها حسرات يمكن أن تتأثر بها فى الجماع التالى،

ويكون من خلالها برودها. وبعض الرجال بمجرد أن ينتهى ينهض ليتغسل، أو يتباعد عن زوجته ويغط فى النوم، أو لا يقول لها كلمات الحب والتى يقولها أثناء الجماع. وتحب المرأة أن يلتصق بها الرجل بعد الجماع وأن يدغدغها قليلا ويثنى عليها ويطرى جمالها. ويطمئنها هذا السلوك إلى أنها إنسانة وليست مجرد حيوان أو بغى يطلبها الرجل للجنس، فإذا انتهى منه لم تعد تمثل له شيئا. **والفترة التى تلى الجماع هى فترة مُثلَى** يتبادل فيها الاثنان العطاء المعنوى الجنسى، ويستشعران بعدها الراحة والاسترخاء اللذين يسلمانهما إلى النوم اللذيذ.

وهناك رجال يحبون أن يهيجوا نساءهم ثم يتركونهن بدون جماع ويكررون ذلك باستمرار، أويطيلون الملاطفة والمداعبة قبل الجماع ثم لا يكون هناك إنعاظ من جانب المرأة. وقد تبين **لكينزى** وجماعة البحث التى شاركته أن نسبة البرود الجنسى بين أمثال هؤلاء النساء كبيرة. ولقد خلص **كينزى** إلى أن المرأة المتجاوبة تميل بطبعها إلى الاستجابة للملاطفة بالإنعاظ، وللجماع بالإنعاظ، غير أن هناك عوامل لابد من إدخالها فى الاعتبار ليمكن تحقيق ذلك، فالبنت التى تعودت أن تكبت مشاعرها وتضبط سلوكها قبل الزواج قد يتطلب الأمر معها بعض الوقت لتتخلى عن تلك الضوابط التى كانت تلزم بها نفسها. وهناك من الاختلافات فى العادات والتفكير بين الزوجين الحديثى الزواج ما لايمكن التنبؤ بتأثيره على الجماع بينهما، ويدل ارتفاع نسبة البرود الجنسى فى السنوات الأولى للزواج على أن الانتقال من فترة الخطبة إلى الزواج مسألة صعبة لكثير من الأزواج.

وقد يلجأ الزوج إلى استخدام **موانع الحمل** فتأمن المرأة الحمل الذى تخافه وتكون على سجيتها وهى تجامع، وقد لاتحب المرأة أن يضع الرجل القراب على ذكره وتصاب بالبرود لو وضعه. وقد تحن المرأة إلى أن يكون لها ولد فتكره موانع الحمل برغم اقتناعها بضرورة تأجيل الحمل ومن ثم تجامع وهى غير راضية، وسرعان ما تبرد جنسيا، بالإضافة إلى أن الرجل لكى يضع القراب على ذكره أو يدخل مانعة الحمل فى فرج المرأة عليه أن يقطع الملاطفة ويشغل فى شئ بعيد عن الجماع، وهو ما قد يصيبها بالإحباط. وقد تتوتر نتيجة أنها تتوقع أن يختلف الجماع من بعد استخدام موانع الحمل غير الطبيعية وكرد فعل لتوتر الرجل. وربما يكون هناك اختلاف بين الاثنين حول استخدام موانع الحمل ولاتكون المرأة طبيعية بسببه. وأما إذا كانا على اتفاق فى هذا الشأن وفى كل شأن من شئونهما فإن موانع الحمل لن تكون عائقا لتحقيق اللذة الجسنية المتبادلة.

وقد يشكو الزوج أن زوجته لم تعد معه كما كانت من قبل، وهذا صحيح فالمرأة التى لم تعد تحب زوجها، أو التى تشغل بغيره عنه، أو التى لها علاقات جنسية وهى متزوجة قد لا تتجاوب جنسيا مع زوجها، وكذلك قد تشغل المرأة عاطفيا بمشاكل عائلية تجعلها فى غير لياقتها الجنسية. والبرود الجنسى مشكلة لها أبعادها النفسية، وهناك العديد من المشاكل التى يمكن أن تضطرب لها المرأة نفسيا وتكون لها مضاعفات جنسية.

وقد تسأل النساء كثيراً عما إذا كانت هناك مواصفات لشخصية الرجل الذى يمكن أن يؤثر عليها نفسيا حتى لاتصاب بالبرود الجنسى. وتختلف النساء فى المزاج والاحتياجات، والبعض يهيجن الرجل الهمجى أو العنيف، والبعض قد يهولهن قضيب الرجل منتصبا فتصاب لدى رؤيته بالخوف والبرود الجنسى. وتؤثر بعض النساء الرجل الأنيق والنظيف، وبعضهن قد تثيرهن قذارة الرجل ورائحته وتصفها بأنها رائحة ذكورية. وما يشد المرأة إلى الرجل أو ينفرها منه مسألة تختلف من امرأة لأخرى باعتبارات كثيرة تربوية ونفسية واجتماعية وثقافية.

والمرأة العصرية تميل بحكم أوضاعها إلى أن تتصرف بتلقائية أكثر من جدتها أو حتى أمها. وعندما نقول **المرأة العصرية** لاينبغى أن ينصرف هذا الاسم إلا إلى المرأة التى تعيش عصرها، أى المتعلمة التى تعيش العصر بكل ما يحمل من نبض وتقدم فكرى وتكنولوجى واجتماعى وسياسى. ويبدو أن التعليم الأفضل والحرية الأوسع والاستثارة بالأمور الجنسية يجعل الغالبية من النساء يستمتعن بالجنس. غير أن ذلك لاينبغى أن يضللنا فالصورة ليست دائما وردية، وهناك فئه من المتعلمات فى ضوائق باستمرار، وهن باستمرار متوترات بحكم مواعيد العمل والانتظام فيه والضوابط السلوكية خلاله والإرهاق خارج البيت وداخله. ولقد تقاسمت المرأة الحديثة نفقات البيت مع زوجها ولكن ظل عليها عبء البيت وحدها. وقد تعانى المرأة من الصراعات حول دورها كأنثى أو حول حقوقها كزوجة أو مواطنة (التنافس اللاشعورى مع الرجال)، وقد تصيبها تلك الصراعات بالبرود الجنسى.

وقد تستدعى المرأة البرود الجنسى لاشعوريا أو شعوريا كنوع من التحدّى للزوج تحدياً قد يكون شعوريا أو لاشعوريا أيضا. ومن الاستجابات اللاشعورية أن المرأة قد يمتنع إفرازها المهبلى الذى يساعد على الجماع، ومن التصرفات المتعمدة أنها قد تتعمد الشجار أثناء الجماع. وقد تبين أن هناك نساء يدخن أثناء الجماع، وأخريات قد يمضغن اللبان،

وقد يحلو للمرأة أن تستمع إلى الموسيقى أو إلى غناء أو تمثيلية، ومن النساء من تمد يدها وتتناول كتابا أو جريدة تقرأها وزوجها يجامعها.

وقد تستخدم المرأة البرود الجنسى كسلاح ضد زوجها فكلما رغبت فى شئ ولم يحققه لها لجأت إلى البرود الجنسى تهدده به. وليس الأزواج بمنأى عن صراعات القوة، فلربما تريد الزوجة أن تكون لها السيطرة. وفى أحوال كثيرة قد يكون البرود الجنسى نوعا من العقاب تنزله المرأة بالرجل باعتباره رجلا لكى تذله وتهينة وتشعره أن رجولته أو فحولته لا فائدة منها. وقد تستغل المرأة البرود الجنسى كتهديد للحصول على سيارة جديدة أو معطف فرو، أو القيام برحلة، وتعكس العلاقة الجنسية حقيقة العلاقة الزوجية ككل، ولابد من الإحاطة بدقائق الحياة الزوجية للجزم بالسبب المباشر للبرود الجنسى.

وتميز **هيللين دويتش** بين نوعين من البرود الجنسى من حيث تأثيره على علاقة المرأة بزوجها وأولادها، وتطلق على النوع **الأول** اسم **البرود الجنسى الحميد. benign f**، وتكون المرأة المصابة به عادية مع أولادها وكأن هذا البرود قَدَرها، وتعيشه دون أزمة، وتتصرف كأم أو كزوجة بشكل طبيعى وربما تكون أكثر حنانا وحُباً، وأما النوع **الثانى** فهو **البرود الجنسى الخبيث. malignant f** وبه تسوء أخلاق المرأة، وبسببه تنشأ الصراعات الزوجية وتقع مغبتها على الأولاد. وعندما لاتكون علاقات المرأة الجنسية بزوجها مشبعة فإنها تُستَغضب بسهولة، وتكون ملوله مع الأولاد، ويظهر عليها التعب والتعاسة. وأما الزوجة التى لاتهتم إذا تبينت أنها باردة جنسيا فإن أولادها لايعانون، ولو أن هناك خطورة من أن تتحول إليهم عاطفيا وتلتصق بهم بشدة، وقد يضر ذلك نموهم الوجدانى.

والمرأة التى تعانى من البرود الجنسى قد تتأثر به **كل نشاطاتها المنزلية والعائلية** ويمكن أيضا أن لا يتأثر شئ فى حياتها بهذه المسألة الخاصة بها جدا. ونحن نعلم أن هناك نساء لا ينعظن ولكنهن مستكفيات جنسيا، وكذلك هناك نساء لا تؤرقهن المسألة الجنسية والجماع وما إلى ذلك وتسير حياتهن برغم أنهن لا يجامعن بشكل عادى وتلقائى، وربما يكون السبب أن **احترام المرأة** لنفسها لا يقل باكتشافها أنها زاهدة فى الجماع، ولاتشعر أنها أقل قيمة أو أكثر تأففا من كونها أنثى.

وقد لا تتأثر علاقات المرأة بالناس من حولها عندما تعرف أنها باردة جنسيا. والبرود الجنسى ليس سوى عَرَض، وإما إذا كانت أسبابه **سوء الصحة العامة** للمرأة فإن ذلك

سيكون له مردود على كل تفاعلاتها فى الحياة، فإذا كان البرود الجنسى يجعلها غضوبة مثلاً ومتوترة وغير راضية فإن ذلك سينعكس على علاقاتها بالآخرين. وإذا كان البرود الجنسى مصدره ذكورة المرأة وحبها للتفوق على الرجال والسيطرة عليهم، فإنها برغم البرود الجنسى ستكون موفورة النشاط ومتوقدة الذكاء، وربما تكون عدوانية وانتقادية. وقد يجعل الكبت العُصابى المرأة باردة جنسيا ولكنها تكون ممتلئة حيوية ولعوبا دون أن تدرى، حتى ليمكن أن تتورط فى علاقات مع الرجال ثم لا تنيلهم نفسها. وهناك أيضا اتجاه المرأة بالنسبة لبرودها الجنسى، ويتراوح بين التقبل والخجل والشعور بالخزى والتصرف بالانسحاب.

وقد يكون **التوتر والاستغضاب والتعاسة** مظاهر نعرف بها المرأة التى تعانى من البرود الجنسى، إلا أن هذه الأعراض يمكن أن تكون مؤشرات لاضطرابات أخرى. وكذلك فإن بعض النساء يكن عدوانيات وعبوسات ولكنهن لسن باردات جنسيا.

والمرأة الباردة جنسيا قد تكون **عقيمة** وقد تكون **ولودا**. والاحتمال الأقوى أن الاستجابة الجنسية تجعل الزوجين يقبلان على الجماع ويكثران منه ومن ثم يكثران من الأولاد، ولذلك فإن النساء المقلات فى الإنجاب مقلات أيضا فى الجماع، ويتجنبنه على الأقل فى فترة الإخصاب.

والمرأة الباردة جنسيا أقل فى **الدوافع الجنسية** من المرأة العادية، ولقد نبهنا **كينزى** إلى أن بعض النساء يولدن بميول جنسية واهنة، بالإضافة إلى أن البرود الجنسى قد يصيب المرأة قوية الدوافع الجنسية عندما تتجة بها خبراتها الجنسية إلى كبت هذه الدوافع. وفى معظم حالات البرود الجنسى لا يكون البرود أساسيا أى فى التركيب البنيوى للمرأة بل يكون البرود الجنسى **نفسى المنشأ** ويرجع لصراعات عُصابية أو مصدره القلق اللاشعورى، أو أنه نتيجة الكبت أو التشويه الذى يرجع للشعور بالعار أو بالذنب.

وقد يسأل البعض وإذن فهل هناك سمات نفسية نعرف بها المرأة الباردة جنسيا؟ والجواب أن شخصية المرأة الباردة لايمكن أن تكون لها معالم خارجية، وليست لها أيضا سمات نفسية يمكن أن نتبينها من خلالها. وربما تتأثر صحة المرأة نتيجة الإصابة بالبرود الجنسى، فقد يرتفع ضغطها، وقد تشعر باستمرار أنها صعبة، وباضطرابات هضمية، وبالحساسية الجلدية والحموضة، وقد تشكو من أوجاع تناسلية فى منطقة الحوض، نتيجة

التغيرات غير العادية فى دفق الدم إلى هذه المنطقة نتيجة الهياج الجنسى الذى لم يجد التصريف الصحيح. وكثيرا ما يتسبب البرود الجنسى فى الإصابة بأمراض تناسلية غير معدية وبالسيلان الأبيض.

ومن الممكن أن تحب المرأة الباردة جنسيا طالما أن الإنعاظ قد لايرتبط عند بعض النساء بالاستكفاء الجنسى. وهناك نساء لاينعظن ولكنهن قد يمارسن الجماع إذا طلب الزوج، وتفعل المرأة ما يرضيه ويسعده، وهذا الصنف من النساء هو الذى تصفه **هيللين دويتش** بأنه **البارد جنسيا بروداً حميدا**. وعلى العموم فإنه لاينصح للمرأة التى تعرف أنها باردة جنسيا أن تتورط فى الحب لدرجة أن تتزوج. ومن ناحية أخرى ليس للمرأة أن تحكم على نفسها بأنها باردة جنسيا لأن تجربتها مع رجل كانت فاشلة، فكل زواج له تفاصيله وأسراره ومكوناته، وقد تولّد علاقة المرأة بزوج اضطرابات جنسية من نوع ما فى حين أن هذه المرأة لو تزوجت رجلا آخر فقد تكون طبيعية معه.

ويمكن **للزوج** أن يساعد فى **علاج المرأة** من برودها الجنسى، بأن يوليها عناية أكبر، ويحاول أن يتفهمها ويبدى لها العطف والحنان والتسامح. والمرأة الباردة قد ينتهى برودها ويزول إذا كان الزوج عاشقا متفننا فى إظهار عشقه، فذلك يُصلح العلاقة بينهما، ومع الوقت، وبالصبر والعطاء المتبادل فقد يتغلب الاثنان على برود الزوجة. ومن ناحية أخرى فإن البرود الجنسى **يمكن علاجه سلوكيا** بطريقة السلب للحساسية، بمعنى أن يحاول المعالج أن يُفقد المرأة حساسيتها للجماع بطريقة تدريجية بممارسة الفعل الجنسى على خطوات، بحيث لا تنتقل من خطوة إلى خطوة إلا إذا لم تعد تخاف من تكرار الخطوة السابقة، حتى تنتهى من كل الخطوات ويصبح الفعل الجنسى فعلا طبيعيا تأتيه بشكل تلقائى.

ويبدو من نتائج العلاج أن البرود الجنسى أو عُنّة النساء هى **استجابة متعلمة** كما يقول السلوكيون، ولذلك فكل مريضة تختلف حالتها عن الأخرى، وتختلف كذلك فى الشخصية والمزاج، وقد لوحظ أن **المنطويات** من دأبهن القلق فيما يتعلق بالجماع، بينما تصاب **المنبسطات** غالبا باعتقال المهبل أو قمطة الفرج. (**انظر الجماع وقمطة الفرج والبغاء والمشاعية الجنسية والغلمة**)

***

عُسر الجماع Dyspareunia

يتعذر الجماع على الكثيرين من الأزواج فى أى مرحلة من مراحل حياتهم. وتشكو النساء من عُسْر الجماع أكثر من الرجال، وشكوى النساء قد تكون عضوية كما قد تكون أسبابها نفسية. وقد تزف الفتاة إلى زوجها وقد يتسبب **غشاء البكارة** فى عسر الجماع، كما قد يعوق الإدخال. وقد تكون الفتاة محل اعتداء **واغتصاب** فى صغرها، وقد يستحدث بها ذلك تهتكاً تظل آثاره معها إلى أن تتزوج. وفى **سن الإياس** تفقد الأشفار الفرجية مرونتها كما يتعذر على المهبل أن يتجاوب مع الإدخال، ويصغر فى الحجم. وفى بعض الأحيان قد ينشأ **الألم** فى الجماع من طريق **البظر**، والبنات اليوم لايختتن فيزيد المفرز الشحمى من قلفة البظر أحيانا ويتجمع تحت الغلفة، وقد يسبب تهيجا فى الجلد وما يشبه الحرقان، فإذا كان الجماع وما يصاحبه من إيقاعات تُلامِس البظر فإن الألم يتزايد، وقد تتوجع المرأة بشدة وخاصة إذا كانت هناك محاولات للملاطفة من الرجل عن طريق تناول البظر باليد ودلكه.

وتشكو بعض النساء من **حرقان أو أكلان أو ألم** فى المهبل أثناء الجماع أو بعده، وهو مايجعلهن يعزفن عن الجماع ويكون مبررا لهن للاعتذار عنه. وهذا العسر للجماع مرده غالبا إلى **تلوث المهبل** نتيجة الاتصال الجنسى أو ربما بعدوى شرجية، وقد يرجع التلوث إلى عدوى باليد، أو يترتب على إدخال شئ غريب فى المهبل، أو يكون بسبب نوع القماش المستخدم كألبسة. وللمهبل درجة خاصة من **الحموضة** تطهره وتحميه من أى تلوث ميكروبى، واختلال هذه الدرجة يقلل من حماية المهبل ويجعله عرضة للتلوث. وتختل هذه الحموضة خلال **الحيض**، وخاصة عند استخدام الفوط التى تسد انسياب الدم وتستبقيه فى المهبل، ومن شأن ذلك أن يؤثر فى الحموضة ويجعل المهبل أقل حماية وأكثر تعرضا للتلوث، **ولعله لهذا السبب فإن الله سبحانه وتعالى قد نهى عن الجماع خلال الحيض** بالنظر إلى هذا الأذى الذى يمكن أن يلحق بالمرأة.

والبكتريا هى ما يصيب المهبل بالتلوث، ولكن من الممكن أيضا أن يكون التلوث بالفطريات، والمعروف أن النساء تكثر إصابتهن بالجراثيم المكورة السبحية البرازية والمكورة السبحية المخضرة والجراثيم العضوية المعية escherichia coli وكلها

تأتى عن طريق التلوث من خلال الشرج، وأكثر ما يكون ذلك بسبب الجماع الشرجى ثم الجماع المهبلى. **وربما كان ذلك أيضا سببا للنهى عن الاتصال الشرجى بين الرجل والمرأة.** والكثير من شكاوى تلوث المهبل الذى يقاوم العلاج سببها هذا الإيلاج المتكرر للقضيب فى الشرج والمهبل معا والمراوحة بينهما فى الجماع مع تلوث القضيب من جراء الإنفاذ فى الشرج.

وقد ينقل الرجل التلوث بالجراثيم الوحيدات المشعرة trichomonads إلى المرأة عن طريق وجود هذه الجراثيم تحت غلفة قضيبه إذا لم يكن مختتنا، أو فى مجرى البول أو مجرى المنى عنده، أو فى البروستاتا، وإذا لم يعالج الزوجان منها فإنها قد تكون مصدرا لعسر الجماع، ولايمكن علاج الزوجة وحدها منها دون الزوج لأنه سيظل مصدراً للعدوى، وكذلك لا يمكن علاج الزوج وحده دون الزوجة.

وقد تسبب فطريات المونيليا monilia والكانديدا ألبيكانس candida albi-cans الحرقان والأكلان، وكانت الإصابة بهذه الفطريات تكثر فى أواخر الربيع وفى الصيف وأوائل الخريف، ولكنها صارت الآن طوال العام. ومن المستحيل الاستمرار فى الجماع بالنسبة للمرأة المصابة بهذه الفطريات، وقد لوحظ أن الإصابة بها تزيد بعد العلاج بالمضادات الحيوية لأى سبب آخر، وعندئذ تتنامى هذه الفطريات التى لايؤثر فيها المضاد الحيوى. والعلاج باستخدام **غسيل مهبلى حمضى** يعيد للمهبل طبيعته الحمضية ويجعله أقدر على حماية المرأة مهبليا.

وتتكون لدى بعض النساء حساسية خاصة ضد **موانع الحمل** الكيميائية من كريمات أو حوامل أو رغاوى. وقد تتعصب بعض النساء ويثيرهن أن يستخدمن اللولب أو أن يستخدم الرجل القراب condom. وقد يعسر الجماع نتيجة **هذه الحساسية**. وبعض النساء يلجأن إلى الدوش المهبلى بعد الجماع ظناً منهن أن ذلك وسيلة صحية ومن باب النظافة، غير أن هذا الغسيل من شأنه أن يغير من الطبيعة الحمضية للمهبل فيجعلة أقل حماية، ولو تركت المرأة نفسها دون هذا الدوش فإن المهبل سرعان ما تعود إليه طبيعته المحمية خلال نحو ست ساعات من إنزال المنى داخلها، وكثيراً ما تتأتى الإصابة بالتلوث بعد هذا الغسيل لو تم، بالإضافة إلى أن الأدوات والمواد السمتخدمة فى الغسيل قد تتسبب فى التهاب مهبلى من النوع الكيميائى كما يحدث عند استخدام موانع الحمل. وينبغى أن تعرف النساء أن

الاغتسال بالماء والصابون من الخارج هو كل المطلوب لدواعى النظافة وإزالة بقايا إفرزات الجماع ورائحتها.

وهناك نوع آخر من الشكوى المهبلية توصف بأنها التهاب مهبلى شيخى **senile vaginitis**، وتترافق هذه الحالة والتقدم فى السن حيث يرق جدار المهبل ويضمر والنتيجة أنه لايتحمل وطأة الجماع ويُجَرح ويدمى. وتشكو نساء كثيرات فى السن بين **الخمسين والسبعين** أنهن يشعرن بحرقان شديد وألم يستمر لساعات وأحيانا بضعة أيام بعد الجماع نتيجة ضمور الغشاء المبطن لجدار المهبل.

ولعل أكثر ما يسبب عسر الجماع عند النساء عدم وجود **الإفراز المهبلى** اللازم الذى يساعد على حركات الإيلاج للقضيب. وهذا الإفراز المهبلى يوازى الانتصاب عند الرجال، وكلما تهيجت المرأة كان هذا الإفراز أكبر، وهو يعنى أن المرأة متجاوبة وقابلة للجماع، وعدم وجود هذا القدر الكافى من الإفراز المهبلى يجعل الاستمرار فى الجماع صعبا إن لم يكن مستحيلاً ويعنى أن المرأة ليست مهيأة للجماع وفى وضع يوازى وضع الرجل غير المنتصب بما فيه الكفاية. ولاتفرز المرأة مهبليا إذا كانت غير راغبة فى الجماع أو كارهة لزوجها أو لديها مخاوف جنسية. وقد يفرز مهبلها فى أول الجماع ثم سرعان ما يجف. والملاحظ أن النساء اللاتى لديهن مخاوف من الحمل أو الفضيحة أو العدوى بمرض تناسلى يتحرجن من الجماع ويؤثر ذلك على إفرازاتهن المهبلية، وقد تستشعر المرأة أنها أقل كفاءة من شريكها فلا تفرز بالشكل الكافى. والنساء بعد **سن اليأس** لايفرزن كما كن يفعلن من قبل، ومن اللازم أن يتعاطين ما يعوضهن عن ذلك، وإلا فإن الألم قد يكون نصيبهن الغالب من الجماع وبعده ولمدة عدة أيام. وقد تكون المرأة ذات ميول جنسية مثلية فيعوزها ذلك الإفراز المهبلى، وقد تضطر إلى المجامعة بحكم أنها زوجة، ولكنها تجامع من غير حماس، ولايفرز مهبلها، ويكون الألم خلال الجماع وبعده، ثم النفور منه والشجار بينها وبين زوجها عليه. وهذا الصنف من النساء اللواطيات إذا كانت اللواطة بهن ظاهرة فإنهن يتعشقن النساء مثلهن وقد يمارسن السحاق ويتهيجن به تهيجا شديدا ويفرزن مهبليا إفرازات غزيرة. وتشفى النساء من عسر الجماع الذى له أسباب من مخاوف نفسية، وكذلك يمكن شفاء عسر الجماع الذى مرده للتلوث أو الذى يرافق سن الإياس، فإذا كان السبب الكراهية للزوج أو الميول اللواطية أو الاسترجال فما من سبيل لشفاء هذا النوع.

وقد يتسبب تمزق أربطة الرحم فى استحداث الألم أثناء الجماع، ومع تكرار التجربة واستمرار الألم بعد الجماع تعزف المرأة عنه، وإذا أُجبرت عليه استشعرت آلاما ولم تكن لها إفرازات مهبلية تساعد عليه، وشملها الوجع فى الظهر والحوض. ويتسبب التمزق فى انقلاب الرحم إلى الخلف ويزيد فى الحجم، وتنشأ هذه الحالة إما من خطأ فى الولادة أو نتيجة إجهاض مفتعل أو كرد فعل لاغتصاب استُخدم فيه العنف وامتُهنت به المرأة، وربما واطأها المغتصب فى الفرج أو فى الشرج وتمزقت فى المعركة بينها وبينه بعض أنسجة الحوض وربما المهبل والشرج.

وقد يتسبب عسر الجماع عن وجود التصاقات بالجهاز التناسلى للمرأة تترتب على التهابات أو أورام بالمبيضين أو النفيرين أو بطانة الرحم أو عنقه أو بالصفاق أو الأمعاء أو الثرب omentum أو المثانة. وينشأ الألم من الضغط خلال الجماع والإيلاج العميق، والتوسعة التى تطرأ على دهليز المهبل مع إدخال القضيب، ولايكون حوض المرأة مستعدا لذلك بتأثير الالتهابات والتليف الذى يمنع الأنسجة من التمدد. وقد تبدأ الالتهابات بعنق الرحم وتمتد إلى ما حوله، فإذا كان الجماع وتحرك العنق تولد الألم. وقد يشمل الالتهاب البطانة أو الجدران العضلية للرحم لدرجة أن أى ضغط عليه يتسبب فى الألم. وتحدث الالتصاقات نتيجة الأورام بالرحم لدرجة أن الثرب والأمعاء قد تلتصق بالجهاز التناسلى ويصبح الجميع كتلة واحدة ملتحمة داخل الحوض وينشأ الألم خلال الجماع نتيجة التيبس الذى يكون عليه الجهاز التناسلى والأورام التى تعوقه أو تتصل به. والعلاج دائما إما طبى أو جراحى، وتتوقف الحالة على الدرجة التى تبلغها الأورام. وفى حالات استئصال الرحم قد يحدث أن يخطئ الجرّاح فى وصله للمهبل بحيث يجعل الندبة المتخلفة إلى أسفل بدلا من أن تكون إلى أعلى كما كان عنق الرحم عند اتصاله بالمهبل، والنتيجة أن أى جماع من بعد يلامس هذه الندبة يتسبب فى الألم. وإذا كان هناك استئصال للمبيضين أو أيهما فمن الواجب أن تستعوض المرأة هرموناتها الأنثوية بالتعاطى وإلا عانت من اجتفاف المهبل. ومن اللازم دائما تثقيف المرأة جنسيا وطمأنتها نفسيا فى مثل هذه الحالات حتى لا تستشعر عدم الكفاءة. وكذلك يلزم تثقيف الزوج فقد يحسب أن المرأة وقد استؤصل رحمها ومبيضاها ماعادت تحس جنسيا.

والرجل كالمرأة يمكن أن يصاب بسوء الجماع لأسباب عديدة، وأول الشكاوى حساسية

القلفة أو رأس القضيب بحيث يتألم الرجل كلما أولج قضيبه فى المهبل واحتواه الأخير، وعندئذ يستشعر الألم، وقد يأتيه عقب الإمناء، وقد لايقوى الرجل أن يلمس رأس القضيب مجرد اللمس. وتكون هذه الحساسية المفرطة لأسباب صحية بسبب عدم الختان، والذين يشكون هذه الشكوى أغلبهم غير مختونين ولايغتسلون، فيجتمع الشحم تحت الغرلة وأحيانا يكون هناك تلوث بكتيرى أو فطرى أو جرثومى تريكومى تحت الغرلة، وإذا لم يكن هناك اغتسال بالصابون والماء للقضيب من آن لآخر تكون أمثال هذه الإصابات، والجدير أن الإسلام يأمر بهذا **الاغتسال** عند كل تبول وعند كل جماع.

ويشكو البعض عند الانتصاب ألما بسبب ضيق الغرلة **phimosis** بحيث أنها لاتنكشف عند الجماع فتسبب عسرا، وقد ينشأ عن تلبسها للرأس دون انحسار أن يحتوى أسفلها على قذارة وتلوث وتصاب بالالتهابات والالتصاقات، ولذلك يأمرنا الرسول بالاختتان. وببعض الناس حساسية لحموضة المهبل، وبمجرد أن يولجوا فيه فإن هذه الحموضة تتأثر بها الرأس ويكون الألم، والبعض قد يكون الألم مرجعه التهاب فى المبال.

ويستحدث **مرض بيرونى** تصلبا وتليفا فى الجسم المتكهف، مما يجعل الانتصاب عسيرا على القضيب فينثنى من أمام وينحرف فى اتجاهه إلى اليمين أو اليسار ويصعب استكمال الجماع. وقد يصاب الرجل أثناء حركة عنيفة خلال الجماع كما لو كان القضيب قد انكسر فيه شئ ويسمع له فرقعة، ويتسبب ذلك عن ورم دموى يلتئم ولكنه يسبب اعوجاجا للقضيب أثناء الانتصاب **chordee** يترتب عليه ألم خلال الجماع يصعب علاجه جراحيا. وتستحدث هذه الحالة ضربة مفاجئة من المرأة على القضيب، أو بالجماع العنيف، أو أن تجلس المرأة بثقلها فوق القضيب المنتصب. وقد تتسبب الحروب أو لحوادث فى تشوه فى القضيب ينتج عنه عسر الجماع. وقد يطيل البعض مقدمة الجماع، أو يتهيجون وينتصبون لمدة طويلة دون إمناء فينشأ عن ذلك ألم بالخصيتين، وأكثر ما يكون ذلك عند الشباب ويقل هذا الألم مع التقدّم فى السن. وقد يشكو الرجل من التهابات وبثور تترتب على تلوث مهبل زوجته، وقد يكون حساسا لموانع الحمل الكيميائية أو للمواد الكيميائية التى يتكون منها الغسيل المهبلى. وفى حالات الإصابة بالسيلان قد تكون هناك التصاقات بالمبال القضيبى فيؤلم القذف وينتشر الألم إلى المثانة والبروستاتا، فإذا امتد التلوث للمثانة أو البروستاتا فإن الألم يكون ممضا خلال الإمناء أو بعده. ويشكو بعض الرجال من كبار السن من

تقلصات فى البروستاتا خلال الإمناء، ويترتب عليها ألم ينتشر فى الحوض أو المثانة، وأحيانا إلى الشرج، **وعلاج** هذه الحالة بالتعويض بالتستيرون. وقد يكون منشأ الألم فى البروستاتا ضمورها الشديد أو إصابتها بالسرطان، وينتشر الألم إلى المثانة والشرج ولكنه يكون ألما خفيفا (Masters & Johnson: Human Sexual Inadequacy).

والكثير من عسر الجماع عند الرجل والمرأة تسببه **المخاوف**، وأغلبها مخاوف تكون بالنساء تجعل عضلات العجان تتشنج، وتتقلص عضلات الفخذ المقرّبة. وقيل إن التشنج ينشأ عن استجابة خوف مشروطة كنتيجة لمحاولة إنفاذ جسم غريب داخل المهبل، كأن يكون قضيب الرجل فى ظروف صعبة على المرأة أشبة بالمحنة أو الأزمة.

ويعالج عسر الجماع النفسى بطريقة السلب المنظم للحساسية **systematic de-sensitization**، بتدريب المريضة بالتدريج وعلى خطوات ممارسة الفعل الجنسى إلى أن تزول حساسيتها تجاهه، والتى تتسبب لها فى أن تنفعل إزاءه بالنفور أو البرود الجنسى. ومن طرق سلب الحساسية طريقة بإنفاذ شمعات **bougies** زجاجية ذات أقطار متدرجة داخل المهبل ثم سحبها. وفى أول الأمر يقوم المعالج بالإدخال وتقوم المريضة بالسحب، ثم تتدرب المريضة على ذلك فى بيتها وتقوم هى بالإدخال والسحب معا. ويزاد قطر الشمعات إلى أن تبلغ حجم القضيب المنتصب، فإذا تلاشت حساسيتها ولم يعد المهبل يقمط أو يصاب بالاعتقال عند الإدخال يبدأ الزوج بممارسة الفعل الجنسى على خطوات وبالتدريج حتى يتم له الإيلاج. وقد أثمرت هذه الطريقة وكانت لها نتائج باهرة مع كل المريضات الالاتى عولجن بها، مع ملاحظة أنه فى حالات النساء اللاتى يكرهن أزواجهن أو المسترجلات فإنه لاتستخدم هذه الطريقة ولاغيرها، إذ أن **الكراهية أو الاسترجال** لاعلاج لهما كما أسلفنا. وكذلك فإنه فى حالة **النساء العُصابيات** اللاتى بهن خُواف أو فوبيا من الجماع فإن العلاج النفسى يتوجه إلى العُصاب نفسه. وأما العلاج السابق فهو صالح مع قمطة المهبل، أو مايقال له اعتقال المهبل، ويعالج به النساء من النمط **المنطوى** حيث تبين أنهن أسرع فى التحسن من النساء من النمط **المنبسط**. (أنظر **الجماع وقمطة الفرج وخواف الجماع**)

* * *

-٥-

المهبل المسنن Vagina Dentata

يذهب **فرويد** إلى أن بعض البنات قد يعوضن عن **الشعور بالنقص** الذى يتحصل لهن نتيجة اكتشافهن وهن بعد صغيرات أن الأولاد يملكون ما لاتملكه البنات وهو **القضيب**، بأن يمارين نافيات هذا النقص فيهن، ومحتّجات بأن القضيب الذى يزهو به الأولاد موجود لديهن أيضا لكنه بداخل فروجهن، وقد يصبح ذلك وَهْماً تعتقد فيه البنت، ثم يشطح بها هذا الوهم فترى فى المشابهة بين الفم والفرج أن الفرج يمكن أيضا أن يكون مُسَنّناً، أى تكون له أسنان كالفم، موضعها المهبل. وتشب البنت على هذا الاعتقاد المتوهم، ومن شأن ذلك أن تميل إلى القسوة تجاه الرجال، ويخدمها توهم الأسنان للمهبل أن تستخدم فرجها كأداة لإنزال العقاب بالرجال وليس لتحصيل اللذة الجنسية، أو بمعنى آخر فإن لذّتها تصبح **لذّة إنزال الألم بالرجل خلال الجماع، ولذة إيلامه عموما فى معاملاتها اليومية معه**. وكذلك يخدم توهمها المزمن بأنها تملك قضيبا داخليا أكثر فحولة من القضيب الذكورى - بدليل تألم الرجل وهو يجامعها، والألم مظهر للأنوثة وليس للذكورة، يخدم هذا التوهم إنكارها للنقص الأنثوى، وللأنوثة ككل التى هى رمز الضعف والاستكانة والدونية. ولربما يكون هذا التوهم موجودا لدى هذا النوع من النساء على المستويين الشعورى واللاشعورى. ولربما يوجد هذا التوهم عند بعض **الرجال** أيضا، وعلى المستويين الشعورى واللاشعورى كذلك، فقد يتوهم الرجل أن **مهبل المرأة كالفم** له أسنان، وأنه يَعُضّ، ويمكن أن يقضم القضيب ويكون أداة إخصاء. وقد يحدث أن يخبر هذا النوع من الرجال صنف النساء الذى له هذه الميول السادية، وربما يكون قد عانى فعلا من **قمطة الفرج** التى تأتيها المرأة ذات الفرج المسنن (انظر **قمطة الفرج**). ويصدر هذا الوهم عند الرجل عموما من ميول سادية ماسوشية فيه، وتعبر عن مخاوف من الإخصاء تتخلف عنده عن الصراعات الأوديبية فى الصغر. وربما قد تدفع هذه المخاوف الرجل السادى إلى الثأر من المرأة بأن يستخدم معها أسنانه الحقيقية استخدامها لأسنان مهبلها المتوهمة، فيعضها خلال الجماع، ويتوجه بعضّه إلى الثديين بالذات باعتبارهما البديلين للقضيب، وكأنه أيضا يخصيها فى ثدييها. والبعض قد يتوجه بالعض للفرج أولاً حتى لتتألم المرأة ألما كبيرا، وكأنه يتحداها بفمة الحقيقى وأسنانه ضد فرجها المسنن الذى هو عنده كالفم، فيذيقها ألماً

يتفوق على الألم الذى تذيقه له فى الجماع من جرَّاء قمطة المهبل عندها (Lorand & Feldman: The Symobolism oF Teeth in Dreams).

***

-٦-

قمطة المهبل Vaginismus

قد يحدث أن تتزوج الفتاة ولكن زوجها كلما حاول أن يجامعها يجد أنه لا يستطيع أن يولج فيها، وإذا استطاع فإنه قد يعجز عن الاستمرار فى الجماع بسبب ضيق فى المهبل يتبين بعد الفحص الطبى أنه **نفسى المنشأ**، فالطبيب يمكنه أن يدخل إصبعه أو أى مسبر طبى ولكن الزوج يستحيل أن يدخل قضيبه. وهذا الاضطراب الذى نسميه **اعتقال المهبل** أو قَمْطَة المهبل أو **قمطة الفْرج** يصيب بعض النساء الصغيرات فى السن غير المجربات، ويقابل العُنَّة عند الرجل، فالعنِّين فى الرجال هو الذى لاينتصب، ربما لأنه يخشى الجماع أو لقلق وتوتر به، وكذلك البنت التى يضيق مهبلها وتتقبض عضلات فرجها فلا يتمكّن الرجل من إنفاذ قضيبه فيها، أو حتى لايكون فى استطاعته أن يأتى المرأة بالشكل الصحيح، لرفعها فخذيها الواحد على الآخر أو سحبهما باستمرار (أنظر **المهبل**).

ويحدث تقبّض عضلات المهبل بسبب التهابات أو أورام أو تمزقات أو حساسية فى الفرج، والأغلب أن يكون السبب **انفعاليا** حيث تتميز **قمطة الفرج أو اعتقال المهبل نفسى المنشأ** psychic v. عن غيره مما يرجع إلى أسباب عضوية. وكم من أزواج فى شهر العسل قطعوا رحلتهم وعادوا والفشل بادٍ فى وجوههم، وعلاقاتهم متوترة للغاية، وجو الطلاق يخيم على أحاديثهم، بسبب ما عانى الزوجان الصغيران نتيجة هذا التقبّض العضلى الذى يعترى الزوجة كلما هَمَّ الزوج أن يجامعها، أو كلما ذهب تفكيرها إلى الجماع. وتتأتى المشاكل من الخجل الذى يستشعره الزوجان من الكشف عن حقيقة العلاقات الجنسية بينهما. وقد يحتمل الزوج ولايفشى السرّ ويظل يعانى لسنوات. ولاتشفى الزوجة من هذا التشنّج الذى يعترى فرجها طالما لم تعرض نفسها على طبيب، فإذا ظلت كذلك لخمس سنوات أو نحوها فقد يُزمِن عجزها ويعزّ الشفاء حتى مع العلاج. وقد يصاب الزوج نفسه بالعُنَّة نتيجة الفشل المستمر معها، وينتهى الزواج إلى الطلاق حتما.

وهناك **تفسيرات** كثيرة لهذه الحالة، فالبعض يعتبر هذا القمط من **الميكانيزمات الدفاعية**

كالرَمَش مثلاً تأتيه العينان كلما تهدد العين شئ. والبعض ينسبه إلى **ردود الفعل** التى تتحصل للبنات إذا أسرفت أمهاتهن فى تطبيبهن صغيرات بالحُقَن الشرجية أو التحاميل. ويرى آخرون أنه **ميكانيزم دفاعى ضد الحمل**. وقد تكون بالمرأة مخاوف مَرَضية من الجماع فيما يقال له **فوبيا الجماع**، أو مخاوف من القضيب نفسه فيما يسمى **فوبيا القضيب**، باعتبار ما قد يكون للمرأة من خبرات مؤلمة من الصغر يمثل فيها الجماع أو القضيب كتجربة أو كشئ منفّر أو مقزّز أو مؤلم، وربما تكون البنت قد عانت من الاغتصاب أو محاولة الاغتصاب، أو ربما تكون قد عانت خبرة مؤلمة من نوع ما ولكنها أزيحت إلى الجماع لِتشابه بينه وبين موضوعات هذه الخبرة. وقد تصاب المرأة بقمطة الفرج لأنها تنكر أنوثتها وترفض الدور الأنثوى فى الحياة. وقد يرمز الزوج للأب، بمعنى أن ترى البنت أباها فى زوجها فتتأبى عليه باعتباره من **المحارم** نتيجة نشأه دينية قوية الجذور عندها.

وتذهب **مدرسة التحليل النفسى** إلى تفسير قمطة الفرج بما تصطلح عليه أنه **عقدة الخصاء**، بمعنى أن البنات وهن صغيرات يكتشفن أنهن ناقصات عن الأولاد، فالولد له قضيب يستطيع أن يبول به ويحركه كيف يشاء، ويعايرها بأنها لاتملك ما يملك، وتحقد البنات على الأولاد ويكون بهن ما يسمى **حسد القضيب**، فإذا كبرن فقد يعمدن للثأر لأنفسهن بأن تتحصن البنت ضد محاولات الجماع، بأن يقمط مهبلها فتمتنع على الرجل، وكأنها بذلك تقول له إنه برغم أنه يملك قضيبا إلا أنها تستطيع أن تجعله غير ذى فائدة. وقد يكون انتقامها بأن تسمح للقضيب بالولوج ثم تقمط عليه وهو بالداخل فيوجع الرجل، وبعض الرجال يتولد لديهم الوهم بأن للفرج **أسنانا** كالفم، وأنه يَعُضّ، ويصيبه الرعب على الحقيقة عندما يجد أن المرأة تقمط، وأن قضيبه يؤلمه جدا. وتطلق مدرسة التحليل النفسى على هذه الظاهرة اسم **الفرج المسنن vagina dentata**، وتقوم على أوهام بعض الرجال الذين يعانون من مخاوف من الإخصاء، وعندما يتقبض الفرج بهذه الطريقة فقد يحسبون أنه يشكل خطرا عليهم، وقد يصيبهم بالخصاء. وكذلك قد تتوهم المرأة عندما تشاهد بعينها ما يعانى الرجل، تتوهم أن لفرجها أسنانا، وأنها من الممكن أن تخصى ناكحها، وبهذه الطريقة قد تؤكد لنفسها وللرجل أنها أيضا **تملك ما يعادل القضيب** ويمكن أن يكون أشد منه، وهو هذه الأسنان المتوهمة. ويميز هذا الوهم النساء ذوات الاتجاهات **السادية** خصوصا.

ولربما يُرَدّ القمط إلى الميول الشرجية التى تكون بالنساء اللاتى يتميزن بشخصية شرجية، أى اللاتى يستبقين من المرحلة الشرجية بعض صفاتها الأخلاقية، والمرأة إذ تقمط على قضيب الرجل أثناء الجماع فيستحيل عليه أن يواصله، ويمتنع عليه فى نفس الوقت أن يستخرج قضيبه، ربما يكون ذلك منها إزاحة لموقفها من البراز الذى تريد أن تستبقيه بقمط العضلة الشرجية، إلى موقفها الجديد من القضيب بالرغبة فى استبقائه داخلها، والإمساك عن إفلاته بقمط عضلات الفرج، ويقال لهذه الظاهرة أحيانا **القضيب المعتقل** penis captivus، وتروى عنها الحكايات المثيرة والغريبة غير أنها غالبا حكايات مبالغ فيها ولا تستند إلى الواقع.

وعموما فإن قمطة المهبل أو الفرج لها **صورتان**، فإما أن المرأة تعانى من حساسية مفرطة فى المهبل حتى ليستحيل عليها أن تُدخِل أى جسم غريب حتى ولو كان إصبعها هى، وإما أن الحساسية تقتصر على الجماع، وفى هذه الحالة بوسع الطبيب أن يكشف على المرأة داخليا.

وتقدر عدد المصابات باعتقال المهبل بنحو ٨ر٥٪ من كل النساء اللاتى يعانين من عُسْر الجماع. والغالب أنه من الاضطرابات الجنسية التى تتخلف عبر مراحل النمو النفسى الجنسى، وأنه من نوع **المخاوف المرضية أو الفوبيا** من استدخال أى جسم إلى المهبل، وإن كان البعض يردّه إلى **التزمت الدينى**. وقد يكون ردّ فعل لعُنّة مصاب بها الرجل، أو استجابة مُتعلّمة لمحاولات فاشلة منه لإتيانها برغم عُنّته. وقد يكون استجابة تتحصل للمرأة نتيجة أنها لا ترى فى زوجها نمط الرجل الذى كانت تحلم به فتستهين به ويعزّ عليها أن يكون هو الرجل الذى يفضّ بكارتها، أو تخاف منه فتظن الجماع الذى يمكن أن يأتيه مثله ليس إلا نوعا من الاعتداء فتتحصن ضده.

وكان المظنون قديما أن البنت التى لايستطيع زوجها أن يدخل عليها بسبب خوفها من فضّ بكارتها، من الممكن أن يقوم هو بذلك بإصبعه وبمساعدة أمه وأمها، وهى العادة المتبعة فى الريف وفى الصعيد، وفى أوروبا يفعلون ذلك بعملية جراحية، غير أن هذه الطرق تزيد من مخاوف البنت ولاتطامنها كردّ فعل للمشهد الدرامى الذى يشتمل عليه فض البكارة.

والأسلم أن **تعالج البنت بالتحليل النفسى** للكشف عن صراعاتها الداخلية، بدلاً من

العنف الذى يمكن أن يتثبت به العَرَض، وما يمكن أن يترتب عليه من مخاوف مرضية أخرى قد تمتد فتشمل كل علاقات البنت بجنس الرجال وبالزواج نفسه. وقد تظن أن هذه هى طريقة الجماع الوحيدة، وتركن إلى هذا النمط الخاطئ منه، ويداخلها شعور عميق بالنقص، طالما أنها عاجزة عن أن تفعل ما تفعله كل النساء، وقد تصاب من ذلك بالاكتئاب، ومن ثم ينصح بالعلاج **بإبطال الحساسية للجماع** من خلال جلسات تنويم مغناطيسى، بأن يصوِّر المعالج مشاهد الجماع للمريضة وما يحدث فيها ويطلب منها أن لاتخاف إذا أتاها زوجها، وقد يتطلب منها أن تتصور زوجها عائدا إلى البيت وأنه يغازلها، وفى جلسات أخرى يزيد التصور إلى القُبُلات دون المضاجعة، ثم يزيد بأن يجعلها تتصوره يحتك بأعضائها الجنسية، ثم يُدخل رأس القضيب فى جلسات أخرى، ثم الجماع الكامل فى الجلسات النهائية. وقد يكون هناك جماع حقيقى بينها وبين زوجها أثناء التنويم، أو من غير التنويم. وفى كل مرة من المرات السابقة يطلب من الزوجين تكرار ماسبق فى البيت دون زيادة.

وقد تُعالَج المرأة لطمأنتها، ويطلب منها المعالج الاسترخاء تماما، ثم تحاول هى أن تدخل فى المهبل **موسعات** تبدأ بأصغرها ويتلوه الأكبر فالأكبر فى الجلسات التالية، مع تكرار هذه المحاولات فى البيت، حتى اذا كان بوسعها إدخال موسِّع فى حجم القضيب كان ذلك مؤشرا لشفائها وقدرتها على الممارسة الجنسية، بشرط أن يُتَرك زمام الجماع لها هى دون الزوج، وتأخذ هى الوضع الأعلى ويكون الزوج سلبيا، إلى أن تعتاد على الجماع نهائيا (Masters & Johnson: Studies in Female Sexuality).

(أنظر **عقدة الخصاء والفرج المسنن واعتقال القضيب والجماع**).

***

- ٧ -

لعق الفرج Cunnilinction

الفرج cunnus هو الجزء الظاهر من أعضاء التناسل عند المرأة، ولعقه بمعنى أن يُجرِى الرجل لسانه على الشفرين والبظر، وقد يكون فعله تقبيلا، وقديدخل لسانه إلى المهبل ويحركه داخلا وخارجا كالقضيب، وقد يمص البظر بفمه أو يمرر اللسان حوله أو بطوله، وقد يستخدم الرجل كل فمه بحيث يضعه على الفرج ويدخل الشفرين بين شفتيه، وقد يدخل

إبهامه إلى المهبل أثناء اللعق فيستثير المرأة أكثر، ولربما يأتى الرجل ذلك مرة فتهيج المرأة ثم لاتهيج من نفس الفعل مرة أخرى أو فى زمن آخر، وذلك يعتمد على الحالة النفسية. واللعق بشكل عام لا يلجأ إليه الرجل إلا إذا أراد أن تنعظ المرأة لأكثر من مرة، وقد يكون فى اللعق خطورة إذا استخدم الرجل فمه لينفخ فى الفرج، وذلك يستثير المرأة إلا أنه قد يصيب المهبل بالانتفاخ، وقد **تموت المرأة من هذه الطريقة**، وتكرار فعلها غير مضمون العواقب ولا ينصح بها خصوصا أثناء الحمل.

ولعق الفرج مسأله عادية بين **الثدييات**، ولايخلو مجتمع أو حضارة لم يكن فيهما أمثال هذه الممارسات، إلا أن لعق الفرج قد انتشر حديثا بين الطلبة والطالبات وخصوصا فى المراحل الجامعية، وقيل إن نحو ٧٢٪ من الطلبة قد يمارسونه ولو لمرة، بينما لايمارسه من شباب العمال إلا نحو ٤٠٪، وقيل أيضا أن عدد من يمارسونه قبل الزواج نحو ١٥٪، بينما عدد من يمارسونه من المتزوجين نحو ٣٠٪. وتأباه المومسات فى الأحوال العادية وإن كن يفعلنه أحيانا ويتقاضين عليه أجرا عاليا، ونادراً ما يُمارَس لعق الفرج بين العاملات بعضهن البعض، وينتشر بين طالبات المدارس الثانوية خصوصا، وقيل إن نحو ١٤٪ منهن يمارسنه. وكانت «**سافو**» وأضرابها يأتينه فى جزيرة **ليسبوس** فى اليونان القديمة. وعُرِفت **عبادة الفرج** لدى الكثير من الشعوب، وهى المقابل **لعبادة القضيب**. ولعق الفرج عند أصحاب **مدرسة التحليل النفسى** يعنى أن البظر أو الفرج قد شحن بطاقة شهوية عالية نتيجة لخبرات قديمة من شأنها أن تتثبت المرأة خلال نموها النفسى الجنسى على الطور الذى كانت تستشعر فيه لذة من ملامسة البظر، ولربما تكون البنت ذات ميول استرجالية وعندئذ قد تتمثل البظر كالقضيب، وتعقد بينها وبين بنات جنسها علاقات شهوية بحيث تجعلهن يأتينها من بظرها. وقيل إن المرأة التى تجعل الرجل يلعق فرجها ربما كانت تعانى من **حسد القضيب** نتيجة اكتشافها وهى صغيرة أنها لا تملك قضيبا كأخيها، ومن ثم قد تحاول تأكيد أنها ليست أقل منه شأنا وتتصرف مثله، فإذا صارت امرأة صارت ترتدى كالرجال وتسلك سلوكهم وتحاول أن تبرز عليهم. وفى مجال الجنس قد تميل إلى الجنسية المثلية وتغرى النساء مثلها بأن يلعقن فرجها، وبرغم أن ذلك منها تصرف **سلبى** لأنْ تصبح المفعول فيها، إلا أنها فى الحقيقة لا تأتى اللعق بسلبية، بل هى التى تقود العملية وتطلب أن يتم ذلك وهى واقفة أو مستلقية، فإذا جعلت الرجل هو الذى يقوم باللعق فاختيارها له

يكون على أساس أنه رجل ميوله ماسوشية، بينما هى ذات ميول سادية. وهى تفعل ما تفعل إذلالاً له وانتقاماً من كل الذكور بتأثير **عقدة الذكورة** التى تعانى منها، فإذا كانت قد اكتشفت صغيرة أنها قد خُصِيت، بدليل خلو أعضائها التناسلية من القضيب، فإنها تظل تصر على أن لها هذا القضيب وهو **بظرها**، ثم الذكورة عندها **سلوك**، ومن ثم تسلك كالذكَر. فإذا شبّت ونمت وكانت امرأة كان تفكيرها الدائم فى **بظرها** مَدعاةً لشحنه بالطاقة الشهوية، بالإضافة إلى أن إصرارها أن يكون التنفيس الجنسى عندها باللعق يعنى أنها تستخدم البظر كالقضيب، وتؤكد بذلك تصورها القديم له، أن البظر هو تعويضٌ عن القضيب، أو أنه قضيبها الأنثوى، وتفرض هذا التصور على بعض الرجال، فإذا رضى الرجل أن يفعل ما تطلبه فإن ذلك يكون إقراراً منه بأن بظرها كالقضيب، ومن ثم تستشعر أنها ليست أقل من الذكور فى شئ. وفى **الفيتيشية** قد يتعبّد الرجل للبظر أو الفرج، فيقتنى من الأدوات ما يشبههما، وذلك انحراف غير شائع بين النساء إلا فيما غَبَر من الحضارات. (أنظر **حسد القضيب وحسد الثدى وعقدة الذكورة وعقدة الأنوثة وعقدة الخصاء**).



الفصل الثامن والأربعون

الانحرافات الجنسية عند الذكور والإناث

-١-

الانحراف الجنسى Sexual Perversion

المنحرف جنسيا sexual pervert هو الذى يأتى من السلوك النفسى الجنسى المتكرر ما يخرج عن الأنماط المألوفة فى مجتمع من المجتمعات له ثقافته الجنسية التى تبيح أو تستحسن أنماطا من السلوك الجنسى دون أنماط قد تحظرها قانونا، أو تكون قد نزلت بخصوصها شرائع تحرمها، ومثال ذلك **اللواطة** فقد كانت من الأعراف الجنسية عند قوم لوط إلى أن جعل **التوراة** عقوبتها القتل. وهناك الآن من المجتمعات مالايحرم اللواطة ولا الكثير من الانحرافات الجنسية، **فالزنا** أصبح مقننا وهو تجارة منظمة، والبعض يطلق عليه اسم **المعاشرة بدون زواج**، تخففاً من تعبير الزنا. **والتعرّى** صار متّبعا على عكس **الحجاب**، والتعرى الكامل مباح على المسارح التى تعرضه وتتفنن فى عرضه وتصوره فى أفلام تشاهد فى البيوت بحرية تامة، الأمر الذى جعل البعض يطلق على هذا العصر اسم **عصر الثورة الجنسية**.

والسلوك الجنسى المنحرف قد يأتيه البعض كمقدمة للجماع الصحيح، وعندئذ لايعتبر فى عرف **الطب النفسى** انحرافا إلا إذا كان المنحرف يمارسه **كهدف وغاية** فى حد ذاته. ولقد ذكر **كينزى** فى كتابه «**السلوك الجنسى عند الذكر**» أن نحو ٦٥٪ من الرجال قد مارسوا أو يمارسون لعق الفرج، وأن ذلك قد حدث منهم لأكثر من مرة، ولايعتبر الطب النفسى **لعق الفرج** شذوذا طالما أن اللعق لايأتيه منه الإشباع، وإنما يستخدمه لإثارة الطرف الآخر وللتمهيد للمباشرة التى بها يكون استنفاد الشهوة، فإذا كان اللعق يثيره حتى الإنعاظ فهو **الشذوذ** بعينه لأنه ليس جماعا صحيحا.

والانحراف لايكون انحرافا إلا إذا كان المنحرف يأتيه **تلقائيا وقهريا**، بمعنى أنه يتكرر منه مدفوعاً إليه بعوامل نفسية داخلية تقسره قسراً عليه دون وعى منه بأنه مقسور عليه. والمنحرف لايرى فيما يفعل انحرافا ويعيشه بشكل طبيعى، ولذلك قد لايبدو عليه أنه منحرف ولا ينبئ ظاهره عنه. وحتى الزوجة الطبيعية قد لاتكتشف الشذوذ فى زوجها مع

أنها أقرب الناس إليه، والتصاقها به مدعاة لأن تلمس بنفسها مايعانى، إلا أن السنوات قد تمر قبل أن تتبينه على حقيقته، وربما كان ذلك سماعا من الآخرين كشائعات تقال حوله أو فضيحة يعلن عنها.

ولم يفهم الناس **ديناميات الانحراف** إلا بعد أن نشر **فرويد** كتابه «**ثلاث مقالات فى الجنس**» (١٩٠٥) فعرفوا أن الجنس موجود فينا منذ المهد إلا أنه فى حالة من الفوضى أو الإبهام، أو أنه لم يترتب وينظم بعد، وهو مايقال له الطور قبل التناسلى. والطفل فى هذا الطور بمقتضى تعريف الانحراف يعتبر منحرفا، وانحرافه له كل الأشكال، وشهوته منتشرة فهى فى شرجه وقضيبه وفمه وكل جسمه، ولذلك يسميه فرويد بحق **المنحرف المتعدد أشكال الانحراف** polymorphous pervert، ولذته غير التناسلية تتحصل له بأكثر من طريقة كالمص، والتغوط، والاستعراء، والتطلّع، وكل طريقة منها مشبعة جزئيا أو أنها مشبعة **لغريزة جزئية**، ومع استمرار نموه تتكامل الغرائز الجزئية وتتأدى إلى السيطرة التناسلية عند البالغ ولكنها لاتختفى بالكلية، والكثير منها يستمر فى أشكال اشتهاء التقبيل أو التعرى أو التطلع قبل الإقدام على الجماع. وقد يحدث أن يتثبت الشخص فى نموه النفسى الجنسى عند مرحلة قبل تناسلية فمية أو شرجية أو قضيبية، أو قد يرتد وينكص إليها لسبب من الأسباب، وعندئذ تظل هذه الغرائز الجزئية المصدر الغالب للشهوة، وتكون لجنسيته شكلها الطفولى، أو قد يترتب على ذلك أن ينحرف سلوكه فيتعلق إشباعه الجنسى بها دون غيرها. وإذن فالميل إلى الانحراف نحن مهيأون له، والانحراف كامن فينا، وهناك العديد من العوامل التى يمكن أن تدفعه إلى الظهور وتجعله انحرافا مكشوفا، وأبرزها أو أكثرها إعمالاً القلق الذى يسببه الخوف من الخصاء أو الإخصاء الذى تدفع إليه معاملة الأب لابنه، والصراعات الأوديبية التى تتفجر فى نفس الصغير كنتيجة لتراوحه بين الحب والكراهية لأبيه ولأمه، أو لأحدهما دون الآخر، وغير ذلك من المؤثرات التى تحفل بها البيئة العائلية فى الطفولة وليس لها مردود طيب على تكوين الطفل نفسيا وجنسيا.

ويعتبر بعض المحللين النفسيين الانحراف شكلا من أشكال **العُصاب النفسى** بسبب مايتضمنه من استخدامات للحيل النفسية التى تشبه الحيل المستخدمة فى العُصاب، وكان **فرويد** يقول إنه الصورة السالبة من العُصاب، بسبب خلوه من عنصر **الكبت**، باعتبار أن

الكبت لابد منه لنشوء العُصاب. وفى الانحراف لايوجد كبت بل تصريف مباشر للجنس، وإذن فهو **عُصاب منزوع أو مسلوب منه الكبت**، إلا أن المنحرف يظل بخلاف العُصابى من حيث أن المنحرف يُعرَف بشذوذه، ويتقبله ويعمل به ولا يرفضه، بينما العُصابى يأتى الأعراض العُصابية وله السمات الخُلُقية العُصابية ويمارسها دون وعى منه ويمارى أنه عصابى. ثم إن العُصابى لايتحقق له من أعراضه إشباع جنسى، بخلاف المنحرف جنسيا الذى يتحقق له هذا الإشباع بممارسة انحرافه. ومن ناحية أخرى يتشابه العصابى والمنحرف من حيث وجود رغبات طفولية عند كل منهما، وباعتبار الدفاعات اللاشعورية التى يلجأ إليها الأنا، وعجزهما معا عن الفصل بين الحب والكراهية، فكلاهما يؤذى محبوبه ويمكن أن يحطمه، ويختاره ليعطيه ويتلقى منه فى نفس الوقت الحب ونقضيه.

والانحرافات الجنسية كثيرة، غير أن أشهر صورها الإكيلينكية **اللواط، والسادية وعكسها الماسوشية، أو مركب السادية والماسوشية** (إنزال الألم بالغير أو استعذابه من الغير). ومن ذلك أيضا **هتك العرض، والتطلع أو التبصص على الفعل الجنسى أو العرايا، والاستعراء، وإتيان البهائم، وتعشّق الصغار، واشتهاء الموتى**.

وانحرافات الرجال أظهر من انحرافات النساء، والتفاوت أو الاختلاف كلاهما يرجع لنواح وراثية وبيئية وتكوينية. ولاشك أن للإشراط النفسى وللضغوط الاجتماعية تأثيراتها فى هذا المجال. **ولعل العوامل الوراثية** هى أهم العوامل البيولوجية تأثيرا فى طبيعة الاستجابة الجنسية، وهى المسئولة عن التفاوت الموجود بين الناس من حيث البنية الحسية، وكل مايتعلق بالاستجابة الانفعالية من ميكانيزمات، بل إن التفاوت فى الاستجابة فى حياة الشخص الواحد تحدده عوامل **بيولوجية** كالسن والتغذية والصحة العامة والتغيرات فى الأحوال العصبية إلخ. وكذلك **الظروف النفسية** لها دورها الكبير فى تحديد السلوك عند كل الفقريات التى لها جهاز عصبى متطور، وخاصة فى الإنسان، سواء كان من المثقفين أو العمال، فالكل سواء، وإن كانت الثقافة بشكل عام تجعل صاحبها أرهف وأكثر حساسية من غيره. وما يفضله كل شخص من حيث الطريقة المشبعة له جنسيا يتوقف على نوع التجربة الجنسية التى خاضها أول مرة، أو ما يسمى **بالمشهد الأولى**، أى أول مشاهدة أو احتكاك له بالفعل أو الاستثارة الجنسية. وأيضا هناك **العُرف الجنسى** والعُرف الأخلاقى، وبناءً عليه يكون تفضيل شخص لطريقة عن طريقة للتصريف الجنسى. والكثير من أنماط

الممارسة الجنسية هو انعكاس للأنماط الجنسية المستحسنة عند طبقة معينة ينتمى إليها هذا الشخص أو ذاك. ويبدو تأثير **الأسرة** بالذات على المنحرف. ويبدو أن هناك علاقة بين الانحراف **وإهمال الأمهات أو تسلطهن على الأبناء**، وأن هذه المعاملة الخاصة هى التى تهيئ للانحراف من بعد بتأثير العجز الذى يصيب الطفل من جرائها فلا يستطيع أن تكون له علاقات سوية بالآخرين، ويضطرب انتماؤه الجنسى وتتولد عنده كراهية وتزيد صراعاته الأوديبية وتتنامى عدوانيته. وثبت كذلك أن **عائلة المنحرف** غالبا تمارس الانحراف، أو أن طرقه لا تكون مستهجنة عند أفرادها ويتعاملون معها بالتسامح، وينشأ الصغير من ثم لايجد فى الانحراف غضاضة. وقد يحدث أن تشجع الأم ابنها على أن يتعين بها فينشأ على الأنوثة ويميل إلى أن يقوم بتمثيل الدور الأنثوى فى المسائل الجنسية، ولعل ذلك هو السبب فى عدم الاستبصار لدى المنحرفين من حيث تمييزهم بين السلوك الأنثوى والسلوك الذكورى، ومايجب للذكر وماينبغى للأنثى. والمنحرف عموما يظن دائما أنه على صواب، وأن أسلوبه فى التصريف الجنسى هو الأفضل، وأن الممارسة الطبيعية للجنس من شأن الحيوانات وحدها، وأما الإنسان فللثقافة دورها فى سلوكه، وهى خروج عن المألوف فى السلوك، وخاصة فى الجنس، والتغيير مطلوب دائما. وهناك من الأسوياء من يطالب بالتغيير ويصر عليه لأنه يثير المشاعر ويجدد الطاقة، ولذلك كانت للمنحرفين غالبا **ثقافتهم الفرعية ونواديهم الخاصة أو أماكن تجمعهم**، وهم جميعا يحسبون أنفسهم أكثر ذكاء من غيرهم، غير أنهم عموما يصدرون عن **مشاعر نقص** حقيقية، والبعض منهم يعانى من أنواع من الذُهان أو العُصاب أو الضعف العقلى، أو حتى مايسمى بالجنون الخُلُقى الذى يستحيل معه أن يعرف أن مايفعله ليس شذوذا، ومنهم من يمكن علاجه باكتشاف نواحى النقص فى شخصياتهم، ومايعانونه من مشاكل نفسية، وما إذا كان إتيانهم للانحراف سلوكا قهريا، والصراعات الفصامية بهم التى تؤدى بالبعض إلى أن يخرجوا على العرف. غير أن ذلك يقتضى الكثير من التحرّى والإلمام بالتاريخ الجنسى للمنحرف، وقد لايكون المنحرف راغبا أصلا فى العلاج برغم أن هذا هو ماتوصى به المحاكم فى كثير من الدول التى تضبط فيها ممارسات منحرفة، وعندئذ يكون التنبؤ بالشفاء ضعيفا بسبب عدم وجود الدافع إليه
Lorand et al: Perversions, Psychodynamics and Thera-)
.(py.

***

الهوس الجنسى Sexual Mania

المهووس جنسياً هو المفرط، ومن أعراض الهوس الجنسى أن تتكاثر أفكار المهووس ويزيد شعوره بالعظمة وإحساسه بالصحة، ويبدو مرحاً دائما، ومنشرحاً ومتفائلاً وتيّاهاً بنفسه، وطارحاً مشاعره وأفكارة بالحركة والإشارة واللفتة.

وقد يعنى الهوس ولعاً بشئ **كهوس التعذيب flagellation mania**، وهو سلوك شائع، ويُروَى أن مواخير القرن التاسع عشر كانت بها عِصىّ وسياط حتى إذا كان الزبون يهوى الضرب فاعلا أو مفعولا به كان له مايريد. ويُروَى أن **الأمير البرت** حفيد ملكة بريطانيا كان مريضا بهوس التعذيب، وأن عددا كبيرا من رجال البلاط كانوا بالمثل يمارسون التعذيب بالسياط أو مايسمى **التسوّط**، ومنهم **لورد سومرت** مستشار أمير ويلز (الملك **إدوارد السابع** فيما بعد). ولم تكن الكنيسة بمنأى عن هذا الاضطراب فيُروَى أن **القديس دومينيك** الذى تنسب إليه **طائفة الدومينيك** كان مريضا بهوس التعذيب أو التسوّط، وأن نوبته الحادة استمرت معه فى إحدى المرات **ستة أيام**، وفيها ضرب نفسه ٣٠٠٫٠٠٠ مرة، وكان أتباعه يدخلون القرى ويمارسون الضرب على أنفسهم وعلى الناس حتى أنهم يُعرفون بقروحهم التى لا تندمل والتى تنزف الدم دوما، وبلغ عددهم فى القرن الرابع عشر ٨٠٠٫٠٠٠، وهو رقم مذهل وكأنما هذا الاضطراب **كالوباء**، فأصدر البابا **كليمنت** أمرا يحظر التسوط ويجعله كفرا.

وهوس الحوريات nymphomania هو الغُلمة النسوية نسبة إلى **الحورية nymph** من إلاهات الطبيعة عند اليونان، وهى فاتنه الجبال والمروج والمياه التى تقوم بإغراء الرجال ومضاجعتهم، وتجامع الرجل حتى يسقط إعياء، ويتعاقب عليها الرجال فما تشبع من المضاجعة. وهوس الحوريات إذن **هو هوس الجماع** عند النساء، والمهووسة بالجماع يطول جماعها فما تشبق، وقد تشبق مرة ومرات ولكن شهوتها لاترتوى. وكذلك الرجل المهووس بالجماع. ويؤثر بعض العلماء ومنهم **كينزى** أن يسموا هذا السلوك باسم **فرط الجنسية hypersexuality**. ولعل من أبرز أعراض الغلمة أو هوس الجماع تلك **النرجسية** الشديدة التى يكون عليها الرجل الغليم. وقيل إن هوس الجماع يأتى ترتيبه فى جدول الاضطرابات النفسية رقم ١٨، ومنه **الخُلطة أو المشاعية الجنسية** تكون أيضا بين الذكور

والإناث، ومن الأخصائيين من يطلق عليها اسم **زملة دون چوان** Don Juan syn-drome أو **الدون چوانية**. ويتميز الدون چوان برغبة جنسية شديدة وسلوك جنسى فاضح، قيل فى تفسيره إنه محاولة منه لإثبات ذكورته أو إثبات إنوثتها. والدون چوانى برغم ما يظهره من تودد ولطف فإنه إنسان لايعرف العاطفة ولا الحب. وهذا الهوس بالجماع قيل إن بعض المرضى **بالهستيريا** أيضا يكون بهم. وقيل فى تفسير هذا الاضطراب إن المريض يعانى من **عقدة أوديب** ويبحث عن الحب الذى افتقده فى أمه عند المرأة تلو المرأة، وتوصف الحالة التى به بأنها **جوع عاطفى** شديد، وبنات الدون چوان، إن كان متزوجا وله بنات، يصبن عادة **بهستيريا القلق** من جراء تعرضهن للإثارات الجنسية والغواية من الأب، وسماعهن عن مغامراته المستمرة. وأما **المشاعية** فى النساء فهى أن يبلغ الهوس بالجماع عندهن أن يطلبنه من أى رجل. وتأتى المشتاعة الرجل بعد الرجل، وقيل إن ذلك كثير الحدوث بين **طالبات الجامعات الأمريكية**، والمهووسة بالجماع لاتستطيع السيطرة على غرائزها الجنسية، ولم ينضج عندها الذات، ولاتعرف معنى احترام النفس. والمشتاعة بمجرد أن تتعرف على الرجل توافق فورا على الجماع، وتأتية فى أى مكان ولو كان ذلك المكان هو المراحيض، ومن مدة وجيزة ضبطوا **وزيرة خارجية كينيا** فى المرحاض بالطائرة المسافرة إلى باريس مع الرجل الذى تصادف جلوسه إلى جوارها. وأحيانا مايسمى هذا الاضطراب باسم **هوس الكيثيرية** cytheromania، **والكيثيرية** kytheria هى **أفروديت** معبودة الجنس عند اليونان، وأطلقوا عليها هذا الاسم فى جزيرة **كيثيرة** kythera فى خليج لوكونية، وأسموها **القبرصية** kypris فى جزيرة قبرص، وكان لها معجبون هناك يمارسون طقوسها ويسيرون على منوالها. ولم تكن **أفروديت** إلا امرأة هلوكا لاتشبع من المضاجعة، حتى أنها ظلت تضاجع أباها بعد أن احتالت على ذلك إلى أن اكتشف أمرها، وأنجبت منه **أدونيس**، فلما شبَّ عن الطوق وظهرت قوته أغرته أيضا وضاجعته، وجعلت منه عشيقها الى أن قتلوه بسببها.

وهوس عشتروت estromania شبيه بما سبق، **وعشتروت** أو **عشتار** هى إلاهة الحب أو الزواج عند أهل الشام، وتُروَى عنها القصص أنها كانت غليمة، **وأفروديت** هى الصيغة اليونانية لها. وهوس عشتروت يقال له أيضا **هوس أفروديت** aphrodisomania، وهو جنون الشهوة عند النساء.

وهوس الفرج aedoemania هو الكلف الشديد بالعورة والمحرمات من الجسم، وهو قد يكون جنونا بالقضيب أو بالفرج، ومن الناس من يتعبّد للقضيب، وكانت هناك **عبادة** له في القديم، ومازالت هناك طوائف فى **سوريا والعراق** يتعبدون للفرج. **وعبادة القضيب وعبادة الفرج** كلاهما من ضروب الهوس بالجماع.

وهوس إيروس erotomania هو الغلمة تنسب **لإيروس** وكان إله الشبق عند الإغريق، عَشِقَ **أفروديت** مع أنه الصبى، وكانت أفروديت فى عمر أمه أو أنها كانت أمه، وجُنّ بنكاح النساء، وقيل لذلك إن هوس إيروس **هو الحمى الشبقية** erotic fever. وقد يطلق على هوس أو جنون إيروس اسم **الوَهَس** lagnomania، وهو النكاح يتميز بالقسوة والغلظة، **والجراف** lagneia furor وهو النكاح له وطأة ودعس، **وجُنّة ساتير أو ساطير** sa-tyromania، وساتير هو إله الغابات أولع بالعربدة واشتهر بشبقه المفرط.

وهوس دعك القضيب peotillomania لازمة عصبية، والذى يأتيها تراه يشد قضيبه بيده أو يدعكه من حين لآخر، وذلك كثير الحدوث فى مجتمعاتنا الشرقية، وقيل إنه استمناء كاذب أو كالاستمناء.

والهوس الرحمى uteromania هو جنون الجماع عند النساء، وكأن المرأة عندما تأتيها جُنّة النكاح يضطرب عليها رحمها ويصيبه الخُباط.

وهوس الذكور andromania لُهاف يكون بالمرأة ويدفعها دفعاً إلى مصاحبة الرجال، أو هو جنون الجماع عند النساء.

وهوس الحيوانات zoomania الحب الشديد للحيوانات، ويماثل تعشُّقها zoophil-ia إلا أن تعشق الحيوانات أخف وطأة من هوس الحيوانات.

وهوس الكتابة الداعرة pornographomania اهتمام شديد بالصور الفاحشة، أو هو ممارسة هذه الكتابة ورسم هذه الصور.

وهوس الكتابة الغرامية erotographomania دافع لكتابة عبارات موضوعاتها جنسية ولكن صياغاتها أخلاقية وتوجهاتها سامية، وغالبا ما يكون لها الطابع الدينى، ولا يتوخى بها كاتبها إلى التواصل بامرأة معينة وإنما يكتبها إلى السيدة المجهولة التى يتمناها لنفسه، وهى نمط مثالى ربما تكون خلاصة الثقافة الدينية مختلطة بصور من الطفولة والتثبيتات الجنسية من المرحلة الأوديبية.

وهوس النساء gynecomania هو الولع الشديد بالنساء والرغبة المستعرة فى مضاجعتهن، وكان **دون جوان** مهووسا بالنساء، وكذلك **كازانوفا**، وفى القصص الدينى فى التوراة كان **داود وسليمان**، ويروى أن **دواد** كانت له ألف امرأة، ويروى أيضا أن **الحسن بن على** كانت له ألف امرأة.

وهوس الجَمال callomania هو غرور الجمال أو جنونه كجنون العظمة وجنون الخُيَلاء، والمهووس بالجمال قد يطلبه ويتكلف له، والمرأة المهووسة بالجمال قد تطلبه فى طفل تلده وتتخيله على صورة معينة تتملكها وتعيش لها، اعتقاداً فى قدرة التفكير السحرى على صُنعه على الهيئة التى ترجوها، وهى تظن أنها كلما حاصرت نفسها بهذا التفكير فإن الجنين لا محاله سيُشكّل كما تهوىَ، واعتقادها من الاعتقادات البدائية أو التفكير البدائى الذى يلازم بعض المرضى بالفُصام.

وهوس البذاء coprolalomania هو أن يولع الشخص بالفُحْش والتفحُّش فى القول والفعل، فيأتيهما قسراً عنه وكأنهما الأفعال القهرية **compulsions**، وهو فى المعنى الأصلى للمصطلح الكَلَف الشديد بتشبيه كل شئ بالخَراء وما يتصل بذلك من سباب، وقد تكون هناك مماثلة بين الخَراء والكلام حيث كلاهما له مخرج، أحدهما الشَرَج والآخر الفم، ودائما يشبّهون الفم بالشرج. وقد يكره المريض شخصا فيحب أن يخرى عليه، ونحن فى الكلام العادى أحيانا نسمع الناس يقولون «أخْرِ عليه وخَرَى عليه»، وقد يستبدل الشخص الخراء بالكلام فيسبّه بدلا من أن يَخرِى عليه، وسِبابُه يستخدم فيه مع ذلك ألفاظاً منها الخَراء، ومثل ذلك نصادفه كثيراً عند المرضى بالفُصام، وهم يحبون أن يلهوا بالكلمات الوسخة حبهم للهو بالخراء.

وهوس القماءة cretomania نَمَط الجنون الذى يرتبط أحيانا بحالات الإصابة بالقماءة، فتنتاب المريض حالات هياج مصحوبة **برغبات جنسية** مُلِحّة وانتصاب دائم وغُلْمة نهمة.

والهوس الشيطانى demonomania جنون التلبّس بالشياطين أو العفاريت، فتستحوذ على الممسوس أو المهووس الهواجس وتُلحّ عليه أفكار معينة لايملك نفسه إزاءها، ويعتقد أنه قد صار عِفريتا أو شيطانا، أو أن شيطانا يتقمصة، ويرجع **فرويد** **هذا** الهوس أساسا إلى **كبت اللذة المصاحبة للاستمناء**، فتتحول إلى قلق هو نوع من العقاب يستشعره الشخص

من تلقاء نفسه، ويحمل في طياته الإحساس بأن ما يعتمل داخله من أحاسيس محرّمة هي من فعل الشياطين ومن هَمَزاتهم، وكلما ألحّت عليه أحاسيسه ورغباته الجنسية كلما كانت لها وطأة، ويكبر شعوره بأن الشياطين قد تلبّسته، وأن ما بداخلة من صراعات مستعرة ومجنونة هو من فعلهم. ويرُجع فرويد هذا الاعتقاد فى تأثيرات الشياطين وتقمّصهم إلى التربية الدينية من الطفولة.

وهوس الظواهر phaneromania من **فانيروس** اليونانية بمعنى الظاهر، ومنها **الفنار** لأنه يعلو ويظهر. والظواهر هنا هى **بوارز الجسم** كالثديين والقضيب والأنف والأذنين والشعر والأطراف، وبوارز الجلد كالثآليل. وهوس الظواهر دافع قهرى لتحسس هذه الأجزاء الظاهرة وخاصة النوابت والنواشئ من الجلد والشعر والأظافر. والمهووس قد يعبث بشواربه أو سوالفه أو يقضم أظافره أو ينتف شعر منخاريه أو حاجبيه أو يتخلل أسنانه أو يمسح على شعره أو جبينه أو صدره أو مؤخرته الفينة بعد الفينة، أو يشد على قضيبه الحين بعد الحين، ويأتى ذلك على سبيل العادة، وفعله قهرى ويشبه اللازمة، وقد يكون مسحُه على الأنف من وقت لآخر لمماثلةٍ بين الأنف والقضيب، أو بين الأذن والقضيب، وكلاهما بارز أو مدلّى كالقضيب، وكلما استبدّت به رغبة جنسية وأراد أن يشد على قضيبه يستمنى فإنه يزيح الرغبة إلى الأنف أو الأذن للمشابهة بينهما وبين القضيب، ثم إن القضيب محرّم ولكن الأنف أو الأذن غير محرمتين. وقد تمسح المرأة المسترجلة على صدرها من آن لآخر وكأنه يضايقها فى جسمها الثديان باعتبارهما من علامات الأنوثة، فتُجرى عليهما يدها باستمرار ربما تحاول أن تزيل هذه العلامة.

وهوس الموتى necromania رغبة جنونية أن يحاور الشخص الموتى ويعايشهم ويضاجع جثثهم، وهوس الموتى لذلك من الاضطرابات التى يصاب بها الرجال دون النساء، وقد تكون لاشتهاء مضاجعة الموتى طبيعة سادية. وقد يرتبط **تعشّق القبور** taphomania واشتهاء الموتى necrophilia بعادات بدائية من نفس النمط كالاعتياش على جثث الموتى **وأكل الجيفة** necrophagia. وقد يكون للهوس بالموتى واشتهائهم **وسادية الموتى** necrosadism أسباب من عجز جنسى لايريد المهووس أن يكتشفه الأحياء فيه، وبعض الناس قد يكون فيهم هذا الهوس خفيفا فإن جامع امرأة فقد يهيجه منها أن تقول له أنها **تموت فيه**، أو أنها **تموت شهوةً**، وقد يطلب منها أن تردد عليه ذلك. وربما كانت **للجماع**

نفسه طبيعة الموت، وينتهى بالسكون بعد الحركة كالموت، وقد يجد المهووس فى الجماع لذة الاستنفاد كما لو كان يجرب فى الجماع الموت فى كل مرة، وقد يتوهم أنه يموت أو مات، وبعض الناس لحظة الإنعاظ يتأوه ويقول باللفظ إنه يموت، وهذا **التماوت necromime-sis** من أعراض هوس الموتى.

وهوس النظم metromania جنون إلقاء الكلام موزونا أو موقّعا كالشعر، وربما لأن النكاح يأتى موقّعا كذلك قيل أنه هوس نِكاح أو أن هوس النكاح أحد أنواعه، وربما هو فعلا هوس نكاح لأن **ميترا** فى اليونانية معناها **الرحم**، ثم استعملت مجازا لتعنى الإيقاع، ربما للمشابهة بين النكاح والإيقاع اللذيذ أو عندما يكون لذيذا، ولذلك قد تسمع من بعض الناس عبارات التذاذ بالإيقاع الجميل وكأنه يستمتع بالنكاح.

وهوس التفانى devotion mania رغبة عارمة أن يبذل المرء نفسه لخدمة آخر يتفانى فى حبه، وربما يكون الدافع إلى ذلك أنه يريد أن يجعل من الآخر موضوعا له يضفى عليه ما كان به من مشاعر لأبويه فى صغره، وربما يكون المهووس أو المفتون قد استدمج أبويه فى صغره فى الطور الأوديبى فصارت له مشاعر أبويه قوية فيظل يبحث لها عن موضوع فى كِبَره يفرغها عليه. وقد تكون مشاعره الفياضة هذه نحو الآخر ردّ فعل لأنانية فيوجه بكل طاقته المحبة عنده إلى موضوع خارجى خلاف نفسه، أو أنه يظل يبحث عن الموضوع الذى يتصور أنه يرى فيه نفسه فيضفى عليه هذه المشاعر، وهيهات أن يجده، ومن ثم تجده باستمرار **المتفانى** فى خدمة كل الناس بدلا من شخص واحد.

وهوس السرقة cleptomania فعل قهرى تدفع إليه رغبة لاتقاوم. ويتميز هوس السرقة عن **اعتياد السرقة** أن الفعل الأول لا مبرر له يأتيه المرء تلقائيا ويندفع إليه اندفاعا، وعندما يُضبَط يفاجأ أصحاب المسروقات غالبا بأن السارق من عِلْيه القوم ولا حاجة به إلى ما سرقه، وقد ينتابه الخوف الشديد ويُسقَط فى يده ويحار فى تعليل إقدامه على السرقة. ويُضبَط سنويا الكثير من الأطفال والكبار يسرقون من المحلات العامة، وأكثرهم سيدات. والسارق قد يُلقِى من بعد بما سرق، أو يعيده بالبريد، أو قد يحتفظ به كأثر فيتيشى (أنظر **الفيتشية**) يعطيه لذة النظر ومتعه الجنس، وقد ضُبِطت عند أحد السارقين **مائتا حذاء نسائى**، وضبطت عند آخر **خمسمائة سروال حريمى**، يختزنها جميعا ويطالعها من آن لآخر ويسعد أيما سعادة بذلك ويستشعر لذة كالشبق، والسارق يشبق وهو يسرق، **وفعل السرقة**

فيه **الابتداء**، ثم **الذروة** كالفعل الجنسى، وبعض السارقين ينعظون وهم يسرقون، والسارق **يتوتر وينتصب** للسرقة، ويحوم حول الشئ المسروق يداعبه بخياله ويخطط **النزو** عليه، ثم تمتد إليه يده بسرعة ليخفيه فتكون قمة الإثارة، وبعد ذلك يولّى مدبرا فيكون **الاسترخاء**. وأكثر السارقين يَمْنُون فى السرقة. وتستبد بالسارق الرغبة الجنسية بعد إتمام فعلته، ويعرف الشرطة ذلك، ولذلك يفاجئون السارقين فى المواخير وبيوت الدعارة. والمهووس بالسرقة كثيراً ما يكون **فيتيشيا** أى مصابا بداء الأثرة، وهو أن يستعيض عن المرأة بشئ يذكّر بها كالألبسة الحريمى، فإذا أراد الاستمناء فإنه يفعل ذلك وهو ينام على هذه الألبسة أو يرتديها أو يتحسسها بيد، ويذهب خياله خلال ذلك بعيدا كما لو كان يضاجع. ويشبه هوس السرقة **هوس إشعال الحرائق pyromania**، وكثيرا ما لايكون إضرام النيران بسبب الانتقام، والغالب أن نشهد هوس إشعال الحرائق عند **المراهقين**، ويجتمع المراهقون حول النار وكلما زادت يتنامى هياجهم، ومن السهل لو كانوا عراة أن نتبين أنهم ينتصبون وينعظون، وقد يستمنون بالأيدى. وكذلك المهووس بالسرقة فهو يستشعر لذة جنسية طاغية من فعل السرقة. وقيل إن ٩٠٪ من حالات هوس السرقة التى تُضبَط لنساء، وتفسير السرقة عندهن أنها **فعل ذكورى** تأتيه المرأة التى تستشعر النقص، وقد ران فى أعماق لاشعورها أنها أُخصِيت وهى صغيرة فتنتقم من الرجال بالسرقه وكأنها تخصيهم. ويمثل الشئ المسروق القضيب فهى تستحوذ عليه ليكون لها عوضاً عن القضيب الذى حُرِمت منه، وكثيرا ما تكون المسروقات أشياء تصلح للرجال أو تشبه الأعضاء الجنسية للرجل. وتواتُر سرقة مثل هذه الأشياء برغم عدم حاجتها إليها هو الذى يميزها كمريضة بداء السرقة وليست مجرد سارقة عادية. ومن النساء من يسرق أشياء نسائية من مقاسات معينة لاتصلح لها، ويجعلها ذلك من ثم أقرب إلى **اللواطة**، إذ أنها تعرب عن رغبات جنسية **مثلية** نحو نساء لهن مواصفات خاصة. **وداء السرقة عند النساء** لهذا السبب هو المقابل **للفيتيشية** عند الرجال، ومثلما يسرق الفيتيشى أو يشترى أشياء نسائية يشبع بها رغباته الجنسية، فكذلك بعض النساء المريضات بالسرقة.

والسارق، رجلاً أو امرأة أو مراهقاً، يسرق بسبب إحباطات منذ المرحلة الفمية أو الشرجية أو القضيبية من مراحل تطوره الجنسى النفسى، فالحاجات التى لاتشبع فى أى من هذه المراحل تظل معه وتلّح عليه وقد تدفعه إلى أن يسرق ما **يشبهها** طالما أنه لا

يستطيع أن يحصل عليها من خلال القنوات الشرعية. وترمز **المسروقات** إلى المنصرفات الطبيعية التى كان يمكن أن يشبع بها حاجاته، غير أن تكرار السرقة دليل على أن حاجاته موجودة دائما ولا تشبع.

ويذهب بعض المحللين إلى أن داء السرقة **هو** طريقة **عنيفة** للإشباع الجنسى، ويشبه فعل السرقة **الاغتصاب**، ولذلك فإن الكثيرين من المرضى بالسرقة من الذكور يتحولون إلى ممارسة الاغتصاب على الحقيقة. ويبدو من دراسة أغلب حالات المغتصبين أنهم نشأوا فى بيئة السرقة فيها سلوك عادى... وربما كان المراهق الذى يستغفل النساء خصوصا وينشل **حقائب أيديهن** مدفوعا بدوافع جنسية لا يستطيع أن يشبعها مباشرة لسبب أو لآخر، فيلجأ إلى **فتح الحقائب** ويغتصب **أثمن** ما فيها، ولنلاحظ دلالات «**يفتح**» و«**أثمن**» ما فى «**الحقيبة**»، وكلها دلالات جنسية، وكأنه **يفتح المرأة ويغتصب بكارتها**. وكذلك الذى يهوى دخول البيوت من **النوافذ** وسرقة الألبسة النسائية، **والنافذة** رمز جنسى. وأيضا ما نسمعه عن المراهقين الذين يركبون الدراجات البخارية ويخطفون **السلاسل الذهبية من فوق صدور البنات**، فلا يمكن أن تخفى علينا المعانى الجنسية لهذا الفعل، حيث **الذهب** على الصدر ليس إلا رمزاً للثدى. ولعله لذلك يطلق بعض العلماء على داء السرقة اسم **الاستيلاء المشحون بالجنس** sexualized taking، والسارق لا يستولى على ما يستولى عليه بهدف اقتصادى كما قلنا ولكنه كأنما يستولى على المرأة ويضاجعها، فهو يأخذ ما يذكّره بالجزء من جسمها الذى يهواه منها ويريده ليشبع رغبات جنسية فيه، أو ليشبع حاجات فمية تثبتت عنده ولم تشبع من المرحلة الفمية وموضوعها **الثدى**. والسرقة عدوان، والسارق **سادى**، وبعض السارقين يستخدمون **العنف** ويلجأون إلى استخدام **الأسلحة** كالسكاكين والمدى والخناجر، وبعضهم يغالى فيوجه المدية إلى جسم المرأة فى مواضع حساسة منه، وقد يدخل سكينه فى فرجها أو يطعنها فى ثديها أو بطنها، وتلك أفعال **اغتصاب** واضحة، **الخنجر** فيها أو **السكين** بديل عن **القضيب**، ولايفعل السارق ذلك إلا فى حالة **غياب انتصاب قضيبه** فيستعيض عنه بالخنجر يولجه فى فرج المرأة. وقد يسرق السارق **سيارة** ويركبها لبعض الوقت ثم يتركها. ويبين الجانب الاستحواذى القهرى لهذا الفعل من التكرار الذى يكون عليه هذا العمل. والسارق تستهويه السيارة بجمالها وبجدّتها، وقد يتحدث عنها كما لو كانت فتاة، واستيلاؤه عليها **غزو واغتصاب جنسى** ويستشعر له لذة الاغتصاب، وهو

يركبها وكأنها فتاة، ويقودها ويحركها ويناور بها، وتبلغ به اللذة آنذاك أوجها كما لو كان يمارس الفعل الجنسي، ثم يهدأ بالتدريج فيترك السيارة ويولّي. وتعطيه سرقة السيارة شعورا **ذكوريا** بالقوة. ويبدو أحيانا أن هذه القوة هى ما يحتاجه السارق المريض بالسرقة بالنظر إلى ضعفه الواضح حيال دوافعه وعجزه عن كبح جماح نفسه. وربما كان هذا العجز عن السيطرة على النفس أبلغ ما يكون عند المريضات بداء السرقة حيث تزيد بهن نوازع السرقة خلال **فترة الحيض**، حينما تكون المرأة ضعيفة الإرادة خائرة القوة واهنة العزم، وتحتاج إلى الرعاية وإلى أن تعامل بعطف. وبعض النساء ممن يعانين من **الجوع العاطفى** أو **الجوع الجنسى** تشتد بهن الرغبة فى السرقة تعبيراً عن هذا الجوع وتلمساً لإشباعه، وربما كانت المرأة التى تحيض وتسرق تريد أن **تعوض بالسرقة ما تفقده بالحيض**.

وهوس إشعال الحرائق pyromania نزوع لايقاوم لإشعال الحرائق وإضرام النيران، قيل هو ضرب من **الوساوس القهرية** وشكل من أشكال الحواز يرجع فى المحل الأول لطبيعة سادية وميول عدوانية وانفعالات تجيش بالكراهية تدفع بصاحبها إلى تدمير المِلْكية الخاصة أو العامة بهذه الطريقة، إما تعبيراً عما فى نفسه من مشاعر، أو تحديا للسلطة أو الشرطة أو القوى الاجتماعية الكبرى، والتى ترمز عنده لاشعوريا **للأب** أو سلطته، وأكثر ما يصاب بها الأطفال بين سن **السادسة والرشد**، وغالبا ما يكون الحَدَث منحرفا يحفل تاريخه بالهروب من البيت والمدرسة، وكثيرا ما يكون أمثال هؤلاء الأطفال محرومين عاطفيا، وينحدرون من عائلات مفككة، وينتشر بينهم التبول الليلى، ولا تخفى العلاقة بين التبول (الماء) والحريق، أو المشابهة بين الإحليل وخراطيم الإطفاء، والنار دائما رمز الشهوة، ونحن نقول إن للحب ناراً ولهيبا، ونصف الغيْرة بأنها حارقة، وكلها صور من اللاشعور تشير إلى المعانى الجنسية التى للنار. وقد يكون إضرام النار بديلا للإشباع الجنسى المباشر فيما يسمونه **الفيتشية fetishism**، فما لايستطيع المريض بهوس الحريق امتلاكه مما له علاقة بالجنس، يحرقة بنار كنار رغبته الجنسية، فمثلما تحرقه نار رغبته فإنه يحرق هذا الشئ، أو أنه يحرقه فيمارس عليه سلطته وكأنه يخصه فيتحكم فيه بالإيجاد أو الإعدام كما يشاء. وعلى أى حال فلاشك أن لإشعال الحرائق غُلْمة، والمريض بإشعال الحرائق كلما واجهته مشكلة أو موقف لا يستطيع التعامل معه، أو كلما استغْضب يهيج، ولكنه لا

ينتصب، ولكى ينتصب ويستطيع أن يُمنِى يُشعِل الحريق، ومع تنامى النار يزيد هياجه فيُمنِى أو يستمنى بيده، وإمناؤه أو استمناؤه شبيه بالاضطراب الجنسى الذى يكون بالبعض فيجعله حساساً من الناحية الجنسية فى إحليله، ويجد لذة فى التبول، فكلما تهيّج جنسيا تبّول، وقد يضرم النار ويجد لذة فى إطفائها بالتبول عليها، وبعض **البدوْ** بهم هذا الانحراف، ويأتون هذا الفعل كلما أطفأوا النيران التى يشعلونها للطهى أو لغيره، وتشاهد عليهم لذة لذلك، وقد ينتصب الرجل وهو يطفئ النار ببوله، وقد يضاجع بعدها. والإمناء أو الاستمناء باليد بعد إضرام الحريق **كالتبول على النار** الذى يكون بالبعض فعلا قهريا متواترا، وكلاهما من الأفعال التى يختص بها الذكور دون الإناث. وإذا كان هوس إشعال الحريق قد تأتيه بعض الإناث فإنه قد تبين أنه فى مقابل كل **مائه ذكر** من الذين بهم هذا السلوك، فإن **أربع عشرة أنثى** فقط يمكن أن تأتيه. والمرأة التى تحرك مشاعرها النيران غالبا ما تكون مصابة **بالبرود الجنسى**، والنار تستثيرها للتبول، والبرود الجنسى يجعلها تعيش هياج الشهوة بخيالها، ويربط ذهنها بين اشتعال النار واشتعال شهوتها، ومع تنامى النار تزيد بها الشهوة. وكانت **الروائية جورج صاند** تقول إن النار تستثير فيها **الرغبة** وتجعلها تكثر من **التبول**، وهى تقرن بين اشتعال الرغبة والميل إلى التبول. ومن رأى **جماعة التحليل النفسى** أن إشعال الحرائق يرتبط بالشبق الإحليلى وله علاقة شعورية أو لاشعورية بعدم التحكم فى البول، وأن هذا الارتباط وتلك العلاقة يدل عليهما عمليا هذا **«الحرقان»** الذى يستشعره الكثيرون خلال التبول، والإحساس **الحارق** فى الفرج والقضيب خلال الهياج الجنسى، والميل إلى **التبول** مع الانتصاب. ويمكن أن تكون القوة التدميريه للنار **رمزاً** للطبيعة القوية للدافع الجنسى.

وهوس راى Ray's mania هو الجنون الأخلاقى moral insanity وانقياد الإرادة للأهواء، فيرتكب الشخص مختلف الجرائم وكأنه مغصوب على ارتكابها، ومنها **الاغتصاب والدعارة والقوادة وإدمان المخدرات**، وقالوا فيه إنه **هوس بدون هياج** manie sans delire بمعنى أن المريض به ينحرف بميوله الأخلاقية ودوافعه ومشاعره ومزاجه والعادات الاجتماعية عن مسارها الاجتماعى دون أن يرافق ذلك اضطراب ملحوظ أو نقص واضح فى القوى العقلية للمريض، سواء فى إدراكه أو تفكيره. وأطلق عليه آخرون اسم **الخبل الأخلاقى** moral derangement بمعنى أنه فطرى تصاب به المَلَكات

الخلقية بسبب عيب أساسى فى التنظيم العقلى لهذه الملكات. ويدرج الجنون أو الخَبَل الخُلُقى ضمن مصنف **الهوس الانفعالى**، بدعوى أن المجنون أو المخبول من هذا النمط يرتكب ما يرتكب من جرائم جنسية وغيرها لأسباب لا يعرفها هو ولا يفهمها الآخرون، ومن ثم فقد يكون الدافع إلى ارتكابها دافعا غريزيا انفعالياً لايستطيع مقاومته.

وهوس الصور جنون بالصور أو بتشكيلها بالتماثيل والأيقونات وخاصة لموضوعات دينيه أو جنسية، ثم عبادتها وتقديسها، وربما كانت رموزاً لشخصيات لها اعتبارها عند المريض. ومن ذلك **هوس الأوثان** idolomania أو جنون التعبّد، وقد يقصد بالوثن مدلوله فعلا، وقد يعنى به فكرة أو مبدأ يصنعه أو يصوغه صاحبه ثم يتعبّده ويجعله يتحكم فيه. وقد يكون الوثن ما يسمى **بالفيتيش** fetich وعندئذ يكون هوس الأوثان هو الفيتشية أى **عبادة وتعشّق شئ من متعلقات المرأة بعامة** (راجع **الفيتيشية**). ويؤلّه المريض بالفُصام الموجودات المادية من حوله ويضفى عليها الحياة ويشخصنها ويخاطبها، وفى بعض الحالات العُصابية قد يتعشق المريض قفاز حبيبته أو حذاءها كبديل لها.

وهوس النشوز machlaenomania، يقال نَشَزت الزوجة إذا استعصت وأساءت العِشرة، **وجنون النشوز** هو أن تهوَى المرأة من رجلها أن يسئ إليها ويعذبها ويوقع بها الأذى، وتحتمل منه ذلك بل وتقبل عليه، وقد تتلهف منه على سماع شتائم معينة. وقيل فى تفسير ذلك أن المرأة ربما لاقت فى طفولتها معاملة سيئه من أبيها واستدمجتها وأصبح طلبها للقسوة اجتراراً أو استعادةً لمواقف الطفولة، أو ربما كان إلحاحها على الألم تتحمله حاجةً منها إلى العقاب وتكفيراً يرضِى الأنا الأعلى عندها الذى هو صورة للأب، وما يعتمل فى نفسها ليس إلا رجعاً لما كان يعتمل فى نفسها فى الطفولة من رغبات محرّمة نحو الأب تجعلها تستكين له حتى لتغريه بضربها أو تستعديه عليها، تكفيراً عما تشعر به من رغبات محرمة تجاهه.

وهوس الترحال poriomania دافع قهرى للسفر، وكأن المرء ذاهل عن نفسه، والكثير من الجرائم الجنسية وخاصة **الاغتصاب** تُرتَكب من أشخاص يعانون من هذا الهوس، وهو بخلاف **هوس السفر** erotodromomania الذى يُدفَع إليه البعض هرباً من المواقف الجنسية المؤلمة، وكثيراً ما نجد المحبين إذا فشلوا فإنهم يهربون بالسفر.

* * *

الغلمة Satyriasis;Nymphamania

الغُلمة هي شدة الشهوة تكون بالذكر كما تكون بالأنثى، وينسب الإغريق **الغلمة الذكورية satyriasis** إلى الإله **ساطير** من آلهة الغابات عندهم ويشبهونه بالفَرَس الشبِق، له ذيله وأذناه، وينسبون **الغلمة الأنثوية nymphomania** إلى **الحورية nymph** وكانت إلاهة من إلاهات الغابات أيضا، قيل إنها كانت تغوى الرجال وتضاجعهم إلى أن يرهقوا ويصابوا بالجنون.

ويقال غلم الرجل إذا هاج وغلبته شهوته فما يرتوى، **والغليم satyr** هو الشديد الغلمة، والأنثى **غليمة nymphomaniac**.

وقد نسمع عن خُلُفاء جمعوا من النساء أجملهن وكانوا يضاجعونهن فرادى وبالجملة، ومن هؤلاء **هارون الرشيد**، ونسمع أيضا عن أنبياء لبنى إسرائيل ذُكِروا فى التوراة أنهم كانوا يقتنون من النساء بالمئات وكانوا يحبون الجماع وبهم هذه الغلمة، كالنبى **داود**. ونقرأ فى **ألف ليلة وليلة** عن قصص كهذه عن نساء كن شديدات الغلمة وبهن هوى غالب للضِراب. ومن خطل الرأى أن نقول عن أحد الناس أنه غليم لأنه يفرط فى الجماع، فالإفراط من عدمه مسألة نسبية. ولايوجد المعيار الذى نقيس إليه ونميز به بين المفرط والسوى والمقل. والناس يتباينون فى قدراتهم من جميع الأعمار ابتداء من المراهقة وانتهاء بسن الثمانين وما بعدها. وقد يجامع الرجل مرة فى الأسبوع، وقد يغالى فيجامع أكثر من خمس وعشرين مرة فى الأسبوع. ومن رأى **كينزى** أن نسبة المكثرين من الجماع بين الرجال فى السن قبل الثلاثين نحو ١١٪ ثم تتناقص النسبة إلى نحو ٧٪ مع تقدم السن. والرجل قد يجامع زوجته أو تكون له علاقات بأخريات خارج نطاق الزوجية، وكذلك فإن المرأة قد تطلب الجماع بلاحدود، ومع أن الرجل محكوم بالانتصاب، ولابد من وقت ينقضى بين الجماع والجماع ليعاود الانتصاب، فإن المرأة على العكس قد تستمر تجامع وتنعظ على التوالى دون حدود إن لم يصبها الإرهاق.

وقد تكون للغلمه أسباب عضوية، وقيل إن تلف **اللوزة amygdale** أسفل الفصين الجبهيين من المخ نتيجة لمرض يلم بالمخ، أو فى عقابيل جراحة مخية، قد يظهر أعراض الغلمة، ومع ذلك فليس ثمة مايدل على أن الغلمة تعنى أن يكون الغليم مصابا فى مخه.

وتبدو أكثر حالات الغلمة لا بسبب عضوى ولكن كإشباع تعويضى عن إحباطات فى الحياة، فعندما لا يجد الرجل أو المرأة إشباعاً لحاجاته أو حاجاتها العاطفية والمادية والاجتماعية فربما يتحول إلى الجنس يطفئ به ظمأه الذى لم يرتو من العواطف أو حاجاته الأخرى التى لم تشبع.

والغُلمة فى **نظرية التحليل النفسى** دافع شاذ يستنفر الغليم باستمرار إلى السعى للجماع **دون تمييز** بين امرأة وامرأة. والغليم لايرتبط بامرأة ولا بزوجة، ولايخص امرأة بحبه، وهو **يشتاع** دائما، بمعنى أنه يأتى النساء بصرف النظر عما إذا كانت المرأة التى يأتيها زوجة أبيه أو أخيه أو صديقه أو جاره. ويذهب بعض المحللين النفسيين إلى تفسير سلوك الغليم بأنه إنسان مصاب **بلواطة كامنة** تلح عليه، ويجهد باستمرار أن يدلل لنفسه لاشعوريا على أنه رجل، وأنه رغم هذا الميل اللوطى الذى يحاول أن يسفر عن نفسه فيه فإنه ما يزال الفحل الذى يجامع ويكثر من الجماع كما لا يستطيع رجل آخر. ويروى التاريخ قصصا كثيرة لمن يسمونه باسم **زئر النساء**، وهو الذى يطلبهن دائما كما يطلب الفحل الضراب، وهو الدون **چوان وكازانوڤا**، والأول بـه **رقة النساء** وله قوامهن ولذلك فهو يريد أن يثبت ذكورته باستمرار، وقيل إنه مصاب **بعقدة ذكورة** فتراه ينحو إلى **الغزو والفتح** وإيقاع البنات والنساء فى شَرَكة، ويحبك الخطط لذلك وكأنه **القائد** يهوَى الفتح، وأن تسلم له النساء كما تسلم المدن للقائد، إظهاراً لذكورته، والثانى كان **قبيح الشكل** إلا أن به جُرأة على النساء تعوِّضه عن شكله، ويبدو أن شكله هذا كان ينفر منه أمه فى صغره فتحوّل بسبب ذلك إلى كل نساء العالم ينتقم منهن ويفسق بهن ويستحل الحرمات ويعبث بالأعراض، وهو فى كل ما يفعل بالنساء يهدف الى أن يجعل منهن غوانٍ، وربما كانت به رغبات شبقية بأمه رغم قسوتها عليه، أو وربما كان يتمنى لو يفسق بأمه كنوع من ردّ الفعل على قسوتها، وهو مالم يتحقق له فيعوض عنه تعويضا يستنفد الكثير من طاقته النفسية، ويتوهم أن كل النساء أمه ويغرر بهن، وفى ذلك إظهار للسيطرة ولو فى صورة مَرَضية.

وزئر النساء من نوع الكازانوڤا كاذب مع كل النساء إلا مع البغى أو الغانية لأنه من نمطها، وإن بدا أحيانا أنه من عِلية القوم، **والبغى والغانية** مَثَل للمرأة التى تنتقم من الرجال لِما عانته من فشل وإحباط فى علاقاتها بأبيها فى طفولتها، وكأن **البغى** هى المقابل للكازانوڤا فى دنيا النساء، أو كأن كازانوڤا هو البغى فى دنيا الرجال.

وقد تكون الغُلمة فى بدايتها تقليداً واقتداء بأنماط محل اعتبار من الغليم، وقد يقتدى الغليم بأحد الأبوين أو بصديق أو بنجم سينما أو بطل قصة، وربما يكون سلوك الغليم محاولة لإثبات استقلالية شخصيته، أو ممارسةً لشعار **الحرية الجنسية**، أو مباهاةً بالفحولة والقدرة على الغواية، وقد يصبح التقليد عادة متأصلة. وقد تكون نشأه الغليم فى بيت سوء فيكبر وتنمو معه رغباته وشهواته والعادات التى يعتاد على أن يشبعها بها، أو قد يتربّى فى بيت دين وبين أسرة محافظة فيتمرد على التقاليد ويضرب عُرْض الحائط بالأخلاق ويغالى فى ذلك ويفرط.

وقد يأتى الغليم النساء كمَهْرب من مشاكله ويعتاد على إتيانهن. وقد تدفعه شهوته المُلِحّة إلى أن يشتاع النساء، أو أن ينقلب إلى اللواطة ويدمن المخدرات. وقد تستحيل الغليمة إلى فاجرة شَبِقة تتسقط الرجال، وهى التى يقال عنها **الهلوك**، ومعظم النساء من هذا النوع بغايا يوصفن بالبرود الجنسى أو ما يقال **عُنّه النساء**. ولا ترتوى الغليمة البغى أو العِنّينة بالجماع ولاتبلغ الهزة فيه، وربما ترجع عُنّتها إلى كراهية لاشعورية بها لجنس الرجال، مردها تجارب الطفولة أو على الخصوص مواقفها من أبيها التى يقال لها المواقف الأوديبية. وقد تكون المشاعية الجنسية التى تحياها وسيلة دفاعية تلجأ إليها لكبت هذا الصراع المزمن عندها بين الانفعالات المتناقضة إزاء جنس الرجال، والتى أساسها الصراعات الأوديبية التى كانت تحتدم داخلها تجاه أبيها بين حب وكراهية له، ورغبة فيه ونفور منه، وهى الصراعات التى عاشتها فى طفولتها ولم تحسمها أبدا وعمّمتها من بعد على كل الرجال.

وقد تشتد الغلمة ببعض النساء ويقال لها **جُنّة النكاح** **grave nymphomania**، وقد تتوجه الغلمة بالمرأة إلى النساء من جنسها، **والغلمة النسوية المِثْلية** **homosexual n.** هى أن تشتهى المرأة المرأة وتسرف فى اشتهاء النساء، وكانت **سافو** الشاعرة المشهورة بهذا الانحراف الجنسى تضاجع نحو العشرين امرأة فى اليوم الواحد وتختارهن من بين الحسان ورقيق الغيد من الفتيات. والنقيض للغلمة النسوية المِثْلية هو أن تشتهى المرأة الرجال دائما وباستمرار، ويقال لذلك **الغلمة النسوية الغيرية** **heterosexual n.**. وقد يطلق على الغلمة المِثْلية اسم **الغلمة النسوية المعكوسة** **inverted n.** لأنها بدلاً من أن تتوجه إلى موضوع من الجنس الآخر تكون مقلوبة فتتوجه إلى موضوع من نفس الجنس.

وقد تكون **الغلمة نشيطة** .active n تدفع بصاحبتها أن تسعى للإشباع الذى لا يأتى أبدا، أو تكون **غلمة إسمية**.platonic n فتعتمل الشهوة بنفس المرأة وتستبد بها ولكنها لا تنصرف إلى مجامعة الرجال بل تمارس العادة السرية وتسرف فيها، وتتمثل رجلا بعينه تطالعه بخيالها، وآخر قد تخاطبة وهى تستمنى، دون أن تتورط فى علاقات حقيقية تفضحها وتكشف عن شهوتها.

والغليمة لها بنية مهزولة خريعة، والعرب يسمونها **الهجول** لأنها ذات متاع طويل وواسع، ومن صفاتها أنها قَعِرة لاتكتفى إلا بالمبالغة فى الولوج، وقيل **قعرة** لأنها تجد الغلمة فى قعر فرجها، وقيل إنها يُسمَع لها صوت عند النكاح ويسمونها لذلك **الخبوق**، والخَبَق هو الصوت، وقيل هى **تزخ** الماء عند الجماع ولا تشبع من الجماع قط، وقيل هى **المصوص** التى يمص فرجها قضيب الرجل وماءه جميعا، وهى **الحارقة** التى تقمط من شدة الشبق. **ووجه الغليمة** مسفوط دائما، وصوتها به جرأة وله رنّة فاجرة، وهى كثيرة الحركة، نزقة، ماجنة إذا ضحكت، **جهوُر** أى قليلة التستر، **ومغناج** أى تكثر الغنج أو المجون فى النكاح. وقيل أيضا فى الغليم النكّاح المربع الذى لايلبث أن يعاود المرأة، وهو **القهْر** الذى يتحول من امرأة إلى أخرى قبل أن يفرغ، وإذا جامع يتمأز أى يشتد نعظه ويمتد، وقيل له غُرمول ضخم، وقيل بل هو الصغير الضامر فإذا انتشر عظم، وهو الشديد العَتْر والبطئ الفَتْر والقليل القَطْر، وقد يكون واسع الصدر ضامر الكشح عضلى التكوين ممصوص الوجه، وهو الضاحك الماجن، والخبيث الفاجر، والداعر الفاحش المعترض للنساء.

ويقدم **تنيسى وليامز** فى مسرحيته **«قطة فوق سطح قصدير ساخن»** دراسة متعمقة فى نفسية الغليمة ويحيط بظروفها وبنيتها وماضيها وحاضرها.

والغلْمة تكون بالجِماع أو ببدائل الجماع، ففى **غلمة الصور** iconolagny أو شَبَق الرسوم تكون اللذة الجنسية المتحصلة من اقتناء الصور وتأملها، أو تكون الإثارة الجنسية بالرسوم. ويقتنى الغليم مكتبة كاملة من هذه الصور يشبعه جنسيا أن يطالعها، ويقضى بينها الساعات، وينتقل بينها وكأنه يجامع المرأة تلو المرأة، والغالب أن هذه الغلمة تكون بالإضافة إلى انحراف جنسى آخر وهو هنا التطلّع بالنظر سواء بمشاهدة الأجساد العارية أو تأمّل مشاهد الجماع.

وفى **غلمة السرقة** cleptolagnia تكون الرغبة فى السرقة وإتيانها إلحاحا ممضاً،

ويصاحب فعل السرقة هياج جنسى. وقيل إن السرقة التى ليس لها ما يبررها شكل بديل من أشكال الإشباع الجنسى يدفع إليه الكبت أو الحرمان الجنسى. والسارق الغليم يتلذذ بأنه يُنزل الأذى بالغير ويحس لذلك بشبق إيلامى يُطلَق عليه اسم **غلمة الألم** algolag-nia، وهى التلذذ الجنسى من الألم سواء بإيقاع الأذى بالناس واستحداث الألم بهم وهى **الغلمة السادية**، أو بتلقى الأذى من الغير والتلذذ بالألم يوقعه الغير على المتلذذ وهى **الغلمة الماسوشية**، والأولى يقال لها **غُلمة الألم الإيجابية**، والثانية **غلمة الألم السلبية**.

وغلمة النار pyrolagnia انحراف جنسى المريض به يستثار شبقه لدى رؤية النار مشتعلة متأججة، وربما تكون هناك إحالة بين أوار النار وأوار الشهوة المعتملة فى جسده. ويصف البعض الحب بأنه نار تأكل الجسد، ويقولون عن العاشق إنه **يصلّى بنار الحب**. وقد تكون للحرائق غلمة، وربما يشبعها لدى المنحرف إشعالها، وربما كانت تلك حال **نيرون** وهو يضرم النار فى **روما**، وهى حال الكثيرين من **مثيرى الفتن ومشعلى الحروب**.

وغلمة الروائح osphresiolagnia لذة عارمة يستشعرها البعض لروائح معينة، وغليم الروائح تنشأ معه هذه الغلمة من الصغَر وترتبط بخبرات جنسية. ويحكى **فرويد** عن أطفال يميزون الناس من روائحهم، ويكرهونهم ويحبونهم تبعاً لذلك، فإذا أحبوهم فلأن روائحهم تستهويهم، ومن ثم تراهم يتشممونهم ويتتبعونهم كالكلاب. وقد ننفر من روائح ويتربى عندنا وسواس من ناحيتها فننسب لأناس ماليس بهم تبعاً لما نشمه منهم. وقد تكون هذه وسيلتنا أو حيلتنا لنعبر عن ميولنا السادية، أو ننسب السادية للمحيطين بنا ونتهمهم أنهم يطلقون أرياحا، أو أن لأجسامهم روائح يتعمدون بها أن يضايقونا أو يغثونا أو يمرضونا ويقضوا علينا بها. وقد يتحول الغليم بالدافع السادى إلى نفسه، وينسب لنفسه أنه يتعفن من الداخل بدليل ما يطلق من أرياح نتنة أو ما لجسمه من رائحة كريهة (Worden et al: Nymphomania).

وغلمة الحيوانات zoolagnia لذة جنسية تتصل بمداعبة الحيوانات وباقتنائها، وقد يفرط البعض حتى ليقتنى من الحيوانات العشرات، وقد نسمع أن سيدة كانت تقتنى مائة قطة وتركت لرعايتها فى وصيتها نصف مليون دولار. وغلمة مداعبة الحيوانات تكون بالأطفال وبالكبار، وقد لاينام الطفل إلا إذا احتضن قطته أو كلبه، وربما يستعيض عن الحيوان **بدمية** كالحيوان تعطيه نفس اللذة. والبعض قد تبدأ خبرته الجنسية الغيرية

بمواقعة الحيوانات، ويذكر **كينزى** أن مواقعة الحيوانات واللذة الجنسية المتحصلة منها ربما تكون فى **الريف** أكثر منها فى المدينة، وبين **الفلاحين** أكثر منها بين العمال والمثقفين، وربما كانت لذة مواقعة الحيوانات هى اللذة الجنسية الوحيدة التى تتحقق للبعض بالنظر إلى تعذر أن يقيموا علاقة جنسية مع إناث الإنسان. وتتعشق بعض النسوة الحيوانات وأكثر ما يكون ذلك للكلاب، وقد يواقعن الكلاب، ومن أغرب تعشُّق النساء للحيوان ما قيل من تعشق امرأة لدُبّ، وعلى كلٍ فذلك يدخل ضمن باب آخر هو باب **جماع البهائم**. وربما تتحصل الغلمة من **الربت** على الحيوانات وخاصة حيوانات الفراء، والغلمة هنا **لمسية**، أو تكون **بالنظر** إليه كالغلمة المتحصلة بالنظر إلى الخيل.

غلمة البغايا pornolagnia هى اشتهاؤهن، وغليم البغايا لايطلب الجماع إلا إذا كان مع بغى، أو قد لا يشبعه الجماع إلا ببغى، وربما كان اشتهاء البغايا عن انحراف جنسى آخر، فتكون بالرجل رغبة جنسية مثلية كامنة فلا تظهر لواطته صريحة، ويطلب البغى لأنها موضوع طلب من الرجال، وكأنه باتصاله بها **يتصل بأفراد من جنسه**. وقيل إن الغلمة المتحصلة بإنشاء العلاقات بالبغايا ترضى خيالات البعض سواء من النساء أو الرجال، بالنظر إلى أن أوهام البغاء والإغواء هى أكثر ما يأتى المراهقين من أوهام، والكثير من المراهقات يتخيلن أنفسهن موضوع اغتصاب، أو يتخيلن أنفسهن بغايا، والكثير من المراهقين يتوهمون اغتصاب البنات أو النساء أو الاتصال ببغايا إظهاراً للفحولة وطلباً للتعيش على حسابهن. ولطالب البغى **سيكولوجية** خاصة، وهو مشاعى الجنسية وينفر من الارتباط ويعيش الحرية الجنسية، ولذلك تكون **لقصص** البغايا غلمة، كما **لصورهن** غلمة.

وغلمة التطلع scopolagnia هى اللذة المتحصلة بالتطلّع الجنسى على العرايا أو التبصّص على مشاهد الجماع. وبعض المواخير تجعل هناك ثقوب فى الأبواب لإشباع هذه النزعة لدى الزبائن الراغبين، والمتطلّع ينتصب بالتطلّع ويُمنِى أو يستمنى باليد. وغلْمة التطلع توجد كَعرَض طبيعى أو كعَرَض شاذ، وهى كعرض شاذ يطلق عليها اسم **التطلّع الجنسى voyeurism** (أنظر **التطلّع الجنسى**). وقد تتحصل اللذة للمتطلّع بالتطلّع إلى نفسه فى المرآة، وكان **نرجس** فى الأسطورة اليونانية يتلذذ بالتطلّع إلى عُريه فى الماء، واستغرقه تطلّعه واللذة التى تتحصل له منه فاندفع يطول صورته فمات غَرَقا. وقد تكون لذة التطلّع بمطالعة تعبيرات الغير وهم يطالعونك عاريا، أو وهم يتفحصونك -inspection

ism، وتتأتى حُمرة الخجل من الخوف من أن يكتشف الآخرون ما يعتمل فيك من رغبات محرّمة وميول جنسية. والتطلّع الطبيعى هو لذة متحصلة بالمشاهدة أيا كانت، والمشاهدة تكون بالنظر، إلاّ أن **مطالعة الأشياء** يمكن أن يكون **بالنظر وبأى حس**، وبعض الناس تكون لذة التطلع عندهم أقوى بحس عن بقية الحواس، فقد يكون التطلع **سمعيا فهو التَسمُّع**، والتسمع يمكن أن يكون جنسيا كما أن التطلع قد يكون جنسيا. والتطلع قد يكون **شمّياً فهو التشمّم الجنسى**، ويكون **مذاقيا** فهو **التذوق الجنسى**، ويكون **لمسيا** فيكون **التحسس الجنسى**، وتفسير ذلك أن الحس الأقوى يحدث له **فرط حس** sensitization. والتطلع الطبيعى هو الذى يرتقى ويتسامى عند البعض فتكون لذته المتحصلة **جمالية** (التطلع للصور أو رسم الصور) أو تكون **معرفية** (التطلع بالتعرّف إلى مكونات الأشياء وماهيتها وهو أساس المعرفة والعلم).

وغلمة البراز coprolagnia لذة تتحصل بتناول البراز باليد أو مشاهدة براز الآخرين. وشبيه بها **غلمة التبول** urolagnia. وفى بعض اضطرابات الذُهان قد يتناول المريض برازه أو يشرب بوله. وبعض المرضى يكتنزون برازهم ويحافظون عليه كشئ ثمين. وغلمة البراز من بقايا **المرحلة الشرجية** وفيها تتركز اللذة فى **الشرج** وتتحصل للطفل لذة شبقية من عملية التبرز وشقاها اثنان، الأول **إخراج البراز** والثانى **استبقاؤه**، وقد يتثبت أى من الشِقّين فتتكون سمات للشخصية **إخراجية** تتمثل فى سماحة الطبع والكرم، أو سمات **استبقائية** فيكون البخل والاكتناز والانضباط والميل إلى الانطواء. **وغلمة التبول** من مخلفات **المرحلة القضيبية** عندما يكون الشحن الجنسى أقوى فى القضيب من سائر الأعضاء، فتكون اللذة **جنسية**. والاستمتاع بالتبول قد يقترب من الاستمتاع الجنسى، وبعض الناس ينتصبون مع التبول، والبعض قد يمنى فى الجماع الصحيح ثم يجد رغبة بعدها فى التبول. وفى **غلمة إشعال الحرائق** تفسر اللذة المتحصلة من عملية إطفائها بالماء بأنها لذة تبوّل حيث الماء واحد فى العمليتين، وبعض الناس يجدون لذة فى إطفاء النار بالتبول عليها، وتشبه النار **الرغبة الجنسية**، والبول الذى يصبّ عليها كما لو كان **المنى** (ماء الرجل) يقذفه الرجل إطفاء للرغبة.

ولذة البراز قد تكون بالبعض **لذة بالكلام الجنسى** القذر الذى يكثر فيه الشخص من ذكر الشرَج والبراز والفرْج والبول. **والكلام الوسخ** coprolalia عرَض من أعراض

الفُصام حيث يثرثر المريض به كما لو كان يتناول بيده البراز يلهو به. ويذكر **إرنست جونز** أن **الكلام البذئ** coprophemia قد يكون فعلا جنسيا خالصا يكتفى به الشخص دون الجماع ويتوجه به للمرأة فكلما امتعضت زاد هياجه وزادت بذاءته، وقد يُمنِى دون أن يدرى أثناء ذلك (Jones: International Journal of Psychoanalysis I).

والغلمة النفسية psycholagny هى لذة التصور، وهو التصور الجنسى بتخيّل مشاهد جنسية وأجسام عارية وأحاديث شبقية. **ولذة التصور أو التخيل الجنسى هى التى** تستحث الاستمناء باليد، وقد يُمنِى المتلذذ ذاتيا من شدة الإشباق. (أنظر **التطلع الجنسى وتعشّق البراز وهوس إشعال الحرائق وهوس السرقة**).

❋ ❋ ❋

- ٤ -

اللــواط Sodomy

اللّوطى sodomite هو الذكر يأتى الذكران، واللّوطية أيضا هى الأنثى تباشر الإناث، والأفضل أن نطلق على الاثنين اسم المثْلى أو المثْلية الجنسية homosexual، والمصطلح علمى، ويعنون به الميول الجنسية نحو الأمثال دون غيرهم، فالذكر يميل إلىٰ مرافقة الذكور، والأنثى تهوى الإناث، من homo بمعنى المثيل. **واللواط** أصلا انحراف جنسي يختص به الذكور، فإذا قصدنا إلى مايخص الإناث قلنا **اللواط الأنثوى**، ونعنى به **اللزبيانية** lesbi-anism نسبة إلى جزيرة **لزبوس** الإغريقية، وكان نساؤها يساحقن ويشيع بينهن السِحاق أو اللواط الأنثوى، شيوع اللواط بين قوم **لوط** فى فسلطين، فى بلدة يقال لها **سدوم** So-dom ومنها كان المصطلح sodomy.

ولقد جاء ذكر **قوم لوط** فى **القرآن** «ولوطا إذ قال لقومه أتاتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين. إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون» (**الأعراف** ٨٠ – ٨١).

واللواط من أكثر الانحرافات الجنسية شيوعا وأشدها إثارة للجدل، والآراء حوله متضاربة بين العلماء من أهل العلم والعلماء من أهل الدين. ويروى أن **النبى** صلى الله عليه وسلم قال «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوه الفاعل والمفعول به» (رواه أبو داود

والترمذى والنسائى وابن ماجة عن عكرمة عن ابن عباس). وفى سورة **النساء** «واللذان يأتيانها منكم فآذوهما، فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما» (الآية ٢٦)، قيل إنها نزلت فى **اللواط يكون بين الذكور**، مثلما نزلت الآية « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم، فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا» فى **اللواط يكون بين النساء**.

ويتناقض مع الموقف الدينى السابق ماكتبه **فرويد** رداً على سيدة أمريكية أرسلت إليه تستفتيه فى أمر ابنها اللوطى، وكان ذلك قبل وفاة فرويد بأربع سنوات فقال لها: فهمت من خطابك أن ابنك لوطى. وتأثرت منك أنك لم تذكرى ذلك صراحة حيث تجنّبت استخدام هذا المصطلح «**لوطى**». وربما سأسألك لماذا تجنبت أن تصفيه صراحة بهذا الوصف. إن اللواطة ليست شيئا يمكن أن يفاخر به أحد، ولكنها أيضا ليست شيئاً يمكن أن نستشعر منه الخزى. وليست رذيلة ولا هى بالشئ الذى يجلب على صاحبه العار، ولايمكن أن ندرجها ضمن الأمراض، وإنما نحن نعتبرها اختلافا فى الوظيفة الجنسية يترتب على تعطّل النمو الجنسى. والكثيرون من العصور القديمة والعصر الحالى كانوا يمارسون اللواط ولم يقلل ذلك من احترام الناس لهم، ولعل من أبرزهم **أفلاطون وميخائيل أنجلو وليوناردو دافنشى**. ومن الظلم الفادح أن نقول عن اللواط أنه جريمة، ومن القسوة أن نَسِمُها بهذه السمة، وإن لم تصدقينى فاقرئى كتب العلامة **هافلوك إليس**. ولقد سألتنى ما إذا كان بإمكانى أن أساعدك، وكأنك تطلبين منى كما أظن أن أمحو اللواط من الوجود وأحلّ محلّه العلاقات الجنسية العادية بين الرجال والنساء. وجوابى على ما سألت أنى لاأستطيع ذلك. وبرغم أنى نجحت فى عدد محدود من الحالات أن أنمى فى اللواطى ما فيه من ميول نحو الجنس الآخر، إلا أنى فى أغلب الحالات عجزت عن إحراز أى تقدم. ويبدو أن نتيجة العلاج تتوقف على **شخصية المريض وعمره**، ومن غير الممكن التهكن بما ستكون عليه من نجاح. وما يمكن أن يفيده التحليل النفسى ليس هو بالضبط ما تطلبينه، فإذا كان ابنك تعيسا أو مريضا بالعُصاب، أو يعانى من الصراعات، أو لايعيش حياته الاجتماعية بالشكل المطلوب، فقد يصالحه التحليل على نفسه ويعيد إليه السلام الذى يفتقده، ويجعله أكثر توازنا وأقدر على مواجهة الحياة سواء ظل كما هو لوطيا أو تغير....»

ونلحظ أن **فرويد** ينبه إلى أن اللواط ليس **عُصابا** ولايمكن اعتباره **جريمة خُلُقية**، ولا إثما

يحاسب عليه اللواطى، ولكنه فى نفس الوقت يعترف بعدم جدوى أى علاج يقدم له، وينصح بنوع من العلاج مختلف، به لايعود اللوطى يستشعر الخجل من اتجاهاته الجنسية، وينخرط فى الحياة بكل طاقته من غير أن يُشغَل بمناقشة ما به ومُداراته عن الناس، فالأولى به أن يكون سعيدا بما هو عليه على أن يقضى عمره فى محاولة تغيير نفسه، وذلك موقف تبنته **المدرسة الوجودية** فى علاج اللواط بعد أن فشلت كل محاولات العلاج وتبينَّ تعذّر، بل استعصاء، هذا الاضطراب على كل أنواع العلاج، سواء النفسية أو السلوكية أو البيولوجية، برغم بعض التقدم الذى أحرزته بعض البحوث وإن كانت تحتاج إلى المراجعة، وذلك يرجح الحل الاجتماعى للواط والذى يطرحه **الدين**، فقد يكون فى **العقاب** نوع من العلاج قد لا تقره المذاهب النفسية صراحة، إلا أنها تقول بما يشبهه، **فالعلاج بالتنفير** يقوم على إيذاء اللوطى لرغباته خلال الجلسة بواسطة صدمه كهربية، وتشجيعة على العكس أن يتبنى رغبات سوية وينطبع بها سلوكه، ولم يثبت من المتابعة أن هذا العلاج قد أفلح نهائيا، فى حين أن العلاج بالعقاب قد تواترت الأخبار منذ القِدَم بنجاحه، وإن كان ذلك يستلزم أيضا الكثير من الوقت ويرافقه باستمرار **علاج دينى مساعد**.

واللواط مشكلة عالمية. ولا توجد بلد أكثر من بلد، ولا جنسا أكثر من جنس فيما يخص انتشار اللواط، وإنما هو العرف قد يتغاضى أو يتجهم للمارسات اللوطية، ففى **قوم لوط** كان ذلك شيئا عاديا حتى أنهم جملة لاحقوا ضيفيْه، ويهول لوط مايريدونه فيعرض عليهم أن يزوجهم من بناته، واستلزم إنقاذهما تدخل السماء، فأنزل الله بهم العقاب الذى ما تزال آثاره موجودة بسدوم حتى اليوم.

واللواط يمكن اكتشافه مبكرا فى الأولاد، فالطفل تظهر عليه الميول اللوطية من نحو سن **الرابعة** من خلال الألعاب الإيهامية، غير أن العلامات الأكيدة تكون فى نحو **الرابعة عشرة** عندما يتعلق بالأولاد الأكبر سنا، ولا يميل إلى الألعاب التى تتطلب احتكاكا جسميا، ويحب الملابس النسائية الداخلية والعطور الحريمى، وعادة ما يحصل عليها سرا من دولاب أخته الكبرى أو أمه، وذلك دليل إكلينيكى على تعَّين بالأم يشابه ما يصنعه فى سن الخامسة مثلاً عندما عندما يجرب أن عندما يجرب يلبس حذاء أمه عالى الكعب، وقيل إن هذا السلوك هو علامة على الاتجاهات اللوطية.

وفى سن **الخامسة عشرة** قد يستمر الولد فى العزوف عن التعرف إلى البنات مع أنه

ينبغى أن تكون به رغبات جنسية تدور حولهن، وأن تهفو نفسه أن يحب، فإذا لم تكن هناك شكاوى من الولد بهذا الخصوص فقد يكون ذلك مؤشرا خطيرا، وهنا ننبه إلى أن بعض الأولاد قد يبدو أنهم غير مهتمين بالبنات، ولكن عدم اهتمامهم ليس بسبب الميول اللوطية وإنما عَرَض عُصابى مداره الخجل.

واللواط **لايورث** لسبب بسيط، هو أن اللوطى غالبا لايتزوج، ومن ثم فلا فرصة هناك أن تكون له ذرية تأخذ عنه اللواط كسمة وراثية. وأيضا فإن احتمال الوراثة أمر قائم فيما يخص الناحية الهرمونية، إلا أن ولادة طفل بخاصية هرمونية معينة لاتتحدد بها اختياراته الجنسية، فمثلا ثبت أن الهرمونات الأنثوية تزيد عند المأبون بينما تزيد الهرمونات الذكرية عند المرأة اللزبيانية، ومع ذلك لا نستطيع الجزم بأن هذه الهرمونات الزائدة هى التى تدفع المأبون إلى أن يأتيه الذكران، أو أنها التى تجعل اللزبيانية تباشر الإناث. وكذلك قد يبدو أن للمأبون شكلا جسميا خاصا وكأنه البنت، من حيث خلو الجسم من الشعر ورقة الصوت والسمت، ودقة الهيكل العظمى وسعة الحوض وامتلاؤه، وامتلاء الصدر، وذلك صحيح فى ٣٠٪ من الحالات، إلا أننا أيضا لا يمكن أن نقول إن تكوينه العضوى هو السبب فى شذوذه الجنسى، مع أننا نعرف أن هذا التكوين هو الذى جعله يعزف عن أن يلعب ألعاب رفاقه الخشنة، وهو الذى جعلهم لا يشركونه معهم، وهذا الاجتناب من جانبه وجانبهم كان له أثره فى انحراف سلوكه. والصواب أن نُرجِع اللواط إلى **الأسباب النفسية**. وقيل إن اللواط اتجاه يترتب كدفاع نفسى ضد الخوف اللاشعورى من النساء، فيتحول الشخص إلى الذكور للإشباع الجنسى. وهذا الرأى هو **خلاصة آراء أصحاب التحليل النفسى**. ويتعين الولد الذى سيصبح لوطيا بأمه أو ببدائلها، ومن ثم سيكون عليه أن يبحث كموضوع لحبه عن شخصٍ من بين الذكور، بينما **الولد السوى** يتعين بأبيه، ويبحث لنفسه عن فتاة يجعلها موضوعا لحبه والولد اللوطى يبدأ معه الخوف من النساء مبكرا ويتعين بهن طبقا لميكانيزم «التعين بالمعتدى»، وبسبب أمه المتسلطة وتحييدها لدور الأب فى الأسرة يستقر فى وجدانه أن الذكور لاخوف منهم، وإنما الخوف يكون دائما من الإناث، بالإضافه إلى أنه ربما كانت هذه الأم المتسلطة تريد بنتا وتعامله كبنت. وفى حالة البنت اللزبيانية يكون تعّين البنت بالأب وبجنس الذكور.

والولد الذى ينشأ فى بيت منحلّ خُلُقيا يمكن أن يصبح لوطيا لو كان الأب كذلك، ولكن لا تأثير عليه إذا كان معنى الانحلال الخلقى أن هناك الكثير من السِباب والتفكك العائلى

والخلافات والنُكت البديئة والحكايات الجنسية، وذلك جو خلقى يقلل من المحرمات والمحظورات بالنسبة للصبى أو البنت، ولكنه لايجعل منه أو منها لوطيا أو لزبيانية.

والمأبون ليس دائما كالبنت يتأودّ ويتقصّع، ومن الصعب تمييزه إلا إذا كان متشبهاً أى يتصرف تصرفا معاكسا لجنسه، كأن يسلك سلوك الإناث faggot behaviour، أو تسلك الأنثى سلوك الذكور dyke behaviour. والكثير من المأبونين **رياضيون** لهم هيئة رجولية، والقلة هى التى لها هذا السمت الأنثوى، وهو مايجعل الكثيرين يقولون إن للمأبون شكلا خاصا. والواقع أننا جميعا بنا عناصر جنسية مثلية وغيرية، وأننا نقترب من الأنوثة أو الرجولة بحسب غلبة أى من هذه العناصر. وهذا المكّون الجنسى المِثلى هو المسئول عن الرقة ودماثه الخُلُق فى الرجال، وكذلك فإن المكّون الجنسى الغْيرى هو الذى يجعل الرجل يسلك ذكوريا ويدفع المرأة إلى التصرف كالرجل.

وغالبا ما تكون للوطى **سمات نفسية**، فمثلا لا يحب المأبون أن يكون معتديا، ويكره العنف، ويميل نحو الفنون الجميلة، ويطلقون عليه اسم «**المرح gay**»، والحياة المرحة التى يختارها ليس فيها أن يهتم بالغد أو يكنز المال. والمأبون دائما يحب الضحك والكوميديا والألوان البهيجة والموسيقى الزاعقة. والكثير من المأبونين يمتهن مهنا فيها هذا الاتجاه المرح، كأن يكون المأبون موسيقيا أو رساما أو خياطا أو حلاقا للسيدات.

ولاشك أننا جميعا بنا مكونات لوطية لاشعورية وذلك لأننا جميعا ننحدر من أبوين أحدهما ذكر والآخر أنثى. ويذهب التحليل النفسى إلى أن حبنا لأحد الوالدين دون الآخر وإيثارنا لأخ أو لأخت دون بقية الإخوة والأخوات، يقوم على أساس لوطى، وهذا الأساس لاشعورى. ولعل هذه **الميول الكامنة** تظهرها **الخمر** عندما يجتمع عليها الأصدقاء، فبعد أن تذهب الخمر برءوسهم تنفك عقدة ألسنتهم وتقل رقابتهم على أنفسهم وتخرج هذه الميول فى شكل **أحضان وقبلات بينهم، وشكاوى** يتحدث بها المأبون. وقد يتعلق الشاب برجل وتُظَن العلاقة بينهما سوية أو قد تبدو كذلك. وقد تخرج **اللواطة الكامنة** وتعبر عن نفسها صراحة فى إعجاب بعضنا بالرجل الأنيق أو المتحدث البارع أو الرياضى المتميز. ولاشك أن الرجل الكثير التندّر بحكايات المأبونين والمقلّد لهم فى حديثهم وحركاتهم أثناء سرد النادرة أو النكتة به لواطة وإن تكن كامنة. وقد تُخطَب الفتاة فإذا اقترب موعد الزفاف فقد تَفسخ الخطبة لميولها اللوطية الكامنة نحو جنسها والتى تجعلها تنكص عن إتمام زواجها. وقد يكون الخطيب له السمت المتأنث ويميل إلى اللواطة، فيرهب الزفاف لأنه سيفضح

ميوله، ويتعلل بمختلف العلل ليؤجل الزواج أو يفسخ الخطبة. والكثيرون من الرجال الذى نسمع عن خطبتهم لمرات عديدة وفسخ الخطبة بعد الأخرى، يعانون من اللواطة الكامنة. وغالبا مايكون للرجل صديق يستشيرة ويأتمر بأمره ويعرف عنه الناس ذلك. وقد نسمع أن صديقا يخون صديقه مع امرأته، ويعرف الزوج بالقصة وقد يتشاجر ولكنه يصنع ذلك فى حدود بحيث تستمر العلاقة، وذلك لأنه لاشعورياً كان يرغب أن تكون هذه العلاقة معه هو وليس مع زوجته.

واللواط قد يجعل اللوطى عاجزا جنسيا مع النساء ولكنه يأتى الذكران. واللوطى قد يتزوج بتأثير الضغوط الاجتماعية، وقد ينجب، وقد تجتمع فيه الرغبات في جنس النساء والرجال معا، وقد يؤثر أيهما على الآخر، أو قد يؤثر فى فترة أحدهما على الآخر، وقد يعانى هذا الشخص **الثنائى الجنسية** من الصراعات بين الاتجاهين فى نفسه. ولربما يجعل العجز الجنسى الرجل لوطيا، وربما يكون العجز الجنسى مترتبا على اللواط، وغالبا مايكون العجز الجنسى عَرَضا عُصابيا، وبعض المصابين باللواط يعانون من العُصاب النفسى. ويصدق ذلك أيضا على اللواط الأنثوى، إلا أن المرأة الباردة جنسيا نادرا مايدفعها برودها الجنسى مع الرجال إلى ممارسة اللزبانية مع النساء، وإذا فعلت ذلك فلأن فشلها فى الزواج كان بسبب ميولها الكامنة.

واللوطى لا يحب النساء، ولا يفهم بسبب إقبال الرجال على النساء، ويشكو من أن النساء يجذبن الرجال الذين يحب أن تكون علاقته بهم، فلا يتبق إلا أنماط أقل جودة. ويروى **جان جانيه** أحد مشاهير المسرح الفرنسى الحديث، وهو **مأبون**، أنه كان لايجد من يعجب به من الرجال إلا أنواع البحارة الذين يشكون من قلة المال وبهم عاهات أو تشوهات. وكذلك تكره اللزبيانية الرجال، إلا أن كراهية اللزبيانيات للرجال أشد من كراهية المأبونين للنساء، وذلك أن اللزبيانية تنافس الرجل فى العمل وتفرض نفسها عليه، بينما المأبون لايمتهن مهن النساء ولايدخل فى منافسة معهن على العمل.

واللوطى قد يحب **المأبون**، وقد يغار عليه المأبون، وقد يكون حبهما أقوى من الحب السوى بين الرجل والمرأة، وذلك لأنه يخلو من هموم الزواج حول الأولاد ومستقبلهم. وكذلك قد تغار المرأة «الأنثى» على المرأة «الذكر» إلا أنه قد لوحظ أن الذكور فى اللواط قد يملّون بسرعة ويحبون التغيير، بينما النساء فى **اللواط الأنثوى** أكثر استقرارا، وبينما قد يبحث

اللوطى يوميا عن شريك فإن اللزبيانية قد لاتكون لها علاقة بأكثر من امرأتين أو أربع طوال حياتها.

واللوطى يُشغَل بالجنس أكثر من الأسوياء، والسوىّ قد يصرف طاقته فى عمله، إلا أن اللوطى بحكم الحياة المرحة التى يحياها ليست له هذه الشواغل الدنيوية، وخاصة **المأبون**. وهو يرتاد تجمعات أمثاله أو يُدَعى إلى حفلاتهم، ودائما لديهم حفلات واجتماعات وسهرات. واللوطى عموما لايستقر على شريك واحد بينما اللوطية أو اللزبيانية قد تكتفى بشريكة واحدة.

ويبدو أن هناك علاقة بين اللواطة **والإبداع الأدبى أو الفنى** طالما أننا كلما تعمقنا حياة الكثيرين من الشعراء والكتاب والمفكرين والرسامين نجد أنهم إما لواطتهم سافرة أو يصدرون فيما يبدعون عن لواطة كامنة. وتذهب **مدرسة التحليل النفسى** إلى تفسير **الإبداع** بأنه النتيجة للصراعات اللاشعورية التى تعبر عن نفسها فى العمل الفنى أو الأدبى، وهذه الصراعات جنسية وتميل إلى أن تطبع الأعمال الفنية والأدبية بطابعها الجنسى. واللوطى به الكثير من الاستعراضية، وذلك ما يجعله يحب الألوان الزاهية والسلوك أو المشية التى تلفت إليه الانتباه. ومجال الأدب والفن هو من المجالات التى قد يمارس فيها اللوطى استعراضيته، ولهذا يمتهن الكثير منهم مهنة **التمثيل**، أو **عَرْض الأزياء**، أو **الخياطة**. وتعجب **سيمون دى بوفوار** من تفشّى اللواطة بين أوساط الفنانين. واللواطة هى التى تجعل الرجال يبزّون النساء فى المجالات النسائية كالخياطة والطهى، فأعظم الطهاة والخياطين هم من الرجال ويشتهر عنهم اللواطة. وقد نحسب لهذا السبب أن اللوطى أكثر **ذكاءً** من غيره وهذا غير صحيح، وإن كانت حياة اللوطى المرحة وشطارته كمحدِّث وممثل تجعلنا نُبهَر به ونحسبه أذكى، إلا أن نمط حياته والأحاديث التى يتقنها إنما هى فى الواقع لاتصدر عن تفكير أعلى بقدر ماتصدر منه **كدفاع** ضد نبذ المجتمع له.

وعلاج **اللواط** صعب، ويكاد يكون بلا نتيجة ويستغرق وقتا، ولايجدى **العلاج بالتنويم، أو بالإيحاء، أو بالإقناع**. **والعلاج العملى الوحيد هو العلاج النفسى العميق** للكشف عن الصراعات العميقة فى حياة اللوطى. **والعلاج الجماعى** باجتماع عدد من أصحاب الممارسات اللوطية تحت إشراف المعالج لمناقشة حياتهم ومشاعرهم واهتماماتهم، غير أن اللوطى وحده **لايمكن أن يطلب العلاج** وإنما هو يُدَفع إليه بضغط من أقاربه، ولهذا لايجدى

العلاج معه، بمعنى أن أى علاج نفسى لن يكون بهدف تغيير أسلوب التعبير الجنسى عنده، وإنما يساعده العلاج النفسى ليقلل من قلقه وتوتراته وإحباطاته وشعوره بالقصور، ويجعله أكثر كفاءة وتقّبلاً لحياته بحيث تزيد ثقته فى نفسه، ويزيد إقباله على التفاعل اجتماعيا مع الناس. وأحيانا يلجأ المعالج إلى وسائل كالعلاج المهنى والعلاج بالصدمة والعلاج بالهرمونات(أنظر **الجنسية المثلية واللواطة النسوية**).

* * *

- ٥ -

اللواطة النسوية Lesbianism

قيل إن امرأة تدعى **سافو** كانت تقرض شعرا فى القرن السابع قبل الميلادى فى إحدى جزر اليونان ببحر إيجه يقال لها جزيرة **لزبوس**، وكان شعرها يتغنى بحب النساء وغرامهن. وقيل أن **سافو** هذه كانت تجمع القيان والحسان وتواقعهن مواقعة الذكر للإناث، وأن شعرها ذاع لذلك كما يذيع **الأدب المنحل**، يتندر به الرجال فى مجالسهم، أو تتهامس به النساء، وصار اسم **لزبوس** علما على هذا الانحراف الجنسى فيقال اللزبيانية نسبة إلى لزبوس، ويقال أيضا **السافية saphism** نسبة إلى **سافو Sapho**، وليس ما يمنع أن يشيع الإسمان فى العربية فقد شاع اسم **اللواط** نسبة إلى قوم **لوط** الذين كانوا يواقعون الذكران.

وقيل إن النساء فى **جزيرة لزبوس Lesbos** كن أكثر من الرجال، وأن الزواج عزّ فيها، وأن البنات كن يكبرن فى العمر بلازواج حتى يعنسن، وأن سافو تصرفت فى حدود ما يمكن أن يفعله أى إنسان فى ظروف غير مواتية تجعل سلوكه يشذ أو ينحرف، وأنه فى مجتمعاتنا الحديثة وفى أوقات الحروب بالذات ينتشر اللواط بين الذكور فى التجمعات الذكورية كما فى **الجيوش أو السجون**، وذلك لأن اللواط يكون المنصرف الجنسى المتاح. وكذلك إذا غلب عدد النساء على عدد الرجال، أو إذا خلت القرية أو المدينة أو التجمع السكانى من الرجال كما فى الحروب أو فى السكن الداخلى للبنات أو الأديرة، فقد يشتد الشبق ببعض الإناث ولايجدن موضوعا لشبقهن إلا الإناث أمثالهن. ولقد عانت **ألمانيا** بعد الحربين العالميتين من انتشار **اللزبيانية** بين النساء حتى صارت من الموضوعات المطروقة فى **الأدب والسينما**. وتذهب بعض الباحثات إلى تفسير انتشار اللواط الأنثوى أو اللزبيانية

بين طالبات المدارس والجامعات وفئات المدرسات، وخاصة في المدارس الداخلية أو حيث تكثر مساكنه النساء لبعضهن البعض، إلى تأثير **تعاليم التحرر النسائية** التي عمّت العالم المتحضر، وخاصة المجتمعات الصناعية، وأدت إلى **كراهية المرأة لدورها الأنثوى** وتمردها على الاتجاهات الجنسية السائدة وتقاليد الزواج وسلبية النساء المعتادة، الأمر الذى حدا بالمرأة **«الجديدة»** أن تؤكد إيجابيتها واستكفاءها بذاتها، بأن راحت تثبت بمختلف الطرق أنه يمكن أن تعيش في دنيا نسائية وأن تشبع الجنس عندها إشباعا «مثليا» أى بواسطة نساء مثلها كتصرف يؤكد تحررها ويخلّصها من ربقة الزواج وسيطرة الرجل.

ويقول **كينزى** إنه من بين العينة التى استقصى فيها حالات اللزبيانية كان ١٧٪ فى السن حتى الثلاثين، منهن ١١٪ جرّبن الإنعاظ ولو لمرة واحدة، وتزيد النسبة إلى ١٩٪ عند النساء فى الأربعين، منهن ١٣٪ جربن الإنعاظ أكثر من مرة. ولاتقبل المتزوجات على الخُلْطة، فبينما كانت ٣٪ من نساء العينة مخالطاتت مع أنهن متزوجات، فإنه من بين المطلقات كانت ٩٪ مخالطات، أى لزبيانيات.

وقد تستمر هذه اللواطة النسوية **بعد الأربعين**، وكانت ٤٪ من بين نساء العينة من غير المتزوجات يمارسنها **حتى الخمسين**. ويقول **كينزى** إن المخالطات أو اللزبيانيات قد يواقعن بعضهن نحواً من **سبع مرات فى الأسبوع فى المتوسط**، وأن هذه المواقعات ربما تزيد لأكثر من ذلك كلما تقدّم السن باللزبيانية، وقد تستغرقهن المواقعات لبعض الوقت، ويعقب ذلك فترة من الامتناع. ونكاح اللزبيانيات من شأنه أن يبلغ بهن **الإنعاظ** غالبا **لأنه نكاح بظرى** وليس جماعا مهبليا كالجماع بين الرجل والمرأة، بمعنى أن المرأة قد تمتطى المرأة بوضع عكسى أو قد ترقد إلى جانبها بوضع عكسى كالرقم 69 بحيث تطول كل منهما الأخرى بلسانها، فتمص به بظر الأخرى وتلعق حوله، وقد يجعلهما ذلك يبلغن الإنعاظ بسرعة، فى حين أن إنعاظ الأنثى من الجماع بذَكَر قد يتحقق متأخرا، وقد لا يتحقق إطلاقا.

واللزبيانية تُخلِص للزبيانية التى تتعشقها، والغالبية منهن لاتكون للواحدة **إلا عشيقة واحدة** فى العمر، والقلة قد تجمع بين عشيقتين، ومن النادر أن تكون للزبيانية علاقات متعددة تزيد على **الأربع** فى حياتها، وذلك على عكس اللوطى فهو دائم التغيير، وقد يكون له علاقات مع عشرات من الرجال، وبعضهم له علاقات يومية بذكور متجددين.

واللزبيانيات يكثُرن عدداً مع ارتفاع مستوى التعليم، **وأعلى نسبة عددية** هى نسبتهن

بين خريجات الجامعة. وكذلك تكون اللزبيانية بين نساء **الطبقات العالية** وتقل بين نساء الطبقة العاملة والعاملات، وبين نساء **الحضر** عنها بين نساء **الريف**. ويبدو أن **الدين** يباعد بين المرأة وأن تمارس هذا الانحراف، وأن النساء المنحدرات من أوساط متدينة يعصمهن الدين عن ممارسة اللزبيانية حتى لو كانت المرأة عانسا أو مطلقة أو أرملة.

وتلجأ اللزبيانيات فى بداية التعرّف إلى التقبيل والتحسيس على كل الجسم، وقد تزيد المداعبة إلى دلك الثديين ومصهما ودلك البظر. وفى ٩٥٪ من الحالات قد تشمل المواقعة التقبيل ودلك الثديين والبظر، وفى ٧٧٪ من الحالات قد يكون من التقبيل مص الشفتين واللسان ولعق الفرج وإدخال اللسان فى المهبل. وبعض اللزبيانيات يستخدمن حديثا ما يشبه **القضيب** تضعه المرأة بحزام حول الحوض وتجامع به كالرجل، ومثلها إذا ضاجعت الأنثى تطلب منها أن تدخل أصابعها فى فرجها كبديل للقضيب، ويبدو أن هذا النوع ربما يكون إنعاظه من توهم اللذة بالإيلاج. وقد تشعر اللزبيانية باللذة إذ تدخل شريكتها إصبعها فى شرجها أو تلعق حول الشرج بلسانها.

واللزبيانية كمعادل للواط بين الذكور أقل وقوعا بنسبة **النصف** تقريبا. وتدين الديانات جميعها اللزبيانية واللواط ويذكر الله تعالى فى **سورة النساء الآية ١٥** «واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعه منكم فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا». ويذهب أهل التفسير إلى أن هذه الآية قد وردت فى اللزبيانية أو فى **السحاق** كما يحب أن يطلق عليها بعض المفسرين، إلا أن **السحاق** tribadism طريقة من طرق إتيان اللزبيانيات لبعضهن البعض، وهو أن تركب المرأة المرأة وكأنها الرجل وتسحق فرجها بفرج الأخرى، ومن ذلك أيضا **التباظر** cli- torism وهو أن يحتك منهما البظران، والبظر عند اللزبيانية يتميز بالضخامة وكأنه القضيب، وهو أداة شهوتها وليس المهبل، واللزبيانية تمارس **التباظر** لهذا السبب وهو أن تدلك المرأة الأخرى بظرها باليد، كالاستمناء باليد عند الذكور. وكان **رسول الله صلى الله عليه وسلم** يقول «لاينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولايفضى الرجل إلى الرجل فى ثوب واحد، ولاتفضى المرأة إلى المرأة فى الثوب الواحد».

ويؤثر الكثيرون استخدام **السحاق** بمعنى اللزبيانية، ويبدو أن **السحاق** هو الاسم الذى اشتهر حتى الآن فى العربية، والأفضل أن نقول الجنسية المثلية الأنثوية female ho- mosexuality (**أنظر الجنسية المثلية الأنثوية**).

ويبدو أن الجنسية المثلية الأنثوية، أو اللزبيانية، أو السحاق قد تدفع إليها أسباب كثيرة، فالبنت التى تنشأ فى كَنَف أم مسيطرة تعتدى على دور الأب فى الأسرة وتقلصة قد تتعين بأمها، وتنشأ البنت على حب الأم وجنس النساء دون جنس الرجال. وقد تنشأ البنت وسط إخوة ذكور فتميل إلى التصرف مثلهم وتعتاد على التنافس مع الذكور وتحب أن تكون لها علاقات بالبنات كما يفعل الأولاد، وقد تخطب ود البنات أو يخطب البنات ودها، وتنفر من أيه علاقة جنسية غيرية. وقد يكون السبب فى انحراف البنت هذا الانحراف أن تنشأ بين أبوين كانا يتمنيان أن يكون لهما ولد، فلما رزقا بالبنت عاملاها كولد، ولربما كانا يلبسانها كالأولاد، ويطلقان عليها اسم صبى. وتنمو البنت بإحساس الولد، وتُوَجه فى الحياة وجهة الذكور، وتنطبع بالنمط الجنسى الذكورى، فتسعى للإشباع الجنسى من خلال علاقات مع الإناث من أترابها شأنها شأن الأولاد الذكور. ولربما تنطبع البنت بالنمط الجنسى الذكورى بتأثير الأم أوبتأثير الأب وتقلّد هذا النمط بالعدوى.

ولربما تختار البنت اللزبيانية أو السحاق لأنها غير مطلوبة من الذكور بسبب **دمامتها**، وقد يكون السبب **خجلها** من الذكور أو **خوفها** من عدوانيتهم أو من توقع أن تفشل معهم كأنثى، وربما تحس بقصور فى شخصيتها، أو قد تنصرف عن اشتهاء الرجال لعدم معرفة بهم لأى سبب من الأسباب، أو لأنها تعيش فى مجتمع نسائى مغلق بمعزل عن الرجال، ولو أتيحت لها فرصة أن تتعرف بالرجال لكانت رغباتها الجنسية طبيعية ولما انحرفت هذا الانحراف. ولقد اشتكى لى أحد المشتغلين الثقات بأنه اكتشف انتشار السحاق بين بنات المدارس والشابات المتزوجات فى إحدى **قرى الصعيد** نتيجة هجرة شباب هذه القرية والأزواج صغار السن الى دول البترول العربية هجرةً تكاد تكون جماعية. ويلفت الانتباه فى قصة **سافو** وبناتها أنهن قد غلب عليهن هذا السلوك الجنسى المنحرف بعد أن **زاد عدد النساء** فى مجتمع جزيرة لزبوس عن عدد الرجال.

وتقول **فيليس ليون** فى كتابها المرجع عن «**المرأة اللزبيانية**»: إن الناس يولدون جنسيون وكفى، وهم لايولدون مثليو الجنسية أو غيريو الجنسية وإنما **جنسيون**. وتتوقف الاتجاهات الجنسية عند البنت على ظروفها الشخصية وخبرات حياتها وانفعالاتها بهذه الخبرات. وهى تدرك أنها مختلفة بالتدريج وببطء، وتتبين أنها تستجيب جنسيا بطرق تبدو غير مألوفة من الآخرين، وإنْ بدت لها أنها طبيعية مع نفسها. وقد يبدأ هذا الإدراك معها مبكرا جدا فى

حياتها، وربما وهى فى **الخامسة** وهى لم تعرف شيئا بعد عن الفعل الجنسى، ولا يهمها فى شئ، إلا أنها تلاحظ أنها يستهويها البنات الصغيرات أو ربما بنتا من البنات حولها. وقد تلعب مع الصبية وتحس أنها إذ تلعب معهم وتتواجد بينهم أنهم رفاق وأنها تحبهم، ولكن ماتحسه بالنسبة للبنات أو لهذه البنت بالذات هو شئ مختلف كل الاختلاف عما تحسه للصبية. وتذكر ديل - رفيقة **فيليس ليون** - أنها لم تكن وهى صغيرة تجرب ملابس أمها كما تفعل البنات ولم تكن تمثل أنها كبيرة، وأنها على العكس كانت تفتح دولاب ملابس أبيها وترتدى سراويله وتطويها عند القدمين، وتظل تروح وتجئ أمام أفراد الأسرة. وتقول ديل إن السروال كان يعنى بالنسبة لى أن أكون رجلا مسيطراً، يصدر الأوامر ويتّسيد على البيت ويتصرف بحرية وكما يشاء، وأذكر أنى ذهبت مع فتاتى التى لم أكن قد حاولت معها أى علاقة جنسية - ذهبت معها إلى موعد غرامى بينها وبن شاب، فما أن حاول أن يقبلها حتى وجدت نفسى أهجم عليه وأطرحه أرضا لأخلص فتاتى منه.

وتضيف المؤلفتان **ديل مارتن وفيليس ليون** أن هناك فرقاً بين **اللزبيانية والبغى**، فالبغى تريد المال عن طريق الجنس، وقد تفعل ما تفعله اللزبيانية لمتعتها الخاصة بعد أن تزهد ما يفعله بها الرجال طوال اليوم، ولكنها ليس شرطا أن تكون كل بغى لزبيانية.

وتعانى اللزبيانية صراعات حادة قد تنعكس على تصرفاتها وشخصيتها، وذلك أن العرف السائد والذى تنشأ عليه كل النساء أنهن للزواج وللإنجاب، وهى معرّضة لذلك أن تعانى باستمرار من كبت رغباتها الجنسية وقمع شهواتها وميولها، ولذلك فقد تتعلم أن تخاف من مشاعرها الجنسية، وقد تتنكر لجنسيتها، وقد تصاب بالبرود الجنسى، وقد تصبح سلبية وتعزف بالكلية عن الجنس. والكثير من اللزبيانيات لم يجربن الجنس إطلاقا لهذا السبب. والكثير منهن أيضا يتمردن بالانضمام إلى مجتمعات اللزبيانيات ضد الدعاة الدينيين وضد القول الشائع أن اللزبيانيه ليست امرأة وأنها عديمة الجنسية.

والعلاقة بين اللزبيانية والأخرى علاقة بين امرأتين، إحداهما لها **ميول ذكورية** وتسمى «**الذكر** butch»، والأخرى **ميولها أنثوية** وتسمى «**الأنثى** femme»، وعندما يتعايشان فإن «**الذكر**» هى التى تقود السيارة، بينما **الأنثى** هى التى تطبخ وتغسل الأوانى وتنظف البيت. وقد يحدث أن تساعد «**الذكر**» «**الأنثى**» فى عملها كما أن الرجل قد يساعد زوجته فى أعمال البيت.

واللزبيانية **الذكر** ترتدى ملابس رجولية، بينما **الأنثى** تلبس كما يلبس النساء، وهى رقيقة بشكل عام بالنسبة «**للذكر**»، وعاطفية وورومانسية، على عكس «**الذكر**» فإنها مظهراً ومخبراً كالرجال، وهى أضخم جسما، وأكثر جراءه وتميل إلى العدوانية وتسلك بالنسبة **للأنثى** سلوك زئر النساء بالنسبة للنساء، أى تتصيد الإناث، ويظرها أكبر من بظر «**الأنثى**». وهناك مع ذلك «**أشباه الذكر** butchy» وهى «**الأنثى**» التى تسلك كالذكر، وقد تكون **الفاعلة أو المفعول** بها بحسب شخصية المرأة شريكتها فى الفعل الجنسى، فإن كانت الأخرى «**ذكرا**» كانت هى «**أنثى**»، وإن كانت «**أنثى**» كانت هى «**ذكراً**».

وتتزوج «**الأنثى**» غالبا أكثر من مرة، ويبدو أنها فى كل مرة تحاول أن تؤكد أنها امرأة عادية، ولكن زوجها يسئ إليها، فتسفر عن شذوذها فى النهاية، وتختار لها «**ذكرا**» من اللزبيانيات، وتحاول أن تجعل منها **صورة الرجل** الذى كانت تتمناه، وغالبا ما تفشل، وينتهى الأمر بالانفصال بينهما، وتحاول من جديد و يبدو أن الزواج الذى يمكن أن يقوم بين «**الذكر**» و«**الأنثى**» مسألة لا تدوم، وذلك أن كلا منهما تغار على الأخرى بشدة وتحاول أن تؤكد استقلاليتها.

ولربما ينجح **العلاج النفسى للزبيانية** مع النساء الراغبات فى تغيير وضعهن بدافع شخصى وليس بتأثير من المحيطين. ويركز العلاج النفسى على التداعى الحر وتفسير الأحلام بغاية بلوغ الحقيقة حول **الصراعات الأوديبية** بالمرأة اللزبيانية، وعلاقاتها بوالديها منذ الصغر. غير أن **العلاج السلوكى** يسجل نجاحا أكبر من العلاج النفسى بطريقة التنفير من اللزبيانية باعتبارها سلوكاً متعلماً ويمكن التخلى عنه واستبداله بأخر أصح. ويذهب **العلاج الوجودى** إلى استكشاف إخلاص المرأة اللزبيانية فى اختيارها لهذه الطريقة فى إشباع حاجاتها الجنسية، وذلك لأن اتبّاع هذه الطريقة دون وعى بمخاطرها فى مجتمع لايقرها قد تكون له مضاعفات نفسية قد تتسبب فى تداعى المرأة بالاضطرابات. وتوعية المرأة بمسؤليتها يفيدها فى دعم شخصيتها كلزبيانية، والإ فالأولى بها أن تساعد نفسها على التخلّى عن أسلوب فى الحياة الجنسية اضُطرت إليه أو اختارته لأسباب ويمكنها أن تختار غيره إذا كان لها الخيار الحقيقى. ويعتمد **العلاج الوجودى** على تبصير المرأة بموقفها، وزيادة ثقتها فى اختيارتها، وتأكيد احترامها لنفسها بالإخلاص لهذه الاختيارات دون خجل أو مواربة (Del Martin & Phyllis:Lyon Lesbian Women).

***

الجنسية المثلية Homosexuality

هى أن يأتى الذكر مثله أو تضاجع الأنثى الأنثى مثلها، ويفرق علماء النفس بين العلاقات **الجنسية** والعلاقات **التناسلية**، حيث يقصرون **العلاقات التناسلية** على ماكان منها يستخدم الأعضاء التناسلية، أما **العلاقات الجنسية** فهى أشمل وقد يكون منها ماهو صريح تناسليا، كما قد يكون منها ماهو غير مباشر كما فى علاقات الصداقة، ومن ثم فالجنس قد تكون له أشكال منحرفة كما قد يطلق على العلاقات السوية، ولذلك قد يكون من المستحسن أيضا استخدام اصطلاح «**التناسلية المثلية** homo- genitalism» للدلالة على العلاقات الجنسية المَرَضية تمييزاً لها عن **التعشق المثلى** homo-erotism الذى مداره علاقات متسامية بين الذكر والذكر أو بين الأنثى والأنثى. وقيل إن **أفلاطون** فى «**المأدبة**» يكثر من إطراء المحبة بين الرجل والرجل، وهى المحبة المتسامية ويسميها سوليفان «**المحبة المثلية** isophilia»، وتكون بين الشخصين من نفس الجنس ولكنها تخلو من العنصر التناسلى. والواقع أن قصر الجنسية المثلية على علاقات الحب أو بسطها لتشمل العلاقات التناسلية مسألة قد تخضع لعوامل الترقّى فى الإنسان، ففى **المراهقة** يكون موضوع الحب **ذات** الشخص، ثم يرتقى فيتخذ موضوعا لحبه شخصا من جنسه، ثم يزيد فى الترقّى فيكون هذا الموضوع شخصا من الجنس **الآخر**، وفى كل من المراحل السابقة يختلف **هدفه الجنسى** باختلاف المرحلة، وفى المرحلة الجنسية المثلية أى التى يكون فيها موضوع حبه واحداً من جنسه، قد يكون الهدف الصداقة القائمة على التفاهم وتشابه المقاصد والميول وتبادل الخبرة والثقافة، إلا أن الهدف قد ينحرف إلى نواحٍ تناسلية نتيجة عوامل كثيرة غير سوية، وقد يتثبت المراهق على هذه الميول وتصطبغ بها شخصيته.

وتتعدد صور العلاقة التناسلية بين الذكور بعضهم وبعض، ومن ذلك العناق والتقبيل والاستعراء وتبادل الاستمناء والدقر (الاحتكاك الجسدى)، وأكثر هذه الصور شيوعا **اللواط** sodomy، بإدخال القضيب فى الشرج والمواقعة حتى الإمناء، ويسمى الذكر الذى يتخذ الدور الإيجابى **اللائط**، ويطلق على الآخر الذى يكون دوره دور الأنثى اسم **المأبون أو الخَوَل** (بفتح الخاء والواو). وكثيرا مايفهم من الجنسية المثلية عند استخدامها دون تحديد أنها **الانحراف الجنسى السلبى** عند الذكور أى عند **المأبونين**.

وكذلك تكون عند **الإناث** انحرافات جنسية مماثلة كالعناق والتقبيل والاستعراء، وقد تمص الأنثى **ثدى الأنثى** أو تلعق بظرها، أو يتضاجعان بحيث يحتك منهما الفرجان أو البظران وهو مايسمى **التباظر** وأحيانا **التساحق**.

وأما شكل أو نمط العلاقة بين الذكور أو بين الإناث المصابين بالجنسية المثلية فقد تبين أنها قد تكون على أحد هذه الأحوال **الخمسة**، فهناك نمط **المعاشرة المغلقة close-coupled**، بمعنى أن الرجل يعاشر الرجل، أو المرأة تعاشر المرأة معاشرة الأزواج، فيتساكنان ويكون بينهما عشق وغرام، ويغار الواحد منهما على الآخر، ولايقبل أن يشاركه فيه أحد، وكذلك كثيرا مايكون هناك استقرار فى حياتهما الجنسية، ونادرا ماتحدث بينهما قطيعة، وقليلا مايقدم أحدهما على خيانة الآخر. وهناك نمط **المعاشرة المفتوحة open-coupled** فكأن العلاقة علاقة رِفقة، وكلاهما حر أن تكون له بآخرين علاقات تناسلية كيفما شاء، وكثيرا ماتكون لهما مشاكل لهذا السبب. والنمط **الثالث** يقال له النمط **الوظيفى functinal**، أى أن الجنسية المثلية مرتبطة باضطرابات نفسية وظيفية قد تؤدى إليها وقد تترتب عليها، كأن تكون مع الجنسية المثلية انحرافات واضحة فى السلوك وأعراض سيكلولوجية مرضية. وأسلوب حياة الشخص من هذا النوع يختلف كلية عن أسلوب الأنواع السابقة حيث أنه يؤثر الحياة وحيدا، ويكثر من التجوال ليتصيد شركاءه فى الفعل الجنسى، ويتردد لذلك على الأماكن التى يظن أنهم يرتادونها، وهو نشيط جنسيا وحذر حتى لايعرف عنه شذوذه، وليست له مشاكل جنسية تقريبا. والنمط **الرابع** هو النمط الناشئ شذوذه من سوء الوظيفة التناسلية، ربما نتيجة اضطراب هرمونى كأن يكون إفرازه من هرمونات الذكورة ليس بالقدر الذى تتضح معه رجولته، ويكون إفرازه من هرمونات الأنوثة أكبر حتى لتظهر غليه مخايل الإناث وتصرفاتهن، وهذا النوع كثير التصيد لشركائه وكثير الإتيان للجنس، وله مشاكل كثيرة تناسلية وغيرها. والنمط **الخامس** والأخير هو النمط **اللاجنسى asexual**، وأحيانا يطلق عليه اسم «**الجنس الثالث third sex**» و«**الجنس المختلط mixed sex**»، لأن أصحابه غير متميزين تناسليا وتمتزج فيهم الصفات الجنسية والتناسلية للإناث والذكور معا، أو تجتمع فيهم بعض أعضاء الذكورة والأنوثة معا كما فى **الخناث**.

ولايتحتم دائما أن يكون الجنسى المثلى إما سلبيا أو إيجابيا، فقد تجتمع فيه كذلك

صفة الإيجاب أو السلب فيكون لائطا حيناً ومأبوناً فى حين آخر، بحسب الظروف وشخصية شريكه فى الفعل الجنسى، وربما قد يكون لائطا فى مرحلة من حياته ثم ينقلب مأبونا أو بالعكس. وقد تستمر الجنسية المثلية بالشخص لفترة ثم تختفى منه ويكون جنسيا غيريا، وقد تكون جنسيته المثلية بشكل قوى لايستطيع معه أن يمارس الجنسية الغيرية، وربما تكون مؤقتة أو وافدة بتأثير الظروف كما فى السجون والمستشفيات العقلية والأديرة والمدارس الداخلية والمعسكرات والسفريات الطويلة على البواخر، وتختفى بارتفاع هذه الظروف وعودة الشخص إلى ممارسة حياته الطبيعية.

والجنسية المثلية قديمة فى الإنسان شأن كل مايخص الإنسان من شذوذ أو انحرافات أو أمراض نفسية، وإنما يُنَظر إليها باعتبارات المجتمع، فمن المجتمعات ماعتبرها أو يعتبرها من المسائل البسيطة التى تجعل صاحبها يبدو مختلفا، ومنها مايجعل منها انحرافاً يعاقب عليه، ومنها ما يعتبرها اضطرابا نفسيا. وتمر الحيوانات وخاصة الثديية بمرحلة جنسية مثلية تنتقل منها إلى المرحلة الجنسية الغيرية، إلا أن الحيوان نفسه يمكن أن يكون غيريا ثم يصادف الحيوان الأقوى منه من جنسه الذى يظهر له الخضوع ويسلك معه سلوك الأنثى، ويعرف علماء الحيوان أن الفأرة عندما تزيد إفرازاتها الهرمونية وقت التبويض وتطلب العشار فإنها قد تقبع على الأرض وتقوس ظهرها بحيث ترتفع مؤخرتها وينتفض جسمها ويتصلب مع رعشة فى أذنيها وحركة خفيفة يضطرب لها جسمها، وهذا هو السلوك الذى يصفه علماء الحيوان بأنه مايميز أنثى الحيوان عموما فى السفاد، إلا أن نفس الأنثى قد تمر بفأرة مثلها فتنزو عليها وتفعل نفس فِعل الذكر وتضع فرجها فوق فرج الأنثى الأخرى ويهتز جسمها ويبدو كما لو كانت قد بلغت الهِزَّة، ثم تنزل فإذا بها ترقد وتلعق فرجها كما يفعل الذكر بعد السفاد، وعموما فإنه فى عالم الحيوان يمكن أن يتصرف الحيوان بحسب الظروف فيكون ذكريا أو أنثويا، ويمكن أيضا أن يستجيب لأية استثارة كافية بصرف النظر عما إذا كانت الاستجابة أنثوية أو ذكرية. وكذلك يفعل الأطفال فطالما لم يتعلموا أن يميزوا بين السلوك الذكرى والسلوك الأنثوى فإنهم يمكن أن يأتوا من التصرفات مايمكن أن يعتبر غيريا أو مثليا وذلك مايشاهد بقوة فى عالم الحيوان، وأما فى عالم الإنسان فالحضارات والثقافة والتربية لها عند البالغين تأثيرها القوى على تفضيل سلوك على سلوك. ونذكر أن اللواطة عرفتها الحضارات القديمة برمتها من مصرية

الياغريقية إلى صينية وهندية، وخبرها أقوام وكانت فيهم أمراض اجتماعية كما عند اليهود، وتنسب اللواط إلى قوم لوط، وقد ورد أن الله عاقبهم ودمر مدنهم. ومع ذلك تبيح بعض دول أوروبا وأمريكا الجنسية المثلية، وأصدرت من التشريعات ما لا يحظرها، وتمارس الآن فيها بشكل علنى سافر، وهناك **مظاهرات** يقوم بها المؤيدون والمشايعون لهذا الانحراف، ونعرف من الصور المنشورة والإحصائيات أن عددهم بالآلاف، ولو أحصينا فى التاريخ الأوروبى عدد **العظماء** الذين كانوا يمارسون اللواط لهالنا العدد والأسماء، ومنهم **فيرجيل، وأوفيد، ولورد بيرون، وفرانز كافكا، وأندريه جيد، وبودلير، وجان جانيه**، وكل هؤلاء عبّروا فى أدبهم بشكل صريح عن ميول جنسية مثلية وامتدحوا اللواط. وكانت **سافو** الشاعرة امرأة تتذوق الجمال فى الإناث وتحيط نفسها بهن وتمارس معهم السحاق حتى إنه لينسب إليها. وكذلك كان **نيرون، ويوليوس قيصر، والإسكندر الأكبر، وإدوارد الثانى، ونابليون، وهتلر** من الأباطرة ورؤساء الدول الذين عُرِفت عنهم انحرافات من هذا القبيل. واشتهر **إدوارد الثانى** باسم **الملك اللوطى**. ويتفشى الشذوذ الجنسى فى **المدن الكبيرة**، حيث يمكن أن يلتقى الشواذ فى الحمامات العامة والفنادق والنوادى الخاصة والبارات وعلى الشواطئ، بسهولة وحرية دون أن يتعرض لهم أحد ويتناولهم بالتشهير، ولهم مطالب وحقوق وأطلقوا على ذلك اسم «**حركة تحرير الخلعاء** gay liberation movement». وإذا كانت **ألف ليلة وليلة** تتعرض لسير الخلعاء أحيانا فإن أعمالاً مثل **الديكاميرون لبوكاشيو** وهى المقابل لألف ليلة العربية، و**الإكلوجز لفيرجيل**، و**الميتامورفوسوز لأوفيد**، لتحفل بأخبار الشواذ. ويفرد **بيترونيوس** الصفحات الطوال لوصف مشاهد اللواط، كما أن ما يورده **أفلاطون** عن عشق الرجل للرجل وقوله بأن علاقة المحبة بين الرجال أقوى منها بين الإناث لأنها علاقة ليست لها غايات سوى نفسها، لهو دليل على ماكان يحظى به اللواط فى **اليونان** القديمة ثم فى **روما** من احترام بين طبقة المثقفين والحكام، حتى لقد جعلوا الآلهة يتصفون بالثنائية الجنسية، وهو مايفسره اشتقاق كلمة **sex** بمعنى جنس، من الفعل اللاتينى **secare** بمعنى يفصل، والأصل فى الخَلْق هو الثنائية الجنسية، ثم كان أن انفصلت الآلهة الذكور عن الإلهات الإناث، وكذلك بقية المخلوقات. ويروى عن **التوراة** اليهودية أن آدم فى البدء كان **ثنائى الجنسية**، ثم فصل الله **حواء** من جسمه، ومنهما جاء الذكور والإناث منفصلين. وهناك الكثير من الشواهد فى **الميدوسا** حيث

الثعابين فى شَعرها ترمز للذكورة، ونلاحظ كذلك فى **الحورية** حيث الرأس والنصف العلوى من الجسم لامرأة، بينما بقية الجسم لسمكة وهى رمز شائع للذكورة. وتوجد فى احتفالات **أرتميس كوريناليا** صور لرقصات خليعة خنثوية كثيرة يفسرها أن تظهر النساء وقد وضعن على أنفسهن الكثير من أعضاء الذكورة التى يصنعنها بأيديهن. وهناك الكثير من القصائد التى تمتدح اللواط صراحة عند شاعر أمريكا الأكبر **والت هويتمان**. وتكاد تخلو الكتابات العربية صراحة من ذلك إلا ماورد عن **أبى نواس والجاحظ** وكلاهما محسوب على **المسلمين** دون أن يكونا كذلك. ويقول الجاحظ فى كتابه «**مفاخرة الجوارى والغلمان**» أن الغلام مثال الحُسن وتُشبّه به المرأة، وأنه إذا كان قدماء الشعراء تغنوا بجمال المرأة فلأنهم **أعراب أجلاف** ولم يروا غلمان عصره.

وهناك **نوعان** من الجنسية المثلية، أحدهما **كامن** ولاشعورى، والآخر **مكشوف** ويمارسه صاحبه علنا، والنوع الكامن اللاشعورى قد تفضحه جنسيته المثلية رغم ذلك فى سلوكه ومايؤثره أو يفضله من أزياء ومهن وموضوعات للحديث. وقد تخلق الجنسية المثلية الكامنة مشاكل اجتماعية ونفسية عويصة، فقد تجد الذكر المثلى الجنسية يدفع زوجته دفعاً إلى التعرف بالرجال، وقد يعلم بأن زوجته تخونه فيتغاضى عن ذلك، لأنه يعوضه عن رغباته الكامنة أو اللاشعورية، وكأن فعل الرجل الآخر بزوجته بمثابه الفعل فيه هو. وكذلك قد تتغاضى المرأة التى بها جنسية مثلية كامنة عن سلوك زوجها النسائى، وقد تكون لها بعشيقته علاقات حميمة. وقيل إن **زِنْر النساء** ربما كان إقباله على الإيقاع بالنساء والتنقل من الواحدة إلى الأخرى هو نوع من **الدفاع** ضد ميوله الجنسية المثلية الكامنة، ليصرف نفسه عن التفكير فيها، بإيهام نفسه وغيره أنه النقيض مما يعتمل فيه أو ما يبدو عليه. وكذلك فإن بعض النساء قد يملن إلى الإيقاع بهن وربما دون أن يدعن الرجل يتمكن منهن، ولكنهن يتصرفن **كالغوانى**، وذلك أيضا من تأثير جنسية مثلية كامنة تظهر بها المرأة كما لو كانت مفرطة الأنوثة، إلا أنها فى الواقع تخفى ميولها الحقيقية إلى النساء من جنسها.

وكثيرا مايكون الدافع إلى **الغيرة** هو الرغبة فى الطرف المتسبب فيها، بمعنى أن الذكر قد يستهويه الذكر الآخر الذى له بأنثاه علاقة فيغار عليها، ولكنه فى الواقع يغار منها ويتمنى فى أعماقه لو كانت له به هذه العلاقة. وكذلك الحال فى **الغيرة النسائية**. وفى رواية **تولستوى «كرويتزر صوناتا»** يتعذب البطل من فكرة خيانة امرأته له مع مدرس الموسيقى،

وبرغم غيرته عليها فإنه يشجّع المدرس على التردد على بيته، ويتضح أن الزوج منجذب لاشعوريا انجذابا جنسيا مثليا إلى عشيق امرأته وإن أظهر غيرة جنونية عليها. وإنه لأمر ذو بال أن يتوجه الزوج إلى قتل امرأته مع أن المفروض أن يقتل عشيقها الذى يزاحمه عليها، ولكن الحقيقة أن الزوجة هى التى تزاحمه على العشيق. وهو يزيحها لاشعوريا ولايدرى أنه إنما يفعل ذلك بتأثير رغباته الجنسية المثلية اللاشعورية تجاه العشيق الذى لايقربه الزوج بالسوء.

وكانت الجنسية المثلية اللاشعورية مثار اهتمام من قِبل رهط كبير من علماء النفس والطب النفسى، وذلك أن الميول الكامنة قد تؤدى بصاحبها إلى إتيان الكثير من الدفاعات التى لها شكل الاضطرابات فى السلوك وفى الشخصية، ومنها حالات الذعر وممارسة القسوة والتدمير والشعور بالاضطهاد وبالعزلة والانسحاب. وتلعب الجنسية المثلية الكامنة أكبر الأدوار فى تحديد اتجاهات الكثير من الناس. وأثبتت الدراسات التى تمت فى هذا المجال أن هناك على الأقل **أربعة** أشخاص من بين كل **مائة** شخص يمارسون الجنسية المثلية ممارسة كاملة طوال حياتهم، وأنهم يمارسونها صراحة أو أن سلوكهم يفضحهم برغم محاولاتهم أن يظهروا على خلاف ذلك، ولعل من أبرز ما يفضح الجنسى المثلى أنه **يخاف النساء ويخشى الدخول فى علاقات جنسية أو ممارسات تناسلية مع الجنس الآخر،** وهذا الخوف أو الذعر من كل ما هو أنثوى horror feminae قد يمتدُّ فيشمل إناث الحيوان كالقطط والكلاب.

وطبقا لرواية **كينزى** فى بحثه المشهور (Kinsey: Sexual Behaviour in the Human Male) فإن المدينة التى تعدادها **نصف مليون** يكون الممارسون للواط من سكانها **عشرون ألف** نسمة. وفى دراسة على الطلبة الجدد المتقدمين لجامعة أكسفورد سنة ١٩٥٩ اعترف ٣٥٪ منهم أنهم خبروا بطريقة أو بأخرى الجنسية المثلية، وأقر ٨٪ منهم أنهم ما يزالون يمارسون اللواط (Spencer: Homosexuality among Oxford Graduates).

وللجنسية المثلية أسباب كثيرة ومتنوعة، وراثية وتكوينية ومكتسبة، تؤثر على النواحى التشريحية أو الوظيفية أو العقلية أو النفسية للفرد من حيث الذكورة أو الأنوثة، فتؤثر بالتالى فى دوافعه الجنسية وموضوع الجنس عنده وهدفه، وقد يكون ذلك مبررا للبعض للتحدث عن «**شخصية مثلية الجنسية** homosexual personality».

وقامت بدراسة الأسباب التكوينية للجنسية المثلية بحوث عديدة وخاصة فى حالة ما إذا كانت للمثلى الجنسية إخوة من **التوائم**، وتبين أنه فى حالة التوائم المتماثلة فإن الجنسية المثلية إذا كانت بأحدهما فإنها تكون أيضا بالآخر، ولم يشذ عن ذلك أحد من توائم الدراسة. وذهب بعض العلماء إلى اعتبار الجنسية المثلية **صفة وراثية** مختلفة مثلها فى ذلك مثل استخدام اليد اليسرى بدلا من اليمنى. وبالإضافة إلى الخصائص البيولوجية، **فالجنين** يكون فى أول الأمر **خنثيا**، أى تكون به أعضاء **الذكورة والأنوثة**، ثم يتميز فيه الجنس مع استمرار نمو الأعضاء الخاصة بأحد الجنسين، مع بقاء الأعضاء الخاصة بالجنس الآخر منضمرة، إلا أن ذلك يختلف فى الدرجة من شخص لآخر. وكان **فرويد** يعتبر الإنسان مخلوقا ثنائى الجنسية، وأن ظهور أحد الاتجاهين الجنسيين على الآخر مسألة تخضع للظروف الاجتماعية والنفسية التى يمر بها الشخص، إلا أن الخصائص التشريحية الوظيفية التى تميز الجنس فى الفرد تميل به إلى اتجاه دون اتجاه، وتتعدد هذه الخصائص وتختلف فى الدرجة، وعلى سبيل المثال فإن **هرمون الأندروجين** الذى يفرزه لحاء الكظر ويوجد فى الجنسين بدرجات متفاوتة، يزيد عند الرجل فتكون له الرجولة المعهودة وبالتالى يقل عند المرأة. وقد يزيد هذا الهرمون عند المرأة فينحو بها إلى الاسترجال وينمو شاربها ولحيتها ويخشّن صوتها وتكون عدوانية وتتأبى على الرجال وتتجه فى الإشباع الجنسى إلى النساء. كذلك تختلف الخصائص العقلية والنفسية بين الجنسين وقد يكون للشخص جسم رجل إلا أن تكوينه النفسى واتجاهاته العقلية هما تكوين واتجاهات امرأة أو العكس، وثمة اختبارات عديدة لقياس سمات الذكورة والأنوثة، وثبت أنه من بين أفراد النوعين من تضعهم نتائج هذه الاختبارات فى مكان أقرب إلى أفراد الجنس الآخر.

ومما لاشك فيه أن **العوامل النفسية** لها أيضا تأثيرها البالغ فى الاتجاه بالفرد إلى الجنسية المثلية، وإننا لنلاحظ أن أسباب الجنسية المثلية ترجع قبل كل شئ إلى العلاقات التبادلية غير الصحيحة فى الطفولة وبواكير المراهقة، والغالب أن المثلى الجنسية شخص لم ينجح فى التعين بأحد والديه من ذات جنسه ولكنه على العكس تعين بوالده من الجنس الآخر وجدانيا وجنسيا، وعلى سبيل المثال فإن الرجل المأبون خلال سنوات تكوينه فى الطفولة لايتعين بأبيه ولكن بأمه، وهو قد يتجه إلى ذلك قطعا فى حالة ما إذا كانت الأم مسيطرة والأب ضعيفا وسلبيا وليس له دور فى حياه الطفل. وفى بعض الأحوال يكون

السبب طلاق الأبوين أو وفاه الأب أو تغيب الأب لسبب أو لآخر لمدد طويلة، وعندئذ لايكون أمام الطفل إلا الأم تربيه ويتمثلها ويأخذ عنها، ويتوه عنه معنى الرجولة ويميل إلى أن يتصرف بأنوثة دون أن يدرى أنه يفعل ذلك، ويصوغ شخصيته لاشعوريا على نمط الأم أى على النمط الأنثوى، ويتعين بها وجدانيا وجنسيا، وتكون له اتجاهات النساء، فإذا كان البلوغ واشتدت به دوافعه الجنسية فإنه يسعى إلى إشباعها بأن يبحث عن الذَكَر الذى يشبعهما فيه كما تفعل الإناث. وأما البنت المثلية الجنسية والتى ترى نفسها فى أبيها وتصوغ اتجاهاتها على الأنماط الذكورية، فإنها تسعى للبحث عن النساء اللاتى يمكن أن يشبعن فيها ميولها الذكرية تماما كما يفعل الرجال. ويخرج المثلى الجنسية سواء كان رجلا أو امرأة من سنوات التكوين فى الطفولة بتأثيرات صادمة، وينتهى إلى كراهية الأبوين معا كراهية تتأصل فى نفسه بسبب أنهما معا لم يكون طبيعيين معه فى علاقاتهما به، وأفشلاه وجدانيا، وهو لذلك يحمل كراهيته المتأصلة العميقة الجذور إلى علاقاته بالآخرين من الجنسين، ومن ثم تجده فجأة يتحول من حالة الحب لرفيقه إلى حالة البغض ويعامله بخشونة ويقطع صلته به دون سبب، وهذا التراوح بين الإقبال والإدبار والإقدام والإحجام صفة من صفات المثِلى الجنسية، فلايمكن الوثوق به والاطمئنان إلى رضاه أو محبته أو صداقته. وعلاوة على ذلك فإن المثلى الجنسية بسبب انصراف أبويه عنه وعدم إشباعهما لحاجاته الانفعالية يتحول لاشعوريا إلى إنسان أنانى لايهمه إلا نفسه، وتتضخم حاجاته وتلح عليه، ويشغل بها عمن حوله وتصرفه عن أن تكون له علاقات سليمة بالآخرين، فالمثلى الجنسية فى علاقاته بهم يستخدمهم كأدوات يُرضِى بهم مشاعره، ويشبع حاجاته الانفعالية، وتتحقق له بهم المتعة، فإذا أظهر التعاطف مع الآخرين أو وضح من سلوكه أنه يفهمهم فإن تعاطفه أو فهمه لهم ليس سوى التعاطف والفهم السطحيين، ولذلك فغالباً أن تكون للمثِلى الجنسية شخصية يعوض بها عن سطحية علاقاته بالناس، فتجدة لطيفا يُحسِن الكلام وينمّقه، ويتأنق فى ملبسه، ويُقبل على النواحى البهيجة من الحياة أو كما نقول إنه كثيرا ما يكون «ابن نكتة وابن حظ» ليدارى بهذه التصرفات حقيقة أنانيته. ويذهب بعض علماء النفس إلى اعتبار هذه الأنانية عند المثِلى الجنسية هى المسئولة عن اختياره لموضوعاته الجنسية وشركائه فى الفعل الجنسى، فهو يختارهم على منواله، بحيث تكون لهم أشكال جسمه وهيئته، وعلى ذلك نجد اللائط والمأبون، كلاهما له اهتماماته بنفسه

وبيدنه وملبسه وتعبيراته الصوتية، وميولهما متشابهة، ولعل ذلك يفسر اجتماعهما على التردد على أماكن واحدة وتناول موضوعات واحدة إذا تحدثا. وربما قد يبدو أن أصحاب هذا الاضطراب يحتمون ببعضهم أو يساعدون بعضهم، فى حين أنه فى الحقيقة فلا وجود للرابطة الجمعية بينهم. وهم لا يحسبون أن ذلك مدعاة لهم لطلب العلاج النفسى، فالمِثْلى الجنسية **لايطلب العلاج النفسى** من شذوذه ولكنه يطلبه لأسباب أخرى بخلاف ذلك تماما، كأن يصاب بالاكتئاب مثله مثل أى شخص آخر وعندئذ قد يطلب العلاج من الاكتئاب أو من القلق أو من أى من المشاكل الانفعالية الأخرى. ويتجه معظم علماء النفس إلى تأكيد تعذر علاج المِثْلية الجنسية حتى لو طال علاج المريض، وذلك لأنها تكون متأصلة فى الشخصية وشديدة التوغل فى تكوينها، إلا أنه من ناحية أخرى يمكن علاج المِثْلى الجنسية بحيث يتخلص من أية اضطرابات فى الشخصية تترتب على اعتبارات المجتمع له، وبذلك يتحقق له نوع من التوافق. ولقد قيل إنه أمكن علاج نحو ٣٠٪ من التوجهات الجنسية للمثلى الجنسية بالعلاج النفسى طويل الأمد، برغم أن الكثيرين يشكّون فى إمكان إحداث تغيير ضخم كهذا. ويقوم **العلاج السلوكى** للجنسية المثلية على الإشراط السالب بإطلاع المريض على صور موضوعاتها جنسية غيرية لتثيره جنسيا، وفى نفس الوقت يُحقن بالأبومورفين أو يُعَطى صدمة كهربية مؤلمة لتنفيره من المثير المِثْلى الجنسية، وكانت نتائج هذا العلاج متفاوتة. وأما **العلاج بالعقاقير** فلم يعرف بعد علاج ناجع للجنسية المثلية، وليست **للمهدئات** إلا تأثير مؤقت على الأعراض النفسية دون تناول المرض نفسه. ولعقاقير **الأندروجين** أثر معاكس حيث أنها تزيد من قوة الدوافع الجنسية دون أن تغير من توجهاتها. وقيل إن **العلاج الجماعى** يمكن أن تكون له نتائج مفيدة، وبعض المعالجين يجعلون المِثْلى الجنسية ضمن مجموعة غيرية الجنسية، والبعض يؤثرون أن يكون ضمن مجموعة مثلية الجنسية، غير أن ذلك صعب التحقيق لأنه لايحدث أن يكون هناك آخرون يطلبون العلاج النفسى فى نفس الوقت. وعموما فإن المِثْلى الجنسية قلّما يطلب العلاج من حالته، والقلة منهم نادمون على اتجاههم هذه الوجهة الجنسية الشاذة، وقيل إن ٤٪ منهم يستشعرون حالات الندم هذه، ولايحدث أن يستشعروا هذه الحالة إلا عندما تتحطم بهم حياتهم العائلية، عندما تكتشف الزوجة ميول الزوج أو بالعكس، وقد يتسبب لهم شذوذهم فى مواقف شديدة الحرج، وقد يعاملون من الناس والشرطة بقسوة، ويتعرضون لصنوف

من المهانات، ويصابون بأمراض تناسلية. وثبت أن **العلاج النفسى التحليلى** لايفيد مع المثلى الجنسية إلا فى حالة ما إذا كان المريض شابا، أى أنه مايزال فى أول الطريق من حيث الشذوذ، وعلى قدر من الثقافة والذكاء ليستطيع أن يحادث الطبيب ويطرح مشاكله ويتعمقها فى ماضيه، ويتفهم تحليلات الطبيب ويطاوعه على مايقترح من علاج، وعلى قدرٍ من التماسك من حيث الشخصية، ولربما يصحب ذلك الحاجة إلى تصحيح أوضاع المريض الاجتماعية ورفع الضغوط عنه، فقد يكون اتجاهه الجنسى الشاذ نتيجة وقوعه ضحية لشخص أكبر منه ينفق عليه ويغدق المال أو يحميه اجتماعيا، وأما الحالات التى يكون المريض فيها شديد الخجل أو يشكو ما يسمى **قصور الشخصية** فقد يجدى معه العلاج عندما لا يتعدى سلوكه الجنسى المثلى مجرد ملامسات مثلية أثناء الألعاب الجماعية، أو داخل الحمامات العامة أو المراحيض، وأما الحالات المستعصية فهى التى يكون المِثْلِى الجنسية واضح التكوين النرجسى، ويحب أن يُعجَب به الآخرون، وقد يصل به ذلك إلى أن يسترضيهم جنسيا، وأمثاله تكون لهم تصرفات الإناث وغندرتهن، وسلوكهم مع الرجال أشبه بسلوك الغوانى، والبعض يكون انحرافه الأصلى أنه متشبِّه بالإناث، أو تكون الأنثى متشبهة بالرجال، أو يكون به غرام بممتلكات النساء الخاصة فتجد له تصرفات هى خليط من الجنسية المثلية والانحراف الجنسى، وكثيرا ما يشكو المريض من السادية، أو من الماسوشية ويمارس المثلية الجنسية كمجال يشبع فيه هذه النزعات عنده، وأمثاله **لايمكن علاجهم**، ولم يحدث أن ذكر **مرجع طبى** أنه قد أفاد معه العلاج النفسى أو أى علاج آخر (أنظر **اللواطة والجماع والزبيانيه**).



- ٧ -

التخنث Transsexualism

المخنَّث أو **الخنيث** قد يكون رجلا أو امرأة ولكنه يتصرف بعكس جنسه، فالرجل يسلك كالإناث برغم جميع علامات الذكورة فيه، والمرأة تسلك كالذكور برغم أنها امرأة على الحقيقة، بخلاف **الخُنثَى** الذى قد يجمع فى جسمه أعضاء جنسية ذكرية وأنثوية معا ويتصرف ويسلك بحسب ما يبدو للناس من هذه الأعضاء. والخنثى مثلا قد يكون له **قضيب** فى الظاهر ويكون له فى نفس الوقت **رحم وفرج**، وقد يعالج بالجراحة لتغليب أحد الجنسين

بحسب الأقوى منهما عنده، بينما المخنث أو الخنيث قد يطلب أن تُجرَى له الجراحة ليتحول نهائيا إلى الجنس الذى يريده مع أنه ليس فيه الأعضاء الجنسية لهذا الجنس، وهو قد يهدد بالانتحار إن لم تُجرَ له العملية، وقد يحاول الانتحار فعلا. والجراحة التى يمكن أن تصطنع للمخنث الذكر للتحول إلى امرأة تكون باستئصال قضيبه وخصيتيه، ويشق له مهبل بين السطوح اللفافية، ويبطن بأغشية مأخوذة من القضيب أو الخصيتين ليكون حسّاساً وليصبح كالنساء. ويعالج بالإضافة إلى ماسبق بالتحلل الكهربى لإزالة شعر الجسم والوجه، ويعطى الإستروجين لتظهر له السمات الجنسية الأنثوية الثانوية، وتجرى له عملية لترقيق الحنجرة. وأما الجراحة التى يمكن أن تجرى للمرأة فتشمل استئصال الثديين والرحم، ويصطنع لها قضيب، وتعطى الأندروجين لتكون لها السمات الثانوية للرجال. ولإنشاء قضيب من البلاستيك صعوبات تتجاوز الجراحة أهمها أن يكون للقضيب القدرة على الانتصاب.

وتقدر نسبه الخناثى الطالبين التحول إلى إناث بخمسة أضعاف الطالبات للتحول إلى ذكور. ويلزم دائما تحديد السن الغالب على الخنيث من قِبَل إحدى العيادات المتخصصة، ويطلق عليها «عيادات البحث فى الهوية الجنسية» قبل إجراء العملية. ومن الضرورى التحرز من الخنوثة hermaphroditism وهى بخلاف التخنّث كما أسلفنا.

والمخنث أو الخنيث transsexual يميل عادة إلى الأعمال السهلة، ودرجاته فى اختبارات الشخصية أعلى فى الاختبارات اللفظية. ويتبين من اختبار رسم الشخص والبيت والشجرة أنه دائم التجنب لرسم أى شخص عار، ويستخلص بعضهم من ذلك أن المخنث شديد التقزز من جسمه، ويفسر ذلك عزوفه عن النظر إلى نفسه فى المرآة ولهفته إلى ستر ثدييه.

ويبدو أن التخنث من تأثير البيئة والتربية. وحتى الخنثى يتصرف وفق مانشأ عليه، فإن عومل كذَكر سلك مسلك الذكور. وقيل إن هوية الطفل الجنسية تتحدد بالتنشئة قبل سن الثالثة ثم يصبح من الصعب تغيير ما نشأ الطفل عليه. وقيل أيضا أن الأم تلعب دورا كبيرا فى تعين المخنث، وأم المخنث تفرح برقته ودماثة خلقه وتصرفاته الأنثوية من صغره، وعادة يبدأ التعيّن بالتخنث فى نحو الثانية، ولاتفسر الأم تصرفاته بأنها تخنث ولكنها تحسبها فرط رقة وتشجعها لذلك، ومن ثم تتثبت هذه التصرفات. ويغالى الطفل فيفضل

ملابس البنات والألوان التى يحبونها والألعاب التى يأتونها، ولايبدى اهتماما بنشاطات الصبية ويحب أن يقرأ أو يشاهد قصصا وأفلاما موضوعاتها النساء، وعندما ينضم إلى البنات فى ألعابهن يقبله البنات فيما بينهن بحس لديهن أنه منهن، فإذا كان فى السن بين **الثالثة والخامسة** فإنه يتهيج إذا نودى باسم بناتى، ويفاضل بين مختلف الأسماء البناتية ويبدى رغبة فى أن يُنادَى بواحد منها، وقد يفصح عن رغبته أن لايكون له القضيب، وعندما يجئ وقت الانضمام إلى المدرسة يعانى المخنث، ويعيّره الأولاد بتخنّثه، ويحاول أن يخفيها، ويرفضه البنات، ولايجد له صديقا، ويتخلف دراسيا وتظهر عليه أعراض عصابية عامة بتأثير الضغوط الخارجية المؤلمة، وقد يظن البعض أن مايشكو منه المخنث هو الفُصام، طالما أنه برغم تكوينه الذكورى «يتهيأ» له أنه أنثى، ولكن أعراض الفصام المعروفة لاتتواجد عنده، والاضطراب العُصابى الذى يبدو عليه يزول إذا تبين له أن المحيطين به يوافقونه على اتجاهاته ولايستهجنونها، وإذا لم يعترض عليها الطبيب.

وقيل إن **أم المخنث** لها ماض فى الصراع بين هويتها كامرأة وميولها للذكورة، بسبب تفضيل أمها للذكور، ونشأتها فى بيئة تؤثر الذكور، وانصراف أمها عنها، وتعيّن البنت بأبيها، فإذا كان البلوغ والحيض إلخ لم يعد لها أمل أن تكون ذكراً، وتتزوج عن غير حب، وغالبا مايكون الرجل الذى تختاره زوجاً به ميول أنثوية ليُرضِى سلوكها الذكورى، ويقبل أن تسوسه، ودوره لايعدو الناحية الاقتصادية فى البيت، فإذا أنجب الزوجان فالأثر التربوى يكون للأم الذكورية، والأب غالبا مشغول فى العمل، ويتعين الولد بأمه دون أبيه، ولمثل هذين الأبوين تكون نشأة المخنث، ولربما يكون للأبوين عدد من الأولاد ولكن واحدا منهم يكون مخنثا، وذلك أنه غالبا **أجمل الأولاد**، ويقول كل أمهات المخنثين أن أولادهن المخنثين كانوا أجمل الأولاد فى الصغر، والأمهات يعجبن بهم. وغالبا ماتكون للمخنث **اهتمامات فنية**، وذلك يرضى الأم كثيراً وتفخر به، وعندما تظهر عليه مخايل السلوك الأنثوى واضحة فإنها ترضَى، **أولاً** لأنها أنثى ويعجبها أن لايكون ابنها المفضل له صفات ذكورية تحسده عليها وينافسها بها، ولأنها **ثانياً** تميل للذكورة فتحب أن يتعلّق بها بهذه الصفة شخص من الجنس الآخر وكأنه بالنسبة لها أنثى. وهذه العلاقة الفريدة بين الأم وابنها المخنث كان من الممكن أن يعكرها تدخل الأب، ولكن الأب منصرف تماما عن الاثنين تاركا الأم تفعل فعلها التربوى السئ على الطفل، ولايجد الطفل علاجا لحالته التى تتأكد

باستمرار، وتمر السنوات دون تغيير إلى أن لايكون هناك أى أمل فى التغيير.

ويرجع العلماء السبب فى التخنّث غالبا إلى **عوامل جينية أو هرمونية أو عصبية** أو إليها جميعا إلى جانب العوامل البيئية والتربوية، إلا أن هذه العوامل لاتوجد فى أى مجال من المخلوقات سوى الإنسان، وهو الوحيد الذى يطلب بإرادته أن يتحول إلى الجنس الآخر، ولايوجد فى الطبيعة مثل هذا التحول فى الحيوان إلا فى معامل التجارب.

ومن التفسيرات التى تعرض لأسباب التخنث أن الطفل يولد به **قوة بيولوجية** توجه سلوكه الجنسى، وأن هذه القوة فى حالة الانحراف الجنسى الأساسى لاتعمل بطريقة سوية، وأن المتخنث رغم أعضائه الذكورية وسماته الرجولية فإنه يسلك مسلك الإناث بدافع من هذه القوة البيولوجية التى تعمل عنده بطريقة عكسية.

وقيل إن بالمخ تحت المهادى مركزاً يضبط السلوك الجنسى، وأن هذا المركز الجنسى **أنثوى** أساسا فى الأجنة، ولكن خلال عملية نمو الجنين وبعدما تظهر له الخصيتان فإن هرمون **الأندروجين** الذى تفرزانه يؤثر فى المركز الجنسى الأنثوى بالمخ ويجعله مركزا ذكوريا، وقد يحدث أن لايكون إفراز الأندروجين بالكمية اللازمة، أو قد لايستجيب المركز الجنسى لتأثيره، وعندئذ يظل هذا المركز أنثويا ويوجه تصرفات الطفل من بعد وجهة أنثوية برغم أن هذا الطفل ذكر من الناحية البدنية.

والخنيث الأنثى هى أكثر ضروب الإناث المسترجلات إتيانا للسلوك الجنسى الذكورى، وهى وإن كانت من الناحية التشريحية أنثى إلا أن تصرفاتها ذكورية منذ الطفولة، وهى تغشى مجتمعات الذكور وتحب صحبتهم وأن تظهر بمظهرهم بحيث لايفرقها شئ عنهم، وتتمنى لو تحولت فعلا إلى ذكر شكلا ومضمونا، وكانت وهى صغيرة تلبس ملابس الصبية، ولها اسم صبى وتأتى من النشاطات مايأتيه الذكور. وهى فى مجال الرياضة تمارس الألعاب التى لاينافسها فيها إلا الذكور، فإذا كانت فى المراهقة ظنها الكثيرون ولدا من هيئتها ولباسها وسلوكها، ولايمكن أن تفترق وهى شابة عن أى شاب، وتختار رفيقة لها من بنات جنسها، ورفيقتها ليست امرأة شاذة تهوَى النساء ولكنها امرأة **متزوجة** لها أولاد، وذلك أنها ليست **لوطية** حتى تهوى اللوطيات، فهى **امرأة مسترجلة** ولذا تطلب امرأة **عادية** تكون بالنسبة لها كالرجل بالنسبة للمرأة، وهى فى المجاز رجل وتريد لنفسها امرأة.

والتخنث فى الإناث له أسبابه **الفسيولوجية** بالإضافة إلى أسبابه **النفسية**، فالغالب أن

الخنيث الأنثى تولد قوية وليس لها جمال ورقة البنات، وأمها لاتستطيع أن ترضعها ربما لمرض الأم، فهى حاضرة وغائبة، وعجز الأم لمرضها يجعل الأب يتولى مهمة رعاية البيت فيتخذ ابنته مساعدا ويترك لها الأمر، ويسعده منها أنها قوية وقادرة وتستطيع أن تنهض بما يناط بها فى سهولة ويسر، ويشجعها على ذلك أنها ليست جميلة كالبنات، ولو كانت جميلة فعلا ما سارعت إلى تلبية مايراد منها، ولتقاعست عن فعل كل ماتفعله، ولما انسجمت مع هذا الدور الذكورى الذى آثرته على دورها كأنثى. وليس فى الكتب العلمية مايدل على **أسباب بيولوجية** لهذا الاتجاه الذكورى عند بعض الإناث، ومن غير المعروف ماإذا كان من الممكن علاج هذه الحالات سواء عند النساء أو الرجال **بالعلاج السلوكى** فى المستقبل.



- ٨ -

التشبه الجنسى Transvestism

التشبّه هو أن يتخذ الرجال هيئة النساء، أو أن تتخذ النساء هيئة الرجال، وأكثر مايكون ذلك فى **اللباس**. واللذة المتحصلة للمتشبه أو المتشبّهة تكون بتأثير توهمه أو توهمها أنه من الجنس الآخر. وقد يتخنث المتشبّه إلا أن التشبّه بخلاف التخنّث، وغالبا مايتشبّه المتشبه دون أن يتخنّث. **والتخنّث** هو أن يتوهم المريض به أنه من الجنس الآخر على الحقيقة وليس على المجاز، فيفعل فعله ويتسمى باسمٍ من هذا الجنس الآخر، ويطلب أن يتحول نهائيا إليه بالعقاقير أو بالجراحة أو بالاثنين معا. وليس شرطاً أن يرتدى المخنّث ملابس الجنس الآخر، وأما فى **التشبّه** فالمريض به لايفعل سوى أن يأتى هذا الشذوذ، وهو كذَكَر تكون ذكورته صريحة من حيث مضاجعة النساء، أى أنه **غيرى الجنسية**، إلا أن شهوته لاتستثار إلا إذا وضع على جسمه **ثيابا من ثياب النساء** وعندئذ يستطيع أن ينتصب، ولذلك كان أكثر المتشبّهين متزوجين، غير أن الزوجة التى تقبل أن يفعل زوجها ذلك لابد أن تكون لها ميول جنسية مثْلية، طالما أن المضاجع لها له هيئة النساء ويؤثر أن يأتيها بإحساس أنه امرأة وأنها ذكر. ومن ناحية أخرى فقد تكون للمتشبّه **طبيعة جنسية مزدوجة** إذ يغلب التشبّه فى مرحلة المراهقة بالذات، ويحدث فى هذه المرحلة أن يكثر المراهق من الاستمناء باليد، والمراهق المتشبّه ربما يرضيه أن يتعيّن بالنساء بأن يلبس كما يلبسن،

وفى نفس الوقت يقوم بالاستمناء على طريقة الذكور، فيشعر أنه **ذكر وأنثى معا**، أو أنه ذكر يجامع أنثى، أو أن الذكر فيه يجامع الأنثى فيه، ويتبادله الدوران الأنثوى والذكورى، وقيل إن **الازدواجية الجنسية** دليل على التأثير للأبوين بحيث لم يستطع أيهما أن يستقطبه إليه كاملا ليتعين به وليكون له دوره.

والتشبّه بخلاف **الفيتيشية**، لأن الفيتيشي يهوىَ ملابس النساء ويقتنى أشياء كثيرة منها، وكذلك الحال مع المتشبّه، إلا أن الفيتيشى تتحصّل له اللذة الجنسية كاملة بهذه الأشياء، فهى البديل له عن النساء، وهو يجعلها معه فى سريره ويحادثها ويحتضنها إليه فيُمنِى، بينما المتشبّه لايكتفى بالنظر إليها ولايتحسسها كالفيتيشى، ولكنه يرتديها فيحس بنفسه إحساسا مخالفا، وأنه بها يكون كاملا ويستطيع أن يضاجع أو أن يستمنى بيده.

ويبدو أن **التشبّه والتخنّث والفيتيشية** من الاضطرابات الجنسية التى تغلب على **الذكور** عن الإناث، والمصابون بها من الذكور أضعاف المصابات بها من الإناث، وهناك نحو **مائة** رجل متشبّه لكل **ثلاث أو أربع** نساء متشبّهات.

ويبدأ التشبّه، كشذوذ من الطفولة بتأثير التربية أحيانا، وبغواية من الوالدين أحيانا أخرى، فقد يُلبِس الوالدان طفلهما ملابس البنات أو ملابس الأولاد على عكس طبيعته. وإننا لنلاحظ الآن أن التشبّه يأتيه الكثيرون بدرجات متفاوتة سواء من الأطفال أو البالغين، بتأثير **العصرية** فى الأزياء والتلاحق المطرد فى أشكالها وأنماطها. والجدير بالملاحظة أن المشرفين على تغيرات «**الموضة**» غالبا من الرجال المتشبّهين أو المتخنّثين. وقد تؤثر بعض النساء ارتداء القمصان والسترات الرجالى ولا يرى الناس بأسا فى ذلك، إلا أن الولد أو الرجل الذى قد يرتدى الفستان لايمكن إلا أن يُقابَل بالاستهجان، وقد تقبض عليه الشرطة أو يواجه بالضرب من الناس، ومن ثم يلجأ المتشبّهون من الرجال إلى إخفاء تشبّههم بأن يكتفوا بارتداء الملابس النسائية التحتية. ومن المتشبّهين أفراد لايبالون بأن يجهروا بتشبّههم، وهذا هو **النمط الإظهارى الاستعراضى** من التشبّه. وهم غالبا **نرجسيون**، أى أنهم لايهمهم الناس، وإنما أنفسهم وأنفسهم فقط، وربما تكون هذه الميول الإظهارية فى المتشبّه من أعراض اضطرابات فُصامية أكبر، أو ربما كان استعراضه النسائى ليخفى به صراعاته الجنسية المثلية التى تحتدم به على المستوى اللاشعورى، وتريد أن تظهر فيلجأ إلى ملابس النساء يرتديها ليستنزل عليه غضب الذكور فيمارسون عليه ذكورتهم، أو ربما

كان استعراضه النسائى مؤشرا على لواطة صريحة به تتوسل بالاستعراض النسائى لغواية الذكور. وأما **النمط غير الاستعراضى** من المتشبّهين فالغالب أن ارتداءه لملابس النساء فى الخفاء ينبئ عن اضطرابات عُصابية ويكشف عن دوافع، كالتى تستعر عند العُصابى وتجعله يسرق لمجرد أن يكون هو مالك لما يخص غيره، أو قد يكون مدافعةً لاتجاهات اكتئابية وتعبيراً عن شعور هابط نتيجة فقدان الاحترام للذات والثقة بالنفس، ومع ذلك فإن التشبّه قد يأتيه البعض وخاصة النساء إحساساً بأنهن يصبحن به من الجنس الأقوى، ومن ثم نجد أن الغالبية من المتشبّهات مسترجلات ويملن إلى منافسة الرجال، ونجد أيضا أن الكثيرات من المتهمات بالسرقة وبالسطو والاتجار فى المخدرات وبإدارة البغاء يرتدين كالرجال، ويبدو أن تأثير البيئة فى أمثال هذه الحالات هو العامل المعول عليه حيث قد أثبتت الدراسات أن التشبّه فيهن نتيجة نشأتهن فى أوساط رجالية، كأن يكون غالبية الإخوة من الذكور، وكذلك أتراب اللعب، ومع ذلك فهناك دراسات أخرى تبين أن العُصاب أو الذُهان ليس أعلى فى نسبة الإصابة به بين المتشبّهين والمتشبّهات منه بين سائر النساء.

والتشبّه كأى انحراف جنسى عرفته الشعوب القديمة، وورد فى الأثر عن **هيرودوت** أنه كان كالوباء فى المدن الساحلية للبحر الأسود، ويسجل **هيرودوت** أنه قد شاهد الكثير من رجال هذه المدن يلبسون كالنساء ويقومون بأعمالهن. والثابت فى **التاريخ الرومانى** أن الإمبراطور **كاليجولا** والإمبراطور **هليوجابالوس** كانا يرتديان كالنساء أحيانا. وتُروَى عن التشبّه الكثير من القصص فى كتب الرحلات الحديثة وخاصة فى جنوب شرق آسيا وقبائل سيبريا.

ويطلق على التشبّه أحيانا اسم «**الأيونية eonism**» نسبة إلى المدعو شيفاليه **الأيونى** الذى ذكره عالم النفس **هافلوك إليس** وقال عنه إنه قضى حياته كلها يلبس كالنساء.

وتردّ نظريات التحليل النفسى التقليدية التشبّه إلى عمليات التقمّص لأدوار الكبار التى يقوم بها الأولاد فى الصغر بارتداء مايخص الوالدين والتصرف كأنهم أحد الأبوين. وهذا التقمص وسيلة مفيدة للتعيّن الاجتماعى والتعليم، ولكن التشبّه إذا استمر بعد سن **الثالثة** فقد يتحول إلى ظاهرة خطيرة، وخاصة إذا أصر عليه الطفل. وهو **عند البنت** دليل على رفض الأنوثة وعلى **عقدة خصاء** ومايعرف باسم **حسد القضيب**، وعند **الولد** هو وسيلة

يتقرب بها للأم خاصة إذا كانت قد تمنّت أن تنجب بنتا وتظل تذكر رغبتها على مسمع منه. ويفسر **فرويد** التشبّه بأنه تثبيت على المرحلة التى يكتفى فيها بالجزء كبديل عن الكل، ويزاح فيها الاهتمام من الجسم بعامة إلى الملابس التى تغطيه.

ويُفضّل **العلاج السلوكى** فى حالات التشبه بالتنفير أو بما يسمى **العلاج بالتنفير**، وبالتدريب الذى يزيد ثقة المريض بنفسه ويعيد إليه إحساسه بالاحترام لنفسه. ويقوم **العلاج بالإشراط المنفر** بأن يرى المريض صوراً له وهو بالملابس النسائية، ويعطى أثناء ذلك صدمات كهربية أو يحقن بالأبومورفين مثلا ليصاب بالغثيان والقئ كلما شاهد صوره. ومن الممكن أن يُعطَى الصدمة الكهربية عند ظهور الصورة له فى ملابس التشبّه، ويعفى من الصدمة عند ظهور صورته بالملابس الرجولية. وقد يترافق ذلك وأن يفرض المعالج نوعا من السيطرة على بيئة المريض بالاتفاق مثلا مع زوجته بحيث لاتسمح له بمضاجعتها طالما يرتدى الملابس النسائية (أنظر **القضيب وعقدة الخصاء والاضطرابات الجنسية والانحرافات الجنسية**).

* * *

- ٩ -

الاستعراء الجنسى Exhibitionism

قد يضبط البعض أمام مدارس البنات وهو يمارس الاستعراء بمعنى أنه يكشف عن عورته فجأة أمام البنات فيثيرهن ذلك وهو مايبغيه.

والاستعراء أو الاستعراض أو حب الظهور أو الإظهارية أو الافتضاحية، وكلها تقريبا بمعنى واحد، هو فعل يأتيه الشخص قسرا عنه. **وهو استعراء وافتضاحية** إذا هدف المستعرى إلى الكشف عن أعضائه التناسلية فتُفاجَأ الضحية بما يفعل، ويقصد أن يستحدث بها تأثيراً خاصا من شأنه أن يهيجه. **وهو إظهارية** إذا اقتصر على إظهار أو كشف جزء من الجسم بخلاف العورة بدافع جنسى، بقصد أو بدون قصد، كما تفعل النساء العاريات الصدور أو اللاتى تجعلن للتنورة فتحة طويلة فى الجنب لإظهار جزء من الفخذ. **وهو الاستعراض** بمعنى حب الظهور والتباهى بشئ من شأن إظهاره لفت نظر الآخرين وانتباههم، كالرياضى الذى يكشف عن صدره وعضلات ذراعيه فى استعراض واضح.

وسواء كان استعراء أو إظهارية أو استعراضا فهو من الأفعال العادية إذا صدر عن الصغار ولكنه يعتبر **شذوذا** إذا أتاه الكبار، فالطفل الصغير الذى يفلت من قبضة أمه وهى تغير له ملابسه، ويجرى منها فرحا بأنه عريان، وأن الآخرين يطالعونه فى عريه، يشعر بلذه لذلك، إلاّ أن التذاذه يختلف عن لذة الرجل الكبير الذى يتعرّى لطالبات المدارس أو للبنات فى الحديقة العامة دون سبب سوى أن يطالع تأثير عريه على وجوههن.

والاستعراء هو الأكثر افتضاحا من الاستعراض والإظهارية، ويرتبط بالهياج الجنسى الذى ينتهى عادة بالإمناء التلقائى أو الاستمناء باليد، ويأتيه الشخص **كفعل قهرى** يكرره ويعود إليه فى نفس المكان الذى مارسه فيه من قبل وتحقق له فيه الإشباع الجنسى، ويقوم به أمام أغراب من الجنس الآخر لايعرفهن ولايعرفنه، وغالبا ما يختارهم من البنات الصغيرات، وينتقي لفعله من الأماكن مايكثر تردد هؤلاء الضحايا عليه كحدائق الحيوان أو الحدائق العامة والمتنزهات والملاهى، وعادة يعانى من **مشاعر حادة بالذنب** بعد أن ينتهى من فعله وتتحقق له اللذة المنشودة.

وشخصية **المستعرى أو المستعرض** exhibitionist عادة من النوع **القاصر**، وغالبا ماتكون له **ميول سادية وماسوشية**، والأثر الذى يخلفه فى الضحية يشبع فيه ساديته، والشعور بالذنب الذى يحتدم به بعدها يرضى فيه ماسوشيته.

ويختلف **عدد** ممارَسات المستعرى فى اليوم الواحد أو فى الأسبوع باختلاف قوة الدافع الجنسى عنده. وهو دائما **رجل** لأنه لم توجد بعد المرأة المستعرية عمدا وفجأة، وأما الاستعراء الذى عليه النساء على الشواطئ أو الذى يلجأ اليه البعض أحيانا على أسطح المنازل أو حول حمامات السباحة المنزلية فهو بلاشك نوع من ذلك الاستعراء، إلا أنه إظهارية أو استعراضية لم تتنام بعد لتكون مَرَضا كهذا الاستعراء الرجولى. والملاحظ أن الاستعراء يلح على صاحبه فيكون فى **نفس المكان** ويأتيه **يوميا أو أسبوعيا**، ولكن المرأة التى تستعرى على الشاطئ مثلا فذلك يحدث منها لماما، واستعراؤها قد يكون على أشكال مختلفة وليس هذا الشكل **الأوحد** عند المستعرى.

والاستعراء لا يستفحل ولايتنامى ولكنه **يتناقص** مع **الشيخوخة** بتناقض قوة الدافع الجنسى إلى أن يزول تماما.

والمستعرى قد يكون جبانا أو شجاعا، وقد يتراجع عن التعرى فى آخر لحظة، وقد يقدُم

عليه رغم مخاطر الافتضاح. وقد يدّعي الغفلة ويظهر أجزاء من عورته بشكل غير متعمد، وقد لايبالي ويكشف عن عورته كاملة، وقد ينتصب قضيبه أو يظل مرتخيا، وقد يستمنى بيده أو بغير ذلك، وقد يخطط لفعلته، وقد يفعلها كالمأخوذ وإن كان لاينسى تفاصيلها من بعد، وكل ذلك ليس في استعراء النساء أو ليس منه، ولايقارن عرى المرأة باستعراء الرجل.

والاستعراء بمعناه الخاص الذى أسلفنا إليه ينبغى إذن تمييزه عن الاستعراض بمعناه العام حيث الاستعراض أكثر شيوعا، وربما كان أكثر الناس ممارسة للاستعراض **الفنانون**، وينافسهم فيه الأشخاص الذين يشكون من الاعتلال النفسى المعروف **بالسيكوباتية**، وذلك أن التنفيس بالاستعراض أشمل من التنفيس بالاستعراء، ولايقتصر مثله على النواحى الجنسية وحدها وإفراغ التوترات الشبقية.

ولكل مستعرٍ أسلوبه فى الاستعراء، ويكرره نمطيا، ويتوقف أسلوبه على الاستجابة الأولى التى حققت له الإشباع فيعود إليها وينطبع بها سلوكه. وتمتد نمطيته إلى **المكان** الذى تعرّى به فيعاود التعرّى به حتى لو كان فى المعاودة خطر القبض عليه. ولاندرى سببا لهذه الظاهرة، وقد يبدو المريض وكأنه **يسعى إلى أن يقبضوا عليه** مدفوعاً بمشاعر الذنب التى يستشعرها عقب استعرائه. وقد يُؤثِر التعرّى فى مكان عام، وقد يفضل عليه المكان المغلق كالمسارح ودور السينما. وفى إحدى الدراسات كانت نسبة الذين يمارسون الاستعراء فى الحدائق العامة والأماكن المكشوفة وخاصة الساحات أمام مدارس البنات ٣٠٪ من إجمالى المستعرين المقيدين بمحاضر الشرطة، مقابل ١٣٪ مارسوه داخل المبانى العامة، ونحو ١٠٪ من خلال النوافذ، ونحو ٤٧٪ فى الشوارع المزدحمة خصوصا.

وتبلغ نسبة مرتكبى الاستعراء نحو **الثلث** من جملة مرتكبى الجرائم الجنسية. وبعض المتخصصين يجعلها أكثر من ذلك. ونسبة المعاودة إلى الجُرم بين المستعرين كبيرة، ويقدرها القانونيون بنحو **الربع**.

والمستعرى غالبا من **النمط الخجول**. وتكشف تصرفاته عن **شخصية غير ناضجة**، ويبدو شديد التعلق بأمه، وغالبا ماتكون نشأته فى أسرة الدور الأول فيها للأم، وتنحو الأم نحو السيطرة على أولادها وتستحوذ على طاعتهم وتسيّرهم فى فلكها. وهو دائما الخانع الذليل، وكثيرا مايعانى من **شعور بالنقص الاجتماعى والجنسى**. وهو لايأتى مايأتى من تصرفات جنسية شاذة إلا لأنه يشك فى رجولته ويخشى المواجهة الجنسية المباشرة مع النساء.

ولايستعرى المستعرى لزوجته. وقد يختار ضحاياه من **الأطفال** ويستعرى أمامهم جماعة. وقد يختار لاستعرائه **امرأة عجوزا**. وأغلب استعرائه **أمام النساء فى مقتبل العمر**، وفى إحدى الدراسات كانت نسبة المستعرين أمام الجمع من النساء ٦٧٪، وأمام امرأة واحدة ٣٤٪، وأمام الأطفال ٢٥٪.

وقد يكون المستعرى نوّاقة يختار من النساء ذوات الصدر البَضّ أو الساقين المُمتلئتين أو الوجه المليح. وقد يستوى الأمر عنده. وإذا حدث **وتجاوبت** معه الضحية **فإنه يتراجع** لأنه لايهدف إلى الفعل الجنسى الكامل الذى تشاركه فيه امرأة مثلا، لأن شرط الاستعراء هو **المفاجأة** وما يظهر على الضحية من ارتباك وخجل، وكلما أظهرت الخجل وغالت فى الارتباك كان هياجه أكبر، وأما أن يتعرى لامرأة فتسرّ بذلك وتدعوه إليها فهذا يصيبه بالقرف منها وينصرف للتو عنها.

والنساء لايملن إلى الاستعراء كما سبق أن نوهنا، وما يأتينه هو من قبيل **الاستعراض**، والمرأة فيما ترتديه أو تتزين به أو يصدر عنها من حركات أو أصوات تنحو إلى الاستعراض، ويبدو أن هناك معيارين لهذه المسألة، فما قد تعتبره المرأة عاديا لانظنه كذلك لو أتاه رجل. وعموما فإن من النادر أن تكشف النساء عن عوراتهن بهدف تحصيل اللذة الجنسية، وقد تلتقى بهذا **النوع الاستعرائى** منهن فى **الملاهى الليلية** دون سواها، والغالبية من النساء لايملن إلى الكشف عن عوراتهن حتى فى الجماع مع أزواجهن، والغالبية يجامعن فى الظلام وقد تطلب المرأة الطلاق لو أصرّ زوجها على الجماع فى الضوء أو على الاستحمام معها.

والاستعراء يكون عادة مع مرحلة **البلوغ**، وتستمر ممارسة المستعرى للاستعراء من نحو سن **الخامسة عشرة** حتى **الثلاثين**، ويندر أن يأتيه من تجاوزا **الخامسة والأربعين**.

وذكاء الاستعرائى فى الغالب متوسط، **وتحصيله العلمى** أقل من قدراته، والتاركون للدراسة من الاستعرائيين كثيرون ومعظمهم من الطبقة العاملة، وأقلهم من الموظفين، وزواجهم يأتى متاخرا.

وهناك صلة بين الاستعراء **والتطلّع الجنسى voyeurism** لم يعرف سببها. وقد يكون للاستعراء أسباب عضوية أو دوافع نفسية. وقد يكون لتأخر عقلى أو صرع أو ذُهان أو تلف بالمخ أو شيخوخة أو للإصابة بالسكر. وقد يكون نذيرا بمرض من هذه الأمراض، وقد يكون بسبب عوامل بنيوية لارتباطه بنمط الجسم شبه الأنثوى.

والاستعراء النفسى عند التحليليين إشباع للمنطقة التناسلية من المناطق الشهوية فى الجسم، بمعنى أن المستعرى قد تكون لذته الجنسية محصورة فى عورته فقط، بينما قد تكون لذه البعض فى المنطقة الفمية ويكون الاستعراء عند هؤلاء إظهاراً أو استعراضاً للقدرة على التعبير بالكلام أو بالصوت. وقد تزاح اللذة التناسلية إلى سائر الجسم بجميعه ويكون الاستعراض بالملابس والمقتنيات والحركات التمثيلية.

وقد يكون الاستعراء محاولة من البعض لاستبعاد قلق الخصاء عندهم، بأن يؤكد المستعرى لنفسه أن ماالديه هو قضيب كامل، طالما أن النساء حالما يشاهدونه تصيبهن من رؤيته الدهشة، أو يتولاهن الخوف. وربما يكون الاستعراء والاستعراض معا من الأفعال العدوانية التى يُزاح فيها الدافع من الجنس إلى العدوان، ويتخذ شكل السلوك الجنسى العدوانى. وقد يكون نتيجة تعلّم بالصدفة عمّمه المريض. وقد يرتبط بالموقف الأوديبى عند المريض من أفراد من جنس عكس جنس المستعرى أو المستعرض.

ولم يفلح التحليل النفسى فى علاج الاستعراء، ولربما يفيد العلاج بالتحليل كعلاج مساعد يؤكد به المعالج ثقه المريض فى نفسه ويرفع من معنوياته. وإلى هذه الغاية نفسها يهدف العلاج الجماعى والعلاج الشرطى، ويفيد العلاج العائلى فى توجيه زوجة المستعرى وتبصيرها بأحوال زوجها. وكل ماسبق أنواع من العلاجات لها أثرها على صحة المستعرى النفسية والعائلية ولكنها لن تشفيه من الشذوذ نفسه.

وقد أمكن إحراز نجاح حقيقى فى علاج الاستعراء بالتنويم والكف المتبادل والتنفير. ويقوم المعالج فى العلاج بالتنويم بإرقاد المريض على وسادة وتطمينه ثم تنويمه، ويسأله أن يتذكر مايتصل بمرضه، ويقدم له التفسيرات مبينا أن الاستعراء فعل جنسى غير مباشر لرغبة جنسية مباشرة لم تجد الإشباع، ولم تأخذ طريقها الصحيح نحو التعبير، وأن الاستعراء كاستجابة مشبعة أو لذيذة يكررها المريض وبذلك رسخت كسلوك، وأن المريض الآن وقد عرف السبب بوسعه أن يتأبّى على هذه العادة وأن يعزم على أن لايأتيها. ويكرر المعالج هذا الكلام على المريض بصورة أو بأخرى فى كل جلسة ليزيد ثقته بنفسه واقتناعه بمايقول. وتستمر الجلسة نحو نصف ساعة أسبوعيا. وقيل أن بعض الحالات عولجت من الجلسة الأولى. ويشترط لنجاح العلاج أن تكون إغفاءة المريض عميقة. ويفسر تأثير التنويم على المريض بأن للإيحاء تأثيره على إطفاء الاستجابات الشرطية إما بعدم تعزيزها أو بالكفّ المتبادل.

ويقوم **العلاج بالكف المتبادل** reciprocal inhibition therapy على أساس أن السلوك العُصابى هو استجابة متعلمة لاتتناسب وضغوط البيئة، وأن إعادة التعلّم مطلوبة للتخلص منها. ويتلخص العلاج فى عرض المثيرات المحتملة على المريض بالتتابع، وعلى المريض أن يؤشر بيده كلما صادف منها مثيراً يهزه، وعلى المعالج أن يعيد الكرّة بادئا من قَبل المثير الأخير بمثيرين أو ثلاثة، واكتشاف هذا المثير وتكرار عرضه يضعف من تأثيره. وأمكن تطوير هذا العلاج بإعطاء المريض **الصوديوم ميثوهيكسيتال** حقنا فى الوريد لتحقيق نوع من الاسترخاء الذهنى والبدنى السريع والعميق، ثم يقوم المعالج بعرض المثيرات المحتملة التى تكف بعضها بعضا بالتبادل إلا ماينبّه إليه المريض فيعاد عرضه حتى يتحقق كفه. والهدف من العلاج بالكفّ المتبادل هو خفض القلق، ولذلك فهو أصلح للاستعرائيين المصابيين بفرط التوتر والعُصابية.

والعلاج بالتنفير aversion therapy أوالعلاج **بالتجّنب الإشراطى** avoid-ance canditioning therapy يكون بتدريب المريض على تجنب الاستجابات الشاذة، وهى فى الحالة التى نحن بصددها الاستعراء، ويتم ذلك بطريقة **فيلدمان** المعدّلة، بأن يسجل المعالج على بطاقات مايثير المريض ويدفعه إلى الاستعراء، ثم يعرضها عليه بالتبادل مع بطاقات مسجل عليها عبارات نقيض العبارات الأولى، كأن تكون إحدى البطاقات مسجلا عليها عبارة تفيد أن هناك شابة تجلس وحدها فى حديقة عامة، وتكون البطاقة البديلة مكتوباً عليها عبارة تعنى تقبيل المريض لزوجته أو ملاطفتها، وإذا تلكأ المريض أمام بطاقة تعبر العبارة فيها عن الانحراف يصاب بصدمة كهربية، وإذا أسرع بالضغط على الزر لرفع البطاقة فإنه يتلافى الصدمة، ويتلو ذلك مباشرة عرض العبارة البديلة. ويلاحظ أن العبارات قد صيغت بحيث تزود المريض بالمعلومات التى تكفيه لتكوين صورة ذهنية يملأ ثغراتها بالتفاصيل التى يتمناها. وتبلغ مجموع محاولات المريض بهذه الطريقة عشر محاولات فى الجلسة الواحدة لمرة أو مرتين فى الأسبوع. وعندما يتأكد المعالج أن المريض لم يعد يفكر فى الاستعراء لمدة أسبوعين متواليين على الأقل تقلل الجلسات إلى جلسة كل أسبوعين لمدة أسبوعين، ثم جلسة كل شهر تشتمل الواحدة على ثلاث محاولات، ثم يقتصر العلاج على مقابلة واحدة كل ثلاثة أشهر لمدة سنتين.

وقيل إن عرض **شريط فيديو** للاستعراء على المريض يفيد فى تنفيره من هذا السلوك، وقيل إن دفع المريض للاستعراء أمام معارفه فى وقت معين ومكان معين له نفس الأثر.

ومن المفيد اللجوء **للعقاقير** لخفض القلق والاكتئاب المحتملين. **وللثيوريدازين** تأثير كبير على المنحرفين جنسيا لتعطيله للدافع الجنسى لأسباب نجهلها. ولاينصح بإعطاء هذا الدواء إلا فى حالة الخوف من معاودة الميول الإظهارية. وقد تحدث الجرعة الزائدة عجزا جنسيا مؤقتا أو عجزا عن القذف. وقد تكون له مضاعفات أخرى منها النعاس وجفاف الفم. ومن الممكن استخدام هذا العقار أو مثيله فى حاله الاستعراء الذى يصحبه قذف أو استمناء. وقد ينصح فى الحالات الشديدة من الاستعراء والتى تكون فيها ممارسات المريض لعدة مرات فى اليوم بجراحة استئصال الخصيتين أو بالعلاج الكهربائى لمناطق المخ الحيوية كالمهاد وتحت المهاد إذا ثبت فشل العلاجات النفسية والسلوكية الأخرى.



- ١٠ -

التطلع الجنسى Voyeurism; Inspectionism

التنظّر أو التفرّج الجنسى انحراف يشبع المصاب به نفسه جنسياً باختلاس النظر إلى العرايا ومطالعة عورات الآخرين ومشاهدة الممارسات الجنسية وأخصها الجماع.

واستراق النظر يأتيه الرجال والنساء إلا أنه يشيع بين الرجال، وقد يقبل الأطفال على مشاهدة الأفعال المحرّمة فلا نجد غضاضة فيما يأتونه عفو الخاطر أو من باب حب الاستطلاع، إلا أنه عند الكبار **دليل شذوذ**، وقد يستعيض به بعضهم عن الإشباع الجنسى المباشر مع طرف من الجنس الآخر، وقد يبلغ بهم الهياج أن يستمنون أثناء المشاهدة، وقد يستبد بهم شذوذ التطلّع الجنسى إلى حد التسلل إلى المنازل ليلا، ينتهكون حرماتها، أو يسترقون النظر من خلال النوافذ المفتوحة، علّهم يرون المرأة عارية أو تخلع ملابسها، أو زوجين يتضاجعان. وقد تشتد بهم العلّة فيرتاد المريض بالتطلّع الجنسى المواخير يطلب استراق النظر إلى عورات الزبائن ومضاجعاتهم من خلال ثقوب وفتحات يصنعها أصحاب هذه المواخير خصيصا لهذا الصنف من الانحراف الجنسى ويؤجرونها للمنحرفين.

والواقع أن معظمنا به جزء من هذا التطلّع، ولا يكاد يوجد منا من لايداخله السرور من مشاهدة الأفلام الفاضحة أو قراءة الأدب المكشوف والتفرّج على المجلات التى تصور العرايا. ولابأس فيما نفعل إلا إذا زادت لذة **المشاهدة** على لذة **الممارسة**، وحينئذ يتوجب عرض الأمر على الطبيب النفسى، ومع ذلك فالتفرّج الجنسى الإكلينيكى نادر هذه الأيام،

وربما مرجع ذلك إلى انتشار الوسائل غير المحظورة لإشباع هذه الرغبة عند البعض منا دون التورط فى مشاكل قانونية أو بوليسية أو طبية.

والانحراف الجنسى بالتطلّع أو التنظّر إلى العرايا أو مضاجعاتهم يأتيه خصيصا **النمط الخجول** من البالغين، فعندما يكون الشاب خجولا فى علاقاته بالجنس الآخر، ولايشعر أنه كفء للنساء، فالغالب أن يكون شغوفا بالمعرفة الجنسية، وقد يقبل على استراق النظر فيشبع حبه للاستطلاع، ويُرضى فى نفس الوقت حاجاته الجنسية دون أن يلجأ إلى الاحتكاك بالجنس الآخر، وما يمكن أن يجره عليه ذلك من صدمات انفعالية يخشاها كل الخشية ويستشعر منها الإهانة البالغة لشخصه. واستراق النظر يمنحه مشاعر **تعويضية** بالقوة والتفوق، وبسبب ذلك يستمر المسترق فى إتيان هذا الفعل حتى يتثبت عنده كنمط سلوكى. ويتم الاستراق فى جو محاط بالسرية ومغلّف بالمغامرة والخطورة، فتزيد عنده الاستثارة الانفعالية وتتعزز بها الإثارة الجنسية. وقد يهيج المسترق فيسرع إلى مضاجعة زوجته أو أى من الجنس الآخر، وغالبا ما لايشبعه الجماع، وقد يكفيه أن يسترق النظر دون جماع، وكثيرا ما يزيد به هياجه جدا حتى لينعظ ويُمنِى، وقد يلجأ إلى الاستمناء باليد، وذلك ما يفعله المراهقون والطلبة والشباب عموما بعد استراق النظر.

وقد يسترق **المتزوج** النظر، وغالبا ما يكون **كبير السن**، وقد يكون رجلا أو امرأة، وهو إنسان غير موفق جنسيا فى زواجه فى معظم الأحيان، وكثيرا ما يجمح به خياله فيتصور نفسه فى مكان أحد المتواقعيْن اللذين يشاهدهما.

وقيل فى تفسير التكوين النفسى لمسترق النظر أنه نشأ على **مشاهدة أبويه** يتناكحان، وكانا يظنان أنه نائم أو أنهما فى مأمن من اكتشافهما يتضاجعان، وأنه باستراق النظر يعيد تمثيل مشاهد الطفولة فى محاولة للسيطرة على فوضى الانفعالات التى انتابته وقتها.

واستراق النظر ليس من الأفعال اللااجتماعية أو الإجرامية الخطيرة، ويمكن الشفاء منه بالعلاج النفسى قصير الأمد، غير أنه قد يحدث أن يتدرج الاستراق إلى ماهو أخطر من ذلك إذا لم يعالج، كأن يدفع بصاحبه إلى محاولة اغتصاب، أو إلى إشعال الحرائق، وكلاهما من الأفعال التى قد يأتيها بعض المنحرفين عندما يشتد بهم الوجد الجنسى ويضل عنهم الموضوع الذى قد يكون به الإشباع لهذا الهياج. وهذه **حالة لمراهق** فى الرابعة عشرة

من عمره استمر يأتى اختلاس النظر الجنسى خلسة، ثم جاهر به مدة خمس سنوات، وكان يصرخ كلما شاهد شيئا من عورة أو فعل جنسى ليلفت الأنظار، ثم لجأ إلى معاكسة المنظورين، ثم حاول فى التاسعة عشرة من عمره أن يغتصب سيدة فى الخامسة والأربعين.

ومن الممكن **التسامى** بدافع التطلّع إذا تحول الاهتمام من العورة إلى الجسم ككل، يتأمل منه تكوينه وانسيابه وتناسق أعضائه، ويذهب **فرويد** الى أن التسامى بهذه الطريقة وسيلة لتصريف الطاقة الشهوية فى منصرفات **فنية**.

وتعشق التطلع الجنسى scopohilia يقابل الاستعراء، كتقابل السادية والماسوشية، ويطلق **فرويد** على هذه المتقابلات اسم **الغرائز المتزاوجة** paired in-stincts.

وتعشُّق التطلّع الجنسى قد يكون من الشخص لنفسه، ويقال له **تعشق التطلّع الذاتى** autoscopophilia، بأن يغرم بالتفرّج على نفسه، أو يشاهد عورته أو ينظر نفسه فى مرآة يضاجع امرأته، أو يستمع إلى تسجيلات لنفسه يجامعها، فإذا توجه حبّ التطلّع إلى الآخرين وعوراتهم وممارساتهم الجنسية فهو **حب التطلع الموجب**، وإذا افتعل الشخص ما من شأنه أن يدفع الآخرين إلى مطالعته والتفرّج على عريه وعورته فهو **حب تطلع سالب** (Freud : Collected Pepers. vol111.)

ويقال للهوس بالتطلع الجنسى أنه **غلمة التطلّع** scopolagnia، وللخواف من مطالعة الناس أنه **فوبيا المطالعة** scopophobia.

وعلاج استراق النظر الجنسى قد يؤتى ثماره بتدريب المريض تدريبا يزيد ثقته بنفسه ويبطل حساسيته فى المواقف التى يكون فيها طرفا فى علاقة مع شخص من الجنس الآخر، أو بتنفيره من سلوك استراق النظر **بالعلاج السلوكى بالتنفير** الذى تعقبه راحة أو بالإشراط المضاد (Jackson: A Case of Voyeurism Treated by Counterconditioning. Behavior Research and Therapy)

(أنظر **الغلمة والاغتصاب وهوس إشعال الحرائق**).

* * *

- ١١ -

الاغتصاب Rape

هو زنا يقوم على الإكراه فيغضب الرجل المرأة ويقال أنه **غاصب** rapist، والمرأة

مغصوبة أو مغتصبة rapee. والاغتصاب يُستهدَف به النساء. وليس بمقدور أيه امرأة أن تغتصب رجلا لأنه ما من رجل يمكن أن ينتصب ويباشرها تحت التهديد. والاغتصاب عمل عنيف يقتضى استخدام القوة وهو مالا تستطيعه امرأة مع رجل. وتحفل مراكز الشرطة ببلاغات عن حوادث اغتصاب لفتيات قاصرات أبكار أو سيدات شابات أو فى أعمار متوسطة أو عاتيات فى السن، ولم يحدث أن أبلغ شاب عن اغتصاب امرأة له. ويقول **كينزى** فى تقريره «**السلوك الجنسى عند الرجل**» أنه من بين كل **ألف** أنثى يتم اغتصاب ٩١ فى السن بين العاشرة والتاسعة عشرة، و٢٣٨ فى السن بين العشرين والتاسعة والعشرين، و١٠٤ فى السن بين الثلاثين والتاسعة والثلاثين، و٤٨ فى السن بين الأربعين والتاسعة والأربعين. **وتتضاعف** هذه النسب عند الشعوب والمجتمعات **المتخلفة**، وتختلف من **حى إلى حى** فى المدينة الواحدة، وفى **المدن** عنها فى **الأرياف**، وتختلف فى المجتمع الواحد بحسب **أعمار** الأفراد.

وهناك علاقة بين انتشار الاغتصاب **والحرية الجنسية** التى يعيشها الشباب اليوم، والتحلل الأخلاقى المترتب على إلغاء دوْر البيت والمدرسة فى التربية، والإباحية التى تسهم فى إشاعتها وسائل الإعلام كالصحف والتلفزيون والفيديو والسينما بما تقدم من قصص وأفلام خليعة تبشر بقيم لايمكن أن تفرز إلا هذا النوع الذى يسعى وراء تصريف الطاقة الجنسية بأى طريق، حتى لو كان ذلك باستخدام العنف واتباع أسلوب الاغتصاب.

ويقول **كينزى** إن أكثر ما يأتى الاغتصاب من شبان غير متزوجين، وأكثرهم عاطل وسبق اتهامه فى جرائم أخرى معظمها جرائم جنسية، وبينما نجد أن ٢٢٪ من المغتصبين دون الخامسة والعشرين من **أصحاب السوابق**، فإن هذه النسبة تزيد الى ٨٧٪ بين المغتصبين فى السن بين الخامسة والعشرين والثلاثين، ثم إلى ٩٦٪ بين من بلغوا الثلاثين، أى أن الجميع تقريبا فى سن **الثلاثين** الذين يقومون بالاغتصاب **أصحاب سوابق**، ونصفها تقريبا سوابق **جنسية** (Kinsey et al: The Sexual Behaviour in the Human Male).

وللغاصب **شخصية** خاصة يذهب البعض إلى تصنيفها إلى **ثلاثة** أنماط، **الأول** يمارس الاغتصاب مدفوعا بالكبت الجنسى، **والثانى هو** الغاصب السادى الذى يغتصب لأنه عدوانى، ويختار الاغتصاب يصرف فيه عنفه، **والثالث هو** الغاصب النهّاب الذى يعيش على

السطو ويغتصب إذا تسنى له ذلك، ولا فرق عنده إذا سطا على الأملاك أوالأعراض (Reinhart: Sex Perversions and Sex Crimes).

والغاصب من أى نمط من الأنماط السابقة لابد له من استخدام العنف، إلا أن العنف الذى يلجأ إليه يختلف بحسب نمط الشخصية، وأكثر العنف يتأتى من النمط **السادى**، والغاصب من هذا النمط لاتشبعه المواقعة إن لم يُقسرِ المرأة عليها، وكلما قاومت تضاعفت لذته من المواقعة. ومواقعة الغاصب لاتستغرق **الثوانى**، وقد يُمنِى أثناء مقاومة الضحية، أو قبل أن يولج، أو بعد أن يولج مباشرة. وأما الغاصب النهّاب فقد يمارس الاغتصاب بعد أن يسرق، والسرقه عنده تأتى أولاً ثم تكون المضاجعة، ويهدد بالاغتصاب أولاً ليحصل من الضحية على كل ما تستطيع أن تقدمه من مال أو حلى، ثم يمارس الاغتصاب. وهو يعنف إذا رفضت أن تعطيه مامعها، وقد لايجد معها إلا ماهو تافه فلا يتورع عن السطو عليه، وسطوه هو استمرار لممارساته السابقة فى السطو، أو ربما للتمويه على الشرطة، فقد يكون الغاصب من النوع الأول المدفوع بالكبت، وعندئذ فقد يخطط لجريمته بحيث تبدو على أن مرتكبها لص ليضلل الشرطة عنه.

وتصنّف شخصية الغاصب باعتباره **لااجتماعيا**، واللااجتماعى إنسان معتلّ النفس، وهو المعنىّ بمصطلح «**سيكوباتى**»، والسيكوباتى له اتجاهات إجرامية وينسب إليه البعض «**الجنون الأخلاقى**» بمعنى أن فهمه يقصر عن استيعاب الأخلاق والعرف، وسلوكه يجافى التقاليد ويشاق الضوابط الاجتماعيه، وولاؤه لنفسه، ولاتهمه إلا سعادته ولذته، وهو إذ يختار الاغتصاب وسيلة لتحقيق هذه اللذة وتحصيل السعادة فإنه يجعل من النساء أداة لإشباع نهمه الجنسى، وليس أسهل عنده من استخدام العنف إذا قاومته المرأة.

وبعض الذين يلجأون إلى الاغتصاب قد يفعلون ذلك تحت تأثير الخمر، ولكن الخمر لاتدفع كل الناس إلى هذا الفعل إلا نفراً منهم تكشف عما بأنفسهم من كراهية وعدوانية لايجدون متنفسا لهما إلا فى الاغتصاب.

وهناك نوع من الغاصبين يشهد لهم العارفون بالوداعة والهدوء والخُلق، إلا أنهم يحذرون نوبات من الهياج تخرجهم عن وعيهم، وهذا النوع شبة فُصامى، ورغم هدوئه الظاهرى إلا أنه يخفى الكثير من الهواجس ويستسلم لأحلام اليقظة، وليس هدوءه إلا لأنه متبلد الوجدان بعض الشئ، وفى ثورته ينزو على الأعراض.

ويذهب بعض أطباء النفس إلى القول بصنف من الغاصبين يدفعه إلى إتيان الاغتصاب أنه صاحب نظرتين أو معيارين، والنساء عنده إما خيرّات أو فاسقات، ومعاملته تختلف بالنسبة للنوعين، وأخلاقياته مع الخيرّات بخلاف أخلاقياته مع الفاسقات، وقد يحلل لنفسه أن ينزو على الفاسقات بدعوى أنهن فاسقات، وبقدر ما تراه مؤدبا مع النوع الأول تراه فاجرا داعرا مع النوع الثاني.

وللضحايا دراسات مستفيضة كالدراسات على الغاصبين، ويُطلق عليها الإخصائيون **مبحث ضحايا الاغتصاب**victimology. والفتاة أو المرأة المغتصبة لها تصرفات تغرى الغاصبين على اغتصابها، ويلفت **القرآن الكريم** النظر إلى مثل ذلك بقول الله تعالى «فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض (الأحزاب٣٢) فقد تستخدم المرأة عطراً زاعقاً، أو تلبس ثياباً شديدة البهرجة، أو تضع على وجهها المساحيق بدرجة ملفتة، وقد تمشى تتبختر أو تتحدث لتلفت إليها الأنظار، وقد تكون امرأة سيئة السمعة، ولربما يعرفها الجانى، وغالبا مالايتجرأ الرجل على اغتصاب امرأة من غير طبقته، وقد يختارها من نفس الحى الذى يسكنه، ولربما يخرج الغاصب لايلوى على شئ فتلتقى به امرأة عابرة تسترعى انتباهه بشئ معين فيها، وقد يتصادف أن تسأله إحداهن عن مكتب البريد أو رقم بيت من البيوت فيكون ذلك مدعاة عنده لأن يفكر فى اغتصابها. وربما يكون الغاصب قد جالس هذه المرأة لسبب من الأسباب، أو ربما يلمس فيها غباء أو تخلفاً عقليا أو ينتهز فرصة غياب عقلها بالخمر، أو قد يصدر منها من القول أو الفعل مايجعله يفهم أنها تدعوه، أو هكذا يتخيل أو يفسر ما يصدر منها، وقد يعول على مضاجعتها فإذا هى تتأبّى عليه فيدبر اغتصابها.

ولقدتبين من دراسة الضحايا أن أكثر من **النصف** يسرعن بالاستسلام للجانى حال تهديده لهن، بينما لاتقاومنه إلا ٢٧٪ منهن مقاومة لاتذكر، من خلال الكلام وباللجوء إلى البكاء، فى حين تستميت فى المقاومة ١٨٪ منهن. وربما كان المبرر لهذه المقاومة الضعيفة للغاصب أن بالنساء استعداداً لأن يكن **مجنيات عليهن** victim proneness أو ضحايا، ويبدو أن المرأة بفطرتها ضعيفة فى بنيتى الجسم والنفس معا، وأنها لا تستطيع الصمود أمام العنف وسرعان ما تنهار، وربما كان الأقرب لطبيعة المرأة أنها استسلامية.

ورغم أن عملية الجماع، لو حدثت على الحقيقة وأولج الغاصب وباشر، لاتستغرق إلا

ثوان، إلا أنه قد تبين أن المرأة المغتصَبة لاتكون لها **البرودة الجنسية** التى تجعلها جافة والتى تحول بين الرجل وأن يولج فيها، وهو عكس مايحدث عندما يحاول الزوج أن يأتى امرأته وتكون كارهة له، فإن جفافها يكون بالدرجة التى تمنعه فعلا أن يولج، وربما يظل الزوج يحاول أن يولج دون فائدة، وقد يضطر أن يستخدم المراهم والكريمات أو أن يبلل قضيبه، إلا أن الغاصب رغم التوتر والخوف الشديد والعراك والمقاومة وسوء المعاملة والهول الذى ينزل بالمرأة لايجد صعوبة فى الإيلاج بمجرد أن يجد طريقه إلى فرجها، وقيل فى تبرير ذلك أن الموقف بكل ما فيه من ملابسات قد يكون مثيرا لها، وربما كانت الجنسية فى المرأة بشكل عام تستلزم قدرا من القحة والتهجّم والجرأة لتتهيج، ولقد كانت النساء فى زمان الفروسية وقبل ذلك عندما كان الرجل يضطر إلى خطفها من أبيها وقبيلتها لاتستسلم وتلين إلا إذا كان الرجل يبدى من العنف معها ومع أسرتها مايجعلها تشعر بالمقابل بأنوثتها، وربما كانت هذه النوعيات من النساء اللاتى يغتصبن أو القابلات للاغتصاب تهيجهن هذه الطريقة برغم ما قد يبدين من مقاومة، وكانت هذه النقطة بالذات محل تفكير من كثير من **السينمائيين** وجعلتهم ينتجون أفلاما أبطالها وحش مثل **كنج كونج** يخطف الفتاة فتحبه على الحقيقة برغم وحشيته. وبعض النساء يثيرهن **العنف**، وقد لا تقبل المرأة الجماع إلا إذا ضربت، وربما كانت الوحشية صفه حقيقية لبعض الغاصبين، وهو وحش ضار فى كل معاملاته حتى ليلجأ إلى حد إيذاء الضحية بدنياً إلى درجة أنه قد يبول عليها أو فيها تعبيراً عن احتقاره لها، وخاصة إذا كانت امرأة من غير طبقته، وكان يعرفها من قبل وراودها عن نفسها فتأبّت عليه، أو طلب خطبتها فرفضت. والغاصب قد لايفعل ذلك مع الضحية إلا لأنه يشعر أنه أضآل منها قدرا، وهو يخافها لاشعوريا فيعكس الوضع ويثير الرعب فى نفسها بالعنف والإيذاء، والاغتصاب نوع من الإيذاء ينزله الرجل بالمرأة كى يثبت لنفسه ولها رجولته وفحولته وسيادته، وربما لايتخذ الإيذاء الشكل المَرَضى السابق ولكنه يكون إيذاء صبيانيا، فقد يكون كل ما يفعله بها أن يمسك بخناقها ويشدها من شعرها ويلقيها أرضا ويرتمى عليها، متلمسا فرجها وثدييها وشفتيها، وقد يدخل بعض أصابعه فى فرجها ولكنه لايولج فيه لأنه عنّين، وربما كان دافعه لأن يفعل كل هذا العنف أن يثبت لأقرانه المشتركين معه أنه ندٌّ لهم، وربما يثيرهم عنفه معها حتى ليُمنى بعضهم وهم شهود الموقف، وربما تكون بأحدهم لواطة فيكون الاغتصاب الجماعى فرصة تتبدى فيها هذه

الميول، فحالما يشهد اللوطى منهم الغاصب مرتمياً على الفتاة وقد تعرّت مؤخرته فقد ينسى نفسه ويعتدى عليه جنسيا مدخلا قضيبه فى دُبُره.

ومشهد الاغتصاب برمته من المشاهد التى يحوطها العنف، وتجربة الاغتصاب كلها من التجارب التى تلتهب فيها المشاعر وتفرط الأحاسيس، وبعض الناس سواء كانوا غاصبين أو ضحايا لايجامعون أو يقبلون على الجماع إلا إذا سبق ذلك مجهود بدنى، وأن يعانوا انفعالات قوية. وهناك زوجات وأزواج لايأتون الجماع إلا إذا كان اغتصابا، بمعنى أن الزوج يشبعه دائما أن يكون دوره فى العلاقة الزوجية هو دور الغاصب الذى يُكرِه امرأته على أن يجامعها ويباشرها بالقوة، ويشبع الزوجة أن يكون دورها هو دور الضحية التى تُكرَه على الجماع.

والاغتصاب من المواقف الجنسية التى تُظهِر الميول السادية والماسوشية لدى الغاصب والضحية معا، وتكون الصادية أو السادية بالغاصب بحيث يقسو على الضحية ثم يباشرها بعد ذلك، أو يكتفى بالقسوه عليها إلى حد إشباعه جنسيا دون جماع، وتكون السادية بالضحية فتمتنع عليه وتقاومه وقد تعتدى بأظافرها على وجهه، وقد تثير مقاومتها ماسوشيته فيستعطفها بعد تجبّر، وتكون الماسوشية بالمرأة فيلذ لها الألم أو التعذيب وتطيل المقاومة ليطول شبقها الألمى ثم تستسلم وتخضع. ومن رأى **فرويد** أن الرجل والمرأة بهما معا الجانبان السادى والماسوشى، **والسادية** تعنى لذة التعذيب أو الشعور باللذة من تعذيب الغير وإيذائه وإذلاله، **والماسوشية** عكسها، والرجل عموما يزيد به الميل إلى السادية بينما المرأة يزيد بها الميل إلى الماسوشية، **والغاصب سادى**، والمرأة اللعوب التى تغرى الناس بها حتى ليطمع فيها الغاصب ماسوشية والغة فى الماسوشية، وسلوكها اللعوب دعوة صريحة لأن يأتيها الرجال بطريق الاغتصاب أى بالتعذيب. والسادى الوالغ فى السادية قد يصاحب **هتك العرض بإزهاق النفس** lust murder، والقتل الذى قد يقوم به قد يأتى عَرَضاً، ولكنه إذا فعله شعوريا أو لاشعوريا فهو عنده دليل على قدرته الجنسية، وهذا الصنف من القتلة تأتيه نوبات القتل أو الجنس فى شكل دورى وقهرى، فتراه فجأة يبحث عن امرأة يعتدى عليها ويجامعها، وهذا السفاح، أو **سفاح النساء** كما يسمونه، قد يمثّل بضحيته قبل أن يجامعها أو بعد أن يجامعها، وقد يجدع ثدييها أو يثلم فرجها، وينهال على الجروح يلحسها ويمص الدم ويعض مايثيره من أعضائها وقد يتملكه **أن يشرب من دمها**

(vampirism) أو يـأكل مـن لحمها (cannibalism)، وقد يقذف قبل أن يولج، وقد لايولج إطلاقا، وقد تعصف به انفعالاته فيغيب عن وعيه فى حمأتها، ثم يعود بعد الاغتصاب شخصا عاديا إلى أن تأتيه النوبة التالية. وقيل فى **تفسير** سلوك هذا النمط من الغاصبين أن مالديهم من مكونات تدميرية من المرحلة قبل التناسلية لم تُستدمَج فى الشخصية وظلت منفصلة عنها لا سبيل إلى السيطرة عليها، ولهذا فهم هادئون فى الأحوال العادية ولكنه الهدوء الظاهرى الذى يحمل كل إمكانات المعاودة القهرية للشهوة العارمة التى تجعل منهم شخصيات غاية فى الخطورة. ومنهم فريق يتوجه بالاغتصاب إلى **جثث الموتى** (necrophilia)، فكلما كانت هناك امرأة متوفاة حديثا فضّ الغاصب قبرها وناكحها، وقد يمثّل بالجثة ويشوّه وجهها بالأحماض، أو قد يأكل من لحمها. ولاشك أن هذا الغاصب مصاب بالذُهان، ويذهب المحللون إلى تفسير هذا السلوك فيه إلى الخوف الشعورى أو اللاشعورى من الخصاء، بأن يتعين بكل صفات المعتدى الذى يقوم بالإخصاء، فإذا اعتدى وأوغل فى الاعتداء وكان اعتداؤه مجرد ضرب وليس فيه خصاء فإنه يطمئن إلى أن الخصاء وَهْم وليس بحقيقة، وأن المعتدى لايقوم بالإخصاء فعلا بل مجرد قسوة لاخوف منها، وهو يقوم بالتمثيل بجثة الأنثى بسبب هذا الخوف من التأنّث، وشبيه بهذا السلوك الذى مصدره الخوف من الخصاء أو الخوف من التأنّث مايحدث من بعض المراهقين عندما تنهار لديهم ضوابط **الأنا الأعلى** فيتسلل المراهق إلى حجرات النساء ليتلف ملابسهن الداخلية ويمزق صورهن (Kopp:The Character Structure of Sex Offenders. Amer. J. Psychother.).

والغاصب للنساء **غير ذواقة** فى مسائل الجمال، فهو قد يعتدى على البنت الصغيرة فى العشرين، وعلى العجوز الشمطاء فى السبعين، وربما يكون الأسهل أن يعتدى على عجائز النساء حيث تكون العجوز وحدها فى البيت بعد أن يكون زوجها قد مات ورحل عنها وأولادها، ولاتستطيع مقاومته أو الصراخ (East: Sexual Offenders).

ولقد قلنا إن الكثير من الغاصبين متزوجون، فماذا عن **زوجة الغاصب**، وماهى حقيقة علاقته بها وكيف يتعاملان؟

إن الغاضب المتزوج يعيش حياة زوجية مضطربة، وزوجته تعانى مثله من اضطرابات خطيرة فى الشخصية، وغالبا ماتكون بغيا أو لها باع فى بعض المهن التى لها علاقة

بطريقة ما بالبغاء أو المخدرات، وهي امرأة على قدر من الجمال الحسي الذي يعجب أمثاله، والذى قد يكون مطمعا البعض، وتستطيع عن طريقه أن تحقق بعض المكاسب. وهي أيضا امرأة حرون تتأبى عليه، ولاتنيله نفسها، وترهقه بالمطالب، وتعيّره بضعفه من حيث قوته البدنية أو سيطرة الآخرين عليه وقلة دخله. ومن ناحيته فهو يختارها لأنها من نفس نوعية أمه، والغالب أن الغاصب نشأ فى بيت السيطرة فيه للأم ولم يكن فيه منْ القيم مايمكن أن يتربّى عليه ويكون له بمثابة الضمير الهادى، وكانت أمه أيضا من النساء اللاتى يتمتعن بقدر من هذا الجمال الحسّى مع اتجاهات ذكورية واضحة، وزوجته التى اختارها تشبه أمه وقد تكرر معه خبرات من طفولته. وهو يلجأ إلى الاغتصاب لأنه فى الماضى وهو طفل قد اشتهى هذه الأم الحلوة المسيطرة ولم ينل شيئا، وهو فى الحاضر يشتهى زوجته، وهى صورة أمه، ولايتحقق له مما يشتهى شئ. والاغتصاب الذى يقوم به هو فعل مزاح إلى الفتاة التى يعتدى عليها، من الأم المغرية من الماضى والأم المغرية الحالية (الزوجة) المتأبيتين عليه، وهو يتوجه بعدوانه إلى هذه الفتاة وكأنه يُخضِع بعدوانه عليها أمه وزوجته، وتتأتى لذته من رؤية الفزع المرتسم على وجه الفتاة واستسلامها له وقدرته الجنسية عليها.

والغاصب **لاترجى فائدة من علاجه**، وذلك لعمق الخلل فى شخصيته، وعدم رؤيته لحقيقة مابه، وعدم استبصاره لاضطراباته، وعدم فهمه لما يقال له من تحليلات أو تفسيرات، وعدم تجاوبه لما يطلبه منه المعالج، وهو **غير راغب فى العلاج** ولايتصور أنه مريض نفسيا، وليست له دوافع لكى يطلب مثل هذا العلاج، ويقاومه بشدة.

ومن الخطورة أن يبقى الغاصب حرا، أو أن يسجن لفترة ويطلق بسراحه من جديد، وذلك لأنه سيعود إلى ماكان يفعل، ولن يحال بينه وأن يكرر التجربة من جديد وباستمرار، وحتى الآن ليس من سبيل لدفع أذاه ووقاية المجتمع من شرّه إلا **بالسجن مدى الحياة أو الإعدام**، وذلك بالنظر إلى الفساد الشديد الذى يلحق بالمجتمع من سلوكه الخطير. وبالرغم من أنه ليست هناك دراسات منشورة تتابع تأثير الاغتصاب على الضحية، إلا أنه قد لوحظ أن هناك فرقا بين اغتصاب البنت البكر أو السيدة التى تنتمى لعائلة محترمة واغتصاب الفتيات ذوات السمعة السيئة أو السيدات من طبقات اجتماعية متدنية. والاغتصاب بالنسبة للنوع الأول بمثابة **زلزال** يهز نفس البنت أو السيدة المحترمة هزا عنيفا، ويكون كالصدمة الشديدة تنهار بعده، ولابد أن يتابع علاجها طبيب نفسى، وأن تكون هناك لقاءات

له بالعائلة كلها ليبين للجميع العلاقات الجديدة التى ينبغى أن تكون لهم بها. وربما يتخلف لدى البنت نتيجة هذه الخبرة المؤلمة مايجعلها تعاف الجنس وتخشى الجماع وترهب جنس الرجال، وقد تصاب باكتئاب شديد أو بفقدان للذاكرة لبعض الوقت. وكانت هناك محاولة من أحد السينمائيين لتصوير تأثيرات الاغتصاب عن قصة **يوسف أدريس** عن عمال التراحيل، ولكنه جعل وفاة بطلة القصة عن طريق حمّى النفاس فسقط الفيلم، وكانت هناك محاولة أخرى فى فيلم فرنسى بعنوان **هيروشيما حبيبى**، فساوى بين تأثيرات القنبلة الذرية وردود الفعل للاغتصاب فأجاد فى التعبير أيما إجاده. والواقع أن الاغتصاب له هذا الفعل التدميرى على الضحية. ولايمكن أن تستطيع البنت بعد هذا الحادث المؤلم غاية فى الألم أن تواجه أهلها والجيران والطالبات معها أو الموظفات فى عملها. ويضطر أهلها إلى الانتقال إلى مدينة أخرى وتتقطع بهم كل الأسباب بالأقارب والأصدقاء والمعارف، وهذا بعض مايترتب على الاغتصاب من نتائج مادية، ناهيك عن النتائج النفسية المتصورة.

(أنظر **الانحراف الجنسى واشتهاء الموتى وأكل لحوم البشر والسادية والماسوشية**).

❋ ❋ ❋

- ١٢ -

البغــاء Prostitution

يقال بغت المرأة بِغاءً بكسر الباء أى فجرت، وهى **بغى** **prostitute**، وهى المأجورة على مضاجعة الرجال، والبغاء حرفتها. وليست البغى مجرد زانية أو خُلْطة، فالزانية adulteress تواقع بدافع الشهوة، **والخُلْطة** **promiscuous** هلوك تشتاع الرجال، وأما البغى فابتياغها من أجل المال وحده، وهى تقتضيه عيناً، والبغاء لذلك انحراف جنسى، وجريمة فى نفس الوقت يدرج ضمن **جرائم الجنس** **sex crimes**، لأن غاية الفعل الجنسى فى البغاء تخرج عن نطاق الإشباع الجنسى المقنن وتستوجب العقاب.

والأدب أو الفن الذى يعالج البغايا هو **البورنوجرافيا** **pornography**، وهو الأدب المكشوف أو الفن الفاضح. وللبعض **ولع مرضى بالفواحش** **pornolagnia**، **وهوس بادب البغايا ومصوراتهن** **pornographomania**.

وقد يحترف الرجال البغاء، **وبغاء الذكور غيرى الجنسية** **heterosexual- male p.** هو الذى يبيع فيه الرجل طاقته الجنسية للنساء، وهو نادر، والرجل البغى قد يضاجع

أكثر من امرأة فى اليوم الواحد ويتعمد أن لايُمنِى، وقد يكون مصابا بالغُلمة، وقد يكون مأبونا أو لوطيا. **وبغاء الذكور مثلى الجنسية** homosexual- male p.، وهو الذى يؤجر عليه الرجل فيكون مأبونا يأتيه الذكران لقاء مال، أو يكون لوطيا يأتى هو الذكران نظير المال. وقد تلحق المواخير بعضا من هؤلاء بها يكونون **تحت الطلب** call boys، فلربما يحضر الزبون الذى طلبته المأبون أو اللوطى. وقد يعملون لحسابهم، وغالبا مالايكون لهم قوّاد. وقد يكون للبغى المأبون رفيق يهوَى إليه، وقد ينفق عليه. وقد يكون الزبون هو المأبون، وهناك الكثير من الزبائن لبغاء اللواط هذا، وبعضهم من **الفنانين والسياسيين**. وكانت هناك الكثير من الفضائح فى أوروبا التى تورط فيها وزراء ورؤساء وزارات فى انجلترا وغيرها، وفنانون كبار كانوا من المترددين بانتظام على المواخير كزبائن لبغاء اللواط. والبغى اللوطى لايُمنِى ويسلك مع الزبون مسلكا رجوليا رغم أنه قد يكون مأبونا هو نفسه، وهو مضطر أن لايُظهِر أنه مأبون وإلا تحطمت صورته عند الزبون الذى يقدم أساسا ليواقع رجلا غيرى الجنسية. وقد يكون البغى الذكر غيرى ومثلى الجنسية فى نفس الوقت.

والبغاء مثلى الجنسية منه بغاء تتمومس فيه النساء للنساء. وبغاء **المساحقات** نادر، وقد تفعل البغى السحاق وإن لم تكن مثلية الجنسية إرضاءً لزبونة مفاحشة.

وقد تتفاضل البغايا فيقال **العاهرة** housegirl للبغى المرخَّصة يأتيها الرجال فى بيوت الدعارة brothels، وبعض الحكومات تشرف على هذا النوع من البغاء وتتقاضى عليه الضرائب، وتفرض على صاحباته الكشف الطبى الدورى، اعتقاداً أن **الدعارة المنظمة** أسلم للصحة وأصون للأخلاق. **والمومس** call girl هى الفاجرة جهاراً، من ماست المرأة أى تبخترت واختالت، يستقدمونها عن طريق **القوّادين** procurers أو بالهاتف، وقد تؤم الحانات وتسامر السُكارَى ولها عموله على عدد ما يحتسِى الزبون من زجاجات الخمر، واسمها عندهم **لعوب الخمارة** (bar girl (B-girl أو الفتّاحة، لأنها التى تفتح زجاجات الخمر وتغرى الزبون على طلبها. وقد تتصيد زبائنها من الشوارع وتسمى **السكّاكة** street walker، وهى أقل البغايا شأنا، ولاتختار زبائنها ولاتدقق فى السعر، وسلوكها مرصود من **بوليس الآداب** morals police. والمومس أعلاهن أجراً (Greenwald: The Elegant Prostitute). وقد تتخصص بعض البغايا

فى المصابين بالأمراض النفسية كالسادية والماسوشية. وقد تتجنب بعضهم المباشرة. وقد يقتصر بغاء لعوب الخمارة على القول الفاحش، وقد تُمنى الزبون بيدها، وقد تستعرى أمام الزبائن، وقد تستعرض الجماع مع أحدهم بشهادة الحضور.

وامتهان البغى للبغاء قد يكون من خلال ديوث أو بتأثير إحدى البغايا. وتستغرق إحاطتها بالثقافة المتخصصة للبغايا بضعة شهور. وتتحصل لها أثناء ذلك صُورة عن نفسها منبتة الصلة بالصورة القديمة أو تكاد، وتغير اسمها وعاداتها، وتتوثق معرفتها بلغة البغايا وفنونهن وتقاليدهن وأفكارهن وقيمهن المشتركة.

وتحنّ البغى إلى الحب وتهفو إلى أن تكون محبوبة كشأن الناس جميعا، وتزيد بها هذه الرغبة كلما بعدت الشُقّة عن ماضيها وتورطت أكثر فى دنياها الجديدة وحذقت أن تتباعد عاطفيا عن زبائنها. وقد تجد الحب غالبا لدى عشيق هو فى نفس الوقت قوّادها، وقد تحسبه يبادلها الحب، ويشبع القواد حاجة الحب عندها بالإضافة إلى أنه يجلب لها الزبائن ويدفع عنها الأذى ويرعى شئونها المالية ويكفلها لو قبضت الشرطة عليها، وقد يشاركها العمل إذا ظهر أن الزبون لوطى أو رغب فى استعراض جماعها به.

وبوسع البغى أن توزع حياتها فلا تسمح لنفسها بأن تقع فى غرام أحد الزبائن أو أن تستجيب فى الجماع. وقيل إنها فى حياتها الخاصة ومع رجلها قد تستجيب وتبلغ الهِزّة، وقد تكون سريعة فى التجاوب أكثر من النساء العاديات، وقيل بل البغى عنّينة (Glover: The Abnormality of Prostitution)، وربما كانت هذه العُنّة هى سبب احتراف البغاء، ولأنها باردة جنسيا ولاتنفعل بمن تتصل، وهذا هو معنى **العُنّة النسوية**، فإنها تستطيع أن تضاجع أكبر عدد من الزبائن فى اليوم الواحد، وقيل إن بوسعها أن تباشر أكثر من عشرين رجلا متتابعين.

وقد تتمايز البغايا فى الشخصية والدوافع والخلفية الاجتماعية، وبعضهن لهن أسباب عضوية، والكثيرات منهن مصابات بالفُصام وباضطرابات فى الشخصية، والبعض يتوسل بالبغاء لحيازة مايتمنين من أطايب الحياة، والبغاء هو اختيارهن الحر لتحصيلها، وبعضهن مدفوعات إليه بسبب إدمان الخمور والمخدرات، وبالبغاء يحصلن على المال اللازم لشراء «الكيف»، وقد يقال لذلك إن البغاء، بسبب كل ماأسلفنا، **دوافعه اجتماعية و اقتصادية أكثر منها نفسية**.

وتختلف **الطبقة الاجتماعية** التي تنتمي إليها البغى كاختلاف **الطبقة الاجتماعية** التى يكون منها الزبون الذى يأتيها، وتتفاوت حظوظ البغايا فى الحياة بحسب ذكاء كل واحدة وقدراتها ودوافعها ومستواها الثقافى وصراعاتها.

وتقر البغى بمغايرتها عن بقية النساء، وتردّ ذلك إلى نمط المجتمع الذى تعيش فيه والذى يجعل للبغاء قيمة مادية أكبر مما لكثير من المهن الفكرية. وهى لاترفض القيم الاجتماعية وإن كانت لاتعمل بها، وتعلل خروجها على التقاليد بتأثير الظروف، وباضطرارها إزاء إلحاح ضغوط الحياة، وحاجتها لإعالة أسرتها أو أطفالها الأيتام أو أبويها المسنين. وقد تزعم بعضهن أنهن نشأن على البغاء، أو أنهن ما كنّ ليكن بغايا إلا لأنهن لم يعرفن معنى أن تكون لهن أسرة فى طفولتهن، ولم يكن لهن من يعولهن أو يكفلهن، أو لأن آباءهن وأمهاتهن طلقوا وهن بعد صغار، أو لأنهن كن بنات سفاح.

ويبدو من كل البحوث التى استقصت رأى البغايا فى أسباب احترافهن للبغاء، أن نشأة البغى الأولى كانت فى جو عائلى مضطرب ومشحون بالكراهية، وأن طفولتها كانت بائسة ملأت قلبها بالحسرة وبالمرارة، فتمردت على وضعها باحتراف البغاء. غير أن الباحثين يجمعون على أن **الانحراف الجنسى أو سوء الوظيفة الجنسية** كان العامل المشترك فى اتجاه البغايا إلى الاحتراف. وذكر أحدهم أن **خمس عشرة** حالة من بين **ست وعشرين** كن مصابات بالجنسية المثلية. ونوه الكثيرون إلى وجود **علاقة بين البغاء والجنسية المثلية** (Word & Kassebaus: Women's Prison).

وقيل إن البغى تكره الرجال وتبيع لهم الجنس مقابل المال تعيش عليه. وقد يكون من الطبيعى أن تتجه إلى الجنسية المثلية بوصفها الشكل الأمثل والأنقى فى رأيها من كل أشكال العلاقات الجنسية. وتؤكد الاستقصاءات أن النساء اللاتى كن غيريات الجنسية قد يتحولن إلى الجنسية المثلية بعد احتراف البغاء، ولم يثبت بعد أن البغى التى تتحول إلى الجنسية المثلية بعد اعتزالها البغاء تهجر الجنسية المثلية وتعود إلى الغيرية الجنسية.

وقد يتصل البغاء بأسباب قوية **بالتخلف العقلى وضعف المقاومات النفسية وتهافت الأنا الأعلى وسوء التربية والافتقار إلى إطار مرجعى من القيم الاجتماعية والأخلاقية والدينية**. وهناك حالات تقسر الأم فيها بناتها على البغاء يوردها القرآن "ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء (**سورة النور الآية ٣٣**). وقد تكون البنت قاصرا يعاقب القانون على الاتصال بها

باعتبار **بغاء القاصر** اغتصابا. وتتساهل القوانين الوضعية عموما مع البغايا. ويبدو أن هذه القوانين أفرزتها الحاجة إلى البغاء في القرن **التاسع عشر** عند التحول من الاجتماع الزراعى إلى الاجتماع الصناعى وقيام المدن الكبرى. ووجود فائض من النساء لايجدن أزواجا، وتجمعات من العمال يعسر عليهم الإقامة المستقرة والدخل الثابت وإعالة الأسرة.

وكثيرا مايرتبط البغاء بالجريمة بحكم المجتمع المعزول للبغى وثقافتها الخاصة واعتمادها على سماسرة وقوادين تجارتهم الجنس والمخدرات، وقيام مهنتها على الممنوعات والمحظورات.

والبغى الملتزمة هى التى تفيد من **البغاء المنظم**، وفى المقابل تتقيد بما عليها من إتاوات أقلها ٢٠٪ من أجرها، وربما تتعرض للعقاب إذا حاولت التملص أو أن تعمل لحسابها. وهى عادة لاتسرق إلا إذا كانت سكَّاكة حتى لايشكوها أحد للشرطة، وإن كانت تعرف أن الزبون قد لايشكوها اتقاء الفضيحة، ولكنها كأى حِرَفية لاتريد لتجارتها البوار، وترجو أن يعاود الزبون زيارتها لو أعجبته، وقد تتورط البغى كشريكة فى جريمة يرتكبها القواد الذى تعمل لحسابه، أو الديوث الذى تحبه، أو العصابة التى تتبعها. وكثيراً مايتوجه عتاة المجرمين إلى المواخير أو يتصلون بالبغايا بعد ارتكابهم لجرائمهم مباشرة. وتعرف الشرطة ذلك وتستخدم البغايا للإبلاغ عن مثل هذه الحالات.

وقيل إن الرجال يقبلن على البغايا بقصد التنويع الجنسى، أو أن من يأتيهن فى الغالب هم المعاقون أو كبار السن ممن يشق عليهم مجامعة النساء بطرق اجتماعية مقبولة.

وقد يكون من بين الدوافع إلى تردد الرجال على البغايا **نظام الزوجة الواحدة** المعمول به فى كثير من بلاد العالم، أو العجز حتى عن أن تكون للرجل زوجة واحدة بسبب التعقيد فى حياتنا الاقتصادية أو الاجتماعية، والشروط التى تضعها الأسر والبنات للزوج الذى يفضلنه، وبسبب الاضطرابات النفسية التى يصاب بها الكثير من الناس فى **عصر القلق** وما يترتب على ذلك من عجز الكثيرين والكثيرات أن تكون لهم أو لهن علاقات جنسية متكافئة يمكن أن تتصف بالدوام.



- ١٣ -

المشاعية الجنسية Promiscuity

قد يتشارك الأزواج فى زوجاتهم أو تكون النساء على الشيوع فى مجتمع من

المجتمعات، ويقال للرجل الذى يشتاع النساء أنه **إباحى** أو خلط (بكسر الخاء) أو عبيث (من العبث بسكون الباء) أو شيع (بتشديد الياء المكسورة) **promiscuous**، وللمرأة أنها خلطة أو إباحية أو عبثية.

والخلطة (بضم الخاء) أو المشاعية الجنسية خلاف **البغاء** الذى تؤجر المرأة عليه. والمختلطون قد يتهادون وقد تكون بينهم هبات مالية تبذل للنساء ولكن لايقال للمرأة أنها بغى، فالبغاء أكبر فى مضمونه، والبغى تخالط ولكن المرأة الخلطة لاتكون بغيا لمجرد أنها تخالط أو تتلقى هدايا على مخالطتها، **فشرط البغاء** أن يكون هناك أجر معلوم يتفق عليه وتتسلمه البغى عيناً، والمرأة الخلطة لاتؤجر على ماتفعل، ولايقال لها أنها خِلطة إلا لأنها توجد فى مجتمع يقوم على الزواج ويتزوج فيه الرجل من امرأة أو أكثر، ولكن لايباح فيه للمرأة أن يكون لها أكثر من زوج، فإذا لم يكن المجتمع يسمح بالخُلطة، ولم تكن الخُلطة من العرف الأخلاقى فإنها تعتبر **انحرافا جنسيا**. وعلماء النفس يقولون إن نوازع المشاعية الجنسية فطرية فى الإنسان، وعندما أراد **أفلاطون** أن يردّ المجتمعات إلى أصولها الفطرية جعل النساء على المشاع، وفى المجتمعات التى كانت تحكمها **الأمهات** كان النساء يخالطن وينسب الأولاد للنساء وليس للآباء، وفيما بعد اقتصرت المخالطة على الملكات دون غيرهن، ثم لماَ تحولت المجتمعات إلى سيطرة الرجال صار من حق الرجال وحدهم أن يشتاعوا النساء، وحددت **اليهودية** للرجل أربع زوجات، وكذلك فعل الإسلام. وقيل فى ذلك أنه باقتصار المرأة على زوج واحد لم تعد المسألة فى الجنس بهدف تحصيل اللذة ولكنها بهدف الإنجاب وحفظ الأنساب، إلا أنه برغم ذلك ظلت الرغبات والممارسات المشاعية فى الجنس ملحوظة وظاهرة، وقد لايتبين حقيقتها البعض ولكنها تدفع بالكثيرين ولو لاشعوريا إلى السلوك المخالط. غير أن المرأة على أى الأحوال وفى كافة المجتمعات تميل بفطرتها إلى أن يكون لها شريك واحد فى الجنس، وهى أكثر ميلا لأن يكون لها بيت وأسرة، وأكثر محافظة على بيتها وأقدر على أن تنأى بنفسها عن كل فعل يورطها جنسيا، وذلك لما قد تجرّه عليها المشاعية الجنسية من نتائج يترتب عليها إنجاب أولاد من آباء لا ترغب أن تكون لها منهم ذرية، إما لضعف تراه المرأة فى هؤلاء الرجال، أو لانحطاط فى النسب والشرف. والأسباب النفسية التى تدفع إلى زيادة الخُلطة عند الذكور عنها عند الإناث كثيرة، منها أن الذَكَر بفطرته يجد لذة فى أن يطالع مختلف الإناث أثناء المضاجعة، وأن يغير باستمرار متوقعاً

أن يجد اللذة في تغيير الإناث من حيث بنية المرأة وتكوينها الجنسى وطرق إتيانها واستجاباتها، والرجل بفطرته نوّاق، وعنده أن كل امرأة لها مذاق خاص، ويحب باستمرار أن يجرّب ويغير، وذلك لايناسب المرأة وليس من طبعها غالبا.

ويدفع الرجل إلى المخالطة أنه سيجد في الشريكة الجديدة شيئا جديدا، ويحب أن يمارس مع الجديدة شيئا تعلمه مع المرأة السابقة عليها. ويبين من الإحصائيات المختلفة أن تجارب الرجل النسائية قبل الزواج وبعده وخلاله أكثر مما يمكن أن تفعله النساء أو أن تطلبه. وهناك من علماء النفس من يرى أن **الانحرافات الجنسية** يُختَص بها غالبا الرجل دون المرأة، وأن الإباحية أو الشيوعية الجنسية دعوة توفر عليها الرجال أكثر من النساء، وكانت **الإباحية** إحدى الفرق التى أبطلت قدرة العبد على اجتناب المنهيات وجعلت النساء مشاعا، ويقال لكل من يحنو حنوهم أنه **إباحى**. ويعيش الإنسان المعاصر الإباحية والحرية الجنسية ويدعو إلى المخالطة ويحميها بالقانون. ولايعاقب القانون على أن يتخالط الرجل والمرأة طالما أن ذلك كان من خصوصياتهما. ويميل بعض العلماء إلى إطلاق اسم **الجنوح الجنسى** على الشيوعية الجنسية، والجنوح الجنسى فى تعريف هؤلاء هو الحالة التى يشتاع فيها الرجال والفتيات القاصرات دون الثامنة عشرة، وتقوم بقيام الجماع وتنتهى بانتهائه. والرجل المخالط يهمه أن يجامع ويفضى إلى المرأة ولايهمه أن تبلغ المرأة الإنعاظ، وغالبا مالا تبلغ المرأة المخالطة الإنعاظ. والمرأة التى ترضى بهذه الطريقة فى الجماع تعانى من اضطرابات نفسية مؤكدة، وهى تدخل التجربة الجنسية مع الرجل تلو الرجل، وكما قيل لاتفعل ذلك إلا لأنها تنشد الحب وتفتقد الأمان، وهى فى تجاربها المخالطة تحسب أنها فى لحظة التماس الجسدى تعوض نفسها عن الصلات الحميمة التى تكون بين المحبين الذين يدخلون تجربة الحب الناضجة فتكون لهم وجاءً عن التردّى الجنسى غير المشبع. والمرأة المخالطة تصاب من جراء الفشل المتلاحق فى أن تحوز الإشباع الحقيقى بالإحساس بالمهانة وبالوحدة وبالعجز، وتشعر أنها بخلاف غيرها من النساء، ومشاعرها تلك تباعد بينها وبين المجتمع وتزيد إحساسها بالاغتراب والمغايرة. والرجل المخالط الذى يأتى النساء باستمرار، ويدخل تجربة الجنس الواحدة بعد الأخرى ربما يكون هارباً من التزام أعمق وعلاقة أقوى برجال آخرين تدفعه إليهم مشاعر لواطية، وربما يكون المخالط من النوع الذى يقال له زِنْر النساء، وهذا النمط يتميز بدوافع الكراهية لجنس النساء بسبب علاقات فاشلة

له بأمه في مراحل حياته المختلفة. وربما كانت المرأة المخالطة تعانى أيضا من مشاعر إحباط بأبيها منذ المرحلة الأوديبية، وقد يكون مرجع مخالطتها الدائبة رغبتها فى الانتقام من جنس الرجال لهذا السبب.

وقيل فى أسباب **المخالطة** أن الأخلاط ينحدرون غالبا من بيوت ينتشر بين أفرادها الإدمان على الخمور والمخدرات، ويشتاع فيها الرجال والنساء، ويكون الآباء فيها نماذج سيئة للأولاد فى سلوكهم. وكثيرا مايكون الخِلط مكروها من أسرته ويشعر بأن أبويه ينبذانه ولايريدانه، ويحس من ثم بالوحدة، ويصنع منه الحرمان العاطفى جانحا. فإذا كان الخِلط أنثى فقد يدعوها داعى الحب يوما فتستجيب فورا لتعوض مافاتها ولتشعر أنها مطلوبة ومرغوبة، فإذا انزلقت مرة فقد تنزلق بعدها مرات، وتعتاد المخالطة، وتعيش المشاعية الجنسية تماما حتى ليصعب علاجها من بعد.

وبعض الأخلاط ينحدرون من عائلات محافظة ولكنهم يتمردون على التزمت الذى ينشأون به، ويشبون على الكراهية، ويأخذون أنفسهم بأن لايفصحوا عما يجيش بصدورهم من انفعالات، ومايدور فى رءوسهم من أفكار طالما هم صغار لاحول لهم ولاقوة، ويؤجلون ذلك إلى فترة المراهقة، وعندها ينقلبون على سلطة الأبوين ويتمردون على الأخلاق ويستبيحون كل محرّم، وكأنهم فى كل ما يصدرون عنه يثأرون لما عانوه وماظل بهم محبوسا لمدة طويلة.

وربما يكون **السلوك المشاعى** وسيلة المراهق لمدافعة الإحباط والقلق فى حياته، وقد يأتيه المراهق تأكيداً لاستقلاليته فيتورط بالانضمام إلى الجماعات التى لها دعوات تحررية أو راديكالية أو انحلالية، فيمارس المخالطة الجنسية مع أفرادها وكأنه يمارس نشاطا جماعيا من نوع النشاطات الطقوسية الشائع بين هذه الجماعات، وإذا لم يكن على دراية بمزالق هذا الطريق فقد يضل تماما ويعتاد المخالطة ويضيع للأبد.

وقد تكون البنت المراهقة على قدر متواضع من الجمال فتحب أن تعوض ماتشعر به من نقص بالمبالغة فى التودد إلى الرجال والإيقاع بهم. ولقد ثبت من دراسة ٢٦٧ حالة من المخالطات أن معلوماتهن الجنسية هزيلة ومغلوطة، وأن أكثر من ٦٠٪ منهن مصابات بالبرود الجنسى (Lion et Al:An Experiment in the Psychiatric Treatments of Promiscuous Girls). وكذلك ثبت أن الكثيرين من

المشتاعين جنسياً **متأخرون عقليا** سواء كانوا رجالا أونساء، وأن بعضهم يعانى من **استجابات هوس واستجابات لااجتماعية**. ويكثر **الفُصام** بين المخالطين وذلك يفسر عجزهم عن السيطرة على انفعالاتهم وشهواتهم. وقد يرجع ضعف قدرتهم على ضبط النفس إلى **سوء تكيف انفعالى** شديد. وكانت هناك من بين ٥٤ حالة لنساء خلطات بين سن ١٥ وسن ٣٩ **ثلاثون** حالة مصابة **باضطرابات الشخصية**، **وسبع عشرة** حالة مصابة **بالفصام**، **وسبع** حالات مصابة **بالعُصاب**، أى أن الحالات كلها كانت **لنساء مريضات عقليا ونفسيا** (Cattel: Psychodynamic and Clincal Observations in a Group of Unmarried Mothers).

وهناك نوع من المشاعية الجنسية يطلق عليها اسم «**المشاعية الجنسية الثلاثية** troilism» أبطالها ثلاثة، يمكن أن يكونوا ذكوراً فقط، أو إناثاً فقط، أو خليطاً من الذكور والإناث، يشتاعون بعضهم بعضا فى ممارسات جنسية مثلية بين الرجال والرجال، أو ممارسات جنسية غيرية بين الرجال والنساء، أو ممارسات مثلية وغيرية معا. وقد لاتكون ممارساتهم الجنسية فيما بينهم ولكنهم يؤلفون معاً جماعة تتخذ العنف سلوكا لها، ويشتركون معا فى عمليات اغتصاب يخططون لها سويا ويقومون بها جميعهم، وقد تكون مباشرتهم الجنسية لأنفسهم ولغيرهم أيضا.

ومن الصعب **علاج المخالط والمخالطة** من حيث أن الاضطرابات التى يعانيان منها اضطرابات أصيلة، وليس لديهما الاستبصار بها، ولايحدث أن يطلبا الخلاص منها. غير أن بعض المخالطات ممن تأتين المشاعية الجنسية بتأثير غواية الصاحبات وتحت إلحاح الظروف قد يزهدن بسرعة فى تحصيل الجنس من هذا الطريق وينشدن الزواج، وهؤلاء يتربى لديهن الخوف من العواقب الاجتماعية، وربما كان الحضور الأبوى فى لاشعورهن أقوى من أن يكون الانزلاق إلى المشاعية هو السبيل إلى منازلة سلطة البيت. وغالبا ماينحدر هؤلاء من بيوت محافظة، إذ لاسبيل إلى توبة المخالط أوالمخالطة التى تنشأ فى الرذيلة وتتربى عليها، ويتشكّل بها ضميرها، وتتخذ منها نماذجها السلوكية.(أنظر **البغاء**)

* * *

- ١٤ -

الديـاثـة Gigolism

الديوث هو القوّاد الذى يتعيش من فروج النساء، والدياثة أو القوادة هى مصاحبة

البغايا يقوم بها الديوث أو القواد بُغية الكسب المادى، وهو رجل فاقد للغيرة ولقيم الشرف والرجولة التى يتمثلها كل منا عن طريق التربية وبالتعين بالوالدين. والديوث لم يجد فى محيطة الأب الفاضل الذى يتعين به، ولم يعثر على من يمكن أن يحل محله وأن يكون بديلا له، وماتمثله ممن حوله هى **الدياثه**، يتعرف إلى أسرارها منهم، ويأخذها عنهم. والمحيط الذى يتربّى فيه هو محيط يمارس **المشاعية الجنسية**، وذات الديوث لاتعرف الخصوصية، لأن الوسط الذى يعيش فيه منذ طفولته الباكرة لايُختَص فيه أى أفراده بشئ منه، **فالكل يتبع الكل، وكل أفراده يعيشون لأنفسهم**، والجنس مباح قد يمارسه الذكر مع الأنثى أو مع الذكر، والدياثة **حرفة**، وفى الدول الصناعية هى من نوع **الجريمة المنظمة** التى لها رئاسة وفروع، وتمارس كتجارة. والديوث **نرجسى**، ويعانى من **اللواطة** التى قد تكون كامنة أو صريحة. وهو يقدم النساء للرجال وكأنه يقدم نفسه، وعمله لذلك يسعده ويعطيه لذة كاللذة الجنسية، وهو لذلك يتجمّل كالنساء ويبدو أحيانا كالمتشبّه، إلا أنه إما يكون كالمتخنّث له جسم امرأة ويهتم بلباسه ويبدو مهندما أو غندوراً متبّرجاً من غير ذوق، وإما يكون واضح الذكورة بالملامح والعضلات، وظاهر العدوانية، ويكثر من ضرب البغايا، وقد يتخذهن وسيلة للسطو على الزبائن وتجريدهم من النقود ومتعلقاتهم. وفى الحالتين هو الإنسان الاعتمادى الذى تلعب النساء دوراً فى حياته وفى إعالته. وتبرّجه ليس إلا محاولة للتجمّل لإخفاء حقيقته، وعالمه مغلق، وأفكاره غير ناضجة، وانفعالاته طِفلية، وسلوكه لايتجاوز به العالم الذى يعيش داخله، أو هو فى سلوكه العدوانى لايثق فيمن حوله إلا فى نفسه، ويعبر عن كراهية النساء، ولايصدر فى سوء معاملته لهن عن دوافع جنسية، بقدرما يصدر عن دوافع تعويضية، نتيجة شعور بنقص الكفاءة الجنسية، فيسلك هذا السلوك ليثبت بالسيطرة التى يحكمها عليهن أنه قادر جنسيا، أو هو قد يزيح كراهيته للناس والنساء والرجال بصفه خاصة، من سوء المعاملة التى كان يلقاها فى طفولته إلى هذا الصنف من النسوة الضعيفات من البغايا، يستغلهن ويدفعهن إلى احتراف البغاء كوسيلة للتكسب.

***

-١٥-

زنا المحارم Incest

الزنا أدانته كل الأديان والشرائع من قديم الزمان، وزنا المحارم هو نكاح أو جماع

المحارم، ومحارم المرء تشملها **سورة النساء** "ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء" و"حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلاجناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين والمحصنات من النساء". وقيل لذلك أن المحارم من النسب سبع، ومن الصهر سبع. ولم يكن نكاح الأنسباء والأصهار الأقربين محرما فى التاريخ القديم. ويحدثنا **التوراة** أن **سارة** زوج النبى **إبراهيم** عليه السلام كانت أخته لأبيه، وأن **ابنتى لوط** ضاجعتاه وولدت له الكبرى والصغرى ابنين. وقيل إن سبب تحريم نكاح الأقربين ماينتجه من نسل سئ. ويذهب علماء الحياة إلى أن التزاوج بين الأقارب الأقربين قد يحدث تثبيتا لما يكون بالأسرة من صفات وراثية غير مستحبة. ومالم يكن هناك مرض يخشى انتقاله بالوراثة من السلف إلى الخلف فإن التزواج بين الأقارب الأباعد ليس منه مايُخشَى بأسه.

ولعل أكثر مايكون الزنا بين المحارم هو أن يأتى الأخ أخته، أو الأب ابنته، أو الابن أمه، أو زوج الأم ابنة زوجته، أو زوجة الأب ابن زوجها. وذلك قد يحدث بين السِفلة من الناس وبين العلية على السواء، غير أن حدوثه بين السفلة أكثر، وخاصة إذا كانت هناك مخالطة بين الصبيان والبنات فى النوم قبل وقت المراهقة أو زمنها، وقد نهى الرسول عن ذلك فقال "فرقوا بينهم فى المضاجع". وعادة مايُقسِر الأخ الأكبر سنا أخته الصغيرة على مضاجعته، وهناك عائلات الفسق فيها طبعى، وقيل إن منها **عائلة أوديب**، وقيل إن أوديب فى الكتابات الأولى عنه، قتل أباه وهو يحاول أن يأتيه. وهو فى الأسطورة واقع أمه، وكذلك فعلت جوكاستا حينما واقعت ابنها، وكليتمنسترا وأوريست وإليكترا.

والأب الذى يباشر بناته غالبا مايكون فى الثلاثينات أو الأربعينات، ونادراً مايبلّغ أحد من أفراد الأسرة عن وقوع جريمة من هذا النوع، وقد يتم الإبلاغ عنها عن طريق طرف ثالث كأن يكون مدرّسة الفصل أو الناظرة أو صديقة البنت أو صديقها أو الأم المطلّقة. ولذلك قيل إن نسبة الزنا بالمحارم تتراوح بين ٤ر٢٪ و ٣ر٦٪ من كل الجرائم الجنسية، وإن كانت فى الحقيقة أكبر من ذلك بكثير. وقيل إن ١٥٪ من البنات فى إصلاحيات الاحداث من ضحايا الزنا بالمحارم، أو كن يمارسنه. وعادة ماتكون التجربة قاسية بالنسبة للبنت، وقد

تنمو لديها بسببها مشاعر ذنب قوية وأحاسيس متضاربة تجاه الجنس، وتستحدث بها نفوراً شديداً من الرجال يُرهِص بفشل زواجها من بعد. وحتى لو تهاونت البنت فيما يحدث لها أو شاركت فى الفعل المحرّم، فإنها عندما تعرف من بعد أن ماحدث لها أو شاركت فى فعله محرّم، قد تتخلف لديها زراية بنفسها، وقد تمرض بالقلق وقد تصاب بالاكتئاب والخوافات المختلفة أو الفوبيا.

وكثيرا ماتكون العلاقة المحرّمة، وخاصة بين الأب وابنته علامة على **تدهور عضوى بالمخ** عند الأب بسبب الشيخوخة المبكرة أو بفعل تصلّب شرايين المخ الذى يعجل بالشيخوخة، ولذلك مردود نفسى من شأنه أن يتدنى بالشخص المصاب حسه الأخلاقى فيتخفف من الضوابط والنواهى والزواجر وتضطرب لديه معانى الحرام والحلال. وقيل إن الراشد الذى يغشى محارمه إنسان مضطرب الشخصية، حتى ولو كان له مظهر المتوافق اجتماعيا، وكثيرا ماتكون شخصيته **لااجتماعية**، أو يكون بناء شخصيته شبيها ببناء شخصية **الفصامى**، وقد يكون **متخلف العقل**، أو واقعا تحت تأثير الإدمان وقت وقوع جريمته.

وعادة ماتكون النساء اللاتى يجامعن أبناءهن الذكور مصابات **بالفصام** أو **متخلفات عقليا** تخلفا شديدا. ويروى **شتيكل** أن الأولاد كثيراً مايمشون أثناء النوم، وقد تقع منهم تجاوزات جنسية مع المحارم أثناء ذلك، وأكثر مايكون ذلك بين الابن وأمه، أو بين الأخ وأخته، ولايذكر الولد فى الصباح شيئا مما فعله فى الليل.

وعقدة المحارم incest complex عبارة عن رغبات جنسية مكبوتة تجاه المحارم، تكون عند الابن لأمه، أوالأب لابنته، أو الأخ لأخته أو بالعكس، وتحكم تصرفاته وتوجهها، وقد تتسبب عنده فى الإصابة بأعراض ومخاوف وأفعال قهرية شديدة التعقيد من شأنها أن تحول بينه وبين تحقّق هذه الرغبات، وكثيرا ماتؤدى إلى العُنّة عند الذكر أوالبرود الجنسى عند المرأة وغير ذلك من الظواهر العُصابية (Stekel: Encyclopedia Sexualis).



- ١٦ -

الفتيشية Fetishism

الفيتيش fetish كلمة أطلقها **البرتغاليون** فى فتوحاتهم فى إفريقيا على الأشياء الطبيعية أو الصناعية التى وجدوا الأهالى يتقنونها أو يتعبدون إليها باعتبارها ذات تأثير

سحرى. وربما كانت الكلمة **إفريقية**. والفيتيشية هى الاعتقاد فى أشياء كهذه مثل **التمائم والطلاسم والرُّقَى**. والفيتشية بخلاف **الطوطمية**، لأن الطوطم حيوان يعتقد الأهالى- وهم بدائيون أيضا- أنه جدّهم الأكبر. وفى الطب النفسى الفيتشية **حالة مرضية** تندرج ضمن **الانحرافات الجنسية**، يكون فيها التهيج أو الإشباع الجنسى من مشاهدة أو ملامسة جزء من الجسم دون بقية الجسم، كأن يكون الثدى أو المؤخرة أو الفخذين أو الساقين أو الشعر أو الأذن. وقد يستغنى المريض بهذا الشذوذ بالملابس الخاصة بأجزاء من الجسم كهذه، كالألبسة التحتية والجوارب والمناديل والقفازات، وقد يغرم المريض بالروائح العطرية أو مشابك الشعر. والفيتشية من الاضطرابات التى يلاحظ اقتصار الإصابة بها بين **الذكور** عنها بين الإناث، أو أنه من النادر أن توجد الفيتيشية بين الإناث. والمريض بها يغالى فى تقدير جسم المرأة ككل أو أعضاء منه دون أعضاء، وتميز تلك الحالة الأخيرة بأنها **بُضعية** **partialism**، والفَرْج يطلق عليه البُضْع، بمعنى أنه جزء من كل أو أنه الجزء الذى يتركز فيه الكل. وفى **البضعية** قد يكون الفخذ أو الثدى أو الساق أو المؤخرة رمزاً للفرج، ويتعشق المريض هذا العضو كبديل عن الفرج، وقد تشبعه جنسيا مشاهدته، وقد يُمنِى تلقائيا لدى رؤية امرأة بالمواصفات التى يهواها، وقد يلمس هذا البُضع منها فيمنى، وقد يستغنى بصور لهذه الأبضاع يستمنى متطلعا إليها. **والفيتشية الصحيحة** هى أن يستغنى بأجزاء من ملابس المرأة ترمز لهذه الأبضاع، والمريض يتملكه **هوس اقتناء** هذه الملابس، وقد تُفتّش حجرة نومه فتجد خِزانات مليئة بها، وقد يرتديها إذا نام وكأنه يضاجعها، أو قد يحملها معه إلى سريره ويستمنى متوهماً أو متخيلاً بحسب حالة المريض وإزمان المرض معه. وبعض المرضى يشكون من **فيتشية سمعية** **acoustic fetishism** وهى الغرام المرضى بأصوات نسائية لها طبقة صوتية معينة أو ضحكات خاصة، أو قد يكون غرامهم بسماع القصص الجنسى وتلذذهم بما يُحكَى لهم منه، فيتعينون بأبطاله ويرون أنفسهم فيهم ويشعرون بما يشعرون به، وتراهم يسألون عن التفاصيل ويستزيدون الراوى منها. ويطلق بعضهم على نوع المرضى الذين يحبون أن يرتدوا الملابس النسائية التى يتعشقونها بحيث تلامس اللحم منهم اسم **فيتيشية الالتحام** **adherent fetishism**، فإذا كانت أشياء النساء لا تُلبس، ولكنها تقتنى ليتحسسها أويتشممها، كخصلات الشعر مثلا أو

الفراء، فإن الاضطراب يطلق عليه اسم **فيتشية الالتصاق** coherent felishism. وهناك أيضا **الفيتشية الحيوانية** beast fetishism، بحيث يتلذذ المريض من ملامسة جلد الحيوان ويشعر بحرارته، أو يتحسس فراء الحيوان كما لو كان شعرا إنسيا. ويطلق بعضهم اسم **الريتيفية** rétifism على نوع الفيتيشية المنتشرة عند بعض الرجال والتى يغرم المرضى بها **بالأحذية الحريمى**، مثلما كان يفعل مريض فرنسى اشتهر بهذا الانحراف وكان اسمه **ريتيف البريطونى** Rétif de la Bretonne (١٧٣٤ - ١٨٠٦)، وعنده، وعند الكثيرين من المرضى بهذا الانحراف يرمز الحذاء للفرج.

ومن **النظريات المفسرة** للفيتيشية أن **الأثر أو الفيتيش** يكون كذلك عند المريض بارتباطه باكراً فى خبرته بالاستثارة الجنسية، وذلك شئ يحدث بالصدفة ويتكرر معه فيستقر فى وعيه أن اللذة الجنسية تصاحب ظهور هذا الأثر، فإذا طلب اللذة بحث عن الأثر، وتصبح هذه الطريقة هى النمط المفضل عنده للتنفيس عن رغباته وإشباع نفسه جنسيا، وقد لايكون باستطاعته أن يحوز الأثر، وعندئذ قد يلجأ إلى السرقة، أو ربما يلجأ إلى السرقة لا لأنه لايستطيع أن يشترى الأثر ولكن لأن السرقة تزيد من الإثارة فى عملية اقتنائه أو حيازته، ولذلك فقد يعمد المراهقون من هذا النوع إلى اختلاس بعض الملابس الداخلية التى تخص أمهاتهم أو أخواتهم ليستمنوا فيها. ثم ترتبط عندهم السرقة واستخدام الملابس الداخلية الحريمى باللذة الجنسية، ومع التكرار تترسخ العادة فيهم وتتأصل كنمط سهل ومضمون من أنماط السلوك الجنسى المنحرف.

ولربما يكون التعلّق جنسيا بالأثر أو الفيتيش مسألة متعلّمة منذ الصغر، وهناك من الأولاد من يرفض الذهاب إلى النوم إلا إذا أُعطَى بعضا من ملابس أمه ليحملها معه إلى سريره فكأنها أمه. وقد يعمد الأطفال الأكبر سنا إلى تقبيل قفاز من يحبونها أو يحتفظون منها بمنديلها، وتراهم شديدى الاحتفال بأشياء من هذا القبيل ويولونها الكثير من اهتمامهم. وقد تزاح الاستثارة الجنسية إلى أثر يرتبط بالصدفة بأول خبرة جنسية للولد. وتمثُّل الآثار من هذا النوع فى نظرية التحليل النفسى كبدائل للموضوعات الجنسية فى الطفولة، وقد يتحكم فى اختيار الأثر لونه أو رائحته أو شكله إلخ.

وقيل أيضا أن التلف المبكر للفص الصدغى من المخ قد يتحصل بسببه أن الطفل لايميز بين المثير الجنسى الصحيح والمثير الجنسى غير الصحيح، ويظل ذلك معه من بعد، طالما أن تلف المخ قد استُحدث وانتهى أمره. وقيل أيضا أن الفيتيشية يلجأ إليها الأطفال كمنقذ لهم من قلق الخصاء، فالطفل عندما تعز عليه أمه ويخشى أباه قد يستعيض عنها بجزء من ملابسها أو أشيائها الخاصة. ويقول **فرويد** إن الطفل عندما يكتشف أن البنات ليس لهن قضيب فلربما يؤكد له ذلك إمكان أن يُحَرم هو نفسه من قضيبه، وفى بعض الحالات قد يؤدى ذلك الاكتشاف إلى أن يغفل مايرى ببصره وينتقل به سريعا إلى شئ آخر، وقد يتصادف أن يكون هذا الشئ هو الشَعر أو الحذاء أو الملابس الداخلية أو أعضاء الجسم الأخرى، ومن ثم يظل هذا الشئ (الشعر أو الثدى أو القميص أو الحذاء) بديلا لعضو الأنثى وموضوعا لشبقه. ويرى **فرويد** أن الطفل يحقق بذلك نتيجتين، فهو من ناحية ينكر حرمان الأنثى من القضيب وفى نفس الوقت لايرى عندها قضيبا، ومن ثم يستحيل فى جزء منه واقعيا، وفى جزء غير واقعى، فإذا نما الطفل وشبّ عن الطوق يظل فتيشيا جزئيا، وينمو جنسيا بشكل سوى جزئيا، أى أنه يظل فيتيشيا إلا أنه لايكون محروما من الميول الجنسية السوية فى نفس الوقت.

وقيل أيضا أن هناك نوعين من المرضى بالفيتيشية، فنوع يسمونه **الفيتيشى الرقيق** soft fetishist، وهو الذى يهوى أشياء كالفراء والشعر والريش، ونوع يسمونه **الفيتيشى الصعب** hard fetishist، يحب الأشياء الثقيلة الجلدية أو المطاط. وقيل كذلك أن **مرض السرقة** هو نوع من الفيتيشية، طالما أن السارق لايسرق لأنه يحتاج إلى المسروقات يتعيش منها، ولكنه يفعل ذلك لأنها أشياء مثيرة له جنسيا، أو هى رموز جنسية واللجوء إلى سرقتها يزيد استثاراتها الجنسية. وقيل إن **تعشُّق إشعال الحرائق** أيضا ضرب من السلوك الفيتيشى، لأن مُشعِل الحرائق يفعل ذلك بتلذذ، وهو عادة يستمنى وهو يشاهد الحريق يزيد أواره.

ويفيد **العلاج النفسى** من حيث زيادة استبصار المريض بحالته وفهمه لدوافعه، ويصحب ذلك **علاج سلوكى بالتنفير**، كأن يُستحضَر الأثر المثير للمريض، فكلما شاهده يُعطَى صدمة كهربية، وبذلك يتعلم أن ينفر منه بالتدريج، وقد يتلو ذلك أن يشاهد صورة لفتاة جميلة ليس فيها من الأثر الذى كان متعلقا به شئ بالمرة، وحينئذ لاتكون هناك الصدمة الكهربية بل

يصاحب ظهور الصورة موسيقى، و يُرغّبه المعالج فى أن تكون له بالنساء العلاقة الجنسية المعتادة.

***

- ١٧ -

الجماع بالبهائم Zooerasty

إتيان البهائم منهيٌ عنه فى الإسلام، وكذلك فى التوراة، غير أن الحد الذى يترتب عليه مختلف بشأنه، ففيه التعزير وفيه القتل أيضا رغم أنه ليس بزنا. ويروى علماء البيولوجيا أنه فى دنيا الحيوان والطيور والحشرات قلما تأتى الذكور إناثاً من أنواع أخرى، وقد تحدث مباشرات استثنائية. ولايدرى العلماء سببا يجعل الثدييات مثلا لاتأتى إلا الثدييات من أنواعها، وحاول بعضهم أن يرد ذلك إلى مثيرات خاصة مرسلَة من الذكور ومستقبِلة فى الإناث، تقتصر فى كل حالة على نوع معين دون النوع الآخر، ويبدو ان كل نوع قد زوِّد بما يخصه بحيث يقتصر التزاوج على أفراده، إلا أن المباشرة قد تحدث أحيانا بين الأفراد من الأنواع المختلفة بحكم الظروف، وذلك هو التفسير الوحيد لإتيان البهيمة من قِبَل أفراد الإنسان، ويكاد ذلك يقتصر على حالات معظمها مكانه الريف حيث يكون الاتصال بالحيوان أكثر منه فى المدينة. ويروى **كينزى** أن نحو ٢٩٪ من الأولاد فى الريف يباشرون البهائم فى سن المراهقة ومابعدها بقليل، وأن ١٥٪ من نشاطهم الجنسى يصرَّف فى هذا المجال، وأن المراهق يفعل ذلك مرة على الأقل كل أسبوع. وقد يعتاد البعض ذلك ويستمر فيه إلى سن أكبر، وهناك حالات مواقعة لأشخاص فى الخمسينات، وأحيانا بعد ذلك أيضا (Kinsey: Sexual Behaviour in the Human Male). وأما فى المدينة فالغالب أن تتوجه المباشرة إلى الحيوانات الأليفة وخاصة الكلاب، وكثيرا ما يقع ذلك من أولاد المدينة إذا انتقلوا إلى الأرياف واحتكوا بحيوانات وشاهدوا سِفادها مع بعضها. وعموما فإن نسبة المواقعة بين الأولاد والحيوانات فى الريف قد تزيد عليها فى المدينة بحوالى ٥٠٪، وأحيانا تقل إلى ٣٠٪، وقد يكون الاتصال مباشرا بالإيلاج فى مهبل الحيوان، أو بمجرد حك القضيب بالفرج، وأحيانا تكون المباشرة باستثارة الحيوان إلى حد الانتصاب، وأحيانا الاستمناء للحيوان وللمباشر نفسه، ويشمل ذلك الذكور والإناث من الحيوان والإنسان، وأكثر مايكون ذلك للكلاب الذكور، وقد يحدث أن يشترك عدد من الأولاد

معا فى هذا الفعل. ويبدو أن السبب فى تورط أولاد الريف عن أولاد المدن بالنسبة لإتيان البهائم كثرة مايشاهدونه من أنواع السفاد بين الحيوانات والطيور فى الأرياف، الأمر الذى يستثيرهم جنسيا وقد يغريهم أن يكونوا على فحولة هذا الطير أو ذاك الحيوان، وقد يغرى ذلك الصبى أن يحاول أن يستمنى الذكر، ويلذه أن يهيجه، وقد يجعله ذلك يستمنى هو نفسه، وقد يحاول أن يرى نفسه فى هذا الذكر ويفعل فعله مع أنثاه، غير أن ذكور الحيوانات تستجيب للاستثارة عن الإناث وخاصة الكلاب، وبعض ذكور الكلاب ترتبط نفسيا بالإنسان الذى يكرر معها ذلك سواء كان ذكرا هو نفسه أو أنثى، وهناك حالات لذكور وإناث من الكلاب ارتبطت بأصحابها حتى أنها استغنت بهم عن جنسها. وقد يغرى الصبى حبه للاستطلاع فيحاول بنفسه ماشاهده على الطبيعة. وقد يدفعه إلى ذلك مايعرفه عن رفاقه فى هذا المجال مما يقصونه عليه. ولربما يدفع إلى هذه الممارسات مع البهائم طبيعة الحياة الريفية ذات التقاليد الشديدة المحافظة والملتزمة بتعاليم الدين، ومن ثم فقد يدفع الحرمان الجنسى والتزمت إلى التحول إلى الحيوانات على اعتبار أن الحيوان لايرفض المواقعة ولن يفضح الفاعل. ولربما يكون للتكرار تأثيره على الممارس وينطبع به نفسيا، وبعد أن يكون إتيان البهائم فى أول الأمر نوعا من التنفيس يصبح مع التكرار الوسيلة المفضلة لتحقيقه، وعندئذ قد يصبح من اليسر الشديد على المراهق أن ينتصب وأن يستمنى وأن يعتاد هذا الفعل قبل النوم. وكثيرا ماتأتيه الأحلام بمواقعات مع بهائم، أو قد يتخيل فى استمناءاته باليد أنه يواقع إحداها. وأحيانا ماتنشأ علاقة عاطفية بينه وبين حيوان بعينه، وهو شئ كثيرا مانشاهده فى المدينة أيضا فى مضمون العلاقة بين الحيوانات المنزلية الأليفة وأصحاب البيت، حتى إن بعض السيدات ليصبن أحيانا بالاكتئاب أو تضطرب أحوالهن النفسية بفقدانهن لكلب أو قط عاش معهن لبعض الوقت. والغالب أن يتخلص المراهق من هذا الارتباط بالبهائم من حيث النشاط الجنسى ويطلب الإناث من البشر، إلا أنه قد يعود إلى مواقعتها إذا كانت الفترة من المراهقة التى ارتبط فيها بهذه البهائم طويلة.

والمواقع للحيوانات عند **أصحاب التحليل النفسى** إنسان يتجنب العلاقات الجنسية الإنسانية، وقيل إن السبب ربما يكون لدوافع نفسية ورغبات مستعرة بأن يأتى المحارم من أقاربه الأقربين، فيصيبه من ذلك جزع، ويتحصل له الشعور بالذنب، ولربما يفرغ رغباته

فى الحيوانات فتكون بديلا عن الأم أو الأب أو الأخت، وهذا النوع من الانحراف يروج عند البعض الذين مايزال بهم بعض **التفكير الطوطمي**، فيحلّون الحيوان محل الشخص المحبوب وبذلك يتخلصون من القلق ومشاعر الذنب، بالإضافة إلى أن الحيوان لايبوح بالسر، وسيظل شريكا أبكم، ويمكن التحكم فيه، ومن خلاله يمكن تصريف أخطر الانفعالات تجاه الوالدين دون خطر يذكر. وكثيرا مايكشف استقصاء تاريخ حياة المنحرف أنه فى طفولته كان يلعب مع أحد الوالدين **لعبة الحيوانات**، كأن يتصنع الأب أنه كلب أو حصان أو خروف أو ديك. وقد يكشف التحليل أنه كان كثير المشاهدة للسفاد وتعيّن بذكر الحيوان أو بأنثاه، ثم تحول إلى الممارسة تمثيلاً للمشهد الأولى الذى تأثر به. ومن شأن الأنا الأعلى عند هذا المنحرف أنه بدائى يعزف عن أى إشباع جنسى بالطريقة الطبيعية. وقد يصاب بهلع حقيقى وخوف من الإخصاء يظل معه طوال حياته نتيجة رفسة من الحيوان أو عضة. وهو يأتى الحيوانات فى أول الأمر ليؤكد لنفسه أنه سليم جنسياً وكامل الفحولة وليس بالضآلة التى تدخلها فى روعه علاقاته الأوديبية بوالديه. وقد تكون فى المواقعة فائدة عندما تعز أية طريقة أخرى تعيد إليه ثقته بنفسه، إلا أنه بعد فترة لابد أن يتخلى عن هذا الفعل وإلا تثبّت عنده وصار به منحرفا. وربما يتحصل هذا الانحراف إذا أسقط المنحرف الصورة المثالية التى للوالدين عنده على أحد الحيوانات، وعندئذ قد يرى فى هذا الحيوان مايقرّبه إليه ويحبّبه فيه، ويجعله يسعى إليه كلما استبّدت به الرغبة، ويجد عنده الإشباع. ويترافق ذلك وأن يصنع المنحرف للحيوانات صورا كالخيالات والتوهمات تأتيه شعوريا ولاشعوريا، وتسهّل له علاقته بالحيوانات. ويتميز المنحرف الذى تثبّت عنده إتيان البهائم بعدم النضج الشديد، والعجز عن القيام على المسئوليات التى يقوم بها وينهض عليها البالغون، كما يتميز بالخوف من الناس وقد يتودد إليهم ولكنه دائما يحذرهم، واتجاهاته لها الصبغة النرجسية الواضحة، واختياره للحيوان كشريك هو طرح حقيقى للجانب الحيوانى الغالب عليه.



- ١٨ -

مص القضيب Fellatio

قد تشمل الاستثارة الجنسية والتجاوب معها كل مناطق الجسم تقريبا التى تنتشر بها

أعصاب اللمس وإن كانت تتركز فى المناطق الجنسية وفيما يسمى **المناطق الشهوية**، إلا أن أى جزء من الجسم يمكن شحنه شهويا بحيث يصبح موضع لذة، ويتحصل ذلك لمختلف الناس عند مراحل النمو النفسى الجنسى، ومن ذلك الشفتان واللسان وداخل الفم، ولكننا بالتعلم الإشراطى قد نعزف عن استخدام هذه المناطق استخداما جنسيا كاستخدامنا للقضيب أو الفرج بسبب الثقافة، وهناك من الثقافات ما يُقصِر الجنس على هذين العضوين دون سواهما ويعتبر التقبيل مثلا من المحرمات، أو على الأقل من المحظورات. ولاينظر علماء النفس والبيولوجيا والأنثروبولوجيا إلى الأنشطة الجنسية غير المباشرة نظرة أخلاقية ولكنهم يردونها إلى طبيعة الإنسان بوصفه من الحيوانات الثديية، وكانت الإنسانية تأتيها دائما وذلك ما عرفناه من كتب التراث والآثار المصورة عند المصريين والإغريق والصينيين واليابانيين والرومان والهنود وغيرهم. وبسبب التحريم الذى فرضته الأديان الكتابيه بخاصة فإن الناس حاليا قد لايستجيبون لممارسات كمص القضيب أو لعق الفرج، وقد يصاب البعض بالغثيان لو فرضت عليه، وتبين أن الذكر دائما هو الذى يذهب إلى هذه الماسارت سواء عند الحيوان أو الإنسان، وطبقا لتقرير **كينزى** فإن الأنثى فى الإنسان هى التى ترفض أن تكون فى المباشرة أو فى مقدمتها نشاطات تعدها شذوذا فى السلوك الجنسى. ويبدو أن المرأة هى بنت العرف عن الرجل،، وهى عندما ترضخ لأهواء الرجل فقد تفعل ذلك ولكنها تستشعر الذنب بعد أن تفعله، وفى إحدى الحالات مثلا أصيبت امرأة بما يسمى انفتال العنق أو الصَّعَر، وعولجت بمختلف العلاجات ولم يصلح معها إلا العلاج النفسى، وتبين بالتحليل أن تاريخ إصابتها بهذه الحالة جاء مع مباشرة بينها وبين زوجها حيث طلب منها أن تمص قضيبه فرفضت وأشاحت بوجهها عنه بشدة، ولكنه أجبرها على ذلك، فلما انتهت ونامت ظلت رقبتها ملتوية إلى الوضع الذى أشاحت بوجهها إليه فى أول رفضها، وقامت فى الصباح تشكو هذه الحالة وظلت بها مدة سنتين كاملتين قبل أن يكتشف الطبيب المعالج السبب الحقيقى. وهناك **حالات طلاق** كثيرة تتم بناء على طلبات من الزوج تعتبرها الزوجة شاذة، وقد يحدث أن يقبل الزوج رفض الزوجة إلا أنه يتوجه إلى إشباع شذوذه من بعد لدى البغايا، وإذا حاول الطبيب أن يقنع الزوج أن طلباته ليست إلا شذوذا وينبغى الإقلاع عنها فإنما يقف من الزوج موقفا أخلاقيا، ولايعدو أن يكون فيه فى دور الواعظ، إلا أن العلم لايرى فى مص القضيب عملا فيه ضرر من الناحية البيولوجية

وإن كان ذلك ضد القيم الراسخة والمتأصلة في كل المجتمعات تقريبا. وحتى المومسات عندما يقبلن مص القضيب فإنما يفعلن ذلك استجابة لدواعي المكسب المادى ولكنهن فى ممارساتهن مع أزواجهن لايقبلن أبدا هذا الشئ، وإنما يأتين من السلوك ما يتفق مع القيم السائدة فى طبقاتهن، والمعروف أن المومسات كثيراً ما ينحدرن من أوساط اجتماعية متدنية، وثبت أن مص القضيب فعل جنسى معقد لايأتيه من هذه الطبقة إلا ١٨٪ فقط، بينما قد يشيع فى الأوساط الطلابية، وخاصة لدى طلبة الجامعات، ويأتيه منهم نحو ٦٥٪. والمص هنا من الإناث للرجال، أما المص من الرجال للرجال فلم تزد نسبته عن ٦٪ وهو من ممارسات اللواط ويعتبر انحرافا جنسيا أساسيا.

والمص نفسه له طرق عدة، فقد يكون الرجل واقفا ثم تركع المرأة على ركبتيها وتتناول قضيب الرجل بشفتيها أو فمها، أو يستلقى الرجل على ظهره وتكون المرأة بين فخذيه، وإذا لم يكن الرجل منتصبا فإن المص مع خض القضيب كالخض الذى يكون لضرع البقرة عند الحلب، يجعله ينتصب وقد يكون المص لعقا بأن تجرى على القضيب بلسانها من الحشفة إلى آخره، أو تدور على الحشفة بلسانها، وقد تضعه فى فمها دون أن يصاب من الأسنان وتضغط عليه بشفتيها دخولا وخروجا كما فى الجماع مع زيادة السرعة بعد فترة، وقد تستدخله حتى ليلامس الرأس زورها، وقد تأتيها من ذلك حالة كالقئ دون أن تقئ فعلا، وقيؤها ليس قيئا نفسيا ولكنه انعكاس يتحصل للزور كالذى يقئ باستدخال يده حتى الزور. ولكى يُمنِى الرجل تستمر المرأة فى الإمساك بالقضيب بيدها بلطف وتحركه فى فمها أو عبر شفتيها أو تخرجه وتضرب به على الشفتين. وقد لا تكون المرأة مستعدة لتلقى المنى فى فمها فتتوتر قليلا لهذا السبب استعدادا للإمناء، وقد تتلقاه فى فمها وتحافظ على أن لا يبلغ بلعومها ثم تلفظه من فمها، وقد تبلعه، وبعض النسوة يقلن إنه لذيذ، ولا يكون له طعم فى أول الأمر ثم تبدو له ملوحة من بعد. وبعض النساء يسمحن بالمص مقابل لعق الفرج، ويرقد الاثنان متعاكسين بحيث يكون الرجل فوق المرأة ووجهه عند فخذيها، بينما عورته فوق رأسها.

ويذهب **أصحاب التحليل النفسى** وعلى رأسهم **فرويد** إلى أن مص القضيب من جانب المرأة أو من جانب اللوطى الذى يأتيه لآخر هو فعل من تأثير التثبّت على **المرحلة الفمية**، حيث يكون شحن الشفتين والفم بالطاقة الشهوية عاليا، ويحل القضيب محل حلمة الثدى،

ويُستَدخل القضيب إلى الفم وكأنه حلمة ثدى الأم قديما فى الطفولة الباكرة، وتلجأ المرأة أو الرجل اللوطى لذلك لأن به حاجات فمية لم تشبع من هذه الطفولة. وأما الرجل الذى يجعل المرأة تمص قضيبه ويتكلف لذلك ولا يجد لذة فى الجماع مالم يبدأ بهذه الطريقة أو ينحصر الجنس كله فى المص فإنه غالبا **يعانى من عقدة الثدى**، ويجعل المرأة تمص له وكأن قضيبه ثديا، وكأنه يباهى به المرأة كثدى، وتجعل عقدة الثدى الرجل إيجابيا كالحالة السابقة، وقد يجعل المرأة تمص ثديه مقتصرا على ذلك، أو قد تجعل الرجل سلبيا بحيث يطلب الثدى أو البديل له كالقضيب، وقد يجعله ذلك منحرفا فيهوى حاملات الثديين (السوتيان) ويقتنى منها الكثير ويرتديها وهو الاضطراب المسمى **بالفيتيشية**، أو أنه يصبح **مأبونا** ويتعشق قضيب زميله فى اللواط.

ومص القضيب يقال له أيضا **لحس القضيب penilingus**، والمص يكون بإدخال القضيب فى الفم، بينما اللحس يكون بإمرار اللسان عليه من الخارج. وماص القضيب أو اللحَّاس **fellator** هو الذى يفعل ذلك لآخر، ويقال له **مصَّاص، ومصَّان** أيضا، والأغلب أن تفعله المرأة للرجل فيقال لها ماصّة القضيب **fellatrice واللحَّاسة والمصَّاصة والمصَّاية**.

ويطلق على مص القضيب أيضا اسم **الجماع الفمى coitus oralis** لأنه جماع ولكن وسيلته ليس الفرج، والكثير من الحيوانات الثديية تأتيه كما عرفنا وخاصة الثدييات العليا وأخصها الإنسان، ولذا فقد يكون إتيانه أحيانا من باب التنويع فى الجماع ولكنه شذوذ إذا كان هدفا فى حد ذاته وليس تقدمة للنكاح، أو كان بين ذكر وآخر. والشذوذ فيه أن يصدر عن كَلَف به، وتعشُّق القضيب قد يستحيل فى الحالات المرضية وعند البدائيين إلى **عبادة لقضيب**، والمقصود **بعبادة القضيب** فى التحليل النفسى أن يُشحَن القضيب بالشهوة فيصبح مركز اللذة الجنسية وليس أداة تحصيلها بالجماع بين الذكر والأنثى، وعندئذ يأتى الماص عملية المص كنوع من التعبّد، أو يكون المص أهم شعيرة من شعائر عبادة القضيب.

والمص الذاتى للقضيب auto fellatio أو **self fellation** هو أن يضع الماص قضيبه فى فمه ويمارس المص بنفسه، وهو شئ عادى فى الحيوانات ولكنه مستحيل فى الإنسان، وتأتيه قرود **الريسوس والماندريل والشمبانزى**، وقد يحاوله الإنسان فى

المراهقة بشكل تلقائي وبتأثير خلفيته الحيوانية. ويحكى **كينزى** أن اثنين أو ثلاثة فى الألف قد ينجحون في المحاولة، وأنه كانت هناك حالة واحدة فى العينة التى اختارها لرجل فى الخامسة والثلاثين ظل يمارسه منذ المراهقة كنوع من العادة السرية.

***

- ١٩ -

الدقر الجنسي Frotteurism

الدَّقْر هو التحكُّك يقوم به الرجل بالنسبة للرجل، وهو **سلوك لوطى**، أو الرجل بالنسبة لامرأة وذلك من **السلوك الجنسي غير الناضج**. والدقر فى العربية يكون بالتزاحم فيلتصق **الدقرارة froteur** بضحية وينتصب ويدقر قضيبه فى ظهره أو فى إليته أو فى جنبه كيفما اتفق، وذلك انحراف يأتيه البعض كسلوك جنسى ثابت، ويكثرون من أجله ارتياد مواقف السيارات المزدحمة وركوب الباصات والتردد على الأسواق. ويندر أن تفعل النساء الدقر إلا لأهداف غير جنسية، كالنشل فهو ييسر للنشالة أن تربك الضحية فتسرقه. والدقرارة قد يكون **لوطيا** ويختار الأولاد الصغار أو يختار الشبان، وقد يكون جنسيا **غيريا** وينتقى النساء السمينات أو المحتشمات أو البنات الصغيرات. وقد تسكت المرأة حياء أو خوفا، أو قد تشكّل الحادثة بالنسبة لها مغامرة مثيرة جنسيا، وإذا كان الرجل والمرأة مخطوبين فقد يعطيها دقره لذة جنسية تتهيج لها. والدقر كثير الحدوث فى الرقص الأوروبى، وكانت نسوة كثيرة تشكو من **رقصة التانجو** وتتأبّى على أدائها لما كان يحدث من شريكها من مضايقات من نوع الدقر.

وقد يحدث الدقر عفويا دون قصد، وقد يكون انحرافا بالشخص يأتيه كسلوك وحيد لكى ينتصب ويستمنى. وقد يُخرِج قضيبه أثناء الدقر ويحكّه فى الضحية إلى أن يُمنيِ. وهناك حالات ضبطتها الشرطة كانت المرأة فيها تستصرخ الناس عندما يزيد هياج الدقرارة ويشتد احتكاكه بها، أو بعد أن يمنى عليها. والدقرارة غالبا مايكون مريضا **بالاستعراء**، وهو من المدمنين للعادة السرية ويأتيها كفعل قهرى، وخيالاته سادية. وعلاج الدقر صعب إذا كان قد طال أمد هذا السلوك، وإذا اكتُشِف وقُبِض على الدقرارة فقد يتضاعف الاضطراب ويعسر العلاج.

***

الفصل التاسع والأربعون

الجنس والاضطرابات النفسية والعقلية

- ١ -

الجنس والعصاب Sex & Neurosis

العُصابى فى مدرسة التحليل النفسى مريض يعانى من صراع داخلى بين دوافعه ومخاوفه،، أو بين متطلبات الهو ومطالب الأنا الأعلى. والدوافع والمخاوف فى العُصاب النفسى قد يكون طابعها جنسى، ويحول الصراع دون تحقيق المتطلبات الجنسية للهو، ويكبتها الشعور، و**العُصاب الجنسى** الطابع قد يُستحَدث فى الأبناء بتأثير **التربية والخلافات العائلية ومركبات النقص**. ولربما يكون السبب فى العُصاب **العزلة** التى تفرضها الحياة الحديثة، و**القلق** الذى قد يساور البعض إذا كان عليه أن يختار فى حرية. والقلق هو **المصدر العام** لكل سلوك عُصابى، والأصل فى تكوين العُصاب أن المريض لاتتحمل بنيته القلق، وليست لديه الوسائل التى يمكن أن يتعامل معه بها بنجاح وفى **عصاب القلق** anxiety neurosis مثلا يكون الصراع بين الجنس والأنا الأعلى شديد الوطأة لايحتمله المريض، فيتداعى بالسلوك العصابى، وتأتيه نوبات القلق فيروح ويجئ كالحبيس، ويحاول الهرب من المواقف الجنسية، وإذا تواجد فيها زادت دقات قلبه حتى ليكاد يسمعها، ويجف ريقه، وتبرد يداه كالثلج، وتتلاحق أنفاسه. وبالنظر إلى الحياة الانفعالية المميزة **للنساء** فإنهن أكثر تعرضا للإصابة **بعُصاب القلق**، وأعراضه الصداع وألم الظهر وأوجاع البطن واضطرابات القلب، وغالبا ما تكون شكوى النساء من **التعب** المزمن. وفى **عُصاب النهك** تتداعى النساء للصراعات العاطفية بالتعب، وكذلك قد يتولد النَهَك نتيجة استبدال منصرف طبيعى بمنصرف اصطناعى، كأن يستعيض الشاب بالاستمناء باليد عن الجماع. وقد تصاب الزوجة بعصاب النهك نتيجة استمرار **العزل الجنسى** يمارسه الزوج منعاً للحمل، فيخرج قبل الإنزال. **وفى عصاب ربة البيت** housewife's neurosis تتملك الزوجة رغبات عارمة بأن تنظف بيتها المرة تلو المرة وتنهك نفسها، كما لو كانت محبة وعاشقة لزوجها وأولادها، والاتجاه أن هذا التفانى فى خدمة الزوج ليس إلا سلوكاً وسواسياً قهريا، وتفسيره أن الرغبات الجنسية عندما تُكَبت وخاصة من الطفولة فإنها قد

تفلح فى أن تخرج من اللاشعور إلى الشعور فى شكل أفعال قهرية ووساوس ملحة ومنتظمة. ومن ذلك **اللوازم tics** حيث قد يكررها الشخص المعتاد لها كمنصرف للدوافع الجنسية التى يكبتها، والتى يريحه أن يستنفد طاقتها فى فعل اللازمة، كأن يرفع يده إلى أذنه يفركها، أو يدعك أنفه، أو يمسح على شعره، وكلها بدائل للرغبة فى الاستمناء، أو كدعك القضيب من آن لآخر، أو مصمصة الشفايف أو التنشّق أو التصعّر (لوى الرقبة)، ويُذكَر أن التصعّر قد يكون تعبيراً عن رغبة فى التطلّع الجنسى يقاومها المريض.

وتُطلَق على الوساوس المَرَضية اسم **توهم المرض hypochondria** أو **عُصاب المرض**. وليست شكاوى ربه البيت العُصابية إلا أوهاما مرضية. **والاكتئاب** من أهم سمات متوهم المرض العُصابى، والزوج المتزوج حديثا قد يتوهم أنه أصيب بأمراض تناسلية كعدوى من زوجته، وقد يشكو أوجاعا بجهازه التناسلى، وقد ينتابه كذلك اكتئاب وهَمّ وقلق. وفى السن بين **الأربعين والخمسين**، وهى التى توصف بأنها السن الخطرة، قد يشكو الزوجان العُصابيان أوجاعا متوهمة كتبرير للوَهَن الجنسى، وكمنصرف لمشاعر ذنوب جنسية سابقة أو حالية، وأكثر ما يصيب العُصاب الأزواج الذين يشكون **سوء التوافق** فى زواجهم، وخاصة **النساء** اللاتى تترافق هذه الأوهام المرضية عندهن وانقطاع الحيض وذبول الجمال وخروج الأولاد من البيت. **وتوهم المرض** حيلة دفاعية ضد الصراعات الجنسية اللاشعورية، فقد تُخطَب البنت وتريد أن ترحل لبيت زوجها، ولكنها من ناحية أخرى تريد أن تستمر مع والديها لارتباطها بأمها ارتباطا اعتماديا، فيدور الصراع فى نفسها بين حاجاتها النفسية الاعتمادية ورغباتها الجنسية. وقد يتمزق الشاب بين حبه لأمه وحبه لفتاته. وقد تصاب البنت بالأوجاع فى بطنها ويضطرب حيضها وقد تنزف ولاتدرى سببا لذلك. وقد يصاب الشاب بالعُنّة ينهى بها صراعه بين حبه لأمه وحبه لفتاته. وقد يُزاح الصراع إلى منطقة أخرى من جسمه بخلاف المنطقة التناسلية فيشكو مثلا من اضطرابات أنفية، **والأنف** كثيرا ما يقوم عند البعض مقام القضيب، فتكون الأوجاع بالأنف ويصبح الأنف مصدر الشكوى.

وتشمل الأوهام المرضية الجنسية **توهم العنة وسرطان الرحم والثديين وأوجاع المبايض أو الخصيتين أو الألم فى الفرج**. وبعض المرضى قد يتوهم أنه لو جامع كثيرا فقد ينفد منيّه، وقد يمتنع لذلك عن الجماع ليعيش. وقد تخشى الزوجة الاتصال الجنسى

بزوجها مغبة العدوى من أمراض تناسلية متوهمة حتى لترفض منه القبلة. وربما يكون **الصمم نفسى المنشأ** نتيجة صراعات جنسية مضمونها سمعى، كحالة فتاة كانت وهى مراهقة تنام فى حجرة إلى جوار حجرة والديها فكانت تسمع أصواتهما عند الجماع وأصيبت لذلك بالأرق، ثم حلّت مشكلتها بأن أفقدها الصمم القدرة على التنصّت. وقد يهرب الزوج الذى يعانى ثرثرة من زوجته بأن يتداعى بالصمم النفسى، ويطلق عليه أحيانا اسم **الصمم الحسى**، لأنه يصيب الحس السمعى دون علّة بجهاز السمع، وقد يطلق عليه كذلك اسم **الصمم العقلى** mental deafness، لأنه يسمع ولكن لايعمل بمقتضى مايسمع، أو لايستجيب له، وكثيرا ما تنادى الزوجة على زوجها فلا يسمعها وكأنه أصم. وهذا الصمم النفسى يشبه **العمى النفسى أو الهستيرى**، والاضطرابات البصرية الهستيرية كثيرة، والصراعات الجنسية تلعب دوراً أساسياً فى الإصابة بها، ومنها **الرؤية المحدودة، والرؤية الضبابية، والرؤية المنقطة، والرؤية المصغرة، والمكبرة**، **كحالة فتاة** أولعت بأبيها وكان أهلها ينكرون عليها ذلك، فخشيت أن يكون حبها له شاذاً، فاستبعدت الصراع بأن فقدت بصرها لتضمن بذلك أن تجاور أباها باستمرار ومع ذلك تحقق لأهلها رغبتهم الضمنية بأن لاتراه.

ومن العمى الهستيرى **العمى الجزئى** الذى لايرى المريض به إلا فى مجال مسارى كالخط أو الأنبوبية tunnel vision، **كحالة زوج** كان يشكو من الهيئة الزرية لامرأته، وكان يكرهها لقذراتها، ويعافها كامرأة، ولكنه لم يكن يستطيع تطليقها وإلا انهارت أسرته وتشرّد أطفاله، فحسم صراعاته تجاهها بأن أصيب بالعمى الجزئى بحيث يرى كل شئ فى مجال الجزء الذى يستطيع أن يرى به من عينيه، وأما بقية المجال فلا يراه، وبذلك لم يعد يرى امرأته لأنها صارت خارج مجال الرؤية، ويستطيع أن يسمعها من غير أن تقع عيناه عليها.

والخرس الهستيرى hysterical mutism من ذلك أيضا، فالولد الذى يريده أبوه أن يعترف بذنوب جنسية يستشعر العار والخزى أن يعترف بها، قد يصاب بالخرس الهستيرى. وفى **الهستيريا** تجد الدوافع والرغبات الجنسية المكبوتة طريقها إلى أعضاء الجسم أو الحس فتصيبها بالتعطّل عن الوظيفة كما أسلفنا فى حالة الصمم والخرس والعمى. وأنواع **العُقال** التى أشهرها مثلاً **عقال الكاتب، أو الخياطة** من هذا القبيل، حيث

قد تتعطل **اليد** عن الكتابة عند **الكاتب** أو عن الخِياطَة عند المرأة التى تعمل فى مجالها، إما لرغبات جنسية تحول المهنة عن تحقيقتها، أو لمشاعر ذنب تتناول اليد دون غيرها، كمشاعر الذنب التى تتخلف فينا لإدمان الاستمناء باليد، فيكون العقال كأنه عقاب ينزل باليد وسيلة الاستمناء. والأمثلة كثيرة على هذا النوع من الصراعات التى تعطّل وظائف أعضاء حسية، **كالكحة العصبية** بالحنجرة، أو **الحمل الكاذب**، أو **قئ الحوامل**. **والنساء أكثر إصابة بالهستيريا** بالنظر إلى الصراعات الجنسية التى يعانين منها، واسم **الهستيريا** نفسه مشتق من hystera بمعنى الرحم، والهستيريا هى **خُناق الرحم**، فعندما يتهيج الرحم بالرغبات فقد تزيد تقبّضاته حتى ليتغير مكانه وتكون به تقلبات تناسب أنواع الرغبات والدوافع الجنسية. ولربما تأخذ الهستيريا شكل الانفصال، كأن يصاب الشخص الهستيرى، **بالنسيان لهستيرى** فينسى كل شئ عن نفسه وحاضره كحل لمشاكله العاطفية والجنسية. ومن ذلك **الشرود الهستيرى fugue** وكثيراً ما يحدث عقب مشادة بين زوجين يعيشان حالة لاتوافق، فتترك الزوجة البيت وتهيم على وجهها لاتلوى على شئ، وقد تنسى كل شئ عن حاضرها، وتبدأ حياة جديدة فى مدينة جديدة باسم جديد، والمرأة الهجّاجة، والزوج الهجّاج مثلان للاتوافق فى الزواج.

ومن الاضطرابات الهستيرية الجنسية **تعدد الشخصية**، فينقسم الشخص على نفسه ليصبح شخصيتين، إحداهما هى نفسه، والأخرى الجديدة هى **الرغبات الجنسية المكبوتة**، ومن ثم **صرف** الشخصية الأولى وفى بالها المجتمع والعرف والدين والشرف إلخ، بينما الشخصية الثانية داعرة، **كحالة بنت** كبرت فى السن وتنفق على إخوتها وتكبت نوازعها فى الحب والجنس، فتنهار وتظهر لها شخصية ثانية تتخارج منها بعد أن تأوى إلى فراشها، فتتجمل فى تبرّج وتنصرف إلى الشارع ترتاد الكبهاريات وتصاحب الرجال، ثم تعود إلى المنزل فجراً فتنام، وتصحو مصدوعة الرأس لاتعرف سببا للتعب والدوار والقئ والصداع بها.

ومن الأعراض الهستيرية أيضا **الخُدار الهستيرى**، كأن يصاب الولد المدمن للعادة السرية، والذى يعانى من صراعات إحجام عنها وإقدام عليها، بالخَدَر فى يده حتى المعصم، وقد لايأتيه الخُدار إلا إذا فكر فى ممارسة العادة السرية، وأما فى غير ذلك من الأنشطة فيده سليمه. ويعتبر علماء النفس العُنّة نوعاً من الخُدار الجنسى باعتبار أن العجز

الجنسي خُدار يصيب القضيب ويعطل وظيفته، فكلما أقدم الشخص على الجماع فَقَدَ الإحساس في قضيبه، فيحول ذلك دونه والقيام بالجماع.

والنسيان الهستيرى من ذلك لأنه عجز عن استدعاء الخبرات الانفعالية المؤلمة، وأشدها إيلاما للنفس هى **الخبرات الجنسية**، ونجد ذلك جليا فى حالات **الخيانة الزوجية**، فلولا النسيان لما استطاع الزوجان أبدا أن يستأنفا حياتهما بعد مشهد الخيانة الأليم.

ومن الاستجابات الجنسية الهستيرية **الشلل** الذى يصيب أعضاء الحركة أو الصوت أو السمع أو الحس، وهو **بخلاف الشلل العضوى** تشريحا وأعراضا، حيث قد تُفقد الصراعات الجنسية ومشاعر الذنب أعضاء الحس القدرة على الوظيفة، لأنهاتشترك فى عمل لا يرضى عنه صاحبها، **كهذه الحالة** لرجل كان يأتى الفواحش وحاول أن ينتهى عن ذلك، فكلما هَمّ أن يذهب عجزت ساقاه وتخاذل إلى أن يمر يوم الجمعة وهو اليوم الذى يأتجز فيه ويزور الفواحش. ولربما يجعل يوم الإجازة الأسبوعى الناس حسّاسين زيادة عن اللازم حول ما يصنعونه فيه ولا يُرضى الأنا الأعلى عندهم. **وعصاب يوم الجمعة** من ذلك حيث تنتاب بعض الناس فيه اضطرابات عُصابية تحول بينهم وبين تكرار ما اعتادوه فيه، فتكثر الخلافات والشجارات الهستيرية على خلاف العادة، فتكون مبررا يعتذر عنهم عن الممارسات الجنسية الروتينية التى صارت تصيبهم بالسأم والملل، وكأن الخلافات فى هذا اليوم وسيلة هرب من الجماع بسبب عُنّة نسبية تلحق أياً من الزوجين، نتيجة نمطية الحياة الزوجية لفترة طويلة، ربما تستمر عشرين أو ثلاثين سنة. كما أن **الشك القهرى** قد يكون وسيلة هرب من القيام بأعباء الزوجية، فيلجأ الزوج أو الزوجة إلى اتهام بعضهما البعض بعدم الإخلاص. **والوساوس الزوجية** عُصاب يتصل بالصراعات الجنسية. والبدائل التى تذهب إليها الصراعات الزوجية بعيداً عن الجنس كثيرة، فمثلاً فى **هوس السرقة** يكون الدافع إليها جنسياً وليس بتأثير الفقر أو الحاجة، فربما يريد السارق بالسرقة التى لا يحتاج إليها أن يورط نفسه فيُضبَط ليعاقب على مشاعر جنسية محرّمة أو مشاعر ذنب قوية، وربما يلجأ السارق إلى السرقة طلبا للهياج والإثارة ومضمونهما جنسى. وفى هوس **إشعال الحرائق** يكون إضرام النار بديلا عن الشهوة الجنسية، ويشبه الجنس دائما النار، والماء الذى يطفئها بديل عن المَنِي يطفئ الشهوة. وفى **هوس الترحال** يلجأ العُصابى إلى الهرب من الموقف الجنسى الضاغط أو الكريه، بأن يخرج هائما بدون هدف، ولذلك يطلقون عليه اسم **عُصاب التجوال** vagabond neurosis .

والخُوافات أعصبة، ومنها خوافات جنسية دوافعها جنسية خالصة، ففى خُواف الأماكن المغلقةتكون أكثر الشكوى منه من **النساء** ، وهن أكثر أفراد المجتمع معاناة من **الحبس فى البيوت** بدعاوى جنسية، ويتعرضن لضغوط كثيرة منذ الطفولة، ولذلك كانت **البنات** أكثر من الأولاد تخوّفا من الظلام والقطط والكلاب والحشرات، وكلها **خوافات جنسية** أو ترتبط بموضوعات جنسية. وخواف البنات من **الثعابين** أكثر من خواف الأولاد، ويقول علماء النفس فى ذلك أن الخوف الأنثوى من الثعابين هو رد فعل للاشتهاء اللاشعورى.

والخواف من الجنس قد يجعل الرجل يخاف صعود السلالم للشبه بين العملية الجنسية وصعود السلالم. ويدارى الأطفال أعضاءهم الجنسية بأيديهم إذا خافوا من القطط، وكأن **القطط** ستقضم قضيب الولد، أو ستنهش خصيته. وربما يكون **خواف القطط خواف من الإخصاء**. **وخواف الدم أو خواف اللون الأحمر** قد يُرّد إلى **خوف البنت من افتضاض البكارة**، أو خوفها من أوهام الليلة الأولى من الزواج. **وخواف المرتفعات** قد يكون من بقايا الخوف المقترن باللذة عند الطفل إذ يرفعه أبوه إلى أعلى ويهزه ملاعبا، والنتيجة أنه رغم شعوره باللذة فقد يحسم الصراع بين طلب هذا الشعور وبين الخوف من السقوط بأن يعرق ويشعر بالدوار كلما تواجد فى أماكن مرتفعة. والنساء هن أكثر من يخاف من ركوب **الطائرات والسيارات والمصاعد**، وربما تذكر هذه الوسائل بالجنس وهن أطفال مراهقات، وأخيرا وهى متزوجات. وربما يكون هذا الخوف من الأماكن المغلقة أن تكون المرأة فيها مع نفسها عارية مع رغباتها اللاشعورية فتخاف، وعكس ذلك **الخوف من الأماكن المفتوحة**، وهو أصلا **خوف من التعرّى**، بمعنى أن المرأة كلما تواجدت فى الشارع تأتيها المخاوف من أن تخلع ملابسها أو أن تصنع صنيع بنات الهوى، وقد تُخرِج هذه الرغبات أوالميول اللاشعورية فى **التبرّج**، وكأنها تستبدل بالتعرّى هذه الثياب الفاضحة. **والخوف من المسننات** ربما لأن النساء يجدن فيها شبهاً بالقضيب. **وخواف السرقة** يكون بالمرأة بديلا عن خوفها على بكارتها. **وخواف الجماع** قد يكون أصله **خوافها من النساء أو من الرجال** بسبب التربية فى كنف أم مسيطرة أو أب مستبد.

وليست كل أنواع العُصاب أو الخُواف رد فعل لتجارب الطفولة الجنسية الصادمة، **والعُصاب الحالى** actual neurosis أسبابه من الظروف الحاضرة من الحياة الجنسية للشخص، وأسبابه لذلك ليست نفسية، ويصاب به المريض نتيجة تكرار التعرّض

للهياج الجنسى وقمعه لرغباته الجنسية بعد الهياج الشديد، أو نتيجة الامتناع عن الممارسة الجنسية امتناعا يُغصَب عليه رغم الظروف المهيئة له، كأن تكون الزوجة حائضا والدين ينهى عن إتيان الحائض، وربما يخشى الزوج الحمل فيمارس العَزْل، ومن شأن عدم إفراغ الشحنة الجنسية أن يستمر التوتر ويصاب الشخص بالقلق العصابى. ويرجع **فرويد العُصاب الحالى أو الحاضر** إلى اضطرابات الأيض الجنسى، ويشبّه الامتناع عن الجنس بالامتناع عن تعاطى عقار ندمنه ونعتمد عليه فسيولوجيا، والانسمام الناتج فى الحالتين يستحدثه اضطراب الأيض، وهو مع الممتنع أو المتعفف جنسيا اضطراب فى **الأيض الجنسى** يكون نواة أو مرحلة أولى من مراحل الاضطراب العُصابى، فمثلا قد يأتى الاضطراب العُصابى على شكل **صداع**، ربما كان عرضا انسماميا جنسيا نتيجة الخروج قبل الإنزال، أوالجماع غير الكامل، وقد يتحول هذا الصداع إلى عُصاب تحوّلى تتحقق به الإزاحة للطاقة الجنسية من أعضائها الجنسية الطبيعية إلى الرأس، ويكون الشعور بالصداع كبديل للإشباع الجنسى غير المتحقق.

***

- ٢ -

الجنس و الذهان Sex & Psychosis

الذُهان من مادة ذَهَن، تقول ذهن فلان أى ذهب عقله وأصابه الجنون. والذُهان اضطراب يصيب العقل على عكس العُصاب الذى يرتبط بالأعصاب كما يوحى بذلك اسمه. والذهان لهذا الارتباط بالعقل أشد وطأة على المريض به من العصاب، وقد تستحدثه أمور عضوية أو نفسية، ولايعى المذهون أنه مريض، ويفقد الاستبصار بمرضه، على عكس العُصابى الذى يعانى من تناقص كفاءته ولكنه يستبصر حالته ويعى مرضه، ولايصيبه منه التلف الشديد فى بناء الشخصية كما يحدث فى حالة المريض بالذُهان.

ومن الاضطرابات الذُهانية التى للجنس دورٌ فيها **استجابة الذُهان الانتكاسية**، والتى يطلق البعض عليها اسم **الملانخوليا الانتكاسية** **involutional melancholia**، وتصيب الرجال والنساء فى السن التى يقال لها **سن اليأس أو الإياس** **menopause**. وهى سنٌ تكون بين **الأربعين والخامسة والخمسين** عند النساء، وبين **الخمسين والخامسة والستين** عند الرجال، وفيها ينقطع حيض المرأة، وقد لاينتصب الرجل ويعجز عن الجماع، وذلك

عَرَض فسيولوجى ترتبط به أعراض نفسية، حيث يغلب على الرجل والمرأة القلق والهَمّ، ويعتريهما الاكتئاب. واسم **الملانخوليا** يعنى **السوداء**، بمعنى أن المصاب بها يصبح **سوداوى** النظرة كثير التشاؤم. وقد لوحظ أنه لايصاب بالملانخوليا الانتكاسية أو الذهان الانتكاسى إلا الأشخاص من أصحاب الشخصية القهْرية أو أنهم يكونون أقرب إلى الشخصية القهرية، منهم إلى إلى النمط النوابى من الشخصية، وأنهم غالبا قبل أن تأتيهم أعراض هذه الملانخوليا فى سن اليأس يعانون حقا من استجابات ذهانية بشكل ما، إلا أن الفارق بين الاستجابة الانتكاسية وغيرها من الاستجابات الذُهانية أن الاستجابة الانتكاسية تأتى أول مرة فى **سن اليأس** وترتبط به، فمجيئها لايكون إلافى أواخر العمر، وأما الاستجابات الذهانية الأخرى فهى تأتى وتذهب وتتراوح على الشخص على دورات، وقد يشفى منها ثم تعاوده فى تناوب، ومن ثم تختلف الآراء حول ما إذا كانت استجابة الاكتئاب فى **الملانخوليا الانتكاسية** هى استجابة ذهانية حقا، ولعل ذلك هو سبب تفضيل البعض لاسم الملانخوليا الانتكاسية على اسم **الذهان الانتكاسى**. غير أن بعض الأخصائيين يعتبر هذه الاستجابة نتيجة طبيعية **للتغيرات الهرمونية الجنسية فى المرأة والرجل** فى السن التى يقال لها **سن اليأس**، والتى فيها يقل إفراز المبيضين أو الخصيتين ومايصاحب ذلك من تغييرات فسيولوجية وحيوية، حيث يبين القصور فى كفاءة أجهزة الجسم الأخرى فى هذه السن، وتكثر الشكوى والأوجاع وتتراكم الإحباطات. وفى هذه السن أيضا يقل دخل الرجل وينصرف الأولاد عن البيت ليستقلوا بحياتهم بعد أن كبروا، ويزيد الخوف عند المرأة والرجل من المستقبل، ومما ينتظرهما من وحدة ومرض وحاجة وعوز. ويعنى انقطاع الحيض عند المرأة أن شبابها قد ولّى، وأنها ماعادت صالحة للحمل والإنجاب، وماعادت للرجال رغبة فيها. وقد يكون ذلك فى حد ذاته انقلابا فى حياتها له خطره، وقد يصيبها منه الاكتئاب والقلق، وتشكو من جرّائه من فورات أو حُمَيا تشملها، وقد تأتيها مايشبه الرعشة أحيانا وتشكو شحوبا فى لون بشرتها، وحساسية شديدة للضجة، وميلا لإفراز العرق، ويتساقط شعرها وينبت لها شعر فى ذقنها وفوق شفتها العليا، ويتغضن جلدها ويزول جمالها وتنتهى جاذبيتها. وقد تتأسى على مافاتها وتبكى لغير سبب وتتوهم أنها مصابة بأمراض أخطر، وتشكو الصداع والدوخة والإنهاك، وتشعر ببرودة فى يديها وقدميها وعزوفا عن الطعام ويجافيها النوم. وقد يستبد بها القلق والاكتئاب فتقضى وقتها تروح

وتجئ وتفرك يديها وتتناول الأشياء فتسهو عنها وتمزقها أو تقطعها. وقد تكون استجابة المرأة أو استجابة الرجل فى هذه السن من النمط الهذائى، فتلوم غيرها على أشياء فى حياتها، وتستخدم الإسقاط لتدفع عن نفسها القلق من جرّاء ضغوط هذه السن. وقد ينصرف الرجال المنتكس عن عمله ويكرهه ويعتزل الناس ويعيش فى خوف وترقب وحذر، فإذا كانت استجابته من النمط الهذائى (البارنى) فقد يعوّض عن تفاهة حياته وركودها بهذاءات يتوهم معها أنه حقق أشياء فى حياته، وعاش أو أنه يعيش حياة حافلة. ولعل ذلك هو السبب فى أن البعض لايعدّ هذه الأعراض استجابة ذُهانية، للمفارقة بين هذه الأعراض والأعراض الذهانية حقا. ويبدو أن صفة **الانتكاس** التى ارتبطت بهذا الذهان أو الملانخوليا أُلصقت بها أو به اعتسافا، وذلك أنه لم يتأيد بصفة قاطعة أن التغيرات الهرمونية الانتكاسية هى السبب الأصلى فى الإصابة بهذا الاضطراب، والمعول عليه أن الظروف الاجتماعية والانفعالية والاقتصادية التى يمر بها الشخص فى سن اليأس أو نحوها هى التى تدفع إلى تلك الحالة المزاجية التى يكون عليها المريض، أو أنها أهم من التغيرات الهرمونية، ولعل ذلك هو مايجعل البعض يعقدون المقارنة بين هذه الأعراض عند النساء مثلا ومايسمى **متلازمة العش الخالى empty nest syndrome**، عندما يخلو البيت على المرأة بزواج أولادها فلاتعود تجد مايشغلها بعد حياة حافلة بالمسئوليات والواجبات، فترين عليها الوحدة وتصاب بالاكتئاب. وكذلك الرجال الذين يكدون بشدة، ويجهدون من أجل أسراتهم وأولادهم، وفجأة لايجد مايجهد نفسه من أجله باستقلال أولاده، وقد يحال إلى المعاش فيستشعر خواء رهيبا فى حياته يصاب منه بالاكتئاب. **وهذه حالة لسيدة** كانت لديها ثلاث بنات وكانت مشغولة بهن وبالدراسة لهن إلى أن تخرجن من الجامعة وتزوجن، ومع اقتراب الزواج بدأت تسهو وتأرق وترتعش وتعرق وتعرف القلق وتصاب بالوجوم وتهمل فى عملها، ووصلت الحالة إلى ذروتها مع بداية رحيل البنات. **وحالة أخرى** لأستاذ جامعى تغيّر سلوكه ولم يعد يهتم بعمله، وأصبح ذهابه إلى المحاضرات روتينيا، وكان لايحب أن ينهض من سريره إذا حان موعد عمله، وصار عصبيا يتشاجر مع أسرته لأتفه الأسباب، ولايحفل بالاجتماعيات، وكان قد بدأ يقل فى التواصل بامرأته، ولاحظت أنه ماعاد قادرا على مضاجعتها، وأنه إذا ضاجعها فقد يرتخى قبل الإمناء، وقد لايكمل، وأخيرا ماعاد يقترب منها، وصار يعنف معها ويغلق الباب عليه دونها، ويقرأ ماكان

قد كتب قديما ويبعث إلى الناشرين يطلب إصلاح ماكتب، ويسمى نفسه نصّابا، وقد استوجب كل ذلك بالطبع استشارة الطبيب النفسي.

ولو تُرِك المريض باستجابة الذهان الانتكاسي أو الملانخوليا الانتكاسية لشفي تلقائيا غالبا، غير أن ذلك قد يستغرق وقتا مابين السنتين إلى الثلاث سنوات قبل أن يزايل المريض اكتئابه، فإذا اجتمع عليه العلاج الطبي والنفسي فقد تُختَصر هذه المدة كثيرا، فإذا تم له الشفاء فقد تزول الأعراض تماما ويعود إلى سابق عهده من الحيوية والنشاط ويزاول عمله.

وليست التغيرات الهرمونية الجنسية في سن اليأس فقط هي السبب في الإصابة بالذهان من الأنواع السابقة، فذلك يحدث أيضاً مرتبطاً بالتغيرات الهرمونية الجنسية في سن البلوغ بالنظر إلى **الضغوط النفسية** التي تستحدثها هذه التغيرات. ورغم أن **ذهان البلوغ** puberty psychois، **وذهان الأحداث** juvenile psychosis نوعان من الذهان المرتبط بمرحلة من أهم مراحل التطور الجنسي النفسي، إلا أن الكثيرين يشككون في إمكان قيام **ذهان خاص بالبلوغ أو بالمراهقة**، ويطلقون على الأعراض الذهانية في هاتين المرحلتين الجنسيتين اسم **الفُصام**. وكذلك قد تترافق التغيرات الهرمونية التي تَستحدث **نزول الحيض أو إفراز اللبن أو الولادة** وظهور الاضطرابات الذهانية التي لها الطابع الجنسي، بالنظر إلى أنها ترتبط **بالجهاز التناسلي** في المرأة، **كالذهان الحيضي** menstrual psychosis فهو الذي تكون عليه الحالة العقلية للنساء اللاتي يصبن مع نزول الحيض بالاكتئاب، ويقول **بلولر** إن نساء كثيرات قد يحاولن **الانتحار** أثناء الحيض، وربما يكون من المناسب أحيانا أن نتحدث عن **الجنون الحيضي** menstrual insan-ity، وهناك من الدلالات مايؤكد أن معظم **حوادث السيارات** التي تأتيها النساء تقع أثناء الحيض أو في الأسبوع السابق له، وأن الكثير من المشاجرات الزوجية وترك البيت يحدث والزوجة في الحيض. وكذلك قد تصاب بعض النسوة بالاكتئاب **أثناء الحمل**، ويغرب سلوكهن، ويعزفن عن الاختلاط بالناس، ويملن إلى الوحدة، ولذلك فربما يوجد **ذهان حملي** gestational psychosis، كما يوجد **ذهان رضاعي** lactation psycho-sis، **وذهان نفاسي** puerperal psychosis وكلها حالات تتميز بالاكتئاب والوحدة والعزلة وتكون لها ردود فعل على الحمل أو الرضاعة، وقد تفسد الحمل وتعجل بالإجهاض، وقد تحول بين الأم وأن ترضع وليدها، أو تجعلها تنبذه.

وقيل إن إدمان الاستمناء قد يصيب **بذهان استمنائي** masrurbatic psycho-

sis فيلازم الاكتئاب المراهق أو الشاب ويبدو عليه النَهَك الشديد ويصاب بالهزال وتشتّت الفكر ونضوب الأفكار وسوء التوجه والنسيان، وقد تزداد به الحالة حتى ليذهل عما حوله.

وأيضا فقد يؤدى إدمان الحيوانات والولع بها إلى مايسمى **بذهان تعشّق الحيوانات zoophil psychosis**، كأن يقتنى المرء مائة قطة، أو يعين الخدم والحشم لخدمة كلب، وقد لاينام إلا ويصحبه معه إلى السرير، وقد يبلغ به التعشّق الإشباق الجنسى فيكون مايُطلَق عليه اسم **جماع الحيوانات**.

وليست الحيوانات وحدها مايمكن أن ترتبط به الاضطرابات الذُهانية الجنسية، **فالأوقات** أيضا يمكن أن تستحدث الذهانات، ومن ذلك **ذهان الليل**، وكذلك **الأماكن** مثل **ذهان البيت وذهان السجن**. فأما **ذهان الليل night psychosis** فالاضطراب منه يتأتى فى الليل أو كلما يحل الظلام، فيستشعر المريض القلق والخوف، ويصاب بالاكتئاب. وذهان الليل ذهان **جنسى**، والمريض به قد يتهيج ويقوم بالاعتداء على النساء ويغتصبهن. وقيل إن الليل قد يرتبط عنده بأنه وقت النشاط الجنسى، وربما الرهبة منه هى رهبة من الجنس المرتبط فعله بالظلام والليل. ونروى هذه **الحالة** لمريض مصاب بذهان الليل وكان يسرق كلما جن الليل، وللسرقة عنده هياج، وكان وهو طفل ينام مع أمه وأبيه فى حجرة واحدة فكان يسمع أمه تتأوه فى الظلام كلما ضاجعها أبوه، فارتبط عنده الظلام بالاغتصاب والفتح والعنف وانتهاك العِرْض وإتيان المحرمات، فإذا كان الظلام اضطربت أحواله ولم يعد على مايعرفه الناس وانطلق وكأن به مساً يعيث فساداً ويهلوس بما يعرف وبما لايعرف.

وأما **ذهان البيت** أو بالأحرى **ذهان ربة البيت housewife's psychosis** فلقد ثبت من الدراسات أن التعرّض لظروف العمل خارج البيت والضغوط اليومية التى يمكن أن تتأثر بها النساء قد تكون لها مردودها على **حيض** المرأة وانتظامه وقدرتها على **الإنجاب**، ومن ناحية أخرى فلربما تكون للبيت والبقاء فيه أيضا تأثيرات كتأثيرات خروج المرأة إلى العمل. وقد تصاب المرأة من الضغوط المنزلية باضطرابات ذهانية من النوع الخفيف، وربما يكون لها شكل الاكتئاب أو الفُصام، وربما تكون اضطراباتها عُصابية. وقد تشتد أعراض الذهان إذا لم تتغير الظروف المنزلية التى أدّت إليه. وعادة ماتكون المرأة التى تصاب بالذهان من هذا النوع ذات استعداد للإصابة به، ويستحث هذا **الاستعداد** أو الميل المسبق

نوع الحياة التى تحياها المرأة داخل جدران البيت والضغوط التى تتعرض لها، والفشل أو الإحباط الذى تُمنَى به آمالها وتوقعاتها، واللاتوافق النفسى والجنسى الذى تعيش فيه مع زوجها، وحالة الاغتراب التى تعانيها فى بيتها، فهى فى بيتها وليست فى بيتها. وكثيرا مايكون هذا الصنف من النساء من غير المتعلمات ومن بين المتوسطات الذكاء (Freud: Collected Papers: vol.3). وبعض النسوة وخاصة العائلات المحافظة قد يقال عنهن إنهن يخرجن من بيت الأب إلى بيت الزوج ولا يرين الشارع من بعد. والمرأة التى تعيش فى بيت كالسجن، وكذلك الرجل الذى يودع السجن عقاباً على جريمة ما، كلاهما قد تتأثر لديهما الرغبات الجنسية والدوافع والعادات، وتضعف قدرتهما على احتمال الضغوط بالتدريج. وقد **يضطرب حيض المرأة**، وفى حالة ماإذا كانت المرأة تقضى عقوبة بالسجن فقد ينقطع حيضها. **وذهان السجن** prison psychosis له هذا التأثير الضار والذى به ينفرط عقد الشخصية. ولقد ثبت أن العزلة لها أعراض اكتئابية، فإذا كانت لمدة طويلة فإن من شأنها أن يفقد الشخص حماسه للحياة ويكتئب أو يصاب بالفصام، وإذا خرجت المرأة من السجن فإن قدرتها على أن تكون أمّاً أو أن ترضع تتلف، والسجون أماكن **عزل جنسى**، وتنتشر فيها **اللواطة**، وتظهر الميول اللواطية أثناء السجن ويلجأ الكثيرون فيه للاستمناء باليد ويصابون من جرّاء الإدمان والإفراط بالنهك (Scott: Pathology and Treatment of Sexual Deviation).

* * *

الفصل الخمسون

الجنس والمخدرات والعقاقير والتدخين

- ١ -

الجنس والتدخين Sex & Smoking

كثيراً ما يلجأ أصحاب المشاكل العاطفية إلى التدخين ، والإحباط فى العشق يصيب العاشق الوامق باكتئاب يجعله أقل ذكاءً وانتباهاً . والتدخين ينبه الجهاز العصبى المركزى ، غير أن **النيكوتين** الذى يحتوى عليه الطباق قد يسبب عند البعض **إدماناً فسيولوجياً** ، وقد يتحصل للبعض منه **اعتياد نفسى** ، وفى الحالتين يشعر المدخن صاحب المشكلة العاطفية ، أو أى مشكلة ، أنه يسترخى . وسواء كان ما يسببه التدخين إدماناً أو اعتياداً فإن الإقبال عليه ظاهرة لا يستهان بها ، وينبغى التوفر على دراستها بما تستحقه ، نظراً لتفشى التدخين بين المراهقين والشباب من العمال وطلبة المدارس وطالباتها والجامعات وبين النساء ، وهى فئات تحس الإحباط ، وخاصة **فى مسائل الجنس** ، ولم تكن تدخن فى الماضى . وصار من الواضح أن عدداً هائلاً من هؤلاء لم يعد قادراً على الإقلاع عن هذه العادة المقيتة ، ولربما كانت حالة **سيجموند فرويد** مثلاً يمكن أن نسوقه فى هذا المجال ، فلقد كان يعانى من المشاكل العاطفية وغير العاطفية ، ولجأ إلى التدخين وكان يعرف أن تدخينه لنحو عشرين سيجاراً يومياً من شأنه أن يضعف قلبه ويعرضه للإصابة جالسرطان ، وحاول مراراً أن يقلع عن التدخين ولكنهلكان فى كل مرة يعود إليه إلى أن قرر أخيراً أن يسَمر فيه ، واعترف بأنه عاجز نفسياً عن مواصلة عمله٤دون أن يدخن ، وحتى بعد أن أصيب بالسرطان واستأصل|| فكه وركبوا له فكًا اصطناعيًا استمر يدخن طالما أن فمه سليم يستطيع أن يضع السيجار فيه ، وأديراً توفى بالسرطان بعد أن استشرى فى الفم كله . ولقد عاش **فرويد** حتى **الثالثة والثمانين** ولم يمت صغيراً ، ولكنه عانى كثيراً من الآلام المبرحة لسنوات بسبب التدخين ، وكان عجزه عن الإقلاع عنه حالة **فريدة** حيث أن **فرويد** عالم نفس من أكبر العلماء ، وهو مؤسس مدرسة التحليل النفسى ، ولابد أنه حاول أن يدرس أسباب هذا الاعتماد الشديد عنده على التدخين حتى ليبدو فى حالته أشبه بالإدمان ، وكثيراً ما كانت تصدر منه إشارة أو ملحوظة إلى أنه ربما كان السبب **زوجته** . وما حدث لفرويد يحدث كل يوم لغيره من ملايين المدخنين : امتناع

مـؤقت ثم عـودة إليـه وهـكذا دواليك . وكـان **مارك توين** كلمـا توصّل إلى حلّ لمشاكله العاطفية يمتنع عن التدخين ويقول مـا أســهل الامتناع عنه ، إلا أن المشـاكل ســرعـان مـا تعاوده فـيعود إلى التـدخين . ويبـدو أن المعـاودة إلى التـدخين تكون دائمًـا بتـأثيـر **الضغوط الانفعالية**، وهى ضـغوط أكبر من استهجـان الجميع لهذه العادة الرذيلة ، ولا يتناقص عدد المدخنين بالتـحذير منه ، والبـحوث فيـه ليست بالكثرة كما فى إدمـان المخـدرات أو المنبـهات ، وربما **لأن النيكوتين** الذى يحتوى عليـه الطبـاق هو أقل المنبـهات ضـرراً بالمعتاد أو المدمن ، أو أنه أخفـهـا ضـرراً من النـاحية النفسيـة ، وبعض البـاحثين يجعل للتدخين **ضررًا بالغًا** بالصحة النفسية **للنساء** بخـاصـة . وقـد يشـره المراهـق فـيـدخن ثلاث أو أربـع علب يومـيًـا سنةً بـعـد سنة ، يسـتـعين بـهـا كـوسـيلة لتصـريف **التوترات الانفعالية** ، وأكثر الناس عصبية هـم أكثرهـم تدخينًا ، ومن ثم فإن التدخين ربما كـان **لازمة عصبية** ،وربمـا يسـتخدمـه البعض **كإشباع بديل** لحاجات انفعالية شتى . وقد تكون حركات اليدين وامتصاص الدخان ونفثه واشتراك الشفتين والأسنان فى عملية التدخين ، كلها منصرفات **لميول عدوانية، أو بدائل عن رغبات فى التودد والتقرب** من الآخرين . وقد تكون الاستجابات الفسيولوچية الخفيفة للتدخين مثل زيادة ضـربات القلب وانقباض الأوعية المحيطة ، منبّهـات قصـيرة المدى ، من شـأنـهـا إيقـاظ الشـخص النـاعس أو المتعب . وقد يشـعـر الشـخص **بجوع عاطفى** يخجل أن يصرح به ويعاقب نفسـه عليه لهذا السـبب ، فيُقبل على التدخين يحقق به إشبـاعًـا جزئيًـا ، ويلحق به الضـرر بنفسـه فيؤذى لسـانه وبلعومه وحنجرتـه . ويبدو أن **اعتياد التدخين** من بقـايا **المرحلة الفمية من مراحل التطور النفسى الجنسى** ، وهى أول مـراحل هذا النمو حيث ينشـأ الطفل أول مـا يولد وإحسـاسـه باللذة مـصدره جسـمـه كله ، ولكن سـرعان مـا يتركز بنوع خاص فى مـناطق شبقية مـتعاقبة أولها **الفم** ، ثم الشـرج ، ثم الأعضـاء التناسلية الخـارجية مـن بعد . وفى **المرحلة الفمية الأولى** يجـد الطفل لذته فى **الرضاعة** ، وفــى **المرحلة الفمية الثانية** يجد لذته فى **العضّ** . وتؤثر المراحل النفسـيـة الجسـمية التى يمر بـهـا الطفل على نفسيته ، وتترك كل مرحلة بعض رواسبـهـا فى شـخصـيتـه ، وقد تتثبت الشـخصـية عند مرحلة من المراحل ، ويطلق على السـمات النفسـية المصـاحبة للمرحلة الفمية التى يظهر بعضـهـا فى شـخـصـيـة الكبـيـر - لا سـيـمـا إذا حـدث ارتداد إلى تلك المرحـلـة - اسـم **الخلق الفمى oral character** ، والتدخـين من الخُـلق الفـمـى ، وهـو دليل على **حاجات عاطفية** لم تشـبـع من هذه المرحلة يحـاول المدخن أن يشبعها بالسيجارة كبديل عن الرضـاعـة ، ويقـول **فرويد** : إن الرضـاعـة

إذا كانت مشبعة للطفل فإنه ينشأ **متفائلاً** ، وإذا لم تكن كذلك فإنه يكبر وهو يشعر **بالحرمان** ويميل إلى **التشاؤم** . والمدخن يميل إلى **الاكتئاب** ويعانى من **حرمان عاطفى** أصيل يؤكده باستمرار الإحباط الذى قد يصادفه فى حياته ، وما قد يعانى منه من ضغوط انفعالية تجعله يلجأ إلى السيجارة **يرضعها رضعًا** ، **ويعضّ عليها بشفتيه** ، وهو العضّ القديم المتخلف عن المرحلة الفمية الثانية ، والذى نراه أحيانًا على المدخن فى شكل **الضغط على الأسنان ومص الشفايف** . وتربط مدرسة التحليل النفسى بين المرحلة الفمية الأولى وبعض الاضطرابات السلوكية والنفسية كالإدمان . وإدمان التدخين أو اعتياده من مخلفات هذه المرحلة .

والعضّ من المرحلة الفمية أساس السلوك **السادى** ، وهو السلوك العدوانى الذى يكون بالبعض ولكنه يقمعه ، ويجد أسهل وسائل القمع فى التدخين ، حيث يظل المدخن يعضّ فى السيجارة ويلوكها بين شفتيه وينفث الدخان بقوة ، وكأنه ينفث معه همومه ، أو كأنه ينفث فيه كل طاقته العدوانية .

ويتفاوت الناس فى استخداماتهم الانفعالية للتدخين ، ويتوقف هذا الاستخدام على بناء الشخصية عند كل مدخن ، وليست هناك صيغة دينامية نفسية واحدة يمكن أن تنطبق على كل المدخنين ، غير أن للتدخين - كمنصرف للتوتر الانفعالى - نواحى قصور عديدة ، فمع أنه عادةٌ من شأن إتيانها استجلاب الاسترخاء وإنقاص التوتر ، إلا أن تأثير التدخين ضعيف ومؤقت ، وهناك من الشواهد ما يدل على أن التدخين الشَرِه والمستمر ، له آثار بيولوچية مضرّة بالصحة ، وينبغى على المعالج أن يولى كل هذه الاعتبارات عنايته قبل أن يحاول تغيير عادة المدخن ، وقد تفرض الحالة الصحية للمدخن الذى يشكو علة مزمنة برئتيه ، أو بأوعيته المحيطية ، أو بشريانه التاجى ، أن ينصحه طبيبه بالإقلاع عن التدخين ، ولكن على الطبيب أن يتذكر أن **الاعتماد النفسى على التدخين** ربما يلبى حاجة عند المدخن قد تكون عُصابية ، وأنه قد تتكون عنده أعراض جديدة بعد الامتناع أو أثناء محاولة الامتناع عن التدخين ، كأن يزيد توتره وقلقه وعدم استقراره ، أو أن يحلم بكوابيس موضوعها الجوع وأمراض المعدة ، وقد يصاب بالاكتئاب ويفكر فى الانتحار ، وربما يكون ما يأتيه من استجابات ، معايشةً من جديد لخبرات ماضية من حياته ، عانى فيها من الانفصال عن عزيز أو فَقْد محبوب ، والإقلاع عن التدخين قد يستحدث فى نفس المدخن ما يسمى **قلق الانفصال** ، ويعانيه الشخص أول ما يعانى وهو طفل عندما يُقسَر على أن تتركه أمه أو ربما تهجره ،

وفى **اكتئاب الانفصال** يصاب الطفل بحالة من التبلد حتى يفقد القدرة على البكاء إذا حيل بينه وبين أمه لفترات طويلة من الوقت ، وتعود هذه الحالة للمقلع عن التدخين ، والسيجارة هنا **تحل محل الأم ، لأنها تشبع فيه الجوع العاطفى الأصيل الذى لديه** ، وحرمانه من التدخين هو **عودة به إلى ماضى طفولته** وإذكاء لقلق الانفصال من جديد ، وذلك هو السبب أن بعض المقلعين قد يقدمون على **الانتحار** دون أن يدرى أحد من المحيطين بهم علاقة الانتحار بالإقلاع عن التدخين ، والتأويل النفسى للانتحار باعتباره الحل المتاح للمصاب بهذا النوع من الاكتئاب لإنهاء صراعاته النفسية الداخلية ، ومن ثم ينبغى على المعالج أن يحيط بالبناء الانفعالى للمدخن وبحاجاته ، قبل أن ينصحه بالإقلاع عن التدخين ، أو أن يصف له ما يعوضه عنه ويهىء له الاسترخاء ويخفف عنه التوتر .

والتدخين يؤثر من خلال **النيكوتين** على المثانة والرحم والرئتين والأمعاء ، ويزيد سرعة ضربات القلب ، ولا تنتظم الضربات ومن ثم يحتاج القلب إلى كميات إضافية من الأوكسيچين ، ويرفع النيكوتين نسبة الأحماض الدهنية والكولسترول فى الدم . وتختلف نسبة النيكوتين الممتص لدى المدخن الذى يبلع الدخان عنها لدى المدخن الذى لا يبلعه . ودخان السجائر يحتوى على **أول أكسيد الكربون** الذى يتحد مع هيموجلوبين الدم ويمنعه من الاتحاد بالأكسيچين . ومن شأن النيكوتين أن يدفع الغدد فوق الكلية لإفراز **الأدرينالين** المنبّه ، ولهذا لا يمكن أن يتحقق للمدخن اجتماع جنسى سليم مع شريكته فى الجماع ، فمع التنبيه المؤقت فإن العوامل الأخرى المتناقضة تتسبب **فى إضعاف الانتصاب** ، وقد لا يقوى المدخن على إكمال الجماع ويتوقف فجأة ، بالإضافة إلى أن رائحة فمه تكون كريهة وتبعث على نفور شريكته ، وكذلك رائحة عرقه بحكم تغلغل النيكوتين فى الخلايا فتصدر عنها الرائحة الفظيعة المعروفة عن المدخنين ، ولها تأثير هابط على المرأة المضاجعة ، وليس أسوأ من شكوى المرأة المترددة على العيادة النفسية من هذه الرائحة الزاعقة عند مدمن التدخين ، وإذا استحكم النفور بين الزوجين لهذا السبب ، فقد تصاب المرأة **بالبرود الجنسى** ويزمن معها مع طول المدة ، كما قد يصاب المدخن **بالعجز الجنسى** ويزمن معه كذلك ، ويصعب حينئذ العلاج إن لم يتعذر .

* * *

الجنس والكحول Sex & Alcohol

عرف البشر الخمور من قديم الزمان ، وتروى **التوراة** أن **نوحًا** زرع العنب وعصره وخمّره ، ويُستَدل من الآثار فى مختلف البلدان أن إنسان **العصر الحجرى الحديث** اكتشف **البوظة** ، وأن **البيرة وخمرة التوت** عُرفا نحو سنة ٦٤٠٠ قبل الميلاد ، بينما اكتشفت **خمرة العنب وخمرة التمر** نحو سنة ٤٠٠ قبل الميلاد أو بعد ذلك . ويروى أن **خمر العسل** هى أقدم الخمور الكحولية ، وأنها عرفت فى **العصر الحجرى القديم** نحو سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد . ويبدو أن كل شعوب الدنيا شربت الخمر ، وتختلف الشعوب عن بعضها البعض فى إقبال أفرادها على الخمور ، وهناك قبائل شديدة الاحتفاء بالخمور ، **والبدو** الرحل أكثر إقبالاً من الفلاحين المقيمين الذين يعيشون على الزراعة ، وأهل **الحضر** أكثر شربًا للخمر من أهل الريف ، وسكان المناطق الصناعية أكثر استهلاكًا للخمر من سكان المناطق الأقل تصنيعًا . وقيل إن الشعب **الفرنسى** أكثر شعوب العالم إقبالاً على الخمور . وتقدر الحكومة الفرنسية أن ١٥٪ من الفرنسيين يدمنون الخمر ، وأن ٢٠٪ يتعاطونها بكميات مهولة ، وربما يرجع ذلك إلى ناحية **مزاجية** فى الشعب الفرنسى ، وما استقر فى وجدان الناس من أن الخمر يجعل المتعاطى أكثر فحولة ، وأقدر على الجماع ، وأشجع على الحياة ، حتى ليقول الفرنسيون مثلا شعبيًا مفاده أن : « **الخمر للرجال والماء للضفادع** » !

وتحاط الخمر بهالة فولكلورية لها تأثيرها الخاص فى جذب المتعاطين ، **ولشخصية المتعاطى** دور فى تحديد هذا التأثير واستجلابه ، وقد يقبل المتعاطى على الخمر **للتخفف** من الرغبة الجنسية ودفع الفشل فى الحب أو فى الزواج ، وهو يفعل ذلك بدعوى **النسيان** ، والبعض يقصد من التعاطى أن **يزكى** الرغبة الجنسية ، وأن تكون له قدرة جنسية أكبر . وتعمل وسائل الإعلام المختلفة وخاصة **السينما** على نشر التعاطى ، فتجعل المتعاطى يبدو فى صورة زاهية وكأنه بطل بما تضفيه عليه من التحدى والتمرد والتحرر ، وترتبط هذه الصورة فى ذهن الشباب بالمتعة الجنسية وكسر التقاليد والقيود .

والخمر برغم أن الكثيرين لا يضعونها فى مستوى خطورة عقاقير مثل الأمفيتامينات والهيروين، إلا أنها مثل بقية العقاقير التى **يعتادها** الجسم وقد **يدمنها** ، وهى من أكثر العقاقير

من حيث إساءة **الاستخدام** ، وما يجعلها أكثر خطورة من المخدرات أنها مباحة فى العالم كله تقريبًا ، ويقدمـهـا الناس فى المناسبات ، وفى الزيارات ، إظهارًا للتودّد والكرم ، وقد يضطر البعض إلى إتيانها تجاوبًا مع لطف أصحابها ، ومع استمرار تناول الأنخاب مثلاً فى الاحتفالات تزيد الجرعات وتكون لها **تأثيرات خافضة** ، وخاصة على الممارسات الجنسية . وكثيرًا ما يرجع سبب **العُنّة** عند الرجال فى منتصف العمر إلى إدمان الخمر ، وبالإضافة إلى التأثير الفسيولوجى للخمر ، فإنها قد **تكف الرغبات الجنسية** عند الشريك فى الممارسة الجنسية ، عندما يسيئه حال المتعاطى فيزهد فى المضاجعة ويتجنّبها . وقد تبين من البحوث أن المدمنين يعانون غالبًا من عدد من **المشاكل الجنسية** ، حيث تميل الخصيتان إلى الضمور عند المدمنين ، ويتدنى عدد الحيوانات المنوية فى مَنيّ المدمن إلى أدنى حد . وتذكر التقارير أن ٨٪ من المدمنين يعانون **العُنّة** ، وفى حالة علاجهم من الإدمان استمرت العنة مع نصف هذا العدد نتيجة التلف الذى استحدثته الخمر . ولابد أن للعنة أسبابها النفسية ، ولابد أن للتعاطى وتأثيره الفسيولوجى مردوده النفسى . وتبين أن الإفراط فى التعاطى يؤثر فى **أيض هرمون التستوستيرون** ويخفضه فى الدم ، وتكون له تأثيرات على البنية وعلى مظهر الذكورة والسلوك، إلا أنه من ناحية أخرى فإن القليل من الخمر قد يشجّع المتعاطى على أن يمارس الجنس ، وقد يكون المتعاطى **أجبن** من أن يخاطب امرأة بعينها فيستطيع ذلك بعد أن يحتسى بضعة كؤوس من الخمر . وربما يكون المتعاطى **شاذا جنسيًا** ويستشعر ميولاً عاطفية لا يصرح بها ، فيجهر بها مع الخمر . والخمر ترفع الكَفّ فتخف السيطرة على السلوك والتصرفات ، ويكون المرء طبيعيًا مع نفسه . وهى تغيّب العقل أو تستره ، وكأنها تسدل عليه خمارًا ، ومن ثم فقد تختلط الأمور على المتعاطى ويفقد القدرة على التمييز وتَسْفُر الغريزة الجنسية ، وقد يضاجع المخمور ابنته أو أخته أو أمه ، وتروى **التوراة** أن ابنتى **لوط** أسكراه فضاجعهما ، وأن نوحًا تعرّى بسبب الخمر فشاهده ابنه فى عُريه . والخمر قد تجعل المقارف لها يمارس الخُلطة أو **الإباحية الجنسية** Promiscuity ، وعندما يفيق فإنه يعاود الشُرب بتأثير من تأنيب الضمير ومشاعر الذنب فيمارس الخلطة من جديد .

ويصف شكسبير وصفًا رائعًا تأثير الخمر على المتعاطى على لسان **ماكدوف** فى مسرحية **ماكبث** ، حيث يسأل محدثه ما هى المسائل الثلاث التى تستحدثها الخمر ، فيقول إنها لا تجعلك تميز ، وتبعث على النوم ، وتدرّ البول ، ثم يردف قائلاً إنها يا سيدى **تستحث الرغبة ولكنها تفقدك القدرة على القيام بما تقتضيه هذه الرغبة** ! والخمر من ثم تستثير الجنس

ولكنها تجعل المتعاطى متهافتًا لا يقوى على تحقيق ما يصبو إليه . ولو قارنا التأثير الجنسى للخمر بتأثير **الحشيش والأفيون** ، فإن الخمر تطلق لسان **المخمور** دون قدرته الجنسية ، فلا ينتصب ، بينما **الأفيون** يُسكِت المتعاطى ويزيد انتصابه ، **والحشيش** ينقله إلى عالم خاص من التهاويم فيزين له المضاجعة والمرأة المشاركة وليس أكثر من ذلك ، فلا انتصاب ولا ممارسة !

وعندما يفقد المتعاطى قدرته الجنسية يصاب فورًا بالغيرة على زوجته ، وغيرته من النوع المرضى الهذائى ، فيحسب أن زوجته إذا ابتسمت لرجل فإنما لأنها عشيقته ، وإذا همست فى أذن امرأة فإنما لتتوسط لها عند رجل تحبه ، وما أشبه ذلك بغيرة **عطيل** على زوجته **ديدمونه**، وتوهمه أنها تخدعه وتخونه ، والزوج المخدوع إذا كان من مدمنى الخمر زاد إقباله عليها ، وأهمل شكله ونظافته ، فيزيد انصراف زوجته عنه ، وينشغل بالتجسس عليها ، ورصد حركاتها لعله يضبطها متلبسة ، أو لعله يعثر على الدليل الذى يدينها به ، وقد يعاند ويكابر ويصر على أن يجامع زوجته التى ترفض بإباء وقرف ، فيتأكد له أنها تكرهه ، وتتولد لديه استجابات بالاضطهاد وأنه غير مطلوب ومنبوذ ، لعله باستجاباته يجد عذرًا لنفسه على استغراقه فى الخمر ، وعلماء النفس يسمون هذه الغيرة المتميزة عند مدمن الخمر **مرض عطيل** Othello's Disease . وهذاءات المدمن قد تدفعه إلى أن **ينتحر** ، وقد يفكر فى قتل زوجته ، لأنها تمثل بالنسبة إليه فشله ، ثم إن غيرته إذا زادت لا تصبح غيرة عليها بل غيرة منها ، وتظهر عند المدمن **ميول لواطية أنثوية** نحو عشيق زوجته المتوهَّم ، وقد يتهمه ويتخاذل ويبكى ليعطف عليه الآخر فيكون له كما هو لزوجته عشيقًا ، والخمر تضعف أعصاب قضيب الرجل ، وتزيد فى دمه هرمونات الأنوثة . وأما إذا كانت المرأة هى المدمنة ، فالأمر يختلف ، وفى بلادنا قلما نعثر على مسلمة مدمنة ، وقد تكثر المدمنات بين نساء النصارى ، وقد تدمن المرأة بإدمان زوجها ، واستجابة المدمنة للعلاج أسوأ من استجابة المدمن ، والمدمنة تفرّط فى نفسها ويأتيها الرجال فرادى وجماعة ، ولا تشعر بلذة للجماع ولا ترغب فيها ، وإتيانها فى الغالب يتم اغتصابًا ، وقد تنام أثناء ذلك وتغيب عن وعيها ، وقد تصدر منها الشتائم ، وتلفظ بكلمات بذيئة . وإذا حملت المدمنة من زوجها أو من غيره فإنها فى الغالب لا تكمل الحمل ، وإذا أكملته فإن طفلها يخرج مشوهًا . وقيل فى إدمان الخمر أنه من اضطرابات الإرادة ، وأن المدمنة التى تعتاد الخمر فإنما ذلك لسبق رؤيتها لوالديها أو لأبيها يدمنها ، ثم قد تتزوج مدمنًا . وتقوم سيكولوچيتها على ضعف الأنا عندها ، فإذا تركها زوجها لخلافات زوجية بينهما ، أو إذا

سافر للعمل بعيداً كأن يكون فى بلد عربية ، أو اضطرته ظروفه ليبتعد عنها طويلاً ، فإنها قد تلجأ إلى الخمر ، تدفعها إليها ذكريات أبيها أو والديها كلما ألّت بهما مُلمّة ، وعندئذ تبدأ تشرب الخمر وتكثر من التعاطى حتى الإدمان . والرجل غير المدمن لا يتقبل **زوجة مدمنة** ، ولكن يتقبل **زوجة مدخنة** ، وفى الغالب أن احتماله لزوجته هذه أحوالها ، إنما لضعف به ، وربما لسيطرتها عليه ، أو لحاجته إليها . واحتمال المرأة العادية لزوجها المدمن لأن النساء عندما يخترن أزواجهن فإن اختيارهن تتحكم فيه دوافع لاشعورية أو شعورية أقوى منهن ، وأى أسرة هذا هو تكوينها فإن الجنس لا يشكل شيئًا مهمًا فى حياة أفرادها ، فالخمر تشوّه الشخصية، وتصيب بالهلاوس وبالخَرَف ، والنوبات الصرعية . وتتعقد الأمور بوجود أولاد وبنات للمدمن أو المدمنة ، وقد ينضمون للأم إذا كان الأب ظالمًا متعنتًا ، أو ينضمون للأم لترعاهم ، واستقطاب الأم لولدها الأكبر قد ينضجه جنسيًا قبل الأوان ، وقد يعشق أمه لاشعوريًا ويؤدى ذلك إلى التأثير على اختياراته لزوجته مستقبلاً . وتسوء الأمور كثيرًا إذا كان للمدمن أو المدمنة **أولاد من زواج سابق** ، فلو كان لدى الزوج **ولد** فإن زوجة المدمن قد تعشقه بديلاً عن زوجها العاجز ، وكذلك إذا كان للزوجة **ابنة** فقد يغرر بها الزوج ويغويها . وليس أسوأ من الخمر على الشخصية ، والمدمن قد يتحول بالخمر إلى شخص عدوانى ، وقد يغتصب ابنة زوجته ، وربما ابنته أو أخته . وتُرتكب تحت تأثير الخمر أبشع الجرائم ، ولم يستطع **ماكبث** أن ينفذ جريمته ضد الملك **دنكان** إلا بعد أن تناول الخمر ، وظنت **اللادى ماكبث** أن الخمر قد تسكت ضميرها الزاعق فى صدرها ، وتُخرس الندم ، فتعاطتها . ويرصد التاريخ تدنّى العلاقة الزوجية بين بعض زعماء التاريخ ممن كانوا يتعاطون الخمر وأدمنوها وزوجاتهم ، وانصراف الزوجات عن أزواجهن بسبب الضعف الجنسى البيّن الذى كان عليه **الأزواج** بسبب إدمان الخمر ، وعلى رأس هؤلاء كان أستاذنا **سقراط** ، وحكيمنا **سنيكا** ، ورسّامانا العبقريان **رمبرانت** و**ڤان جوخ** ، والشاعر الداعر **بودلير** ، والشاعر العبثى **فيرلين** ، والروائيون **الفريد دى موسيه** ، و**جوناثان سويفت** ، و**هيمنجواى** ، و**عبد الرحمن الخميسى**، والشعراء : **بيرون** ، و**شيللى** ، و**بيرم التونسى** ، و**أحمد شوقى** ، و**المتنبى** ، و**أبو نواس** ، وعظماء الموسيقى : **هاندل** ، و**شوبيرت** ، و**شومان** ، والمسرحى الساخر **أوسكار وايلد** ، ومعظم هؤلاء فقدوا رجولتهم منذ وقت طويل بسبب الإدمان فانصرفوا عن النساء ، والبعض عانى الأمرين من افتضاح عُنّته ومشاجرات زوجته معه .

* * *

الجنس والمخـــدرات Sex & Narcotics

المخدّر هو ما يحدث الخَدَر ، وهى الحالة الحِلْمية التى يكون عليها المتعاطى للأفيون ومشتقاته : كالمورفين ، والكودايين ، والهيروين ، والتى من شأن المداومة عليها أن يعتمد الجسم عليها فسيولوجيا ، فيكون الإدمان وإلحاح المدمن على المخدر ، وإلا تظهر عليه **أعراض الامتناع** .

ومتعاطى المخدرات أساسًا لا يقبل عليها إلا لأنه يعانى من **اضطرابات خطيرة فى الشخصية** ، ومن شأن أية اضطرابات من هذا النوع أن تتأثر بها قدرات الشخص الجنسية، وهو يلجأ إلى المخدرات لتخفف التوتر الذى يعانى منه ولخفض قلقه ولتحصيل نشوة يَعِدُه بها المخدر ، ويحسب معها أنه قادر على كل شىء ومن ذلك **الجنس** .

ومدمن المخدرات قد يتأخر عن موعد التعاطى فيصاب بهذاءات وهلوسات وقلق وأرق ، ويرتفع ضغط الدم عنده ويصيبه الإسهال ، ويضطرب جهازه العصبى المركزى وينصرف تماماً عن أية رغبات فى **الجنس** ، ولا يعود جهازه العصبى إلى التوازن إلا بعد أن يتناول المخدر ، وهو كلما تناول المخدر زادت مشـــاكله المالية والعائلية والزوجية ، ويحسب أن زيادة الجرعة أو زيادة عدد مرات التعاطى قد يحل مشاكله ، ولكن الأمور تزداد معه تعقيداً باستمرار . ومن شأن **الهيروين** مثلاً أنه يخفض **الدافعية** عند المدمن ، ومن ثم فإنه يعزف عن النساء ولا يطلب المواقعة ، ولو كان أعزب فإنه يعزف عن ممارسة **العادة السرية** . **والهيروين يقلل** من عدد مرات **الاحتلام الليلى** ، والمدمن إذا باشر النساء فإنه **يرتخى** قبل بلوغ الهزة ، وإذا امتنع عن التعاطى تظهر عليه أعراض الامتناع فوراً ، وقد **يستمنى من تلقاء نفسه** وبدون انتصاب أو شعور بلذة .

وهناك علاقة بين نوع المخدر **وثقافة** المدمن ، وبين المخدر والثقافة عمومًا ، فمثلاً يروج **القات** فى اليمن ، **والأفيون** فى جنوب شرقى آسيا ، وكان قديماً هو المخدر المفضل فى الصين ، وينتشر **الهيروين** فى أمريكا الجنوبية ، **والمورفين** فى أمريكا الشمالية ، ويقبل العمال فى مصر على **الأفيون والحشيش والبانجو** ، غير أن الحشيش والبانجو ليسا مخدرين ، وإن كان الكثيرون يدرجونهما ضمنها ، وكذلك يدرجون **الكوكايين** وهو ليس مخدراً . وكذلك يعرف

العامة فى مصر والبلاد العربية **الداتورة وجوزة الطيب** . وبشكل عام فإن مدمن المخدرات من أوساط دنيا ، والإقبال عليها بين الطبقات الكادحة وعند شعوب العالم الثالث .

وللمخدرات تأثيرات خاصة على خلايا المخ . ويتميز مدمن المخدرات بالقلق الشديد ، ولديه إحساس قوى بعدم الأمان وعدم الكفاءة ، ومن ثم فهو **فاشل جنسيًا** ، وربما لأنه كذلك قد يقبل على المخدرات ، وعمومًا فإن الجنس هو مجال من مجالات الكفاءة ، وهو يتعاطى المخدر ليجد فيه الخلاص من قلقه ومشاعره الهابطة . ويلاحظ على هؤلاء المدمنين أنهم يعانون من اضطرابات لا اجتماعية واضحة فى الشخصية ، فإحساسهم بالمسئولية ضعيف ، وشعورهم بالذنب يكاد يكون معدومًا ، وقدرتهم على احتمال الفشل فى إشباع رغباتهم ضئيلة ، ويعجزون عن إنشاء علاقات شخصية ناجحة ، ويستخدمون الناس كوسائل لتحقيق ما ينشدونه ، ولا يتعلمون من الفشل والعقاب ، ولا يفهمون أن للغير حقوقًا وللمجتمع مطالب ، ولذلك كان مدمن المخدرات من **أفشل الأزواج والآباء** ، ومنهم من يدفع **زوجته** إلى الرذيلة ليحقق من خلالها المال لشراء المخدر ، ومنهم من يصل به الانحطاط الخُلقى إلى حد التفريط فى بناته .

ولابد أن لمدمن المخدرات تجارب صادمة بأبويه فى طفولته ، فلم ينشأ على حبهما واحترامهما ، ولم يتعيّن بأيهما ، ولا بأى من الراشدين فى محيطه ، أو أن من تعيّن بهم كانوا منحرفين ويعانون من الاضطرابات . ولابد أن كانت له تجارب فى الصغر من النوع الذى يجعله يحقد على الناس وعلى أبويه ويكنّ العداء للجميع ، وليس تعاطيه المخدرات وما يجرّه عليه ذلك من تحدٍّ للقيم والقوانين إلا لأنه يريد أن يعبر عن كراهيته للمجتمع وأخلاقياته ومعاييره ، وإذا كان متزوجًا فإن **زوجته** تتوجه إليها كراهيته بوصفها أحد رموز المجتمع ، باعتبار أنها الركن الركين للأسرة التى منها يتألف المجتمع . ومع ذلك فإن المدمن يخفى نفسية طفل يريد من الناس أن يهتموا به ويعطفوا عليه ، وأولهم **زوجته** ، وهو لهذا السبب دائم العقاب لها وإلقاء اللوم عليها واتهامها بعدم الفهم وعدم الحب له . وتزيد مشاكله مع **زوجته** بحكم أنه إنسان لن ينضج عاطفيًا ويعيش فى عالم من نسج خياله وأحلام اليقظة . وهو كثيرًا ما يصالح امرأته ويحكى لها عن مشاريع مستقبلية ستنصلح بها أحواله ، إلا أن وصفه لهذه المشاريع يشوبه عدم النضج ، وتبدو مشاريعه غير واقعية وكما لو كانت هذاءات أحيانًا .

ومن شأن المدمن أن تزيد المخدرات انسحابه على نفسه ، فيُشغَل بالمخدر وبمشاعره ويضيق عالمه ، ويدفع بعائلته ووظيفته وأولاده وزوجته إلى أطراف حياته الانفعالية ، ويتضاءل إحساسه **بالجنس** كلما زاد اعتماده على المخدر ، ويفقد شهيته للطعام وتضطرب صحته ، ولا يهتم بنظافة نفسه وتعافه **زوجته وأولاده** ، ويسيطر المخدر على كل تفكيره . ويصاب البعض بالفُصام ، والمدمن ربما تكون له أصلاً الشخصية الفُصامية ، وصاحبها متبلد الوجدان وهيّاب ، وعلى شيء من الخمول ، ويستسلم للهواجس وأحلام اليقظة ، **ونادرًا ما يمارس الجنس** ، ويعزف غالبًا عن **الزواج** ، وقد يجد العزاء للبؤس فى حياته فى المخدرات ، ويرجع ذلك إلى أن المخدرات عمومًا من شأنها تخدير الحواس والعقل بحيث يتجنّب المتعاطى الواقع ، ويعجز عن التعامل معه ومع الناس من حوله – وأخصهم أهل بيته .

ومدمن المخدرات قد يتعاطى **الأفيون** ، أو أحد مشتقاته أو مستحضراته بالصدفة ، فقد يتصل عمله مثلاً بمهنة الصيدلة فيتعاطى **المورفين** ، وربما يتصل عمله بتوزيعه أو بيعه أو صرفه ، **والمورفين** منبّه ويتسبب عنه الانتصاب ، ويُمتَص بسهولة إذا أُعطى بالفم ، ويستحدث حالة من النشوة هى السبب فى الإقبال عليه ، ومع النشوة تكون الرغبة فى الجماع والقدرة على التكرار ، وله خاصة منومة ، واسمه المورفين من **مورفيوس** إله النوم عند الإغريق، وقد يكون له هذا التأثير التخديرى ولكنه يمكن أن يكون منبهًا أيضًا ، وتختلف نتيجة تعاطيه من فرد إلى آخر ولا يمكن التنبؤ بها ، وقد يشعر المتعاطى بعد الجرعة بأنه أكثر عافية وأقدر على الممارسة الجنسية ، وزوجات المتعاطين يعرفن ذلك ولكنهن يعانين من المشاكل المالية التى تقع فيها الأسرة من جراء شراء المورفين وضغط المصروف ، والحقيقة أن **سوء التوافق فى الزواج** يبدأ من قبل التعاطى والإدمان ، وإذا امتنع المدمن عن التعاطى لأى سبب تظهر عليه **أعراض الامتناع** ، وتتراوح فى الشدة حسب الجرعة التى كان يتعاطاها ، وعمومًا فإنه مع الإدمان تزيد الاضطرابات فى شخصيته، وتتسع هوة الخلافات بينه وبين زوجته حتى أنه قد لا يأتيها بالمرة.

ويطلق على المورفين المثيلى اسم **الكودايين** ، ويعدّ بالاستحضار ، وتأثيره يماثل تأثير **المورفين** بدرجة أقل ولا يسبب الإدمان .

وقد تتصل حياة مدمن **الهيروين** بأى من الأنشطة المتعلقة بالمتعاطين له ، وتدفعه إليه الرغبة فى أن يهرب من مشاكله جميعًا وأخصها المشاكل العائلية وسوء التوافق فى الزواج ، وهو فى أول التعاطى يبدو أنه قد تخلّص من آلامه ، ويشعر بنشوة كاذبة ، ويرغب فى **الجنس** ويأتيه

بكفاءة ، إلا أنه بعد أن يدمنه يكون كالناعس أو الحالم ، ولا يتجاوب مع زوجته ، ويفشل فى الانتصاب وينصرف عن الجماع ، ويصاب بالاكتئاب كلما زاد اعتماد جسمه عليه واحتاج إلى جرعات أكبر ليشعر بالنشوة التى كان يشعر بها فى أول التعاطى ، فإذا لم يجد الجرعة التى تكفيه فإن الأعراض تظهر عليه فيرتجف ويعرق ويهلوس ويسوء خلقه ، وإذا لم يعالَج فقد يموت أو قد يعيش رغم شدة الحالة التي يكون عليها ، والتى قد تستمر معه لمدة أسبوع ثم تخف بالتدريج ، ولكنه لكى يعود صحيحًا ينبغى أن يعالج نفسيًا لحل صراعاته ومشاكله ، وإلا فإنه سيظل متهافتًا وغير قادر على التوافق مع زوجته وعاجزًا عن إتيانها جنسيًا ، ويزيد **العجز الجنسى** به بعد الامتناع ، حتى لقد يبدو أن العجز الجنسى يترتب على الامتناع .

* * *

- ٤ -

الجنس والكوكايين Sex & Cocaine

الكوكايين يهيج المتعاطى جنسيًا ، ويستحدث به حالة من النشوة والصحة والتألق الذهنى لأربع أوست ساعات بعد التعاطى تجعله يقبل على الجماع بشدة . ومتعاطى **الكوكايين** فى أول الأمر يحسب أن مشاكله الجنسية قد حلّها التعاطى ، إلا أنه بعد فترة تترتب عليه مشاكل أخرى تكون لها ضغوط لها تأثيرات هابطة على شهوته وقدرته الجنسية ، فهو لا يجعل المتعاطى يعيش الواقع ولكنه يكون فى عالم متوهم ، ويحسب أنه أقدر الناس جنسيًا وأذكاهم عقلاً وأشدهم جسمًا ، وهو لا يولى حسابًا للزمن ولا للجماع ولا التعب ، ويذكر أشياء من الماضى بوضوح وكأنها كانت بالأمس ، وقد يؤدى تنبيه **الكوكايين** للمخ إلى الإصابة بالتشنجات أو بنوبات الصرع ، وقد يحتاج باستمرار إلى زيادة الجرعة ، فتضطرب ذاكرته ، ويفقد تحكمه فى أفكاره واتزان حركاته ، ويحس بالدوار وبأثر المخدر فى كلامه ومشيته . **والجرعة الشديدة** قد تصيب المتعاطى بالشلل الذى يشمل المخ وخاصة مركز التنفس ، ويموت. وإذن فإن الاستمتاع الجنسى الذى كان فى أول التعاطى **ينقلب إلى ضده** بعد فترة من الزمان، وما كان بالأمس مغامرة بسبب « **المزاج** » ، ومدفوعًا بالجنس ، يصبح **كارثة** بعد أن يعتاده الشخص نفسيًا ، ويزيد باستمرار من جرعاته، فيصاب **بذهان الكوكايين** كلما لم يجده ، وهو اضطراب يشبه الفُصام الهُذائى الحاد ، وعندئذ فلن يقوى على الجماع ، بل إنه لن

ينتصب أساسًا ، بالإضافة إلى أن **الكوكايين** يصيب المتعاطى بالهزال الشديد لتأثيره الهابط على العمليات الحيوية بالجسم ، وربما لانصراف المدمن بدخله كله لشرائه ، الأمر الذى يخلق سوء التوافق مع زوجته وخاصة أن الكوكايين من أغلى المخدرات ثمنًا .

ويؤثر **الكوكايين** على **الحاسة الأخلاقية** أكثر من غيره من المخدرات ، ويهمل المدمن نفسه وبيته ويندفع فى علاقات جنسية غير مميزة ، وربما يكون له عند البعض تأثير جنسى هابط ، وربما يكون هذا البعض الذى لا يؤثر فيه الكوكايين هذا الأثر يعانى من لواطة كامنة يظهرها التعاطى ، أو ربما يؤدى الإدمان واستمرار التدهور فى الشخصية وانفراطها بتأثير التعاطى إلى الاستسلام للمنحرفين جنسيًا من بائعى العقار أو مورديه . وعمومًا فإن الكوكايين ينتشر أصلاً بين **الشخصيات السيكوباتية** المعروفة بالانحرافات الجنسية ، وبين العاهرات. ويميل الكوكايين إلى إثارة الرغبة الجنسية عند **النساء** ، ومن شأن ذلك أن يدفعهن إلى الزنا، وقد يمارسن **البغاء** ليحصلن عن طريقه على المال اللازم لشراء العقار . واستمرار التعاطى عند الرجال لسنوات يصيبهم بالعُنّة .

وقد يصاب المتعاطى أحيانًا بهلوسات ذهانية انسمامية أبرزها **التنمّل Formication** فيحس بإحساسات لمسية كاذبة كأن حشرات أو ديدان تمشى تحت جلده أو فوقه ، ويقال لذلك ظاهرة **بق الكوكايين Cocaine bug** ، وربما كان ذلك بسبب فرط النشاط الذى يستحدثه الكوكايين لأعصاب الجلد ، ومن ذلك قضيبه وإليتيه ، فتراه يهرش فيهما ، ويهرش هنا وهناك، ويكاد يجن ، حتى إنه قد يحاول أن يقطع جلده ، وتلك أمور لا يستقيم بها زواج . وقد يصاب المدمن **بهذاء الاضطهاد** ويتهم **زوجته** بالخيانة ويضربها ، وقد يدفعها إلى البغاء ليحصل عن طريقه على المال اللازم لشراء العقار . وغالبًا ما يعانى مدمن الكوكايين من **مشاكل شخصية وتفاعلية** ، وهو غالبًا من **النمط اللااجتماعى** ، وعلاجه النفسى لذلك لا يبشر بالخير ، إلا أنه إذا رغب فى **العلاج** - وذلك نادر - فالخطوة الأولى تكون بإبعاده عن رفقة السوء أصحاب المزاج ، ثم يساعده المعالج على محاولة تفهّم مشاكله وحلّ اضطراباته ، ويحتاج لأن يتوقف مرة واحدة عن التعاطى ويُداوَى بالمهدئات والمنومات وتغيير سكنه وعمله إن أمكن .

وأصل الكوكايين من نبات **الكوكا** الذى ينمو بجبال الإنديز بأمريكا اللاتينية ، وكان هنود الإنكا يتعاطونه على شكل أوراق يمضغونها ، وصُنّع فى القرن التاسع عشر على هيئة بودرة،

وتعاطاه الناس كسعوط يستنشقونه ، وهو من أكثر المخدرات انتشارًا بين النساء فى أمريكا ، وخاصة الفنانات وبائعات الهوى ، وينتشر بين الهيبيز والأولاد والبنات المستهترات ، والدافع إليه فى كل الأحوال هو الجنس غالبًا .

* * *

- ٥ -

الجنس والحشيش Sex & Hashish

تدخين **الحشيش** من الأمور المألوفة فى بلادنا ، **والماريجوانا Marijuana** ، **والبانجو** Bango ، صنو الحشيش ، وتعرف الماريجوانه فى أمريكا ، والبانجو فى مصر ، وجميعها من مسببات الهلوسة ، وهى أخفها ضررًا ، وتجئ فى التصنيفات الرسمية ضمن المخدرات ، مع أنها ليست من المخدرات ، ولها تأثيرات كثيرة فسيولوجية على المتعاطين ، منها أن تزيد ضربات القلب مع زيادة التعاطى ، ويحمر بياض العينين ، وهذا هو سبب وضع المتعاطى **للنظارات الشمسية** ، وتزول هذه الأعراض مع زوال تأثير العقار على الجسم بالامتناع .

ولا يؤثر الحشيش أو الماريجوانه على الناحية السلوكية للمتعاطى، طالما أن الجرعة بسيطة، والعمل المطلوب منه بسيط كذلك ، وقد يستطيع مثلاً أن يعدّ فنجانًا من القهوة ، أو يطلب رقمًا بالتليفون ، ولكن الأعمال المعقدة التى تتطلب استجابات سريعة وإدراكًا **للزمن والمسافة** تُظهر عجز المتعاطى ، حتى لو كان ما تعاطاه مجرد سيجارة واحدة محشوة بالمخدر . ويُحظر على المتعاطى قيادة السيارات لهذا السبب .

ومن الناحية **النفسية** توصف حالة المتعاطى بأنها استرخاء ، وكأنه يحلم وقد تجاوز الزمان والمكان ، ويحسّ بنشوة وصحة كاذبتين ، ويعيش فى عالم متوهم ، الأشياء فيه نائية مهما كانت قريبة ، والدقائق تمر كالساعات ، والناس يبدون عمالقة . وإذا كانت الجرعة كبيرة فقد يكتئب ويبتئس ويخاف أن يموت ، وقد يجمح به الخيال ، وتزدحم رأسه بالأفكار ، وتضطرب ذاكرته ، ويسوء حكمه ، وتنفصل أفكاره ، ويلغو بهلوسات طابعها **جنسى** غالبًا ، ويقال إنه مسطول ، وأن الكيف مسيطر عليه ، وتستمر الأعراض من ساعة إلى ست ساعات حسب كمية الحشيش التى تعاطاها .

وللحشيش تأثير هابط على القدرة الجنسية ، وينخفض منسوب هرمون **التستوستيرون**

الجنسى فى الدم بمقدار التعاطى ، فإذا داوم المتعاطى على زيادة الجرعة حتى يتحقق له الكيف ، واستمر كذلك يوميًا لمدة **ستة شهور** ، فإن هذا الخفض من شأنه **التقليل من النشاط الجنسى** للمتعاطى . وشبيه بذلك أن المتعاطى مع المداومة تتأثر المناعة عنده وتنخفض استجابتها ، وتقل قدرة الجسم على مدافعة العدوى ، وتتلاشى المقاومة مع تعاطى أصناف أخرى من المخدرات أشد وطأة وأبعد أثرًا فى جسمه ونفسه ، وهى الظاهرة التى يطلقون عليها اسم **تدرج الكيف** escalation . وبرغم أن الحشيش أو المرجوانه لا يسببان إدمانًا ، ولا يعتادهما الجسم ، ويمكنه باستمرار أن يستغنى عنهما ، إلا أنهما قد يمهدان لإدمان مخدر أخطر ، وهما فى ذلك يشبهان **عقار الهلوسة والتدخين** إلخ . وربما لا يرتكب الحشّاش ما يخل بالآداب أو يخرق القانون ، فيما عدا حيازته للمخدر ، والمعاناة الاقتصادية والاجتماعية بسبب حاجته للمال أو نظرة المجتمع إليه ، والاكتئاب والقلق والخوف من بعض الأعراض التى تشمله ، والتى يحسب بسببها أن التعاطى قد أصابه منه الخبل أو بعض الجنون . وقد يعانى بعض المتعاطين من أعراض فَقْد الشخصية ، وتتولد لديهم تصورات خاصة عن أعضائهم وأشكال الناس من حولهم ، ولا يمكن لهم إذا تحصلت هذه الأعراض أن يقوموا بواجباتهم الزوجية بالطريقة التى يقوم بها الشخص السليم المعافى الذى لا يتعاطى المخدرات . وقد تتعلم الزوجة التعاطى ، فقد يشجعها زوجها المدمن على أن تدخن معه لكى يلتقى « **الكيف** » كما يقول الحشاشون ، وإذا بلغ الأمر هذا الحد فإن الزوجة نفسها تصاب **بالبرود الجنسى** ولا تبالى إن ضاجعت أو لم تضاجع . ولاشك أن الجماع المُشبِع سلوكٌ مركّب ، ويحتاج إلى وعى تام ، فيدرك الشخص ما يقول وما يفعل ليأتى شريكته بالطريقة التى يعرف أنها تحبها ، ويكون إنعاظها بها ، ولكن الحشّاش إذا أتى الجماع لا يهمه أن تنعظ زوجته أو لا تنعظ ، ولا يبالى بتأثير ما يفعله على نفسيتها ، وهو فى الفعل الجنسى أنانى ، ولا تكون له رائحة مقبولة بسبب كمية الدخان التى يكون قد احتساها ، وغالبًا ما تتم جلسات الحشيش دون اختيار للشركاء ، فيتعلم منها كلمات وعبارات تثير الضحك عليه ومنه ، ولا تجعل زوجته تحترمه بسببها . وأبسط ما يمكن أن تصفه به أنه **مسطول** وغير مسئول عمّا يقول أو يفعل . والحشّاش صاحب مقولة وليس صاحب فعل ، وما يقوم به من فعل هو مجرد حركات ، أى أن فعله ليس هادفًا . والحشيش أقوى من المرجوانه نحو **خمس أو ست مرات** فى المفعول ، والمادة الفعالة فى الاثنين هى مادة THC ، وتُختزن فى الجسم وتتراكم

ذائبة فى الدهن ، وتراكمها يفسر ظاهرة **الاحتمال المعكوس** لها ، بمعنى أن تكرار التعاطى وزيادة المخزون من هذه المادة فى الجسم يجعل الجسم حساسًا لها فتتناقص حاجته منها . وربما كان إقبال **الشرقيين** على الحشيش دون المرجوانه دليل على تكوين نفسى معين يجعلهم مختلفين عن **الأمريكيين** الذى يؤثرون المرجوانه على الحشيش ، مع فارق تأثير المخدرين فى الحالة العامة للمتعاطى ، وربما كان **الأمريكى** لا يحتاج للتأثير القوى ليبلغ حالة الكيف أو الانسطال ، بينما **المصرى أو السورى أو اللبنانى** لا يبلغها إلا بالحشيش القوى . والمتعاطى فى أى الأحوال يعانى من اضطرابات فى الشخصية ، تجعله يلجأ إلى المخدر كوسيلة للهرب من مواجهة المشاكل التى تصطنعها شخصيته المضطربة ، بدلاً من أن يستجمع كل قواه الإدراكية والمعرفية وشجاعته الأدبية ليحل هذه المشاكل . ولقد قيل إن الحشيش يتعاطونه لإطالة الجماع ، **وهو لا يطيل الجماع إلا لأنه يصرف الوعى إلى أمور أخرى خلاف الجماع نفسه** ، وفى حالات الانسطال قد لا يعى الشخص ما يفعل وقد ينام خلال الجماع ، وقد يزول انتصابه ، وقد يقبل على الجماع على بغى فيتهيأ له وهو مسطول أنه يضاجع إمبراطورة . والحشيش يتعاطاه بعض الناس الذين يعانون من **الخجل أو الكفّ الشديد**، ومن دأب الحشيش أنه يرفع هذا الكفّ فينطلق لسان الشخص بالكلام وتكون له الجرأة على الجِماع ، ولكنه من ناحية أخرى يقوم بالجماع بالطريقة التى يريدها والتى كان لا يجرؤ على إتيانها وهو فائق ، ومن ثم فجرأته قد لا تفيده لأنها قد تنفّر الطرف الآخر . وكثيرًا ما يكون بالمتعاطى انحراف جنسى ما فيجعله الحشيش صريحًا ، وقد يأتى زوجته من الدُبُر ، أو قد يطلب منها أن تمصّ قضيبه أو تستعرى ، فتنشب الخلافات ويسمع الجيران شجار الزوجة وردود الحشّاش اللامبالية .

والحشيش يأتى ترتيبه **الثالث** فى الانتشار بعد التدخين وشرب الخمر . وقيل إنه من بين كل **سبعة** أشخاص يوجد **واحد** على الأقل يتعاطى أو قد تعاطى الحشيش فى يوم من الأيام . واستخلاص الحشيش والماريجوانا من **نبات القنب cannabis sativa** ، من نوع منه يقال له **القنب الهندى cannabis sativa indica** ، ينمو بريًا ويزرع حوليًا ، لاستخراج ما تفرزه النباتات الأنثى من مادة راتنجية تكثر فى عناقيدها الزهرية وأوراقها العليا ، ويُصنَع منها **الحشيش** ، أو **الحشيشة** ، أو الكيف ، ومنها يستمد هذا النبات اسمه الشائع « **حشيشة الكيف** » .

والقنب الهندى مـوطنه الأصلى **الهند** ، ويزرع حـاليًـا فى المناطق الاسـتوائيـة من آسـيـا وإفـريقيـا وأمـريكا الجنوبيـة . وللحـشـيش فى هـذه المناطـــق الجـغرافـيـة أسـمـاء شـعـبـيـة ، منه **الماريجوانة** السـالف الإشـارة إليـهـا ، وهـى تحـريف أسـبـانى مكسـيكى لاسم **مارى جان** mary jane يطلقـــه أولاد البـلـد عـلى الحـشـيـش ، وينطقـونه أحيانًا marihuana ، أو -marigua na ، أو marijuana ، أو miajuana .

ويُلَف الحـشـيش أو الماريجـوانه فـى السـجـائر ويُدَخّن ، وقـد يُمـضـغ ، ويهئ على شكل تُرَب (جمع تُربة) ويُقطّـع قروشًـا أو قطعًا صـغيرة واحدتها **قرش** . وقـد يُـخلَط بطبـاق النارجـيلة أو الجـوزة . واسم **الجوزة** مـأخــوذ من **جوزة الهند** لأنها تشـبـهـهـا ، أو لأنها كانت تُصنــع منها ، ويطلق على الحـشـيش فى الهند اسـم **الجوزة** guoza . وبشـكل عـام يلزم من الحـشـيش **سيجارتان** أو **ثلاث** لبلوغ حالة الكيف .

ويُستخرج **الحشيش** غالبًا من زهور وشـواشى القنب الهندى ، بينمات تُستخرج **المرهوانة** من الأوراق ، والمكوّن الفـعّـال فى الحـشـيش هو « **الكانابينول** » ، بينمـا هـو فـى المرهوانة **التيتراهيدروكانابينول** » ويخـتـصـر إلى THC . وقلمـا يوجـد الحـشـيش فى صـورته النقيـة ، ويقبل المتعاطون على تعاطيه كعلاج لحالات الاكتئاب والتوتر وفقدان الشهية للطعام والفشل فى الحياة الجنسية ، والدافع إلى تعاطيه بلوغ حالة الكيف كَمَهرب أو للراحة ، والمتعاطى يستشعر عند الانسـطال أنه فى عـالم آخـر ، وتكون به نشـوة (**يوفوريا**) ، ويفسـد حكمه على الأمور ، وتصوره للأشـياء ، وفـهمه لما يقال ، والتنسيق بين أقواله وحركاته . والحشيش خافض للجهاز العصبى المركزى ، أى أنـه يخدّره . وتنفق **مصر** على الحشيش ومقاومة انتشاره نـحو **المليارين من الدولارات** سنويًا ، وينفق **الشعب المصرى** من سـاعـات العمل فى تعاطى الحشيش مـا يوازى **مليارين آخرين من الدولارات** ، وهـى أرقام مـهولة بالنسبة لدولة فقيرة كمصر يعتبر دخل الفرد فيـهـا من أقل الدخـول فى العـالـم . ولقد قيل إن الوضـع الاقـتـصـادى المتدنى للشـعب هو الذى يدفع إلى تعـاطى الحـشيش ، بالنسـبة إلى انتشـاره فى الأوسـاط الشعبية ، خـاصـة بين العمال وفى الصـعـيـد . وقـيل إن **ختان النساء** فى مـصـر سـبب آخـر لتـعـاطى الحـشيش ، حـيث تجـور الخـاتنة ، ويقل شـعـور المرأة بالجـمـا ع ، وينعظ الرجل قـبل المرأة فـيـتـعـاطى الحـشـيش ليطول الجـمـا ع . وفـى دراسـة على عـينـة من **ثلاثمئة زوجة** يتـعـاطـى أزواجـهن الحـشـيش ، تبين أن للحشـيش هذا الأثر فى إطالة الجما ع عندما يكون الرجل محـتفظًا بصـحـته ، غير أنهن أجمعن

أيضًا على أن الرجل المسطول لا يعى ما يفعل وهو يجامع ، وهو يؤدى ما يقوم به فى غير انتباه لما يفعل ، ومع تردّى الحالة المالية للمتعاطى ، وهبوط دخله ، وما يترتب على ذلك من مشاكل عائلية وصحية ، يفقد قدرته الجنسية بالتدريج ، ويكون النفور بينه وبين زوجته . وفى دراسة على **المسجونين** فى قضايا المخدرات تبين أن ٨٧٪ **من زوجات المتعاطين** للحشيش يطلبن **الطلاق** ، وأن نحو ٧٣٪ من هؤلاء المتعاطين يتزوجون **أكثر من واحدة** ، وأن **الجُناح** بين أولاد المتعاطين يشكّل أعلى نسبة فى الجناح قد تصل إلى ٥٦٪ ، ولعل ذلك يحذّرنا من نتائج تعاطى الحشيش ، وينبهنا إلى جعل موضوع التعاطى من الموضوعات التى ينبغى دراستها فى المدارس جميعها ، وعلى مختلف مستوياتها فى مصر والعالم العربى .

* * *

- ٦ -

الجنس والبانجو Sex & Bango

الحشيش والماريجوانا والبانجو عائلة واحدة ، تُشتق من نبات القنب ، وكان يسمى قديماً باسم **القنب الهندى** ، والبانجو بصفة خاصة ، مع استعماله لمدة شهرين بانتظام ، يسبب الإدمان ، ويقلل من **النشاط الجنسى** ، والمدمن يستوى الأمر عنده أن يتعاطى أيًا من هذه الثلاثة : الحشيش أو المارجوانا أو البانجو . وأخطر هذه الثلاثة الحشيش وهو أغلاها ثمنًا ، ويتعاطى البانجو إما مضغًا ، أو حرقًا فى الجوزة أو الشيشة أو السجائر ، ويحتاج المتعاطى إلى زيادة الجرعة بانتظام ، وفى مصر تتناوله النساء كالرجال ، وكثير من هؤلاء وهؤلاء من فئات الممثلين والممثلات ، والانقطاع عنه فجأة يسبب الاكتئاب والقلق واضطراب النوم ورجفة الأطراف وعدم الانتصاب بالكلية ، وإن كان المتعاطى **امرأة** فهى تعزف تمامًا عن الجنس ، **والرجل** يتعاطاه للانتعاش ولإطالة فترة الانتصاب ، ومع استمرار التعاطى يحتاج إلى زيادة الجرعة وإلا توقف الانتصاب ، ومع الانتصاب يكون زيادة زمن الرجع ، وعدم الكفاءة فى الجماع ، والكسل أن يجامع أصلاً ، ويتبلد انفعاله . والجرعة التى تزيد على ٥٠ ملليجرام فى الشهر تتسبب فى خروجه بالكلية من مجال الجنس ، وكذلك المرأة ، والمتعاطى سواء كان رجلاً أو امرأة يعانى من عدم النضج الانفعالى ، والعجز عن التفكير المنطقى ، وشخصيته أو شخصيتها من النمط الاعتمادى ، والتعاطى هو مَخْرج من هذه المشاكل ، ومثل ذلك فى

التدخين ، وتعاطى الكحول ، وسائر المخدرات . ومظاهر انحلال الشخصية عند متعاطى البانجو تترتب على تأثير التعاطى فى الجسم فيصيبه الخمود ، وتتأثر أنسجة الكبد والكلى والخصيتين والمخ ، وتُستحدَث به تشوهات تركيبية وعددية للكروموسومات فى النخاع العظمى ، وبذلك يكون له تأثير طفرى وسرطانى ، ومن شأن إدمان التعاطى أن يقل بالجسم تكوين وتحليل الحمض النووى ، ومعدل انقسام الخلية ، ويتسبب الإدمان فى نقص وزن الرحم والجنين فى المرأة ، ونقص حجم الأعضاء الجنسية فى المرأة والرجل على السواء ، كالخصيتين، والرحم ، والبربخ ، والمبيضين ، والحويصلة المنوية ، والبروستاتا ، وهو ما يثبت أن البانجو يقلل من النشاط الجنسى ، ويسبب الإعاقة فى تخليق الحيوانات المنوية . ويحتمل أن اسم **البانجو** من bang الإنجليزية – وهى النشاط والحيوية – باعتبار أن المتعاطى فى البداية يبدو عليه الابتهاج والحبور والحماس ، ويستطيع الجماع مرات ، ويطيل فيه ، ويحدث ذلك فجأة مثل الفرقعة والدوىّ ، إلا أن ذلك لا يدوم ويتناقص باستمرار إلى أن ينمحى تماماً .

* * *

- ٧ -

الجنس وعقاقير الهلوسة Sex & Hallucinogenes

عقاقير الهلوسة هى التى تتسبب فى الإصابة بالهلاوس ، ومنها ما هو **نباتى** ، وما هو **مصطنع**، ومن النباتى **فطر الأمانيتا ماسكاريا** الذى يحتوى على مادة **الماسكارين والبيوفوتينين** ، وهما أشباه قلويات ، والمتعاطى منه بكميات قليلة يُهلْوس ويهذى بشدة ، وينتصب ويمارس الجنس بعدوانية وفحولة ، إلا أن ذلك لا يدوم ، وسرعان ما تقل الرغبة الجنسية ويتوقف الانتصاب مع تهافت الشخصية بالتعاطى والإدمان ، وكانوا قديماً يسمونه **السوما** Soma ، أو **الأمبروزيا** Ambrosia ، ومعناها « **طعام الآلهة** » ، لأنه كان ينقل الناس إلى جو مشحون عاطفيًا ، وغير هيّاب ، ويجعل منهم كأنهم آلهة ، ومن ذلك أيضًا **الزايلوسايبين** Psilocybin، وهو فطر كانوا يعتبرونه مقدسًا أيضًا وطعامًا للآلهة ، والمتعاطى يخيَّل إليه أنه قد عبر حاجز الزمن واطّلع على الغيب ، ويُشترط له أثناء التعاطى لأول مرة أن لا يقرب النساء أربعة أيام ، والفطر أصلاً ينمو فى روث الحيوان ، ولونه لذلك بنى ، ويؤدى إلى الاسترخاء والانفصال عن الواقع ، وفى خلال ساعتين يصل المتعاطى إلى قمة النشوة المطلوبة ويمارس الجنس كما يشاء

، ويضيع تأثيره بعد ست ساعات . ولأنه يعيش فى عالم متخيّل فهو يظن أنه مارس الجنس كما لم يمارسه أحد ، وأن قوته فيه لا تُدانى ، ولذلك استعماله عند فئة الممثلين ، والكتّاب ، والرسّامين ، والفنانين عمومًا ، ويتوهم الجميع أنه يرفع القدرة على الإبداع، ويقبل عليه النساء والطلبة والطالبات وخاصة فى أمريكا ، من أجل التسلية ، أو لممارسة الجنس ، أو لاستشعار جماليات الكون ، ويتعاطاه مدّعو **التصوف** ، والحشيش والأفيون كانا يرتبطان **بالمتصوفة** قديمًا ، وفى أمريكا يتعاطاه المتدينون ، والذين يبشرون بانتهاء العالم ، وبقرب نزول المسيح ، والبعض من الفلاسفة المغمورين يتعاطاه بهدف أن يتوهوا عن العالم ، ويقتصر إدراكهم على ذواتهم ، فيمكنهم سبر أغوارها ومعرفة أبعادها ، وهؤلاء يتعاطون هذه العقاقير ويمارسون الجنس ، بدعوى أن الاثنين يحققان الغرض ، وكلاهما يؤدى للآخر . **والميسكالين Mescaline** من عقاقير الهلوسة ، واسمه الشعبى بيوتى **Peyote** ، وهو من نوع الصبّار ، ومكانه أصلاً تكساس ، وعرفه الأزتيك والهنود الحمر ، وتعاطيه جماعى ، ويتعاطى الفرد من الميسكالين نحو ٣٠٠ ملليجرام ، أو ثمانى حبات من الصبّار بعد تجفيفه ، يتناولها بالفم ، أو بتدخين الأقراص فى الغلايين ، ويظهر مفعوله بعد ساعة واحدة ، وتعاطاه الروائى **الدوس هكسلى Huxley** لدوافع جنسية، والغريب أن الميسكالين ، والعقاقير عمومًا لا يتعاطاها إلا أصحاب الشخصيات غير الناضجة ، وكان **هكسلى** روائيًا عبقريًا ، إلا أنه فى مسألة الجنس فشل ، فكان لزامًا عليه أن يلجأ إلى مُعين ، فتناول هذا الصبّار ثم أقلع عنه . ومن العقاقير المسببة للهلوسة كذلك **حبوب الصباح الهزرى Morning-glory Seeds** ، وسميت كذلك لأن تعاطيها يكون فى الصباح مستهلاً بها اليوم ، ليبقى المتعاطى سعيدًا طول اليوم ، وهى أصلاً بذور نبات يسمى **أوليوكى Olioqui** ، وجدوا له تأثيرًا على الناحية الجنسية خصوصًا ، وتحتوى على حمض **الليسيرجيك Lysergic acid** مثل عقار الهلوسة **L S D** ، وتسبب أعراضًا شبيهة بأعراضه . وهناك أيضًا عقار **أرتميزيا Artmesia** ، وهو نبات برى ، وكان المصريون القدماء يستخدمونه كطارد للديدان ، والجرعات منه إذا كانت كبيرة تؤدى إلى الهلوسة ، وتعاطيه كان بقصد تقوية الناحية الجنسية . ومثله مثل عقار **D.M.T** ويستخلص من بذور شجرة **الأكاسيا نبوبو** ، وتؤخذ بذوره وتخمّر فى الماء ثم تطحن لتصبح بودرة تستعمل للاستنشاق كالسعوط ، وتعاطيه كعقار مساعد لتقوية التأثير الجنسى للماريجوانا أو الحشيش وتوضع عليه مع التبغ للتدخين . ومثله مثل **الكابى Caapi** وهو عبارة عن عروش خشبية ، **والبانسترين** هو المادة

الفعّالة فيه ، وتسبب الجرعة الصغيرة منه الانتصاب الشديد ، وإذا تعاطته **الأنثى** ينتفخ بظرها ويصبح شديد الحساسية للجماع ، وتنعظ المرأة عدة مرات فى الجماع الواحد ، فكان البانسترين أو الكابى من المنشطات الجنسية ومنشطات الجهاز العصبى ، والجرعات الكبيرة منه تحدث أثرًا عكسيًا وتسبب كرشة النفس وشلل الجهاز التنفسى . ومثل ذلك نبات **جوزالهند Nut Meg** ، ويتناول المتعاطى الثمرة بعد نزع غلافها فى فمه يستحلبها ، ومن شأنها تنشيط الدورة الدموية والجهاز العصبى ، وإحداث الانتصاب ، إلا إذا أعطيت بكميات كبيرة فى شكل مسحوق فتأثيرها عكسى ، وإلا فهى تسبب النشوة والهلوسات السمعية والبصرية ، وبظر المرأة المتعاطية ينتفخ بها ، وتأثيرها كتأثير الأمفيتامين والميسكالين . والنباتات المسببة للهلوسة كثيرة ، ومنها مجموعة تُعرف بتأثيرها المضاد للأسنيل كولين ، وترجع إلى عائلة **السولانيسيا** أو **عشبة السلوان** ، ومنها **الداتورة** . وقيل إن جرعاتها الكبيرة مميتة ، وينسب إليها أن عمّ **هاملت** وضعها لأخيه ، فقتله بها وتخلص منه كمزاحم له على زوجته ، وكان العمّ يتعاطاها كمقويات جنسية ، فلما زنا بزوجة أخيه أحسّت بمتعة جنسية لم تكن تحس بها من قبل ، وكان والد **هاملت** فى أواخر أيامه قد أصيب بالعُنّة ، فتخلصت منه الزوجة بمساعدة عشيقها ، وأعطيا الملك العقار الذى يحبه ، وإنما بجرعات كبيرة قتلته ، وقيل إنهما وضعا العقار كسائل فى أذنه وهو نائم . وكان لهذا العقار ضحايا آخرون من المتعاطين ، منهم الإمبراطور الرومانى **كلوديوس** ، وكان زئر نساء ، ولكن قواه الجنسية ما كانت تسعفه ، فكان ينشّطها بهذا العقار ، ومع الإدمان يحتاج إلى زيادة الجرعة ، فظل يزيدها إلى أن مات بها . فكأن هذا الدواء منشط فى حالاته البطيئة ، ومهيّج جنسيًا فى حالاته المتوسطة ، وسُمّ زعاف إذا زادت الجرعات عن حدّها . ومثله مثل **الأتروبا بيلادونا Atropa Belladonna** ، وكانت النساء فى مصر وفى روما يستعملنها لتجميل عيونهن بتوسعة البؤبؤ ، ومادته **الفعّالة** هى الأتروبين ، والجرعات الصغيرة منه منشطة جنسيًا ، والجرعات الكبيرة تجعل صاحبها وكأنه فى حلم ، وكأنه يطير فى الجو ، ومن الغريب أن **قشر الموز** له هذه الخاصية المنشطة للجنسية والانتقال إلى عالم من الأحلام ، ويجمعون قشر الموز، ثم يحرقونه ويستنشقون أبخرته ، ويحتوى على **التايزين** وله خواص عقاقير الهلوسة . وأما العقاقير المصنّعة فأهمها **الإل إس دى L S D** ويستخرجونه من فطر **الإرجوت Ergot** ، وينمو على حبوب الشوفان ، ويسبب ورم الأطراف والقضيب والبظر ، والحكة فيهما ، والإفراط فى الجنس تبعًا لذلك . ويتعاطى المدمنون

حـبـوبه بالفم أو الحـقن فى الوريد ، والمتـعـاطى لا يعـيش الواقـع ، ودنيـاه عـالمٌ من الأحـلام والهلاوس . ومثل ذلك عقاقير DET ، و DMT ، و DPT ، و PCP ، وكـانوا يسـمـون هذا العقار حبّة السلام ، يبلعونها ، أو يدخنونها ، أو يطحنونها ويسـتنشقونها ، ويسـبب النشـوة فى البداية حـتى يريد صـاحبها الجنس ، ثم يصـاب بالخلط الذهنى ، وتأتيه معتقـدات وهمية ، ويعربِّد ، ولا يشعر بالألم ، ولو ظل يجامع لما ملّ ولا كلّ ولا أنْزَلَ !

* * *

- ٨ -

الجنـس والمذيبات الطائرة Sex & Volatile Solvents

المذيبـات الطائرة كـالبنزين ، ومزيـلات طلاء الأظافر ، والصـمغ ، ومـزيلات البـقع ، وسـوائل التنظيف ، وجميعها تتركب من مواد طيّارة ، والمدمنون يتعاطونها جماعات غالبًا ، ويستنشقون أبخرتها ، وكثيرون يستنشـقون الصـمغ ، والكلّة ، والمراهقون قد يقفون خلف السيارات أثناء تشغيلهـا لاستنشـاق عادم البنزين ، والمستنشـق يصيبه الاسترخاء والغثيـان ، وقد يقـئ ، أو يشعر بالنعـاس ، وكأنه يحلم ، ومعظم من يفعلون ذلك ينتهى بهم الأمر إلى إدمان اللواط السلبى ، لأنهم يسهل قيادهم ، وشخصياتهم ضعيفة للغاية ، والأولاد الأكبر منهم يستغلونهم جنسيًا ، والأطفال المُستَغلّون ينحدرون فى بيوت مخلّة والأب والأم فيها منفصلان ، والرعاية لهم معدومة أو أن الأب مدمن والأم مسيطرة ، وتتسبب لهم مع الإدمان تلف القلب والكبد ، ويكون بهم خَرَف ، وعدم اعتداد بالنفس ، وإدمانهم إدمان نفسى وليس إدمانًا فسيولوچيًا ، ولأن المدمنين أطفال غالبًا فإنهم ينحرفون فى سن باكرة ، ويعتادون الانحرافات الجنسية وتكبر معهم ، وتؤدى مع طول الزمن إلى اضطرابات وانحرافات أشد وأخطر .

* * *

- ٩ -

الجنـس والمنبهات Sex & Stimulants

من المنبهات الشائعة الكافيين الذى نتـعطاه فى القهوة والشاى ، ولعـل نيكوتين الطباق أكثر المنبهات شيوعًا فى العالم . ويقبل الرجال والنساء بشراهة على القهوة والتدخين فى الأزمات

العاطفية الحادة ، وأكثر الناس إقبالاً عليهما **الأزواج الفاشلون** ، **والزوجات المخيبات جنسيًا** اللاتى يعانين الجوع العاطفى . ومن دأب الرجال القادرين ماليًا التداوى من العجز الجنسى **بالكوكايين** وهو من المنبّهات ، ومن مضاعفاته **حالة النمل** ، فيستشعر الرجل المتعاطى كما لو كان ما يشبه البق يزحف تحت جلده أو فوقه ، ومصدر تلك **الهلوسة الجلدية** فرط النشاط الذى يستحدثه العقار فى أعصاب الجلد . والمنبهات عمومًا **تفيد جنسيًا** ، ومتعاطيها يكون نشيطًا من الناحية الجنسية فى أول التعاطى ، ولكنه مع الإدمان يحتاج إلى زيادة الجرعة ، ومع الحاجة إلى زيادة الجرعة تتولد مشاكل جديدة تصرفه عن الجنس ، ويلاحظ من بعد عزوفه عن الجماع وانشغاله بالعقار والحصول عليه والتداوى من أعراضه الجانبية ، وحتى **الكافيين والنيكوتين** لهما أعراضهما الجانبية . ولقد حدث أن ثارت نساء إنجلترا ضد استخدام الرجال للقهوة بدعوى أنها أفقدتهم رجولتهم ، وقدمن لذلك **كتيبًا** مشهوراً **سنة ١٦٧٤** عرف باسم « **دعوى النساء ضد القهوة** » . ولربما تكون للقهوة هذا **التأثير الهابط** للشهوة الجنسية ، إذا أفرط المتعاطى فى تعاطيها وقضى كل وقته ربما فى المقاهى يحتسى القهوة ويدخن النارجيلة كما يحدث فى بلادنا وخاصة فى الشام ، وقد يهمل الرجل واجباته الزوجية الجنسية بسبب استغراقه فى جلسات القهوة والنارجيلة ، وقد يُساء تعاطى القهوة حتى ليشرب المتعاطى بين **العشرين إلى الستين** فنجانًا فى اليوم ، ولابد أن هذه الكمية الكبيرة بالإضافة إلى **النيكوتين** وغيره قد تجعل من المتعاطى مدمنًا ، ومع الإدمان ربما يحق للنساء أن يشتكين عُنّة الأزواج ، وربما كان ذلك هو ما دفع بعض الشركات إلى استخلاص الكافيين من القهوة وبيعها بدون **كافيين** ، والاستفادة منه فى شراب آخر مثل **الكوكاكولا** التى يدخل الكافيين فى تركيبها ، وهو ما جعلها تشتهر ويدمنها البعض لهذا السبب .

وقد يختلف **الشاى** عن **القهوة** حتى لقد قيل إن القهوة مشروب **قوى** يناسب أصحاب المزاج « **الثقيل** » ، بينما **الشاى** مشروب « **خفيف** » يناسب أصحاب المزاج **الرقيق** . ولعل الشاى أكثر رواجًا فى العالم ، واتخذته **بريطانيا** مشروبًا ينافس القهوة ، وقيل إن الشاى ينبّه الأعصاب وينشّط الجسم ويفتح الشهية **للجماع** ، ويبلغ استهلاك المدمن منه نحو **العشرة فناجين** فى اليوم ، وبعض الناس يفرطون فى غليه ليناسب مزاجهم ، ويشربه **أهل الصعيد** فى مصر أسود كالحبر ، وله مضاعفات قد تؤثر بالتالى على الرغبة فى الجماع ، وقد تتسبب عنه والقهوة زيادة **الحموضة** فى المعدة ، **والإمساك** الشديد ، **وارتفاع ضغط الدم** ، ومع إدمانه

قد يصرف الانشغال بتوفيره وتجهيزه عن الانشغال بالجنس . والمنبهات عمومًا كلما اعتادها المتعاطى ، وصارت بالجسم حاجة إليها ، ولم تكن ميسرة للتعاطى ، أصيب الجسم منها بالفتور والتعب ، وانخفضت به كل الشهوات وأخصها **شهوة الجماع** .

ومن المنبهات **الكوكايين والأمفيتامينات** ، ويبز الكوكايين كل المنبهات فى مقدار النشوة التى يستشعرها المتعاطى ، ويُستخرج من نبات **الكوكا** ، ويمنح المتعاطى شعوراً بالقوة والوهم بأنه قادر على كل شىء ، وهو لذلك **منشط فعّال للرغبة الجنسية** ، ويزيد من الانتصاب إذا كانت جرعاته قليلة ، إلا أنه بمجرد اعتياده والإدمان عليه يفقد المدمن قدرته الجنسية وينصرف عن الجماع بالكلية . وأما **الأمفيتامينات amphetamines** فتأثيرها شديد على الجهاز العصبى المركزى ، وتزيد يقظة المتعاطى وتُخفض التعب ، وتستحدث صفاءً ذهنيًا يغرى **أهل الفن والأدب** بتعاطيها ، وقد يقبل عليها **طلبة الجامعة** أيام الامتحانات بالنظر إلى أنها تذهب عنهم النوم ، ويتعاطاها بكثرة **عارضات الأزياء** لأنها تصرف الشهية عن الطعام فيتناقص الوزن ، وكذلك قد يتعاطاها **الرياضيون** لتأثيرها المنظم للحركة ، وليست للأمفيتامينات تأثيرات ضارة على السلوك بعامة طالما أنها تؤخذ بجرعات بسيطة ، وهى مقوية للجماع ، ومنشطة للرغبة الجنسية شديدة المفعول ، والمتعاطى لجرعات قليلة المقدار ، بوسعه أن يمارس الجماع لمرة أو مرتين وثلاث دون أن تُستنفد طاقته ، أو تقل رغبته ، أو يتوقف انتصابه . وربما كان لبعض الأمفيتامينات تأثير على الشفاء مؤقتًا من البرود الجنسى عند النساء إذا أعطين العقار بمقادير كبيرة ، إلا أن استمرار زيادة الجرعات يصرف المتعاطى عن الجنس ، وعلى ذلك يمكن رصد أثر الأمفيتامينات على الجنس من حيث أنها تطيل الانتصاب من غير قذف ، ثم من بعد ذلك فإن المتعاطى يفقد هذه القدرة تدريجيًا فيزيد الجرعة باستمرار .

* * *

- ١٠ -

الجنس والقات Sex & Kat

القات نبات منشّط ، ينمو فى اليمن والصومال والحبشة ، وكان الرحّالة يسمونه **شاى العرب** ، والمادة الفعّالة فيه هى **القاتين** ، وتسبب الاعتماد النفسى ، ولا تسبب اعتماداً فسيولوچيًا ، يعنى ليس صعبًا على المتعاطى أن يكف عن التعاطى ، ولا توجد أعراض

انسحاب إذا أراد الانسحاب ، والقات يستحلب ، وأوراقه تستحلب طازجة ولمّا يمض على قطفها أكثر من خمسة أيام ، ويتناولونه جماعيًا فى جلسات التخزين ، أو يدخنونه كالسجائر ، أو يجففونه ويطحنونه ، ثم يغلونه فى الماء ، ويضيفون إليه السكر والتوابل إلى أن يصبح كالعجينة ، ثم يُقطّعونه كرات صغيرة تُستحلب وتُبلع . ولا يظهر أثر الكرات مرة واحدة ، وإنما لابد أن يتم تعاطيه من أسبوعين إلى ستة أسابيع حتى يكون له مردود نفسى جسمى ، يتمثل فى الشعور بالنشوة ، والخفة والتهيُّج ، ويصحب ذلك الأرق . وخطورة القات أنه فى البداية ينبه الجهاز العصبى ، وبعد ذلك يهبطه ، وفى المرحلة الأولى يصبح القات كمنشط جنسى ، إلا أن اعتياده يضعف التركيز والذاكرة ، ويتبلد به الحس ، ولا يعود المتعاطى يبالى أو يستثيره شىء ، ويضحك بلا سبب ، ويستشعر الكسل والخمول وفقدان الشهية للطعام والجنس . والنساء فى اليمن يتناولن القات ولهن جلسات كجلسات الرجال ، والمرأة المدمنة تهمل بيتها وزوجها وطفلها الرضيع ، وتصاب بالبلادة . والقات محظور دوليًا ، وقيل إن القات والقهوة وردتا إلى اليمن من الحبشة ، والكلمتان أصلهما كلمة قهفا الحبشية ، وعن المقريزى : أن الإسكندر تعاطاه ، وكانت له مشكلات جنسية فوصفوه له ، لعلاج عجزه عن الانتصاب ، وضآلة قضيبه بسبب ضآلة جسمه ، ووجد فيه بعض الراحة ، ولكنه لما استمر يتناوله بانت مضاعفاته وتأكدت عُنّته وانفضح حاله . ويرجع ضعف النسل فى اليمن إلى هذا المنشط اللعين ، والمشكلة أن اليمنيين مشغولين به عن التنمية . والقات دليل وجود اضطرابات أصيلة فى الشخصية اليمنية ، سواء عند الذكور أو الإناث ، والمشكلة الجنسية عندهم من أصعب المشاكل بسبب إدمان هذا النبات .

* * *

- ١١ -

الجنس والمنومات Sex & Hypnotics

قد تشتد الرغبة الجنسية بالمرء ولا يجد المنصرف لها ، وقد تكون للحاجات الجنسية والعاطفية وطأة تقضّ مضجع النائم فيلجأ إلى المنومات يستعين بها على تحصيل النوم . والمنومات مركبات كيميائية لا تختلف فى خواصها عن المسكنات وأدوية القلق ، ومن شأن تعاطيها بالكميات المطلوبة دفع الأرق . وأكثر من يُقبل على المنومات لدواعى عاطفية هن

السيدات ، وأكثر من يتعاطاها لدواعى جنسية هم **الرجال** . وبعضها قد يعتاده المتعاطى بدنيًا أو نفسيًا أو الاثنين معًا ، والامتناع عن تعاطيها قد يصاب بسببه المعتاد بأعراض الامتناع، وقد تزاد الجرعة عمدًا بقصد الانتحار ، وكان انتحار **مارلين مونرو** الممثلة العالمية بالمنومات نتيجة مشاكل عاطفية لم تقو على مغالبتها . وكذلك كان انتحار **جولييت** فى رائعة شكسبير « **روميو وجولييت** » ، وكان تناولها للمنوّم أولاً ، ثم لمّا أفاقت انتحرت بسيف حبيبها . ولعل **انتحار العشاق** بالذات لا يكون إلا بالمنومات ، لأنه مع الليل يشتد الإحساس بالوحدة وتكون الرغبات الجنسية والحاجات العاطفية أشد وطأة . والعاشق يطارده وجه حبيبته حتى فى النوم ، ومن شأن المنومات أن تقلل من فترة النوم المُرمَّش وهو الذى تكون فيه الأحلام ، ومن ثم تكون المنومات علاجًا **للأحلام** فلا يأتيه طيف الحبيب لأنه لن يحلم ، فإذا توقف عن تعاطى المنوم لليلة ، ربما لأنه قد يتبين له فجأة أن كميته معه قد انتهت ، فإنه قد يعانى أكثر مما يعانى قبل التعاطى ، فتكون له **كوابيس** تزعجه حتى ليجتهد أن يجد المنوم من أى مكان ليستأنف التعاطى ويتخلص من إزعاجها .

وقد تكون المنومات عونًا مؤقتًا ، إلا أن الواجب علاج المشاكل الرئيسية ، والعلاج النفسى للمشاكل العاطفية . ولا توصف المنومات لشخص يعانى من أمراض أو اضطرابات يعالج منها بعقاقير قد يتعارض مفعولها مع المنوم ، أو قد تكون للمنوم مضاعفات ، فمثلاً لا توصف مركبات **الكورال** لمرضى القرحة المعدية لتأثيرها المهيج للمعدة ، ولا توصف المنومات بشكل عام للمرضى بالقصور الكلوى أو بالربو .

* * *

- ١٢ -

الجنس والمهدئات Sex & Tranquilizers

يصاب المحبون بالاضطرابات النفسية والعقلية ، فقد تجافى المحب محبوبته فيلحقه من ذلك القلق أو الاكتئاب ، وقد يذهل عما حوله إذا ضبطها متلبسة بالخيانة ، وقد يغضب وتأتيه نوبة هياج شديدة ، وقد توصف له المهدئات ، وهى ليست عقاقير **مسكنة أو مخدرة** ولكنها تستحدث فيه نوعًا من **الهدوء** لا يفقد به وعيه ، ولا تتشوش به أفكاره ، وتجعله أكثر تقبلاً للنصح واستقبالاً للإرشاد ، ومن شأن تعاطيها أن تخف حدة القلق بالمتعاطى ، وقد ينعس أو ينام ،

ويزول هياجه وتتوقف لبعض الوقت اتهاماته ، وقد يتحسن حاله فيسهل علاجه نفسيًا، وقد يزايله الاكتئاب . والمهدئات **قسمان** ، رئيسية major وثانوية minor ، وتعالج **بالرئيسية** الحالات الحادة، بينما تعالج **بالثانوية** الحالات الخفيفة ، فيتطامن بها الخوف والتوتر والقلق ، وتنخفض العدوانية ، وتفيد في السيطرة على الحالات التي تأتي بعض السيدات عند **النوبات العاطفية التشنجية** ، وقد يتسبب عن تعاطيها بكثرة - إدمانها .

والسيدات أكثر استهلاكًا للمهدئات من الرجال ، وتبين من البحوث أن أكثر ما يدفع إلى تعاطيها أو وصفها هي **المشاكل العاطفية** ، وفي بعض المجتمعات الراقية والأوساط الطلابية قيل إنه لا توجد **سيدة أو آنسة** إلا وفي حقيبة يدها **علبة مهدئات** ، بالنظر إلى **الحياة الانفعالية الشديدة** التي تحياها أمثالهن ، وقيل إنه في هذه الأوساط لا يمكن أن تعيش الواحدة دون مشاكل عاطفية ، وتزيد احتمالات هذه المشاكل مع استمرار تعليم المرأة وتحررها اقتصاديًا بالعمل ، وزيادة مخالطتها للرجال ، وانصرافها عن الزواج ، وإقبالها على العلاقات الجنسية أو العاطفية الحرة ، فتكون الخلافات الكثيرة حول مسائل الحب والمسائل التي لها طبيعة جنسية ، ويصفن المهدئات لبعضهن البعض ، وكلما اشتدت وطأة هذه المشاكل كان إدمانها ، وكانت الحاجة إلى زايدة جرعاتها ، فإذا امتنعن عنها لسبب من الأسباب ظهرت بهن **أعراض الامتناع** التي قد تستوجب العلاج بمستشفى .

ويقال للمهدئات الرئيسية اسم **المهدئات العصبية** Neuroleptics ، كما يقال للمهدئات الثانوية اسم **المهدئات النفسية** Psycholeptics ، ومن خواص المهدئات العصبية : التهدئة وخفض الهياج وإزالة الأعراض الذُهانية التي قد يصاب بها الرجال خصوصًا بتأثير الاضطرابات العاطفية ، ولربما تكون فائدتها بالنسبة **للأزواج** الذين قد تأتيهم نوبات الهياج عقب مشادات عائلية عنيفة مع زوجاتهم ، وقد يتناول الزوج السكين ويحاول قتل زوجته ، وكانت هناك حالة قتل فيها الزوج أطفاله الستة وفشل في قتل زوجته ، والمهدئات العصبية تستجيب لها هذه الحالات من الهياج . والمهدئات النفسية تطامن من القلق خصوصاً ، وتزيد بها الرغبة الجنسية ، ولكنها تكون رغبات هادئة غير مشبوبة ، ومع استمرار تعاطيها يصاب المريض باسترخاء عضلة القضيب والعزوف عن الجنس ، ومن مضاعفاتها النعاس والتشوش ، حتى أنه قد يسترخي أثناء العملية الجنسية ، وقد ينام .

* * *

الجنس والجريمة Sex & Crime

الجريمة الجنسية : سلوك ينتهك القواعد الأخلاقية الجنسية ، **والمجرم الجنسى** Sexual Criminal : هو الفرد الذى ينتهك القواعد والأخلاق الجنسية فى المجتمع . **والسلوك الجنسى الإجرامى** : هو المضاد للمجتمع ويخالف معاييره الأخلاقية . وعدم مسايرة هذه المعايير الأخلاقية الجنسية هو **الانحراف** Perversion ، فإذا كان **المنحرف** Pervert من صغار السن أو الأحداث ، فإن جريمته تسمى **جنوحًا** Delinquency ، وأما إذا كانت الجريمة الجنسية بعيدة عن المألوف والمعروف والسوى من السلوك ، فإنها تعد **شذوذًا** Abnormality ، والشخص **الشاذ جنسيًا** Sexual Pervert هو الذى ينحرف سلوكه الجنسى عمّا هو سوىّ ، وعمّا يعتبر نموذجًا للسلوك الجنسى المتوقع ، ويتميز بأنه غير متزن انفعاليًا ، ولذلك قد يرتكب العنف فى جرائمه الجنسية ، وغير سوى الشخصية بالنظر إلى ما يعتقده من قيم البيئة الفاسدة التى تربّى فيها ، وقد يرجع اضطراب شخصيته نتيجة اضطراب عضوى وظيفى عنده ، كأن يكون متخلفًا عقليًا ، أو مصابًا باضطراب عصابى أو مرض ذهانى ، أو يكون سايكوباتيًا ؛ **والسايكوباتية** Psychopathy هى أخطر ما يمكن أن يتصف به المجرم الجنسى ، وقد يكون مجرمًا عاديًا يقوم بجريمته الجنسية عرضًا ، وقد يكون مجرمًا اعتاد الإجرام ، يرتكب الجريمة الجنسية بعينها دون غيرها ، **كالمغتصب** مثلاً الذى لا يفعل من الجرائم إلا **الاغتصاب** Rape ، وهو فسق بالإكراه ، يقال غَصَب المرأة واغتصبها إذا زَنَى بها قسرًا ، ويقال للرجل إنه **غاصب** Rapist ، وعقوبة ذلك فى القانون الوضعى السجن ، وقد يحكم عليه بالسجن المؤبد ، وفى **التوراة** المغتصب يُرجم ، وفى **القرآن** يعتبر حرابيًا ، وعقوبته هى **عقوبة الحرابة** . والمرأة المغتصبة يقال لها أيضًا **المغصوبة أو المغتَصَبة** Rapee ، وجريمة الاغتصاب قد تكثر فى مجتمع عنها فى مجتمع آخر ، بحسب المستوى الاجتماعى والاقتصادى والثقافى للشباب فيه ، وقيل إن المغتصبات يشكلون ٠,٠٩١٪ فى السن بين العاشرة والتاسعة عشرة ، وترتفع إلى ٠,٢٣٨٪ فى السن بين العشرين والتاسعة والعشرين ، وتتدنى فى النساء فى السن بين الثلاثين والتاسعة والثلاثين إلى ٠,١٠٤٪ ، وفى السن بين الأربعين والتاسعة والأربعين تهبط إلى ٠,٠٤٨٪ ، وتزيد هذه النسب فى البلاد الغنية والتى تشكو من الفوارق الاجتماعية والطبقية ، وتقل فى **المجتماعات الإسلامية** بالنظر إلى تديُّن الناس ، وتكثر فى

البلاد النامية بالنظر إلى تدنى فهم الناس والأحوال والظروف البيئية التى يعيشون فيها . وقد لوحظ فى مصر مؤخراً دون بقية البلاد الإسلامية ، زيادة نسبة حوادث الاغتصاب ، ويرجع ذلك إلى تحوّل المجتمع المصرى من **الاشتراكية إلى الخصخصة** ، وزيادة الفوارق الطبقية ، وتدنّى مستوى المعيشة ، وزيادة عدد الفقراء ، فزاد بذلك عدد غير المتزوجين وغير المتزوجات إلى **تسعة ملايين** أعزب وعزباء ! بالإضافة إلى رضوخ الحكومة للتعليمات الأمريكية بضرورة خفض نسل المسلمين ، وعرقلة كافة الحلول للزواج ، وإلغاء الدراسات الدينية الإسلامية ، فتهيأت كل الظروف لانتشار الاغتصاب ! وفى الرجال يبلغ متوسط عمر مرتكبى جريمة الاغتصاب أربعة وعشرين سنة ونصف ، وأغلبهم من أصحاب السوابق ، ويتميزون بانحراف السلوك ، وبالعنف ، وتعاطى المخدرات ، والتنشئة فى بيئات معتادة الإجرام ، ومعظم سوابق المغتصب جرائم جنسية ، والمجرمون الغاصبون ثلاثة أنماط ، **الأول** : نمط **المغتصب الذى طال كبته الجنسى** فينفجر فجأة وينتهز فرصة انفراده بالضحية ليمارس فعلته ، ومعظم حوادث الاغتصاب يرتكبها هذا النوع من المجرمين الجنسيين ، ونمطه إذن هو النمط الغالب ؛ **والثانى: المغتصب السادى** ، وهو يغتصب لأن الاغتصاب يشبع عنده ميوله الجنسية السادية، ولأن المرأة المغتصبة تتذلل له أن يتركها ولا يعتدى عليها ، وتبكى وتركع تحت أقدامه، دون أن تدرى أن ما تفعله يزيد من شهوته وعزمه على ارتكاب الجُرم الجنسى . والجنس ليس هدفًا فى حد ذاته بالنسبة لهذا النمط السادى ، ولكنه العنف وإلحاق الأذى بالضحية ، **والنمط الثالث : هو المغتصب النهّاب** الذى يعيش على السطو ويغتصب إذا تسنى له الأمر . والغاصب قد يكون عاتيًا عنيفًا لا تشبعه المواقعة إن لم يقسر المرأة عليها . وقد يكون عنيفًا لا ينتصب ، فيكفيه العتو عن الجماع ، وقد يلجأ إلى التهديد بالسلاح ، ويختار لجريمته نساء لا حول لهن ولا قوة ، وليست له بهن معرفة ، ولا يهمه أن تكون ضحيته على شكل معين أو بصفات بعينها ، ويعنف معها ، وقد يسرق ما فى حقيبتها ، أو ينتزع ما تتحلى به من مصوغات ، ربما استمراراً لممارسات سابقة فى السرقة كان يزاولها من قبل ، أو ما يزال يمارسها ، وربما للتمويه على الشرطة . وقد يطلب من ضحيته أن تلحس قضيبه فإذا قارب على الإنزال رقد عليها بالنظر إلى عُنّته ، وبعض المغتصبين المعروفين بالعنة ، يمارس الجنس مع الضحية بإصبعه وكأنه يضاجعها ، ويتهيج كثيراً إذا كانت ماتزال بكرًا ، وفضّ بكارتها يلذّ له ويهيّجه جداً . وقد يكون الغاصب من أصحاب **الشخصية اللا أخلاقية** ، ومثله لا يراعى ذمة ولا ضمير،

ولا يهمه إلا نفسه ولذّته ، وبكاء الضحية يبهجه ، وصراخها يرضى نوازعه ، والنساء عنده وسائل لإشباع نهمه الجنسى، ويلجأ للعنف إذا قاومت المرأة وحرنت ، ولكن العنف ليس غايته . وقد يتناول المغتصب الخمر أو يتعاطى مخدرًا قبل أن يبدأ فى البحث عن ضحية له . واغتصاب النساء يُنبئ عنده عن كراهية مكبوتة لهن ، وعدوانية مقيتة ضدهن ، ومنذ صغره لم يجد متنفسًا لانفعالاته ، وقد يفاجأ الناس إذا قُبض عليه بالنظر إلى الوداعة المعروف بها ، إلا أنهم يذكرون له أنه كانت له ثورات يخرج فيها عن وعيه ، وقد ينزو على الأعراض خلالها ، وبعض أصحاب هذا النمط أشباه فصاميين ، وقد يكون الغاصب ممن يعتقدون أن النساء شريرات بطبعهن ، وأنهن مخلوقات ناقصة التكوين ، وعدم امتلاكهن القضيب مثل الرجال خير دليل على ذلك ،وقد يتيه فخرًا أنه رجل وله قضيب ، إلا أن إصابته بالعنة تجعله يكره الفرج لأنه الذى يكشف عنّته ويفضح عجزه ، فيأتى الاغتصاب انتقامًا ، وقد يلجأ إلى تشويه فرج المرأة ، وبعضهم قد يغتصب ومعه زجاجة ماء نار ، يصب منها قليلاً على الفرج انتقامًا وتشفّيًا . وبعضهم لا يفعلون فعلتهم إلا مع المراهقات ، والبعض يؤثر النساء العجائز ، والبعض يفضل الشابات المتهتّكات . وقد يكون من تفسير سلوك المجرم الغاصب أنه يخاف ضحيته ، ويشعر أنه أضأل منها ، وأنه الأقبح شكلاً ، والأزرى هيئة ، وقد يكون هناك أكثر من غاصب يشتركون معًا فى جريمتهم ، ومعظم جرائم الاغتصاب فى مصر **جماعية** ، والمغتصبون يمارسون الاغتصاب أمام بعضهم البعض ، ويكثر عدوان الذكور على الأماكن الجنسية فى المرأة كالثديين والشفتين والفرج والبطن والمؤخرة ، وقد يجامع المغتصب ضحيته ، ومع قرب إنعاظه يضغط على رقبتها بيديه إلى أن تموت ، وقتل الضحية يشبع الضعف الجنسى عند المغتصب ، ويتميز هذا النوع من المغتصبين بأن رغباتهم الجنسية لا تأتيهم إلا على فترات ، أو فى شكل دورات ، وقد يجدعون ثديىّ المرأة ، وعادة ما يلعقون الجروح ويمصّون الدم ، وقد يعضون ما يحلو لهم من أعضائها ، وقد تتملك الغاصب الرغبة فى أن يشرب من دم ضحيته ، وهو الاضطراب المسمى **مصّ الدماء** **Vamparism** ، أو أن يأكل من لحمها **Cannibalism** ، وقد يقذف قبل أن يولج ، وقد لا يولج إطلاقًا ، وقد تعصف به انفعالاته وتكون أكبر من طاقته على احتمالها فيفقد الوعى بما يفعل ويصبح كالحيوان الهائج ، ثم يعود بعد الاغتصاب شخصًا عاديًا إلى أن تأتيه النوبة التالية . وفى تفسير سلوك هذا النمط من المجرمين أن ما لديهم من مكونات تدميرية من المرحلة قبل التناسلية لم يُستدمج فى

شخصياتهم ، ولم يصبح جزءًا منها ، وظل منفصلاً عنها لا سبيل إلى السيطرة عليه . ومن هؤلاء فريق يتوجه بالاغتصاب **إلى جثث الموتى من النساء** ، وهو الاضطراب المعروف باسم **Necrophilia** ، فكلما توفيت امرأة وأعلن عن دفنها ، يتربص بها المغتصب ، ويفتح قبرها ويجامعها ، وقد يمثّل بالجثة ويشوّه وجهها ويلقى عليها الأحماض ، أو يأكل من لحمها . وهذا النوع مصاب بالذُهان ، أو أنه يخشى شعوريًا أو لاشعوريًا أن يتأنّث ، ويخاف الإخصاء ، فيمثّل بجثة المتوفاة بحسب ما يعانى ، وشبيه بذلك ما يحدث للمراهقين عندما تنهار ضوابط الأنا الأعلى ، فيتسلل المراهق إلى غرف النساء ليتلف ملا بسهن الداخلية ، ويمزّق صورهن ، ويقلب فرشّهن .

ويبدو أن المجرم الغاصب غير ذوّاقة فى مسائل الجمال إذا حضرته النوبة ، وربما تكون الضحية فى السبعين من عمرها ، فيجامعها كرهًا ثم يقتلها . **والاغتصاب جريمة جنسية خاصة بالذكور دون الإناث ، فلا توجد غاصبة** . وكذلك فإن الغاصب لا يعانى من **الغُلمة** - أى شهوة الضراب عند الرجل **Satyriasis** ، وعلى العكس فإن الغاصب إما لديه عجز جنسى، وإما أنه مضطرب الشخصية لا يتهيّج جنسيًا إلا إذا اعتدى وسرق ما يخصّ غيره ، والسرقة فعلٌ مجرَّم ، والسارق قد يكون غليمًا ، **وغلمة السرقة Kleptolagnia** هى رغبة ممتعة تلح على صاحبها أن يسرق ، ويصاحب فعل السرقة ضربٌ من الهياج الجنسى ، أو بالتعبير الاصطلاحى نوع من **الشبق الإيلامى Algolagnia** ، والسرقة التى ليس لها ما يبررها شكلٌ بديل من أشكال الإشباع الجنسى يدفع إليه الكبت أو الحرمان الجنسى . **والسرقة المرضية** ، أو **مرض السرقة** ، أو بالأحرى **جنون السرقة Kleplomania** ، يُعاقب عليها القانون بالسجن والغرامة ، وفى الإسلام تقطع يد السارق ، وفى القرآن قُدّم السارق على السارقة بقوله تعالى : ﴿ السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا ﴾ (المائدة ٣٨) لأن أغلب من يسرق يكونون من الرجال ، بينما فى الزنا قال : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ (النور ٢) . وفى **التوراة** عقوبة السرقة أن يُعوّض المسروق منه من السارق ، فإن لم يكن عنده شىء فإنه يباع لحساب المسروق منه ، وأما الزنا فعقوبته الرجم ، وعلميًا وموضوعيًا فإن هوس السرقة أكثر عند النساء منه عند الرجال ، إلا أن الذين يضبطون من الرجال أكثر . والسرقة من الأفعال الجنسية المُجرّمة ، والسارقة مثلاً تسرق

لشعورها بالنقص بالمقارنة إلى الذكر ، وهي تعوّض عن هذا النقص بالسطو على ما يمكن أن تكون له قيمة جنسية ، ويعطيها الإحساس بالقوة وبالتفوق . ولربما يكون السارق فى طفولته قد فُطم قبل الأوان ، وعلّمه الحرمان العاطفي أن يكون عدوانيًا يكره من رفضوا أن يحبوه ويرغب فى إيقاع الأذى بهم . وقد يكون التورط فى السرقة بقصد التعبير عن كراهيته لمجتمع سامه صنوف العذاب على يديه ، فلربما يكون **السارق الغليم** قد عانى من أبيه ، فيريد أن ينتقم من كل شرطي أو ممثل للسلطة به نفس الميول القاسية المتشددة التى كانت عند أبيه ويعامله بها ، والشرطى ، أو السُّلطة ، أو أصحاب الأملاك يكون به لهم عداءٌ خفيٌّ أزاحه عن أبيه إلى هؤلاء . والسارق ربما به حاجة لاشعورية إلى العقاب ، أو ربما يقبل على السرقة لما تتضمنه من إثارة كثيرًا ما يصفها بأنها شبقية ، وقيل إنها عنده بمثابة التعويض عن الحرمان الجنسى ، أو هى دليل ضعف جنسى ينشد الإثارة فى فعل السرقة ويلتمس بها الإشباع بديلاً عن الفعل الجنسى الحقيقى .

ومثل السرقة فإن القتل قد يكون بالقاتل هوس يقال له **Homocidomania** أى **هوس القتل** . **وسفّاح النساء** : من المجرمين الجنسيين ، وجريمته من أفظع الجرائم ، ومعنى **الهوس** أنه الولع المرضى بشئ ، وهوس القتل هو **جنون القتل** ، وفى القتل الجنسى يكون الدافع إلى قتل النساء شديدًا وملحًا ولا يُقاوم ، ويفسر السفاح على إلحاق الأذى بالنساء ، ومحاولاته مصدرها عدوانية وكراهية لهن ، أو أنه بمحاولة قتلهن يتخلص من مطالب جسده الجنسية ، ومن عجزه عن أن تكون له علاقات سوية بالنساء ، فلكى يتخلص من هذه المشكلة فإنه يقتل المرأة التى تلفت انتباهه إليها ، أو التى يقرأ عنها ، أو يسمع بها من آخرين ، فلا تعود بعد قتلها تشغل حيزًا من انتباهه وتفكيره . وقد يكون مرض القاتل خوفه من النساء **Genophobia** ، فيدفعه هذا الخوف إلى ارتكاب جرائمه الجنسية ، وأصل **الخوف من النساء** هو **الخوف من الجماع** **Coitophobia** ، أو **الخوف من الزواج** **Gamophobia** ، أو **الخوف من اللذة** **Hederophobia** ، وقد يخاف المجرم الجنسى من النساء لأنه يخاف الخطيئة أو يخشى التردّى فيها **Peccatiphobia** ، أو لأنه يخشى الغيرة ، أو الأمراض التناسلية ، أو لأنه ضنين بصحته ويرهب فقدان منيّه ، أو يخشى على نفسه وعلى غيره من مغبة الجنس ويعتقد أنه يلحقه منه الأذى أو النشوّة ، أو لأنه يخاف القدرة ، أو لأنه ينزل النساء منزلة أمه ، أو يخشاهن كموضوعات مقدسة . وربما يقتصر خوافه من النساء على خواف

العذارى ، أو خواف أعضاء المرأة التناسلية ، ولهذا يُقدم على قتل المرأة التى تلفت انتباهه إليها ، وبعض المجرمين يتعلل بأن للمرأة فرج ومن شأنه العض إلى أن يموت الرجل وهو داخلها ، فيقتلها بهذا التوهم أو الزعم . ومن أقوى الدوافع لارتكاب الجرائم الجنسية : **الغيرة المرضية** ، كغيرة **عطيل على ديدمونة** ، والغيرة فى حادثة الزوج الذى قتل زوجته وأولاده الأربعة وعشيق الزوجة ، فإن الزوج كان يشكو العُنّة المزمنة ، وكان سيكوباتيًا ، فاتهم الزوجة وصديقه ، وكرهه كمنافس له ، واتهمها بالخيانة ، ولم تكن لشكوكه أساس ، وليست للغيرة المرضية أساس غالبًا وإنما هذا المجرم السيكوباتى ضخّم الظروف لأسباب فى نفسه أهمها أنه عنِّين ، وشكوكه تشعره أنه ناقص وغير كفء طالما أن زوجته قد انصرفت عنه إلى آخر ، وصار يتعذّب بالغيرة ، وكان الغدر فيه هو نفسه ، لأنه كان فى الأصل لص سيارات ، وأسقط ما فيه على صديقه ، وفى **الغيرة المُسقطة Projected Jealousy** يقصد الغيور بالتعبير عن شكوكه وإلصاق التهمة بالطرف الآخر ، أن يدفعه إلى موقف يحقق به غيرته . ولربما كانت غيرته مزدوجة ، بمعنى أن يغار على امرأته شعوريًا ، ولاشعوريًا يغار أيضًا من عشيقها ، فيكون حبه لها غيريًا ، وحبه لمنافسه عليها مثليًا ، وفى هذه الحالة يكون هذا الزوج ظاهر الجنسية الغيرية ، وكامن الجنسية المثلية ، فمع أنه يبدى الكراهية للمنافس ، إلا أنه فى أعماقه يريده لنفسه ، ومشاعره إزاءه لذلك تكون مشاعر مزدوجة ، ولذا فقد قتل زوجته أولاً بعد أن عذّبها وأجبرها على أن تعترف بما لم ترتكبه ، ثم خدع المنافس واحتال لضربه بالسكين فى جنبه ثم فى وجهه ، وتركه مدة ساعتين لا يقضى عليه ، ثم قضى عليه أخيرًا . ولابد أن نلاحظ أن متعاطى المخدرات تكون غيرته فى شكل هذاءات وملاحقة للزوجة ليخفى بذلك عُنّته . ولم يكن **برنارد شو** – الأديب والفيلسوف البريطانى – يرى فى الغيرة إلا أنها دافع إلى نوع من الجرائم أطلق عليها اسم **الجرائم العاطفية Crimes of Passion** .

والبغاء Prostitution من الجرائم الجنسية ، وفى القانون : البغاء إباحة المرأة نفسها لارتكاب الفحشاء مع الناس بدون تمييز نظير أجر تحصل عليه . وفى القانون الفرنسى : البغاء هو إقبال المرأة بشكل عادى لئن تكون لها علاقات جنسية مع عدد غير محدود من الرجال نظير أجر . ويقال للمرأة **بغىّ** لأنها **تبغى** الرجال ، أى يأجّرونها جنسيًا ، ولأنها تحترف البغاء وتقتضى أجرًا عينيًا ، ولذلك ليست البغى مجرد زانية ، ولا **خَلطة Promiscuous** ، حيث الأولى تزنى لغلبة الشهوة عليها ، والثانية تشتاع الرجال ، وكلهن

منحرفات جنسيًا لأنهن يمارسن الجنس خارج نطاق الزوجية ، ويدرج سلوكهن ضمن **جرائم الجنس** Sex Crimes . وقد يحترف الذكور البغاء ، **وبغاء الذكور** Male Pr. غيرى الجنسية Heterosexual ، يعنى أن الرجل يؤجر للنساء ، وهو يتعمد أن لا يمنى معهن ، ويكون عادة غليمًا ، أى عنده القدرة أن يأتى أكثر من واحدة . وهناك **بغاء للذكور** ولكنه مثلى الجنسية Homosexual ، يعنى أنه يؤجر من الرجال ، ودوره هو دور الرجل ، والزبون دوره دور الأنثى . وتتفاضل البغايا فيقال **العاهرة** Housegirl للبغى المرخصة كما فى تركيا وألمانيا ، **والمومس** Call Girl للفاجرة التى تمارس صنعتها نهارًا ، من **ماست** أى تبخترت واختالت ، ويشرف على حرفتها عادة **قوّاد** Procurer ، وغالبًا ما يكون طلبها بالتليفون المحمول ، وقد تؤم الحانات واسمها عندهم **لعوب الخمارات** Bar Girl ، أو B. girl ، وقد تتصيّد زبائنها من الشارع وتسمى **السكاكة** Streetwalker . وتقرّ البغى بمغايرتها لبقية النساء ، وقد تحن إلى الحب ، وتهفو أن تكون محبوبة ، مثلها مثل الناس جميعًا . وقيل إن البغى **عنينة** وذلك سبب احترافها البغاء ، ولأنها باردة جنسيًا فإنها لا تنفعل فى الجماع ، وأغلب البغايا مصابات بالفصام وباضطرابات فى الشخصية ، وقد يتصل البغاء بالتخلف العقلى ، وضعف المقاومات النفسية ، وتهافت الأنا الأعلى ، وسوء التربية، والافتقار لإطار مرجعى من القيم الاجتماعية والأخلاقية والدينية .

والزنا Adultery من الجرائم الجنسية التى تعاقب عليها كل القوانين ، وفى البلاد الإسلامية فإن مضاجعة رجل وامرأة ليس بينهما زواج هو زنا ، وفى القانون الأمريكى والبريطانى العلاقة الجنسية غير الشرعية بين الرجل والمرأة تعتبر **فحشاء** Fornication ، وأما إن كان أحدهما متزوزجًا فتعتبر هذه العلاقة فى هذه الحالة زنا ، وفى **اليهودية** عقاب الزنا **الرجم** ، وفى النصرانية عقاب الزانى والزانية أن **يعتزلهما** المجتمع ، وفى الإسلام فإن عقابهما **الجلد مائة جلدة** ، وفى الحديث يُفرّق بين المتزوج والمتزوجة وبين الأعزب والعزباء ، وقيل يكون الرجم للمتزوج والمتزوجة ، والجلد للأعزب والعزباء ، وهذا ليس فى القرآن ولكنه منسوب إلى السنّة ، والسنّة لا تنسخ القرآن ، وهذه الأحاديث عن الرجم باطلة . وفى كتب علم النفس يطلق على الزنا أنه Post-marital coitus ، أى الجماع يمارسه رجل أو امرأة متزوجة مع آخر أو أخرى ليست هى الزوجة أو ليس هو الزوج ، وفى التقرير المشهور **لكينزى** فإن هذا النوع غير الشرعى من الجماع نجده فى الحيوانات مثلما فى الإنسان ، ونجد كذلك تحريمه بشدة فى

عالم الحيوان ، ويفرّق كينزى بين **الجماع** وبين **الحب** ، فليس شرطًا فى الجماع أن يكون مبنيًا على الحب ، ويؤيد وجهه نظره بأن هناك مجتمعات تسمح بالجماع خارج نطاق الزوجية بالنسبة للرجل للتخفيف عليه من أعباء ومطالب الأسرة ، فله أن يتلمس أسبابًا للبهجة بخلاف الطرق الشرعية . وأيًا كانت المجتمعات متحضرة أو متخلفة فإنها لا توافق على أن ترتكب المرأة المتزوجة الزنا مخافة اختلاط الأنساب ، وأن يُنسب إلى الزوج أولاد ليسوا أبناءه على الحقيقة . ورصد كينزى نسبة الرجال الذين يرتكبون الزنا إلى النساء اللاتى يفعلن ذلك ، فتبين أن النسبة فى الرجال ٨٥٪ بينما فى النساء ٥٦٪. وهذه الإحصاءات خاصة **بالمجتمع الأمريكى** منذ نحو خمسين سنة ، وتغيرت الأمور فيها تغيرًا شديدًا ، وصار من النادر أن تجد فتاة أمريكية فى المدرسة الثانوية ما تزال بكرًا ، وصار من النادر أن تجد مراهقًا أمريكيًا لم يجرب الجماع مع الفتيات المراهقات مثله . والزنا له مضاره الشديدة ، ويؤدى إلى ارتباكات بالنسبة للفتاة التى لم تتزوج ، وبالنسبة للزوجة التى تعيش فى كنف زوجها ، وهو مجلبة للأمراض ، وأخطرها الإيدز ، وقد يعذر الفتى والفتاة غير المتزوجين، ولكن ما عذر المتزوج والمتزوجة ؟ فلابد أن هناك من الأسباب النفسية غالبًا ما يدفع إلى مثل ذلك الفعل الفاحش ، وأولاها **الخلافات الزوجية** ، ثم **تسلط أحد الزوجين** على الآخر . والزنا يذل نفس الزوجة ويحقّر ذاتها **Self-debasement** ، والزوجة التى تأتيه لا كرامة لها ، وإذا كان هناك ما يمكن أن يمايز الرجل عن المرأة ، فهو أن للمرأة كرامتها ، وللرجل شرفه ، وفى فعل الزنا إهانة لشرف الرجل ، وحطّ من كرامة المرأة . ولم يكن اعتباطًا أن الأنثى فى الإنسان لديها **غشاء بكارة** دون بقية مخلوقات الله ، وقد حار أهل العلم فى حقيقة فائدة هذا الغشاء فلم يتبينوا له فائدة ما ، وأهل الدين هم الذين نبّهوا إلى فائدته ، فالإنسان هو الوحيد من الكائنات المكلف أخلاقيًا ، وغشاء البكارة يميّز المرأة البكر عن الثّيّب ، ويرتبط ذلك بالشرف وهو أعلى قيمة أدبية عند الإنسان .

والزنا قبل الزواج غير مقبول ، وأكثر من ذلك فهو مستقبح بعد الزواج ، وغشاء البكارة برهان مادى على أخلاق البنت ، وأما السيدة المتزوجة فزوجها أدرى بها وأعرف بأحوالها ، وهو الذى يحكم بإخلاصها من عدمه . والمرأة التى تطلب الجنس خارج الزواج مشتاعة وخُلطة ولا تنتمى لنظام الزواج ، وستخرج عليه المرة بعد المرة ، **والخلطة Promiscuous**

هى التى تضاجع هذا وذاك طلبًا للتغيير ، وقد يثبت أن الثانية لا تستشعر لذة جنسيًا خاصة ، وإنما لذتها أن **تخرج على النظام** . واعتبر بعض المفكرين أن ما نشهده الآن من وجوه الزنا ، وقلة الإقبال على استخدام هذا المصطلح لأنه يذكّر بالدين ، **هو ثورة جنسية Sexual Revolution** ، ولذلك ينادون بإلغاء جرائم الزنا ، واللواط ، والجماع مع الأطفال ، والتخنث ، والاشتياع !

ومن الجرائم الجنسية **هتك العرض** ، وهو من أنواع السلوك الجنسى العنيف ، ويفصح عن ميول سادية ، والمثل لهتك العرض أن تمسك المرأة بخصيتى الرجل وتقبض عليهما بشدة ، أو أن يطرحها الرجل أرضًا ويفض بكارتها بإصبعه ، أو أن يلامس امرأة فى عجزها . **والتحريض على الفسق** جريمة أخرى ، وكذلك الفعل الفاضح ، ومنه **الفعل العلنى** الذى يخدش الحياء ويجرح الشعور ، **والفعل غير العلنى** هو الذى يقع على الغير ولا يشهد عليه أحد سوى من وقع عليه الفعل . وبعض الأفعال الجنسية تعتبر جرائم ، مثل **جريمة انتهاك حرمة الآداب** ، بطبع **صور جنسية فاضحة** وعرضها للبيع ، أو أفلامًا مخلة بالآداب ، أو مؤلفات داعرة فى الجنس بقصد الاتجار .

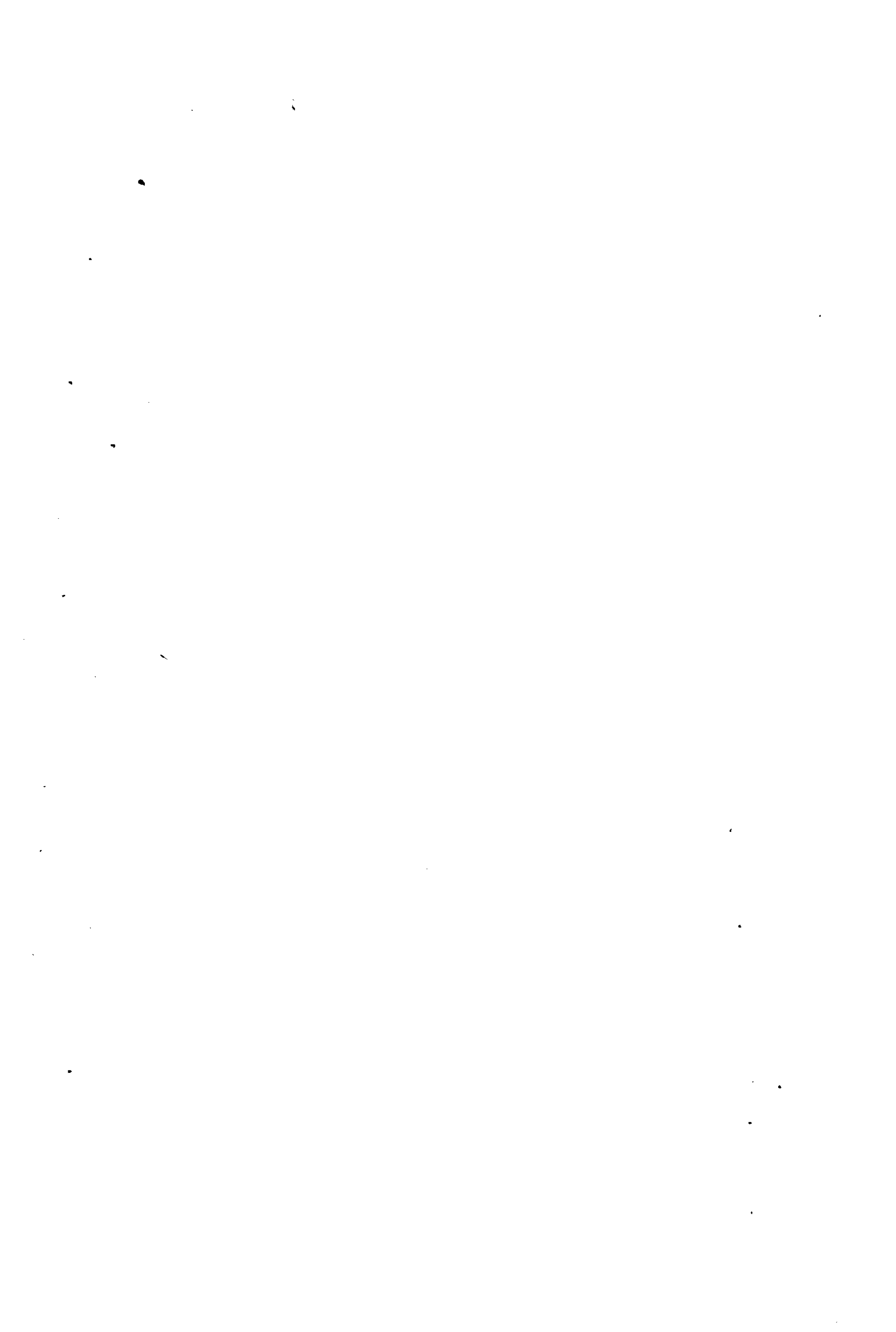
ومن الجرائم الجنسية كما ذكرنا **اللواط** سواء كان ذكوريًا يتوجه من الرجل للرجل ، أو أنثويًا يتوجه من الأنثى للأنثى ، ولذلك يسمى اللواط جِماعًا مثليًا ، وهو شذوذ جنسى سافر ويعاقب عليه القانون (انظر اللواط فى بابه) .

تمت الموسوعة النفسية الجنسية

بحمد الله ومنته ، وجميع الحقوق محفوظة للمؤلف

عبد المنعم الحفنى

* * *



الفهـرس

الموضوع	الصفحة

* * *

تم الفهرس بحمد الله

القاهرة : الدقى ١١٨ ش محيى الدين أبو العز

ت : ٧٦١٣٣٥٥

* * *

بعض مؤلفات الدكتور الحفنى فى
علم النفس والطب النفسى

- موسوعة علم النفس والتحليل النفسى .
- المعجم الموسوعى للتحليل النفسى - عربى - إنجليزى - فرنسى - ألمانى .
- موسوعة الطب النفسى - مجلدان .
- الموسوعة النفسية الجنسية : مناقشة شاملة للجنس وسيكولوچيته .
- موسوعة أعلام علم النفس .
- موسوعة مدارس علم النفس .
- تفسير الأحلام : الترجمة الصحيحة لتحفة فرويد عن الألمانية .
- التحليل النفسى للأحلام : نظرياته وطريقة جديدة فى التفسير .
- تعبير المنام لعمر الخيام : تحقيق ودراسة .
- تعبير الرؤيا لأرطميدورس الإفسى : ترجمة حنين إسحق - تحقيق ودراسة .
- ما فوق مبدأ اللذة لفرويد .
- ليوناردو دافنشى لفرويد .
- موسى والتوحيد لفرويد .

* * *

بعض مؤلفات الدكتور الحفنى فى
الفلسفة والتصوّف

- موسوعة الفلسفة : مجلدان - وتشمل الفلاسفة المصريين ، والعرب المحدثين .. بالإضافة إلى فلاسفة الشرق والغرب .
- المعجم الفلسفى : عربى - إنجليزى - فرنسى - لاتينى - عبرى - يونانى - روسى - أسبانى - إيطالى .
- موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود .
- الموسوعة الصوفية .
- المعجم الصوفى .
- رابعة العدوية : إمامة المحزونين والعاشقين .

- الإمام الفيلسوف حجة الحق الشاعر عمر الخيام والرباعيات .
- موسوعة الفرق والمذاهب والجماعات والأحزاب الإسلامية منذ بداية الإسلام وحتى الآن فى قارات أسيا وإفريقيا وأوروبا .
- فرق الشيعة للنوبختى والقمى : تحقيق ودراسة .
- قوت القلوب للمكى : تحقيق ودراسة .
- ما هى الوجودية .
- الوجودية والماركسية .
- البير كامى : الفلسفة والأدب والحياة .
- ثلاث مسرحيات لكامى : العادلون - الحصار - سوء تفاهم .
- المتمرد لكامى .
- أسطورة سيسيف لكامى .
- چان پول سارتر : الفلسفة والأدب والحياة .
- ثلاث مسرحيات لسارتر : الشيطان والرحمن - سجناء ألطونا - المشركين .
- سيناريو فيلم الدوامة لسارتر .
- الوجودية مذهب إنسانى لسارتر .
- الأفواة اللامجدية : مسرحية لسيمون دى بوڤوار .
- الدعاء للّه : تصوّف .
- تجليات فى أسماء الله الحسنى : تصوّف .
- موسوعة أم المؤمنين عائشة بنت الصديق : حياتها مع الرسول (ﷺ) ، وتأريخها للإسلام ، وروايتها للحديث ، وما روته عن رسول اللّه ﷺ ويفوق الأربعة آلاف ، ومنها روايتها عن نسائه ، وفتواها فى الدين ، وتفسيرها للقرآن ، ودعوتها للإسلام ، وترسيخها للسنة الصحيحة ، وجهدها من أجل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجهادها وغزوها .
- موسوعة القرآن الكريم : كتاب شامل يردّ على المستشرقين وشبهاتهم وإشكالاتهم ، وفيه ثبت كامل لقصص القرآن ومقارنتها بالقصص فى كتب اليهود والنصارى ، ومصطلحات القرآن ، وأسباب النزول، والنسخ ، والعبادات ومعانيها ، والإسلام السياسى ، والاجتماعى ، والاقتصادى ، والجنائى ، والمرأة فى الإسلام ، والتوحيد والإيمان إلخ .

نسأل الله العافية والمعونة .

* * *

Dr. Abdelmonem Alhefnee

Psycho - Sexual Encyclopedia

هذا الكتاب

تعد الموسوعة النفسية الجنسية أول كتاب من نوعه باللغة العربية ، يتناول بشكل شامل فسيولوجيا الجنس ، والنواحى النفسية المتعلقة به ، وسيكلوجية الأنثى والذكر ، وما يعتمل فى نفوس الطفل والصبى والمراهق والشاب والرجل والمرأة والشيخ من مجريات نفسية جنسية توجه سلوكهم وتدفع إليه وتفسره .

وتضم الموسوعة دراسات مستفيضة للجهاز التناسلى والاضطرابات النفسية والعقلية التى مدارها الجنس ، وتأثيرات هذه الاضطرابات على السلوك الجنسى ، وتتناول تأثير المخدرات والمنومات والمنبهات والكحول والمنشطات على القدرة وتأثير التربية ، ودور الأم والأب ، والعقد النفسية الجنسية ، والتغييرات التى يمكن أن تطرأ على السلوك الجنسى من جراء العمليات الجراحية، وخاصة العمليات التى تتناول الجهاز التناسلى ، وكيف تعكس الأحلام الرغبات الجنسية ، والجنس والعُصاب ، والذُهان ، وجناح الشباب ومضمونه الجنسى ، ومعنى التربية الجنسية وأبعادها ، والفن والأدب الجنسيين عند فنانين وأدباء كبار أمثال دانتى، وشكسبير، وبودلير، وإحسان عبد القدوس، ونجيب محفوظ ، ومصورين أمثال دافنشى وأنجلو ، وموسيقيين كموزار ، ومخرجين سينمائيين كأنطونيونى وفيلليني وغيرهم . والموسوعة بذلك شاملة وكاملة بإذن الله، وللدكتور الحفنى بخلاف هذه الموسوعة عمل جليل آخر هو موسوعة الطب النفسى .

وتكتمل بالموسوعتين أكبر دراسة نفسية فى هذين المجالين اللذين لم يتطرق إليهما أى من الباحثين من قبل باللغة العربية . والله الموفق . .

Madbouli Bookshop